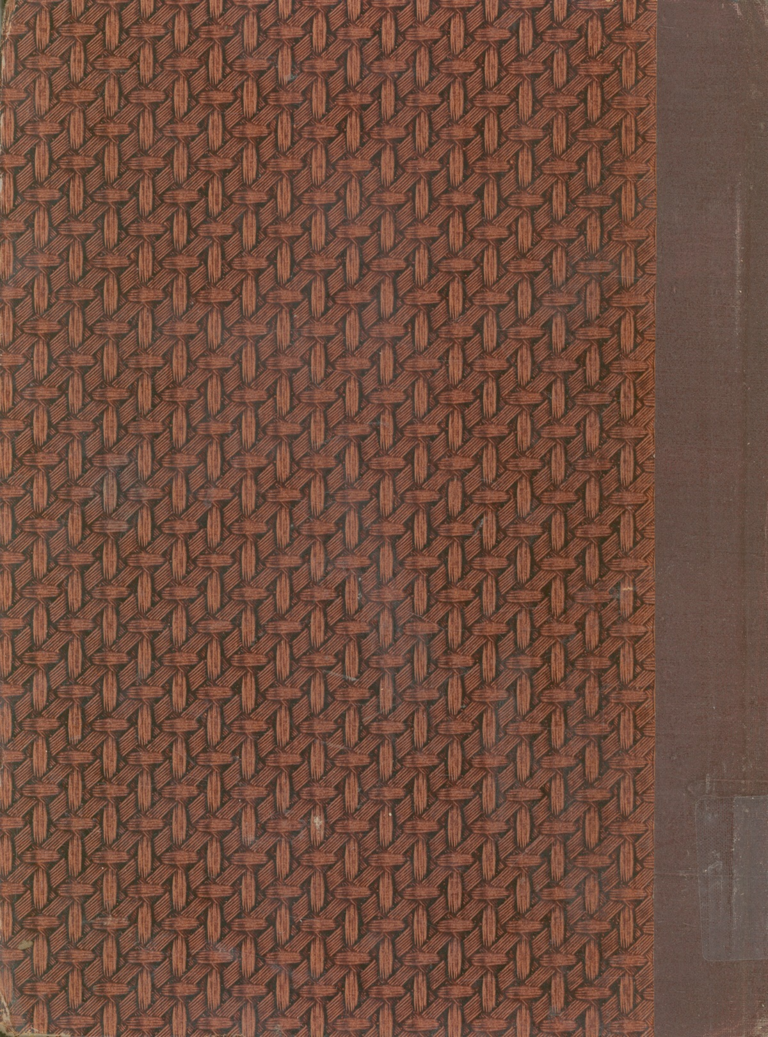




مجمع البيان

في

تفسير القرآن

لمؤلفه

الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من اكابر علماء الامامية في القرن السادس

يقع في خمسة مجلدات أو عشرة اجزاء

يكون مجموعه مع الفهارس زهاء ثلاثة آلاف صفحة

ـ« الجزء السابع »ـ

حسب تجزئة المصنف

المجلد الرابع

وهو مجلد من خمسة مجلدات

صدر الجزء السابع في ذي الحجة سنة ١٣٥٥

قيمة الاشتراك ليرة عثمانية ما عدا اجرة البريد

١٣٥٥ هـ　　مطبعة العرفان * صيدا (سوريا)　　١٩٣٧م

(الجزء السابع)

(سورة طه) مكية

عدد آيها مائة واربعون آية شامي وخمس وثلاثون كوفي واربع حجازي وآيتان بصري

اختلافها

احدى وعشرون آية طه ما غشيهم رأيتهم ضلوا ثلاثهن كوفي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا كلاهما غير البصري محبة مني حجازي شامي فتونا بصري شامي لنفسي كوفي شامي ولا تحزن وأهل مدين ومعنا بني اسرائيل وأوحينا إلى موسى اربعهن شامي غضبان أسفا وإله موسى كلاهما مكي والمدني الأول وعدا حسنا الا يرجع اليهم قولا كلتاهما المدني الأخير القى السامري غير المدني الأخير فنسي عراقي شامي والأخير صفصفا عراقي شامي مني هدى وزهرة الحياة الدنيا غير الكوفي

فضلها

أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأها أعطي يوم القيامة ثواب المهاجرين والأنصار، ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم (ع) بألفي عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالوا طوبى لامة نزل هذا عليها وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسن تتكلم بهذا وعن الحسن قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يقرأ أهل الجنة من القرآن إلا يس وطه وروى اسحاق بن عمار عن ابي عبد الله (ع) قال لا تدعوا قراءة طه فإن الله سبحانه يحبها ويحب من قرأها وادمن قراءتها واعطاه يوم القيامة كتابه بيمينه ولم يحاسبه بما عمل في الإسلام وأعطي من الأجر حتى يرضى

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة مريم بذكر إنزال القرآن وانه بشارة للمتقين وانذار للكافرين وافتتح هذه السورة بالقرآن وانه أنزله لسعادته لا لشقاوته فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) طه (٢) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ (٣) إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٤) تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى (٥) ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ (٦) لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ (٧) وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى (٨) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ثماني آيات كوفي

(القراءة)

قرأ ابو عمرو طه بفتح الطاء وكسر الهاء كسرا لطيفا من غير افراط وقرأ أهل الكوفة غير عاصم إلا يحيى عن ابي بكر بكسر الطاء والهاء وكذلك عياش عن ابي عمرو والباقون بفتح الطاء والهاء وروي عن ابي جعفر ونافع كهيعص وطه وطس وحم والر كله بين الفتح والكسر وهو إلى الفتح اقرب

الحجة

قد مر القول في الامالة والتفخيم في الحروف فيما تقدم والتفخيم لغة أهل الحجاز ولغة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

﴿ اللغة ﴾

الشقاء استمرار ما يشق على النفس ونقيضه السعادة والعلى جمع العليا ومنه الدنيا والدنا والقصوى والقصى والثرى التراب الندي والجهر رفع الصوت يقال جهر يجهر جهرا فهو جاهر والصوت مجهور وضده المهموس

﴿ الاعراب ﴾

روي عن الحسن انه قرأ طه بفتح الطاء وسكون الهاء فإن صح ذلك عنه فأصله طأ فأبدل من الهمزة هاء ومعناه طإ الأرض بقدميك جميعا وقد روي ان النبي ﷺ كان يرفع إحدى رجليه في الصلاة ليزيد تعبه فأنزل الله طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى فوضعها وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) قال الزجاج ويجوز أن يكون طه امرا من وطأ يطأ على قول من لم يهمز ثم حذفت الألف فصار ط ثم زيدت الهاء في الوقف ويجوز أن يكون طه جاريا مجرى القسم فيكون ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى جواب القسم وقوله تذكرة مفعول له . لمن يخشى الجار والمجرور في موضع الصفة لتذكرة والأولى أن يكون مصدر فعل محذوف ويكون الاستثناء منقطعا والتقدير لكن تذكرة وكذلك قوله تنزيلا مصدر لفعل محذوف تقديره نزلناه تنزيلا أو نزل تنزيلا ويدل عليه قوله انزلنا

﴿ المعنى ﴾

(طه) قد بينا في اول البقرة تفسير حروف المعجم في أوائل السور والاختلاف فيه وقد قيل ان معنى طه يا رجل عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والكلبي غير ان بعضهم يقول هو بلسان الحبشية اوالنبطية وقال الكلبي هي بلغة عك وأنشد لتميم بن نويرة

هتفت بطه في القتال فلم يجب ... فخفت لعمري أن يكون موائلا

وقال الآخر

ان السفاهة طه من خلايقكم ... لا بارك الله في القوم الملاعين

وقال الحسن هو جواب للمشركين حين قالوا انه شقي فقال سبحانه يا رجل (ما انزلنا عليك القرآن لتشقى) لكن لتسعد به وتنال الكرامة به في الدنيا والآخرة قال قتادة وكان يصلي الليل كله ويعلق صدره بحبل حتى لا يغلبه النوم فأمره الله سبحانه بأن يخفف على نفسه وذكر انه ما أنزل عليه الوحي ليتعب كل هذا التعب (إلا تذكرة لمن يخشى) قال المبرد معناه لكن انزلناه تذكرة اي لتذكرة من يخشى الله والتذكرة مصدر كالتذكير (تنزيلا) اي نزلناه تنزيلا (ممن خلق الأرض) بدأبالأرض ليستقيم رؤوس الآي (والسماوات العلى) اي الرفيعة العالية نبه بذلك على عظم حال خالقها ثم أكد ذلك بقوله (الرحمن على العرش استوى) اي هو الرحمن لأنه لما قال ممن خلق بينه بعد ذلك فقال هو الرحمن قال احمد بن يحيى الاستواء الاقبال على الشيء فكأنه أقبل على خلق العرش وقصد إلى ذلك وقد سبق القول في معنى الاستواء في سورة البقرة والاعراف (له ما في السماوات وما في الارض) اي له ملك ما في السماوات وما في الارض وتدبيرهما وعلمهما يعني أنه مالك كل شيء ومدبره (وما بينهما) يعني الهواء (وما تحت الثرى) والثرى التراب الندي يعني وما وارى الثرى من كل شيء عن الضحاك وقيل يعني ما في ضمن الأرض من الكنوز والاموات (وإن تجهر بالقول) اي ان ترفع صوتك به (فإنه يعلم السر واخفى) اي فلا تجهد نفسك برفع الصوت فإنك وان لم تجهر علم الله السر واخفى من السر ولم يقل واخفى منه لدلالة الكلام عليه كما يقول القائل فلان كالفيل او اعظم وقيل تقديره وان تجهر بالقول او لا تجهر فإنه يعلم السر واخفى منه ثم اختلفوا فيما هو اخفى من السر فقيل السر ما حدث به العبد غيره في خفية واخفى منه ما اضمره في نفسه ما لم يحدث به غيره عن ابن عباس وقيل السر ما اضمره العبد في نفسه

واخفى منه ما لم يكن ولا اضمره احد عن قتادة وسعيد بن جبير وابن زيد وقيل السر ما تحدث به نفسك واخفى منه ما تريد أن تحدث به نفسك في ثاني الحال وقيل العمل الذي تستره عن الناس واخفى منه الوسوسة عن مجاهد وقيل معناه يعلم السر اي يعلم اسرار الخلق واخفى اي سر نفسه عن زيدبن اسلم جمله فمـلا ماضيا وروي عن السيدين الباقر والصادق (ع) السر ما اخفيته في نفسك واخفى ما خطر ببالك ثم انسيته (الله لا إله إلا هو) لا معبود تحق له العبادة غيره (له الاسماء الحسنى) اي الاسماء الدالة على توحيده وعلى انعامه على العباد وعلى المعاني الحسنة فبأيها دعوت جاز وروي عن النبي ﷺ انه قال ان الله تعالى تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل الجنة قال الزجاج تأويله من وحد الله تعالى وذكر هذه الاسماء الحسنى يريد بها توحيد الله واعظامه دخل الجنة وقد جاء في الحديث من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة فهذا لمن ذكر اسم الله موحدا له به فكيف لمن ذكر اسماءه كلها يريد بها توحيده والثناء عليه وإنما قال الحسنى بلفظ التوحيد ولم يقل الاحاسن لأن الاسماء مؤنثة تقع عليها هذه كما تقع على الجماعة هذه كأنه اسم واحد للجمع قال الاعشى

وسوف يعقبنيه إن ظفرت به رب كريم وبيض ذات اطهار

وفي التنزيل حدائق ذات بهجة ومآرب أخرى

قوله تعالى (٩) وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٠) إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى (١١) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١٢) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٣) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٤) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٥) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (١٦) فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى ثماني آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن كثير وابو عمرو اني انا ربك بفتح الألف والباقون اني بالكسر وقرأ حمزة لأهله امكثوا وفي القصص ايضا بضم الهاء وانا مشدد مفتوح الهمزة اخترناك على الجمع والباقون لأهله بكسر الهاء وانا اخترتك على التوحيد وقرأ ابن عامر وأهل الكوفة طوى بالتنوين والباقون بغير تنوين وفي الشواذ قراءة الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير اخفيها بفتح الالف

(الحجة)

قال ابو علي من كسر اني فلأن الكلام حكاية كأنه نودي فقيل يا موسى اني انا ربك ومن فتح فكان المعنى نودي بكذا ونادى قد يوصل بحرف الجر قال

ناديت باسم ربيعة بن مكرم ان المنوه باسمه الموثوق

ومن الناس من يعمل هذه الاشياء التي هي في المعنى قول كما يعمل القول ولا يضمر القول معها وينبغي ان يكون في نودي ضمير يقوم مقام الفاعل لأنه لا يجوز ان يقوم واحد من قوله يا موسى ولا اني انا ربك مقام الفاعل لأنها جمل والجمل لا تقوم مقام الفاعل فإن جعلت الاسم الذي يقوم مقام الفاعل موسى لأن ذكره قد جرى كان مستقيما وقوله طوى يصرف ولا يصرف فمن صرفه فعلى وجهين احدهما ان يجعله اسم الوادي

فيصرفه لأنه سمي مذكرا بمذكر ﴿ والآخر ﴾ ان يجعله صفة وذلك في قول من قال انه قدس مرتين فيكون طوى كقولك ثنى ويكون صفة كقوله مكانا سوى وقوم عدى وجاء في طوى الضم والكسر كما جاء في مكان سوى الضم والكسر قال الشاعر

أفي جنب بكر قطعتني ملامة لعمري لقد كانت ملامتها ثنى

اي ليس هذا بأول ملامتها ومن لم يصرف احتمل أمرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون اسما لبقعة اوارض فهو مذكر فيكون بمنزلة امرأة سميتها بحجر ويجوز ان يكون معدولا كعمر ولا يمتنع ان تقدر العدل فيما لم يخرج الى الاستعمال الا ترى ان جمع وكتع معدولتان عما لم يستعملا فكذلك يكون طوى وأما ضم الهاء في قوله لأهله امكثوا فقد مضى القول في مثله وأما قوله وانا اخترتك فالافراد اكثر في القراءة وهو اشبه بما قبله من قوله إني أنا ربك ووجه الجمع ان يكون ذلك قد جاء في نحو قوله تعالى سبحان الذي اسرى ثم قال وآتينا موسى الكتاب ويمكن ان يكون الوجه في قراءة حمزة وانا اخترناك مع انه قرأ إني أنا ربك بالكسر أن يكون التقدير ولأنا اخترناك فاستمع فيكون الجار والمجرور في موضع نصب بقوله فاستمع ولم يذكر الشيخ ابو علي وقوله أخفيها فإنهم قالوا معناه اظهرها قال ابو علي الغرض فيه أزيل عنها خفاءها وهو ما يلف فيه القربة ونحوها من كساء وما يجري مجراه وعليه قول الشاعر

لقد علم الايقاظ اخفية الكرى تزججها من حالك فاكتحالها

قال اراد بالايقاظ عيونا فجعل العين كالخفاء للنوم كأنها تستره وهو من الفاظ السلب فأخفيته سلبت عنه خفاه كما تقول اشكيت الرجل ازلت عنه ما يشكوه وأما اخفيها بفتح الالف فإنه اظهرها قال امرؤ القيس

خفاهن من انفاقهن كأنما خفاهن ودق من سحاب مركب

وقوله

فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

رواية ابي عبيدة بضم النون من نخفه ورواية الفراء بفتح النون

—(اللغة)—

الايناس وجدان الشيء الذي يؤنس به والقبس الشعلة من النار في طرف عود اوقصبة والخلع نزع الملبوس يقال خلع ثوبه وخلع نعله والوادي سفح الجبل ويقال للمجرى العظيم من مجاري الماء واد واصله عظم الامر ومنها الدية لأنها العطية في الامر العظيم وهو القتل والمقدس المطهر قال امرؤ القيس « كما شبرق الولدان ثوب المقدس» يريد العابد من النصارى كالقسيس ونحوه وسمي الوادي طوى لأنه طوى بالبركة مرتين عن الحسن فعلى هذا يكون مصدر قولك طويت طوى قال عدي بن زيد

اعاذل ان اللوم في غير كنهه علي طوى من غيك المتردد

ويقال اخفيت الشيء كتمته واظهرته جميعا وخفيته بلا الف اظهرته لا غير والردى الهلاك وردي يردى ردى إذا هلك وتردى بمعناه

﴿ الاعراب ﴾

قوله إذ رأى الظرف يتعلق بمحذوف فهو في موضع النصب على الحال من حديث موسى وأكاد اخفيها جملة في موضع رفع بأنها خبر ان فهي خبر بعد خبر واللام في لتجزى يتعلق بآتية ويجوز ان يتعلق بقوله وأقم الصلاة فتردى منصوب بإضمار ان في جواب النهي

المعنى

ثم خاطب الله سبحانه نبيه تسلية له مما ناله من اذى قومه وتثبيتا له بالصبر على امر ربه كما صبر موسى (ع) حتى نال الفوز في الدنيا والآخرة فقال (وهل اتاك حديث موسى) هذا ابتداء اخبار من الله تعالى على وجه التحقيق اذ لم يبلغه حديث موسى فهو كما يخبر الانسان غيره بخبر على وجه التحقيق فيقول هل سمعت بخبر فلان وقيل انه استفهام تقرير بمعنى الخبر اي وقد اتاك حديث موسى (إذ رأى نارا) عن ابن عباس قال وكان موسى رجلا غيورا لايصحب الرفقة لئلا ترى امرأته فلما قضى الاجل وفارق مدين خرج ومعه غنم له وكان اهله على اتان وعلى ظهرها جوالق فيها اثاث البيت فاضل الطريق في ليلة مظلمة وتفرقت ماشيته ولم ينقدح زنده وامرأته في الطلق فرأى نارا من بعيد كانت عند الله نورا وعند موسى نارا (فقال) عند ذلك (لأهله) وهي بنت شعيب كان تزوجها بمدين (امكثوا) اي الزموا مكانكم قال مقاتل وكانت ليلة الجمعة في الشتاء والفرق بين المكث والاقامة ان الاقامة تدوم والمكث لا يدوم (إني أنست نارا) اي ابصرت نارا (لعلي آتيكم منها بقبس) اي بشعلة اقتبسها من معظم النار تصطلون بها (او اجد على النار هدى) اي اجد على النار هاديا يدلني على الطريق وقيل علامة استدل بها على الطريق والهدى ما يهتدى به فهو اسم ومصدر قال السدي لأن النار لا تخلو من اهل لها وناس عندها (فلما اتاها) قال ابن عباس لما توجه نحو النار فاذا النار في شجرة عناب فوقف متعجبا من حسن ضوء تلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فسمع النداء من الشجرة وهو قوله (نودي ياموسى اني انا ربك) والنداء الدعاء على طريقة يافلان فمن فتح الألف من انيّ فالمعنى نودي بأني ومن كسر فالمعنى نودي فقيل اني انا ربك الذي خلقك ودبرك قال وهب نودي من الشجرة فقيل ياموسى فاجاب سريعا ما يدري من دعاه فقال اني اسمع صوتك ولا ارى مكانك فاين انت فقال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك لا ينبغي الا لربه عز وجل وايقن به وانما علم موسى(ع) ان ذلك النداء من قبل الله تعالى لمعجز اظهره الله سبحانه كما قال في موضع آخر اني انا الله رب العالمين وان الق عصاك الى اخره وقيل انه لما رأى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها تتوقد فيها نار بيضاء وسمع تسبيح الملائكة ورأى نورا عظيما لم تكن الخضرة تطفئ النار ولا النار تحرق الخضرة تحير وعلم انه معجز خارق للعادة وانه لأمر عظيم فألقيت عليه السكينة ثم نودي اني انا ربك وانما كرر الكناية لتأكيد الدلالة وإزالة الشبهة وتحقيق المعرفة (فاخلع نعليك) اي انزعهما وقيل في السبب الذي امر بخلع النعلين اقوال ﴿ احدها ﴾ انهما كانتا من جلد حمار ميت عن كعب وعكرمة وروي ذلك عن الصادق (ع) ﴿ وثانيها ﴾ كانتا من جلد بقرة ذكية ولكنه امر بخلعهما ليباشر بقدميه الارض فتصيبه بركة الواد المقدس عن الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير وابن جريج ﴿ وثالثها ﴾ ان الحفاء من علامة التواضع ولذلك كانت السلف تطوف حفاة عن الاصم ﴿ ورابعها ﴾ ان موسى(ع) انما لبس النعل اتقاء من الانجاس وخوفا من الحشرات فامنه الله مما يخاف واعلمه بطهارة الموضع عن ابي مسلم (انك بالواد المقدس) اي المبارك عن ابن عباس بورك فيه بسعة الرزق والخصب وقيل المطهر (طوى) هو اسم الوادي عن ابن عباس ومجاهد والجبائي وقيل سمي به لأن الوادي قدّس مرتين فكانه طوي بالبركة مرتين عن الحسن (وانا اخترتك) اي اصطفيتك بالرسالة (فاستمع لما يوحى) اليك من كلامي واصغ اليه وتثبت، لما بشره الله سبحانه بالنبوة امره باستماع الوحي ثم ابتدأ بالتوحيد فقال (انني انا الله لا إله إلا انا) اي لا إله يستحق العبادة غيري (فاعبدني) خالصا ولاتشرك في عبادتي احدا امره سبحانه بان يبلغ ذلك قومه (واقم الصلاة لذكري) اي لان تذكرني فيها بالتسبيح والتعظيم لأن الصلاة لا تكون إلا بذكر الله عن الحسن ومجاهد وقيل معناه لان اذكرك بالمدح والثناء وقيل ان معناه صل لي ولا تصل لغيري كما يفعله المشركون عن ابي مسلم وقيل معناه اقم الصلاة

متى ذكرت ان عليك صلاة كنت في وقتها ام لم تكن عن اكثر المفسرين وهو المروى عن ابي جعفر (ع) ويعضده ما رواه انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها غير ذلك وقرأ اقم الصلاة لذكري رواه مسلم في الصحيح ثم اخبره سبحانه بمجيء الساعة فقال (ان الساعة آتية) يعني ان القيامة جائية قائمة لا محالة (اكاد اخفيها) اي اريد ان اخفيها عن عبادي لئلا تأتيهم إلا بغتة قال تغلب هذا اجود الاقوال وهو قول الاخفش وفائدة الاخفاء التهويل والتخويف فان الناس اذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وروى ابن عباس اكاد اخفيها من نفسي وهي كذلك في قراءة ابي وروي ذلك عن الصادق (ع) والمعنى اكاد لااظهر عليها احدا وهو قول الحسن وقتادة والمقصود من ذلك تبعيد الوصول الى علمها وتقديره اذا كدت اخفيها من نفسي فكيف اظهرها لك قال المبرد هذا على عادة العرب اذا بالغوا في كتمان الشيء قال كتمته حتى من نفسي اي لم اطلع عليه احدا فبالغ سبحانه في اخفاء الساعة وذكره بابلغ ما تعرفه العرب وقال ابو عبيدة معنى اخفيها اظهرها ودخلت اكاد تأكيدا والمعنى يوشك ان اقيمها (لتجزى كل نفس بما تسعى) اي بما تعمل من خير وشر ولينتصف من الظالم للمظلوم (فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها) أي لا يصرفنك عن الصلاة من لا يؤمن بالساعة وقيل معناه لا يمنعك عن الايمان بالساعة من لا يؤمن بها وقيل عن العبادة ودعاء الناس اليها وقيل عن هذه الخصال (واتبع هواه) والهوى ميل النفس إلى الشيء ومعناه ومن بنى الامر على هوى النفس دون الحق وذلك ان الدلالة قد قامت على قيام الساعة (فتردى) اي فتهلك كما هلك اي ان صددت عن الساعة بترك التأهب لها هلكت والخطاب وان كان لموسى (ع) فهو في الحقيقة لسائر المكلفين وفي هذه الآيات دلالة على ان الله تعالى كلم موسى وان كلامه محدث لأنه حل الشجرة وهي حروف منظومة

قوله تعالى (١٧) وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٨) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (١٩) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (٢٠) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (٢١) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (٢٢) وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى (٢٣) لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى (٢٤) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٢٥) قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٦) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٧) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٨) يَفْقَهُوا قَوْلِي (٢٩) وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٣٠) هَارُونَ أَخِي (٣١) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣٢) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٣) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٤) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٥) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٦) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى عشرون آية

القراءة

قرأ ابن عامر اشدد بقطع الهمزة وفتحها واشركه بضمها والباقون اشدد بهمزة الوصل واشركه بالفتح وفي الشواذ قراءة عكرمة واهس بالسين وقراءة ابي ابراهيم واهش بكسر الهاء

— الحجة —

الوجه في قراءة ابي عامر انه جعله خبرا وسائر القراء جعلوه دعاء وضم الهمزة في اشركه ضعيف جدا لأنه ليس إلى موسى اشراك هارون في النبوة بل ذلك إلى الله تعالى فالوجه فتح الهمزة على الدعاء ومن قرأ اهش بكسر

الهاء فيمكن ان يكون اراد اهش بضم الهاء اي اكسر الكلاء بها للغنم فجاء بها على يفعل وان كان متعديا كما جاء هر الشيء يهر ويهره اذا كرهه وشد الحبل يشده ويشده ونمّ الحديث ينمه وينمه واما اهس بالسين فمعناه اسوق وكان ينبغي ان يقول اهسّ بها غنمي ولكن لما دخل السوق معنى الانتحاء لها والميل بها عليها استعمل على معها حملا على المعنى

❊ اللغة ❊

التوكؤ والاتكاء بمعنى مثل التوقي والاتقاء والهش ضرب ورق الشجر ليتساقط والمآرب الحوائج واحدتها مأربة بضم الراء وفتحها وكسرها عن علي بن عيسى والسيرة والطريقة من النظائر ومعناه مرور الشيء في جهة واصل الجناح من الجنوح وهو الميل لان الطائر يميل به في طيرانه وعضد الانسان جناحه لأن من جهته يميل اليد حيث شاء صاحبها وقيل يريد بالجناح الجنب لان فيه جنوح الاضلاع وقال الراجز «اضمها للصدر والجناح» قال ابو عبيدة الجناحان الناحيتان والطغيان تجاوز الحد في العصيان وشرح الصدر توسعه ومنه شرح المعنى وهو بسط القول فيه والعقدة جملة مجتمعة يصعب تفكيكها والحل ضد العقد ونظيره الفصل والقطع والوزير حامل الثقل عن الرئيس مشتق من الوزر الذي هو الثقل والازر الظهر يقال ازرني فلان على امري اي كان لي ظهرا ومنه المئزر لانه يشد على الظهر والازار لأنه يسبل على الظهر والتأزير التقوية ويمكن ان يكون ازر ووزر مثل ارخ وورخ واكد ووكد قال امرؤ القيس

بمحنية قد آزر الضال نبتها   مضم جيوش غانمين وخيب

❊ الاعراب ❊

وما تلك بيمينك قال الزجاج تلك اسم مبهم يجري مجرى التي ويوصل كما توصل التي والمعنى وما التي بيمينك وانشد الفراء

عدس ما لعباد عليه امارة   امنت وهذا تحملين طليق

اي والذي تحملين قال بعض المتأخرين ان الصحيح الذي لا غبار عليه ان يكون تلك مبتدأ وما خبره قدم عليه لما فيه من معنى الاستفهام وبيمينك الجار والمجرور في موضع نصب على الحال من معنى الفعل في تلك وهو الاشارة قال وانما قلنا ذلك لان اسماء الاشارة انما تبين بصفاتها كما ان الاسماء الموصولة تبين بصلاتها ولا يجوز وصف المبهم بالجملة لأن الجمل نكرات وقوله فاذا هي حية تسعى اذا هذه ظرف المفاجأة وهي ظرف مكان تقديره فبالحضرة هي حية والعامل في الظرف تسعى وهذا يدل على ان اذا هاهنا غير مضاف الى الجملة لأنه لو كان كذلك لم يعمل فيه مما في الجملة شيء لأن المضاف اليه لا يعمل في المضاف وسيرتها انتصب على تقدير سنعيدها الى سيرتها فحذف الجار. من غير سوء في موضع نصب على الحال والتقدير تبيض غير برصاء فيه فيكون حالا عن حال. آية اخرى اسم في موضع الحال ايضا والمعنى تخرج بيضاء مبينة قال الزجاج ويجوز ان يكون منصوبة على آتيناك آية اخرى او نؤتيك اية اخرى لأن في قوله تخرج بيضاء دليلا على انه يعطى آية اخرى. لنريك اللام يتعلق بقوله واضمم والمفعول الثاني من نري يجوز ان يكون محذوفا وتقديره لنريك من آياتنا الكبرى آيات ويجوز أن يكون الكبرى صفة محذوف وهو المفعول الثاني والتقدير لنريك الآية الكبرى من آياتنا . هارون بدل من قوله وزيرا ويجوز أن يكون منصوبا باضمار فعل كانه قال اعني هارون اخي او استوزر لي هارون لأن وزيرا يدل عليه واخي صفة لهارون ويجوز ان يكون بدلا منه قال الزجاج يجوز ان يكون هارون مفعولا اول لاجعل ووزيرا مفعولا ثانيا له وعلى هذا فيكون مثل قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن في ان المفعول الثاني من هذا الباب قد تقدم على المفعول الاول ولو قرأ بالرفع هارون لكان خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل من هذا الوزير فقيل

هو هارون وكثيرا نعت مصدر محذوف في الموضعين اي تسبيحا كثيرا وذكرا كثيرا ويجوز ان يكون نعتا لظرف محذوف تقديره نسبحك وقتا كثيرا ونذكرك وقتا كثيرا

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه مااعطى موسى من المعجزات فقال (وما تلك بيمينك ياموسى) سأله عما في يده من العصا تنبيها له عليها ليقع المعجز بها بعد التثبت فيها والتأمل لها (قال) موسى (هي عصاي اتوكؤ عليها) اي اعتمد عليها اذا مشيت والتوكؤ التحامل على العصا في المشي (واهش بها على غنمي) اي واخبط بها ورق الشجر لترعاه غنمي (ولي فيها مآرب اخرى) ولم يقل اخر ليوافق رؤوس الآي اي حاجات اخرى فنص على اللازم وكنى عن العارض قال ابن عباس كان يحمل عليها زاده ويركزها فيخرج منه الماء ويضرب بها الارض فيخرج ما يأكل وكان يطرد بها السباع واذا ظهر عدو حاربت واذا اراد الاستسقاء من بئر طالت وصارت شعبتاها كالدلو وكان يظهر عليها كالشمعة فتضيء له الليل وكانت تحدثه وتؤنسه واذا طالت شجرة حناها بمحجنها (قال) الله سبحانه (القها ياموسى فالقاها فاذا هي حية تسعى) اي تمشي بسرعة وقيل صارت حية صفراء لها عرف كعرف الفرس وجعلت تتورم حتى صارت ثعبانا وهي اكبر من الحيات عن ابن عباس وقيل انه القاها وحانت منه نظرة فاذا باعظم ثعبان نظر اليه الناظرون ويمر بالصخرة مثل الخلفة من الابل فيلقمها وتطعن انيابه في اصل الشجرة العظيمة فتجتثها وعيناه تتوقدان نارا وقد دعا المحجن عنقا فيه شعر مثل النيازك فلما عاين ذلك ولى مدبرا ولم يعقب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي ياموسى ارجع الى حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف (فقال خذها) بيمينك (ولا تخف سنعيدها سيرتها الاولى) اي سنعيدها الى الحالة الاولى عصاء وعلى موسى يومئذ مدرعة من صوف قدخلها بخلال فلما امره سبحانه باخذها ادلى طرف المدرعة على يده فقال مالك ياموسى أرأيت لو اذن الله بما تحاذر اكانت المدرعة تغني عنك شيئا قال لا ولكنني ضعيف ومن ضعف خلقت وكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا يده في الموضع الذي كان يضعها اذا توكأ عليها بين الشعبتين عن وهب وقيل كانت العصا من آس الجنة اخرجها آدم(ع) وتوارثها الانبياء الى ان بلغ شعيبا فدفعها الى موسى قال وهب كانت من عوسج وكان طولها عشرة اذرع على مقدار قامة موسى (واضمم يدك الى جناحك) معناه واجمع يدك الى ما تحت عضدك عن مجاهد والكلبي وقيل الى جنبك وقيل ادخلها في جيبك وكني عن الجنب بالجناح (تخرج بيضاء) لها نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر واشد ضوءاً عن ابن عباس (من غير سوء) من غير برص في قول الجميع قالوا وكان موسى ادم اللون ففعل فخرجت يده كما قال الله ثم ردها فعادت الى لونها الذي كانت عليه (آية اخرى) اي فنزيدك بها آية اخرى أو تخرج مبينة آية اخرى (لنريك من آياتنا) وحججنا (الكبرى) منها ولو قال الكبر على الجمع وصفا لجميع الآيات لكان جائزا وقيل معناه لنريك من دلالاتنا الكبرى سوى هاتين الدلالتين وقيل انها هلاك فرعون وقومه فلما حمله سبحانه الرسالة وأراه المعجزات امره بالتبليغ فقال (اذهب الى فرعون) فادعه الى (انه طغى) اي تجبر وتكبر في كفره (قال) موسى عند ذلك (رب اشرح لي صدري) اي وسع لي صدري حتى لا اضجر ولا اخاف ولا اغتم (ويسر لي امري) اي سهل علي اداء ما كلفتني من الرسالة والدخول على الطاغي ودعائه الى الحق (واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي) اي واطلق عن لساني العقدة التي فيه حتى يفقهوا كلامي وكان في لسان موسى (ع) رتة لا يفصح معها بالحروف شبه التمتمة وقيل ان سبب تلك العقدة في لسانه جمرة طرحها في فيه وذلك لما اراد فرعون قتله لأنه اخذ بلحية فرعون ونتفها وهو طفل فقالت آسية بنت مزاحم لاتفعل فإنه صبي لا يعقل وعلامة جهله انه لا يميز بين الدرّة والجمرة فامر فرعون حتى احضر الدرة والجمرة بين يديه فاراد موسى ان يأخذ الدرة فصرف جبرائيل يده الى الجمرة فأخذها ووضعها في فيه فاحترق لسانه عن سعيد بن جبير

ومجاهد والسدي وقيل انه انحل ما كان بلسانه الا بقية منه بدلالة قوله ولا يكاد يبين عن الجبائي وقيل استجاب الله تعالى دعاءه فاحل العقدة عن لسانه عن الحسن وهو الصحيح لقوله سبحانه اوتيت سؤلك يا موسى ومعنى قوله ولا يكاد يبين اي لايأتي ببيان وحجة وانما قالوا ذلك تمويها ليصرفوا الوجوه عنه (واجعل لي وزيرا) يؤازرني على المضي الى فرعون ويعاضدني عليه وقيل اجعل لي معاونا اتقوى به وبرأيه ومشاورته وقال (من اهلي) لأنه اذا كان الوزير من اهله كان اولى ببذل النصح له ثم بين الوزير وفسره فقال (هارون اخي) وكان اخاه لأبيه وامه وكان بمصر (اشدد به ازري) اي قوّبه ظهري واعني به (واشركه في امري) اي اجمع بيني وبينه في النبوة ليكون احرص على مؤازرتي لم يقتصر على سؤال الوزارة حتى سأل ان يكون شريكه في النبوة ولولا ذلك لجاز ان يستوزره من غير مسألة وانما سمي الوزير وزيرا لأنه يعين الأمير على ما هو بصدده من الامور اخذ من المؤازرة التي هي المعاونة وقيل انما سمي وزيرا لانه يتحمل الثقل عن الأمير من الوزر الذي هو الثقل وقيل لأنه يلتجئ الأمير اليه فيما يعرض له من الأمور من الوزر الذي هو الملجأ قالوا ان هارون كان اكبر من موسى بثلاث سنين واتم طولا وابيض جسما واكثر لحما وافصح لسانا ومات قبل موسى بثلاث سنين (كي نسبحك كثيرا) اي ننزهك عما لا يليق بك بين (ع) انه انما سأل هذه الحاجات ليتوصل بها الى طاعة ربه وعبادته وتأدية رسالته لا للرياسة (ونذكرك كثيرا) اي نحمدك ونثني عليك بما اوليتنا من نعمك ومننت به علينا من تحميل رسالتك (انك كنت بنا بصيرا) اي باحوالنا وامورنا عالما وقيل بصيرا باحتياجنا في النبوة الى هذه الاشياء (قال) الله سبحانه اجابة له (قد أوتيت سؤلك) اي قد اعطيت مناك وطلبتك (ياموسى) فيما سألته والسؤال المنى والمراد فيما يسأله الانسان وقال الصادق حدثني ابي عن جدي عن امير المؤمنين (ع) قال كن لما لا ترجو ارجى منك لما ترجو فان موسى بن عمران خرج يقتبس لاهله نارا فكلمه الله عز وجل فرجع نبيا وخرجت ملكة سبأ كافرة فاسلمت مع سليمان وخرج سحرة فرعون يطلبون العزة لفرعون فرجعوا مؤمنين

قوله تعالى (٣٧) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى (٣٨) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (٣٩) أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (٤٠) إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى (٤١) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي (٤٢) اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي (٤٣) اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (٤٤) فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ثماني آيات بلا خلاف إلا ان في تفصيلها خلافا

القراءة

قرأ ابو جعفر ولتصنع بالجزم والباقون بكسر اللام والنصب وفي الشواذ قراءة ابي نهيك ولتصنع بكسر اللام وفتح التاء.

الحجة

قوله ولتصنع بالجزم مثل قولهم ولتعن بحاجتي فالمأمور غائب غير مخاطب لان العاني بالحاجة غير المخاطب وليس ذلك مثل قوله فلتفرحوا فان المأمور هناك مخاطب به ولتصنع على عيني قال احمد بن يحيى معناه لتكون حركتك

وتصرفك على عين مني وقراءة أفراء ولتصنع على عيني بضم التاء وفتح العين معناه لتربى وتغذى برأى مني

﴿ اللغة ﴾

اصل المن القطع ومنه اجر غير ممنون وحبل منين اي منقطع فالمن نعمة تقطع لصاحبها من غيره والمرة الكرة الواحدة من المر والقذف الطرح واليم البحر والاصطناع افتعال من الصنع والصنع اتخاذ الخير لصاحبه وونى في الأمر يني ونيا وونى اذا افتر فهووان ومتوان فيه قال العجاج

فما ونى محمد مذ ان غفر له الاله ما مضى وما غبر

﴿ الإعراب ﴾

مرة يحتمل ان يكون مصدراً ويحتمل ان يكون ظرفا ويكون التقدير مرة اخرى او وقتا آخر . ما يوحى ما مصدرية وتقديره واوحينا الى امك ايحاء وان اقذفيه في موضع نصب بانه مفعول اوحينا ولتصنع اللام يتعلق بالقيت اي لتربى ولتصنع وقوله على قدر في موضع النصب على الحال وتقديره جئت مقدراً ما قدر لك

=(المعنى)=

لما اخبر سبحانه موسى بأنه آتاه طلبته واعطاه سؤله عدد عقيبه ما تقدم ذلك من نعمه عليه ومننه لديه فقال (ولقد مننا عليك مرة اخرى) اي انعمنا عليك من صغرك الى كبرك جارية نعمتنا عليك متوالية فأجابتنا الآن دعاك تلوها ثم فسر سبحانه تلك النعمة فقال (إذ اوحينا إلى امك ما يوحى) اي حين اوحينا الى امك اي الهمناها ما يلهم وهو ما كان فيه سبب نجاتك من القتل حتى عنيت بامرك وقيل كانت رأت في المنام عن الجبائي ثم فسر ذلك الايحاء فقال (ان اقذفيه في التابوت) اي اجعليه فيه بان ترميه فيه (فاقذفيه في اليم) يريد النيل (فليلقه اليم بالساحل) وهو شط البحر لفظه امر فكأنه امر البحر كما امر ام موسى والمراد به الخبر والمعنى حتى يلقيه البحر بالشط (يأخذه عدو لي وعدو له) يعني فرعون كان عدواً لله ولأنبيائه وعدواً لموسى خاصة لتصوره ان ملكه ينقرض على يده وكانت هذه المنة من الله سبحانه على موسى ان فرعون كان يقتل غلمان بني اسرائيل ثم خشي ان يفني نسلهم فكان يقتل بعد ذلك في سنة ولا يقتل في سنة فولد موسى في السنة التي كان يقتل الغلمان فيها فنجاه الله تعالى منه (والقيت عليك محبة مني) اي جعلتك بحيث يحبك من يراك حتى احبك فرعون فسلمت من شره واحبتك امرأته آسية بنت مزاحم فتبنتك وربتك في حجرها عن عكرمة وقيل معناه حببتك الى عبادي فلا يلقاك احد مؤمن ولا كافر الا احبك عن ابن عباس وهذا كما يقال البسه الله جمالا والقى عليه جمالا وقال قتادة ملاحة كانت في عين موسى فما رآه احد إلا عشقه (ولتصنع على عيني) اي لتربى وتغذى برأى مني اي يجري امرك على ما اريد بك من الرفاهة في غذائك عن قتادة وذلك ان من صنع لانسان شيئا وهو ينظر اليه صنعه كما يحب ولا يتهيأ له خلافه وقيل لتربى ويطلب لك الرضاع على علم مني ومعرفة لتصل الى امك عن الجبائي وقيل لتربى وتغذى بحياطتي وكلاءتي وحفظي كما يقال في الدعاء بالحفظ والحياطة عين الله عليك عن ابي مسلم (اذ تمشي اختك فتقول) الظرف يتعلق بتصنع والمعنى ولتصنع على عيني قدرنا مشي اختك وقولها (هل ادلكم على من يكفله) لأن هذا كان من اسباب تربية موسى على ما اراده الله وهو قوله اذ تمشي اختك يعني حين قالت لها ام موسى قصيه فاتبعت موسى على اثر الماء وذلك ان ام موسى اتخذت تابوتا وجعلت فيه قطناً ووضعته فيه والقته في النيل وكان يشرع من النيل نهر كبير في باغ فرعون فبينا هو جالس على رأس البركة مع امرأته آسية اذ التابوت يجيء على رأس الماء فأمر باخراجه فلما فتحوا رأسه اذا صبي به من احسن الناس وجهاً فاحبه فرعون بحيث لا يتمالك وجعل موسى يبكي ويطلب اللبن فأمر فرعون حتى اتته النساء اللاتي كن حول داره فلم يأخذ موسى من لبن واحدة منهن وكانت اخت موسى واقفة هناك اذ امرتها امها ان تتبع التابوت فقالت اني آتي بامرأة ترضعه وذلك قوله فتقول هل ادلكم على

من يكفله اي ادلكم على امرأة تربيه وترضعه وهي ناصحة له فقالوا نعم فجاءت بالأم فقبل ثديها فذلك قوله (فرجعناك الى امك كي تقر عينها) بروءيتك وبقائك (ولا تحزن) من خوف قتله او غرقه وذلك انها حملته الى بيتها آمنة مطمئنه قد جعل لها فرعون اجرة على الرضاع (وقتلت نفساً) كان قتل قبطياً كافراً عن ابن عباس وروي عن النبي ﷺ انه قال رحم الله اخي موسى قتل رجلا خطأ وكان ابن اثنتي عشرة سنة (فنجيناك من الغم) اي من غم القتل وكربه لأنه خاف ان يقتصوا منه بالقبطي فالمعنى خلصناك من غم القصاص وآمناك من الخوف (وفتناك فتونا) اي اختبرناك اختباراً ومعناه انا عاملناك معاملة المختبر حتى خلصت للاصطفاء بالرسالة وكان هذا من اكبر نعمه سبحانه عليه وقيل معناه وخلصناك من محنة بعد محنة منها انه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح الاطفال فيها ثم القاوه في اليم ثم منعه من الرضاع إلا من ثدي امه ثم جره لحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الدرة فدرأ ذلك عنه قتل فرعون ثم مجيء رجل من شيعته يسعى ليخبره بما عزموا عليه من قتله عن ابن عباس فعلى هذا يكون المعنى وخلصناك من المحن تخليصا وقيل معناه وشددنا عليك التعمد في امر المعاش حتى رعيت لشعيب عشر سنين ثم بين ذلك فقال (فلبثت سنين في اهل مدين) اي لبثت فيهم حين كنت راعيا لشعيب (ثم جئت على قدر ياموسى) اي في الوقت الذي قدر لارسالك نبيا قال الشاعر

نال الخلافة او كانت له قدراً كما اتى ربه موسى على قدر

وقيل معناه جئت على الوقت الذي يوحى فيه الى الانبياء وهو على رأس اربعين سنة وقيل على المقدار الذي قدره الله لمجيئك وكتبه في اللوح المحفوظ والمعنى جئت في الوقت الذي قدره الله لكلامك ونبوتك والوحي اليك (واصطنعتك لنفسي) اي لوحيي ورسالتي عن ابن عباس والمعنى اخترتك واتخذتك صنيعتي واخلصتك لتنصرف على ارادتي ومحبتي وانما قال لنفسي لأن المحبة اخص شيء بالنفس وتبليغه الرسالة وقيامه بادائها تصرف على ارادة الله ومحبته وقيل معناه اخترتك لاقامة حجتي وجعلتك بيني وبين خلقي حتى صرت في التبليغ عني بالمنزلة التي انا اكون بها لو خاطبتهم واحتججت عليهم عن الزجاج (اذهب انت واخوك بآياتي) اي بحججي ودلالاتي وقيل بالآيات التسع عن ابن عباس (ولا تنيا في ذكري) اي ولا تضعفا في رسالتي عن ابن عباس وقيل ولا تفترا في امري عن السدي وقيل ولا تقصرا عن محمد بن كعب اي لا يحملنكما خوف فرعون على ان تقصرا في امري (اذهبا الى فرعون) كرر الامر بالذهاب للتأكيد وقيل ان في الأول خص موسى بالأمر وفي الثاني امرهما ليصيرا نبيين وشريكين في الأمر ثم بين من يذهبان اليه (انه طغى) اي جاوز الحد في الطغيان (فقولا له قولا لينا) اي ارفقا به في الدعاء والقول ولا تغلظا له في ذلك عن ابن عباس وقيل معناه كنياه عن السدي وعكرمة وكنيته ابو الوليد وقيل ابو العباس وقيل ابو مرة وقيل ان القول اللين هو هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى عن مقاتل وقيل هو ان موسى اتاه فقال له تسلم وتوءمن برب العالمين على ان لك شبابك فلا تهرم وتكون ملكا لا ينزع الملك منك حتى تموت ولا تنزع منك لذة الطعام والشراب والجماع حتى تموت فاذا مت دخلت الجنة فاعجبه ذلك وكان لا يقطع امرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم هامان اخبره بالذي دعاه اليه وانه يريد ان يقبل منه فقال هامان قد كنت ارى ان لك عقلا وان لك رأيا بينا انت رب وتريد ان تكون مربوباً وبينا انت تعبد وتريد ان تعبد فقلبه عن رأيه وكان يحيى بن معاذ يقول هذا رفقك بمن يدعي الربوبية فكيف رفقك بمن يدعي العبودية (لعله يتذكر او يخشى) اي ادعواه على الرجاء والطمع لا على اليأس من فلاحه فوقع التعبد لهما على هذا الوجه لأنه ابلغ لهما في دعائه الى الحق قال الزجاج والمعنى في هذا عند سيبويه اذهبا على رجائكما وطمعكما والعلم من الله قد اتى من وراء ما يكون وانما يبعث الرسل وهم يرجون ويطمعون ان يقبل منهم والمراد بيان الغرض بالبعثة اي ليتذكر ما اغفل عنه من ربوبية الله تعالى وعبودية نفسه ويخشى العقاب والوعيد في قوله سبحانه فقولا له قولا

ليناً على دلالة وجواب برفق في الدعاء الى الله وفي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليكون اسرع الى القبول وابعد من النفور وقيل ان هارون كان بمصر فلما اوحى الله تعالى الى موسى ان يأتي مصر اوحى الى هارون ان يتلقى موسى فتلقاه على مرحلة ثم ائتمرا وذهبا الى فرعون

قوله تعالى (٤٥) قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى (٤٦) قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى (٤٧) فَأْتِيَاهُ فَقُولاَ إِنَّا رَسُولاَ رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى (٤٨) إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٤٩) قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (٥٠) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥١) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى (٥٢) قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى (٥٣) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى (٥٤) كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى (٥٥) مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى (٥٦) وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى اثنتا عشرة آية

القراءة

قرأ ابو نصير عن الكسائي خلقه بفتح اللام والباقون خلقه بسكون اللام وقرأ اهل الكوفة وروح وزيد عن يعقوب مهداً والباقون مهاداً بالألف

الحجة

من قرأ اعطى كل شيء خلقه فالمعنى اعطى كل شيء صورته اي خلق كل حيوان على صورة اخرى ثم هداه ومن قرأ خلقه بفتح اللام فانه جملة من الفعل والفاعل في موضع جر بأنه صفة شيء والمفعول الثاني لاعطى محذوف فكأنه اعطى كل شيء مخلوق ما اوجبه تدبيره ثم هداه السبيل والمهد مصدر كالفرش والمهاد كالفراش والبساط في قوله جعل لكم الارض فراشا وفي موضع آخر بساطا ويجوز ان يكون المهد استعمل استعمال الاسماء فجمع كما يجمع فعل على فعال والاول ابين

اللغة

الفرط التقدم ومنه الفارط المتقدم الى الماء قال «قد فرط العجل علينا وعجل» ومنه الافراط الاسراف لانه تقدم بين يدي الحق والتفريط التقصير لأنه تأخر عما يجب فيه التقدم قال الزجاج القرن اهل كل عصر فيهم نبي او امام او عالم يقتدى به فان لم يكن واحد منهم لم يسم قرنا والنهى جمع نهية وانما قيل لاولي العقول اولو النهى لانهم ينهون الناس عن القبائح وقيل لأنه ينتهى الى آرائهم

الاعراب

اسمع جملة في موضع الرفع بكونها خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون في موضع النصب على الحال . علمها عند ربي في كتاب . علمها مبتدأ وفي كتاب خبره وعند ربي معمول الخبر وتقديره علمها ثابت في كتاب عند ربي ويجوز ان يكون قوله عند ربي صفة لكتاب فلما تقدم انتصب على الحال تقديره في كتاب ثابت عند ربي

ويجوز ان يكون عند ربي الخبر وفي كتاب بدل منه ويجوز ان يكون خبراً بعد خبر وقوله لا يضل ربي تقدير لا يضل ربي عنه فحذف الجار والمجرور كما حذف من قوله واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً اي فيه . الذي جعل لكم الارض يجوز ان يكون في موضع جر بانه صفة ربي ويجوز ان يكون في موضع رفع بان يكون خبر مبتدأ محذوف . من نبات في موضع نصب صفة لقوله ازواجاً وشتى صفة له ايضاً فهي صفة بعد صفة وتارة منصوبة على المصدر

❋ المعنى ❋

لما امر الله سبحانه موسى وهارون ان يمضيا الى فرعون ويدعواه اليه (قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا) اي نخشى ان يتقدم فينا بعذاب ويعجل علينا (او ان يطغى) اي يجاوز الحد في الاساءة بنا وقيل معناه انا نخاف ان يبادر الى قتلنا قبل ان يتأمل حجتنا او ان يزداد كفراً الى كفره بردنا (قال لا تخافا انني معكما) بالنصرة والحفظ معناه اني ناصركما وحافظكما (اسمع) ما يسأله عنكما فألهمكما جوابه (وارى) ما يقصد كما به فأدفعه عنكما فهو مثل قوله فلا يصلون اليكما ثم فسر سبحانه ما اجمله فقال (فأتياه) اي فأتيا فرعون (فقولا انا رسولا ربك) اي ارسلنا اليك خالقك بان ندعوا اليه (فارسل معنا بني اسرائيل) اي اطلقهم واعتقهم عن الاستعباد (ولا تعذبهم) بالاستعمال في الأعمال الشاقة (قد جئناك بآية من ربك) اي بدلالة واضحة ومعجزة لائحة من ربك تشهد لنا بالنبوة (والسلام على من اتبع الهدى) قال الزجاج لم يرد بالسلام هنا التحية وانما معناه ان من اتبع الهدى سلم من عذاب الله ويدل عليه قوله بعده (انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى) اي انما يعذب الله سبحانه من كذب بما جئنا به واعرض عنه فاما من اتبعه فانه يسلم من العذاب وهاهنا حذف وهو فأتياه فقالا له ما امرهما الله تعالى به ثم (قال) لهما فرعون (فمن ربكما) اي فمن ربك وربه يا موسى وانما قال ربكما على تغليب الخطاب وقيل تقديره فمن ربكما يا موسى وهارون فاكتفى بذكر احدهما عن الآخر اختصارا ولتسوي رؤوس الآي واراد به فمن اي جنس من الاجناس ربكما حتى افهمه فبين موسى انه تعالى ليس له جنس وانما يعرف سبحانه بافعاله (قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه) معناه اعطى كل شيء خلقته اي صورته التي قدرها له (ثم هدى) اي هداه الى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك من ضروب هدايته عن مجاهد وعطية ومقاتل وقيل معناه اعطى كل شيء مثل خلقه اي زوجه من جنسه ثم هداه لنكاحه عن ابن عباس والسدي وقيل معناه اعطى خلقه كل شيء من النعم في الدنيا مما يأكلون ويشربون وينتفعون به ثم هداهم الى طرق معايشهم والى امور دينهم ليتوصلوا بها الى نعم الآخرة عن الجبائي (قال) فرعون (فما بال القرون الاولى) اي فما حال الامم الماضية فانها لم تقر بالله وما تدعو اليه بل عبدت الاوثان ويعني بالقرون الاولى مثل قوم نوح وعاد وثمود (فقال) موسى (علمها عند ربي) اي اعمالهم محفوظة عند الله يجازيهم بها والتقدير علم اعمالهم لها عند ربي (في كتاب) يعني اللوح المحفوظ والمعنى ان اعمالهم مكتوبة مثبتة عليهم وقيل المراد بالكتاب ما يكتبه الملائكة وقيل ايضاً ان فرعون انما قال فما بال القرون الاولى حين دعاه موسى الى الاقرار بالبعث اي فما بالهم لم يبعثوا (لا يضل ربي) اي لا يذهب عليه شيء وقيل معناه لا يخطئ ربي (ولا ينسى) من النسيان عن ابي مسلم اي لا ينسى ما كان من امرهم بل يجازيهم باعمالهم وقيل معناه لا يغفل ولا يترك شيئاً عن السدي ثم زاد في الاخبار عن الله تعالى فقال (الذي جعل لكم الارض مهداً) اي فرشاً ومهاداً اي فراشا (وسلك لكم فيها سبلا) والسلك ادخال الشيء في الشيء والمعنى ادخل لكم اي لاجلكم في الارض طرقاً تسلكونها وقال ابن عباس سهل لكم فيها طرقا (وانزل من السماء ماء) يعني المطر وتم الاخبار عن موسى ثم اخبر الله سبحانه عن نفسه فقال موصولا بما قبله من الكلام (فأخرجنا به) اي بذلك الماء (ازواجاً) اي اصنافاً (من نبات شتى) اي مختلفة الالوان احمر وابيض واخضر واصفر وكل لون منها زوج وقيل مختلفة الالوان والطعوم والمنافع فمنها ما يصلح لطعام الانسان ومنها ما

يصلح للتفكه ومنها ما يصلح لغير الانسان من اصناف الحيوان (كلوا) اي مما اخرجنا لكم بالمطر من النبات والثمار (وارعوا انعامكم) اي واسيموا مواشيكم فيما انبتناه بالمطر واللفظ للأمر والمراد الإباحة والتذكير بالنعمة (ان في ذلك) اي فيما ذكر (لآيات) اي دلالات (لاولي النهى) اي لذوي العقول الذين ينتهون عما حرم الله عليهم عن الضحاك وقيل لذوي الورع عن قتادة وقيل لذوي التقى عن ابن عباس (منها خلقناكم) اي من الارض خلقنا اباكم ادم (ع) (وفيها نعيدكم) اي وفي الارض نعيدكم اذا امتناكم (ومنها نخرجكم تارة اخرى) اي دفعة اخرى اذا حشرناكم (ولقد اريناه) يعني فرعون (اياتنا كلها) يعني الآيات التسع اي معجزاتنا الدالة على نبوة موسى (فكذب) بجميع ذلك (وابى) ان يؤمن به وقيل معناه فجحد الدليل وابى القبول ولم يرد سبحانه بذلك جميع اياته التي يقدر عليها ولا كل آية خلقها وانما اراد كل الآيات التي اعطاها موسى

النظم

ووجه اتصال قوله فما بال القرون الأولى بما قبله من الدعاء الى التوحيد ان فرعون لما ظهرت المعجزات ودلائل التوحيد على يد موسى تحير وخاف الفضيحة فاقبل على نوع اخر من السؤال تلبيساً وكثيراً ما يفعل ذلك اهل البدع عند ظهور الحجة وقيل لما دعاه موسى الى الاقرار بالبعث قال فما بال اولئك القرون لم يبعثوا

قوله تعالى (٥٧) قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (٥٨) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَاناً سُوًى (٥٩) قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٦٠) فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (٦١) قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى (٦٢) فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى (٦٣) قَالُوا إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى (٦٤) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفّاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى (٦٥) قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (٦٦) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى عشر آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر لا نخلفه بالجزم والباقون بالرفع وقرأ اهل الحجاز وابو عمرو والكسائي سوى بكسر السين والباقون بضمها وقرأ يوم الزينة بالنصب هبيرة عن حفص وهي قراءة الحسن والاعمش والثقفي والباقون يوم الزينة بالرفع وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر ورويس فيسحتكم بضم الياء وكسر الحاء والباقون فيسحتكم بفتح الياء والحاء وقرأ ابو عمرو ان هذين وقرأ ابن كثير وحفص ان هذان خفيف وقرأ الباقون ان هذان وابن كثير وحده يشدد النون من هذان وقرأ ابو عمرو فاجمعوا بوصل الهمزة وفتح الميم والباقون فاجمعوا بقطع الهمزة وكسر الميم وقرأ ابن عامر وروح وزيد تخيل اليه بالتاء وهو قراءة الحسن والثقفي والباقون يخيل بالياء

الحجة والإعراب

فأما قوله لا نخلفه بالجزم فإنه يكون على جواب الامر والقراءة المشهورة بالرفع على ان يكون لا نخلفه في موضع النصب بكونه صفة لقوله موعدا وهو الظاهر وأما قوله سوى فإنه المكان النصف فيما بين الفريقين قال

موسى بن جابر

وجدنا ابانا كان حل ببلدة سوى بين قيس قيس غيلان والفزر

قال ابو علي قوله سوى فعل من التسوية فكان المعنى مكانا مستويا مسافته على الفريقين فيكون مسافة كل فريق اليه كمسافة الفريق الآخر وهذا بناء يقل في الصفات ومثله قوم عدى فاما فعل فهو في الصفات اكثر قالوا دليل ختع ومال لبد ورجل حطم وأما انتصاب قوله مكانا فلا يخلو من أن يكون مفعولا للموعد اما على انه مفعول به أو على انه ظرف له أو يكون منتصباً بأنه المفعول الثاني ولا يجوز الأول ولا الثاني لأن الموعد قد وصف بالجملة التي هي لا نخلفه نحن وإذا وصف لم يجز ان يعمل عمل الفعل لاختصاصه بالصفة ولأنه إذا عطف عليه لم يجز أن يتعلق به بعد العطف عليه شيء منه وكذلك إذا اخبر عنه لم يجز أن يقع بعد الخبر عنه شيء يتعلق بالمخبر عنه لم يجز سيبويه هذا ضارب ظريف زيدا ولا هذا ضويرب زيدا إذا حقر اسم الفاعل لأن التحقير في تخصيصه الاسم بمنزلة اجراء الوصف عليه وقد جاء من ذلك شيء في الشعر قال بشر بن ابي حازم

إذا فاقد خطباء فرخين رجعت ذكرت سليمى في الخليط المباين

ويحتمل ذلك على اضمار فعل آخر كما ذهبوا اليه في نحو قول الشاعر

إن العراة والنبوخ لدارم والمستخف اخوهم الاثقالا

فإذا لم يجز ذلك كان مفعولا ثانيا لقوله فاجعل فيكون بمنزلة قوله جعلوا القرآن عضين ونحوه وأما يوم الزينة فمن نصبه فعلى الظرف كما تقول قيامك يوم الجمعة فالموعد إذا هنا مصدر والظرف بعده خبر عنه قال ابن جني وهو عندي على حذف المضاف اي ان انجاز موعدنا اياكم في ذلك اليوم الا ترى انه لا يراد انه في ذلك اليوم يعدكم لأن الموعد قد وقع الآن وإنما يتوقع انجازه في ذلك اليوم لكن في قوله وأن يحشر الناس ضحى نظر وظاهر خاله ان يكون مجرور الموضع حتى كأنه قال انتظروا موعدكم يوم الزينة وحشر الناس ضحى اي يوم هذا ولهذا فيكون ان يحشر معطوفا على الزينة وقد يجوز أن يكون مرفوع الموضوع عطفا على الموعد فكأنه قال انجاز موعدكم وحشر الناس ضحى في يوم الزينة اي هذان الفعلان في يوم الزينة وأما من رفع يوم الزينة فإن الموعد عنده ينبغي أن يكون زمانا فكأنه قال وقت وعدكم يوم الزينة كقولنا مبعث الجيوش شهر كذا اي وقت بعثها حينئذ والعطف عليه بقوله وأن يحشر الناس ضحى يؤكد الرفع لأن أن لا يكون ظرفا بل هو حرف موصول في معنى المصدر وينبغي أن يكون على حذف المضاف أي وقت وعدكم يوم الزينة ووقت حشر الناس ضحى كما أن قولك ورودك مقدم الحاج إنما هو على حذف المضاف أي وقت قدوم الحاج وأما قوله فيسحتكم فإن سحت واسحت بمعنى قال الفرزدق

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال إلا مسحتاً او مجلف

وفسر لم يدع على انه بمعنى لم يبق وأما قوله إن هذان لساحران فمن قرأ بتشديد النون من إن والألف من هذان فقد قيل فيه أقوال ✻ احدها ✻ أن ان بمعنى نعم وانشدوا شعرا

بكر العواذل في الضحى يلحينني وألومهنه

ويقلن شيب قد علا ك وقد كبرت فقلت انه

فعلى هذا يكون تقديره نعم هذان لساحران وهذا لا يصح لأن إن إذا كانت بمعنى نعم ارتفع ما بعدها بالابتداء والخبر واللام لا يدخل على خبر مبتدأ جاء على اصله وأما ما انشد في ذلك من قوله

خالي لأنت ومن جرير خاله ينل العلا ويكرم الاخوالا

وقوله «ام الحليس لعجوز شهربه ترضي من اللحم بعظم الرقبة» فمحمول على الشذوذ والضرورة وأيضاً فإن ابا علي قال ما قيل ان في الآية لا يقتضي أن يكون جوابه نعم لأنك ان جعلته جواباً لقول موسى (ع) ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قالوا نعم هذان ساحران كان محالا وان جعلته على تقدير فتنازعوا امرهم بينهم وأسروا النجوى قالوا نعم هذان لساحران كان محالا ايضاً ❊ وثانيها ❊ ما قاله الزجاج أن تقديره نعم هذان لهما ساحران فاللام دخل على مبتدأ محذوف وهذا ايضا مثل الأول لما قلناه ولأن سيبويه قال نعم عدة وتصديق وأن يصرف إلى الناصبة للاسم اولى وهو قراءة ابي عمرو وعيسى بن عمرو قال ابو علي هذا الذي قاله الزجاج لا يتجه لأمرين ❊ احدهما ❊ أن الذي حمله النحويون على الضرورة لا يمتنع أن يستمر هذا التأويل فيه ولم يحمله مع ذلك عليه ❊ والآخر ❊ أن التأكيد باللام لا يتعلق به الحذف الا ترى أن الأوجه في الزينة ان يتم الكلام ولا يحذف ثم يؤكد فليس باللائق في التدبير ❊ وثالثها ❊ ما قاله المتقدمون من النحويين ان التقدير انه هذان لساحران فحذف ضمير القصة وهذا ايضا فيه نظر من أجل دخول اللام في الخبر ولأن اضمار الهاء بعد إن انما يأتي في ضرورة الشعر نحو قوله

إن من لام في بني بنت حسان ألمه وأعصه في الخطوب

وقوله

إن من يدخل الكنيسة يوما يلق فيها جآذرا وظباء

❊ ورابعها ❊ ما قاله علي بن عيسى وهو ان إن لما كانت مشبهة بالفعل وليست باصل في العمل الغيت هاهنا كما تلغى إذا خففت وهذا غير مستقيم ايضا لأن الالغاء في إن ما رأيناه في غير هذا الموضع وايضا فإنها قد اعملت مخففة في قوله تعالى وإن كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم فكيف يجوز الغاؤها في غير التخفيف وايضا فقد اعمل اسم الفاعل والمصدر لشبهها بالفعل ولا يجوز الغاؤها وايضا فإن اللام يمنع من هذا التأويل لأن ان إذا الغيت ارتفع ما بعدها بالابتداء واللام لا يدخل على خبر المبتدأ على ما بيناه ❊ وخامسها ❊ ان هذه الالف ليست بألف التثنية وإنما هي الف هذا زيدت عليها النون وهذا قول الفراء وهو غير صحيح فإنه لا يجوز ان يكون تثنية الا ويكون لها علم ولو كان على مازعم لم تنقلب هذه الالف ياء في حال الجر والنصب ويدل على ان هذه الالف للتثنية ان الالف التي كانت في الواحد قد حذفت كما حذفت الياء من الذي والتي إذا قلت اللذان واللتان ❊ وسادسها ❊ وهو أجود ما قيل فيه ان يكون هذان اسم ان بلغة كنانة يقولون أتاني الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان قال بعض شعرائهم

واها لريا ثم واها واها يا ليت عيناها لنا وفاها

وموضع الخلخال من رجلاها بثمن نعطي به أباها

إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

وقال آخر

تزود منا بين اذناه طعنة دعته إلى هابي التراب عقيم

وقال آخر

فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساغاً لناباه الشجاع لصمما

ويقولون ضربته بين اذناه ومن يشتري الخفان وقيل انها لغة لبني الحرث بن كعب وهذا القول اختيار

ابي الحسن وابي علي الفارسي ومن قرأ ان هذين لساحران فهو صحيح مستقيم وزيف الزجاج هذه القراءة لمخالفتها المصحف وقيل انه احتج في مخالفته المصحف بما روي انه من غلط الكاتب ويروون عن عثمان وعائشة أن في هذا القرآن غلطا تستقيمه العرب بالسنتها وهذا غير صحيح عند أهل النظر فإن ابا عمرو ومن ذهب من القراء مذهبه لا يقرأ إلا بما أخذه من الثقات من السلف ولا يظن به مع علو رتبته ان يتصرف في كتاب الله من قبل نفسه فيغيره ومن قرأ إن هذان بسكون من ان والالف فقد قال الزجاج يقوي هذه القراءة قراءة ابي ما هذان إلا ساحران وروي عنه ايضا ان هذان إلا ساحران وهذا يدل على انه جعل اللام بمنزلة الا والعجب انه بصري المذهب والبصريون ينكرون مجيء اللام بمعنى الا قالوا لو كان كذلك لجاز ان تقول جاءني القوم لزيدا بمعنى الا زيدا فالوجه الصحيح فيه انه جعل ان هذه مخففة من الثقيلة واضمر فيها اسمها ورفع ما بعدها على الابتداء والخبر وجعل الجملة خبران وإذا كانت ان مخففة من الثقيلة لزمتها اللام ليكون فرقا بينها وبين ان النافية وأما تشديد النون في قول ابن كثير ففيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون عوضا من الف هذا التي سقطت من أجل حرف التثنية ﴿ والآخر ﴾ ان يكون للفرق بين النون التي تدخل على المبهم والنون التي تدخل على المتمكن وذلك ان هذه انما وجدت مشددة مع المبهم وأما قوله فاجمعوا كيدكم قال ابو الحسن انما يقولون بالقطع إذا قالوا اجمعوا على كذا فاما إذا قالوا أجمع أمركم واجمعوا كيدكم فلا يقولون إلا بالوصل قال وبالقطع اكثر القراء قال فأما ان يكون لغة في هذا المعنى لأن باب فعلت وافعلت كثير وان يكون اجمعوا على كذا ثم قال كيدكم على أمر مستأنف قال ابو علي فإن قيل فقد تقدم ذكر قوله فجمع كيده فإذا قيل فأجمعوا كيدكم كان تكريرا قيل لا يكون كذلك لأن ذلك في قصة وهذا في اخرى ذاك اخبار عن فرعون في جمعه كيده وسحره وهذا فيما يتواصى به السحرة في جمع كيدهم ويشبه ان يكون ذلك على لغتين كما ظنه ابو الحسن قال الشاعر

وأنتم معشر زيدوا على مائة ... فاجمعوا امركم طرا فكيدوني

فقوله فأجمعوا امركم بمنزلة فأجمعوا كيدكم لأن كيدهم من أمرهم وأما قوله يخيل اليه فمن قرأ بالياء فإنه فعل فارغ وفاعله قوله انها تسعى ومن قرأ بالتاء فعلى هذا يكون فاعله الضمير المستكن فيه العائد إلى الحبال والعصي وأنها تسعى في محل الرفع لأنه بدل من ذلك الضمير وهو بدل الاشتمال ويجوز ان يكون موضعه على هذه القراءة نصبا ايضا على معنى يخيل اليه كونها ذات سعي

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه عن فرعون انه نسب موسى إلى السحر تلبيسا على قومه بأن قال (اجئتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك ياموسى) اي من ارض مصر (فلنأتينك بسحر مثله) اي مثل ما أتيت به (فاجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت مكانا سوى) اي اضرب بيننا وبينك موعدا مكانا يعد لحضورنا ذلك المكان لا يقع منا في حضوره خلاف ثم وصف المكان بأنه تستوي مسافته على الفريقين ومكانا بدل عن موعد وقيل مكانا سوى اي عدلا بيننا وبينك عن قتادة وقيل منصفا يكون النصف بيننا وبينك عن مجاهد(قال) موسى (موعدكم يوم الزينة) وكان يوم لهم فسمي يوم الزينة لأن الناس يتزينون فيه ويزينون به الاسواق عن مجاهد وقتادة والسدي (وان يحشر الناس ضحى) يعني ضحى ذلك اليوم ويريد بالناس أهل مصر يقول يحشرون إلى العيد ضحى فينظرون إلى امري وامرك فيكون ذلك ابلغ في الحجة وابعد من الشبهة قال الفراء يقول إذا رأيت الناس يحشرون من كل

ناحية ضحي فذلك الموعد قال وجرت عادتهم بحشر الناس في ذلك اليوم (فتولى فرعون) اي انصرف وفارق موسى على هذا الوعد (فجمع كيده) اي حيلته ومكره وذلك جمع السحرة (ثم اتى) اي حضر الموعد (قال لهم موسى) اي قال للسحرة لأنهم احضروا ما عملوا من السحر ليقابلوا بمعجزة موسى فوعظهم فقال (ويلكم) وهي كلمة وعيد وتهديد معناه الزمكم الله الويل والعذاب ويجوز أن يكون على النداء نحو يا ويلتا فيكون الدعاء بالويل عليهم وقيل ان ويلكم كلمتان تقديرهما وي لكم فيكون مبتدأ وخبرا لو يكون ويلكم بمنزلة العجب لكم (لا تفتروا على الله كذبا) اي لا تشركوا مع الله احدا عن ابن عباس وقيل لاتكذبوا على الله بأن تنسبوا معجزاتي الى السحر وسحركم الى انه حق وبأن تنسبوا فرعون الى انه إله معبود (فيسحتكم) اي يستأصلكم (بعذاب) عن قتادة والسدي وقيل يهلككم عن ابن عباس والكلبي ومقاتل والجبائي وأصل السحت استقصاء الحلق يقال سحت شعره إذا استأصله وسحته الله واسحته إذا استأصله وأهلكه (وقد خاب من افترى) اي خسر من كذب على الله ونسب اليه باطلا عن قتادة وقيل انقطع رجاء من كذب على الله عن ثوابه وجنته (فتنازعوا امرهم بينهم) اي تشاور القوم وتفاوضوا في حديث موسى وهارون وفرعون وجعل كل واحد منهم ينازع الكلام صاحبه وقيل تشاورت السحرة فيما هيئوه من الحبال والعصي وفيمن يبتدئ بالالقاء (وأسروا النجوى) يعني ان السحرة اخفوا كلامهم وتناجوا فيما بينهم سرا من فرعون فقالوا إن غلبنا موسى اتبعناه عن الفراء والزجاج وقيل ان موسى لما قال لهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر واسر بعضهم إلى بعض يتناجون عن محمد بن اسحاق وقيل أسروا النجوى بأن قالوا إن كان هذا ساحراً فسنغلبه وإن كان من السماء فله أمره عن قتادة وقيل تناجوا مع فرعون وأسروا عن موسى وهارون قولهم (إن هذان) لساحران عن الجبائي وابي مسلم ان هذان يعني موسى وهارون (لساحران يريدان ان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما) قاله فرعون وجنوده للسحرة ويريدون بالارض أرض مصر (ويذهبا بطريقتكم المثلى) هي تأنيث الامثل وهو الافضل وهو الاشبه بالحق يقال فلان امثل قومه اي اشرفهم وافضلهم والمعنى يريدان ان يصرفا وجوه الناس اليهما عن أمير المؤمنين علي (ع) وقيل ان طريقتهم المثلى بنو اسرائيل كانوا اكثر القوم عددا وأموالا اي يريدان ان يذهبا بهم لانفسهم عن قتادة واكثر المفسرين وقيل يذهبا بطريقتكم التي انتم عليها في السيرة والدين عن الجبائي وابي مسلم وابن زيد (فاجمعوا كيدكم) اي لاتدعوا من كيدكم شيئا إلا جئتم به (ثم ائتوا صفا) اي مصطفين مجتمعين ليكون انظم لاموركم وأشد لهيبتكم عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل ثم ائتوا موضع الجمع ويسمى المصلى الصف عن ابي عبيدة والمعنى ثم ائتوا الموضع الذي تجتمعون فيه لعيدكم وصلاتكم (وقد افلح اليوم من استعلى) اي وقد سعد اليوم من غلب وعلا عن ابن عباس قال بعضهم ان هذا من قول فرعون للسحرة وقال آخرون بل هو قول بعض السحرة لبعض (قالوا ياموسى اما ان تلقي وأما ان نكون أول من القى) هذا قول السحرة خيروه بين ان يلقوا اولا ما معهم او يلقي موسى عصاه ثم يلقون ما معهم (قال) موسى (بل القوا) انتم مامعكم أمرهم بالالقاء اولا ليكون معجزه اظهر إذا القوا ما معهم ثم يلقي هو عصاه فتبتلع ذلك وها هنا حذف اي فالقوا ما معهم (فإذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) الضمير في اليه راجع إلى موسى وقيل الى فرعون اي يرى الحبال من سحرهم انها تسير وتعدو مثل سير الحيات وإنما قال يخيل اليه لانها لم تكن تسعى حقيقة وإنما تحركت لأنهم جعلوا داخلها الزئبق فلما حميت الشمس طلب الزيبق الصعود فحركت الشمس ذلك فظن انها تسعى

قوله تعالى (٦٧) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٨) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى

(٦٩) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (٧٠) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧١) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (٧٢) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٧٣) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (٧٤) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى (٧٥) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى (٧٦) جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى عشر آيات

القراءة

قرأ ابن ذكوان تلقف بالرفع والباقون بالجزم الا ان حفصا يقرؤها خفيفة والآخرون مشددة وابن كثير برواية البرسي وابن فليح يشدد التاء ايضا وقرأ كيد سحر بغير الف أهل الكوفة غير عاصم والباقون ساحر بالالف

الحجة

من قرأ تلقف بالرفع فإنه يرتفع لأنه في موضع الحال والحال يجوز ان يكون من الفاعل الملقى من المفعول الملقي فإن جعلته من الفاعل جعلته من المتلقف وان كان التلقف في الحقيقة للعصا لأن التلقف كان بالقائه فجاز ان ينسب اليه وإن جعلته من المفعول فإنه أنث على المعنى لأن الذي في يمينه عصا ومثل ذلك في أن يكون مرة للخطاب ومرة للمؤنث قوله يومئذ تحدث اخبارها فهذا يكون على تحدث انت أيها الإنسان وعلى ان الارض تحدث وأما تلقف بالجزم فعلى ان يكون جوابا كأنه قال ان تلقه تلقف او تلقف ومن شدد التاء فإنما اراد تتلقف وهذا يكون على تتلقف أنت أيها المخاطب وعلى تتلقف هي الا انه ادغم التاء الأولى في التاء الثانية والادغام في هذا ينبغي ان لا يكون جائز لأن المدغم يسكن وإذا سكن لزم ان يجلب له همزة الوصل كما جلبت في امثلة الماضي نحو ادارأتم وازينت واطيروا وهمزة الوصل لاتدخل على المضارع قال وسألت احمد بن موسى كيف يبتدئ من ادغم فقال كلاما معناه انه يصير بالابتداء الى قول من خفف وبدع الادغام ومن قرأ كيد ساحر فلأن الكيد للساحر في الحقيقة وليس للسحر الا ان يريد كيد ذي سحر فيكون في المعنى مثل كيد ساحر والاختلاف بين القراء في آمنتم والوجه في ذلك ذكرناه في سورة الاعراف

اللغة

يقال لقفت الشيء وتلقفته والتقفته إذا أخذته بسرعة قال الكسائي الصبي في الحجاز إذا جاء من عند معلمه قال جئت من عند كبيري والكبير في اللغة الرئيس ولهذا يقال للمعلم الكبير والايثار الاختيار والتزكي طلب الزكاء والزكاء النماء في الخير ومنه الزكاة لأن المال ينموا بها

﴿ الاعراب ﴾

ان مفصول من ما صنعوا لأن ما هاهنا موصولة وصنعوا صلته ويجوز ان يكون الموصول اسما بمعنى الذي ويكون العائد من الصلة الى الموصول محذوفا ويجوز ان يكون حرفا فيكون تقديره ان صنعهم والفرق بين آمنتم به وآمنتم له ان آمنتم به بالباء هو من الايمان الذي هو ضد الكفر وآمنتم له بمعنى التصديق . من خلاف يحتمل ان يكون من بمعنى عن اي عن خلاف ويحتمل ان يكون بمعنى على خلاف فيكون الجار والمجرور في موضع نصب على الحال . في جذوع النخل في بمعنى على وإنما جاز ذلك لأن الجذع قد اشتمل عليهم وقد صاروا فيها قال الشاعر

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا

ايناء اشد عذابا وابقى تعليق ومعنى التعليق ان عملت تعمل في المعنى ولا تعمل في اللفظ والذي فطرنا موضعه جر عطف على ما جاءنا . فاقض ما انت قاض يجوز ان يكون ما مصدرية في تقدير الظرف اي فاقض القضاء مدة كونك قاضيا ويجوز ان يكون ما مفعوله اي فاقض ما أنت قاضيه فحذف الهاء . إنما تقضي هذه الحياة الدنيا . حذف المضاف وتقديره إنما تقضي أمور هذه الحياة الدنيا ويجوز ان يكون تقديره إنما تقضي مدة هذه الحياة الدنيا وهذه على القول الأول منصوبة مفعول بها وعلى الثاني منصوبة على الظرف ويجوز ان يكون الواو للقسم . جنات عدن يجب ان يكون بدلا من الدرجات ولا يجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف لأن قوله خالدين فيها نصب على الحال من قوله لهم وذو الحال الضمير المجرور باللام فعلى هذا لا يجوز الوقف على الدرجات العلى والدرجات مرتفع بالظرف بلا خلاف بينهم لأن الظرف جرى خبرا على المبتدأ وهو أولئك واعتمد عليه فيرتفع ما بعده

﴿ المعنى ﴾

(فأوجس في نفسه خيفة موسى) معناه فأحس موسى ووجد في نفسه ما يجده الخائف ويقال أوجس القلب فزعا أي اضمر والسبب في ذلك انه خاف ان يلتبس على الناس أمرهم فيتوهموا انهم فعلوا مثل فعله ويظنوا المساواة فيشكوا ولا يتبعونه عن الجبائي وقيل انه خوف الطباع إذا رأى الانسان أمرا فظيعا فإنه يحذره ويخافه في أول وهلة وقيل انه خاف ان يتفرق الناس قبل القائه العصا وقبل ان يعلموا ببطلان السحرة فيبقوا في شبهة وقيل انه خاف لأنه لم يدر ان العصا إذا انقلبت حية هل تظهر المزية لأنه لا يعلم انها تتلقفها فكان ذلك موضع خوف لأنها لو انقلبت حية ولم تتلقف ما يأفكون ربما ادعوا المساواة لا سيما والاهواء معهم والدولة لهم فلما تلقفت زالت الشبهة وتحقق عند الجميع صحة أمر موسى وبطلان سحره (قلنا لا تخف انك انت الاعلى) عليهم بالظفر والغلبة (والق ما في يمينك) يعني العصاء (تلقف ما صنعوا) اي تبتلع ما صنعوا فيه من الحبال والعصي لا ان الحبال والعصي اجسام ليست من صنعهم قالوا ولما القى عصاه صارت حية وطافت حول الصفوف حتى رآها الناس كلهم ثم قصدت الحبال والعصي فابتلعتها كلها على كثرتها ثم أخذها موسى فعادت عصا كما كانت (إنما صنعوا كيد ساحر) اي ان الذي صنعوه او ان صنيعهم كيد ساحر اي مكره وحيلته (ولا يفلح الساحر) اي لا يظفر الساحر ببغيته اذ لا حقيقة للسحر (حيث أتى) اي حيث كان من الارض وقيل لا يفوز الساحر حيث اتى بسحره لأن الحق يبطله (فألقي السحرة سجدا) هاهنا محذوف وهو فالقى عصاه وتلقف ما صنعوا فألقي السحرة سجدا اي سجدوا (وقالوا آمنا برب هارون وموسى) اضافوه سبحانه اليهما لدعائهما اليه وكونهما رسولين له (قال) فرعون للسحرة (آمنتم له) اي لموسى والمعنى قد صدقتم له (قبل ان آذن لكم) اي من غير اذني لأنه بلغ من جهله انه لا يعتقد دين إلا بإذنه والفرق بين الاذن والامر ان في الامر دلالة على إرادة الآمر الفعل المأمور به وليس في الاذن ذلك وقوله فإذا حللتم فاصطادوا اذن وقوله أقيموا الصلاة أمر (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر)

معناه انه لاستاذكم وانتم تلامذته وقد يعجز التلميذ عما يفعله الاستاذ وقيل انه لرئيسكم ومتقدمكم وانتم اشياعه واتباعه ماعجزتم عن معارضته ولكنكم تركتم معارضته احتشاماً له واحتراماً وإنما قال ذلك ليوهم العوام ان ما أتوا به إنما هو لتواطوء من جهتهم ليصرفوا وجوه الناس اليهم (فلأقطعن أيديكم وارجلكم من خلاف) اي ايديكم اليمنى وارجلكم اليسرى (ولأصلبنكم في جذوع النخل) اي على جذوع النخل (ولتعلمن) أيها السحرة (أينا أشد عذابا) لكم (وابقى) وادوم انا على ايمانكم أم رب موسى على ترككم الايمان به (قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات) اي لن نفضلك ولن نختارك على ما أتانا من الادلة الدالة على صدق موسى وصحة نبوته والمعجزات التي تعجز عنها قوى البشر (والذي فطرنا) اي وعلى الذي فطرنا اي خلقنا وقيل معناه لن نؤثرك والله الذي فطرنا على ما جاءنا من البينات وماظهر لنا من الحق (فاقض ماأنت قاض) اي فاصنع ما أنت صانعه على اتمام واحكام وقيل معناه فاحكم ما أنت حاكم وليس هذا بامر منهم ولكن معناه اي شيء صنعت فإنا لانرجع عن الايمان (إنما تقضي هذه الحياة الدنيا) اي إنما تصنع بسلطانك او تحكم في هذه الحياة الدنيا دون الآخرة فلا سلطان لك فيها ولا حكم وقيل معناه انما تقضي وتذهب هذه الحياة الدنيا دون الحياة الآخرة (انا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا) من الشرك والمعاصي (وما أكرهتنا عليه من السحر) إنما قالوا ذلك لأن الملوك كانوا يجبرونهم على تعليم السحر كيلا يخرج السحر من أيديهم وقيل ان السحرة قالوا لفرعون أرنا موسى إذا نام فأراهم إياه فإذا هو نائم وعصاه تحرسه فقالوا ليس هذا بسحر ان الساحر إذا نام بطل سحره فأبى عليهم الا ان يعملوا فذلك اكراههم عن عبد العزيز بن أبان (والله خير وابقى) اي والله خير لنا منك وثوابه ابقى لنا من ثوابك وقيل معناه والله خير ثوابا للمؤمنين وابقى عقابا للعاصين منك وهذا جواب لقوله ولتعلمن اينا أشد عذابا وابقى وهاهنا انتهى الاخبار عن السحرة ثم قال الله سبحانه (إنه من يأت ربه مجرما) وقيل انه من قول السحرة قال ابن عباس في رواية الضحاك المجرم الكافر وفي رواية عطا يعني الذي اجرم وفعل مثل ما فعل فرعون (فإن له نار جهنم لا يموت فيها) فيستريح من العذاب (ولا يحيى) حياة فيها راحة بل هو معاقب بأنواع العقاب (ومن يأته مؤمنا) مصدقاً بالله وبأنبيائه (قد عمل الصالحات) اي ادى الفرائض عن ابن عباس (فأولئك لهم الدرجات العلى) يعني درجات الجنة وبعضها اعلى من بعض والعلي جمع العليا وهي تأنيث الاعلى (جنات عدن) اي إقامة (تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) معناه ان الثواب الذي تقدم ذكره جزاء من تطهر بالايمان والطاعة عن دنس الكفر والمعصية وقيل تزكى طلب الزكاء بارادة الطاعة والعمل بها

قوله تعالى (٧٧) وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (٧٨) فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٩) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى (٨٠) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى (٨١) كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى (٨٢) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٨٣) وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (٨٤) قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (٨٥) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٦) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ

رَبُّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي عشر آيات

(القراءة)

قرأ حمزة لا تخف جزما والباقون لا تخاف وقرأ أهل الكوفة غير عاصم قد انجيتكم وواعدتكم ورزقتكم وقرأ الباقون قد انجيناكم وواعدناكم ورزقناكم بالنون وقرأ ابو جعفر وابو عمرو ويعقوب وسهل ووعدناكم بغير الالف والباقون بالالف وقرأ الكسائي فيحل بضم الحاء ومن يحلل بضم اللام والباقون بالكسر في موضعين

الحجة

قال ابو علي من رفع قوله لا تخاف فإنه حال من الفاعل في اضرب اي غير خائف ولا خاش ويجوز ان يقطعه من الاول اي أنت لا تخاف ومن قرأ لا تخف جعله جواب الشرط اي ان تضرب لا تخف دركا من خلفك ولا تخش غرقا بين يديك فأما من قال لا تخف دركا ثم لا تخشى فيجوز ان يعطيه من الأول اي ان تضرب لا تخف وانت لا تخشى ولا يحمله على قول الشاعر « كأن لم ترى قبلي أسيرا يمانيا » ولا على نحو «إذا العجوز غضبت فطلق ولا ترضيها ولا تملق» لأن ذلك إنما يجيء في ضرورة الشعر كما ان قوله

ألم يأتيك والانباء تنمي بما لاقت لبون بني زياد

كذلك ولكنك تقدر انك حذفت الالف المنقلبة عن اللام ثم اشبعت الفتحة لأنها في فاصلة فأثبت الألف الناشئة عن اشباع الفتحة ومثل هذا مما ثبت في الفاصلة قوله فأضلونا السبيلا وقد جاء اشباع هذه الفتحة في كلامهم قال

وانت عن الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنتزاح

اي بمنتزح وحجة من قرأ وعدناكم ان ذلك يكون من الله سبحانه قال ابو الحسن زعموا ان واعدناكم لغة في وعدناكم فإذا كان كذلك فاللفظ لا يدل على ان الفعل من اثنين فيكون القراءة بوعد احسن لأن واعد بمعنى وعد ويعلم من وعد أنه فعل واحد لا محالة وليس واعد كذلك فالأخذ بالابين أولى ومن قرأ انجيناكم وواعدناكم فحجته قوله ونزلنا عليكم المن والسلوى وحجة من قرأ يحل بكسر الحاء انه روي في زمزم إنه لشارب حل اي مباح له غير محظور عليه ولا ممنوع عنه فالحل والحلال في المعنى مثل المباح فهو خلاف الحظر والحجر والحرام والحرم فهذه الالفاظ معناها المنع والمباح من قولهم باح بالسر والامر يبوح به إذا لم يجعل دونه حظرا فمعنى يحل عليكم ينزل بكم وينالكم بعد ما كان ذا حظر وحجر ومنع عنكم ووجه قراءة من قرأ يحل عليكم غضبي ان الغضب لما كان تتبعه العقوبة والعذاب جعله بمنزلة العذاب فقال يحل اي ينزل فجعله بمنزلة قولهم حل بالمكان يحل وعلى هذا جاء يصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم فكما ان هذا عذاب قد اخبر عنه بأنه يحل كذلك اخبر عن الغضب بمثله وجعله بمنزلته لأنه يتبعه ويتصل به

(اللغة)

اليبس اليابس وجمعه ايباس وجمع اليبس بسكون الباء يبوس قال الكميت « فما زدته إلا يبوسا وما أرى لهم رحما والحمد لله توصل » قال ابو زيد حل عليه أمر الله يحل حلولا وحل الدار يحلها حلولا وحل العقدة يحلها حلا وحل له الصوم يحل حلا وأحله الله احلالا وحل عليه وحقي يحل محلا وأحل الرجل من إحرامه احلالا وحل يحل حلا والأسف أشد الغضب ويكون ايضا بمعنى الحزن

الاعراب

هم أولاء مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون أولاء بدلا من هم ويكون على أثري في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ وعلى الوجه الأول يجوز ان يكون على اثري في موضع نصب على الحال والعامل فيه معنى الإشارة في أولاء ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن حال بني إسرائيل فقال (ولقد أوحينا إلى موسى) بعد ما رأى فرعون من الآيات فلم يؤمن هو ولا قومه (ان اسر بعبادي) اي سر بهم ليلا من أرض مصر (فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا) اي اجعل لهم طريقا في البحر يابسا بضربك العصا لينفلق البحر فعدى الضرب إلى الطريق لما دخله هذا المعنى فكأنه قد ضرب الطريق كما يضرب الدينار (لا تخاف دركا ولا تخشى) اي لا تخاف ان يدركك فرعون من خلفك ولا تخشى من البحر غرقا ومن اقرأ لا تخف بالجزم فمعناه لا تخف ان يدركك فرعون وأنت لا تخشى شيئا من أمر البحر مثل قوله يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ويجوز ان يكون في موضع الجزم على نحو ماذكرناه في الحجة (فأتبعهم فرعون بجنوده) معناه الحق جنوده بهم وبعث بجنوده خلفهم وفي اثرهم وفي الكلام حذف انهم فعلوا ذلك فدخل موسى وقومه البحر ثم اتبعهم فرعون بجنوده (فغشيهم من اليم ما غشيهم) اي جاءهم من البحر ما جاءهم ولحقهم منه ما لحقهم وفيه تعظيم للامر ومعناه غشيهم الذي عرفتموه وسمعتم به ومثله قول ابي النجم « انا ابو النجم وشعري شعري » اي شعري الذي سمعت به وعلمته اي هلك فرعون ونجى موسى هذا كان عاقبة امرهم فليعتبر المعتبرون بهم (وأضل فرعون قومه وما هدى) اي صرفهم عن الهدى والحق وماهداهم إلى الخير والرشد وطريق النجاة وإنما قال وما هدى بعد قوله أضل ليتبين انه استمر على ذلك وما زال يضلهم ولا يهديهم وحسن حذف المفعول لمكان رأس الآية وإنما قال سبحانه تكذيبا لقول فرعون لقومه وما اهديكم الاسبيل الرشاد ثم خاطب سبحانه بني إسرائيل وعدد نعمه عليهم فقال (يابني إسرائيل قد انجيناكم من عدوكم) فرعون بمرأى منكم (وواعدناكم جانب الطور الأيمن) وهو ان الله تعالى وعد موسى بعد ان اغرق فرعون ليأتي جانب الطور الايمن فيؤتيه التوراة فيها بيان الشرائع والاحكام وما يحتاجون اليه (ونزلنا عليكم المن والسلوى) يعني في التيه وقد مر بيان ذلك في سورة البقرة (كلوا من طيبات مارزقناكم) صورته صورة الامر والمراد به الاباحة (ولا تطغوا فيه) اي فلا تتعدوا فيه فتأكلوه على الوجه المحرم عليكم وقيل ان المعنى لا تتجاوزوا عن الحلال إلى الحرام وقيل معناه لا تتناولوا من الحلال للاستعانة به على المعصية (فيحل عليكم غضبي) اي فيجب عليكم عقوبتي ومن ضم الحاء فالمعنى فينزل عليكم عقوبتي (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) اي هلك لأن من هوى من علو إلى سفل فقد هلك وقيل فقد هوى الى النار قال الزجاج فقد صار إلى الهاوية (وإني لغفار) وهو فعال من المغفرة (لمن تاب) من الشرك (وآمن) بالله ورسوله (وعمل صالحا) اي أدى الفرائض (ثم اهتدى) اي ثم لزم الإيمان إلى ان يموت واستمر عليه وقيل ثم لم يشك في ايمانه عن ابن عباس وقيل ثم أخذ بسنة النبي ﷺ ولم يسلك سبيل البدعة عن ابن عباس ايضا والربيع بن انس وقال ابو جعفر الباقر (ع) ثم اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت (ع) فوالله لو ان رجلا عبد الله عمره ما بين الركن والمقام ثم مات ولم يجئ بولايتنا الا كبه الله في النار على وجهه رواه الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده وأورده العياشي في تفسيره من عدة طرق (وما اعجلك عن قومك يا موسى) قال ابن اسحاق كانت المواعدة ان يوافي الميعاد هو وقومه وقيل مع جماعة من وجوه قومه وهو متصل بقوله واعدناكم جانب الطور الأيمن فتعجل موسى من بينهم شوقا إلى ربه وخلفهم ليلحقوا به فقيل له ما اعجلك عن قومك يا موسى اي بأي سبب خلفت قومك وسبقتهم وجئت

وحدك (قال) موسى في الجواب (هم اولاء على أثري) اي هؤلاء من ورائي يدركونني عن قريب وقيل معناه هم على ديني ومنهاجي عن الحسن وروى عنه ايضا انه قال هم ينتظرون من بعدي ما الذي آتيهم به وليس يريد انهم يتبعونه (وعجلت اليك رب لترضى) اي سبقتهم اليك حرصا على تعجيل رضاك اي لازداد رضا الى رضاك (قال) الله تعالى (فإنا قد فتنا قومك) اي امتحناهم وشددنا عليهم التكليف بما حدث فيهم من أمر العجل فألزمناهم عند ذلك النظر ليعلموا انه ليس بإله كما قال سبحانه آلم أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (من بعدك) اي من بعد انطلاقك (وأضلهم السامري) اي دعاهم إلى الضلال فقبلوا منه وضلوا عند دعائه فأضاف الضلال إلى السامري والفتنة إلى نفسه ليدل سبحانه على ان الفتنة غير الضلال وقيل ان معنى فتنا قومك عاملناهم معاملة المختبر المبتلي ليظهر لغيرنا المخلص منهم من المنافق فيوالي المخلص ويعادي المنافق (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) اي رجع موسى من الميقات الى بني إسرائيل شديد الغضب حزينا عن ابن عباس وقيل جزعا عن مجاهد وقيل متحسرا متلهفا على ما فاته لأنه خشي ان لا يمكنه تدارك أمر قومه عن الجبائي (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسنا) اي صدقا لإيتاء الكتاب وهو التوراة لتعلموا ما فيه وتعملوا به فتستحقوا الثواب عن الجبائي وقيل الوعد الحسن هو ما وعدهم به من النجاة من فرعون ومجيئهم إلى جانب الطور ووعده بالمغفرة لمن تاب وقيل هو ما وعدهم به في الآخرة على التمسك بدينه في الدنيا عن الحسن (أفطال عليكم العهد) اي مدة مفارقتي إياكم (أم أردتم أن يحل عليكم) اي يجب عليكم (غضب من ربكم) بعبادتكم العجل والمعنى أم أردتم ان تصنعوا صنعا يكون سببا لغضب ربكم (فأخلفتم موعدي) اي ما وعدتموه لي من حسن الخلافة بعدي ويبين ذلك قوله بئسما خلفتموني من بعدي وقيل ان اخلافهم موعده انه أمرهم اللحاق به فتركوا المسير على أثره للميقات وقيل هو انه أمرهم ان يتمسكوا بطريقة هارون وطاعته ويعملوا بامره إلى ان يرجع فخالفوه

قوله تعالى (٨٧) قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٨) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ (٨٩) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً (٩٠) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩١) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ (٩٢) قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٣) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٤) قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي (٩٥) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٦) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي عشر آيات

القراءة

قرأ أهل المدينة والكوفة وعاصم بملكنا بالفتح وقرأ حمزة والكسائي وخلف بملكنا بضم الميم والباقون بملكنا بكسر الميم وقرأ ابن عامر وحفص ورويس حملنا بالضم والتشديد والباقون حملنا بفتح الحاء والتخفيف وقرأ أهل

الكوفة غير عاصم لم تبصروا بالتاء والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة ابن مسعود وأبي والحسن وقتادة وابي رجاء ونصر بن عاصم فقبصت قبصة بالصاد وروي عن الحسن ايضا قبضة بضم القاف

— الحجة —

قال ابو علي في قوله بملكنا هذه ثلاث لغات والكسر اكثر والفتح لغة فيه والمعنى ما أخلفنا موعدك بملكنا الصواب ولكن لخطئنا فأضيف المصدر إلى الفاعل وحذف المفعول فأما من ضم الميم فإنه لا يخلو من ان يريد به مصدرا الملك او يكون لغة في مصدر الملك فإن أريد الأول فالمعنى لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك لمكان ملكنا ويكون على هذا التقدير كقوله لا يسألون الناس الحافا أي ليس منهم مسألة فيكون منهم الحاف فيها ليس انه أثبت ملكا كما لم يثبت في قوله لا يسئلون الناس الحافا مسألة منهم ومثل ذلك قول ابن ابي احمر

لا يفزع الأرنب اهوالها ولا ترى الضب بها ينجحر

أي ليس بها ارنب فيفزع لهولها ومثله قول ذي الرمة

لاتشتكي سقطة منها وقد رقصت بها المفاوز حتى ظهرها حدب

أي ليس منها سقطة فتشتكي وقوله حملنا من حمل الانسان الشيء وحملته إياه فمن قرأ حملنا فالمعنى جعلونا نحمل أوزار القوم ومن قرأ حملنا أراد انهم فعلوا ذلك ومن قرأ بما لم يبصروا به بالياء فالمعنى بما لم يبصر به بنو اسرائيل ومن قرأ بالتاء صرف الخطاب إلى الجميع والقبض بالضاد باليد كلها وبالصاد باطراف الأصابع والقبضة بالضم القدر المقبوض والقبضة فعلة انت وقد ذكرنا الاختلاف في قوله يا ابن أم والوجه في ذلك في سورة الاعراف

❊ اللغة ❊

الوزر أصله الثقل ومنه الوزر الذنب لأن صاحبه قد حمل به ثقلا والوزر الحمل والأوزار الأحمال والاثقال ومنه الأوزار للسلاح لأنها تثقل على لابسها والخوار الصوت المتردد الشديد التردد كصوت البقر ونحوه والعكوف الاقامة وملازمة الشيء ومنه الاعتكاف في المسجد ورقب يرقب رقبانا ورقبة انتظر والمرقب المكان العالي الذي يقف عليه الرقيب وارقبت فلانا داري واعمرته والاسم الرقبى والعمرى وبصر بالشيء يبصر إذا صار عليما به وأبصر يبصر إذا رأى

❊ الاعراب ❊

فكذلك القى السامري الكاف صفة مصدر محذوف لألقى تقديره القى السامري القاء مثل القائنا ٠جسدا بدل من عجل ٠أن لا يرجع تقديره أفلا يرون انه لا يرجع ويجوز أن ينصب يرجع بأن فيكون الناصبة للفعل ولا يكون أن المخففة ٠من ان ضلوا جملة في موضع نصب على الحال وقد مضمر ألا تتبعني في موضع جر بمن المحذوف او في موضع نصب على الخلاف فيه تقديره ما منعك من اتباعي ولا زائدة كما في قوله ما منعك أن لا تسجد

❊ المعنى ❊

(قالوا) أي قال الذين لم يعبدوا العجل (ما أخلفنا موعدك بملكنا) اي ونحن نملك من أمرنا شيئا والمعنى انا لم نطق رد عبدة العجل عن عظيم ما ارتكبوه للرهبة لكثرتهم وقلتنا وجاء في الرواية ان الذين لم يعبدوا العجل كانوا اثني عشر الفا والذين عبدوه كانوا ستمائة الف رجل ومن قرأ بملكنا بضم الميم فمعناه بقدرتنا وسلطاننا أي لم نقدر على ردهم (ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم) معناه ولكنا حملنا اثقالا من حلي آل فرعون وهو ما استعادوه من حليهم حين أرادوا السير وقيل هو ما القاه البحر على الساحل من ذهبهم وفضتهم وحليهم بعد اغراقهم فأخذوه وقيل هو من اثقال الذنوب والآثام أي حملنا آثاما من حلي القوم لأنهم استعاروا حليا من القبط

ليتزينوا بها في عيد كان لهم ثم لم يردوها عليهم عند الخروج من مصر مخافة أن يعلموا بخروجهم فحملوهم وكان ذلك ذنبا منهم إذ كانوا مستأمنين فيما بينهم وقيل انهم كانوا في حكم الاسراء فيما بينهم فكان يحل لهم أخذ اموالهم فعلى هذا لا يمكن حمله على الاثم (فقذفناها) أي القيناها في النار لتذوب (فكذلك القى السامرى) ايضا ليوهم انه منهم عن الجبائي وقيل معناه فمثل ما القينا نحن من هذا الحلي في النار القى السامري ايضا فاتبعناه وقيل ان هذا كلام مبتدأ من الله حكى عنهم انهم القوا ثم قال وكذلك القى السامري عن ابي مسلم (فأخرج لهم عجلا جسدا) اي اخرج لهم من ذلك عجلا جسما (له خوار) اي صوت وقد ذكرنا صفة العجل في سورة الاعراف (فقالوا هذا إلهكم و إله موسى) اى قال السامري ومن تبعه من السفلة والعوام هذا العجل معبودكم ومعبود موسى (فنسي) فيه قولان أحدهما انه من قول السامري ومن تبعه اي نسي موسى انه إلهه وهو قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي والضحاك وقيل معناه فنسي اي ضل وأخطأ الطريق وقيل معناه انه تركه هنا وخرج يطلبه والثاني انه قول الله تعالى اي فنسي السامري اي ترك ما كان عليه من الايمان الذى بعث الله به موسى عن ابن عباس ايضا وقيل معناه فنسي السامري الاستدلال على حدوث العجل وأنه لا يجوز ان يكون إلها وقيل فنسي السامري اي نافق وترك الإسلام ثم احتج سبحانه عليهم فقال (أفلا يرون الا يرجع اليهم قولا) اي أفلا يرى بنو إسرائيل ان العجل الذي عبدوه واتخذوه إلها لا يرد عليهم جوابا (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) ومن كان بهذه الصفة فإنه لا يصلح للعبادة قال مقاتل لما مضى من موعد موسى خمسة وثلاثون يوما أمر السامري بني اسرائيل ان يجمعوا ما استعاروه من حلي آل فرعون وصاغه عجلا في السادس والثلاثين والسابع والثامن ودعاهم إلى عبادته في التاسع فأجابوه وجاءهم موسى بعد استكمال الاربعين قال سعيد بن جبير كان السامري من أهل كرمان وكان مطاعا في بني إسرائيل وقيل كان من قرية يعبدون البقر فكان حب ذلك في قلبه وقيل كان من بني إسرائيل فلما جاوز البحر نافق فلما قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة اغتنمها واخرج لهم العجل ودعاهم اليه عن قتادة (ولقد قال لهم هارون من قبل) اي من قبل عود موسى اليهم (يا قوم إنما فتنتم به) يعني أن الله تعالى شدد عليكم التعبد فاعلموا إلهكم واعبدوه ولا تعبدوا العجل موعظة ونصحا ويحتمل ان يكون أراد فتنكم السامري به وأضلكم (وإن ربكم الرحمن فاتبعوني) اي اتبعوني فيما ادعوكم اليه (وأطيعوا أمري) في عبادة الله ولا تتبعوا السامري ولا تطيعوا أمره في عبادة العجل (قالوا لن نبرح عليه عاكفين) معناه لا نزال مقيمين على عبادته (حتى يرجع الينا موسى) فننظر ايعبده كما عبدناه ام لا فاعتزلهم هارون في اثني عشر الفا فلما رجع موسى (ع) وهو ممتلئ غيظا منهم ومن عبادتهم العجل وسمع الصياح والجلبة إذ كانوا يرقصون حول العجل ويضربون الدفوف والمزامير واستقبله هارون فألقى الالواح وأخذ يعاتب هارون (قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا الا تتبعن) اي هلا تتبعني بمن أقام على إيمانه عن ابن عباس وقيل معناه هلا قاتلتهم إذ علمت اني لو كنت فيهم لقاتلتهم وقيل هلا لحقت بي حين رأيتهم ضلوا بعبادة العجل قبل استحكام الأمر والاصل ان لا مزيدة وتقديره ما منعك ان تتبعني (أفعصيت أمري) فيما أمرتك به يريد قوله اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلما أقام معهم ولم يبالغ في منعهم نسبه إلى عصيانه وقيل ان صورته صورة الاستفهام والمراد به التقرير لأن موسى (ع) كان يعلم ان هارون لا يعصيه في أمره ﴿ سؤال ﴾ متى قيل ان الظاهر يقتضي ان موسى كان امره باللحاق به فعصى هارون امره قلنا يجوز ان يكون أمره بذلك بشرط المصلحة ورأى هارون الاقامة اصلح والشاهد يرى ما لا يرى الغائب ويجوز ان يكون لم يأمره بذلك و إنما أمره بمجاهدتهم وزجرهم عن القبيح و إنما عاتبه مع ان اللوم توجه على القوم لأن أمره بمفارقتهم اوم عليهم وقيل ان موقع الذنب ممن عظمت رتبته اعظم فلما كان هارون اجل من خلفه موسى خصه باللائمة وهذا إنما يتجه إذا ثبت لهارون ذنب فأما وهو نقي الجيب من جميع الذنوب بريء الساحة من العيوب فالقول الأول هو الوجه (قال) هارون (يابن أم لا تأخذ

بلحيتي ولا برأسي) قد فسرناه في سورة الاعراف وقيل كانت العادة جارية في القبض عليها في ذلك الزمان كما ان العادة في زماننا هذا القبض على اليد والمعانقة وذلك مما تختلف العادة فيه بالازمنة والامكنة وقيل انه اجراه مجرى نفسه إذا غضب في القبض على لحيته لأنه لم يكن يتهم عليه كما لا يتهم على نفسه ثم بين (ع) عذره في مقامه معهم فقال إني خشيت (ان تقول فرقت بين بني إسرائيل) يعني اني لو فارقتهم اوقاتلتهم لصاروا احزابا وتفرقوا فرقا ففريق يلحقون بك معي وفريق يقيمون مع السامري على عبادة العجل وفريق يتوقفون شاكين في أمره مع اني لم آمن ان تركتهم ان يصيروا بالخلاف الى تسافك الدماء وشدة التصميم والثبات على اتباع السامري فإنهم كانوا يمتنعون بعض الامتناع بمكاني فيهم وكنت اوجه اليهم من الانكار مقدار ما يتحمله الحال وذلك قوله يا قوم إنما فتنتم به فاعتذر بما يقبل مثله لانه وجه واضح من وجوه الرأي وقوله (ولم ترقب قولي) معناه ولم تحفظ وصيتي ولم تعمل به حين قلت اخلفني في قومي واصلح ولما ظهرت براءة ساحة هارون اقبل على السامري (قال) له (فما خطبك يا سامري) اي ما شأنك وما دعاك إلى ما صنعت فكأنه قال ماهذا الخطب والامر العظيم الذي احدثت وما حملك عليه (قال) السامري (بصرت بما لم يبصروا به) اي رأيت مالم يروه وقيل معناه علمت ما لم يعلموا من البصيرة (فقبضت قبضة من أثر الرسول) اي قبضت قبضة تراب من أثر قدم جبرائيل (فنبذتها) في العجل (وكذلك) اي وكما حدثتك يا موسى (سولت لي نفسي) اي زينت لي نفسي من أخذ القبضة والقائها في صورة العجل وقيل معناه حدثتني نفسي فأما حديث العجل وما الذي قبضه السامري وكيفية ذلك واختلافهم فيه فقد سبق ذكره

قوله تعالى (٩٧) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِداً لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفاً (٩٨) إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً (٩٩) كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً (١٠٠) مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً (١٠١) خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً (١٠٢) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً (١٠٣) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْراً (١٠٤) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْماً (١٠٥) وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفاً (١٠٦) فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً (١٠٧) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتاً احدى عشرة آية

القراءة

قرأ ابن كثير وأهل البصرة غير سهل لن تخلفه بكسر اللام وقرأ الضرير لن نخلفه بالنون وكسر اللام وهو قراءة الحسن وقرأ الباقون لن تخلفه بفتح اللام وقرأ ابو جعفر لنحرقنه بفتح النون وسكون الحاء وتخفيف الراء وهو قراءة علي (ع) وابن عباس وقرأ ابو عمرو يوم ننفخ في الصور بالنون والباقون ينفخ بالياء وفتح الفاء وفي الشواذ قراءة ابي حيوة لا مساس وقرأ مجاهد وقتادة وسع كل شيء علما وقرأ ابن عياض في الصور بفتح الواو

(الحجة)

قال ابو علي اخلفت يتعدى الى مفعولين ان تخلفه مثل ان تعطاه لما اسندت الفعل الى احد المفعولين فأقمته مقام الفاعل بقي الفعل متعديا الى مفعول واحد وفاعله الذي يخلف هو الله تعالى او موسى ومعناه سيأتيك بمولن

يتأخر عنك وان تخلفه اي سيأتيه ولا مذهب لك عنه وقال ابن جني معناه ان تصادفه مخلفا كقول الاعشى

اثوى وقصر ليله ليزودا ومضى واخلف من قتيلة موعدا

وهو وعيد والمعنى في قراءة الاولى ابين وأما نخلفه بالنون فالمعنى ان نخلفك إياه اي لن تنقص منه ما عقدناه لك وقوله لنحرقنه من قولهم فلان يحرق على الارم اي يحك اسنانه بعضها ببعض غيظا علي قال زهير

ابي الضيم والنعمان يحرق نابه عليه فافضى والسيوف معاقلة

فكان لنحرقنه على هذا لنبردنه ولنحتنه حتا يقال حرقت الحديد اي بردته فتحات وتساقط وقوله مساس مثل نزال وحذار قال ابن جني ولا يدخل على هذا الضرب من الكلام ما النافية بالنكرة فلا إذا في قوله لا مساس نفي للفعل كقولك لا امسك ولا أقرب منك فكأنه حكاية قول القائل مساس فكأنه قال لا أقول مساس قال الكميت «لا همام لي لا همام» اي لا أقول همام ولا بد ان تكون الحكاية مقدرة الا ترى أنه لا يجوز ان تقول لا اضرب فتنفي بلافظ الأمر لتنافي اجتماع لفظ الأمر والنهي فالحكاية إذا معتقدة مقدرة وأما قوله وسع كل شيء علما فمعناه على ما قاله ابن جني انه خرق كل مصمت بعلمه لأنه بطن كل مخفي فصار لعلمه فضاء متسعا بعد ما كان متضلاقيا مجتمعا ومنه قوله تعالى ان السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وهذا في العمل وذاك في العلم والوجه في قوله ننفخ في الصور فنفخنا فيه من روحنا وقوله فيما بعده ونحشر والوجه في الياء قوله يوم ينفخ في الصور ونفخ في الصور وأما قوله في الصور فإنه جمع صورة وقد يقال فيها صير وأصله صور قال

اشبهن من بقر الخلصاء اعينها فهن احسن من صيرانها صيرا

وصورا ايضا قال ابو عبيدة الصور جمع صورة ويقال الصور القرن ويقال فيه ثقب بعدد نفوس البشر فإذا نفخ فيه قام الناس من الارماس

❋ اللغة ❋

ظلت اصله ظللت وللعرب فيها مذهبان فتح الظاء وكسرها فمن قال ظلت ترك الظاء على حالها ومن قال ظلت بالكسر نقل حركة اللام اليها للاشعار باصلها ومثله مست ومست في مسست وهل احست في احسست قال الشاعر

خلا ان العتاق من المطايا احسن به فهن اليه شوس

لننسفنه يقال نسف فلان الطعام بالمنسف إذا ذراه ليطير عنه قشوره والصفصف الموضع المستوي الذي لا نبات به كأنه على صف واحد في استوائه والقاع الارض الملساء وقيل مستنقع الماء وجمعه اقواع وقيعان وقيعة والأمت الاكمة يقال مد حبله حتى ما ترك فيه امتا وملأ سقاءه حتى ماترك فيه امتا اي انثناء قال الشاعر « ما في انجذاب سيره من امت »

❋ المعنى ❋

ثم حكى سبحانه عن موسى (ع) (قال) للسامري (فاذهب فإن لك في الحياة ان تقول لا مساس) واختلف في معناه فقيل انه امر الناس بأمر الله ان لا يخالطوه ولا يجالسوه ولا يؤاكلوه تضييقا عليه والمعنى لك ان تقول لا أمس ولا أمس ما دمت حيا قال ابن عباس لك ولولدك والمساس فعال من المماسة ومعنى لا مساس لا يمس بعضنا بعضا فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش والسباع لا يمس احدا ولا يمسه احد عاقبه الله تعالى بذلك وكان إذا لقي احدا يقول لا مساس اي لا تقربني ولا تمسني وصار ذلك عقوبة له ولولده حتى ان بقاياهم اليوم يقولون ذلك وان مس واحد من غيرهم واحدا منهم حم كلاهما في الوقت وقيل ان السامري خاف وهرب فجعل

يهيم في البرية لا يجد احدا من الناس يمسه حتى صار لبعده عن الناس كالقائل لا مساس عن الجبائي (وان لك موعدا لن تخلفه) اي وعدا لعذابك يعني يوم القيامة لن تخلف ذلك الوعد وان يتأخر عنك قال الزجاج المعنى يكافيك الله على ما فعلت يوم القيامة (وانظر الى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا) معناه وانظر الى معبودك الذي ظلت على عبادته مقيما يعني العجل (لنحرقنه) بالنار (ثم لننسفنه في اليم نسفا) اي لنذرينه في البحر قال ابن عباس فحرقه ثم ذراه في البحر وهذا يدل على انه كان حيوانا لحما ودما وعلى القراءة الاخرى لنحرقنه اي لنبردنه بالمبرد يدل على انه كان ذهبا وفضة ولم يصر حيوانا ونبه (ع) بذلك على ان ما يمكن سحقه او احراقه لا يصلح للعبادة وقال الصادق (ع) ان موسى (ع) هم بقتل السامري فاوحى الله سبحانه اليه لا تقتله يا موسى فانه سخي ثم اقبل موسى على قومه فقال (انما إلهكم الله الذي لا إله الا هو) اي هو الذي يستحق العبادة (وسع كل شيء علما) اي يعلم كل شيء علما تاما وهي لفظة عجيبة في الفصاحة وفي ذلك دلالة على ان المعدوم يسمى شيئا لكونه معلوما ثم قال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق) اي مثل ما قصصنا عليك يا محمد من نبأ موسى وقومه نقص عليك من اخبار ما قد مضى وتقدم من الأمم والامور (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) يعني القرآن لأن فيه ذكر كل ما يحتاج اليه من امور الدين ثم اوعد سبحانه على الاعراض عنه وترك الايمان به فقال (من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا) اي حملا ثقيلا من الاثم يشق عليه حمله لما فيه من العقوبة كما يشق حمل الثقيل (خالدين فيه) اي في عذاب ذلك الوزر وجزائه وهو الخلود في النار (وساء لهم يوم القيامة حملا) تقديره ساء الحمل حملا والحمل بمعنى المحمول اي بئس الوزر هذا الوزر لهم يوم القيامة قال الكلبي بئس ما حملوا على انفسهم من المأثم كفرهم بالقرآن (يوم ينفخ في الصور) هو بدل من يوم القيامة وقد سبق معناه (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) قال ابن عباس يريد بالمجرمين الذين اتخذوا مع الله إلها يحشرون زرق العيون سود الوجوه ومعنى الزرقة الخضرة في سواد العيون كعين السنور والمعنى في هذا تشويه الخلق وقيل زرقا عميا ترى زرقا وهي عمي عن الفراء وقيل عطاشا في مظهر عيونهم كالزرقة مثل قوله ونسوق المجرمين الى جهنم وردا عن الازهري (يتخافتون بينهم) اي يتسارون بينهم فيقول المجرمون بعضهم لبعض (ان لبثتم الا عشرا) اي ما لبثتم إلا عشر ليال عن ابن عباس وقتادة يعني من النفخة الاولى الى الثانية وذلك انه يكف عنهم العذاب فيما بين النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما لبثتم في الدنيا ينسون من شدة هول ذلك اليوم مدة لبثهم في الدنيا وقيل في القبر يذهب عنهم طول لبثهم في قبورهم كأنهم كانوا نياما فانتبهوا وقيل انهم يقللون لبثهم في الدنيا طول ما هم لا بثون فيه من النار عن الحسن ثم قال سبحانه (نحن اعلم بما يقولون) اي بما يتسارون بينهم (إذ يقول أمثلهم طريقة) اي اصلحهم طريقة واوفرهم عقلا واصوبهم رايا وقيل اكثرهم سدادا عند نفسه (ان لبثتم إلا يوما) اي ما لبثتم إلا يوما في الدنيا وفي القبور انما قال ذلك لأن اليوم الواحد والعشرة إذا قوبلت بيوم القيامة وما لهم من الايام في النار كان اليوم الواحد اقرب اليه وهو كقوله لم يلبثوا الا عشية او ضحاها وقيل انهم قالوا ذلك بعد انقطاع عذاب القبر عنهم لأن الله يعذبهم ثم يعيدهم عن الجبائي ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (ويسئلونك) اي ويسئلك منكروا البعث عند ذكر القيامة (عن الجبال) ما حالها (فقل) يا محمد (ينسفها ربي نسفا) اي يجعلها ربي بمنزلة الرمل ثم يرسل عليها الرياح فيذريها كتذرية الطعام من القشور والتراب فلا يبقى على وجه الارض منها شيء وقيل يصيرها كالهباء وقيل ان رجلا من ثقيف سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف تكون الجبال يوم القيامة مع عظمها فقال ان الله يسوقها بأن يجعلها كالرمال ثم يرسل عليها الرياح فتفرقها (فيذرها) اي فيدع أماكنها من الارض إذا نسفها (قاعا) اي ارضا ملساء وقيل منكشفة عن الجبائي (صفصفا) اي ارضا مستوية ليس للجبل فيها أثر وقيل القاع والصفصف بمعنى واحد وهو المستوى من الارض الذي لا نبات فيه عن ابن عباس ومجاهد (لا ترى فيها عوجا ولا أمتا)

اى ليس فيها منخفض ولا مرتفع عن عكرمة عن ابن عباس قال الحسن العوج ما انخفض من الارض والامت ما ارتفع من الروابي وقيل لا ترى فيها واديا ولا رابية عن مجاهد

قوله تعالى (١٠٨) يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٩) يَوْمَئِذٍ لَا تَنفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١١٠) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١١) وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١٢) وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا (١١٣) وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا (١١٤) فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٥) وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ثماني آيات

القراءة

قرأ ابن كثير فلا يخف بالجزم والباقون فلا يخاف بالالف وقرأ يعقوب ان نقضي بالنون وحيه بالنصب والباقون يقضي بضم الياء وحيه بالرفع

الحجة

من قرأ فلا يخف فإنه على النهي ومن قرأ فلا يخاف فإنه على الخبر وتقديره فهو لا يخاف وموضع الفاء مع ما بعدها في الموضعين مجزوم ولكونه في موضع جواب الشرط والمبتدأ محذوف ومراد بعد الفاء وهو مؤمن في موضع نصب على الحال والعامل في الحال يعمل وذو الحال المذكر الذي في يعمل العائد الى من ومن قرأ من قبل ان نقضي اليك وحيه فإنه أضاف القضاء الى الله وجعل الوحي مفعوله والمعنى في القراءتين واحد

اللغة

الهمس اخفاء الكلام والصوت الخفي قال الراجز

وهن يمشين بها هميسا ان يصدق الطير ننك لميسا

يعني صوت اخفاف الابل في سيرها والعنوة الخضوع والذل والعاني الاسير واخذت الشيء عنوة اي غلبة تذل المأخوذ منه وقد يكون العنوة عن تسليم وطاعة لأنه على طاعة الذليل للعزيز قال الشاعر

هل انت مطيعي ايها القلب عنوة ولم تلح نفس لم تلم في احتيالها

وقال آخر

فما اخذوها عنوة عن مودة ولكن بضرب المشرفي استقالها

والهضم النقص يقال هضمني حقي ويهضمني اي ينقصني وامرأة هضيم الحشا اي ضامرة الكشحين لنقصانه عن حد غيره ومنه هضمت المعدة الطعام اي نقصته مع تغيرها والعزم الارادة المتقدمة لتوطين النفس على الفعل

الإعراب

يومئذ ظرف يتبعون ولا عوج له جملة في موضع الحال والتقدير يتبعون الداعي غير معوجين عن إجابته لأن

معناه لا عوج لهم عن دعائه اي لا يقدرون على ان لا يتبعوه · قرآنا منصوب على الحال وعربيا صفة وفي الحقيقة الحال قوله عربيا وانما ذكر قرآنا للبيان وكذلك الكاف في محل النصب بأنه صفة لمصدر محذوف

— (المعنى) —

ثم وصف سبحانه القيامة فقال (يومئذ يتبعون الداعي) اي يوم القيامة يتبعون صوت داعي الله الذي ينفخ في الصور وهو اسرافيل (ع) (لا عوج له) اي لدعاء الداعي ولا يعدل عن احد بل يحشرهم جميعا عن ابي مسلم وقيل معناه لا عوج لهم عن دعائه لا يميلون عنه ولا يعدلون عن ندائه اي يتبعونه سراعا ولا يلتفتون يمينا ولا شمالا عن الجبائي (وخشعت الاصوات للرحمن) اي خضعت الاصوات بالسكون لعظمة الرحمن عن ابن عباس (فلا تسمع إلا همسا) وهو صوت الاقدام عن ابن عباس وابن زيد اي لا تسمع من صوت اقدامهم الا صوتا خفيا كما يسمع من وطئ الابل وقيل الهمس اخفاء الكلام عن مجاهد وقيل معناه ان الاصوات العالية بالامر والنهي في الدنيا ينخفض ويذل اصحابها فلا تسمع منهم إلا الهمس (يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا) اي لا تنفع ذلك اليوم شفاعة احد في غيره إلا شفاعة من اذن الله له في ان يشفع ورضي قوله فيها من الانبياء والاولياء والصالحين والصديقين والشهداء ثم قال سبحانه (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) الضمير يرجع الى الذين يتبعون الداعي اي يعلم سبحانه جميع اقوالهم وافعالهم قبل ان خلقهم وبعد ان خلقهم وما كان في حياتهم وبعد مماتهم لا يخفى عليه شيء من امورهم تقدم او تأخر عن ابي مسلم وقيل يعلم ما بين أيديهم من احوال الاخرة وما خلفهم من احوال الدنيا (ولا يحيطون به علما) اي ولا يحيطون هم بالله علما اي بمقدوراته ومعلوماته وقيل بكنه عظمته في ذاته وأفعاله وقيل لا يحيطون علما بما بين ايديهم وما خلفهم الا من اطلعه الله على ذلك عن الجبائي وقيل معناه ولا يدركونه بشيء من الحواس حتى يحيط علمهم به (وعنت الوجوه للحي القيوم) اي خضعت وذلت خضوع الاسير في يد من قهره والمراد خضع ارباب الوجوه واستسلموا الحكم للحي الذي لم يمت ولا يموت وإنما اسند الفعل الى الوجوه لأن اثر الذل يظهر عليها وقيل المراد بالوجوه الرؤساء والقادة والملوك اي يذلون وينسلخون عن ملكهم وعزهم وقد سبق معنى الحي القيوم في مواضع (وقد خاب من حمل ظلما) اي وقد خاب عن ثواب الله من حمل شركا إلى يوم القيامة عن ابن عباس وقيل قد خسر الثواب من جاء يوم القيامة كافرا ظالما (ومن يعمل من الصالحات) اي ومن يعمل شيئا من الطاعات (وهو مؤمن) عارف بالله تعالى مصدق بما يجب التصديق به وانما قال ذلك لأنه لا تنفع الطاعة من غير إيمان (فلا يخاف ظلما ولا هضما) اي فهو لا يخاف ان يظلم ويزاد عليه في سيئاته ولا ان يهضم اي ينقص من حسناته عن ابن عباس وقيل لا يخاف ان يؤخذ بذنب لم يعمله ولا ان تبطل حسنة عملها عن الضحاك وقيل لا يخاف ظلما بأن لا يجزى بعمله ولا هضما بالانتقاص من حقه عن ابن زيد ومن قرأ فلا يخف على النهي فمعناه فليأمن ولا يخف الظلم والهضم والنهي عن الخوف أمر بالأمن وفي هذه الآية دلالة على بطلان التحابط (وكذلك) اي وكما اخبرناك باخبار القيامة (أنزلناه) اي انزلنا هذا الكتاب (قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد) اي كررنا فيه من الوعيد وذكرناه على وجوه مختلفة وبيناه بالفاظ متفرقة (لعلهم يتقون) المعاصي وقيل ليتقي العرب من قبل ان ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك (أو يحدث لهم ذكرا) معناه او يجدد القرآن لهم عظة واعتبارا اي يذكروا به عقاب الله الامم فيعتبروا وقيل يحدث لهم شرفا بايمانهم به وانما اضاف احداث الذكر إلى القرآن لأنه يقع عنده كما قال وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا (فتعالى الله الملك الحق) اي ارتفعت صفاته عن صفات المخلوقين فلا يشبهه احد في صفاته لأنه اقدر من كل قادر واعلم من كل عالم وكل عالم وقادر سواه محتاج اليه وهو غني عنه وكل قادر وعالم قادر على شيء عاجز عن شيء عالم بشيء جاهل بشيء وما هو عالم به يجوز ان ينساه او يسهو عنه فهو معرض الزوال والله سبحانه لم يزل عالما قادرا ولا يزال

كذلك والملك الذي يملك الدنيا والآخرة والحق الذي يحق له الملك وكل ملك سواه يملك بعض الاشياء ويبيد ملكه ويفنى (ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه) فيه وجوه ۞ احدها ۞ ان معناه لا تعجل بتلاوته قبل ان يفرغ جبرائيل (ع) من ابلاغه فإنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يقرأ معه ويعجل بتلاوته مخافة نسيانه اي تفهم ما يوحى اليك إلى ان يفرغ الملك من قراءته ولا تقرأ معه ثم اقرأ بعد فراغه منه وهذا كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به عن ابن عباس والحسن والجبائي ۞ وثانيها ۞ ان معناه ولا تقرأه لاصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه عن مجاهد وقتادة وعطية وابي مسلم ۞ وثالثها ۞ ان معناه ولا تسأل انزال القرآن قبل ان يأتيك وحيه لأنه تعالى انما ينزله بحسب المصلحة وقت الحاجة (وقل رب زدني علما) اي استزد من الله سبحانه علما إلى علمك روت عائشة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال إذا أتى علي يوم لا ازداد فيه علما يقربني إلى الله فلا بارك الله لي في طلوع شمسه وقيل معناه زدني علما بقصص انبيائك ومنازل اوليائك وقيل زدني قرآنا لأنه كلما ازداد من نزول القرآن عليه ازداد علما عن الكلبي (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما) معناه أمرناه وأوصينا اليه ان لا يقرب الشجرة ولا يأكل منها فترك الامر عن ابن عباس ولم نجد له عقدا ثابتا وقيل معناه فنسي من النسيان الذي هو السهو ولم نجد له عزما على الذنب لأنه اخطأ ولم يتعمد عن ابن زيد وجماعة وقيل ولم نجد له حفظا لما أمر به عن عطية وقيل صبرا عن قتادة وروي عن ابن عباس انه قال انما أخذ الانسان من انه عهد اليه فنسي ومن حمله على النسيان فما الذي نسيه فيه اقوال ۞ احدها ۞ انه نسي الوعيد بالخروج من الجنة إن أكل ۞ والثاني ۞ انه نسي قول الله سبحانه ان هذا عدو لك ولزوجك ۞ والثالث ۞ انه نسي الاستدلال على ان النهي عن الجنس وقد نهى عن الجنس فنسي وظن ان النهي عن العين

۞ النظم ۞

وجه اتصال قوله وكذلك انزلناه قرآنا عربيا بما قبله انه يتصل بقوله كذلك نقص عليك وقيل انه يتصل بما قبله من قصة موسى اي كما انزلنا التوراة على موسى انزلنا عليك القرآن ووجه اتصال قوله ولقد عهدنا إلى آدم الآية بما قبله انه لما ذكر تصريف الآيات والقرآن وان بها يتذكر أمره سبحانه بالتذكر وان لا يكون مثل آدم في نسيان العهد وقيل انه اتصل بقوله ولا تعجل بالقرآن اي لا تعجل خوف النسيان للفظه ولكن توكل على الله وسله التوفيق لحفظه فإن أباك آدم نسي ما عهد اليه وقيل انه عطف على قوله وكذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق فقص عليه قصة آدم (ع) عن ابي مسلم

قوله تعالى (١١٦) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى (١١٧) فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٨) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٩) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى (١٢٠) فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى (١٢١) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢٢) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٣) قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٤) وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٥) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٠ آيات)

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وابو بكر وإنك لا تظمؤ بالكسر والباقون انك بالفتح وفي الشواذ قراءة ابان بن تغلب ونحشره بالجزم

﴿ الحجة ﴾

من قرأ بالفتح فتقديره ان لك أن لا تجوع فيها وان لك انك لاتظمأ ولا يجوز ان تقول ان انك منطلق لكراهة اجتماع حرفين متقاربي المعنى فإذا فصل بينهما جاز ومن كسر فقال فإنك لا تظمأ قطع الكلام الأول واستأنف ومن قرأ نحشره فإنه عطفه على موضع قوله فإن له معيشة ضنكا وموضعه جزم لكونه جواب الشرط

﴿ اللغة ﴾

ضحي الرجل يضحى ضحي إذا برز للشمس قال عمر بن ابي ربيعة

رأت رجلا أيما إذا الشمس عارضت … فيضحى وأيما بالعشي فيخصر

يعني اما والضنك الضيق الصعب يقال منزل ضنك وعيش ضنك لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث لأن أصله المصدر قال « وإذا هم نزلوا بضنك فانزل »

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه تفصيل ما اجمله من قصة آدم (ع) فقال (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس) قد مر تفسيره (أبى) اي امتنع من أن يسجد (فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك) حواء (فلا يخرجنكما من الجنة) اي لا تطيعاه والمعنى لا يكونن سببا لخروجكما من الجنة بغروره ووساوسه (فتشقى) اي فتقع في تعب العمل وكد الاكتساب والنفقة على زوجتك ونفسك ولذلك قال فتشقي ولم يقل فتشقيا وقيل لأن أمرهما في السبب واحد فاستوى حكمها لاستوائها في السبب والعلة وقيل لتستقيم رؤوس الآي قال سعيد بن جبير أنزل على آدم ثور احمر فكان يحرث عليه ويرشح العرق عن جبينه وذلك هو الشقاوة (ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى) اي في الجنة لسعة طعام الجنة وثيابها (وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى) اي لا تعطش ولا يصيبك حر الشمس عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة قالوا ليس في الجنة شمس وانما فيها ضياء ونور وظل ممدود ويسأل هاهنا فيقال كيف جمع بين الجوع والعري وبين الظمأ والضحي والجوع من جنس الظمأ والعري من جنس الضحى وأجيب عن ذلك بجوابين ﴿ احدها ﴾ ان الظمأ اكثر مايكون من شدة الحر والحر انما يكون من الضحى وهو الانكشاف للشمس فجمع بينهما لاجتماعهما في المعنى وكذلك الجوع والعري متشابهان من حيث ان الجوع عري في الباطن من الغذاء والعري للجسم في الظاهر ﴿ والثاني ﴾ ان العرب تلف الكلامين بعضهما ببعض اتكالا على علم المخاطب وانه يرد كل واحد منهما الى ما يشاكله كما قال امرؤ القيس

كأني لم اركب جواداً للذة … ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال

ولم اسبأ الزق الروي ولم أقل … لخيلي كري كرة بعد اجفال

وكان حقه ان يقول كما قال عبد يغوث

كأني لم اركب جواداً ولم أقل … لخيلي كري نفسي عن رجاليا

ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل … لأيسار صدق اظهروا ضوء ناريا

وقد تؤول قول امرء القيس على الجواب الأول (فوسوس اليه الشيطان) قد تقدم بيانه (قال يا آدم هل

أدلك على شجرة الخلد) اي على شجرة من أكل منها لم يمت (وملك لا يبلى) جديده ولا يفنى وهذا كقوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الآية (فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) هذا مفسر في سورة الاعراف (وعصى آدم ربه فغوى) معناه خالف آدم ما امره ربه به فخاب من ثوابه والمعصية مخالفة الامر سواء كان الامر واجبا او ندبا قال الشاعر « أمرتك أمرا جازما فعصيتني »ولا يمتنع ان يسمى تارك النفل عاصيا كما يسمى بذلك تارك الواجب يقولون فلان أمرته بكذا وكذا من الخير فعصاني وخالفني وان لم يكن ذلك واجبا ولا شبهة ان لفظة غوى يحتمل الخيبة قال الشاعر

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

ويجوز ان يكون معناه فخاب مما كان يطمع فيه بأكل الشجرة من الخلود (ثم اجتباه ربه) اي اصطفاه الله تعالى واختاره للرسالة (فتاب عليه وهدى) اي قبل توبته وهداه إلى ذكره وقيل هداه للكلمات التي تلقاها منه (قال اهبطا منها جميعاً) يعني آدم وحواء (بعضكم لبعض عدو فأما يأتينكم مني هدى) قد فسرنا جميعها في سورة البقرة (فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى) اي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة قال ابن عباس ضمن الله سبحانه لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ثم قرأ هذه الآية (ومن اعرض عن ذكري) اي ومن اعرض عن القرآن وعن الدلائل التي انزلها الله تعالى لعباده وصدف عنها ولم ينظر فيها (فإن له معيشة ضنكا) اي عيشا ضيقا عن مجاهد وقتادة والجبائي وهو ان يقتر الله عليه الرزق عقوبة له على اعراضه فإن وسع عليه فإنه يضيق عليه المعيشة بأن يمسكه ولا ينفقه على نفسه وإن انفقه فإن الحرص على الجمع وزيادة الطلب يضيق المعيشة عليه وقيل هو عذاب القبر عن ابن مسعود وابي سعيد الخدري والسدي ورواه ابو هريرة مرفوعاً وقيل هو طعام الضريع والزقوم في جهنم لأن مآله اليها وان كان في سعة من الدنيا عن الحسن وابن زيد وقيل معناه ان يكون عيشه منغصا بان ينفق انفاق من لا يوقن بالخلف عن ابن عباس وقيل هو الحرام في الدنيا الذي يؤدي الى النار عن عكرمة والضحاك وقيل عيشا ضيقا في الدنيا لقصرها وسائر ما يشوبها ويكدرها وإنما العيش الرغد في الجنة عن ابي مسلم (ونحشره يوم القيامة اعمى) اي اعمى البصر عن ابن عباس وقيل اعمى عن الحجة عن مجاهد يعني انه لا حجة له يهتدي اليها والأول هو الوجه لأنه الظاهر ولا مانع منه ويدل عليه قوله (قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا) قال الفراء يقال انه يخرج من قبره بصيرا فيعمى في حشره وقد روى معاوية بن عمار قال سألت ابا عبد الله (ع) عن رجل لم يحج وله مال قال هو ممن قال الله ونحشره يوم القيامة أعمى فقلت سبحان الله اعمى قال اعماه الله عن طريق الحق فهذا يطابق قول من قال ان المعنى في الآية اعمى عن جهات الخير لا يهتدي لشيء منها

قوله تعالى (١٢٦) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ (١٢٧) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ (١٢٨) أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ (١٢٩) وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى (١٣٠) فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ الكسائي وابو بكر ترضى بضم التاء والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

حجة من فتح التاء قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وحجة من ضم التاء انه جاء في صفة بعض الانبياء وكان عند ربه مرضيا وكان معنى ترضى لفعلك ما أمرت به من الافعال التي يرضاها الله او ترضى بما تعطاه من الدرجة الرفيعة وترضى بما يعطيكه الله من الدرجة العالية والرتبة المرضية

﴿ اللغة ﴾

آناء الليل ساعاته واحدها اني قال السعيدي

حلو ومر لعطف القدح مرته بكل اني حذاء الليل ينتعل

﴿ الاعراب ﴾

افلم يهد لهم فاعل يهد مضمر يفسره كم اهلكنا والمعنى افلم يهدلهم اهلاكنا من قبلهم من القرون وموضع كم نصب باهلكنا

﴿ المعنى ﴾

(قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها) هذا جواب من الله سبحانه لمن يقول لم حشرتني اعمى ومعناه كما حشرناك اعمى جاءك محمد ﷺ والقرآن والدلائل فاعرضت عنها وتعرضت لنسيانها فإن النسيان ليس من فعل الانسان فيتوعد عليه (وكذلك اليوم تنسى) اي تصير بمنزلة من ترك كالمنسي بعذاب لا يفنى وقيل معناه كما حشرتك اعمى لتكون فضيحة كنت اعمى القلب فتركت آياتي ولم تنظر فيها وكما تركت أوامرنا فجعلتها كالشيء المنسي تترك اليوم في العذاب كالشيء المنسي (وكذلك نجزي من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه) اي وكما ذكرنا نجزي من اشرك وجاوز الحد في العصيان ولم يؤمن بآيات ربه اي لم يصدق بحجج ربه وكتبه ورسله (ولعذاب الآخرة أشد) من عذاب الدنيا وعذاب القبر (وابقى) اي ادوم لأنه لا يزول وعذاب الدنيا وعذاب القبر يزول (أفلم يهد لهم كم اهلنا قبلهم من القرون) يعني كفار مكة والمعنى أفلم يبين لهم طريق الاعتبار كثرة اهلاكنا القرون قبلهم بتكذيبهم رسلنا فيعتبروا ويؤمنوا وقوله (يمشون في مساكنهم) يريد أهل مكة كانوا يتجرون الى الشام فيمرون بمساكن عاد وثمود ويرون علامات الاهلاك وفي هذا تنبيه لهم وتخويف اي افلا يخافون ان يقع بهم مثل ما وقع بأولئك (ان في ذلك) اي في اهلاكنا اياهم (لآيات) اي لعبرا ودلالات (لأولي النهى) اي لذوي العقول الذين يتدبرون في احوالهم (ولولا كلمة سبقت من ربك) في تأخير العذاب عن هؤلاء الكفار إلى يوم القيامة وهو قوله (لكان لزاماً وأجل مسمى) اي لكان العذاب لزاما لهم واقعا في الحال واللزام مصدر وصف به قال قتادة الاجل المسمى قيام الساعة وقال غيره هو الاجل الذي كتبه الله للانسان انه يبقيه اليه وقيل ان عذاب اللزام كان يوم بدر قتل الله فيه رؤس الكفار ولولا ما قدر الله تعالى من آجال الباقين ووعدهم من عذاب الآخرة لكان ذلك القتل الذي نالهم يوم بدر لازما لهم ابدا في سائر الازمان ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ بالصبر على اذاهم بأن قال (فاصبر على ما يقولون) من تكذيبك واذاهم إياك (وسبح بحمد ربك) اي صل لربك بالحمد له والثناء عليه وقيل معناه سبحه واحمده في هذه الاوقات (قبل طلوع الشمس) يعني صلاة الفجر (وقبل غروبها) يعني صلاة العصر (ومن آناء الليل) اي ساعاته قال ابن عباس هي صلاة الليل كله وقيل يريد أول الليل المغرب والعشاء الآخرة فسبح واطراف النهار) يعني الظهر وسمي وقت صلاة الظهر اطراف النهار لأن وقته

عند الزوال وهو طرف النصف الاول وطرف النصف الثاني وهذا قول قتادة والجبائي ومن حمل التسبيح على الظاهر قال أراد بذلك المداومة على التسبيح والتحميد في عموم الأوقات (لعلك ترضى) بالشفاعة والدرجة الرفيعة وقيل بجميع ما وعدك الله به من النصر واعزاز الدين في الدنيا والشفاعة والجنة في الآخرة

قوله تعالى (١٣١) وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٣٢) وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ (١٣٣) وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ (١٣٤) وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ (١٣٥) قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ خمس آيات

(القراءة)

قرأ يعقوب وسهل زهرة بفتح الهاء والباقون بسكونها وقرأ أهل المدينة والبصرة وقتيبة وحفص أولم تأتهم بالتاء والباقون بالياء

(اللغة)

زهرة الحياة الدنيا حسنها ويجوز فتح العين فيها والزهرة النور الذي يروق عند الرؤية ومنه يقال لكل شيء مستنير زاهر ومنه الحديث في صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ازهر اللون اي نير اللون والزهروان البقرة وآل عمران ويوم الجمعة يوم ازهر

الاعراب

قال الزجاج زهرة منصوب بمعنى متعنا لأن معناه جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة لنفتنهم فيه اي لنجعل ذلك فتنة لهم ويجوز ان يكون حالا من الهاء في به ويجوز ان يكون حالا من ما متعنا به • ولو انا اهلكناهم تقديره ولو ثبت اهلاكهم لأن لو يقتضي الفعل فيكون انا اهلكناهم في موضع رفع بأنه فاعل الفعل المقدر ومن اصحاب الصراط السوي تعلق بقوله فستعلمون وهو مبتدأ وخبر وكذلك من اهتدى

النزول

قال ابو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضيف فبعثني الى يهودي فقال قل ان رسول الله يقول بعني كذا وكذا من الدقيق او اسلفني الى هلال رجب فاتيته فقلت له فقال والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرته فقال والله لو باعني او اسلفني لقضيته وإني لأمين في السماء وأمين في الارض اذهب بدرعي الحديد اليه فنزلت هذه الآية تسلية له عن الدنيا

المعنى

(ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به ازواجا منهم) وقد فسرناه في سورة الحجر وقال ابي بن كعب في هذه الآية من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات على الدنيا ومن يتبع بصره ما في ايدي الناس يطل حزنه ولا يشفي غيظه ومن لم ير لله عليه نعمة إلا في مطعمه ومشربه نقص علمه ودنا عذابه وروى اصحابنا عن ابي عبد الله (ع) انه قال لما نزلت هذه الآية استوى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالسا ثم قال هذه الكلمات التي تقدمت (زهرة الحياة

الدنيا) اي بهجتها ونضارتها وما يروق الناظر عند الرؤية وقال ابن عباس وقتادة زينة الحياة الدنيا (لنفتنهم فيه) اي لنعاملهم معاملة المختبر بشدة التعبد في العمل بالحق في هذه الامور واداء الحقوق عنه وقيل لنفتنهم اي لنشدد عليهم التعبد بان نكلفهم متابعتك والطاعة لك مع كثرة اموالهم وقلة مالك وقيل معناه لنعذبهم به لأن الله قد يوسع الرزق على بعض أهل الدنيا تعذيبا له ولذلك قال (ع) لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى منها كافراً شربة ماء (ورزق ربك خير) اي ورزق ربك الذي وعدك به في الآخرة خير مما متعنا به هؤلاء في الدنيا (وابقى) اي ادوم (وامر أهلك بالصلاة) معناه وامر يا محمد اهل بيتك وأهل دينك بالصلاة روى ابو سعيد الخدري قال لما نزلت هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي باب فاطمة وعلي تسعة اشهر عند كل صلاة فيقول الصلاة رحمكم الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا ورواه ابن عقدة بأسناده من طرق كثيرة عن أهل البيت (ع) وعن غيرهم مثل ابي برزة وابي رافع وقال ابو جعفر «ع» أمره الله تعالى ان يخص اهله دون الناس ليعلم الناس أن لأهله عند الله منزلة ليست للناس فأمرهم مع الناس عامة ثم امرهم خاصة (واصطبر عليها) اي واصبر على فعلها وعلى امرهم بها (لا نسئلك رزقا) لخلقنا ولا لنفسك بل كلفناك العبادة وأداء الرسالة وضمنا رزق الجميع (نحن نرزقك) الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به جميع الخلق اي نرزق جميعهم ولا نسترزقهم وننفعهم ولا ننتفع بهم فيكون ابلغ في الامتنان عليهم (والعاقبة للتقوى) اي العاقبة المحمودة لأهل التقوى قال ابن عباس يريد الذين صدقوك واتبعوك واتقوني وفي الاثر ان عروة الزبير كان إذا رأى ما عند السلطان دخل بيته وقرأ ولا تمدن عينيك الآيات ثم ينادي الصلاة الصلاة رحمكم الله (وقالوا) يعني الكفار (لولا يأتنا) محمد صلى الله عليه وآله وسلم (بآية من ربه) اقترحناها عليه كما اتى به الأنبياء نحو الناقة (او لم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى) اي أو لم يأتهم في القرآن بيان ما في الكتب الاولى من انباء الامم التي اهلكناهم لما اقترحوا الآيات ثم كفروا بها فماذا يؤمنهم ان يكون حالهم في سؤال الآية كحال أولئك (ولو انا اهلكناهم) يعني كفار قريش (بعذاب من قبله) اي من قبل بعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونزول القرآن (لقالوا) يوم القيامة « ربنا لولا ارسلت الينا » اي هلا ارسلت « رسولا » يدعونا إلى طاعتك ويرشدنا إلى دينك (فنتبع آياتك) اي نعمل بما فيها (من قبل ان نذل) بالعذاب (ونخزى) في جهنم وقيل من قبل ان نذل في الدنيا بالقتل والأسر ونخزى في الآخرة بالعذاب فقطعنا عذرهم بارسال الرسول فلم يبق لهم متعلق ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (قل) يامحمد (كل متربص) اي كل واحد منا ومنكم منتظر فنحن ننتظر وعد الله لنا فيكم وانتم تتربصون بنا الدوائر (فتربصوا) انتم اي انتظروا وهذا على وجه التهديد (فستعلمون) اي فسوف تعلمون فيما بعد (من اصحاب الصراط السوي) اي اهل الدين المستقيم (ومن اهتدى) إلى طريق الحق اي انحن ام أنتم وفي قوله سبحانه ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله الآية دلالة على وجوب اللطف لأنه سبحانه بين انه إنما بعث الرسول اليهم لطفا لهم وأنه لو لم يبعثه لكان لهم الحجة عليه فكان في البعثة قطع العذر وإزاحة العلة وبالله التوفيق

(سورة الانبياء)

مكية كلها وهي مائة واثنتا عشرة آية كوفي واحدى عشرة آية في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

آية واحدة مالاينفعكم شيئاً ولا يضركم كوفي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ سورة الانبياء حاسبه الله حساباً يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبي ذكر اسمه في القرآن وقال ابو عبد الله «ع» من قرأ سورة الانبياء حبا لها كان ممن رافق النبيين اجمعين في جنات النعيم وكان مهيباً في اعين الناس حياة الدنيا

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه سورة طه بذكر الوعيد وافتتح هذه السورة بذكر القيامة فقال

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ (٢) مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٣) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٤) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٥) بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ ٱفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي وحفص قال ربي بالالف والباقون قل ربي

﴿ الحجة ﴾

من قرأ قال فإنه على اضافة القول إلى الرسول والخبر عنه ومن قرأ قل فانه على الخطاب

﴿ الاعراب ﴾

من ذكر في موضع رفع ومن مزيدة . من ربهم صفة لذكر فيجوز ان يكون في موضع جر على لفظه ويجوز ان يكون في موضع رفع على محل الجار والمجرور . استمعوه في محل النصب على الحال باضمار قد وتقديره ما يأتيهم ذكر رباني إلا مستمعاً . وهم يلعبون حال من الواو في استمعوه . لاهية قلوبهم حال من الواو في يلعبون وان شئت كان حالا بعد حال وقوله واسروا النجوى الذين ظلموا موضع الذين ظلموا يجوز ان يكون رفعاً على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان يكون على البدل من الواو في اسروا ﴿ والثاني ﴾ ان يكون مرفوعاً على الذم فيكون خبر مبتدأ محذوف أي هم الذين ظلموا ﴿ والثالث ﴾ ان يكون فاعل اسروا على لغة من يقول أكلوني البراغيث وتكون الواو في اسروا حرفاً لعلامة الجمع كالتاء في قالت ولا يكون اسماً ويجوز ان يكون في موضع نصب على الذم باضمار اعني

﴿ المعنى ﴾

(اقترب للناس حسابهم) اقترب افتعل من القرب والمعنى اقترب للناس وقت حسابهم يعني القيامة كما قال

اقتربت الساعة أي دنا وقت محاسبة الله اياهم ومسألتهم عن نعمه هل قابلوها بالشكر وعن اوامره هل امتثلوها وعن نواهيه هل اجتنبوها وانما وصف ذلك بالقرب لأنه آت وكل ما هو آت قريب ولأن احد اشراط الساعة مبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد قال بعثت أنا والساعة كهاتين وايضاً فإن الزمان يقرب بكثرة ما مضى وقلة ما بقي فيكون يسيراً بالاضافة إلى ما مضى (وهم في غفلة) من دنوها وكونها (معرضون) عن التفكر فيها والتأهب لها وقيل عن الإيمان بها وتضمنت الآية الحث على الاستعداد ليوم القيامة (ما يأتيهم من ذكر من ربهم) يعني القرآن (محدث) اي محدث التنزيل مبتدأ التلاوة كنزول سورة بعد سورة وآية بعد آية (إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم) أي لم يستمعوه استماع نظر وتدبر وقبول وتفكر وإنما استمعوه استماع لعب واستهزاء وقال ابن عباس معناه يستمعون القرآن مستهزئين غافلة قلوبهم عما يراد بهم (وأسروا النجوى) أي تناجوا فيما بينهم يعني المشركين ثم بين من هم فقال (الذين ظلموا) أي اشركوا بالله ثم بين سبحانه سرهم الذي تناجوا به فقال (هل هذا الا بشر مثلكم) اي انه آدمي مثلكم ليس مثل الملائكة (أفتأتون السحر وانتم تبصرون) أي أفتقبلون السحر وانتم تعلمون انه سحر نفروا الناس عنه بشيئين * أحدهما * انه بشر * والآخر * انما أتى به سحر وقيل ان اسروا معناه اظهروا هذا القول فان هذا اللفظ مشترك بين الاخفاء والاظهار والأول اصح ثم امر سبحانه نبيه فقال (قل) يا محمد (ربي) الذي خلقني واصطفاني (يعلم القول في السماء والأرض) أي يعلم اسرار المتناجين لا يخفى عليه شيء من ذلك (وهو السميع) لأقوالهم (العليم) بأفعالهم وضمائرهم (بل قالوا اضغاث احلام) بل للاضراب عما حكى سبحانه انهم قالوه اولا وللاخبار عما قالوه ثانياً اي قالوا ان القرآن تخاليط احلام رآها في المنام عن قتادة (بل افتراه) أي ثم قالوا لا بل افتراه اي تخرصه وافتعله (بل هو شاعر) أي ثم قالوا بل هو شاعر وهذا قول المتحير الذي بهره ما سمع فمرة يقول سحر ومرة يقول شعر ومرة يقول حلم ولا يجزم على امر واحد وهذه مناقضة ظاهرة (فليأتنا بآية كما ارسل الأولون) معناه فليأتنا بآية ظاهرة يستدر كها الخاص والعام كما اتى بها الاولون من الأنبياء قال ابن عباس بآية مثل الناقة والعصا وقال الزجاج اقترحوا بالآيات التي لا يكون معها امهال وفي قوله سبحانه ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث دلالة ظاهرة على ان القرآن محدث لأنه تعالى أراد بالذكر القرآن بدلالة قوله وهذا ذكر مبارك أنزلناه وقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقد وصفه بأنه محدث ويوضحه قوله الا استمعوه

قوله تعالى (٦) مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ (٧) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٨) وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ (٩) ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ (١٠) لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ نوحي بالنون حفص عن عاصم والباقون يوحي وقد تقدم ذكره في سورة يوسف (ع)

الاعراب

اهلكناها في موضع الجر لأنه صفة قرية جسدا واحد بمعنى الجمع أي وما جعلناهم اجسادا بمعنى ذوي اجساد ولذلك قال لا يأكلون وتقديره غير آكلين الطعام ومن نشاء في موضع نصب عطفا على هم من قوله فأنجيناهم

المعنى

لما تقدمت الحكاية عن الكفار بأنهم اقترحوا الآيات قال سبحانه مجيبا لهم (ما آمنت قبلهم من قرية

أهلكناها) أي لم يؤمن قبل هؤلاء الكفار من أهل قرية جاءتهم الآيات التي طلبوها فأهلكناهم مصرين على الكفر (أفهم يؤمنون) عند مجيئها هذا اخبار عن حالهم وان سبيلهم سبيل من تقدم من الأمم طلبوا الآيات فلم يؤمنوا بها واهلكوا فهؤلاء ايضا لو أتاهم ما اقترحوه لم يؤمنوا ولاستحقوا عذاب الاستئصال وقد حكم سبحانه في هذه الآية ان لا يعذبهم عذاب الاستئصال فلذلك لم يجبهم في ذلك وقيل ما حكم الله سبحانه بهلاك قرية الاوفي المعلوم انهم لا يؤمنون فلذلك لم يأت هؤلاء بالآيات المقترحة (وما أرسلنا قبلك) يا محمد (إلا رجالا) هذا جواب لقولهم وما هذا إلا بشر مثلكم والمعنى لم نرسل قبلك يا محمد إلا رجالا من بني آدم (نوحي اليهم) لاملائكة لأن الشكل الى الشكل أميل وبها آنس وعنه افهم ومن الانفة منه ابعد (فسئلوا أهل الذكر ان إن كنتم لا تعلمون) اختلف في المعنى باهل الذكر على اقوال فروى عن علي (ع) انه قال نحن أهل الذكر وروى ذلك عن ابي جعفر (ع) ويعضده أن الله تعالى سمى النبي ﷺ ذكرا رسولا في قوله ذكرا رسولا وقيل أهل الذكر أهل التوراة والإنجيل عن الحسن وقتادة وقيل هم اهل العلم باخبار من مضى من الامم وقيل هم اهل القرآن والذكر هو القرآن وهم العلماء بالقرآن عن ابن زيد (وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانو خالدين) اي باقين لا يموتون هذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق ومعناه وما جعلنا الانبياء قبلك اجسادا لا يأكلون الطعام ولا يموتون حتى يكون اكلك الطعام وشربك وموتك علة في ترك الإيمان بك فإنا لم نخرجهم عن حد البشرية بالوحي قال الكلبي الجسد المجسد الذى فيه الروح ويأكل ويشرب فعلى هذا يكون ما يأكل ويشرب جسما وقال مجاهد الجسد ما لا يأكل ولا يشرب فعلى هذا يكون ما يأكل ويشرب نفسا (ثم صدقناهم الوعد) اي صدقناهم الوعد بأن العاقبة الحميدة تكون لهم ومعناه انجزنا ما اوعدناهم به من النصر والنجاة والظهور على الاعداء وما وعدناهم به من الثواب (فأنجيناهم ومن نشاء) اي فأنجيناهم من اعدائهم وانجينا معهم من نشاء من المؤمنين بهم (واهلكنا المسرفين) على انفسهم بتكذيبهم الأنبياء قال قتادة المسرفين هم المشركون وهذا تخويف لكفار مكة ثم ذكر نعمته عليهم بانزال القرآن فقال (لقد انزلنا اليكم) يا معشر قريش (كتابا فيه ذكركم) أي فيه شرفكم ان تمسكتم به كقوله وانه لذكر لك ولقومك وقيل هو خطاب للعرب لأنه انزل القرآن بلغتهم وقيل هو خطاب لجميع المؤمنين لأن فيه شرفا للمؤمنين كلهم وقيل ان معناه فيه ذكر ما تحتاجون اليه من امر دينكم ودنياكم عن الحسن وقيل فيه ذكر مكارم الاخلاق ومحاسن الأفعال لتتمسكوا بها (أفلا تعقلون) ما فضلتم به على غيركم وقيل معناه أفلا تتدبرون فتعلمون ان الأمر على ما قلناه

قوله تعالى (١١) وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهَا قَوْمًا آخَرِينَ (١٢) فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (١٣) لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ (١٤) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (١٥) فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ (١٦) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٧) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (١٨) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (١٩) وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (٢٠) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ عشر آيات

﴿ اللغة ﴾

القصم الكسر يقال قصمه يقصمه وهو قاصم الجبابرة والانشاء الايجاد ونظيره الاختراع والابداع والركض العدو بشدة الوطئ وركض دابته ضربها برجله حتى تعدو وارتكاض الصبي اضطرابه في الرحم والترفه النعمة والمترفه المتنعم والزاهق من الاضداد يقال للهالك زاهق وللسمين من الدواب زاهق وزهقت نفسه تزهق زهوقاً أي تلفت والدمغ شج الرأس حتى يبلغ الدماغ يقال دمغه يدمغه إذا أصاب دماغه ومنه في صفة النبي ﷺ الدامغ جيشات الاباطيل والاستحسار الانقطاع من الاعياء يقال بعير حسير أي معي وأصله من قولهم حسر عن ذراعيه فالمعنى انه كشف قوته باعياء وجمال حسري قال علقمة بن عبدة

بها جيف الحسري فأما عظامها ... فبيض وأما جلدها فصليب

﴿ الإعراب ﴾

كم في موضع نصب بأنه مفعول قصمنا ومن قرية في موضع نصب على التمييز ويجوز ان يكون صفة لكم والتقدير كثيراً من القرى قصمنا. إذا ظرف مكان العامل فيه يركضون وتلك في موضع رفع اسم زالت ودعواهم في موضع نصب خبر زالت وجائز ان يكون دعواهم اسما وتلك خبراً. ان كنا فاعلين أي ما كنا فاعلين ويجوز ان تكون ان للشرط أي ان كنا ممن يفعل ذلك ولسنا ممن يفعله اتخذناه من لدنا ومن عنده مبتدأ ولا يستكبرون خبره ويجوز ان يكون ومن عنده معطوفاً على من في السموات فيكون لا يستكبرون في موضع الحال فالمعنى غير مستكبرين وكذا لا يستحسرون ويسبحون ولا يفترون كلها أحوال على هذا

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما فعله بالمكذبين فقال (وكم قصمنا) أي أهلكنا (من قرية) عن مجاهد والسدي وقيل عذبنا عن الكلبي (كانت ظالمة) أي كافرة يعني أهلها (وأنشأنا) أي اوجدنا (بعدها) أي بعد اهلاك أهلها (قوماً آخرين فلما أحسوا) أي فلما أدركوا بحواسهم (بأسنا) أي عذابنا (إذا هم منها يركضون) معناه إذا هم من القرية أو من العقوبة يهربون سراعاً هرب المنهزم من عدوه (لا تركضوا) أي يقال لهم تقريعاً وتوبيخاً لا تهربوا (وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم) أي وارجعوا إلى ما نعمتم فيه وإلى مساكنكم التي كفرتم وظلمتم فيها وقيل انهم لما أخذتهم السيوف انهزموا مسرعين فقالت لهم الملائكة بحيث سمعوا النداء لا تركضوا وارجعوا إلى ما خولتم ونعمتم فيه وارجعوا إلى مساكنكم وقال ابن قتيبة معناه إلى نعمكم التي اترفتكم ومساكنكم لعلكم تسألون شيئا من دنياكم والمعنى ان الملائكة استهزأت بهم فقالت لهم ارجعوا إلى نعمكم ومساكنكم (لعلكم تسألون) شيئا من دنياكم فإنكم أهل ثروة ونعمة يقولون ذلك استهزاء بهم هذا قول قتادة وقيل لعلكم تسألون أي يسألكم رسولكم أن تؤمنوا كما سئل قبل نزول العذاب بكم وهذا استهزاء بهم ايضا أي لا سبيل إلى هذا فتدبروا الأمر قبل حلوله وقيل لكي تسألوا عن أعمالكم وعن تنعمكم في الدنيا بغير الحق وعما استحققتم به العذاب عن الجبائي وأبي مسلم (قالوا) على سبيل التندم لما رأوا العذاب (ياويلنا إنا كنا ظالمين) لأنفسنا حيث كذبنا رسل ربنا والمعنى انهم اعترفوا بالذنب حين عاينوا العذاب والويل الوقوع في الهلكة (فما زالت تلك دعواهم) أي لم يزالوا يقولون ياويلنا وتلك دعواهم (حتى جعلناهم حصيدا) اي محصودا مقطوعا (خامدين) ساكني الحركات ميتين كما تخمد النار إذا انطفأت والمعنى استأصلناهم بالعذاب وأهلكناهم عن الحسن وقيل بالسيف وهو قتل بخت نصر لهم عن مجاهد وقيل نزلت في قرية باليمن قتلوا نبيا لهم يقال له حنظلة فسلط الله عليهم بخت نصر حتى قتلهم وسباهم ونكأ فيهم حتى خرجوا من ديارهم منهزمين فبعث الله ملائكة حتى ردوهم إلى مساكنهم فقتل صغارهم وكبارهم حتى لم يبق لهم اسم ولا رسم (وما خلقنا السماء

والأرض وما بينهما لاعبين) بل خلقناهما لغرض صحيح وهو أن يكون دلالة ونعمة وتعريضا للثواب (لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا) اللهو المرأة عن الحسن ومجاهد وقيل هو الولد عن ابن عباس وقيل معناه اللهو الذي هو داعي الهوى ونازع الشهوة والمعنى لو اتخذنا نساء او ولدا لاتخذناه من اهل السماء ولم نتخذه من أهل الأرض يريد لو كان ذلك جائزا عليه لم يتخذه بحيث يظهر لهم ويستر ذلك حتى لا يطلعوا عليه وقد احسن ابن قتيبة في شرح اللهو هنا فقال التفسيران في اللهو متقاربان لأن امرأة الرجل لهوه وولده لهوه ولذلك يقال امرأة الرجل وولده ريحانتاه وأصل اللهو الجماع كنى عنه باللهو كما كنى عنه بالسر ثم قيل للمرأة لهو لانها تجامع قال امرؤ القيس .

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وأن لا يحسن اللهو امثالي

وتأويل الآية أن النصارى لما قالت في المسيح وامه ما قالت قال الله عز وجل لو أردنا أن نتخذ صاحبة وولدا كما تقولون لاتخذنا ذلك من عندنا ولم نتخذ من عندكم لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره (إن كنا فاعلين) أي ما كنا فاعلين عن قتادة ومجاهد وابن جريج وقيل معناه إن كنا فاعلين ذلك لاتخذناه من عندنا بحيث لا يصل علمه اليكم عن الجبائي (بل نقذف بالحق على الباطل) معناه بل نورد الأدلة القاهرة على الباطل وقيل نرمي بالحجة على الشبهة وقيل بالإيمان على الكفر (فيدمغه) أي يعلوه ويبطله وقيل يهلكه (فإذا هو زاهق) أي هالك مضمحل عن قتادة وتأويله أن الله سبحانه يظهر الحق بأدلته ويبطل الباطل فكيف يفعل الباطل واللعب (ولكم الويل مما تصفون) أي الهلاك لكم يامعشر الكفار ماتصفون الله تعالى به من اتخاذ الصاحبة والولد (وله من في السماوات والأرض) ملكا وملكا وخلقا وهذا رد ايضا على من اثبت له الولد والشريك أي وكيف يجوز عليه اتخاذ الشريك والولد (ومن عنده) يعني الملائكة الذين لهم عند الله تعالى المنزلة كما يقال عند الأمير كذا وكذا من الجند وان كانوا متفرقين في الأماكن ولا يراد بذلك قرب المسافة (لا يستكبرون عن عبادته) أي لا يأنفون ولا يترفعون عن عبادته وأراد بذلك نفي النبوة عنهم لأن احدا لا يستعبد ابنه (ولا يستحسرون) أي لا يعيبون عن قتادة والسدي وقيل لا يملون عن ابن زيد وقيل لا ينقطعون مأخوذ من البعير الحسير المنقطع بالاعياء (يسبحون) أي ينزهون الله تعالى عن جميع مالايليق بصفاته على الدوام (الليل والنهار) أي في الليل والنهار (لا يفترون) أي لا يضعفون عنه قال كعب جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النفس في السهولة

﴿ النظم ﴾

اتصل قوله وله من في السماوات والأرض بما تقدم من ذكر هلاك الكفار فبين سبحانه انه لم يهلكهم إلا بالاستحقاق لأنه سبحانه تعالى خلقهم للعبادة فلما كفروا جازاهم بكفرهم ولولا ذلك لكان خلق السماوات والأرض وما بينهما لعبا لأن خلقها إنما هو لأجل المكلفين وخلق المكلف إنما هو لتعريض الثواب ووجه اتصال قوله من عنده لا يستكبرون عن عبادته بما قبله أن هؤلاء الذين وصفتموهم بأنهم بنات الله هم عبيد الله على اتم وجوه العبودية وذلك يحيل معنى الولادة لأن الولادة لا تكون إلا مع المجانسة

قوله تعالى (٢١) أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (٢٢) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٣) لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (٢٤) أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ

لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٥) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٦) وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (٢٧) لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٨) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٩) وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٣٠) أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ عشر آيات

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر الا نوحي بالنون والباقون يوحي وقرأ ابن كثير ألم يربغير واو وكذلك هو في مصاحف مكة والباقون أولم يروا بالواو وفي الشواذ قراءة الحسن وابن محيصن الحق بالرفع فهم معرضون وقراءة الحسن أيضا وعيسى الثقفي رتقا بفتح التاء

الحجة

وجه النون انه اشبه بما تقدم من قوله وما أرسلنا والياء في المعنى كالنون والوجه في قراءة الحسن الحق بالرفع الاستئناف فإن الوقف في هذه القراءة على قوله لا يعلمون والتقدير هذا الحق او هو الحق فيحذف المبتدأ ويوقف على الحق ثم يستأنف فيقال فهم معرضون لأن أكثرهم لا يعلمون والوجه في قوله رتقا بفتح التاء أنه قد كثر مجيء المصدر على فعل واسم المفعول منه على فعل مفتوح العين وذلك كالنقض والنفض والطرد والطرد فالرتق على هذا يكون للشيء المرتوق كما أن النفض المنفوض والهدم المهدوم فقراءة الجماعة رتقا بسكون التاء كأنه مما وضع من المصادر موضع اسم المفعول كالصيد بمعنى المصيد والخلق بمعنى المخلوق

الإعراب

ام اتخذوا ام هذه هي المنقطعة وليست المعادلة لهمزة الاستفهام في مثل قولك ازيد عندك أم عمرو وقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا إلا هذه صفة لآلهة وتقديره غيرالله • عما يفعل ما هذه الأجود أن تكون مصدرية ويحتمل أن تكون اسما

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى توبيخ المشركين فقال (أم اتخذوا آلهة من الأرض) هذا استفهام معناه الجحد أي لم يتخذوا آلهة من الأرض (هم ينشرون) أي يحيون الأموات عن مجاهد يقال أنشر الله الموتى فنشروا أي أحياهم فحيوا وهو من النشر بعد الطي لأن المحيا كأنه كان مطويا بالقبض عن الإدراك فانشر بالحياة والمعنى في ذلك أن هؤلاء إذا كانوا لا يقدرون على الأحياء الذي من قدر عليه قدر على أن ينعم بالنعم التي يستحق بها العبادة فكيف يستحقون العبادة قال الزجاج ومن قرأ ينشرون بفتح الياء فمعناه لا يموتون ابدا ويبقون احياء اي لا يكون ذلك وأقول قد يجوز أن يكون ينشرون وينشرون بمعنى يقال نشر الله الميت بمعنى أنشر ثم ذكر سبحانه الدلالة على توحيده وأنه لا يجوز أن يكون معه إله سواه فقال (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) ومعناه لو كان في السماء والأرض آلهة سوى الله لفسدتا وما استقامتا وفسد من فيهما ولم ينتظم أمرهم وهذا هو دليل التمانع الذي بني عليه المتكلمون مسألة التوحيد وتقرير ذلك انه لو كان مع الله سبحانه إله آخر لكانا قديمين والقدم من اخص

الصفات فالاشتراك فيه يوجب التماثل فيجب أن يكونا قادرين عالمين حيين ومن حق كل قادرين أن يصح كون احدهما مريدا لضد ما يريده الآخر من اماتة واحياء او تحريك وتسكين او افقار واغناء ونحو ذلك فإذا فرضنا ذلك فلا يخلو إما أن يحصل مرادهما وذلك محال واما أن لا يحصل مرادهما فينتقض كونهما قادرين واما أن يقع مراد احدهما ولا يقع مراد الآخر فينتقض كون من لم يقع مراده من غير وجه منع معقول قادرا فاذا لا يجوز أن يكون الإله إلا واحدا ولو قيل إنهما لا يتمانعان لان مايريده احدهما يكون حكمة فيريده الآخر بعينه والجواب ان كلامنا في صحة التمانع لا في وقوع التمانع وصحة التمانع يكفي في الدلالة لانه يدل على انه لا بد من أن يكون احدهما متناهي المقدور فلا يجوز أن يكون إلها ثم نزه سبحانه نفسه عن أن يكون معه إله فقال (سبحان الله رب العرش عما يصفون) وإنما خص العرش لأنه اعظم المخلوقات ومن قدر على اعظم المخلوقات كان قادرا على ما دونه (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) معناه أن جميع افعاله حكمة وصواب ولا يقال للحكيم لم فعلت الصواب وهم يسألون لأنهم يفعلون الحق والباطل وقيل معناه انه لا يسأل عن ادعاء الربوبية وهم مسؤولون إذا ادعوها ويدل على هذا التأويل النظم والسياق وقيل معناه لا يحاسب على افعاله وهم يحاسبون على افعالهم وقيل معناه انه لا يسأله الملائكة والمسيح عن فعله وهو يسألهم ويجازيهم فلو كانوا آلهة لم يسألوا عن افعالهم (أم اتخذوا من دونه آلهة) وهذا استفهام انكار وتوبيخ ايضا (قل هاتوا برهانكم) اي قل لهم يامحمد هاتوا حجتكم على صحة مافعلتموه لأنهم لا يقدرون على ذلك ابدا وفي هذا دلالة على فساد التقليد لأنه طالبهم بالحجة على صحة قولهم والبرهان هو الدليل المؤدي إلى العلم (هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) اي وقل لهم يامحمد هذا القرآن ذكر من معي بما يلزمهم من الأحكام وذكر من قبلي من الأمم ممن نجا بالإيمان او هلك بالكفر عن قتادة وقيل هذا ذكر من معي بالحق في اخلاص الالهية والتوحيد في القرآن وعلى هذا ذكر من قبلي في التوراة والانجيل عن الجبائي . قال لان القرآن ذكر آتاه الله ومن معه والتوراة والانجيل ذكر تلك الأمم وقال ابو عبد الله (ع) يعني بذكر من معي من معه وما هو كائن وبذكر من قبلي ما قد كان وقيل ان معناه في القرآن خبر من معي على ديني ممن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وذكر ما أنزل الله من الكتب قبلي فانظروا هل في واحد من الكتب ان الله أمر باتخاذ إله سواه فبطل بهذا البيان جواز اتخاذ معبود سواه من حيث الأمر به وقال الزجاج قل لهم هاتوا برهانكم بأن رسولا من الرسل أتى أمته بأن لهم إلها غير الله فهل في ذكر من معي وذكر من قبلي إلا توحيد الله ويدل على صحة هذا قوله فيما بعد وما ارسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه انه لا إله إلا أنا فاعبدون فلما توجهت الحجة عليهم ذمهم سبحانه على جهلهم بمواضع الحق فقال (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) عن التأمل والتفكر واختص الأكثر منهم لأن فيهم من آمن (وما ارسلنا من قبلك) يا محمد (من رسول) اي رسولا ومن مزيدة (إلا نوحي اليه) نحن او يوحى اليه اي يوحي الله اليه (بأنه لا إله) اي لا معبود على الحقيقة (إلا أنا فاعبدون) اي فوجهوا العبادة إلي دون غيري (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعني من الملائكة (سبحانه) نزه نفسه عن ذلك لأن اتخاذ الولد لايخلو أما أن يكون على سبيل التوالد اوعلى سبيل التبني وكلاهما لا يجوز عليه لأن الأول يقتضي ان يكون من قبيل الاجسام والثاني وهو التبني يكون بأن يقيم غير ولده مقام ولده وإذا كان حقيقة الولد مستحيلا منه فالمشبه به كذلك وليس ذلك كالخلة لأنه من الاختصاص وحقيقته جائزة عليه (بل عباد مكرمون) اي ليسوا اولاد الله كما يزعمون بل هم عباد مكرمون اكرمهم الله واصطفاهم (لا يسبقونه بالقول) اي لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم فكل اقوالهم طاعة لربهم وناهيك بذلك جلالة قدرهم (وهم بأمره يعملون) ومن كان بهذه الصفة لا يوصف بأنه ولده (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) اي ما قدموا من اعمالهم وما أخروا منها يعني ماعملوا وما هم عاملون (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) الله دينه وقال مجاهد إلا لمن رضي الله عنه وقيل انهم أهل شهادة أن لا إله إلا الله عن ابن

عباس وقيل هم المؤمنون المستحقون للثواب وحقيقته انهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى الله ان يشفع فيه فيكون في معنى قوله من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه (وهم من خشيته) اي من خشيتهم منه فأضيف المصدر إلى المفعول (مشفقون)خائفون وجلون من التقصير في عبادته (ومن يقل منهم إني إله من دونه) اي من يقل من هؤلاء الملائكة اني إله تحق لي العبادة من دون الله (فذلك) اي فذلك القائل (نجزيه جهنم) يعني إن حالهم مثل حال سائر العبيد في استحقاق الوعيد وقيل انه عنى به إبليس لأنه الذي دعا الناس إلى عبادته عن ابن جريج وقتادة وقيل إن هذا لا يصح لأن الله سبحانه علق الوعيد بالشرط ولأن إبليس ليس من الملائكة عند الاكثرين (كذلك نجزي الظالمين) يعني المشركين الذين يصفون الله بما لا يليق به وفي هذه الآية دلالة على ان الملائكة ليسوا مطبوعين على الطاعات على ما قاله بعضهم وانهم مكلفون (أو لم ير الذين كفروا) استفهام يراد به التقريع والمعنى أو لم يعلموا انه سبحانه الذي يفعل هذه الاشياء ولا يقدر عليها غيره فهو الإله المستحق للعبادة دون غيره (أن السماوات والارض كانتا رتقا ففتقناهما) تقديره كانتا ذواتي رتق فجعلناهما ذواتي فتق والمعنى كانتا ملتزقتين منسدتين ففصلنا بينهما بالهواء عن ابن عباس والحسن والضحاك وعطا وقتادة وقيل كانت السماوات مرتتقة مطبقة ففتقناها سبع سماوات وكانت الأرض كذلك ففتقناها سبع ارضين عن مجاهد والسدي وقيل كانت السماء رتقا لا تمطر وكانت الأرض رتقا لا تنبت ففتقنا السماء بالمطر والأرض بالنبات عن عكرمة وعطية وابن زيد وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله «ع» (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي وأحيينا بالماء الذي ننزله من السماء كل شيء حي وقيل وخلقنا من النطفة كل مخلوق حي عن ابي العالية والأول اصح وروى العياشي باسناده عن الحسن بن علوان قال سئل ابو عبد الله «ع» عن طعم الماء فقال له سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً طعم الماء طعم الحياة قال الله سبحانه وجعلنا من الماء كل شيء حي وقيل معناه وجعلنا من الماء حياة كل ذي روح ونماء كل نام فيدخل فيه الحيوان والنبات والاشجار عن ابي مسلم (أفلا يؤمنون) أي أفلا يصدقون بالقرآن وبما يشاهدون من الدليل والبرهان

(النظم)

وجه اتصال الآية الأولى بما قبلها انه سبحانه قال فاسألوا أهل الذكر هل أرسلنا قبلك إلا رجالاً وهل اتخذوا آلهة من الأرض أي من الحجر والمدر والخشب فإن كله من الأرض عن ابي مسلم وقيل انه يتصل بقوله لو أردنا أن نتخذ لهوا والمعنى انهم اضافوا اليه الولد وأضافوا اليه الشريك ووجه اتصال قوله لا يسأل عما يفعل بما قبله انه لما بين التوحيد عطف عليه بيان العدل وقيل انه يتصل بقوله اقترب للناس حسابهم والحساب هو السؤال عما أنعم الله عليهم به وهل قابلوا نعمه بالشكر أم قابلوها بالكفر عن ابي مسلم ووجه اتصال قوله هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بما قبله أن ما قدمنا ذكره من التوحيد والعدل مذكور في القرآن وفي الكتب السالفة

قوله تعالى (٣١) وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣٢) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٣) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٣٤) وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٥) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ خمس آيات

﴿ اللغة ﴾

الرواسي الجبال ارست ترسو رسوا إذا ثبتت بثقلها فهي راسية كما ترسو السفينة إذا وقفت متمكنة في وقوفها والميد الاضطراب بالذهاب في الجهات والفج الطريق الواسع بين الجبلين والفلك اصله كل شيء دائر ومنه فلكة المغزل ويقال فلك ثدي المرأة تفليكا إذا استدار والسباحة والعوم والسبح والجري بمعنى

﴿ الاعراب ﴾

أن تميد بكم في موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره كراهة أن تميد بكم أو حذار أن تميد ومن قال أن لا هنا مضمرة والتقدير لأن لا تميد فلا وجه لقوله وسبلا بدل من فجاجا لأن الفج هو السبيل. كل في فلك يسبحون جملة اسمية في موضع الحال وفي يتعلق بيسبحون أفإن مت فهم الخالدون شرط وجزاء دخلت الفاء في الشرط وفي الجزاء وقوله فتنة مفعول له والمعنى للفتنة ويجوز أن يكون مصدراً في موضع الحال اي نبلوكم فاتنين ويجوز ان يكون منصوباً على المصدر لأن البلاء بمعنى الفتنة .

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه كمال قدرته وشمول نعمته بأن قال (وجعلنا في الارض رواسي) اي جبالا ثوابت تمنع الارض من الحركة والاضطراب (ان تميد بهم) اي تتحرك وتميل وتضطرب بهم وقيل لتستقر عن قتادة (وجعلنا فيها) اي في الرواسي (فجاجاً) اي طرقاً واسعة بينها لولا ذلك لما امكن ان يهتدوا إلى مقاصدهم في الاسفار ثم بين الفجاج فقال (سبلا لعلهم يهتدون) بها الى طريق بلادهم ومواطنهم وقيل ليهتدوا بالاعتبار بها الى دينهم (وجعلنا السماء سقفاً محفوظا) اي رفعنا السماء فوق الخلق كالسقف محفوظا من الشياطين بالشهب التي ترمي بها كما قال وحفظناها من كل شيطان رجيم عن الجبائي وقيل محفوظا من ان تسقط الى الارض كما قال ان الله يمسك السماوات والارض ان تزولا الآية وقيل محفوظا من ان يطمع احد في أن يتعرض لها بنقض أو أن يلحقها بلى او هدم على طول الدهر عن الحسن (وهم عن آياتها) أي عن الاستدلال بما فيها من دلائل الحدوث والحاجة إلى المحدث (معرضون) أي أعرضوا عن التفكر فيها (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) أي يجرون وقيل يدورون وأراد الشمس والقمر والنجوم لأن قوله الليل يدل على النجوم وقال ابن عباس يسبحون بالخير والشر بالشدة والرخاء وقيل معناه انه سبحانه جعل لكل واحد منها فلكا يدور فيه بسرعة كالسباحة وانما قال يسبحون لأنه اضاف اليها فعل العقلاء كما قال والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين وقال النابغة الجعدي

تمززتها والديك يدعو صياحه ... إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

ثم قال سبحانه (وما جعلنا لبشر من قبلك) يا محمد (الخلد) أي دوام البقاء في الدنيا (أفإن مت) انت على ما يتوقعونه وينتظرونه (فهم الخالدون) أي أفهم يخلدون بعدك يعني مشركي مكة حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون فقال لئن مت فانهم ايضا يموتون فأي فائدة لهم في تمني موتك (كل نفس ذائقة الموت) أي لا بد لكل نفس حية بحياة أن يدخل عليها الموت وتخرج عن كونها حية (ونبلوكم بالشر والخير) أي نعاملكم معاملة المختبر بالفقر والغنى وبالضراء والسراء وبالشدة والرخاء عن ابن عباس وقيل بما تكرهون وما تحبون ليظهر صبركم على ما تكرهون وشكركم فيما تحبون عن ابن زيد وروي عن ابي عبد الله «ع» أن امير المؤمنين «ع» مرض فعاده أخوانه فقالوا كيف تجدك يا أمير المؤمنين قال بشر قالوا ما هذا كلام مثلك قال إن الله تعالى يقول ونبلوكم بالشر والخير فتنة فالخير الصحة والغنى والشر المرض والفقر وقال بعض الزهاد الشر غلبة الهوى على النفس والخير العصمة عن المعاصي (فتنة) أي ابتلاء واختبار أو شدة تعبد (والينا ترجعون) أي الى حكمنا تردون للجزاء بالأعمال حسنها وسيئها

النظم

يتصل قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد بما ذكر سبحانه من خلق الأشياء فإنه بين انه لم يخلقها للخلود وإنما خلقها ليتوصل بها إلى نعيم الآخرة فلا بد لكل إنسان من الموت والرجوع إلى الجزاء عن القاضي

قوله تعالى (٣٦) وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ (٣٧) خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ (٣٨) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٩) لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤٠) بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ خمس آيات

اللغة

الهزؤ اظهار خلاف الابطان لايهام النقص عن فهم القصد يقال هزأ منه يهزأ هزؤاً فهو هازئ ومثله السخرية ويقول العرب ذكرت فلاناً أي عبته قال عنترة

لا تذكري مهري وما اطعمته فيكون جلدك مثل جلد الأجرب

والعجلة تقديم الشيء قبل وقته وهو مذموم والسرعة تقديم الشيء في أقرب أوقاته وهو محمود والاستعجال طلب الشيء قبل وقته الذي حقه أن يكون فيه دون غيره

الإعراب

وإذا رآك العامل في إذا اتخذوا وهو معنى قوله إن يتخذونك إلا هزواً لأن معناه اتخذوك هزوا وقوله أهذا الذي يذكر آلهتكم تقديره قائلين أهذا الذي يذكر آلهتكم فحذف قائلين وهو في موضع الحال كما حذف ذلك من قوله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم أي قائلين ما نعبدهم والباء في قوله بذكر الرحمن يتعلق بقوله كافرون وقوله حين لا يكفون يجوز أن يكون مفعولا به ليعلم ويجوز أن يكون ظرفا له فيكون مفعول يعلم محذوفا تقديره لو يعلمون الأمر حين لا يكفون وجواب لو محذوف وتقديره لانتهوا بغتة نصب على الحال من المفعول تقديره بل تأتيهم مبغوتين مفاجئين ويجوز أن يكون حالا من الفاعل وهو الضمير المستكن في تأتي والتقدير بل تأتيهم باغتة مفاجئة

المعنى

ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وقال (وإذا رآك) أي إذا رآك يا محمد (الذين كفروا) وأنت تعيب آلهتهم وتدعوهم إلى التوحيد (إن يتخذونك) اي ما يتخذونك (إلا هزوا) أي سخرية يقول بعضهم لبعض (أهذا الذي يذكر آلهتكم) أي يعيب آلهتكم وذلك قوله إنها جماد لا ينفع ولا يضر (وهم بذكر الرحمن) اي بتوحيده وقيل بكتابه المنزل (هم كافرون) أي جاحدون عجب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم منهم حيث جحدوا الحي المنعم القادر العالم الخالق الرزاق واتخذوا ما لا ينفع ولا يضر ثم ان من دعاهم إلى تركها اتخذوه وهم احق بالهزؤ عند من يدبر حالهم (خلق الإنسان من عجل) قيل فيه قولان احدهما ان المعنى بالإنسان آدم ثم انه قيل في عجل ثلاث تأويلات منها انه خلق بعد خلق كل شيء آخر نهار يوم الجمعة وهو آخر أيام السنة على سرعة معاجلا به غروب الشمس عن مجاهد ومنها ان معناه في سرعة من خلقه لأنه لم يخلقه من

نطفة ثم من علقة ثم من مضغة كما خلق غيره وإنما انشأه انشاء فكأنه سبحانه نبه بذلك على الآية العجيبة في خلقه ومنها ان آدم «ع» لما خلق وجعلت الروح في اكثر جسده وثب عجلان مبادرا إلى ثمار الجنة وقيل هم بالوثوب فهذا معنى قوله من عجل عن ابن عباس والسدي وروي ذلك عن ابي عبد الله «ع» والقول الثاني ان المعنى بالإنسان الناس كلهم ثم اختلف في معناه على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه خلق الإنسان عجولا اي خلق على حب العجلة في امره عن قتادة وابي مسلم والجبائي قال يعني انه يستعجل في كل شي يشتهيه وللعرب عادة في استعمالهم هذا اللفظ عند المبالغة يقولون لمن يصفونه بكثرة النوم ما خلق إلا من نوم وبكثرة وقوع الشر منه ما خلق إلا من شر ومنه قول الخنساء في وصف البقرة « فإنما هي إقبال وادبار » ﴿ وثانيها ﴾ انه من المقلوب والمعنى خلقت العجلة من الإنسان عن ابي عبيدة وقطرب وهذا ضعيف لأنه مع حمل كلامه تعالى على القلب يحتاج إلى تأويل فلا فائدة في القلب ﴿ وثالثها ﴾ ان العجل هو الطين عن ابي عبيدة وجماعة واستشهدوا بقول الشاعر

والنبع ينبت بين الصخر ضاحية والنخل تنبت بين الماء والعجل

ورواه تغلب والنبع في الصخرة الصماء منبتة فعلى هذا يكون كقوله وبدأ خلق الإنسان من طين ﴿ ورابعها ﴾ ان معناه خلق الإنسان من تعجيل من الأمر لأنه تعالى قال إنما قولنا لشيء إذا اردناه ان نقول له كن فيكون عن ابي الحسن الأخفش (سأريكم آياتي) الدالة على وحدانيتي وعلى صدق محمد ﷺ فيما يوعدكم به من العذاب (فلا تستعجلون) في حلول العذاب بكم فإنه سيدركم عن قريب قال ابن عباس في رواية عطا يريد به النضر بن الحرث وهو الذي قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر الآية ويريد بقوله سأريكم آياتي القتل يوم بدر (ويقولون) يعني ويقول المشركون للمسلمين (متى هذا الوعد) الذي تعدوننا يريدون وعد القيامة (إن كنتم صادقين) اي ويقولون ان كنتم صادقين في هذا الوعد فمتى يكون ذلك ثم قال سبحانه (لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم النار) اي لو علموا الوقت الذي لا يدفعون فيه عذاب النار عن وجوههم (ولا عن ظهورهم) يعني ان النار تحيط بهم من جميع جوانبهم (ولا هم ينصرون) وجواب لو محذوف وتقديره لعلموا صدق ما وعدوا به ولما استعجلوا ولا قالوا متى هذا الوعد ثم قال (بل تأتيهم) الساعة (بغتة) أي فجأة (فتبهتهم) اي فتحيرهم (فلا يستطيعون ردها) اي فلا يقدرون على دفعها (ولا هم ينظرون) اي لا يؤخرون إلى وقت آخر ولا يمهلون لتوبة او معذرة

قوله تعالى (٤١) وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (٤٢) قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ (٤٣) أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ (٤٤) بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ (٤٥) قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ

خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر ولا تسمع بضم التاء الصم بالنصب والباقون ولا يسمع بفتح الياء الصم بالرفع

(الحجة)

الوجه في قراءة ابن عامر انه وجه الخطاب الى النبي ﷺ فكأنه قال ولا تسمع انت يا محمد الصم كما قال وما انت بمسمع من في القبور لأن الله تعالى لما خاطبهم فلم يلتفتوا الى ما دعاهم اليه صاروا بمنزلة الميت الذي لا يسمع ولا يعقل ووجه قراءة الباقين انه جعل الفعل لهم ويقويه قوله إذا ما ينذرون

﴿ اللغة ﴾

الكلاءة الحفظ قال ابن هرمة

ان سليمى والله يكلؤها ضنت بشيء ما كان يرزؤها

والفرق بين السخرية والهزء ان في السخرية معنى طلب الذلة لأن التسخير التذليل فأما الهزء فيقتضي طلب صغر القدر بما يظهر في القول

﴿ الاعراب ﴾

أم لهم آلهة أم هذه هي المنقطعة وتقديره بل لهم آلهة ولا يستطيعون جملة مستأنفة لأنها لا تستقيم ان تكون صفة لآلهة ولا حالا عنها لأن الله وصفها بقوله تمنعهم من دوننا على زعمهم ولا يستطيعون ضد هذه الصفة

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر استهزاء الكفار بالنبي والمؤمنين سلى الله سبحانه نبيه ﷺ عند ذلك بقوله (ولقد استهزئ برسل من قبلك) كما استهزأ هؤلاء (فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن) اي حل بهم وبال استهزائهم وسخريتهم وقوله منهم يعني من الرسل (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن) اي يحفظكم من بأس الرحمن وعذابه وقيل من عوارض الآفات وهو استفهام معناه النفي تقديره لا حافظ لكم من الرحمن (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) اي بل هم عن كتاب ربهم معرضون لا يؤمنون به ولا يتفكرون فيه وقيل معناه انهم لا يلتفتون الى شيء من المواعظ والحجج ثم قال على وجه التوبيخ لهم والتقريع (ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا) تقديره ام لهم آلهة من دوننا تمنعهم من عذابنا وعقوباتنا وتم الكلام ثم وصف آلهتهم بالضعف فقال (لا يستطيعون نصر انفسهم) فكيف ينصروهم وقيل معناه ان الكفار لا يستطيعون نصر انفسهم ولا يقدرون على دفع ما ينزل بهم عن نفوسهم (ولا هم منا يصحبون) اي ولا الكفار يجارون من عذابنا عن ابن عباس قال ابن قتيبة اي لا يجيرهم منا احد لأن المجير صاحب الجار يقول العرب صحبك الله اي حفظك الله وأجارك وقيل يصحبون اي ينصرون ويحفظون عن مجاهد وقيل لا يصحبون من الله بخير عن قتادة (بل متعنا هؤلاء وآباءهم) في الدنيا بنعمها فلم نعاجلهم بالعقوبة (حتى طال عليهم العمر) اي طالت اعمارهم فغرهم طول العمر واسباب الدنيا حتى أتوا ما أتوا (أفلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها) اي ألم يرهؤلاء الكفار أن الارض يأتيها أمرنا فننقصها بتخريبها وبموت اهلها وقيل بموت العلماء وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) قال نقصانها ذهاب عالمها وقيل معناه ننقصها من اطرافها بظهور النبي على من قاتله ارضا فأرضا وقوما فقوما فيأخذهم قراهم وارضيهم عن الحسن وقتادة ومعناه انا ننقصها من جانب المشركين ونزيدها في جانب المسلمين (أفهم الغالبون) اي أفهؤلاء الغالبون ام نحن ومعناه ليسوا بغالبين ولكنهم المغلوبون ورسول الله الغالب وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة الرعد (قل إنما انذركم بالوحي) اي قل يا محمد انما انذركم من عذاب الله واخوفكم بما اوحى الله إلي (ولا يسمع الصم الدعاء) شبههم بالصم الذين لا يسمعون النداء إذا نودوا لأنهم لم ينتفعوا بالسمع والمعنى انهم يستثقلون القرآن وسماعه وذكر الحق فهم في ذلك بمنزلة الاصم الذي لا يسمع (اذا ما ينذرون) اي يخوفون إنما اتصل قوله أم لهم آلهة بقوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وتقديره افهم الخالدون أم لهم آلهة تمنع

نفوسهم من الموت ومما ينزل الله بهم عن ابي مسلم وقيل اتصل بقوله من يكلؤكم اي أم لهم آلهة تكلؤهم وتمنعهم ووجه اتصال قوله قل إنما انذركم بالوحي بما قبله انه اتصل بقوله قل من يكلؤكم وتقديره اوتفكروا اعلموا انه لا عاصم من الله وان فيما انذركم به من القرآن اعظم الآيات والحجج وقيل انه اتصل بما تقدم من العظة بحال من مضى من الأمم والمعنى ان ذلك وجميع ما يعظهم به من الوحي

قوله تعالى (٤٦) وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٤٧) وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (٤٨) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ (٥٠) وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر ونافع مثقال حبة بالرفع وفي لقمان مثله والباقون بالنصب وقرأ آتينا بها بالمد ابن عباس وجعفر ابن محمد ومجاهد وسعيد بن جبير والعلاء بن سيابة والباقون اتينا بالقصر

— الحجة —

وجه النصب وان كان الظلامة مثقال حبة وهذا أحسن لتقدم قوله فلا تظلم نفس شيئا فإذا ذكر تظلم فكأنه ذكر الظلامة كقولهم من كذب كان شرا له ووجه الرفع انه اسند الفعل إلى مثقال كما اسند في قوله وان كان ذو عسرة أي ذا عسرة وكذلك قول الشاعر (إذا كان يوم ذو كواكب اشهبا) ومن قرأ آتينا فهو فاعلنا فهو من آتى يواتي مواتاة عن ابن جني وروي عن الصادق (ع) انه قال معناه جازينا بها وعلى هذا فيجوز ان يكون من افعلنا ويكون مفعول آتينا محذوفا وتقديره آتيناها بها للجزاء

اللغة

النفحة الوقعة اليسيرة تقع بهم يقال نفح ينفح نفحا ونفح الطيب ينفح فله نفحة طيبة ونفحت الدابة إذا رمت بحافرها فضربت به ونفحه بالسيف إذا تناوله من بعيد واما حديث شريح انه ابطل النفح من نفح الدابة فالمعنى انه كان لا يلزم صاحبها شيئا والقسط العدل وهو مصدر يوصف به والتقدير ونضع الموازين ذوات القسط

الإعراب

شيئا انتصب على انه مفعول ثان لتظلم ويجوز أن يكون منصوبا على المصدر اي لا تظلم نفس ظلما ومن رفع مثقال حبة فإن كان تكون تامة ومن نصب فإن كان ناقصة واسمها الضمير المستكن فيها العائد إلى شيء وكفى بنا حاسبين قال الزجاج انتصب قوله حاسبين على التمييز او على الحال ودخلت الباء في بنا لأنه خبر في معنى الأمر والمعنى اكتفوا بالله حسيبا وقد روي عن ابن عباس انه قرأ ضياء بغير واو ويكون على هذا منصوبا على الحال من الفرقان ويجوز ان يكون مفعولا له وبالواو يكون عطفا على الفرقان وتكون الواو داخلة على ضياء وان كان صفة في المعنى دون اللفظ كما تدخل على الصفة التي هي صفة لفظا قال سيبويه إذا قلت مررت بزيد وصاحبك وزيد هو الصاحب جاز ولو قلته بالفاء لم يجز كما جاز بالواو لأن الفاء يقتضي التعقيب وتأخير الاسم عن المعطوف عليه بخلاف الواو والذين يخشون في محل جر لأنه صفة للمتقين ويجوز ان يكون في محل نصب او رفع على المدح وبالغيب في محل النصب على الحال

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم الانذار بالعذاب ذكر عقيبه (ولئن مستهم نفحة) اي اصابهم طرف عن ابن عباس وقيل قليل عن ابن كيسان وقيل نصيب عن ابن جريج وقيل بعض ما يستحقونه من العقوبة عن ابي مسلم (من عذاب ربك ليقولن ياويلنا انا كنا ظالمين) اي يدعون بالويل والثبور عند نزوله ثم قال سبحانه (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة) اي نضع الموازين ذوات القسط ليوم القيامة وقيل معناه نحضر الموازين التي لا جور فيها بل كلها عدل وقسط لاهل يوم القيامة او في يوم القيامة وقال قتادة معناه نضع العدل في المجازاة بالحق لكل احد على قدر استحقاقه فلا يبخس المثاب بعض ما يستحقه ولا يفعل بالمعاقب فوق ما يستحقه وقد سبق الكلام في الميزان في سورة الاعراف (فلا تظلم نفس شيئا) اي لا ينقص من احسان محسن ولا يزاد في اساءة مسيء (وان كان مثقال حبة من خردل آتينا بها) اي جئنا بها والمراد احضرناها للمجازاة بها (وكفى بنا حاسبين) اي عالمين حافظين وذلك ان من حسب شيئا علمه وحفظه عن ابن عباس وقيل محصين والحسب العد عن السدي (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان) اي اعطيناهما التوراة يفرق بين الحق والباطل عن مجاهد وقتادة وقيل البرهان الذي فرق به بين حق موسى وباطل فرعون وقيل هو فلق البحر (وضياء) اي وآتيناهما ضياء وهو من صفة التوراة ايضا مثل قوله فيها هدى ونور والمعنى انهم استضاؤا بها حتى اهتدوا في دينهم (وذكرا للمتقين) يذكرونه ويعملون بما فيه ويتعظون بمواعظه ثم وصف المتقين فقال (الذين يخشون ربهم بالغيب) اي في حال الخلوة والغيبة عن الناس وقيل في سرائرهم من غير رياء (وهم من الساعة) اي من القيامة واهوالها (مشفقون) اي خائفون (وهذا ذكر مبارك انزلناه) أراد به القرآن انه ذكر ثابت نافع دائم نفعه إلى يوم القيامة وقيل سماه مباركا لوفور فوائده من المواعظ والزواجر والامثال الداعية الى مكارم الاخلاق والافعال لما وصف التوراة اتبعه ذكر القرآن الذي آتاه نبينا صلى الله عليه وآله وسلم (أفأنتم له منكرون) استفهام على معنى التوبيخ اي فلماذا تنكرونه وتجحدونه مع كونه معجزا

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قصة موسى وهارون بما قبلها انه لما تقدم ذكر الوحي بين عقيبه ان انزال القرآن على نبيه ليس ببدع فقد انزل على موسى وهارون التوراة وقيل اتصل بقوله ولقد استهزئ برسل من قبلك والمعنى ان هؤلاء كما انهم استهزؤا بك مع انا انزلنا اليك الكتاب فكذلك قد انزلنا على موسى وهارون الكتاب فكذبوهما واستهزؤا بهما

قوله تعالى (٥١) وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥٢) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٣) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٤) قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٥٥) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٦) قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٥٧) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٨) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (٥٩) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (٦٠) قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ الكسائي جذاذا بكسر الجيم والباقون بضمها وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابي السماك بفتح الجيم

— الحجة —

قال ابو حاتم فيه لغات جذاذا وجذاذا وجذاذا واجودها الضم كالحطام والرفات من جذذت الشيء إذا قطعته قال النابغة

تجذ السلوقي المضاعف نسجه ‧ ويوقدن بالصفاح بالحباحب

وقال جرير

بنوا المهلب جذ الله دابرهم امسوا رمادا فلا اصل ولا طرف

— المعنى —

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من قصة موسى وهارون بقصة ابراهيم (ع) فقال (ولقد آتينا) اي اعطينا (إبراهيم رشده) يعني الحجج التي توصله الى الرشد من معرفة الله وتوحيده وقيل معناه هداه اي هديناه صغيرا عن قتادة ومجاهد وقيل هو النبوة (من قبل) اي من قبل موسى وقيل من قبل محمد صلى الله عليه وآله والقرآن وقيل من قبل بلوغه (وكنا به عالمين) انه اهل لايتاء الرشد وصالح للنبوة (إذ قال لأبيه وقومه) حين رآهم يعبدون الاصنام (ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) والعامل في اذ قوله آتينا أي آتينا رشده في ذلك الوقت والتمثال اسم للشيء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله وأصله من مثلت الشيء بالشيء إذا شبهته به واسم ذلك الممثل تمثال وجمعه تماثيل وقيل انهم جعلوها امثلة لعلمائهم الذين انقرضوا وقيل انهم جعلوها امثلة للاجسام العلوية والمعنى ما هذه الصور التي انتم مقيمون على عبادتها وروى العياشي باسناده عن الاصبغ بن نباتة ان عليا (ع) مر بقوم يلعبون الشطرنج فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون لقد عصيتم الله ورسوله (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فاقتدينا بهم اعترفوا بالتقليد إذ لم يجدوا حجة لعبادتهم إياها سوى اتباع الآباء (قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) اي في ذهاب عن الحق ظاهر ذمهم على تقليد الآباء ونسبهم في ذلك إلى الضلال (قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين) معناه أجاد انت فيما تقول محق عند نفسك ام لاعب مازح و إنما قالوا ذلك لاستبعادهم انكار عبادة الاصنام عليهم إذ الفوا ذلك واعتادوه (قال بل ربكم رب السماوات والارض الذي فطرهن) اي بل إلهكم إله السماوات والارض الذي خلقهن وابتداهن فدل على الله سبحانه بصنعه (وأنا على ذلكم من الشاهدين) ومعنى هذه الشهادة تحقيق الاخبار والشاهد الدال على الشيء عن مشاهدة فإبراهيم (ع) شاهد بالحق لأنه دال عليه بما يرجع إلى ثقة المشاهدة ثم اقسم إبراهيم (ع) فقال (وتالله لأكيدن أصنامكم) اي لادبرن في بابهم تدبيرا خفيا يسوءكم ذلك وقيل إنما قال ذلك في سر من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل منهم فأفشاه عن قتادة ومجاهد (بعد ان تولوا مدبرين) اي بعد ان تنطلقوا ذاهبين قالوا كان لهم في كل سنة مجمع وعيد إذا رجعوا منه دخلوا على الاصنام وسجدوا لها فقالوا لابراهيم (ع) الا تخرج معنا فخرج فلما كان ببعض الطريق قال اشتكي رجلي وانصرف (فجعلهم جذاذا) اي فجعل اصنامهم قطعا قطعا عن قتادة وقيل حطاما عن ابن عباس (إلا كبيرا لهم) تركه على حاله ويجوز ان يكون كبيرهم في الخلقة ويجوز ان يكون اكبرهم عندهم في التعظيم قالوا جعل يكسرهم بفأس في يده حتى لم يبق إلا الصنم الكبير علق الفأس في عنقه وخرج (لعلهم اليه يرجعون) اي لعلهم يرجعون إلى ابراهيم فيسألونه عن حال الاصنام لينبههم على جهلهم وقيل لعلهم يرجعون الى الكبير فيسألونه وهو لا ينطق فيعلمون جهل من اتخذوه إلها وفي الكلام هاهنا حذف تقديره فلما رجع قومه من عيدهم فوجدوا اصنامهم مكسرة (قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين) من هذه الموصولة

تقديره الذي فعل هذا بآلهتنا فإنه ظالم لنفسه لأنه يقتل إذا علم به وقيل انهم قالوا من فعل هذا استفهموا عمن صنع ذلك وانكروا عليه فعله بقولهم انه لمن الظالمين إذ فعل ما لم يكن له ان يفعله (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) اي قال الرجل الذي سمع من إبراهيم قوله لاكيدن اصنامكم للقوم ما سمعه منه فقالوا سمعنا فتى يذكرهم بسوء وقيل انهم قالوا سمعنا فتى يعيب آلهتنا ويقول انها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع فهو الذي كسرها وعلى القول الأول فإنما قالوا سمعنا فتى وان لم يسمعوه كما يقال سمعت الله يقول او سمعت الرسول يقول إذا بلغك عنه رسالة على لسان ثقة صدوق وقوله يقال له إبراهيم ارتفع ابراهيم على وجهين ﴿ احدهما ﴾ يقال له هو ابراهيم والمعروف به ابراهيم وعلى النداء اي يقال له يا ابراهيم عن الزجاج

قوله تعالى (٦١) قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ (٦٢) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (٦٣) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ (٦٤) فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ (٦٥) ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ (٦٦) قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٧) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٨) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٩) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٧٠) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ عشر آيات

— اللغة —

النكس هو ان يجعل اسفل الشيء اعلاه ومنه النكس في العلة وهو ان يرجع الى أول حاله ومنه النكس وهو السهم فوقه فيجعل اعلاه اسفله ويقال للمائق ايضاً نكس تشبيها بذلك

— الإعراب —

على اعين الناس في موضع الحال اي مرئيا مشهودا بل فعله كبيرهم هذا من وقف على فعله ففاعله مضمر وتقديره فعله من فعله وكبيرهم مبتدأ وهذا خبره ومن لم يقف على فعله فكبيرهم فاعله وهذا يكون صفة لكبيرهم او بدلا عنه وجواب الشرط الذي هو قوله ان كانوا ينطقون محذوف يدل عليه قوله بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم على الوجه الثاني ويقتضي ان يكون للشرط جزآن على هذا الجزء الثاني معطوف على الأول التقدير ان كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم هذا فسألوهم والمعنى إن لم يقدروا على النطق لم يقدروا على الفعل

— المعنى —

ثم ذكر سبحانه ما جرى بين ابراهيم وقومه في أمر الاصنام بقوله (قالوا) يعني قوم ابراهيم (فأتوا به) اي فجيئوا به (على اعين الناس) اي بحيث يراه الناس ويكون بمشهد منهم (لعلهم يشهدون) عليه بما قاله فيكون ذلك حجة عليه بما فعل عن الحسن وقتادة والسدي قالوا كرهوا ان يأخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يشهدون عقابه وما يصنع به اي يحضرونه عن ابن اسحاق والضحاك (قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم) المعنى فلما جاؤا به قالوا له هذا القول مقررين له على ذلك فأجابهم إبراهيم (ع) بأن (قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوهم ان كانوا ينطقون) اختلفوا في معناه وتقديره على وجوه ﴿ احدها ﴾ انه مقيد بقوله ان كانوا ينطقون والتقدير فقد فعله كبيرهم ان نطقوا فسألوهم فقد علق الكلام بشرط لا يوجد فلا يكون كذبا ويكون كقول القائل

فلان صادق فيما يقول ان لم يكن فوقنا سماء ﴿وثانيها﴾ انه خرج مخرج الخبر وليس بخبر انما هو الزام يدل عليه الحال فكأنه قال ما ينكرون ان يكون فعله كبيرهم هذا والالزام يأتي تارة بلفظ السؤال وتارة بلفظ الأمر وتارة بلفظ الخبر وربما يكون احد هذه الامور ابلغ فيه ووجه الالزام ان هذه الاصنام ان كانت آلهة كما تزعمون فإنما فعل ذلك بهم كبيرهم لأن غير الآله لا يقدر ان يكسر الآلهة ﴿وثالثها﴾ ان تقديره فعله من فعله على ما تقدم ذكره وهو قول الكسائي وأما ما ذكر فيه انه أراد به الخبر عن الكبير وقال انه غضب من ان يعبد معه الصغار فكسرهن وما روي في ذلك من ان ابراهيم (ع) كذب ثلاث كذبات قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله في سارة لما أراد الجبار اخذها وكانت زوجته انها اختي فمما لا يعول عليه فقد دلت الأدلة العقلية التي لا تحتمل التأويل على ان الانبياء لا يجوز عليهم الكذب وان لم يقصدوا به غرورا ولا ضررا كما لا يجوز عليهم التعمية في الاخبار ولا التقية لأن ذلك يؤدي الى التشكك في اخبارهم وكلام ابراهيم (ع) يجوز ان يكون من المعاريض فقد ابيح ذلك عند الضرورة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الكذب لا يصلح في جد ولا هزل وقد قيل في تفسير قوله اني سقيم ان معناه اني سأسقم لأنه لما نظر الى بعض علم النجوم وقت نوبة حمى كانت تأتيه فقال اني سأسقم وقيل معناه اني سقيم عندكم فيما ادعوكم اليه وسنذكر الكلام فيه في موضعه وأما قوله في سارة انها اختي فإنما أراد في الدين قال سبحانه انما المؤمنون اخوة وقد دل الدليل العقلي على ان الكذب قبيح لكونه كذبا فلا يحسن على وجه من الوجوه (فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون) معناه فرجع بعضهم إلى بعض وقال بعضهم لبعض انتم الظالمون حيث تعبدون ما لا يقدر على الدفع عن نفسه وما ترى الامر إلا كما قال وقيل معناه فرجعوا الى عقولهم وتدبروا في ذلك إذ علموا صدق ابراهيم فيما قاله وحاروا عن جوابه فأنطقهم الله بالحق فقالوا انكم انتم الظالمون هذا الرجل في سؤاله وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها (ثم نكسوا على رؤسهم) اذ تحيروا وعلموا انها لا تنطق ثم اعترفوا بما هو حجة عليهم فقالوا (لقد علمت) يا ابراهيم (ما هؤلاء ينطقون) فكيف نسألهم فأجابهم ابراهيم بعد اعترافهم بالحجة (قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم) اي افتوجهون عبادتكم الى الاصنام التي لا تنفعكم شيئا ان عبدتموها ولا تضركم ان تركتموها لانها لو قدرت على نفعكم وضركم لدفعت عن انفسها من دون الله سبحانه الذي يقدر على ضركم ونفعكم على انه ليس كل من قدر على الضر والنفع استحق العبادة وانما يستحقها من قدر على اصول النعم التي هي الحياة والشهوة والقدرة وكمال العقل وقدر على الثواب والعقاب ثم قال ابراهيم (ع) مهجنا لافعالهم مستقذرا لها (اف لكم ولما تعبدون من دون الله) قال الزجاج معنى اف لكم تبا لأعمالكم وافعالكم وقد ذكرنا اختلاف القراء فيه وما قيل في تفسيره في سورة بني اسرائيل (أفلا تعقلون) اي أفلا تتفكرون بعقولكم في ان هذه الاصنام لا تستحق العبادة (قالوا حرقوه) والمعنى فلما سمعوا منه هذا القول قال بعضهم لبعض حرقوه بالنار (وانصروا آلهتكم) اي وادفعوا عنها وعظموها (ان كنتم فاعلين) اي ان كنتم ناصريها والمعنى فلا تنصرونها إلا بتحريقه بالنار قال ابن عمر ومجاهد ان الذي أشار بتحريق ابراهيم بالنار رجل من اكراد فارس فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقال وهب انما قاله نمروود وفي الكلام حذف قال السدي فجمعوا الحطب حتى ان الرجل منهم ليمرض فيوصي بكذا وكذا من ماله فيشترى به حطب وحتى ان المرأة لتغزل فتشتري به حطبا حتى بلغوا من ذلك ما أرادوا فلما أرادوا ان يلقوا ابراهيم في النار لم يدروا كيف يلقونه فجاء إبليس فدلهم على المنجنيق وهو اول منجنيق صنعت فوضعوه فيها ثم رموه (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم) معناه فلما جمعوا الحطب والقوه في النار قلنا للنار ذلك وهذا مثل فإن النار جماد لا يصح خطابه والمراد انا جعلنا النار بردا عليه وسلامة لا يصيبه من اذاها شيء كما قال سبحانه وتعالى كونوا قردة خاسئين والمعنى انه صيرهم كذلك لا انه خاطبهم وأمرهم بذلك وقيل يجوز ان يتكلم الله سبحانه بذلك

ويكون ذلك صلاحا للملائكة ولطفا لهم وذكر في كون النار بردا على ابراهيم وجوه احدها ان الله سبحانه احدث فيها بردا بدلا من شدة الحرارة التي فيها فلم تؤذه وثانيها ان الله سبحانه حال بينها وبينه فلم تصل اليه وثالثها ان الاحراق انما يحصل بالاعتمادات التي في النار صعدا فيجوز ان يذهب سبحانه تلك الاعتمادات وعلى الجملة فقد علمنا ان الله سبحانه منع النار من احراقه وهو اعلم بتفاصيله قال ابو العالية او لم يقل سبحانه وسلاما لكانت تؤذيه من شدة بردها ولكان بردها أشد عليه من حرها فصارت سلاما عليه ولو لم يقل على ابراهيم لكان بردها باقيا على الابد وقال ابو عبد الله (ع) لما اجلس ابراهيم في المنجنيق وأرادوا ان يرموا به في النار اتاه جبرائيل (ع) فقال السلام عليك يا ابراهيم ورحمة الله وبركاته ألك حاجة فقال أما اليك فلا فلما طرحوه دعا الله فقال يا الله يا واحد يا احد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احدا فحسرت النار عنه وانه لمحتب ومعه جبرائيل (ع) وهما يتحدثان في روضة خضراء وروى الواحدي بالاسناد مرفوعا الى انس بن مالك عن النبي ﷺ قال ان نمرود الجبار لما القى ابراهيم (ع) في النار نزل اليه جبرائيل (ع) بقميص من الجنة وطنفسة من الجنة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحدثه تمام الخبر وقال كعب ما احرقت النار من ابراهيم (ع) غير وثاقه وقيل ان ابراهيم (ع) القي في النار وهو ابن ست عشرة سنة (وأرادوا به كيدا) معناه ان الكفار أرادوا بابراهيم (ع) كيدا اي شرا وتدبيرا في اهلاكه (فجعلناهم الاخسرين) قال ابن عباس هو ان سلط الله على نمرود وخيله البعوض حتى اخذت لحومهم وشربت دماءهم ووقعت واحدة في دماغه حتى اهلكته والمعنى انهم كادوه ارادوا ان يكيدوه بسوء فانقلب عليهم ذلك

قوله تعالى (٧١) وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ (٧٢) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ (٧٣) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ (٧٤) وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ (٧٥) وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ خمس آيات

اللغة

النافلة العطية الخاصة والنفل النفع الذي يجر الحمد فيما زاد على حد الواجب ومنه النافلة للصلاة وهي الفضل على الفرائض وقيل النافلة الغنيمة قال« لله نافلة الاعز الافضل »

— الاعراب —

نافلة نصب على الحال من يعقوب وقيل انه نصب على المصدر من وهبنا وتقديره وهبنا له هبة ويهدون صفة لائمة ومفعولاه محذوفان تقديره يهدون الناس الطريق وحذف التاء من اقامة لأن الاضافة عوض عنها ولا يجوز ذلك في غير الاضافة لا يقال اقام إقاما كما يقال اقامة ولوطا منصوب بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر تقديره وآتينا لوطا آتيناه الا انه اذا ذكر المحذوف لم يذكر الموجود والنصب في لوطا احسن لتكون الجملة فعلية معطوفة على جملة فعلية وفاسقين يجوز ان يكون منصوبا بكونه صفة لقوم سوء ويجوز ان يكون خبر الكان ويكون خبرا بعد خبر

— المعنى —

ثم بين سبحانه تمام نعمته على ابراهيم (ع) فقال (ونجيناه) اي من نمرود وكيده والمعنى ورفعناه (ولوطا)

عن الهلكة وهو ابن اخي ابراهيم فآمن به (الى الارض التي باركنا فيها للعالمين) اختلف فيها فقيل هي ارض الشام اي نجينا من كوثى الى الشام عن قتادة قال وانما قال باركنا فيها لأنها بلاد خصب وقيل إلى ارض بيت المقدس لأن بها مقام الانبياء عن الجبائي وقيل نجاهما الى مكة كما قال ان اول بيت وضع للناس الذي ببكة مباركا عن ابن عباس (ووهبنا له اسحاق) اي وهبنا لابراهيم اسحاق حين سأل الولد فقال رب هب لي من الصالحين (ويعقوب نافلة) قال ابن عباس وقتادة نافلة راجع الى يعقوب فإنه زاده من غير دعاء فهو نافلة وقيل انه راجع إلى اسحاق ويعقوب جميعا لأنه اعطاهما اياه من غير جزاء ولا استحقاق عن مجاهد (وكلا جعلنا صالحين) اي وجعلنا ابراهيم واسحاق ويعقوب صالحين للنبوة والرسالة وقيل معناه حكمنا بكونهم صالحين وهو غاية ما يوصف به من الثناء الجميل (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم في افعالهم واقوالهم يهدون الخلق الى طريق الحق والى الدين المستقيم (بأمرنا) فمن اهتدى بهم في اقوالهم وافعالهم فالنعمة لنا عليه (واوحينا اليهم فعل الخيرات) قال ابن عباس شرائع النبوة (وإقام الصلاة) اي إقامة الصلاة (وإيتاء الزكاة) اي اعطاء الزكاة (وكانوا لنا عابدين) اي مخلصين في العبادة (ولوطا آتيناه حكما وعلما) ومعناه واعطينا لوطا حكمة وعلما وقيل الحكم النبوة وقيل هو الفصل بين الخصوم بالحق اي جعلناه حاكما وعلمناه ما يحتاج الى العلم به (ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث) وهي قرية سدوم على ما روي والخبائث التي كانوا يعملونها هي انهم كانوا يأتون الذكران في ادبارهم ويتضارطون في انديتهم وقيل هي ماحكى الله تعالى انكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر وغير ذلك من القبائح وأراد بالقرية اهلها ثم ذمهم فقال (انهم كانوا قوم سوء فاسقين) اي خارجين عن طاعة الله تعالى « وادخلناه في رحمتنا » اي في نعمتنا ومنتنا « انه من الصالحين » اي بسبب انه من الصالحين الذين اصلحوا افعالهم فعملوا بما هو الحسن منها دون القبيح وقيل أراد بكونه من الصالحين انه من الانبياء

قوله تعالى (٧٦) وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٧) وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٧٨) وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ (٧٩) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (٨٠) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ خمس آيات

❊ القراءة ❊

قرأ ابو جعفر وابن عامر وحفص عن عاصم وروح وزيد عن يعقوب لتحصنكم بالتاء وقرأ ابو بكر عن عاصم ورويس عن يعقوب لنحصنكم بالنون والباقون ليحصنكم بالياء

❊ الحجة ❊

من قرأ بالياء فيجوز أن يكون الفاعل اسم الله لتقدم قوله علمناه ويجوز ان يكون اللباس لأن اللبوس بمعنى اللباس ويجوز ان يكون داود ومن قرأ بالتاء حمله على المعنى لأنه الدرع مؤنث ومن قرأ بالنون فلتقدم قوله علمناه

❊ اللغة ❊

النفش بفتح الفاء وسكونها ان تنتشر الابل والغنم بالليل فترعى بلا راع وابل نفاش واللبوس اسم للسلاح

كله عند العرب درعا او جوشنا او سيفا أو رمحا قال الهذلي يصف رمحاً

ومعي لبوس للبئيس كأنه ورق بجبهة ذي نعاج مجفل

وقيل هو كل ما يلبس من ثياب ودرع وقيل هو الدرع وأصل اللباس من الاختلاط ومنه سميت المرأة لباسا وسمي الليل لباسا لأنه يباشر الناس بظلمته والإحصان الإحراز وأصله من المنع

الإعراب

ونوحا معطوف على قوله ولوطا وقوله إذ نفشت ظرف لقوله يحكمان وقوله وكنا لحكمهم شاهدين يجوز أن يكون في موضع الجر بالعطف على يحكمان أي وقت حكمها في الحرث وكوننا شاهدين له ويجوز أن يكون في موضع النصب على الحال وكلا منصوب لأنه مفعول أول لآتينا وحكما مفعول ثان له يسبحن في موضع نصب على الحال من الجبال والطير عطف على الجبال ويجوز أن يكون مفعولا معه وتقديره يسبحن مع الطير فيكون الواو بمعنى مع

المعنى

ثم عطف سبحانه قصة نوح وداود على قصة ابراهيم (ع) ولوط فقال (ونوحا إذ نادى) أي دعا ربه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقال اني مغلوب فانتصر وغير ذلك (من قبل) أي من قبل ابراهيم ولوط (فاستجبنا له) أي أجبناه إلى ما التمسه (فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) أي من الغم الذي يصل حره إلى القلب وهو ما كان يلقاه من الأذى طول تلك المدة وتحمل الاستخفاف من السقاط من أعظم الكرب (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) أي منعناه منهم بالنصرة حتى لم يصلوا اليه بسوء وقيل معناه نصرناه على القوم ومن بمعنى على عن ابي عبيدة (انهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم اجمعين) صغارهم وكبارهم وذكورهم واناثهم (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم) أي وآتينا داود وسليمان حكماً وعلماً إذ يحكمان وقيل تقديره واذكر داود وسليمان حين يحكمان في الحرث في الوقت الذي نفشت فيه غنم القوم أي تفرقت ليلا (وكنا لحكمهم شاهدين) أي بحكمهم عالمين لم يغب عنا منه شيء وإنما جمع في موضع التثنية لإضافة الحكم إلى الحاكم وإلى المحكوم لهم وقيل لأن الاثنين جمع فهو مثل قوله إن كان له اخوة وهو يريد اخوين واختلف في الحكم الذي حكما به فقيل انه زرع وقعت فيه الغنم ليلا فأكلته عن قتادة وقيل كان كرما وقد بدت عنا قيده فحكم داود بالغنم لصاحب الكرم فقال سليمان غير هذا يا نبي الله قال وما ذاك قال يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان وبدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا عاد الكرم كما كان ثم دفع كل واحد منهما إلى صاحبه ماله عن ابن مسعود وروي ذلك عن أبي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقال الجبائي أوحى الله تعالى إلى سليمان بما نسخ به حكم داود الذي كان يحكم به قبل ولم يكن ذلك عن اجتهاد لأنه لا يجوز للأنبياء أن يحكموا بالاجتهاد وهذا هو الصحيح المعول عليه عندنا وقال علي ابن عيسى والبلخي يجوز أن يكون ذلك عن اجتهاد لأن رأي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من رأي غيره فإذا جاز التعبد بالتزام حكم غير النبي صلى الله عليه وآله وسلم من طريق الاجتهاد فكيف يمنع من حكم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على هذا الوجه والذي يدل على صحة القول الأول ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان يوحى اليه وله طريق إلى العلم بالحكم فلا يجوز أن يحكم بالظن على ان الحكم بالظن والاجتهاد والقياس قد بين اصحابنا في كتبهم انه لم يتعبد بها في الشرع إلا في مواضع مخصوصة ورد النص بجواز ذلك فيها نحو قيم المتلفات واروش الجنايات وجزاء الصيد والقبلة وما جرى هذا المجرى وايضا فلو جاز للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يجتهد لجاز لغيره أن يخالفه كما يجوز للمجتهدين أن يختلفا ومخالفة الأنبياء تكون كفرا هذا وقد قال الله سبحانه وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى فأخبر سبحانه انه إنما ينطق عن جهة الوحي ويقوي ما ذكرناه قوله تعالى (ففهمناها سليمان) أي علمناه الحكومة في ذلك وقيل

ان سليمان قضى بذلك وهو ابن إحدى عشرسنة وروي عن النبي ﷺ انه قضى بحفظ المواشي على اربابها ليلاً وقضى بحفظ الحرث على اربابه نهاراً (وكلا آتينا حكماً وعلما) أي وكل واحد من داود وسليمان أعطيناه حكمة وقيل معناه النبوة وعلم الدين والشرع (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) قيل معناه سيرنا الجبال مع داود حيث سار فعبر عن ذلك بالتسبيح لما فيه من الآية العظيمة التي تدعو إلى تسبيح الله وتعظيمه وتنزيهه عن كل ما لا يليق به وكذلك تسخير الطير له تسبيح يدل على ان مسخرها قادر لا يجوز عليه ما يجوز على العباد عن الجبائي وعلي بن عيسى وقيل ان الجبال كانت تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير يسبح معه بالغداة والعشي معجزة له عن وهب (وكنا فاعلين) أي قادرين على فعل هذه الأشياء ففعلناها دلالة على نبوته (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أي علمناه كيف يصنع الدرع قال قتادة أول من صنع الدرع داود(ع) وإنما كانت صفائح جعل الله سبحانه الحديد في يده كالعجين فهو أول من سردها وحلقها فجمعت الخفة والتحصين وهو قوله (لتحصنكم من بأسكم) أي ليحرزكم ويمنعكم من وقع السلاح فيكم عن السدي وقيل معناه من حربكم أي في حالة الحرب والقتال فإن البأس في اللغة هو شدة القتال (فهل أنتم شاكرون) لنعم الله تعالى عليكم وعلى انبيائه قبلكم وهذا تقرير للخلق على شكره فإن انعامه على الأنبياء انعام على الخلق وقيل ان سبب إلانة الحديدلداود (ع) انه كان نبياً ملكا وكان يطوف في ولايته متنكرا يتعرف احوال عماله ومتصرفيه فاستقبله جبرئيل ذات يوم على صورة آدمي فسلم عليه فرد عليه السلام وقال ما سيرة داود فقال نعمت السيرة لولا خصلة فيه قال وما هي قال انه يأكل من بيت مال المسلمين فتنكره واثنى عليه وقال لقد اقسم داود انه لا يأكل من بيت مال المسلمين فعلم الله سبحانه صدقه فألان له الحديد كما قال وألنا له الحديد وروي ان لقمان الحكيم حضره فرآه يفعل ذلك فصبر ولم يسأله حتى فرغ من ذلك فقام ولبس وقال نعمت الجنة للحرب فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله

قوله تعالى (٨١) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ (٨٢) وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ (٨٣) وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٤) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ (٨٦) وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ست آيات

— اللغة —

الريح هو الجو يشد تارة ويضعف تارة وهي جسم لطيف منفش يمتنع بلطفه من القبض عليه ويظهر للحس بحركته والعصوف شدة حركة الريح عصفت تعصف عصفا وعصوفا إذا اشتدت والعصف التبن لأن الريح تعصفه بتطييرها له

— الاعراب —

ولسليمان اللام يتعلق بسخرنا والتقدير وسخرنا لداود الجبال وسخرنا لسليمان الريح عاصفة نصب على الحال تجري بأمره في موضع الحال ايضا فهو حال بعد حال ويحتمل ان يكون حالا عن الحال التي هي عاصفة ومن يغوصون له عطف على الريح ومن الشياطين في موضع نصب على الحال من سخرنا وذوالحال من يغوصون له ويجوز

ان يكون حالا من يغوصون له وذو الحال الواو ومعهم في موضع نصب على انه صفة بعد صفة تقديره واهلا مثلهم كائنين معهم وانتصب رحمة بأنه مفعول له

— المعنى —

ثم عطف سبحانه بقصة سليمان على ما تقدم فقال (ولسليمان الريح) اي وسخرنا لسليمان الريح (عاصفة) اي شديدة الهبوب قال ابن عباس إذا أراد ان تعصف الريح عصفت وإذا أراد ان ترخي ارخيت وذلك قوله رخاء حيث اصاب (تجري بأمره) اي بأمر سليمان (الى الارض التي باركنا فيها) وهي ارض الشام لأنها كانت مأواه وقد سبق ذكرها في هذه السورة وقيل كانت الريح تجري في الغداة مسيرة شهر وفي الرواح كذلك وكان يسكن بعلبك ويبني له بيت المقدس ويحتاج الى الخروج اليها وإلى غيرها قال وهب وكان سليمان يخرج إلى مجلسه فتعكف عليه الطير ويقوم له الجن والانس حتى يجلس على سريره ويجتمع معه جنوده ثم تحمله الريح إلى حيث أراد (وكنا بكل شيء عالمين) فإنما أعطيناه ما أعطيناه لما علمناه من المصلحة (ومن الشياطين من يغوصون له) أي وسخرنا لسليمان من الشياطين من يغوصون له في البحر فيخرجون له الجواهر واللآلئ والغوص النزول إلى تحت الماء (ويعملون عملاً دون ذلك) أي سوى ذلك من الأبنية كالمحاريب والتماثيل وغيرهما (وكنا لهم حافظين) لئلا يهربوا منه ويمتنعوا عليه وقيل يحفظهم الله من أن يفسدوا ما عملوه عن الفراء والزجاج (وأيوب إذ نادى ربه) أي واذكر يا محمد أيوب حين دعا ربه لما امتدت المحنة به (إني مسني الضر) أي نالني الضر وأصابني الجهد (وأنت أرحم الراحمين) أي ولا أحد أرحم منك وهذا تعريض منه بالدعاء لإزالة ما به من البلاء وهو من لطيف الكنايات في طلب الحاجات ومثله قول موسى رب اني لما أنزلت إلي من خير فقير (فاستجبنا له) أي أجبنا دعاءه ونداءه (فكشفنا ما به من ضر) أي أزلنا ما به من الأوجاع والامراض وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قال ابن عباس وابن مسعود ردّ الله سبحانه عليه أهله الذين هلكوا باعيانهم واعطاه مثلهم معهم وكذلك رد الله عليه أمواله ومواشيه باعيانها وأعطاه مثلها معها وبه قال الحسن وقتادة وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وقيل انه خير أيوب فاختار احياء أهله في الآخرة ومثلهم في الدنيا فأوتي على ما اختار عن عكرمة ومجاهد قال وهب وكان له سبع بنات وثلاثة بنين وقال ابن يسار سبعة بنين وسبع بنات (رحمة من عندنا) أي نعمة منا عليه (وذكرى للعابدين) أي موعظة لهم في الصبر والانقطاع إلى الله تعالى والتوكل عليه لأنه لم يكن في عصر أيوب أحد اكرم على الله منه فابتلاه بالمحن العظيمة فأحسن الصبر عليها فينبغي لكل عاقل إذا أصابته محنة أن يصبر عليها ولا يجزع ويعلم ان عاقبة الصبر محمودة (واسماعيل وادريس وذا الكفل) أي واذكر هؤلاء الأنبياء وما انعمت عليهم من فنون النعمة ثم قال (كل من الصابرين) صبروا على بلاء الله والعمل بطاعته فأما اسماعيل فإنه صبر ببلد لا زرع به ولا ضرع وقام ببناء الكعبة وأما ادريس فإنه صبر على الدعاء إلى الله وكان أول من بعث إلى قومه فدعاهم إلى الدين فأبوا فأهلكهم الله تعالى ورفعه إلى السماء السادسة وأما ذو الكفل فاختلف فيه فقيل انه كان رجلا صالحًا ولم يكن نبيا ولكنه تكفل لنبي بصوم النهار وقيام الليل وان لا يغضب ويعمل بالحق فوفى بذلك فشكر الله ذلك له عن ابي موسى الأشعري وقتادة ومجاهد وقيل هو نبي اسمه ذو الكفل عن الحسن قال ولم يقص الله خبره مفصلا وقيل هو الياس عن ابن عباس وقيل كان نبياً وسمي ذا الكفل بمعنى انه ذو الضعف فله ضعف ثواب غيره ممن هو في زمانه لشرف عمله عن الجبائي وقيل هو اليسع بن خطوب الذي كان مع الياس وليس اليسع الذي ذكره الله في القرآن تكفل لملك جبار إن هو تاب دخل الجنة ودفع اليه كتابا بذلك فتاب الملك وكان اسمه كنعان فسمي ذا الكفل والكفل في اللغة هو الخط وفي كتاب النبوة بالاسناد عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني قال كتبت إلى أبي جعفر (ع) أسأله عن ذي الكفل

وما اسمه وهل كان من المرسلين فكتب (ع) ان الله بعث مائة الف نبي وأربعة وعشرين الف نبي المرسلين منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وإن ذا الكفل منهم وكان بعد سليمان بن داود (ع) وكان يقضي بين الناس كما يقضي داود (ع) ولم يغضب قط إلا لله تعالى وكان اسمه عدويا بن ادارين (وأدخلناهم في رحمتنا) أي وأدخلنا هؤلاء الذين ذكرناهم من الأنبياء في نعمتنا وأراد غمرناهم بالرحمة ولو قال رحمناهم لما أفاد ذلك بل أفاد انه فعل بهم الرحمة (انهم من الصالحين) أي انما أدخلناهم في رحمتنا لأنهم كانوا ممن صلحت أعمالهم

قوله تعالى (٨٧) وَذَا ٱلنُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي ٱلظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ (٨٨) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ (٨٩) وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْوَارِثِينَ (٩٠) فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ أربع آيات

القراءة

قرأ يعقوب فظن أن لن يقدر بضم الياء والباقون نقدر بالنون وكسر الدال وقرأ ابن عامر وابو بكر نجي بنون واحدة وتشديد الجيم والباقون ننجي بالنونين

الحجة

قوله ان لن نقدر عليه أن هذه مخففة من الثقيلة وتقديره ظن انه لن نقدر عليه أي لن نضيق عليه ومن قرأ لن يقدر عليه فهو مثل الأول في المعنى بني الفعل للمفعول به وأقيم الجار والمجرور مقام الفاعل ومن قرأ نجي المؤمنين بنون واحدة قال ابو بكر السراج هو وهم لأن النون لا تدغم في الجيم وإنما خفيت لأنها ساكنة تخرج من الخياشيم فحذفت في الكتابة وهي في اللفظ ثابتة قال ابو علي والقول في ذلك ان عاصما ينبغي أن يكون قرأ بنونين وأخفى الثانية فظن السامع انه مدغم وكذلك غيره

— المعنى —

ثم ذكر سبحانه قصة يونس (ع) فقال (وذا النون) أي واذكر ذا النون والنون الحوت وصاحبها يونس ابن متى (إذ ذهب) اي حين ذهب (مغاضبا) لقومه عن ابن عباس والضحاك اي مراغما لهم من حيث انه دعاهم إلى الايمان مدة طويلة فلم يؤمنوا حتى اوعدهم الله بالعذاب فخرج من بينهم مغاضبا لهم قبل أن يؤذن له (فظن أن لن نقدر عليه) أي لن نضيق عليه عن عطا وجماعة من المفسرين وقيل ظن ان لن نقضي عليه ماقضيناه والقدر بمعنى القضاء عن مجاهد وقتادة والكلبي والجبائي قال الجبائي ضيق الله عليه الطريق حتى ألجأه إلى ركوب البحر ثم قذف فيه فابتلعته السمكة ومن قال انه خرج مغاضبا لربه وانه ظن ان لن يقدر الله على اخذه بمعنى انه يعجز عنه فقد أساء الثناء على الأنبياء فإن مغاضبة الله كفر أو كبيرة عظيمة وتجويز العجز على الله سبحانه كذلك فكيف يجوز ذلك على نبي من أنبياء الله تعالى وقال ابن زيد انه استفهام معناه التوبيخ وتقديره فظن ان لن نقدر عليه وانكره علي بن عيسى وقال لا يجوز حذف الاستفهام من غير دليل عليه وقد جاء في كلام العرب حذفه على خلاف ما قاله انشد النحويون قول عمر بن ابي ربيعة

ثم قالوا تحبها قلت بهراً عدد القطر والحصى والتراب

اي أتحبها (فنادى في الظلمات) قيل انها ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت عن ابن عباس وقتادة

وقيل كان حوت في بطن حوت عن سالم بن ابي الجعد (ان لا إله إلا أنت سبحانك) لما اراد السؤال والدعاء قدم ذكر التوحيد والعدل ثم قال (إني كنت من الظالمين) اي من الذين يقع منهم الظلم وإنما قاله على سبيل الخشوع والخضوع لأن جنس البشر لا يمتنع منه وقوع الظلم قال الجبائي لم يكن يونس في بطن الحوت على جهة العقوبة من الله تعالى لأن العقوبة عداوة للمعاقب لكن كان ذلك على وجه التأديب والتأديب يجوز للمكلف وغير المكلف كتأديب الصبي وغيره وبقاؤه في بطن الحوت حيا معجزة له (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) أي من بطن الحوت (وكذلك ننجي المؤمنين) اي ننجيهم إذا دعونا به كما أنجينا ذا النون ثم قال سبحانه (وزكريا) اي واذكر زكريا (إذ نادى ربه) ودعاه يا رب (لا تذرني فردا) بغير وارث ولا ولد يعينني على امر الدين والدنيا في حياتي ويرثني بعد وفاتي (وأنت خير الوارثين) هذا ثناء على الله سبحانه بأنه الباقي بعد فناء خلقه وانه خير من بقي حيا بعد ميت وان الخلق كلهم يموتون ويبقى هو سبحانه (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى) روى الحرث ابن المغيرة قال قلت لأبي عبد الله (ع) اني من اهل بيت قد انقرضوا وليس لي ولد فقال ادع وأنت ساجد رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين قال ففعلت فولد لي علي والحسين (وأصلحنا له زوجه) بأن كانت عقيمة فجعلناها ولوداً عن قتادة وقيل كانت هرمة فرددنا عليها شبابها عن ابي مسلم وقيل كانت سيئة الخلق فجعلناها حسنة الخلق (انهم) يعني زكريا ويحيى وقيل معناه ان الأنبياء الذين تقدم ذكرهم (كانوا يسارعون في الخيرات) اي يبادرون إلى الطاعات والعبادات (ويدعوننا رغبا ورهبا) أي للرغبة والرهبة رغبة في الثواب ورهبة من العقاب وقيل راغبين وراهبين عن الضحاك وقيل رغبا ببطون الأكف ورهبا بظهور الأكف (وكانوا لنا خاشعين) اي متواضعين عن ابن عباس وقيل الخشوع المخافة الثابتة في القلب عن الحسن وقيل معناه انهم قالوا حال النعمة اللهم لا تجعلها استدراجاً وحال السيئة اللهم لا تجعلها عقوبة بذنب سلف منا وفي قوله سبحانه يسارعون في الخيرات دلالة على ان المسارعة إلى كل طاعة مرغب فيها وعلى ان الصلاة في أول الوقت أفضل

قوله تعالى (٩١) وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (٩٢) إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٣) وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ (٩٤) فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ (٩٥) وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ حمزة والكسائي وابو بكر وحرم بكسر الحاء بغير الف والباقون وحرام وهو قراءة الصادق (ع) وفي الشواذ قراءة الحسن وابن ابي اسحاق امة واحدة بالرفع وقرأ ابن عباس وقتادة وحَرِم وفي رواية اخرى عن ابن عباس وحرم وهي قراءة عكرمة وابي العالية

— الحجة —

قال أبو علي حرم وحرام لغتان وكذلك حل وحلال وكل واحد من حرم وحرام ان شئت رفعته بالابتداء لاختصاصه بما جاء بعده من الكلام وخبره محذوف وتقديره وحرام على قرية اهلكناها بأنهم لا يرجعون مقضي او ثابت او محكوم عليه وان شئت جعلته خبر مبتدأ محذوف وجعلت لا زائدة والمعنى حرام على قرية اهلكناها رجوعهم كما قال فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون وان شئت جعلته خبر مبتدأ واضمرت مبتدأ كما ذكرت ويكون المعنى حرام على قرية أهلكناها بالاستئصال رجوعهم لأنهم لا يرجعون وتكون لا غير زائدة

والمعنى حرام عليهم انهم ممنوعون من ذلك وقال الزجاج تقديره وحرام على قرية اهلكناها ان يتقبل منهم عمل لأنهم لا يرجعون اي لا يتوبون ابدا كما قال سبحانه ختم الله على قلوبهم الآية فعلى هذا يكون حرام خبر مبتدأ محذوف وهو قوله ان يتقبل منهم عمل وانهم لا يرجعون في موضع نصب لأنه مفعول له فأما من قرأ حرم على قرية فإنه من حرم فهو حرم اي قمر ماله قال زهير

وان أتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم

وأما حرم فمعناه ظاهر ومن قرأ أمة بالرفع جعله بدلا من أمتكم ويجوز ان يكون خبراً بعد خبر وأمة منصوبة على الحال والعامل فيها معنى الاشارة وذو الحال الامة الاولى في الحقيقة الحال الاولى قوله واحدة التي هي صفة الامة كقوله تعالى قرآنا عربيا والتقدير ان هذه امتكم أمة واحدة اي مجتمعة غير متفرقة

— المعنى —

ثم عطف سبحانه على ما تقدم بقصة عيسى (ع) فقال (والتي احصنت فرجها) يعني مريم ابنة عمران أي واذكر مريم التي حفظت فرجها وحصنته وعفت وامتنعت من الفساد (فنفخنا فيها من روحنا) أي اجرينا فيها روح المسيح كما يجري الهواء بالنفخ فأضاف الروح الى نفسه على وجه الملك تشريفاً له في الاختصاص بالذكر وقيل ان معناه أمرنا جبرائيل فنفخ في جيب درعها فخلقنا المسيح في رحمها (وجعلناها وابنها آية للعالمين) إنما قال آية ولم يقل آيتين لأنه في موضع دلالة فلا يحتاج إلى ان تثنى والآية فيهما أنها جاءت به من غير فحل فتكلم في المهد بما يوجب براءة ساحتها من العيب (ان هذه أمتكم أمة واحدة) أي هذا دينكم دين واحد عن ابن عباس ومجاهد والحسن وأصل الامة الجماعة التي على مقصد واحد فجعلت الشريعة أمة واحدة لاجتماعهم بها على مقصد واحد وقيل معناه جماعة واحدة في انها مخلوقة مملوكة لله تعالى اي فلا تكونوا إلا على دين واحد وقيل معناه هؤلاء الذين تقدم ذكرهم من الانبياء فريقكم الذي يلزمكم الاقتداء بهم في حال اجتماعهم على الحق كما يقال هؤلاء أمتنا اي فريقنا وموافقونا على مذهبنا (وانا ربكم) الذي خلقكم (فاعبدون) ولا تشركوا بي شيئا ثم ذكر اليهود والنصارى بالاختلاف فقال (وتقطعوا امرهم بينهم) اي فرقوا دينهم فيما بينهم يلعن بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض عن الكلبي وابن زيد والتقطع هذا بمنزلة التقطيع ثم قال مهددا لهم (كل إلينا راجعون) اي كل ممن اجتمع وافترق راجع إلى حكمنا في الوقت الذي لا يقدر على الحكم سوانا فنجازيهم باعمالهم (فمن يعمل من الصالحات) التقدير فمن يعمل من الصالحات شيئاً مثل صلة الرحم ومعونة الضعيف ونصر المظلوم والتنفيس عن المكروب وغير ذلك من انواع الطاعات (وهو مؤمن) شرط الإيمان لأن هذه الاشياء لو فعلها الكافر لم ينتفع بها عند الله تعالى (فلا كفران لسعيه) اي فلا جحود لإحسانه في عمله بل يشكر ويثاب عليه (وإنا له كاتبون) اي نأمر ملائكتنا ان يكتبوا ذلك ويثبتوه فلا يضيع منه شيء وقيل كاتبون اي ضامنون جزاءه حتى نوفر على عاملها مجموعة ومنه الكتيبة لانه ضم رجال الى رجال (وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون) اختلف في معناه على وجوه احدها ان لا مزيدة والمعنى حرام على قرية مهلكة بالعقوبة ان يرجعوا الى دار الدنيا عن الجبائي وقيل ان معناه واجب عليها انها إذا اهلكت لا ترجع الى دنياها عن قتادة وعكرمة والكلبي قال عطا يريد حتم مني والمراد ان الله تعالى كتب على من اهلك ان لا يرجع الى الدنيا قضاء منه حتما وفي ذلك تخويف لكفار مكة بأنهم ان عذبوا واهلكوا لم يرجعوا الى الدنيا كغيرهم من الامم المهلكة وقد جاء الحرام بمعنى الواجب في شعر الخنساء

وان حراما لا أرى الدهر باكيا على شجوه الا بكيت على صخر

وثانيها ان معناه حرام على قرية وجدناها هالكة بالذنوب ان يتقبل منهم عمل لأنهم لا يرجعون

الى التوبة وثالثها ان معناه حرام ان لا يرجعوا بعد الممات بل يرجعون احياء للمجازاة عن ابي مسلم وروى محمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) انه قال كل قرية اهلكها الله بعذاب فإنهم لا يرجعون

قوله تعالى (٩٦) حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ (٩٧) وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ (٩٨) إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٩٩) لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٠) لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ (١٠١) إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠٢) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٣) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ثمان آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن عامر ويعقوب فتحت بالتشديد والباقون بالتخفيف وقد ذكرنا اختلافهم في يأجوج ومأجوج في سورة الكهف وفي الشواذ قراءة ابن مسعود من كل جدث وقراءة ابن السميع حصب جهنم ساكنة الصاد وقراءة ابن عباس حضب بالضاد مفتوحة وقراءة علي (ع) وعائشة وابن الزبير وابي بن كعب وعكرمة حطب بالطاء

الحجة

من خفف فتحت فلأن الفعل في الظاهر مسند الى هذين الاسمين واراد فتح سد يأجوج ومأجوج ومن شدد حمله على الكثرة فهو مثل مفتحة لهم الابواب والجدث القبر بلغة الحجاز والجدف بالفاء بلغة تميم وفي الحطب لغات وحطب وحصب بالصاد وحضب بالضاد ولا يقال حصب بالصاد الا إذا القي في التنور او في الموقد وقال احمد بن يحيى اصل الحصب الرمي حطبا كان أو غيره قال الاعشى

فلا تك في حربنا محصبا لتجعل قومك شتى شعوبا

فأما الحصب ساكنا بالصاد والضاد فالطرح فهو مصدر وقع موقع اسم المفعول كالخلق والصيد بمعنى المخلوق والمصيد

اللغة

الحدب الارتفاع من الارض بين الانخفاض والحدبة خروج الظهر ورجل احدب والنسول الخروج عن الشيء الملابس يقال نسل ينسل وينسل قال امرؤ القيس

فإن يك قد ساءتك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

ونسل ريش الطائر إذا سقط وقيل النسول الخروج بإسراع نحو نسلان الذئب قال عسلان بمعنى الاضطراب

الذئب أمسى قاربا بر د الليل عليه فنسل

وشخص المسافر شخوصا إذا خرج من منزله وشخص من بلد إلى بلد وشخص بصره إذا نظر اليه كأنه خرج اليه والحسيس والحس الحركة

الإعراب

واقترب الوعد قال الفراء معنى الواو الطرح والمعنى إذا فتحت يأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق قال

الزجاج الواو لا يجوز ان يطرح عند البصريين وجواب إذا عندهم قوله يا ويلنا وهاهنا قول محذوف اي قالوا يا ويلنا وقوله فإذا هي شاخصة إذا ظرف مكان والعامل فيه شاخصة وهي ضمير القصة في محل رفع بالابتداء وابصار الذين كفروا مبتدأ آخر وشاخصة خبر مقدم والجملة خبر هي وقيل ان تمام الكلام عند قوله هي وتقديره فإذا هي بارزة واقعة يعني انها من قربها كأنها وقعت ثم ابتدأ فقال شاخصة ابصار الذين كفروا على تقديم الخبر على المبتدأ

المعنى

لما تقدم أنهم لا يرجعون الى الدنيا وعدهم بالرجوع الى الآخرة وبين علامة ذلك فقال (حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج) اي فتحت جهنهم والمعنى انفرج سد يأجوج ومأجوج بسقوط أو هدم أو كسر وذلك من اشراط الساعة (وهم من كل حدب ينسلون) اي وهم يريد يأجوج ومأجوج من كل نشز من الارض يسرعون عن قتادة وابن مسعود والجبائي وابي مسلم يعني انهم يتفرقون في الارض فلا ترى أكمة إلا وقوم منهم يهبطون منها مسرعين وقيل ان قوله هم كناية عن الخلق يخرجون من قبورهم الى الحشر عن مجاهد وكان يقرأ من كل جدث يعني القبر ويدل عليه قوله فإذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون (واقترب الوعد الحق) اي الموعود الصدق ومعناه اقترب قيام الساعة (فإذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا) معناه فإذا القصة ان ابصار الذين كفروا تشخص في ذلك اليوم اي لا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم وهوله ينظرون الى تلك الاهوال عن الكلبي (يا ويلنا) اي يقولون يا (ويلنا قد كنا في غفلة من هذا) اشتغلنا بامور الدنيا وغفلنا عن هذا اليوم فلم نتفكر فيه (بل كنا ظالمين) بأن عصينا الله تعالى وعبدنا غيره ثم قال سبحانه (انكم وما تعبدون من دون الله) يعني الاصنام (حصب جهنم) اي وقودها عن ابن عباس وقيل حطبها عن مجاهد وقتادة وعكرمة واصل الحصب الرمي فالمراد انهم يرمون فيها كما يرمى بالحصباء عن الضحاك وابي مسلم ويسأل على هذا فيقال ان عيسى (ع) قد عُبد والملائكة قد عبدوا والجواب انهم لا يدخلون في الآية لأن ما لما لا يعقل ولأن الخطاب لأهل مكة وانما كانوا يعبدون الاصنام فإن قيل فأي فائدة في ادخال الاصنام النار وقيل يعذب بها المشركون الذين عبدوها فتكون زيادة في حسرتهم وغمهم ويجوز ان يرمى بها في النار توبيخا للكفار حيث عبدوها وهي جماد لا تضر ولا تنفع وقيل ان المراد بقوله وما يعبدون من دون الله الشياطين دعوهم الى عبادة غير الله فأطاعوهم كما قال يا ابت لا تعبد الشيطان (انتم لها واردون) خطاب للكفار اي انتم في جهنم داخلون وقيل ان معنى بها اليها قوله بأن ربك اوحى لها اي اليها (لو كان هؤلاء) الاصنام والشياطين (آلهة) كما تزعمون (ما وردوها) اي ما دخلوا النار ولامتنعوا منها (وكل) من العابد والمعبود (فيها) اي في النار (خالدون) دائمون (لهم فيها زفير) اي صوت كصوت الحمار وهو شدة تنفسهم في النار عند احراقها لهم (وهم فيها لا يسمعون) اي لا يسمعون ما يسرهم ولا ما ينتفعون به وإنما يسمعون صوت المعذبين وصوت الملائكة الذين يعذبونهم ويسمعون ما يسوءهم عن الجبائي وقيل يجعلون في توابيت من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى احد منهم ان في النار احدا يعذب غيره عن عبد الله بن مسعود قالوا ولما نزلت هذه الآية أتى عبد الله بن الزبعرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد الست تزعم ان عزيرا رجل صالح وان عيسى (ع) رجل صالح وان مريم امرأة صالحة قال بلى قال فإن هؤلاء يعبدون من دون الله فهم في النار فأنزل الله هذه الآية (إن الذين سبقت لهم منا الحسنى) اي الموعدة بالجنة وقيل الحسنى السعادة عن ابن زيد وكأنه يذهب إلى الكلمة بأنه سيسعد او الى العدة لهم على طاعتهم فأنث الحسنى (أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها) اي يكونون بحيث لا يسمعون صوتها الذي يحس (وهم فيما اشتهت انفسهم) من نعيم الجنة وملاذها (خالدون) اي دائمون والشهوة طلب النفس اللذة يقال اشتهى شهوة

وقيل أن الذين سبقت لهم منا الحسنى عيسى وعزير ومريم والملائكة الذين عبدوا من دون الله وهم كارهون استثناهم من جملة ما يعبدون من دون الله عن الحسن ومجاهد وقيل إن الآية عامة في كل من سبقت له الموعدة بالسعادة (لا يحزنهم الفزع الأكبر) أي الخوف الأعظم وهو عذاب النار إذا اطبقت على اهلها عن سعيد بن جبير وابن جريج وقيل هو النفخة الأخيرة لقوله ونفخ في الصور ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله عن ابن عباس وقيل هو حين يؤمر بالعبد إلى النار عن الحسن وقيل هو حين يذبح الموت على صورة كبش املح وينادى يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت وروى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ثلاثة على كثبان من مسك لا يحزنهم الفزع الأكبر ولا يكترثون للحساب رجل قرأ القرآن محتسبا ثم أمّ به قوما محتسبا ورجل اذن محتسبا ومملوك ادى حق الله عز وجل وحق مواليه (وتتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة بالتهنئة يقولون لهم (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) في الدنيا فأبشروا بالأمن والفوز

قوله تعالى (١٠٤) يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (١٠٥) وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٦) إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٧) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٨) قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٩) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ (١١٠) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١١) وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (١١٢) قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ (تسع آيات)

القراءة

قرأ ابو جعفر تطوى بالتاء والضم السماء بالرفع والباقون نطوي بالنون السماء بالنصب وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر للكتب على الجمع والباقون للكتاب وقرأ حفص قال رب والباقون قل ربي وقرأ ابو جعفر رب احكم بضم الباء وقرأ زيد عن يعقوب ربي احكم وهو قراءة ابن عباس وعكرمة والجحدري وابن محيص والباقون رب احكم وفي الشواذ قراءة الحسن كطي السجل بسكون الجيم وقراءة ابي زرعة بن عمرو السجل بضم السين والجيم وتشديد اللام وقراءة ابي السماك السجل بفتح السين وسكون الجيم

الحجة

من قرأ يوم تطوى السماء فبنى الفعل للمفعول به ومن قرأ يوم نطوي السماء فالفاعل هو الله سبحانه والمعنى واحد وفي انتصاب يوم وجهان عند ابي علي (احدهما) ان يكون بدلا من الهاء المحذوفة من الصلة الا ترى ان المعنى هذا يومكم الذي توعدونه والآخر ان يكون منتصبا بنعيده والمعنى نعيد الخلق اعادة كابتدائه اي كابتداء الخلق ومثله في المعنى كما بدأكم تعودون وتقديره كما بدأ خلقكم يعود خلقكم فحذف المضاف في الموضعين وأقام المضاف اليه مقامه والمعنى يعود خلقكم عودا كبدئه ومثله في المعنى كما بدأنا اول خلق نعيده ومن افرد الكتاب ولم يجمع فانه واحد يراد به الكثرة ومن قرأ للكتب فان المراد به الجمع ومن قرأ قال رب اراد قال الرسول ومن قرأ قل فهو على قل انت يا محمد وقراءة ابي جعفر رب احكم معناه يارب احكم وهي ضعيفة عند النحويين البصريين وقد جاء مثله في المثل وهو قولهم (اصبح ليل واطرق كرا وافتد مخنوق) اي

ياليل وياكروان ويامخنوق وقد جاء في الشعر وهو

عجبت لعطار أتانا يسومنا بدسكرة المرّان دهن بنفسج
فقلت له عطار هلا اتيتنا بنور الخزامى أو بخوصة عرفج

أراد ياعطار ومن قرأ رب احكم فالمعنى ظاهر

الاعراب

الكاف في قوله كطي السجل في محل النصب لأنه صفة مصدر محذوف تقديره نطوي السماء طيا مثل طي السجل فإن كان السجل اسما للصحيفة فالمصدر الذي هو طي مضاف إلى المفعول في المعنى و إن كان اسم ملك أو كاتب فهو مضاف إلى الفاعل في المعنى فإن كان مفعولا كان اللام بمعنى من اجل و إن كان فاعلا كان اللام للاختصاص. وعدا علينا منصوب على المصدر قال الزجاج لأن قوله نعيده بمعنى قد وعدنا ذلك والأجود أن يقدر عاملا محذوفا لأن القراء يقفون على قوله نعيده قال جامع العلوم الكاف في كما بدأنا من صلة نعيده وإن كان متقدما ومثاله كما علمه الله فليكتب. رحمة للعالمين نصب على الحال او على انه مفعول له و إنما إلهكم إله واحد في محل رفع باسناد يوحى اليه وقيامه مقام الفاعل وعلى سواء في موضع نصب على الحال من الفاعلين والمفعولين والتقدير اذنتكم واستوينا نحن وأنتم فيكون الحال من الفريقين. ما توعدون في موضع رفع بأنه فاعل قريب لأنه اعتمد على همزة الاستفهام فهو كقولهم أقائم أخوك ويجوز أن يكون مبتدءا وقريب خبره وعلى الوجهين فهما مفعولا ادري اي أعلم علقتها همزة الاستفهام والتقدير أقريب ما توعدون أم بعيد فبعيد عطف على قريب والنية فيه التأخير وان أدري لعله فتنة لكم مفعول ادري محذوف والتقدير ما ادري كيف يكون الحال

المعنى

(يوم نطوي السماء) المراد بالطي هنا هو الطي المعروف وأن الله سبحانه يطوي السماء بقدرته وقيل إن طي السماء ذهابها عن الحس (كطي السجل للكتب) والسجل صحيفة فيها الكتب عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والكلبي وعلى هذا فمعناه نطويها كما تطوى الصحيفة المجعولة للكتاب ويجوز أن يكون المراد بالكتاب المكتوب وقيل إن السجل ملك يكتب أعمال العباد عن ابي عمرو والسدي وقيل هو ملك يطوي كتب بني آدم إذا رفعت اليه عن عطا وقيل هو اسم كاتب كان للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ابن عباس في رواية (كما بدأنا أول خلق نعيده) أي كما بدأناهم في بطون امهاتهم حفاة عراة عزلا كذلك نعيدهم روي ذلك مرفوعا وقيل معناه نبعث الخلق كما ابتدأناه أي قدرتنا على الإعادة كقدرتنا على الابتداء عن الحسن والزجاج وقيل معناه نهلك كل شيء كما كان أول مرة عن ابن عباس (وعدا علينا) أي وعدناكم ذلك وعدا (إنا كنا فاعلين) ما وعدناكم من ذلك (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قيل فيه أقوال ﴿ احدها ﴾ أن الزبور كتب الأنبياء ومعناه كتبنا في الكتب التي أنزلناها على الأنبياء من بعد كتابته في الذكر اي ام الكتاب الذي في السماء وهو اللوح المحفوظ عن سعيد بن جبير ومجاهد وابن زيد وهو اختيار الزجاج قال لأن الزبور والكتاب بمعنى واحد وزبرت كتبت ﴿ وثانيها ﴾ أن الزبور الكتب المنزلة بعد التوراة والذكر هو التوراة عن ابن عباس والضحاك ﴿ وثالثها ﴾ أن الزبور زبور داود والذكر توراة موسى عن الشعبي وروي عنه ايضا أن الذكر القرآن وبعد بمعنى قبل (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) قيل يعني ارض الجنة يرثها عبادي المطيعون عن ابن عباس وسعيد بن جبير وابن زيد فهو مثل قوله وأورثنا الأرض وقوله الذين يرثون الفردوس وقيل هي الأرض المعروفة يرثها امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالفتوح بعد اجلاء الكفار كما قال صلى الله عليه وآله زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها عن ابن عباس في رواية اخرى وقال ابو جعفر عليه السلام هم أصحاب المهدي (ع) في آخر الزمان ويدل على ذلك

ما رواه الخاص والعام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا صالحاً من اهل بيتي يملأ الأرض عدلا وقسطا كما قد ملئت ظلما وجورا وقد اورد الامام ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي في كتاب البعث والنشور اخبارا كثيرة في هذا المعنى حدثنا بجميعها عنه حافده ابو الحسن عبيد الله بن محمد ابن احمد في شهور سنة ثماني عشرة وخمسمائة ثم قال في آخر الباب فأما الحديث الذي اخبرنا ابو عبد الله الحافظ بالإسناد عن محمد بن خالد الجندي عن ابان بن صالح عن الحسن عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يزداد الامر إلا شدة ولا الناس إلا شحا ولا الدنيا إلا ادبارا ولا تقوم الساعة إلا على اشرار الناس ولا مهدي إلا عيسى ابن مريم فهذا حديث تفرد به محمد بن خالد الجندي قال ابو عبد الله الحافظ ومحمد بن خالد رجل مجهول واختلف عليه في اسناده فرواه مرة عن ابان بن صالح عن الحسن عن انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومرة عن ابان بن ابي عياش وهو متروك عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو منقطع والأحاديث في التنصيص على خروج المهدي (ع) اصح اسنادا وفيها بيان كونه من عترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا لفظه ومن جملتها ما حدثنا ابو الحسن حافده عنه قال اخبرنا ابو علي الروذباري قال اخبرنا ابو بكر بن داسة قال حدثنا ابو داود السجستاني في كتاب السنن عن طرق كثيرة ذكرها ثم قال كلهم عن عاصم المقري عن زيد عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه رجلا مني او من اهل بيتي وفي بعضها يواطئ اسمه اسمي يملأ الارض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا وبالاسناد قال حدثنا ابو داود قال حدثنا احمد بن ابراهيم قال حدثني عبد الله بن جعفر الرقي قال حدثني ابو المليح الحسن بن عمر عن زياد بن بيان عن علي بن نفيل عن سعيد بن المسيب عن ام سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول المهدي من عترتي من ولد فاطمة (ع) (إن في هذا) يعني إن في الذي اخبرناكم به مما توعدنا به الكفار من النار والخلود فيها وما وعدنا به المؤمنين من الجنة والكون فيها وقيل معناه إن في هذا القرآن ودلائله (لبلاغا) اي كفاية ووصلة إلى البغية والبلاغ سبب الوصول إلى الحق (لقوم عابدين) لله مخلصين له قال كعب هم امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين يصلون الصلوات الخمس ويصومون شهر رمضان سماهم عابدين (وما ارسلناك) يامحمد (إلا رحمة للعالمين) اي نعمة عليهم قال ابن عباس رحمة للبر والفاجر والمؤمن والكافر فهو رحمة للمؤمن في الدنيا والآخرة ورحمة للكافر بأن عوفي مما اصاب الامم من الخسف والمسخ وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبرائيل لما نزلت هذه الآية هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم إني كنت اخشى عاقبة الامر فآمنت بك لما اثنى الله علي بقوله ذي قوة عند ذي العرش مكين وقد قال إنما انا رحمة مهداة او قيل ان الوجه في انه نعمة على الكافر انه عرضه للايمان والثواب الدائم وهداه وان لم يهتد كمن قدم الطعام إلى جائع فلم يأكل فإنه منعم عليه وإن لم يقبل وفي الآية دلالة على بطلان قول اهل الجبر في انه ليس لله على الكافر نعمة لانه سبحانه بين ان في ارسال محمد صلى الله عليه وآله وسلم نعمة على العالمين وعلى كل من ارسل اليهم ثم قال له (ع) (قل إنما يوحى إلي انما إلهكم إله واحد فهل انتم مسلمون) اي مستسلمون منقادون لذلك بأن تتركوا عبادة غير الله وقيل معناه الامر اي اسلموا كقوله فهل انتم منتهون اي انتهوا (فإن تولوا) اي اعرضوا ولم يسلموا (فقل اذنتكم) اي اعلمتكم بالحرب (على سواء) اي ايذانا على سواء اعلاما نستوي نحن وأنتم في علمه لا استبدادا به دونكم لتتأهبوا لما يراد بكم ومثله قوله فانبذ اليهم على سواء وقيل معناه اعلمتكم بما يجب الاعلام به على سواء في الايذان لم ابين الحق لقوم دون قوم ولم اكتمه لقوم دون قوم وفي هذا دلالة على بطلان قول اصحاب الرموز وان للقرآن بواطن خص بالعلم بها اقوام (وان ادري) اي وما ادري (أقريب ام بعيد ما توعدون) يعني اجل يوم القيامة فإن الله تعالى هو العالم بذلك وقيل معناه أذنتكم بالحرب ولا ادري متى اوذن فيه (إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون) أي إن الله يعلم السر والعلانية (وان ادري) اي وما ادري (لعله) كناية عن

غير مذكور (فتنة لكم) اي لعل ما اذنتكم به اختبار لكم وشدة تكليف ليظهر صنيعكم عن الزجاج وقيل لعل هذه الدنيا فتنة لكم عن الحسن وقيل لعل تأخير العذاب محنة واختبار لكم لترجعوا عما انتم عليه (ومتاع إلى حين) اي تتمتعون به إلى وقت انقضاء آجالكم (قل رب احكم بالحق) اي فوض امورك يا محمد إلى الله وقل يارب احكم بيني وبين من كذبني بالحق قال قتادة كان النبي ﷺ إذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق أي افصل بيني وبين المشركين بما يظهر به الحق للجميع وقيل معناه احكم بحكمك الحق وهو اظهار الحق على الباطل (وربنا الرحمن) الذي يرحم عباده (المستعان) الذي يعينهم في امورهم فجمع بين الرحمة والمعونة اللتين تضمنتا اصول النعم (على ما تصفون) من كذبكم وباطلكم في قولكم هل هذا إلا بشر مثلكم وقولكم اتخذ الرحمن ولدا وقيل معناه وربنا الرحمن المستعان على دفع ما تصفون

سورة الحج

مكية عن ابن عباس وعطا الا آيات قال الحسن هي مدنية غير آيات نزلت في السفر وقال بعضهم غير ست آيات وقال بعضهم غير أربع آيات

عدد آيها

ثمان وسبعون آية كوفي سبع مكي وست مدني خمس بصري اربع شامي

اختلافها

خمس آيات الحميم والجلود كلاهما كوفي وعاد وثمود غير الشامي وقوم لوط حجازي كوفي سماكم المسلمين مكي

فضلها

أبي بن كعب قال قال النبي ﷺ من قرأ سورة الحج اعطي من الأجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج واعتمر فيما مضى وفيما بقي وقال ابو عبد الله (ع) من قرأها في كل ثلاثة أيام لم يخرج من سنة حتى يخرج إلى بيت الله الحرام وإن مات في سفره دخل الجنة

تفسيرها

لما ختم الله سورة الأنبياء بالدعاء إلى التوحيد والإعلام بأن نبيه رحمة للعالمين افتتح هذه السورة بخطاب المكلفين ليتقوا الشرك ومخالفة الدين فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (٢) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ (٣) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (٤) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٥) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم سكرى وما هم بسكرى والباقون سكارى في الموضعين وفي الشواذ قراءة الأعرج والحسن بخلاف سكرى بضم السين وقرأ ابو جعفر وربأت بالهمزة هاهنا وفي حم والباقون وربت

الحجة

قالوا رجل سكران وامرأة سكرى والجمع سكارى وسكارى بضم السين وفتحها إلا أن القراءة بالضم واما سكرى في الجمع فهو مثل صرعى وجرحى وذلك لأن السكر كأنه علة لحقت عقولهم كما ان الصرع والجرح علة لحقت اجسامهم وفعلى مختص في الجمع بالمبتلين كالمرضى والسقمى والهلكى وأما سكرى بالضم فيجوز أن يكون اسما مفردا على فعلى بمعنى الجمع وأما قوله ربت فهو من ربا يربو اذا زاد وأما الهمز فمن ربأت القوم إذا أشرفت عليهم عاليا لتحفظهم وهذا كأنه ذهب إلى علو الأرض لما فيها من افراط الربو فإذا وصف علوها دل على أن الزيادة شاعت فيها

اللغة

الزلزلة والزلزال شدة الحركة على الحال الهائلة وقيل إن اصله زل فضوعف للمبالغة واثبته البصريون قالوا إن زل ثلاثي وزلزل رباعي وان اتفق بعض الحروف في الكلمتين لانه لايمتنع مثل هذا ألا ترى انهم يقولون دمث ودمثر وسبط وسبطر وليس احدهما مأخوذا من الآخر وإن كان معناهما واحدا لأن الزاي ليست من حروف الزيادة والزلزال بالفتح الاسم قال الشاعر

يعرف الجاهل المضلل أن الد ... هر فيه النكراء والزلزال

والذهول الذهاب عن الشيء دهشا وحيرة يقال ذهل عنه يذهل ذهولا وذهلا بمعنى والذهل السلو قال «صحا قلبه ياعز أو كاد يذهل» والحمل بفتح الحاء ما كان في بطن أو على رأس شجرة والحمل بكسر الحاء ما كان على ظهر أو على رأس والمريد المتجرد للفساد وقيل إن اصله الملاسة فكأنه متملس من الخير ومنه صخرة مرداء أي ملساء ومنه الأمرد والممرد من البناء المتطاول المتجاوز والمضغة مقدار ما يمضغ من اللحم والهمود الدروس والدثور قال الأعشى

قالت قتيلة ما لجسمك شاحبا ... وأرى ثيابك باليات همدا

والبهيج الحسن الصورة

الإعراب

العامل في يوم ترونها قوله تذهل أي تذهل كل مرضعة في هذا اليوم عما ارضعته ويجوز أن يكون ما مصدرية فيكون التقدير تذهل كل مرضعة في هذا اليوم عن إرضاعها ولدها ومفعول ارضعت محذوف على الوجهين ومرضعة جار على الفعل يقال امرأة مرضع أي ذات ارضاع ارضعت ولدها او ارضعته غيرها ومرضعة ترضع قال امرؤ القيس

ومثلك حبلى قد طرقت ومرضع ... فألهيتها عن ذي تمائم محول

وسكارى نصب على الحال وان جعلت ترى بمعنى الظن فهو المفعول الثاني له كتب عليه انه من تولاه فانه يضله الهاء في عليه يعود إلى الشيطان والهاء في انه يحتمل وجهين ان يكون ضمير الأمر والشان وأن يكون عائدا إلى الشيطان و إنما فتحت أن في قوله فأنه يضله على احد وجهين أن يكون عطفا على الاولى للتأكيد والمعنى كتب عليه انه من تولاه يضله وتأويله كتب على الشيطان اضلال متوليه وهدايتهم إلى عذاب السعير وهذا قول الزجاج وفيه نظر لأن الأصل في التوكيد أن لا يدخل حرف العطف بين المؤكد والمؤكد فالقول الصحيح فيه أن يكون على معنى فالشأن انه يضله فيكون مبنيا على مبتدأ مضمر ونقر مرفوع بالعطف على خلقناكم اوالاستئناف ويكون خبر مبتدأ محذوف أي ونحن نقر وما نشاء يجوز أن يكون مفعول نقر ويجوز أن يكون ظرف زمان ويكون مفعول نقر محذوفا وتقديره ونقر في الأرحام الولد مدة مشيئتنا وطفلا منصوب على الحال ثم لتبلغوا اي لأن تبلغوا والجار والمجرور معطوف على محذوف تقديره لترضعوا وتشبوا ثم لتبلغوا اشدكم لكيلا يعلم إذا اجتمع اللام بمعنى كي مع كي فالحكم اللام وكي يكون بمعنى ان واللام يتعلق بيرد

﴿ النزول ﴾

قال عمران بن الحصين وأبو سعيد الخدري نزلت الآيتان من أول السورة ليلا في غزاة بني المصطلق وهم حي من خزاعة والناس يسيرون فنادى رسول الله ﷺ فحثوا المطي حتى كانوا حول رسول الله ﷺ فقرأها عليهم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السرج عن الدواب ولم يضربوا الخيام والناس من بين باك اي جالس حزين متفكر فقال رسول الله ﷺ أتدرون أي يوم ذاك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذاك يوم يقول الله تعالى لآدم ابعث بعث النار من ولدك فيقول آدم من كم وكم فيقول الله عزوجل من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة فكبر ذلك على المسلمين وبكوا وقالوا فمن ينجو يارسول الله فقال ابشروا فإن معكم خليقتين يأجوج ومأجوج ما كانتا في شيء إلا كثرتاه ما انتم في الناس إلا كشعرة بيضاء في الثور الأسود او كرقم في ذراع البكر اوكشامة في جنب البعير ثم قال اني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبروا ثم قال إني لأرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبروا ثم قال إني لأرجو ان تكونوا ثلثي اهل الجنة وان أهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون منها امتي ثم قال ويدخل من امتي سبعون الفا الجنة بغير حساب وفي بعض الروايات ان عمر بن الخطاب قال يارسول الله سبعون الفا قال نعم ومع كل واحد سبعون الفا فقام عكاشه بن محصن فقال يارسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم فقام رجل من الانصار فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال ﷺ سبقك بها عكاشه قال ابن عباس كان الانصاري منافقا فلذلك لم يدع له

﴿ المعنى ﴾

خاطب الله سبحانه جميع المكلفين فقال (ياايها الناس اتقوا ربكم) معناه ياأيها العقلاء المكلفون اتقوا عذاب ربكم واخشوا معصية ربكم كما يقال احذر الاسد والمراد احذر افتراسه لا عينه (إن زلزلة الساعة) اي زلزلة الأرض يوم القيامة عن ابن عباس والحسن والسدي والمعنى انها تقارن قيام الساعة وتكون معها وقيل ان هذه الزلزلة قبل قيام الساعة وإنما اضافها إلى الساعة لأنها من اشراط ظهورها وآيات مجيئها عن علقمة والشعبي (شيء عظيم) أي امر عظيم هائل لا يطاق وقيل معناه ان شدة يوم القيامة امر صعب وفي هذا دلالة على ان المعدوم يسمى شيئا فإن الله سبحانه سماها شيئا وهي معدومة (يوم ترونها) معناه يوم ترون الزلزلة او الساعة (تذهل كل مرضعة عما ارضعت) اي تشغل كل مرضعة عن ولدها وتنساه وقيل تسلو عن ولدها (وتضع كل ذات حمل حملها) اي تضع الحبالى ما في بطونها وفي هذا دلالة على ان الزلزلة تكون في الدنيا فإن الرضاع ووضع الحمل إنما يتصور في الدنيا قال الحسن تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها لغير تمام ومن

قال ان المراد به يوم القيامة قال انه تهويل لأمر القيامة وتعظيم لما يكون فيه من الشدائد اي لو كان ثم مرضعة لذهلت او حامل لوضعت وانلم يكن هناك حامل ولا مرضعة (وترى الناس سكارى) من شدة الخوف والفزع (وما هم بسكارى) من الشراب وقيل معناه كأنهم سكارى من ذهول عقولهم لشدة ما يمر بهم لأنهم يضطربون اضطراب السكران ثم علل سبحانه ذلك فقال (ولكن عذاب الله شديد) فمن شدته يصيبهم مايصيبهم (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) هذا اخبار عن المشركين الذين يخاصمون في توحيد الله سبحانه ونفي الشرك عنه بغير علم منهم بل للجهل المحض وقيل ان المراد به النضر بن الحرث فإنه كان كثير الجدال وكان يقول الملائكة بنات الله والقرآن اساطير الأولين وينكر البعث (ويتبع كل شيطان مريد) يغويه عن الهدى ويدعوه إلى الضلال وإن كان المراد بالآية النضر بن الحرث فالمراد بالشيطان المريد شيطان الانس لأنه كان يأخذ من الاعجام واليهود ما يطعن به على المسلمين (كتب عليه انه من تولاه فإنه يضله) معناه انه يتبع كل شيطان كتب الله على ذلك الشيطان في اللوح المحفوظ انه يضل من تولاه فكيف يتبع مثله ويعدل بقوله عمن دعاه إلى الرحمة وقيل معناه كتب على الشيطان انه من تولاه اضله الله تعالى وقيل معناه كتب على المجادل بالباطل ان من اتبعه ووالاه يضله عن الدين (ويهديه إلى عذاب السعير) ثم ذكر سبحانه الحجة في البعث لأن اكثر الجدال كان فيه فقال (يأيها الناس إن كنتم في ريب) أي في شك (من البعث) والنشور والريب اقبح الشك (فإنا خلقناكم من تراب) معناه فالدليل على صحته أنا خلقنا اصلكم وهو آدم (ع) من تراب فمن قدر على أن يصير التراب بشرا سويا حيا في الابتداء قدر على أن يحيي العظام ويعيد الأموات (ثم من نطفة) معناه ثم خلقنا أولاده ونسله من نطفة في ارحام الامهات وهي الماء القليل يكون من الذكر والانثى وكل ماء صاف فهو نطفة قل أم كثر (ثم من علقة) بأن تصير النطفة علقة وهي القطعة من الدم الجامد (ثم من مضغة) اي شبه قطعة من اللحم ممضوغة فإن معنى المضغة مقدار ما يمضغ من اللحم (مخلقة وغير مخلقة) أي تامة الخلق وغير تامة عن ابن عباس وقتادة وقيل مصورة وغير مصورة وهي ما كان سقطا لا تخطيط فيه ولا تصوير عن مجاهد (لنبين لكم) معناه لندلكم على مقدورنا بتصريفكم في ضروب الخلق أو لنبين لكم أن من قدر على الابتداء قدر على الإعادة أو لنبين لكم ما يزيل ريبكم فحذف المفعول (ونقر في الأرحام ما نشاء إلى اجل مسمى) معناه ونبقي في أرحام الامهات ما نشاء إلى وقت تمامه عن مجاهد وقيل ونقر من قدرنا له اجلا مسمى في رحم امه إلى اجله (ثم نخرجكم طفلا) أي نخرجكم من بطون امهاتكم وانتم اطفال والطفل الصغير من الناس وإنما وحد والمراد به الجمع لأنه بمعنى المصدر كقولهم رجل عدل ورجال عدل وقيل اراد ثم نخرج كل واحد منكم طفلا (ثم لتبلغوا اشدكم) وهو حال اجتماع العقل والقوة وتمام الخلق وقيل هو وقت الاحتلام والبلوغ وقد سبق تفسير الاشد واختلاف العلماء في معناه (ومنكم من يتوفى) أي قبل بلوغ الأشد أي يقبض روحه فيموت في حال صغره أو شبابه (ومنكم من يرد إلى ارذل العمر) اي اسوأ العمر وأخبثه عند اهله وقيل أحقره وأهونه وهي حال الخرف وإنما صار ارذل العمر لأن الإنسان لا يرجو بعده صحة وقوة وإنما يرتقب الموت والفناء بخلاف حال الطفولية والضعف الذي يرجى له الكمال والتمام بعدها (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) اي لكيلا يستفيد علما وينسى ما كان به عالما وقيل معناه لكي يصير إلى حال ينعدم عقله أو يذهب عنه علومه هرما فلا يعلم شيئا مما كان علمه وإذا ذهب اكثر علومه جاز ان يطلق عليه ذهاب الجميع قال عكرمة من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة واحتج بقوله ثم رددناه اسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي قرأوا القرآن ثم ذكر سبحانه دلالة اخرى على البعث فقال (وترى الأرض هامدة) يعني هالكة عن مجاهد أي يابسة دارسة من اثر النبات (فإذا انزلنا عليها الماء) وهو المطر (اهتزت) اي تحركت بالنبات والاهتزاز شدة الحركة في الجهات (وربت) اي

زادت اي اضعفت نباتها وقيل انتفخت لظهور نباتها عن الحسن (وأنبتت) يعني الأرض (من كل زوج) أي من كل صنف (بهيج) موثق للعين حسن الصورة واللون

قوله تعالى (٦) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٨) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (٩) ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٠) ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (خمس آيات)

الاعراب

ثاني عطفه منصوب على الحال تقديره ثانيا عطفه له في الدنيا خزي. له خزي مبتدأ وخبر وفي يتعلق بما يتعلق به اللام والمبتدأ وخبره في محل الرفع بأنه خبر. من يجادل خبر بعد خبر. ذلك بأن الله هو الحق وذلك بما قدمت يداك يجوز أن يكون ذلك مبتدءا والجار والمجرور في موضع الخبر ويجوز ان يكون التقدير الأمر ذلك فيكون ذلك خبر مبتدأ محذوف

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الأدلة عقبه بما يتصل به فقال (ذلك بأن الله هو الحق) معناه ذلك الذي سبق ذكره من تصريف الخلق على هذه الأحوال واخراج النبات بسبب أن الله هو الحق اي ليعلموا انه الذي يحق له العبادة دون غيره وقيل هو الذي يستحق صفات التعظيم (وانه يحيي الموتى) لأن من قدر على انشاء الخلق فإنه يقدر على اعادته (وانه على كل شيء قدير) اما المعدومات فيقدر على ايجادها واما الموجودات فيقدر على افنائها واعادتها ويقدر على جميع الاجناس ومن كل جنس على ما لا نهاية له (وان الساعة آتية لا ريب فيها) اي وليعلموا ان القيامة آتية لا شك فيها (وان الله يبعث من في القبور) اي يحييهم للجزاء لأن ما ذكرناه يدل على البعث على الوجه الذي بيناه (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) سبق تفسيره (ولا هدى) اي لا يرجع فيما يقواه إلى علم ولا دلالة (ولا كتاب منير) اي مضيء له نور يؤدي من تمسك به إلى الحق والمعنى انه لا يتبع ادلة العقل ولا ادلة السمع وإنما يتبع الهوى والتقليد وفي هذا دلالة على ان الجدال بالعلم صواب وبغير العلم خطأ لأن الجدال بالعلم يدعو إلى اعتقاد الحق وبغير العلم يدعو إلى اعتقاد الباطل (ثاني عطفه) اي متكبرا في نفسه عن ابن عباس يقول العرب ثنى فلان عطفه إذا تكبر وتجبر وعطفا الرجل جانباه من عن يمين او شمال وهو الموضع الذي يعطفه الانسان اي يلويه ويميله عند الاعراض عن الشيء وقيل معناه لاوي عنقه اعراضا وتكبرا عن الله ورسوله عن قتادة ومجاهد (ليضل عن سبيل الله) اي ليضل الناس عن الدين ومن فتح الياء أراد ليضل هو عن طريق الحق المؤدي الى توحيد الله (له في الدنيا خزي) اي هوان وذل وفضيحة بما يجري له على السنة المؤمنين من الذم وبالقتل وغير ذلك (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) اي النار التي تحرقهم (ذلك) اي يقال له ذلك العذاب (بما قدمت يداك) اي بما كسبت يداك (وان الله ليس بظلام للعبيد) في تعذيبه لأن الله لا يظلم ولا يعاقب ابتداء ولا يزيد على الجزاء وفي هذا دلالة واضحة على بطلان مذهب المجبرة الذين ينسبون كل ظلم في العالم إلى الله تعالى

قوله تعالى (١١) وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ

فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٢) يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٣) يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ (١٤) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (١٥) مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (خمس آيات)

القراءة

قرأ روح وزيد عن يعقوب خاسر الدنيا والآخرة بالجر وهو قراءة مجاهد وحميد بن قيس والباقون خسر بغير ألف والآخرة بالنصب وقرأ اهل البصرة وابن عامر وورش ثم ليقطع بكسر اللام والباقون بسكونها وكذلك ثم ليقضوا وزاد ابن عامر وليوفوا وليطوفوا بالكسر فيهما ايضا وقرأ ابو بكر وليوفوا بتشديد الفاء والأعشى (١) عنه بكسر اللام ايضا والباقون وليوفوا ساكنة الواو خفيفة الفاء

الحجة

من قرأ خسر الدنيا والآخرة فإن هذه الجملة تكون بدلا من قوله انقلب على وجهه فكأنه قال وإن اصابته فتنة خسر الدنيا والآخرة ومثله قول الشاعر

إن يجبنوا أو يغدروا أو يبخلوا لا يحفلوا   يغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا

فقوله يغدوا عليك بدل من لا يحفلوا ومن قرأ خاسر الدنيا والآخرة فإنه منصوب على الحال واما قوله ثم ليقطع فإن اصل هذه اللام الكسر فإذا دخلها الواو والفاء أو ثم فمن اسكنها مع الفاء والواو فإن الفاء والواو يصيران كشيء واحد في نفس الكلمة لأن كل واحد منهما لا ينفرد بنفسه فصار بمنزلة كتف وفخذ فأما ثم فهو منفصل عن الكلمة وليست كالواو والفاء فمن اسكن اللام معها شبه الميم في ثم بالفاء والواو وجعله كقولهم اراك منتفخا كقول العجاج (اراك منتصبا وما تكردسا) ومثل ذلك قولهم وهي فهي

اللغة

الحرف والطرف والجانب نظائر والاطمئنان التمكن والفتنة هاهنا المحنة والانقلاب الرجوع والعشير الصاحب المعاشر اي المخالط والنصرة المعونة وقيل ان النصرة هاهنا الرزق تقول العرب من ينصرني نصره الله أي من أعطاني أعطاه الله قال الفقعسي

وإنك لا تعطي امرءاً فوق حظه   ولا تملك الشق الذي الغيث ناصره

أي معطيه وجائده ويقال نصر الله ارض فلان أي جاد عليها بالمطر والسبب كل ما يتوصل به إلى الشيء ومنه قيل للحبل سبب وللطريق سبب وللباب سبب

الاعراب

يدعو لمن ضره أقرب من نفعه قال الزجاج اختلف الناس في تفسير هذه اللام فقال البصريون والكوفيون معنى هذه اللام التأخير والتقدير يدعو من لضره أقرب من نفعه ولم يشرحوه قال وشرحه أن اللام لليمين والتوكيد فحقها ان تكون في أول الكلام فقدمت لتجعل في حقها وإن كان أصلها أن يكون في آخره. كما أن لام ان حقها أن تكون في الابتداء فلما لم يجز ان تلي ان جعلت في الخبر مثل قولك ان زيداً لقائم فهذا قول وقالوا أيضاً

(١) لعله الأعمش أي وقرأ الأعمش عن ابي بكر

ان يدعو معه هاء مضمرة وان ذلك في موضع رفع ويدعو في موضع الحال المعنى ذلك هو الضلال البعيد يدعوه أي في حال دعائه إياه ويكون لمن ضره أقرب مستأنفاً مرفوعاً بالابتداء وخبره لبئس المولى ولبئس العشير وفيه وجه آخر أغفله الناس وهو أن يكون ذلك في تأويل الذي وهو موضع نصب لوقوع يدعو عليه ويكون لمن ضره مستأنفاً وهو مثل قوله وما تلك بيمينك ياموسى ومعناه وما التي بيمينك وقال ابو علي ان اللامات التي هي حروف دالة على معان سوى الجارة والتي للأمر على أربعة اضرب ❊ أحدها ❊ تدخل على خبر ان إذا خففت أو على غير خبرها ليفصل بين ان النافية والمؤكدة مثل قوله وان كانوا ليقولون وان كاد ليضلنا ❊ والثاني ❊ يختص بالدخول على الفعل المضارع والماضي ويكون جوابا للقسم نحو قوله لأملئن جهنم وقول امرء القيس « لناموا فما ان من حديث ولا صال » ❊ والثالث ❊ يدخل في الشرط إذا كان جزاؤه معتمداً على قسم نحو قوله ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً لظلوا ❊ والرابع ❊ يختص بالدخول على الأسماء المبتدأة وهي التي تدخل على خبر ان ويدخل على الفعل المضارع إذا كان للحال وكان خبراً لأن وهو احد جهتي مضارعة الفعل المضارع للاسم وقد تدخل هذه اللام في ضرورة الشعر على خبر المبتدأ في غير أن وذلك كقوله « ام الحليس لعجوز شهربه » وكما حكي أبو الحسن في حكاية نادرة ان زيداً وجهه لحسن فإذا كان هذه اللام حقها ان تدخل على المبتدأ أو على اسم ان أو خبرها من حيث ادخلها على المبتدأ وكان دخولها على خبر المبتدأ ضرورة مع انه المبتدأ في المعنى فدخوله في الموصول والمراد به الصلة ينبغي أن لا يجوز لأن الصلة ليست بالموصول كما ان خبر المبتدأ المبتدأ فمن زعم ان اللام في لمن ضره حكمها أن تكون في المبتدأ الذي في الصلة ثم قدم إلى الموصول كان مخطئاً وأيضاً فإن اللام إذا كان حكمه انه يكون في الصلة ثم قدم على الموصول فذلك غير سائغ كما ان سائر ما يكون في الصلة لا يتقدم على الموصول قال والوجه في ذلك ان يجعل قوله يدعو تكراراً للفعل الأول على جهة تكثير هذا الفعل الذي هو الدعاء من فاعله ولا تجعلها متعدية إذ قد تعدت مرة ويجوز ان تجعل مع يدعو هاء مضمرة ويكون في موضع نصب على الحال من ذلك فكأنه قال ذلك هو الضلال البعيد مدعواً ويجوز أن تجعل ذلك هو الضلال البعيد مفعول يدعو على ان يكون ذلك في معنى الذي ويكون هو الضلال البعيد صلته كما قال ابو اسحاق أيضاً فتكون اللام في هذه الوجوه داخلة على اسم مبتدأ موصول ولا موضع للجملة التي هي لمن ضره أقرب من نفعه الآية لأنها لا تقع موقع مفرد ويكون اللام في قوله لبئس المولى ولبئس العشير في موضع رفع لوقوعه خبر المبتدأ وتكون هذه اللام لليمين فهذا ما يجب أن تحمل الآية عليه وأقول ان اعرابه على الوجه الأول أن يكون ما لا يضره مفعول يدعو وما لا ينفعه معطوفاً عليه وذلك مبتدأ وهو الضلال البعيد خبره ويدعو تكراراً للفعل الأول وعلى الوجه الثاني يكون يدعو حالا من معنى الإشارة في ذلك وعلى الوجه الثالث يكون ذلك اسما موصولاً بمعنى الذي والجملة صلته والموصول والصلة في موضع نصب بأنه المفعول ليدعو واللام في لمن ضره لام الابتداء والموصول والصلة في موضع رفع بالابتداء ولبئس المولى جواب القسم والقسم والمقسم في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ والعائد إلى المبتدأ هو الضمير المحذوف من الجملة لأن التقدير لبئس المولى هو ولبئس العشير هو قال الزجاج وفيه وجه آخر وهو ان يكون يدعو في معنى يقول ويكون من في موضع رفع وخبره محذوف ويكون المعنى لمن ضره أقرب من نفعه هو مولاي ومثله قول عنترة

يدعون عنتر والرماح كأنها ... أشطان بئر في لبان الأدهم

أي يقولون يا عنتر ويجوز أن يكون يدعو في معنى يسمي كما قال ابن احمر

أهوى لها مشقصا حشرا فشبرقها ... وكنت أدعو قذاها الأثمد الفردا

وأقول انما قال خبر المبتدأ هنا محذوف لأن من يعبد الصنم لا يقول لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى فلذلك قدر الخبر محذوفاً

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت هذه الآية ومن الناس من يعبد الله على حرف في جماعة كانوا يقدمون على رسول الله ﷺ المدينة فكان أحدهم إذا صح جسمه ونتجت فرسه وولدت امرأته غلاماً وكثرت ماشيته رضي به واطمأن اليه وإن أصابه وجع المدينة وولدت امرأته جارية قال ما اصبت في هذا الدين إلا شراً عن ابن عباس

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الكفار وما تعاطوه من الجدال ذكر سبحانه بعده حال مقلدة الضلال والدعاة إلى الضلال فقال (ومن الناس من يعبد الله على حرف) أي على ضعف في العبادة كضعف القائم على حرف أي طرف حبل أو نحوه عن علي بن عيسى قال وذلك من اضطرابه في طريق العلم إذا لم يتمكن من الدلائل المؤدية إلى الحق فينقاد لأدنى شبهة لا يمكنه حلها وقيل على حرف أي على شك عن مجاهد وقيل معناه انه يعبد الله بلسانه دون قلبه عن الحسن قال الدين حرفان أحدهما اللسان والثاني القلب فمن اعترف بلسانه ولم يساعده قلبه فهو على حرف (فإن أصابه خير اطمأن به) أي أصابه رخاء وعافية وخصب وكثرة مال اطمأن على عبادة الله بذلك الخير (وإن أصابته فتنة) أي اختبار بجدب وقلة مال (انقلب على وجهه) أي رجع عن دينه إلى الكفر والمعنى انصرف إلى وجهه الذي توجه منه وهو الكفر (خسر الدنيا والآخرة) أي خسر الدنيا بفراقه وخسر الآخرة بنفاقه (ذلك هو الخسران المبين) أي الضرر الظاهر لفساد عاجله وآجله وقيل خسر في الدنيا العز والغنيمة وفي الآخرة الثواب والجنة (يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه) أي يدعو هذا المريد بعبادته سوى الله ما لا يضره إن لم يعبده وما لا ينفعه إن عبده (ذلك) الذي فعل (هو الضلال البعيد) عن الحق والرشد يدعوه على الوجه الآخر معناه (يدعو) الذي هو الضلال البعيد (لمن ضره أقرب من نفعه) قال السدي يعني الذي ضره في الآخرة بعبادته إياه أقرب من النفع وإن كان لا نفع عنده ولكن العرب تقول لما لا يكون هذا بعيد ونفع الصنم بعيد لأنه لا يكون فلما كان نفعه بعيداً قيل لضره انه أقرب من نفعه على معنى انه كائن (لبئس المولى) أي لبئس الناصر هو (ولبئس العشير) أي الصاحب المعاشر المخالط هو يعني الصنم يخالطه العابد ويصاحبه ولما ذكر الشاك في الدين بالخسران ذكر ثواب المؤمنين على الايمان فقال (ان الله يدخل الذين آمنوا) بالله وصدقوا رسله (وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار ان الله يفعل ما يريد) بأوليائه وأهل طاعته من الكرامة وبأعدائه وأهل معصيته من الإهانة لا يدفعه دافع ولا يمنعه مانع ثم قال (من كان يظن أن لن ينصره الله) الهاء في ينصره عائدة إلى النبي ﷺ عن ابن عباس وقتادة والمعنى من كان يظن أن الله لن ينصر نبيه محمداً ﷺ ولا يعينه على عدوه (في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء) أي فليشدد حبلاً في سقفه (ثم ليقطع) أي ليمدد ذلك الحبل حتى ينقطع فيموت مختنقاً والمعنى فليختنق غيظاً حتى يموت فإن الله ناصره ولا ينفعه غيظه وهو قوله (فلينظر هل يذهبن كيده) أي صنعه وحيلته (ما يغيظ) ما بمعنى المصدر أي هل يذهبن كيده غيظه عن قتادة وأكثر المفسرين وقيل فليمدد بسبب إلى السماء معناه فليطلب شيئاً يصل به إلى السماء المعروفة ثم ليقطع نصر الله ووحي الله عن محمد ﷺ وليزل بكيده ما يغيظه من نصر الله له ونزول الوحي عليه أي لا يتهيأ له ذلك ولا سبيل له اليه فليتجرع ما يغيظه وإنما قال سبحانه ذلك على وجه التبعيد أي كما لا يتهيأ لهم الوصول إلى السماء كذلك لا يتهيأ لهم ازالة ما يغيظهم من أمر رسول الله ونصره على أعدائه دائماً وإنما ذكر السماء لأن النصر يأتيه من قبل السماء ومن الملائكة عن أبي علي الجبائي وقيل ان الهاء في ينصره عائدة إلى من عن مجاهد والضحاك وابي مسلم ثم اختلف في معناه فقيل من كان يظن من الناس أن الله لا ينصره فليجهد جهده وليصعد السماء ثم ليقطع المسافة فلينظر هل ينفعه كيده في إزالة غيظه لما يدعى اليه من دين الله فإن الذي حكم الله به لا يبطل

بكيد الكائد عن ابي مسلم وقيل المراد بالنصر الرزق ويقال أرض منصورة أي ممطورة والمعنى من ظن أن الله لا يرزقه في الدنيا والآخرة فليخنق نفسه أي لا يمكنه تكثير رزقه أي كما لا يقدر أن يزيد فيما رزقه الله بهذا النوع من الكيد كذلك لا يقدر عليه بسائر أنواع الكيد وهذا مثل ضربه الله لهذا الجاهل الذي يسخط لما أعطاه الله أي مثله مثل من فعل بنفسه هذا

قوله تعالى (١٦) وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ (١٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (ثلاث آيات)

الاعراب

خبر ان الأولى جملة الكلام مع ان الثانية وزعم الفراء ان قولك ان زيداً انه لقائم وروى ان هذه الآية إنما صلحت في الذي قال الزجاج لا فرق بين الذي وغيره في باب ان ان قلت ان زيداً انه قائم كان جيداً قال جرير

ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم

المعنى

ثم بين سبحانه انه نزل الآيات حجة على الخلق فقال (وكذلك) اي ومثل ما تقدم من آيات القرآن (أنزلناه) يعني القرآن (آيات بينات) أي حججاً واضحات على التوحيد والعدل والشرائع (وان الله يهدي من يريد) أي وأنزلنا اليك أن الله يهدي إلى الدين من يريد وقيل إلى النبوة وقيل إلى الثواب وقيل يهدي من يهتدى بهداه (إن الذين آمنوا) بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم (والذين هادوا) وهم اليهود (والصابئين والنصاري والمجوس والذين أشركوا) ظاهر المعنى (ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) أي يبين المحق من المبطل بما يضطر إلى العلم بصحة الصحيح فيبيض وجه المحق ويسود وجه المبطل والفصل والتمييز بين الحق والباطل (ان الله على كل شيء شهيد) أي عليم مطلع على ما من شأنه أن يشاهد بعلمه قبل أن يكون لأنه علام الغيوب ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به جميع المكلفين فقال (ألم تر) أي ألم تعلم (ان الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض) من العقلاء (والشمس) أي ويسجد الشمس (والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) وصف سبحانه هذه الأشياء بالسجود وهو الخضوع والذل والانقياد لخالقها فيما يريد منها (وكثير من الناس) يعني المؤمنين الذين يسجدون لله تعالى وانقطع ذكر الساجدين ثم ابتدأ فقال (وكثير حق عليه العذاب) أي ممن أبى السجود ولا يوحده سبحانه قال الفراء قوله وكثير حق عليه العذاب يدل على ان المعنى وكثير أبى السجود لأنه لا يحق عليه العذاب إلا بتركه السجود (ومن يهن الله فما له من مكرم) معناه من يهنه الله بأن يشقيه ويدخله جهنم فما له من مكرم بالسعادة أي بادخاله الجنة لأنه لا يملك العقوبة والمثوبة سواه (ان الله يفعل ما يشاء) من الانعام والانتقام بالفريقين من المؤمنين والكافرين

قوله تعالى (١٩) هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (٢٠) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢١) وَلَهُمْ

مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢٢) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٣) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٤) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ست آيات

القراءة

قرأ أهل المدينة وعاصم ولؤلؤا بالنصب وفي سورة فاطر مثله والباقون بالجر في الموضعين إلا يعقوب فإنه قرأ هاهنا بالنصب وفي فاطر بالجر وترك ابو جعفر وابو بكر وشجاع الهمزة الأولى منه في جميع القرآن وفي الشواذ قراءة ابن عباس يحلون بفتح الياء وتخفيف اللام

الحجة

قال أبو علي وجه الجر في لؤلؤ انهم يحلون فيها من أساور من ذهب ومن لؤلؤ ووجه النصب انه على ويحلون لؤلؤاً ويجوز ان يكون عطفاً على موضع الجار والمجرور لأن المعنى في يحلون فيها من أساور يحلون أساور وقال ابن جني يحلون من حلي يحلى يقال لم أحل منه بطائل أي لم أظفر ويجوز ان يكون من قولهم امرأة حالية أي ذات حلي

اللغة

الخصم يستوي فيه الواحد والجمع والذكر والأنثى يقال رجل خصم ورجلان خصم ورجال خصم ونساء خصم وقد يجوز في الكلام هذان خصمان اختصموا وهؤلاء خصم اختصموا قال الله تعالى وهل اتيك نبؤ الخصم إذ تسوروا المحراب وهكذا حكم المصادر إذا وصف بها أو اخبر بها نحو عدل ورضى وصوم وفطر وزور وحري وقمن وما أشبه ذلك وإنما قال في الآية خصمان لأنهما جمعان وليسا برجلين ومثله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والحميم الماء المغلي والصهر الإذابة يقال صهرته فانصهر قال

تروي لقى ألقي في صفصف تصهره الشمس فما ينصهر

يعني ولدها والمقامع جمع مقمعة وهي مدقة الرأس من قمعه قمعاً إذا دقه والحريق بمعنى المحرق كالأليم والاساور جمع اسوار وفيه ثلاث لغات اسوار بالالف وسِوار وسُوار بالكسر والضم والجمع اسورة

النزول

قيل نزلت الآية هذان خصمان اختصموا في ستة نفر من المؤمنين والكفار تبارزوا يوم بدر وهم حمزة بن عبد المطلب قتل عتبة بن ربيعة وعلي بن ابي طالب (ع) قتل الوليد بن عتبة وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب قتل شيبة بن ربيعة عن ابي ذر الغفاري وعطا وكان ابو ذر يقسم بالله تعالى انها نزلت فيهم ورواه البخاري في الصحيح وقيل نزلت في أهل القرآن واهل الكتاب عن ابن عباس وقيل في المؤمنين والكافرين عن الحسن ومجاهد والكلبي وهذا قول ابي ذر إلا ان هؤلاء لم يذكروا يوم بدر

—(المعنى)—

لما تقدم ذكر المؤمنين والكافرين بين سبحانه ما اعده لكل واحد من الفريقين فقال هذان خصمان اي جمعان فالفرق الخمسة الكافرة خصم والمؤمنون خصم وقد ذكروا في قوله إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين الآية (اختصموا في ربهم) أي في دين ربهم فقالت اليهود والنصارى للمسلمين نحن اولى بالله منكم لأن نبينا

قبل نبيكم ودبننا قبل دينكم وقال المسلمون بل نحن احق بالله منكم آمنا بكتابنا وكتابكم ونبينا ونبيكم وكفرتم انتم بنبينا حسدا فكان هذا خصومتهم وقيل ان معنى اختصموا اقتتلوا يوم بدر (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) قال ابن عباس حين صاروا إلى جهنم لبسوا مقطعات النيران وهي الثياب القصار وقيل يجعل لهم ثياب نحاس من نار وهي أشد ما تكون حرا عن سعيد بن جبير وقيل أن النار تحيط بهم كإحاطة الثياب التي يلبسونها بهم (يصب من فوق رؤوسهم الحميم) أي الماء المغلي فيذيب في ما بطونهم من الشحوم وتتساقط الجلود وفي خبر مرفوع أنه يصب على رؤوسهم الحميم فينفذ إلى أجوافهم فيسلت ما فيها (يصهر به ما في بطونهم والجلود) أي يذاب وينضج بذلك الحميم ما فيها من الأمعاء وتذاب به الجلود (ولهم مقامع من حديد) قال الليث المقمعة شبه الجرز من الحديد يضرب بها الرأس وروى أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ في قوله ولهم مقامع من حديد لو وضع مقمع من حديد في الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما اقلوه من الأرض وقال الحسن إن النار ترميهم بلهبها حتى إذا كانوا في اعلاها ضربوا بمقامع فهووا فيها سبعين خريفا فإذا انتهوا إلى اسفلها ضربهم زفير لهبها فلا يستقرون ساعة فذلك قوله (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها) أي كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي يأخذ بأنفسهم حين ليس لها مخرج ردوا اليها بالمقامع (وذوقوا عذاب الحريق) أي ويقال لهم ذوقوا والذوق طلب ادراك الطعم والحريق الاسم من الاحتراق قال الزجاج هذا لأحد الخصمين وقال في الخصم الذين هم المؤمنون (إن الله يدخل الذين آمنوا) بالله وأقروا بوحدانيته (وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) أي من تحت ابنيتها واشجارها (يحلون فيها) اي يلبسون الحلي فيها (من اساور) وهي حلي اليد (من ذهب ولؤلؤا) أي ومن لؤلؤ (ولباسهم فيها حرير) أي ديباج حرم الله سبحانه لبس الحرير على الرجال في الدنيا وشوقهم اليه في الآخرة فأخبر أن لباسهم في الجنة حرير (وهدوا إلى الطيب من القول) أي ارشدوا في الجنة إلى التحيات الحسنة يحيي بعضهم بعضا ويحييهم الله وملائكته بها وقيل معناه ارشدوا إلى شهادة أن لا إله إلا الله والحمد لله عن ابن عباس وزاد ابن زيد والله اكبر وقيل ارشدوا إلى القرآن عن السدي وقيل إلى القول الذي يلتذونه ويشتهونه وتطيب به نفوسهم وقيل إلى ذكر الله فهم به يتنعمون (وهدوا إلى صراط الحميد) والحميد هو الله المستحق للحمد المستحمد إلى عباده بنعمه عن الحسن أي الطالب منهم ان يحمدوه وروي عن النبي ﷺ انه قال ما أحد احب اليه الحمد من الله عز ذكره وصراط الحميد هو طريق الإسلام وطريق الجنة

قوله تعالى (٢٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٦) وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٧) وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٨) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٩) ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٠) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ست آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص عن عاصم وروح وزيد عن يعقوب سواء بالنصب والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابي مجلز ومجاهد وعكرمة والحسن رجالا بالتشديد والضم وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وقراءة ابن ابي اسحاق والزهري والحسن بخلاف رجالا بالضم والتخفيف

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي وجه الرفع في سواء انه خبر مبتدأ مقدم والمعنى العاكف فيه والبادي سواء ليس احدهما بأحق به من صاحبه وهذا يدل على أن أرض الحرم لا تملك ولو ملكت لم يستويا فيها وصار العاكف فيها أولى بها من البادي لحق ملكه ولكن سبيلها سبيل المساجد التي من سبق اليها كان أولى بها ومن نصب سواء اعمل المصدر اعمال اسم الفاعل فرفع العاكف به كما يرفع بمستوى لو قال جعلناه مستويا العاكف فيه والبادي ووجه إعماله أن المصدر قد يقوم مقام اسم الفاعل في الصفة في نحو قولهم رجل عدل فيصير عدل كعادل ويجوز في نصب سواء وجه آخر وهو ان تنصبه على الحال فإذا نصبته عليها وجعلت قوله للناس مستقرا جاز أن يكون حالا يعمل فيها معنى الفعل وذو الحال الذكر الذي في المستقر ويجوز أن يكون حالا من الفعل الذي هو جعلناه فإن جعلتها حالا من الضمير المتصل بالفعل كان الضمير ذا الحال والعامل فيها الفعل وجواز كون للناس مستقرا على أن يكون المعنى انه جعل للناس ونصب لهم منسكا ومتعبدا كما قال إن أول بيت وضع للناس وأما قوله رجالا فهو جمع راجل مثل طالب وطلاب وكاتب وكتاب واما رجالا بتخفيف الجيم فهو غريب في الجمع فهو نحو ظؤار وعراق ورخال في جمع ظئر وعرق ورخل

﴿ اللغة ﴾

العاكف المقيم الملازم للمكان والبادي اصله من بدا يبدو إذا ظهر والبدو خلاف الحضر سمي بذلك لظهوره والبادي في الآية الطارئ والمكان ما يتمكن عليه الشيء قيل هو اسم لما احاط بالشيء والمكان والموضع والمستقر نظائر والرجال جمع راجل مثل صحاب وقيام في جمع صاحب وقائم والضامر المهزول اضمره السير والعميق البعيد قال الراجز «يقطعن بعد النازح العميق» والبائس الذي به ضر الجوع والفقير الذي لا شيء له يقال بؤس فهو بائس اي صار ذا بؤس وهو الشدة قال الأزهري لا يعرف التفث في لغة العرب إلا من قول ابن عباس واهل التفسير وقال النضر بن شميل هو اذهاب الشعث

—(الإعراب)—

خبر ان الذين كفروا محذوف يدل عليه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم فالمعنى ان الذين كفروا نذيقهم العذاب الأليم ومن يرد فيه بالحاد الباء فيه زائدة تقديره ومن يرد فيه الحادا والباء في قوله بظلم للتعدية وما جاءت الباء فيه مزيدة قول الشاعر

بواد يمان ينبت الشث صدره   واسفله بالمرخ والشبهان

وقول الأعشى

ضمنت برزق عيالنا ارماحنا   ملء المراجل والصريح الاجودا

وقول امرئ القيس

ألا هل أتاها والحوادث جمة   بأن أمرأ القيس من تملك بيقرا

وقال الزجاج والذي يذهب اليه اصحابنا ان الباء ليست بملغاة والمعنى عندهم ومن ارادته فيه بأن يلحد بظلم وهو مثل قوله

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

والمعنى اريد وارادتي لهذا • على كل ضامر في موضع نصب على الحال اي يأتوك رجالا وركبانا ويأتين في موضع جر لأن المعنى فقوله وعلى كل ضامر على ابل ضامرة آتية من كل فج عميق وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قرأ يأتون فعلى هذا يعود الضمير في يأتون الى الناس

=[المعنى]=

ثم بين سبحانه حال الكفار فقال (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) عطف بالمضارع على الماضي لأن المراد بالمضارع ايضا الماضي ويقويه قوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ويجوز ان يكون المعنى أن الذين كفروا فيما مضى وهم الآن يصدون الناس عن طاعة الله (والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس) اي مستقراً ومنسكا ومتعبدا وقيل معناه خلقناه للناس كلهم لم يخص به بعض دون بعض قال الزجاج جعلناه للناس وقف تام ثم قال (سواء العاكف فيه والباد) أي العاكف المقيم فيه والباد الذي ينتابه من غير اهله مستويان في سكناه والنزول به فليس احدهما احق بالمنزل يكون فيه من الآخر غير انه لا يخرج احد من بيته عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير قالوا ان كراء دور مكة وبيعها حرام والمراد بالمسجد الحرام على هذا الحرم كله كقوله اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام وقيل المراد بالمسجد الحرام عين المسجد الذي يصلي فيه عن الحسن ومجاهد والجبائي والظاهر يدل عليه وعلى هذا يكون المعنى في قوله جعلناه للناس اي قبلة لصلاتهم ومنسكا لحجهم فالعاكف والباد سواء في حكم النسك وكان المشركون يمنعون المسلمين عن الصلاة في المسجد الحرام والطواف به ويدعون انهم اربابه وولاته (ومن يرد فيه بالحاد بظلم) والالحاد العدول عن القصد واختلف في معناه هاهنا فقيل هو الشرك وعبادة غير الله تعالى عن قتادة فكأنه قال ومن يرد فيه ميلا عن الحق بأن يعبد غير الله ظلما وعدوانا وقيل هو الاستحلال للحرام والركوب للآثام عن ابن عباس والضحاك ومجاهد وابن زيد وقيل هو كل شيء نهي عنه حتى شتم الخادم لأن الذنوب هناك اعظم وقيل هو دخول مكة بغير احرام عن عطا (نذقه من عذاب أليم) اي نعذبه عذابا وجيعا وقيل ان الآية نزلت في الذين صدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مكة عام الحديبية (وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت) معناه واذكر يامحمد إذ وطأنا لابراهيم مكان البيت وعرفناه ذلك بما جعلنا له من العلامة قال السدي ان الله تعالى لما امره ببناء الكعبة لم يدر اين يبني فبعث الله ريحا خجوجا فكنست له ما حول الكعبة عن الأساس الأول الذي كان البيت عليه قبل ان رفع ايام الطوفان وقال الكلبي بعث الله سبحانه على قدر البيت فيها راس تتكلم فقامت بحيال الكعبة وقالت ياابراهيم ابن على قدري وقيل ان المعنى جعلنا البيت مثوبة ومسكنة عن ابن الانباري (ان لا تشرك بي شيئا) اي واوحينا اليه ان لا تعبد غيري قال المبرد كأنه قال وحدني في هذا البيت لان معنى لا تشرك بي شيئا وحدني (وطهر بيتي) من الشرك وعبادة الأوثان عن قتادة (للطائفين والقائمين والركع السجود) مفسر بسورة البقرة والمراد بالقائمين المقيمين بمكة وقيل القائمين في الصلاة عن عطا (واذن في الناس بالحج) اي ناد في الناس واعلمهم بوجوب الحاج واختلف في المخاطب به على قولين * احدهما * أنه ابراهيم عن علي وابن عباس واختاره ابو مسلم قال ابن عباس قام في المقام فنادى يا ايها الناس ان الله دعاكم الى الحج فأجيبوا بلبيك اللهم لبيك * والثاني * ان المخاطب به نبينا محمد عليه افضل الصلوات اي واذن يامحمد في الناس بالحج فأذن صلوات الله عليه في حجة الوداع اي اعلمهم بوجوب الحج عن الحسن والجبائي وجمهور المفسرين على القول الأول وقالوا اسمع الله تعالى صوت ابراهيم كل من سبق علمه بأنه يحج الى يوم القيامة كما اسمع

سليمان مع ارتفاع منزلته وكثرة جنوده حوله صوت النملة مع خفضه سكونه وفي رواية عطا عن ابن عباس قال لما امر الله سبحانه ابراهيم ان ينادي في الناس بالحج صعد ابا قبيس ووضع اصبعيه في اذنيه وقال يا أيها الناس اجيبوا ربكم فأجابوه بالتلبية في اصلاب الرجال وأول من أجابه أهل اليمن (يأتوك رجالا) أي مشاة على ارجلهم (وعلى كل ضامر) اي ركبانا قال ابن عباس يريد الابل ولا يدخل بعير ولا غيره الحرم الا وقد هزل وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال لبنيه يابني حجوا من مكة مشاة حتى ترجعوا اليها مشاة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول للحاج الراكب بكل خطوة تخطوها راحلته سبعون حسنة وللحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف حسنة (يأتين من كل فج عميق) أي طريق بعيد وروي مرفوعا عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن الله تعالى يباهي بأهل عرفات الملائكة يقول ياملائكتي انظروا إلى عبادي شعثا غبرا أقبلوا يضربون إلي من كل فج عميق فأشهدكم أني قد اجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيأهم لمحسنهم وأعطيت محسنهم جميع ما سألوني غير التبعات التي بينهم فإذا أفاض القوم إلى جمع ووقفوا وعادوا في الرغبة والطلب إلى الله يقول ياملائكتي عبادي وقفوا وعادوا من الرغبة والطلب فاشهدكم اني قد اجبت دعاءهم وشفعت رغبتهم ووهبت مسيأهم لمحسنهم وأعطيت محسنهم جميع ما سألني وكفلت عنهم بالتبعات التي بينهم وقوله (ليشهدوا منافع لهم) قيل يعني بالمنافع التجارات عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل التجارة في الدنيا والأجر والثواب في الآخرة عن مجاهد وقيل هي منافع الآخرة وهي العفو والمغفرة عن سعيد بن المسيب وعطية العوفي وهو المروي عن ابي جعفر الباقر (ع) ويكون المعنى ليحضروا ما ندبهم الله اليه مما فيه النفع لهم في الآخرة (ويذكروا اسم الله في ايام معلومات) اختلف في هذه الأيام وفي الذكر فيها فقيل هي ايام العشر وقيل لها معلومات للحرص على علمها من أجل وقت الحج في آخرها والمعدودات أيام التشريق عن الحسن ومجاهد وقيل هي ايام التشريق يوم النحر وثلاثة بعده والمعدودات أيام العشر عن ابن عباس وهو المروي عن ابي جعفر (ع) واختاره الزجاج قال لأن الذكر هاهنا يدل على التسمية على ما ينحر لقوله (على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) أي على ذبح ونحر ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم وهذه الأيام تختص بذلك وقيل إن الذكر فيها كناية عن الذبح لأن صحة الذبح لما كان بالتسمية سمي باسمه توسعا وقيل هو التكبير قال ابو عبد الله التكبير يعني عقيب خمس عشرة صلاة أولها صلاة الظهر من يوم النحر يقول الله اكبر الله اكبر لا إله إلا الله والله اكبر الله اكبر ولله الحمد الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أبلانا والله اكبر على ما رزقنا من بهيمة الأنعام والبهيمة أصلها من الإبهام وذلك انها لا تفصح كما يفصح الحيوان الناطق والانعام الابل واشتقاقها من النعمة وهي اللين سميت بذلك للين اخفافها وقد يجتمع معها البقر والغنم فيسمى الجميع انعاما اتساعا وان انفردا لم يسميا انعاما (فكلوا منها) أي من بهيمة الأنعام وهذا اباحة وندب وليس بواجب (واطعموا البائس الفقير) فالبائس الذي ظهر عليه اثر البؤس من الجوع والعري وقيل البائس الذي يمد يده بالسؤال ويتكفف للطلب امر سبحانه أن يعطى هؤلا من الهدي (ثم ليقضوا تفثهم) أي ليزيلوا شعث الإحرام من تقليم ظفر وأخذ شعر وغسل واستعمال طيب عن الحسن وقيل معناه ليقضوا مناسك الحج كلها عن ابن عباس وابن عمر قال الزجاج قضاء التفث كناية عن الخروج من الإحرام إلى الإحلال (وليوفوا نذورهم) أي وليتموا نذورهم بقضائها ولم يقل بنذورهم لأن المراد بالإيفاء الإتمام قال ابن عباس هو نحر ما نذروا من البدن وقيل هو ما نذروا من اعمال البر في ايام الحج وربما نذر الانسان ان يتصدق إن رزقه الله الحج وان كان على الرجل نذور مطلقة فالأفضل أن يفي بها هناك (وليطوفوا بالبيت العتيق) هذا أمر وظاهره يقتضي الوجوب وقيل اراد به طواف الزيارة لأنه من أركان افعال الحج بلا خلاف وقيل انه طواف الصدر لأنه سبحانه امر به عقيب

المناسك كلها وروى اصحابنا أن المراد به طواف النساء الذي يستباح به وصل النساء وذلك بعد طواف الزيارة فإنه إذا طاف طواف الزيارة حل له كل شيء إلا النساء فإذا طاف طواف النساء حلت له النساء والبيت العتيق هو الكعبة وإنما سمي عتيقا لأنه اعتق من ان يملكه العبيد عن مجاهد وسفيان بن عيينة وابي مسلم وقيل إنما سمي عتيقا لانه اعتق من أن تصل الجبابرة إلى تخريبه ومـا قصده جبار قبل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم إلا اهلكه الله تعالى وإنما لم يهلك الحجاج حين نقضه وبناه ثانيا ببركة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فإن الله سبحانه أمن ببركته هذه الامة من عذاب الاستئصال عن مجاهد وقيل سمي به لأنه اعتق من الطوفان فغرقت الارض كلها إلا موضع البيت وقيل سمي به لانه قديم فهو اول بيت وضع للناس بناه آدم (ع) ثم جدده ابراهيم (ع) عن ابن زيد (ذلك) قيل ههنا وقف ومعناه الامر ذلك اي هكذا امر الحج والمناسك (ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) اي فالتعظيم خير له عند ربه اي في الآخرة والحرمة ما لا يحل انتهاكه وقال الزجاج الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وهي في هذه الآية ما نهي عنها ومنع من الوقوع فيها وتعظيمها ترك ملابستها واختار اكثر المفسرين في معنى الحرمات هنا انها المناسك لدلالة ما يتصل بها من الآيات على ذلك وقيل معناها ههنا البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام عن ابن زيد قال ويدل عليه قوله والحرمات قصاص (وأحلت لكم الانعام) اي الإبل والبقر والغنم (إلا ما يتلى عليكم) يعني في سورة المائدة من الميتة والمنخنقة والموقوذة ونحوها (فاجتنبوا الرجس من الاوثان) من هنا للتبيين والتقدير فاجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان وروى أصحابنا أن اللعب بالشطرنج والنرد وسائر انواع القمار من ذلك وقيل انهم كانوا يلطخون الأوثان بدماء قرابينهم فسمي ذلك رجساً (واجتنبوا قول الزور) يعني الكذب وقيل هو تلبية المشركين لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك وروى اصحابنا أنه يدخل فيه الغناء وسائر الأقوال الملهية وروى ايمن بن خزيم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قام خطيباً فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله ثم قرأ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور يريد انه قد جمع في النهي بين عبادة الوثن وشهادة الزور

قوله تعالى (٣١) حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ (٣٢) ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ (٣٣) لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ (٣٤) وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ (٣٥) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ أهل المدينة فتخطفه بفتح الخاء مشدداً والباقون فتخطفه بسكون الخاء والتخفيف وقرأ منسكا بالكسر اهل الكوفة غير عاصم والباقون منسكاً بالفتح وفي الشواذ قراءة الحسن وابن ابي اسحاق والمقيمي الصلاة بالنصب

الحجة

تخطف تتخطف فحذف تاء التفعل وهما في كلا القراءتين حكاية حال تكون والمعنى في ذلك انه في مقابلة قوله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها فالمشرك بعكس هذا الوصف فلم يستمسك لكفره بما فيه أمان من الخرور ونجاة من الهوى واختطاف الطير فصار كمن خر من السماء فهوت به الريح فلم يكن له معتصم

والأصل في المنسك الفتح لانه لا يخلو من أن يكون مصدرا او مكانا وكلاهما مفتوح العين من باب يفعل إلا انه قد جاء اسم المكان منه في كلمات على المفعل نحو المطلع والمسجد شاذاً عن القياس ومن قرأ والمقيمي الصلاة فإنه حذف النون تخفيفاً لا لتعاقبها الاضافة وشبه ذلك بالذين واللذان في قول الشاعر

وان الذي حانت بفلج دماءهم ... هم القوم كل القوم يا أم خالد

وقول الأخطل

ابني كليب إن عمي اللذا ... قتلا الملوك وفككا الاغلالا

ونحوه بيت الكتاب

والحافظو عورة العشيرة لا ... يأتيهم من ورائهم وكف

وقال آخر

قتلنا ناجيا بقتيل عمرو ... وخير الطالبي الترة الغشوم

﴿ اللغة ﴾

الخطف والاختطاف الاستلاب والسحيق البعيد والسحوق النخلة الطويلة والشعائر علامات مناسك الحج التي تشعر بما جعلت له واشعرت البدن اعلمتها بما يشعر أنها هدي والمنسك موضع العبادة والنسك العبادة يقال نسك ينسك وينسك اي تعبد وقيل هو عبادة الذبح والنسيكة الذبيحة يقال نسكت الشاة ذبحتها والاخبات الخضوع والطمأنينة واصله من الخبت وهو المكان المطمئن وقيل المنخفض

﴿ المعنى ﴾

قال سبحانه (حنفاء لله) أي مستقيمي الطريقة على امر الله مائلين عن سائر الأديان وهي نصب على الحال (غير مشركين به) أي حجاجاً مخلصين وهم مسلمون موحدون لا يشركون في تلبية الحج به أحداً ثم ضرب سبحانه مثلاً لمن أشرك فقال (ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء) أي سقط من السماء (فتخطفه الطير) أي تأخذه بسرعة قال ابن عباس يريد تخطف لحمه (أو تهوي به الريح) أي تسقطه (في مكان سحيق) أي بعيد مفرط في البعد قال الزجاج اعلم الله سبحانه ان بعد من أشرك به من الحق كبعد من خرّ من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح في مكان بعيد وقال غيره شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في انه لا يملك لنفسه حيلة فهو هالك لا محالة (ذلك) أي الأمر ذلك الذي ذكرنا (ومن يعظم شعائر الله) أي معالم دين الله والاعلام التي نصبها لطاعته ثم اختلف في ذلك فقيل هي مناسك الحج كلها عن ابن زيد وقيل هي البدن وتعظيمها استسمانها واستحسانها عن مجاهد وعن ابن عباس في رواية مقسم والشعائر جمع شعيرة وهي البدن إذا اشعرت أي اعلمت عليها بأن يشق سنامها من الجانب الأيمن ليعلم انها هدي فالذي يهدي مندوب إلى طلب الاسمن والأعظم وقيل شعائر الله دين الله كله وتعظيمها التزامها عن الحسن (فإنها) أي فإن تعظيمها لدلالة تعظم عليه ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه فقال فإنها (من تقوى القلوب) أضاف التقوى إلى القلوب لأن حقيقة التقوى تقوى القلوب وقيل أراد صدق النية (لكم فيها) أي في الشعائر (منافع) فمن تأول أن الشعائر الهدي قال ان منافعها ركوب ظهورها وشرب ألبانها إذا احتيج اليها وهو المروي عن أبي جعفر (ع) وهو قول عطا بن ابي رباح ومذهب الشافعي وعلى هذا فقوله إلى أجل مسمى معناه إلى أن ينحر وقيل ان المنافع من رسلها ونسلها وركوب ظهورها وأصوافها وأوبارها (إلى اجل مسمى) أي إلى أن يسمى هديا وبعد ذلك تنقطع المنافع عن مجاهد وقتادة والضحاك والقول الأول أصح لأن قبل ان تسمى هديا لا تسمى شعائر ومن قال ان

الشعائر مناسك الحج قال المراد بالمنافع التجارة إلى اجل مسمى إلى أن يعود من مكة ومن قال ان الشعائر دين الله قال لكم فيها منافع اي الأجر والثواب والأجل المسمى القيامة (ثم محلها إلى البيت العتيق) ومن قال ان شعائر الله هي البدن قال معناه ان محل الهدي والبدن الكعبة وقيل محله الحرم كله وقال اصحابنا ان كان الهدي للحج فمحله منى وان كان للعمرة المفردة فمحله مكة قبالة الكعبة بالجزورة ومحلها حيث يحل نحرها ومن قال ان الشعائر مناسك الحج قال معناه ثم محل الحج والعمرة والطواف بالبيت العتيق وان منتهاها إلى البيت العتيق لأن التحلل يقع بالطواف والطواف يختص بالبيت ومن قال ان الشعائر هي الدين كله فيحتمل ان يكون معناه ان محل ما اختص منها بالاحرام هو البيت العتيق وذلك الحج والعمرة في القصد له والصلاة في التوجه اليه ويحتمل ان يكون معناه ان اجرها على رب البيت العتيق (ولكل امة جعلنا منسكا) اي لكل جماعة مؤمنة من الدين سلفوا جعلنا عبادة في الذبح عن مجاهد وقيل قربانا احل لهم ذبحه وقيل متعبداً وموضع نسك يقصده الناس وقيل منهاجاً وشريعة عن الحسن (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) اي تعبدناهم بذلك ليذكروا اسم الله على ما رزقناهم من بهيمة الأنعام وبهيمة غير الأنعام لا يحل ذبحها ولا التقرب بها وفي هذا دلالة على ان الذبائح غير مختصة بهذه الأمة وان التسمية على الذبح كانت مشروعة قبلنا (فإلهكم إله واحد) اي معبودكم الذي توجهون اليه العبادة واحد لا شريك له والمعنى فلا تذكروا على ذبائحكم إلا الله وحده (فله اسلموا) اي انقادوا واطيعوا (وبشر المخبتين) اي المتواضعين المطمئنين إلى الله عن مجاهد وقيل الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لا ينتصرون كأنهم اطمأنوا إلى يوم الجزاء ثم وصفهم فقال (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) اي إذا خوفوا بالله خافوا (والصابرين على ما اصابهم) من البلايا والمصائب في طاعة الله (والمقيمي الصلاة) في اوقاتها يؤدونها كما امرهم الله (ومما رزقناهم ينفقون) اي يتصدقون من الواجب وغيره عن ابن عباس

قوله تعالى (٣٦) وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٣٧) لَنْ يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِنْ يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ (٣٨) إِنَّ ٱللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (٣٩) أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٤٠) ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ ٱللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ خمس آيات

القراءة

قرأ لن تنال الله ولكن تناله بالتاء يعقوب وقرأ الأول بالتاء ابو جعفر وقرأ الباقون بالياء فيهما وقرأ ابن كثير وأهل البصرة ان الله يدفع بغير الف والباقون يدافع بالألف وقرأ اهل المدينة ويعقوب ولولا دفاع الله بالألف والباقون دفع الله بغير الف وقرأ اهل المدينة وحفص أذن بضم الالف يقاتلون بفتح التاء وقرأ ابو بكر وابو عمرو ويعقوب أذن بضم الالف يقاتلون بكسر التاء وقرأ ابن عامر اذن بفتح الالف يقاتلون بفتح التاء والباقون اذن بفتح الالف يقاتلون بكسر التاء وقرأ اهل الحجاز لهدمت خفيفة الدال والباقون بالتشديد واظهر التاء عاصم ويعقوب

وادغمه الآخرون وقرأ ابن مسعود وابن عباس وابن عمر وابو جعفر الباقر (ع) وقتادة وعطا والضحاك صوافن بالنون وقرأ الحسن وشقيق وابو موسى الأشعري وسليمان التيمي صوافي وقرأ جعفر بن محمد (ع) وصلوات بضم الصاد واللام وقرأ الجحدري والكلبي وصلوات بضم الصاد وفتح اللام

— الحجة —

التأنيث في تنال للجماعة وللفظ التقوى والتذكير لمعنى الجمع ولأن التقوى بمعنى الاتقاء والدفع مصدر دفع والدفاع مصدر دافع وقد يكون فاعل بمعنى فعل نحو طارقت النعل وعاقبت اللص واما قوله اذن للذين يقاتلون فالقراآت فيها متقاربة والمأذون لهم في القتال اصحاب رسول الله ﷺ وما ظلموا به ان المشركين أخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة منهم بالحبشة ثم هاجروا إلى المدينة فمن قرأ اذن على بناء الفعل للفاعل فلما تقدم من ذكر الله سبحانه وقوله للذين يقاتلون في موضع نصب ومن قرأ يقاتلون فالمعنى انهم يقاتلون عدوهم الظالمين لهم ومن قرأ أذن على بناء الفعل للمفعول به فالمعنى على ان الله سبحانه اذن لهم في القتال والجار والمجرور في موضع رفع وقوله لهدمت بالتخفيف وانما جاز لأن ذلك قد يكون للقليل والكثير تقول ضربت زيداً ضربة وضربته الف ضربة فاللفظ في القلة والكثرة على حالة واحدة وهدمت بالتشديد يختص بالكثرة قال الشاعر

ما زلت افتح ابوابا واغلقها حتى اتيت ابا عمرو بن عمار

فأما من قال صوافن فمثل الصافنات وهي الجياد من الخيل إلا انه استعمل هنا في الابل والصافن الرافع احدى رجليه معتمداً منها على سنبكها قال عمرو بن كلثوم

تركنا الخيل عاكفة عليه مقلدة اعنتها صفونا

والصوافي الخوالص لوجه الله واما صلوات وصلوات فيمكن ان يكون جمع صلاة وإن كانت غير مستعملة فيكون مثل حجرة وحجرات وحجرات

❋ اللغة ❋

البدن جمع بدنة وهي الابل المبدنة بالسمن قال الزجاج تقول بدنت الابل اي سمنتها وقيل اصل البدن الضخم وكل ضخم بدن وبدن بدنا وبدنا إذا ضخم وبدن تبدينا إذا اسن وثقل لحمه بالاسترخاء وفي الحديث اني قد بدنت فلا تبادروني بالركوع والسجود وقال (وكنت خلت الشيب والتبدينا) والوجوب الوقوع يقال وجبت الشمس إذا وقعت في المغيب للغروب ووجب الحائط وقع ووجب القلب اضطرب بأن وقع ما يوجب اضطرابه ووجب الفعل إذا وقع ما يلزم به ووجب البيع إذا وقع وجوبا والصواف المصطفة الازهري عن ابن الاعرابي قال قنعت بما رزقت بالكسر وقنعت إلى فلان خضعت له بالفتح والمعتر والمعتري واحد وروي عن الحسن وابي رجاء وعمرو بن عبيد انهم قرأوا المعتري يقال عراه واعتراه وعره واعتره كله بمعنى أتاه وقصده قال طرفة

في جفان يعتري نادينا وسديف حين هاج الصنبر

ويقال قنع الرجل إلى فلان قنوعاً إذا سأل قال الشماخ

لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره اعف من القنوع

والصومعة أصلها من الانضمام ومنه الأصمع للاصق الاذنين وكل منضم فهو متصمع قال ابو ذؤيب يصف صائداً

فرمى فأنفذ من نحوص عائط سهماً فخر وريشه متصمع

والبيع كنائس اليهود

﴿ الإعراب ﴾

والبدن منصوب باضمار فعل تقديره وجعلنا البدن جعلناها صواف منصوب على الحال · الذين اخرجوا من ديارهم في محل الجر بأنه بدل من الذين يقاتلون ويجوز ان يكون في موضع الرفع على تقدير هم الذين اخرجوا وفي محل النصب على المدح على تقدير أعني الذين اخرجوا · بغير حق في موضع نصب على الحال ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف وتقديره اخرجوا اخراجاً بهذه الصفة إلا أن يقولوا ربنا الله · الا هاهنا لنقض النفي وتقديره إلا بأن يقولوا أي بقولهم وبعضهم منصوب على البدل من الناس وهو بدل البعض من الكل والتقدير دفع الله بعض الناس ببعض

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد إلى ذكر الشعائر فقال (والبدن) وهي الابل العظام وقيل الناقة والبقرة مما يجوز في الهدي والاضاحي عن عطا والسدي (جعلناها لكم من شعائر الله) أي من اعلام دينه وقيل من علامات مناسك الحج والمعنى جعلناها لكم فيها عبادة الله من سوقها إلى البيت واشعارها وتقليدها ونحرها والاطعام منها (لكم فيها خير) أي نفع في الدنيا والآخرة وقيل أراد بالخير ثواب الآخرة وهو الوجه لأنه الغرض المطلوب (فاذكروا اسم الله عليها) أي في حال نحرها وعبر به عن النحر قال ابن عباس هو ان يقول الله اكبر لا إله إلا الله والله اكبر اللهم منك ولك (صواف) أي قياماً مقيدة على سنة محمد ﷺ عن ابن عباس وقيل هو ان تعقل إحدى يديها وتقوم على ثلاثة تنحر كذلك فيسوي بين اوظفتها لئلا يتقدم بعضها على بعض عن مجاهد وقيل هو ان تنحر وهي صافة أي قائمة ربطت يديها ما بين الرسغ والخف إلى الركبة عن ابي عبد الله (ع) هذا في الابل فأما البقر فإنه يشد يداها ورجلاها ويطلق ذنبها والغنم يشد ثلاث قوائم منها ويطلق فرد رجل منها (فإذا وجبت جنوبها) أي سقطت إلى الأرض وعبر بذلك عن تمام خروج الروح منها (فكلوا منها) وهذا اذن وليس بأمر لأن أهل الجاهلية كانوا يحرمونها على نفوسهم وقيل ان الأكل منها واجب إذا تطوع بها (واطعموا القانع والمعتر) اختلف في معناهما فقيل ان القانع الذي يقنع بما اعطي أو بما عنده ولا يسأل والمعتر الذي يتعرض لك أن تطعمه من اللحم ويسأل عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعكرمة وابراهيم وقيل القانع الذي يسأل والمعتر الذي يتعرض ولا يسأل عن الحسن وسعيد بن جبير وقال ابو جعفر (ع) وابو عبد الله (ع) القانع الذي يقنع بما اعطيته ولا يسخط ولا يكلح ولا يلوي شدقه غضباً والمعتر المادّ يده لتطعمه وفي رواية الحلبي عن ابي عبد الله (ع) قال القانع الذي يسأل فيرضى بما أعطي والمعتر الذي يعتري رحلك ممن لا يسأل وروي عن ابن عباس انه قال في جواب نافع بن الازرق لما سأله عن ذلك القانع الذي يقنع بما اعطي والمعتر الذي يعتري الأبواب أما سمعت قول زهير

على مكثريهم حق من يعتريهم وعند المقلين السماحة والبذل

وروي عنهم (ع) انه ينبغي أن يطعم ثلثه ويعطي القانع والمعتر ثلثه ويهدي لأصدقائه الثلث الباقي (كذلك) أي مثل ما وصفناه (سخرناها لكم) أي ذللناها لكم حتى لا تمتنع عما تريدون منها من النحر والذبح بخلاف السباع الممتنعة ولتنتفعوا بركوبها وحملها ونتاجها نعمة منا عليكم (لعلكم تشكرون) ذلك (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) اي لن تصعد إلى الله لحومها ولا دماؤها وإنما يصعد اليه التقوى عن الحسن وهذا كناية عن القبول وذلك إنما يقبله الإنسان يقال قد ناله ووصل اليه فخاطب الله سبحانه عباده بما اعتادوه في مخاطباتهم وكانوا في الجاهلية إذا ذبحوا الهدي استقبلوا الكعبة بالدماء فضمخوها حول البيت قربة إلى الله وقيل معناه لن تبلغوا رضا الله بذلك وإنما تبلغونه بالتقوى (كذلك سخرها لكم) تقدم تفسيره (لتكبروا الله على ما هداكم) اي على ما بين لكم وارشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه وقيل هو ان يقول الله اكبر على ما هدانا

(وبشر المحسنين) اي الموحدين عن ابن عباس وقيل الذين يعملون اعمالاً حسنة ولا يسيئون الى غيرهم ثم بين سبحانه دفعه عن المؤمنين بشارة لهم بالنصر فقال (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) غائلة المشركين بأن يمنعهم منهم وينصرهم عليهم (إن الله لا يحب كل خوان كفور) وهم الذين خانوا الله بأن جعلوا معه شريكا و كفروا نعمه عن ابن عباس وقيل من ذكر اسم غير الله وتقرب إلى الأصنام بذبيحته فهو خوان كفور عن الزجاج ثم بين سبحانه اذنه لهم في قتال الكفار بعد تقدم بشارتهم بالنصرة فقال (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) اي بسبب انهم ظلموا وقد سبق معناه في الحجة وكان المشركون يؤذون المسلمين ولا يزال يجيئ مشجوج ومضروب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويشكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول لهم صلوات الله عليه وآله اصبروا فإني لم أومر بالقتال حتى هاجر فأنزل الله عليه هذه الآية بالمدينة وهي اول آية نزلت في القتال وفي الآية محذوف وتقديره اذن للمؤمنين ان يقاتلوا او بالقتال من اجل انهم ظلموا بأن اخرجوا من ديارهم وقصدوا بالايذاء والاهانة (وان الله على نصرهم لقدير) وهذا وعد لهم بالنصر معناه انه سينصرهم ثم بين سبحانه حالهم فقال (الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق إلا ان يقولوا ربنا الله) يحتمل معناه ان يكون اراد اخرجوا إلى المدينة فتكون الآية مدنية ويحتمل إلى الحبشة فتكون الآية مكية وذلك بأنهم تعرضوا لهم بالأذى حتى اضطروا إلى الخروج وقوله بغير حق معناه من غير ان استحقوا ذلك عن الجبائي اي لم يخرجوا من ديارهم إلا لقولهم ربنا الله وحده وقال ابو جعفر (ع) نزلت في المهاجرين وجرت في آل محمد عليهم السلام الذين اخرجوا من ديارهم واخيفوا (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) قد تقدم الكلام في هذا (لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد) اي صوامع في ايام شريعة عيسى وبيع في ايام شريعة موسى ومساجد في ايام شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الزجاج والمعنى ولولا ان دفع الله بعض الناس ببعض لهدم في كل شريعة بناء المكان الذي يصلي فيه وقيل البيع للنصارى في القرى والصوامع في الجبال والبراري ويشترك فيها الفرق الثلاث والمساجد للمسلمين والصلوات كنيسة اليهود عن ابي مسلم وقال ابن عباس والضحاك وقتادة الصلوات كنائس اليهود يسمونها صلوات فعربت وقال الحسن اراد بذلك عين الصلاة وهدم الصلاة بقتل فاعليها ومنعهم من اقامتها وقيل اراد بالصلوات المصليات كما قال لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى واراد المساجد (يذكر فيها اسم الله كثيرا) الهاء تعود الى المساجد وقيل الى جميع المواضع الذي تقدمت لأن الغالب فيها ذكر الله (ولينصرن الله من ينصره) هذا وعد من الله بأنه سينصر من ينصر دينه وشريعته (ان الله لقوي عزيز) اي قادر قاهر

قوله تعالى (٤١) الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٤٢) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (٤٣) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (٤٤) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥) فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ خمس آيات كوفي

«القراءة»

قرأ اهل البصرة اهلكتها بالتاء والباقون اهلكناها والمعنى واحد

«اللغة»

يقال خوت الدار خواء ممدوداً فهي خاوية وخوى جوف الانسان من الطعام خوى مقصورا فهو خو والتعطيل ابطال العمل بالشيء ولهذا يقال للدهري معطل لأنه ابطل العمل بالعلم على مقتضى الحكمة والمشيد المرتفع من الأبنية شاد الرجل بناه يشيده وشيده يشيّده قال عدي بن زيد

شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور

وقال امرؤ القيس

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أُطما إلا مشيدا بجندل

وقيل المشيد المجصص والمبني بالشيد والشيد الجص والجيار الصاروج

المعنى

ثم وصف سبحانه من ذكرهم من المهاجرين فقال (الذين إن مكناهم في الأرض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة) والتمكين اعطاء ما يصح معه الفعل فإن كان الفعل لا يصح الا بآلة فالتمكين اعطاء تلك الآلة لمن فيه القدرة وكذلك إن كان لا يصح الفعل إلا بعلم ونصب دلالة واضحة وسلامة ولطف وغير ذلك فالتمكين اعطاء جميع ذلك وإن كان الفعل يكفي في صحة وجوده مجرد القدرة فخلق القدرة التمكين فالمعنى الذين أعطيناهم ما به يصح الفعل منهم وسلطناهم في الأرض أدوا الصلاة بحقوقها وأعطوا ما افترض الله عليهم من الزكاة (وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وهذا يدل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمعروف هو الحق لأنه يعرف صحته والمنكر هو الباطل لأنه لا يمكن معرفة صحته قال الزجاج هذه صفة من في قوله من ينصره وقال الحسن وعكرمة هم هذه الأمة وقال ابو جعفر(ع) نحن هم والله (ولله عاقبة الأمور) هو كقوله وإلى الله ترجع الأمور ومعناه انه يبطل كل ملك سوى ملكه فتصير الامور اليه بلا مانع ولا منازع ثم عزى سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عن تكذيبهم اياه وخوف مكذبيه بذكر من كذبوا انبيائهم فأهلكوا فقال (وإن يكذبوك) يا محمد (فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين) كل أمة من هؤلاء الأمم فقد كذبت نبيها ثم قال (وكذب موسى) ولم يقل وقوم موسى لأن قومه بنو اسرائيل وكانوا آمنوا به وإنما كذبه فرعون وقومه (فأمليت للكافرين) أي أخرت عقوبتهم وامهلتهم يقال أملى الله لفلان في العمر إذا أخر عنه أجله (ثم أخذتهم) اي بالعذاب (فكيف كان نكير) استفهام معناه التقرير اي فكيف انكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب فأبدلتهم بالنعمة نقمة وبالحياة هلاكا قال الزجاج المعنى ثم اخذتهم فأنكرت ابلغ انكار ثم ذكر سبحانه كيف عذب المكذبين فقال (فكأين من قرية اهلكناها) اي وكم من قرى اهلكناها واخذناها والاختيار التاء وذلك لقوله فأمليت (وهي ظالمة) اي واهلها ظالمون بالتكذيب والكفر (فهي خاوية على عروشها) اي خالية من اهلها ساقطة على سقوفها (وبئر معطلة) عطف على قوله من قرية اي وكم من بئر باد اهلها وغار ماؤها وتعطلت من دلائها فلا مستقى منها ولا وارد لها (وقصر مشيد) اي وكم من قصر رفيع مجصص تداعى

للخراب بهلاك اهله فلم يبق فيه داع ولا مجيب واصحاب الآبار ملوك البدو واصحاب القصور ملوك الحضر وفي تفسير اهل البيت(ع) في قوله وبئر معطلة ان المعنى وكم من عالم لا يرجع اليه ولا ينتفع بعلمه وقال الضحاك هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضور انزل بها اربعة آلاف ممن آمن بصالح ومعهم صالح فلما حضروا مات صالح فسمي المكان حضرموت ثم انهم كثروا فكفروا وعبدوا الأصنام فبعث الله اليهم نبيا يقال له حنظلة فقتلوه في السوق فأهلكهم الله فماتوا عن آخرهم وعطلت بئرهم وخرب قصر ملكهم

قوله تعالى(٤٦) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (٤٧) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ (٤٨) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ (٤٩) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥١) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ست آيات

القراءة

قرأ ابن كثير واهل الكوفة غير عاصم مما يعدون بالياء والباقون بالتاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو معجزين بالتشديد وفي سبا ايضا في موضعين والباقون معاجزين بالألف في السورتين

الحجة

حجة من قرأ يعدون بالياء ان قبله يستعجلونك وحجة من قرأ بالتاء ان ذلك أعم وقوله معاجزين اي ظانين ومقدرين ان يعجزونا لأنهم ظنوا ان لا بعث ولا نشور فهو كقوله ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ومعجزين ينسبون من تبع النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى العجز نحو جهلته نسبته الى الجهل وروي عن مجاهد انه فسر معجزين مثبطين اي يثبطون الناس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

المعنى

ثم حث سبحانه على الاعتبار بحال من مضى من القرون المكذبة لرسلهم فقال (أفلم يسيروا في الارض) اي أولم يسر قومك يا محمد في ارض اليمن والشام عن ابن عباس (فتكون لهم قلوب يعقلون بها) اي يعلمون بها ما يرون من العبر والمعنى فيعقلون بقلوبهم ما نزل بمن كذب قبلهم (او آذان يسمعون بها) اخبار الأمم المكذبة (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الهاء في انها ضمير القصة والجملة بعدها تفسيرها قال الزجاج وقوله التي في الصدور من التوكيد الذي يريده العرب في الكلام كقوله عشرة كاملة وقوله يقولون بأفواههم وقوله يطير بجناحيه وقيل انه انما ذكر ذلك لئلا يتوهم إلى غير معنى القلب نحو قلب النخلة فيكون أنفى للَّبس بتجوز الاشتراك و كذلك قوله يقولون بأفواههم لأن القول قد يكون بغير الفم والمعنى ان الأبصار وإن كانت عمياء فلا تكون في الحقيقة كذلك إذا كان اصحابها

عارفين بالحق و إنما يكون العمى عمى القلب الذي يقع معه الجحود بوحدانية الله (ويستعجلونك) يا محمد (بالعذاب) أن ينزل بهم ويستبطئونه (وان يخلف الله وعده) أي في انزال العذاب بهم قال ابن عباس يعني يوم بدر (وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون) اختلف في معناه على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان يوما من أيام الآخرة يكون كألف سنة من أيام الدنيا عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وابن زيد وفي رواية أخرى عن ابن عباس أنه أراد ان يوما من الأيام التي خلق الله فيها السماوات والأرض كألف سنة ويدل عليه ما روي ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام ويكون المعنى على هذا انهم يستعجلون العذاب وان يوما من أيام عذابهم في الآخرة كألف سنة ﴿ وثانيها ﴾ ان المعنى وان يوما عند ربك والف سنة في قدرته واحد فلا فرق بين وقوع ما يستعجلون به من العذاب وبين تأخره في القدرة إلا أنه سبحانه تفضل بالامهال إذ لا يفوته شيء عن الزجاج وهو معنى قول ابن عباس في رواية عطا ﴿ وثالثها ﴾ ان يوما واحدا كالف سنة في مقدار العذاب لشدته وعظمته كمقدار عذاب الف سنة من أيام الدنيا على الحقيقة وكذلك نعيم الجنة لأنه يكون في مقدار يوم من أيام الجنة من النعيم والسرور مثل ما يكون في الف سنة من أيام الدنيا لو بقي منعم فيها ثم الكافر يستعجل ذلك العذاب لجهله عن الجبائي وهذا كما يقال في المثل « أيام السرور قصار وأيام الهموم طوال » وقال الشاعر

يطول اليوم لا القاك فيه وحول نلتقي فيه قصير

وقال

تطاولت أيام معن بنا فيوم كشهرين إذ يستهل

وقال جرير « ويوم كابهام الحبارى لهوته » ثم اعلم سبحانه أنه أخذ قوما بعد الاملاء والامهال فقال (وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة) مستحقة لتعجيل العقاب (ثم أخذتها) أي أهلكتها (وإليّ المصير) لكل احد ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (قل) لهم (يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين) أي مخوف عن معاصي الله مبين لكم ما يجب عليكم فعله وما يجب عليكم تجنبه (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) من الله لمعاصيهم (ورزق كريم) يعني نعيم الجنة فإنه أكرم نعيم في أكرم دار (والذين سعوا في آياتنا) أي بذلوا الجهد في ابطال آياتنا وبالغوا في ذلك واصل السعي الاسراع في المشي (معاجزين) أي مغالبين عن ابن عباس والمعاجزة محاولة عجز المغالب وقيل مقدرين انهم يسبقوننا والمعاجزة المسابقة وقيل ظانين أن يعجزوا الله أي يفوتوه ولن يعجزوه عن قتادة وهذا مثل ما تقدم ومن قرأ معجزين فمعناه مثبطين لمن أراد اتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن مجاهد وقيل قاصدين تعجيز رسولنا وقيل ناسبين من تبعه إلى العجز (أولئك أصحاب الجحيم) أي الملازمون للجحيم أي النار

قوله تعالى (٥٢) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٣) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٤) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٥) وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ أربع آيات

﴿ النزول ﴾

روي عن ابن عباس وغيره ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما تلا سورة والنجم وبلغ إلى قوله أفرأيتم اللات والعزى ومنات

الثالثة الأخرى القى الشيطان في تلاوته تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترجى فسر بذلك المشركون فلما انتهى إلى السجدة سجد المسلمون وسجد ايضا المشركون لما سمعوا من ذكر آلهتهم بما اعجبهم فهذا الخبر ان صح محمول على انه كان يتلو القرآن فلما بلغ إلى هذا الموضع وذكر أسماء آلهتهم وقد علموا من عادته صلى الله عليه وآله وسلم انه كان يعيبها قال بعض الحاضرين من الكافرين تلك الغرانيق العلى والقى ذلك في تلاوته توهم ان ذلك من القرآن فأضافه الله سبحانه إلى الشيطان لأنه إنما حصل باغوائه ووسوسته وهذا أورده المرتضى قدس الله روحه في كتاب التنزيه وهو قول الناصر للحق من ائمة الزيدية وهو وجه حسن في تأويله

المعنى

(وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) من هنا مزيدة والتقدير ما ارسلنا قبلك رسولا ولا نبيا وإنما ذكر اللفظين لاختلاف فائدتها فالرسول الذي ارسله الله تعالى ولا يحمل عند الاطلاق على غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والنبي الذي له الرفعة والدرجة العظيمة بالارسال وقيل ان بينهما فرقا فالرسول الذي تنزل عليه الملائكة بالوحي والنبي الذي يوحى اليه في منامه فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وقيل بل الرسول هو المبعوث إلى امة والنبي هو الذي لا يبعث إلى امة عن قطرب وقيل ان الرسول هو المبتدئ بوضع الشرائع والأحكام والنبي الذي يحفظ شريعة غيره عن الجاحظ والقول هو الاول لأن الله سبحانه خاطب نبينا صلى الله عليه وآله وسلم مرة بالنبي ومرة بالرسول فقال يا ايها الرسول ويا ايها النبي فالرسول والنبي واحد لأن الرسول يعم الملائكة والبشر والنبي يختص البشر فجمع بينهما هنا وفي قوله وكان رسولا نبيا (إلا إذا تمنى القى الشيطان في امنيته) قال المرتضى لا يخلو التمني في الآية من ان يكون معناه التلاوة كما قال حسان بن ثابت

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخره لاقى حمام المقادر

او يكون تمني القلب فإن كان المراد التلاوة فالمعنى ان من ارسل قبلك من الرسل كان إذا تلا ما يؤديه إلى قومه حرفوا عليه وزادوا فيما يقوله ونقصوا كما فعلت اليهود واضاف ذلك إلى الشيطان لأنه يقع بغروره (فينسخ الله ما يلقي الشيطان) اي يزيله ويدحضه بظهور حججه وخرج هذا على وجه التسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لما كذب المشركون عليه واضافوا إلى تلاوته من مدح آلهتهم ما لم يكن فيها وان كان المراد تمني القلب فالوجه ان الرسول متى تمنى بقلبه بعض ما يتمناه من الأمور وسوس اليه الشيطان بالباطل يدعوه اليه وينسخ الله ذلك ويبطله بما يرشده اليه من مخالفة الشيطان وترك استماع غروره قال واما الأحاديث المروية في هذا الباب فهي مطعونة ومضعفة عند اصحاب الحديث وقد تضمنت ما ينزه الرسل (ع) عنه. وكيف يجوز ذلك على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال الله سبحانه كذلك لنثبت به فؤادك وقال سنقرؤك فلا تنسى وان حمل ذلك على السهو فالساهي لا يجوز ان يقع منه مثل هذه الألفاظ المطابقة لوزن السورة ونظمها ثم لمعنى ما تقدمها من الكلام لأنا نعلم ضرورة ان الساهي او انشد قصيدة لم يجز ان يسهو حتى يتفق منه بيت شعر في وزنها وفي معنى البيت الذي تقدمه وعلى الوجه الذي تقتضيه فائدته ويمكن ان يكون الوجه فيه ما ذكرناه في النزول لأن من المعلوم انهم كانوا يلقون عند قراءته طلبا لتغليطه ويمكن ان يكون كان هذا في الصلاة لأنهم كانوا يلقون في قراءته وقيل ايضا انه كان إذا تلا القرآن على قريش توقف في فصول الآيات واتى بكلام على سبيل الحجاج لهم فلما تلا الآيات قال تلك الغرانيق العلى على سبيل الانكار عليهم وعلى ان الامر بخلاف ما قالوه وظنوه وليس يمتنع ان يكون هذا في الصلاة لان الكلام في الصلاة حينئذ كان مباحا وإنما نسخ من بعد وقيل ان المراد بالغرانيق الملائكة وقد جاء ذلك في بعض الحديث فتوهم المشركون انه يريد آلهتهم وقيل ان ذلك كان قرآنا منزلا في وصف الملائكة فلما ظن المشركون ان المراد به آلهتهم نسخت تلاوته وقال البلخي ويجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمع هاتين

الكلمتين من قومه وحفظها فلما قرأ القاها الشيطان في ذكره فكاد ان يجريها على لسانه فعصمه الله ونبهه ونسخ وسواس الشيطان واحكم آياته بأن قرأها النبي ﷺ محكمة سليمة مما اراد الشيطان ويجوز ان يكون النبي ﷺ لما انتهى إلى ذكر اللات والعزى قال الشيطان هاتين الكلمتين رافعاً بهما صوته فألقاهما في تلاوته في غمار الناس فظن الجهال ان ذلك من قول النبي ﷺ فسجدوا عند ذلك والغرانيق جمع غرنوق وهو الحسن الجميل يقال شاب غرنوق وغرانق إذا كان ممتليا ريا (ثم يحكم الله آياته) أي يبقي آياته ودلائله وأوامره محكمة لا سهو فيها ولاغلط (والله عليم) بكل شيء (حكيم) واضع الاشياء مواضعها (ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم) أي ليجعل ذلك تشديدا في التعبد وامتحانا عن الجبائي والمعنى انه شدد المحنة والتكليف على الذين في قلوبهم شك وعلى الذين قست قلوبهم من الكفار فتلزمهم الدلالة على الفرق بين ما يحكمه الله وبين ما يلقيه الشيطان (وان الظالمين لفي شقاق بعيد) أي في معاداة ومخالفة بعيدة عن الحق (وليعلم الذين أوتوا العلم) بالله وبتوحيده وبحكمته (انه الحق من ربك) أي ان القرآن حق لا يجوز عليه التبديل والتغيير (فيؤمنوا به) أي فيثبتوا على إيمانهم وقيل يزدادوا إيمانا إلى إيمانهم (فتخبت له قلوبهم) أي تخشع وتتواضع لقوة إيمانهم (وان الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) اي طريق واضح لا عوج فيه أي يثبتهم على الدين الحق وقيل يهديهم ربهم بإيمانهم إلى طريق الجنة (ولا يزال الذين كفروا في مرية منه) أي في شك من القرآن عن ابن جريج وهذا خاص فيمن علم الله تعالى انهم لا يؤمنون من الكفار (حتى تأتيهم الساعة بغتة) أي فجأة وعلى غفلة (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) قيل انه عذاب يوم بدر عن قتادة ومجاهد وسماه عقيما لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه ومثله قول الشاعر

عقم النساء فلا يلدن شبيهه ... إن النساء بمثله لعقيم

وقيل إنما سمى ذلك اليوم عقيما لأنه لم يكن فيه للكفار خير فهو كالريح العقيم التي لا تأتي بخير عن الضحاك واختاره الزجاج وقيل المراد به يوم القيامة والمعنى حتى تأتيهم علامات الساعة أو عذاب يوم القيامة وسماه عقيما لأنه لا ليلة له عن عكرمة والجبائي

﴿ النظم ﴾

اتصلت الآية الأولى بما تقدم من ذكر الكفار وما متعوا به من نعيم الدنيا ولما رأى النبي ﷺ مامني به أصحابه من الاقتار تمنى لهم الدنيا فبين سبحانه ان ذلك التمني من وساوس الشيطان وان ما اعده لهم من نعيم الآخرة خير وقيل اتصل بقوله إنما أنا لكم نذير مبين فبين سبحانه أنه بشر وان حاله كحال الرسل قبله

قوله تعالى (٥٦) ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ ٱلنَّعِيمِ (٥٧) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٥٨) وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ (٥٩) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٦٠) ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر قتلوا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أهل المدينة مدخلا بالفتح والباقون بضم الميم وقد سبق ذكره

المعنى

لما تقدم ذكر القيامة بين صفته فقال (الملك يومئذ لله) لا يملك أحد سواه شيئا بخلاف الدنيا (يحكم بينهم) أي يفصل بين المؤمنين والكافرين ثم بين حكمه فقال (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم) ينعمون فيها (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) يهينهم ويذلهم (والذين هاجروا في سبيل الله) أي فارقوا أوطانهم وخرجوا من مكة إلى المدينة (ثم قتلوا) في الجهاد (أو ماتوا) في الغربة (ليرزقنهم الله رزقا حسنا) وهو رزق الجنة عن الحسن والسدي والرزق الحسن ما إذا رآه لا تمتد عينه إلى غيره وهذا لا يقدر عليه غير الله تعالى ولذلك قال (وان الله لهو خير الرازقين) وقيل بل هو مثل قوله بل أحياء عند ربهم يرزقون (ليدخلنهم مدخلا يرضونه) لأن لهم فيه ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين والمدخل يجوز أن يكون بمعنى المكان وبمعنى المصدر (وان الله لعليم) بأحوالهم (حليم) عن معاجلة الكفار بالعقوبة (ذلك) اي الأمر ذلك الذي قصصنا عليك (ومن عاقب بمثل ما عوقب به) اي من جازى الظالم بمثل ما ظلمه قال الحسن معناه قاتل المشركين كما قاتلوه والأول لم يكن عقوبة ولكن كقولهم الجزاء بالجزاء لازدواج الكلام (ثم بغي عليه) أي ظلم باخراجه من منزله يعني ما فعله المشركون من البغي على المسلمين حتى أخرجوهم إلى مفارقة ديارهم (لينصرنه الله) يعني المظلوم الذي بغي عليه (إن الله لعفو غفور) روي ان الآية نزلت في قوم من مشركي مكة لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم فقالوا ان أصحاب محمد ﷺ لا يقاتلون في هذا الشهر فحملوا عليهم فناشدهم المسلمون أن لا يقاتلوهم في الشهر الحرام فأبوا فأظفر الله المسلمين بهم

قوله تعالى (٦١) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ (٦٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ (٦٣) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٤) لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ (٦٥) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل العراق غير ابي بكر ما يدعون هنا وفي لقمان بالياء والباقون بالتاء

الحجة

من قرأ تدعون بالتاء فعلى الخطاب للمشركين وحجته قوله ياأيها الناس ضرب مثل ومن قرأ بالياء فعلى الحكاية وحجته قوله يكادون يسطون

الإعراب

فتصبح الأرض إنما رفع لأنه لم يجعله جوابا للاستفهام والمراد به الخبر ومثله قول الشاعر

ألم تسأل الربع القديم فينطق وهل يخبرنك اليوم بيداء سملق

المعنى

ثم قال سبحانه (ذلك) أي ذلك النصر (بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) اي يدخل

ما انتقص من ساعات الليل في النهار وما انتقص من ساعات النهار في الليل (وأن الله سميع) لدعاء المؤمنين (بصير) بهم (ذلك) اي ذلك الذي فعل من نصر المؤمنين (بأن الله هو الحق) أي ذو الحق في قوله وفعله وقيل معناه إنه الواحد في صفات التعظيم التي من اعتقده عليها فهو محق (وأن ما يدعون من دونه هو الباطل) لأنه ليس عنده نفع ولا ضر (وان الله هو العلي) عن الأشياء (الكبير) الذي كل شيء سواه يصغر مقداره عن معناه (ألم تر أن الله انزل من السماء ماء) أي مطراً (فتصبح الأرض مخضرة) بالنبات (إن الله لطيف) بارزاق عباده من حيث لا يحتسبون (خبير) بما في قلوبهم وقيل اللطيف المحيط بتدبير دقائق الامور الذي لا يتعذر عليه شيء يتعذر على غيره (له ما في السماوات وما في الأرض) اي له التصرف في جميع ذلك (وأن الله لهو الغني الحميد) الغني الحي الذي ليس بمحتاج الحميد المحمود بصفاته وأفعاله (ألم تر ان الله سخر لكم ما في الأرض) من الحيوان والجماد (والفلك تجري في البحر بأمره) اي وسخر لكم الفلك في حال جريها (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) أي يمنع السماء من وقوعها على الأرض إلا بإرادته والمعنى إلا إذا اذن الله في ذلك بأن يريد ابطالها واعدامها (إن الله بالناس لرؤوف رحيم) برأفته ورحمته بهم فعلى هذا التسخير وامساك السماء من الوقوع

قوله تعالى (٦٦) وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (٦٧) لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ (٦٨) وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٩) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٧٠) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ خمس آيات

المعنى

ثم ذكر سبحانه دلالة اخرى على وحدانيته فقال (وهو الذي احياكم) بعد ان كنتم نطفا ميتة (ثم يميتكم) عند انتهاء آجالكم (ثم يحييكم) للبعث والحساب وفيه بيان أن من قدر على ابتداء الاحياء قدر على اعادة الاحياء (إن الإنسان لكفور) أي جحود فإنه مع هذه الأدلة الدالة على الخلق يجحد الخالق (لكل امة) اي لكل قرن مضى (جعلنا منسكا هم ناسكوه) أي شريعة هم عاملون بها عن ابن عباس وقيل مكانا يألفونه وموضعا يعتادونه لعبادة الله ومناسك الحج من هذا لأنها مواضع العبادات فيه فهي متعبدات الحج وقيل موضع قربان اي متعبد في اراقة الدماء منى أو غيره عن مجاهد وقتادة (فلا ينازعنك في الأمر) هذا نهي لهم عن منازعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل نهي له لأن المنازعة تكون من اثنين فإذا وجه النهي إلى من ينازعه فقد وجه اليه ومنازعتهم قولهم أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يعنون الميتة اي فلا يخاصمنك في امر الذبح وقيل معناه ليس لهم ان ينازعوك في شريعتهم وقد نسخت هذه الشريعة الشرائع المتقدمة (وادع إلى ربك) أي لا تلتفت إلى منازعتهم وادع إلى توحيد ربك وإلى دينه (إنك لعلى هدى مستقيم) أي على دين قيم (وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون) أي إن خاصموك في امر الذبيحة فقل الله اعلم بتكذيبكم فهو يجازيكم به وهذا قبل الأمر بالقتال وقيل معناه وان جادلوك على سبيل المراء والتعنت بعد لزوم الحجة فلا تجادلهم على هذا الوجه وادفعهم بهذا القول وقيل معناه وان نازعوك في نسخ الشريعة فحاكمهم إلى الله (الله يحكم بينكم يوم القيامة) اي يفصل بينكم (فيما كنتم فيه تختلفون) اي فيما تذهبون فيه الى خلاف ما يذهب ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمراد جميع المكلفين (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض) من قليل وكثير لا يخفى عليه شيء من ذلك

(ان ذلك في كتاب) اي مثبت في الكتاب المحفوظ عن الجبائي (ان ذلك على الله يسير) اي كتبته في اللوح المحفوظ على الله يسير لا يحتاج الى معالجة خطوط وحروف وإنما يقول كن فيكون وقيل ان الحكم بينكم يسير على الله

قوله تعالى (٧١) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٧٢) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣) يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٤) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٥) اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب وسهل ان الذين يدعون بالياء والباقون بالتاء

﴿ اللغة ﴾

السطوة اظهار الحال الهائلة للاخافة يقال سطا عليه يسطو سطوة وسطا به والانسان مسطو به والسطوة والبطشة بمعنى

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن حال الكفار فقال (ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا) اي حجة (وما ليس لهم به علم) إنها آلهة وإنما قال ذلك لأن الانسان قد يعلم اشياء من غير حجة ودليل كالضروريات (وما للظالمين من نصير) اي وما للمشركين من مانع من العذاب ثم اخبر سبحانه عن شدة عنادهم فقال (وإذا تتلى عليهم آياتنا) يعني من القرآن وغيره من حجج الله (بينات) أي واضحات لمن تفكر فيها وهي منصوبة على الحال (تعرف) يامحمد (في وجوه الذين كفروا المنكر) اي الانكار وهو مصدر يريد اثر الانكار من الكراهة والعبوس (يكادون يسطون) اي يقمون ويبطشون من شدة الغيظ (بالذين يتلون عليهم آياتنا) والمعنى يكادون يبسطون اليهم ايديهم بالسوء يقال سطا عليه وسطا به إذا تناوله بالبطش (قل) يامحمد لهم (افأنبئكم بشر من ذلكم) واكره اليكم من هذا القرآن الذي تستمعون واشد عليكم منه ثم فسر ذلك فقال (النار) اي هو النار (وعد الله الذين كفروا وبئس المصير) اي المرجع والمأوى ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) قال الأخفش ان قيل فأين المثل الذي ذكر الله في قوله ضرب مثل قيل ليس هاهنا مثل والمعنى ان الله قال ضرب لي مثل اي شبه في الأوثان ثم قال فاستمعوا لهذا المثل الذي جعلوه مثلي وقال القتيبي هاهنا مثل لأنه ضرب مثل هؤلاء الذين يعبدون الأصنام بمن عبد من لا يخلق ذبابا وقيل معناه اثبت حديثا يتعجب منه فاستمعوا له لتقفوا على جهل الكفار من قولك ضربت خيمة اي نصبتها واثبتها وقيل معناه جعل ذلك كالشيء اللازم الثابت من قولك ضرب السلطان الجزية على اهل الذمة (إن الذين يدعون من دون الله) يعني الأصنام وكان ثلثمائة وستين صنما حول الكعبة (لن يخلقوا ذبابا) في صغره وقلته (ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم

الذباب شيئاً) ما عليهم قال ابن عباس كانوا يطلون اصنامهم بالزعفران فيجف فيأتي الذباب فيختلسه (لا يستنقذوه منه) اي لا يقدرون على استنقاذه منه (ضعف الطالب والمطلوب) الطالب الذباب والمطلوب الصنم عن ابن عباس وروي عنه على العكس من هذا وهو أن الطالب الصنم والمطلوب الذباب فعلى هذا يكون معناه ضعف السالب والمسلوب وقيل ان معناه راجع إلى العابد والمعبود أي جهل العابد والمعبود وقهر العابد والمعبود عن الضحاك وهو معنى قول السدي الطالب الذي يطلب إلى هذا الصنم بالتقرب اليه والصنم المطلوب اليه (ماقدروا الله حق قدره) أي ما عظموه حق عظمته حيث جعلوا هؤلاء الاصنام شركاء له عن الحسن والفراء وقيل معناه ماعرفوه حق معرفته عن الأخفش وقيل ما وصفوه حق صفته عن قطرب (إن الله لقوي عزيز) اي قادر لا يقدر احد على مغالبته (الله يصطفي من الملائكة رسلا) يعني جبرائيل وميكائيل (ومن الناس) يعني النبيين (إن الله سميع بصير) سميع بأقوالهم بصير بضمائرهم وأفعالهم

النظم

إنما اتصل قوله ويعبدون من دون الله بقوله إنك على صراط مستقيم أي ومن خالفك على الكفر والضلال وإنما اتصل قوله ياأيها الناس ضرب مثل بقوله ويعبدون من دون الله ما لا حجة لهم فيه والمعنى ان من لا يقدر على خلق ذباب مع صغره واذا سلبه الذباب شيئا لا يقدر على استرداده فكيف يستحق ان يعبد ثم قال ما قدروا الله حق قدره اي من اشرك غيره معه في العبادة مع كمال قدرته فما عرفه حق معرفته ثم قال الله يصطفي من الملائكة رسلا ليعلم انه سبحانه إنما اصطفاهم لعبادتهم إياه فمن جعل الملائكة والأنبياء اولادا فإنه لم يعظمه حق عظمته ولم يعرفه حق معرفته إذ جعل من يعبده سبحانه معبودا

قوله تعالى (٧٦) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ (٧٧) يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱرْكَعُوا وَٱسْجُدُوا وَٱعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٨) وَجَاهِدُوا فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَاةَ وَآتُوا ٱلزَّكَاةَ وَٱعْتَصِمُوا بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَى وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ

ثلاث آيات

الاعراب

حق جهاده منصوب على المصدر لانه مضاف إلى المصدر • من حرج من مزيدة اي ما جعل عليكم حرجا • ملة ابيكم منصوبة باضمار فعل تقديره واتبعوا او الزموا ملة ابيكم لأن قبله جاهدوا في الله حق جهاده قال المبرد عليكم ملة ابيكم وقال الزجاج وجائز ان يكون منصوبا على تقدير وافعلوا الخير فعل ابيكم

=[المعنى]=

لما وصف الله سبحانه نفسه بأنه سميع بصير عقبه بقوله (يعلم ما بين ايديهم) يعني ما بين ايدي الخلائق من القيامة واحوالها وما يكون في مستقبل احوالهم (وما خلفهم) اي وما يخلفونه من دنياهم وقيل يعلم ما بين ايديهم اي اول اعمالهم وما خلفهم آخر اعمالهم عن الحسن وقيل معناه يعلم ما كان قبل خلق الملائكة والأنبياء وما يكون بعد خلقهم عن علي بن عيسى (وإلى الله ترجع الامور) يوم القيامة فلا يكون لأحد امر ولا نهي

ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) اي صلوا (واعبدوا ربكم) بفعل ما تعبدكم به من العبادات (وافعلوا الخير) قال ابن عباس يريد صلة الرحم ومكارم الأخلاق ومعناه لا تقتصروا على فعل الصلاة والواجبات من العبادات وافعلوا غيرها من انواع البر من اغاثة الملهوف واعانة الضعيف وبر الوالدين وما جانسها (لعلكم تفلحون) اي لكي تفلحوا وتسعدوا (وجاهدوا في الله حق جهاده) اكثر المفسرين حملوا الجهاد هاهنا على جميع أعمال الطاعة وقالوا حق الجهاد ان يكون بنية صادقة خالصة لله تعالى وقال السدي هو ان يطاع فلا يعصى وقال الضحاك معناه جاهدوا بالسيف من كفر بالله و إن كانوا الآباء والابناء وروي عن عبد الله بن المبارك انه قال هو مجاهدة الهوى والنفس (هو اجتباكم) أي اختاركم واصطفاكم لدينه (وما جعل عليكم في الدين من حرج) اي من ضيق لا مخرج منه ولا مخلص من عقابه بل جعل التوبة والكفارات ورد المظالم مخلصا من الذنوب فليس في دين الإسلام ما لا سبيل إلى الخلاص من العقاب به فلا عذر لأحد في ترك الاستعداد للقيامة وقيل معناه ان الله سبحانه لم يضيق عليكم امر الدين فلن يكلفكم ما لا تطيقون بل كلف دون الوسع فلا عذر لكم في تركه وقيل انه يعني الرخص عند الضرورات كالقصر والتيمم واكل الميتة عن الكلبي ومقاتل واختاره الزجاج (ملة ابيكم ابراهيم) اي دينه لأن ملة ابراهيم داخلة في ملة محمد ﷺ وإنما سماه أباً للجميع لأن حرمته على المسلمين كحرمة الوالد على الولد كما قال وازواجه امهاتهم عن الحسن وقيل ان العرب من ولد اسماعيل واكثر العجم من ولد اسحاق وهما ابنا ابراهيم فالغالب عليهم انهم اولاده (هو سماكم المسلمين) اي الله سماكم المسلمين عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو كناية عن ابراهيم عن ابن زيد قال ويدل عليه قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك (من قبل) اي من قبل انزال القرآن (وفي هذا) اي وفي هذا القرآن (ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) اي ليكون محمد ﷺ شهيدا عليكم بالطاعة والقبول فإذا شهد لكم به صرتم عدولا تشهدون على الامم الماضية بأن الرسل قد بلغوهم رسالة ربهم وانهم لم يقبلوا فيوجب لكافرهم النار ولمؤمنهم الجنة بشهادتكم وهذا من اشرف المراتب وهو مثل قوله وكذلك جعلناكم امة وسطا الآية وقيل معناه ليكون الرسول شهيدا عليكم في ابلاغ رسالة ربه اليكم وتكونوا شهداء على الناس بعده بأن تبلغوا اليهم ما بلغه الرسول اليكم (فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) قال قتادة فريضتان واجبتان افترضهما الله عليكم فأدوهما إلى الله وروى عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال لا تقبل الصلاة إلا بالزكاة (واعتصموا بالله) اي تمسكوا بدين الله عن الحسن وقيل معناه امتنعوا بطاعته عن معصيته وقيل امتنعوا بالله من اعدائكم أي اجعلوه عصمة لكم مما تحذرون وقيل ثقوا بالله وتوكلوا عليه عن مقاتل (هو مولاكم) أي وليكم وناصركم والمتولي لاموركم ومالككم (فنعم المولى) هو لمن تولاه (ونعم النصير) هو لمن استنصره وقيل فنعم المولى إذ لم يمنعكم الرزق حين عصيتموه ونعم النصير إذ أعانكم لما اطعتموه

سورة المؤمنون (مكية)

عدد آيها

مائة وثماني عشرة آية كوفي تسع عشرة في الباقين

اختلافها

آية واحدة وأخاه هارون غير الكوفي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة يوم القيامة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وقال ابو عبد الله «ع» من قرأ سورة المؤمنين ختم الله له بالسعادة إذا كان يدمن قراءتها في كل جمعة وكان منزله في الفردوس الأعلى من النبيين والمرسلين

تفسيرها

ختم الله سورة الحج بأمر المكلفين في العبادة وأفعال الخير على طريق الاجمال وافتتح هذه السورة بتفصيل تلك الجملة وبيان تلك الأفعال فقال

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ (٢) ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٣) وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٤) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٥) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٦) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٧) فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ (٨) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٩) وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (١٠) أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْوَارِثُونَ (١١) ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ احدى عشرة آية

القراءة

قرأ ابن كثير لأمانتهم على الواحد هنا وفي المعارج والباقون لأماناتهم على الجمع وقرأ على صلاتهم بالافراد اهل الكوفة غير عاصم والباقون على صلواتهم على الجمع

الحجة

قال ابو علي وجه الافراد في الأمانة انه مصدر واسم جنس فيقع على الكثرة ووجه الجمع قوله إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى اهلها ومما افردت فيه الأمانة والمراد به الكثرة ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من الأمانة أن اوئتمنت المرأة على فرجها يريد تفسير قوله ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن ووجه الافراد في الصلاة انها مصدر ووجه الجمع انها صارت بمنزلة الاسم لاختلاف انواعها والجمع فيه أقوى لانه صار اسما شرعيا لانضمام ما لم يكن في أصل اللغة اليها

المعنى

(قد افلح المؤمنون) اي فاز بثواب الله الذين صدقوا بالله وبوحدانيته وبرسله وقيل معنى افلح بقي اي قد بقيت اعمالهم الصالحة وقيل معناه قد سعد قال لبيد «ولقد افلح من كان عقل» قال الفراء يجوز أن يكون قدها هنا

لتأكيد الفلاح للمؤمنين ويجوز أن يكون تقريبا للماضي من الحال الا تراهم يقولون قد قامت الصلاة قبل حال قيامها فيكون المعنى في الآية إن الفلاح قد حصل لهم وانهم عليه في الحال ثم وصف هؤلاء المؤمنين بأوصاف فقال (الذين هم في صلاتهم خاشعون) أي خاضعون متواضعون متذللون لا يرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم ولا يلتفتون يمينا ولا شمالا وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى رجلا يعبث بلحيته في صلاته فقال اما انه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه وفي هذا دلالة على أن الخشوع في الصلاة يكون بالقلب وبالجوارح فأما بالقلب فهو أن يفرغ قلبه بجمع الهمة لها والاعراض عما سواها فلا يكون فيه غير العبادة والمعبود وأما بالجوارح فهو غض البصر والاقبال عليها وترك الالتفات والعبث قال ابن عباس خشع فلا يعرف من على يمينه ولا من على يساره وروي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يرفع بصره إلى السماء في صلاته فلما نزلت الآية طأطأ رأسه ورمى ببصره إلى الأرض (والذين هم عن اللغو معرضون) اللغو في الحقيقة هو كل قول او فعل لا فائدة فيه يعتد بها فذلك قبيح محظور يجب الاعراض عنه وقال ابن عباس اللغو الباطل وقال الحسن هو جميع المعاصي وقال السدي هو الكذب وقال مقاتل هو الشتم فإن كفار مكة كانوا يشتمون النبي صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه فنهوا عن اجابتهم وروي عن ابي عبد الله «ع» انه قال هو أن يتقول الرجل عليك بالباطل أو يأتيك بما ليس فيك فتعرض عنه لله وفي رواية اخرى انه الغناء والملاهي (والذين هم للزكاة فاعلون) أي مؤدون فعبر عن التأدية بالفعل لأنه فعل قال امية بن ابي الصلت «المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات» قال ابن عباس للصدقة الواجبة مؤدون (والذين هم لفروجهم حافظون) قال الليث الفرج اسم لجميع سوءات الرجال والنساء والمراد بالفروج هاهنا فروج الرجال بدلالة قوله (إلا على ازواجهم أو ما ملكت ايمانهم) قال الزجاج المعنى انهم يلامون في اطلاق ما حظر عليهم وأمروا بحفظه إلا على ازواجهم ودل على المحذوف ذكر اللوم في قوله (فإنهم غير ملومين) وملك اليمين في الآية المراد به الإماء لأن الذكور من المماليك لا خلاف في وجوب حفظ الفرج منهم وإنما قيل للجارية ملك يمين ولم يقل في الدار ونحوها ملك يمين لأن ملك الجارية اخص منه إذ يجوز له نقض بنية الدار وليس له نقض بنية الجارية وله عارية الدار وليس له عارية الجارية للوطء حتى توطأ بالعارية وإنما اطلق سبحانه اباحة وطء الازواج والاماء وإن كانت لهن أحوال يحرم وطؤهن فيها كحال الحيض والعدة للجارية من زوج لها وما اشبه ذلك لأن الغرض بالآية بيان جنس من يحل وطؤها دون الاحوال التي لا يحل فيها الوطء (فمن ابتغى وراء ذلك) اي طلب سوى الازواج والولائد المملوكة (فأولئك هم العادون) اي الظالمون المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) أي حافظون وافون والأمانات ضربان أمانات الله تعالى وأمانات العباد فالأمانات التي بين الله تعالى وبين عباده هي العبادات كالصيام والصلاة والاغتسال وأمانات العباد هي مثل الودائع والعواري والبياعات والشهادات وغيرها وأما العهد فعلى ثلاثة اضرب أوامر الله تعالى ونذور الإنسان والعقود الجارية بين الناس فيجب على الانسان الوفاء بجميع ضروب الأمانات والعهود والقيام بما يتولاه منها (والذين هم على صلواتهم يحافظون) أي يقيمونها في أوقاتها ولا يضيعونها وإنما اعاد ذكر الصلاة تنبيها على عظم قدرها وعلو رتبتها عنده تعالى (اولئك هم الوارثون) معناه ان من كانوا بهذه الصفات واجتمعت فيهم هذه الخلال هم الوارثون يوم القيامة منازل اهل النار من الجنة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ما منكم من احد إلا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فإن مات ودخل النار ورث اهل الجنة منزله وقيل إن معنى الميراث هنا انهم يصيرون إلى الجنة بعد الأحوال المتقدمة وينتهي امرهم اليها كالميراث الذي يصير الوارث اليه ثم وصف الوارثين فقال (الذين يرثون الفردوس) وهو اسم من اسماء الجنة عن الحسن ولذلك انث فقال (هم فيها خالدون) وقيل هو اسم لرياض الجنة عن مجاهد وأبي علي الجبائي وقيل هو جنة مخصوصة ثم اختلف في اصله

فقيل انه اسم رومي فعرب وقيل هو عربي وزنه فعلول وهو البستان الذي فيه كرم قال جرير «يابعد بثري من باب الفراديس» وقال الجبائي معنى الوراثة هنا أن الجنة ونعيمها يؤول اليهم من غير اكتساب كما يؤول المال إلى الوارث من غير اكتساب

قوله تعالى (١٢) وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٣) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٤) ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللهُ أَحْسَنُ ٱلْخَالِقِينَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٦) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٧) وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٨) وَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٩) فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ثماني آيات

القراءة

قرأ ابن عامر وابو بكر عظما فكسونا العظم على الافراد وقرأ زيد عن يعقوب عظماً فكسونا العظام والباقون على الجمع في الموضعين

الحجة

قال ابو علي الجمع أشبه بما جاء في التنزيل «إذا كنا عظاماً ورفاتاً» «إذا كنا عظاماً نخرة من يحيي العظام» والافراد لأنه اسم جنس فأفرد كما يفرد المصادر وغيرها من الأجناس نحو الدرهم والإنسان وليس ذلك على حد قوله

كلوا في بعض بطنكم تعفوا ... فإن زمانكم زمن خميص

ولكنه على ما أنشده ابو زيد

لقد تعللت على ايانق ... صهب قليلات القراد اللازق

فالقراد يراد به الكثرة لا محالة

اللغة

السلالة اسم لما يسل من الشيء كالكساحة اسم لما يكسح وتسمى النطفة سلالة والولد سلالة وسليلة والجمع سلالات وسلائل فالسلالة صفوة الشيء التي يخرج منها كالسلافة قال الشاعر

وهل انت إلا مهرة عربية ... سليلة افراس تحللها بغل

والنطفة الماء القليل وقد يقال للماء الكثير ايضاً ومنه قول امير المؤمنين عليه أفضل الصلوات مصارعهم دون النطفة يريد النهر وان يعني الخوارج ومنه الحديث حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى جوراً يعني بحر المشرق وبحر المغرب

الاعراب

في قرار في موضع الصفة لنطفة وعلقة حال من النطفة بعد الفراغ من الفعل وكذلك القول في مضغة وعظام

ولحماً مفعول ثان لكسونا وخلقاً مصدر أنشأنا من غير لفظه من نخيل واعناب صفة لجنات وكذلك قوله لكم فيها فواكه كثيرة

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه على وجه القسم (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) المراد بالإنسان ولد آدم (ع) وهو اسم الجنس فيقع على الجميع عن ابن عباس ومجاهد وأراد بالسلالة الماء يسل من الظهر سلا من طين أي من طين آدم لأنها تولدت من طين خلق آدم منه قال الكلبي يقول من نطفة سلت تلك النطفة من طين وقيل أراد بالإنسان آدم (ع) لأنه استل من أديم الأرض عن قتادة (ثم جعلناه) يعني ابن آدم الذي هو الإنسان (نطفة في قرار مكين) يعني الرحم مكن فيه الماء بأن هيأ لاستقراره فيه إلى بلوغ أشده الذي جعل له (ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة) مفسر في سورة الحج (فخلقنا المضغة عظاماً) أي جعلنا تلك المضغة من اللحم عظاماً (فكسونا العظام لحماً) أي فأنبتنا اللحم على العظام كاللباس . بين سبحانه تنقل أحوال الإنسان في الرحم حتى استكمل خلقه لينبِّه على بدائع حكمته وعجائب صنعته وكمال نعمته (ثم أنشأناه خلقاً آخر) أي نفخنا فيه الروح عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة والشعبي والضحاك وقيل هو نبات الشعر والأسنان واعطاء الفهم عن قتادة وقيل يعني ثم أنشأناه ذكراً وأنثى عن الحسن (فتبارك الله أحسن الخالقين) أي تعالى الله ودام خيره وثبت وقيل معناه استحق التعظيم بأنه قديم لم يزل ولا يزال لأنه مأخوذ من البروك الذي هو الثبوت وقال أحسن الخالقين لأنه لاتفاوت في خلقه وأصل الخلق التقدير يقال خلقت الاديم إذا قسته لتقطع منه شيئاً وقال حذيفة في هذه الآية تصنعون ويصنع الله وهو خير الصانعين وفي هذا دليل على ان اسم الخلق قد يطلق على فعل غير الله تعالى إلا أن الحقيقة في الخلق لله سبحانه فقط فإن المراد من الخلق إيجاد الشيء مقدرا تقديراً لا تفاوت فيه وهذا إنما يكون من الله سبحانه وتعالى ودليله قوله ألا له الخلق والأمر وروي ان عبد الله بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله ﷺ فلما بلغ إلى قوله خلقاً آخر خطر بباله فتبارك الله أحسن الخالقين فلما أملاها رسول الله كذلك قال عبد الله إن كان محمد نبياً يوحى اليه فأنا نبي يوحى إلي فلحق بمكة مرتداً ولو صح هذا فإن هذا القدر لا يكون معجزاً ولا يمتنع أن يتفق ذلك من الواحد منا لكن هذا الشقي إنما اشتبه عليه أو شبه على نفسه لما كان في صدره من الكفر والحسد للنبي ﷺ (ثم انكم بعد ذلك) أي بعد ما ذكرنا من تمام الخلق (لميتون) عند انقضاء آجالكم (ثم انكم يوم القيامة تبعثون) أي تحشرون إلى الموقف والحساب والجزاء أخبر الله سبحانه ان هذه البنية العجيبة المبنية على أحسن اتقان واحكام تنقض بالموت لغرض صحيح وهو البعث والاعادة وهذا لا يمنع من الاحياء في القبور لأن اثبات البعث في القيامة لا يدل على نفي ما عداه ألا ترى ان الله سبحانه أحيا الذين اخرجوا من ديارهم وهم ألوف واحيا قوم موسى على الجبل بعد ما أماتهم وفي الآية دلالة على فساد قول النظام في ان الإنسان هو الروح وقول معمر ان الانسان شيء لا ينقسم وانه ليس بجسم (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أي سبع سماوات كل سماء طريقة وسميت بذلك لتطارقها وهو ان بعضها فوق بعض وقيل لأنها طرائق الملائكة عن الجبائي وقيل الطرائق الطباق وكل طبقة طريقة عن ابن زيد وقيل ان ما بين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام وكذلك ما بين السماء والأرض عن الحسن (وما كنا عن الخلق غافلين) إذ بنينا فوقهم سبع سماوات اطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل معناه ما خلقناهم عبثاً بل خلقناهم عالمين بأعمالهم وأحوالهم عن الجبائي وفي هذا دلالة على انه عالم بجميع المعلومات وفيه زجر عن السيئات وترغيب في الطاعات (وأنزلنا من السماء ماء) أي مطراً وغيثاً (بقدر) اي بقدر الحاجة لا يزيد على ذلك فيفسد ولا ينقص عنه فيهلك بل على ما توجبه المصلحة (فأسكناه في الأرض) أي جعلنا له الأرض مسكناً جمعناه فيه لينتفع به يريد ما يبقي في

المستنقعات والدحلان أقر الله الماء فيها لينتفع الناس بها في الصيف عند انقطاع المطر وقيل معناه جعلناه عيونا في الأرض وروى مقاتل عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال ان الله تعالى أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله من عين واحدة وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم وذلك قوله وأنزلنا من السماء ماء بقدر الآية (وإنا على ذهاب به لقادرون) أي ونحن على اذهابه قادرون ولو فعلناه لهلك جميع الحيوانات نبه سبحانه بذلك على عظيم نعمته على خلقه بإنزال الماء من السماء (فأنشأنا لكم) أي أحدثنا وخلقنا لنفعكم (به) أي بسبب هذا الماء (جنات من نخيل وأعناب لكم) يا معاشر الخلق (فيها فواكه كثيرة) تتفكهون بها (ومنها تأكلون) وإنما خص النخل والأعناب لأنها ثمار الحجاز من المدينة والطائف فذكرهم سبحانه بالنعم التي عرفوها

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال الآيات بما قبلها انه سبحانه لما ذكر نعمته على المؤمنين بما أعد لهم في الآخرة ابتدأ بذكر نعمه عليهم في مبتدء خلقه تنبيها لهم على النظر فيها وترغيباً في التمسك بالحسنات المذكورة ولما بين أحوال الآخرة بيّن متى يكون البعث ودل بذلك على أن من قدر على خلق الإنسان في هذا الترتيب والتركيب العجيب قدر على الإعادة ثم أبان عن قدرته على البعث بقدرته على خلق السماوات ثم بين انه لا يغفل عن عباده إذ لا يشغله فعل عن فعل ثم بين انه قادر لذاته حيث أنزل من السماء الماء وأسكنه في الأرض بأن فرقه في البحار والأنهار والعيون ثم بين سبحانه انه قادر على اذهابه دلالة على ان هذه النعمة وقعت باختياره ثم ذكر تفصيل النعمة

قوله تعالى (٢٠) وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ (٢١) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢٢) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٣) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٤) فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٥) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ست آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الحجاز وابو عمرو طور سيناء بكسر السين والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وابو عمرو ويعقوب عن زوح تنبت بالدهن بضم التاء والباقون تنبت بفتح التاء وضم الباء وفي الشواذ قراءة الحسن والزهري والاعرج تنبت بضم التاء وفتح الباء وقد ذكرنا اختلافهم في نسقيكم في سورة النحل

﴿ الحجة ﴾

قال ابو عمرو من قرأ سيناء بفتح السين لم ينصرف الاسم عنده في معرفة ولا نكرة لأن الهمزة في هذا البناء لا تكون إلا للتأنيث ولا تكون للالحاق لأن فعلال لا يكون إلا في المضاعف فلا يجوز ان يلحق به شيء فهذا إذاً كموضع أو بقعة تسمى بطرفاء أو صحراء ومن قرأ سيناء بالكسر فالهمزة فيها منقلبة عن الياء كعلباء وحيناء وهي الياء التي اظهرت في نحو درحاية وإنما لم ينصرف على هذا القول وإن كان غير مؤنث لأنه جعل اسم بقعة فصار بمنزلة امرأة سميت بجعفر ومن قرأ تنبت بالدهن احتمل وجهين ﴿ احدهما ﴾ أن يجعل الجار زائداً

يريد تنبت الدهن كما في قوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقد زيدت هذه الباء مع الفاعل كما زيدت مع المفعول به في نحو قوله

ألم يأتيك والانباء تنمي ... بما لاقت لبون بني زياد

وقد زيدت مع هذه الكلمة بعينها في قوله

بواد يمان تنبت الشث حوله ... واسفله بالمرخ والشبهان

حملوه على ينبت أسفله المرخ ويجوز أن تكون الباء متعلقاً بغير هذا الفعل الظاهر ويقدر مفعولا محذوفاً تقديره تنبت جناها أي ثمرتها وفيها دهن وصبغ كما تقول خرج بثيابه وركب بسلاحه ومن قرأ تنبت بالدهن جاز أن يكون الجار فيه للتعدي أنبته ونبت به ويجوز أن يكون الباء في موضع حال كما كان في الوجه الأول ولا يكون للتعدي ولكن تنبت وفيها دهن وقد قالوا انبت بمعنى نبت فكان الهمزة في انبت مرة للتعدية ومرة لغيرها ويكون من باب أخال واجرب واقطف أي صار ذا خال وجرب ومن قرأ تنبت فهو على معنى تنبت وفيها دهنها وتؤكد ذلك قراءة عبد الله تخرج بالدهن أي تخرج من الأرض ودهنها معها قال ابن جني ذهبوا في بيت زهير حتى إذا أنبت البقل إلى انه في معنى نبت وقد يجوز أن يكون محذوف المفعول بمعنى حتى إذا انبت البقل ثمره قال ومن ذهب إلى زيادة الباء في قوله تنبت بالدهن فمضعوف المذهب لأنه يزيد حرفاً لا حاجة له إلى اعتقاد زيادته

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وشجرة تخرج من طور سيناء) أي وأنشأنا لكم بذلك المطر شجرة يعني شجرة الزيتون وخصت بالذكر لما فيها من العبرة بأنه لا يتعاهدها إنسان بالسقي وهي تخرج الثمرة التي يكون منها الدهن الذي تعظم به المنفعة وسيناء اسم المكان الذي به هذا الجبل في أصح الأقوال وهي نبطية في قول الضحاك وحبشية في قول عكرمة وهي اسم حجارة بعينها أضيف الجبل اليها عن مجاهد وقيل سيناء البركة فكأنه قيل جبل البركة عن ابن عباس وقتادة وقيل طور سيناء الجبل المشجر أي كثير الشجر عن الكلبي وقيل هو الجبل الحسن عن عطاء وهو الجبل الذي نودي منه موسى (ع) وهو ما بين مصر وايلة عن ابن زيد (تنبت بالدهن) أي تنبت ثمرها بالدهن لأنه يعصر من الزيتون الزيت (وصبغ للآكلين) والصبغ ما يصطبغ به من الادم وذلك ان الخبز يلون بالصبغ إذا غمس فيه والاصطباغ بالزيت الغمس فيه للائتدام به والمراد بالصبغ الزيت عن ابن عباس فإنه يدهن به ويؤتدم جعل الله في هذه الشجرة ادماً ودهناً فالادم الزيتون والدهن الزيت وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال الزيت شجرة مباركة فأتدموا به وادهنوا (وان لكم في الأنعام لعبرة) أي دلالة تستدلون بها على قدرة الله تعالى (نسقيكم مما في بطونها) أراد به اللبن ومن قرأ بضم النون أراد إنا جعلنا ما في ضروعها من اللبن سقياً لكم ومن فتح النون جعل ذلك مختصاً بالسقاة وهو مفسر في سورة النحل (ولكم فيها منافع كثيرة) في ظهورها وألبانها وأوبارها واصوافها وأشعارها (ومنها تأكلون) أي من لحومها وأولادها والتكسب بها (وعليها) يعني على الإبل خاصة (وعلى الفلك تحملون) وهذا كقوله وحملناهم في البر والبحر أما في البر فالابل واما في البحر فالسفن ولما قدم سبحانه ذكر الأدلة الدالة على كمال قدرته فأتبعها بذكر شمول نعمته على كافة خليقته عقب ذلك بذكر انعامه عليهم بإرسال الرسل فقال (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه) قيل انما سمي نوحاً لكثرة نوحه على نفسه عن ابن عباس وقيل في سبب نوحه انه كان يدعو على قومه بالهلاك وقيل هو مراجعته ربه في شأن ابنه (فقال يا قوم اعبدوا الله) أي أطيعوه ووحدوه (ما لكم من إله غيره) بدأ بالتوحيد لأنه الأهم (أفلا تتقون) عذاب الله في ترك الإيمان به (فقال الملأ) أي الاشراف (الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم) أي يتشرف ويترأس عليكم بأن يصير متبوعاً وأنتم له تبع

فيكون له الفضل عليكم ولو شاء الله ان لا يعبد شيء سواه (لأنزل ملائكة) ولم يرسل بشراً آدمياً (ماسمعنا بهذا) الذي يدعونا اليه نوح من التوحيد (في آبائنا الأولين) أي في الأمم الماضية (إن هو إلا رجل به جنة) أي حالة جنون (فتربصوا به حتى حين) أي انظروا موته فتستريحوا منه وقيل فانتظروا افاقته من جنونه فيرجع عما هو عليه وقيل معناه احبسوه مدة ليرجع عن قوله

قوله تعالى (٢٦) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٧) فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ (٢٨) فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٩) وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ (٣٠) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ خمس آيات

«القراءة»

قرأ ابو بكر عن عاصم منزلا بفتح الميم وكسر الزاي والباقون منزلا بضم الميم وفتح الزاي

— الحجة —

قال ابو علي من قرأ منزلا بالضم جاز أن يكون مصدرا وان يكون موضعا للانزال فعلى الوجه الأول جاز أن يعدّى الفعل إلى مفعول آخر وعلى الوجه الثاني قد تعدى إلى مفعولين ومن قرأ منزلا امكن أن يكون مصدرا وأن يكون موضع نزول ودل انزلني على نزلت

المعنى

ثم ذكر سبحانه ان نوحاً لما نسبه قومه إلى الجنون ولم يقبلوا منه (قال رب انصرني بما كذبون) أي بتكذيبهم اياي والمعنى انصرني باهلاكهم (فأوحينا اليه ان اصنع الفلك بأعيننا) أي بحيث نراها كما يراها الرائي من عبادنا بعينه وقيل معناه بأعين أوليائنا من الملائكة والمؤمنين فإنهم يحرسونك من كل من يمنعك منه (ووحينا) اي بأمرنا واعلامنا اياك كيفية فعلها (فإذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها) أي فأدخل في السفينة (من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم) مفسر في سورة هود (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) أي لا تكلمني في شأنهم (إنهم مغرقون) أي هالكون (فإذا استويت انت) يانوح (ومن معك على الفلك) اي السفينة (فقل الحمد لله الذي نجانا) اي خلصنا (من القوم الظالمين) لنفوسهم بجحدهم توحيد الله (وقل رب انزلني منزلا مباركا) اي انزالا مباركا أو نزولا مباركا بعد الخروج من السفينة وذلك تمام النجاة عن مجاهد وقيل المنزل المبارك هو السفينة عن الجبائي قيل لأنه سبب النجاة وقيل معناه انزلني مكاناً مباركا بالماء والشجر عن الكلبي وقيل معنى البركة انهم توالدوا وكثروا عن مقاتل (وأنت خير المنزلين) لأنه لا يقدر احد على أن يصون غيره من الآفات إذا انزله منزلا ويكفيه جميع ما يحتاج اليه إلا انت قال الحسن كان في السفينة سبعة انفس من المؤمنين ونوح ثامنهم وقيل ثمانون (إن في ذلك) أي في امر نوح والسفينة وهلاك اعداء الله (لآيات) اي دلالات للعقلاء يستدلون بها على التوحيد (وان كنا لمبتلين) معناه وان كنا مختبرين اياهم بإرسال نوح ووعظه وتذكيره ومتعبدين عبادنا بالاستدلال بتلك الآيات على قدرتنا ومعرفتنا

قوله تعالى (٣١) ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٣٢) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ

اُعبُدُوا اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إلهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٣٣) وَقالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْناهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا ما هٰذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٤) وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَراً مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذاً لَخاسِرُونَ (٣٥) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُراباً وَعِظاماً أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٦) هَيْهاتَ هَيْهاتَ لِما تُوعَدُونَ (٣٧) إِنْ هِيَ إِلَّا حَياتُنا الدُّنْيا نَمُوتُ وَنَحْيا وَما نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٨) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرى عَلَى اللهِ كَذِباً وَما نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٩) قالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِما كَذَّبُونِ (٤٠) قالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نادِمِينَ عشر آيات

القراءة

قرأ أبو جعفر هيهات هيهات بالكسر والباقون بالفتح وفي الشواذ قراءة عيسى بن عمر هيهات هيهات بالتنوين والكسر وقراءة ابي حياة هيهات هيهات بالرفع والتنوين وقراءة عيسى الهمداني هيهات هيهات مرسلة التاء

الحجة

قال ابن جني اما الفتح وهو قراءة العامة فعلى انه واحد وهو اسم سمي به الفعل في الخبر وهو اسم بعد كما ان شتان اسم افترق واف اسم اتضجر ومن كسر فقال هيهات منونا او غير منون فهو جمع هيهاة واصلها هيهيات فحذف الألف لأنه في آخر اسم غير متمكن كما حذفت ياء الذي والف ذا في التثنية إذا قلت اللذان وذان ومن نوّن ذهب إلى التنكير اي بعدا بعدا ومن لم ينون ذهب إلى التعريف اراد البعد البعد ومن فتح وقف بالهاء لأنها كهاء ارطاة ومن كسر كتبها بالتاء لأنها جماعة ومن قال هيهات بالتنوين والرفع فإنه يكتبها بالهاء ويكون اسما معربا فيه معنى البعد وقوله لما توعدون خبر عنه فكأنه قال البعد لوعدكم واما هيهات ساكنة التاء فينبغي ان تكون جماعة وتكتب بالتاء واجريت في الوقف مجراها في الوصل ويقول العرب هيهات لما تبغي وهيهات منزلك قال جرير

فهيهات هيهات العقيق ومن به ... وهيهات خل بالعقيق نواصله

ويروى ايهات واختار الفراء الوقف على هيهات بالتاء لأن قبلها ساكنا فصارت كتأنيث اخت وقال ابو علي إنما كرر هيهات في الآية وفي البيت للتأكيد وأما اللتان في الآية ففي كل واحدة منها ضمير مرتفع يعود إلى الاخراج إذ لا يجوز خلوه من الفاعل والتقدير هيهات اخراجكم لأن قوله إنكم مخرجون بمعنى الاخراج أي بعد اخراجكم للوعد إذ كان الوعد اخراجكم بعد موتكم استبعد اعداء الله اخراجهم لما كانت العدة به بعد الموت ففاعل هيهات هو الضمير العائد إلى انكم مخرجون الذي هو بمعنى الاخراج واما في البيت ففي هيهات الأول ضمير العقيق وفسر ذلك ظهوره مع الثاني

(الاعراب)

اختلفوا في أن الثانية من قوله سبحانه ايعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما إنكم مخرجون وكذلك قوله ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فإن له نار جهنم وقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة إنه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم فقال سيبويه إن الثانية في هذه المواضع الثلاث بدل

من الاولى وقال ابو عمرو الجرمي وابو العباس المبرد انها مكررة للتأكيد وطول الكلام وقال ابو الحسن إنها مرتفع بالظرف واختاره ابو علي الفارسي وزيف القولين الأولين وأقول ان إن الاولى في قوله ايعدكم انكم مع اسمها وخبرها في موضع نصب على انه المفعول الثاني من الوعد ويكون تقديره على مذهب سيبويه ايعدكم انكم مخرجون إذا متم وكنتم ترابا وعظاما اي ايعدكم كونكم مخرجين بعد موتكم وكونكم ترابا وعظاما وأما على مذهب من جعله للتكرير فتقديره ايعدكم انكم بعد موتكم مخرجون وأما على مذهب ابي الحسن وابي علي فتقديره ايعدكم انكم إذا متم اخراجكم واتقوا انكم وقت موتكم أو بعد موتكم اخراجكم فقوله انكم مخرجون في موضع رفع بالظرف الذي هو قوله إذا متم وقوله إذا متم مع ما بعده رفع لكونه جملة واقعة موقع خبر ان الأولى وموضع إذا نصب كما انتصب يوم في قولك يوم الجمعة القتال والعامل في الظرف في الاصل الفعل المحذوف أو معنى الفعل مثل قولك يحدث أو حادث او يكون او كائن ولا يجوز أن يكون العامل فيه الاخراج نفسه إذ لو كان كذلك لكان الكلام غير تام ولا يكون له خبر ثم يحذف هذا المضمر لدلالة الظرف عليه وقيامه مقامه ويصير الذكر الذي كان في المضمر من المحدث عنه في الظرف وذلك الذكر مرتفع بالظرف كما كان يرتفع بالفعل كما في نحو قولك زيد ذهب وزيد ذاهب فلما قام الظرف مقام الفعل متأخرا عن الاسم قام مقامه ايضا مبتدأ فرفع الاسم الظاهر كما رفعه الفعل فكذلك إذا في الآية تقديره في الأصل إذا متم اخراجكم كائن او حادث او يكون أو يحدث ثم اختزل الفعل او معنى الفعل على ما قاله ابو علي فانتصب إذا بذلك كما ينتصب غدا في قولك غدا الرحيل وحذف الخبر كما حذف من غد ثم قام اذا مقام الفعل فرفع قوله انكم مخرجون كما رفع قولك غدا الرحيل وعلى هذا فيجوز أن نقول هنا ان موضع اذا نصب بحادث او بحدث المضمر في قولك اذا متم اخراجكم بحدث او حادث ويجوز ان نقول أن الاسم الذي هو انكم مخرجون واقع موقع جواب شرط اذا ويرفع بفعل مضمر تقديره ايعدكم اذا متم يعاد اخراجكم او يحدث اخراجكم ويكون موضع اذا نصب بذلك الفعل فأما تقدير ارتفاع ان الثانية بالظرف في الآيتين الأخيرتين فقد تقدم بيانه في موضعيها من هذا الكتاب فلا معنى لإعادته فقد اجاز ابو عثمان وغيره اضمار الظرف وأعماله كما قالوا في انتصاب مثلهم في بيت الفرزدق

فاصبحوا قد أعاد الله نعمتهم   إذ هم قريش واذ ما مثلهم بشر

انه على ظرف مضمر

❋ المعنى ❋

ثم عطف سبحانه على قصة قوم نوح فقال (ثم انشأنا من بعدهم) اي احدثنا وخلقنا من بعد قوم نوح (قرنا آخرين) اي جماعة آخرين من الناس والقرن اهل العصر على مقارنة بعضهم لبعض قيل يعني عادا قوم هود لانه المبعوث بعد نوح وقيل يعني ثمود لانهم اهلكوا بالصيحة عن الجبائي (فأرسلنا فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره افلا تتقون) سبق تفسيره (وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة) أي بالبعث والجزاء (وأترفناهم في الحياة الدنيا) اي نعمناهم فيها بضروب الملاذ (ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) من الاشربة فليس هو اولى بالرسالة منا (ولئن اطعتم بشرا مثلكم) فيما يدعوكم اليه (انكم اذا لخاسرون) باتباعه (ايعدكم) هذا الرسول (انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما) وصرتم بعد الموت رميا (انكم مخرجون) من قبوركم احياء (هيهات) فيه ضمير مرتفع عائد الى قوله انكم مخرجون والمعنى هيهات هواي بعد اخراجكم جدا(١) حتى امتنع (هيهات لما توعدون) قال ابن عباس بعدا بعدا لما توعدون وقال الكلبي بعيد بعيد ما يعدكم ليوم البعث (إن هي إلا حياتنا الدنيا) اي ليس الحياة إلا الحياة التي نحن فيها القريبة منا (نموت ونحيا) اي يموت قوم منا ويحيا قوم ولا نبعث وقيل يموت الآباء ويحيا الابناء

(١) لعله هذا

عن الكلبي وقيل يموت قوم ويولد قوم (وما نحن بمبعوثين) بعد ذلك (ان هو إلا رجل افترى على الله كذبا) اي اختلق كذبا (وما نحن له بمؤمنين) اي بمصدقين فيما يقول (قال رب انصرني بما كذبون) تقدم بيانه (قال) اي قال الله سبحانه (عما قليل) اي عن قليل من الزمان والوقت يعني عند الموت او عند نزول العذاب وما هاهنا مزيدة (ليصبحن نادمين) هذا وعيد لهم واللام للقسم

قوله تعالى (٤١) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٢) ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٣) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٤٤) ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (٤٥) ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٦) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٧) فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٨) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (٤٩) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٥٠) وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ عشر آيات

القراءة

قرأ ابن كثير وابو عمرو وابوجعفر تترى بالتنوين والباقون بغير تنوين ومن نوّن وقف بالالف لا غير ومن لم ينون ومذهبه الامالة وقف بالياء وهي الف ممالة والباقون بالالف وقد ذكرنا اختلافهم في ربوة في سورة البقرة

الحجة

قال ابو علي تترى فعلى من المواترة والمواترة ان يتبع الخبر الخبر والكتاب الكتاب فلا يكون بينهما فصل كثير والأقيس أن لا يصرف لأن المصادر قد يلحق أواخرها الف التأنيث كالدعوى والعدوى والذكرى والشورى ولم نعلم شيئا من المصادر لحق آخرها الياء للالحاق فمن قال تترى امكن أن يريد به فعلا من المواترة فيكون الألف بدلا من التنوين وإن كان في الخط بالياء كان للالحاق والالحاق في غير المصادر ليس بالقليل نحو ارطى ومعزى ولزم أن يحمل على فعلا دون فعل ومن قال تترى وأراد به فعلا فحكمه أن يقف بالألف مقحمة ولا يميلها ومن جعل للالحاق او للتأنيث امال الألف إذا وقف عليها

المعنى

لما قال سبحانه إن هؤلاء الكفار يصبحون نادمين على ما فعلوه عقبه بالأخبار عن اهلاكهم فقال (فأخذتهم الصيحة) صاح بهم جبرائيل صيحة واحدة ماتوا عن آخرهم (بالحق) اي باستحقاقهم العقاب بكفرهم (فجعلناهم غثاء) وهو ما جاء به السيل من نبات قد يبس وكل ما يحمله السيل على رأس الماء من قصب وعيدان شجرة فهو غثاء والمعنى فجعلناهم هلكى قد يبسوا كما يبس الغثاء وهمدوا (فبعدا) اي الزم الله بعدا من الرحمة (للقوم الظالمين) المشركين المكذبين (ثم انشأنا من بعدهم) اي من بعد هؤلاء (قرونا آخرين) اي امما وأهل اعصار آخرين (ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون) هذا وعيد للمشركين معناه ما تموت امة قبل اجلها المضروب لها ولا تتأخر عنه وقيل عنى بالعذاب الموعود لهم على التكذيب انه لا يتقدم على الوقت المضروب لهم لذلك ولا يتأخر عنه والأجل هو الوقت المضروب لحدوث امر من الامور والأجل المحتوم لا يتأخر ولا يتقدم والأجل المشروط بحسب الشرط والمراد بالأجل المذكور في الآية الأجل المحتوم (ثم أرسلنا رسلنا تترى) اي متواترة يتبع بعضهم

بعضا عن ابن عباس ومجاهد وقيل متقاربة الاوقات وأصله الاتصال لاتصاله بمكانه من القوس ومنه الوتر وهو الفرد عن الجمع المتصل قال الأصمعي يقال واترت الخبر اتبعت بعضه بعضا وبين الخبرين هنيهة (كلما جاء امة رسولها كذبوه) ولم يقروا بنبوته (فأتبعنا بعضهم بعضا) يعني في الإهلاك اي اهلكنا بعضهم في اثر بعض (وجعلناهم احاديث) اي يتحدث بهم على طريق المثل في الشر وهو جمع احدوثة ولا يقال هذا في الخير والمعنى إنا صيرناهم بحيث لم يبق بين الناس منهم الا حديثهم (فبعدا لقوم لا يؤمنون) ظاهر المعنى (ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا) اي بدلائلنا الواضحة (وسلطان مبين) اي وبرهان ظاهر بين (إلى فرعون وملئه) خص الملأ وهم الاشراف بالذكر لان الآخرين كانوا أتباعا لهم (فاستكبروا) اي تجبروا وتعظموا عن قبول الحق (وكانوا قوماً عالين) اي متكبرين قاهرين قهروا أهل أرضهم واتخذوهم خولا (فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا) اي انصدق لانسانين خلقهم مثل خلقنا ويسمى الانسان بشراً لانكشاف بشرته وهي جلدته الظاهرة حتى احتاج إلى لباس يكنه وغيره من الحيوان مغطى البشرة بصوف أو ريش او غيره لطفا من الله سبحانه بخلقه إذ لم يكن هناك عقل يدبر امره مع حاجته إلى ما يكنه والانسان يهتدي إلى ما يستعين به في هذا الباب (وقومهما لنا عابدون) اي مطيعون طاعة العبد لمولاه قال الحسن كان بنو اسرائيل يعبدون فرعون وفرعون يعبد الأوثان (فكذبوهما فكانوا من المهلكين) اي فكذبوا موسى وهارون فكان عاقبة تكذيبهم ان اهلكهم الله وغرقهم (ولقد آتينا موسى الكتاب) اي التوراة (لعلهم يهتدون) اي لكي يهتدوا إلى طريق الحق والصواب (وجعلنا ابن مريم وامه آية) وهذا مثل قوله وجعلناها وابنها آية للعالمين اي حجة على قدرتنا على الاختراع وآية عيسى انه خلق من غير ذكر وآية مريم انها حملت من غير فحل (وآويناهما إلى ربوة) اي جعلنا مأواهما مكاناً مرتفعا مستويا واسعاً يقال اوى اليه يأوي أويا وآواه غيره يؤويه ايواء اي جعله مأوى له والربوة التي أويا اليها هي الرملة من فلسطين عن ابي هريرة وقيل دمشق عن سعيد بن المسيب وقيل مصر عن ابن زيد وقيل بيت المقدس عن قتادة وكعب قال كعب وهي اقرب الأرض إلى السماء وقيل هي حيرة الكوفة وسوادها والقرار مسجد الكوفة والمعين الفرات عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقيل (ذات قرار ومعين) معناه اي ذات موضع قرار اي هي أرض مستوية يستقر عليها ساكنوها عن الضحاك وسعيد وقيل ذات ثمار عن قتادة ذهب إلى انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها ومعين ماء جار ظاهر العيون مفعول من اعنته اعينه ويجوز أن يكون فعيلاً من معن يمعن معانة والماعون الشيء القليل في قول الزجاج قال الراعي

قوم على الإسلام لما يمنعوا ماعونهم ويبدلوا التنزيلا

قالوا معناه وفدهم وقيل زكاتهم وقال عبيد بن الأبرص

وأهية او معين ممعن او هضبة دونها لهوب

واللهب شق في الجبل ممعن مار والمعن الشيء السهل الذي ينقاد ولا يعتاص وامعن بحقه واذعن اي اقر قال ابن الاعرابي سالت معانه اي مسائله ومجاريه

قوله تعالى (٥١) يا أَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ وَاعْمَلُوا صالِحاً إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥٢) وَإِنَّ هٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٣) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٤) فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتّى حِينٍ (٥٥) أَيَحْسَبُونَ أَنَّما نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَبَنِينَ (٥٦) نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ بَلْ لا يَشْعُرُونَ ست آيات .

القراءة

قرأ أهل الكوفة وان هذه بالكسر وقرأ ابن عامر وان بالفتح والتخفيف والباقون وان هذه بالفتح

الحجة

قال ابو علي من قرأ وان هذه بالفتح فالمعنى على قول الخليل وسيبويه انه محمول على الجار والتقدير ولأن هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون أي اتقوني لهذا ومثل ذلك عندهم قوله وان المساجد اي ولأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا وكذلك عندهما لايلاف قريش فكأنه قال فليعبدوا رب هذا البيت لايلاف قريش اي ليقابلوا هذه النعمة بالشكر والعبادة للمنعم بها وعلى هذا التقدير يحمل قراءة ابن عامر ألا ترى ان ان إذا خففت اقتضت ما يتعلق بها اقتضاءها وهي غير مخففة وقال بعض النحويين موضع أن المفتوحة جر عطفا على قوله بما تعملون وامة واحدة نصب على الحال والكوفيون يسمونه قطعا ومن كسر لم يحملها على الفعل كما يحملها من فتح ولكن يجعلها كلاما مستأنفا

المعنى

لما اخبر الله سبحانه عن ايتائه الكتاب للاهتداء ثم عما أولاه من سابغ النعماء خاطب الرسل بعد ذلك فقال (يأيها الرسل كلوا من الطيبات) قيل هو خطاب للرسل كلهم وامر لهم أن يأكلوا من الحلال عن السدي وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وانه أمر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يأيها الرسل كلوا من الطيبات وقال يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وقيل أراد به محمدا صلى الله عليه وآله وسلم وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد مخاطبة الجمع عن الحسن ومجاهد وقتادة والكلبي ويتضمن هذا أن الرسل جميعاً كذا امروا قال الحسن أما والله ما عني به اصفركم ولا احمركم ولا حلوكم ولا حامضكم ولكنه قال انتهوا إلى الحلال منه (واعملوا صالحاً) اي ما امركم الله به وقيل انه خطاب لعيسى (ع) خاصة (إني بما تعملون عليم) هذا بيان السبب الداعي إلى اصلاح العمل فإن العاقل إذا عمل لمن يعلم عمله ويجازيه على حسب ما يعمل من عمله وبقدر استحقاقه اصلح العمل (وإن هذه امتكم امة واحدة) أي دينكم دين واحد عن الحسن وابن جريج ويعضده قوله إنا وجدنا آباءنا على امة اي على دين قال النابغة

حلفت فلم اترك لنفسي ريبة ... وهل يأثمن ذو امة وهو طائع

وقيل هذه جماعتكم وجماعة من قبلكم واحدة كلكم عباد الله تعالى عن الجبائي (وانا ربكم فاتقون) أي لهذا فاتقوا (فتقطعوا امرهم بينهم) تفسير الآيتين قد تقدم في سورة الانبياء (زبرا) اي كتبا وهو جمع زبور عن الحسن وقتادة ومجاهد والمعنى تفرقوا في دينهم وجعلوه كتبا دانوا بها وكفروا بما سواها كاليهود وكفروا بالانجيل والقرآن والنصارى كفروا بالقرآن وقيل معناه احدثوا كتبا يحتجون بها لمذهبهم عن ابن زيد ومن قرأ زبرا وهو ابن عامر فمعناه جماعات مختلفة فهي جمع زبرة اي تفرقوا احزابا وانتصب زبراً على الحال من امرهم والعامل فيه تقطع وقال الزجاج معناه جعلوا دينهم كتبا مختلفة على قراءة من قرأ زبرا فعلى هذا يكون زبراً مفعولا ثانيا (كل حزب بما لديهم فرحون) اي كل فريق بما عندهم من الدين راضون يرون انهم على الحق ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (فذرهم) يامحمد (في غمرتهم) اي جهلهم وضلالتهم وقيل في حيرتهم وقيل في غفلتهم وهي متقاربة (حتى حين) اي وقت الموت وقيل وقت العذاب ثم قال (ايحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات) معناه ايظن هؤلاء الكفار ان ما نعطيهم ونزيدهم من اموال واولاد انما نعطيهم ثوابا ومجازاة لهم على اعمالهم او لرضانا عنهم ولكرامتهم علينا ليس الأمر كما يظنون بل ذلك املاء لهم واستدراج لهوانهم علينا وللابتلاء في التعذيب لهم ونظيره قوله فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول

ربي أكرمن وروى السكوني عن ابي عبد الله «ع» عن ابيه عن آبائه قال قال رسول الله ﷺ ان الله تعالى يقول يحزن عبدي المؤمن إذا اقترت عليه شيئاً من الدنيا وذلك اقرب له مني ويفرح إذا بسطت له الدنيا وذلك ابعد له مني ثم تلا هذه الآية إلى قوله (بل لا يشعرون) ثم قال إن ذلك فتنة لهم ومعنى (نسارع) نسرع ونتعجل وتقديره نسارع لهم به (في الخيرات) فحذف به للعلم بذلك كاحذف الضمير من قولهم السمن منوان بدرهم اي منوان منه بدرهم والخيرات المنافع التي يعظم شأنها ونقيضها الشرور وهي المضار التي يشتد امرها والشعور العلم الذي يدق معلومه وفهمه على صاحبه كدقة الشعر وقيل هو العلم من جهة المشاعر وهن الحواس ولهذا لا يوصف القديم سبحانه به

قوله تعالى (٥٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٨) وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٩) وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٦٠) وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ (٦١) أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ خمس آيات

القراءة

في الشواذ قراءة النبي ﷺ وعائشة وابن عباس وقتادة والأعمش يأتون ما اتوا مقصورا

الحجة

معنى قوله يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة انهم يعطون الشيء ويشفقون ان لا يقبل منهم ومعنى يأتون ما آتوا انهم يعملون العمل وهم يخافونه ويخافون لقاء الله

المعنى

ثم بين سبحانه حال الأخيار الأبرار بعد بيانه احوال الكفار الفجار فقال (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) اي من خشية عذاب ربهم خائفون فيفعلون ما امرهم به وينتهون عما نهاهم عنه والخشية انزعاج النفس بتوهم المضرة (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) أي بآيات الله وحججه من القرآن وغيرها يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون) أي لا يشركون بعبادة الله تعالى غيره من الاصنام والأوثان لأن خصال الإيمان لا تتم إلا بترك الاشراك (والذين يؤتون ما آتوا) اي يعطون ما اعطوا من الزكاة والصدقة وقيل أعمال البر كلها (وقلوبهم وجلة) اي خائفة عن قتادة وقال الحسن المؤمن جمع احسانا وشفقة والمنافق جمع اساءة وأمنا وقال ابو عبد الله معناه خائفة أن لا يقبل منهم وفي رواية اخرى يؤتي ما آتى وهو خائف راج وقيل أن في الكلام حذفا واضمارا وتأويله قلوبهم وجلة ان لا يقبل منهم لعلمهم (إنهم إلى ربهم راجعون) اي لأنهم يوقنون بأنهم يرجعون إلى الله تعالى يخافون ان لا يقبل منهم وإنما يخافون ذلك لأنهم لا يأمنون التفريط (أولئك يسارعون في الخيرات) معناه الذين جمعوا هذه الصفات و كملت فيهم هم الذين يبادرون إلى الطاعات ويسابقون اليها رغبة منهم فيها وعلما منهم بما ينالون بها من حسن الجزاء (وهم لها سابقون) اي وهم لأجل تلك الخيرات سابقون إلى الجنة وقيل معناه وهم اليها سابقون قال الكلبي سبقوا الامم إلى الخيرات قال ابن عباس يسابقون فيها امثالهم من اهل البر والتقوى

قوله تعالى (٦٢) وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٣) بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ (٦٤) حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ (٦٥) لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ

(٦٦) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (٦٧) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِراً تَهْجُرُونَ (٦٨) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٩) أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٧٠) أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧١) وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ عشر آيات

القراءة

قرأ نافع تهجرون بضم التاء وكسر الجيم والباقون تهجرون بفتح التاء وضم الجيم وفي الشواذ قراءة ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وسمرا تهجرون وقراءة ابن محيصن سمرا وقراءة يحيى ولو اتبع بضم الواو

الحجة

قال ابو علي من قال تهجرون فالمعنى انكم كنتم تهجرون آياتي وما يتلى عليكم من كتابي فلا تنقادون له وتكذبون به وتهجرون تأتون بالهجر والهذيان وما لا خير فيه من الكلام وقال ابن جني قوله تهجرون معناه تكثرون من الهجر او هجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم او كتابه او تكثرون من الاهجار وهو الافحاش في القول لأن فعل للتكثير والسمر جمع سامر والسامر القوم يسمرون اي يتحدثون ليلا قال ذو الرمة

وكم عرست بعد السرى من معرس ... به من عزيف الجن اصوات سامر

قال قطرب السامر قد يكون واحدا أو جماعة وقيل انه اخذ من السمرة وهي اللون الذي بين السواد والبياض فقيل لحديث الليل السمر لأنهم كانوا يقعدون في ظل القمر يتحدثون وقيل ان السمر ظل القمر

اللغة

الوسع الحال التي يتسع بها السبيل إلى الفعل والوسع دون الطاقة والتكليف تحميل ما فيه المشقة بالأمر والنهي والاعلام مأخوذ من الكلفة في الفعل والله سبحانه يكلف عباده تعريضاً اياهم للنفع الذي لا يحسن الابتداء بمثله وهو الثواب وأصل الغمرة الستر والتغطية يقال غمرت الشيء إذا سترته وغمرات الموت شدائده وكل شدة غمرة قال (الغمرات ثم ينجلينا ثم يذهبن فلا يجينا) والجؤار الاستغاثة ورفع الصوت بها والنكوص رجوع القهقرى وهو المشي على الأعقاب إلى خلف وهو اقبح مشية مثل بها اقبح حال وهي الاعراض عن الداعي إلى الحق

الاعراب

وسعها مفعول ثان لنكلف بالحق ان جعلت الحق مصدرا فالباء مزيدة والتقدير ينطق الحق وان جعلته صفة محذوفا فالتقدير ينطق بالحكم الحق ومفعول ينطق محذوف هم لها عاملون جملة في موضع رفع لانها صفة لاعمال مستكبرين منصوب على الحال من قوله تنكصون وذو الحال الواو وتنكصون خبر كان وسامرا اسم للجمع منصوب لأنه حال

المعنى

ثم بين سبحانه انه لا يكلف احدا إلا دون الطاقة بعد ان اخبر عن حال الكافرين والمؤمنين فقال (ولا نكلف نفساً) اي لا نكلفها امرا ولا نأمرها (إلا وسعها) اي دون طاقتها (ولدينا كتاب ينطق بالحق) معناه وعند ملائكتنا المقربين كتاب ينطق بالحق اي يشهد لكم وعليكم بالحق كتبته الملائكة بأمرنا

يريد صحائف الأعمال (وهم لا يظلمون) اي يوفون جزاء اعمالهم فلا ينقص من ثوابهم ولا يزاد في عقابهم ولا يؤاخذون بذنب غيرهم (بل قلوبهم في غمرة من هـذا) بل رد لما سيق وابتداء الكلام والمعني ان قلوب الكفار في غفلة شديدة من هذا الكتاب المشتمل على الوعد والوعيد وهو القرآن وقيل في جهل وحيرة عن الحسن والجبائي (ولهم اعمال من دون ذلك هم لها عاملون) اي ولهم اعمال ردية سوى هذا الجهل يعملون تلك الاعمال فيستحقون بها وبالكفر العقوبة من الله تعالى وقيل ولهم اعمال اي خطـايا من دون الحق عن قتادة وابي العالية ومجاهد وقيل ولهم اعمال من دون الأجل الذي اجلت لهم في موتهم لا بد ان يعملوها عن الحسن ومجاهد في رواية اخرى وابن زيد وقيل اعمال اصغر من ذلك اي دون الكفر كما يقال هذا دون هذا في القدر هم لها عاملون إلى ان يفني آجالهم فهم مشتغلون بها (حتى إذا اخذنا مترفيهم بالعذاب) اي يكون هذا دأبهم حتى إذا اخذنا متنعميهم ورؤساءهم بعذاب الآخرة ويقال عذاب الدنيا وهو عذاب السيف في يوم بدر عن ابن عباس وقيل هو الجوع حين دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضروا جعلها سنين كسني يوسف فابتلاهم الله سبحانه بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب عن الضحاك (اذا هم يجأرون) اي يضجون لشدة العذاب ويجزعون وقيل يستغيثون عن ابن عباس وقيل يصرخون إلى الله بالتوبة فلا يقبل منهم (لاتجأروا اليوم) اي يقال لهم لا تتضرعوا اليوم (إنكم منا لا تنصرون) هذا ايئاس لهم من دفع العذاب عنهم (قد كانت آياتي تتلى عليكم) اي تقرأ (فكنتم) ايها الكافرون المعذبون (على اعقابكم تنكصون) اي تدبرون وتستأخرون وترجعون القهقرى مكذبين (مستكبرين به) اي متكبرين على سائر الناس بالحرم او بالبلد يعني مكة ان لا يظهر عليكم فيه احد عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل مستكبرين بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ان تطيعوه وبالقرآن ان تقبلوه فأنها كناية عن غير مذكور في الجميع (سامرا) اي تسمرون بالليل اي تتحدثون في معائب النبي صلى الله عليه وآله وسلم (تهجرون) الحق بالاعراض عنه وتهجرون اي تفحشون في المنطق ثم قال سبحانه (أفلم يدبروا القول) أي الم يتدبروا القرآن فيعرفوا ما فيه من العبر والدلالات على صدق نبينا صلى الله عليه وآله وسلم (ام جاءهم ما لم يأت آبائهم الأولين) قال ابن عباس يريد أليس قد ارسلنا نوحاً وابراهيم والنبيين إلى قومهم وكذلك ارسلنا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) . قال ابن عباس أليس هو محمدا الذي قد عرفوه صغيرا وكبيرا صادق اللسان امينا وافيا بالعهد وفي هذا توبيخ لهم بالاعراض عنه بعد ما عرفوا صدقه وامانته مع شرف نسبه قبل الدعوة (أم يقولون به جنة) قال ابن عباس يريد واي جنون ترون به وفي هذا دلالة على جهلهم حيث أقروا له بالعقل والصدق أولا ثم نسبوه إلى الجنون وإنما نسبوه إلى الجنون لينفروا الناس عنه او لأنه يطمع في إيمانهم فهو يطمع في غير مطمع (بل جاءهم بالحق) المعنى بل جاءهم بالقرآن والدين الحق وليس به جنة (وأكثرهم للحق كارهون) لانه لم يوافق مرادهم (ولو اتبع الحق اهواءهم) الحق هو الله تعالى عن ابي صالح وابن جريج والسدي والمعنى ولو جعل الله لنفسه شريكا كما يهوون (لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن) ووجه الفساد ما تقدم ذكره عند قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وقيل الحق ما يدعو إلى المصالح والمحاسن والأهواء ما تدعو إلى المفاسد والمقابح ولو اتبع الحق داعي الهوى لدعا إلى المقابح ولفسد التدبير في السماوات والأرض لأنها مدبرة بالحق لا بالهوى وقيل معناه لفسدت احوال السماوات والأرض لأنها جارية على الحكمة لا على الهوى ومن فيهن اي ولفسد من فيهن وهو اشارة إلى العقلاء من الملائكة والانس والجن وقال الكلبي ومابينهما من خلق فيكون عاماً ووجه فساد العالم بذلك انه يوجب بطلان الأدلة وامتناع الثقة بالمدلول عليه وان لا يوثق بوعد ولا وعيد ولا يؤمن انقلاب عدل الحكيم (بل آتيناهم بذكرهم) اي بما فيه شرفهم وفخرهم لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منهم والقرآن نزل بلسانهم (فهم عن ذكرهم) اي شرفهم (معرضون) وبالذل راضون وقيل الذكر

البيان للحق عن ابن عباس

قوله تعالى (٧٢) أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٣) وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٤) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (٧٥) وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٦) وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٧) حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٨) وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ (٧٩) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٨٠) وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ تسع آيات

اللغة

أصل الخراج والخرج واحد وهو الغلة التي تخرج على سبيل الوظيفة ومنه خراج الأرض وهما مصدران يجمعان وقد سبق اختلاف القراء فيه في سورة الكهف والاستكانة الخضوع وهو استفعل من الكون والمعنى ما طلبوا الكون على صفة الخضوع قال الازهري أكانه الله يكينه أي اخضعه حتى ذل ومات فلان بكينة سوء اي بحال سوء وقيل ان استكان من السكينة والسكون إلا ان الفتحة اشبعت فنشأت منها الف فصار استكانوا الاصل استكنوا على افتعلوا قال عنترة في اشباع الفتحة

ينباع من ذفري غضوب جسرة زيافة مثل الفنيق المكدم

يريد ينبع فاشبع الفتحة وقال آخر

وأنت من الغوائل حين ترمي ومن ذم الرجال بمنتزاح

اي بمنتزح يقال استكن واستكان وتمسكن بمعنى

المعنى

ثم قال سبحانه (أم تسألهم) يا محمد على ما جئتهم به من القرآن والايمان (خرجا) اي اجرا ومالا يعطونك فيورث ذلك تهمة في حالك او يثقل عليهم قبول قولك لاجله (فخراج ربك خير) اي من رزق ربك في الدنيا منه عن الكلبي وقيل فأجر ربك في الآخرة خير منه عن الحسن (وهو خير الرازقين) اي أفضل من اعطى وآجر وفي هذا دلالة على ان في العباد من يرزق غيره باذن الله (وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم) من التوحيد واخلاص العبادة والعمل بالشريعة (وان الذين لا يؤمنون بالآخرة) اي لا يصدقون بالنشأة الآخرة (عن الصراط لناكبون) اي عن الدين الحق عادلون مائلون وقيل معناه انهم في الآخرة ناكبون عن طريق الجنة يؤخذ بهم يمنة ويسرة إلى النار عن الجبائي (ولو رحمناهم) في الآخرة (وكشفنا ما بهم من ضر) ورددناهم إلى دار التكليف (للجوا في طغيانهم يعمهون) مثل قوله ولو ردوا لعادوا عن الجبائي وابي مسلم وقيل انه في الدنيا اي ولو انا رحمناهم وكشفنا ما بهم من جوع ونحوه لتمادوا في ضلالتهم وغوايتهم يترددون عن ابن جريج (ولقد أخذناهم بالعذاب) معناه انا قد أخذنا هؤلاء الكفار بالجدب وضيق الرزق والقتل بالسيف (فما استكانوا لربهم) اي ماتواضعوا ولا انقادوا (وما يتضرعون) اي وما يرغبون إلى الله في الدعاء وقال ابو عبد الله (ع) الاستكانة الدعاء والتضرع رفع اليد في الصلاة (حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) اي هذا دأبهم حتى إذا فتحنا

عليهم نوعا آخر من العذاب وذلك حين دعاء النبي ﷺ عليهم فقال اللهم سنين كسني يوسف فجاعوا حتى أكلوا العلهز وهو الوبر بالدم عن مجاهد وقيل هو القتل يوم بدر عن ابن عباس وقيل فتحنا عليهم بابا من عذاب جهنم في الآخرة عن الجبائي وقيل ذلك حين فتح مكة وقال ابو جعفر (ع) هو في الرجعة (إذا هم فيه مبلسون) اي آيسون من كل خير متحيرون ثم بين سبحانه انه المنعم على خلقه بانواع النعم فقال اوهو الذي انشأ لكم السمع والابصار والافئدة) اي خلق هذه الحواس ابتداء لامن شيء وخص هذه الثلاثة لأن الدلائل مبنية عليها ينظر العاقل ويسمع ويتفكر فيعلم (قليلا ما تشكرون) اي يقل شكركم لها وقليلا منصوب على المصدر وتقديره تشكرون قليلا لهذه النعم التي انعم الله بها عليكم وقيل معناه انكم لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه عن مقاتل (وهو الذي ذرأكم) اي خلقكم واوجدكم (في الارض واليه تحشرون) يوم القيامة فيجازيكم على اعمالكم) وهو الذي يحيي ويميت) اي يحييكم في ارحام أمهاتكم ويميتكم عند انقضاء آجالكم (وله اختلاف الليل والنهار) اي وله تدبيرها بالزيادة والنقصان وقيل وله ملك اختلافها وهو ذهاب احدهما ومجيء الآخر (أفلا تعقلون) أي افلا تعلمون بأن تفكروا فتعلموا ان لذلك صانعا قادرا عالما حيا حكيما لا يستحق الإلهية سواه ولا تحسن العبادة إلا له

قوله تعالى (٨١) بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (٨٢) قَالُوا أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٣) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٤) قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٥) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٦) قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٧) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٨) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٩) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٩٠) بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ عشر آيات

القراءة

قرأ اهل البصرة سيقولون الله في الآيتين والباقون لله ولم يختلفوا في الاولى

الحجة

أما قراءة اهل البصرة فجواب على ما يوجبه اللفظ ومن قرأ لله فعلى المعنى وذلك انه إذا قيل من مالك هذه الدار فاجيب لزيد فإن الجواب على المعنى دون ما يقتضيه اللفظ فإن الذي يقتضيه اللفظ ان يقال زيد و إنما استقام ذلك لأن معنى من مالك هذه الدار ولمن هذه الدار واحد فلذلك اجيب تارة على اللفظ وتارة على المعنى

=[المعنى]=

ثم اخبر سبحانه عن الكفار المكذبين بالبعث فقال (بل قالوا مثل ما قال الأولون) المنكرون البعث بعد الموت ثم حكى مقالتهم فقال (قالوا أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) وهذا جهل منهم لأنهم لو تفكروا في ان النشأة الأولى اعظم منه لما استعظموه وقد اقروا بأن الله خالقهم (لقد وعدنا نحن وآباؤنا) اي وعد آباؤنا هذا الذي تعدنا من البعث (من قبل) اي من قبل مجيئك فما صدق وعدهم (إن هذا إلا اساطير الأولين) اي ما هذا إلا أكاذيب الأولين قد سطروا ما لا حقيقة له و إنما يجري مجرى حديث السمر الذي يكتب للاطراف به ثم احتج على هؤلاء المنكرين للبعث والنشور فقال (قل) يامحمد لهم (لمن الارض ومن فيها) اي لمن خلق

الارض وملكها ومن فيها من العقلاء (ان كنتم تعلمون سيقولون) في الجواب (لله) وإنما قال ذلك لأنهم كانوا يقرون بأن الله هو الخالق (قل افلا تذكرون) اي فقل لهم عند ذلك افلا تتفكرون فتعلمون انه تعالى قادر على ذلك ومن قدر عليه قدر على احياء الموتى لأنه ليس ذلك بأعظم منه ثم زاد في الحجة فقال (قل) يا محمد لهم ايضا (من رب السماوات السبع) اي من مالكها والمتصرف فيها (ورب العرش العظيم) اي ومن مالك العرش ومدبره لأنهم كانوا يقرون بأن الله خالق السماوات وان الملائكة سكان السماوات والعرش عندهم عبارة عن الملك الا ان يكون اتاهم خلق العرش من قبل النقل ثم اخبرانهم (سيقولون الله) في الجواب عن ذلك اي ان رب السماوات ورب العرش هو الله ومن قرأ لله فالمعنى انها لله (قل افلا تتقون) اي فعند ذلك يلزمهم الحجة فقل لهم افلا تتقون عذابه على جحد توحيده والاشراك في عبادته وفي انكار البعث ثم زاد في الحجة فقال (قل) يا محمد لهم ايضا (من بيده ملكوت كل شيء) والملكوت من صفات المبالغة في الملك كالجبروت والرهبوت وقال مجاهد ملكوت كل شيء خزائن كل شيء (وهو يجير ولا يجار عليه) اي يمنع من السوء من يشاء ولا يمتنع منه من أراده بسوء يقال اجرت فلانا إذا استغاث بك فحميته واجرت عليه إذا حميت عنه ويحتمل أن يكون اراد في الدنيا اي من قصد عبدا من عباده بسوء قدر على منعه ومن أراد الله بسوء لم يقدر على منعه احد ويحتمل ان يكون أراد في الآخرة اي يجير من العذاب ولا يجار عليه منه (إن كنتم تعلمون) اي ان كنتم تعلمون ذلك فاجيبوا (سيقولون) في الجواب (لله قل فأنى تسحرون) اي فكيف يخيل اليكم الحق باطلا والصحيح فاسدا مع وضوح الحق وتمييزه من الباطل وقيل معناه فكيف تعمون عن هذا وتصدون عنه من قولهم سحرت اعيننا فلم نبصر وقيل معناه فكيف تخدعون ويموه عليكم كقول امرئ القيس « ونسحر بالطعام وبالشراب » اي ونخدع (بل آتيناهم بالحق وانهم لكاذبون) معناه إنا جئناهم بالحق وبينا لهم الحق الذي فيه بيان كذبهم ولكنهم اصروا على باطلهم وكذبهم

❋ النظم ❋

وإنما اتصلت الآية الاولى بما قبلها بمعنى انهم لو تفكروا لعلموا ولكن عولوا على التقليد فقالوا مثل ما قال الاولون فعلى هذا تكون متصلة بقوله افلا تعقلون وقيل انه جواب الاستفهام في قوله أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الاولين والآية الاخيرة معطوفة على ما تقدم من ادلة التوحيد وهي رد على المشركين وتكذيب لهم في قولهم ان الاصنام آلهة وان الله سبحانه له ولد وان الملائكة بنات الله

قوله تعالى (٩١) مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩٢) عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٣) قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (٩٤) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ (٩٥) وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٦) إِدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٧) وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ ٱلشَّيَاطِينِ (٩٨) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٩) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ (١٠٠) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ عشر آيات

القراءة

قرأ اهل المدينة واهل الكوفة غير حفص عالم الغيب بالرفع والباقون بالجر إلا ان رويسا إذا وصل جر وإذا ابتدأ رفع

الحجة

وجه الرفع أن يكون خبر مبتدأ محذوف وتقديره هو عالم الغيب ووجه الجر ان يكون صفة الله تعالى ويكون اضافة عالم حقيقية بمعنى اللام ويجوز ان يكون بدلا فتكون الاضافة غير حقيقية والغيب في تقدير النصب والاول يكون بمعنى الماضي والثاني بمعنى الحاضر ولا يكون بمعنى المستقبل

اللغة

الهمزة شدة الدفع ومنه الهمزة للحرف الذي يخرج من اقصى الحلق باعتماد شديد ودفع وهمزة الشيطان دفعه بالاغواء إلى المعاصي وقوس همزى شديدة الدفع للسهم والبرزخ الحاجز بين الشيئين وكل فصل بين شيئين برزخ ومعنى من ورائهم هنا من أمامهم وقدامهم قال الشاعر

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا

الاعراب

قوله إذا الذهب كل إله بما خلق جواب او مقدر والتقدير ولو كان معه إله إذا الذهب وإذا هنا حشو بين لو وجوابه فهي لغو غير عامل اما تريني ان للشرط ضمت اليها ما مسلطة والمعنى انها سلطت نون التأكيد على دخولها الفعل المضارع ولو لم تكن هي لم يجز ان تريني وجواب الشرط فلا تجعلني. ورب معترض بين الشرط والجزاء. وبالتي هي أحسن الموصولة والصلة في موضع جر بأنها صفة محذوف مجرور التقدير ادفع بالخصلة التي هي أحسن ورب ارجعون جاء الخطاب على لفظ الجمع لأنه سبحانه يقول إنا نحن نزلنا الذكر وانا نحن نحيي وهذا اللفظ يعرفه العرب للجليل الشأن يخبر به الجماعة فكذلك جاء الخطاب في ارجعون وقال المازني انه جمع الضمير ليدل على التكرار فكأنه قال رب ارجعن ارجعن ارجعن و إلى يوم يبعثون إلى تتعلق بما يتعلق به من في قوله ومن ورائهم برزخ ويوم مضاف إلى يبعثون لأن اسماء الزمان تضاف إلى الأفعال

المعنى

ثم اكد سبحانه ما قدمه من ادلة التوحيد بقوله (ما اتخذ الله من ولد) أي لم يجعل ولد غيره ولد نفسه لاستحالة ذلك عليه فمن المحال ان يكون له ولد فلا يجوز عليه التشبيه بما هو مستحيل ممتنع إلا على النفي والتبعيد واتخاذ الولد هو ان يجعل الجاعل ولد غيره يقوم مقام ولده او كان له وكذلك التبني انما هو جعل الجاعل ابن غيره ومن يصح ان يكون ابنا له مقام ابنه ولذلك لا يقال تبنى شاب شيخا ولا تبني الإنسان بهيمة لما استحال ان يكون ذلك ولدا له (وما كان معه من إله) من هاهنا وفي قوله من ولد مؤكدة فهو آكد من أن يقول ما اتخذ الله ولدا وما كان معه إله نفى عن نفسه الولد والشريك على آكد الوجوه (إذا لذهب كل إله بما خلق) والتقدير إذ لو كان معه إله آخر الذهب كل إله بما خلق أي لميز كل إله خلقه عن خلق غيره ومنعه من الاستيلاء على ما خلقه أو نصب دليلا يميز به بين خلقه وخلق غيره فانه كان لا يرضى ان يضاف خلقه وانعامه إلى غيره (ولعلا بعضهم على بعض) أي ولطلب بعضهم قهر بعض ومغالبته وهذا معنى قول المفسرين والقاتل بعضهم بعضا كما يفعل الملوك في الدنيا وقيل معناه ولمنع بعضهم بعضا عن مراده وهو مثل قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا وفي هذا دلالة عجيبة في التوحيد وهو ان كل واحد من الآلهة من حيث يكون إلها يكون قادرا لذاته فيؤدي إلى ان يكون قادرا على كل ما يقدر عليه غيره من الآلهة فيكون غالبا ومغلوبا من حيث انه قادر لذاته وايضا فان من ضرورة كل قادرين صحة التمانع بينهما فلو صح وجود إلهين صح التمانع بينهما من حيث انهما قادران وامتنع التمانع بينهما من

حيث انهما قادران للذات وهذا محال وفي هذا دلالة على اعجاز القرآن لأنه لا يوجد في كلام العرب كلمة وجيزة تضمنت ما تضمنته هذه فإنها قد تضمنت دليلين باهرين على وحدانية الله وكمال قدرته ثم نزه نفسه عما وصفوه به فقال (سبحان الله عما يصفون) أي عما يصفه به المشركون من اتخاذه الولد والشريك (عالم الغيب والشهادة) أي يعلم ما غاب وما حضر فلا يخفى عليه شيء (فتعالى الله عما يشركون) والمعنى انه عالم بما كان وبما سيكون وبما لم يكن ان لو كان كيف يكون ومن كان بهذه الصفة لا يكون له شريك لأنه الأعلى من كل شيء في صفته ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (قل) يا محمد (رب اما تريني ما يوعدون) أي ان اريتني ما يوعدون من العذاب والنقمة يعني القتل يوم بدر (رب فلا تجعلني في القوم الظالمين) أي مع القوم الظالمين والمعنى فأخرجني من بينهم عندما تريد احلال العذاب بهم لئلا يصيبني ما يصيبهم وفي هذا دلالة على جواز ان يدعو الإنسان بما يعلم ان الله يفعله لا محالة لأن من المعلوم ان الله تعالى لا يعذب انبياءه مع المعذبين ويكون الفائدة في ذلك إظهار الرغبة إلى الله (وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون) هذا ابتداء كلام من الله تعالى معناه انا لا نعاجلهم بالعقوبة مع قدرتنا على ذلك ولكن ننظرهم ونمهلهم لمصلحة توجب ذلك قال الكلبي هذا امر شهده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني باسناده عن ابي صالح عن ابن عباس وجابر بن عبد الله انهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في حجة الوداع وهو بمنى لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وايم الله لئن فعلتموها لتعرفني في كتيبة يضاربونكم قال فغمز من خلفه منكبه الأيسر فالتفت فقال أو علي فنزل قل رب اما تريني الآيات ثم امره صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر إلى ان ينقضي الأجل المضروب للعذاب فقال (ادفع بالتي هي أحسن السيئة) أي ادفع بالإغضاء والصفح اساءة المسيء عن مجاهد والحسن وهذا قبل الأمر بالقتال وقيل معناه ادفع باطلهم ببيان الحجج على الطف الوجوه وأوضحها وأقربها إلى الإجابة والقبول (نحن أعلم بما يصفون) أي بما يكذبون ويقولون من الشرك والمعنى انا نجازيهم بما يستحقونه ثم امره صلى الله عليه وآله وسلم فقال (قل) يا محمد (رب اعوذ بك) أي اعتصم بك (من همزات الشياطين) أي من نزغاتهم ووساوسهم عن ابن عباس والحسن والمعنى من دعائهم إلى الباطل والعصيان ومن شرورهم في كل شيء يخاف فيه من ذلك (واعوذ بك رب ان يحضرون) أي يشهدوني ويقاربوني ويصدوني من طاعتك وقيل معناه ان يحضروني في الصلاة عند تلاوة القرآن وقيل في الاحوال كلها ثم عاد سبحانه إلى قوله أءذا متنا وكنا ترابا وعظاما فقال (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون) يعني ان هؤلاء الكفار إذا اشرفوا على الموت سألوا الله تعالى عند ذلك الرجعة إلى دار التكليف فيقول احدهم رب ارجعون على لفظ الجمع وفي معناه قولان احدهما انهم استغاثوا اولا بالله ثم رجعوا الى مسائلة الملائكة فقالوا لهم ارجعون اي ردوني الى الدنيا عن ابن جرير والآخر انه على عادة العرب في تعظيم المخاطب كما قال قرة عين لي والك لا تقتلوه وروى النضر بن شميل قال سألوا الخليل عن هذا ففكر ثم قال سألتموني عن شيء لا احسنه ولا اعرف معناه فاستحسن الناس منه ذلك (لعلي اعمل صالحا فيما تركت) أي في تركتي والمعنى أؤدي عنها حق الله تعالى وقيل معناه في دنياي فإنه ترك الدنيا وصار الى الآخرة وقيل معناه اعمل صالحا فيما فرطت وضيعت أي في صلاتي وصيامي وطاعاتي وقال الصادق (ع) انه في مانع الزكاة يسأل الرجعة عند الموت ثم قال سبحانه في الجواب عن سؤالهم (كلا) اي لا يرجع إلى الدنيا (انها) اي مسألة الرجعة (كلمة هو قائلها) اي كلام يقوله ولا فائدة له في ذلك وقيل معناه هي كلمة يقولها بلسانه وليس لها حقيقة مثل قوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وروى العياشي باسناده من الفتح بن يزيد الجرجاني قال قلت لأبي الحسن الرضا (ع) جعلت فداك ايعرف القديم سبحانه الشيء الذي لم يكن ان لو كان كيف كان يكون قال ويحك ان مسألتك لصعبة أما قرأت قوله عز وجل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا ولعلا بعضهم على بعض لقد عرف الشيء الذي لم يكن ولا يكون ان لو كان

كيف كان يكون وقال ويحكي قول الاشقياء رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها وقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون فقد علم الشيء الذي لم يكن لو كان كيف كان يكون وهو السميع البصير الخبير العليم (ومن ورائهم) أي ومن بين أيديهم (برزخ إلى يوم يبعثون) أي حاجز بين الموت والبعث في يوم القيامة من القبور عن ابن زيد وقيل حاجز بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا (وهم فيه إلى يوم يبعثون) عن ابن عباس ومجاهد وقيل البرزخ الامهال إلى يوم القيامة وهو القبر وكل فصل بين شيئين هو برزخ عن علي بن عيسى وفي الآية دلالة على ان احدا لا يموت حتى يعرف منزلته عند الله تعالى اضطرارا وانه من أهل الثواب أو العقاب عن الجبائي

قوله تعالى (١٠١) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠٢) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٣) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٤) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٥) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٦) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٧) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٨) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٩) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٠) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ عشر آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم شقاوتنا بالالف وفتح الشين والباقون وشقوتنا بكسر الشين من غير الف وقرأ أهل المدينة وأهل الكوفة غير عاصم سخريا بضم السين والباقون بكسرها وكذلك في سورة ص

الحجة

قال ابو علي الشقوة مصدر كالرقة والفطنة والشقاوة كالسعادة فالقراءة بهما جميعا سائغة وقال ابو زيد اتخذت فلانا سخريا وسخرة إذا هزئت منه وقد سخرت منه اسخر سخريا وسخرا قال ابو عبيدة اتخذتموهم سُخريا تسخرون منهم وسِخريا تسخرونهم ويقال ايضا ان من الهزء سُخري وسِخري ومن السخرية مضمومة لا غير وحكي عن الحسن وقتادة ان ما كان من العبودة فهو سخري بالضم وما كان من الهزء فبالكسر قال ابو علي الاكثر في الهزء كسر السين فيما حكوه ويرى انه انما كان اكثر لأن السخر مصدر سخرت وفعل وفعل قد يكونان بمعنى نحو المثل والمثل والشبه والشبه في حرف آخر فكذلك السخر والسخر الا ان المكسورة الزمت ياء النسب دون المفتوحة كما اتفقوا في القسم على الفتح في لعمر الله ولم يعتد بياء النسب كما لم يعتد بها في نحو احمر واحمري ودوار ودواري والوجه في الضم على ما حكي عن يونس ان السخري قد يقال بالضم بمعنى الهزء واتفق القراء على الضم في الزخرف لأنه من السخرة والانقياد بعضهم لبعض في الأمور وذلك لا يكون إلا بالضم

اللغة

اللفح والنفح بمعنى إلا ان اللفح اشد تأثيرا واعظم من النفح وهو ضرب من السموم للوجه والنفح ضرب

الريح الوجه والكلوح تقلص الشفتين عن الاسنان حتى تبدو الاسنان قال الاعشى

وله المقدم لا مثل له ساعة الشدق عن الناب كالح

وخسأت فلانا اخسأه خسأ إذا زجرته ليتباعد فهو فخسأ خاسئ ومعنى اخسأ اي تباعد تباعد تباعد اي سخط

الاعراب

العامل في إذا نفخ وبينهم ويومئذ خبرلا المحذوف تقديره فـلا انساب تثبت بينهم تلفح وجوههم النار في موضع النصب على الحال والعامل فيه خالدون

المعنى

ثم بين سبحانه حال الفريقين يوم البعث فقال (فإذا نفخ في الصور) قيل ان المراد به نفخة الصعق عن ابن عباس وقيل نفخة البعث عن ابن مسعود والصور جمع صورة اي إذا نفخ فيه الأرواح واعيدت احياء عن الحسن وقيل ان الصور قرن ينفخ فيه اسرافيل (ع) بالصوت العظيم الهائل على ماوصفه الله تعالى علامة لوقت اعادة الخلق عن اكثر المفسرين (فلا انساب بينهم يومئذ) اي لا يتواصلون بالانساب ولا يتعاطفون بها مع معرفة بعضهم بعضا عن الحسن والمعنى انه لا يرحم قريب قريبه لشغله عنه فإن المقصود بالأنساب دفع ضر او جر نفع فإذا ذهب هذا المقصود فكأن الانساب قد ذهبت ومثله يوم يفر المرء من اخيه وامه وأبيه وقيل معناه لا يتفاخرون بالانساب كما كانوا يفعلونه في الدنيا عن ابن عباس والجبائي ولا بد من تقدير محذوف وفي الآية على تأويل فلا انساب بينهم يومئذ يتفاخرون بها أو يتعاطفون بها والمعنى انه لا يفضل بعضهم بعضا يومئذ بنسب و إنما يتفاضلون باعمالهم وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل حسب ونسب منقطع يوم القيامة إلا حسبي ونسبي (ولا يتساءلون) اي لا يسأل بعضهم بعضا عن حاله وخبره كما كانوا يسألون في الدنيا لشغل كل واحد بنفسه عن الجبائي وقيل لا يسأل بعضهم بعضا أن يحمل عنه ذنبه ولا تنافي بين هذه الآية وبين قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون لأن للقيامة احوالا ومواطن فمنها حال يشغلهم عظم الأمر فيها عن المسألة ومنها حال يلتفتون فيها فيتساءلون وهذا معنى قول ابن عباس لما سئل عن الآيتين فقال هذه تارات يوم القيامة وقيل إنما يتساءلون عند دخول الجنة وإنما يسأل بعض اهل الجنة بعضا فإنهم لا يفزعون من اهوال القيامة عن السدي (فمن ثقلت موازينه) بالطاعات (فأولئك هم المفلحون) الناجون (ومن خفت موازينه) عن الطاعات (فأولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون) وقد تقدم تفسير الآيتين واختلاف المفسرين في كيفية الميزان والوزن في سورة الأعراف (تلفح وجوههم النار) اي يصيب وجوههم لفح النار ولهبها (وهم فيها كالحون) اي عابسون عن ابن عباس وقيل هـو ان تتقلص شفاههم وتبدو اسنانهم كالرؤوس المشوية عن الحسن (ألم تكن آياتي تتلى عليكم) اي ويقال لهم أولم يكن القرآن يقرأ عليكم وقيل الم تكن حججي وبيناتي وأدلتي تقرأ عليكم في دار الدنيا (فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) اي شقاوتنا ومعناهما واحد وهو المضرة اللاحقة في العاقبة والسعادة المنفعة اللاحقة في العاقبة ويقال لمن حصل في الدنيا على مضرة فادحة شقي والمعنى استعلت علينا سيئاتنا التي أوجبت لنا الشقاء (وكنا قوما ضالين) اي ذاهبين عن الحق ولما كانت سيئاتهم التي شقوا بها سبب شقاوتهم سميت شقاوة توسعا ومن اكبر الشقاوة ان تترك عبادة الله تعالى إلى عبادة غيره وتترك الأدلة ويتبع الهوى (ربنا اخرجنا منها) اي من النار (فإن عدنا) لما تكره من الكفر والتكذيب والمعاصي (فإنا ظالمون) لأنفسنا قال الحسن هذا آخر كلام يتكلم به اهل النار ثم بعد ذلك يكون لهم شهيق كشهيق الحمار (قال اخسئوا فيها) أي ابعدوا بعد الكلب في النار وهذه اللفظة زجر للكلاب وإذا قيل ذلك للانسان يكون للاهانة المستحقة للعقوبة (ولا تكلمون) وهذه مبالغة للاذلال والاهانة واظهار الغضب عليهم لأن من لا يكلم اهانة له فقد بلغ به الغاية في الاذلال وقيل معناه ولا تكلمون في رفع العذاب فإني لا أرفعه

عنكم وهي على صيغة النهي وليست بنهي لأن الأمر والنهي مرتفعان في الآخرة لارتفاع التكليف (انه كان فريق من عبادي) اي طائفة من عبادي وهم الانبياء والمؤمنون (يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الراحمين) اي يدعون بهذه الدعوات في الدنيا طلبا لما عندي من الثواب (فاتخذتموهم) انتم يا معشر الكفار (سخريا) أي كنتم تهزؤون وتسخرون منهم وقيل معناه تستعبدونهم وتصرفونهم في اعمالكم وحوائجكم كرها بغير اجر وقيل انهم كانوا إذا آذوا المؤمنين قالوا انظروا إلى هؤلاء رضوا من الدنيا بالعيش الدني طمعا في ثواب الآخرة وليس وراءهم آخرة ولا ثواب فهو مثل قوله و إذا مروا بهم يتغامزون (حتى انسوكم ذكري) أي نسيتم ذكري لاشتغالكم بالسخرية منهم فنسب الانساء إلى عبادة المؤمنين وان لم يفعلوه لما كانوا السبب في ذلك (وكنتم منهم تضحكون) ظاهر المعنى

قوله تعالى (١١١) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١٢) قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٣) قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعَادِّينَ (١١٤) قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٥) أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٦) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٧) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٨) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ثماني آيات

❊ القراءة ❊

قرأ حمزة والكسائي انهم بكسر الألف وقل كم لبثتم وقل ان لبثتم على الأمر وقرأ ابن كثير قل كم لبثتم فقط وقرأ الباقون انهم بفتح الالف وقال في الموضعين وقرأ أهل الكوفة غير عاصم ويعقوب لا ترجعون بفتح التاء والباقون بضم التاء وفتح الجيم

❊ الحجة ❊

قال ابو علي من فتح ان فالمعنى لأنهم هم الفائزون ويجوز ان يكون انهم في موضع المفعول الثاني لأن جزيت يتعدى إلى مفعولين قال سبحانه وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وتقديره جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز وفاز الرجل إذا نال ما أراد وقالوا فوز الرجل إذا مات ويشبه ان يكون ذلك على التفاؤل له اي صار إلى ما احب والمفازة المهلكة على وجه التفاؤل ايضا ومن كسر ان استأنف فقطعه عما قبله ومثله لبيك ان الحمد والنعمة لك وان الحمد بالكسر والفتح ومن قرأ قل كم لبثتم كان على قل ايها السائل عن لبثهم وقال على الاخبار عنه وزعموا ان في مصاحف اهل الكوفة قل في الموضعين وحجة من قال ترجعون انا اليه راجعون وقد تقدم ذكر هذا النحو

❊ الاعراب ❊

كم لبثتم كم في محل النصب لأنه ظرف زمان والعامل فيه لبث وعدد منصوب على التمييز والعامل فيه كم ولا يمنع كم من العمل الفصل الكثير لأن كم الخبرية تجر المميز فإذا فصل بينها وبين معمولها نصبت كالاستفهامية فلان تنصب الاستفهامية مع الفصل اولى وقليلا صفة مصدر محذوف تقديره ان لبثتم إلا قليلا

عبثا ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال وتقديره أفحسبتم انما خلقناكم عابثين ويجوز ان يكون مفعولا له أي للعبث . لا إله إلا هو في موضع النصب على الحال على تقدير فتعالى الله عديم المثل والاولى ان يكون جملة مستأنفة . ورب العرش خبر مبتدأ محذوف فهي جملة اخرى مستأنفة بدلالة حسن الوقف على المواضع الثلاثة على الحق وعلى هو وعلى الكريم . لا برهان له به جملة منصوبة الموضع بأنه صفة لقوله الها فهي صفة بعد صفة

❊ المعنى ❊

ثم اخبر سبحانه عن المؤمنين الذين سخر الكافرون منهم في دار الدنيا فقال (اني جزيتهم اليوم بما صبروا) أي بصبرهم على أذاكم وسخريتكم واستهزائكم بهم (انهم هم الفائزون) أي الظافرون بما أرادوا الناجون في الآخرة والمراد بقوله اليوم أيام الجزاء لا يوم بعينه (قال) اي قال الله تعالى للكفار يوم البعث وهو سؤال توبيخ وتبكيت لمنكري البعث (كم لبثتم في الأرض) أي في القبور (عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) لأنهم لم يشعروا بطول لبثهم ومكثهم لكونهم أمواتا وقيل انه سؤال لهم عن مدة حياتهم في الدنيا قالوا لبثنا يوما او بعض يوم استقلوا حياتهم في الدنيا لطول لبثهم ومكثهم في النار عن الحسن قال ولم يكن ذلك كذبا منهم لأنهم أخبروا بما عندهم وقيل ان المراد به يوما او بعض يوم من أيام الآخرة قال ابن عباس أنساهم الله قدر لبثهم فيرون انهم لم يلبثوا إلا يوما أو بعض يوم لعظم ما هم بصدده من العذاب (فسئل العادين) يعني الملائكة لأنهم يحصون أعمال العباد عن مجاهد وقيل يعني الحساب لأنهم يعدون الشهور والسنين عن قتادة (قال) الله تعالى (ان لبثتم) أي ما مكثتم (إلا قليلا) لأن مكثهم في الدنيا أو في القبور وإن طال فإنه متناه قليل بالإضافة إلى طول مكثهم في عذاب جهنم (لو انكم كنتم تعلمون) صحة ما أخبرناكم به وقيل معناه لو كنتم تعلمون قصر أعماركم في الدنيا وطول مكثكم في الآخرة في العذاب لما اشتغلتم بالكفر والمعاصي وآثرتم الفاني على الباقي ثم قال سبحانه لهم (أفحسبتم) معاشر الجاحدين للبعث والنشور الظانين دوام الدنيا (انما خلقناكم عبثا) أي لعبا وباطلا لا لغرض وحكمة ومثله أيحسب الإنسان أن يترك سدى والمعنى افظننتم انا خلقناكم لتفعلوا ما تريدون ثم انكم لا تحشرون ولا تسئلون عما كنتم تعملون هذا عبث فإن من خلق الأشياء لا لينتفع به نفسه أو غيره كان عابثا والله سبحانه غني لا يلحقه منفعة فلا بد من أن يكون خلق الخلق لينفعهم ويعرضهم للثواب بأن يتعبدهم وإذا تعبدهم فلا بد من الفرق بين المطيع والعاصي وذلك انما يكون بعد البعث (وانكم الينا لا ترجعون) أي وحسبتم انكم لا ترجعون الى حكمنا والموضع الذي لا يملك الحكم فيه غيرنا (فتعالى الله الملك الحق) أي تعالى عما يصفه به الجهال من الشريك والولد وقيل معناه تعالى الله من ان يفعل شيئا عبثا والملك الحق الذي يحق له الملك بأنه ملك غير مملوك وكل ملك غيره فملكه مستعار ولأنه يملك جميع الأشياء من جميع الوجوه و كل ملك سواه فيملك بعض الأشياء من بعض الوجوه والحق هو الشيء الذي من اعتقد كان على ما اعتقده فالله هو الحق لأن من اعتقد انه (لا إله إلا هو) فقد اعتقد الشيء على ما هو به (رب العرش الكريم) اي خالق السرير الحسن والكريم في صفة الجماد بمعنى الحسن وقيل الكريم الكثير الخير وصف العرش به لكثرة ما فيه من الخير لمن حوله ولإتيان الخير من جهته وخص العرش بالذكر مع كونه سبحانه رب كل شيء تشريفا وتعظيما له كقوله

رب هذا البيت (ومن يدع مع الله إلٰهاً آخر لا برهان له به) أي لا حجة له فيما يدعيه يعني أن من صفته انه لا حجة له به (فإنما حسابه عند ربه) معناه فانما معرفة مقدار ما يستحقه من الجزاء عند ربه فيجازيه على قدر ما يستحقه وقيل معناه فإنما مكافأته عند الله تعالى والمكافأة والمحاسبة بمعنى (انه لا يفلح الكافرون) اي لا يظفر ولا يسعد الجاحدون لنعم الله والمنكرون لتوحيده والدافعون للبعث والنشور ولما حكى سبحانه أقوال الكفار امر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالتبري منهم والانقطاع اليه سبحانه فقال (وقل) يا محمد (رب اغفر) الذنوب (وارحم) وأنعم على خلقك (وأنت خير الراحمين) أي افضل المنعمين واكثرهم نعمة واوسعهم فضلا

سورة النور

مدنية بلا خلاف

﴿ عدد آيها ﴾

اربع وستون آية عراقي شامي آيتان حجازي

﴿ اختلافها ﴾

آيتان بالغدو والآصال ويذهب بالأبصار كلاهما عراقي شامي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ سورة النور اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي وروى الحاكم ابو عبد الله في الصحيح بالاسناد عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور يعني النساء وروى عبد الله بن مسكان عن ابي عبد الله (ع) قال حصنوا أموالكم وفروجكم بتلاوة سورة النور وحصنوا بها نساءكم فإن من أدمن قراءتها في كل ليلة أو في كل يوم لم يزن احد من أهل بيته أبدا حتى يموت فإذا مات شيعه إلى قبره سبعون الف ملك يدعون ويستغفرون الله له حتى يدخل إلى قبره

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه سورة المؤمنين بأنه لم يخلق الخلق للعبث بل للأمر والنهي وابتدأ هذه السورة بذكر الأمر والنهي وبيان الشرائع فقال

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢) الزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٣) الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ

مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ثلاث آيات

القراءة

قرأ ابن كثير وابو عمرو وفرضناها بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ ابن كثير غير ابن فليح رأفة بفتح الهمزة والباقون بسكون الهمزة وفي الشواذ قراءة عيسى الثقفي سورة بالنصب والزانية والزاني بالنصب وروي عن عمر بن عبد العزيز وعيسى الهمداني سورة ايضا بالنصب

الحجة

قال ابو علي التثقيل في فرضناها لكثرة ما فيها من الفرض والتخفيف يصلح للقليل والكثير ومن حجة التخفيف ان الذي فرض عليك القرآن لرادك قال ولعل رأفة التي قرأها ابن كثير لغة واما قراءة سورة بالرفع على انها خبر مبتدأ محذوف اي هذه سورة ولا يجوز ان يكون مبتدأ لأنها نكرة ولا يبتدء بالنكرة حتى توصف وان جعلت انزلناها وفرضناها صفة لها بقي المبتدأ بلا خبر فإن جعلت تقديره يتلى عليكم سورة أنزلناها جاز ومن قرأ سورة بالنصب فعلى اضمار فعل يفسره أنزلناها والتقدير انزلنا سورة انزلناها الا ان هذا الفعل لا يظهر لأن التفسير يغني عنه ومثله قول الشاعر

أصبحت لا احمل السلاح ولا أملك رأس البعير ان نفرا
والذئب اخشاه ان مررت به وحدي واخشى الرياح والمطرا

اي واخشى الذئب فلما اضمره فسره بقوله اخشاه ويجوز ان يكون الفعل الناصب لسورة من غير لفظ الفعل بعدها على معنى التخصيص اي اقرؤوا سورة وتأملوا سورة انزلناها كقوله سبحانه ناقة الله سقياها اي احفظوا ناقة الله وكذلك قوله الزانية والزاني انتصب بفعل مضمر اي اجلدوا الزانية والزاني فلما اضمر الفعل الناصب فسره بقوله فاجلدوا كل واحد منهما وجاز دخول الفاء في هذا الوجه لأنه موضع امر ولا يجوز زيدا فضربته لأنه خبر وانما جاز في الامر لمضارعته الشرط الا تراه دالاً على الشرط ولذلك انجزم جوابه في قولك زرني اكرمك لأن معناه فإنك ان تزرني اكرمك فلما آل معناه إلى الشرط جاز دخول الفاء في الفعل المفسر للمضمر ويقول على هذا بزيد فامرر وعلى عمرو فاغضب

اللغة

السورة مأخوذة من سور البناء وهو ارتفاعه وقيل هو ساق من اسواقه فعلى القول الأول يكون تسميتها بذلك لارتفاعها في النفوس وعلى القول الثاني يكون تسميتها بذلك لأنها قطعة من القرآن وقيل ان السورة المنزلة الشريفة والجلالة قال النابغة

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب
لأنك شمس والملوك كواكب إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

وقيل أصله الهمز وقيل اشتقاقها من اسأرت إذا ابقيت في الإناء بقية ومنه الحديث إذا شربتم فاسأروا إلا أنه اجمع على تخفيفها كما اجمع على تخفيف برية وروية واصلها من براء الله الخلق ورؤات في الأمر واصل الفرض من فرض القوس وهو الحز الذي فيه الوتر ثم اتسع فيه فجعل في موضع الايجاب وفصل بين الفرض

والواجب فإن الفرض واجب بجعل جاعل لأنه فرضه على صاحبه كما انه أوجبه عليه* والواجب قد يكون واجبا من غير جعل جاعل كوجوب شكر المنعم فجرى مجرى دلالة الفعل على الفاعل في انه يدل من غير جعل جاعل والزنا هو وطء المرأة في الفرج من غير عقد شرعي ولا شبهة عقد مع العلم بذلك اوغلبة الظن وليس كل وطء حرام زنا لأن الوطء في الحيض والنفاس حرام ولا يكون زنا والجلد ضرب الجلد يقال جلده كما يقال ظهره ورأسه وفأده وهذا قياس والرأفة التحنن والتعطف وفيه ثلاث لغات سكون الهمزة وفتحها ومدها وقال الاخفش الرأفة رحمة في توجع

﴿ المعنى ﴾

(سورة انزلناها) اي هذه سورة قطعة من القرآن لها أول وآخر انزلها جبرائيل (ع) بأمرنا (وفرضناها) اي وأوجبنا عليكم العمل بها وعلى من بعدكم إلى يوم القيامة وقيل معناه وفرضنافيها اباحة الحلال وحظر الحرام عن مجاهد وهذا يعود إلى معنى أوجبناها وقيل معناه وقدرنا فيها الحدود عن عكرمة وهو من قوله فنصف ما فرضتم وفسر ابو عمرو معنى القراءة بالتشديد بأن قال معناها فصلناها وبيناها بفرائض مختلفة (وأنزلنا فيها آيات بينات) اي دلالات واضحات على وحدانيتنا وكمال قدرتنا وقيل أراد بها الحدود والأحكام التي شرع فيها (لعلكم تذكرون) أي لكي تتذكروا فتعلموا بما فيها ثم ذكر سبحانه تلك الآيات وابتدأ بحكم الزنا فقال (الزانية والزاني) معناه التي تزني والذي يزني اي من زنى من النساء ومن زنى من الرجال فيفيد العموم في الجنس (فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة) يعني إذا كانا حرين بالغين بكرين غير محصنين فأما إذا كانا محصنين او كان احدهما محصنا كان عليه الرجم بلا خلاف والإحصان هو أن يكون له فرج يغدو اليه ويروح على وجه الدوام أو يكون حرا فأما العبد فلا يكون محصنا و كذلك الأمة لا تكون محصنة وإنما عليهما نصف الحد خمسون جلدة لقوله سبحانه فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وقيل إنما قدم ذكر الزانية على الزاني لأن الزنى منهن اشنع واعير وهو لأجل الحبل اضر لأن الشهوة فيهن اكثر وعليهن اغلب وقوله فاجلدوا هذا خطاب للائمة ومن يكون منصوبا للأمر من جهتهم لأنه ليس لأحد أن يقيم الحدود إلا للائمة وولاتهم بلا خلاف (ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) معناه إن كنتم تصدقون بالله وتقرون بالبعث والنشور فلا تأخذكم بهما رحمة تمنعكم من اقامة الحدود عليهما فتعطلوا الحدود عن عطا ومجاهد وقيل معناه لا تأخذكم بهما رأفة تمنع من الجلد الشديد بل أوجعوهما ضربا ولا تخففوا كما يخفف في حد الشارب عن الحسن وقتادة وسعيد بن المسيب والنخعي والزهري وقوله في دين الله اي في طاعة الله وقيل في حكم الله عن ابن عباس كقوله ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك اي في حكمه (وليشهد عذابهما) أي وليحضر حال اقامة الحد عليهما (طائفة) أي جماعة (من المؤمنين) وهم ثلاثة فصاعدا عن قتادة والزهري وقيل الطائفة رجلان فصاعدا عن عكرمة وقيل اقله رجل واحد عن ابن عباس والحسن و مجاهد وابراهيم وهو المروي عن ابي جعفر عليه السلام ويدل على ذلك قوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وهذا الحكم يثبت للواحد كما يثبت للجمع وقيل اقلها اربعة لأن أقل ما يثبت به الزنا شهادة اربعة عن ابن زيد وقيل ليس لهم عدد محصور بل هو موكول إلى رأي الإمام والمقصود ان يحضر جماعة يقع بهم اذاعة الحد ليحصل الاعتبار وقوله (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة

والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك) اختلف في تفسيره على وجوه * احدها * ان المراد بالنكاح العقد ونزلت الآية على سبب وهو ان رجلا من المسلمين استأذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ان يتزوج ام مهزول وهي امرأة كانت تسافح ولها راية على بابها تعرف بها فنزلت الآية عن عبد الله بن عباس وابن عمر ومجاهد وقتادة والزهري والمراد بالآية النهي وان كان ظاهره الخبر ويؤيده ما روي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) أنهما قالا هم رجال ونساء كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله مشهورين بالزنا فنهى الله عن اولئك الرجال والنساء والناس على تلك المنزلة فمن شهر بشيء من ذلك واقيم عليه الحد فلا تزوجوه حتى تعرف توبته * وثانيها * ان النكاح هنا الجماع والمعنى انهما اشتركا في الزنا فهي مثله عن الضحاك وابن زيد وسعيد ابن جبير وفي احدى الروايتين عن ابن عباس فيكون نظير قوله الخبيثات للخبيثين في انه خرج مخرج الاغلب الأعم * وثالثها * ان هذا الحكم كان في كل زان وزانية ثم نسخ بقوله وانكحوا الأيامى منكم الآية عن سعيد بن المسيب وجماعة * ورابعها * أن المراد به العقد وذلك الحكم ثابت فيمن زنا بامرأة فإنه لا يجوز له ان يتزوج بها روي ذلك عن جماعة من الصحابة وإنما قرن الله سبحانه بين الزاني والمشرك تعظيما لأمر الزنا وتفخيما لشأنه ولا يجوز أن تكون هذه الآية خبرا لأنا نجد الزاني يتزوج غير الزانية ولكن المراد هنا الحكم او النهي سواء كان المراد بالنكاح العقد او الوطء وحقيقة النكاح في اللغة الوطء (وحرم ذلك على المؤمنين) اي حرم نكاح الزانيات أو حرم الزنا على المؤمنين فلا يتزوج بهن او لا يطأهن الا زان أو مشرك

قوله تعالى (٤) وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ آيتان

« القراءة »

في الشواذ قراءة عبد الله بن مسلم بن يسار وابي زرعة بأربعة بالتنوين

— الحجة —

من قرأ بأربعة شهداء بغير تنوين اضاف العدد إلى شهداء وان كان الشهداء من الصفات وساغ ذلك لأنهم استعملوها استعمال الأسماء كقولهم إذا دفن الشهيد صلت عليه الملائكة ونحو ذلك فحسن اضافة اسم العدد اليها كما يضاف إلى الاسم الصريح ومن قرأ بالتنوين جعل شهداء صفة لاربعة في موضع جر ويجوز ان يكون في موضع نصب من جهتين * احدهما * ان يكون على معنى ثم لم يحضروا اربعة شهداء وعلى الحال من النكرة اي لم يأتوا بأربعة في حال الشهادة قاله الزجاج

* الاعراب *

موضع الذين يرمون رفع بالابتداء ومن قرأ الزانية والزاني بالنصب فيكون على ذلك موضع والذين يرمون نصبا على معنى اجلدوا الذين يرمون المحصنات والمحصنات هنا اللاتي احصن فروجهن بالعفة والذين تابوا في محل النصب على الاستثناء من قوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا عند من قال ان شهادتهم مقبولة

ويكون قوله وأولئك هم الفاسقون صفة لهم ويجوز ان يكون في موضع جر على البدل من هم في لهم. ومن قال ان شهادة القاذف غير مقبولة فعنده يكون في موضع النصب على الاستثناء من قوله واولئك هم الفاسقون

❊ المعنى ❊

لما تقدم ذكر حد الزنا عقبه سبحانه بذكر حد القاذف بالزنا فقال سبحانه (والذين يرمون المحصنات) اي يقذفون العفائف من النساء بالفجور والزنا وحذف لدلالة الكلام عليه (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) اي ثم لم يأتوا على صحة ما رموهن به من الزنا بأربعة شهداء عدول يشهدون انهم رأوهن يفعلن ذلك (فاجلدوهم) اي فاجلدوا الذين يرمونهن بالزنا (ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا) نهى سبحانه عن قبول شهادة القاذف على التأبيد وحكم عليهم بالفسق ثم استثنى من ذلك فقال (إلا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا) اعمالهم (فإن الله غفور رحيم) واختلف في هذا الاستثناء إلى ماذا يرجع على قولين ❊ احدهما ❊ انه يرجع إلى الفسق خاصة دون قوله ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا فيزول عنه اسم الفسق بالتوبة ولا تقبل شهادته إذا تاب بعد اقامة الحد عليه عن الحسن وقتادة وشريح وابراهيم وهو قول ابي حنيفة واصحابه ❊ والآخر ❊ ان الاستثناء يرجع إلى الأمرين فإذا تاب قبلت شهادته حدا ولم يحد عن ابن عباس في رواية الوالبي ومجاهد والزهري ومسروق وعطا وطاوس وسعيد بن جبير والشعبي وهو اختيار الشافعي واصحابه وقول ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) قال الشافعي اخبرنا سفيان بن عيينة عن الزهري قال زعم اهل العراق ان شهادة القاذف لا تجوز فاشهد لاخبرني سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب قال لأبي بكرة لما شهد على المغيرة بن شعبة تب تقبل شهادتك او ان تبت تقبل شهادتك فابى أبو بكرة ان يكذب نفسه وقال الزجاج ليس القاذف بأشد جرما من الكافر والكافر إذا اسلم قبلت شهادته فالقاذف ايضا حقه إذا تاب ان تقبل شهادته يعضد هذا القول ان المتكلم بالفاحشة لا ينبغي ان يكون اعظم جرما من مرتكبها ولا خلاف في العاهر انه إذا تاب قبلت شهادته فالقاذف إذا تاب ونزع مع انه ايسر جرما يجب ان تقبل شهادته وقال الحسن يجلد القاذف وعليه ثيابه ويجلد الرجل قائما والمرأة قاعدة وهو المروي عن ابي جعفر (ع) ومن شرط توبة القاذف ان يكذب نفسه فيما قاله فإن لم يفعل ذلك لم يجز قبول شهادته وبه قال الشافعي وقيل انه لا يحتاج إلى ذلك وهو قول مالك والآية وردت في النساء وحكم الرجال حكمهن ذلك في الاجماع وإذا كان القاذف عبدا او امة فالحد اربعون جلدة عند اكثر الفقهاء وروى اصحابنا ان الحد ثمانون في الحر والعبد سواء وظاهر الآية يقتضي ذلك وبه قال عمر بن عبد العزيز والقاسم بن عبد الرحمن

قوله تعالى (٦) وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ ٱلصَّادِقِينَ (٧) وَٱلْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ ٱلْكَاذِبِينَ (٨) وَيَدْرَؤُا عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِٱللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ ٱلْكَاذِبِينَ (٩) وَٱلْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ (١٠) وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر فشهادة احدهم اربع شهادات بالرفع والباقون اربع شهادات بالنصب وقرأ حفص والخامسة الثانية بالنصب والباقون بالرفع وقرأ نافع ان ساكنة النون لعنة الله بالرفع وان غضب الله عليها بكسر الضاد ورفع الله وقرأ يعقوب أن لعنة الله وان غضب الله برفع لعنة وغضب جميعا والباقون ان لعنة الله وان غضب الله بالتشديد والنصب في الموضعين

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من نصب اربع شهادات نصبه بالشهادة وينبغي ان يكون قوله شهادة احدهم مبتيا على ما يكون مبتدأ تقديره فالحكم أو فالفرض ان تشهد اربع شهادات او فعليهم أن يشهدوا وان شئت حملته على المعنى لأن المعنى يشهد احدهم وقوله بالله يجوز ان يكون من صلة الشهادة لأنك اوصلتها بالشهادة ومن صلة شهادات إذا نصبت الاربع وقياس من اعمل الثاني ان يكون قوله بالله من صلة شهادات وحذف من الأول لدلالة الثاني عليه كما تقول ضربت وضربني زيد ومن رفع فقال شهادة احدهم اربع شهادات بالله فإن الجار والمجرور من صلة شهادات ولا يجوز أن يكون من صلة شهادة لأنك إن وصلتها بالشهادة فقد فصلت بين الصلة والموصول ألا ترى أن الخبر الذي هو اربع شهادات يفصل قوله انه لمن الصادقين في قول من نصب اربع شهادات يجوز أن يكون من صلة شهادة احدهم فتكون الجملة التي هي انه لمن الصادقين في موضع نصب لأن الشهادة كالعلم فيتعلق بها ان كما يتعلق بالعلم والجملة في موضع نصب بأنه مفعول به واربع شهادات ينتصب انتصاب المصدر ومن رفع اربع شهادات لم يكن انه لمن الصادقين إلا من صلة شهادات دون صلة شهادة لأنك ان جعلته من صلة شهادة فصلت بين الصلة والموصول ومن قرأ ان لعنة الله عليه وان غضب الله عليها فمعناه انه لعنة الله عليه وانه غضب الله عليها خففت الثقيلة المفتوحة على اضمار القصة والحديث ولا تكون في ذلك كالمكسورة لأن الثقيلة المفتوحة موصولة والموصول يتشبث بصلته اكثر من تشبث غير الموصول بما يتصل به وأهل العربية يستقبحون ان تلي الفعل حتى يفصل بينها وبين الفعل بشيء ويقولون استقبحوا ان تحذف ويحذف ما تعمل فيه وان تلي ما لم تكن تليه من الفعل بلا حاجز بينهما فتجتمع هذه الاتساعات فيها فإن فصل بينها وبين الفعل بشيء لم يستقبحوا ذلك كقوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى وقوله أفلا يرون الا يرجع اليهم قولا وعلمت ان قد قام فإن قلت فقد جاء وان ليس للإنسان إلا ما سعى وجاء نودي ان بورك من في النار ومن حولها فالجواب فإن ليس يجري مجرى ما ونحوها مما ليس بفعل وأما قوله نودي ان بورك فإن قوله بورك على معنى الدعاء فلم يجز دخول لا ولا قد ولا السين ولا شيء مما يصح دخوله الكلام فيصح به الفصل ووجه قراءة نافع ان ذلك قد جاء في الدعاء ولفظه لفظ الخبر وقد يجيء في الشعر وان لم يكن شيء يفصل بين ان وبين ما تدخل عليه من الفعل فإن قلت فلم لا تكون ان في قوله ان غضب الله ان الناصبة للفعل وصل بالماضي فيكون كقراءة من قرأ وامرأة مؤمنة أن وهبت نفسها للنبي فإن ذلك لا يسهل الا ترى انها متعلقة بالشهادة والشهادة بمنزلة العلم لا تقع بعدها الناصبة

﴿ النزول ﴾

الضحاك عن ابن عباس قال لما نزلت الآية والذين يرمون المحصنات قال عاصم بن عدي يا رسول الله

إن رأى رجل منا مع امرأته رجلا فأخبر بما رأى جلد ثمانين وان التمس اربعة شهداء كان الرجل قد قضى حاجته ثم مضى قال كذلك انزلت الآية ياعاصم قال فخرج سامعا مطيعا فلم يصل إلى منزله حتى استقبله هلال بن امية يسترجع فقال ماوراءك قال شر وجدت شريك بن سحما على بطن امرأتي خولة فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره هلال بالذي كان فبعث اليها فقال ما يقول زوجك فقالت يارسول الله إن ابن سمحا كان يأتينا فينزل بنا فيتعلم الشيء من القرآن فربما تركه عندي وخرج زوجي فلا ادري ادركته الغيرة ام بخل علي بالطعام فأنزل الله آية اللعان والذين يرمون ازواجهم الآيات وعن الحسن قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية قال سعد بن عبادة يارسول الله ارأيت ان رأى رجل مع امرأته رجلا فقتله تقتلونه وان اخبر بما رأى جلد ثمانين افلا يضربه بالسيف فقال رسول الله ﷺ كفى بالسيف شاه اراد ان يقول شاهدا ثم امسك وقال لولا ان يتابع فيه السكران والغيران وفي رواية عكرمة عن ابن عباس قال سعد بن عبادة لو اتيت لكاع وقد يفخذها رجل لم يكن لي ان اهيجه حتى آتي بأربعة شهداء فوالله ما كنت لآتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب وان قلت ما رأيت ان في ظهري لثمانين جلدة فقال النبي ﷺ يامعشر الانصار ما تسمعون إلى ما قال سيدكم فقالوا لا تلمه فإنه رجل غيور ما تزوج امرأة قط إلا بكرا ولا طلق امرأة له فاجترى رجل منا ان يتزوجها فقال سعد بن عبادة يارسول الله بأبي انت وامي والله اني لأعرف انها من الله وأنها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبرتك فقال فإن الله يأبى إلا ذاك فقال صدق الله ورسوله فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن امية من حديقة له قد رأى رجلا مع امرأته فلما اصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال اني جئت اهلي عشاء فوجدت معها رجلا رأيته بعيني وسمعته باذني فكره ذلك رسول الله ﷺ حتى رأى الكراهة في وجهه فقال هلال إني لأرى الكراهة في وجهك والله يعلم اني لصادق واني لأرجو ان يجعل الله فرجا فهم رسول الله بضربه وقال واجتمعت الانصار وقالوا ابتلينا بما قال سعد أيجلد هلال وتبطل شهادته فنزل الوحي وامسكوا عن الكلام حين عرفوا أن الوحي قد نزل فأنزل الله تعالى والذين يرمون ازواجهم الآيات فقال ﷺ ابشر ياهلال فإن الله تعالى قد جعل فرجا فقال قد كنت ارجو ذاك من الله تعالى فقال ﷺ ارسلوا اليها فجاءت فلاعن بينهما فلما انقضى اللعان فرق بينهما وقضى ان الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله ﷺ ان جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وان جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم حكم القذف للأجنبيات عقبه بحكم القذف للزوجات فقال (والذين يرمون ازواجهم) بالزنا (ولم يكن لهم شهداء) يشهدون لهم على صحة ما قالوا (إلا انفسهم فشهادة احدهم اربع شهادات) قال الزجاج معناه فشهادة احدهم التي تدرأ حد القاذف اربع شهادات ومن نصب فمعناه فالذي يدرأ عنهم العذاب ان يشهد احدهم اربع شهادات (بالله انه لمن الصادقين) فيما رماها به من الزنا (والخامسة) اي والشهادة الخامسة (ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين) فيما رماها به من الزنا والمعنى ان الرجل يقول اربع مرات مرة بعد مرة اخرى اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما ذكرت عن هذه المرأة من الفجور فإن هذا حكم خص الله به الأزواج في قذف نسائهم فتقوم الشهادات الاربع مقام الشهود الاربعة في دفع حد القذف عنهم

ثم يقول في المرة الخامسة لعنة الله علي ان كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنا (ويدرؤ عنها العذاب) ويدفع عن المرأة حد الزنا (ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين) معناه ان تقول المرأة اربع مرات مرة بعد اخرى اشهد بالله انه لمن الكاذبين فيما قذفني به من الزنا (والخامسة ان غضب الله عليها) اي وتقول في الخامسة غضب الله علي (إن كان من الصادقين) فيما قذفني به من الزنا ثم يفرق الحاكم بينهما ولا تحل له ابداً وكان عليها العدة من وقت لعانها (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله تواب حكيم) جواب لولا محذوف تقديره ولولا فضل الله عليكم بالنهي عن الزنا والفواحش واقامة الحدود لتهالك الناس ولفسد النسل وانقطع الانساب عن ابي مسلم وقيل معناه لولا افضال الله وانعامه عليكم وان الله عواد على من يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم فيما فرضه من الحدود لنال الكاذب منهما عذاب عظيم اي لبين الكاذب منهما فيقام عليه الحد وقيل لعاجلكم بالعقوبة ولفضحكم بما تركبون من الفاحشة ومثله قوله لو رأيت فلانا وفي يده السيف والمعنى لرأيت شجاعا او لرأيت امرا هائلا وقال جرير

كذب العواذل لو رأين مناخنا بجزيز رامة والمطي سوام

وجاء في المثل لو ذات سوار لطمتني

قوله تعالى (١١) إِنَّ ٱلَّذِينَ جَاۤءُوا بِٱلإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ مَا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلإِثْمِ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٢) لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٣) لَوْلاَ جَاۤءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاۤءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِٱلشُّهَدَاۤءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَاذِبُونَ (١٤) وَلَوْلاَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٥) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ خمس آيات

❋ القراءة ❋

قرأ يعقوب كبره بضم الكاف وهو قراءة ابي رجا وحميد الأعرج وقراءة القراء كبره بكسر الكاف وفي الشواذ قراءة عائشة وابن عباس وابن يعمر اذ تلقونه وقراءة ابن السميقع تلقونه والقراءة المشهورة تلقونه

❋ الحجة ❋

من ضم كبره أراد عظمه ومن كسر أراد وزره وإثمه قال قيس بن الخطيم

تنام عن كبر شانها فإذا قامت رويدا تكاد تنغرف

أي عن معظم شانها واما قوله تلقونه فمعناه تسرعون فيه وتخفون اليه قال الراجز «جاءت به عنس من الشام تلق» أي تخف واصله تلقون فيه او اليه فحذف حرف الجر فوصل الفعل الى المفعول وقيل ان الولق الكذب فكان الكاذب يستمر في الكذب ويسرع فيه وجاء في حديث علي(ع) كذبت وولقت واما تلقونه فمعناه تلقونه بأفواهكم واما تلقّونه فهو من تلقيت الحديث من فلان أي أخذته منه وقبلته

﴿ النزول ﴾

روى الزهري عن عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وغيرهما عن عائشة انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد سفراً اقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها فاقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج فيها سهمي وذلك بعدما أنزل الحجاب فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى فرغ من غزوه وقفل وروي انها كانت غزوة بني المصطلق من خزاعة قالت ودنونا من المدينة فقمت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت شأني اقبلت الى الرحل فلمست صدرتي فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاوءه واقبل الرهط الذي كانوا يرحلونني فحملوا هودجي على بعيري الذي كنت اركب وهم يحسبون اني فيه وكانت النساء إذ ذاك خفافاً لم يهبلهن اللحم ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العلقة من الطعام فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي وجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فسموت منزلي الذي كنت فيه وظننت ان القوم سيفقدوني فيرجعون إلي فبينا انا جالسة إذ غلبتني عيناي فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي قد عرس من وراء الجيش فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رآني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله ما كلمني بكلمة حتى أناخ راحلته فركبتها فانطلق يقود الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في حر الظهيرة فهلك من هلك فيّ وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابي سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمتها شهراً والناس يفيضون في قول اهل الإفك ولا إشعر بشيء من ذلك وهو يرثيني في وجعي غير اني لا اعرف من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكي إنما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تيكم فذلك يحزنني ولا اشعر بالسر حتى خرجت بعدما نقهت وخرجت معي أم مسطح قبل المصانع وهو متبرزنا ولا نخرج الا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف وامرنا أمر العرب الأول في التنزه وكنا نتأذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا وانطلقت انا وأم مسطح وأمها بنت صخرة ابن عامر خالة ابي فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بئس ما قلت أتسبين رجلا قد شهد بدرا فقالت اي بنتاه ألم تسمعي ما قال قلت وماذا قال فأخبرتني بقول اهل الإفك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال كيف تيكم قلت تأذن لي أن آتي ابوي قالت وانا اريد ان أتيقن الخبر من قبله فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجئت ابوي وقلت لأمي يا أمه ماذا يتحدث الناس فقالت أي بنية هوني عليك فوالله لقل ما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها قلت سبحان الله أو قد يحدث الناس بهذا قالت نعم فمكثت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم ثم اصبحت ابكي ودعا رسول الله اسامة بن زيد وعلي بن ابي طالب(ع) حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله فأما اسامة فأشار على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالذي علم من براءة أهله وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود فقال يا رسول الله هم أهلك ولا نعلم إلا خيرا فأما علي بن ابي طالب عليه أفضل الصلوات فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثيرة وان تسأل الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بريرة فقال يا بريرة هل رأيت شيئا يريبك من عائشة قالت بريرة والذي بعثك بالحق ان رأيت عليها امرا قط اغمضه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها قالت وأنا والله اعلم اني بريئة وما كنت أظن ان ينزل في شأني وحي يتلى ولكني كنت ارجو ان يرى رسول الله روءيا يبرئني

الله بها فأنزل الله تعالى على نبيه وأخذه ماكان يأخذه من برحاء الوحي حتى انه لينحدر عنه مثل الجمان من العرق في اليوم الثاني من ثقل القول الذي أنزل عليه فلما سري عن رسول الله ﷺ قال ابشري ياعائشة أما الله فقد برأك فقالت لي امي قومي اليه فقلت والله لا أقوم اليه ولا احمد إلا الله فهو الذي أنزل براءتي فأنزل الله تعالى ان الذين جاؤا بالافك الآيات العشر

المعنى

(ان الذين جاؤا بالافك) اي بالكذب العظيم الذي قلب فيه الامر عن وجهه (عصبة منكم) أيها المسلمون قال ابن عباس وعائشة منهم عبد الله بن ابي سلول وهو الذي تولى كبره ومسطح بن اثاثة وحسان ابن ثابت وحمنة بنت جحش (لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم) هذا خطاب لعائشة وصفوان لأنهما قصدا بالافك ولمن اغتم بسبب ذلك وخطاب لكل من رمى بسبب عن ابن عباس اي لا تحسبوا غم الافك شراً لكم بل هو خير لكم لأن الله تعالى يبرئ عائشة ويأجرها بصبرها واحتسابها ويلزم اصحاب الافك ما استحقوه بالاثم الذي ارتكبوه في أمرها وقال الحسن هذا خطاب للقاذفين من المؤمنين والمعنى لا تحسبوا ايها القذفة هذا التأديب شرا لكم بل هو خير لكم فإنه يدعوكم إلى التوبة ويمنعكم عن المعاودة الى مثله (لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم) اي لكل امرئ من القذفة جزاء ما اكتسبه من الإثم بقدر ماخاض وافاض فيه وقيل معناه على كل امرئ منهم عقاب ما اكتسب كقوله وان أسأتم فلها اي فعليها (والذي تولى كبره) اي تحمل معظمه (منهم له عذاب عظيم) المراد به عبد الله بن ابي سلول اي فإنه كان رأس اصحاب الافك كان يجتمع الناس عنده ويحدثهم بحديث الافك ويشيع ذلك بين الناس ويقول قال امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جاء يقودها والله ما نجت منه ولا نجا منها والعذاب العظيم عذاب جهنم في الآخرة وقيل المراد به مسطح بن اثاثة وقيل حسان بن ثابت فإنه روي انه دخل على عائشة بعد ما كف بصره فقيل لها انه يدخل عليك وقد قال فيك ما قال وقد قال الله تعالى والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم فقالت عائشه اليس قد كف بصره فأنشد حسان قوله فيها

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم القوافل

فقالت عائشة لكنك لست كذلك (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا) معناه هلا حين سمعتم هذا الافك من القائلين له ظن المؤمنون والمؤمنات بالذين هم كأنفسهم خيرا لأن المؤمنين كلهم كالنفس الواحدة فيما يجري عليها من الامور فإذا جرى على احدهم محنة فكأنها جرت على جماعتهم فهو كقوله فسلموا على انفسكم عن مجاهد وعلى هذا يكون خطابا لمن سمعه فسكت ولم يصدق ولم يكذب وقيل هو خطاب لمن اشاعه والمعنى هلا إذا سمعتم هذا الحديث ظننتم بها ما تظنونه بانفسكم لو خلوتم بها وذلك لأنها كانت ام المؤمنين ومن خلا بامه فإنه لا يطمع فيها وهي لا تطمع فيه (وقالوا هذا إفك مبين) اي وهلا قالوا هذا القول كذب ظاهر (لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء) اي هلا جاءوا على ما قالوه ببينة وهي اربعة شهداء يشهدون بما قالوه (فإذ لم يأتوا بالشهداء) اي فحين لم يأتوا بالشهداء (فأولئك) الذين قالوا هذا الافك (عند الله) اي في حكمه (هم الكاذبون) ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة) بأن امهلكم لتتوبوا ولم يعاجلكم بالعقوبة (لمسكم) اي اصابكم (فيما افضتم) اي خضتم (فيه) من الافك (عذاب

عظيم) اي عذاب لا انقطاع له عن ابن عباس ثم ذكر الوقت الذي كان يصيبهم العذاب فيه لولا فضله فقال (إذ تلقونه بألسنتكم) أي يرويه بعضكم عن بعض عن مجاهد ومقاتل وقيل معناه تقبلونه من غير دليل ولذلك اضافه إلى اللسان وقيل معناه يلقيه بعضكم إلى بعض عن الزجاج (وتقولون بأفواهكم ماليس لكم به علم وتحسبونه هينا) اي تظنون ان ذلك سهل لا اثم فيه (وهو عند الله عظيم) في الوزر لأنه كذب وافتراء

قوله تعالى (١٦) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٧) يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٨) وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٩) إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٠) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ خمس آيات

«المعنى»

ثم زاد سبحانه في الانكار عليهم فقال (ولولا إذ سمعتموه قلتم) اي هلا قلتم حين سمعتم ذلك الحديث (ما يكون لنا ان نتكلم بهذا) اي لا يحل لنا ان نخوض في هذا الحديث وما ينبغي لنا ان نتكلم به (سبحانك) ياربنا (هذا) الذي قالوه (بهتان عظيم) اي كذب وزور عظيم عقابه او نتحير من عظمه وقيل انه سبحانك هنا معناه التعجب كقول الاعشى «سبحان من علقمة الفاجر» وقيل معناه ننزهك ربنا من ان نعصيك بهذه المعصية ثم وعظ سبحانه الذين خاضوا في الافك فقال (يعظكم) اي ينهاكم الله عن مجاهد وقيل يحرم الله عليكم (ان تعودوا لمثله) عن ابن عباس وقيل معناه كراهة ان تعودوا او لئلا تعودوا إلى مثله من الافك (ابدا) اي طول اعماركم (إن كنتم مؤمنين) اي مصدقين بالله ونبيه قابلين موعظة الله (ويبين الله لكم الآيات) في الأمر والنهي (والله عليم) بما يكون منكم (حكيم) فيما يفعله لا يضع الشيء إلا في موضعه ثم هدد القاذفين فقال (إن الذين يحبون ان تشيع الفاحشة) اي يفشوا ويظهروا الزنا والقبائح (في الذين آمنوا) بأن ينسبوها اليهم ويقذفوهم بها (لهم عذاب أليم في الدنيا) بإقامة الحد عليهم (والآخرة) وهو عذاب النار (والله يعلم) ما فيه من سخط الله وما يستحق عليه من المعاقبة (وانتم لا تعلمون) ذلك ثم ذكر فضله ومنته عليهم فقال (ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤوف رحيم) لعاجلكم بالعقوبة ولكنه برحمته امهلكم لتتوبوا وتندموا على ما قلتم وجواب لولا محذوف لدلالة الكلام عليه

﴿ النظم ﴾

لما بين سبحانه احكام قذف المحصنات وعظم امره عقب ذلك بأحكام قذف الزوجات ثم عطف بعد ذلك قذف الامهات فإن ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم امهات المؤمنين بدلالة قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين الآية

قوله تعالى (٢١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنْكُمْ مِنْ

أَحَدٍ أَبَداً وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢) وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا ٱلْفَضْلِ مِنْكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَاتِ ٱلْغَافِلَاتِ ٱلْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٤) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٥) يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ خمس آيات

القراءة

قرأ روح عن يعقوب ما زكى منكم بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ ابو جعفر ولا يتأل وهو قراءة زيد بن اسلم وابي رجا وابي مجاز والباقون لا يأتل وروي عن علي (ع) ولتعفوا ولتصفحوا بالتاء كما يروى بالياء ايضا وقرأ اهل الكوفة غير عاصم يوم يشهد عليهم بالياء والباقون تشهد وفي الشواذ قراءة مجاهد وابي روق يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق بالرفع

الحجة

الوجه في قوله ما زكى بالتشديد انه قال والله يزكي وأما قوله ولا يتأل فإنه من تألى إذا حلف وفي الحديث ومن يتأل على الله يكذبه وهو الذي يحلف فيقول والله لا يدخل فلان الجنة وفلان النار وانشد الاصمعي «عجاجة هجاجة تألى لاصبحن الاحقر الأذلا» واما لا يأتل ففيه ثلاثة أقوال * احدها * من الالية التي هي اليمين ايضا يقال ايتلى وتألى والى بمعنى والآخر انه من قولهم ما الوت في كذا اي ما قصرت والمعنى ولا يقصر وقال الأخفش انه يحتمل الأمرين وقوله ولتعفوا ولتصفحوا بالتاء مثل ما روي فلتفرحوا بالتاء على الاصل وقد تقدم القول فيه ومن قرأ يوم يشهد بالياء فلأن تأنيث الألسنة ليس بحقيقي ولأنه حصل بين الفاعل والفاعل فصل ومن قرأ بالتاء فعلى ان الألسنة مؤنثة ومن قرأ الحق بالرفع جعله وصفا لله تعالى اي يوفيهم الله الحق دينهم مثل قوله إلى الله مولاهم الحق

النزول

قيل ان قوله ولا يأتل اولوا الفضل منكم الآية نزلت في ابي بكر ومسطح بن اثاثة وكان ابن خالة ابي بكر وكان من المهاجرين ومن جملة البدريين وكان فقيرا وكان ابو بكر يجري عليه ويقوم بنفقته فلما خاض في الافك قطعها وحلف لا ينفعه بنفع ابدا فلما نزلت الآية عاد ابو بكر إلى ما كان وقال والله اني لأحب ان يغفر الله لي والله لا انزعها عنه ابدا عن ابن عباس وعائشة وابن زيد وقيل نزلت في يتيم كان في حجر ابي بكر حلف لا ينفق عليه عن الحسن ومجاهد وقيل نزلت في جماعة من الصحابة اقسموا على ان لا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الافك ولا يواسوهم عن ابن عباس وغيره

المعنى

ثم نهى سبحانه عن اتباع الشيطان فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان) اي آثاره وطرقه التي تؤدي إلى مرضاته وقيل وساوسه (ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر) هذا بيان

سبب المنع من اتباعه (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) بأن لطف لكم وامر كم بما تصيرون به ازكياء ونها كم عما تصيرون بتركه ازكياء (مازكى منكم من احد ابدا) اي ماصار منكم احد زكيا ومن في من احد مزيدة وقيل معناه ماطهر منكم احد من وسوسة الشيطان وما صلح (ولكن الله يزكي من يشاء) اي يطهر بلطفه من يشاء وهو من له لطف يفعله سبحانه به ليزكو عنده (والله سميع عليم) يفعل المصالح والألطاف بالمكلفين لأنه يسمع اصواتهم واقوالهم ويعلم احوالهم وافعالهم وفي الآية دلالة على ان الله سبحانه يريد من خلقه خلاف ما يريده الشيطان لأنه اذا ذم سبحانه الأمر بالفحشاء والمنكر فخالق الفحشاء والمنكر ومريدهما اولى بالذم تعالى وتقدس عن ذلك وفيها دلالة على ان احدا لا يصلح إلا بلطفه (ولا يأتل) اي ولا يحلف اولا يقصر ولا يترك (اولوا الفضل منكم والسعة) اي وأولو الغنى والسعة في المال (ان يوءتوا اولي القربى) قال الزجاج معناه ان لا يوءتوا فحذف لا اي لا يحلفوا ان لا يوءتوا وقيل لا يقصروا ان يوءتوا ولا يتركوا جهدا في الانفاق على اقربائهم (والمساكين والمهاجرين في سبيل الله) وقد اجتمع في مسطح الصفات الثلاث كان قريبا لابي بكر مسكينا مهاجرا قال الجبائي وفي قصة مسطح دلالة على انه قد يجوز ان تقع المعاصي ممن شهد بدرا بخلاف قول النوابت (وليعفوا وليصفحوا) هذا امر من الله تعالى للمرادين بالآية بالعفو عمن اساء اليهم والصفح عنهم وقال لهم (الا تحبون ان يغفر الله لكم) معاصيكم جزاء على عفوكم وصفحكم عمن اساء اليكم (والله غفور رحيم إن الذين يرمون المحصنات) اي يقذفون العفائف من النساء (الغافلات) عن الفواحش (المؤمنات) بالله ورسوله واليوم الآخر (لعنوا في الدنيا والآخرة) اي ابعدوا من رحمة الله في الدارين وقيل استحقوا اللعنة فيهما وقيل عذبوا في الدنيا بالجلد ورد الشهادة وفي الآخرة بعذاب النار (ولهم) مع ذلك (عذاب عظيم) وهذا الوعيد عام لجميع المكلفين عن ابن عباس وابن زيد (يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وارجلهم بما كانوا يعملون) بين الله سبحانه أن ذلك العذاب يكون في يوم تشهد السنتهم فيه عليهم بالقذف وسائر امعائهم بمعاصيهم وفي كيفية شهادة الجوارح اقوال ✻ احدها ✻ ان الله تعالى يبنيها بنية يمكنها النطق والكلام من جهتها فتكون ناطقة ✻ والثاني ✻ ان الله تعالى يفعل فيها كلاما يتضمن الشهادة فيكون المتكلم هو الله دون الجوارح واضيف الكلام اليها على التوسع لأنها محل الكلام ✻ والثالث ✻ ان الله تعالى يجعل فيها علامة تقوم مقام النطق بالشهادة واما شهادة الالسن فبأن يشهدوا بألسنتهم اذ رأوا انه لا ينفعهم الجحود واما قوله اليوم نختم على افواههم فإنه يجوز ان تخرج الألسنة ويختم على الافواه ويجوز ان يكون الختم على الافواه في حال شهادة الأيدي والأرجل (يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق) أي يتمم الله لهم جزاءهم الحق فالدين هنا بمعنى الجزاء ويجوز أن يكون المراد جزاء دينهم الحق فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه (ويعلمون أن الله هو الحق) أي يعلمون الله ضرورة في ذلك اليوم ويقرون انه الحق لأنه يقضي بالحق ويعطي بالحق ويأخذ بالحق (المبين) أي الذي يظهر لهم حقائق الامور ويبين جلائل الآيات

✻ النظم ✻

بدء سبحانه فبين حكم القاذف اولا وأوجب عليه الحدود ورد شهادته وسماه فاسقا فعلم ان المراد به أهل الملة ثم عقبه بحديث الإفك لاتصاله به ثم ذكر صنفا آخر من القذفة وهم المنافقون بقوله إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وبين ما لهم من الغضب واللعنة ثم عم الجميع بالوعيد في قوله إن الذين يرمون

المحصنات الآيات عن ابي مسلم

قوله تعالى (٢٦) اَلْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٨) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٩) لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ اربع آيات

﴿ اللغة ﴾

الاستيناس طلب الأنس بالعلم أو غيره تقول العرب إذهب فاستأنس هل ترى احدا ومنه قوله فإن آنستم منهم رشدا أي علمتم وروي عن ابن عباس انه قال إنما هي تستأذنوا يعني قوله تستأنسوا وكذلك يروى عن عبد الله وروي عن أبي حتى تسلموا وتستأنسوا وكذلك قرأ ابن عباس

﴿ المعنى ﴾

قال سبحانه (الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات) قيل في معناه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان الخبيثات من الكلم للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من الكلم والطيبات من الكلم للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من الكلم ألا ترى انك تسمع الخبيث من الرجل الصالح فتقول غفر الله لفلان ما هذا من خلقه ولا مما يقول عن ابن عباس والضحاك ومجاهد والحسن ﴿ والثاني ﴾ ان معناه الخبيثات من السيئات للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من السيئات والطيبات من الحسنات للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من الحسنات عن ابن زيد ﴿ والثالث ﴾ الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء والطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء عن ابي مسلم والجبائي وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) قالا هي مثل قوله الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة الآية ان أناسا هموا أن يتزوجوا منهن فنهاهم الله عن ذلك وكره ذلك لهم (أولئك مبرؤون مما يقولون) أي الطيبون مبرؤون أي منزهون من الكلام الخبيث عن مجاهد وقال الفراء يعني به عائشة وصفوان بن المعطل وهو بمنزلة قوله تعالى فإن كان له أخوة والأم تحجب بالاخوين فجاء على تغليب لفظ الجمع (لهم مغفرة) أي لهؤلاء الطيبين من الرجال والنساء مغفرة من الله لذنوبهم (ورزق كريم) اي عطية من الله كريمة في الجنة ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا) اي حتى تستأذنوا عن ابن مسعود وابن عباس قال اخطأ الكاتب فيه وكان يقرأ حتى تستأذنوا وقيل تستأنسوا بالتنحنح والكلام الذي يقوم مقام الاستيذان وقد بين الله تعالى ذلك في قوله وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا عن مجاهد والسدي وقيل معناه حتى تستعلموا وتتعرفوا عن ابي ايوب الأنصاري قال قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتحميدة والتكبيرة ويتنحنح على أهل البيت وعن سهل بن سعد قال اطلع رجل في حجرة من حجر رسول الله فقال رسول الله ﷺ ومعه مدرى يحك به رأسه او أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينيك إنما الاستيذان من النظر وروي ان رجلا قال للنبي ﷺ أستأذن على أمي فقال نعم قال انها ليس لها خادم غيري أفأستأذن عليها كلما دخلت قال أتحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال

فاستأذن عليها (وتسلموا على أهلها) قيل ان فيه تقديما وتأخيرا تقديره حتى تسلموا على أهلها وتستأنسوا وتستأذنوا فإن أذن لكم فادخلوا وقيل معناه حتى تستأنسوا بأن تسلموا فقد روي ان رجلا استأذن على رسول الله ﷺ فتنحنح فقال رسول الله ﷺ لامرأة يقال لها روضة قومي إلى هذا فعلميه وقولي له قل السلام عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل (ذلكم خير لكم) معناه ذلك الدخول بالاستيذان خير لكم (لعلكم تذكرون) مواعظ الله وأوامره ونواهيه فتتبعونها (فإن لم تجدوا) معناه فإن لم تعلموا (فيها أحدا) يأذن لكم في الدخول (فلا تدخلوها) لأنه ربما كان فيها ما لا يجوز أن تطلعوا عليه (حتى يؤذن لكم) أي حتى يأذن لكم ارباب البيوت في ذلك بين الله سبحانه بهذا انه لا يجوز دخول دار الغير بغير إذنه وإن لم يكن صاحبها فيها ولا يجوز أن يتطلع إلى المنزل ليرى من فيه فيستأذنه إذا كان الباب مغلقا لقوله «ع» إنما جعل الاستيذان لأجل النظر إلا أن يكون الباب مفتوحا لأن صاحبه بالفتح أباح النظر (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا) أي فانصرفوا ولا تلجوا عليهم وذلك بأن يأمروكم بالانصراف صريحا او يوجد منهم ما يدل عليه (هو ازكى لكم) معناه ان الانصراف انفع لكم في دينكم ودنياكم واطهر لقلوبكم واقرب إلى ان تصيروا ازكياء (والله بما تعملون عليم) أي عالم بأعمالكم لا يخفى عليه شيء منها ثم قال سبحانه (ليس عليكم جناح) اي حرج وإثم (ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة) يعني بغير استئذان (فيها متاع لكم) قيل في معنى هذه البيوت اقوال ❁ احدها ❁ انها الخانات والحامات والارحية عن الصادق «ع» وعن محمد بن الحنفية وقتادة ويكون معنى متاع لكم اي استمتاع لكم ❁ الثاني ❁ انها الخرابات المعطلة ويدخلها الانسان لقضاء الحاجة عن عطا ❁ والثالث ❁ انها الحوانيت وبيوت التجار التي فيها امتعة الناس عن ابن زيد قال الشعبي واذنهم انهم جاءوا ببيوعهم فجعلوها فيها وقالوا للناس هلموا ❁ والرابع ❁ انها مناخات الناس في اسفارهم يرتفقون بها عن مجاهد والاولى حمله على الجميع (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) لا يخفى عليه شيء من ذلك

❁ النظم ❁

وجه اتصال الآية بما قبلها انه سبحانه لما عظم شأن الزنا والقذف اكد ذلك بالنهي عن دخول بيوت الناس إلا بعد الاستئذان والاستئناس ليكونوا أبعد من التهمة واقرب إلى العصمة من السيئة

قوله تعالى (٣٠) قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣١) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ آيتان

❁ القراءة ❁

قرأ ابو جعفر وابن عامر وابو بكر غير اولي الاربة بالنصب والباقون بالجر وقرأ ابن عامر أيه المؤمنين ويا أيه الساحر وايه الثقلان بضم الهاء والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي غير فيمن جر صفة للتابعين والمعنى لا يبدين زينتهن إلا للتابعين الذين لا اربة لهم في النساء والاربة الحاجة لانهم في انهم لا اربة لهم كالأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء اي لم يقووا عليها ومنه قوله فاصبحوا ظاهرين وجاز وصف التابعين بغير لأنهم غير مقصودين باعيانهم فاجري لذلك مجرى النكرة وقد قيل ان التابعين جاز أن يوصفوا بغير في هذا لقصر الوصف على شيء بعينه فإذا قصر على شيء بعينه زال الشياع عنه فاختص فالتابعون ضربان ذو اربة وغير ذي اربة وليس ثالث و إذا كان كذلك جاز لاختصاصه ان يجري وصفا على المعرفة وعلى هذا الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم وكذلك لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر لأن المسلمين وغيرهم لا يخلو من أن يكونوا اصحاء او زمنى فإذا وصفوا بأحد الشيئين زال الشياع فساغ الوصف به لذلك ومن نصب غير احتمل ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون استثناء والتقدير لا يبدين زينتهن إلا التابعين الا ذا الاربة منهم فإنهن لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا اربة ﴿ والآخر ﴾ ان يكون حالا المعنى او الذين يتبعونهن عاجزين عنهن وذو الحال ما في التابعين من الذكر وقال الوقف على يأيها وايها بالألف لانها إنما اسقطت لسكونها وسكون لام المعرفة فإذا وقف عليها زال التقاء الساكنين وظهرت الألف فأما ضم الهاء في قراءة ابن عامر فلا يتجه لأن آخر الاسم هو الياء الثانية من اي فينبغي ان يكون المضموم آخر الاسم ولو جاز ان يضم هذا من حيث كان مضموما إلى الكلمة لجاز ان يضم الميم من اللهم لأنه آخر الكلمة ووجه الاشكال والشبهة في ذلك انه وجد هذا الحرف قد صار في بعض المواضع التي يدخل فيها بمنزلة ما هو من نفس الكلمة نحو مررت بهذا الرجل وغلام هذه المرأة فلما وجدها في أوائل المبهمة كذلك جعلها في الآخر ايضا بمنزلة شيء من نفس الكلمة واستجاز حذف الألف اللاحق للحرف لما رآه قد حذف في قولهم هلم فأجري عليه الاعراب لما كان كالشيء الذي من نفس الكلمة فإن قلت فإنه قد حرك الياء التي قبلها بالضم في يأيها الرجل فإنه يجوز ان نقول حركة اي في هذه المواضع كحركات الاتباع في نحو امرئ وامرؤ فهذا وجه شبهته

﴿ اللغة ﴾

اصل الغض النقصان يقال غض من صوته ومن بصره اي نقص ومنه حديث عمرو بن العاص لما مات عبدالرحمن ابن عوف هنيئا لك خرجت من الدنيا ببطنتك لم تتغضغض منها بشيء يقال غضغضت الشيء فتغضغض إذا نقص والاربة فعلة من الأرب كالمشية والجلسة وفي الحديث إن رجلا اعترض النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليسأله فصاحوا به فقال صلى الله عليه وآله وسلم دعوا الرجل ارب ما له قال ابن الاعرابي اي احتاج فسأل ماله وقيل معناه حاجة جاءت به فدعوه وما مزيدة عن الازهري

﴿ الاعراب ﴾

يغضوا من ابصارهم مجزوم لأنه جواب شرط مقدر والتقدير قل للمؤمنين غضوا من ابصاركم فإنك إن تقل لهم يغضوا ويجوز ان يكون مجزوما على تقدير ليغضوا من ابصارهم ومثل ذلك قوله يغضضن وان لم يظهر فيه الاعراب لكونه مبنيا وما ظهر في موضع نصب على البدل من زينتهن وقوله منها من هنا للتبيين والجار والمجرور مع المحذوف في موضع نصب على الحال

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما يحل من النظر وما لا يحل منه فقال (قل) يا محمد (للمؤمنين يغضوا من ابصارهم) عما لا يحل لهم النظر اليه (ويحفظوا فروجهم) عمن لا يحل لهم وعن الفواحش وقيل ان من مزيدة وتقديره يغضوا ابصارهم عن عورات النساء وقيل انها للتبعيض لأن غض البصر إنما يجب في بعض المواضع عن ابي مسلم والمعنى ينقصوا من نظرهم فلا ينظروا إلى ما حرم وقيل انها لابتداء الغاية وقال ابن زيد كل موضع في القرآن ذكر فيه حفظ

الفروج فهو عن الزنا إلا في هذا الموضع فان المراد به الستر حتى لا ينظر اليها احد وهو المروي عن ابي عبدالله(ع) قال فلا يحل للرجل ان ينظر إلى فرج اخيه ولا يحل للمرأة أن تنظر إلى فرج اختها (ذلك ازكى لهم) اي انفع لدينهم ودنياهم واطهر لهم وانفى للتهمة واقرب إلى التقوى (إن الله خبير) اي عليم (بما يصنعون) اي بما يعملونه اي على اي وجه يعملونه (وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن) امر النساء بمثل ما امر به الرجال من غض البصر وحفظ الفرج (ولا يبدين زينتهن) اي لا يظهرن مواضع الزينة لغير محرم ومن هو في حكمه ولم يرد نفس الزينة لأن ذلك يحل النظر اليه بل المراد مواضع الزينة وقيل الزينة زينتان ظاهرة وباطنة فالظاهرة لا يجب سترها ولا يحرم النظر اليها لقوله (إلا ما ظهر منها) وفيها ثلاثة أقاويل « احدها » ان الظاهرة الثياب والباطنة الخلخالان والقرطان والسواران عن ابن مسعود « وثانيها » ان الظاهرة الكحل والخاتم والخدان والخضاب في الكف عن ابن عباس والكحل والسوار والخاتم عن قتادة «وثالثها » انها الوجه والكفان عن الضحاك وعطا والوجه والبنان عن الحسن وفي تفسير علي بن ابراهيم الكفان والأصابع (وليضربن بخمرهن على جيوبهن) والخمر المقانع جمع خمار وهو غطاء رأس المرأة المنسدل على جنبيها أمرن بالقاء المقانع على صدورهن تغطية لنحورهن فقد قيل انهن كنّ يلقين مقانعهن على ظهورهن فتبدوا صدورهن وكنى عن الصدور بالجيوب لأنها ملبوسة عليها وقيل انهن أمرن بذلك ليسترن شعورهن وقرطهن واعناقهن قال ابن عباس تغطي شعرها وصدرها وترائبها وسوالفها (ولايبدين زينتهن) يعني الزينة الباطنة التي لا يجوز كشفها في الصلاة وقيل معناه لا يضعن الجلباب والخمار عن ابن عباس (إلا لبعولتهن) أي لأزواجهن يبدين مواضع زينتهن لهم استدعاء لميلهم وتحريكا لشهوتهم فقد روي انه ﷺ لعن السلتاء من النساء والمرهاء فالسلتاء التي لا تختضب والمرهاء التي لا تكتحل ولعن المسوفة والمفسلة فالمسوفة التي إذا دعاها زوجها إلى المباشرة قالت سوف افعل والمفسلة هي التي إذا دعاها قالت انا حائض وهي غير حائض (أو آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او إخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن) وهؤلاء الذين يحرم عليهم نكاحهن فهم ذو محرم لهن بالاسباب والانساب ويدخل اجداد البعولة فيه وان علوا واحفادهم وان سفلوا يجوز ابداء الزينة لهم من غير استدعاء لشهوتهم ويجوز لهم تعمد النظر من غير تلذذ (او نسائهن) يعني النساء المؤمنات ولايحل لها أن يتجردن ليهودية او نصرانية اومجوسية إلا إذا كانت أمة وهو معنى قوله (او ما ملكت أيمانهن) اي من الاماء عن ابن جريج ومجاهد والحسن وسعيد بن المسيب قالوا ولا يحل للعبد أن ينظر إلى شعر مولاته وقيل معناه العبيد والاماء وروي ذلك عن ابي عبد الله(ع) وقال الجبائي أراد مملوكا له لم يبلغ مبلغ الرجال (او التابعين غير أولي الاربة من الرجال) اختلف في معناه فقيل التابع الذي يتبعك لينال من طعامك ولا حاجة له في النساء وهو الأبله المولى عليه عن ابن عباس وقتادة وسعيد ابن جبير وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) وقيل هو العنين الذي لا ارب له في النساء لعجزه عن عكرمة والشعبي وقيل انه الخصي المجبوب الذي لا رغبة له في النساء عن الشافعي ولم يسبق إلى هذا القول وقيل انه الشيخ الهم لذهاب اربه عن يزيد بن ابي حبيب وقيل هو العبد الصغير عن ابي حنيفة واصحابه (والطفل) اي الجماعة من الأطفال (الذين لم يظهروا على عورات النساء) يريد به الصبيان الذين لم يعرفوا عورات النساء ولم يقووا عليها لعدم شهوتهم وقيل لم يطيقوا مجامعة النساء فاذا بلغوا مبلغ الشهوة فحكمهم حكم الرجال (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) قال قتادة كانت المرأة تضرب برجلها لتسمع قعقعة الخلخال فيها فنهاهن عن ذلك وقيل معناه لا تضرب المرأة برجلها إذا مشت ليتبين خلخالها اويسمع صوته عن ابن عباس (وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون) أي تفوزون بثواب الجنة وفي الحديث انه ﷺ قال ايها الناس توبوا إلى ربكم فاني أتوب إلى الله في كل يوم مائة مرة أورده مسلم في الصحيح والمراد بالتوبة الانقطاع إلى الله تعالى

قوله تعالى (٣٢) وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٣) وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٤) وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ثلاث آيات

القراءة

في الشواذ قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير من بعد إكراههن لهن غفور رحيم وروي ذلك عن أبي عبد الله (ع)

الحجة

اللام في لهن متعلقة بغفور أي غفور لهن

اللغة

الأيامى جمع أيم وهي المرأة التي لا زوج لها سواء كانت بكرا أو ثيبا ويقال للرجل الذي لا زوجة له أيم ايضا قال جميل

أحب الأيامى إذ بثينة أيم ... وأحببت لما أن غنيت الغوانيا

وقال الشاعر

فإن تنكحي انكح وإن تتأيمي ... يدا الدهر ما لم تنكحي أتأيم

والفعل منه آمت المرأة تئيم أيمة وأيوما والانكاح التزويج يقال نكح إذا تزوج وأنكح غيره إذا زوجه والاستعفاف والتعفف سواء وهو طلب العفة واستعمالها ويقال رجل عف وامرأة عفة والكتاب والمكاتبة ان يكاتب الرجل مملوكه على مال يؤديه اليه فاذا أداه عتق وأصله من الجمع وكل شيء جمعته إلى شيء فقد كتبته ومنه الكتاب لتداني بعض حروفه إلى بعض وهنا قد جمع العبد نجوم المال وقيل جمع ماله إلى مال السيد

الإعراب

احد مفعولي انكحوا محذوف تقديره وانكحوا رجالكم الأيامى من نسائكم أو نساءكم الأيامى من رجالكم وانكحوا الصالحين من عبادكم اماءكم الصالحات او الصالحات من امائكم عبادكم الصالحين لأن الأيامى يشتمل على الرجال والنساء والصالحين يشتمل عليها ايضا وقوله منكم ومن عبادكم وامائكم الجار والمجرور في موضع نصب على الحال ومن للتبيين وكل موضع يكون من مع معموله والعامل فيه في محل النصب على الحال لا يكون إلا كذلك

المعنى

ثم أمر سبحانه عباده بالنكاح وأغناهم عن السفاح فقال (وانكحوا الأيامى منكم) ومعناه زوجوا ايها المؤمنون من لا زوج له من احرار رجالكم ونسائكم وهذا أمر ندب واستحباب وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

انه قال من أحب فطرتي فليستن بسنتي ومن سنتي النكاح وقال صلى الله عليه وآله وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباه فليتزوج فإنه أغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء وروى عطا بن السايب عن سعيد بن جبير قال لقيني ابن عباس في حجة حجها فقال هل تزوجت قلت لا قال فتزوج قال ولقيني في العام المقبل فقال هل تزوجت قلت لا فقال اذهب فتزوج فإن خير هذه الأمة كان اكثرها نساء يعني النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن ابي هريرة قال لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد للقيت الله بزوجة سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول شراركم عزابكم وقال صلى الله عليه وآله وسلم من أدرك له ولد وعنده ما يزوجه فلم يزوجه فاحدث فالاثم بينهما وعن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اربع لعنهم الله من فوق عرشه وامنت عليه ملائكته الذي يحصر نفسه فلا يتزوج ولا يتسرى لئلا يولد له والرجل يتشبه بالنساء وقد خلقه الله ذكرا والمرأة تتشبه بالرجال وقد خلقها الله أنثى ومضلل الناس يريد الذي يهزأ بهم يقول للمسكين هلم اعطك فإذا جاء يقول ليس معي شيء ويقول للمكفوف اتق الدابة وليس بين يديه شيء والرجل يسأل عن دار القوم فيضلله (والصالحين من عبادكم وامائكم) اي وزوجوا المستورين من عبيدكم وولائدكم وقيل ان معنى الصلاح ههنا الايمان عن مقاتل ثم رجع إلى الأحرار فقال (إن يكونوا فقراء) لا سعة لهم للتزويج (يغنهم الله من فضله) وعدهم سبحانه ان يوسع عليهم عند التزويج (والله واسع) المقدور كثير الفضل (عليم) باحوالهم وما يصلحهم فيعطيهم على قدر ذلك وقال ابو عبد الله (ع) من ترك التزويج مخافة العيلة فقد أساء الظن بربه لقوله سبحانه إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله) هذا امر من الله تعالى لمن لا يجد السبيل إلى أن يتزوج بأن لا يجد المهر والنفقة أن يتعفف ولا يدخل في الفاحشة ويصبر حتى يوسع الله عليه من رزقه ثم بين سبحانه ما يسهل سبيل النكاح فقال (والذين يبتغون الكتاب) اي يطلبون المكاتبة (مما ملكت أيمانكم) من العبيد والاماء (فكاتبوهم) والمكاتبة ان يكاتب الانسان عبده على مال ينجمه عليه ليؤديه اليه في هذه النجوم المعلومة وهذا امر ندب واستحباب وترغيب عند جميع الفقهاء وقيل انه امر حتم وايجاب إذا طلبه العبد وعلم فيه الخير عن عطا وعمر بن دينار والطبري (إن علمتم فيهم خيرا) اي صلاحا ورشدا عن ابن عباس وروي عنه ايضا ان علمتم فيهم قدرة على الاكتساب لاداء مال الكتابة ورغبة فيه وامانة وهو قول ابن عمر وابن زيد والثوري والزجاج قال الحسن إن كان عنده مال فكاتبه وإلا فلا تعلق عليه صحيفة يغدو بها على الناس ويروح بها فيسألهم وروي ان عبدا لسلمان قال له كاتبني قال ألك مال قال لا قال تطعمني اوساخ الناس فأبى عليه وقال قتادة يكره أن يكاتب العبد ويقول لا يكاتبه الا يسأل الناس (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) اي حطوا عنهم من نجوم الكتابة شيئا عن ابن عباس وقتادة وعطا وقيل معناه ردوا عليهم يا معشر السادة من المال الذي أخذتم منهم شيئا وهو استحباب وقيل هو إيجاب وقال قوم من المفسرين انه خطاب للمؤمنين بمعونتهم على تخليص رقابهم من الرق ومن قال انه خطاب للسادة اختلفوا في قدر ما يجب فقيل يتقدر بربع المال عن الثوري وروي ذلك عن علي (ع) وقيل ليس فيه تقدير بل يحط عنه شيء منه وهو الصحيح وقيل انه يعطى سهمه من الصدقات في قوله وفي الرقاب قال الحسن ولولا المكاتبة لما جاز له اخذ الصدقة وقال اصحابنا ان المكاتبة ضربان مطلق ومشروط فالمشروط أن يقول لعبده في حال الكتابة متى عجزت عن اداء ثمنك كنت مردودا في الرق فإذا كان كذلك جاز له رده في الرق عند العجز والمطلق ينعتق منه عند العجز بحساب ما أدى من المال ويبقى مملوكا بحساب ما بقي عليه ويرث ويورث بحساب ما عتق (ولا تكرهوا فتياتكم) اي امائكم وولايدكم (على البغاء) اي على الزنا (إن أردن تحصنا) اي تعففا وتزويجا عن ابن عباس وإنما شرط إرادة التحصن لأن الاكراه لا يتصور الا عند ارادة التحصن فإن لم ترد المرأة التحصن بغت بالطبع فهذه فائدة الشرط (لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) اي من كسبهن وبيع اولادهن قيل ان عبد الله بن

أبي كان له ست جوار يكرههن على الكسب بالزنا فلما نزل تحريم الزنا أتين رسول الله ﷺ فشكون اليه فنزلت الآية (ومن يكرههن) اي ومن يجبرهن على الزنا من سادتهن (فان الله من بعد اكراههن غفور) للمكرهات لا للمكره لأن الوزر عليه (رحيم) بهن (ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات) اي واضحات ظاهرات ومن قرأ بفتح الياء فمعناه مفصلات بينهن الله وفصلهن (ومثلا من الذين خلوا من قبلكم) واخبارا من الذين مضوا من قبلكم وقصصا لهم وشبها من حالهم بحالكم لتعتبروا بها (وموعظة للمتقين) أي وزجرا للمتقين عن المعاصي وخصهم بالذكر لأنهم المنتفعون بها

قوله تعالى (٣٥) ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٦) فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ (٣٧) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ ٱلزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَارُ (٣٨) لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ أربع آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن كثير ويعقوب كوكب دري مضمومة الدال مشددة الياء توقد بفتح التاء والدال وتشديد القاف وقرأ ابو عمرو دريء مكسورة الدال ممدودة مهموزة توقد كما تقدم وقرأ الكسائي دريء مكسورة الدال ممدودة مهموزة توقد بضم التاء والتخفيف والرفع وقرأ نافع وابن عامر وحفص دري غير مهموزة يوقد بضم الياء والرفع وقرأ ابو بكر وحمزة دريء مضمومة الدال مهموزة ممدودة توقد بضم التاء وتخفيف القاف وقرأ خلف دري مضمومة الدال غير مهموزة توقد بضم التاء والتخفيف وقرأ ابن عامر وابو بكر يسبح له فيها بفتح الباء والباقون بكسرها

الحجة

قال ابو علي من قرأ دري يحتمل قوله امرين احدهما ان يكون نسبة إلى الدر لفرط صفائه ونوره ويجوز أن يكون فعيلا من الدريء فخففت الهمزة فانقلبت ياء كما تنقلب من النسيء والنبيء ومن قال دريء كان فعيلا من الدرء مثل السكير والفسيق والمعنى ان الخفاء اندفع عنه لتلألؤه في ظهوره فلم يخف كما يخفى السهى ونحوه ومن قرأ دريء كان فعيلا من الدرء الذي هو الدفع وقد حكى سيبويه عن ابي الخطاب كوكب دريء من الصفات ومن الاسماء المريق للعصفر ومما يمكن ان يكون على هذا البناء العلية ألا تراه انه من علا ومنه السرية. الأولى ان تكون فعلية ومن قرأ توقد كان فاعله المصباح لأن المصباح هو الذي توقد قال امرؤ القيس

سموت اليها والنجوم كأنها ... مصابيح رهبان تشب لقفال

ومن قرأ يوقد كان فاعله المصباح ايضا ومن قرأ توقد كان فاعله الزجاجة والمعنى على مصباح الزجاجة فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه فقال توقد فحمل الكلام على لفظ الزجاجة او يريد بالزجاجة القنديل فقال توقد على لفظ الزجاجة وان كان يريد القنديل ومعنى توقد من شجرة اي من زيت شجرة فحذف المضاف يدلك على ذلك قوله يكاد زيتها يضيء ومن قرأ يسبح له بفتح الباء أقام الجار والمجرور مقام الفاعل ثم فسر من يسبح فقال

رجال اي يسبح له رجال فرفع رجالا بهذا المضمر الذي دل عليه قوله يسبح لانه إذا قال يسبح دل على فاعل التسبيح ومثله قول الشاعر

ليبك يزيد ضارع لخصومة ... ومختبط مما تطيح الطوائح

اللغة

المشكاة قيل انها رومية معربة وقال الزجاج يجوز أن تكون عربية لأن في الكلام مثل لفظها شكوة وهي قربة صغيرة فعلى هذا تكون مفعلة منها وأصلها مشكوة فقلبت الواو الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها والمصباح السراج واصله من البياض والأصبح الأبيض

الإعراب

قيل في تقدير قوله نور السماوات وجهان «احدها» أن يكون على حذف المضاف وتقديره ذو نور السماوات والأرض على حد قوله انه عمل غير صالح «والثاني» ان يكون مصدرا وضع موضع اسم الفاعل كقوله إن اصبح ماؤكم غورا اي غائرا وكما قالت الخنساء

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت ... فإنما هي اقبال وإدبار

وعلى هذا تكون الاضافة غير حقيقية والسماوات في تقدير النصب. فيها مصباح جملة في موضع الجر لأنها صفة مشكاة. المصباح في زجاجة جملة في موضع رفع بأنها صفة مصباح والعائد منها اليه لام العهد تقديره فيها مصباح ذلك المصباح في زجاجة اوهو في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري الجملة في موضع جر بأنها صفة زجاجة وقوله زيتونة بدل من شجرة والباقي صفة نور خبر مبتدأ محذوف اي هو نور على نور متعلق بمحذوف في موضع رفع بكونه صفة نور. في بيوت يتعلق بمحذوف وفي موضع جر بكونه صفة لمشكاة فانتقل الضمير من المحذوف اليه حيث سد مسده بغير حساب في موضع نصب بكونه صفة لمفعول محذوف وتقديره يرزق من يشاء رزقا بغير حساب اي غير محسوب

المعنى

(الله نور السماوات والأرض) اختلف في معناه على وجوه «احدها» الله هادي أهل السماوات والأرض إلى ما فيه من مصالحهم عن ابن عباس «والثاني» الله منور السماوات والأرض بالشمس والقمر والنجوم عن الحسن وابي عالية والضحاك «والثالث» مزين السماوات بالملائكة مزين الأرض بالأنبياء والعلماء عن ابي بن كعب وإنما ورد النور في صفة الله تعالى لأن كل نفع واحسان وانعام منه وهذا كما يقال فلان رحمة وفلان عذاب إذا كثر فعل ذلك منه وعلى هذا قول الشاعر

ألم تر أنا نور قوم وإنما ... يبين في الظلماء للناس نورها

وإنما المعنى إنا نسعى فيما ينفعهم ومنا خيرهم وكذا قول ابي طالب في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في نعمة وفواضل

لم يعن بقوله ابيض بياض لونه وإنما أراد كثرة افضاله واحسانه ونفعه والاهتداء به ولهذا المعنى سماه الله تعالى سراجا منيرا (مثل نوره) فيه وجوه «احدها» أن المعنى مثل نور الله الذي هدى به المؤمنين وهو الايمان في قلوبهم عن ابي بن كعب والضحاك وكان ابي يقرأ مثل نور من آمن به «والثاني» مثل نوره الذي هو القرآن في القلب عن ابن عباس والحسن وزيد بن اسلم «والثالث» انه عنى بالنور محمد صلى الله عليه وآله وسلم واضافه إلى نفسه

تشريفا له عن كعب وسعيد بن جبير فالمعنى مثل محمد رسول الله ﷺ « الرابع » ان نوره سبحانه الأدلة الدالة على توحيده وعدله التي هي في الظهور والوضوح مثل النور عن ابي مسلم « الخامس » أن النور هنا الطاعة اي مثل طاعة الله في قلب المؤمن عن ابن عباس في رواية اخرى (كمشكاة فيها مصباح) المشكاة هي الكوة في الحائط يوضع عليها زجاجة ثم يكون المصباح خلف تلك الزجاجة ويكون للكوة باب آخر يوضع المصباح فيه وقيل المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وهو مثل الكوة والمصباح السراج وقيل المشكاة القنديل والمصباح الفتيلة عن مجاهد (المصباح في زجاجة) اي ذلك السراج في زجاجة وفائدة اختصاص الزجاجة بالذكر انه اصفى الجواهر فالمصباح فيه اضوأ (الزجاجة كأنها كوكب دري) اي تلك الزجاجة مثل الكوكب العظيم المضيء الذي يشبه الدر في صفائه ونوره ونقائه وإذا جعلته من الدرء وهو الدفع فمعناه المندفع السريع الوقع في الانقضاض ويكون ذلك أقوى لضوئه (يوقد من شجرة مباركة) اي يشتعل ذلك السراج من دهن شجرة مباركة (زيتونة) اراد بالشجرة المباركة شجرة الزيتون لأن فيها انواع المنافع فإن الزيت يسرج به وهو ادام ودهان ودباغ ويوقد بحطبه وثفله ويغسل برماده الابريسم ولا يحتاج في استخراج دهنه إلى اعصار وقيل انه خص الزيتونة لأن دهنها اصفى واضوء وقيل لأنها اول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان ومنبتها منزل الأنبياء وقيل لأنه بارك فيها سبعون نبيا منهم ابراهيم فلذلك سميت مباركة (لا شرقية ولا غربية) اي لا يفيء عليها ظل شرق ولا غرب فهي ضاحية للشمس لا يظلها جبل ولا شجر ولا كهف فزيتها يكون اصفر عن ابن عباس والكلبي وعكرمة وقتادة فعلى هذا يكون المعنى انها ليست بشرقية لا تصيبها الشمس إذا هي غربت ولا هي غربية لا تصيبها الشمس إذا طلعت بل هي شرقية غربية اخذت بحظها من الأمرين وقيل معناه إنها ليست من شجر الدنيا فتكون شرقية او غربية عن الحسن وقيل معناه انها ليست في مقنوة لا تصيبها الشمس ولا هي بارزة للشمس لا يصيبها الظل بل يصيبها الشمس والظل عن السدي وقيل ليست من شجر الشرق ولا من شجر الغرب لأن ما اختص باحدى الجهتين كان اقل زيتا واضعف ضوءا لكنها من شجر الشام وهي ما بين الشرق والغرب عن ابن زيد (يكاد زيتها يضيء) من صفائه وفرط ضيائه (ولو لم تمسسه نار) اي قبل ان تصيبه النار وتشتعل فيه واختلف في هذا المشبه والمشبه به على اقوال « احدها » انه مثل ضربه الله لنبيه محمد ﷺ فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة لا شرقية ولا غربية اي لا يهودية ولا نصرانية توقد من شجرة مباركة يعني شجرة النبوة وهي ابراهيم (ع) يكاد نور محمد ﷺ يبين للناس ولو لم يتكلم به كما ان ذلك الزيت يكاد يضيء ولو لم تمسسه نار اي تصبه النار عن كعب وجماعة من المفسرين وقد قيل ايضا ان المشكاة ابراهيم والزجاجة اسماعيل والمصباح محمد ﷺ كما سمي سراجا في موضع آخر من شجرة مباركة يعني ابراهيم لان اكثر الانبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية لا نصرانية ولا يهودية لأن النصارى تصلي إلى المشرق واليهود تصلي إلى المغرب يكاد زيتها يضيء اي يكاد محاسن محمد ﷺ تظهر قبل ان يوحى اليه (نور على نور) اي نبي من نسل نبي عن محمد بن كعب وقيل ان المشكاة عبد المطلب والزجاجة عبد الله والمصباح هو النبي ﷺ لا شرقية ولا غربية بل مكية لأن مكة وسط الدنيا عن الضحاك وروي عن الرضا (ع) انه قال نحن المشكاة فيها والمصباح محمد ﷺ يهدي الله لولايتنا من احب وفي كتاب التوحيد لابي جعفر بن بابويه رحمه الله بالاسناد عن عيسى بن راشد عن ابي جعفر الباقر (ع) في قوله كمشكاة فيها مصباح قال نور العلم في صدر النبي ﷺ المصباح في زجاجة الزجاجة صدر علي (ع) صار علم النبي ﷺ إلى صدر علي علم النبي عليا يوقد من شجرة مباركة نور العلم لا شرقية ولا غربية لا يهودية ولا نصرانية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار قال يكاد العالم من آل محمد ﷺ يتكلم بالعلم قبل ان يسأل نور على نور اي امام مؤيد بنور العلم والحكمة في اثر إمام من آل محمد ﷺ وذلك من لدن

آدم (ع) إلى ان تقوم الساعة فهؤلاء الاوصياء الذين جعلهم الله خلفاء في ارضه وحججه على خلقه لا تخلو الارض في كل عصر من واحد منهم ويدل عليه قول ابي طالب في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

أنت الأمير محمد قرم أغر مسود
لمسودين أطاهر كرموا وطاب المولد
أنت السعيد من السعود تكنفتك الأسعد
من لدن آدم لم يزل فينا وصي مرشد
ولقد عرفتك صادقا والقول لا يتفند
ما زلت تنطق بالصواب وأنت طفل أمرد

تحقيق هذه الجملة يقتضي ان الشجرة المباركة المذكورة في الآية هي دوحة التقى والرضوان وعترة الهدى والإيمان شجرة أصلها النبوة وفرعها الإمامة واغصانها التنزيل واوراقها التأويل وخدمها جبرائيل وميكائيل (وثانيها) انه مثل ضربه الله للمؤمن والمشكاة نفسه والزجاجة صدره والمصباح الإيمان والقرآن في قلبه يوقد من شجرة مباركة هي الإخلاص لله وحده لا شريك له فهي خضراء ناعمة كشجرة التفت بها الشجر فلا يصيبها الشمس على أي حال كانت لا إذا طلعت ولا إذا غربت وكذلك المؤمن قد احترز من أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين اربع خلال إن أعطي شكر وإن ابتلي صبر وإن حكم عدل وإن قال صدق فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي بين القبور نور على نور كلامه نور وعلمه نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره إلى الجنة نور يوم القيامة عن أبي بن كعب (وثالثها) انه مثل القرآن في قلب المؤمن فكما ان هذا المصباح يستضاء بـه وهو كما هو لا ينقص فكذلك القرآن يهتدى به ويعمل به فالمصباح هو القرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة لسانه وفمه والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد زيتها يضيء يكاد حجج القرآن تتضح وإن لم تقرأ وقيل يكاد حجج الله على خلقه تضيء لمن تفكر فيها وتدبرها ولو لم ينزل القرآن نور على نور يعني ان القرآن نور مع سائر الأدلة قبله فازدادوا به نورا على نور عن الحسن وابن زيد وعلى هـذا فيجوز أن يكون المراد ترتب الأدلة فإن الدلائل يترتب بعضها على بعض ولا يكاد العاقل يستفيد منها إلا بمراعاة الترتيب فمن ذهب عن الترتيب فقد ذهب عن طريق الاستفادة وقال مجاهد ضوء نور السراج على ضوء الزيت على ضوء الزجاجة (يهدي الله لنوره من يشاء) أي يهدي الله لدينه وإيمانه من يشاء بأن يفعل له لطفا يختار عنده الإيمان إذا علم ان له لطفا وقيل معناه يهدي الله لنبوته وولايته من يشاء ممن يعلم انه يصلح لذلك ويضرب الله الأمثال للناس تقريبا إلى الافهام وتسهيلا لدرك المرام (والله بكل شيء عليم) فيضع الأشياء مواضعها (في بيوت أذن الله أن ترفع) معناه هذه المشكاة في بيوت هذه صفتها وهي المساجد في قول ابن عباس والحسن ومجاهد والجبائي ويعضده قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم المساجد بيوت الله في الأرض وهي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض ثم قيل انها اربع مساجد لم يبنها إلا نبي الكعبة بناها ابراهيم واسماعيل ومسجد بيت المقدس بناه سليمان ومسجد المدينة ومسجد قبا بناهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هي بيوت الأنبياء وروي ذلك مرفوعا انه سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما قرأ الآية أي بيوت هذه فقال بيوت الأنبياء فقام ابو بكر فقال يا رسول الله هذا البيت منها يعني بيت علي وفاطمة قال نعم من أفاضلها ويعضد هذا القول قوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا وقوله ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت فالإذن برفع بيوت الأنبياء والأوصياء مطلق والمراد بالرفع التعظيم ورفع القدر من الارجاس والتطهير من المعاصي والأدناس وقيل المراد برفعها رفع الحوائج فيها إلى الله تعالى (ويذكر فيها اسمه) أي يتلى

فيها كتابه عن ابن عباس وقيل تذكر فيها اسماؤه الحسنى (يسبح له فيها بالغدو والآصال) أي يصلى له فيها بالبكر والعشايا عن ابن عباس والحسن والضحاك وقال ابن عباس كل تسبيح في القرآن صلاة وقيل المراد بالتسبيح تنزيه الله تعالى عما لا يجوز عليه ووصفه بالصفات التي يستحقها لذاته وافعاله التي كلها حكمة وصواب ثم بين سبحانه المسبح فقال (رجال لا تلهيهم) أي لا تشغلهم ولا تصرفهم (تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة) أي اقامة الصلاة حذف الهاء لأنها عوض عن الواو في اقوام فلما أضافه صار المضاف اليه عوضا عن الهاء وروي عن ابي جعفر(ع) وابي عبد الله(ع) انهم قوم إذا حضرت الصلاة تركوا التجارة وانطلقوا إلى الصلاة وهم اعظم أجراً ممن يتجر . (وإيتاء الزكاة) اي إخلاص الطاعة لله تعالى عن ابن عباس وقيل يريد الزكاة المفروضة عن الحسن (يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) أراد يوم القيامة تتقلب فيه احوال القلوب والأبصار وتنتقل من حال إلى حال فتلفحها النار ثم تنضجها ثم تحرقها عن الجبائي وقيل تتقلب فيه القلوب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك وتتقلب الأبصار يمنة ويسرة من أين تؤتى كتبهم وأين يؤخذ بهم أم من قبل اليمين أم من قبل الشمال وقيل تتقلب القلوب ببلوغها الحناجر والأبصار بالعمى بعد البصر وقيل معناه تنتقل القلوب عن الشك إلى اليقين والايمان والأبصار عما كانت تراه غيا فتراه رشداً فمن كان شاكاً في دنياه أبصر في آخرته ومن كان عالما ازداد بصيرة وعلما فهو مثل قوله تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد عن البلخي (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله) أي يفعلون ذلك طلبا لمجازاة الله إياهم بأحسن ما عملوا ولتفضله عليهم بالزيادة على ما استحقوه بأعمالهم من فضله وكرمه (والله يرزق) اي يعطي (من يشاء بغير حساب) أي بغير مجازاة على عمل بل تفضلا منه سبحانه والثواب لا يكون إلا بحساب والتفضل يكون بغير حساب

النظم

اتصلت الآية الأولى بما قبلها اتصال المثل بالمثل لأنه تعالى لما بين وجوه المنافع والمصالح وعلم الشرائع فيما سبق بين بعده ان منافع أهل السماوات والأرض منه لأن اسم النور يطلق على ذلك كما تقدم بيانه وقيل انها اتصلت بما قبلها اتصال العلة بالمعلول فكأنه قال أنزلنا آيات بينات ومواعظ بالغات فهديناكم بها لأنا نهدي أهل السماوات والأرض واتصل قوله في بيوت بقوله كمشكاة فيها مصباح على ما تقدم بيانه وقيل يتصل بيسبح ويكون فيها تكريراً على التوكيد والمعنى يسبح لله رجال في بيوت أذن الله أن ترفع فيكون كقولك في الدار قام زيد فيها

قوله تعالى (٣٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤٠) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ آيتان

القراءة

قرأ ابن كثير في رواية البزي سحاب بغير تنوين ظلمات بالجر وفي رواية القواس وابن فليح سحاب بالتنوين ظلمات بالجر والباقون كلاهما بالرفع والتنوين

الحجة

قال ابو علي قوله أو كظلمات معناه او كذي ظلمات ويدل على حذف المضاف قوله إذا أخرج يده لم يكد يراها فالضمير الذي أضيف اليه يده يعود إلى المضاف المحذوف ومعنى ذي ظلمات انه في ظلمات ومعنى ظلمات

بعضها فوق بعض ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة الموج الذي في الموج وقوله خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث فإنه يجوز أن يكون ظلمة الرحم وظلمة البطن وظلمة المشيمة وقوله فنادى في الظلمات ظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وظلمة الليل ويجوز أن يكون الالتقام كان بالليل فهذه ظلمات ومن قرأ سحاب ظلمات فرفع ظلمات كان خبر مبتدء محذوف تقديره هذه ظلمات بعضها فوق بعض ومن قرأ سحاب ظلمات جاز أن يكون تكريرا وبدلا من ظلمات الأولى ومن قرأ سحاب ظلمات بإضافة سحاب إلى الظلمات فالظلمات هي الظلمات التي تقدم ذكرها فأضاف السحاب إلى الظلمات لاستقلال السحاب وارتفاعه في وقت كون هذه الظلمات كما تقول سحاب رحمة وسحاب مطر إذا ارتفع في الوقت الذي يكون فيه الرحمة والمطر

﴿ اللغة ﴾

السراب شعاع يتخيل كالماء يجري على الأرض نصف النهار حين يشتد الحر والآل شعاع يرتفع بين السماء والارض كالماء ضحوة النهار والآل يرفع الشخص الذي فيه وإنما قيل سراب لأنه ينسرب اي يجري كالماء وقيعة جمع قاع وهو الواسع من الارض المنبسطة وفيه يكون السراب ولجة البحر معظمه الذي يتراكب امواجه فلا يرى ساحله والتج البحر التجاجا

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه مثل الكفار فقال (والذين كفروا اعمالهم) التي يعملونها ويعتقدون انها طاعات (كسراب بقيعة) اي كشعاع بأرض مستوية (يحسبه الظمآن ماء) اي يظنه العطشان ماء (حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) اي حتى إذا انتهى اليه رأى ارضا لا ماء فيها وهو قوله لم يجده شيئاً اي شيئا مما حسب وقدر فكذلك الكافر يحسب ما قدم من عمله نافعا وان له عليه ثوابا وليس له ثواب (ووجد الله عنده فوفيه حسابه) قيل معناه ووجد الله عند عمله فجازاه على كفره وهذا في الظاهر خبر عن الظمآن والمراد به الخبر عن الكفار ولكن لما ضرب الظمآن مثلا للكفار جعل الخبر عنه كالخبر عنهم والمعنى وجد أمر الله ووجد جزاء الله وقيل معناه وجد الله عنده بالمرصاد فأتم له جزاءه (والله سريع الحساب) لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الجميع على افعالهم في حالة واحدة وسئل امير المؤمنين(ع) كيف يحاسبهم في حالة واحدة فقال كما يرزقهم في حالة واحدة وقيل ان المراد به عتبة بن ربيعة كان يلتمس الدين في الجاهلية ثم كفر في الإسلام عن مقاتل ثم ذكر مثلا آخر لأعمالهم فقال (او كظلمات) اي او افعالهم مثل ظلمات (في بحر لجي) اي عظيم اللجة لا يرى ساحله وقيل هو العميق الذي يبعد عمقه عن ابن عباس (يغشيه موج) اي يعلو ذلك البحر اللجي موج (من فوقه موج) اي فوق ذلك الموج موج (من فوقه سحاب) اي من فوق الموج سحاب (ظلمات بعضها فوق بعض) يعني ظلمة البحر وظلمة الموج وظلمة السحاب والمعنى ان الكافر يعمل في حيرة ولا يهتدي لرشده فهو من جهله وحيرته كمن هو في هذه الظلمات لأنه من عمله وكلامه واعتقاده متقلب في ظلمات وروي عن أبي انه قال ان الكافر يتقلب في خمس ظلمات كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره يوم القيامة إلى ظلمة وهي النار (إذا أخرج يده لم يكد يريها) اختلف في معناه فقيل لا يراها ولا يقارب رؤيتها فهو نفي للرؤية وعن مقاربة الرؤية لأن دون هذه الظلمة لا يرى فيها عن الحسن واكثر المفسرين ويدل عليه قول ذي الرمة

إذا غير النأي المحبين لم يكد   على كل حال حب مية يبرح

ويروى رسيس الهوى من حب مية يبرح وقال آخر « ما كدت أعرف إلا بعد انكاري » وقال الفراء كاد صلة والمعنى انه لم يرها وقيل لا يراها إلا بعد جهد ومشقة رؤية تخيل لصورتها لأن حكم كاد إذا لم يدخل عليها حرف نفي ان تكون نافية وإذا دخلها دلت على ان يكون الأمر وقع بعد بطء عن المبرد (ومن لم يجعل الله له

نوراً فما له من نور) أي من لم يجعل الله له نجاة وفرجا فما له من نجاة وقيل من لم يجعل الله له نوراً في القيامة فما له من نور

قوله تعالى (٤١) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤٢) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٣) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٤) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (٤٥) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٦) لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ . ست آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر يذهب بالأبصار بضم الياء وكسر الهاء والباقون يَذهب

الحجة

من قرأ يذهب فالباء زائدة وتقديره يذهب الأبصار ومثله قوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وقول الهذلي

شربن بماء البحر ثم ترفعت   متى لجج خضر لهن نئيج

أي شربن ماء البحر قال ابن جني إنما يزاد هذا الباء لتوكيد معنى التعدي كما يزاد اللام لتوكيد معنى الاضافة في قوله« يابوس للحرب ضراراً لأقوام» وإن شئت حملته على المعنى فكأنه قال يكاد سنا برقه يلوي بالأبصار اي يستأثر بالأبصار وقد ذكرنا اختلافهم في قوله خلق كل دابة فيه والوجه في سورة ابراهيم

اللغة

الازجاء والتزجية الدفع والسوق وزجا الخراج يزجو زجاء إذا انساق إلى أهله وتيسر جبايته والركام المتراكم بعضه على بعض والركمة الطين المجموع والودق المطر ودقت السماء تدق ودقا إذا امطرت قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها   ولا أرض ابقل ابقالها

والخلال جمع الخلل وهو الفرجة بين الشيئين والبرد أصله من البرد خلاف الحر وسحاب برد أتى بالبرد ويقال سمي البرَد لأنه يبرد وجه الارض أي يقشره من بردت الشيء بالمبرد والسنا مقصورا الضوء وهو بالمد الرفعة

الإعراب

صافات حال من الطير وينزل من السماء من لابتداء الغاية لأن السماء مبدأ لإنزال المطر ٠ من جبال من للتبعيض لأن البرد بعض الجبال التي في السماء ٠ من برد من لتبيين الجنس لأن جنس الجبال جنس البرد عن علي بن عيسى والتحقيق ان قوله من جبال بدل من قوله من السماء وقوله فيها في يتعلق بمحذوف وتقديره من جبال كائنة في السماء فالجار والمجرور في موضع الصفة لجبال تقديره من جبال سماوية وقوله من برد يتعلق بمحذوف آخر في محل

جر لأنه صفة بعد صفة تقديره من جبال سماوية بردية ومفعول ينزل محذوف أي ينزل من جبال في السماء من برد بردا كما يقال أخذت من المال شيئا وقوله على بطنه في موضع نصب على الحال وكذلك قوله على رجلين وعلى اربع ومن الأولى والثالثة بمعنى ما

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه الآيات التي جعلها نوراً للعقلاء العارفين بالله وصفاته فقال (ألم تر) اي ألم تعلم يا محمد لأن ما ذكر في الآية لا يرى بالأبصار وإنما يعلم بالأدلة والخطاب للنبي ﷺ والمراد به جميع المكلفين (ان الله يسبح له من في السماوات والأرض) والتسبيح التنزيه لله تعالى عما لا يجوز عليه ولا يليق به اي ينزهه أهل السماوات واهل الارض بألسنتهم وقيل عني به العقلاء وغيرهم وكنى عن الجميع بلفظة من تغليبا للعقلاء على غيرهم (والطير) اي ويسبح له الطير (صافات) اي واقفات في الجو مصطفات الأجنحة في الهواء وتسبيحها ما يرى عليها من آثار الحدوث (كل قد علم صلاته وتسبيحه) معناه ان جميع ذلك قد علم الله تعالى دعاءه إلى توحيده وتسبيحه وتنزيهه وقيل ان الصلاة للإنسان والتسبيح لكل شيء عن مجاهد وجماعة وقيل معناه كل واحد منهم قد علم صلاته وتسبيحه أي صلاة نفسه وتسبيح نفسه فيؤديه في وقته فيكون الضمير في علم لكل وفي الأول يعود الضمير إلى اسم الله تعالى وهو اجود لأن الأشياء كلها لا يعلم كيفية دلالتها على الله وإنما يعلم الله تعالى ذلك (والله عليم بما يفعلون) أي عالم بأفعالهم فيجازيهم بحسبها (ولله ملك السماوات والارض) والملك المقدور الواسع لمن يملك السياسة والتدبير فملك السماوات والارض لا يصح إلا لله وحده لأنه القادر على الاجسام لا يقدر على خلقها غيره فالملك التام لا يصح إلا له سبحانه (وإلى الله المصير) اي المرجع يوم القيامة ثم قال (ألم تر) أي ألم تعلم (ان الله يزجي سحابا) أي يسوقه سوقا رفيقا إلى حيث يريد (ثم يؤلف بينه) أي يضم بعضه إلى بعض فيجعل القطع المتفرقة منه قطعة واحدة (ثم يجعله ركاما) اي متراكما متراكبا بعضه فوق بعض (فترى الودق يخرج من خلاله) اي ترى المطر والقطر يخرج من خلال السحاب اي مخارج القطر منه (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) اي وينزل من جبال في السماء تلك الجبال من برد بردا والسماء السحاب لأن كل ما علا مطبقا فهو سماء ويجوز أن يكون البرد يجتمع في السحاب كالجبال ثم ينزل منها عن البلخي وغيره وقيل معناه وينزل من السماء مقدار جبال من برد كما يقول عندي بيتان من تبن أي قدر بيتين عن الفراء وقيل أراد السماء المعروفة فيها جبال من برد مخلوقة عن الحسن والجبائي (فيصيب به) اي بالبرد اي بضرره (من يشاء) فيهلك زرعه وماله (ويصرفه عمن يشاء) اي ويصرف ضرره عمن يشاء فيكون أصابته نقمة وصرفه نعمة (يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار) اي يقرب ضوء برق السحاب من ان يذهب بالبصر ويخطفه لشدة لمعانه كما قال يكاد البرق يخطف ابصارهم (يقلب الله الليل والنهار) اي يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما وإدخال احدهما في الآخر (إن في ذلك) التقليب (لعبرة) أي دلالة (لأولي الأبصار) اي لذوي العقول والبصائر (والله خلق كل دابة) اي كل حيوان يدب على وجه الارض ولا يدخل فيه الجن والملائكة (من ماء) اي من نطفة وقيل عني به الماء لأن أصل الخلق من الماء لأن الله خلق الماء وجعل بعضه نارا فخلق الجن منها وبعضه ريحا فخلق منه الملائكة وبعضه طينا فخلق منه آدم (ع) فأصل الحيوان كله الماء ويدل عليه قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي (فمنهم من يمشي على بطنه) كالحية والحوت والدود (ومنهم من يمشي على رجلين) كالانس والطير (ومنهم من يمشي على أربع) كالأنعام والوحوش والسباع ولم يذكر ما يمشي على اكثر من اربع لأنه كالذي يمشي على أربع في رأي العين فترك ذكره لأن العبرة تكفي بذكر الأربع قال البلخي ان الفلاسفة تقول كل ما له قوائم كثيرة فإن اعتماده إذا سعى على اربعة قوائم فقط وقال ابو جعفر (ع) ومنهم من يمشي على اكثر من ذلك (يخلق

الله ما يشاء) أي يخترع ما يشاء وينشئه من الحيوان وغيره وقال المبرد قوله كل دابة للناس وغيرهم وإذا اختلط النوعان حمل الكلام على الاغلب فلذلك قال من لغير ما يعقل (ان الله على كل شيء قدير) يخلق هذه الأشياء لقدرته عليها فاختلاف هذه الحيوانات مع اتفاق اصلها يدل على أن لها قادراً خالقاً عالماً حكيماً (لقد انزلنا آيات مبينات) أي دلالات واضحات بينات (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) أي من جملة تلك الدواب وعنى به المكلفين دون من ليس بمكلف والصراط المستقيم الإيمان لأنه يؤدي إلى الجنة وقيل ان المراد يهدي في الآخرة إلى طريق الجنة

قوله تعالى (٤٧) وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٨) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٩) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٥٠) أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥١) إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥٢) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ست آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر وقالون عن نافع ويعقوب ويتقه بكسر القاف والهاء مكسورة مختلسة غير مشبعة وقرأ أبو عمرو وحمزة في رواية العجلي وخلاد وابو بكر في رواية حماد ويحيى ويتقه بكسر القاف وسكون الهاء وقرأ حفص ويتقه بسكون القاف وكسر الهاء غير مشبعة والباقون يتقه بكسر القاف والهاء مشبعة وروي عن علي (ع) انه قرأ قول المؤمنين بالرفع وهو قراءة الحسن بخلاف ابن ابي اسحاق وهو مثل قراءة من قرأ فما كان جواب قومه بالرفع وقد ذكرنا الوجه فيه وقرأ ابو جعفر وحده ليحكم بينهم بضم الياء وفتح الكاف في الموضعين وفي البقرة وآل عمران مثل ذلك وقد ذكرناه هناك

الحجة

قال ابو علي الوجه ويتقهي موصولة بياء لأن ما قبل الهاء متحرك ومن قرأ ويتقه لا يبلغ بها الياء فالوجه فيه ان الحركة غير لازمة قبل الهاء ألا ترى ان الفعل إذا رفع دخلته الياء ومن قرأ ويتقه بسكون الهاء فلأن مايتبع هذه الهاء من الياء والواو زيادة فرد إلى الأصل وحذف ما يلحقه من الزيادة ويقوي ذلك ما حكي عن سيبويه انه سمع من يقول هذه أمة الله في الوصل والوقف وزعم ابو الحسن ان قوله له ارقان ونحوه لغة يجرونها في الوصل مجراها في الوقف فيحذفونها منها كما حذفوا في الوقف وحملها سيبويه على الضرورة وأما قراءة حفص ويتقه فوجهه ان تقه من يتقه مثل كتف فكما يسكن نحو كتف كذلك تسكن القاف من تقه وعلى هذا قول الشاعر

عجبت لمولود وليس له أب ... وذي ولد لم يلده أبوان

ومثله « فبات منتصباً وما تكردسا » فلما اسكن ما قبل الهاء لهذا التشبيه حرك الهاء بالكسر كما حرك الدال بالفتح في لم يلده .

اللغة

قال الزجاج الإذعان الإسراع مع الطاعة يقال أذعن لي بحقي أي طاوعني لما كنت ألتمسه منه وصار يسرع

اليه ونافة مذعان منقادة والحيف الجور ينقص الحق والفوز أخذ الحظ الجزيل من الخير

النزول

قيل نزلت الآيات في رجل من المنافقين كان بينه وبين رجل من اليهود حكومة فدعاه اليهودي إلى رسول الله ﷺ ودعاه المنافق إلى كعب بن الاشرف وحكي البلخي انه كانت بين علي وعثمان منازعة في ارض اشتراها من علي (ع) فخرجت فيها أحجار وأراد ردها بالعيب فلم يأخذها فقال بيني وبينك رسول الله ﷺ فقال الحكم بن ابي العاص ان حاكمته إلى ابن عمه يحكم له فلا تحاكمه اليه فنزلت الآيات وهو المروي عن ابي جعفر (ع) أو قريب منه

المعنى

(ويقولون آمنا بالله) أي صدقنا بتوحيد الله (وبالرسول وأطعنا) هما فيما حكما (ثم يتولى فريق منهم) أي يعرض عن طاعتهما طائفة منهم (من بعد ذلك) أي من بعد قولهم آمنا (وما أولئك) الذين يدعون الايمان ثم يعرضون عن حكم الله ورسوله (بالمؤمنين) وفي هذه الآية دلالة على ان القول المجرد لا يكون إيمانا إذ لو كان ذلك كذلك لما صح النفي بعد الاثبات (وإذا دعوا إلى الله) أي إلى كتاب الله وحكمه وشريعته (ورسوله) أي وإلى حكم رسوله (ليحكم بينهم) الرسول وانما افرد بعد قوله إلى الله ورسوله لأن حكم الرسول يكون بأمر الله تعالى فحكم الله ورسوله واحد (إذا فريق منهم معرضون) عما يدعون اليه (وان يكن لهم الحق) أي وإن علموا أن الحق يقع لهم (يأتوا اليه) أي إلى النبي ﷺ (مذعنين) مسرعين طائعين منقادين ثم قال سبحانه منكراً عليهم (أفي قلوبهم مرض) أي شك في نبوتك ونفاق وهو استفهام يراد به التقرير لأنه أشد في الذم والتوبيخ أي هذا أمر قد ظهر حتى لا يحتاج فيه إلى البينة كما جاء في نقيضه من المدح على طريق الاستفهام نحو قول جرير

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

(ام ارتابوا) في عدلك أي رأوا منك ما رابهم لأجله أمرك (أم يخافون أن يحيف الله عليهم) اي يجور الله عليهم (ورسوله) أي ويميل رسوله في الحكم ويظلمهم لأنه لا وجه في الامتناع عن المجيء إلا احد هذه الأوجه الثلاثة ثم أخبر سبحانه انه ليس شيء من ذلك فقال (بل أولئك هم الظالمون) نفوسهم وغيرهم وفي هذه الآية دلالة على ان خوف الحيف من الله تعالى خلاف الدين وإذا كان كذلك فالقطع عليه أولى أن يكون خلافاً للدين ثم وصف سبحانه الصادقين في إيمانهم فقال (انما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) أي سمعنا قول النبي ﷺ وأطعنا أمره وإن كان ذلك فيما يكرهونه ويضرهم عن ابن عباس ومقاتل وقيل معناه قبلنا هذا القول وانقذنا له واجبنا إلى حكم الله ورسوله (وأولئك هم المفلحون) أي الفائزون بالثواب الظافرون بالمراد وروي عن ابي جعفر (ع) ان المعني بالآية امير المؤمنين عليه افضل الصلوات (ومن يطع الله ورسوله) فيما أمراه ونهيا عنه (ويخش الله) أي ويخش عقاب الله في ترك أوامره وارتكاب نواهيه (ويتقه) أي ويتق عقابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (فأولئك هم الفائزون) وقيل معناه ويخش الله في ذنوبه التي عملها ويتقه فيما بعد

النظم

قيل اتصلت الآية الأولى بقوله ويضرب الله الأمثال للناس ويعود الضمير في قوله ويقولون اليهم وان كان يقع على بعضهم فكأنه قال ويقول جماعة من هؤلاء الناس آمنا عن ابي مسلم وقيل انه لما قدم ذكر المؤمن

والكافر عقبه سبحانه بذكر المنافق

قوله تعالى (٥٣) وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٤) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٥) وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ثلاث آيات

القراءة

قرأ ابو بكر كما استخلف بضم التاء والباقون بفتح التاء وقرأ ابن كثير وابو بكر ويعقوب وسهل وليبدلنهم من الابدال والباقون بالتشديد من التبديل

الحجة

قال ابو علي الوجه في كما استخلف بفتح التاء واللام لأن اسم الله قد تقدم ذكره والضمير في ليستخلفنهم يعود اليه فكذلك في قوله كما استخلف والوجه في استخلف انه يراد به ما يراد باستخلف والتبديل والابدال بمعنى وقيل ان التبديل تغيير حال إلى حال أخرى يقال بدل صورته والابدال رفع الشيء بأن يجعل غيره مكانه قال «عزل الامير بالامير المبدل»

الاعراب

وأقسموا بالله جهد ايمانهم اصله واقسموا بالله يجهدون الإيمان جهداً فحذف الفعل واقيم مصدره مضافاً إلى المفعول مقامه كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب حكم الحال كأنه قال جاهدين ايمانهم طاعة مبتدء وخبره محذوف تقديره طاعة معروفة اولى بكم وأفضل لكم ليستخلفنهم جواب قسم يدل عليه قوله وعد الله لأن وعده سبحانه كالقسم يعبدونني يجوز ان يكون جملة مستأنفة على طريق الثناء عليهم ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال

المعنى

ولما بين الله سبحانه كراهتهم لحكمه قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والله لو امرتنا بالخروج من ديارنا وأموالنا لفعلنا فقال الله سبحانه (وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن أمرتهم ليخرجن) اي حلفوا بالله اغلظ ايمانهم وقدر طاقتهم انك ان امرتنا بالخروج في غزواتك لخرجنا (قل) لهم يا محمد (لا تقسموا) اي لا تحلفوا وتم الكلام (طاعة معروفة) أي طاعة حسنة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خالصة صادقة افضل واحسن من قسمكم بما لا تصدقون به فحذف خبر المبتدأ للعلم به وقيل معناه ليكن منكم طاعة والقول المعروف هو المعروف صحته (ان الله خبير بما تعملون) اي من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل ثم امرهم سبحانه بالطاعة فقال (قل) لهم (اطيعوا الله) فيما امركم به (واطيعوا الرسول) فيما اتاكم به واحذروا المخالفة (فإن تولوا) اي فإن تعرضوا عن طاعة الله وطاعة رسوله والأصل تتولوا فحذف أحد التاءين (فإنما عليه) أي على الرسول (ما حمل) أي كلف وامر من التبليغ واداء الرسالة (وعليكم ما حملتم) أي كلفتم من الطاعة والمتابعة (وان تطيعوه) أي وان تطيعوا الرسول (تهتدوا)

إلى الرشد والصلاح وإلى طريق الجنة (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أي ليس عليه إلا اداء الرسالة وبيان الشريعة وليس عليه الاهتداء وإنما ذلك عليكم ونفعه عائد اليكم والمبين البين الواضح (وعد الله الذين آمنوا منكم) أي صدقوا بالله وبرسوله وبجميع ما يجب التصديق به (وعملوا الصالحات) أي الطاعات الخالصة لله (ليستخلفنهم في الأرض) أي ليجعلهم يخلفون من قبلهم والمعنى ليورثنهم أرض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم سكانها وملوكها (كما استخلف الذين من قبلهم) قال مقاتل يعني بني اسرائيل إذ اهلك الله الجبابرة بمصر وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وعن ابي بن كعب قال لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة وآوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون إلا مع السلاح ولا يصبحون إلا فيه فقالوا ترون انا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله فنزلت هذه الآية وعن المقداد بن الاسود عن رسول الله ﷺ انه قال لا يبقى على الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله تعالى كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل اما ان يعزهم الله فيجعلهم من أهلها واما ان يذلهم فيدينون لها وقيل انه أراد بالارض أرض مكة لأن المهاجرين كانوا يسألون ذلك (وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) يعني دين الإسلام الذي أمرهم ان يدينوا به وتمكينه ان يظهره على الدين كله كما قال زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها وقيل تمكينه بإعزاز أهله واذلال أهل الشرك وتمكين اهله من اظهاره بعد ان كانوا يخفونه (وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا) اي وليصيرنهم بعد ان كانوا خائفين بمكة آمنين بقوة الإسلام وانبساطه قال مقاتل وقد فعل الله ذلك بهم وبمن كان بعدهم من هذه الأمة مكن لهم في الارض وابدلهم امناً من بعد خوف وبسط لهم في الارض فقد أنجز وعده لهم وقيل معناه وليبدلنهم من بعد خوفهم في الدنيا امناً في الآخرة ويعضده ما روي عن النبي ﷺ انه قال حاكيا عن الله سبحانه اني لا اجمع على عبد واحد بين خوفين ولا بين امنين ان خافني في الدنيا امنته في الآخرة وان امنني في الدنيا خوفته في الآخرة (يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) هذا استئناف كلام في الثناء عليهم ومعناه لا يخافون غيري عن ابن عباس وقيل معناه لا يراؤون بعبادتي احداً وفي الآية دلالة على صحة نبوة نبينا ﷺ من جهة الإخبار عن غيب لا يعلم الا بوحي من الله عزوجل (ومن كفر بعد ذلك) اي بعد هذه النعم (فاولئك هم الفاسقون) ذكر الفسق بعد الكفر مع ان الكفر اعظم من الفسق لأن الفسق في كل شيء هو الخروج إلى اكثره فالمعنى أولئك هم الخارجون إلى أقبح وجوه الكفر وافحشه وقيل معناه من جحد تلك النعمة بعد انعام الله تعالى بها فأولئك هم العاصون لله عن ابن عباس واختلف في الآية فقيل انها واردة في اصحاب النبي ﷺ وقيل هي عامة في أمة محمد ﷺ عن ابن عباس ومجاهد والمروي عن اهل البيت (ع) انها في المهدي من آل محمد ﷺ وروى العياشي باسناده عن علي بن الحسين (ع) انه قرأ الآية وقال هم والله شيعتنا أهل البيت يفعل الله ذلك بهم على يدي رجل منا وهو مهدي هذه الأمة وهو الذي قال رسول الله ﷺ لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه اسمي يملأ الارض عدلا وقسطا كما ملئت ظلماً وجوراً وروي مثل ذلك عن ابي جعفر (ع) وابي عبدالله (ع) فعلى هذا يكون المراد بالذين آمنوا وعملوا الصالحات النبي واهل بيته صلوات الرحمن عليهم وتضمنت الآية البشارة لهم بالاستخلاف والتمكن في البلاد وارتفاع الخوف عنهم عند قيام المهدي (ع) منهم ويكون المراد بقوله كما استخلف الذين من قبلهم هو ان جعل الصالح للخلاف خليفة مثل آدم وداود وسليمان (ع) ويدل على ذلك قوله إني جاعل في الارض خليفة ويا داود انا جعلناك خليفة في الارض وقوله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناه ملكا عظيماً وعلى هذا اجماع العترة الطاهرة واجماعهم حجة لقول النبي ﷺ اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وايضاً فإن التمكين في الارض على الإطلاق

لم يتفق فيما مضى فهو منتظر لأن الله عز اسمه لا يخلف وعده

قوله تعالى (٥٦) وَأَقِيمُوا الصَّلٰوةَ وَآتُوا الزَّكٰوةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٧) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ آيتان

القراءة

قرأ ابن عامر وحمزة لا يحسبن بالياء والباقون بالتاء

الحجة

قال ابو علي من قرأ بالياء جاز ان يكون فاعله احد شيئين اما ان يكون تضمن ضميرا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أي لا يحسبن النبي الذين كفروا معجزين فالذين في موضع نصب بأنه المفعول الاول ومعجزين المفعول الثاني ويجوز ان يكون فاعل الحسبان الذين كفروا ويكون المفعول الثاني محذوفاً وتقديره لا يحسبن الذين كفروا انفسهم معجزين ومن قرأ بالتاء ففاعل تحسبن المخاطب

المعنى

ثم امر سبحانه بإقامة امور الدين فقال (واقيموا الصلوة) اي قوموا بأدائها واتمامها في اوقاتها (وآتوا الزكوة) المفروضة (واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) اي لترحموا جزاء على ذلك وتثابوا بالنعم الجزيلة ثم قال (لا تحسبن) يامحمد اوايها السامع (الذين كفروا معجزين) اي سابقين فائتين في الأرض يقال طلبته فأعجزني اي فاتني وسبقني اي لا يفوتوني ومن قرأ بالياء فمعناه لا يظنن الكافرون انهم يفوتونني (ومأويهم النار) اي مستقرهم ومصيرهم النار (ولبئس المصير) اي بئس المستقر والمأوى وإنما وصفها بذلك وإن كانت حكمة وصوابا من فعل الله تعالى لما ينال الصائر اليها من الشدائد والآلام

قوله تعالى (٥٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠) وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ثلاث آيات

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير حفص ثلاث عورات بالنصب والباقون بالرفع وفي الشواذ عن الأعمش عَوَرات بفتح الواو وقرأ ابو جعفر وابو عبد الله (ع) يضعن من ثيابهن وروي ذلك عن ابن عباس وسعيد بن جبير

الحجة

قال ابو علي من رفع كان خبر المبتدأ محذوفاً كأنه قال هذا ثلاث عورات فأجمل بعد التفصيل ومن نصب

جعله بدلا من قوله ثلاث مرات فإن قلت إن قوله ثلاث مرات زمان بدلالة انه فسر بزمان وهو قوله من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء وليس العورات بزمان فكيف يصح وليس هي هو قيل يكون ذلك على ان تضمر الاوقات كأنه قال اوقات ثلاث عورات فلما حذف المضاف اعرب المضاف اليه باعراب المضاف والعورات جمع عورة وحكم ما كان على فعله من الاسماء تحريك العين في الجمع نحو جفنة وجفنات إلا أن عامة العرب كرهوا تحريك العين فيما كان عينه واواً أو ياء لما كان يلزم من الانقلاب إلى الألف فأسكنوا وقالوا عورات وبيضات إلا أن هذيلا حركوا العين منها فقالوا عورات ولوزات وانشد بعضهم

اخو بيضات رائح متأوب رفيق بمسح المنكبين سبوح

فحرك الياء من بيضات والجيد عند النحويين الأول ومن قرأ من ثيابهن فلأنه لا يوضع كل الثياب وإنما يوضع بعضها وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال هو الجلباب إلا ان تكون امة فليس عليها جناح ان تضع خمارها

اللغة

التبرج اظهار المرأة عن محاسنها ما يجب عليها ستره وأصله الظهور ومنه البرج البناء العالي لظهوره

المعنى

لما تقدم احكام النساء والرجال ومن ابيح له الدخول على النساء استثنى سبحانه هاهنا أوقاتا من ذلك فقال (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم) معناه مروا عبيدكم واماءكم أن يستأذنوا عليكم إذا ارادوا الدخول إلى مواضع خلواتكم عن ابن عباس وقيل أراد العبيد خاصة عن ابن عمر وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) من احراركم وأراد به الصبي الذي يميز بين العورة وغيرها وقال الجبائي الاستئذان واجب على كل بالغ في كل حال وعلى الأطفال في هذه الأوقات الثلاثة بظاهر الآية ثلاث مرات أي في ثلاثة أوقات من ساعات الليل والنهار ثم فسرها فقال (من قبل صلاة الفجر) وذلك أن الإنسان ربما يبيت عرياناً أو على حال لا يحب أن يراه غيره في تلك الحال (وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) يريد عند القائلة (ومن بعد صلاة العشاء) الآخرة حين يأوي الرجل إلى امرأته ويخلو بها امر الله بالاستئذان في هذه الاوقات التي يتخلى الناس فيها وينكشفون وفصلها ثم اجملها بعد التفصيل فقال (ثلاث عورات لكم) اي هذه الاوقات ثلاث عورات لكم سمى سبحانه هذه الأوقات عورات لأن الإنسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته قال السدي كان اناس من الصحابة يعجبهم أن يواقعوا نساءهم في هذه الأوقات الساعات ليغتسلوا ثم يخرجوا إلى الصلاة فأمرهم الله سبحانه ان يأمروا الغلمان والمملوكين ان يستأذنوا في هذه الساعات الثلاث (ليس عليكم) يعني المؤمنين الأحرار (ولا عليهم) يعني الخدم والغلمان (جناح بعدهن) اي حرج في ان لا يستأذنوا في غير هذه الأوقات الثلاثة ثم بين المعنى فقال (طوافون عليكم) اي هم خدمكم فلا يجدون بداً من دخولهم عليكم في غير هذه الاوقات ويتعذر عليهم الاستئذان في كل وقت كما قال سبحانه ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي يخدمهم وقال النبي ﷺ انها من الطوافين عليكم والطوافات جعل الهرة بمنزلة العبيد والاماء وقال مقاتل ينقلبون فيكم ليلا ونهاراً (بعضكم على بعض) اي يطوف بعضكم وهم المماليك على بعض وهم الموالي (كذلك) أي كما بين لكم ما تعبدكم به في هذه الآية (يبين الله لكم الآيات) اي الدلالات على الاحكام (والله عليم) بما يصلحكم (حكيم) فيما يفعله (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم) يعني من الأحرار (فليستأذنوا) أي في جميع الاوقات (كما استأذن الذين من قبلهم) من الاحرار الكبار الذين امروا بالاستئذان على كل حال في الدخول عليكم فالبالغ يستأذن في كل الاوقات والطفل والعبد يستأذن في العورات الثلاث (كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم) مر معناه قال سعيد بن المسيب ليستأذن الرجل على امه فإنما نزلت هذه الآية في

ذلك (والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحًا) وهن المسنات من النساء اللاتي قعدن عن التزويج لانه لا يرغب في تزويجهن وقيل هن اللاتي ارتفع حيضهن وقعدن عن ذلك اللاتي لا يطمعن في النكاح اي لا يطمع في جماعهن لكبرهن (فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن) يعني الجلباب فوق الخمار عن ابن مسعود وسعيد بن جبير وقيل يعني الخمار والرداء عن جابر بن زيد وقيل ما فوق الخمار من المقانع وغيرها ابيح لهن القعود بين يدي الاجانب في ثياب ابدانهن مكشوفة الوجه واليد فالمراد بالثياب ما ذكرناه لا كل الثياب (غير متبرجات بزينة) اي غير قاصدات بوضع ثيابهن اظهار زينتهن بل يقصدن به التخفيف عن انفسهن فاظهار الزينة في القواعد وغيرهن محظور واما الشابات فإنهن يمنعن من وضع الجلباب او الخمار ويؤمرن بلبس اكثف الجلابيب لئلا تصفهن ثيابهن وقد روي عن النبي ﷺ انه قال للزوج ما تحت الدرع وللابن والاخ ما فوق الدرع ولغير ذي محرم اربعة اثواب درع وخمار وجلباب وازار (وان يستعففن) اي واستعفاف القواعد وهو ان يطلبن العفة بلبس الجلابيب (خير لهن) من وضعها وان سقط الحرج عنهن فيه (والله سميع) لأقوالكم (عليم) بما في قلوبكم

قوله تعالى (٦١) لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ آية

✻ اللغة ✻

الحرج الضيق مشتق من الحرجة وهي الشجر الملتف بعضه ببعض لضيق المسالك فيه وجمعها حرجات وحراج قال

أيا حرجات الحي حين تحملوا ... بذي سلم لا جادكن ربيع

وحرج فلان إذا أثم وتحرج من كذا إذا تأثم من فعله والاشتات المتفرقون وهو جمع شت

✻ الإعراب ✻

جميعا نصب على الحال وكذلك اشتاتا وتحية منصوب لأنها مصدر سلموا لأن التحية بمعنى التسليم من عند الله صفة تحية

✻ المعنى ✻

لما تقدم ذكر الاستيذان عقبه سبحانه بذكر رفع الحرج عن المؤمنين في الانبساط بالأكل والشرب فقال (ليس على الأعمى حرج) الذي كف بصره (ولا على الأعرج) الذي يعرج من رجليه او احداهما (حرج ولا على المريض) العليل (حرج) اي إثم واختلف في تأويله على وجوه ✻ احدها ✻ ان المعنى ليس عليكم في مؤاكلتهم حرج لأنهم كانوا يتحرجون من ذلك ويقولون ان الأعمى لا يبصر فنأكل جيد الطعام دونه والأعرج لا يتمكن من الجلوس والمريض يضعف عن الأكل عن ابن عباس والفراء ✻ وثانيها ✻ ان المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم وكانوا يدفعون اليهم مفاتيح ابوابهم ويقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في

بيوتنا فكان أولئك يتحرجون من ذلك ويقولون لا ندخلها وهم غيب فنفى الله سبحانه الحرج عن الزمنى في أكلهم من بيت اقاربهم أو من بيت من يدفع اليهم المفتاح إذا خرج للغزو عن سعيد بن المسيب والزهري ❊ وثالثها ❊ ان المعنى ليس على الأعمى والأعرج والمريض ضيق ولا إثم في ترك الجهاد والتخلف عنه ويكون قوله ولا على أنفسكم كلاماً مستأنفا فأول الكلام في الجهاد وآخره في الأكل عن ابن زيد والحسن والجبائي ❊ ورابعها ❊ ان العمي والعرج والمرضى كانوا يتنزهون عن مؤاكلة الاصحاء لأن الناس كانوا يتقذرون منهم ويكرهون مؤاكلتهم وكان أهل المدينة لا يخالطهم في طعام أعمى ولا اعرج ولا مريض عن سعيد بن جبير والضحاك ❊ وخامسها ❊ ان الزمنى والمرضى رخص الله سبحانه لهم في الاكل من بيوت من سماهم في الآية وذلك ان قوما من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا إذا لم يكن عندهم ما يطعمونهم ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم وقراباتهم فكان أهل الزمانة يتحرجون من أن يطعموا ذلك الطعام لأنه يطعمهم غير مالكيه عن مجاهد (ولا على أنفسكم) أي وليس عليكم حرج في أنفسكم (ان تأكلوا من بيوتكم) أي بيوت عيالكم وأزواجكم وبيت المرأة كبيت الزوج وقيل معناه من بيوت أولادكم فنسب بيوت الاولاد إلى الآباء لأن الاولاد كسبهم وأموالهم كأموالهم ويدل عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم أنت ومالك لابيك وقوله صلى الله عليه وآله وسلم إن أطيب ما يأكل المؤمن كسبه وان ولده من كسبه ولذلك لم يذكر الله بيوت الابناء حين ذكر بيوت الآباء والاقارب اكتفاء بهذا الذكر ثم ذكر بيوت الاقارب بعد الاولاد فقال (او بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم) إلى قوله (او بيوت خالاتكم) وهذه الرخصة في أكل مال القرابات وهم لا يعلمون ذلك كالرخصة لمن دخل حائطا وهو جائع أن يصيب من ثمره أو مرّ في سفره بغنم وهو عطشان أن يشرب من رسله توسعة منه على عباده ولطفا لهم ورغبة بهم عن دناءة الاخلاق وضيق العطن وقال الجبائي ان الآية منسوخة بقوله لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين اناه وبقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يحل مال امرء مسلم إلا بطيبة نفس منه والمروي عن أئمة الهدى صلوات الله عليهم انهم قالوا لا بأس بالاكل لهؤلاء من بيوت من ذكر الله تعالى بغير اذنهم قدر حاجتهم من غير اسراف وقوله (أو ما ملكتم مفاتحه) معناه او بيوت عبيدكم ومماليككم وذلك ان السيد يملك منزل عبده والمفاتح هنا الخزائن لقوله وعنده مفاتح الغيب وقيل هي التي يفتح الغيب بها عن ابن عباس قال عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته فلا بأس عليه أن يأكل من ثمر حائطه ويشرب من لبن ماشيته وقيل إذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا بأس أن يطعم الشيء اليسير عن عكرمة وقيل هو الرجل يولى طعام غيره يقوم عليه فلا بأس أن يأكل منه عن السدي (أو صديقكم) رفع الحرج عن الاكل من بيت صديقه بغير إذن إذا كان عالما بأنه تطيب نفسه بذلك والصديق هو الذي صدقك عن مودته وقيل هو الذي يوافق باطنه باطنك كما وافق ظاهره ظاهرك ولفظ الصديق يقع على الواحد وعلى الجمع قال جرير

دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا ... بأسهم أعداء وهن صديق

وقال الحسن وقتادة يجوز دخول الرجل بيت صديقه والتحرم بطعامه من غير استئذان منه في الاكل وقال ابو عبد الله «ع» لهو والله الرجل يأتي بيت صديقه فيأكل طعامه بغير إذنه وروي ان صديقاً للربيع بن خيثم دخل منزله وأكل من طعامه فلما عاد الربيع إلى المنزل اخبرته جاريته بذلك فقال إن كنت صادقة فأنت حرة (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا او اشتاتا) أي مجتمعين او متفرقين وذكر في تأويله وجوه ❊ احدها ❊ ان حيا من كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئا وربما كانت معه الإبل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فأعلم الله سبحانه ان الرجل منهم إن أكل وحده فلا إثم عليه عن قتادة والضحاك وابن جريج ❊ وثانيها ❊ ان معناه لا بأس بأن يأكل الغني مع الفقير في بيته فإن

الغني كان يدخل على الفقير من ذوي قرابته او صداقته فيدعوه إلى طعامه فيتحرج عن ابن عباس * وثالثها * انهم كانوا إذا نزل بهم ضيف تحرجوا ان يأكلوا إلا معه فأباح الله سبحانه الأكل على الانفراد وعلى الاجتماع عن ابي صالح والأقوال متقاربة والأولى الحمل على العموم (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أي ليسلم بعضكم على بعض عن الحسن فيكون كقوله أن اقتلوا أنفسكم وقيل معناه فسلموا على أهليكم وعيالكم عن جابر وقتادة والزهري والضحاك وقيل معناه فإذا دخلتم بيوتا يعني المساجد فسلموا على من فيها عن ابن عباس والأولى حمله على العموم وقال ابراهيم إذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال ابو عبد الله «ع» هو تسليم الرجل على أهل البيت حين يدخل ثم يردون عليه فهو سلامكم على أنفسكم (تحية من عند الله) أي هذه تحية حياكم الله بها عن ابن عباس وقيل معناه علمها الله وشرعها لكم فإنهم كانوا يقولون عم صباحاً ثم وصف التحية فقال (مباركة طيبة) أي إذا ألزمتموها كثر خيركم وطاب أجركم وقيل مؤبدة حسنة جميلة عن ابن عباس وقيل إنما قال مباركة لأن معنى السلام عليكم حفظكم الله وسلمكم الله من الآفات فهو دعاء بالسلامة من آفات الدنيا والآخرة وقال طيبة لما فيها من طيب العيش بالتواصل وقيل لما فيها من الأجر الجزيل والثواب العظيم (كذلك) أي كما بين لكم هذه الأحكام والآداب (يبين الله لكم الآيات) أي الأدلة على جميع ما يتعبدكم به (لعلكم تعقلون) أي لتعقلوا معالم دينكم

قوله تعالى (٦٢) إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا ٱسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٣) لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٤) أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ثلاث آيات

* اللغة *

التسلل الخروج في خفية يقال تسلل فلان من بين أصحابه إذا خرج من جملتهم والسلة السرقة في الخفية وكذلك الاسلال ومنه الحديث لا اغلال ولا اسلال واللواذ ان يستتر بشيء مخافة من يراه وقيل اللواذ الاعتصام بالشيء بأن يدور معه حيث دار من قولهم لاذ به وقال الزجاج الملاوذة المخالفة هاهنا بدلالة قوله فليحذر الذين يخالفون عن أمره ويقال خالفه إلى الامر إذا ذهب اليه دونه ومنه قوله وما أريد أن اخالفكم إلى ما انهيكم عنه وخالفه عن الأمر إذا صد عنه دونه

* الاعراب *

لواذا مصدر وضع موضع الحال والتقدير يتسللون منكم ملاوذين يخالفون عن امره أي يخالفون الله عن امره بمعنى يجاوزون أمره. ويوم يرجعون يوم منصوب بالعطف على محذوف وهو ظرف زمان والتقدير ما أنتم تثبتون عليه الآن ويوم يرجعون اليه خرج من الخطاب إلى الغيبة

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر المعاشرة مع الأقرباء والمسلمين بين سبحانه في هذه الآية كيفية المعاشرة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله) أي ليس المؤمنون على الحقيقة إلا الذين صدقوا بتوحيد الله وعدله وأقروا بصدق رسوله (وإذا كانوا معه) اي مع رسوله (على امر جامع) وهو الذي يقتضي الإجماع عليه والتعاون فيه من حضور حرب أو مشورة في امر أو صلاة جمعة او ما أشبه ذلك (لم يذهبوا حتى يستأذنوه) أي لم ينصرفوا عن الرسول او عن ذلك الأمر إلا بعد أن يطلبوا الاذن منه في الانصراف (إن الذين يستأذنونك) يا محمد (أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله) أي فهم الذين يصدقون بالله ورسوله على الحقيقة دون الذين ينصرفون بلا استئذان (فإذا استأذنوك لبعض شأنهم) أي متى ما استأذنك هؤلاء المؤمنون ان يذهبوا لبعض مهماتهم وحاجاتهم (فأذن لمن شئت منهم) خير سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بين أن يأذن وأن لا يأذن وهكذا حكم من قام مقامه من الأئمة (واستغفر لهم الله) اي واطلب المغفرة لهم من الله بخروجهم من جملة من معك واستغفار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهم هو دعاؤه لهم باللطف الذي تقع معه المغفرة (ان الله غفور) للمؤمنين أي ساتر لذنوبهم (رحيم) بهم أي منعم عليهم ثم امر سبحانه جميع المكلفين فقال (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) اختلف في تأويله على وجوه ﴿ احدها ﴾ انه سبحانه علمهم تفخيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المخاطبة واعلمهم فضله فيه على سائر البرية والمعنى لا تقولوا له عند دعائه يا محمد أو يا ابن عبد الله ولكن قولوا يا رسول الله يا نبي الله في لين وتواضع وخفض صوت عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ﴿ وثانيها ﴾ انه نهي عن التعرض لدعاء رسوله عليهم فالمعنى احذروا دعاءه عليكم إذا أسخطتموه فإن دعاءه موجب مجاب بغير شك وليس كدعاء غيره عن ابن عباس في رواية أخرى ﴿ وثالثها ﴾ ان المعنى ليس الذي يأمركم به الرسول ويدعوكم اليه كما يدعو بعضكم بعضاً لأن في القعود عن امره قعوداً عن امر الله تعالى عن ابي مسلم (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) قال ابن عباس هو ان يلوذ بغيره فيهرب وذلك ان المنافقين كان يثقل عليهم خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة فيلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد في استتار من غير استئذان وفيه معنى التهديد بالمجازاة وقال مجاهد كانوا يتسللون في الجهاد رجوعاً عنه وقيل معناه يستترون ويستخفون تقية والتجاء (فليحذر الذين يخالفون عن امره) حذرهم سبحانه عن مخالفة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أي فليحذر الذين يعرضون عن امر الله تعالى وإنما دخلت عن لهذا المعنى وقيل عن امر النبي صلى الله عليه وآله وسلم (ان تصيبهم فتنة) أي بلية تظهر ما في قلوبهم من النفاق وقيل عقوبة في الدنيا (أو يصيبهم عذاب اليم) في الآخرة وفي هذا دلالة على ان أوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الإيجاب لأنها لو لم تكن كذلك لما حذر سبحانه عن مخالفته ثم عظم سبحانه نفسه بأن قال (ألا ان لله ما في السماوات والارض) اي له التصرف في جميع ذلك ولا يجوز لأحد الاعتراض عليه ولا مخالفة امره فليس للعبد ان يخالف امر مالكه (قد يعلم ما انتم عليه) من الخيرات والمعاصي ومن الإيمان والنفاق لا يخفى عليه شيء من احوالكم (ويوم يرجعون اليه) يعني يوم البعث يعلمه الله سبحانه متى هو (فينبئهم بما عملوا) من الخير والشر والطاعات والمعاصي (والله بكل شيء) من اعمالهم وغيرها (عليم) معناه يردون اليه للجزاء فيجازي كلا على قدر عمله من الثواب والعقاب

(سورة الفرقان)

مكية كلها عن مجاهد وقتادة وقال ابن عباس إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة من قوله والذين لا يدعون مع الله إلها آخر إلى قوله غفوراً رحيما

عدد آيها

وهي سبع وسبعون آية بلا خلاف

فضلها

أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الفرقان بعث يوم القيامة وهو يؤمن أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ودخل الجنة بغير حساب وروى اسحاق بن عمار عن ابي الحسن الرضا «ع» قال يا ابن عمار لا تدع قراءة تبارك الذي نزل الفرقان على عبده فإن من قرأها في كل ليلة لم يعذبه الله ابداً ولم يحاسبه وكان منزلته في الفردوس الأعلى

تفسيرها

اتصلت هذه السورة بسورة النور اتصال النظير بالنظير فإن مختتم تلك السورة تضمن ان لله ما في السماوات والارض وانه بكل شيء عليم ومفتتح هذه السورة ان له ملك السماوات والارض سبحانه من قدير حكيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً (٢) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً (٣) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرّاً وَلَا نَفْعاً وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتاً وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُوراً (٤) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً (٥) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٦) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً (٧) وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً (٨) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً (٩) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً (١٠) تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُوراً عشر آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم نأكل منها بالنون والباقون بالياء وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو بكر ويجعل لك بالرفع والباقون بالجزم

﴿ الحجة ﴾

من قرأ يأكل منها بالياء فإنه يعني به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن قرأ نأكل منها فكأنه اراد انه تكون له المزية علينا في الفضل بأكلنا من جنته ومن قرأ ويجعل لك بالجزم عطف على موضع جعل لأنه جزاء الشرط قال الشاعر

أنى سلكت فإنني لك كاشح ... وعلى انتقاصك في الحياة وازدد

ومن رفع قطعه مما قبله واستأنف

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج التقدير جاءوا بظلم وزور فلما سقطت الباء افضى الفعل فنصب الفعل واقول انه يجوز جاءوا ظلماً بمعنى اتوا ظلما قال طرفة

على غير ذنب جئته . غير انني ... نشدت فلم أعقل حمولة مبعد

فمعنى جئته فعلته • اكتتبها جملة في موضع نصب على الحال • من اساطير الاولين وقد مضمرة واساطير خبر مبتدء محذوف • ويأكل الطعام حال والعامل فيه ما تعلق به اللام في قوله ماهذا الرسول فيكون منصوبا بإضمار ان • كيف ضربوا كيف في محل النصب على المصدر والتقدير ضرب اي ضربوا لك الامثال ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال من الواو في ضربوا التقدير انظر أمنكرين ضربوا لك الامثال ام لا • ان شاء جعل لك خيراً من ذلك الشرط والجزاء صلة الذي • وجنات بدل من قوله خيرا

﴿ المعنى ﴾

(تبارك) تفاعل من البركة معناه عظمت بركاته وكثرت عن ابن عباس والبركة الكثرة من الخير وقيل معناه تقدس وجل بما لم يزل عليه من الصفات ولا يزال كذلك فلا يشاركه فيها غيره واصله من بروك الطير فكأنه قال ثبت ودام فيما لم يزل ولا يزال عن جماعة من المفسرين وقيل معناه قام بكل بركة وجاء بكل بركة (الذي نزل الفرقان) اي القرآن الذي يفرق بين الحق والباطل والثواب والخطأ في امور الدين بما فيه من الحث على افعال الخير والزجر عن القبائح والشر (على عبده) محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ليكون) محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن (للعالمين) اي لجميع المكلفين من الانس والجن (نذيراً) اي مخوفاً بالعقاب وداعياً لهم إلى الرشاد ثم وصف سبحانه نفسه فقال (الذي له ملك السماوات والارض ولم يتخذ ولداً) كما زعمت اليهود والنصارى والمشركون (ولم يكن له شريك في الملك) يشاركه فيما خلق ويمنعه عن مراده (وخلق كل شيء) مما يطلق عليه اسم المخلوق (فقدره تقديرا) على ما اقتضته الحكمة والتقدير تبيين مقادير الاشياء للعباد فيكون معناه قدر الاشياء بأن كتبها في الكتاب الذى كتبه الملائكة لطفا لهم وقيل خلق كل شيء فقدر طوله وعرضه ولونه وسائر صفاته ومدة بقائه عن الحسن ثم اخبر سبحانه عن الكفار فقال (واتخذوا من دونه) اى من دون الله (آلهة) من الاصنام والاوثان وجهوا عبادتهم اليها ثم وصف آلهتهم بما ينبئ انها لا تستحق العبادة فقال (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) اى وهي مخلوقة مصنوعة (ولا يملكون لأنفسهم ضرا) فيدفعونه عن انفسهم (ولا نفعا) فيجرونه إلى انفسهم اى لا يقدرون على دفع ضر ولا على جر نفع (ولا يملكون موتا ولا حياة) اى لا يستطيعون اماتة ولا احياء (ولا نشورا) ولا اعادة بعد الموت يقال انشره الله فنشر فإن جميع ذلك يختص الله تعالى بالقدرة عليه والمعنى فكيف يعبدون من لا يقدر على شيء من ذلك ويتركون عبادة ربهم الذى يملك ذلك كله ثم اخبر سبحانه عن تكذيبهم بالقرآن فقال (وقال الذين كفروا إن هذا إلا افك افتراه) اي ماهذا القرآن إلا كذب افتراه محمد صلى الله عليه وآله وسلم واختلقه من تلقاء نفسه (واعانه عليه قوم آخرون) قالوا اعان محمد صلى الله عليه وآله وسلم

على هذا القرآن عداس مولى حويطاب بن عبد العزى ويسار غلام العلاء ابن الحضرمي وحبر مولى عامر وكانوا من أهل الكتاب وقيل انهم قالوا أعانه قوم من اليهود عن مجاهد (فقد جاؤوا ظلما وزوراً) أي فقد قالوا شركا وكذباً حين زعموا ان القرآن ليس من الله ومتى قيل كيف اكتفى بهذا القدر في جوابهم قلنا انه لما تقدم التحدي وعجزهم عن الاتيان بمثله اكتفى هاهنا بالتنبيه على ذلك (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها) معناه وقالوا ايضا هذه أحاديث المتقدمين وما سطروه في كتبهم انتسخها وقيل استكتبها (فهي تملى عليه بكرة وأصيلا) أي تملى عليه طرفي نهاره حتى يحفظها وينسخها والأصيل العشي لأنه أصل الليل وأوله وفي هذا بيان مناقضتهم وكذبهم لأنهم قالوا افتراه ثم قالوا تملى عليه فقد افتراه غيره وقالوا انه كتب وقد علموا انه كان لا يحسن الكتابة فكيف كتب ولم يستكتب ثم قال سبحانه (قل) يا محمد لهم تكذيبا لقولهم (أنزله) أي انزل القرآن (الذي يعلم السر) أي الخفيات (في السماوات والأرض) على ما اقتضاه علمه ببواطن الأمور لا على ما تقتضيه أهواء النفوس والصدور (انه كان غفوراً رحيما) حيث لم يعاجلهم بالعذاب بل أنعم عليهم بإرسال الرسول اليهم لتأكيد الحجة وقطع المعذرة (وقالوا ما لهـذا الرسول يأكل الطعام) كما نأكل (ويمشي في الأسواق) في طلب المعاش كما نمشي (لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا) أي هلا انزل اليه ملك فيكون معينا له على الإنذار والتخويف وهذا أيضا من مقالاتهم الفاسدة لأن الملك لو كان معينا له على اداء الرسالة ومخوفا من ترك قبولها ولو فعل تعالى ذلك لأدى ذلك الى استصغار كل واحد منها من حيث انه لم يقم بنفسه في اداء الرسالة ولأن الجنس الى الجنس اميل وبه آنس (أو يلقى اليه كنز) يستغني به عن طلب المعاش قال ابن عباس او ينزل اليه مال من السماء (او تكون له جنة يأكل منها) اي بستان يأكل من ثمارها ومن قرأ بالنون فالمعنى نأكل نحن معه ونتبعه (وقال الظالمون) اي المشركون للمؤمنين (إن تتبعون إلا رجلا مسحورا) اي ما تتبعون إلا رجلا مخدوعا مغلوبا على عقله وقد سبق تفسير المسحور في بني اسرائيل (أنظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الأمثال) اي الأشباه لأنهم قالوا تارة هو مسحور وتارة هو محتاج متروك حتى تمنوا له الكنز وتارة انه ناقص عن القيام بالأمور (فضلوا) بهذا عن الهدى وعن وجه الصواب وطريق الحق (فلا يستطيعون سبيلا) لإلزامك الحجة من الوجوه المذكورة وقيل معناه لا يستطيعون سبيلا الى ابطال امرك وقيل معناه لا يستطيعون سبيلا إلى الحق مع ردهم الدلائل والحجج واتباعهم التقليد والإلف والعادة (تبارك) أي تقدس (الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك) الذي اقترحوه من الكنز والبستان ثم فسر الذي هو خير مما اقترحوه فقال (جنات تجري من تحتها الأنهار) ليكون ابلغ في الزهو واسرع في نضج الثمار (ويجعل لك قصورا) اي وسيجعل لك قصورا في كل بستان قصرا والقصور البيوت المبنية المشيدة المطولة عن مجاهد وأراد في الآخرة أي سيعطيك الله في الآخرة اكثر مما قالوا وقيل أراد به في الدنيا لأن جبرائيل (ع) عرض عليه ذلك كله فاختار الزهد في الدنيا

قوله تعالى (١١) بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً (١٢) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً (١٣) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً (١٤) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً (١٥) قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ

أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيراً (١٦) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُولاً (١٧) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا ٱلسَّبِيلَ (١٨) قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً (١٩) فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلَا نَصْراً وَمَنْ يَظْلِمْ مِنْكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً (٢٠) وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً عشر آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن كثير وحفص ويعقوب ويوم يحشرهم بالياء والباقون بالنون وقرأ ابن عامر فنقول بالنون والباقون بالياء وقرأ ابو جعفر وزيد عن يعقوب ان نتخذ بضم النون وفتح الخاء وهو قراءة زيد بن ثابت وابي الدرداء وروي عن جعفر بن محمد «ع» وزيد بن علي والباقون نتخذ بفتح النون وكسر الخاء وروى بعضهم عن ابن كثير فقد كذبوكم بما يقولون بالياء والقراءة المشهورة بالتاء وقرأ حفص فما تستطيعون بالتاء والباقون بالياء وروي عن علي «ع» ويمشون في الاسواق بضم الياء وفتح الشين المشددة

الحجة

قال ابو علي حجة من قرأ يحشرهم بالياء قوله كان على ربك وعدا مسئولا ويوم يحشرهم ربك ومن قرأ نحشرهم بالنون فيقول بالياء فعلى انه افرد بعد ان جمع كما افرد بعد الجمع في قوله وآتينا موسى الكتاب الى قوله ألا تتخذوا من دوني وكيلا وقراءة ابن عامر ويوم نحشرهم فنقول حسنا لاجرائه المعطوف مجرى المعطوف عليه في لفظ الجمع قال ابن جني من قرأ أن نتخذ بضم النون فإن قوله من اولياء في موضع الحال أي ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك اولياء ودخلت من زائدة لمكان النفي تقول اتخذت زيدا وكيلا فإن نفيت قلت ما اتخذت زيدا من وكيل وكذلك اعطيته درهما وما أعطيته من درهم وهذا في المفعول به واما قراءة الجماعة ان نتخذ من دونك من اولياء فإن قوله من اولياء في موضع المفعول اي اولياء فهو كقولك ضربت رجلا فإن نفيت قلت ما ضربت من رجل والمعنى في قوله ما كان ينبغي لنا أن نتخذ لسنا ندعي استحقاق الولاء ولا العبادة لنا والمعنى في قوله فقد كذبوكم بما تقولون بالتاء كذبوكم في قولكم انهم شركاء وانهم آلهة وذلك في قولهم تبرأنا اليك ما كانوا إيانا يعبدون ومن قرأ بما يقولون بالياء فالمعنى فقد كذبوكم اي ما كنتم تعبدون بقولهم وقولهم هو نحو ما قالوه في قوله وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون وقوله فألقوا اليهم القول انكم لكاذبون وقوله فما يستطيعون بالياء معناه فما يستطيع الشركاء صرفا ولا نصرا لكم ومن قرأ بالتاء فمعناه فما تستطيعون انتم ايها المتخذون للشركاء من دونه صرفا ولا نصرا ومن قرأ يمشون فمعناه يدعون الى المشي ويحملهم حامل على المشي وجاء على فعل لتكثير فعلهم لأنهم جماعة

﴿ اللغة ﴾

السعير النار الملتهبة مأخوذة من اسمار النار وهو شدة إيقادها اسعرتها اسعارا وسعرها الله تسعيرا والتغيظ الهيجان والغليان ومنه قيل لشدة الغضب الغيظ ومقرنين مأخوذ من القرن وهو الحبل يشد فيه بعيران او أبعرة ثم يستعمل في كل مجتمعين والثبور الهلاك وثبر الرجل فهو مثبور اهلك قال ابن الزبعرى

إذا جاري الشيطان في سنن الغي   ومن مال ميله مثبور

ويقال ما ثبرك عن هذا الأمر اي ما صرفك عنه فكان المثبور ممنوع من كل خير حتى هلك والبور الهلكى وهو جمع البائر وقيل هو مصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث قال ابن الزبعري

يا رسول المليك إن لساني   راتق ما فتقت إذ انا بور

وأصل الباب من بارت السلعة تبور إذا كسدت فلا تشترى فكأنها بقيت وفسدت

﴿ الإعراب ﴾

مكانا ظرف لألقى . مقرنين نصب على الحال . ثبورا مصدر فعل محذوف تقديره ثبر ثبورا . ودعوا هنا بمعنى قالوا وهنالك يحتمل أن يكون ظرف زمان وان يكون ظرف مكان أي دعوا في ذلك اليوم أو في ذلك المكان . كانت لهم جزاء ومصيرا في موضع نصب على الحال من وعد وقد مضمرة وذو الحال الضمير المحذوف العائد من الصلة الى الموصول . لهم فيهاما يشاؤن جملة أخرى في موضع الحال من قوله المتقون . وما ارسلنا قبلك من المرسلين مفعول ارسلنا محذوف تقديره وما ارسلنا قبلك رسلا ويدل عليه قوله من المرسلين . إلا انهم ليأكلون الطعام ان مع اسمه وخبره مستثنى عن الرسل المحذوفة تقديره وما ارسلنا قبلك رسلا إلا هم يأكلون الطعام وهذا كما يقال ما قدم علينا امير إلا أنه مكرم لي وليست كسرة ان لأجل اللام فإن دخولها وخروجها واحد في هذا الموضع وقيل ما في الآية كقول الشاعر

ما أعطياني ولا سألتهما   إلا واني لحاجز كرمي

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه سوء اعتقادهم وما أعده لهم على قبيح فعالهم ومقالهم فقال (بل كذبوا بالساعة) أي ما كذبوك لأنك تأكل الطعام وتمشي في الأسواق بل لأنهم لم يقروا بالبعث والنشور والثواب والعقاب (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) اي ناراً تتلظى ثم وصف ذلك السعير فقال (إذا رأتهم من مكان بعيد) اي من مسيرة مائة عام عن السدي والكلبي وقال ابو عبد الله «ع» من مسيرة سنة ونسب الرؤية الى النار وإنما يرونها هم لأن ذلك ابلغ كأنها تراهم رؤية الغضبان الذي يزفر غيظا وذلك قوله (سمعوا لها تغيظا وزفيرا) وتغيظها تقطعها عند شدة اضطرابها وزفيرها صوتها عند شدة التهابها كالتهاب الرجل المغتاظ والتغيظ لا يسمع وإنما يعلم بدلالة الحال عليه وقيل معناه سمعوا لها صوت تغيظ وغليان قال عبيد بن عمير ان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى نبي ولا ملك إلا خر لوجهه وقيل التغيظ للنار والزفير لأهلها كأنه يقول رأوا للنار تغيظا وسمعوا لأهلها زفيرا (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا) معناه وإذا ألقوا من النار في مكان ضيق يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح عن أكثر المفسرين وفي الحديث قال «ع» في هذه الآية والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد في الحائط (مقرنين) اي مصفدين قرنت ايديهم الى اعناقهم في الاغلال وقيل

قرنوا مع الشياطين في السلاسل والأغلال عن الجبائي (دعوا هنالك ثبورا) اي دعوا بالويل والهلاك على انفسهم كما يقول القائل واثبورا اي واهلاكاه وقيل وانصرافاه عن طاعة الله فتجيبهم الملائكة (لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) اي لا تدعوا ويلا واحدا وادعوا ويلا كثيرا اي لا ينفعكم هذا وإن كثر منكم قال الزجاج معناه هلاككم اكبر من ان تدعوا مرة واحدة (قل) يا محمد (ذلك) يعني ما ذكره من السعير (خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت) تلك الجنة (لهم جزاء) على اعمالهم (ومصيراً) اي مرجعا ومستقرا (لهم فيها ما يشاؤن) ويشتهون من المنافع واللذات (خالدين) مؤبدين لا يفنون فيها (كان على ربك وعداً مسئولا) قال ابن عباس معناه ان الله سبحانه وعد لهم الجزاء فسألوه الوفاء فوفى وقيل معناه ان الملائكة سألوا الله تعالى ذلك لهم فأجيبوا الى مسألتهم وذلك قولهم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم عن محمد بن كعب وقيل انهم سألوا الله تعالى في الدنيا الجنة بالدعاء فأجابهم في الآخرة الى ما سألوا واتاهم ما طلبوا (ويوم نحشرهم) اي نجمعهم (وما يعبدون من دون الله) يعني عيسى وعزير والملائكة عن مجاهد وقيل يعني الأصنام عن عكرمة والضحاك (فيقول) الله تعالى لهؤلاء المعبودين (ءأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) اي طريق الجنة والنجاة (قالوا) يعني المعبودين من الملائكة والانس او الأصنام إذا أحياهم الله وانطقهم (سبحانك) تنزيها لك عن الشريك وعن ان يكون معبود سواك (ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من اولياء) اي ليس لنا ان نوالي اعداءك بل انت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان يجوز لنا وللعابدين وما كان يحق لنا أن نأمر احدا بأن يعبدنا ولا يعبدك فإنا لو أمرناهم بذلك لكنا واليناهم ونحن لا نوالي من يكفر بك ومن قرأ نتخذ فمعناه ما كان يحق لنا ان نعبد (ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر) فمعناه ولكن طولت اعمارهم واعمار آبائهم ومتعتهم بالأموال والأولاد بعد موت الرسل حتى نسوا الذكر المنزل على الأنبياء وتركوه (وكانوا قوما بورا) اي هلكى فاسدين هذا تمام الحكاية عن قول المعبودين من دون الله فيقول الله سبحانه عند تبرء المعبودين من عبدتهم (فقد كذبوكم) اي كذبكم المعبودون ايها المشركون (بما تقولون) اي بقولكم انهم آلهة شركاء لله ومن قرأ بالياء فالمعنى فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان ينبغي لنا الآية (فما يستطيعون صرفا) اي فما يستطيع المعبودون صرف العذاب عنكم (ولا نصرا) لكم بدفع العذاب عنكم ومن قرأ بالتاء فالمعنى فما تستطيعون ايها المتخذون الشركاء صرف العذاب عن انفسكم ولا ان تنصروا انفسكم بمنعها من العذاب (ومن يظلم منكم) نفسه بالشرك وارتكاب المعاصي (نذقه) في الآخرة (عذابا كبيرا) اي شديداً عظيما ثم رجع سبحانه الى مخاطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (وما ارسلنا قبلك) يا محمد (من المرسلين إلا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق) قال الزجاج وهذا احتجاج عليهم في قوله ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق اي فقل لهم كذلك كان من خلا من الرسل فكيف يكون محمد بدعا منهم (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أي امتحانا وابتلاء وهو افتتان الفقير بالغني يقول لو شاء الله لجعلني مثله غنيا والأعمى بالبصير يقول لو شاء الله لجعلني مثله بصيرا وكذلك السقيم بالصحيح عن الحسن وقيل هو ابتلاء فقراء المؤمنين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين اتبعوا محمدا من موالينا ورذالنا فقال الله لهؤلاء الفقراء (أتصبرون) ايها الفقراء على الأذى والاستهزاء (وكان ربك بصيرا) ان صبرتم فاصبروا فأنزل الله فيهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا عن مقاتل

وقيل معناه أتصبرون ايها الفقراء على فقركم ولا تفعلون ما يؤدي الى مخالفتنا أتصبرون ايها الأغنياء فتشكرون ولا تفعلون ما يؤدي الى مخالفتنا (وكان ربك بصيرا) اي عليما فيغني من أوجبت الحكمة اغناءه ويفقر من أوجبت الحكمة افقاره وقيل بصيرا بمن يصبر وبمن يجزع عن ابن جريج

قوله تعالى (٢١) وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (٢٢) يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا (٢٣) وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٤) أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا (٢٥) وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَاءُ بِٱلْغَمَامِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا (٢٦) ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَافِرِينَ عَسِيرًا (٢٧) وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٨) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٩) لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ ٱلشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا (٣٠) وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا هَٰذَا ٱلْقُرْآنَ مَهْجُورًا عشر آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة وابو عمرو تشقق خفيفة الشين هاهنا وفي سورة ق والباقون تشقق مشددة الشين وقرأ ابن كثير ننزل بنونين خفيفة الملائكة بالنصب والباقون ونزل بنون واحدة وتشديد الزاي وفتح اللام والملائكة بالرفع

الحجة

تشقق اصله تتشقق فادغم التاء في الشين والتخفيف اكثر في الكلام لأن الحذف اخف عليهم من الإدغام ومن قرأ وننزل الملائكة تنزيلا فإن انزل مثل نزل ومثله في التنزيل وتبتل اليه تبتيلا فجاء المصدر على فعل قال الشاعر «وقد تطويت انطواء الحصب»

اللغة

الرجاء ترقب الخير الذي يقوى في النفس وقوعه ومثله الطمع والأمل واللقاء المصير إلى الشيء من غير حائل والعتو الخروج إلى افحش الظلم واصل الحجر الضيق وسمي الحرام حجر الضيقة بالنهي عنه قال المتلمس

حنت إلى النخلة القصوى فقلت لها حجر حرام إلى تلك الدهاريس

ومنه حجر الكعبة لأنه لا يدخل عليه في الطواف وانما يطاف من ورائه لتضييقه بالنهي عنه والحجر العقل لما فيه من التضييق في القبيح والهباء غبار كالشعاع لا يمكن القبض عليه وفلان كناية عن واحد بعينه من الناس لأنه معرفة وقال ابن دريد عن ابي حاتم عن العرب انهم كنوا عن كل مذكر بفلان وعن كل مؤنثة بفلانة فإذا كنوا عن البهائم ادخلوا عليه الألف واللام فقالوا الفلان والفلانة

﴿ الاعراب ﴾

يوم يرون الملائكة العامل في يوم معنى قوله لا بشرى يومئذ للمجرمين فإنه يدل على يحزنون ويومئذ توكيد ليوم يرون ولا يجوز ان يكون يوم يرون منصوبا بلا بشرى لأن ما يتصل بلا لم يعمل فيما قبلها وحجرا منصوب لأنه مفعول ثان لفعل مقدر وهو جعل الله عليكم الجنة حجرا محجورا. اصحاب الجنة يومئذ خير العامل في يومئذ خير. ويوم تشقق العامل فيه محذوف تقديره واذكر يوم تشقق. الملك يومئذ الحق للرحمن يومئذ من صلة الملك الذي هو المصدر والحق صفة له والجار والمجرور الذي هو للرحمن في موضع خبر المبتدأ الذي هو الملك ويجوز ان يكون يومئذ ظرفا وهو بدل من يوم تشقق ويكون العامل فيهما الظرف الذي هو قوله للرحمن وان تقدما عليه. ويوم يعض يجوز أن يكون العامل فيه اذكر ويجوز ان يكون معطوفا على ما قبله. ويقول جملة في موضع الحال. ياليتني المنادى محذوف وتقديره ياصاحبي ليتني. وياويلتا منادى مضاف اصله ياويلتي تعالي فانه وقتك فابدل من الكسرة فتحة ومن الياء الفا لثقل الكسرة والياء وخفة الفتحة والألف

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس نزل قوله ويوم يعض الظالم في عقبة ابن ابي معيط وابي بن خلف وكانا متخالين وذلك ان عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاما فدعا اليه اشراف قومه وكان يكثر مجالسة الرسول فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاما ودعا الناس فدعا رسول الله ﷺ إلى طعامه فلما قربوا الطعام قال رسول الله ﷺ ما أنا بآكل من طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال عقبة اشهد ان لا إله إلا الله واشهد أن محمدا رسول الله وبلغ ذلك ابي بن خلف فقال صبأت ياعقبة قال لا والله ما صبأت ولكن دخل علي رجل فأبى ان يطعم من طعامي إلا أن اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ابي ما كنت براض عنك ابدا حتى تأتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة وارتد وأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه فقال النبي ﷺ لا القاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فضرب عنقه يوم بدر صبرا وأما ابي بن خلف فقتله النبي ﷺ يوم احد بيده في المبارزة وقال الضحاك لما بزق عقبة في وجه رسول الله ﷺ عاد بزاقه في وجهه فأحرق خديه وكان اثر ذلك فيه حتى مات وقيل نزلت في كل كافر او ظالم تبع غيره في الكفر أو الظلم وترك متابعة امر الله تعالى وقال ابو عبد الله (ع) ليس رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه آية أو آيتان تقوده إلى جنة أو تسوقه إلى نار تجري فيمن بعده إن خيرا فخيرا وإن شرا فشرا

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه عن حال الكفار بقوله (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يأملون لقاء جزائنا وهذا عبارة عن انكارهم البعث والمعاد وقيل معناه لا يخافون فهي لغة تهامة وهذيل يضعون الرجاء موضع الخوف إذا كان معه جحد لأن من رجا شيئا خاف فوته فإنه إذا لم يخف كان يقينا ومن خاف شيئا رجا الخلاص منه فوضع احدهما موضع الآخر (لولا انزل علينا الملائكة) اي هلا انزل الملائكة ليخبرونا بأن محمدا نبي (أو نرى ربنا) فيخبرنا بذلك ويأمرنا باتباعه وتصديقه قال الجبائي وهذا يدل على انهم كانوا مجسمة فلذلك جوزوا الرؤية على الله ثم اقسم الله عز اسمه فقال (لقد استكبروا) بهذا القول (في انفسهم)

أي طلبوا الكبر والتجبر بغير حق (وعتوا) بذلك اي طغوا وعاندوا (عتوا كبيرا) اي طغيانا وعنادا عظيما وتمردوا في رد امر الله تعالى غاية التمرد ثم اعلم سبحانه ان الوقت الذي يرون فيه الملائكة هو يوم القيامة وان الله تعالى قد حرمهم البشرى في ذلك اليوم فقال (يوم يرون الملائكة) يعني يوم القيامة (لا بشرى يومئذ للمجرمين) اي لا بشارة لهم بالجنة والثواب قال الزجاج والمجرمون الذين اجرموا الذنوب وهم في هذا الموضع الذين اجترموا الكفر بالله عز وجل (ويقولون حجرا محجورا) اي ويقول الملائكة لهم حراما محرما عليكم سماع البشرى عن قتادة والضحاك وقيل معناه ويقول المجرمون للملائكة كما كانوا يقولون في الدنيا إذا لقوا من يخافون منه القتل حجرا محجورا دماؤنا عن مجاهد وابن جريج قال الخليل كان الرجل يرى الرجل الذي يخاف منه القتل في الجاهلية في الأشهر الحرم فيقول حجرا محجورا اي حرام عليك حرمتي في هذا الشهر فلا يبدأه بشر فإذا كان يوم القيامة رأوا الملائكة فقالوا ذلك ظنا منهم انه ينفعهم وقيل معناه يقول الملائكة حراما محرما أن يدخل الجنة إلا من قال لا إله إلا الله عن عطا عن ابن عباس وقيل يقولون حجرا محجوراً عليكم أن تتعوذوا فلا معاذ لكم (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل) أي قصدنا وعمدنا كما في قول الشاعر

وقدم الخوارج الضلال   إلى عباد ربهم فقالوا   إن دماءكم لنا حلال

وفي هذا بلاغة عجيبة لأن التقدير قصدنا اليه قصد القادم على ما يكرهه مما لم يكن رآه قبل فيغيره وأراد به العمل الذي عمله الكفار في الدنيا مما رجوا به النفع والأجر وطلبوا به الثواب والبر نحو انصافهم لمن يعاملهم ونصرهم للمظلوم واعتاقهم وصدقاتهم وما كانوا يتقربون به إلى الأصنام (فجعلناه هباء منثوراً) وهو الغبار يدخل الكوة من شعاع الشمس عن الحسن ومجاهد وعكرمة وقيل هو رهج الدواب عن ابن زيد وقيل هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب عن قتادة وسعيد بن جبير وقيل هو الماء المهراق عن ابن عباس والمنثور المتفرق وهذا مثل والمعنى تذهب اعمالهم باطلاً فلم ينتفعوا بها من حيث عملوها لغير الله ثم ذكر سبحانه فضل أهل الجنة على أهل النار فقال (اصحاب الجنة يومئذ) يعني يوم القيامة (خير مستقراً) أي افضل منزلا في الجنة (وأحسن مقيلا) أي موضع قائلة قال الازهري القيلولة عند العرب الاستراحة نصف النهار إذا اشتد الحر وان لم يكن مع ذلك نوم والدليل على ذلك ان الجنة لا نوم فيها وقال ابن عباس وابن مسعود لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار قال البلخي معنى خير واحسن هنا انه خير في نفسه وحسن في نفسه لا بمعنى انه أفضل من غيره كما في قوله وهو أهون عليه أي هو هين عليه وكما يقال الله اكبر لا بمعنى انه اكبر من شيء غيره (ويوم تشقق السماء بالغمام) عطف على قوله يوم يرون المعنى تتشقق السماء وعليها غمام كما يقال ركب الامير بسلاحه وخرج بثيابه أي وعليه سلاحه وثيابه عن ابي علي الفارسي وقيل تتشقق السماء عن الغمام الأبيض عن الفراء وانما تتشقق السماء لنزول الملائكة وهو قوله (ونزل الملائكة تنزيلا) وقال ابن عباس تتشقق السماء الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر ممن في الارض من الجن والانس ثم تتشقق السماء الثانية فينزل اهلها وهم اكثر ممن في السماء الدنيا من الانس والجن ثم كذلك حتى تتشقق السماء السابعة واهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها (الملك يومئذ الحق للرحمن) أي الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة ويزول ملك سائر

الملوك فيه وقيل ان الملك ثلاثة اضرب ملك عظمة وهو لله تعالى وحده وملك ديانة وهو بتمليك الله تعالى وملك جبرية وهو بالغلبة (وكان يوما على الكافرين عسيرا) أعسر عليهم ذلك اليوم لشدته ومشقته ويهون على المؤمنين كأدنى صلاة صلوها في دار الدنيا وفي هذا بشارة للمؤمنين حيث خص بشدة ذلك اليوم الكافرين (ويوم يعض الظالم على يديه) ندما واسفا وقيل هو عقبة بن ابي معيط بن ابي امية بن عبد شمس على ما مضى ذكره عن ابن عباس وقيل هو عام في كل ظالم نادم يوم القيامة وكل خليل يخالّ غيره في غير ذات الله قال عطاء يأكل يديه حتى تذهبا الى المرفقين ثم تنبتان ولا يزال هكذا كلما نبتت يده أكلها ندامة على ما فعل (يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) أي ليتني اتبعت محمدا صلى الله عليه وآله وسلم واتخذت معه سبيلا الى الهدى (يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلانا) يعني أبيا (خليلا) وقيل اراد به الشيطان عن مجاهد وان قلنا ان المراد بالظالم هنا جنس الظلمة فالمراد به كل خليل يضل عن الدين ولو قال لما اتخذ فرعون وهامان وابليس وجميع المضلين لطال فقال فلانا حتى يتناول كل خليل مضل عن الدين (لقد اضلني) اي صرفني وردني (عن الذكر) اي عن القرآن والايمان به (بعد اذ جاءني) مع الرسول وتم الكلام هنا ثم قال الله (وكان الشيطان للإنسان خذولا) لأنه يتبرأ منه في الآخرة ويسلمه إلى الهلاك ولا يغني عنه شيئا (وقال الرسول) يعني محمدا صلى الله عليه وآله وسلم يشكو قومه (يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) يعني هجروا القرآن وهجروني وكذبوني عن ابن عباس والمعنى جعلوه متروكا لا يسمعونه ولا يتفهمونه وقيل ان قوله وقال الرسول معناه ويقول كما في قول الشاعر

مثل العصافير احلاما ومقدرة لو يوزنون بزف الريش ما وزنوا

أي ما يزنون

قوله تعالى (٣١) وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٣) وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا (٣٤) الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٣٥) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٣٦) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٧) وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٨) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا (٣٩) وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا (٤٠) وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا عشر آيات

«القراءة»

في الشواذ قراءة مسلم بن محارب فدمرانهم تدميراً على التأكيد بالنون الثقيلة وروي ذلك عن علي (ع)

وعنه فدمراهم وهذا كأنه امر لموسى وهارون أن يدمراهم

﴿ اللغة ﴾

العدو المتباعد عن النصرة للبغضة من عدا يعدو إذا باعد خطوه وعدا عليه باعد خطوه للايقاع به وتعدى في فعله إذا ابعد في الخروج عن الحق ومنه عدوتا الوادي لأنهما بعداه ونهايتاه والترتيل التبيين في تثبيت وترسل وثغر رتل ورتل بفتح التاء وسكونها إذا كان مفلجا لا اصص فيه والتدمير الاهلاك لأمر عجيب ومنه التنكيل يقال دمر على فلان إذا هجم عليه بالمكروه والرس البئر التي لم تطوَ بحجارة ولا غيرها والتتبير الاهلاك والاسم منه التبار ومنه قيل التبر لقطع الذهب

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج هاديا ونصيراً منصوب على وجهين ﴿ احدهما ﴾ الحال أي كفى ربك في حال الهداية والنصر ﴿ والآخر ﴾ ان يكون منصوبا على التمييز أي كفى ربك من الهداة والنصار. جملة نصب على الحال معناه مجموعا واحسن مجرور بالعطف على الحق. على وجوههم في موضع نصب على الحال وتقديره يحشرون مكبوبين وقوم نوح منصوب بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر تقديره أغرقنا قوم نوح والعامل في لما اغرقناهم وعادا وثمود وما بعد ذلك عطف على الهاء والميم في قوله وجعلناهم ويجوز ان يكون عطفا على معنى واعتدنا للظالمين عذابا ويكون تقديره وعدنا للظالمين بالعذاب ووعدنا عادا وكلا منصوب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره. المعنى وانذرنا كلا ضربنا له الامثال وتبرنا كلا. مطر السوء منصوب لأنه مصدر امطرت تقديره إمطار السوء

﴿ المعنى ﴾

ثم عزى الله سبحانه نبيه بقوله (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين) أي وكما جعلنا لك عدوا من مشركي قومك جعلنا لكل نبي عدوا من كفار قومه عن ابن عباس والمعنى في جعله اياهم عدوا لأنبيائه انه تعالى أمر الأنبياء (ع) ان يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى وترك ما الفوه من دينهم ودين آبائهم وإلى ترك عبادة الأصنام وذمها وكانت هذه اسبابا داعية إلى العداوة فإذا أمرهم بها فقد جعلهم عدوا لهم (وكفى بربك هاديا ونصيراً) أي حسبك بالله هاديا إلى الحق وناصرا لأوليائه في الدنيا والآخرة على أعدائهم وقيل هاديا للأنبياء إلى التحرز عن عداوة المجرمين بالاعتصام بحبله (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) معناه وقال الكفار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هلا أتيتنا بالقرآن جملة واحدة كما أنزلت التوراة والانجيل والزبور جملة واحدة قال الله تعالى (كذلك) أي نزلناه كذلك متفرقا (لنثبت به فؤادك) أي لنقوي به قلبك فتزداد بصيرة وذلك انه إذا كان يأتيه الوحي متجددا في كل حادثة وكل امر كان ذلك أقوى لقلبه وازيد في بصيرته وقيل انما انزلت الكتب جملة واحدة لأنها نزلت على الانبياء يكتبون ويقرؤون فنزلت عليهم مكتوبة والقرآن انما نزل على نبي امي لا يكتب ولا يقرأ ولذلك نزل متفرقا وايضا فإن في القرآن الناسخ والمنسوخ وفيه ماهو جواب لمن سأله عن أمور وفيه ما هو انكار لما كان وفيه ما هو حكاية شيء جرى. فاقتضت الحكمة انزاله متفرقا (ورتلناه ترتيلا) أي بيناه تبيينا ورسلناه ترسيلا بعضه في اثر بعض عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل فصلناه تفصيلا عن السدي وقيل فرقناه تفريقا عن النخعي

وروي ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال يا ابن عباس إذا قرأت القرآن فرتله ترتيلا قال وما الترتيل قال بينه تبيينا ولا تنثره نثر الدقل ولا تهذه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكونن همّ احدكم آخر السورة (ولا يأتونك بمثل) أي ولا يأتيك المشركون بمثل يضربونه لك في ابطال أمرك ومخاصمتك (إلا جئناك بالحق) الذي يبطله ويدحضه (وأحسن تفسيرا) أي وبأحسن تفسيرا مما اتوا به من المثل أي بيانا وكشفا (الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم) أي يسحبون على وجوههم إلى النار وهم كفار مكة وذلك انهم قالوا لمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) واصحابه هم شر خلق الله فقال الله سبحانه (أولئك شر مكانا) أي منزلا ومصيراً (وأضل سبيلا) أي دينا وطريقا من المؤمنين وروى انس أن رجلا قال يانبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال ان الذي أمشاه على رجليه قادر على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة أورده البخاري في الصحيح ثم ذكر سبحانه حديث الأنبياء وأممهم تسلية للنبي فقال (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلنا معه أخاه هارون وزيرا) أي معينا يعينه على تبليغ الرسالة ويتحمل عنه بعض اثقاله (فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني فرعون وقومه وفي الكلام حذف أي فذهبا اليهم فلم يقبلوا منهما وجحدوا نبوتهما (فدمرناهم تدميرا) أي اهلكناهم اهلاكا بأمر فيه اعجوبة (وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم) أي وأغرقنا قوم نوح بالطوفان وهو مجيء السماء بماء منهمر وتفجير الارض عيونا حتى التقى الماء على امر قد قدر قال الزجاج من كذب نبيا فقد كذب بجميع الأنبياء (وجعلناهم للناس آية) اي عبرة وعظة (واعتدنا) اي وهيأنا (للظالمين عذابا اليما) سوى ما حل بهم في الدنيا (وعادا وثمود) اي واهلكنا عادا وثمود (واصحاب الرس) وهو بئر رسوا فيها نبيهم أي القوه فيها عن عكرمة وقيل انهم كانوا اصحاب مواش ولهم بئر يقعدون عليها وكانوا يعبدون الأصنام فبعث الله اليهم شعيبا فكذبوه فانهار البئر وانخسفت بهم الأرض فهلكوا عن وهب وقيل الرس قرية باليمامة يقال لها فلج قتلوا نبيهم فأهلكهم الله عن قتادة وقيل كان لهم نبي يسمى حنظلة فقتلوه فأهلكوا عن سعيد بن جبير والكلبي وقيل هم أصحاب رس والرس بئر بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار فنسبوا اليها عن كعب ومقاتل وقيل اصحاب الرس كان نساؤهم سحاقات عن ابي عبد الله (ع) (وقرونا بين ذلك كثيرا) اي واهلكنا ايضا قرونا كثيرا بين عاد واصحاب الرس على تكذيبهم وقيل بين نوح واصحاب الرس والقرن سبعون سنة وقيل اربعون سنة عن ابراهيم (وكلا ضربنا له الأمثال) اي وكلا بينا لهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا عن مقاتل وقيل معناه بينا لهم الأحكام في الدين والدنيا (وكلا تبرنا تتبيرا) اي وكلا اهلكنا اهلاكا على تكذيبهم وجحودهم قال الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته (ولقد اتوا) يعني كفار مكة (على القرية التي امطرت مطر السوء) يعني قرية قوم لوط امطروا بالحجارة (أفلم يكونوا يرونها) في أسفارهم إذا مروا بها فيخافوا ويعتبروا (بل كانوا لا يرجون نشورا) يعني بل رأوها وإنما لم يعتبروا بها لأنهم كانوا لا يخافون البعث وقيل لا يأملون ثوابا ولا يؤمنون بالنشأة الثانية فركبوا المعاصي

قوله تعالى (٤١) وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُواً أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولاً (٤٢) إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ

أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٣) أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٤) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (٤٥) أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً (٤٦) ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا (٤٧) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا (٤٨) وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا (٤٩) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا (٥٠) وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا عشر آيات

القراءة

قرأ البرجمي نسقيه بفتح النون والباقون نسقيه بضم النون وفي الشواذ قراءة الأعرج من اتخذ الاهة هواه وقراءة ابن السميقع الرياح بشرى

الحجة

قد مضى الفرق بين نسقي ونسقى فيما تقدم والالاهة الشمس وقيل ألاهة بالضم غير مصروفة وانشد

تروحنا من اللعباء عصرا واعجلنا الألاهة ان تؤبا

ويروى واعجلنا الإلاهة ومن قرأ وآلهتك فمعناه وعبادتك وقد يجوز أن يكون اراد هذه المعرفة فأضافها اليه لعبادته لها فيكون كقولك ويذرك وشمسك اي والشمس التي تعبدها ومن قرأ بشرى فهو مصدر وضع موضع الحال اي مبشرة كقولهم هلم جرا أي جاراً او منجرا ويأتينك سعيا وقد ذكرنا الاختلاف بين القراء فيه وما لهم من الاحتجاج في كل وجه منه في سورة الاعراف وذكرنا اختلافهم في ليذكروا في سورة بني اسرائيل

اللغة

القبض جمع الأجزاء المنبسطة واليسير السهل القريب واليسير ايضا نقيض العسير وايسر الرجل ملك من المال ما تتيسر به الأمور عليه وقيل اليد اليسرى لأنه يتيسر بها العمل مع اليمنى وتياسر اخذ في جهة اليد اليسرى والسبات قطع العمل ومنه سبت رأسه يسبته سبتا إذا حلقه ومنه يوم السبت وهو يوم قطع العمل والنشر خلاف الطي واناسي جمع انسان جعلت الياء عوضا من النون وقد قالوا ايضا اناسين وقد يجوز ايضا ان يكون جمع انسي فيكون مثل كرسي وكراسي

الاعراب

اهذا الذي بعث الله رسولا العائد من الصلة إلى الموصول محذوف لطول الكلام اي بعثه الله . رسولا منصوب على الحال من الهاء المحذوفة وان كاد ليضلنا ان مخففة واسمه محذوف تقديره انه كاد وهو ضمير الامر والشأن واللام في ليضلنا لام التأكيد التي تقع في خبر إن . كيف مد الظل كيف في محل النصب على الحال من الضمير المستكن في مد والتقدير امبدعا مد الظل ام لا ويجوز ان يكون في موضع المصدر والتقدير

اي مد مد الظل وقال الزجاج الاجود ان يكون ألم تر من رؤية القلب ويجوز ان يكون من رؤية العين وبشرا نصب على الحال في الوجوه كلها من الرياح والعامل فيه ارسل. مماخلقنا الجار والمجرور في موضع نصب على الحال

المعنى

ثم حكى سبحانه عن الكفار الذين وصفهم فيما تقدم فقال (وإذا رأوك) اي واذا شاهدوك يا محمد (ان يتخذونك إلا هزوا) اي ما يتخذونك إلا مهزوًا به والمعنى انهم يستهزؤون بك ويستصغرونك ويقولون على وجه السخرية (أهذا الذي بعث الله رسولا) اي بعثه الله الينا رسولا (ان كاد ليضلنا عن آلهتنا) قال ابن عباس معناه لقد كاد يصرفنا عن عبادة آلهتنا وتأويله قد قارب ان يأخذ بنا في غير جهة عبادة آلهتنا على وجه يؤدي إلى هلاك كنا فان الاضلال الأخذ بالشيء إلى طريق الهلاك (لولا ان صبرنا عليها) اي على عبادتها لأزلنا عن ذلك وحذف الجواب لدلالة الكلام عليه فقال سبحانه متوعدا لهم (وسوف يعلمون حين يرون العذاب) الذي ينزل بهم في الآخرة عيانا (من اضل سبيلا) أي من أخطأ طريقا عن الهدى أهم أم المؤمنون ثم عجب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من نهاية جهلهم فقال (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) أي من جعل إلهه ما يهواه وهو غاية الجهل وكان الرجل من المشركين يعبد الحجر والصنم فإذا رأى أحسن منه رمى به واخذ يعبد الآخر عن سعيد بن جبير وقيل معناه أرأيت من ترك عبادة خالقه وإلهه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندك عن عطاء عن ابن عباس وقيل من اطاع هواه واتبعه فهو كالإله له وترك الحق عن القتيبي (أفأنت تكون عليه وكيلا) أي أفأنت كفيل حافظ يحفظه من اتباع هواه وعبادة مايهواه من دون الله اي لست كذلك وقيل معناه أتقدر انت يامحمد ان تهديه إذا لم يتدبر ولم يتفكر اي لاتقدر على ذلك لأن الوكيل هو الكافي للشيء ولا يكون كذلك الا وهو قادر عليه ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (أم تحسب) يا محمد (ان اكثرهم يسمعون) ما تقوله سماع طالب للافهام (او يعقلون) ما تقوله لهم وتقرأ عليهم وما يعاينونه من المعجزات والحجج اي لا تظن ذلك (ان هم الا كالانعام) اي ماهم إلا كالبهائم التي تسمع النداء ولا تعقل (بل هم اضل سبيلا) من الانعام لأنهم مكنوا من المعرفة فلم يعرفوا والانعام لم يمكنوا منها ولأن الانعام ألهمت منافعها ومضارها فهي لا تفعل مايضرها وهؤلاء عرفوا طريق الهلاك والنجاة وسعوا في هلاك انفسهم وتجنبوا سبيل نجاتهم فهم اضل منها ثم نبه سبحانه على النظر فيما يدل على وحدانيته وكمال قدرته فقال (الم تر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به سائر المكلفين (الى ربك كيف مد الظل) اي ألم تر إلى فعل ربك ثم حذف المضاف عن مقاتل وقيل معناه ألم تعلم فيكون من رؤية القلب عن الزجاج وذكر ان هذا على القلب وتقديره ألم تر الى الظل كيف مده ربك يعني الظل من وقت طلوع الفجر الى طلوع الشمس عن ابن عباس والضحاك وسعيد بن جبير وجعله ممدودا لأنه لا شمس معه كما قيل في ظل الجنة ممدودا إذا لم تكن معه الشمس وقال ابو عبيدة الظل ما نسخته الشمس وهو بالغداة والفيء ما نسخ الشمس وهو بعد زوال الشمس وسمي فيئا لأنه فاء من جانب المشرق الى جانب المغرب وقيل مد الظل من وقت غروب الشمس الى وقت طلوعها فيكون الظل بالليل لأنه ظل الارض عن الجبائي والبلخي (ولو شاء لجعله ساكنا) اي مقيما دائما لا يزول ولا تنسخه الشمس يقال فلان يسكن بلد كذا إذا اقام به فهو مثل قوله سبحانه قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة الآية في المعنى وفي

هذا اشارة الى انه قادر على تسكين الشمس حتى يبقى الظل ممدودا بخلاف ما يقوله الفلاسفة (ثم جعلنا الشمس عليه) اي على الظل (دليلا) قال ابن عباس تدل الشمس على الظل بمعنى انه لولا الشمس لما عرف الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة وكل الأشياء تعرف بأضدادها وقيل معناه ثم جعلنا الشمس عليه دليلا بإذهابها إياه عند مجيئها عن ابن زيد وقيل لأن الظل يتبع الشمس في طوله وقصره كما يتبع السائر الدليل فإذا ارتفعت الشمس قصر الظل وإذا انحطت الشمس طال الظل وقيل ان على هنا بمعنى مع فالمعنى ثم جعلنا الشمس مع الظل دليلا على وحدانيتنا (ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا) اي قبضنا الظل بارتفاع الشمس لأن الشمس كلما تعلو ينقص الظل فجعل سبحانه ذلك قبضا واخبر ان ذلك يسير بمعنى انه سهل عليه لا يعجزه قال الكلبي إذا طلعت الشمس قبض الله الظل قبضا خفيا والمعنى ثم جمعنا اجزاء الظل المنبسط بتسليط الشمس عليه حتى ننسخها شيئا فشيئا وقيل معناه ثم قبضنا الظل بغروب الشمس الينا اي الى الموضع الذي حكمنا بكون الظل فيه . قبضا يسيرا اي خفيا وإنما قيل ذلك لأن الظل لا يذهب بغروب الشمس دفعة بل يذهب جزءا فجزءا بحدوث الظلام فكلما حدث جزء من الظلام نقص جزء من الظل (وهو الذي جعل لكم الليل لباسا) اي غطاء ساترا للأشياء بالظلام كاللباس الذي يشتمل على لابسه فالله سبحانه ألبسنا الليل وغشانا به لنسكن ونستريح من كد الأعمال كما قال في موضع آخر لتسكنوا فيه (والنوم سباتا) اي راحة لأبدانكم وقطعا لأعمالكم قال الزجاج السبات ان ينقطع عن الحركة والروح في بدنه (وجعل النهار نشورا) لانتشار الروح باليقظة فيه مأخوذ من نشور البعث وقيل لأن الناس ينتشرون فيه لطلب حوائجهم ومعايشهم فيكون النشور هنا بمعنى التفرق لابتغاء الرزق عن ابن عباس (وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) مضى الكلام فيه في سورة الأعراف (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) اي طاهرا في نفسه ومطهرا لغيره مزيلا للأحداث والنجاسات (لنحيي به بلدة ميتا) قد مات بالجدب واراد بالبلدة البلد او المكان فلذلك قال ميتا بالتذكير والمعنى لنحيي بالمطر بلدة ليس فيها نبت قال ابن عباس لنخرج به النبات والثمار (ونسقيه مما خلقنا انعاما) اي ولنسقي من ذلك الماء انعاما جمة او نجعله سقيا لأنعام (وأناسي كثيرا) اي اناسا كثيرة (ولقد صرفناه) اي صرفنا المطر بينهم يدور في جهات الارض وقيل قسمناه بينهم يعني المطر فلا يدوم على مكان فيهلك ولا ينقطع عن مكان فيهلك ويزيد لقوم وينقص لآخرين على حسب المصلحة (ليذكروا) اي ليتفكروا ويستدلوا به على سعة مقدورنا ولأنه لا يستحق العبادة غيرنا (فأبى اكثر الناس إلا كفورا) اي جحودا لما عددناه من النعم وانكارا فيقولون مطرنا بنوء كذا وكذا عن عكرمة وقيل فأبوا إلا كفورا بالبعث والنشور

قوله تعالى (٥١) وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً (٥٢) فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَاداً كَبِيراً (٥٣) وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَحْجُوراً (٥٤) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً (٥٥) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيراً (٥٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً (٥٧) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ

أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً (٥٨) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً (٥٩) الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمٰنُ فَسْئَلْ بِهِ خَبِيراً (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُوراً عشر آيات

القراءة

قرأ حمزة والكسائي لما يأمرنا بالياء والباقون بالتاء

الحجة

قال ابو علي من قرأ بالتاء قال انهم تلقوا امر النبي صلى الله عليه وآله وسلم اياهم بالرد وزادهم امره اياهم بالسجود نفورا عما امروا به ومن قرأ بالياء فالمعنى أنسجد لما يأمرنا محمد بالسجود على وجه الانكار منهم لذلك ولا يكون أنسجد لما يأمرنا الرحمن بالسجود له لأنهم انكروا الرحمن تعالى بقولهم وما الرحمن واقول إذا جعلت ما بمعنى الذي على ما ذكره فالتقدير أنسجد لما يأمرنا بالسجود له وترتيب الحذف فيه على الوجه الذي تقدم بيانه في قوله سبحانه فاصدع بما تؤمر فلا وجه لإعادته وان جعلت ما مصدرية فإنك لا تحتاج إلى حذف شيء ويكون تقديره أنسجد لأمرك او لأمره

اللغة

اصل المرج الخلط ومنه امر مريج أي مختلط وفي الحديث مرجت عهودهم أي اختلطت ومرجت الدابة وامرجتها إذا خليتها ترعى وعذب الماء عذوبة فهو عذب والفرات اعذب المياه يقال فرت الماء يفرت فروتة فهو فرات إذا عذب والملح الاجاج الشديد الملوحة والنسب ما يرجع إلى ولادة قريبة والصهر خلطة تشبه النسب القرابة والمصاهرة في النكاح المقاربة وفي الحديث كان يؤسس مسجد قبا فيصهر الحجر العظيم إلى بطنه اي يدنيه يقال صهره واصهره

الاعراب

هذا عذب فرات مبتدأ وخبر في موضع نصب على الحال وكذلك قوله وهذا ملح اجاج بالعطف عليه وذوا الحال احد البحرين . مبشرا ونذيرا نصب على الحال . من شاء نصب على الاستثناء والمستثنى منه الكاف والميم في اسألكم وان يتخذ في موضع نصب بأنه مفعول شاء . الذي خلق السماوات والارض في موضع جر تقديره وتوكل على الحي الذي لايموت خالق السماوات والارض ويحتمل ان يكون في موضع نصب او رفع على المدح والثناء على تقدير اعني الذي خلق او هو الذي خلق والرحمن بالرفع القراءة وورد عن بعضهم في الشواذ بالجر ففي الرفع وجوه * احدها * الابتداء وخبره فاسأل به عن الزجاج وفيه نظر لأن الفاء إنما يجوز في خبر ما فيه الألف واللام إذا جاز فيه معنى الشرط ولا يصح ذلك هنا * والثاني * ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو الرحمن * والثالث * ان يكون بدلا من الضمير المستكن في استوى * والرابع * ان يكون فاعل استوى واما الجر فعلى ان يكون صفة وتقديره وتوكل على الحي الخالق الرحمن ونفورا مفعول ثان لزاد

﴿ المعنى ﴾

ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) ينذرهم ولكن بعثناك يا محمد إلى القرى كلها رسولا لعظيم منزلتك لدينا والنذير هو الداعي إلى ما يؤمن معه الخوف من العقاب وقيل انه اخبار عن قدرته سبحانه والمعنى او شئنا لقسمنا بينهم النذر كما قسمنا الأمطار بينهم ولكنا نفعل ما هو الأصلح لهم والأعود عليهم في دينهم ودنياهم فبعثناك اليهم كافة (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك اليه من المداهنة والاجابة إلى ما يريدون (وجاهدهم) في الله (به) أي بالقرآن عن ابن عباس (جهادا كبيرا) أي تاما شديدا وفي هذا دلالة على ان من أجل الجهاد واعظمه منزلة عند الله سبحانه جهاد المتكلمين في حل شبه المبطلين وأعداء الدين ويمكن أن يتأول عليه قوله رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر (وهو الذي مرج البحرين) أي ارسلهما في مجاريهما وخلاهما كما يرسل الخيل في المرج وهما يلتقيان فلا يختلط الملح بالعذب ولا العذب بالملح وهو قوله (هذا) يعني احد البحرين (عذب فرات) أي طيب شديد الطيب (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة وقيل الفرات البارد والأجاج الحار وقيل الاجاج المر عن قتادة (وجعل بينهما برزخا) اي حجابا وحاجزا من قدرة الله تعالى يمنعهما من الاختلاط (وحجرا محجورا) أي حراما محرما ان يفسد الملح العذب (وهو الذي خلق من الماء بشرا) أي خلق من النطفة إنسانا وقيل أراد به آدم «ع» فإنه خلق من التراب الذي خلق من الماء وقيل أراد به أولاد آدم فإنهم المخلوقون من الماء (فجعله نسبا وصهرا) أي فجعله ذا نسب وصهر والصهر حرمة الختونة وقيل النسب الذي لا يحل نكاحه والصهر النسب الذي يحل نكاحه كبنات العم والخال عن الفراء وقيل النسب سبعة اصناف والصهر خمسة ذكرهم الله في قوله حرمت عليكم أمهاتكم عن قتادة والضحاك وقد تقدم بيانه في سورة النساء وقيل النسب البنون والصهر البنات اللاتي يستفيد الانسان بهن الاصهار فكأنه قال فجعل منه البنين والبنات وقال ابن سيرين نزلت في النبي ﷺ وعلي بن ابي طالب زوّج فاطمة «ع» عليا «ع» فهو ابن عمه وزوج ابنته فكان نسبا وصهرا (وكان ربك قديرا) أي قادرا على ما أراد ثم اخبر سبحانه عن الكفار فقال (ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم) من الأصنام والأوثان (وكان الكافر على ربه ظهيرا) الظهير العون والمعين أي معينا للشيطان على ربه بالمعاصي عن الحسن ومجاهد قال الزجاج لأنه يتابع الشيطان ويعاونه على معصية الله فإن عبادتهم الأصنام معاونة للشيطان وقيل ظهيرا أي هينا كالمطرح من قولهم ظهر فلان بحاجته إذا جعلها خلف ظهره فلم يلتفت اليها واستهان بها والظهير بمعنى المظهور وهو المتروك المستخف به ومنه قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا والأول أوجه وقالوا عنى بالكافر أبا جهل (وما ارسلناك) يا محمد (إلا مبشرا) بالجنة (ونذيرا) من النار وقد سبق معناه قل يا محمد لهؤلاء الكفار (ما أسئلكم عليه) أي على القرآن وتبليغ الوحي (من أجر) تعطونيه (إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) بإنفاقه ماله في طاعة الله واتباع مرضاته والمعنى اني لا أسئلكم لنفسي أجرا ولكني لا أمنع من إنفاق المال في طلب مرضاة الله سبحانه بل ارغب فيه وأحث عليه وفي هذا تأكيد لصدقه لأنه لو طلب على تبليغ الرسالة أجرا لقالوا إنما يطلب اموالنا (وتوكل على الحي الذي لا يموت) أي فوض أمورك اليه فإنه ينتقم لك ولو بعد حين فإنه الحي الذي لا يموت فلن يفوته الانتقام (وسبح بحمده) أي احمده منزها له عما لا يجوز عليه في صفاته بأن تقول الحمد لله رب العالمين الحمد لله على نعمه و إحسانه الذي لا يقدر عليه غيره الحمد لله حمدا يكافئ نعمه في عظم المنزلة وعلو المرتبة وما أشبه ذلك وقيل معناه واعبده وصل له شكرا منك له على نعمه (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) اي عليما فيحاسبهم ويجازيهم بها فحقيق بهم أن يخافوه ويراقبوه (الذي خلق السماوات والارض وما بينهما) أي ما بين هذين الصنفين (في ستة ايام ثم استوى على العرش الرحمن) قد سبق تفسيره في سورة الاعراف (فسئل به خبيرا) اختلف في تاويله

فقيل ان المعنى فاسأل عنه خبيرا والباء بمعنى عن والخبير ههنا هو الله تعالى عن ابن جريج وأنشد في قيام الباء مقام عن قول علقمة بن عبدة

فإن تسألوني بالنساء فإنني خبير بأدواء النساء طبيب
يردن ثراء المال حيث وجدنه وشرخ الشباب عندهن عجيب
إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله فليس له في ودهنّ نصيب

وقول الأخطل

دع المعمر لا تسأل بمصرعه واسأل بمصقلة البكري ما فعلا

وقيل ان الخبير هنا محمد ﷺ والمعنى ليسأل كل منكم عن الله تعالى محمدا فإنه الخبير العارف به وقيل ان الباء على أصلها والمعنى فاسأل بسؤالك ايها الانسان خبيرا يخبرك بالحق في صفته ودل قوله فاسأل على السؤال كما قالت العرب من كذب كان شرا له أي كان الكذب شرا له ودل عليه كذب وقد مر ذكر امثاله وقيل ان الباء فيه مثل الباء في قولك لقيت بفلان ليثا إذا وصفت شجاعته ولقيت به غيثا إذا وصفت سماحته والمعنى انك إذا رأيته رأيت الشيء المشبه به والمعنى فاسأله عنه فإنه الخبير به وروي ان اليهود حكوا عن ابتداء خلق الأشياء بخلاف ما اخبر الله تعالى عنه فقال سبحانه فاسأل به خبيرا قال نفطويه أي سلني عنه فإنك تسأل بسؤالك خبيرا (و إذا قيل لهم) أي لهؤلاء المشركين (اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) اي وأي شيء الرحمن والمعنى أنا لا نعرف الرحمن قال الزجاج الرحمن اسم من اسماء الله عز اسمه مذكور في الكتب الأولى ولم يكونوا يعرفونه من اسماء الله فقيل لهم انه من اسماء الله ومعناه عند أهل اللغة ذو الرحمة التي لا غاية بعدها في الرحمة لأن فعلان من ابنية المبالغة تقول رجل ريان وعطشان في النهاية من الري والعطش وفرحان وجذلان إذا كان في النهاية من الفرح والجذل (أنسجد لما تأمرنا) مر تفسيره (وزادهم نفورا) اي زادهم ذكر الرحمن تباعدا من الإيمان عن مقاتل والمعنى انهم ازدادوا عند ذلك نفورا عن الحق وقبول قول النبي ﷺ

— النظم —

وجه اتصال الآية بما قبلها ان فيها اخبار انه سبحانه افرده بالارسال مراعاة لحسن التدبير في تمييزه بالاكرام والإجلال لعلمه بما فيه من الخلال الموجبة في الحكمة إرساله إلى الخلق على غاية الكمال فعلى هذا يتعلق بقوله ولقد صرفناه بينهم ليذكروا ثم ذكر من التصريف للآيات بقوله وهو الذي مرج البحرين ما يدل على وحدانيته وكمال قدرته ثم عجب سبحانه من اعراضهم عن الآيات مع وضوحها وظهورها ومقابلتهم لنعمه بالكفران بقوله ويعبدون من دون الله الآية ثم بين انه أراد بتصريف الآيات الخير والاحسان بقوله وما ارسلناك الآية ثم بين انه لا يسألهم عليه أجرا لئلا ينفروا عنه ثم بين سبحانه انه كما لا يسألهم أجرا انه يتوكل عليه في أمره ويفوض اليه علم المصالح فيما كلفه ثم هدد سبحانه عباده بقوله وكفى به بذنوب عباده خبيرا فإنه إذا لم يذهب عليه ذنوبهم لا يذهب عليه جزاؤهم

قوله تعالى (٦١) تَبَارَكَ ٱلَّذِي جَعَلَ فِي ٱلسَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا مُنِيرًا (٦٢) وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (٦٣) وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٤) وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا (٦٥) وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا

(٦٦) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٧) وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (٦٨) وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٩) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٧٠) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا عشر آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم سرجا بضمتين من غير الف والباقون سراجا وقرأ حمزة وخلف ان يذكر خفيفا والباقون يذكر بتشديدتين وقرأ اهل المدينة وابن عامر يقتروا بضم الياء وقرأ اهل الكوفة بفتح الياء وضم التاء وقرأ اهل البصرة وابن كثير بفتح الياء وكسر التاء وقرأ ابو جعفر وابن عامر ويعقوب وسهل يضعف له العذاب بالتشديد والجزم ويخلد بالجزم وقرأ ابن عامر يضعف بالتشديد والرفع ويخلد بالرفع وقرأ ابو بكر يضاعف بالالف والرفع ويخلد بالرفع وقرأ نافع وابو عمرو واهل الكوفة إلا ابا بكر يضاعف بالالف والجزم ويخلد بالجزم وقرأ ابن كثير وحفص فيهي مهانا بإشباع كسرة الهاء وذلك مذهب ابن كثير في جميع القرآن ووافقه حفص في هذا الموضع فقط وقرأ يبدل الله بسكون الباء البرجمي عن ابي بكر مختلفا عنه والباقون بالتشديد

الحجة

من قرأ سراجا فحجته قوله وجعل فيها سراجا ومن قرأ سرجا فحجته قوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح فشبهت الكواكب بالمصابيح كما شبهت المصابيح بالكواكب في قوله الزجاجة كأنها كوكب دري وانما المصباح الزجاجة في المعنى وقد سبق القول في يذكر ويذكر فيما مضى والاقتار خلاف الايسار قال الشاعر

لكم مسجدَ الله المزوران والحصى　　لكم قبصهُ من بين اثرى واقترا

تقديره من بين رجل اثرى ورجل اقترا فأقام الصفة مقام الموصوف ومثله في التنزيل ومن اهل المدينة مردوا على النفاق قال ابو علي يجوز ان يكون على قبيل مردوا مثل قوله ومن آياته يريكم البرق واما قتر يقتر ويقتر فمثل عكف يعكُف ويعكِف وعرش يعرُش ويعرِش فمن ضم الياء اراد لم يقتروا في انفاقهم لأن المسرف مشرف على الاقتار ومن فتح الياء فالمعنى لم يضيقوا في الانفاق ومن قرأ يضاعف بالجزم جعله بدلا من الفعل الذي هو جزاء الشرط وهو قوله يلق اثاما وذلك ان تضعيف العذاب هو لقي جزاء الاثام في المعنى ومثله قول الشاعر

ان يجبنوا او يغدروا او يبخلوا لا يحفلوا　　يغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا

فغدوهم مرجلين في المعنى ترك الاحتفال وقد ابدل من الشرط كما ابدل من الجزاء وذلك في قول الشاعر

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا　　تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

فأبدل تلمم من تاتنا لأن الإلمام اتيان في المعنى قال ابو علي ومثل حذف الجزاء الذي هو مضاف في المعنى في قوله يلق اثاما اي جزاء اثام قوله ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم المعنى من جزاء ما كسبوا وقال ابو عبيدة يلق اثاما اي عقوبة وانشد لمسافع الليثي

جزى الله ابن عروة حيث امسى　　عقوقا والعقوق له اثام

قال وابن عروة رجل من ليث كان دل عليهم ملكا من غسان فأغار عليهم قال ابو علي ويمكن ان يكون

هذا من قول بشر

فكان مقامنا ندعو عليهم بأسفل ذي المجاز له اثام

ومن رفع يضاعف ويخلد قطعه عما قبله واستأنف واما يضاعف ويضعف فهما في المعنى سواء وكذلك يبدّل ويبدل

❋ اللغة ❋

قال ابو عبيدة الخلفة كل شيء بعد شيء الليل خلفة النهار والنهار خلفة الليل لأن احدهما يخلف الآخر قال زهير

بها العين والآرام يمشين خلفة واطلاؤها ينهضن من كل مجثم

والهون مصدر الهين في السكينة والوقار والغرام اشد العذاب وهو اللازم الملح ومنه الغريم لملازمته والحاحه وفلان مغرم بالنساء اي ملازم لهن لا يصبر عنهن قال بشر بن ابي حازم

ويوم النسار ويوم الجفار كانا عذاباً وكانا غراما

وقال آخر

ان يعاقب يكن غراماً وان يعـ ـطِ جزيلا فإنه لا يبالي

❋ الاعراب ❋

الذين يمشون خبر المبتدأ الذي هو عباد الرحمن ويجوز ان يكون خبره اولئك يجزون الغرفة ويكون الذين يمشون صفة العباد وهونا في موضع الحال وسلاما نصب على المصدر بفعل محذوف وتقديره فتسلم منكم سلاما لا نجاهلكم كأنهم قالوا تسلما منكم . ومستقرا ومقاما منصوبان على التمييز والمخصوص بالذم محذوف وتقديره ساءت مستقرا جهنم وكان بين ذلك قواما اي كان الانفاق ذا قوام بين الاسراف والاقتار فقوله بين ذلك تبيين لقوام وان شئت علقته بنفس كان وان شئت علقته بخبر كان اي ثابتا بين ذلك فيكون خبرا بعد خبر

❋ المعنى ❋

ثم مدح سبحانه نفسه بأن قال (تبارك) وقدمر معناه في اول السورة (الذي جعل في السماء بروجا) يريد منازل النجوم السبعة السيارة التي هي زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر وهي اثنا عشر برجا الحمل والثور والجوزاء والسرطان والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وقيل هي النجوم الكبار عن الحسن ومجاهد وقتادة وسميت بروجا لظهورها (وجعل فيها سراجا) يعني الشمس ومن قرأ سرجا اراد الشمس والكواكب معها (وقمرا منيرا) اي مضيئا بالليل إذا لم تكن شمس (وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة) اي يخلف كل واحد منهما صاحبه فيما يحتاج ان يعمل فيه فمن فاته عمل الليل استدركه بالنهار ومن فاته عمل النهار استدركه بالليل وهو قوله لمن اراد أن يذكر عن عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) قال تقضي صلاة النهار بالليل وصلاة الليل بالنهار وقيل معناه انه جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل احدهما اسود والآخر ابيض عن مجاهد (لمن أراد ان يذكر) اي يتفكر ويستدل بذلك على ان لهما مدبرا ومصرفا لا يشبههما ولا يشبهانه فيوجه العبادة اليه (أو أراد شكورا) يقال شكر يشكر شكرا وشكورا أي أراد شكر نعمة ربه عليه فيهما وعلى القول الأول فمعناه أو اراد النافلة بعد اداء الفريضة (وعباد الرحمن) يريد افاضل عباده وهذه اضافة التخصيص والتشريف كما يقال ابني من يطيعني أي ابني الذي انا عنه راض ويكون توبيخا لأولاده الذين لا يطيعونه (الذين يمشون على الأرض هونا) أي بالسكينة والوقار والطاعة

غير اشرين ولا مرحين ولا متكبرين ولا مفسدين عن ابن عباس ومجاهد وقال ابو عبد الله (ع) هو الرجل يمشي بسجيته التي جبل عليها لا يتكلف ولا يتبختر وقيل معناه حلماء علماء لا يجهلون وان جهل عليهم عن الحسن وقيل اعفاء اتقياء عن الضحاك (واذا خاطبهم الجاهلون) بما يكرهونه أو يثقل عليهم (قالوا) في جوابه (سلاما) أي سدادا من القول لا يقابلونهم بمثل قولهم من الفحش عن مجاهد وقيل سلاما أي قولا يسلمون فيه من الاثم أو سلموا عليهم دليله قوله واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم وقال قتادة كانوا لا يجاهلون اهل الجهل وقال ابن عباس لا يجهلون مع من يجهل قال الحسن هذه صفة نهارهم إذا انتشروا في الناس وليلهم خير ليل إذا خلوا فيما بينهم وبين ربهم يراوحون بين اطرافهم وهو قوله (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) قال الزجاج كل من ادركه الليل فقد بات نام أو لم ينم والمعنى يبيتون لربهم بالليل في الصلاة ساجدين وقائمين طالبين لثواب ربهم فيكونون سجدا في مواضع السجود وقياما في مواضع القيام (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما) أي يدعون بهذا القول وغراما اي لازما ملحا دائما غير مفارق (انها ساءت مستقرا ومقاما) أي إن جهنم بئس موضع قرار واقامة هي (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا) واختلف في معنى الاسراف فقيل هو النفقة في المعاصي والاقتار الامساك عن حق الله تعالى عن ابن عباس وقتادة وقيل السرف مجاوزة الحد في النفقة والاقتار التقصير عما لا بد منه عن ابراهيم النخعي وروي عن معاذ انه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك فقال من اعطى في غير حق فقد اسرف ومن منع عن حق فقد قتر وروي عن امير المؤمنين عليه افضل الصلاة انه قال ليس في المأكول والمشروب سرف وان كثر (وكان بين ذلك قواما) أي وكان انفاقهم بين الاسراف والاقتار لا اسرافا يدخلون به في حد التبذير ولا تضييقا يصيرون به في حد المانع لما يجب وهذا هو المحمود والقوام من العيش ما اقامك واغناك وقيل القوام بالفتح هو العدل والاستقامة وبالكسر ما يقوم به الامر ويستقر عن تغلب وقال ابو عبد الله (ع) القوام هو الوسط وقال (ع) اربعة لا يستجاب لهم دعوة رجل فاتح فاه جالس في بيته فيقول يا رب ارزقني فيقول له ألم آمرك بالطلب ورجل كانت له امرأة يدعو عليها يقول يا رب أرحني منها فيقول ألم أجعل امرها بيدك ورجل كان له مال فأفسده فيقول يارب ارزقني فيقول ألم آمرك بالاقتصاد ورجل كان له مال فأدانه بغير بينة فيقول ألم آمرك بالشهادة (والذين لا يدعون مع الله إلها آخر) اي لا يجعلون لله سبحانه شريكا بل يوجهون عبادتهم اليه وحده (ولا يقتلون النفس التي حرم الله) اي حرم الله قتلها (إلا بالحق) والنفس المحرم قتلها نفس المسلم والمعاهد والمستثناة قتلها نفس الحربي ومن يجب قتلها على وجه القود والارتداد أو للزناء بعد الاحصان وللسعي في الارض بالفساد (ولا يزنون) والزنا هو الفجور بالمرأة في الفرج وفي هذا دلالة على ان اعظم الذنوب بعد الشرك القتل والزنا وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما بالاسناد عن عبدالله بن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي الذنب اعظم قال ان تجعل الله ندا وهو خلقك قال قلت ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فأنزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله إلها آخر الآية (ومن يفعل ذلك) قال مقاتل هذه الخصال جميعا (يلق أثاما) اي عقوبة وجزاء لما فعل قال الفراء اثمه الله يأثمه اثما واثاما اي جازاه جزاء الإثم وقال الشاعر

وهل يأثمني الله في ان ذكرتها وعللت اصحابي بها ليلة النفر

وقيل ان اثاما اسم واد في جهنم عن عبد الله بن عمر وقتادة ومجاهد وعكرمة ثم فسر سبحانه لقي الاثام بقوله (يضاعف له العذاب يوم القيامة) يريد سبحانه مضاعفة اجزاء العذاب لا مضاعفة الاستحقاق لأنه تعالى لا يجوز ان يعاقب بأكثر من الاستحقاق لأن ذلك ظلم وهو منفي عنه وقيل معناه انه يستحق على كل معصية منها عقوبة فيضاعف عليه العقاب وقيل المضاعفة عذاب الدنيا وعذاب الآخرة عن قتادة (ويخلد فيه مهانا) اي ويدوم في

العذاب مستحقا به وانما قال ذلك لأنه عز اسمه قد يوصل الآلام إلى بعض المكلفين لا على وجه الاستخفاف والاهانة فبين انه يوصل العقاب اليهم على وجه الاهانة ثم استثنى من جملتهم التائب بقوله (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) قال قتادة إلا من تاب من ذنبه وآمن بربه وعمل عملا صالحا فيما بينه وبين ربه قال والتبديل في الدنيا طاعة الله بعد عصيانه وذكر الله بعد نسيانه والخير يعمله بعد الشر وقيل يبدلهم الله بقبائح اعمالهم في الشرك محاسن الاعمال في الاسلام بالشرك إيمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا عن ابن عباس ومجاهد والسدي وقيل ان معناه ان يمحو السيئة عن العبد ويثبت له بدلها الحسنة عن سعيد بن المسيب ومكحول وعمرو بن ميمون واحتجوا بالحديث الذي رواه مسلم في الصحيح مرفوعا إلى ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه ونحوا عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من الكبائر فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول ان لي ذنوبا ما اراها هاهنا قال ولقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضحك حتى بدت نواجذه (وكان الله غفورا) اي ساترا لمعاصي عباده (رحيما) اي منعما عليهم بالرحمة والفضل

قوله تعالى (٧١) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً (٧٢) وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً (٧٣) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً (٧٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً (٧٥) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً (٧٦) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً (٧٧) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً سبع آيات

القراءة

قرأ ابو عمرو واهل الكوفة غير حفص وذريتنا والباقون ذرياتنا على الجمع وقرأ يلقون بفتح الياء والتخفيف اهل الكوفة غير حفص والباقون يلقون بضم الياء والتشديد وفي قراءة اهل البيت (ع) واجعل لنا من المتقين اماما والقراءة المشهورة واجعلنا للمتقين اماما وفي قراءة ابن عباس وابن الزبير فقد كذب الكافرون

الحجة

قال ابو علي الذرية تكون واحدة وتكون جمعا فمن قرأ وذريتنا على الافراد فإنه اراد به الجمع فاستغنى عن جمعه لما كان جمعا ومن جمع فكما يجمع هذه الأسماء التي تدل على الجمع نحو قوم وأقوام وجاء في الحديث صواحبات يوسف وحجة من قرأ ويلقون قوله ولقاهم نضرة وسرورا وحجة من خفف فسوف يلقون غيا ومن قرأ فقد كذب الكافرون ترك لفظ الحضور إلى الغيبة ألا ترى ان قبله قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم

اللغة

القرة مصدر يقال قرت عينه قرة ويكون من القرور وهو برد العين عند السرور ويكون ايضا من استقرارها عند السرور وقوله اماما مصدر من أم فلان فلانا اماما كما قيل قام قياما وصام صياما ولذلك وحده هنا ومن جمع اماما فقال أئمة فلأنه قد كثر في معنى الصفة وقيل انه إنما وحد لأنه جاء على الجواب كقول القائل من اميركم فيقول المجيب هؤلاء اميرنا قال الشاعر

ياعاذلاتي لا تردن ملامتي إن العواذل ليس لي بأمير

وقيل إنما وحد لأن المعنى واجعل كل واحد منا اماما فاجمل فالمعنى معنى التفصيل وقال الزجاج تأويل ما يعبؤ بكم اي وزن يكون لكم عنده كما يقال ما عبأت بفلان اي ما كان له عندي وزن ولا قدر وأصل العبء في اللغة الثقل وقيل اصله من تهيئة الشيء يقال عبئت الطيب اعبؤ عبأ إذا هيأته قال الشاعر يصف اسدا

كأن بنحره وبمنكبيه عبيرا بات تعبأه عروس

اي تهيئه وعبأت الجيش بالتشديد والتخفيف إذا هيأته وما اعبؤ به اي لا اهيء به امرا

=« المعنى »=

ثم قال سبحانه (ومن تاب) اي اقلع عن معاصيه وندم عليها (وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا) اي يرجع اليه مرجعا عظيما جميلا وفرق علي بن عيسى بين التوبة إلى الله والتوبة من القبيح لقبحه بأن التوبة إلى الله تقتضي طلب ثوابه وليس كذلك التوبة من القبيح لقبحه فعلى هذا يكون المعنى من عزم على التوبة من المعاصي فإنه ينبغي ان يوجه توبته إلى الله بالقصد إلى طلب جزائه ورضائه عنه فإنه يرجع إلى الله فيكافيه وقيل معناه من تاب وعمل صالحا فقد انقطع إلى الله فاعرفوا ذلك له فإن من انقطع إلى خدمة بعض الملوك فقد احرز شرفا فكيف المنقطع إلى الله سبحانه ثم عاد سبحانه إلى وصف عباده المخلصين فقال (والذين لا يشهدون الزور) اي لا يحضرون مجالس الباطل ويدخل فيه مجالس الغناء والفحش والخناء وقيل الزور الشرك عن الضحاك قال الزجاج الزور في اللغة الكذب ولا كذب فوق الشرك بالله وقيل الزور اعياد اهل الذمة كالشعانين وغيرها عن محمد بن سيرين وقيل هو الغناء عن مجاهد وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) وقيل يعني شهادة الزور عن علي بن ابي طلحة فيكون المراد انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور اربعين جلدة ويسخم وجهه ويطوف به في السوق واصل الزور تمويه الباطل بما يوهم انه حق (وإذا مروا باللغو مروا كراما) واللغو المعاصي كلها اي مروا به مر الكرماء الذين لا يرضون باللغو لأنهم يجلون عن الدخول فيه والاختلاط باهله عن الحسن والكلبي والتقدير إذا مروا بأهل اللغو وذوي اللغو مروا متزهين انفسهم معرضين عنهم فلم يجاروهم فيه ولم يخوضوا معهم في ذلك فهذه صفة الكرام يقال تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه واكرم نفسه عنه وقيل مرورهم كراما هو أن يمروا بمن يسبهم فيصفحون عنه وبمن يستعين بهم على حق فيعينونه وقيل هم الذين إذا أرادوا ذكر الفرج كنوا عنه عن ابي جعفر (ع) ومجاهد واصل اللغو هو الفعل الذي لا فائدة فيه ولهذا يقال للكلمة التي لا تفيد لغو وليس المراد به القبيح فإن فعل الساهي والنائم لغو وليس بحسن ولا قبيح إلا ما يتعدى إلى الغير على الخلاف فيه (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) اي إذا وعظوا بالقرآن والأدلة التي نصبها الله لهم نظروا فيها وتفكروا في مقتضاها ولم يقعوا عليها صما كأنهم لم يسمعوها وعميانا كأنهم لم يروها لكنهم سمعوها وأبصروها وانتفعوا بها وتدبروا لها قال الحسن كم من قارئ يقرؤها فخر عليها اصم وأعمى وقال الاخفش لم يخروا عليها اي لم يقيموا وقال ابن قتيبة لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها وعمي لم يروها (والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين) اي اجعل ازواجنا وذرياتنا قرة اعين بأن نراهم يطيعون الله عن الحسن وقيل معناه ارزقنا من ازواجنا اولادا ومن ذريتنا أعقابا قرة اعين اي اهل طاعة تقر بهم اعيننا في الدنيا بالصلاح وفي الآخرة بالجنة (واجعلنا للمتقين اماما) اي اجعلنا ممن يقتدي بنا المتقون طلبوا العز بالتقوى لا بالدنيا وقيل معناه اجعلنا نأتم بمن قبلنا حتى يأتم اي يقتدى بنا من بعدنا وعلى هذا فيجوز ان يكون اللام في اللفظ في المتقين وفي المعنى في نا والتقدير واجعل المتقين لنا اماما ومثله قول الشاعر « كأننا رعن قف يرفع الآلا » والتقدير يرفعه الآل ثم اخبر سبحانه عن جميع هذه الأوصاف فقال (أولئك يجزون الغرفة) اي يثابون الدرجة الرفيعة في الجنة

(بما صبروا) على امر ربهم وطاعة نبيهم وعلى مشاق الدنيا وصعوبة التكليف وقيل هي غرف الزبرجد والدر والياقوت عن عطا والغرفة في الاصل بناء فوق بناء وقيل الغرفة اسم لأعلى منازل الجنة وأفضلها كما انها في الدنيا اعلى المساكن (ويلقون فيها تحية وسلاما) اي تتلقاهم الملائكة فيها بالتحية وهي كل قول يسر به الإنسان وبالسلام بشارة لهم بعظيم الثواب وقيل التحية الملك العظيم والسلام جميع انواع السلامة وقيل التحية البقاء الدائم وقال الكلبي يحيي بعضهم بعضا بالسلام ويرسل اليهم الرب بالسلام (خالدين) اي مقيمين (فيها) من غير موت ولا زوال (حسنت) الغرفة (مستقرا ومقاما) اي موضع قرار واستقامة (قل) يامحمد (ما يعبؤ بكم ربي) اي ما يصنع بكم ربي من مجاهد وابن زيد وقيل ما يبالي بكم ربي عن ابي عمرو بن العلاء ومالا يعبؤ به فوجوده وعدمه سواء (لولا دعاؤكم) اي لولا دعاؤه اياكم إلى الدين والاسلام عن ابن عباس فيكون المصدر مضافا إلى المفعول والمعنى قل للمشركين ما يفعل بكم ربي اي اي نفع له فيكم واي ضرر يعود اليه من عدمكم واي قدر لكم عند الله حتى يدعوكم إلى الايمان لكن الواجب في الحكمة دعاؤكم إلى الدين وارسال الرسول وقد فعل وقيل معناه لولا عبادتكم له وايمانكم به وتوحيدكم اياه عن الكلبي ومقاتل والزجاج فيكون الدعاء بمعنى العبادة وفي هذا دلالة على ان من لا يعبد الله ولا يطيعه فلا وزن له عند الله وقيل معناه ما يعبؤ بعذابكم ربي لولا دعاء بعضكم بعضا إلى الشرك والشر عن البلخي ودليله ما يفعل الله بعذابكم الآية وقيل معناه لولا دعاؤكم له إذا مسكم ضر أو اصابكم سوء رغبة له وخضوعا له وروى العياشي باسناده عن يزيد بن معاوية العجلي قال قلت لأبي جعفر (ع) كثرة القراءة افضل أم كثرة الدعاء أفضل قال كثرة الدعاء افضل وقرأ هذه الآية فقد كذبتم الخطاب لأهل مكة اي ان الله دعاكم بالرسول إلى توحيده وعبادته (فقد كذبتم) يا معاشر الكفار الرسول (فسوف يكون لزاما) اي فسوف يكون عقابه لتكذيبكم إياه لازما لكم قال صخر الغي

فإما ينجوا من حتف ارضي فقد لقيا حتوفهما لزاما

اي انه واقع لا محالة قال الزجاج تأويله فسوف يكون تكذيبكم لزاما يلزمكم فلا تعطون التوبة وتلزمكم به العقوبة وقال ابو عبيدة لزاما فيصلا وقيل في تفسير اللزام انه القتل يوم بدر عن ابن مسعود وابي ابن كعب وقيل هو عذاب الآخرة وقال ابو ذؤيب في اللزام

ففاجأه بعادية لزام كما يتفجر الحوض اللقيف

فلزام معناه كثيرة يلزم بعضها بعضا ولقيف متساقط متهدم وبالله التوفيق

سورة الشعراء

مكية كلها غير قوله والشعراء يتبعهم الغاوون الآيات إلى آخر السورة فإنها نزلت بالمدينة

﴿ عدد آيها ﴾

مائتان وسبع وعشرون آية كوفي وشامي والمدني الاول وست في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

اربع آيات طسم كوفي فلسوف تعلمون غير الكوفي ما كنتم تعبدون غير البصري وما تنزلت به الشياطين عراقي شامي والمدني الاول

فضلها

ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح (ع) وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم (ع) وبعدد من كذب بعيسى (ع) وصدق بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله اعطيت سورة التي يذكر فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه وطواسين من الواح موسى واعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة من تحت العرش واعطيت المفصلة نافلة وروى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ الطواسين الثلاث في ليلة الجمعة كان من اولياء الله وفي جواره وكنفه وأسكنه الله في جنة عدن وسط الجنة مع النبيين والمرسلين والوصيين الراشدين ولم يصبه في الدنيا بؤس أبداً واعطي في الآخرة من الاجر الجنة حتى يرضى وفوق رضاه وزوجه الله مائة حوراء من الحور العين

تفسيرها

ذكر الله سبحانه في مختتم سورة الفرقان تكذيبهم بالكتاب وذكر في مفتتح هذه السورة وصف الكتاب فقال

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) طسٓمٓ (٢) تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (٣) لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٤) إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (٥) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ (٦) فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ (٨) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ تسع آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير الاعشى والبرجمي وحفص طسم ويس وحم بالامالة والباقون بالفتح والتفخيم وابن كثير اشد فتحا وتفخيما وكذلك عاصم ثم يعقوب والآخرون لا يفتحون فتحا شديدا وقرأ ابو جعفر وحمزة باظهار النون من سين عند الميم والآخرون يدغمون

الحجة

قال ابو علي تبيين النون هو الوجه لأن حروف الهجاء في تقدير الانفصال والانقطاع مما بعدها فإذا كان كذلك وجب تبيين النون لأنها انما تخفى إذا اتصلت بحرف من حروف الفم فإذا لم تتصل بها لم يكن شيء يوجب اخفاءها ووجه اخفائها مع هذه الحروف ان همزة الوصل قد وصلت ولم تقطع وهمزة الوصل انما تذهب في الدرج فلما سقطت همزة الوصل وهي لا تسقط إلا في الدرج مع هذه الحروف في الف لام ميم الله كذلك لا يبين النون ويقدر فيها الاتصال بما قبلها ولا يقدر الانفصال

(الإعراب)

ان لا يكونوا في محل نصب بأنه مفعول له والتقدير لأن لا يكونوا او بأن لا يكونوا ظلت اعناقهم في

موضع جزم عطفا على تنزل ومن ذكر في محل رفع ومن مزيدة وكم في موضع نصب بأنه مفعول انبتنا وانبتنا في موضع نصب على الحال وقد مضمرة والتقدير مثبتا

﴿ المعنى ﴾

(طسم) قد بينا معاني هذه الحروف المقطعة في اول البقرة فلا معنى لإعادته وقال مجاهد والضحاك ان طسم وطس من اسماء القرآن وقال ابن عباس في رواية الوالبي طسم قسم وهو من اسماء الله عز وجل وقال القرظي أقسم الله بطوله وسنائه وملكه وروي عن ابن الحنفية عن علي (ع) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نزلت طسم قال الطاء طور سيناء وسين الاسكندرية والميم مكة وقيل الطاء شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم (تلك آيات الكتاب المبين) اشار بتلك إلى ما ليس بحاضر لكنه متوقع فهو كالحاضر لحضور المعنى في النفس والتقدير تلك الآيات التي وعدتم بها هي آيات الكتاب أي القرآن والمبين الذي يبين الحق من الباطل (لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين) أي لعلك مهلك نفسك وقاتل نفسك بأن لا يكونوا مؤمنين وبأن يقيموا على الكفر إنما قال ذلك سبحانه تسلية لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وتخفيفاً عنه بعض ما كان يصيبه من الاغتمام لذلك (ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية) أي دلالة وعلامة تلجئهم وتضطرهم إلى الإيمان (فظلت اعناقهم لها) أي لتلك الآية (خاضعين) منقادين وقيل في ذلك وجوه ﴿ احدها ﴾ ان المراد فظل أصحاب الاعناق لها خاضعين فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه لدلالة الكلام عليه ﴿ وثانيها ﴾ انه جعل الفعل اولا للأعناق ثم جعل خاضعين للرجال لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون ﴿ وثالثها ﴾ ان الخضوع مردود إلى المضمر الذي أضيف الاعناق اليه عن الاخفش والمبرد وابي عبيدة وانشدوا قول جرير

أرى مر السنين اخذن مني كما أخذ السرار من الهلال

﴿ ورابعها ﴾ ان المراد بالاعناق الرؤساء والجماعات يقال جاءني عنق من الناس اي جماعة ﴿ وخامسها ﴾ انه لما وصف الاعناق بصفة ما يعقل نسب اليها ما يكون من العقلاء كما قال الشاعر

تمززتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

وروي نادى صباحه وذكر ابو حمزة الثمالي في هذه الآية انها صوت يسمع من السماء في النصف من شهر رمضان وتخرج له العواتق من البيوت وقال ابن عباس نزلت فينا وفي بني أمية قال سيكون لنا عليهم الدولة فتخضع لنا اعناقهم بعد صعوبتها وتلين (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين) اخبر سبحانه عن هؤلاء الكفار انه لا يأتيهم ذكر من الرحمن محدث أي جديد يعني القرآن كما قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال ان هو إلا ذكر الآية اعرضوا عن الذكر ولم يتدبروا فيه (فقد كذبوا فسيأتيهم) فيما بعد يعني يوم القيامة (انباء ما كانوا به يستهزؤون) وهي مفسرة في سورة الانعام (أولم يروا إلى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج) معناه من كل نوع معه قرينه (كريم) اي حسن وقيل نافع محمود مما يحتاج اليه وقيل من كل صنف يكرم على اهله وقيل كريم مما يأكل الناس والانعام عن مجاهد وقال الشعبي الناس نبات الارض كما قال سبحانه والله انبتكم من الارض نباتا فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم (ان في ذلك لآية) أي لدلالة على وحدانيتنا وكمال قدرتنا (وما كان اكثرهم مؤمنين) اي لا يصدقون بذلك ولا يعترفون به عناداً وتقليداً لأسلافهم وهربا من مشقة التكليف قال سيبويه كان هنا مزيدة ومجازه وما اكثرهم مؤمنين (وان ربك) يا محمد (لهو العزيز) اي القادر والذي لا يعجز والغالب الذي لا يغلب (الرحيم) اي المنعم على عباده بأنواع النعم

قوله تعالى (١٠) وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١١) قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ (١٢) قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ (١٣) وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ (١٤) وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ (١٥) قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ (١٦) فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٧) أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٨) قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ (١٩) وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٢٠) قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ (٢١) فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٢) وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٣) قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٤) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٥) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٦) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٧) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٨) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (٢٩) قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (٣٠) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ احدى وعشرون آية

القراءة

قرأ يعقوب ويضيق ولا ينطلق بالنصب فيهما والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة عبد الله بن مسلم بن يسار وحماد بن سلمة الا تتقون بالتاء وقراءة الشعبي وفعلت فعلتك

الحجة

من قرأ يضيق ولا ينطلق بالرفع عطف على اخاف ومن قرأ بالنصب عطف على ان يكذبون أي أخاف ان يكذبون وان يضيق صدري ولا ينطلق لساني ومن قرأ الا تتقون بالتاء فهو على اضمار القول أي فقل لهم الا تتقون ومن قرأ فعلتك بكسر الفاء فهي مثل الركبة والجلسة تكون كناية عن الحال التي يكون عليها وقد يكون المصدر على هذه الزنة تقول نشدته بالله نشدة

الاعراب

قال الزجاج موضع إذ نصب على معنى واتل عليهم هذه القصة فيما تتلو والدليل عليه قوله عطفا على هذه القصة واتل عليهم نبأ ابراهيم ان ائت القوم الظالمين موضعه نصب بأنه مفعول نادى أي ناداه بهذه الكلمة رسول رب العالمين واحد في معنى الجمع كقوله فإنهم عدو لي ويجوز ان يكون كل واحد منهما رسولا • ان عبدت بني اسرائيل في موضع رفع لأنه بدل من نعمة تقديره وتلك نعمة تعبيدك بني اسرائيل وتركك اياي غير عبد ويجوز ان يكون في موضع نصب بأنه مفعول له اي انما صارت نعمة لأن عبدت بني اسرائيل والمعنى لولم تفعل مافعلت لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم فإنما صارت نعمة لما فعلت من البلاء • فماذا تأمرون يجوز ان يكون ما في موضع رفع بالابتداء وذا بمعنى الذي على تقدير فأي شيء الذي تأمرونه ويجوز ان يكون في موضع نصب بأنه مفعول تأمرون ويكون مع ذا بمنزلة اسم واحد وتقديره اي شيء تأمرون

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه اقاصيص رسله تسلية للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتحريضاً له على الصبر ثقة بنزول النصر وابتدأ بقصة موسى وفرعون فقال (وإذ نادى ربك) اي واذكر يا محمد واتل عليهم الوقت الذي نادى فيه ربك الذي خلقك (موسى ان ائت القوم الظالمين) هذا امر بعد النداء وتقديره قال له يا موسى ان ائت القوم الذين ظلموا انفسهم بارتكاب المعاصي وظلموا بني اسرائيل بأن ساموهم سوء العذاب ثم بيّن القوم الموصوفين بهذه الصفة فقال (قوم فرعون) وهو عطف بيان (الا يتقون) انما قاله بالياء لأنه على الحكاية ومعناه أما آن لهم ان يتقوا ويصرفوا عن انفسهم عقوبة الله بطاعته والتقوى مجانبة القبائح بفعل المحاسن واصله صرف الأمر بحاجز بين الصارف وبينه (قال) موسى (رب اني اخاف ان يكذبون) بالرسالة ولا يقبلوا مني والخوف انزعاج النفس بتوقيع الضر ونقيضه الامن وهو سكون النفس إلى خلوص النفع (ويضيق صدري) بتكذيبهم اياي (ولا ينطلق لساني) أي لا ينبعث بالكلام للعقدة التي كانت فيه وقد مر بيانها وقد يتعذر ذلك لآفة في اللسان وقد يتعذر لضيق الصدر وغروب المعاني التي تطلب للكلام (فأرسل إلى هارون اخي) يعني ليعاونني كما يقال إذا نزلت بنا نازلة أرسلنا اليك أي لتعيننا وانما طلب المعاونة حرصاً على القيام بالطاعة وقال الجبائي لم يسأل موسى (ع) ذلك إلا بعد أن أذن الله له في ذلك لأن الأنبياء لا يسألون الله إلا ما يؤذن لهم في مسألته (ولهم علي ذنب) يعني قتل القبطي الذي قتله موسى (ع) أي لهم عليّ دعوى ذنب (فأخاف ان يقتلون) خاف ان يقتلوه بتلك النفس لا لابلاغ الرسالة فإنه علم ان الله تعالى إذا بعث رسولا تكفل بمعونته على تبليغ رسالته (قال) الله (كلا) وهو زجر اي لا يكون ذلك ولن يقتلوك به فإني لا اسلطهم عليك (فاذهبا) أنت وأخوك وحذف ذكر هارون واجابة موسى إلى ما اقترحه من ارساله معه إلى فرعون لدلالة قوله فاذهبا عليه (بآياتنا) اي بدلالاتنا ومعجزاتنا التي خصصنا كما بها (انا معكم مستمعون) اي نحن نحفظكم ونحن سامعون ما يجري بينكم ومستمع هنا في موضع سامع لأن الاستماع طلب السمع بالاصغاء اليه وذلك لا يجوز عليه سبحانه وانما اتى بهذه اللفظة لأنه أبلغ في الصفة واوكد وهو قوله اني معكما اسمع وأرى وانما قال انا معكم لأنه اجراهما مجرى الجماعة (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين) أرسلنا الله اليك لندعوك إلى عبادته وترك الاشراك به ولم يقل رسولا رب العالمين لأن الرسول قد يكون في معنى الجمع قال الهذلي

الكني اليها وخير الرسو ... ل اعلمهم بنواحي الخبر

أي وخير الرسل وقيل ان الرسول بمعنى الرسالة كما في قوله

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ... بسر ولا ارسلتهم برسول

اي برسالة وقال العباس بن مرداس

الا من مبلغ عني خفافا ... رسولا بيت اهلك منتهاها

فأنث الرسول تأنيث الرسالة وقد يقع المصدر موقع الصفة كما تقع الصفة موقع المصدر فيكون مجازه انا ذوا رسالة رب العالمين (ان ارسل معنا بني اسرائيل) أي امرك الله بأن ارسلهم واطلقهم من الاستعباد وخل عنهم وفي الكلام حذف تقديره انهما اتيا فرعون وبلغا الرسالة على ما امرهما الله تعالى به (قال) فرعون لموسي (ألم نربك فينا وليداً) والتربية تنشية الشيء حالا بعد حال معناه ألم تكن فينا صبيا صغيراً فربيناك (ولبثت فينا من عمرك سنين) اي أقمت سنين كثيرة عندنا وهي ثماني عشرة سنة عن ابن عباس وقيل ثلاثين سنة عن مقاتل وقيل اربعين سنة عن الكلبي وانما قال ذلك امتنانا عليه باحسانه اليه وقيل انه اظهر لومه حيث ذكر صنائعه

(وفعلت فعلتك التي فعلت) يعني قتل القبطي (وأنت من الكافرين) لنعمتنا وحق تربيتنا عن ابن عباس وعطا ومقاتل وقيل معناه وأنت من الكافرين بإلهك إذ كنت معنا على ديننا الذي تعيب وتقول انه كفر عن الحسن والسدي (قال) موسى (فعلتها إذا وأنا من الضالين) أي فعلت هذه الفعلة وأنا من الجاهلين لم اعلم بأنها تبلغ القتل وقيل معناه من الناسين عن ابن زيد وقيل من الضالين عن العلم بأن ذلك يؤدي إلى قتله عن الجبائي وقيل من الضالين عن طريق الصواب لأني ما تعمدته وانما وقع مني خطأ كمن يرمي طائراً فيصيب انساناً وقيل من الضالين عن النبوة أي لم يوح إلي بتحريم قتله (ففررت منكم لما خفتكم) اي ذهبت من بينكم حذرا على نفسي إلى مدين لما خفتكم ان تقتلوني بمن قتلته (فوهب لي ربي حكماً) اي نبوة وقيل ان الحكم العلم بما تدعو اليه الحكمة وهو الذي وهبه الله تعالى لموسى من التوراة والعلم بالحلال والحرام وسائر الأحكام (وجعلني من المرسلين) أي نبيا من جملة الانبياء (وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل) يقال عبده واعبده إذا اتخذه عبدا وقيل في معناه أقوال ﴿ احدها ﴾ ان فيه اعترافاً بأن تربيته له كانت نعمة منه على موسى وانكارا للنعمة في ترك استعباده ويكون الف التوبيخ مضمراً فيه فكأنه يقول او تلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل ولم تعبدني ﴿ وثانيها ﴾ انه انكار للمنة اصلا ومعناه أتمن علي بأن ربيتني مع استعبادك قومي هذه ليست بنعمة يريد ان اتخاذك بني اسرائيل الذين هم قومي عبيداً احبط نعمتك التي تمن بها علي ﴿ وثالثها ﴾ ان معناه انك لو كنت لا تستعبد بني اسرائيل ولا تقتل ابناءهم لكانت امي مستغنية عن قذفي في اليم فكأنك تمتن علي بما كان بلاؤك سبباً له عن الزجاج وزاد الازهري لهذا بيانا فقال ان فرعون لما قال لموسى «ع» ألم نربك فينا وليداً فاعتد عليه بأن رباه وليداً منذ ولد إلى ان كبر فكان من جواب موسى «ع» له تلك نعمة تعتد بها علي لأنك عبدت بني اسرائيل ولو لم تعبدهم لكفلني أهلي فلم يلقوني في اليم فإنما صارت لك علي نعمة لما اقدمت عليه مما حظره الله عليك ﴿ ورابعها ﴾ ان فيه بيان انه ليس لفرعون عليه نعمة لأن الذي تولى تربيته امه وغيرها من بني اسرائيل بأمر فرعون لما استعبدهم فيكون معناه انك تمن علي بأن استعبدت بني اسرائيل حتى ربوني وحفظوني عن الجبائي (قال فرعون وما رب العالمين) أي اي جنس رب العالمين الذي تدعوني إلى عبادته (قال) موسى في جوابه (رب السموات والارض) أي مبدعها ومنشئها وخالقها (وما بينهما) من الحيوان والجماد والنبات (ان كنتم موقنين) بأن الرب من كان بهذه الصفة أو موقنين بأن هذه الأشياء محدثة وليست من فعلكم والمحدث لا بد له من محدث ولم يشتغل موسى لجواب ما سأله فرعون لأن الله تعالى ليس بذي جنس بل اشتغل ببيان ربوبيته وصفاته وبيان الحجة الدالة عليه من خلقه الذي يعجز المخلوقون عن مثله (قال) فرعون (لمن حوله ألا تستمعون) يريد ألا تستمعون مقالة موسى عن ابن عباس وقيل معناه ألا تصغون اليه وتفهمون ما يقوله معجباً من قوله وانما عجب فرعون من حوله من جوابه لأنه طلب منه أي أجناس الأجسام هو جهلاً منه بالتوحيد لأنه لو كان كأحد أجناس الأجسام لكان محدثاً كسائر الأجسام التي هي من جنسه لحلول الحوادث فيه ودله موسى على الله بدلالة أفعاله التي بها يجب ان يستدل عليه تعالى فقال فرعون انظروا إلى هذا أسأله عن شيء فيجيب عن غيره فجرى موسى «ع» على عادته في الرفق وتأكيد الحجة وتكريرها (قال ربكم ورب آبائكم الاولين) وانما ذكره تأبيدا لما قبله وتوكيداً له فإن فرعون كان يدعي الربوبية على اهل عصره دون من قبله فبين ان المستحق للربوبية من هو رب اهل كل عصر ومالك تدبيرهم فعند ذلك (قال) فرعون إذ لم يقدر على جواب الكلام موسى «ع» يموه عليهم (ان رسولكم الذي أرسل اليكم لمجنون) لأني أسأله عن ماهية رب العالمين فيجيبني عن غير ذلك كما يفعل المجنون فعند ذلك لم يشتغل موسى «ع» بالجواب عما نسبه اليه من الجنون ولكن اشتغل بتأكيد الحجة والزيادة في الإبانة بأن (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) ذلك وتدبرونه

وقيل ان كنتم تعلمون انه إنما يستحق العبادة من كان بهذه الصفة فلما طال على فرعون الاحتجاج من موسى (قال) مهدداً له (لئن اتخذت إلٰهاً غيري لأجعلنك من المسجونين) أي من المحبوسين قالوا وكان إذا سجن أحداً لم يخرجه حتى يموت فلما توعده بالسجن (قال أولو جئتك بشيء مبين) معناه أتسجنني ولو جئتك بأمر ظاهر تعرف به صدقي وكذبك وحجة ظاهرة تدل على نبوتي

قوله تعالى (٣١) قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٢) فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (٣٣) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٤) قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٥) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (٣٦) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٣٧) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (٣٨) فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٩) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٤٠) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤١) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (٤٢) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٣) قَالَ لَهُمْ مُوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ (٤٤) فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ (٤٥) فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (٤٦) فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٧) قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٨) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (٤٩) قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (٥٠) قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ عشرون آية

المعنى

(قال) فرعون لموسى (فأت به ان كنت من الصادقين) أي هات ما ادعيت من المعجزات ان كنت صادقاً (فألقى) حينئذ موسى (عصاه فإذا هي ثعبان) أي حية عظيمة وقيل الثعبان الذكر من الحيات (مبين) ثعبان لاشبهة فيه (ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين) أي واخرج يده من كمه أو جيبه على ما روي فإذا هي بيضاء بياضاً نورياً كالشمس في اشراقها للناظرين اليها (قال) فرعون (للملأ) الاشراف من قومه (حوله إن هذا) يعني موسى (لساحر عليم) بالسحر والحيل (يريد ان يخرجكم من ارضكم) ودياركم ويتغلب عليها (بسحره فماذا تأمرون) في بابه وانما شاور قومه في ذلك مع انه كان يقول لهم انه إله لأنه يجوز ان يكون ذهب عليه وعلى قومه ان الإله لا يجوز ان يشاور غيره كما ذهب عليهم ان الإله لا يجوز ان يكون جسماً محتاجاً فاعتقدوا إلهيته مع ظهور حاجته (قالوا ارجه واخاه) قد مر تفسيره واختلاف القراء فيه في سورة الاعراف (وابعث في المدائن حاشرين) يحشرون الناس من جميع البلدان (يأتوك بكل سحار عليم) وفي الكلام حذف تقديره انه انفذ الحاشرين في البلدان فحشروهم (فجمع السحرة لميقات يوم معلوم) أي لوقت يوم بعينه اختاروه وعينوه وهو يوم عيدهم يوم الزينة (وقيل للناس) أي لأهل مصر (هل انتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين) لموسى واخيه (فلما جاء السحرة) وحضروا بين يدي فرعون (قالوا) له (أئن لنا لأجراً ان كنا نحن الغالبين) أي هل لنا اجرة وجزاء على غلبتنا اياه ان نحن غلبناه (قال) فرعون (نعم)

لكم على ذلك الأجر الجزيل (وانكم) مع ما تعطون من الجزاء والأجر (إذا لمن المقربين) والمقرب المدني من مجلس الكرامة (قال لهم) اي للسحرة (موسى القوا ما انتم ملقون) هذا بصورة الأمر والمراد به التحدي (فألقوا حبالهم وعصيهم) أي طرحوا ما كان معهم من الحبال والعصي (وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون) والعزة القوة التي يمتنع بها من لحاق ضيم لعلو منزلتها وهذا القول قسم منهم وإن كان غير مبرور (فألقى) عند ذلك (موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون) اي ان العصا تتناول جميع ماموهوا به في اوجز مدة من الزمان (فالقي السحرة ساجدين) لما بهرهم ما أظهره موسى «ع» من قلب العصا حية وتلقفها جميع ما اتعبوا به نفوسهم فيه وعلموا ان ذلك من عند الله إذ أحد من البشر لا يقدر عليه (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) فعند ذلك (قال) فرعون مهدداً لهم (آمنتم) اي صدقتم له فيما يدعو اليه (قبل ان آذن لكم) اي انا في تصديقه (انه لكبيركم) اي استاذكم وعالمكم (الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون) فيما بعد ما أفعله بكم عقوبة لكم على تصديقكم إياه ثم فسر ذلك بقوله (لأقطعن ايديكم وأرجلكم من خلاف) يعني قطع اليد من جانب والرجل من الجانب الآخر كقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (ولأصلبنكم اجمعين) مع ذلك على الجذوع ولا اترك أحداً منكم لا تناله عقوبتي (قالوا) في جوابه عن ذلك (لا ضير) اي لا ضرر علينا فيما تفعله يقال ضاره يضيره ضيرا وضره يضره ضرراً (إنا إلى ربنا منقلبون) أي إلى ثواب ربنا راجعون فيجازينا على ايماننا وصبرنا بالنعيم الدائم الذي لا ينقضي ولا يضرنا قطعك وصلبك فإنه ألم ساعة عن قريب ينقضي قال الحسن لم يصل فرعون إلى قتل واحد منهم ولا قطعه وقيل ان اول من قطع الأيدي والارجل فرعون

قوله تعالى (٥١) إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا إِنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ (٥٢) وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٥٣) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (٥٤) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (٥٥) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (٥٦) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (٥٧) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٨) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٩) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٦٠) فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (٦١) فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦٢) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٣) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٤) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٥) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٦) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٧) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٨) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ثماني عشرة آية

القراءة

قرأ ابن عامر واهل الكوفة حاذرون بالالف والباقون بغير الف وقرأ فاتبعوهم موصولة الالف مشددة التاء زيد عن يعقوب وقرأ الباقون فاتبعوهم بقطع الالف وسكون التاء وقرأ حمزة ونصير عن الكسائي وخلف ترئ الجمعان بكسر الراء والباقون بفتحها وفي الشواذ قراءة ابان بن تغلب ان كنا اول المؤمنين بكسر الهمزة من ان وقراءة ابن ابي عامر حادرون بالدال غير المعجمة وقراءة الأعرج وعبيد بن عمير انا لمدكرون بتشديد الدال وقراءة عبد الله بن الحرث وازلقنا بالقاف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي قال ابو عبيدة رجل حذر وحذر وحاذر قال ابن احمر

هل ينسأن يومي إلى غيره … اني حوالي واني حذر

حوالي أى ذو حيلة وقال العباس بن مرادس

وإني حاذر انمي سلاحي … إلى أوصال ذيال منيع

ووجه امالة الحركة على الراء من ترائى ان قياسه ان يكون ترآآى في الموقف مثال تراعي فأمال فتحة الراء لإمالة فتحة الهمزة التي أميلت ليميل الألف نحو الياء كما قالوا رأى اما لوا فتحة الراء لإمالة فتحة الهمزة فإن قيل فإذا وصل وقيل تراء الجمعان فهلا لم يجز امالة الفتحة التي على الراء لأنه إذا كان اما لتها لامالة فتحة الهمزة وما يوجب امالة الفتحة فقد سقط وهو الألف المنقلبة من الياء التي سقطت لالتقاء الساكنين فإذا سقطت لم يجز امالة فتحة الهمزة فإذا لم يجز امالة فتحة الهمزة وجب أن لا يجوز امالة فتحة الراء فقيل ان امالة فتحة الراء في ترآآى جائزة في الوصل مع سقوط الألف من تفاعل لالتقاء الساكنين وما سقط الألف عن تفاعل لالتقاء الساكنين فهو عندهم في حكم الثابت يدل على ذلك قولهم ولا ذاكرا لله إلا قليلا فنصب مع سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كما ينصب إذا ثبت وزعم ابو الحسن انه قد قرأ في القتلى الحر بامالة فتحة اللام مع سقوط الالف وقال ابن جني قوله ان كنا اول المؤمنين من الكلام الذى يعتاده المستظهر المدل بما عنده يقول الرجل لصاحبه أنا أحفظه عليك إن كنت وافيا ولن يضيع لك جميل عندي إن كنت شاكرا أي فكما تعلم ان هذا معروف من حالي فثق بوفائي وشكري ومثله بيت كتاب سيبويه

أتغضب ان اذنا قتيبة حزتا … جهارا ولم تغضب لقتل ابن حازم

فشرط بذلك وقد كان ووقع قبل ذلك وقد جاء به ابو تمام فقال

ومكارما عتق البحار تليدة … إن كان هضب عمايتين تليدا

أي كما كان هضب عمايتين تليدا فكذلك هذه المكارم واما قوله حادرون فالحادر القوي الشديد ومنه الحادرة الشاعرة وحدر الرجل إذا قوي جسمه وامتلأ لحما وشحما قال الأعشى

وعسيرا دماء حادرة العين … خنوف عير انة شملال

ويقال ادركت الشيء وادركته بمعنى ومن قرأ وأزلفنا بالفاء فالآخرون موسى واصحابه ومن قرأ بالقاف فالآخزون فرعون واصحابه أي أهلكناهم

﴿ اللغة ﴾

سرى وأسرى لغتان وقد فرق بينهما والشرذمة العصبة الباقية من عصب كثيرة وشرذمة كل شيء بقيته القليلة قال الراجز

جاء الشتاء وقميصي اخلاق … شراذم يضحك منها التواق

والفرق بين الحذر والحاذر ان الحاذر الفاعل للحذر والحذر المطبوع على الحذر والكنوز الاموال المخبأة في مواضع غامضة من الأرض بعضها على بعض ومنه كناز التمر وغيره ما يعبأ بعضه على بعض والمقام الموضع الذي يقام فيه والكريم الحقيق بإعطاء الخير الجزيل وهي صفة تعظيم في المدح واتبع فلان فلانا وتبعه إذا اقتفى أثره والاشراق الدخول في وقت شروق الشمس ويقال شرقت الشمس إذا طلعت واشرقت إذا اضاءت وصفت

واشرقنا دخلنا في الشروق وتراء الجمعان اي تقابلا بحيث يرى كل منهما صاحبه ويقال تراءى نارا هما إذا تقابلا وإنما جاز تثنية الجمع لأنه يقع عليه صفة التوحيد فنقول هذا جمع واحد كما تقول جملة واحدة والادراك االحاق يقال ادرك قتادة الحسن اي لحقه وادرك الزرع اي لحق ببلوغه وادرك الغلام اي بلغ وادركت القدر نضجت والطود الجبل قال الاسود بن يعفر

حلوا بأنقرة يجيش عليهم ماء الفرات يجيء من اطواد

والازدلاف الإدناء والتقريب ومنه المزدلفة ابو عبيدة ازلفنا جمعنا وليلة المزدلفة ليلة جمع قال الشاعر

وكل يوم مضى أو ليلة سلفت فيها النفوس إلى الآجال تزدلف

والآخر بفتح الخاء الثاني من قسمي احد يقال نجى الله احدهما وأهلك الآخر وبكسر الخاء هو الثاني من قسمي الأول يقال نجى الأول وهلك الآخر

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن السحرة انهم قالوا لفرعون حين آمنوا (إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا) أي ما فعلناه من السحر وغيره (أن كنا اول المؤمنين) أي لأنا كنا اول من صدق موسى وأقر بنبوته وبما دعانا اليه من التوحيد ونفي التشبيه وقيل انهم أول من آمن عند تلك الآية أو اول من آمن من آل فرعون لأن بني اسرائيل كانوا آمنوا به (وأوحينا إلى موسى ان أسر بعبادي) سبق تفسيره في سورة طه (انكم متبعون) يتبعكم فرعون وجنوده ليحولوا بينكم وبين الخروج من ارض مصر (فأرسل فرعون في المدائن حاشرين) يحشرون اليه الناس ويجمعون له الجيوش ليقبضوا على موسى وقومه لما ساروا بأمر الله عزوجل فلما حضروا عنده (قال) لهم (ان هؤلاء) يعني اصحاب موسى (لشرذمة قليلون) اي عصابة من الناس قليلة قال الفراء يقال عصبة قليلة وقليلون وكثيرة وكثيرون قال المفسرون وكان الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة الف ولا يحصى عدد اصحاب فرعون (وإنهم لنا لغائظون) يقال غاظه واغتاظه وغيظه إذا أغضبه أي انهم غاظونا لمخالفتهم إيانا في الدين ثم لخروجهم من ارضنا على كره منا وذهابهم بالحلي الذي استعاروها وخلوصهم من استعبادنا (وإنا لجميع حاذرون) اي خائفون شرهم وحاذرون اي مؤدون مقوون أي ذوو اداة وقوة مستعدون شاكون في السلاح وقال الزجاج الحاذر المستعد والحذر المتيقظ ثم اخبر سبحانه عن كيفية اهلاكهم بقوله (فأخرجناهم) يعني آل فرعون (من جنات) اي بساتين (وعيون) جارية فيها (وكنوز) اي اموال مخباة وخزائن ودفاين (ومقام كريم) اي منابر يخطب عليها الخطباء عن ابن عباس وقيل هو مجالس الأمراء والرؤساء التي كان يحف بها الاتباع فيأتمرون بأمرهم وقيل المنازل الحسان التي كانوا مقيمين فيها في كرامة وقيل يريد مرابط الخيل لتفرد الرؤساء بارتباطها عدة وزينة فصار مقامها اكرم مقام متروك (كذلك) اى كما وصفنا لك اخبارهم (وأورثناها بني اسرائيل) وذلك ان الله سبحانه رد بني اسرائيل إلى مصر بعد ما اغرق فرعون وقومه واعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والعقار والمساكن والديار (فاتبعوهم مشرقين) يعني قوم فرعون ادركوا موسى واصحابه حين شرقت الشمس وظهر ضوؤها وذلك قوله (فلما تراء الجمعان) أي تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه (قال اصحاب موسى إنا لمدركون) أى سيدركنا جمع فرعون ولا طاقة لنا بهم (قال) موسى ثقة بنصر الله تعالى (كلا) لن يدركونا ولا يكون ما تظنون فانتهوا عن هذا القول (إن معي ربي) بنصره (سيهدين) أى سيرشدني إلى طريق النجاة وقيل سيكفيني عن السدي (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر) وهو نهر النيل ما بين ايلة ومصر وقيل هو بحر قلزم ما بين اليمن ومكة إلى مصر وفيه حذف أي فضرب (فانفلق) أي فانشق البحر وظهر فيه اثنا عشر طريقا وقام الماء عن يمين الطريق ويساره كالجبل العظيم وذلك قوله (فكان كل فرق كالطود

العظيم) أي فكان كل قطعة من البحر كالجبل العظيم والفرق الاسم لما انفرق والفرق مصدر (وأزلفنا ثم الآخرين) أي قربنا إلى البحر فرعون وقومه حتى أغرقناهم عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه جمعنا في البحر فرعون وقومه عن ابي عبيدة وقيل معناه وقربناهم إلى المنية لمجيء وقت هلاكهم (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين) يعني بني اسرائيل أنجينا جميعهم من الغرق والهلاك (ثم اغرقنا الآخرين) فرعون وجنوده (إن في ذلك لآية) معناه إن في فرق البحر وإنجاء موسى وقومه واغراق فرعون وقومه لدلالة واضحة على توحيد الله وصفاته التي لا يشاركه فيها غيره (وما كان اكثرهم مؤمنين) معناه انهم مع هذا السلطان الظاهر والبرهان الباهر والمعجز القاهر ما آمن اكثرهم فلا تستوحش يا محمد من قعود قومك عن الحق الذي تأتيهم به وتدلهم عليه فقد جروا على عادة اسلافهم في إنكار الحق وقبول الباطل (وإن ربك لهو العزيز) في سلطانه (الرحيم) بخلقه وقيل العزيز في انتقامه من اعدائه الرحيم في انجائه من الهلاك لأوليائه وقيل انه لم يؤمن من أهل مصر غير آسية امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون ومريم التي دلت على عظام يوسف

قوله تعالى (٦٩) وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٧٠) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧١) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧٢) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٣) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٤) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٥) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٦) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ (٧٧) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ (٧٨) ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٩) وَٱلَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٨٠) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨١) وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨٢) وَٱلَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ (٨٣) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّالِحِينَ (٨٤) وَٱجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ (٨٥) وَٱجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ (٨٦) وَٱغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلضَّالِّينَ (٨٧) وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٨) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٩) إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٩٠) وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (٩١) وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩٢) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٣) مِنْ دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٤) فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُونَ (٩٥) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ (٩٦) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (٩٧) تَٱللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٨) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (٩٩) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ (١٠٠) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (١٠١) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (١٠٢) فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٠٣) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٠٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ست وثلاثون آية

اللغة

الأقدم الموجود قبل غيره ومثله الأول والأسبق والقدم وجود الشيء لا إلى اول والتبريز الاظهار يقال أبرزه وبرزه فبرز يبرز بروزا والغاوي العامل بما يوجب الخيبة من الثواب كبكبوا أصله كببوا إلا انه ضوعف بتكرير

الفاء أي دهدهوا وطرح فيها بعضهم على بعض جماعة جماعة والحميم القريب الذي توده ويودك

﴿ الاعراب ﴾

هل يسمعونكم أصله أن يتعدى إلى ما كان صوتا مسموعا تقول سمعت كلامك فإن وقع على جوهر تعدى إلى مفعولين ولا يكون الثاني منهما إلا صوتا كقولك سمعت زيداً يقرأ ولا يجوز سمعت زيدا يقوم لأن القيام لا يكون مسموعاً وقوله هل يسمعونكم إذ تدعون على حذف المضاف والتقدير هل يسمعون دعاءكم فحذف المضاف ودل عليه قوله إذ تدعون . إلا رب العالمين استثناء منقطع ويجوز أن يكون غير منقطع على تقدير فإن جميع ما عبدتم عدو لي إلا رب العالمين وقد عبدوا مع الله تعالى الأصنام . إلا من أتى الله الموصول والصلة في محل النصب على البدل من مفعول ينفع المحذوف تقديره يوم لا ينفع أحدا مال ولا بنون . إلا من أتى الله ويجوز ايضا ان يكون منصوبا على الاستثناء . هم فيها مبتدأ وخبر . يختصمون في موضع نصب على الحال ويجوز أن يكون يختصمون خبر المبتدأ وفيها يتعلق به فيكون منصوبا باضمار ان في جواب التمني

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه (واتل عليهم) يامحمد (نبأ ابراهيم) أي خبر ابراهيم فإنه شجرة الأنبياء وبه افتخار العرب وفيه تسلية لك وعظة لقومك (إذ قال لأبيه وقومه) على وجه الانكار عليهم (ما تعبدون) أي أي شيء تعبدون من دون الله (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) أي فنظل لها مصلين عن ابن عباس وقيل معناه فنقيم على عبادتها مداومين (قال) ابراهيم (هل يسمعونكم) أي هل يسمعون دعاءكم (إذ تدعون) معناه هل يستجيبون دعاءكم إذا دعوتموهم (أو ينفعونكم) إذا عبدتموهم (أو يضرون) ان تركتم عبادتها وفي هذا بيان ان الدين انما يثبت بالحجة ولولا ذلك لم يحاججهم ابراهيم «ع» هذا الحجاج (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) وهذا اخبار عن تقليدهم آباءهم في عبادة الأصنام (قال) ابراهيم «ع» منكراً عليهم التقليد (أفرأيتم ما كنتم تعبدون) أي الذي كنتم تعبدونه من الأصنام (أنتم) الآن (وآباؤكم الأقدمون) أي المتقدمون أي والذين كان آباؤكم يعبدونهم وانما دخل لفظة كان لأنه جمع بين الحال والماضي (فإنهم عدو لي) معناه ان عبادة الأصنام مع الأصنام عدو لي إلا انه غلب ما يعقل وقيل انه يعني الأصنام وانما قال فإنهم فجمعها جمع العقلاء لما وصفها بالعداوة التي لا تكون إلا من العقلاء وجعل الأصنام كالعدو في الضرر من جهة عبادتها ويجوز ان يكون قال فإنهم لأنه كان منهم من يعبد الله مع عبادته الأصنام فغلب ما يعقل ولذلك استثنى فقال (إلا رب العالمين) استثناء من جميع المعبودين قال الفراء انه من المقلوب والمعنى فإني عدو لهم ومن عاديته فقد عاداك ثم وصف رب العالمين فقال (الذي خلقني) واخرجني من العدم إلى الوجود (فهو يهدين) أي يرشدني إلى ما فيه نجاتي وقيل الذي خلقني لطاعته فهو يهديني إلى جنته (والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين) معناه انه يرزقني ما اتغذى به ويفعل ما يصح بدني (والذين يميتني ثم يحيين) أي يميتني بعد ان كنت حيا ويحييني يوم القيامة بعد أن اكون ميتا (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) أي يوم الجزاء وانما قال ذلك على سبيل الانقطاع منه إلى الله تعالى لا على سبيل ان له خطيئة يحتاج إلى ان يغفر له يوم القيامة لأن عندنا لا يجوز أن يقع من الأنبياء شيء من القبائح وعند جميع اهل العدل وان جوزوا عليهم الصغائر فإنها تقع عندهم محبطة مكفرة فليس شيء منها غير مغفور فيحتاج إلى أن يغفر يوم القيامة وقيل معناه أطمع ان يغفر لمن يشفعني فيه فأضافه إلى نفسه كقوله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وانما قال وإذا مرضت فأضاف المرض إلى نفسه وإن كان من الله استعمالا لحسن الأدب فإن المقصود شكر نعمة الله تعالى ولو كان المقصود بيان القدرة لأضافه إلى الله تعالى ونظيره قول الخضر «ع» فأردت ان اعيبها ثم قال فأراد ربك ان

يبلغا اشدهما وانما حذف الياءآت لأنه روس الآيات وهذا الكلام من ابراهيم «ع» انما صدر على وجه الاحتجاج على قومه والاخبار بأنه لا يصلح للالهية إلا من فعل هذه الأفعال ثم حكي الله عنه انه سأله وقال (رب هب لي حكماً) والحكم بيان الشيء على ما تقتضيه الحكمة وقيل انه العلم عن ابن عباس يعني علما إلى علم وفقهاً إلى فقه وقيل انه النبوة عن الكلبي (وألحقني بالصالحين) أي بمن قبلي من النبيين في الدرجة والمنزلة وقيل معناه افعل بي من اللطف ما يؤديني إلى الصلاح والاجتماع مع النبيين في الثواب وفي هذا دلالة على عظم شأن الصلاح وهو الاستقامة على ما أمر الله تعالى به ودعا اليه (واجعل لي لسان صدق في الآخرين) أي ثناء حسنا في آخر الامم وذكراً جميلا وقبولاً عاماً في الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة فأجاب الله سبحانه دعاه فكل اهل الاديان يثنون عليه ويقرون بنبوته والعرب تضع اللسان موضع القول على الاستعارة لأن القول يكون بها وكذلك يسمون اللغة لسانا قال الاعشى باهلة

انى اتتني لسانا لا اسر بها ... من علو لا عجب منها ولا سخر

وقيل ان معناه واجعل لي ولد صدق في آخر الأمم يدعو إلى الله ويقوم بالحق وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم (واجعلني من ورثة جنة النعيم) اي من الذين يرثون الفردوس (واغفر لأبي انه كان من الضالين) اي من الذاهبين عن الصواب في اعتقاده ووصفه بأنه ضال يدل على انه كان كافراً كفر جهالة لا كفر عناد وقد ذكرنا الوجه في استغفار ابراهيم لأبيه في سورة التوبة (ولا تخزني يوم يبعثون) اي لا تفضحني ولا تعيرني بذنب يوم تحشر الخلائق وهذا الدعاء كان منه «ع» على وجه الانقطاع إلى الله تعالى لما بينا ان القبيح لا يجوز وقوعه من الانبياء «ع» ثم فسر ذلك اليوم بأن قال (يوم لا ينفع مال ولا بنون) أي لا ينفع المال والبنون احداً إذ لا يتهيأ لذي المال ان يفتدي من شدائد ذلك اليوم به ولا يتحمل من صاحب البنين بنوه شيئاًمن معاصيه (إلا من أتى الله بقلب سليم) من الشرك والشك عن الحسن ومجاهد وقيل سليم من الفساد والمعاصي وإنما خص القلب بالسلامة لأنه إذا سلم القلب سلم سائر الجوارح من الفساد من حيث ان الفساد بالجارحة لا يكون إلا عن قصد بالقلب الفاسد وروي عن الصادق «ع» انه قال هو القلب الذي سلم من حب الدنيا ويؤيده قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة (وازلفت الجنة للمتقين) أي قربت لهم ليدخلوها (وبرزت الجحيم للغاوين) أي اظهرت وكشف الغطاء عنها للضالين عن طريق الحق والصواب (وقيل لهم) في ذلك اليوم على وجه التوبيخ (اينما كنتم تعبدون من دون الله) من الأصنام والاوثان وغيرهما وانما وبخوا بلفظ الاستفهام لأنه لا جواب لهم عن ذلك إلا بما فيه فضيحتهم (هل ينصرونكم) بدفع العذاب عنكم في ذلك اليوم (او ينتصرون) لكم اذا عوقبتم وقيل ينتصرون أي يمتنعون من العذاب (فكبكبوا فيها) اي جمعوا وطرح بعضهم على بعض عن ابن عباس وقيل نكسوا فيها على روؤسهم عن السدي (هم) يعني الآلهة التي تعبدونها (والغاوون) اي والعابدون والمعنى اجتمع المعبودون من دون الله والعابدون لها في النار (وجنود ابليس اجمعون) أي وكبكب معهم جنود ابليس يريد من اتبعه من ولده وولد آدم (قالوا وهم فيها يختصمون) أي قال هؤلاء وهم في النار يخاصم بعضهم بعضاً (تالله لقد كنا في ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) وان هذه هي المخففة من الثقيلة أي انا كنا في ضلال ومعناه لقد كنا في ضلال عن الحق بين وذهاب عن الصواب ظاهر إذ سويناكم بالله وعدلناكم به في توجيه العبادة اليكم (وما اضلنا إلا المجرمون) اي الا أولونا الذين اقتدينا بهم عن الكلبي وقيل إلا الشياطين عن مقاتل وقيل الكافرون الذين دعونا إلى الضلال ثم أظهروا الحسرة فقالوا (فما لنا من شافعين) يشفعون لنا ويسألون في امرنا (ولا صديق حميم) أي ذي قرابة يهمه امرنا والمعنى ما لنا من شفيع من الأباعد ولا صديق من الأقارب وذلك حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون وفي الخبر المأثور عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الرجل يقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله تعالى أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بقي في النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وروى العياشي بالاسناد عن حمران ابن اعين عن ابي عبد الله «ع» قال والله لنشفعن لشيعتنا والله لنشفعن لشيعتنا حتى يقول الناس فما لنا من شافعين ولا صديق حميم إلى قوله فنكون من المؤمنين وفي رواية أخرى حتى يقول عدونا وعن ابان بن تغلب قال سمعت ابا عبد الله «ع» يقول ان المؤمن ليشفع يوم القيامة لأهل بيته فيشفع فيهم حتى يبقى خادمه فيقول ويرفع سبابتيه يا رب خويدمي كان يقيني الحر والبرد فيشفع فيه وفي خبر آخر عن ابي جعفر «ع» قال ان المؤمن ليشفع لجاره وما له حسنة فيقول يا رب جاري كان يكف عني الأذى فيشفع فيه وان أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين انسانا ثم قالوا (فلو ان لنا كرة) أي رجعة الى الدنيا (فنكون من المؤمنين) المصدقين فتحل لنا الشفاعة (ان في ذلك) اي فيما قصصناه (لآية) أي دلالة لمن نظر فيها واعتبر بها (وما كان اكثرهم مؤمنين) فيها تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم واعلام له بأن الشر قديم (وان ربك لهو العزيز الرحيم) مضى معناه

قوله تعالى (١٠٥) كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٠٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٠٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٠٨) فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٠٩) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (١٢٠) فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١١١) قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ (١١٢) قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٣) إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٤) وَمَا أَنَا بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١٥) إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١١٦) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ (١١٧) قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٨) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١٩) فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ (١٢٠) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ (١٢١) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٢٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ثماني عشرة آية

القراءة

قرأ يعقوب وأتباعك وهو قراءة ابن مسعود والضحاك وابن السميقع والفراء والباقون واتبعك

الحجة

يحتمل قوله واتباعك وجهين احدهما أن يكون مبتدءا والأرذلون خبره والمعنى لماذا نؤمن لك وإنما اتباعك الارذلون والآخر أن يكون معطوفا على الضمير في أنؤمن أي أنؤمن نحن واتباعك والأرذلون صفة للاتباع وجاز العطف على الضمير المرفوع المتصل من غير توكيد لما وقع هناك من الفصل وهو قوله لك فصار طول الكلام به كالعوض من توكيد الضمير بقوله نحن والمعنى أنؤمن لك واتباعك الأرذلون فنعد في عدادهم

اللغة

الأرذلون والأراذل السفلة واوضاع الناس والرذل الوضيع والرذيلة نقيض الفضيلة والطرد إبعاد الشيء على وجه التنفير طرده يطرده واطرده جعله طريدا واطرد في الباب استمر في الذهاب كالطريد والرجم الرمي بالحجارة

ولا يقال للرمي بالقوس رجم ويسمى المشتوم مرجوما لأنه يرمي بما يذم والانتهاء بلوغ الحد من غير مجاوزة إلى ما وقع عنه النهي وأصل النهاية بلوغ الحد والنهي الغدير لانتهاء الماء اليه والفتح الحكم والفتاح الحاكم لأنه يفتح على وجه الأمر بالحكم الفصل قال الشاعر

ألا أبلغ بني اعيا رسولا فإني عن فتاحتكم غني

والفلك السفن يقع على الواحد والجمع والمشحون من شحنه يشحنه شحنا إذا ملأه بما يسد خلله وشحن الثغر بالرجال ومنه الشحنة

﴿ الإعراب ﴾

ما علمي ما حرف نفي وعلمي مبتدأ وتقديره ما علمي ثبت او حصل بما كانوا يعملون

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه حديث نوح«ع» فقال (كذبت قوم نوح المرسلين) دخلت التاء في كذبت والقوم مذكر لأن المراد بالقوم الجماعة أي كذبت جماعة نوح المرسلين لأن من كذب رسولا واحدا من رسل الله فقد كذب الجماعة لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل وقال ابو جعفر«ع» يعني بالمرسلين نوحا والأنبياء الذين كانوا بينه وبين آدم«ع» (إذ قال لهم أخوهم نوح) أي في النسب لا في الدين (ألا تتقون) عذاب الله تعالى في تكذيبي ومخالفتي (إني لكم رسول أمين) على الرسالة فيما بيني وبين ربكم (فاتقوا الله) بطاعته وعبادته (وأطيعون) فيما امركم به من الإيمان والتوحيد (وما أسألكم عليه) أي على الدعاء إلى التوحيد (من أجر) من مزيدة (إن أجري) ما جزائي وثوابي (إلا على رب العالمين) وخالق الخلائق اجمعين ثم كرر عليهم قوله (فاتقوا الله واطيعون) لاختلاف المعنى لأن التقدير فاتقوا الله وأطيعون لأني رسول امين واتقوا الله وأطيعون لأني لا اسألكم عليه أجرا فتخافوا تلف اموالكم به وكل واحد من هذين المعنيين يقوي الداعي إلى قبول قول الغير ويبعد عن التهمة (قالوا أنؤمن لك) أي نصدقك فيما تقول (واتبعك الأرذلون) أي وقد اتبعك سفلة الناس وأراذلهم وخساسهم عن قتادة وقيل يعنون المساكين الذين ليس لهم مال ولا عز عن عطا وقيل يعنون الحاكة والأساكفة عن الضحاك وعلقمة والمعنى ان اتباعك اراذلنا وفقراؤنا واصحاب الأعمال الدنية والمهن الخسيسة فلو اتبعناك لصرنا مثلهم ومعدودين في جملتهم وهذا جهل منهم لأنه ليس في إيمان الأرذلين به ما يوجب تكذيبه فإن الرذل إذا أطاع سلطانه استحق التقرب عنده دون الشريف العاصي (قال وما علمي بما كانوا يعملون) اي ما اعلم اعمالهم وصنائعهم ولم أكلف ذلك وإنما كلفت أن ادعوهم الى الله وقد أجابوني اليه (إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون) اي ليس حسابهم إلا على ربي الذي خلقني وخلقهم لو تعلمون ذلك ما عبتموهم بصنائعهم (وما انا بطارد المؤمنين إن أنا إلا نذير مبين) اي ما انا بالذي لا يقبل الإيمان من الذين تزعمون انهم الارذلون لأني لست إلا نذيرا مخوفا من معصية الله داعيا إلى طاعته مبينا لها (قالوا) له عند ذلك (لئن لم تنته يا نوح) أي إن لم ترجع عما تقوله وتدعو اليه (لتكونن من المرجومين) بالحجارة عن قتادة وقيل من المرجومين بالشتم عن الضحاك (قال) نوح (رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا) أي فاقض بيننا قضاء بالعذاب لأنه قال (ونجني ومن معي من المؤمنين) أي من ذلك العذاب (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون) اي فخلصناه ومن معه من المؤمنين في السفينة المملوءة من الناس وغيرهم من الحيوانات (ثم أغرقنا بعد) أي بعد نجاة نوح ومن معه (الباقين) أي الخارجين عن السفينة الكافرين به (إن في ذلك لآية) واضحة على توحيد الله (وما كان اكثرهم مؤمنين) وليس هذا بتكرار وإنما كل واحد في قصة على حدة فهذا ذكر آية في قصة نوح وما كان من

شأنه بعد ذكر آية مما كان في قصة ابراهيم وذكر آية أخرى في قصة موسى وفرعون فبين انه ذكر كلا من ذلك لما فيه من الآية الباهرة (وإن ربك لهو العزيز) في إهلاك قوم نوح بالغرق (الرحيم) في انجائه نوحا ومن معه في الفلك

قوله تعالى(١٢٣) كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٤) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٥) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٦) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٧) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢٨) أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ (١٢٩) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ (١٣٠) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣١) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٣) وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٣) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٤) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٥) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٦) قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (١٣٧) إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ (١٣٨) وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (١٣٩) فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٤٠) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ثماني عشرة آية

القراءة

قرأ ابن كثير واهل البصرة وابو جعفر والكسائي خلق الأولين بفتح الخاء والباقون بضم الخاء واللام وفي الشواذ قراءة قتادة تخلدون بضم التاء و كسر اللام

الحجة

قال ابو علي خلق الأولين عادتهم وخلق الأولين اختلاقهم وكذبهم مثل قوله وتخلقون إفكا وإن هذا إلا اختلاق وخلد الشيء إذا بقي وأخلدته وخلدته واخلد إلى كذا إذا اقام عليه ولزمه وقيل أخلد الرجل إذا أبطأ عنه الشيب

اللغة

الريع الارتفاع من الارض وجمعه ارياع وريعة قال ذو الرمة

طراق الخوافي مشرف فوق ريعة لدى ليله في ريشه يترقرق

ومنه الريع في الطعام وهو ارتفاعه بالزيادة والنماء وقال ابو عبيدة الريع الطريق بين الجبلين في الارتفاع وقيل هو الفج الواسع والمصانع مأخذ الماء جمع مصنع قال ابو عبيدة كل بناء مصنعة وقال قتادة ومجاهد المصانع هي القصور والحصون والبطش العسف قتلا بالسيف وضربا بالسوط والجبار العالي على غيره بعظيم سلطانه وهو في صفة الله سبحانه مدح وفي صفة غيره ذم لأن معناه في العبد انه يتكلف الجبرية

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن عاد فقال (كذبت عاد المرسلين) والتأنيث لمعنى القبيلة لأنه أراد بعاد القبيلة (إذ قال لهم أخوهم) في النسب (هود ألا تتقون) الله باجتناب معاصيه (إني لكم رسول امين) إلى قوله (رب العالمين)

مر تفسيره (أتبنون بكل ريع) اي بكل مكان مرتفع وقيل بكل شرف عن ابن عباس وقيل بكل طريق عن الكلبي والضحاك (آية تعبثون) أي بناء لاتحتاجون اليه لسكناكم وإنما تريدون العبث بذلك واللعب واللهو كأنه جعل بناءهم ما يستغنون عنه عبثا منهم عن ابن عباس في رواية عطا ويؤيده الخبر المأثور عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج فرأى قبة مشرفة فقال ما هذه قال له اصحابه هذا لرجل من الأنصار فمكث حتى إذا جاء صاحبها فسلم على الناس اعرض عنه وصنع ذلك به مرارا حتى عرف الرجل الغضب والاعراض عنه فشكا ذلك إلى اصحابه وقال والله إني لأنكر نظر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أدري ما حدث فيّ وما صنعت قالوا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرأى قبتك فقال لمن هذه فأخبرناه فرجع إلى قبته فسواها بالارض فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فلم ير القبة فقال ما فعلت القبة التي كانت ههنا قالوا شكا الينا صاحبها اعراضك عنه فأخبرناه فهدمها فقال إن لكل بناء يبنى وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما لا بد منه وقيل معناه انهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسائلة فيسخروا منهم ويعبثوا بهم عن الكلبي والضحاك وقيل ان هذا في بنيان الحمام أنكر هود عليهم اتخاذهم بروجا للحمام عبثا عن سعيد بن جبير ومجاهد (وتتخذون مصانع) اي حصونا وقصوراً مشيدة عن مجاهد وقيل مأخذا للماء تحت الارض عن قتادة (لعلكم تخلدون) كأنكم تخلدون فيها فلا تموتون فإن هذه الأبنية بناء من يطمع في الخلود قال الزجاج معناه تتخذون مباني للخلود لا تتفكرون في الموت (وإذا بطشتم بطشتم جبارين) البطش الأخذ باليد أي إذا بطشتم بأحد تريدون إنزال عقوبة به عاقبتموه عقوبة من يريد التجبر بارتكاب العظائم كما قال إن تريد إلا أن تكون جبارا في الارض وقيل معناه وإذا عاقبتم قتلتم فمعنى الجبار القتال على الغضب بغير حق (فاتقوا الله وأطيعون) مر معناه (واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون) أي اعطاكم ما تعلمون من الخير • والامداد اتباع الثاني ماقبله شيئا بعد شيء على انتظام وهؤلاء أمدوا بأنواع من النعم وهو قوله (أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) فأعطاهم رزقهم على ادرار (إني أخاف عليكم) إن عصيتموني (عذاب يوم عظيم) يريد يوم القيامة وصفه بالعظم لما فيه من الأهوال العظيمة (قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين) أي أنهيتنا أم لم تكن من الناهين لنا عن الكلبي والمعنى أنا لا نقبل ما تدعونا اليه على كل حال أوعظت ام سكت اي حصول الوعظ منك وارتفاعه مستويان عندنا ثم قالوا (إن هذا إلا خلق الأولين) أي ما هذا الذي جئتنا به إلا كذب الاولين الذين ادعوا النبوة ولم يكونوا أنبياء وانت مثلهم ومن قرأ خلق الاولين بضم الخاء فالمعنى ما هذا الذي نحن عليه من تشييد الأبنية واتخاذ المصانع والبطش الشديد إلا عادة الاولين من قبلنا وقيل معناه ما هذا الذي نحن فيه إلا عادة الاولين في انهم كانوا يحيون ويموتون ولا بعث ولا حساب وقيل معناه ما الذي تدعيه من النبوة والرسالة إلا عادة الاولين (وما نحن بمعذبين) على ما تدعيه لا في الدنيا ولا بعد الموت (فكذبوه فأهلكناهم) بعذاب الاستئصال (إن في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم) قد مر تفسيره

قوله تعالى (١٤١) كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٤٢) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٣) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٤) فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٤٥) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (١٤٦) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٧) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٨) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٩) وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٥٠) فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٥١) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ (١٥٢) ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ

فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (١٥٣) قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ (١٥٤) وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ (١٥٥) قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (١٥٦) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥٧) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (١٥٨) فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ (١٥٩) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ تسع عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة والشام فارهين بالالف والباقون فرهين بغير الالف

﴿ الحجة ﴾

قال الزجاج فرهين اشرين مرحين وفارهين حاذقين . ابو عبيدة قال قد جاء فارهين في معنى فرهين وأنشد

لا أستكين إذا ما أزمة ازمت ... ولن تراني بخير فاره اللبب

اي مرح اللبب

﴿ اللغة ﴾

الهضيم اللطيف في جسمه ومنه هضيمة الحشا اي لطيفة الحشا ومنه هضمه حقه اي نقصه لانه لطف جسمه بنقصة ومنه هضم الطعام إذا لطف واستحال إلى مشاكلة البدن والمسحر الذي قد سحر مرة بعد أخرى وهو أن يكون ممن له سحر أي رئة ومنه قولهم انتفخ سحره قال لبيد

فإن تسألينا فيم نحن فإننا ... عصافير من هذا الأنام المسحر

أي المعلل بالطعام والشراب على أمر يخفى كخفاء السحر والشرب الحظ من الماء قال

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت ... حمامة في غصون ذات اوقال

أي لم يمنع حظها من الماء والسوء الضر الذي يشعر به صاحبه لأنه يسوؤه وقوعه والعقر قطع شيء من بدن الحي فإذا كثر انتفت معه الحياة وإذا قل لم ينتف

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن ثمود فقال (كذبت ثمود المرسلين) وهو مفسر في هذه السورة إلى قوله (أتتركون فيما ههنا آمنين) معناه أتظنون انكم تتركون فيما اعطاكم الله من الخير في هذه الدنيا آمنين من الموت والعذاب وهذا اخبار بأن ما هم فيه من النعم لا يبقى عليهم وانها ستزول عنهم ثم عدد نعمهم التي كانوا فيها فقال (في جنات) أي بساتين يسترها الشجر (وعيون) جارية (وزروع ونخل طلعها هضيم) الطلع الكفرى مشتق من الطلوع لانه يطلع من النخل والهضيم اليانع النضيج عن ابن عباس وقيل هو الرطب اللين عن عكرمة وقيل هو الضامر بدخول بعضه في بعض عن الضحاك وقيل هو الذي إذا مس تفتت عن مجاهد وقيل هو الذى ليس فيه نوى عن الحسن (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) اى حاذقين بنحتها من فره الرجل فراهة فهو فاره وفرهين اشرين بطرين عن ابن عباس [فاتقوا الله] في مخالفته [وأطيعون] فيما أمركم به [ولا تطيعوا أمر المسرفين] يعني الرؤساء منهم وهم تسعة رهط من ثمود الذين عقروا الناقة ثم وصفهم فقال [الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون قالوا] في جوابه [إنما انت من المسحرين] قد أصبت بسحر ففسد عقلك فصرت لا تدري ما تقول وهو بمعنى

المسحورين والمراد سحرت مرة بعد أخرى وقيل معناه من المخدوعين وقيل من المخلوقين المعللين بالطعام والشراب عن ابن عباس وقيل معناه انت مخلوق مثلنا لك سحر اي رئة تأكل وتشرب فلم صرت أولى منا بالنبوة [ما أنت إلا بشر مثلنا] اى آدمي مثلنا [فأت بآية] أى بمعجزة تدل على صدقك [إن كنت من الصادقين قال هذه ناقة] وهي الناقة التي أخرجها الله تعالى من الصخرة عشراء ترغو على ما اقترحوه (لها شرب ولكم شرب يوم معلوم) أى لها حظ من الماء لا تزاحموها فيه ولكم حظ لا تزاحمكم فيه وروي عن امير المؤمنين «ع» انه قال ان اول عين نبعت في الارض هي التي فجرها الله لصالح فقال لها شرب ولكم شرب يوم معلوم (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم) هذا مع ما بعده مفسر في سورة الاعراف والقصة مشروحة هناك

قوله تعالى (١٦٠) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٦١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٦٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٦٣) فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٦٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (١٦٥) أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ (١٦٦) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ (١٦٧) قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ (١٦٨) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ ٱلْقَالِينَ (١٦٩) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ (١٧٠) فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٧١) إِلَّا عَجُوزاً فِي ٱلْغَابِرِينَ (١٧٢) ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ (١٧٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَسَاءَ مَطَرُ ٱلْمُنْذَرِينَ (١٧٤) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ست عشرة آية

اللغة

العادي والظالم والجائر نظائر وهو من العدوان وأصله من العدو الذي هو الاسراع في السعي والقالي المبغض يقال قلاه يقليه قلى ابغضه والغابر الباقي في قلة كالتراب الذي يذهب بالكنس ويبقى غباره والغبر البقية من اللبن في الاخلاف قال الحرث بن حلزة

لا تكسع الشول باغبارها ... إنك لا تدري من الناتج

والتدمير الإهلاك بأهول الامور

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن قوم لوط فقال (كذبت قوم لوط المرسلين) وقد فسرناه إلى قوله (اتأتون الذكران من العالمين) اى تصيبون الذكور من جملة الخلائق (وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم) اى وتتركون ما خلقه الله لكم من الازواج والنساء والزوجة هي التي وقع عليه العقد بالنكاح الصحيح يقال لها زوجة وزوج قال سبحانه اسكن أنت وزوجك الجنة (بل أنتم قوم عادون) اى ظالمون معتدون الحلال إلى الحرام والطاعة إلى المعصية (قالوا لئن لم تنته يالوط)وترجع عما تقوله ولم تمتنع عن دعوتنا وتقبيح أفعالنا (لتكونن من المخرجين) عن بلدنا (قال) لوط لهم عند ذلك [اني لعملكم من القالين] اي من المبغضين الكارهين ثم دعا ربه فقال [رب نجني وأهلي مما يعملون] اي من عاقبة ما يعملونه وهو العذاب النازل بهم وأجاب الله سبحانه دعاءه قال [فنجيناه وأهله اجمعين] يعني من العذاب الذى وقع بهم ويجوز ان يكون اراد نجيناه واهله من نفس عملهم وتكون النجاة من العذاب النازل بهم تبعاً لذلك والاول اوضح ويدل عليه قوله [إلا عجوزاً في الغابرين] واراد

بالعجوز امرأته لأنها كانت تدل اهل الفساد على اضيافه فكانت من الباقين في العذاب وهلكت فيما بعد مع من خرج من القرية بما امطره الله من الحجارة (ثم دمرنا الآخرين) اهلكناهم بالخسف وقيل بالائتفاك وهو الانقلاب ثم امطر على من كان غائبا منهم عن القرية الحجارة من السماء وهو قوله (وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين) اي بئس واشتد مطر الكافرين . مطرهم وما بعده مفسر قبل

قوله تعالى (١٧٦) كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ (١٧٧) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلاَ تَتَّقُونَ (١٧٨) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٩) فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٨٠) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (١٨١) أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلاَ تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ (١٨٢) وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ (١٨٣) وَلاَ تَبْخَسُوا ٱلنَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلاَ تَعْثَوْا فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (١٨٤) وَٱتَّقُوا ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ (١٨٥) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ (١٨٦) وَمَا أَنْتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَاذِبِينَ (١٨٧) فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ (١٨٨) قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨٩) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٩٠) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٩١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ست عشرة آية

القراءة

قرأ أهل الحجاز والشام ليكة بالنصب غير مهموز هاهنا وفي ص والباقون الأيكة باثبات الهمزة والجر في الموضعين

الحجة

قال ابو علي الأيكة تعريف أيكة فإذا خففت الهمزة حذفتها والقيت حركتها على اللام فقلت اليكة كما قالوا الحمر ومن قال لحمر قال ليكة وقول من قال اصحاب ليكة بفتح التاء مشكل لأنه فتح مع لحاق لام المعرفة الكلمة وهذا في الامتناع كقول من قال بلحمر فيفتح وانما يخرج هذا على ان المعنى قد سمي بكلمة تكون اللام فيها فاء ولم اسمع بها وقال الزجاج جاء في التفسير ان اسم المدينة التي ارسل اليها شعيب كان ليكة

اللغة

الأيكة الغيضة ذات الشجر الملتف والجمع الأيك قال

تجلو بقادمتي حمامة أيكة ... بردا اسف لثاته بالاثمد

المخسر المعرض للخسران في رأس المال بالنقصان اخسر يخسر اخسارا اذا جعله يخسر في ماله ونقيضه اربحه والجبلة الخليقة التي طبع عليها الشيء بكسر الجيم والباء وقيل ايضا بضمها ويسقطون الهاء ايضا قال ابو ذؤيب

منايا يقربن الحتوف لأهلها ... جهارا ويستمتعن بالأنس الجبل

وقال آخر

والموت اعظم حادث مما يمر على الجبلة

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن شعيب فقال (كذب اصحاب لئيكة المرسلين) وهم أهل مدين عن ابن عباس وقيل انهم غيرهم عن قتادة وقال ان الله سبحانه أرسل شعيبا إلى امتين (إذ قال لهم شعيب) ولم يقل أخوهم لأنه لم يكن من نسبهم وكان من اهل مدين فلذلك قال في ذلك الموضع وإلى مدين اخاهم شعيبا (ألا تتقون اني لكم رسول أمين) مفسر فيما قبل إلى قوله (رب العالمين) وإنما حكى الله سبحانه دعوة كل نبي بصيغة واحدة ولفظ واحد اشعارا بأن الحق الذي تأتي به الرسل ويدعون اليه واحد من اتقاء الله تعالى واجتناب معاصيه والإخلاص في عبادته وطاعة رسله وان انبياء الله تعالى لا يكونون إلا أمناء الله في عباده فإنه لا يجوز على واحد منهم أن يأخذ الأجرة على رسالته لما في ذلك من التنفير عن قبولهم ثم قال (اوفوا الكيل) أي اعطوا الكيل وافيا غير ناقص ويدخل الوفاء في الكيل والوزن والذرع والعدد (ولا تكونوا من المخسرين) أي من الناقصين للكيل والوزن (وزنوا بالقسطاس المستقيم) اي بالعدل الذي لا حيف فيه يعني زنوا وزنا يجمع الايفاء والاستيفاء وذكرنا الأقوال في القسطاس في سورة بني اسرائيل (ولا تبخسوا الناس اشياءهم) اي ولا تنقصوا الناس حقوقهم ولا تمنعوها (ولا تعثوا في الارض مفسدين) أي ولا تسعوا في الأرض بالفساد والعثي اشد الفساد والخراب عن ابي عبيدة (واتقوا الذي خلقكم) أي أوجدكم بعد العدم (والجبلة) أي الخليقة (الأولين) يعني وخلق الأمم المتقدمين (قالوا انما انت من المسحرين وما انت إلا بشر مثلنا) مر معناه (وان نظنك لمن الكاذبين) أي وانا نظنك كاذبا من جملة الكاذبين وان هذه مخففة من الثقيلة ولذلك لزمها اللام في الخبر (فأسقط علينا كسفا من السماء) اي قطعا من السماء جمع كسفة عن ابن عباس (ان كنت من الصادقين) في دعواك (قال) شعيب (ربي اعلم بما تعملون) ومعناه انه ان كان في معلومه انه إن بقاكم تبتم او تاب بعضكم لم يقتطعكم بالعذاب وان كان في معلومه انه لا يفلح واحد منكم فسيأتيكم عذاب الاستئصال ثم قال (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة) أصابهم حر شديد سبعة أيام وحبس عنهم الريح ثم غشيتهم سحابة فلما خرجوا اليها طلبا للبرد من شدة الحر الذي أصابهم أمطرت عليهم نارا فأحرقتهم فكان من أعظم الأيام في الدنيا عذابا وذلك قوله (انه كان عذاب يوم عظيم) ومعنى الظلة هاهنا السحابة التي قد أظلتهم (إن في ذلك لآية) مفسر إلى آخره

قوله تعالى (١٩٢) وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٣) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٤) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (١٩٥) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (١٩٦) وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ (١٩٧) أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٩٨) وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ (١٩٩) فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ (٢٠٠) كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (٢٠١) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ (٢٠٢) فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ

(٢٠٣) فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ (٢٠٤) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (٢٠٥) أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٦) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٧) مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ (٢٠٨) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ (٢٠٩) ذِكْرَى وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢١٠) وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ (٢١١) وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ (٢١٢) إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ

احدى وعشرون آية

القراءة

قرأ اهل الحجاز وابو عمرو وحفص وزيد نزل بالتخفيف الروح الامين بالرفع والباقون نزّل بالتشديد الروح الأمين بالنصب وقرأ ابن عامر اولم تكن بالتاء آية بالرفع والباقون لم يكن بالياء آية بالنصب وفي الشواذ قراءة الحسن الاعجميين وقراءته ايضاً فتأتيهم بغتة بالتاء ما تنزلت به الشياطون

الحجة

قال ابو علي حجة من قال نزل به بالتشديد قوله فإنه نزله على قلبك وتنزل الملائكة بالروح فإنه مطاوع نزل وقوله نزله روح القدس من ربك بالحق ومن اسند الفعل إلى الروح فقال نزل به الروح الامين فإنه ينزل بأمر الله تعالى فمعناه معنى المثقلة والوجه في قراءة ابن عامر أولم تكن لهم آية ان في تكن ضمير القصة والحديث لأن ما يقع تفسيراً للقصة والحديث من الجملة إذا كان فيها اسم موءنث جاز تأنيث المضمر على شريطة التفسير كقوله فإذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وقوله فإنها لا تعمى الابصار وكذلك أن يعلمه علماء بني اسرائيل لما كان فيه موءنث جاز ان يوءنث تكن فآية مرتفعة بأنها خبر المبتدأ الذي هو ان يعلمه علماء بني اسرائيل ولا يمتنع ان لا يضمر القصة والحديث ولكن يرفع ان يعلمه بقوله تكن وان كان في تكن علامة التأنيث لأن ان يعلمه في المعنى هو الآية فيحمل الكلام على المعنى كما حمل على المعنى في قوله فله عشر أمثالها فأنث لما كان المراد بالامثال الحسنات وكذلك قراءة من قرأ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا وقال ابن جني في قراءة الحسن الاعجميين انها تفسير للغرض في قراءة المجمع عليها وهي قوله بعض الاعجمين وذلك ان ما كان من الصفات على افعل وموءنثه فعلى لا يجمع بالواو والنون ولا بالالف والتاء فكان قياسه ان لا يجوز فيه الأعجمون لأن موءنثه عجمى لكن سببه انه أريد به الاعجميون ثم حذف ياء النسب وجعل جمعه بالواو والنون دليلا عليها وامارة لإرادتها كما جعلت صحة الواو في عواور امارة لإرادة الياء في عواوير وقوله فتأتيهم بغتة بالتاء معناه فتأتيهم الساعة فأضمر الساعة لدلالة العذاب الواقع فيها عليها ولكثرة ما يرد في القرآن من ذكر اتيانها وأما قوله الشياطون فقد قال الفراء فيه غلط الشيخ يعني الحسن فقيل ذلك للنضر بن شميل فقال إذا جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن مع انا نعلم انه لم يقرأ به إلا وقد سمعه قال ابن جني هذا مما يعرض مثله للفصيح لتداخل الجمعين عليه وتشابههما عنده ونحو منه قولهم مسيل فيمن اخذه من السيل ثم قالوا في جمعه مسلان وامسلة وفي معين معنان وامعنة مع ان الأقوى ان يكون معنان من العين فالشياطون غلط لكن يشبهه كما ان من همز مصائب كذلك عندهم وقال الزمخشري الوجه فيه انه رأى آخره كآخر يبرين وفلسطين فتخير بين ان يجري الاعراب على النون وبين ان يجريه على

ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تحيرت العرب بين ان تقول هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقه ان يشتق من الشيطوطة وهي الهلاك كما قيل له الباطل

اللغة

الاعجم الذي يمتنع لسانه عن العربية والعجمي نقيض العربي والاعجمي نقيض الفصيح

الإعراب

لا يؤمنون به في موضع النصب على الحال وبغتة مصدر وضع موضع الحال. سنين ظرف زمان لمتعناهم. ما اغنى ما نافية ومفعول اغنى محذوف وتقديره ما اغنى عنهم تمتعهم شيئا. ذكرى في محل النصب لأنه مفعول له. وماينبغي فاعل ينبغي مستكن فيه عائد إلى مصدر تنزل تقديره وما ينبغي لهم ان يتنزلوا به

المعنى

ثم بين سبحانه أمر القرآن بعد ان قص أخبار الأنبياء «ع» ليتصل بها حديث نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فقال (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به) اي نزل الله بالقرآن (الروح الأمين) يعني جبرائيل «ع» وهوأمين الله لا يغيره ولا يبدله وسماه روحا لأنه يحيي به الدين وقيل لأنه يحيي به الأرواح بما ينزل من البركات وقيل لأنه جسم روحاني (على قلبك) يا محمد وهذا على سبيل التوسع لأن الله تعالى يسمعه جبرائيل «ع» فيحفظه وينزل به على الرسول ويقرأه عليه فيعيه ويحفظه بقلبه فكأنه نزل به على قلبه وقيل معناه لقنك الله حتى تلقنته وثبته على قلبك وجعل قلبك وعاء له (لتكون من المنذرين) أي لتخوف به الناس وتنذرهم بآيات الله (بلسان عربي مبين) اي بلغة العرب مبين للناس ما بهم اليه الحاجة في دينهم وقيل أراد به لسان قريش ليفهموا ما فيه ولا يقولوا ما نفهم ما قال محمد عن مجاهد وقيل لسان جرهم وإنما جعله عربيا لأن المنزل عليه عربي والمخاطبون به عرب ولأنه تحدى بفصاحته فصحاء العرب وقد تضمنت هذه الآية تشريف هذه اللغة لأنه سماها مبينا ولذلك اختارها لأهل الجنة (وانه) اي وان ذكر القرآن وخبره (لفي زبر الأولين) اي في كتب الأولين على وجه البشارة به وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لا بمعنى ان الله أنزله على غير محمد صلى الله عليه وآله وسلم وواحد الزبر زبور وقيل معناه انه أنزل على سائر الأنبياء من الدعاء إلى التوحيد والعدل والاعتراف بالبعث واقاصيص الأمم مثل الذي نزل في القرآن (أولم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل) معناه أولم يكن لهم علم علماء بني اسرائيل بمجيئه على ما تقدمت البشارة دلالة لهم على صحة نبوته لأن العلماء الذين آمنوا من بني اسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكره في كتبهم وكانت اليهود تبشر به وتستفتح على العرب به وكان ذلك سبب إسلام الاوس والخزرج على ما مر بيانه وعلماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وأصحابه عن ابن عباس وقيل هم خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة واسد واسيد عن عطية (ولو نزلناه على بعض الاعجمين) أي ولو نزلنا القرآن على رجل ليس من العرب وعلى من لا يفصح (فقرأه عليهم) أي على العرب (ماكانوا به مؤمنين) أي لم يؤمنوا به وانفوا من اتباعه لكنا أنزلناه بلسان العرب على افصح رجل منهم من أشرف بيت ليتدبروا فيه وليكون ادعى إلى اتباعه وتصديقه وقيل معناه لو نزلناه على اعجم من البهائم او غيرها لما آمنوا به وان كان فيه زيادة اعجوبة عن عبد الله بن مطيع وروي عن عبد الله بن مسعود انه سئل عن هذه الآية وهو على بعير فأشار اليه وقال هذا من الاعجمين (كذلك سلكناه في قلوب المجرمين) اي

كما أنزلنا القرآن عربيا مبينا أمررناه وأدخلناه واوقعناه في قلوب الكافرين بأن امرنا النبي ﷺ حتى قرأه عليهم وبينه لهم ثم بين انهم مع ذلك (لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم) فيلجئهم إلى الايمان به وهذا خبر عن الكفار الذين علم الله انهم لا يؤمنون أبداً (فيأتيهم) أي العذاب الذي يتوقعونه ويستعجلونه (بغتة) أي فجأة (وهم لا يشعرون) بمجيئه (فيقولوا هل نحن منظرون) أي مؤخرون لنؤمن ولنصدق قال مقاتل لما اوعدهم النبي ﷺ بالعذاب استعجلوا العذاب تكذيبا له فقال الله (أفبعذابنا يستعجلون) توبيخا لهم ثم قال (أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون) اي أرأيت إن أنظرناهم وأخرناهم سنين ومتعناهم بشيء من الدنيا ثم اتاهم العذاب لم يغن عنهم ما متعوا في تلك السنين من النعيم لازديادهم في الآثام واكتسابهم من الاجرام وهو استفهام في معنى التقرير (وما اهلكنا من قرية) أي وما أهلكنا قرية (إلا لها منذرون) اي إلا بعد اقامة الحجج عليهم بتقديم الانذار وارسال الرسل (ذكرى) اي تذكيرا وموعظة لهم ليتعظوا ويصلحوا فإذا لم يصلحوا مع التخويف والتحذير واستحقوا عذاب الاستئصال باصرارهم على الكفر والعناد اهلكناهم (وما كنا ظالمين) اي وما ظلمناهم بالاهلاك لأنا لا نظلم أحداً نفى سبحانه عن نفسه الظلم وفي هذا تكذيب لمن زعم ان كل ظلم وكفر في الدنيا هو من خلقه وارادته وغاية الظلم ان يعاقب عباده على ما خلقه فيهم وأراده منهم تعالى الله عن ذلك وتقدس (وما تنزلت به) اي بالقرآن (الشياطين) كما يزعمه بعض المشركين (وما ينبغي لهم) انزال ذلك أي الشياطين (وما يستطيعون) ذلك ولا يقدرون عليه لأن الله تعالى يحرس المعجزة عن ان يموه بها المبطل فإنه إذا أراد ان يدل بها على صدق الصادق اخلصها بمثل هذه الحراسة حتى تصح الدلالة بها ومعنى قول العرب ينبغي لك ان تفعل كذا انه يطلب منك فعله في مقتضى العقل من البغية التي هي الطلب (انهم عن السمع لمعزولون) اي مصروفون عن استماع القرآن اي عن المكان الذي يستمعون ذلك فيه ممنوعون عنه بالشهب الثاقبة وقيل معناه ان الشياطين عن سمع القرآن منحون عن قتادة فإن العزل تنحية الشيء عن موضع إلى خلافه وازالته عن امر إلى نقيضه قال مقاتل قالت قريش انما تجيء بالقرآن الشياطين فتلقيه على لسان محمد ﷺ فاكذبهم الله تعالى بأن قال انهم لا يقدرون بأن يأتوا بالقرآن من السماء قد حيل بينهم وبين السمع بالملائكة والشهب

قوله تعالى (٢١٣) فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (٢١٤) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٥) وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٦) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٧) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٨) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٩) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢٢٠) إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثماني آيات

القراءة

قرأ اهل المدينة وابن عامر فتوكل بالفاء والباقون بالواو

الحجة

هو في مصاحف اهل المدينة والشام بالفاء وفي مصاحف مكة والعراق بالواو والوجهان حسنان

﴿ اللغة ﴾

عشيرة الرجل قرابته سموا بذلك لأنه يعاشرهم وهم يعاشرونه

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به سائر المكلفين فقال (فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين) بسبب ذلك وإنما أفرده بالخطاب ليعلم ان العظيم الشأن إذا اوعدفي دونه كيف حاله وإذا حذر هو فغيره اولى بالتحذير (وانذر عشيرتك الاقربين) اي رهطك الادنين اي انـذرهم بالافصاح من غير تليين بالقول كما تدعو اليه مقاربة العشيرة وإنما خصهم بالذكر تنبيها على انه ينذر غيرهم وانه لا يداهنهم لاجل القرابة ليقطع طمع الاجانب عن مداهنته في الدين وقيل انه صلى الله عليه وآله وسلم أمر بأن يبدأ بهم في الانذار والـدعاء الى الله ثم بالذين يلونهم كما قال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار لأن ذلك هو الذي يقتضيه حسن الترتيب وقيل انه إنما خصهم لأنه يمكنه ان يجمعهم ثم ينذرهم وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم واشتهرت القصة بذلك عند الخاص والعام وفي الخبر المأثور عن البراء بن عازب انه قال لما نزلت هذه الآية جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم يأكل المسنة ويشرب العس فأمر عليا «ع» برجل شاة فأدمها ثم قال ادنوا بسم الله فدنا القوم عشرة عشرة فأكلوا حتى صدروا ثم دعا بقعب من لبن فجرع منـه جرعة ثم قال لهم اشربوا بسم الله فشربوا حتى رووا فبدرهم ابو لهب فقال هذا ما سحركم به الرجل فسكت صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ ولم يتكلم ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثم انذرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني انا النذير اليكم من الله عز وجـل والبشير فأسلموا وأطيعوني تهتدوا ثم قال من يؤاخيني ويؤازرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني فسكت القوم فأعادها ثلاثا كل ذلك يسكت القوم ويقول علي «ع» انا فقال في المرة الثالثة أنت فقام القوم وهم يقولون لابي طالب اطع ابنك فقد امر عليك اورده الثعلبي في تفسيره وروى عن ابي رافع هذه القصة وانه جمعهم في الشعب فصنع لهم رجل شاة فأكلوا حتى تضلعوا وسقاهم عسا فشربوا كلهم حتى رووا ثم قال ان الله تعالى امرني ان انذر عشيرتي الأقربين وانتم عشيرتي ورهطي وان الله لم يبعث نبيا إلا جعل له من اهله اخا ووزيراً ووارثا ووصيا وخليفة في اهله فأيكم يقوم فيبايعني على انه اخي ووارثي ووزيري ووصيي ويكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي فسكت القوم فقال ليقومن قائمكم أو ليكونن في غيركم ثم لتندمن ثـم اعاد الكلام ثلاث مرات فقام علي «ع» فبايعه وأجابه ثم قال ادن مني فدنا منه ففتح فاه ومج في فيه من ريقه وتفل بين كتفيه وثدييه فقال ابو لهب فبئس ما حبوت به ابن عمك ان أجابك فملأت فاه ووجهه بزاقا فقال صلى الله عليه وآله وسلم ملأته حكمة وعلما وعن ابن عباس قال لما نزلت الآية صعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عـلى الصفا فقال يا صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا مالك فقال أرأيتكم ان اخبرتكم ان العدو مصبحكم او ممسيكم ما كنتم تصدقونني قالوا بلى قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال ابو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا جميعا فأنزل الله تعالى تبت يدا أبي لهب وتب إلى آخر السورة وفي قراءة عبد الله بن مسعود وأنذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين وروي ذلك عن ابي عبد الله «ع» (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) أي ألن جانبك وتواضع لهم وحسن اخلاقك معهم عن ابي زيد وغيره (فإن عصوك) يعني اقاربك بعد انذارك

إياهم وخالفوك فيما تدعوهم اليه (فقل) لهم (اني بريء مما تعملون) أي من اعمالكم القبيحة وعبادتكم الأصنام (وتوكل على العزيز الرحيم) أي فوض امرك إلى العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم بأوليائه ليكفيك كيد اعدائك الذين عصوك فيما امرتهم به (الذي يراك حين تقوم) اي الذي يبصرك حين تقوم من مجلسك او فراشك إلى الصلاة وحدك وفي الجماعة وقيل معناه يراك حين تقوم في صلاتك عن ابن عباس وقيل حين تقوم بالليل لأنه لا يطلع عليه أحد غيره وقيل حين تقوم للانذار واداء الرسالة (وتقلبك في الساجدين) اي ويرى تصرفك في المصلين بالركوع والسجود والقيام والقعود عن ابن عباس وقتادة والمعنى يراك حين تقوم إلى الصلاة مفردا وتقلبك في الساجدين إذا صليت في جماعة وقيل معناه وتقلبك في اصلاب الموحدين من نبي إلى نبي حتى اخرجك نبيا عن ابن عباس في رواية عطا وعكرمة وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله صلوات الله عليهما قالا في أصلاب النبيين نبي بعد نبي حتى اخرجه من صلب ابيه من نكاح غير سفاح من لدن آدم «ع» وروى جابر عن ابي جعفر «ع» قال قال رسول الله ﷺ لا ترفعوا قبلي ولا تضعوا قبلي فإني أراكم من خلفي كما أراكم من أمامي ثم تلا هذه الآية (انه هو السميع العليم) يسمع ما تتلو في صلاتك ويعلم ما تضمر فيها

قوله تعالى (٢٢١) هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ. (٢٢٢) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٣) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (٢٢٤) وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٥) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٦) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٧) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ سبع آيات

القراءة

قرأ نافع يتبعهم ساكنة التاء والباقون يتّبعهم

الحجة

الوجهان حسنان يقال تبعت القوم اتبعهم واتبعتهم اتبعهم

اللغة

الافاك الكذاب وأصل الافك القلب والأفاك الكثير القلب للخبر عن جهة الصدق الى جهة الكذب والاثيم الفاعل للقبيح يقال أثم يأثم اثما إذا ارتكب القبيح وتأثم إذا ترك الإثم والهائم الذاهب على وجهه عن الكسائي وقيل هو المخالف للقصد عن ابي عبيدة

الاعراب

انتصب قوله اي منقلب لأنه صفة مصدر محذوف وتقديره سيعلم الذين ظلموا انقلابا اي انقلاب ينقلبون ولا يجوز أن يكون معمول سيعلم لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وانما يعمل فيه ما بعده والعلة في ذلك الاستخبار قبل الخبر ورتبة الاستخبار التقديم فلا يجوز ان يعمل فيه الخبر لأن الخبر بعده وذلك انه موضوع على انه جواب مستخبر

=[المعنى]=

لما اخبر الله سبحانه ان القرآن ليس مما تتنزل به الشياطين وانه وحي من الله عقبه بذكر من تنزل عليه الشياطين فقال (هل انبئكم) اي هل اخبركم (على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) اي انما يتنزل الشياطين على كل كذاب فاجر عامل بالمعاصي وهم الكهنة وقيل طليحة ومسيلمة عن مقاتل ولست بكذاب ولا أثيم فلا يتنزل عليك الشياطين وإنما يتنزل عليك الملائكة (يلقون السمع) معناه ان الشياطين يلقون ما يسمعونه إلى الكهنة والكذابين ويخلطون به كثيرا من الاكاذيب ويوحونه اليهم (وأكثرهم) اي واكثر الشياطين (كاذبون) وقيل اكثر الكهنة كاذبون قال الحسن هم الذين يسترقون السمع من الملائكة فيلقون الى الكهنة (وهذا) كان قبل ان اوحي إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد ذلك فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا (والشعراء يتبعهم الغاوون) قال ابن عباس يريد شعراء المشركين وذكر مقاتل اسماءهم فقال منهم عبد الله بن الزبعرى السهمي وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف الجمحي وابو عزة عمرو بن عبد الله كلهم من قريش وأمية بن ابي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما قال محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة من قومهم يستمعون اشعارهم ويروون عنهم حين يهجون النبي صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه فذلك قوله يتبعهم الغاوون وقيل الغاوون الشياطين عن قتادة ومجاهد وقيل أراد بالشعراء الذين غلبت عليهم الاشعار حتى اشتغلوا بها عن القرآن والسنة وقيل هم الشعراء الذين إذا غضبوا سبوا وإذا قالوا كذبوا وإنما صار الاغلب عليهم الغي لأن الغالب عليهم الفسق فإن الشاعر يصدر كلامه بالتشبيب ثم يمدح للصلة ويهجو على حمية الجاهلية فيدعوه ذلك الى الكذب ووصف الإنسان بما ليس فيه من الفضائل والرذائل وقيل انهم القصاص الذين يكذبون في قصصهم ويقولون ما يخطر ببالهم وفي تفسير علي بن ابراهيم انهم الذين يغيرون دين الله تعالى ويخالفون أمره قال وهل رأيتم شاعرا قط تبعه احد انما عنى بذلك الذين وضعوا دينا بآرائهم فتبعهم الناس على ذلك وروى العياشي بالاسناد عن ابي عبد الله «ع» قال هم قوم تعلموا وتفقهوا بغير علم فضلوا وأضلوا (ألم تر انهم في كل واد يهيمون) أي في كل فن من الكذب يتكلمون وفي كل لغو يخوضون يمدحون ويذمون بالباطل عن ابن عباس وقتادة والمعنى انهم لما يغلب عليهم من الهوى كالهائم على وجهه في كل واد يعن له فيخوضون في كل فن من الكلام والمعاني التي تعن لهم ويريدونها فالوادي مثل لفنون الكلام وهيمانهم فيه قولهم على الجهل بما يقولون من لغو وباطل وغلو في مدح وذم (وانهم يقولون ما لا يفعلون) اي يحثون على اشياء لا يفعلونها وينهون عن اشياء يرتكبونها ثم استثنى من جملتهم فقال (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وهم شعراء المؤمنين مثل عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وحسان بن ثابت وسائر شعراء المؤمنين الذين مدحوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وردوا هجاء من هجاه وفي الحديث عن الزهري قال حدثني عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال يارسول الله ما ذا تقول في الشعر فقال ان المؤمن مجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكأنما ينضحونهم بالنبل وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحسان بن ثابت اهجهم او هاجهم وروح القدس معك رواه البخاري ومسلم في الصحيحين وقال الشعبي كان ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي «ع» اشعر من الثلاثة (وذكروا الله كثيرا) لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله ولم يجعلوا الشعر همهم (وانتصروا) من المشركين للرسول

والمؤمنين (من بعد ما ظلموا) قال الحسن انتصروا بما يحبون الانتصار به في الشريعة وهو نظير قوله لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم اي ردوا على المشركين ما كانوا يهجون به المؤمنين ثم هدد الظالمين فقال (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) أي سوف يعلم اي مرجع يرجعون واي منصرف ينصرفون لأن منصرفهم إلى النار نعوذ بالله منها

سورة النمل مكية

﴿ عدد آيها ﴾

خمس وتسعون آية حجازي اربع بصري شامي ثلاث كوفي

﴿ اختلافها ﴾

آيتان وألوا بأس شديد حجازي من قوارير غير الكوفي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن قرأ طس سليمان كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بسليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة الشعراء بذكر القرآن افتتح هذه السورة بذكره ايضا فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ (٢) هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ (٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ (٦) وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ (٧) إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٨) فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٩) يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٠) وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ عشر آيات

«القراءة»

قرأ اهل الكوفة ورويس عن يعقوب بشهاب قبس منونا غير مضاف وقرأ الباقون بشهاب قبس مضافا

— الحجة واللغة —

ابو عبيدة الشهاب النار والقبس ما اقتبست وانشد

في كفه صعدة مثقفة فيها سنان كشعلة القبس

وقال غيره كل ذي نور فهو شهاب قال ابو علي يجوز ان يكون قبس صفة ويجوز أن يكون اسماً غير صفة فأما الصفة فإنهم يقولون قبسته اقبسه قبساً والقبس الشيء المقبوس فإذا كان القبس صفة فالاحسن ان يجري على شهاب كما جرى على الموصوف في قوله «كأنه ضرم بالكف مقبوس» وان كان مصدراً غير صفة حسنت فيه الاضافة ولا يحسن ذلك في الصفة لأن الموصوف لا يضاف الى صفته وقال ابو الحسن الاضافة اجود وأكثر في القراءة كما تقول دار آجر وسوار ذهب ولو قلت سوار ذهب ودار آجر كان عربياً قال ابو علي جعل ابو الحسن القبس فيه غير وصف الا ترى انه جعله بمنزلة الآجر والذهب وليس واحد منهما صفة

❋ الاعراب ❋

هدى وبشرى في محل النصب او الرفع فالنصب على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيها معنى الإشارة والرفع على ثلاثة اوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من آيات وعلى ان يكون خبراً بعد خبر ان بورك ان هي المفسرة لأن النداء فيه معنى القول يعني قيل له بورك ولا يجوز ان يكون مخففة من الثقيلة على تقدير انه بورك لأنه كان يكون لا بد من قد والهاء في انه ضمير الشأن وانا الله مبتدأ وخبر والق عصاك عطف على بورك اي نودي ان بورك وان الق عصاك

❋ المعنى ❋

(طس) سبق تفسيره (تلك) اشارة الى ما وعدوا بمجيئه من القرآن (آيات القرآن وكتاب مبين) اضاف الآيات الى القرآن وآيات القرآن هي القرآن فهو كقوله انه لحق اليقين والقرآن والكتاب معناهما واحد وصفه بالصفتين ليفيد أنه مما يظهر بالقراءة ويظهر بالكتابة وهو بمنزلة الناطق بما فيه من الامرين جميعاً ووصفه بأنه مبين تشبيه له بالناطق بكذا ومعناه ان الله بين فيه امره ونهيه وحلاله وحرامه ووعده ووعيده وإذا وصفه بأنه بيان فإنه يجري مجرى وصفه له بالنطق بهذه الأشياء في ظهور المعنى به للنفس والبيان هو الدلالة التي تبين بها الاشياء والمبين المظهر (هدى وبشرى للمؤمنين) اي هدى من الضلالة الى الحق بالبيان الذي فيه والبرهان وباللطف فيه من جهة الاعجاز الدال على صحة أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبشرى للمؤمنين بالجنة والثواب ويجوز ان يكون في موضع نصب على ان يكون تقديره هادياً ومبشراً ويجوز أن يكون في موضع رفع والتقدير هو هدى وبشرى ثم وصف المؤمنين فقال (الذين يقيمون الصلاة) بحدودها واجباتها ويداومون على أوقاتها (ويؤتون الزكاة) اي ويخرجون ما يجب عليهم من الزكاة في اموالهم إلى من يستحقها (وهم بالآخرة) اي بالنشأة الآخرة والبعث والجزاء (هم يوقنون) لا يشكون فيه ثم وصف من خالفهم فقال (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون) اختلف في معناه فقيل ان المعنى زينا لهم اعمالهم التي أمرناهم بها باحسن وجوه التزيين والترغيب فهم يتحيرون بالذهاب عنها عن الحسن والجبائي وابي مسلم وقيل زينا لهم اعمالهم بأن خلقنا فيهم شهوة القبيح الداعية لهم الى فعل المعاصي ليجتنبوا المشتهى فهم يعمهون عن هذا المعنى ويترددون في الحيرة وقيل معناه حرمناهم التوفيق عقوبة لهم على كفرهم فتزينت

اعمالهم في أعينهم وحليت في صدورهم (أولئك الذين لهم سوء العذاب) اي شدة العذاب وصعوبته (وهم في الآخرة هم الأخسرون) اي لا احد اخسر صفقة منهم لأنهم يخسرون الثواب ويحصل لهم بدلا منه العقاب (وإنك) يا محمد (لتلقى القرآن) اي لتعطى (من لدن حكيم) في أمره (عليم) بخلقه اي من عند الله لأن الملك يلقيه من قبل الله سبحانه وقيل معناه لتلقن قال علي بن عيسى عليم بمعنى عالم الا أن في عليم مبالغة فهو مثل سامع وسميع لأن في قولنا عالم يفيد ان له معلوما كما ان قولنا سامع يفيد ان له مسموعا وإذا وصفناه بأنه عليم أفاد انه متى يصح معلوم فهو عالم به كما ان سميعا يفيد انه متى وجد مسموع فلا بد أن يكون سامعا له (إذ قال موسى لأهله) قال الزجاج العامل في إذ أذكر اي اذكر في قصة موسى إذ قال لأهله أي امرأته وهي بنت شعيب (اني آنست) اي ابصرت ورأيت (نارا) ومنه اشتقاق الإنس لأنهم مرئيون وقيل آنست اي أحسست بالشيء من جهة يؤنس بها وما أنست به فقد احسست به مع سكون نفسك اليه (سآتيكم منها بخبر) معناه فالزموا مكانكم لعلي آتيكم من هذه النار بخبر الطريق وأهتدي بها إلى الطريق لأنه كان أضل الطريق (أو آتيكم بشهاب قبس) اي بشعلة نار والشهاب نور كالعمود من النار وكل نور يمتد مثل العمود يسمى شهابا وإنما قال لامرأته آتيكم على لفظ خطاب الجمع لأنه أقامه مقام الجماعة في الأنس بها والسكون اليها في الامكنة الموحشة (لعلكم تصطلون) اي لكي تستدفئوا بها وذلك لأنهم كانوا قد أصابهم البرد وكانوا شاتين عن الحسن وقتادة (فلما جاءها) اي جاء موسى الى النار يعني التي ظن انها نار وهي نور (نودي أن بورك من في النار ومن حولها) قال وهب لما رأى موسى النار وقف قريبا منها فرآها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة لا تزداد النار الا اشتعالا ولا تزداد الشجرة إلا خضرة وحسنا فلم تكن النار بحرارتها تحرق الشجرة ولا الشجرة برطوبتها تطفئ النار فعجب منها واهوى اليها بضغث في يده ليقتبس منها فمالت اليه فخافها فتأخر عنها ثم لم تزل تطمعه ويطمع فيها الى ان نودي والمراد به نداء الوحي ان بورك من في النار ومن حولها اي بورك فيمن في النار وهم الملائكة وفيمن حولها يعني موسى وذلك ان النور الذي رأى موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتقديس والتسبيح ومن حولها هو موسى لأنه كان بالقرب منها ولم يكن فيها فكأنه قال بارك الله على من في النار وعليك يا موسى ومخرجه الدعاء والمراد الخبر قال الكسائي تقول العرب باركه الله وبارك عليه وبارك فيه وقيل بورك من في النار معناه من في النار سلطانه وقدرته وبرهانه فالبركة ترجع إلى اسم الله وتأويله تبارك من نور هذا النور ومن حولها يعني موسى والملائكة وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وسعيد بن جبير وقيل معناه بورك من في طلب النار وهو موسى «ع» فحذف المضاف ومن حولها الملائكة اي دامت البركة لموسى والملائكة وهذا تحية من الله سبحانه لموسى «ع» بالبركة كما حيا ابراهيم «ع» بالبركة على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ثم نزه سبحانه نفسه فقال (سبحان الله رب العالمين) أي تنزيها له عما لا يليق بصفاته تعالى عن ان يكون جسما يحتاج إلى جهة أو عرضا يحتاج إلى محل أو يكون ممن يتكلم بآلة ثم أخبر سبحانه موسى عن نفسه وتعرف اليه بصفاته فقال (يا موسى انه أنا الله العزيز الحكيم) أي ان الذي يكلمك هو الله العزيز أي القادر الذي لا يغالب ولا يمتنع عليه شيء الحكيم في افعاله المحكم لتدابيره ثم أراه سبحانه آية يعلم بها صحة النداء فقال (وألق عصاك) وفي الكلام حذف تقديره

فألقاها فصارت حية (فلما رآها تهتز كأنها جان) أي تتحرك كما يتحرك الجان وهو الحية التي ليست بعظيمة وإنما شبهها بالجان في خفة حركتها واهتزازها مع انها ثعبان في عظمها ولذلك هاله ذلك حتى ولى مدبراً وقيل ان الحالتين مختلفتان لأن الحال التي صارت ثعبانا هي الحال التي لقي فيها فرعون والحال التي صارت جانا هي الحال التي خاطبه الله في أول ما بعثه نبيا (ولى مدبراً) أي رجع إلى ورائه (ولم يعقب) أي لم يرجع وكل راجع معقب والمفسرون يقولون لم يلتفت ولم يقف فقال الله سبحانه (يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدي المرسلون) وهذا تسكين من الله سبحانه لموسى ونهي له عن الخوف يقول له انك مرسل والمرسل لا يخاف لأنه لا يفعل قبيحا ولا يخل بواجب فيخاف عقابي على ذلك

قوله تعالى (١١) إِلاَّ مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ (١٣) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٤) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ اربع آيات

القراءة

في الشواذ قراءة زيد بن اسلم وابي جعفر القاري إلا من ظلم بفتح الهمزة خفيفة اللام وقرأ علي بن الحسين «ع» وقتادة مبصرة بفتح الميم والصاد

الحجة

قال ابن جني من عدل إلى هذه القراءة فكأنه خفي عليه انقطاع الاستثناء في القراءة الفاشية فإن من في هذه القراءة في موضع رفع بالابتداء أو يكون للشرط كقولك من يقم اضرب ومن هناك منصوبة على الاستثناء وهو استثناء منقطع بمعنى لكن وقوله مَبصَرة كقولك هدى ونوراً وقد كثرت المفعلة بمعنى الشياع والكثرة في الجواهر والاحداث جميعا كقولهم أرض مضبة كثيرة الضباب ومفعاة كثيرة الافاعي ومحياة ومحواة كثيرة الحيات هذا في الجواهر واما الاحداث فكقولك البطنة موسنة وأكل الرطب مَوردَة ومحمة ومنه المسعاة والمعلاة والحق مجدرة بك ومخلقة وفي كله معنى الكثرة من موضعين * احدهما * المصدرية التي فيه والمصدر إلى الشياع والعموم * والآخر * التاء وهي لمثل ذلك

الاعراب

بيضاء منصوبة على الحال ومن غير سوء يتعلق ببيضاء وفي تسع آيات يتعلق بألق وأدخل يدك ومعناه القاء العصا وادخال اليد في جيبك من جملة الآيات التسع التي يظهرها له. إلى فرعون يتعلق بمحذوف والتقدير مرسلا إلى فرعون فهو في موضع الحال ظلما وعلواً مفعول له وكيف في موضع نصب بأنه خبر كان

المعنى

ثم قال سبحانه (إلا من ظلم) المعنى لكن من ظلم نفسه بفعل القبيح من غير المرسلين لأن الانبياء لا يقع منهم ظلم لكونهم معصومين من الذنوب والقبائح فيكون هذا استثناء منقطعا وإنما حسن ذلك لاجتماع الأنبياء وغيرهم في معنى تشملهم وهو التكليف (ثم بدل حسنا بعد سوء) اي بدل توبة وندما على مافعله من

القبيح وعزما ان لا يعود اليه في المستقبل (فإني غفور رحيم) أي ساتر لذنبه قابل لتوبته (وادخل يدك إلى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) أعطاه آية أخرى وقد سبق بيانها (في تسع آيات) أي مع تسع آيات أخر أنت مرسل بها (إلى فرعون وقومه) فحذف أو يكون تقديره مرسلا بها إلى فرعون ومبعوثا اليه ومثله قول الشاعر

رأتني بحبليها فصدت مخافة وفي الحبل روعاء الفؤاد فروق

والتقدير رأتني مقبلا بحبليها وقال الزجاج في تسع آيات معناه من تسع آيات أي أظهر هاتين الآيتين من جملة تسع آيات كقولهم خذ لي عشراً من الابل فيها فحلان والمعنى منها فحلان والآيات التسع مفسرة في سورة بني اسرائيل (انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن طاعة الله إلى أقبح وجوه الكفر (فلما جاءتهم آياتنا) أي حججنا ومعجزاتنا (مبصرة) اي واضحة بينة على من ابصر انها خارجة عن قدرة البشر وهو مثل قوله وآتينا ثمود الناقة مبصرة وقد مر بيانه (قالوا هذا سحر مبين) أي ظاهر بين (وجحدوا بها) وانكروها ولم يقروا بأنها من عند الله تعالى قال ابو عبيدة الباء زائدة والمعنى جحدوها كما قال العجاج «نضرب بالسيف ونرجو بالفرج» (واستيقنتها أنفسهم) أي عرفوها وعلموها يقينا بقلوبهم وانما جحدوها بألسنتهم (ظلما) على بني اسرائيل وقيل ظلما على أنفسهم (وعلوا) أي طلبا للعلو والرفعة وتكبرا عن ان يؤمنوا بما جاء به موسى «ع» (فانظر) يا محمد أو أيها السامع (كيف كان عاقبة المفسدين) في الأرض بالمعاصي

قوله تعالى (١٥) وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (١٦) وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ (١٧) وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٨) حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٩) فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ خمس آيات

اللغة

الوزع أصله المنع والكف يقال وزعه عن الظلم قال النابغة

على حين عاتبت المشيب على الصبا وقلت الما تصح والشيب وازع

وقال آخر

ألم تزع الهوى إذ لم تواتي بلى وسلوت عن طلب الفتاة

والحطم الكسر ومنه الحطمة من اسماء جهنم والحطام ما تحطم والايزاع الالهام وفلان موزع بكذا أي مولع به قال الزجاج اوزعني تأويله في اللغة كفني عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك و كفني عما يباعد منك

الاعراب

لا يحطمنكم في موضع جزم لأنه جواب الأمر قال الزجاج ضاحكا حال مؤكدة لأن تبسم في معنى ضحك وقال بعض المتأخرين يجوز ان يكون حالا بعد الفراغ من الفعل لأن التبسم دون الضحك فكأنه تبسم أولا ثم آل امره إلى الضحك

المعنى

ثم عطف سبحانه على قصة موسى «ع» قصة داود وسليمان «ع» فقال سبحانه (ولقد آتينا داود وسليمان علما) اي علما بالقضاء بين الخلق وبكلام الطير والدواب عن ابن عباس (وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) أي اختارنا من بين الخلق بأن جعلنا أنبياء وبالمعجزة والملك والعلم الذي اتاناه وبالانة الحديد وتسخير الشياطين والجن والانس وإنما نكر قوله علما ليدل على انه أراد علما احتاجا اليه مما ينبئ عن صدقهما في دعوى الرسالة (وورث سليمان داود) في هذا دلالة على ان الانبياء يورثون المال كتوريث غيرهم وهو قول الحسن وقيل معناه انه ورثه علمه ونبوته وملكه دون سائر اولاده ومعنى الميراث هنا انه قام مقامه في ذلك فاطلق عليه اسم الارث كما اطلق على الجنة اسم الارث عن الجبائي وهذا خلاف للظاهر والصحيح عند اهل البيت «ع» هو الأول (وقال) سليمان مظهرا لنعمة الله وشاكرا اياها (يا أيها الناس علمنا منطق الطير) أهل العربية يقولون انه لا يطلق النطق على غير بني آدم وإنما يقال الصوت لأن النطق عبارة عن الكلام ولا كلام للطير إلا انه لما فهم سليمان معنى صوت الطير سماه منطقا مجازاً وقيل انه أراد حقيقة المنطق لأن من الطير ما له كلام مهجي كالطيطوى قال المبرد العرب تسمي كل مبين عن نفسه ناطقاً ومتكلما قال رؤبة

لو انني اعطيت علم الحكل ... علم سليمان كلام النمل

والحكل ما لا يسمع له صوت وقال علي بن عيسى ان الطير كانت تكلم سليمان معجزة له كما اخبر عن الهدهد ومنطق الطير صوت يتفاهم به معانيها على صيغة واحدة بخلاف منطق الناس الذي يتفاهمون به المعاني على صيغ مختلفة ولذلك لم نفهم عنها مع طول مصاحبتها ولم تفهم هي عنا لأن افهامها مقصورة على تلك الأمور المخصوصة ولما جعل سليمان يفهم عنها كان قد علم منطقها (وأوتينا من كل شيء) أي من كل شيء يؤتى الأنبياء والملوك وقيل من كل ما يطلبه طالب لحاجته اليه وانتفاعه به وقيل من كل شيء علما وتسخيراً في كل ما يصلح ان يكون معلوما لنا أو مسخراً لنا غير ان مخرجه مخرج العموم فيكون ابلغ واحسن وروى الواحدي بالاسناد عن محمد بن جعفر بن محمد عن ابيه «ع» قال اعطي سليمان بن داود ملك مشارق الارض ومغاربها فملك سبعمائة سنة وستة اشهر ملك اهل الدنيا كلهم من الجن والانس والشياطين والدواب والطير والسباع واعطي علم كل شيء ومنطق كل شيء وفي زمانه صنعت الصنائع المعجبة التي سمع بها الناس وذلك قوله علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيء (ان هذا لهو الفضل المبين) أي هذا فضل الله الظاهر الذي لا يخفى على احد وهذا قول سليمان على وجه الاعتراف بنعم الله عليه ويحتمل ان يكون من قول الله سبحانه على وجه الاخبار بأن ما ذكره هو الفضل المبين (وحشر لسليمان جنوده) أي جمع له جموعه وكل صنف من الخلق جند على حدة بدلالة قوله (من الجن والانس والطير) قال المفسرون كان سليمان إذا

أراد سفرا أمر فجمع له طوائف من هؤلاء الجنود على بساط ثم يأمر الريح فتحملهم بين السماء والارض والمعنى وحشر لسليمان جنوده اي جمع له جموعه في مسير له وقال محمد بن كعب بلغنا ان سليمان بن داود كان معسكره مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة صريحة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله تعالى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك انه لا يتكلم احد من الخلائق بشيء إلا جاءت به الريح فأخبرتك وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسيم وكان يوضع فيه منبر من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وترفع الريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومن الرواح إلى الصباح (فهم يوزعون) اي يمنع اولهم على آخرهم عن ابن عباس ومعنى ذلك ان على كل صنف من جنوده وزعة ترد اولهم على آخرهم ليتلاحقوا ولا يتفرقوا كما تقوم الجيوش إذا كثرت بمثل ذلك وهو ان تدفع اخراهم وتوقف اولاهم وقيل معناه يحبسون عن ابن زيد وهو مثل الاول في انه يحبس اولاهم على اخراهم (حتى إذا اتوا على واد النمل) اي فسار سليمان وجنوده حتى إذا اشرفوا على واد وهو بالطائف عن كعب وقيل هو بالشام عن قتادة ومقاتل (قالت نملة) اي صاحت بصوت خلق الله لها ولما كان الصوت مفهوما لسليمان عبر عنه بالقول وقيل كانت رئيسة النمل (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم) اي لا يكسرنكم (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) بحطمكم ووطئكم فإنهم لو علموا بمكانكم لم يطؤكم وهذا يدل على ان سليمان وجنوده كانوا ركبانا ومشاة على الأرض ولم تحملهم الريح لأن الريح لو حملتهم بين السماء والارض لما خافت النمل أن يطأوها بأرجلهم ولعل هذه القصة كانت قبل تسخير الله الريح لسليمان فإن قيل كيف عرفت النملة سليمان وجنوده حتى قالت هذه المقالة قلنا إذا كانت مأمورة بطاعته فلا بد ان يخلق لها من الفهم ما تعرف به أمور طاعته ولا يمتنع ان يكون لها من الفهم ما يستدرك به ذلك وقد علمنا انه تشق ما تجمع من الحبوب بنصفين مخافة أن يصيبها الندى فتنبت إلا الكزبرة فانها تكسرها بأربع قطع لأنها تنبت إذا شقت بنصفين فمن هداها إلى هذا فإنه جل جلاله يهديها إلى تمييز ما يحطمها مما لا يحطمها وقيل ان ذلك كان منها على سبيل المعجز الخارق للعادة لسليمان (ع) قال ابن عباس فوقف سليمان بجنوده حتى دخل النمل مساكنه (فتبسم سليمان (ضاحكا من قولها) وسبب ضحك سليمان التعجب وذلك ان الانسان إذا رأى ما لا عهد له به تعجب وضحك وقيل انه تبسم بظهور عدله حيث بلغ عدله في الظهور مبلغا عرفه النمل وقيل ان الريح اطارت كلامها اليه من ثلاثة أميال حتى سمع ذلك فانتهى اليها وهي تأمر النمل بالمبادرة فتبسم من حذرها (وقال رب اوزعني) اي ألهمني (أن أشكر نعمتك التي انعمت علي) بأن علمتني منطق النمل واسمعتني قولها من بعيد حتى امكنني الكف وأكرمتني بالنبوة والملك (وعلى والدي) اي انعمت على والدي بأن اكرمته بالنبوة وفصل الخطاب وألنت له الحديد وعلى والدتي بأن زوجتها نبيك وجعل النعمة عليهما نعمة لله سبحانه عليه يلزمه شكرها (وأن اعمل صالحا ترضاه) اي وفقني لأن اعمل صالحا في المستقبل ترضاه (وأدخلني

برحمتك في عبادك الصالحين) قال ابن عباس يعني ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين اي أدخلني في جملتهم واثبت اسمي مع اسمائهم واحشرني في زمرتهم وقال ابن زيد في عبادك معناه مع عبادك قال الزجاج جاء لفظ ادخلوا كلفظ ما يعقل لأن النمل هاهنا اجري مجرى الآدميين حتى نطق كما ينطق الآدميون وإنما يقال لما لا يعقل ادخلي وفي الخبر دخلت اودخلن وروي ان نمل سليمان هذا كان كأمثال الذئاب والكلاب.

قوله تعالى (٢٠) وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ (٢١) لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ (٢٢) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (٢٣) إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٤) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ (٢٥) أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٦) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ سبع آيات

القراءة

قرأ ابن كثير او ليأتينني بنونين اولاهما مشددة مفتوحة والباقون بنون واحدة مشددة وقرأ عاصم ويعقوب فمكث بفتح الكاف والباقون بضم الكاف وقرأ ابو عمرو وابن كثير في رواية البزي من سباء بفتح الهمزة وقرأ ابن كثير في رواية القواس وابن فليح من سبا بغير همزة وقرأ الباقون من سبأ مجرورة منونة ومثله سواء في سورة سبأ لقد كان لسبأ وقرأ ابو جعفر والكسائي ورويس عن يعقوب الا يسجـدوا خفيفة اللام وقرأ الباقون الا يسجدوا مثل قوله الا يقولوا ومن خفف وقف على الآية وابتدأ سجدوا وقرأ الكسائي وحفص عن عاصم ما تخفون وما تعلنون بالتاء والباقون بالياء

الحجة

من قرأ ليأتيني حذف النون الثالثة التي هي قبـل ياء المتكلم لاجتماع النونات ومن قرأ ليأتينني فهو على الاصل وَمكث ومُكث لغتان ومما يقوي الفتح قوله انكم ماكثون وقوله ماكثين فيه ابدا وقال سيبويـه ثمود وسبا مرة للقبيلتين ومرة للحيين قال ابو علي يريد ان هذه الاسماء منها ما جاء على انـه اسم الحي نحو معد وقريش وثقيف ومنها ما يستوي فيه الامران كثمود وسبأ وقال ابو الحسن في سبأ ان شئت صرفت فجعلتـه اسم ابيهم او اسم الحي وان شئت لم تصرف فجعلته اسم القبيلة قال والصرف احب اي لأنه قد عرف انـه اسم ابيهم وان كان اسم الأب يصير كالقبيلة الا اني احمله على الأصل وقال غيره هو اسم رجل واليمانية كلها تنسب اليه يقولون سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان قال الزجاج من قال ان سبأ اسم رجل فغلط لأن سبأ هي مدينة تعرف بمارب من اليمن بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام قال الشاعر

من سبأ الحاضرين مأرب اذ يبنون من دون سيله العرما

فمن لم يصرف فلأنه اسم مدينة ومن صرفه فلأن يكون اسما للبلد قال جرير

الواردون وتيم في ذوي سبأ قد عض اعناقهم جلد الجواميس

ومن قرأ الا يسجدوا فالتقدير فصدهم عن السبيل لأن لا يسجدوا على انه مفعول له قال ابو علي وهذا هو الوجه لتجري القصة على سننها ولا يفصل بين بعضها وبعض ما ليس منها وان كان الفصل بهذا النحو غير ممتنع لأنه يجري مجرى الاعتراض وكأنه لما قيل وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون فدل هذا الكلام على انهم لا يسجدون لله قال الا يا قوم اسجدوا لله خلافا عليهم ووجه دخول حرف التنبيه على الامر انه موضع يحتاج فيه إلى استعطاف المأمور لتأكيد ما يؤمر به عليه كما ان النداء موضع يحتاج فيه الى استعطاف المنادى لماينادي له من اخبار أو أمر أو نهي ونحو ذلك مما يخاطب به وإذا كان كذلك فيجوز ان لا تريد منادى في نحو قولك الا يسجدوا كما لا تريد المنادى في نحو قوله

يا لعنة الله والاقوام كلهم ... والصالحين على سمعان من جار

وكذلك ما حكي عن ابي عمرو من قوله يا ويل له ويجوز ان يراد بعد يا مأمورون فحذفوا كما حذف في قوله يا لعنة الله فكما ان يا هاهنا لايجوزأن يكون إلا لغير اللعنة كذلك يجوز ان يكون المأمورون مرادين وحذفوا من اللفظ وقد جاء هذا في مواضع من الشعر فمن ذلك ما انشده ابو زيد

فقالت الا يا اسمع نعظك بخطة ... فقلت سميعا فانطقي واصيبي

وانشد الزجاج لذي الرمة

الا يا اسلمي يا دار مي على البلى ... ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وللاخطل

الا يا اسلمي يا هند هند بني بدر ... ولا زال حيانا عدى آخر الدهر

ومما يؤكد قراءة من قرأ ألا يسجدوا بالتشديد انها لو كانت مخففة لما كانت في يسجدوا ياء لأنها اسجدوا ففي ثبات الياء في المصحف دلالة على التشديد ومن قرأ يخفون ويعلنون بالياء فلأن الكلام على الغيبة وقراءة الكسائي فيهما بالتاء لأن الكلام قد دخله خطاب على قراءة اسجدوا لله ومن قرأ الايااسجدوا فيجوز ان يكون الخطاب للمؤمنين والكافرين الذين جرى ذكرهم على لفظ الغيبة

—(الإعراب)—

كان ابو عمرو يسكن الياء في قوله مالي لا ارى الهدهد ويفتح في قوله ومالي لا اعبد الذي فطرني لئلا يقف الواقف على مالي ويبتدئ بلااعبد ولا ارى في موضع نصب على الحال. أم كان من الغائبين أم منقطعة التقدير بل أهو من الغائبين وكان بمعنى يكون واللام في لأعذبنه جواب قسم مقدر أي والله لأعذبنه. غير بعيد منصوب لأنه صفة ظرف او صفة مصدر تقديره فمكث وقتا غير بعيد أو مكثا غير بعيد ويسجدون في موضع نصب على الحال من وجدت

❋ المعنى ❋

ثم اخبر سبحانه عن سليمان فقال (وتفقد الطير) اي طلبه عند غيبته (فقال مالي لا أرى الهدهد) أي ما للهدهد لا أراه تقول العرب ما لي أراك كئيبا ومعناه مالك ولكنه من القلب الذي يوضح المعنى واختلف في سبب تفقده الهدهد فقيل انه احتاج اليه في سفره ليدله على الماء لأنه يقال انه يرى الماء في بطن الأرض كما يراه في القارورة عن ابن عباس وروى العياشي بالاسناد قال قال ابو حنيفة لأبي عبد الله (ع) كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير قال لأن الهدهد يرى الماء في بطن الأرض كما يرى احدكم الدهن في القارورة فنظر ابو حنيفة إلى أصحابه وضحك قال ابو عبد الله «ع» ما يضحكك قال ظفرت بك جعلت فداك قال وكيف ذاك قال الذي يرى الماء في بطن

الارض لا يرى الفخ في التراب حتى يؤخذ بعنقه قال ابو عبد الله «ع» يا نعمان اما علمت انه إذا نزل القدر أغشى البصر وقيل إنما تفقده لاخلاله بنوبته عن وهب وقيل كانت الطيور تظله من الشمس فلما اخل الهدهد بمكانه بان بطلوع الشمس عليه (أم كان من الغائبين) معناه أتأخر عصيانا أم غاب لعذر وحاجة قال المبرد لما تفقد سليمان الطير ولم ير الهدهد قال مالي لا أرى الهدهد على تقدير انه مع جنوده وهو لا يراه ثم أدركه الشك فشك في غيبته عن ذلك الجمع بحيث لم يره فقال أم كان من الغائبين أي بل أكان من الغائبين كأنه ترك الكلام الاول واستفهم عن حاله وغيبته ثم أوعده على غيبته فقال (لأعذبنه عذابا شديدا) معناه لأعذبنه بنتف ريشه والقائه في الشمس عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقيل بأن أجعله بين اضداده وكما صح نطق الطير وتكليفه في زمانه معجزة له جازت معاتبته على ما وقع منه من تقصير فإنه كان مأمورا بطاعته فاستحق العقاب على غيبته (اولأذبحنه) اي لأقطعن حلقه عقوبة على عصيانه (او ليأتيني بسلطان مبين) أي بحجة واضحة تكون له عذرا في الغيبة (فمكث غير بعيد) اي فلم يلبث سليمان إلا زمانا يسيرا حتى جاء الهدهد وقيل معناه فلبث الهدهد في غيبته قليلا ثم رجع وعلى هذا فيجوز ان يكون التقدير فمكث في مكان غير بعيد قال ابن عباس فأتاه الهدهد بحجة (فقال أحطت بما لم تحط به) اي اطلعت على ما لم تطلع عليه وجئتك بأمر لم يخبرك به ولم يعلم به الانس وبلغت ما لم تبلغه أنت ولا جنودك وهو قوله (وجئتك من سبأ بنبأ يقين) أي بخبر صادق وعلم الاحاطة وهو ان يعلم الشيء من جميع جهاته التي يمكن ان يعلم عليها تشبيها بالسور المحيط بما فيه وفي الكلام حذف تقديره ثم جاء الهدهد فسأله سليمان عن سبب غيبته فقال احطت بما لم تحط به وفي هذا دلالة على انه يجوز ان يكون في زمن الانبياء من يعرف ما لا يعرفونه وسبأ مدينة بأرض اليمن عن قتادة وقيل ان الله تعالى بعث إلى سبأ اثني عشر نبيا عن السدي وروى علقمة بن وعلة عن ابن عباس قال سئل النبي ﷺ عن سبأ فقال هو رجل ولد له عشرة من العرب تيامن منهم ستة وتشأم اربعة فالذين تشأموا لخم وجذام وغسان وعاملة والذين تيامنوا كندة والاشعرون والازد ومذحج وحمير وانمار ومن الانمار خثعم وبجيلة (اني وجدت امرأة تملكهم) اي تتصرف فيهم بحيث لا يعترض عليها احد (وأوتيت من كل شيء) وهذا اخبار عن سعة ملكها اي من كل شيء من الاموال وما يحتاج اليه الملوك من زينة الدنيا وقال الحسن وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ وقيل شرحبيل ولدها اربعون ملكا آخرهم ابوها شرحبيل قال قتادة وكان اولو مشورتها ثلاثمائة واثني عشر قيلا كل قيل منهم تحت رايته الف مقاتل (ولها عرش عظيم) اي سرير اعظم من سريرك وكان مقدمه من ذهب مرصع بالياقوت الأحمر والزمرد الاخضر ومؤخره من فضة مكلل بالوان الجواهر وعليه سبعة ابيات على كل بيت باب مغلق وعن ابن عباس قال كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا وطوله في الهواء ثلاثون ذراعا وقال ابو مسلم المراد بالعرش الملك (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان اعمالهم) اي عبادتهم للشمس من دون الله (فصدهم عن السبيل) اي صرفهم عن سبيل الحق (فهم لا يهتدون) قال الجبائي لم يكن الهدهد عارفا بالله تعالى وانما اخبر بذلك كما يخبر مراهقو صبياننا لأنه لا تكليف إلا على الملائكة والانس والجن فيرانا الصبي على عبادة الله فيتصور ان ما خالفها باطل فكذلك الهدهد تصور له ان ما خالف فعل سليمان باطل وهذا الذي ذكره خلاف ظاهر القرآن لأنه لا يجوز ان يفرق بين الحق الذي هو السجود لله وبين الباطل الذي هو السجود للشمس وان احدها حسن والآخر قبيح إلا العارف بالله سبحانه وبما يجوز عليه وما لا يجوز هذا مع نسبة تزيين اعمالهم وصدهم عن طريق الحق إلى الشيطان وهذا مقالة من يعرف العدل وان القبيح غير جائز على الله سبحانه (الا يسجدوا لله) قد بينا ان التخفيف انما هو على معنى الامر بالسجود ودخلت الياء للتنبيه او على تقدير الا يا قوم اسجدوا لله وقيل انه امر من الله تعالى لجميع خلقه بالسجود له اعترض في الكلام وقيل انه من كلام الهدهد قاله لقوم بلقيس

حين وجدهم يسجدون لغير الله وقاله لسليمان عند عوده اليه استنكارا لما وجدهم عليه والقراءة بالتشديد على معنى زين لهم الشيطان ضلالتهم لئلا يسجدوا لله وذكر الفراء ان القراءة بالتشديد لا توجب سجدة التلاوة وهذا غير صحيح لأن الكلام قد تضمن الذم على ترك السجود فيكون فيه دلالة على وجوب السجود وهو كقوله و إذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن الآية (الذي يخرج الخبء في السموات والأرض) الخبء المخبوء وهو ما احاط به غيره حتى منع من ادراكه وهو مصدر وصف به يقال خبأته أخباؤه خبأ وما يوجده الله تعالى فيخرجه من العدم إلى الوجود يكون بهذه المنزلة وقيل الخبء الغيب وهو كل ما غاب عن الادراك فالمعنى يعلم غيب السماوات والارض عن عكرمة ومجاهد وقيل ان خبء السماوات المطر وخبء الارض النبات والاشجار عن ابن زيد (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) اي يعلم السر والعلانية (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) إلى هاهنا تمام الحكاية لما قاله الهدهد ويحتمل ان يكون ابتداء اخبار من الله تعالى والعرش سرير الملك الذي عظمه الله ورفعه فوق السماوات السبع وجعل الملائكة تحف به وترفع اعمال العباد اليه وتنشأ البركات من جهته فهو عظيم الشأن كما وصفه الله تعالى وهو اعظم خلق الله تعالى

قوله تعالى (٢٧) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٨) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٩) قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ (٣٠) إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣١) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ خمس آيات

القراءة

في الشواذ ما رواه وهب عن ابن عباس الا تغلوا بالغين المعجمة من الغلو

المعنى

ولما سمع سليمان ما اعتذر به الهدهد في تأخره (قال) عند ذلك (سننظر أصدقت) في قولك الذي اخبرتنا به (ام كنت من الكاذبين) وهذا الطف والين في الخطاب من ان يقول ام كذبت لأنه قد يكون من الكاذبين بالميل اليهم وقد يكون منهم بالقرابة تكون بينه وبينهم وقد يكون منهم بأن يكذب كما كذبوا ثم كتب سليمان كتابا وختمه بخاتمه ودفعه اليه فذلك قوله (اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم) يعني إلى أهل سبأ (ثم تول عنهم) اي استتر منهم قريبا بعد القاء الكتاب اليهم فانظر ماذا يرجعون عن وهب بن منبه وغيره وقيل انه على التقديم والتاخير (فانظر ماذا يرجعون) أي ماذا يردون من الجواب ثم تول عنهم لأن التولي عنهم بعد الجواب عن مقاتل وابن زيد والجبائي وابي مسلم والأول اوجه لأن الكلام إذا صح من غير تقديم وتأخير كان اولى وفي الكلام حذف تقديره فمضى الهدهد بالكتاب والقاه اليهم فلما رأته بلقيس (قالت) لقومها (يا أيها الملأ) اي الاشراف (اني القي الي كتاب كريم) قال قتادة أتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها فألقى الكتاب على نحرها فقرأت الكتاب وقيل كانت لها كوة مستقبلة للشمس تقع الشمس عندما تطلع فيها فإذا نظرت اليها سجدت فجاء الهدهد الى الكوة فسدها بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم فقامت تنظر فرمى الكتاب اليها عن وهب وابن زيد فلما أخذت الكتاب جمعت الاشراف وهم يومئذ ثلاثمائة واثنا عشر قيلا ثم قالت لهم اني القي إلي كتاب كريم سمته كريما لأنه كان مختوما عن ابن عباس ويؤيده الحديث اكرام الكتاب ختمه وقيل وصفته بالكريم لأنه صدره بسم الله الرحمن الرحيم وقيل لحسن خطه وجودة لفظه وبيانه وقيل لأنه كان ممن يملك الانس والجن والطير وقد كانت سمعت

بخبر سليمان فسمته كريما لأنه من كريم رفيع الملك عظيم الجاه (انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم) معناه ان الكتاب من سليمان وان المكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم (ألا تعلوا علي واتوني مسلمين) فإن هذا القدر جملة ما في الكتاب واول من استفتح ببسم الرحمن الرحيم سليمان «ع» ولم تعرفه هي ولا قومها وقيل ان هذا حكاية ما قالته على المعنى باللغة العربية وان لم تقل هي بهذا اللفظ والحكاية على ثلاثة اوجه حكاية على المعنى فقط وحكاية على اللفظ فقط ممن حكاه من غير ان يعلم معناه وحكاية على اللفظ والمعنى وهو الأصل في الحكاية التي لا يجوز العدول عنها إلا بقرينة وموضع الا تعلوا يجوز ان يكون رفعا بالبدل من كتاب ويجوز ان يكون نصبا على معنى بأن لا تعلوا والصحيح أن أن في مثل هذا الموضع بمعنى أي على ما قاله سيبويه في نحو قوله وانطلق الملأ منهم ان مشوا اي امشوا ومعناه لا تترفعوا ولا تتكبروا علي واتوني مسلمين أي منقادين طائعين لأمري فيما ادعوكم وقيل مسلمين مؤمنين بالله تعالى ورسوله مخلصين في التوحيد قال قتادة وكذا كانت الانبياء تكتب كتبها موجزة مقصورة على الدعاء إلى الطاعة من غير بسط

قوله تعالى (٣٢) قَالَتْ يَا أَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونَ (٣٣) قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ (٣٤) قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٣٥) وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ (٣٦) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ (٣٧) ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ست آيات

القراءة

قرأ حمزة ويعقوب اتمدوني بنون واحدة مشددة على الادغام والباقون بنونين مظهرين

الاعراب

حتى تشهدون انتصب تشهدون باضمار ان والنون فيه نون عماد. فلما جاء سليمان فاعل جاء الضمير المستكن فيه الراجع إلى مفعول مرسلة المحذوف لأن تقديره اني مرسلة رسولا. اذلة نصب على الحال وهم صاغرون جملة في موضع الحال معطوفة على اذلة

المعنى

ولما وقفت بلقيس على كتاب سليمان (قالت) لأشراف قومها (يا أيها الملؤ افتوني في امري) أي اشيروا علي بالصواب والفتيا والفتوى الحكم بما فيه صواب بدلا من الخطأ وهو الحكم بما يعمل عليه فجعلت المشورة هنا فتيا (ما كنت قاطعة أمرا) اي ما كنت ممضية امرا (حتى تشهدون) أي تحضروني تريد الابحضرتكم ومشورتكم وهذا ملاطفة منها لقومها في الاستشارة منهم لما تعمل عليه (قالوا) لها في الجواب عن ذلك (نحن اولوا قوة) اي اصحاب قوة وقدرة واهل عدد (واولوا بأس شديد) اي واصحاب شجاعة شديدة (والامر اليك) اي ان الامر مفوض اليك في القتال وتركه (فانظري ماذا تأمرين) أي ما الذي تأمريننا به لنمتثله فإن امرت بالصلح صالحنا وان امرت بالقتال قاتلنا (قالت) مجيبة لهم عن التعريض بالقتال (ان الملوك إذا دخلوا قرية افسدوها) اي اذا دخلوها عنوة عن قتال وغلبة اهلكوها وخربوها (وجعلوا أعزة اهلها أذلة) اي اهانوا اشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الامر والمعنى انها حذرتهم مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم وانتهى الخبر عنها وصدقها الله فيما

قالت فقال (وكذلك) اي وكما قالت هي (يفعلون) وقيل ان الكلام متصل بعضه ببعض وكذلك يفعلون من قولها (واني مرسلة اليهم) اي إلى سليمان وقومه (بهدية) اصانعه بذلك عن ملكي (فناظرة) اي فمنتظرة (بم يرجع المرسلون) بقبول ام رد وانما فعلت ذلك لانها عرفت عادة الملوك في حسن موقع الهدايا عندهم وكان غرضها ان يتبين لها بذلك انه ملك او نبي فإن قبل الهدية تبين انه ملك وعندها ما يرضيه وان ردها تبين انه نبي واختلف في الهدية فقيل اهدت اليه وصفاء ووصايف البستهم لباسا واحدا حتى لا يعرف ذكر من انثى عن ابن عباس وقيل اهدت مائتي غلام ومائتي جارية ألبست الغلمان لباس الجواري والبست الجواري البسة الغلمان عن مجاهد وقيل اهدت له صفائح الذهب في اوعية من الديباج فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فموهوا الآجر بالذهب ثم امر به فألقي في الطريق فلما جاؤوا رأوه ملقى في الطريق في كل مكان فلما رأوا ذلك صغر في اعينهم ما جاؤوا به عن ثابت اليماني وقيل انها عمدت إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجواري الاقبية والمناطق والبست الغلمان في سواعدهم اساور من ذهب وفي اعناقهم اطواقا من ذهب وفي آذانهم اقراطا وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجواري على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر وبعثت اليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وعمدت إلى حقة فجعلت فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة جزعية مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من اشراف قومها اسمه المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب رأي وعقل وكتبت اليه كتابا بنسخة الهدية قالت فيها ان كنت نبيا فميز بين الوصفاء والوصايف واخبر بما في الحقة قبل ان تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وادخل الخرزة خيطا من غير علاج انس ولا جن وقالت للرسول انظر اليه ان دخلت عليه فإن نظر اليك نظرة غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك امره فإنا اعز منه وإن نظر اليك نظر لطف فاعلم انه نبي مرسل فانطلق الرسول بالهدايا واقبل الهدهد مسرعا إلى سليمان فاخبره الخبر فأمر سليمان الجن ان يضربوا لبنات الذهب ولبنات الفضة ففعلوا ثم امرهم ان يبسطوا من موضعه الذي هو فيه إلى بضع فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وان يجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال للجن علي باولادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم على يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع له اربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثلها عن يساره وامر الشياطين ان يصطفوا صفوفا فراسخ وامر الانس فاصطفوا فراسخ وامر الوحش والسباع والهوام والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان تقاصرت اليهم انفسهم ورموا بما معهم من الهدايا فلما وقفوا بين يدي سليمان نظر اليهم نظرا حسنا بوجه طلق وقال ما وراءكم فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا له واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين الحقة فأتي بها وحركها وجاءه جبرائيل (ع) فاخبره بما في الحقة فقال ان فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة مثقوبة معوجة الثقب فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط في الخرزة فأرسل سليمان إلى الارضة فجاءت فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها الخيط فقالت دودة بيضاء انا لها يا رسول الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر ثم ميز بين الجواري والغلمان بأن امرهم ان يغسلوا وجوههم وايديهم فكانت الجارية تاخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعله على اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه والغلام كان ياخذ من الآنية يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا والغلام يحدر الماء على يده حدرا فميز بينهما بذلك هذا كله مروي عن وهب وغيره وقيل انها انفذت مع هداياها عصا كان يتوارثها ملوك حمير وقالت اريد ان تعرفني رأسها من اسفلها وبقدح ماء وقالت تملأها ماء رواء ليس من الارض ولا من السماء فارسل سليمان العصا إلى الهواء وقال اي الرأسين سبق إلى

الارض فهو اسفلها وامر الخيل فاجريت حتى عرقت وملأ القدح من عرقها وقال ليس هذا من ماء الارض ولا من ماء السماء (فلما جاء سليمان) اي فلما جاء الرسول سليمان (قال اتمدونني بمال) أي تزيدونني مالا وهذا استفهام انكار يعني انه لا يحتاج إلى مالهم (فما آتاني الله خير مما آتاكم) أي ما اعطاني الله من الملك والنبوة والحكمة خير مما اعطاكم من الدنيا وأموالها (بل انتم بهديتكم تفرحون) إذا اهدى بعضكم إلى بعض وأما أنا فلا افرح بها اشار إلى قلة اكتراثه باموال الدنيا ثم قال «ع» للرسول (ارجع اليهم) بما جئت من الهدايا (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) اي لا طاقة لهم بها ولا قدرة لهم على دفعها (ولنخرجنهم منها أذلة) اي من تلك القرية ومن تلك المملكة وقيل من ارضها وملكها (وهم صاغرون) اي ذليلون صغيرو القدر ان لم يأتوني مسلمين فلما رد سليمان الهدية وميز بين الغلمان والجواري إلى غير ذلك علموا انه نبي مرسل وانه ليس كالملوك الذين يغترون بالمال

قوله تعالى (٣٨) قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٩) قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٤٠) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَـٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤١) قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ (٤٢) فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٣) وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ (٤٤) قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (سبع آيات)

القراءة

في الشواذ قراءة ابي رجاء وعيسى الثقفي عفرية

الحجة

والمعنى معنى العفريت يقال رجل عفرية نفرية أي خبيث داه قال ذو الرمة

كأنه كوكب في اثر عفرية ... مسوم في سواد الليل منقضب

وأصل العفريت والعفرية من العفر وهو التراب لأنه يصرع قرنه في العفر ومنه قيل للاسد عفرنى وللناقة الشديدة عفرناة قال الاعشى

بذات لوث عفرناة إذا عثرت ... فالتعس ادنى لها من ان يقال لعا

اللغة

التنكير تغيير الشيء من حال الى حال ينكرها صاحبها إذا رآه والصرح القصر وكل بناء مشرف صرح وصرحة الدار وساحتها وقارعتها صحنها واصله من الوضوح يقال صرح بالأمر اي كشفه واوضحه وصرح بالتشديد لازم ومتعد واللجة معظم الماء والجمع لجج ولج البحر خلاف الساحل ومنه لج بالأمر إذا بالغ بالدخول فيه والممرد

المملس ومنه الامرد وشجرة مرداء اي ملساء لا ورق عليها والمارد المتملس عن الحق الخارج منه

المعنى

فلما رجع اليها الرسول وعرفت انه نبي وانها لا تقاومه فتجهزت للمسير اليه واخبر جبرائيل سليمان «ع» انها خرجت من اليمن مقبلة اليه (فقال) سليمان لأماثل جنده واشراف عسكره (يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) واختلف في السبب الذي خص به العرش بالطلب على اقوال احدها انه اعجبته صفته فأراد أن يراه وظهر له آثار اسلامها فأحب أن يملك عرشها قبل ان تسلم فيحرم عليه أخذ مالها عن قتادة وثانيها انه أراد ان يختبر بذلك عقلها وفطنتها ويختبر هل تعرفه او تنكره عن ابن زيد وقيل اراد ان يجعل ذلك دليلا ومعجزة على صدقه ونبوته لأنها خلفته في دارها واوثقته ووكلت به ثقات قومها يحرسونه ويحفظونه عن وهب وقال ابن عباس كان سليمان رجلا مهيبا لا يبتدء بالكلام حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سريره فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا فقالوا بلقيس يارسول الله وقد نزلت منا بهذا المكان وكان ما بين الكوفة والحيرة على قدر فرسخ فقال أيكم يأتيني بعرشها. وقوله مسلمين فيه وجهان احدهما انه أراد مؤمنين موحدين والآخر مستسلمين منقادين على مأمر بيانه (قال عفريت من الجن) أي مارد قوي داهية عن ابن عباس (انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك) اي من مجلسك الذي تقضي فيه عن قتادة (واني عليه لقوي أمين) اي واني على حمله لقوي وعلى الاتيان به في هذه المدة قادر وعلى ما فيه من الذهب والجواهر أمين وفي هذا دلالة على ان القدرة قبل الفعل لأنه اخبر بأنه قوي عليه قبل ان يجيء به وكان سليمان يجلس في مجلسه للقضاء غدوة الى نصف النهار فقال سليمان أريد أسرع من ذلك فعند ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) وهو اصف بن برخيا وكان وزير سليمان وابن اخته وكان صديقا يعرف اسم الله الاعظم الذي إذا دعي به أجاب عن ابن عباس وقيل ان ذلك الاسم الله والذي يليه الرحمن وقيل هو يا حي يا قيوم وبالعبرانية اهيا شراهيا وقيل هو يا ذا الجلال والاكرام عن مجاهد وقيل انه قال يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت عن الزهري وقيل ان الذي عنده علم من الكتاب كان رجلا من الانس يعلم اسم الله الاعظم اسمه بلخيا عن مجاهد وقيل اسمه اسطوم عن قتادة وقيل الخضر «ع» عن ابي لهيعة وقيل ان الذي عنده علم من الكتاب هو جبرائيل «ع» أذن الله له في طاعة سليمان (ع) بأن يأتيه بالعرش الذي طلبه وقال الجبائي هو سليمان قال ذلك للعفريت ليريه نعمة الله عليه وهذا قول بعيد لم يؤثر عن اهل التفسير واما الكتاب المعرف في الآية بالالف واللام فقيل انه اللوح المحفوظ وقيل أراد به جنس كتب الله المنزلة على انبيائه وليس المراد به كتابا بعينه والجنس قد يعرف بالالف واللام وقيل ان المراد به كتاب سليمان الى بلقيس (انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) اختلف في معناه فقيل يريد قبل ان يصل اليك من كان منك على قدر مد البصر عن قتادة وقيل معناه قبل ان يبلغ طرفك مداه وغايته ويرجع اليك قال سعيد بن جبير قال لسليمان انظر إلى السماء فما طرف حتى جاء به فوضعه بين يديه والمعنى حتى يرتد اليك طرفك بعد مده إلى السماء وقيل ارتداد الطرف ادامة النظر حتى يرتد طرفه خاسئا عن مجاهد فعلى هذا معناه ان سليمان مد بصره الى اقصاه وهو يديم النظر فقبل ان ينقلب بصره اليه حسيرا يكون قد أتى بالعرش قال الكلبي خر آصف ساجدا ودعا باسم الله الاعظم فغار عرشها تحت الارض حتى نبع عند كرسي سليمان وذكر العلماء في ذلك وجوها احدها ان الملائكة حملته بأمر الله تعالى والثاني ان الريح حملته والثالث ان الله تعالى خلق فيه حركات متوالية والرابع انه انخرق مكانه حيث هو هناك ثم نبع بين يدي سليمان والخامس ان الارض طويت له وهو المروي عن ابي عبد الله «ع» والسادس انه اعدمه الله في موضعه وأعاده في مجلس سليمان وهذا لا يصح على مذهب ابي هاشم

ويصح على مذهب ابي علي الجبائي فإنه يجوز فناء بعض الاجسام دون بعض وفي الكلام حذف كثير لأن التقدير قال سليمان له افعل فسأل الله تعالى في ذلك فحضر العرش فرآه سليمان مستقرا عنده (فلما رآه مستقرا عنده) اي فلما رأى سليمان العرش محمولا اليه موضوعا بين يديه في مقدار رجع البصر (قال هذا من فضل ربي) اي من نعمته علي واحسانه الي لأن تيسير ذلك وتسخيره مع صعوبته وتعذره معجزة له ودلالة على علو قدره وجلالته وشرف منزلته عند الله تعالى (ليبلوني أأشكر أم أكفر) اي ليختبرني هل اقوم بشكر هذه النعمة ام اكفر بها (ومن شكر فإنما يشكر لنفسه) لأن عائدة شكره ومنفعته ترجعان اليه وتخصانه دون غيره وهذا مثل قوله ان احسنتم احسنتم لأنفسكم (ومن كفر فإن ربي غني) عن شكر العباد غير محتاج اليه بل هم المحتاجون اليه لما لهم فيه من الثواب والاجر (كريم) اي متفضل على عباده شاكرهم وكافرهم عاصيهم ومطيعهم لا يمنعه كفرهم وعصيانهم من الافضال عليهم والاحسان اليهم (قال) سليمان (نكروا لها عرشها) اي غيروا سريرها إلى حال تنكرها إذا رأته وأراد بذلك اعتبار عقلها على ما قيل (ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون) أي اتهتدي إلى معرفة عرشها بفطنتها بعد التغيير ام لا تهتدي إلى ذلك عن سعيد بن جبير وقتادة وقيل اتهتدي أي أتستدل بعرشها على قدرة الله وصحة نبوتي وتهتدي بذلك إلى طريق الايمان والتوحيد ام لا عن الجبائي قال ابن عباس فنزع ما كان على العرش من الفصوص والجواهر وقال مجاهد غير ما كان احمر فجعله اخضر وما كان اخضر فجعله احمر وقال عكرمة زيد فيه شيء ونقص منه شيء (فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو) فلم تثبته ولم تنكره ودل ذلك على كمال عقلها حيث لم تقل لا إذ كان يشبه سريرها لأنها وجدت فيه ما تعرفه ولم تقل نعم إذ وجدت فيه ما غير وبدل ولأنها خلفته في بيتها وحمله في تلك المدة إلى ذلك الموضع غير داخل في قدرة البشر قال مقاتل عرفته ولكن شبهوا عليها حين قالوا لها اهكذا عرشك فشبهت حين قالت كأنه هو ولو قيل لها هذا عرشك لقالت نعم قال عكرمة كانت حكيمة قالت ان قلت هو هو خشيت ان اكذب وان قلت لا خشيت ان اكذب فقالت كأنه هو شبهته به فقيل لها فإنه عرشك فما اغنى عنك اغلاق الابواب وكانت قد خلفته وراء سبعة ابواب لما خرجت فقالت (وأوتينا العلم) بصحة نبوة سليمان (من قبلها) اي من قبل الآية في العرش (وكنا مسلمين) طائعين لامر سليمان وقيل إنه من كلام سليمان عن مجاهد ومعناه وأوتينا العلم بالله وقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرة وكنا مخلصين لله بالتوحيد وقيل معناه وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعة قبل مجيئها وقيل انه من كلام قوم سليمان عن الجبائي (وصدها ما كانت تعبد من دون الله) اي منعها عبادة الشمس عن الايمان بالله تعالى بعد رؤية تلك المعجزة عن مجاهد فعلى هذا تكون ما موصولة مرفوعة الموضع بأنها فاعلة صد وقيل معناه وصدها سليمان عما كانت تعبده من دون الله وحال بينها وبينه ومنعها عنه فعلى هذا يكون ما في موضع النصب وقيل معناه منعها الايمان والتوحيد الذي كانت تعبده من دون الله وهو الشمس ثم استأنف فقال (انها كانت من قوم كافرين) اي من قوم يعبدون الشمس قد نشأت فيما بينهم فلم تعرف الا عبادة الشمس (قيل لها ادخلي الصرح) والصرح هو الموضع المنبسط المنكشف من غير سقف وذكر ان سليمان لما اقبلت صاحبة سبأ أمر الشياطين ببناء الصرح وهو كهيئة السطح المنبسط من قوارير اجرى تحته الماء وجمع في الماء الحيتان والضفادع ودواب البحر ثم وضع له فيه سرير فجلس عليه وقيل انه قصر من زجاج كأنه الماء بياضا وقال ابو عبيدة كل بناء من زجاج او صخر او غير ذلك موثق فهو صرح وإنما امر سليمان «ع» بالصرح لأنه أراد أن يختبر عقلها وينظر هل تستدل على معرفة الله تعالى بما ترى من هذه الآية العظيمة وقيل ان الجن والشياطين خافت ان يتزوجها سليمان فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريته بعده لو تزوجها وذلك ان أمها كانت جنية فأساؤا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان في عقلها شيئا وان رجلها كحافر الحمار فلما امتحن

ذلك وجدها على خلاف ما قيل وقيل انه ذكر له ان على رجليها شعرا فلما كشفته بان الشعر فساءه ذلك فاستشار الجن في ذلك فعملوا الحمامات وطبخوا له النورة والزرنيخ وكان اول ما صنعت النورة (فلما رأته) اي رأت بلقيس الصرح (حسبته لجة) وهي معظم الماء (وكشفت عن ساقيها) لدخول الماء وقيل انها لما رأت الصرح قالت ما وجد ابن داود عذاباً يقتلني به إلا الغرق وأنفت ان تجبن فلا تدخل ولم يكن من عادتهم لبس الخفاف فلما كشفت عن ساقيها (قال) لها سليمان (انه صرح ممرد) اي مملس (من قوارير) وليس بماء ولما رأت سرير سليمان والصرح (قالت ربي إني ظلمت نفسي) بالكفر الذي كنت عليه (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) فحسن اسلامها وقيل انها لما جلست دعاها سليمان إلى الإسلام وكانت قد رأت الآيات والمعجزات فأجابته واسلمت وقيل انها لما ظنت ان سليمان يغرقها ثم عرفت حقيقة الامر قالت ظلمت نفسي إذ توهمت على سليمان ما توهمت واختلف في امرها بعد ذلك فقيل انه تزوجها سليمان واقرها على ملكها وقيل إنه زوجها من ملك يقال له تبع وردها إلى ارضها وأمر زوبعة امير الجن باليمن ان يعمل له ويطيع فصنع له المصانع باليمن قال عون بن عبد الله جاء رجل إلى عبد الله بن عتبة فسأله هل تزوجها سليمان قال عهدي بها ان قالت واسلمت مع سليمان لله رب العالمين يعني انه لا يعلم ذلك وان آخر ما سمع من حديثها هذا القول وروى العياشي في تفسيره بالاسناد قال التقي موسى بن محمد بن علي بن موسى(ع) ويحيى بن اكثم نسأله عن مسائل قال فدخلت على اخي علي بن محمد(ع) بعد ان دار بيني وبينه من المواعظ حتى انتهيت إلى طاعته فقلت له جعلت فداك ان ابن اكثم سألني عن مسائل افتيه فيها فضحك ثم قال فهل افتيته فيها قلت لا قال ولم قلت لم اعرفها قال وما هي قلت اخبرني عن سليمان أكان محتاجاً إلى علم آصف بن برخيا ثم ذكر المسائل الأخر قال اكتب يا أخي بسم الله الرحمن الرحيم سألت عن قول الله تعالى في كتابه قال الذي عنده علم من الكتاب فهو آصف بن برخيا ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرفه آصف لكنه «ع» احب ان تعرف أمته من الانس والجن انه الحجة من بعده وذلك من علم سليمان اودعه آصف بأمر الله تعالى ففهمه الله ذلك لئلا يختلف في إمامته ودلالته كما فهم سليمان في حياة داود ليعرف امامته ونبوته من بعده لتأكيد الحجة على الخلق

قوله تعالى (٤٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ (٤٦) قَالَ يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٧) قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ (٤٨) وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٩) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٥٠) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥١) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٢) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٣) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ تسع آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم لتبيتنه بالتاء وضم التاء الثانية ثم لتقولن بالتاء ايضا وضم اللام والباقون لنبيتنه بالنون وفتح التاء ثم لنقولن ايضا بالنون وفتح اللام وقرأ أهل الحجاز وابو عمرو وسهل وابن عامر إنا دمرناهم بكسر

الالف والباقون بفتح الألف وروي عن روح وزيد عن يعقوب بكسر الالف ايضا

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي قوله تقاسموا لايخلو من أن يراد به مثال الماضي اومثال الآتي الذي يراد به الامر فمن أراد به الامر جعل لنبيتنه جوابا لتقاسموا فكأنه قال حلفوا لنبيتنه لأن هذه الالفاظ التي تكون من الفاظ القسم تتلقى بما يتلقى به الأيمان كقوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن واقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت فكذلك تقاسموا بالله لنبيتنه ملقاة باللام والنون الثقيلة وادخل المتكلمون انفسهم مع المقسمين كما دخلوا في قوله قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ومن قال تقاسموا لنبيتنه اراد ليقسم بعضكم لبعض لنبيتنه فتقاسموا على هذا أمر كما كان فيمن قال لنبيتنه أمرا ومن قال تقاسموا لتبيتنه بالتاء فتقاسموا على هذا مثال ماض ولا يجوز مع هذا الا بالتاء لأن مثال الماضي للغيبة ولتبيتنه للخطاب ومن كسر انا دمرناهم جاز أن يكون كان في قوله كيف كان عاقبة مكرهم تامة وان تكون ناقصة فإن جعلتها تامة بمعنى وقع كان قوله كيف كان عاقبة في موضع حال تقديره على أي حال وقع عاقبة مكرهم أي أحسنا وقع عاقبة مكرهم أو سيئا ويكون في كيف ضمير من ذي الحال كما انك إذا قلت في الدار حدث الامر فجعلته في موضع الحال كان كذلك وحكم كيف على ذا ان يكون متعلقا بمحذوف كما انك إذا قلت في الدار وقع زيد فتقديره وقع زيد مستقرا في هذه الحال فإن جعلته ظرفا للفعل تعلق بكان الذي بمعنى الحدث وقوله انا دمرناهم فيمن كسر استئناف وهو تفسير للعاقبة كما ان قوله لهم مغفرة وأجر عظيم تفسير للموعد ومن قرأ أنا دمرناهم جاز ان يكون كان على ضربها وإذا حملته على وقع كان كيف في موضع حال وجاز في قوله انا دمرناهم أمران ﴿ احدهما ﴾ أن يكون بدلا من قوله عاقبة مكرهم وجاز أن يكون محمولا على مبتدأ مضمر كأنه قال هو انا دمرناهم او ذاك انا دمرناهم فإذا حملتها على المقتضية للخبر جاز في قوله انا دمرناهم قولان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون بدلا من اسم كان الذي هو العاقبة فإذا حملته على ذلك كان كيف في موضع خبر كان ﴿ والآخر ﴾ ان يكون خبر كان ويكون موضعه نصبا بأنه خبر كان كأنه كان عاقبة أمرهم تدميرهم ويكون كيف في موضع حال ويجوز ان يكون العامل في كيف احد شيئين إما ان يكون كان لأنه فعل كما كان العامل في الظرف في قوله أكان للناس عجبا أن اوحينا ألا ترى انه لا يجوز ان يتصل قوله للناس بواحد من المصدرين الا ان تجعله صفة لعجب فتقدمه فيصير في موضع حال فالعامل فيه على هذا ايضا كان ويجوز أن يكون العامل فيه ما في الكلام من الدلالة على الفعل لأن قوله انا دمرناهم بمنزلة تدميرنا وتدميرنا يدل على دمرنا فيصير العامل فيه هذا المعنى الذي دل عليه ما في الكلام من معنى الفعل وزعموا ان في حرف ابي ان دمرناهم فهذا يقوي الفتح في انا

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على قصة سليمان قصة صالح فقال (ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم) في النسب (صالحا ان اعبدوا الله) اي ارسلناه بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له (فإذا هم فريقان يختصمون) اي مؤمنون وكافرون يقول كل فريق الحق معي (قال) صالح للفريق المكذب (يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة) اي بالعذاب قبل الرحمة اي لم قلتم ان كان ما أتينا به حقا فأتنا بالعذاب وسمى العذاب سيئة لما فيه من الآلام ولأنه جزاء على السيئة لأن السيئة هي الخصلة التي تسوء صاحبها (لولا) اي هلا (تستغفرون الله) اي تطلبون مغفرته من الشرك بأن تؤمنوا (لعلكم ترحمون) فلا تعذبون في الدنيا (قالوا اطيرنا بك وبمن معك) اي تشأمنا بك وبمن على دينك وذلك انهم قحط المطر عنهم وجاعوا فقالوا اصابنا هذا الشر من شؤمك وشؤم اصحابك (قال) لهم صالح (طائركم عند الله) اي الشؤم أتاكم من عند الله بكفركم وهذا كقوله يطيروا بموسى ومن معه الا انما

طائرهم عند الله (بل انتم قوم تفتنون) اي تختبرون بالخير والشر عن ابن عباس وقيل تعذبون بسوء أعمالكم عن محمد بن كعب وقيل تبتلون وتمتحنون بطاعة الله ومعصيته (وكان في المدينة) يعني التي بها صالح وهي الحجر (تسعة رهط يفسدون في الارض) كانت هذه التسعة النفر من أشرافهم وهم غواة قوم صالح وهم الذين سعوا في عقر الناقة (ولا يصلحون) اي لا يطيعون الله تعالى وذكر ابن عباس أسماءهم وقال هم قدار بن سالف ومصدع ودهمي ودهيم ودعمي ودعيم واسلم وقتال وصدف (قالوا تقاسموا بالله) أي قالوا فيما بينهم احلفوا بالله (لنبيتنه) أي لنقتلن صالحاً (واهله) بياتا ومن قرأ بالنون فكأنهم قالوا اقسموا لنفعلن والأمر بالقسم في القراءتين داخل في الفعل منهم (ثم لنقولن لوليه) أي لذي رحم صالح ان سألنا عنه (ما شهدنا مهلك أهله) أي ما قتلناه وما ندري من قتله وأهلكه وقد ذكرنا اختلاف القراء فيه في سورة الكهف (وإنا لصادقون) في هذا القول قال الزجاج كان هؤلاء النفر تحالفوا ان يبيتوا صالحا واهله ثم ينكروا عند أوليائه ان يكونوا فعلوا ذلك او رأوه وكان هذا مكراً عزموا عليه قال الله تعالى (ومكروا مكراً ومكرنا مكراً) أي جازيناهم جزاء مكرهم بتعجيل عقوبتهم (وهم لا يشعرون) بمكر الله بهم فإنهم دخلوا على صالح ليقتلوه فأنزل الله سبحانه الملائكة فرموا كل واحد منهم بحجر حتى قتلوهم وسلم صالح من مكرهم عن ابن عباس وقيل ان الله أمر صالحا بالخروج من بينهم ثم استأصلهم بالعذاب وقيل نزلوا في سفح جبل ينظر بعضهم بعضا ليأتوا صالحا فخر عليهم الجبل عن مقاتل (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم) أي أهلكناهم بما ذكرناه من العذاب (وقومهم أجمعين) بصيحة جبرائيل (فتلك بيوتهم) أشار إلى بيوتهم والمعنى فانظر اليها (خاوية) نصب على الحال أي فارغة خالية (بما ظلموا) أي بظلمهم وشركهم بالله تعالى (ان في ذلك) أي في اهلاكهم (لآية لقوم يعلمون) اي لعبرة لمن نظر اليها واعتبر بها وفي هذه الآية دلالة على ان الظلم يعقب خراب الدور وروي عن ابن عباس انه قال اجد في كتاب الله ان الظلم يخرب البيوت وتلا هذه الآية وقيل ان هذه البيوت بوادي القرى بين المدينة والشام (وانجينا الذين آمنوا) به (وكانوا يتقون) قالوا انهم أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت وسمي حضرموت لأن صالحا لما دخلها مات

قوله تعالى (٥٤) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ ٱلْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ (٥٥) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ ٱلنِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (٥٦) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٥٧) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ ٱلْغَابِرِينَ (٥٨) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ ٱلْمُنْذَرِينَ (٥٩) قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (ست آيات)

القراءة

قرأ أهل البصرة وعاصم يشركون بالياء والباقون بالتاء على الخطاب وفي الشواذ قراءة الحسن فما كان جواب قومه بالرفع

الحجة

الاولى ان يكون جواب قومه خبر كان والاسم قوله ان قالوا لشبه ان بالمضمر من حيث كانت لا توصف والمضمر اعرف من المظهر وقد تقدم القول في هذا

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصة لوط عاطفاً بها على ما تقدم فقال (ولوطا) أي وارسلنا لوطاً (إذ قال لقومه)منكراً عليهم أفعالهم (أتأتون الفاحشة) يعني الخصلة القبيحة الشنيعة الظاهرة القبح وهي اتيان الذكران في أدبارهم (وأنتم تبصرون) أي تعلمون انها فاحشة وقيل معناه وأنتم يرى بعضكم ذلك من بعض ثم بين سبحانه الفاحشة التي يأتونها فقال (إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء)اللاتي خلقهن الله لكم (بل انتم قوم تجهلون) أي تفعلون افعال الجهال قال ابن عباس تجهلون القيامة وعاقبة العصيان (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون) عن اتيان الرجال في ادبارهم (فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها) أي جعلناها (من الغابرين) أي الباقين في العذاب (وامطرنا عليهم مطراً)وهو الحجارة (فساء مطر المنذرين) الذين ابلغهم لوط النذارة واعلمهم بموضع المخافة ليتقوها فخالفوا ذلك ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (قل) يا محمد (الحمد لله) شكراً على نعمه بأن وفقنا للإيمان وقيل الحمد لله على هلاك الأمم الكافرة (وسلام على عباده الذين اصطفى) اي اصطفاهم الله واجتباهم واختارهم على بريته وهم الأنبياء عن مقاتل وقيل هم اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن ابن عباس والحسن وقيل هم امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعنى السلام عليهم انهم سلموا مما عذب الله به الكفار عن الكلبي وقيل هم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن علي بن ابراهيم ثم قال سبحانه مخاطباً للمشركين (آلله خير أما يشركون) يا أهل مكة يعني الله خير لمن عبده ام الأصنام لعابديها وهذا الزام للحجة على المشركين بعد ذكر هلاك الكفار والمعنى ان الله تعالى نجى من عبده من الهلاك والاصنام لم تغن شيئاً عن عابديها عند نزول العذاب وانما قال ذلك لأنهم توهموا في عبادة الأصنام خيراً

قوله تعالى (٦٠) أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ (٦١) أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٦٢) أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٣) أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٤) أَمَّن يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦٥) قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ست آيات

القراءة

قرأ ابو عمرو وهشام ما يذكرون بالياء والباقون بالتاء والوجه فيهما ظاهر

اللغة

الحديقة البستان الذي عليه حائط وكل ما احاط به البناء فهو حديقة وقيل الحديقة البستان الذي فيه النخل والقرار المكان المطمئن الذي يستقر فيه الماء ويقال للروضة المنخفضة قرارة ومنه حديث ابن عباس قال علمي في

علم علي (ع) كالقرارة في المثعنجر أي كالغدير في البحر والبرهان البيان بحجة

❊ الإعراب ❊

أمن استفهام في محل الرفع على الابتداء وخبره خلق وقرارا نصب على الحال لأن جعل بمعنى خلق وان كان بمعنى صير فهو مفعول ثان له أإله مع الله مبتدأ وخبر تقديره أإله ثبت مع الله وإنما جاز ان تكون النكرة مبتدأ لأنه استفهام ويجوز ان يكون خبر المبتدأ محذوفاً او يكون تقديره أإله في الوجود مع الله قليلا ما تذكرون صفة مصدر محذوف تقديره تذكرون تذكراً قليلا وما مزيدة وبشرا نصب على الحال وبين يدي رحمته ظرف منه ايان في محل نصب لأنه ظرف زمان والعامل فيه يبعثون

❊ المعنى ❊

ثم عدد سبحانه الدلائل على توحيده ونعمه الشاملة لعبيده فقال (أمن خلق السموات والارض) وتقديره اما تشركون خير أم من خلق السموات والارض أي أنشأهما واخترعهما (وانزل لكم من السماء ماء)أي غيثاً ومطراً لكم أي لمنافعكم ولأجل معاشكم عرفهم سبحانه ان غيره لا يقدر على ذلك (فأنبتنا به حدائق) أي رياضاً وبساتين وما لم يكن عليه حائط لا يقال له حديقة (ذات بهجة) اي ذات منظر حسن يبتهج به من رآه ولم يقل ذوات بهجة لأنه أراد تأنيث الجماعة ولو اراد تأنيث الاعيان لقال ذوات وقال الشاعر

وسوف يعقبينه إن ظفرت به ... رب كريم وبيض ذات اطهار

(ما كان لكم ان تنبتوا شجرها) ما هنا للنفي أي لم يكونوا يقدرون على انبات شجرها (أإله مع الله) وهذا استفهام انكار معناه هل معه معبود سواه اعانه على صنعه (بل) ليس معه إله (هم قوم يعدلون) يشركون بالله غيره يعني كفار مكة (أمن جعل الأرض قراراً) أي مستقرة لا تميل ولا تميد بأهلها (وجعل خلالها أنهاراً) اي وجعل وسط الارض وفي مسالكها ونواحيها أنهاراً جارية ينبت بها الزرع ويحيا بها الخلق (وجعل لها رواسي) أي جبالاً ثوابت أثبت بها الارض (وجعل بين البحرين حاجزاً) اي مانعاً من قدرته بين العذب والملح فلا يختلط احدهما بالآخر (أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) توحيد ربهم وكمال قدرته وسلطانه (أمن يجيب المضطر إذا دعاه) اي يجيب المكروب المجهود فيكشف ضره وكربه واجابة دعاء المضطر هي فعل ما يدعو به وهذا لا يكون إلا من قادر على الإجابة مختار لها ورأس المضطرين المذنب الذي يدعوه ويسأله المغفرة ومنهم الخائف الذي يسأله الأمن والمريض الذي يطلب العافية والمحبوس الذي يطلب الخلاص فإن الكل إذا ضاق بهم الأمر فزعوا إلى رب العالمين وأكرم الاكرمين وانما خص المضطر وان كان قد يجيب غير المضطر لأن رغبته أقوى وسؤاله اخضع (ويكشف السوء) أي يدفع الشدة وكل ما يسوء (ويجعلكم خلفاء الارض) يخلف كل قرن منكم القرن الذي قبله فيهلك قرنا وينشئ قرنا وقيل يجعلكم خلفاء من الكفار بنزول بلادهم وطاعة الله تعالى بعد شركهم وعنادهم (أإله مع الله قليلا ما تذكرون) أي قليلا ما تتعظون عن ابن عباس ومن قرأ بالياء فالمعنى قليلا ما يتذكر هؤلاء المشركون (أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر) أي أما تشركون خير أم من يرشدكم إلى القصد والسمت في البر والبحر بما نصب لكم من الدلالات من الكواكب والقمر إذا ضللتم وهو كقوله وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر (ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) قد مضى تفسيره ووجوه القراآت فيه (أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) أي جل وتنزه عن الشريك كما يزعمه المشركون (أمن يبدؤ الخلق) بأن يخترعه ويوجده وينشئه على غير مثال واحتذاء ثم يميته ويفنيه (ثم يعيده) بعد الإفناء وإنما قال ذلك لأنهم أقروا بأنه الخالق فيلزمهم الإقرار بالبعث من حيث

ان من قدر على الإنشاء قدر على الإعادة (ومن يرزقكم من السماء والأرض) بانزال المطر وباخراج الثمار والنبات (أإله مع الله) يقدر على ذلك (قل) لهم يا محمد (هاتوا برهانكم) أي حجتكم (ان كنتم صادقين) ان لي شريكا صنع شيئا من هذه الأشياء فإذا لم يقدروا على اقامة البرهان على ذلك فاعلموا انه لا إله معي ولا يستحق العبادة سواي (قل) يا محمد (لا يعلم من في السموات والأرض) من الملائكة والانس والجن (الغيب) وهو ما غاب علمه عن الخلق مما يكون في المستقبل (إلا الله) وحده او من اعلمه الله تعالى (ومايشعرون ايان يبعثون) أي متى يحشرون يوم القيامة دل سبحانه بهذه الآية كما دل بما تقدمها على قدرته

قوله تعالى . (٦٦) بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ (٦٧) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَءِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٨) لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٦٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٧٠) وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ (٧١) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧٢) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (٧٣) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ (٧٤) وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٥) وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ عشر آيات

القراءة

قرأ اهل البصرة وابو جعفر وابن كثير بل ادرك بقطع الالف وسكون اللام والدال وقرأ الشموني عن ابي بكر بل ادرك موصولة الالف مشددة الدال بلا الف بعدها والباقون بل ادارك وفي الشواذ قراءة سليمان بن يسار وعطاء بن يسار بل درك بفتح اللام ولا همزة ولا الف وقراءة الحسن وابي رجاء وابن محيصن وقتادة بل ءادرك وقراءة ابن عباس بلى بياءادرك وقراءة ابي بل تدارك وقرأ اهل المدينة إذا كنا ترابا بكسر الألف آنا لمخرجون بالاستفهام بهمزة واحدة ممدودة عن ابي جعفر وقالون وغير ممدودة عن ورش واسماعيل وقرأ ابن عامر والكسائي أإذا بهمزتين اننا بنونين وقرأ ابن كثير ويعقوب أإذا أإنا بالاستفهام فيهما جميعاً بهمزة واحدة غير ممدودة وقرأ ابو عمرو ءإذا ءإنا بالاستفهام فيهما جميعاً بهمزة واحدة ممدودة وقرأ عاصم وحمزة وخلف أإذا أإنا بالاستفهام فيهما جميعاً بهمزتين همزتين وقرأ ابن كثير في ضيق بكسر الضاد والباقون بفتحها

الحجة

قال ابو علي ان علم قد يصل بالجار كقوله تعالى ألم يعلم بأن الله يرى وقولهم علمي بزيد يوم الجمعة ومعنى أدرك بلغ ولحق يقال فلان ادرك الحسن اي لحق ايامه وهذا ما ادركه علمي اي بلغه فالمعنى انهم لم يدركوا علم الآخرة اي لم يعلموا حدوثها وكونها ودل على ذلك قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون أي بل هم من علمها عمون وإذا كان كذلك كان معنى قوله في الآخرة معنى الباء اي لم يدركوا علمها ولم ينظروا في حقيقتها فيدركوا ولهذا قرأ من قرأ ادرك كأنه اراد لم يدركوه كما تقول أجئتني امس أي لم تجئني والمعنى لم يدرك علمهم بحدوث الآخرة بل هم في شك منها بل هم من علمها عمون والعمى عن علم الشيء ابعد منه من الشاك فيه لأن الشك قد يعرض عن ضرب من النظر والعمى عن الشيء الذي لم يدرك منه شيئاً واما من قال ادارك فإنه أراد تدارك فأدغم التاء في الدال لمقاربتها لها وكونها من حيزها فلما سكنت التاء للادغام اجتلبت لها همزة

الوصل كما اجتلبتها في نحو ادارأتم وفي التنزيل حتى إذا اداركوا فيها كان معناها تلاحقوا قال «تدارككم الاحلاف قد ثل عرشها » وما روي عن ابي بكر بل ادرك فمعناه افتعل من ادركت وافتعل وتفاعل يجيآن بمعنى ومن ثم صح قولهم ازدوجوا وان كان الحرف على صورة يجب فيها الانقلاب ولكنه صح لما كان بمعنى تفاعلوا وتفاعلوا يلزم فيه تصحيح حروف العلة لسكون الحرف الذي قبل حرف العلة فصار تصحيح هذا كتصحيح عور وحول لما كان بمعنى اعور واحول ومن قرأ بل درك فإنه خفف الهمزة بحذفها والقاء حركتها على اللام الساكنة قبلها نحو قد فلح في قد افلح واما قوله بل ادرك فإن بل استئناف وما بعدها استفهام كما تقول ازيد عندك بل اعمرو عندك تركا للاول إلى غيره واما بلى فكأنه جواب وذلك لأنه لما قال قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب إلا الله فكأن قائلا قال ما الامر كذلك فقيل له بلى ثم استؤنف فقيل أءدرك علمهم في الآخرة وقد سبق ذكر الاستفهامين فيما تقدم وكذلك ذكر الضيق والضيق والاولى ان يحمل على انها لغتان

☀ اللغة ☀

قال ابن الاعرابي ردفت واردفت ولحقت والحقت بمعنى وترادفوا تلاحقوا قال المبرد اللام في ردف لكم زائدة وقيل انه انما اتي باللام لأن معنى ردف دنا فكأنه قال دنا لكم كما قال الشاعر

فقلت له الحاجات يطرحن بالفتى وهم تعناني معنا ركائبه

قال يطرحن بالفتى لما كان معنى يطرحن يرمين وكننت الشيء في نفسي واكننته إذا استرته في نفسك فهو مكن ومكنون قال الرماني الاكنان جعل الشيء بحيث لا يلحقه أذى بمانع يصده عنه

☀ الاعراب ☀

العامل في إذا معنى قوله مخرجون لأن ما بعد ان لا يعمل فيما قبل ان فالتقدير أإذا كنا ترابا أخرجنا وهذا في محل نصب لأنه مفعول ثان لوعد عسى ان يكون ردف لكم يكون اسمه ضمير الامر والشأن وما بعده خبره وان يكون وما يتعلق به في محل رفع بأنه فاعل عسى

☀ المعنى ☀

لما اخبر سبحانه عن الكفار انهم لا يشعرون متى يبعثون وانهم شاكون عقبه بأنهم يعلمون حقيقة ذلك يوم القيامة فقال (بل ادارك علمهم في الآخرة) اي تتابع منهم العلم وتلاحق حتى كمل علمهم في الآخرة بما اخبروا به في الدنيا فهو على لفظ الماضي والمراد به الاستقبال اي يتدارك ومن قرأ ادرك فمعناه سيدرك علمهم هذه الاشياء في الآخرة حين لا ينفعهم اليقين (بل هم في شك منها) في الدنيا عن ابن عباس والمعنى ان ما جهلوه في الدنيا وسقط علمه عنهم علموه في الآخرة وقيل معناه اجتمع علمهم يوم القيامة فلم يشكوا ولم يختلفوا عن السدي وقال مقاتل يقول بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا وعموا عنه في الدنيا وقيل ان هذا على وجه الاستفهام فحذف الالف والمراد به النفي بمعنى انه لم يدرك علمهم بالآخرة ولم يبلغها علمهم وقيل معناه ادرك هذا العلم جميع العقلاء لو تفكروا ونظروا لأن العقل يقتضي ان الاهمال قبيح فلا بد من تكليف والتكليف يقتضي الجزاء وإذا لم يكن ذلك في الدنيا فلا بد من دار للجزاء وقيل ان الآية اخبار عن ثلاث طوائف طائفة اقرت بالبعث وطائفة شكت فيه وطائفة نفته كما قال بل هم في امر مريج وقوله (بل هم منها عمون) اي عن معرفتها وهو جمع عمي وهو الاعمي القلب لتركه التدبر والنظر (وقال الذين كفروا) بإنكارهم البعث (أإذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون) من القبور مبعوثون يقولون ذلك على طريق الاستبعاد والاستنكار (لقد وعدنا هذا) البعث (نحن) فيما مضى (وآباؤنا من قبل) اي ووعد آباؤنا ذلك من قبلنا فلم يكن مما قالوه شيء (ان

هذا إلا أساطير الأولين) اي أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها (قـل) يا محمد (سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) الذين كفروا بالله وعصوه اي كيف أهلكهم الله وخرب ديارهم (ولاتحزن عليهم) اي على تكذيبهم وتركهم الايمان (ولا تكن في ضيق) وهو ما يضيق به الصدر (مما يمكرون)اي يدبرون في أمرك فإن الله تعالى يحفظك وينصرك عليهم (ويقولون متى هذا الوعـد) الـذي تعدنا يا محمد من العذاب (ان كنتم صادقين) بأنه يكون (قل) يا محمد (عسى ان يكون ردف لكم) اي قرب لكم عن ابن عباس وقيل اقرب لكم عن السدي وقيل اردف لكم عن قتادة (بعض الذي تستعجلون) من العذاب وعسى من الله واجب فمعناه انه قرب منكم وسيأتيكم وهذا البعض الذي دنا لهم القتل والأسر يوم بدر وسائر العذاب لهم فيما بعد الموت وقيل هو الانذار عند الموت وشدته وعذاب القبر عن الجبائي (وان ربك لذو فضل على الناس) بضروب النعم الدينية والدنيوية وقيل بإمهالهم ليتوبوا والفضل هو الزيادة من الله تعالى للعبد على مايستحقه بشكره والعدل حق للعبد والفضل فيه واقع من الله تعالى الا انه على ما يصح وتقتضيه الحكمـة (ولكن اكثرهم لايشكرون)نعمه (فإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم) اي تخفيه وتستره (ومايعلنون) اي ويعلم ما يظهرونه ايضا (وما من غائبة) اي من خصلة غائبة (في السماء والارض) يعني جميع ما اخفاه عن خلقه وغيبه عنهم (إلا في كتاب مبين) اي إلا وهو مبين في اللوح المحفوظ وقيل أراد أن جميع افعالهم محفوظة عنده غير منسيـة كما يقول القائل افعالك عندي مكتوبة اي محفوظة عن ابي مسلم والجبائي

قوله تعالى (٧٦) إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٧٧) وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٧٨) إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ (٧٩) فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ (٨٠) إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨١) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي ٱلْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٨٢) وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ (٨٣) وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (٨٤) حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨٥) وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ عشر آيات

القراءة

قرأ ولا يسمع بالياء الصم بالرفع هاهنا وفي الروم ابن كثير وابن عباس والباقون لا تسمع بضم التاء الصم بالنصب وقرأ وما انت تهدي العمي حمزة هاهنا وفي الروم وقرأ الباقون وما انت بهادي العمي وفي الشواذ قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والجحدري وابن ذرعة تكلمهم بفتح التاء والتخفيف وقرأ اهل العراق غير ابي عمرو وسهل ان الناس بفتح الهمزة والباقون بكسرها

الحجة

حجة من قال تسمع انه اشبه بما قبل من قوله انك لا تسمع الموتى ويؤكد ذلك قوله ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ومن قرأ ولا يسمع الصم الدعاء فالمعنى لا ينقادون للحق لعنادهم كما لا يسمع الأصم مايقال له

ومن قرأ تهدي العمي فالتقدير إنك لاتهديهم لشدة عنادهم واعراضهم وانت مرفوع بما على قول اهل الحجاز وتهدي في موضع نصب بأنه خبر وعلى قول تميم يرتفع بفعل مضمر يفسره الظاهر الذي هو تهدي تقديره إذا اظهرت ذلك المضمر ماتهدي تهدي لأنك اذا اظهرت الفعل المضمر اتصل به الضمير ولم ينفصل كما ينفصل إذا لم تظهر ومن قرأ بهادي العمي مضافا في السورتين فاسم الفاعل للحال اوللآتي فإذا كان كذلك كانت الاضافة في نية الانفصال وقوله أن الناس بالفتح فالوجه فيه تكلمهم بأن الناس وزعموا انه في قراءة ابي تنبئهم وعن قتادة انه في بعض الحروف تحدثهم وهذا يدل على ان تكلمهم من الكلام الذى هو النطق وليس هو من الكلم الذى هو الجراحة . و من كسر فقال ان الناس فالمعنى تكلمهم فتقول لهم ان الناس واضمار القول في الكلام كثير وحسن ذلك لأن الكلام قول فكأن القول قد اظهر ومن قرأ تكلمهم فمعناه تجرحهم بأكلها اياهم

❋ المعنى ❋

ثم ذكر سبحانه من الحجج ما يقوي قلب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل) اي يخبرهم بالصدق (اكثر الذي هم فيه يختلفون) من حديث مريم وعيسى والنبي المبشر به في التوراة حيث قال بعضهم هو يوشع وقال بعضهم لا بل هو منتظر لم يأت بعد وغير ذلك من الاحكام وكان ذلك معجزة لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان لا يدرس كتبهم ولا يقرؤها ثم اخبرهم بما فيها (وانه) يعني القرآن (لهدى) اي دلالة على الحق (ورحمة للمؤمنين) اى نعمة لهم (إن ربك يقضي بينهم بحكمه) يريد بين المختلفين في الدين يوم القيامة واشار بذلك إلى شيئين ❋ احدهما ❋ ان الحكم له فلا ينفذ حكم غيره فيوصل إلى كل ذي حق حقه ❋ والآخر ❋ انه وعد المظلوم بالانتصاف من الظالم (وهو العزيز) القادر على ما يشاء لا يمتنع عليه شيء (العليم) بالمحق والمبطل فيجازي كلا بحسب عمله وفي هذه الآية تسلية للمحقين من الذين خولفوا في أمور الدين وان أمرهم يؤل الى أن يحكم بينهم رب العالمين ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (فتوكل على الله) يا محمد (إنك على الحق المبين) اي الواضح البين الظاهر والمحق اولى بالتوكل من المبطل المدغل والمراد بهذا الخطاب سائر المؤمنين وان كان في الظاهر لسيد المرسلين ثم شبه الكفار بالموتى فقال (إنك لا تسمع الموتى) يقول كما لا تسمع الميت الذي ليس له آلة السمع النداء كذلك لا تسمع الكافر النداء لأنه لا يسمع ولا يقبل الموعظة ولا يتدبر فيها (ولا يسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين) إنما قال ذلك لأن الأصم إذا كان قريبا فالإنسان يطمع في اسماعه فإذا اعرض وادبر وتباعد انقطع الطمع في اسماعه فجعل سبحانه المصمم على الجهل كالميت في انه لا يقبل الهدى وكالأصم في انه لا يسمع الدعاء (وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم) في الدين بالآيات الدالة على الهدى إذا اعرضوا عنها كما لا يمكنك ان تهدي الاعمى الى قصد الطريق جعل سبحانه الجهل بمنزلة العمى لأنه يمنع عن ادراك الحق كما يمنع العمى من إدراك المبصرات (ان تسمع إلا من يؤمن بآياتنا) اي ما يسمع إلا من يطلب الحق بالنظر في آياتنا (فهم مسلمون) اي مستسلمون منقادون جعل سبحانه استماعهم وقبولهم الحق سماعا وتركهم للقبول تركا للسماع وقيل مسلمون اي موحدون مخلصون (وإذا وقع القول عليهم) اي وجب العذاب والوعيد عليهم وقيل معناه إذا صاروا بحيث لا يفلح أحد منهم ولا احد بسببهم عن مجاهد وقيل معناه إذا غضب الله عليهم عن قتادة وقيل معناه إذا أنزل العذاب بهم عند اقتراب الساعة فسمي المقول قولا كما يقال جاء الخبر الذي قلت ويراد به المخبر قال ابو سعيد الخدري وابن عمر إذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم وأخذوا ببادئ العقاب منها قوله (أخرجنا لهم دابة من الارض) تخرج بين الصفا والمروة فتخبر المؤمن بأنه مؤمن والكافر بأنه كافر وعند ذلك يرتفع التكليف ولا تقبل التوبة وهو علم من اعلام الساعة وقيل لا يبقى مؤمن إلا مسحته ولا يبقى منافق الا خطمته تخرج ليلة جمع والناس يسيرون إلى منى عن

ابن عمر وروى محمد بن كعب القرظي قال سئل علي صلوات الرحمن عليه عن الدابة فقال أما والله ما لها ذنب وإن لها للحية وفي هذا اشارة إلى انها من الإنس وروي عن ابن عباس انها دابة من دواب الارض لها زغب وريش ولها اربع قوائم وعن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال دابة الارض طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب فتسم المؤمن بين عينيه وتكتب بين عينيه مؤمن وتسم الكافر بين عينيه وتكتب بين عينيه كافر ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم انف الكافر بالخاتم حتى يقال يامؤمن ويا كافر وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: انه يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا باقصى المدينة فيفشو ذكرها في البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة أخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها في البادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم سار الناس يوما في أعظم المساجد على الله عز وجل حرمة واكرمها على الله يعني المسجد الحرام لم ترعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا مابين الركن الاسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فيرفض الناس عنها ويثبت لها عصابة عرفوا انهم لن يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فمرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكوكب الدرية ثم ولت في الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم ويشتركون في الأموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يامؤمن وللكافر يا كافر وروي عن وهب انه قال ووجهها وجه رجل وسائر خلقها خلق الطير ومثل هذا لا يعرف إلا من النبوات الإلهية وقد روي عن علي «ع» انه قال انه صاحب العصا والميسم وروى علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره عن ابي عبدالله «ع» قال قال رجل لعمار بن ياسر يا ابا اليقظان آية في كتاب الله افسدت قلبي قال عمار وأية آية هي فقال هذه الآية فأية دابة الارض هذه قال عمار والله ما اجلس ولا آكل ولا اشرب حتى اريكها فجاء عمار مع الرجل الى أمير المؤمنين «ع» وهو يأكل تمرا وزبدا فقال يا ابا اليقظان هلم فجلس عمار يأكل معه فتعجب الرجل منه فلما قام عمار قال الرجل سبحان الله حلفت انك لا تأكل ولا تشرب حتى ترينيها قال عمار أريتكها ان كنت تعقل وروى العياشي هذه القصة بعينها عن ابي ذر رحمه الله ايضاً وقوله (تكلمهم) اي تكلمهم بما يسوءهم وهو انهم يصيرون الى النار بلسان يفهمونه وقيل تحدثهم بأن هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تكلمهم بأن تقول لهم (إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) وهو الظاهر وقيل بآياتنا معناها بكلامها وخروجها (ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) اي يدفعون عن ابن عباس وقيل يحبس أولهم على آخرهم واستدل بهذه الآية على صحة الرجعة من ذهب إلى ذلك من الإمامية بأن قال ان دخول من في الكلام يوجب التبعيض فدل ذلك على ان اليوم المشار اليه في الآية يحشر فيه قوم دون قوم وليس ذلك صفة يوم القيامة الذي يقول فيه سبحانه وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وقد تظاهرت الاخبار عن أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ان الله تعالى سيعيد عند قيام المهدي قوماً ممن تقدم موتهم من أوليائه وشيعته ليفوزوا بثواب نصرته ومعونته ويبتهجوا بظهور دولته ويعيد ايضا قوما من اعدائه لينتقم منهم وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب في القتل على ايدي شيعته والذل والخزي بما يشاهدون من علو كلمته ولا يشك عاقل ان هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه وقد فعل الله ذلك في الأمم الخالية ونطق القرآن بذلك في عدة مواضع مثل قصة عزير وغيره على ما فسرناه في موضعه وصح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله سيكون في أمتي كل ما كان في بني اسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو ان احدهم دخل جحر ضب لدخلتموه على ان جماعة من الإمامية تأولوا ما ورد من الاخبار في الرجعة على رجوع الدولة والامر والنهي دون رجوع الاشخاص واحياء الاموات وأولوا الاخبار الواردة في ذلك لما ظنوا ان الرجعة تنافي التكليف وليس

كذلك لأنه ليس فيها ما يلجئ إلى فعل الواجب والامتناع من القبيح والتكليف يصح معها كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة كفلق البحر وقلب العصا ثعبانا وما أشبه ذلك ولأن الرجعة لم تثبت بظواهر الاخبار المنقولة فيتطرق التأويل عليها وانما المعول في ذلك على اجماع الشيعة الإمامية وإن كانت الأخبار تعضده وتؤيده ومن قال ان قوله ويوم يحشر من كل أمة فوجا المراد به يوم القيامة قال المراد بالفوج الجماعة من الرؤساء والمتبوعين في الكفر حشروا وجمعوا لإقامة الحجة عليهم (حتى إذا جاؤوا) إلى موقف الحساب (قال) الله تعالى لهم (أكذبتم بآياتي) اي كذبتم بأنبيائي ودلالاتي الدالة على ديني (ولم تحيطوا بها علما) أي لم تطلبوا معرفتها ولم تبينوا ما اوجب الله عليكم فيها (أماذا كنتم تعملون) حين لم تبحثوا عنها ولم تتفكروا في صحتها يقول ذلك تبكيتا لهم وتجهيلا أي هذا كان الواجب عليكم فتركتموها ولم تعرفوها حق معرفتها فبماذا اشتغلتم ومن قال بالأول قال المراد بالآيات الأئمة الطاهرون «ع» (ووقع القول عليهم) أى وجب العذاب عليهم (بما ظلموا) أي بظلمهم إذ صاروا بحيث لا يفلح احد منهم ولا احد بسببهم (فهم لا ينطقون) إذ ذاك بكلام ينتفعون به ويجوز ان يكون المراد انهم لا ينطقون اصلا لعظم ما يشاهدونه وهول ما يرونه

(٨٦) قوله تعالى أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٨٧) وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (٨٨) وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (٨٩) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ (٩٠) وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩١) إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٢) وَأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ (٩٣) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (ثماني آيات)

القراءة

قرأ حمزة وحفص وخلف اتوه مقصورة الألف غير ممدودة بفتح التاء وقرأ الباقون أتوه بضم الالف وضم التاء وقرأ اهل البصرة غير سهل وابن كثير وحماد والاعشي والبرجمي عن ابي بكر بما يفعلون بالياء والباقون بالتاء وقرأ اهل الكوفة من فزع منونا يومئذ بفتح الميم وقرأ اهل المدينة غير اسماعيل من فزع بغير تنوين يومئذ بفتح الميم وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ونافع برواية اسماعيل ويعقوب من فزع بغير تنوين يومئذ بكسر الميم وقرأ اهل المدينة وابن عامر وحفص ويعقوب عما تعملون بالتاء والباقون بالياء

الحجة

قال ابو علي من قرأ اتوه كان فعلوا من الاتيان ومن قرأ أتوه فهو فاعلوه وكلاهما محمول على معنى كل ولو حمله على اللفظ جاز كما في قوله وكلهم آتيه وان كل من في السموات والارض إلا آتي الرحمن عبدا وحجة من قال يفعلون بالياء ان ذكر الغيبة قد تقدم في قوله و كل اتوه وحجة التاء انه خطاب للكافة وقد تدخل الغيبة في

الخطاب ولا يدخل الخطاب في الغيبة وقوله من فزع يومئذ من نوّن كان في انتصاب يوم ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ ان يكون منتصباً بالمصدر كأنه قال وهم من ان يفزعوا يومئذ آمنون ﴿ والآخر ﴾ ان يكون اليوم صفة لفزع لأن اسماء الاحداث توصف بأسماء الزمان كما يخبر عنها بها وفيه ذكر الموصوف وتقديره في هذا الوجه ان يتعلق بمحذوف كأنه من فزع يحدث يومئذ ﴿ والثالث ﴾ ان يتعلق باسم الفاعل كأنه آمنون من فزع يومئذ ويجوز اذا نون الفزع ان يعني به فزعاً واحداً ويجوز ان يعني به كثرة لأنه مصدر والمصادر تدل على الكثرة وإن كانت مفردة الألفاظ كقوله تعالى ان انكر الأصوات لصوت الحمير وكذلك إذا اضاف فقال من فزع يومئذ ويومئذ ويجوز ان يعني به مفردا ويجوز ان يعني به كثرة فأما القول في اعراب يوم وبنائه إذا اضيف إلى إذ فقد ذكر فيما تقدم وحجة من قرأ يعملون بالياء انه وعيد للمشركين وحجة التاء انه على معنى قل لهم ذلك

﴿ الإعراب ﴾

وصف النهار بأنه مبصر فيه وجهان ﴿ أحدهما ﴾ ان معناه ذو ابصار كقوله عيشة راضية أي ذات رضى وكقول النابغة «كليني لهمّ يا اميمة ناصب» اي ذي نصب ﴿ والثاني ﴾ انه يريك الأشياء كما يراها من يبصرها بالنور الذى تجلى عندها وفيه قول ثالث انه مثل قول جرير

لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى . ونمت وما ليل المطي بنائم

اي بالذي ينام فيه فيكون مبصراً بمعنى ما يبصر فيه

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه قدرته على الإعادة والبعث بما احتج به على الكفار فقال (ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه) عن التعب والحركات (والنهار مبصراً) أي يبصر فيه ويمكن التصرف فيه لضيائه ويدرك بنوره جميع الاشخاص كما يدرك بنور البصر (إن في ذلك لآيات) أى دلالات (لقوم يؤمنون) لأن جعل الشيء لما يصلح له من الانتفاع إنما يكون بالاختيار ولا يكون بالطباع (ويوم ينفخ في الصور) منصوب بتقدير واذكر يوم ينفخ اسرافيل بأمر الله تعالى في الصور وذلك اليوم الذي يقع عليهم القول بما ظلموا ويجوز أن يكون على حذف في الكلام والتقدير ويوم ينفخ في الصور وتكون النشأة الثانية واختلف في معنى الصور فقيل هو صور الخلق جمع صورة عن الحسن وقتادة ويكون معناه يوم ينفخ الروح في الصور فيبعثون وقيل هو قرن ينفخ فيه شبه البوق عن مجاهد وقد ورد ذلك في الحديث (ففزع من في السموات ومن في الارض) أي ماتوا لشدة الخوف والفزع يدل عليه قوله في موضع آخر فصعق من في السموات الآية وقيل هي ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين (إلا من شاء الله) من الملائكة الذين يثبت الله قلوبهم وهم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وقيل يعني الشهداء فإنهم لا يفزعون في ذلك اليوم وروي ذلك في خبر مرفوع (وكلّ) من الاحياء الذين ماتوا ثم احيوا (اتوه) أي يأتونه في المحشر (داخرين) أي أذلاء صاغرين عن ابن عباس وقتادة (وترى الجبال تحسبها جامدة) أي واقفة مكانها لا تسير ولا تتحرك في مرأى العين (وهي تمر مر السحاب) اي تسير سيراً حثيثاً مثل سير السحاب عن ابن عباس وفي مثل هذا المعنى قول النابغة الجعدي يصف جيشاً

بأرعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والركاب تهملج

اي تحسب انهم وقوف من اجل كثرتهم والتفافهم فكذلك المعنى في الجبال انك لا ترى سيرها لبعد اطرافها كما لا ترى سير السحاب إذا انبسط لبعد اطرافه وذلك إذا ازيلت الجبال عن اماكنها للتلاشي كما في قوله وتكون

الجبال كالعهن المنفوش (صنع الله) اي صنع الله ذلك صنعاً وانتصب بما دل عليه ما تقدمه من قوله وهي تمر مر السحاب وذكر اسم الله لأنه لم يأت ذكره فيما قبل وإنما دل عليه (الذي اتقن كل شيء) اي خلق كل شيء على وجه الاتقان والاحكام والاتساق قال قتادة أي أحسن كل شيء خلقه وقيل الاتقان حسن في ايثاق (انه خبير بما تفعلون) اي عليم بما يفعل اعداؤه من المعصية وبما يفعل اولياؤه من الطاعة ثم بين سبحانه كيفية الجزاء على افعال الفريقين فقال (من جاء بالحسنة) أي بكلمة التوحيد والاخلاص عن قتادة وقيل بالايمان عن النخعي وكان يحلف ولا يستثني ان الحسنة لا إله إلا الله والمعنى من وافي يوم القيامة بالايمان (فله خير منها) قال ابن عباس اي فمنها يصل الخير اليه والمعنى فله من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والأمان من العقاب فخير هاهنا اسم وليس بالذي هو بمعنى الأفضل وهو المروي عن الحسن وعكرمة وابن جريج قال عكرمة فأما ان تكون خيرا من الايمان فلا فليس شيء خيرا من لا إله إلا الله وقيل معناه فله افضل منها في معظم النفع لأنه يعطي بالحسنة عشرا عن زيد بن أسلم ومحمد بن كعب وابن زيد وقيل لأن الثواب فعل الله تعالى والطاعة فعل العبد وقيل هو رضوان الله ورضوان من الله اكبر (وهم من فزع يومئذ آمنون) قال الكلبي إذا اطبقت النار على اهلها فزعوا فزعة لم يفزعوا مثلها واهل الجنة آمنون من ذلك الفزع (ومن جاء بالسيئة) اي بالمعصية الكثيرة التي هي الكفر والشرك عن ابن عباس واكثر المفسرين (فكبت وجوههم في النار) أي القوا في النار منكوسين (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) يعني ان هذا جزاء فعلكم وليس بظلم حدثنا السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قال حدثنا الحاكم ابو القاسم عبدالله بن عبد الله الحسكاني قال اخبرنا محمد بن عبدالله بن احمد قال اخبرنا محمد بن احمد بن محمد قال حدثنا عبدالعزيز بن يحيى بن احمد قال حدثني محمد بن عبد الرحمن بن الفضل قال حدثني جعفر ابن الحسين قال حدثني محمد بن زيد بن علي (ع) عن ابيه قال سمعت ابا جعفر (ع) يقول دخل ابو عبد الله الجدلي على أمير المؤمنين (ع) فقال له يا ابا عبد الله الا اخبرك بقول الله تعالى من جاء بالحسنة إلى قوله تعملون قال بلى جعلت فداك قال الحسنة حبنا أهل البيت والسيئة بغضنا وحدثنا السيد ابو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القاسم قال اخبرنا ابو عثمان سعيد بن محمد الحميري قال حدثنا جدي احمد بن اسحاق الحميري قال حدثنا جعفر بن سهل قال حدثنا ابو زرعة عثمان بن عبد الله القرشي قال حدثنا ابن لهيعة عن ابن الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا علي لو أن أمتي صاموا حتى صاروا كالاوتاد وصلوا حتى صاروا كالحنايا ثم ابغضوك لأكبهم الله على مناخرهم في النار ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم قل لهم (إنما أمرت ان اعبد رب هذه البلدة) يعني مكة عن ابن عباس وقال ابو العالية هي منى (الذي حرمها) اي جعلها حرماً آمناً يحرم فيها مايحل في غيرها لا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها ولا يقتص فيها (وله كل شيء) اي وهو مالك كل شيء مما احله وحرمه فيحرم ما شاء ويحل ما شاء (وأمرت ان أكون من المسلمين) اي من المخلصين لله بالتوحيد (وان اتلوا القرآن) عليكم يا اهل مكة وأدعوكم إلى ما فيه (فمن اهتدى) إلى الحق والعمل بما فيه (فإنما يهتدي لنفسه) لأن ثواب ذلك وجزاءه يصل اليه دون غيره (ومن ضل) عنه وحاد ولم يعمل بما فيه ولم يهتد إلى الحق (فقل) له يا محمد (انما انا من المنذرين) الذين يخوفون بعقاب الله من معاصيه ويدعون إلى طاعته ولا اقدر على اكراههم على الايمان والدين (وقل الحمد لله) اعترافاً بنعمته إذا اختارني لرسالته (سيريكم آياته) يوم القيامة (فتعرفونها) وتعرفون انها على ما اخبرتم بها في الدنيا عن الحسن وقيل معنى آياته هي العذاب في الدنيا والقتل ببدر فتعرفونها اي تشاهدونها ورأوا ذلك ثم عجلهم الله إلى النار عن مقاتل (وما ربك بغافل عما تعملون) بل هو عالم بجميع ذلك فيجازيكم عليها وإنما يؤخر عقابكم إلى وقت تقتضيه الحكمة

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله إنما امرت ان اعبد رب هذه البلدة بما قبله انه سبحانه لما بين ان الأمن من اهوال القيامة للمؤمن المحسن فكأن قائلا قال وما الحسنة وكيف العبادة فقال انما امرت

سورة القصص (مكية)

﴿ عدد آيها ﴾

وهي ثمان وثمانون آية

﴿ اختلافها ﴾

آيتان طسم كوفي يسقون غير الكوفي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأ طسم القصص اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بموسى وكذب به ولم يبق ملك في السموات والأرض إلا شهد له يوم القيامة انه كان صادقاً ان كل شيء هالك إلا وجهه

﴿ تفسيرها ﴾

لما امر سبحانه في خاتمة تلك السورة بتلاوة القرآن بين في هذه السورة ان القرآن من طسم وانه يتلو عليهم من نبأ موسى وفرعون فقال

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) طسٓمٓ (٢) تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ (٣) نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٤) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ (٥) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَارِثِينَ (٦) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (ست آيات كوفي وخمسة في غيرهم)

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير عاصم ويرى فرعون بالياء وما بعده بالرفع وقرأ الباقون ونري بالنون وضمه وكسر الراء ونصب الياء وما بعده بالنصب

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من قرأ بالنون ان ما قبله للمتكلم فينبغي ان يكون ما بعده ايضاً كذلك ليكون الكلام من وجه واحد وحجة من قرأ بالياء ان فرعون وجنوده يرون ذلك والمعلوم انهم يرونه إذا رأوه وهو قراءة الاعمش

﴿ اللغة ﴾

النبأ الخبر عما هو عظيم الشأن والشيع الفرق وكل فرقة شيعة وسموا بذلك لأن بعضهم يتابع بعضاً والعرب تقول شاعكم السلام اي تبعكم وشيعه اتبعه والتمكين تكميل ما يتم به الفعل

﴿ الاعراب ﴾

قوله بالحق في موضع نصب على الحال ويجوز ان يكون صفة مصدر محذوف تقديره تلاوة كائنة بالحق ويجوز ان يكون الحق صفة محذوف تقديره بالأمر الحق والجار والمجرور يتعلق بنتلو ويستضعف في موضع نصب على الحال ويذبح حال بعد حال ويجوز ان يكون حالاً عن الحال

﴿ المعنى ﴾

(طسم تلك آيات الكتاب المبين) أي المبين الرشد من الغي عن قتادة وقيل هو البين الظاهر والآية مفسرة فيما مضى (نتلو عليك) يا محمد (من نبأ موسى وفرعون) أي طرفاً من اخبارهما (بالحق)اي بالصدق والحقيقة لا ريب فيه (لقوم يؤمنون) اي يصدقون بالله وبما انزله اليك (ان فرعون علا في الارض) أي بغى وتجبر وتعظم واستكبر في ارض مصر يقال علا علوا إذا تجبر ومنه قوله لا يريدون علواً في الارض (وجعل اهلها شيعاً) أي فرقاً قال قتادة فرق بين بني اسرائيل والقبط والمعنى يكرم قوماً ويذل آخرين بالاستعباد والاستعمال في الاعمال الشاقة وقيل معناه جعل بني اسرائيل اصنافاً في الخدمة والتسخير (يستضعف طائفة منهم) يعني من بني اسرائيل ثم فسر ذلك فقال (يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم) بقتل الابناء ويستبقي البنات فلا يقتلن وذلك ان بعض الكهنة قال له ان مولوداً يولد في بني اسرائيل يكون سبب ذهاب ملكك وقال السدي رأى فرعون في منامه ان ناراً اقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط وتركت بني اسرائيل فسأل علماء قومه فقالوا له يخرج من هذا البلد رجل يكون هلاك مصر على يده (انه كان من المفسدين) بالقتل والعمل بالمعاصي (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض) المعنى ان فرعون كان يريد اهلاك بني اسرائيل وافناءهم ونحن نريد ان نمن عليهم (ونجعلهم أئمة) اي قادة ورؤساء في الخير يقتدى بهم عن ابن عباس وقيل نجعلهم ولاة وملوكا عن قتادة وهذا القول مثل الاول لأن الذين جعلهم الله ملوكا فهم أئمة ولا يضاف إلى الله سبحانه ملك من يملك الناس عدواناً وظلما وقد قال سبحانه فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيماً والملك من الله تعالى هو الذي يجب ان يطاع فالأئمة على هذا ملوك مقدمون في الدين والدنيا يطأ الناس اعقابهم (ونجعلهم الوارثين) لديار فرعون وقومه واموالهم وقد صحت الرواية عن امير المؤمنين «ع» انه قال والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها وتلا عقيب ذلك ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الآية وروى العياشي بالاسناد عن ابي الصباح الكناني قال نظر ابو جعفر «ع» إلى ابي عبد الله «ع» فقال هذا والله من الذين قال الله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض الآية وقال سيد العابدين علي بن الحسين «ع» والذي بعث محمدا بالحق بشيراً ونذيراً ان الابرار منا أهل البيت وشيعتهم بمنزلة موسى وشيعته وان عدونا واشياعهم بمنزلة فرعون وأشياعه (ونمكن لهم في الارض) أي ونريد ان نمكن لبني اسرائيل في أرض مصر والتمكين هو فعل جميع ما لا يصح الفعل إلا معه مع القدرة والآلة واللطف وغير ذلك وقال علي بن عيسى اللطف لا يدخل في التمكين لأنه لو دخل فيه لكان من لا لطف له لم يكن ممكنا ولكنه من باب ازاحة العلة (ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم) أي من بني اسرائيل (ما كانوا يحذرون) من ذهاب الملك على يد رجل منهم قال الضحاك عاش فرعون اربعمائة سنة وكان قصيراً دميما وهو أول من خضب بالسواد وعاش موسى «ع» مائة وعشرين سنة

قوله تعالى (٧) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٨) فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (٩) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٠) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

أربع آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم وحزنا بضم الحاء وسكون الزاي والباقون حزنا بفتحها وفي الشواذ قراءة الحسن وفضالة بن عبد الله فؤاد ام موسى فزعا وقراءة ابن عباس قرعا بالقاف والراء وحكى قطرب عن بعضهم فرغا

الحجة

الحزن والحزن لغتان مثل البخل والبخل والعرب والعرب والعجم والعجم واما قوله فزعاً بالفاء والزاي فمعناه قلقاً يكاد يخرج من غلافه واما قرعاً فمعناه يرجع إلى معنى قارع لأن رأس الاقرع يكون خالياً من الشعر واما فرغا فمعناه هدراً وباطلا قال

فإن يك اذواد أصبن ونسوة   فلن يذهبوا فرغا بقتل حبال

وقوله فارغاً معناه خالياً من الحزن لعلمها انه لا يغرق

الاعراب

مفعول خفت محذوف تقديره خفت عليه احداً قرة عين لي ولك خبر مبتدأ محذوف أي هو قرة عين قال الزجاج ويجوز على بعد ان يكون قرة عين مبتدأ ويكون خبره لا تقتلوه وهم لا يشعرون في موضع نصب على الحال والعامل فيه ما يدل على هذه القصة وتقديره قالوا ما قالوه غير شاعرين

المعنى

ثم بين سبحانه كيف دبر في اهلاك فرعون وقومه منبها بذلك على كمال قدرته وحكمته فقال (واوحينا إلى ام موسى) اي ألهمناها وقذفنا في قلبها وليس بوحي نبوة عن قتادة وغيره وقيل اتاها جبرائيل «ع» بذلك عن مقاتل وقيل كان هذا الوحي رؤيا منام عبر عنها من يثق به من علماء بني اسرائيل عن الجبائي (أن أرضعيه) ما لم تخافي عليه الطلب (فإذا خفت عليه) في القتل الذي امر به فرعون في ابناء بني اسرائيل (فألقيه في اليم) أي في البحر وهو النيل (ولا تخافي) عليه الضيعة (ولا تحزني) من فراقه (إنا رادوه اليك) سالماً عن قريب (وجاعلوه من المرسلين) والانبياء وفي هذه الآية امران ونهيان وخبران وبشارتان وحكي ان بعضهم سمع بدوية تنشد ابياتا فقال لها ما افصحك فقالت الفصاحة لله تعالى وذكرت هذه الآية وما فيها قال وهب بن منبه لما حملت ام موسى بموسى كتمت امرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها احد من خلق الله وذلك شيء ستره الله تعالى لما أراد ان يمن به على بني اسرائيل فلما كانت السنة التي يولد فيها موسى بعث فرعون القوابل وتقدم اليهن ان يفتشن النساء تفتيشا لم يفتشنه قبل ذلك وحملت ام موسى بموسى فلم ينت بطنها ولم يتغير لونها ولم يظهر

ابنها فكانت القوابل لا يعرضن لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها موسى ولدته امه ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها احد إلا اخته مريم فأوحى الله تعالى اليها أن ارضعيه الآية قال فكتمته أمه ثلاثة اشهر ترضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك فلما خافت عليه عملت له تابوتا مطبقا ومهدت له فيه ثم القته في البحر ليلا كما امرها الله تعالى قال ابن عباس لما قربت ولادة ام موسى وكانت قابلة من النساء اللاتي وكلهن فرعون بحبالى بني اسرائيل مصافية لأم موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها فجاءت فعالجتها فلما ولد موسى رأت نورا بين عينيه فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى في قلبها ثم قالت يا هذه ما جئت اليك إلا ومن ورائي قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شيء مثل حبه فاحفظي ابنك فإني أراه هو عدونا فلما خرجت من عندها القابلة بصرتها العيون فجاؤوا ليدخلوا على ام موسى فقالت اخته ياأماه هذا الحرس بالباب فلفت موسى في خرقة فوضعته في تنور مسجور فدخلوا فإذا التنور مسجور ورأوا ام موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فخرجوا من عندها وانطلقت إلى الصبي وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما قال ثم لما رأت الحاح فرعون في الطلب خافت على ابنها فانطلقت إلى نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا فقال النجار ما تصنعين بهذا التابوت قالت ان لي ابنا اخبأه في التابوت وكرهت الكذب فلما اشترت التابوت وحملته انطلق النجار إلى الذباحين ليخبرهم بأمر ام موسى فلم يطق الكلام فرجع واخذ في النجر فانطلق لسانه فرجع ثانيا فلما انتهى اليهم اعتقل لسانه هكذا ثلاث مرات فعلم ان ذلك امر إلهي (فالتقطه آل فرعون) اي اصابوه واخذوه من غير طلب (ليكون لهم عدوا وحزنا) اي ليكون لهم في عاقبة امره كذلك لا انهم اخذوه لهذا كما يقال لمن كسب مالا فأداه ذلك إلى الحتف والهلاك انما كسب فلان لحتفه وهو لم يطلب المال للحتف (ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) اي عاصين ربهم في افعالهم وكانت القصة في ذلك ان النيل جاء بالتابوت إلى موضع فيه فرعون وامرأته على شط النيل فأمر فرعون فأتي به وفتحت آسية بنت مزاحم بابه فلما نظرت اليه القى الله في قلبها محبة موسى وكانت آسية بنت مزاحم امرأة من بني اسرائيل استنكحها فرعون وهي من خيار النساء ومن بنات الأنبياء وكانت أما للمؤمنين ترحمهم وتتصدق عليهم ويدخلون عليها فلما نظر فرعون إلى موسى غاظه ذلك وقال كيف اخطأ هذا الغلام الذبح قالت آسية وهي قاعدة إلى جنبه هذا الوليد اكبر من ابن سنة وانك امرت ان يذبح الولدان لهذه السنة فدعه يكن قرة عين لي ولك وذلك قوله تعالى (وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولداً) وانما قالت ذلك لأنه لم يكن له ولد فأطمعته في الولد قال ابن عباس ان اصحاب فرعون لما علموا بموسى جاؤوا ليقتلوه فمنعتهم وقالت لفرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه قال فرعون قرة عين لك واما لي فلا قال رسول الله ﷺ والذي يحلف به لو أقر فرعون بأن يكون له قرة عين كما اقرت امرأته لهداه الله به كما هداها ولكنه ابى للشقاء الذي كتبه الله عليه (وهم لا يشعرون) أي لا يشعرون ان هلاكهم على يديه وقيل لا يشعرون ان هذا هو المطلوب الذي يطلبونه (وأصبح فؤاد أم موسى فارغا) أي خاليا من كل شيء إلا من ذكر موسى اي صار فارغا له عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل فارغا من الحزن لعلمها ان ابنها ناج سكونا إلى ما وعدها الله تعالى به وقيل فارغا من الوحي الذي اوحي اليها بنسيانها فإنها نسيت ما وعدها الله تعالى به عن الحسن وابن زيد (ان كادت لتبدي به) معناه انها

كادت تبدي بذكر موسى فتقول يا ابناه من شدة الغم والوجد عن ابن عباس وقتادة والسدي. وقيل معناه كادت تصيح على ابنها شفقة عليه من الغرق عن مقاتل وقيل معناه همت بأن تقول انها امه لما رأته عند دعاء فرعون اياها للارضاع لشدة سرورها به عن جعفر بن حرب وقيل معناه انها كادت تبدي بالوحي (لولا ان ربطنا على قلبها) بالصبر واليقين والربط على القلب الهام الصبر وتقويته عن الزجاج وقيل معناه لولا ان قوينا قلبها بالعصمة والوحي وجواب لولا محذوف والتقدير لولا ان ربطنا على قلبها لأظهرته (لتكون من المؤمنين) أي فعلنا ذلك لتكون جملة من المصدقين بوعدنا الواثقين بوحينا وقولنا انا رادوه اليك

قوله تعالى (١١) وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢) وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (١٣) فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٤) وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٥) وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ خمس آيات

اللغة

القص اتباع الاثر ومنه القصص في الحديث لأنه يتبع فيه الثاني الاول والقصاص اتباع الجاني في الأخذ بمثل جنايته في النفس فبصر به رآه فبصر لا يتعدى إلا بحرف الجر ورأى يتعدى بنفسه ومعنى بصرت به عن جنب أبصرته عن جنابة أي عن بعد قال الاعشى

اتيت حريثا زائرا عن جنابة ... وكان حريث عن عطائي جامدا

وقيل جنب صفة وقعت موقع الموصوف أي عن مكان جنب والمراضع جمع مرضعة والنصح اخلاص العمل من شائب الفساد وهو نقيض الغش والوكز الدفع وقيل هو بجمع الكف ومثله اللكز واللهز

الاعراب

عن جنب الجار والمجرور في موضع نصب على الحال وتقديره فبصرت به بعيدة وان جعلت جنبا صفة على تقدير من مكان جنب فهو في موضع نصب بأنه ظرف مكان. هذا من شيعته وهذا من عدوه جملتان في محل النصب لأنها صفة رجلين صفة بعد صفة

المعنى

ثم ذكر سبحانه لطف صنعه في تسخيره لفرعون حتى تولى تربية موسى فقال (وقالت) يعني ام موسى (لاخته) يعني اخت موسى واسمها كلثمة عن الضحاك (قصيه) اي اتبعي اثره وتعرفي خبره (فبصرت به عن جنب) في الكلام حذف واقتصار تقديره فذهبت أخت موسى فوجدت آل فرعون قد اخرجوا التابوت واخرجوا موسى فبصرت به وهذا من الايجاز الدال على الاعجاز باللفظ القليل المعنى على المعنى الكثير

أي فرأت اخاها موسى عن جنب اي عن بعد عن مجاهد وقيل عن جانب تنظر اليه كأنها لا تريده عن قتادة وتقديره عن مكان جنب (وهم لا يشعرون) اي وآل فرعون لا يشعرون انها اخته عن قتادة وقيل معناه وهم لا يشعرون انها جاءت متعرفة عن خبره ويمكن ان يكون سبحانه كرر هذا القول تنبيها على ان فرعون لو كان إلهاً لكان يشعر بهذه الأمور (وحرمنا عليه المراضع) المعنى انه لا يؤتى بمرضع فيقبلها وتأويله منعناهن منه وبغضناهن اليه عن ابن عباس وقيل هو جمع مرضع بمعنى الرضاع اي منعناه من الرضاع فهذا تحريم منع لا ان هناك نهيا عن الفعل ومثله قول امرئ القيس

جالت لتصرعني فقلت لها اقصري اني امرؤ صرعي عليك حرام

أي صرعي ممتنع عليك فإني فارس امنعك من ذلك ويقال فلان حرم على نفسه كذا اي امتنع منه كما يمتنع بالنهي (من قبل) اي من قبل مجيء اخته وقيل من قبل رده على امه (فقالت هل ادلكم على أهل بيت يكفلونه لكم) وهذا يدل على ان الله تعالى القى محبته في قلب فرعون فلشدة محبته وغاية شفقته عليه طلب له المراضع وكان موسى لا يقبل ثدي واحدة منهن بعد ان اتته مرضع بعد مرضع فلما رأت اخته وجدهم به وحبهم له ورقتهم عليه قالت لهم هل أدلكم على اهل بيت يقبلون هذا الولد ويبذلون النصح في امره ويحسنون تربيته ويضمنون لكم القيام بأمره (وهم له ناصحون) يشفقون عليه وينصحونهُ وقيل انهُ لما قالت اختهُ ذلك قال هامان ان هذه المرأة تعرف ان هذا الولد من أي اهل بيت هو فقالت هي انما عنيت انهم ناصحون للملك فأمسكوا عنها (فرددناه إلى أمهِ كي تقر عينها ولا تحزن) يعني عين امه وانطلقت اخت موسى إلى امها فجاءت بها اليهم فلما وجد موسى ريح امهِ قبل ثديها وسكن بكاؤه وقيل ان فرعون قال لأمهِ كيف ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك فقالت لأني امرأة طيبة الريح طيبة اللبن لا أكاد اوتى بصبي إلا ارتضع مني فسر فرعون بذلك (ولتعلم ان وعد الله حق) اراد بهِ ما وعدها الله به في الآية المتقدمة بقوله إنا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين (ولكن اكثرهم لا يعلمون) تحقيق ذلك الوعد كما علمت (ولما بلغ اشده اي ثلاثا وثلاثين سنة (واستوى) اي بلغ اربعين سنة عن مجاهد وقتادة وابن عباس (آتيناه حكما وعلما) اي فقها وعلما وعقلا بدينهِ ودين آبائهِ فعلم موسى وحكم قبل ان يبعث نبيا وقيل نبوة وعلما عن السدي (وكذلك نجزي المحسنين) وهذه الآية مفسرة في سورة يوسف (ودخل المدينة) يريد مصر وقيل مدينة منف من ارض مصر وقيل على فرسخين من ارض مصر (على حين غفلة من اهلها) أراد به نصف النهار والناس قائلون عن سعيد بن جبير وقيل ما بين المغرب والعشاء الآخرة عن ابن عباس وقيل كان يوم عيد لهم وقد اشتغلوا بلعبهم عن الحسن وقيل اختلفوا في سبب دخوله المدينة في هذا الوقت على أقوال * أحدها * انه كان موسى حين كبر يركب في مواكب فرعون فلما جاء ذات يوم قيل له ان فرعون قد ركب فركب في اثره فلما كان وقت القائلة دخل المدينة ليقيل عن السدي * والثاني * ان بني اسرائيل كانوا يجتمعون إلى موسى ويسمعون كلامه ولما بلغ اشده خالف قوم فرعون فاشتهر ذلك منه واخافوه فكان لا يدخل مصر إلا خائفا فدخلها على حين غفلة عن ابن اسحاق * والثالث * ان فرعون امر باخراجه من البلد فلم يدخل إلا الآن عن ابن زيد (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أي يختصمان في الدين عن الجبائي وقيل في امر الدنيا (هذا من شيعته وهذا من عدوه) أي أحدهما اسرائيلي والآخر قبطي يسخر الاسرائيلي

ليحمل حطبا إلى مطبخ فرعون وقيل كان احدهما مسلما والآخر كافرا عن محمد بن اسحاق (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) أي استنصره لينصره عليه وروى ابو بصير عن ابي عبد الله «ع» قال ليهنكم الاسم قال قلت وما الاسم قال الشيعة قال أما سمعت الله سبحانه يقول فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه (فوكزه موسى) أي دفع في صدره بجمع كفه عن مجاهد وقيل ضربه بعصاه عن قتادة (فقضى عليه) اي فقتله وفرغ من امره (قال هذا من عمل الشيطان) اي بسببه حتى هيج غضبي فضربته فهو من اغرائه قال الحسن لم يكن يحل قتل الكافر يومئذ لأن الحال كانت حال الكف عن القتال وقيل معناه ان الأمر الذي وقع القتل بسببه من عمل الشيطان أي حصل بوسوسة الشيطان وذكر المرتضى قدس الله روحه فيه وجهين آخرين * احدهما * انه أراد ان تزيين قتلي له وتركي لما ندبت اليه من تأخيره وتفويتي ما استحقه عليه من الثواب من عمل الشيطان * والآخر * انه يريد أن عمل المقتول من عمل الشيطان يبين بذلك انه مخالف لله تعالى مستحق للقتل ثم وصف الشيطان فقال (انه عدو) لبني آدم (مضل مبين) ظاهر العداوة والاضلال « سؤال » قالوا ان هذا القتل لا يخلو من ان يكون مستحقا اوغير مستحق فإن كان غير مستحق فالأنبياء «ع» لا يجوز عليهم ذلك عندكم لا قبل النبوة ولا بعدها وان كان مستحقا فلا معنى لندمه عليه واستغفاره منه « والجواب » ان القتل إنما وقع على سبيل تخليص المؤمن من يد من اراد ظلمه والبغي عليه ودفع مكروهه عنه ولم يكن مقصوداً في نفسه وكل الم وقع على هذا الوجه فهو حسن غير قبيح سواء كان القاتل مدافعا عن نفسه او عن غيره وسنذكر الوجه في استغفاره منه وندمه عليه

قوله تعالى (١٦) قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٧) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (١٨) فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ (١٩) فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْساً بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ (٢٠) وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (خمس آيات)

* اللغة *

الترقب الانتظار والاستصراخ طلب الصراخ على العدو بما يردعه عن الايقاع بـه والائتمار التشاور والارتياء يقال ائتمر القوم وارتأوا بمعنى قال امرؤ القيس

احار ابن عمرو كأني خمر ... ويعدو على المرء ما يأتمر

وقال النمر بن تولب

أرى الناس قد احدثوا شيمة ... وفي كل حادثة يؤتمر

﴿ الاعراب ﴾

بما انعمت علي الباء للقسم ويجوز ان يكون ما حرفا موصولا والمعنى بانعامك علي ويجوز ان يكون اسما موصولاً والضمير العائد محذوفا والتقدير بالذي انعمته علي وجواب القسم لن اكون والفاء لجواب القسم مقدر في الموصول بالجملة الفعلية. ان أراد أن يبطش ان الاولى زائدة وان الثانية مع صلتها منصوبة الموضع بأنها مفعولة اراد اني لك. من الناصحين لا يجوز ان تتعلق اللام في لك بالناصحين لأن الصلة لا تعمل فيما قبل الموصول وانما تتعلق بمحذوف يفسره هذا الظاهر تقديره اني من الناصحين لك

=[المعنى]=

ثم حكى سبحانه ان موسى «ع» حين قتل القبطي ندم علي ذلك (وقال رب اني ظلمت نفسي) في هذا القتل فإنهم لو علموا بذلك لقتلوني وقال المرتضى قدس الله روحه العزيز انما قاله على سبيل الانقطاع والرجوع إلى الله تعالى والاعتراف بالتقصير عن اداء حقوق نعمه او من حيث حرم نفسه الثواب المستحق بفعل الندب (فاغفر لي) معناه قول آدم «ع» ربنا ظلمنا انفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وقبول الاستغفار والتوبة قد يسمى غفرانا (فغفر له انه هو الغفور) لعباده (الرحيم) بهم المنعم عليهم (قال) موسى (رب بما انعمت علي) اي بنعمتك علي من المغفرة وصرف بلاء الأعداء عني (فلن اكون ظهيرا للمجرمين) المعنى فلك علي الا اكون مظاهرا ومعينا للمشركين عن ابن عباس وفي كل دلالة على ان مظاهرة المجرمين جرم ومعصية ومظاهرة المؤمنين طاعة وانما ظاهر موسى «ع» من كان ظاهره الايمان وخالف من كان ظاهره الكفر وجاء في الأثر أن رجلا قال لعطا بن ابي رياح ان فلانا يكتب لفلان ولا يزيد على كتبه دخله وخرجه فإن اخذ منه اجرا كان له غنى وان لم يأخذ اشتد فقره وفقر عياله فقال عطاء اما سمعت قول الرجل الصالح رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيراً للمجرمين (فأصبح) موسى في اليوم الثاني (في المدينة خائفا) من قبل القبطي (يترقب) أي ينتظر الاخبار في قتل القبطي عن ابن عباس يعني انه خاف من فرعون وقومه ان يكونوا عرفوا انه هو الذي قتل القبطي فكان يتجسس وينتظر الاخبار في شأنه (فإذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) معناه ان الاسرائيلي الذي كان قد خلصه بالأمس ووكز القبطي من اجله يستصرخ موسى ويستعين به على رجل آخر من القبط خاصمه قال ابن عباس لما فشا امر قتل القبطي قيل لفرعون ان بني اسرائيل قتلت منا رجلا قال اتعرفون قاتله ومن يشهد عليه قالوا لا فأمرهم بطلبه فبينا هم يطوفون إذ مر موسى من الغد واتى ذلك الاسرائيلي يطلب نصرته ويستغيث به (قال له موسى انك لغوي مبين) أي ظاهر الغواية حيث قاتلت بالأمس رجلا وتقاتل اليوم الآخر ولم يرد الغواية في الدين والمراد أن من خاصم آل فرعون مع كثرتهم فإنه غوي أي خائب فيما يطلبه عادل عن الصواب فيما يقصده (فلما ان أراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى أتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس) معناه فلما اخذته الرقة على الاسرائيلي وأراد ان يدفع القبطي الذي هو عدو لموسى والاسرائيلي عنه ويبطش به أي يأخذه بشدة ظن الاسرائيلي ان موسى قصده لما قال له انك لغوي مبين فقال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس عن ابن عباس واكثر المفسرين وقال الحسن هو من قول القبطي لأنه قد اشتهر أمر القتل بالامس وانه قتله بعض بني اسرائيل (ان تريد إلا ان تكون جباراً في الأرض) أي ما تريد إلا ان تكون عاليا في

الارض بالقتل والظلم قال عكرمة والشعبي لا يكون الانسان جباراً حتى يقتل نفسين بغير حق (وما تريد أن تكون من المصلحين) ولما قال الاسرائيلي ذلك علم القبطي ان القاتل موسى فانطلق إلى فرعون واخبره به فأمر فرعون بقتل موسى وبعث في طلبه (وجاء رجل من اقصى المدينة) أي آخرها فاختصر طريقا قريبا حتى سبقهم إلى موسى (يسعى) اي يسرع في المشي فأخبره بذلك وانذره وكان الرجل حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل رجل اسمه شمعون وقيل سمعان (قال يا موسى ان الملأ) اي الاشراف من آل فرعون (يأتمرون بك) أي يتشاورون فيك عن ابي عبيدة وقيل يأمر بعضهم (ليقتلوك فاخرج) من ارض مصر (اني لك من الناصحين) في هذا يقال نصحته ونصحت له

قوله تعالى (٢١) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٢) وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢٣) وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ (٢٤) فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٥) فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

خمس آيات كوفي وست في غيرهم

❊ القراءة ❊

قرأ ابو جعفر وابو عمرو وابن عامر حتى يصدر بفتح الياء وضم الدال وقرأ الباقون يصدر بضم الياء وكسر الدال

❊ الحجة ❊

من قرأ حتى يصدر الرعاء فمعناه حتى يرجعوا من سقيهم وفي التنزيل يصدر الناس اشتاتا ليروا ومن قرأ حتى يصدر اراد حتى يصدروا مواشيهم من وردهم فحذف المفعول كما قال الشاعر

لا يعدلنّ اتاويون تضربهم نكباء صر باصحاب المُحلاّت

اي احدا

❊ اللغة ❊

تلقاء الشيء حذاؤه ويقال فعل ذلك من تلقاء نفسه اي من حذاء داعي نفسه وسواء السبيل وسط الطريق قال الشاعر « حتى أغيب في سواء الملحد » وذاد شاته او ابله عن الشيء يذودها ذودا أي حبسها عنه بمنعه منه قال سويد بن كراع

أبيت على باب القوافي كأنما اذود بها سربا من الوحش نزعا

قال الفراء ولا يقال ذدت في الناس وإنما يقال في الإبل والغنم وهذا ليس بشيء يدل عليه قول الكميت يصف بني هاشم

سادة ذادة عن الخرد البيـ ض إذا اليوم كان كالأيام

والخطب الامر الذي فيه تفخيم ومنه الخطبة والخطبة والخطاب كل ذلك فيه معنى العظم وما خطبكما أي ما شأنكما قال الراجز « يا عجبا ما خطبه وخطبي » والرعاء جمع راع ويجمع على الرعيان والرعاة

الإعراب

تلقاء ظرف مكان لا نسقي اي لا نسقي الغنم الماء فحذف مفعولاه لدلالة الكلام عليه وكذلك قوله فسقى لهما واللام في قوله لما انزلت يتعلق بفقير . تمشي في موضع نصب على الحال من جاءت وقوله على استحياء في موضع الحال ايضا من تمشي اي تمشي مستحيية ويجوز ان يكون حالا بعد حال . قالت ان ابي يدعوك الجملة يجوز ان يكون بدلا من قوله فجاءته احداهما ويجوز ان تكون في موضع الحال بإضمار قد والعامل فيه جاءت او تمشي

المعنى

ثم بين سبحانه خروج موسى من مصر إلى مدين فقال (فخرج منها) اي من مدينة فرعون (خائفا) من ان يطلب فيقتل (يترقب) الطلب (قال رب نجني من القوم الظالمين) قال ابن عباس خرج موسى متوجها نحو مدين وليس له علم بالطريق إلا حسن ظنه بربه قال رب نجني من فرعون وقومه وقيل انه خرج بغير زاد ولا ماء ولا حذاء ولا ظهر وكان لا يأكل إلا من حشيش الصحراء حتى بلغ ماء مدين (ولما توجه تلقاء مدين) التوجه صرف الوجه إلى جهة من الجهات وقوله هذا المعنى يتوجه الى كذا اي هو كالطالب له يصرف وجهه اليه قال الزجاج معناه ولما سلك في الطريق الذي يلقى مدين فيها وهي على مسيرة ثمانية أيام من مصر نحو ما بين البصرة الى الكوفة ولم يكن له علم بالطريق ولذلك (قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل) اي يرشدني قصد السبيل الى مدين وقيل سواء السبيل وسطه المؤدي الى النجاة لأن الأخذ يمينا وشمالا لا يباعد عن طريق الصواب وقيل انه لم يقصد موضعا بعينه ولكنه أخذ في طريق مدين وقال عكرمة عرضت لموسى اربعة طرق فلم يدر أيتها يسلك ولذلك قال عند استواء الطرق له عسى ربي ان يهديني سواء السبيل فلما دعا ربه استجاب له ودله على الطريق المستقيم الى مدين وقيل جاء ملك على فرس بيده عنزة فانطلق به الى مدين وقيل انه خرج حافيا ولم يصل الى مدين حتى وقع خف قدميه عن سعيد بن جبير (ولما ورد ماء مدين) وهو بئر كانت لهم (وجد عليه أمة من الناس يسقون) اي جماعة من الرعاة يسقون مواشيهم الماء من البئر (ووجد من دونهم امرأتين تذودان) اي تحبسان وتمنعان غنمهما من الورود إلى الماء عن السدي وقيل تذودان الناس عن مواشيها عن قتادة وقيل تكفان الغنم عن ان تختلط باغنام الناس عن الحسن فترك ذكر الغنم اختصارا (قال) موسى لهما (ما خطبكما) اي ما شأنكما وما لكما لا تسقيان مع الناس عن ابن اسحاق (قالتا لا نسقي) عند المزاحمة مع الناس (حتى يصدر الرعاء) ومعناه اي حتى ينصرف الناس فإنا لا نطيق السقي فننتظر فضول الماء فإذا انصرف الناس سقينا مواشينا من فضول الحوض عن ابن عباس وقتادة (وابونا شيخ كبير) لا يقدر على ان يتولى السقي بنفسه من الكبر ولذلك

احتجنا ونحن نساء ان نسقي الغنم وانما قالتا ذلك تعريضا للطلب من موسى ان يعينهما على السقي وقيل انما قالتا ذلك اعتذارا الى موسى في الخروج بغير محرم (فسقى لهما) معناه فسقى موسى غنمهما الماء لاجلهما وهو انه زحم القوم عن الماء حتى اخرجهم عنه ثم سقى لهما عن ابن اسحاق وقيل رفع لاجلهما حجرا عن بئر كان لا يقدر على رفع ذلك الحجر عنها الا عشرة رجال وسألهم ان يعطوه دلوا فناولوه دلوا وقالوا له انزح ان امكنك وكان لا ينزحها الا عشرة فنزحها وحده وسقى اغنامهما ولم يستق الا ذنوبا واحدا حتى رويت الغنم (ثم تولى الى الظل) اي ثم انصرف الى ظل سمرة فجلس تحتها من شدة الحر وهو جائع (فقال رب اني لما انزلت الي من خير فقير) قال ابن عباس سأل نبي الله فلق خبز يقيم به صلبه وقال أمير المؤمنين عليه افضل الصلوات والله ما سأله الا خبزا يأكله لانه كان يأكل بقلة الارض لقد كانت خضرة البقلة ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله وتشذب لحمه قال الاخفش يقال فقير اليه وفقير له قال ابن اسحاق فرجعتا الى ابيهما في ساعة كانتا لا ترجعان فيها فأنكر شانهما وسألهما فأخبرتاه الخبر فقال لإحداهما علي به فرجعت الكبرى الى موسى لتدعوه فذلك قوله (فجاءته احداهما تمشي على استحياء) اي مستحيية معرضة عن عادة النساء الخفرات وقيل أراد باستحيائها انها غطت وجهها بكم درعها عن عمر بن الخطاب وقيل هو بعدها من النداء عن الحسن قال فوالله ما كانت ولاجة ولا خراجة ولكنها كانت من الخفرات اللاتي لا يحسن المشي بين أيدي الرجال والكلام معهم وقيل أراد انها كانت تمشي عادلة عن الطريق (قالت ان ابي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) أي ليكافئك على سقيك لغنمنا واكثر المفسرين على ان اباها شعيب «ع» وقال وهب وسعيد بن جبير هو يثرون ابن أخي شعيب وكان شعيب مات قبل ذلك بعد ما كف بصره ودفن بين المقام وزمزم وقيل يثروب وقيل هو اسم شعيب لأن شعيبا اسم عربي قال ابو حازم لما قالت ليجزيك أجر ما سقيت لنا كره ذلك موسى وأراد ان لا يتبعها ولم يجد بدا من ان يتبعها لأنه كان في ارض مسبعة وخوف فخرج معها وكانت الريح تضرب ثوبها فتصف لموسى عجزها فجعل موسى يعرض عنها مرة ويغض مرة فناداها يا أمة الله كوني خلفي وأريني السمت بقولك فلما دخل على شعيب إذا هو بالعشاء مهيئا فقال له شعيب أجلس يا شاب فتعش فقال له موسى اعوذ بالله قال شعيب ولم ذاك الست بجائع قال بلى ولكن أخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من أهل بيت لا نبيع شيئا من عمل الآخرة بملء الأرض ذهبا فقال له شعيب لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام قال فجعل موسى يأكل وذلك قوله (فلما جاءه وقص عليه القصص) أي فلما جاء موسى شعيبا وقص عليه امره اجمع من قتل القبطي وانهم يطلبونه ليقتلوه (قال) له شعيب (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) يعني فرعون وقومه فلا سلطان له بأرضنا ولسنا في مملكته

قوله تعالى (٢٦) قَالَتْ إِحْدَيٰهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ (٢٧) قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٢٨) قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ (٢٩) فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى

الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ (٣٠) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خمس آيات

القراءة

قرأ عاصم او جذوة بفتح الجيم وقرأ حمزة وخلف جذوة بضم الجيم والباقون جذوة بالكسر وفي الشواذ قراءة الحسن ايما الأجلين بتخفيف الياء وسكونها

الحجة

في الجذوة ثلاث لغات على حسب القراءات الثلاث واما ايما فهي لغة قال الفرزدق

تنظرت نصرا والسماكين ايهما علي من الغيث استهلت مواطره

اللغة

الجذوة القطعة الغليظة من الحطب فيها النار وجمعها جذى قال

باتت خواطر ليلي يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا ذعر

وشاطئ الوادي جانبه وهو الشط والجمع الشواطئ

الاعراب

هاتين صفة لابنتي. ثماني حجج ظرف زمان. ذلك بيني وبينك ذلك مبتدأ وخبره بيني وبينك ومعناه ما شرطت علي فلك وما شرطت لي فلي كذلك الأمر بيننا عن الزجاج واي في معنى الجزاء وهي منصوبة بقضيت وما مزيدة مؤكدة وجوابه فلا عدوان علي. ان ياموسى ان في موضع نصب وهي مخففة من الثقيلة تقديره نودي بأنه ياموسى وبأنه الق عصاك

المعنى

ثم ذكر سبحانه امر موسى في مدين وانصرافه عنه فقال (قالت احداهما) اي احدى ابنتيه واسمها صفورة وهي التي تزوج بها واسم الاخرى ليا وقيل ان اسم الكبرى صفراء واسم الصغرى صفيراء (ياابت استأجره) اي اتخذه اجيرا (إن خير من استأجرت القوي الأمين) اي خير من استعملت من قوي على العمل واداء الأمانة قال عمر بن الخطاب لما قالت المرأة هذا قال شعيب وما علمك بأمانته وقوته قالت أما قوته فلأنه رفع الحجر الذي لا يرفعه كذا وكذا وأما امانته فإنه قال لي امشي خلفي فأنا اكره أن تصيب الريح ثيابك فتصف لي عجزك وقيل القوي في نزعه الحجر من البئر وكان لايستطيعه إلا النفر. الأمين في غض طرفه عنها حين سقى لها فصدرتا وقد عرفتا قوته وأمانته فلما ذكرت المرأة من حاله ما ذكرت زاده ذلك رغبة فيه (قال اني اريد ان انكحك) اي ازوجك (احدى ابنتي هاتين على ان تأجرني ثماني حجج) اي على ان تكون اجيرا لي ثماني سنين (فإن اتممت عشرا فمن عندك) اي ذلك تفضل منك وليس بواجب عليك وقيل معناه على ان تجعل جزائي وثوابي اياك على ان انكحك احدى ابنتي ان تعمل لي ثماني سنين فزوجه ابنته بمهر واستأجره للرعي ولم يجعل ذلك مهرا وإنما شرط ذلك عليه وهذا على وفق مذهب ابي حنيفة

والاول اصح واوفق لظاهر الآية (وما اريد ان اشق عليك) في هذه الثمانية حجج وان اكلفك خدمة سوى رعي الغنم وقيل وما اشق عليك بأن آخذك باتمام عشر سنين (ستجدني إن شاء الله من الصالحين) في حسن الصحبة والوفاء بالعهد وإنما علق الصلاح بمشيئة الله لأن مراده ان شاء الله تبقيتي فمن الجائز ان يخترمه الله ولا يفعل الصلاح الديني الذي يريده وحكى يحيى بن سلام انه جعل لموسى كل سخلة توضع على خلاف شية امها فأوحى الله إلى موسى في المنام أن الق عصاك في الماء ففعل فولدن كلهن على خلاف شيتهن وقيل انه وعده أن يعطيه تلك السنة من نتاج غنمه كل ادرع وانها نتجت كلها درعا وروى الحسين بن سعيد عن صفوان بن يحيى عن ابي عبد الله (ع) قال سئل ايتها التي قالت ان ابي يدعوك قال التي تزوج بها قيل فأي الأجلين قضى قال أوفاهما وأبعدهما عشر سنين قيل فدخل بها قبل أن يمضي الشرط أو بعد انقضائه قال قبل أن ينقضي قيل له فالرجل يتزوج المرأة ويشترط لأبيها اجارة شهرين ايجوز ذلك قال ان موسى علم انه سيتم له شرطه قيل كيف قال علم انه سيبقى حتى يفي (قال) موسى (ذلك بيني وبينك) أي ذلك الذي وصفت وشرط علي فلك وما شرطت لي من تزويج احداهما فلي وتم الكلام ثم قال (ايما الأجلين) من الثماني والعشر (قضيت) اي اتممت وفرغت منه (فلا عدوان علي) اي لا ظلم علي بأن اكلف اكثر منها واطالب بالزيادة عليها (والله على ما نقول وكيل) اي شهيد فيما بيني وبينك عن ابن عباس (فلما قضى موسى الأجل) اي اوفاهما روى الواحدي بالاسناد عن ابن عباس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي الأجلين قضى موسى قال اوفاهما وأبطأهما وبالاسناد عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا سئلت اي الأجلين قضى موسى فقل خيرهما وأبرهما وان سئلت اي المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت يا ابت استأجره وقال وهب تزوج الكبرى منهما وفي الكلام حذف وايجاز وهو فلما قضى موسى الأجل وتسلم زوجته ثم توجه نحو الشام (وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا) وقيل انه لما زوجها منه امر الشيخ أن يعطي موسى عصا يدفع السباع عن غنمه بها فأعطي العصا وقد ذكرنا حديث العصا في سورة الأعراف وقيل خرج آدم بالعصا من الجنة فأخذها جبرائيل بعد موت آدم (ع) وكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا فدفعها اليه عن عكرمة وقيل لم يزل الأنبياء يتوارثونها حتى وصلت إلى شعيب فأعطاها موسى وكانت عصا الأنبياء عنده وروى عبد الله بن سنان قال سمعت ابا عبد الله (ع) يقول كانت عصا موسى قضيب آس من الجنة اتاه به جبرائيل عليه السلام لما توجه تلقاء مدين وقال السدي كانت تلك العصا استودعها شعيبا ملك في صورة رجل فأمر ابنته ان تأتيه بعصا فدخلت واخذت العصا فأتته بها فلما رآها الشيخ قال لا آتيه بغيرها فألقتها وأرادت أن تأخذ غيرها فكانت لا تقع في يدها إلا هي فعلت ذلك مرارا فأعطاها موسى وقوله وسار بأهله قيل انه مكث بعد انقضاء الأجل عند صهره عشرا اخرى فأقام عنده عشرين سنة ثم استأذنه في العود إلى مصر ليزور والديه وأخاه فأذن له فسار بأهله عن مجاهد وقيل انه لما قضى العشر سار بأهله اي بامرأته وبأولاد الغنم التي كانت له وكانت قطيعا فأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته في شهرها فسار في البرية غير عارف بالطريق فألجأه المسير إلى جانب الطور الأيمن في ليلة مظلمة شديدة البرد واخذ امرأته الطلق وضل الطريق وتفرقت ماشيته فأصابه المطر فبقي لا يدري اين يتوجه فبينا هو كذلك آنس من جانب الطور نارا وروى ابو بصير عن ابي جعفر (ع) قال لما قضى موسى الأجل وسار بأهله نحو بيت المقدس اخطأ

الطريق ليلا فرأى نارا (قال لأهله امكثوا إني آنست نارا) وقد مر تفسيره (لعلي آتيكم منها بخبر) اي بخبر من الطريق الذي اريد قصده وهل أنا على صوبه أو منحرف عنه وقيل بخير من النار هل هي لخير نأنس به أو لشر نحذره (أو جذوة من النار) اي قطعة من النار وقيل بأصل شجرة فيها نار (لعلكم تصطلون) اي تستدفئون بها (فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن) اي نودي موسى من الجانب الأيمن للوادي (في البقعة المباركة) وهي البقعة التي قال الله تعالى فيها لموسى اخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وإنما كانت مباركة لأنها معدن الوحي والرسالة وكلام الله تعالى وقيل مباركة لكثرة الأشجار والأثمار والخير والنعم بها والأول اصح اذ من الشجرة إنما سمع موسى النداء والكلام من الشجرة لأن الله تعالى فعل الكلام فيها وجعل الشجرة محل الكلام لأن الكلام عرض يحتاج إلى محل وعلم موسى بالمعجز ان ذلك كلامه تعالى وهذه اعلى منازل الأنبياء اعني ان يسمعوا كلام الله من غير واسطة ومبلغ وكان كلامه سبحانه (ان يا موسى إني أنا الله رب العالمين) أي أن المكلم لك هو الله مالك العالمين وخالق الخلائق اجمعين تعالى وتقدس عن أن يحل في محل أو يكون في مكان لأنه ليس بعرض ولا جسم

قوله تعالى (٣١) وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْآمِنِينَ (٣٢) ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ (٣٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ (٣٤) وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ (٣٥) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الحجاز والبصرة من الرهب بفتح الراء والهاء وقرأ حفص من الرهب بفتح الراء وسكون الهاء والباقون بضم الراء وسكون الهاء وقرأ اهل البصرة وابن كثير فذانك بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ ابو جعفر ونافع رداً بغير همزة والباقون بالهمزة وقرأ عاصم وحمزة يصدقني بالرفع والباقون يصدقني بالجزم وفي الشواذ قراءة الحسن عضدك

الحجة

الرهب والرهب لغتان مثل الرشد والرشد والرهب والرهب مثل الشمع والشمع والنهر والنهر وقوله فذانك قد مضى القول فيه فيما تقدم وقال الزجاج التشديد تثنية ذلك والتخفيف تثنية ذاك وجعل بدل اللام في ذلك تشديد النون ومن قرأ رداً فإنه خفف الهمزة وذلك حكم الهمزة إذا خففتها وكان قبلها ساكن ان تحذف وتلقى حركتها على الساكن قبلها ومن قرأ يصدقني بالرفع جعله صفة للنكرة وتقديره رداً مصدقا ومن قرأ بالجزم كان على معنى الجزاء اي ان ارسلته يصدقني وفي عضد خمس لغات عَضُد وعَضَد وعُضُد وعُضْد

وعَضد وافصحها عضد مثل رجل

-(الإعراب)-

قوله إلى فرعون يتعلق بما يتعلق به من من قوله برهانان من ربك ويجوز أن يتعلق بمحذوف كما تقدم ذكره في قوله في تسع آيات ٠ إلى فرعون وهارون عطف بيان٠ ردءاً نصب على الحال والباء في قوله بآياتنا يحتمل ثلاثة أوجه ✻ احدها ✻ ان يتعلق بيصلون ✻ والثاني ✻ ان يتعلق بنجعل ✻ والثالث ✻ ان يتعلق بقوله الغالبون

✻ المعنى ✻

ثم بين سبحانه تمام قصة موسى (ع) فقال (وأن الق عصاك) إنما اعاد سبحانه هذه القصة وكررها في السور تقريرا للحجة على اهل الكتاب واستمالة بهم إلى الحق ومن احب شيئا احب ذكره والقوم كانوا يدعون محبة موسى وكل من ادعى اتباع سيده مال إلى من ذكره بالفضل على ان كل موضع من مواضع التكرار لا يخلو من زيادة فائدة وهاهنا حذف تقديره فألقاها من يده فانقلبت باذن الله تعالى ثعبانا عظيما تهتز كأنها جان في سرعة حركتها وشدة اهتزازها (فلما رآها تهتز) اي تتحرك (كأنها جان ولى مدبرا) موسى (ولم يعقب) اي لم يرجع إلى ذلك الموضع فنودي (ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين) من ضررها وفي انقلاب العصا حية دلالة على أن الجواهر متماثلة وانها من جنس واحد لأنه لا حال ابعد إلى حال الحيوان من حال الخشب وما جرى مجرى ذلك من الجماد فإذا صح قلب الخشب إلى حال الحيوان صح ايضا قلب الأبيض إلى حال الأسود (اسلك يدك في جيبك) اي ادخلها فيه (تخرج بيضاء من غير سوء) اي من غير برص (واضمم اليك جناحك من الرهب) اي ضم يدك إلى صدرك من الخوف فلا خوف عليك عن ابن عباس ومجاهد والمعنى ان الله تعالى امره أن يضم يده الى صدره فيذهب ما اصابه من الخوف عند معاينة الحية وقيل امره سبحانه بالعزم على ما أراده منه وحثه على الجد فيه لئلا يمنعه الخوف الذي يغشاه في بعض الأحوال مما امره بالمضي فيه وليس يريد بقوله اضمم يدك الضم المزيل للفرجة بين الشيئين عن ابي علي الفارسي قال وهذا كما ان اشدد في قوله «اشدد حيازيمك للموت ✻ فإن الموت لاقيكا» ليس يراد به الشد الذي هو الربط والمراد به تأهب للموت واستعد للقائه حتى لا تهاب لقاه ولا تجزع من وقوعه وقد جاء ذكر اليدين في مواضع يراد بهما جملة ذي اليد فمن ذلك قولهم لبيك والخير بين يديك ومنه قوله تعالى بما قدمت يداك وفي المثل يداك اوكتا وفوك نفخ وإنما يقال هذا عند تفريع الجملة و قال ابو عبيدة جناحا الرجل يداه وقال غيره الجناح هنا العضد ويدل على قوله ان العضد قد تقام مقام الجملة في مثل قوله سنشد عضدك بأخيك وقد جاء المفرد ويراد به التثنية قال

يداك يد احداها الجود كله وراحتك الاخرى طعان تغامره

المعنى يداك يدان بدلالة قوله احداهما فعلى هذا يجوز ان يراد بالافراد في قوله واضمم اليك جناحك التثنية وقيل انه لما القى العصا وصارت حية بسط يديه كالمتقي وهما جناحاه فقيل له اضمم اليك جناحك اي ما بسطته من يديك والمعنى لا تبسط يديك خوف الحية فإنك آمن من ضررها ويجوز ان يكون معناه اسكن ولا تخف فإن من هاله امر ازعجه حتى كأنه يطيره وآلة الطيران الجناح فكأنه (ع) قد بلغ نهاية الخوف فقيل له ضم منشور جناحك من الخوف واسكن وقيل معناه إذا هالك امر يدك لما تبصر من شعاعها فاضممها

اليك لتسكن (فذانك برهانان من ربك) معناه فاليد والعصا حجتان من ربك على نبوتك (إلى فرعون وملئه) اي ارسلناك إلى فرعون وملئه بهاتين الآيتين الباهرتين (انهم كانوا قوما فاسقين) اي خارجين من طاعة الله إلى اعظم المعاصي وهو الكفر (قال) موسى (رب اني قتلت منهم نفسا فأخاف ان يقتلون) بتلك النفس (وأخي هارون هو افصح مني لسانا) وإنما قال ذلك لعقدة كانت في لسانه وقد مر فيما مضى ذكر سببها وقد كان الله تعالى ازال اكثرها او جميعها بدعائه (فأرسله معي ردءاً) اي معينا لي على تبليغ رسالتك يقال فلان ردء لفلان إذا كان ينصره ويشد ظهره (يصدقني اني اخاف ان يكذبون) اي مصدقا لي على ما أأديه من الرسالة وان جزمته فالمعنى انك ان ترسله معي يصدقني وإنما كان سؤاله ذلك بعد ان اذن له فيه لأن الإنسان لا يعلم ان المصلحة في ارسال نبي واحد أو اثنين إلا بالوحي وقال مقاتل معناه لكي يصدقني فرعون (قال سنشد عضدك بأخيك) هذه استعارة رائعة والمعنى سنجعله رسولا معك ونؤيدك بأن نقرنه اليك في النبوة وننصرك به (ونجعل لكما سلطانا) اي حجة وقوة وبرهانا (فلا يصلون اليكما بآياتنا) اي لا يصل فرعون وقومه إلى الاضرار بكما بسبب ما نعطيكما من الآيات وما يجري على ايديكما من المعجزات فيخافكما فرعون وقومه لأجلها وقيل ان قوله بآياتنا موضعه التقديم اي ونجعل لكما سلطانا بآياتنا فلا يصلون اليكما ثم اخبر ان الغلبة لهما عليهم فقال (انتما ومن اتبعكما الغالبون) على فرعون وقومه القاهرون لهم وهذه الغلبة غير السلطان فإن السلطان بالحجة والغلبة بالقهر حين هلك فرعون وقومه وملك موسى وقومه ديارهم وروي عن ابي جعفر (ع) في حديث طويل قال فلما رجع موسى (ع) إلى امرأته قالت من أين جئت قال من عند رب تلك النار قال فغدا إلى فرعون فوالله لكأني أنظر اليه طويل الباع ذو شعر ادم عليه جبة من صوف عصاه في كفه مربوط حقوه بشريط نعله من جلد حمار شراكها من ليف فقيل لفرعون ان على الباب فتى يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون لصاحب الأسد خل سلاسلها وكان إذا غضب على رجل خلاها فقطعته فخلاها فقرع موسى الباب الأول وكانت تسعة ابواب فلما قرع الباب الأول انفتحت له الأبواب التسعة فلما دخل جعلن تبصبصن تحت رجليه كأنهن جراء فقال فرعون لجلسائه رأيتم مثل هذا قط فلما اقبل اليه أنبه فقال ألم نربك فينا وليدا إلى قوله وانا من الضالين فقال فرعون لرجل من اصحابه قم فخذ بيده وقال للآخر اضرب عنقه فضرب جبرئيل بالسيف حتى قتل ستة من اصحابه فقال خلوا عنه قال فأخرج يده فإذا هي بيضاء قد حال شعاعها بينه وبين وجهه فألقى العصا فإذا هي حية فالتقمت الايوان بلحييها فدعاه ان يا موسى اقلني إلى غد ثم كان من امره ما كان

قوله تعالى (٣٦) فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٣٧) وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٣٨) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٣٩) وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٤٠) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤١) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ (٤٢) وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ سبع آيات

القراءة

قرأ ابن كثير قال موسى بغير واو وكذلك هو في مصاحف مكة والباقون وقال بالواو وقرأ نافع وأهل الكوفة غير عاصم من يكون بالياء والباقون بالتاء وقرأ أهل الكوفة غير عاصم ويعقوب لا يرجعون بفتح الياء والباقون بضم الياء وفتح الجيم

الحجة

قال ابو علي قد مضى القول في نحو هذا فيما قبل وكذلك في نحو الياء والتاء من يكون وكلاهما حسن وكذلك قد مضى فيما تقدم القول في يُرجعون ويَرجعون

اللغة

الصرح البناء العالي كالقصر وأصله من الظهور فالتصريح شدة ظهور المعنى قال الشاعر

بهن نعام بناها الرجال   تحسب اعلامهن الصروحا

والنبذ الإلقاء والطرح والشيء منبوذ قال ابو الأسود

نظرت إلى عنوانه فنبذته   كنبذك نعلا اخلقت من نعالكا

والقبح الإبعاد قبحه الله أي ابعده يقبحه قبحا ويقال قبحه إذا جعله قبيحا وقيل قبحه فهو مقبوح اهلكه

الاعراب

بينات نصب على الحال . ما سمعنا بهذا يحتمل أن تكون الباء زائدة ويحتمل أن تكون على اصلها وقوله بغير الحق الجار والمجرور في موضع نصب على الحال والتقدير واستكبر هو وجنوده مبطلين . ويدعون صفة الائمة . ويوم القيامة ظرف لفعل يدل عليه قوله من المقبوحين على تقدير قبحوا يوم القيامة لأن الصلة لا تعمل فيما قبل الموصول والألف واللام في المقبوحين موصول وتقديره الذين قبحوا

المعنى

ثم قال سبحانه (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) التقدير فمضى موسى الى فرعون وقومه فلما جاءهم بآياتنا اي بحججنا البينات ومعجزاتنا الظاهرات (قالوا ما هذا إلا سحر مفترى) أي مختلق مفتعل لم يُبنَ على أصل صحيح لأنه حيلة توهم خلاف الحقيقة فوصفوا الآيات بالسحر والاختلاف على هذا المعنى جهلا منهم وذهابا عن الصواب (وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) اي لم نسمع ما يدعيه ويدعو اليه في آبائنا الذين كانوا قبلنا وإنما قالوا ذلك مع اشتهار قصة نوح وهود وصالح وغيرهم من النبيين الذين دعوا إلى توحيد الله واخلاص عبادته لاحد أمرين اما للفترة التي دخلت بين الوقتين والزمان الطويل واما لأن آباءهم ما صدقوا بشيء من ذلك ولا دانوا به فيكون المعنى ما سمعنا بآبائنا انهم صدقوا الرسل فيما جاؤا به ووجه شبهتهم في ذلك انهم قالوا انهم الكبراء فلو كان حقا لأدركوه فإنه لا يجوز أن يدرك الحق الأنقص في الرأي والعقل ولا يدركه الأفضل فيهما وهذا غلط لأن ما طريقه الاستدلال لا يمتنع أن يصيبه الأدون في الرأي إذا سلك طريقه ولا يصيبه الاكمل في الرأي إذا لم يسلك طريقه (وقال موسى) مجيباً لهم (ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار) ومعناه ربي يعلم اني جئت بهذه الآيات الدالة على الهدى من عنده فهو شاهد لي على ذلك ان كذبتموني ويعلم ان العاقبة الحميدة لنا ولأهل الحق

والانصاف وهذا كما يقال على سبيل المظاهرة الله اعلم بالمحق منا والمبطل وحجتي ظاهرة فاكثرها إن قدرت على ذلك (انه لا يفلح الظالمون) اي لا يفوز بالخير من ظلم نفسه وعصى ربه و كفر نعمه (وقال فرعون) منكرا لما أتى به موسى من آيات الله لما أعياه الجواب وعجز عن محاجته (يا ايها الملأ) يريد اشراف قومه (ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين) أي فأجج النار على الطين واتخذ الآجر وقيل انه اول من اتخذ الآجر وبنى به عن قتادة (فاجعل لي صرحا) اي قصرا وبناء عاليا (لعلي أطلع إلى إله موسى) أي أصعد اليه واشرف عليه وأقف على حاله وهذا تلبيس من فرعون وإيهام على العوام ان الذي يدعو اليه موسى يجري مجراه في الحاجة الى المكان والجهة (وإني لأظنه من الكاذبين) في ادعائه إلها غيري وانه رسوله (واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق) أي رفع فرعون وجنوده أنفسهم في الارض فوق مقدارها بالباطل والظلم وأنفوا وتعظموا عن قبول الحق في اتباع موسى (وظنوا انهم الينا لا يرجعون) اي أنكروا البعث وشكوا فيه (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) أي فعاقبناهم وطرحناهم في البحر وأهلكناهم بالغرق وعنى باليم نيل مصر وقيل بحر من وراء مصر يقال له اساف غرقهم الله فيه (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) أي تفكر وتدبر وانظر بعين قلبك كيف اخرجناهم من ديارهم واغرقناهم (وجعلناهم أئمة يدعون الى النار) وهذا يحتاج الى تأويل لأنه ظاهره يوجب انه تعالى جعلهم أئمة يدعون إلى النار كما جعل الأنبياء أئمة يدعون الى الجنة وهذا ما لا يقول به أحد فالمعنى انه اخبر عن حالهم بذلك وحكم بأنهم كذلك وقد تحصل الاضافة على هذا الوجه بالتعارف ويجوز أن يكون أراد بذلك انه لما أظهر حالهم على لسان انبيائه حتى عرفوا فكأنه جعلهم كذلك ومعنى دعائهم الى النار انهم يدعون الى الأفعال التي يستحق بها دخول النار من الكفر والمعاصي (ويوم القيامة لا ينصرون) أي لا ينصر بعضهم لبعض ولا ينصرهم غيرهم يوم القيامة كما كانوا يتناصرون في الدنيا (واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) اي اردفناهم لعنة بعد لعنة وهي البعد عن الرحمة والخيرات وقيل معناه ألزمناهم اللعنة في هذه الدنيا بأن أمرنا المؤمنين بلعنهم فلعنوهم عن ابي عبيدة (ويوم القيامة هم من المقبوحين) اي من المهلكين عن الأخفش وقيل من المشوهين في الخلقة بسواد الوجوه وزرقة الأعين عن الكلبي عن ابن عباس وقيل من الممقوتين المفضوحين

قوله تعالى (٤٣) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٤) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ (٤٥) وَلَٰكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٦) وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٧) وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٤٨) فَلَمَّا جَاءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ

(٤٩) قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٥٠) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ثماني آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة سحران بغير الف والباقون ساحران بالألف

الحجة

قال ابو علي حجة من قرأ ساحران انه قال تظاهرا والمظاهرة المعاونة وفي التنزيل وان تظاهرا عليه والمعاونة في الحقيقة إنما تكون للساحرين لا للسحرين والوجه في قوله سحران انه نسب المعاونة الى السحرين على وجه الاتساع كأن كل سحر منهما يقوي الآخر

الاعراب

قال الزجاج قوله بصائر حال أي آتيناه الكتاب مبينا واقول فيه انه بدل من الكتاب فإن المعرفة يجوز أن تبدل منها النكرة والبصائر في معنى الحجج فلا يصح معنى الحال فيها إذا كان اسما محضاً لا شائبة فيه للفعل وقوله إذ قضينا ظرف للمحذوف الذي يتعلق به الباء في قوله بجانب الغربي وتتلو جملة منصوبة الموضع على الحال ولكن رحمة رحمة منصوبة مفعول لها تقديره ولكنا أوحينا اليك رحمة أي للرحمة كما تقول فعلت ذلك ابتغاء الخير. اولا ان تصيبهم مصيبة لولا هذه هي التي معناها امتناع الشيء لوجود غيره وان تصيبهم مبتدأ وجواب اولا محذوف وتقديره لم يحتج إلى ارسال الرسل ولولا الثانية في قوله فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا هي التي معناها التخصيص بمعنى هلا. بغير هدى الجار والمجرور في موضع نصب على الحال

المعنى

ثم ذكر سبحانه من اخبار موسى «ع» مافيه دلالة على معجزة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فقال (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (من بعد ما أهلكنا القرون الأولى) أي الجموع التي كانت قبله من الكفار مثل قوم نوح وعاد وثمود ويجوز أن يريد بالقرون قوم فرعون لأنه سبحانه اعطاه التوراة بعد اهلاكهم بمدة (بصائر للناس) أي حججا وبراهين للناس وعبرا يبصرون بها أمر دينهم وأدلة يستدلون بها في احكام شريعتهم (وهدى) اي دلالة لمن اتبعه يهتدي بها (ورحمة) لمن آمن به (لعلهم يتذكرون) اي يتعظون ويعتبرون وجاءت الرواية بالاسناد عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمة ولا اهل قرية بعذاب من السماء منذ انزل التوراة على وجه الارض غير اهل القرية التي مسخوا قردة ألم تر ان الله تعالى قال ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى الآية (وما كنت بجانب الغربي) اي وما كنت يا محمد حاضرا بجانب الجبل الغربي اي في الجانب الغربي من الجبل الذي كلم الله فيه موسى عن قتادة والسدي وقيل بجانب الوادي الغربي عن ابن عباس والكلبي (إذ قضينا إلى موسى الأمر) اي عهدنا اليه واحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه وقيل معناه اخبرناه بأمرنا ونهينا وقيل أراد كلامه معه في وصف نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ونبوته (وما كنت من الشاهدين) اي الحاضرين لذلك الأمر وبذلك المكان فتخبر قومك عن مشاهدة وعيان ولكنا أخبرناك به ليكون معجزة لك (ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر) اي خلقنا قرنا بعد قرن فطال عهدهم بالمهلكين قبلهم وفترة النبوة فحملهم ذلك على الاغترار وانكروا بعثة الله رسله لجهلهم بأمر الرسل فأرسلناك للناس رسولا

وجعلناك رحمة للناس كما جعلنا موسى رحمة لا يتم الكلام إلا بهذا التقدير وقيل ان المعنى خلقنا خلقا كثيرا عهدنا اليهم في نعتك وصفتك وامرنا الأول بالإبلاغ للناس إلى الثاني فامتد بهم الزمان فنسوا عهدنا اليهم فيك (وما كنت ثاويا في اهل مدين تتلوا عليهم آياتنا) معناه وما كنت مقيما في قوم شعيب تتلو عليهم آياتنا قال مقاتل معناه ولم تشهد اهل مدين فتقرأ على اهل مكة خبرهم (ولكنا كنا مرسلين) اي ارسلناك إلى اهل مكة وانزلنا عليك هذه الأخبار ولولا ذلك لما علمتها قال الزجاج المعنى انك لم تشاهد قصص الأنبياء ولا تليت عليك ولكنا اوحيناها اليك وقصصناها عليك حتى تخبر قومك بهذا فيدل ذلك على صحة نبوتك وقيل معناه انك لم تشهد إحساننا إلى عبادنا في ارسال الرسل ونصب الآيات و إنزال الكتب بالبينات والهدى وهذا كما يقال لم تدر أي شيء كان هناك تفخيما للأمر ولولا الوحي لما علمت من ذلك ما علمت ولم تهتد له (وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) أي ولم تك حاضرا بناحية الجبل الذي كلمنا عليه موسى وناديناه يا موسى خذ الكتاب بقوة وقيل اراد بذلك المرة الثانية التي كلم الله فيها موسى «ع» حين اختار من قومه سبعين رجلا ليسمعوا كلام الله تعالى (ولكن رحمة من ربك) اي ولكن الله تعالى أعلمك ذلك وعرفك إياه نعمة من ربك أنعم بها عليك وهو ان بعثك نبيا واختارك لإيتاء العلم بذلك معجزة لك (لتنذر قوما ما أتيهم من نذير من قبلك) اي لتنذر العرب الذين لم يأتهم رسول قبلك (لعلهم يتذكرون) اي لكي يتفكروا ويعتبروا وينزعوا عن المعاصي وفي هذا دلالة على وجوب فعل اللطف فإن الانذار والدعوة لطف من الله تعالى موثر في القبول ومقرب منه (ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين) معناه لولا ان لهم أن يحتجوا او اصابتهم عقوبة بأن يقولوا هلا ارسلت الينا رسولا يدعونا إلى ما يجب الإيمان به فنتبع الرسول ونأخذ بشريعته ونصدق به لما ارسلنا الرسل ولكنا ارسلنا رسلا لقطع حجتهم وهو في معنى قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وقيل ان جواب لولا هاهنا لعجلنا لهم العقوبة وقيل المراد بالمصيبة هاهنا عذاب الاستئصال وقيل عذاب الدنيا والآخرة عن ابي مسلم (فلما جاءهم الحق من عندنا) اي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن والإسلام (قالوا لولا أوتي) اي هلا أعطي محمد صلى الله عليه وآله وسلم (مثل ما أوتي موسى) من فلق البحر واليد البيضا والعصا وقيل معناه هلا أوتي كتابا جملة واحدة و إنما قاله اليهود او قريش بتعليم اليهود فاحتج الله عليهم بقوله (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) اي وقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد صلى الله عليه وآله وسلم (وقالوا سحران تظاهرا) يعنون التوراة والقرآن عن عكرمة والكلبي ومقاتل ومن قرأ ساحران تظاهرا فمعناه انهم قالوا تظاهر موسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم عن ابن عباس (وقالوا إنا بكل كافرون) من التوراة والقرآن قال الكلبي وكانت مقالتهم هذه حين بعثوا الرهط منهم إلى رؤوس اليهود بالمدينة في عيد لهم فسألوهم عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأخبروهم بنعته وصفته في كتابهم التوراة فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك سحران تظاهرا (قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين) معناه قل يا محمد الكفار قومك فأتوا بكتاب هو اهدى من التوراة والقرآن حتى اتبعه إن صدقتم في ان التوراة والقرآن سحران وقيل معناه فأتوا بكتاب من عند الله يؤمن معه التكذيب اي لم يكذب به طائفة من الناس ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (فإن لم يستجيبوا لك) اي فإن لم يأتوا بمثل التوراة والقرآن وقيل فإن لم يستجيبوا لك إلى الإيمان مع ظهور الحق (فاعلم انما يتبعون اهواءهم) اي ما تميل اليه طباعهم لأن الهوى ميل الطبع إلى المشتهى قال الزجاج اي فاعلم انما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه وإنما آثروا فيه الهوى ثم ذمهم فقال (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) اي لا احد أضل ممن اتبع هواه بغير رشاد ولا بيان جاءه من الله (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) إلى طريق الجنة وقيل معناه لا يحكم الله بهدايتهم وقيل انهم إذا لم يهتدوا بهدى الله فكأنه لم يهدهم

قوله تعالى (٥١) وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٢) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٣) وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ (٥٤) أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٥٥) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ خمس آيات

اللغة

اصل التوصيل من وصل الحبال بعضها ببعض قال امرؤ القيس

درير كخذروف الوليد امره تتابع كفيه بخيط موصل

اي موصول بعضه ببعض وهو في الكلام ان يصير بعضه يلي بعضا والدرء الدفع

النزول

نزل قوله الذين آتيناهم الكتاب وما بعده في عبد الله بن سلام وتميم الداري والجارود العبدي وسلمان الفارسي فإنهم لما اسلموا نزلت فيهم الآيات عن قتادة وقيل نزلت في اربعين رجلا من اهل الانجيل كانوا مسلمين بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل مبعثه اثنان وثلاثون من الحبشة اقبلوا مع جعفر بن ابي طالب «ع» وقت قدومه وثمانية قدموا من الشام منهم بحيرا وابرهة والأشرف وعامر وايمن وادريس ونافع وتميم

المعنى

ثم بين سبحانه صفة القرآن فقال (ولقد وصلنا لهم القول) اي فصلنا لهم القول وبينا عن ابن عباس ومعناه أتينا بآية بعد آية وبيان بعد بيان واخبرناهم باخبار الأنبياء والمهلكين من أممهم (لعلهم يتذكرون) اي ليتذكروا ويتفكروا فيعلموا الحق ويتعظوا (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) اي من قبل محمد صلى الله عليه وآله وسلم (هم به) اي بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم (يؤمنون) لأنهم وجدوا نعته في التوراة وقيل معناه من قبل القرآن وهم بالقرآن يصدقون والمراد بالكتاب التوراة والانجيل يعني الذين أوتوا الكتاب (وإذا يتلى) القرآن (عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا إنا كنا من قبله) اي من قبل نزوله (مسلمين) به وذلك ان ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن كان مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل فهؤلاء لم يعاندوا ثم أثنى الله سبحانه عليهم فقال (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا) مرة بتمسكهم بدينهم حتى ادركوا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فآمنوا به ومرة بإيمانهم به وقيل بما صبروا على الكتاب الأول وعلى الكتاب الثاني و إيمانهم بما فيهما عن قتادة وقيل بما صبروا على دينهم وعلى أذى الكفار وتحمل المشاق (ويدرؤن بالحسنة السيئة) اي يدفعون بالحسن من الكلام الكلام القبيح الذي يسمعونه من الكفار وقيل يدفعون بالمعروف المنكر عن سعيد بن جبير وقيل يدفعون بالحلم جهل الجاهل عن يحيى بن سلام ومعناه يدفعون بالمداراة مع الناس أذاهم عن أنفسهم وروي مثل ذلك عن ابي عبد الله «ع» (ومما رزقناهم ينفقون) مر معناه (و إذا سمعوا اللغو) اي السفه من الناس والقبيح من القول والهزء الذي لا فائدة فيه (اعرضوا عنه) ولم يقابلوه بمثله (وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) اي لا نسأل نحن عن اعمالكم ولا تسألون عن اعمالنا بل كل منا يجازى على عمله وقيل معناه لنا ديننا ولكم دينكم وقيل لنا حلمنا ولكم سفهكم (سلام عليكم) اي أمان منا لكم ان نقابل لغوكم بمثله وقيل هي كلمة حلم واحتمال بين المؤمنين والكافرين وقيل هي كلمة تحية بين المؤمنين عن الحسن (لا نبتغي الجاهلين) اي لا نطلب مجالستهم ومعاونتهم و إنما نبتغي الحكماء والعلماء وقيل معناه لا نريد أن

نكون من اهل الجهل والسفه عن مقاتل وقيل لا نبتغي دين الجاهلين ولا نحبه عن الكلبي

قوله تعالى (٥٦) إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٧) وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ ٱلْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٥٨) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَارِثِينَ (٥٩) وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٦٠) وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل المدينة ويعقوب وسهل تجبى بالتاء والباقون بالياء وقرأ ابو عمرو أفلا تعقلون بالياء والتاء كيف شئت والباقون بالتاء

الحجة

قال ابو علي تأنيث ثمرات تأنيث جمع وليس بتأنيث حقيقي فيكون بمنزلة الوعظ والموعظة والصوت والصيحة إذا ذكرت جاز وإذا أنثت جاز وحجة من قرأ أفلا تعقلون بالتاء قوله فما أوتيتم والياء على أفلا يعقلون يا محمد

اللغة

التخطف اخذ الشيء على وجه الاستلاب من كل وجه يقال تخطفه تخطفا واختطفه اختطافا وخطفه يخطفه خطفا قال امرؤ القيس

تخطف خزان الأنيعم بالضحى وقد حجرت منها ثعالب اورال

يجبى من جبيت الماء في الحوض اي جمعته والجابية الحوض والبطر الطغيان عند النعمة قال ابن الاعرابي البطر سوء احتمال الغنى وقيل ان اصله من قولهم ذهب دمه بطرا اي باطلا عن الكسائي وقيل هو ان يتكبر عند الحق فلا يقبله

الإعراب

رزقا مصدر وضع موضع الحال تقديره يجبى اليه ثمرات كل شيء من رزقه ويجوز ان يكون مصدر فعل محذوف تقديره نرزق رزقا ويجوز أن يكون مصدرا من معنى قوله يجبى اليه ثمرات لأنه في معنى رزق فيكون مثل قولهم حمدته شكرا ويجوز ان يكون مفعولا له وقوله من لدنا في موضع نصب على الصفة لقوله رزقا وكم أهلكنا اي كثيرا من القرى اهلكنا فكم في موضع نصب بأهلكنا ومن قرية في موضع نصب على التمييز لأن كم الخبرية إذا فصل بينها وبين مميزها بكلام نصب كما ينصب كم الاستفهامية. معيشتها انتصب بقوله بطرت وتقديره في معيشتها فحذف الجار فأفضى الفعل. فتلك مساكنهم مبتدأ وخبر. لم تسكن في موضع نصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة في تلك قليلا صفة مصدر محذوف تقديره الاسكونا قليلا أو صفة ظرف تقديره وقتا او زمانا قليلا

النزول

قيل نزل قوله إنك لا تهدي من أحببت في ابي طالب فإن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يحب اسلامه فنزلت هذه الآية

وكان يكره إسلام وحشي قاتل حمزة فنزل فيه يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية فلم يسلم ابو طالب واسلم وحشي ورووا ذلك عن ابن عباس وغيره وفي هذا نظر كما ترى فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يجوز أن يخالف الله سبحانه في إرادته كما لا يجوز ان يخالفه في اوامره ونواهيه وإذا كان الله تعالى على ما زعم القوم لم يرد إيمان ابي طالب وأراد كفره وأراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم إيمانه فقد حصل غاية الخلاف بين ارادتي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والمرسل فكأنه سبحانه يقول على مقتضى اعتقادهم انك يا محمد تريد إيمانه ولا أريد إيمانه ولا اخلق فيه الايمان مع تكفله بنصرتك وبذل مجهوده في اعانتك والذب عنك ومحبته لك ونعمته عليك وتكره انت إيمان وحشي لقتله عمك حمزة وانا اريد إيمانه واخلق في قلبه الايمان وفي هذا ما فيه وقد ذكرنا في سورة الأنعام ان اهل البيت عليهم السلام قد أجمعوا على ان ابا طالب مات مسلما وتظاهرت الروايات بذلك عنهم واوردنا هناك طرفا من اشعاره الدالة على تصديقه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتوحيده فإن استيفاء ذلك جميعه لا تتسع له الطوامير وما روي من ذلك في كتب المغازي وغيرها اكثر من أن يحصى يكاشف فيها من كاشف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويناضل عنه ويصحح نبوته وقال بعض الثقات ان قصائده في هذا المعنى التي تنفث في عقد السحر وتغبر في وجه شعراء الدهر يبلغ قدر مجلد واكثر من هذا ولا شك في انه لم يختر تمام مجاهرة الأعداء استصلاحا لهم وحسن تدبيره في دفع كيادهم لئلا يلجئوا الرسول إلى ما الجأوه اليه بعد موته

=« المعنى »=

لما تقدم ذكر الرسول والقرآن وانه أنزل هدى للخلق بين سبحانه انه ليس عليه الاهتداء وإنما عليه البلاغ والاداء فقال (إنك) يا محمد (لا تهدي من أحببت) هدايته وقيل من احببته لقرابته والمراد بالهداية هنا اللطف الذي يختار عنده الايمان فإنه لا يقدر عليه إلا الله تعالى لأنه اما ان يكون من فعله خاصة او بإعلامه ولا يعلم ما يصلح المرء في دينه إلا الله تعالى فإن الهداية التي هي الدعوة والبيان قد أضافها سبحانه اليه في قوله وانك لتهدي إلى صراط مستقيم وقيل ان المراد بالهداية في الآية الاجبار على الاهتداء اي انت لا تقدر على ذلك وقيل معناه ليس عليك اهتداؤهم وقبولهم الحق (ولكن الله يهدي من يشاء) بلطفه وقيل على وجه الإجبار (وهو اعلم بالمهتدين) اي القابلين للهدى فيدبر الأمور على ما يعلمه من صلاح العباد ثم قال سبحانه حاكيا عن الكفار (وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا) اي نستلب من ارضنا يعني ارض مكة والحرم وقيل إنما قاله الحرث بن نوفل بن عبد مناف فإنه قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم انا لنعلم ان قولك حق ولكن يمنعنا أن نتبع الهدى معك ونؤمن بك مخافة أن يتخطفنا العرب من ارضنا ولا طاقة لنا بالعرب فقال سبحانه رادا عليه هذا القول (أولم نمكن لهم حرما آمنا) اي أولم نجعل لهم مكة في أمن وأمان قبل هذا ودفعنا ضرر الناس عنهم حتى كانوا يأمنون فيه فكيف يخافون زواله الآن أفلا نقدر على دفع ضرر الناس عنهم لو آمنوا بل حالة الإيمان والطاعة اولى بالأمن والسلامة من حالة الكفر (يجبى اليه ثمرات كل شيء) اي تجمع اليه ثمرات كل ارض وبلد (رزقا من لدنا) اي اعطاء من عندنا جاريا عليهم (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ما أنعمنا به عليهم وقيل لا يعلمون الله ولا يعبدونه فيعلموا ما يفوتهم من الثواب (وكم أهلكنا من قرية) اي من اهل قرية (بطرت معيشتها) اي في معيشتها بأن اعرضت عن الشكر وتكبرت والمعنى اعطيناهم المعيشة الواسعة فلم يعرفوا حق النعمة وكفروا فأهلكناهم (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا) تلك اشارة إلى ما يعرفونه هم من ديار عاد وثمود وقوم لوط اي صارت مساكنهم خاوية خالية عن اهلها وهي قريبة منكم فإن ديار عاد إنما كانت بالاحقاف وهو موضع بين اليمن والشام وديار ثمود بوادي القرى وديار قوم لوط بسدوم وكانوا هم يمرون بهذه المواضع في تجاراتهم (وكنا نحن الوارثين) اي المالكين لديارهم لم يخلفهم احد فيها ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم

فقال (وما كان ربك) يا محمد (مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا) قيل ان معنى أمها أم القرى وهي مكة وقيل يريد معظم القرى من سائر الدنيا (يتلوا عليهم آياتنا) اي يقرأ عليهم حججنا وبيناتنا (وما كنا مهلكي القرى إلا واهلها ظالمون) لنفوسهم بالكفر والطغيان والعتو والعصيان ثم خاطب سبحانه خلقه فقال (وما أوتيتم من شيء) اي وما اعطيتموه من شيء (فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) اي هو شيء تتمتعون به في الحياة وتتزينون به (وما عند الله) من الثواب ونعيم الآخرة (خير) من هذه النعم (وابقى) لأنها فانية ونعم الآخرة باقية (أفلا تعقلون) ذلك وتتفكرون فيه حتى تميزوا بين الباقي والفاني

قوله تعالى (٦١) أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْداً حَسَناً فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٦٢) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٣) قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٤) وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ (٦٥) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٦) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ست آيات

اللغة

المتعة المنفعة وقد فرق بينهما بأن المتعة منفعة توجب الالتذاذ في الحال والمنفعة قد تكون بألم تؤدي عاقبته إلى نفع فكل متعة منفعة وليس كل منفعة متعة والاحضار إيجاد ما به يكون الشيء بحيث يشاهد والزعم القول في الأمر على ظن او علم ولذلك دخل في باب علمت واخواته قال

فإن تزعميني كنت أجهل فيكم ... فإني شريت الحلم عندك بالجهل

النزول

نزل قوله أفمن وعدناه الآية في رسول الله ﷺ وابي جهل وقيل نزل في حمزة بن عبد المطلب وعلي بن ابي طالب «ع» وفي ابي جهل عن محمد بن كعب والسدي وقيل نزل في عمار وفي الوليد بن المغيرة والأولى أن يكون عاما فيمن يكون بهذه الصفة

المعنى

لما تقدم ذكر ما أوتوا من زينة الحياة الدنيا عقبه سبحانه بالفرق بين من اوتي نعيم الدنيا وبين من اوتي نعيم الآخرة فقال (افمن وعدناه وعدا حسنا) من ثواب الجنة ونعيمها جزاء على طاعته (فهو لاقيه) اي فهو واصل اليه ومدركه لا محالة (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) من الأموال وغيرها (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) للجزاء والعقاب وقيل من المحضرين في النار والمعنى أيكون حال هذا كحال ذاك اي لا يكون حالهما سواء لأن نعم الدنيا مشوبة بالغموم وتعرض الزوال والفناء ونعم الآخرة خالصة صافية دائمة لا تتكدر بالشوب ولا تتنقص بالانقضاء (ويوم يناديهم) اي واذكر يوم ينادي الله الكفار وهو يوم القيامة وهذا نداء تقريع وتبكيت (فيقول اين شركائي الذين كنتم تزعمون) اي كنتم تزعمون في الدنيا انهم شركاء في الالهية وتعبدونهم وتدعون انهم ينفعونكم (قال الذين حق عليهم القول) اي حق عليهم الوعيد بالعذاب من الجن والشياطين والذين اغووا الخلق من الانس (ربنا هؤلاء الذين اغوينا) يعنون اتباعهم (اغويناهم كما غوينا) اي اضللناهم عن الدين

بدعائنا اياهم إلى الضلال كما ضللنا نحن بأنفسنا (تبرأنا اليك) منهم ومن افعالهم قال الزجاج برئ بعضهم من بعض وصاروا اعداء كما قال سبحانه الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو (ما كانوا ايانا يعبدون) أي لم يكونوا يعبدوننا بل كانوا يعبدون الشياطين الذين زينوا لهم عبادتنا وقيل معناه لم يعبدونا باستحقاق وحجة (وقيل ادعوا شركائكم) اي ويقال للاتباع ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله وزعمتم انهم شركائي لينصروكم ويدفعوا عنكم عذاب الله وإنما اضاف الشركاء اليهم لأنه لا يجوز أن يكون لله شريك ولكنهم كانوا يزعمون انها شركاء الله بعبادتهم اياهم (فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) اي فيدعونهم فلا يجيبونهم إلى ملتمسهم (ورأوا العذاب) اي ويرون العذاب (لو انهم كانوا يهتدون) جواب لو محذوف تقديره لو انهم كانوا يهتدون لرأوا العذاب اي لاعتقدوا أن العذاب حق وهذا القول اولى لدلالة الكلام على المحذوف (ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين) اي ما كان جوابكم لمن ارسل اليكم من النبيين وهذا سؤال تقرير بالذنب وهو نداء يجمع العلم والعمل معا فإن الرسل يدعون إلى العلم والعمل جميعا فكأنه قيل لهم ماذا علمتم وماذا عملتم (فعميت عليهم الأنباء يومئذ) اي فخفيت واشتبهت عليهم طرق الجواب يومئذ فصاروا كالعمي لانسداد طرق الاخبار عليهم كما تنسد طرق الأرض على العمي وقيل معناه فالتبست عليهم الحجج عن مجاهد وسميت حججهم انباء لأنها اخبار يخبر بها فهم لا يحتجون ولا ينطقون بحجة لأن الله تعالى ادحض حجتهم واكلّ السنتهم فسكتوا فذلك قوله (فهم لا يتساءلون) أي لا يسأل بعضهم بعضا عن الحجج وقيل لا يسأل بعضهم بعضا عن العذر الذي يعتذر به في الجواب فلا يجيبون وقيل معناه لا يتساءلون بالانساب والقرابة كما في الدنيا وقيل لا يسأل بعضهم بعضا عن حاله لشغله بنفسه عن الجبائي وقيل لا يسأل بعضهم بعضا أن يحمل ذنوبه عنه عن الحسن

قوله تعالى (٦٧) فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ (٦٨) وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٩) وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٠) وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أربع آيات

❋ المعنى ❋

ثم ذكر سبحانه التائبين ورغب في التوبة بعد التخويف فقال (فأما من تاب) اي رجع عن المعاصي والكفر (وآمن وعمل صالحا) أي وأضاف إلى إيمانه الأعمال الصالحة (فعسى أن يكون من المفلحين) وإنما أتى بلفظة عسى مع انه مقطوع بفلاحه لأنه على رجاء ان يدوم على ذلك فيفلح وقد يجوز ان يزل فيما بعد فيهلك على انه قد قيل ان عسى من الله سبحانه لفظة وجوب في جميع القرآن ولما كان المفلح مختار الله تعالى ذكر عقيبه ان الاختيار إلى الله تعالى والخلق والحكم له لكونه قادرا عالما على الكمال فقال (وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة) الخيرة اسم من الاختيار اقيم مقام المصدر والخيرة اسم للمختار ايضا يقال محمد صلى الله عليه وآله وسلم خيرة الله من خلقه ويجوز التخفيف فيهما واختلف في الآية وتقديرها على قولين ❋ احدهما ❋ ان معناه وربك يخلق ما يشاء من الخلق ويختار تدبير عباده على ما هو الأصلح لهم ويختار للرسالة ما هو الأصلح لعباده ثم قال ما كان لهم الخيرة اي ليس لهم الاختيار على الله بل لله الخيرة عليهم وعلى هذا تكون ما نفيا ويكون الوقف على قوله ويختار وفيه رد على المشركين الذين قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فاختاروا الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف ❋ والآخر ❋ ان يكون ما في الآية بمعنى الذي اي ويختار

الذي كان لهم الخيرة فيه فيكون الوقف على هـذا عند قوله ما كان لهم الخيرة وهذا ايضا في معنى الأول لأن حقيقة المعنى فيهما انه سبحانه يختار واليه الاختيار ليس لمن دونه الاختيار لأن الاختيار يجب أن يكون على العلم بأحوال المختار ولا يعلم غيره سبحانه جميع أحوال المختار ولأن الاختيار هو اخذ الخير وكيف يأخذ الخير من الأشياء من لا يعلم الخير فيها (سبحان الله وتعالى عما يشركون) اي تقدس وتنزه عن ان يكون له شريك في خلقه واختياره ثم اقام سبحانه البرهان على صحة اختياره بقوله (وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) اي وربك يعلم ما يخفونه وما يظهرونه فاليه الاختيار وفي هذا دلالة على ان من لا يعلم السر والجهر فلا اختيار اليه ثم اكد سبحانه ذلك بقوله (وهو الله لا إله إلا هو) لا يستحق العبادة سواه (له الحمد في الأولى والآخرة) اي له الثناء والمدح والتعظيم على ما أنعم به على خلقه في الدنيا والعقبى (وله الحكم) بينهم بما يميز به الحق من الباطل قال ابن عباس يحكم لأهل طاعته بالمغفرة والفضل ولأهل معصيته بالشقاء والويل (واليه) أي وإلى جزائه وحكمه (ترجعون)

قوله تعالى (٧١) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧٢) قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٧٣) وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٤) وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٧٥) وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ خمس آيات

المعنى

ثم بين سبحانه ما يدل على توحيده فقال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (قل) يا محمد لأهل مكة الذين عبدوا معي آلهة تنبيها لهم على خطئهم (ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا) اي دائما (إلى يوم القيامة) لا يكون معه نهار (من إله غير الله يأتيكم بضياء) كضياء النهار تبصرون فيه فإنهم لا يقدرون على الجواب عن ذلك إلا بأنه لا يقدر على ذلك سوى الله فحينئذ تلزمهم الحجة بأنه لا يستحق العبادة غيره (افلا تسمعون) اي افلا تقبلون ما وعظتم به وقيل افلا تسمعون ما بينه الله لكم من ادلته وتتفكرون فيه (قل) يا محمد لهم (أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا) اي دائما (إلى يوم القيامة) لا يكون معه ليل (من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه) اي تستريحون فيه من الحركة والنصب (افلا تبصرون) أي افلا تعلمون من البصيرة وقيل افلا تشاهدون الليل والنهار وتتدبرون فيهما فتعلموا انهما من صنع مدبر حكيم ثم قال (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار) اي ومن نعمته عليكم واحسانه اليكم ان جعل لكم الليل والنهار (لتسكنوا فيه) اي في الليل (ولتبتغوا من فضله) اي في النهار (ولعلكم تشكرون) نعم الله في تصريف الليل والنهار وفي سائر انواع النعم (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) مضى تفسيره فإنما كرر ذكر النداء للمشركين بأين شركائي تقريعا لهم بعد تقريع وقيل لأن النداء الاول لتقرير اقرارهم على انفسهم بالغي الذي كانوا عليه ودعوا اليه والثاني للتعجيز عن اقامة البرهان على ما طولبوا به بحضرة الاشهاد (ونزعنا من كل امة شهيدا) اي وأخرجنا من كل امة من الامم رسولها الذي يشهد عليهم بالتبليغ وبما كان منهم عن مجاهد وقتادة وقيل هم عدول الآخرة

ولا يخلو كل زمان منهم يشهدون على الناس بما علموا (فقلنا هاتوا برهانكم) اي حججكم على صحة ما ذهبتم اليه (فعلموا أن الحق لله) اي فبهتوا وتحيروا ولم يكن لهم حجة يقيمونها وعلموا يقيناً أن الحق ما انتم عليه وما انزله الله وان الحجة لله ولرسوله فلزمتهم الحجة لأن المشهود عليه إذا لم يأت بمخلص عن بينة الخصم توجهت القضية عليه ولزمه الحكم (وضل عنهم) اي ذهب عنهم (ما كانوا يفترون) من الكذب وبطل ما عبدوه من دون الله تعالى

— النظم —

إنما اتصلت هذه الآيات بما قبلها بأنه جرى ذكر معبودي الكفار وأنهم لم يغنوا من الله شيئاً فعقبه سبحانه بأن وصف نفسه بأنه المنعم المالك للنفع والضر وقيل لما تقدم ان الحمد لله سبحانه في الدارين ذكر عقيبه ما يوجب الحمد من النعم السابقة وقيل يتصل بقوله يخلق ما يشاء ويختار اي ويختار لعباده ما هو الأصلح لهم والأنفع

قوله تعالى (٧٦) إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٧) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٨) قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ (٧٩) فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٨٠) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ (٨١) فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨٢) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ سبع آيات

❋ القراءة ❋

قرأ حفص عن عاصم ويعقوب وسهل لخسف بفتح الخاء والسين وهو قراءة الحسن والأعرج وشيبة ومجاهد والباقون لخسف بضم الخاء وكسر السين وقرأ يعقوب ويك يقف عليها ثم يبتدي فيقول انه

❋ الحجة ❋

قال ابو علي من قرأ لخسف بنا بفتح الخاء فلتقدم ذكر الله تعالى ومن قرأ بضم الخاء فبنى الفعل للمفعول به فإنه يؤول إلى الأول في المعنى وقال ابن جني في ويكأنه ثلاثة أقوال منهم من جعلها كلمة واحدة فلم يقف على وي ومنهم من وقف على وي ومنهم من قال ويك وهو مذهب ابي الحسن والوجه فيه عندنا هو قول الخليل وسيبويه وهو ان وي اسم سمي به الفعل في الخبر فكأنه اسم اعجب ثم ابتدأ فقال كأنه لا يفلح الكافرون وكأن الله يبسط الرزق فوي منفصلة من كأن وعليه بيت الكتاب

سألتاني الطلاق إن رأتاني قل مالي قد جئتماني بنكر

وي كأن من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر

وما جاءت فيه كأن عارية من معنى التشبيه ما أنشده ابو علي

كأنني حين أمسي لا تكلمني متيم يشتهي ما ليس موجودا

أي انا حين أمسي متيم من حالي كذا ومن قال انها ويك فكأنه قال اعجب لأنه لا يفلح الكافرون وأعجب لأن الله يبسط الرزق وهو قول ابي الحسن وينبغي أن يكون الكاف هنا حرف خطاب بمنزلة الكاف في ذلك وأولئك ويشهد لهذا قول عنترة

ولقد شفا نفسي وأذهب سقمها قيل الفوارس ويك عنتر اقدم

وقول من قال ويكأنه كلمة واحدة إنما يريد به انه لا يفصل بعضه من بعض

❋ اللغة ❋

البغي طلب العتو بغير حق ومنه قيل لولاة الجور بغاة . والكنز جمع المال بعضه على بعض وصار بالعرف عبارة عما يخبأ تحت الأرض ولا يطلق في الشرع اسم الكنز إلا على مال لا تخرج زكاته للوعيد الذي جاء فيه . والمفاتح جمع مفتح والمفاتيح جمع مفتاح ومعناها واحد وهو عبارة عما يفتح به الاغلاق . وناء بحمله ينوء نوءاً إذا نهض به مع ثقله عليه ومنه اخذت الأنواء لأنها تنهض من المشرق على ثقل نهوضها وقال ابو زبد ناءني الحمل إذا أثقلني والعصبة الجماعة الملتف بعضها ببعض يقال ناءت المفاتيح بالعصبة وانائت العصبة بمعنى كما يقال ذهبت به وأذهبته فالباء والهمز يتعاقبان في تعدي الفعل قال سبحانه فأجاءها المخاض أي جاء بها وقال ابو عبيدة هذا من المقلوب ومعنى قوله لتنوء بالعصبة تنوء العصبة بها كما قال الشاعر

إن سراجا لكريم مفخره تجلى به العين إذا ما تجهره

ومعناه يجلي بالعين فقلب وقال آخر

كانت عقوبة ما جنيت كما كان الزناء عقوبة الرجم

قال امرؤ القيس

يضيء الظلام وجهها لضجيعها كمصباح زيت في قناديل ذبال

أي في ذبال قناديل وهذا غير صحيح ولا يجوز ان يحمل القرآن عليه لأنه يجري مجرى الغلط من العرب ومثل ذلك في شعرهم كثير قال

غداة أحلت لابن صرمة طعنة حصين عبيطات السديفة والخمر

والعبيطات مفعولة والطعنة فاعلة فقلب ومن اغلاطهم قول الراجز

جارية لم تعلم المرققا ولم تذق من البقول الفستقا

فظن الفستق من البقول فأما قول خداش بن زهير

وتركت خيلا لا هوادة بينها وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر

فذهب كثير من العلماء إلى ان المعنى وتشقى الضياطرة الحمر بالرماح فقلب وليس الأمر كذلك وإنما أراد ان رماحهم تشرف عن هؤلاء الضياطرة فإذا طعنوا بها فقد شقيت الرماح لأن منزلتها ارفع من ان يطعنوا بها وقالوا ايضا في قول زهير

فتنتج لكم غلمان اشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

انه غلط فنسبه إلى عاد وإنما هو احمر ثمود وهذا ايضا ليس بغلط فإن ثمود يسمي عاداً الآخرة لقوله تعالى وانه أهلك عادا الأولى وقيل إنما سموا ثمود لأن الله تعالى اهلك عادا وبقيت منهم بقية تناسلوا فهم ثمود واشتق لهم هذا الاسم من الثمد وهو الماء القليل لأنهم قلوا عن عدد عاد الأولى وإذا جاء في الشعر ما يجري مجرى الغلط فلا يجوز أن يحمل كلام الله تعالى عليه

﴿ المعنى ﴾

(ان قارون كان من قوم موسى) أي كان من بني اسرائيل ثم من سبط موسى وهو ابن خالته عن عطا عن ابن عباس وروي ذلك عن ابي عبد الله «ع» وقيل كان ابن عم موسى لحًا لأنه كان قارون بن يصهر بن قاهث وموسى بن عمران بن قاهث عن ابن جريج وقيل كان موسى ابن أخيه وقارون عمه عن محمد بن اسحاق (فبغى عليهم) اي استطال عليهم بكثرة كنوزه عن قتادة قال وكان يسمي المنور لحسن صورته ولم يكن في بني اسرائيل اقرأ منه للتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فبغي عليهم وقيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل فكان يبغي عليهم ويطالبهم لما كانوا بمصر عن سعيد بن المسيب وابن عباس وقيل انه زاد عليهم في الثياب شبرا عن عطاء الخراساني وشهر بن حوشب (وآتيناه من الكنوز) قال عطا اصاب كنزا من كنوز يوسف (ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة) ماهذه موصولة بمعنى الذي وصلتها أن مع اسمها وخبرها اي اعطيناه من الاموال المدخرة قدر الذي يثقل مفاتحه العصبة والمفاتح هنا الخزائن في قول اكثر المفسرين وهو اختيار الزجاج كما في قوله سبحانه وعنده مفاتح الغيب فيكون المراد بمفاتحه خزائن ماله وهو قول ابن عباس والحسن وقيل هي المفاتح التي تفتح بها الابواب عن قتادة ومجاهد وروى الأعمش عن خيثمة قال كانت مفاتيح قارون من جلود كل مفتاح مثل الاصبع واختلف في معنى العصبة فقيل ما بين عشرة إلى خمسة عشر عن مجاهد وقيل ما بين عشرة إلى اربعين عن قتادة وقيل اربعون رجلا عن ابي صالح وقيل ما بين الثلاثة إلى العشرة عن ابن عباس وقيل انهم الجماعة يتعصب بعضهم لبعض (إذ قال له قومه) من بني اسرائيل (لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين) اي لا تأشر ولا تمرح ولا تتكبر بسبب كنوزك إن الله لا يحب من كان بهذه الصفة ويدل على ان الفرح بمعنى البطر قول الشاعر

ولست بمفراح إذا الدهر سرني ولا جازع من صرفه المتقلب

وقول الآخر «ولا ارخي من الفرح الازارا» (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) وهذا ايضا من مقالة المؤمنين من قوم قارون له وقيل ان المخاطب له بذلك موسى وان ذكر بلفظ الجمع ومعناه اطلب فيما اعطاك الله من الأموال الدار الآخرة بأن تنفقها في سبيل الخير ووجوه الخير والبر (ولا تنس نصيبك من الدنيا) وهو أن تعمل في الدنيا للآخرة عن اكثر المفسرين ومعناه لا تنس أن تعمل لآخرتك لأن حقيقة نصيب الانسان من الدنيا الذي يعمل به لآخرته وروي في معناه عن علي «ع» لا تنس صحتك وقوتك وفراغك وشبابك ونشاطك وغناك ان تطلب بها الآخرة وقيل امران يقدم الفضل وان يمسك ما يغنيه عن الحسن وقيل معناه انه كان قتورا شحيحا فقيل له كل واشرب واستمتع بما آتاك الله من الوجه الذي اباحه الله لك فإن ذلك غير محظور عليك (وأحسن كما احسن الله اليك) اي افضل على الناس كما افضل الله عليك وقيل احسن فيما افترض الله عليك كما أحسن في انعامه عليك عن يحيى بن سلام وقيل معناه واحسن شكر الله تعالى على قدر انعامه عليك وواس عباد الله بمالك (ولا تبغ الفساد) اي لا تطلب العمل (في الأرض) بالمعاصي (إن الله لا يحب المفسدين) ظاهر المعنى (قال) قارون (إنما أوتيته على علم عندي) اختلف في معناه فقيل أراد إنما أعطيت هذا المال بفضل وعلم عندي ليس ذلك عندكم عن قتادة يعني انه قدر ان هذا ثواب من الله تعالى له لفضيلته كما اخبر سبحانه عن ذلك

الكافر بقوله ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا وقيل معناه لرضا الله عني ومعرفته باستحقاقي عن ابن زيد وهذا قريب من الأول وقيل معناه إن المال حصل له على علم عندي بوجوه المكاسب وبما لا يتهيأ لأحد ان يكتسبه من التجارات والزراعات وغيرها وقيل على علم عندي بصنعة الذهب وهو علم الكيمياء عن الكلبي وحكي ان موسى (ع) علم قارون الثلث من صنعة الكيمياء وعلم يوشع الثلث منها وعلم ابن هارون الثلث منها فخدعهما قارون حتى علم ما عندهما وعمل بالكيمياء فكثرت امواله (أو لم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون) الكافرة بنعمته (من هو اشد منه قوة وأكثر جمعا) كقوم عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ثم بيّن سبحانه ان اغتراره بماله وعدده من الخطأ العظيم لأنه لا ينتفع بذلك عند نزول العذاب به كما ان من كانوا أقوى وأغنى منه لم تغن اموالهم وجموعهم عنهم شيئا عند ذلك (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) قال قتادة يعني انهم يدخلون النار بغير حساب وقال قتادة إن الملائكة تعرفهم بسيماهم فلا يسألون عنهم لعلامتهم ويأخذونهم بالنواصي والأقدام فيصيرونهم إلى النار وهذا كقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وأما قوله فوربك لنسألنهم اجمعين فإنما ذلك سؤال تقريع وتوبيخ لا ليعلم ذلك من قبلهم عن الحسن (فخرج على قومه) اي خرج قارون على بني اسرائيل (في زينته) التي كان يتزين بها وحشمه وتبعه وقيل انه خرج في اربعة آلاف دابة عليها اربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان عن قتادة والارجوان في اللغة صبغ احمر وقيل خرج في جوار بيض على سرج من ذهب على قطف ارجوان على بغال بيض عليهن ثياب حمر وحلي من ذهب عن السدي وقيل خرج في سبعين الفا عليهم المعصفرات (قال الذين يريدون الحيوة الدنيا) من الكفار والمنافقين وضعيفي الإيمان بما للمؤمنين عند الله من ثواب الجنة لما رأوه في تلك الزينة والجمال (ياليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم) اي ذو نصيب وافر من الدنيا والمعنى انهم تمنوا مثل منزلته ومثل ماله (وقال الذين أوتوا العلم) وهم المصدقون بوعد الله المؤمنون لهم (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا) مما اوتي قارون وحذف لدلالة الكلام عليه (ولا يلقاها إلا الصابرون) اي ولا يلقى مثل هذه الكلمة ولا يوفق لها إلا الصابرون على امر الله وقيل معناه ولا يعطاها يعني الجنة في الآخرة ودل عليها قوله ثواب الله إلا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الدنيا عن الكلبي (فخسفنا به وبداره الأرض) قال السدي دعا قارون امرأة من بني اسرائيل بغيا فقال لها إني اعطيك الفين على ان تجيئي غداً إذا اجتمعت بنو اسرائيل عندي فتقولي يامعشر بني اسرائيل مالي ولموسى قد آذاني قالت نعم فأعطاها خريطتين عليها خاتمه فلما جاءت بيتها ندمت وقالت ياويلتي قد عملت كل فاحشة فما بقي إلا ان افتري على نبي الله فلما اصبحت اقبلت ومعها الخريطتان حتى قامت بين بني اسرائيل فقالت ان قارون قد اعطاني هاتين الخريطتين على ان آتي جماعتكم فأزعم أن موسى يراودني عن نفسي ومعاذ الله أن افتري على نبي الله وهذه دراهمه عليها خاتمه فعرف بنو اسرائيل خاتم قارون فغضب موسى فدعا الله عليه فأوحى الله اليه اني امرت الأرض ان تطيعك وسلطتها عليه فمرها فقال موسى يا أرض خذيه وهو على سريره وفرشه فأخذته حتى غيبت سريره فلما رأى قارون ذلك ناشده الرحم فقال خذيه فأخذته حتى غيبت قدميه ثم اخذته حتى غيبت ركبتيه ثم اخذته حتى غيبت حقويه وهو يناشده الرحم فأخذته حتى غيبته فأوحى الله اليه ياموسى ناشدك الرحم واستغاثك فأبيت أن تغيثه لو اياي دعا واستغاثني لأغثته قال مقاتل ولما أمر موسى الأرض فابتلعته قال بنو اسرائيل إنما فعل ذلك موسى ليرث ماله لأنه كان ابن عمه فخسف بداره وبجميع أمواله بعده بثلاثة ايام فلم يقدر على ماله بعده ابدا (فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله) أي فما كان له من جماعة منقطعة اليه يدفعون عنه عذاب الله تعالى الذي نزل به وإنما قال سبحانه ذلك لأنه كان يقدر مع نفسه الامتناع بحاشيته وجنوده (وما كان من المنتصرين) بنفسه لنفسه (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس) حين خرج عليهم في زينته (يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن

يشاء من عباده ويقدر) وهذه كلمة تندم واعتراف وقد بينا ان عند الخليل وسيبويه لفظة وي مفصولة من كأن وإن وقعت في المصحف موصولة يقول القائل إذا تبين له الخطأ وي كنت على خطأ وقال الفراء أصله ويلك فحذفت اللام وجعلت ان مفتوحة في موضع نصب بفعل مضمر كأنه قال اعلم ان الله تعالى قال وحدثني شيخ من أهل البصرة قال سمعت اعرابية تقول لزوجها أين ابنك ويلك فقال لها ويك انه وراء البيت قال معناه أما ترينه وراء البيت وقيل معناه الا كان واما كان وقال الكسائي ويكأن في التأويل ذلك ان الله وهو قول ابن عباس أي قالوا ذلك ان الله يبسط الرزق لمن يشاء لا لكرامته كما بسط لقارون ويقدر ان يضيق على من يشاء لا لهوان لكن بحسب المصلحة وقال مجاهد وقتادة ويكأن معناه ألم تعلم (لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا) أي لولا انه أنعم علينا بنعمه فلم يعطنا ما أعطي قارون لخسف بنا كما خسف به وقيل معناه لو ان الله تعالى منّ علينا بالتجاوز عما تمنينا لخسف بنا لما تمنينا منزلة قارون (ويكأنه لا يفلح الكافرون) أي لا يفوز بثواب الله وينجو من عقابه الجاحدون لنعمه العابدون معه سواه

النظم

إنما اتصلت قصة قارون بما قبلها من قوله نتلو عليك من نبإ موسى فكأنه قال ومن نبإ موسى الذي وعدنا تلاوته في اول السورة قصة قارون معه وقيل اتصل بقوله فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى فأكد سبحانه ذلك بحديث قارون وحاله وقيل انه لما تقدم خزي الكفار وافتضاحهم يوم القيامة ذكر عقيبه ان قارون من جملتهم وانه يفتضح يوم القيامة كما افتضح في الدنيا

قوله تعالى (٨٣) تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٤) مَنْ جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَنْ جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٨٥) إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ (٨٦) وَمَا كُنتَ تَرْجُوۤ أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ ٱلْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهيراً لِّلْكَافِرِينَ (٨٧) وَلاَ يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ (٨٩) وَلاَ تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً آخَرَ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ

ست آيات

النزول

قيل لما نزل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجحفة في مسيره إلى المدينة لما هاجر اليها اشتاق إلى مكة فأتاه جبرئيل «ع» فقال أتشتاق إلى بلدك ومولدك فقال نعم قال جبرئيل فإن الله يقول إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد يعني مكة ظاهرا عليها فنزلت الآية بالجحفة وليست بمكية ولا مدنية وسميت مكة معاداً لعوده اليها عن ابن عباس

المعنى

(تلك الدار الآخرة) يعني الجنة (نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض) أي تجبرا وتكبرا على عباد الله واستكبارا عن عبادة الله (ولا فسادا) أي عملا بالمعاصي عن ابن جريج ومقاتل وروى زاذان عن امير

المؤمنين«ع» انه كان يمشي في الأسواق وحده وهو دال يرشد الضال ويعين الضعيف ويمر بالبياع والبقال فيفتح عليه القرآن ويقرأ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ويقول نزلت هذه الآية في أهل العدل والتواضع من الولاة وأهل القدرة من سائر الناس وروى ابو سلام الاعرج عن امير المؤمنين«ع» ايضا قال ان الرجل ليعجبه شراك نعله فيدخل في هذه الآية تلك الدار الآخرة الآية يعني ان من تكبر على غيره بلباس يعجبه فهو ممن يريد علواً في الأرض قال الكلبي يعني بقوله فساداً الدعاء إلى عبادة غير الله وقال عكرمة هو أخذ المال بغير حق (والعاقبة للمتقين) أي والعاقبة الجميلة المحمودة من الفوز بالثواب للذين اتقوا الشرك والمعاصي وقيل معناه الجنة لمن اتقى عقاب الله باداء فرائضه واجتناب معاصيه (من جاء بالحسنة فله خير منها) مضى تفسيره (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون) أي لا يزاد في عقابهم على قدر استحقاقهم بخلاف الزيادة في الفضل على الثواب المستحق فإنه يكون تفضلا فهو مثل قوله ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها (إن الذي فرض عليك القرآن) خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى ان الذي أوجب عليك الامتثال بما تضمنه القرآن وأنزله عليك (لرادك الى معاد) أي يردك الى مكة عن ابن عباس ومجاهد والجبائي وعلى هذا فيكون في الآية دلالة على صحة النبوة لأنه اخبر به من غير شرط ولا استثناء وجاء المخبر مطابقا للخبر قال القتيبي معاد الرجل بلده لأنه يتصرف في البلاد ثم يعود اليه وقيل إلى معاد إلى الموت عن ابن عباس في رواية أخرى وعن ابي سعيد الخدري وقيل الى المرجع يوم القيامة أي يعيدك بعد الموت كما بدأك عن الحسن والزهري وعكرمة وابي مسلم وقيل الى الجنة عن مجاهد وابي صالح فالمعنى انه مميتك وباعثك ومدخلك الجنة والظاهر يقتضي انه العود الى مكة لأن ظاهر العود يقتضي ابتداء ثم عوداً اليه على انه يجوز أن يقال الجنة معاد وإن لم يتقدم له فيها كون كما قال سبحانه في الكفار ثم ان مرجعهم لإلى الجحيم ثم ابتدأ سبحانه كلاما آخر فقال (قل) يا محمد (ربي اعلم من جاء بالهدى) الذي يستحق به الثواب (ومن هو في ضلال مبين) أي ومن لم يجئ بالهدى وضل عنه أي لا يخفى عليه المؤمن والكافر ومن هو على الهدى ومن هو ضال عنه وتأويله قل ربي يعلم اني جئت بالهدى من عنده وانكم في ضلال سينصرني عليكم ثم ذكر نعمه فقال (وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب) أي وما كنت يا محمد ترجو فيما مضى أن يوحي الله اليك ويشرفك بإنزال القرآن عليك (إلا رحمة من ربك) قال الفراء هذا من الاستثناء المنقطع ومعناه إلا ان ربك رحمك وأنعم به عليك وأراد بك الخير كذلك ينعم عليك بردك إلى مكة فاعرف هذه النعم وقيل معناه وما كنت ترجو أن تعلم كتب الأولين وقصصهم تتلوها على أهل مكة ولم تشهدها ولم تحضرها بدلالة قوله وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا أي انك تتلو على أهل مكة قصص مدين وموسى ولم تكن هناك ثاويا مقيما وكذلك قوله وما كنت بجانب الغربي وانت تتلو قصصهم وامرهم فهذه رحمة من ربك (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) أي معينا لهم وفي هذا دلالة على وجوب معاداة أهل الباطل وفي هذه الآية وما بعدها وإن كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فالمراد غيره وقد روي عن ابن عباس انه كان يقول القرآن كله اياك اعني واسمعي يا جارة (ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت اليك) أي ولا يمنعك هؤلاء الكفار عن اتباع آيات الله التي هي القرآن والدين بعد إذ نزلت اليك تعظيما لذكرك وتفخيما لشأنك (وادع إلى ربك) أي إلى طاعة ربك الذي خلقك وأنعم عليك وإلى توحيده (ولا تكونن من المشركين) اي لا تمل اليهم ولا ترض بطريقتهم ولا توال احدا منهم (ولا تدع مع الله إلهاً آخر) أي لا تعبد معه غيره ولا تستدع حوائجك من جهة ما سواه (لا إله إلا هو) أي لا معبود إلا هو وحده لا شريك له (كل شيء هالك إلا وجهه) أي كل شيء فان بائد إلا ذاته وهذا كما يقال هذا وجه الرأي ووجه الطريق وهذا معنى قول مجاهد (الاهو) وفي هذا دلالة على ان الأجسام تفنى ثم تعاد على ما قاله الشيوخ في الفناء

والإعادة وقيل معناه كل شيء هالك إلا ما اريد به وجهه فإن ذلك يبقى ثوابه عن عطا وابن عباس وعن ابي العالية والكلبي وهو اختيار الفراء وانشد

استغفر الله ذنباً لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل

أي اليه أوجه العمل وعلى هذا يكون وجه الله ما وجه اليه من الأعمال (له الحكم) أي له القضاء النافذ في خلقه وقيل له الفصل بين الخلائق في الآخرة دون غيره (واليه ترجعون) اي تردون في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم

﴿ النظم ﴾

اتصل قوله تلك الدار الآخرة الآية بما قبله على معنى انه سبحانه كما حرم نعم الدنيا عليهم بالهلاك كذلك يحرم عليهم نعم الآخرة وأما وجه اتصال قوله إن الذي فرض عليك القرآن الآية بما قبله فقد ذكر فيه من حمل المعاد على البعث انه اتصل بقوله تلك الدار الا خرة ومن حمله على العود إلى مكة قال انه لما بين سبحانه وعده لأم موسى رد موسى عليها مع شرف النبوة كذلك وعده ربه العودة إلى مكة مع الشرف العظيم وقد انجز وعده كما انجز وعده هناك ويكون معنى الكلام أن الذي انزل القرآن بذلك الوعد سينجز هذا الوعد واتصل قوله قل ربي اعلم من جاء بالهدى على معنى انه امره بأن يقول لهم ربي اعلم بالصادق والكاذب لا يلتبس عليه شيء

﴿ تم الجزء السابع من مجمع البيان في تفسير القرآن ﴾

﴿ الجزء الثامن ﴾

سورة العنكبوت

مكية كلها في قول عكرمة وعطا والكلبي ومدنية في احد القولين عن ابن عباس وقتادة ومكية إلا عشر آيات من اولها فإنها مدنية عن الحسن وفي احد القولين عن ابن عباس وهو عن يحيى بن سلام

﴿ عدد آيها ﴾

تسع وستون آية بالإجماع

﴿ اختلافها ﴾

ثلاث آيات الم كوفي وتقطعون السبيل حجازي مخلصين له الدين بصري شامي

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ سورة العنكبوت كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين وروى ابو بصير عن ابي عبد الله «ع» قال من قرأ سورة العنكبوت والروم في شهر رمضان ليلة ثلاث وعشرين فهو والله يا أبا محمد من أهل الجنة لا استثني فيه ابدا ولا أخاف أن يكتب الله علي في يميني إثما وان لهاتين السورتين من الله مكانا

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه سورة القصص بذكر الوعد والوعيد وافتتح هذه السورة بذكر تكليف العبيد فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) الٓمٓ (٢) أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (٣) وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَاذِبِينَ (٤) أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥) مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ علي (ع) فليعلمن الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين بضم الياء وكسر اللام فيهما وهو المروي عن جعفر ابن محمد ومحمد بن عبد الله بن الحسن ووافقهم الزهري في وليعلمن الكاذبين وقرأ أيضا وليعلمن المنافقين

﴿ الحجة ﴾

معناه ليعرفن الناس من هم فحذف المفعول الأول كما قال سبحانه يوم ندعو كل اناس بإمامهم وقال يعرف المجرمون بسيماهم وقال ونحشر المجرمين يومئذ زرقا ويجوز أن يكون من قولهم ثوب معلم وفارس معلم بالكسر إذا اعلم نفسه في الحرب فيكون معناه وليشهرن فيرجع إلى المعنى الأول لأنه على تقدير حذف المفعول ويجوز أن يكون على حذف المفعول الثاني اي وليعلمن الصادقين ثواب صدقهم والكاذبين عقاب كذبهم

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج موضع ان الأولى نصب باسم حسب وخبره وموضع ان الثانية نصب من جهتين اجودهما أن تكون منصوبة بيتركوا فيكون المعنى أحسب الناس أن يتركوا لأن يقولوا أو بأن يقولوا فلما حذف حرف

الخفض وصل بتركوا إلى ان فنصب ويجوز أن تكون أن الثانية العامل فيها حسب اي حسب الناس أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون قال ابو علي أما ما ذكره من انه نصب بيتركوا فإنه بين السقوط لأن ترك فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا بني للمفعول لم يتعد إلى آخر فأن يقولوا لا يتعلق به ولا يتعدى اليه حتى يقدر حرف ثم يقدر الحذف فيصل الفعل وأما ما ذكره من انتصابه بحسب فلا يخلو إذا قدر انتصابه به من أن يكون مفعولاً اولا او ثانيا أو صفة أو بدلا فلا يكون مفعولا أولا لتعديه إلى المفعول الذي قبله وهو الترك ولا يجوز أن يكون مفعولا ثانيًا من وجهين ❊ احدهما ❊ أن باب ظننت وأخواته إذا تعدى إلى هذا الضرب من المفعول لم يتعد إلى مفعول ثان ظاهر في اللفظ والآخر أن المفعول الثاني هو الأول في المعنى وليس القول الترك ولا يكون ايضا بدلا لأنه ليس الأول ولا بعضه ولا مشتملا عليه ولا يكون ايضا صفة لإن ان الثانية لحسب وعمله فيها لا يخلو مما ذكرناه فإذا لم يستقم حمله على شيء مما ذكرناه تبينت موضع اغفاله في المسألة وأقول وبالله التوفيق إن البدل هنا صحيح فإنه إذا قال أحسبوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وقوله وهم لا يفتنون جملة في موضع الحال فكأنه قال احسبوا أن يدعوا الإيمان غير مختبرين ممتحنين بمشاق التكاليف فيكون التقدير في معنى الآية أحسبوا ان يتركوا احسبوا أن يهملوا ولا شك أن الاهمال في معنى الترك فيكون الثاني في معنى الأول بعينه وأما الوجه الأول فإنك لو قدرت اللام فقلت لأن يقولوا أو الباء فقلت بأن يقولوا فلا شك أن الحرف يتعلق بيتركوا فإن الجار والمجرور في موضع نصب به فتساهل الزجاج في العبارة عن المجرور بأنه منصوب وقوله ساء مايحكمون ما هذه يحتمل وجهين ❊ احدهما ❊ أن يكون اسما مفردا نكرة في موضع النصب على التمييز والتقدير ساء حكما يحكمون ❊ والثاني ❊ ان يكون حرفا موصولا ويحكمون صلته وتقديره ساء الحكم حكمهم

❊ النزول ❊

قيل نزلت الآية في عمار بن ياسر وكان يعذب في الله عن ابن جريج وقيل نزلت في اناس مسلمين كانوا بمكة فكتب اليهم من كان في المدينة انه لا يقبل منكم الإقرار بالإسلام حتى تهاجروا فخرجوا إلى المدينة فاتبعهم المشركون فآذوهم وقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا عن الشعبي وقيل انه اراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم عن ابن عباس

❊ المعنى ❊

(الٓمٓ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) أي أظن الناس أن يقنع منهم بأن يقولوا إنا مؤمنون فقط ويقتصر منهم على هذا القدر ولا يمتحنون بما تبين به حقيقة إيمانهم هذا لا يكون وهذا استفهام انكار وتوبيخ وقيل أن معنى يفتنون يبتلون في انفسهم وأموالهم عن مجاهد وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) ويكون المعنى ولا يشدد عليهم التكليف والتعبد ولا يؤمرون ولا ينهون وقيل معناه ولا يصابون بشدائد الدنيا ومصائبها أي انها لا تندفع بقولهم آمنا وقال الحسن معناه أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا لا إله إلا الله ولا يختبروا أصدقوا أم كذبوا يعني أن مجرد الاقرار لا يكفي والاولى حمله على الجميع إذ لا تنافي فإن المؤمن يكلف بعد الإيمان بالشرائع ويمتحن في النفس والمال ويمنى بالشدائد والهموم والمكاره فينبغي أن يوطن نفسه على هذه الفتنة ليكون الأمر ايسر عليه إذا نزل به ثم اقسم سبحانه فقال (ولقد فتنا الذين من قبلهم) اي ولقد ابتلينا الذين من قبل امة محمد ﷺ من سالف الامم بالفرائض التي افترضناها عليهم أو بالشدائد والمصائب على حسب اختلافهم وذكر ذلك تسلية للمؤمنين قال ابن عباس منهم ابراهيم خليل الرحمن وقوم كانوا معه ومن بعده نشروا بالمناشير على دين الله فلم يرجعوا عنه وقال غيره يعني بني اسرائيل ابتلوا بفرعون يسومونهم سوء العذاب (فليعلمن الله الذين صدقوا) في ايمانهم (وليعلمن الكاذبين) فيه وإنما قال فليعلمن مع ان الله سبحانه كان

عالما فيما لم يزل بأن المعلوم سيحدث لأنه لا يصح وصفه سبحانه فيما لم يزل بأنه عالم بأنه حادث وإنما يعلمه حادثا إذا حدث وقيل معناه فليميزن الله الذين صدقوا من الذين كذبوا بالجزاء والمكافاة وعبر عن الجزاء والتمييز بالعلم لأن كل ذلك إنما يحصل بالعلم فأقام السبب مقام المسبب ومثله في اقامة السبب مقام المسبب قوله تعالى كانا يأكلان الطعام فهذا سبب قضاء الحاجة فكنى بذكره عنها ومعنى صدقوا اي ثبتوا على الشدائد وكذبوا أي لم يثبتوا ومنه قول زهير « إذا ٠ ماالليث كذب عن اقرانه صدقا » (أم حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا) أم هذه استفهام منقطع عما قبله وليست التي هي معادلة الهمزة والمعنى بل أحسب الذين يفعلون الكفر والقبائح ان يفوتونا فوت السابق لغيره ويعجزونا فلا نقدر على اخذهم والانتقام منهم (ساء ما يحكمون) اي بئس الشيء الذي يحكمون ظنهم انهم يفوتونا وروى العياشي بالاسناد عن ابي الحسن (ع) قال جاء العباس إلى امير المؤمنين (ع) فقال له امش حتى نبايع لك الناس فقال اتراهم فاعلين قال نعم فأين قول الله الم احسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا الآيات (من كان يرجو لقاء الله) أي من كان يأمل لقاء ثواب الله وقيل معناه من كان يخاف عقاب الله عن سعيد بن جبير والسدي والرجاء قد يكون بمعنى الخوف كما في قول الشاعر

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وحالفها في بيت نوب عواسل

والمعنى من كان يخشى البعث ويخاف الجزاء والحساب أو يأمل الثواب فليبادر بالطاعة قبل ان يلحقه الأجل (فإن أجل الله لآت) أي الوقت الذي وقته الله للثواب والعقاب جاء لا محالة (وهو السميع) لأقوالكم (العليم) بما في ضمائركم

قوله تعالى (٦) وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ (٧) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّالِحِينَ (١٠) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَالَمِينَ خمس آيات

﴿ الإعراب ﴾

حسنا مفعول فعل محذوف تقديره ووصينا الإنسان بأن يفعل بوالديه حسنا أي ما يحسن ٠ ما ليس لك به علم موصول وصلة في موضع نصب بأنه مفعول تشرك

﴿ النزول ﴾

قال الكلبي نزلت الآية الأخيرة في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك انه اسلم فخاف أهل بيته فهاجر إلى المدينة قبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحلفت أمه اسماء بنت مخزمة بن ابي جندل التميمي أن لا تأكل ولا تشرب ولا تغسل رأسها ولا تدخل كنا حتى يرجع اليها فلما رأى ابناها ابوجهل والحرث ابنا هشام وهما اخوا عياش لأمه جزعها ركبا في طلبه حتى أتيا المدينة فلقياه وذكرا له القصة فلم يزالا به حتى أخذ عليهما المواثيق أن لا يصرفاه عن دينه وتبعهما وقد كانت أمه صبرت ثلاثة ايام ثم أكلت وشربت فلما خرجوا من المدينة اخذاه واوثقاه كتافا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة حتى يبرئ من دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم جزعا من الضرب وقال مالاينبغي

فنزلت الآية وكان الحرث اشدهما عليه فحلف عياش لئن قدر عليه خارجا من الحرم ليضربن عنقه فلما رجعوا إلى مكة مكثوا حينا ثم هاجر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون إلى المدينة وهاجر عياش وحسن إسلامه واسلم الحرث بن هشام وهاجر الى المدينة وبايع النبي صلى الله عليه وسلم على الإسلام ولم يحضر عياش فلقيه عياش يوما بظهر قبا ولم يشعر بإسلامه فضرب عنقه فقيل له ان الرجل قد اسلم فاسترجع عياش وبكى ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فنزل وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ الآية وقيل نزلت الآية في ناس من المنافقين يقولون آمنا فإذا أوذوا رجعوا إلى الشرك عن الضحاك وقيل نزلت في قوم ردهم المشركون الى مكة عن قتادة

﴿ المعنى ﴾

لما رغب سبحانه في تحقيق الرجاء والخوف بفعل الطاعة عقبه بالترغيب في المجاهدة فقال (ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه) اي ومن جاهد الشيطان بدفع وسوسته واغوائه وجاهد اعداء الدين لإحيائه وجاهد نفسه التي هي اعدى اعدائه فإنما يجاهد لنفسه لأن ثواب ذلك عائد عليه وواصل اليه دون الله تعالى (إن الله لغني عن العالمين) غير محتاج إلى طاعتهم فلا يأمرهم ولا ينهاهم لمنفعة ترجع اليه بل لمنفعتهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم) التي اقترفوها قبل ذلك اي لنبطلنها حتى تصير كأنهم لم يعملوها (ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون) أي بجزيهم باحسن اعمالهم وهو ما أمروا به من العبادات والطاعات والمعنى لنكفرن سيئاتهم السابقة منهم في حال الكفر ولنجزينهم بحسناتهم التي عملوها في الإسلام ولما امر سبحانه بمجاهدة الكفار ومباينتهم بين حال الوالدين في ذلك فقال (ووصينا الإنسان بوالديه) اي أمرناه ان يفعل بوالديه (حسنا) والزمناه ذلك ثم خاطب سبحانه كل واحد من الناس فقال (وان جاهداك) اي وان جاهداك ابواك أيها الإنسان والزماك واستفرغا مجهودهما في دعائك (لتشرك بي) في العبادة (ما ليس لك به علم) اي وليس لاحد به علم (فلا تطعهما) في ذلك فأمر سبحانه اطاعة الوالدين في الواجبات حتما وفي المباحات ندبا ونهى عن طاعتهما في المحظورات ونفى العلم به كأنه كناية عن تعريه من الادلة لأنه إذا لم يكن عليه حجة ودليل لم يحصل العلم به فلا يحسن اعتقاده (إلي مرجعكم) اي الى حكمي مصيركم (فأنبئكم بما كنتم تعملون) أي اخبركم باعمالكم فأجازيكم عليها وروي عن سعد بن ابي وقاص قال كنت رجلا برا بأمي فلما اسلمت قالت يا سعد ما هذا الدين الذي احدثت لتدعن دينك هذا اولا آكل ولا اشرب حتى أموت فتعير بي فيقال يا قاتل أمه فقلت لا تفعلي يا أمه اني لا أدع ديني هذا لشيء قال فمكثت يوما لا تأكل وليلة ثم مكثت يوما آخر وليلة فلما رأيت ذلك قلت والله يا أمه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا فكلي واشربي وإن شئت فلا تأكلي ولا تشربي فلما رأت ذلك أكلت فأنزلت هذه الآية وإن جاهداك وأمه حمنة بنت ابي سفيان بن أمية بن عبد شمس وروي عن بهز بن ابي حكيم عن أبيه عن جده قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من أبر قال أمك قلت ثم من قال ثم أمك قلت ثم من قال ثم أمك قلت ثم من قال ثم اباك ثم الأقرب فالأقرب وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة تحت اقدام الأمهات ثم قال سبحانه (والذين آمنوا) اي صدقوا بوحدانية الله تعالى واخلاص العبادة له (وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين) اي في زمرتهم وجملتهم في الجنة ولما ذكر سبحانه خيار المؤمنين عقبه بذكر ضعفائهم وقيل بل عقبه بذكر المنافقين فقال (ومن الناس من يقول آمنا بالله) بلسانه (فإذا أوذي في الله) اي في دين الله او في ذات الله (جعل فتنة الناس كعذاب الله) والمعنى فإذا أوذي بسبب دين الله رجع عن الدين مخافة عذاب الناس كما ينبغي للكافر ان يترك دينه مخافة عذاب الله فيسوي بين عذاب فانٍ منقطع وبين عذاب دائم غير منقطع ابدا لقلة تمييزه وسمى أذية الناس فتنة لما في احتمالها من المشقة (ولئن جاء نصر من ربك) يا محمد اي ولئن جاء نصر من الله للمؤمنين ودولة لأولياء الله على الكافرين (ليقولن

إنا كنا معكم) اي ليقولن هؤلاء المنافقون للمؤمنين إنا كنا معكم على عدوكم طمعاً في الغنيمة ثم كذبهم الله فقال (أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) من الإيمان والنفاق فلا يخفى عليه كذبهم فيما قالوا

قوله تعالى (١١) وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ (١٢) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٣) وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٤) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ (١٥) فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ خمس آيات

﴿ اللغة ﴾

الثقل متاع البيت وجمعه اثقال وهو من الثقل يقال ارتحل القوم بثقلهم وثقلتهم اي بأمتعتهم ومنه الحديث اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض قال تغلب سميا بـه لأن الأخذ بموجبها ثقيل وقال غيره ان العرب تقول لكل شيء خطير نفيس ثقل فسماهما ثقلين تفخيما لشأنهما وكل شيء يتنافس فيه فهو ثقل ومنه سمي الجن والإنس ثقلين لأنهما فضلا على غيرهما من الخلق والطوفان الماء الكثير الغامر لأنه يطوف بكثرته في نواحي الارض قال الراجز « افناهم الطوفان موت جارف » الجرف الأخذ الكثير وقد جرفت الشيء اجرفه بالضم جرفا اي ذهبت به كله اي شبه الموت في كثرته بالطوفان

﴿ الاعراب ﴾

قوله بحاملين من خطاياهم من شيء تقديره وما هم بحاملين من شيء من خطاياهم فقوله من خطاياهم في الأصل صفة لشيء فقدم عليه فصار في موضع نصب على الحال . الف سنة نصب على الظرف . خمسين نصب على الاستثناء وعاما تمييزه

﴿ المعنى ﴾

ثم اقسم سبحانه فقال (وليعلمن الله الذين آمنوا) بالله على الحقيقة ظاهراً وباطنا (وليعلمن المنافقين) فيجازيهم بحسب اعمالهم قال الجبائي معناه وليميزن الله المؤمن من المنافق فوضع العلم موضع التمييز توسعاً وقد مرّ بيانه وفي هذه الآية تهديد للمنافقين بما هو معلوم من حالهم التي استهزؤا بها وتوهموا انهم قد نجوا من ضررها باخفائها فبين انها ظاهرة عند من يملك الجزاء عليها وانه يحل الفضيحة العظمى بها (وقال الذين كفروا) نعم الله وجحدوها (للذين آمنوا) اي صدقوا بتوحيده وصدق رسله (اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم) اي ونحن نحمل آثامكم عنكم إن قلتم ان لكم في اتباع ديننا إثما ويعنون بذلك انه لا إثم عليكم باتباع ديننا ولا يكون بعث ولا نشور فلا يلزمنا شيء مما ضمنا والمامور في قوله ولنحمل هو المتكلم به نفسه في مخرج اللفظ والمراد به الزام النفس هذا المعنى كما يلزم الشيء بالأمر وفيه معنى الجزاء وتقديره ان تتبعوا ديننا حملنا خطاياكم عنكم ثم قال سبحانه (وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء) اي لا يمكنهم حمل ذنوبهم عنهم يوم القيامة فإن الله سبحانه عدل لا يعذب احدا بذنب غيره فلا يصح إذاً أن يتحمل احد ذنب غيره وهذا مثل قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ولا يجري هذا مجرى تحمل الدية عن الغير لأن الغرض في الدية اداء المال عن نفس المقتول فلا فرق بين ان يؤديه زيد عنه وبين ان يؤديه عمرو فإنه بمنزلة قضاء الدين (انهم لكاذبون) فيما ضمنوا من حمل خطاياهم (وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم) يعني انهم يحملون خطاياهم واوزارهم في انفسهم التي لم يعملوها بغيرهم

ويحملون الخطايا التي ظلموا بها غيرهم وقيل معناه يحملون عذاب ضلالهم وعذاب اضلالهم غيرهم ودعائهم لهم إلى الكفر وهذا كقوله من سنّ سنّة سيئة الخبر وهذا كقوله ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم (وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) ومعناه انهم يسئلون سؤال تعنيف وتوبيخ وتبكيت وتقريع لا سؤال استعلام واستخبار (ولقد ارسلنا نوحا إلى قومه) يدعوهم إلى توحيد الله عزّ وجل (فلبث فيهم الف سنة إلا خمسين عاما) فلم يجيبوه وكفروا به (فأخذهم الطوفان) جزاء على كفرهم فهلكوا (وهم ظالمون) لأنفسهم بما فعلوه من الشرك والعصيان (فأنجيناه واصحاب السفينة) اي فأنجينا نوحاً من ذلك الطوفان والذين ركبوا معه في السفينة من المؤمنين به (وجعلناها) اي وجعلنا السفينة (آية للعالمين) اي علامة للخلائق اجمعين يعتبرون بها إلى يوم القيامة لانها فرقت بين المؤمنين والكافرين والأبرار والفجار وهي دلالة للخلق على صدق نوح وكفر قومه

النظم

إنما اتصل قوله وقال الذين كفروا بما تقدمه من ذكر المنافقين فإنه سبحانه لما بين حالهم عند إيراد الشبهة عليهم بين في هذه الآية ان من الواجب أن لا يغتر المؤمنون بما يورده اهل الكفر عليهم من الشبه الفاسدة وقد ذكر في اتصال قصة نوح بما قبلها وجوه * احدها * انه لما قال فتنا الذين من قبلهم فصل ذلك فبدأ بقصة نوح ثم بما يليها * وثانيها * انه لما ذكر حال المجاهد الصابر وحال من كان بخلافه ذكر قصة نوح وصبره على أذى قومه وتكذيبهم تلك المدة الطويلة ثم عقب ذلك بذكر غيره من الأنبياء * وثالثها * انه لما أمر ونهى ووعد وأوعد على امتثال اوامره وارتكاب نواهيه أكد ذلك بقصص الأنبياء

قوله تعالى (١٦) وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٧) إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٨) وَإِن تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٩) أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٠) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ خمس آيات

القراءة

قرأ حمزة والكسائي وخلف ألم تروا بالتاء والباقون بالياء وروي عن ابي بكر بالتاء والياء جميعاً وقرأ ابن كثير وابو عمرو النشاءة بفتح الشين ممدودة مهموزة وقرأ الباقون النشأة بسكون الشين غير ممدودة وفي الشواذ قراءة السلمي وزيد بن علي وتخلقون افكا

الحجة

قال ابو علي حجة التاء في أولم تروا ان قبلها وان تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وحجة الياء ان المعنى قل لهم أولم يروا النشاءة والنشأة مثل الرآفة والرأفة والكآبة والكأبة وقال ابو زيد نشأت انشأ نشأ إذا شببت ونشأت السحابة نشأ ولم يذكر النشأة واما تخلقون فإنه على وزن تكذبون وفي معناه

﴿ الإعراب ﴾

كيف يبدئ الله الخلق كيف في موضع نصب على الحال من الله والتقدير أمبدعا يبدئ الله الخلق أم لا ويجوز أن يكون حالا من الخلق فيكون تقديره أمبدعا يبدئ الله الخلق ام لاثم يعيده ام لا ويجوز ان يكون في موضع مصدر والتقدير اي ابدأ ليبدأ ومثله كيف بدأ الخلق والنشأة منصوبة على المصدر ومفعول ينشئ محذوف تقديره وينشئ الخلق .

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وابراهيم) اي وارسلنا ابراهيم (إذ قال لقومه أعبدوا الله واتقوه) اي اطيعوا الله وخافوه بفعل طاعاته واجتناب معاصيه (ذلكم خير لكم) اي ذلك التقوى خير لكم (إن كنتم تعلمون) ما هو خير مماهو شر لكم (إنما تعبدون من دون الله أوثانا) ما في هذا الموضع كافة والمعنى انكم تعبدون اصناما من حجارة لا تضر ولا تنفع (وتخلقون إفكا) اي تفتعلون كذبا بأن تسموا هذه الأوثان آلهة عن السدي وقيل معناه وتصنعون اصناما بأيديكم وسماها إفكا لادعائهم انها آلهة عن مجاهد وقتادة وابي علي الجبائي ثم ذكر عجز آلهتهم عن رزق عابديها فقال (إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا) اي لا يقدرون على أن يرزقوكم والملك قدرة القادر على ماله ان يتصرف في ماله أتم التصرف وليس ذلك إلا لله على الحقيقة فإن الإنسان إنما يملك ما يملكه الله تعالى ويأذن له في التصرف فيه فأصل الملك لجميع الأشياء لله تعالى فمن لا يملك ان يرزق غيره لا يستحق العبادة لأن العبادة تجب بأعلى مراتب النعمة ولا يقدر على ذلك غير الله تعالى فلا يستحق العبادة سواه (فابتغوا عند الله الرزق) اي اطلبوا الرزق من عنده دون من سواه (واعبدوه واشكروا له) على ما أنعم به عليكم من أصول النعم من الحياة والرزق وغيرهما (اليه ترجعون) اي إلى حكمه تصيرون يوم القيامة فيجازيكم على قدر اعمالكم ثم خاطب العرب فقال (وان تكذبوا) اي وان تكذبوا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم (فقد كذب أمم من قبلكم) انبياءهم الذين بعثوا اليهم (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أي ليس عليه إلا التبليغ الظاهر البين وليس عليه حمل من ارسل اليه على الإيمان (أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده) يعني كفار مكة الذين انكروا البعث واقروا بأن الله هو الخالق فقال أولم يتفكروا فيعلموا كيف ابدأ الله الخلق بعد العدم ثم يعيدهم ثانيا إذا اعدمهم بعد وجودهم قال ابن عباس يريد الخلق الأول والخلق الآخر (إن ذلك على الله يسير) غير متعذر لأن من قدر على الانشاء والابتداء فهو على الإعادة اقدر ثم خاطب محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فقال (قل) لهؤلاء الكفار (سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) وتفكروا في آثار من كان فيها قبلكم وإلى أي شيء صار امرهم لتعتبروا بذلك ويؤديكم ذلك إلى العلم بربكم وقيل معناه انظروا وابحثوا هل تجدون خالقا غير الله فإذا علموا انه لا خالق ابتداء إلا الله لزمتهم الحجة في الإعادة وهو قوله (ثم الله ينشئ النشأة الآخرة) أي ثم الله الذي خلقها وانشأ خلقها ابتداء ينشئها نشأة ثانية ومعنى الانشاء الايجاد من غير سبب (إن الله) تعالى (على كل شيء قدير) اي ان الله على الإنشاء والإفناء والإعادة وعلى كل شيء يشاؤه قدير

قوله تعالى (٢١) يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ (٢٢) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢٣) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ

(٢٥) وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ

خمس آيات

القراءة

قرأ ابن كثير وأهل البصرة والكسائي مودة بينكم بالرفع والإضافة وقرأ حمزة وحفص بنصب مودة واضافتها إلى بينكم وقرأ الباقون مودة منصوبة منونة بينكم بالنصب إلا الشموني والبرجمي فإنهما قرآ مودة مرفوعة منونة بينكم بالنصب

الحجة

قال ابو علي يجوز في قول من قال مودة بينكم أن يجعل ما اسم ان ويضمر ذكرا يعود إلى ما كما جاء في قوله واتخذتموه وراءكم ظهريا فيكون التقدير إن الذين اتخذتموهم أوثانا ذوو مودة بينكم ويكون دخول ان على ما لأنه بمنزلة الذي كقوله أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين لعود الذكر اليه ويجوز ان يضمر هو ويجعل مودة بينكم خبرا عنه والجملة في موضع خبر ان ومن قرأ مودة بينكم بالنصب جعل ما مع ان كلمة ولم يعد اليها ذكرا كما اعاد في الوجه الأول وجعل الأوثان منتصباً باتخذتم وعداه ابو عمرو إلى مفعول واحد كقوله قل اتخذتم عند الله عهدا والمعنى إنما اتخذتم من دون الله اوثانا آلهة فحذف كما ان قوله إن الذين اتخذوا العجل معناه اتخذوا العجل إلها فحذف وانتصب مودة على أنه مفعول له وبينكم نصب على الظرف والعامل فيه المودة ومن قال مودة بينكم اضاف المودة إلى البين واتسع بأن جعل الظرف اسما لما اضاف اليه ومثل ذلك قراءة من قرأ لقد تقطع بينكم ومن قرأ مودة بينكم في الحياة الدنيا جاز في قوله بينكم إذا نون مودة ضربان احدهما أن يجعله ظرفا متعلقا بالمصدر لأن الظرفين احدهما من المكان والآخر من الزمان وإنما الذي يمتنع أن يعلق به إذا كانا ظرفين من الزمان أو ظرفين من المكان (فأما) إذا اختلفا فسائغ فقوله في الحياة الدنيا ظرف زمان لأن المعنى في وقت الحياة الدنيا ولا ذكر في واحد من الظرفين كما انك إذا قلت لقيت زيداً اليوم في السوق كان كذلك فإن جعلت الظرف الأول صفة للنكرة كان متعلقا بمحذوف وصار فيه ذكر يعود إلى الموصوف فإذا جعلته صفة للمصدر جاز أن يكون قوله في الحياة الدنيا في موضع حال والعامل فيه الظرف الذي هو صفة للنكرة وفيه ذكر يعود إلى ذي الحال وذو الحال الضمير الذي في الظرف العائد إلى الموصوف الذي هو مودة وهو هي في المعنى فإن قلت هل يجوز أن يتعلق الظرف الذي قد جاز أن يكون حالا بالمودة مع انه قد وصف بقوله بينكم قيل لا يمتنع ذلك لأنك إذا وصفته فمعنى الفعل قائم فيه والظرف يتعلق بمعنى الفعل وإنما الذي يمتنع أن يعمل فيه إذا وصف المفعول به فأما الحال والظرف فلا يمتنع أن يتعلق كل واحد منهما به وان كان قد وصف به وقد جاء في الشعر ما يعمل عمل الفعل إذا وصف عاملا في المفعول به وإذا جاز أن يعمل في المفعول به فلا نظر في جواز عمله فيما ذكرناه من الظرف والحال فمن ذلك قوله

إذا فاقد خطباء فرخين رجعت ذكرت سليمى في الخليط المباين

والتحقير في ذلك بمنزلة الوصف لو قال هذا ضويرب زيدا لقبح كما يقبح ذلك في الصفة ولم يجز ذلك في حال السعة والاختيار

=[المعنى]=

ثم ذكر سبحانه الوعد والوعيد فقال (يعذب من يشاء) معناه انه المالك للثواب والعقاب وإن كان لا يشاء

إلا الحكمة والعدل وما هو الأحسن من الأفعال فيعذب من يشاء ممن يستحق العقاب (ويرحم من يشاء) ممن هو مستحق للرحمة بأن يغفر له بالتوبة وغير التوبة (واليه تقلبون) معاشر الخلق أي اليه ترجعون يوم القيامة والقلب هو الرجوع والرد فمعناه انكم تردون إلى حال الحياة في الآخرة حيث لا يملك فيه النفع والضر إلا الله وهذا يتعلق بما قبله كأن المنكرين للبعث قالوا إذا كان العذاب غير كائن في الدنيا فلا نبالي به فقال واليه تقلبون وكأنهم قالوا إذا صرفنا إلى حكم الله فررنا فقال (وما انتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء) اي ولستم بفائتين عن الله في الدنيا ولا في الآخرة فاحذروا مخالفته ومتى قيل كيف وصفهم بذلك وليسوا من أهل السماء فالجواب عنه من وجهين ﴿ احدها ﴾ ان المعنى لستم بمعجزين فرارا في الأرض ولا في السماء لو كنتم في السماء كقولك ما يفوتني فلان هاهنا ولا بالبصرة يعني ولا بالبصرة لو صار اليها عن قطرب وهو معنى قول مقاتل ﴿ والآخر ﴾ أن المعنى ولا من في السماء بمعجزين فحذف من لدلالة الكلام عليه كما قال حسان

امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

فكأنه قال ومن يمدحه وينصره سواء ام لا يتساوون عن الفراء وهذا ضعيف عند البصريين (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) ينصركم ويدفع عذاب الله عنكم فلا تغتروا بأن الأصنام تشفع لكم وقيل إن الولي الذي يتولى المعونة بنفسه والنصير يتولى النصرة تارة بنفسه وتارة بأن يأمر غيره به (والذين كفروا بآيات الله) أي جحدوا بالقرآن وبأدلة الله (ولقائه) أي وجحدوا بالبعث بعد الموت (أولئك يئسوا من رحمتي) اخبر انه سبحانه آيسهم من رحمته وجنته أو يكون معناه يجب ان ييأسوا من رحمتي (وأولئك لهم عذاب أليم) أي مؤلم وفي هذا دلالة على أن المؤمن بالله واليوم الآخر لا ييأس من رحمة الله ثم عاد سبحانه إلى قصة ابراهيم فقال (فما كان جواب قومه) يعني حين دعاهم إلى الله تعالى ونهاهم عن عبادة الأصنام (إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه) وفي هذا تسفيه لهم إذ قالوا حين انقطعت حجتهم لا تحاجوه ولكن اقتلوه أو حرقوه ليتخلصوا منه (فأنجاه الله من النار) وهاهنا حذف تقديره ثم اتفقوا على احراقه فأججوا نارا فألقوه فيها فأنجاه الله منها (إن في ذلك لآيات) اي علامات واضحات وحجج بينات (لقوم يؤمنون) بصحة ما اخبرناه به وبتوحيد الله وكمال قدرته (وقال) ابراهيم لقومه (إنما اتخذتم من دون الله أوثانا مودة بينكم) أي لتتوادوا بها (في الحيوة الدنيا) وقد تقدم بيانه في الحجة (ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض) أي يتبرأ القادة من الاتباع (ويلعن بعضكم بعضا) اي ويلعن الاتباع القادة لأنهم زينوا لهم الكفر وقال قتادة كل خلة تنقلب يوم القيامة عداوة إلا خلة المتقين قال سبحانه الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين (ومأواكم النار) اي ومستقركم النار (وما لكم من ناصرين) يدفعون عنكم عذاب الله

قوله تعالى (٢٦) فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (٢٨) وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٢٩) أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٣٠) قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الكوفة غير حفص ائنكم لتأتون الفاحشة ائنكم لتأتون الرجال بهمزتين فيهما وقرأ ابو عمرو

بالاستفهام فيهما بهمزة ممدودة آنكم وقرأ الباقون إنكم لتأتون الفاحشة بكسر الهمزة من غير استفهام ائنكم لتأتون الرجال بالاستفهام إلا ان ابن كثير وورشا ويعقوب قرؤا بهمزة واحدة غير ممدودة وابن عامر وحفص بهمزتين واهل المدينة غير ورش بهمزة واحدة ممدودة

❊ اللغة ❊

هاجر القوم من دار إلى دار معناه تركوا الأولى للثانية قال الأزهري أصل المهاجرة خروج البدوي من البادية إلى المدن وتهجر اي تشبه بالمهاجرين ومنه حديث عمر هاجروا ولا تهجروا اي اخلصوا الهجرة لله والنادي والندي المجلس إذا اجتمعوا فيه وتنادى القوم اجتمعوا في النادي ودار الندوة دار قصي بن كلاب كانوا يجتمعون فيه للمشاورة تبركا به والأصل من النداء لأن القوم ينادي بعضهم بعضا

❊ المعنى ❊

ثم عطف سبحانه على ما تقدم بأن قال (فآمن له لوط) أي فصدق بابراهيم لوط وهو ابن أخته وكان ابراهيم خاله عن ابن عباس وابن زيد وجمهور المفسرين وهو اول من صدق بابراهيم «ع» (وقال) ابراهيم (إني مهاجر إلى ربي) اي خارج من جملة الظالمين على جهة الهجر لهم لقبيح اعمالهم من حيث امرني ربي وقيل معناه قال لوط اني مهاجر الى ربي عن الجبائي وخرج ابراهيم «ع» ومعه لوط وامرأته سارة وكانت ابنة عمه من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة إلى ارض الشام عن قتادة ومثل هذا هجرة المسلمين من مكة الى ارض الحبشة اولا ثم إلى المدينة ثانيا لأنهم هجروا ديارهم واوطانهم بسبب أذى المشركين لهم (إنه هو العزيز) الذي لا يذل من نصره (الحكيم) الذي لا يضيع من حفظه (ووهبنا له) اي لإبراهيم من بعد اسماعيل (اسحاق ويعقوب) من وراء اسحاق (وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) وذلك ان الله سبحانه لم يبعث نبيا من بعد ابراهيم إلا من صلبه فالتوراة والانجيل والزبور والفرقان كلها أنزلت على اولاده (وآتيناه أجره في الدنيا) وهو الذكر الحسن والولد الصالح عن ابن عباس وقيل هو رضي اهل الأديان به فكلهم يحبونه ويتولونه عن قتادة وقيل هو انه أري مكانه في الجنة عن السدي وقال بعض المتأخرين هو بقاء ضيافته عند قبره وليس ذلك لغيره من الأنبياء قال البلخي وفي هذا دلالة على انه يجوز أن يثيب الله في دار التكليف ببعض الثواب (وانه في الآخرة لمن الصالحين) يعني ان ابراهيم مع ما أعطي من الأجر والثواب في الدنيا يحشره الله في جملة الصالحين العظيمي الأقدار مثل آدم ونوح (ولوطا إذ قال لقومه) أي وارسلنا لوطا ويجوز أن يريد واذكر لوطا حين قال لقومه (إنكم لتأتون الفاحشة) من قرأ بلفظ الاستفهام أراد به الانكار دون الاستعلام ومن قرأ انكم على الخبر اراد ان لوطا قال ذلك لقومه منكراً لفعلهم لا مفيداً معلما لهم لأنهم قد علموا ما فعلوه والفاحشة هاهنا ما كانوا يفعلونه من اتيان الذكران (ما سبقكم بها) اي بهذه الفاحشة (من احد من العالمين) اي احد من الخلائق ثم فسر الفاحشة بقوله (إنكم لتأتون الرجال) اي تنكحونهم (وتقطعون السبيل) قيل فيه وجوه ❊ احدها) تقطعون سبيل الولد باختيار كم الرجال على النساء ❊ وثانيها ❊ انكم تقطعون الناس عن الأسفار بإتيان هذه الفاحشة فإنهم كانوا يفعلون هذا الفعل بالمجتازين من ديارهم وكانوا يرمون ابن السبيل بالحجارة بالحذف فأيهم اصابه كان أولى به ويأخذون ماله وينكحونه ويغرمونه ثلاثة دراهم وكان لهم قاض يقضي بذلك ❊ وثالثها ❊ انهم كانوا يقطعون الطريق على الناس كما يفعل قطاع الطريق في زماننا (وتأتون في ناديكم المنكر) قيل فيه ايضا وجوه ❊ احدها ❊ هو انهم كانوا يتضارطون في مجالسهم من غير حشمة ولا حياء عن ابن عباس وروي ذلك عن الرضا «ع» ❊ وثانيها ❊ انهم كانوا يأتون الرجال في مجالسهم يرى بعضهم بعضا عن مجاهد ❊ وثالثها ❊ كانت مجالسهم تشتمل على انواع من المناكير والقبائح مثل الشتم والسخف والصفع والقمار وضرب المخراق وحذف

الاحجار على من مرّ بهم وضرب المعازف والمزامير وكشف العورات واللواط قال الزجاج وفي هذا اعلام انه لا ينبغي أن يتعاشر الناس على المناكير ولا ان يجتمعوا على المناهي ولما انكر لوط على قومه ما كانوا يأتونه من الفضائح قالوا له استهزاء ائتنا بعذاب الله وذلك قوله (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) وعند ذلك (قال) لوط (رب انصرني على القوم المفسدين) الذين فعلوا المعاصي وارتكبوا القبائح وأفسدوا في الأرض

قوله تعالى (٣١) وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ (٣٢) قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٤) إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٣٥) وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم ويعقوب لننجينه خفيفة الجيم ساكنة النون والباقون لننجينه بالتشديد وقرأ ابن كثير واهل الكوفة غير حفص ويعقوب إنا منجوك بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرأ ابن عامر منزلون بالتشديد والباقون منزلون بالتخفيف

الحجة

قال ابو علي حجة من قرأ لننجينه وإنا منجوك قوله فأنجيه الله من النار وحجة من ثقل قوله ونجينا الذين آمنوا يقال نجا زيد ونجيته وأنجيته مثل فرحته وافرحته وكذلك قولك نزل إذا عديته قلت نزّلته وأنزلته

المعنى

ثم بين سبحانه انه استجاب دعاء لوط وبعث جبرائيل ومعه الملائكة لتعذيب قومه بقوله (ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى) اي يبشرونه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب (قالوا إنا مهلكوا اهل هذه القرية) يعنون قرية قوم لوط «ع» وإنما قالوا هذا لأن قريتهم كانت قريبة من قرية قوم ابراهيم (إن أهلها كانوا ظالمين) اي مشركين مرتكبين للفواحش (قال) ابراهيم (إن فيها لوطاً) فكيف تهلكونها (قالوا) في جوابه (نحن اعلم بمن فيها لننجينه وأهله) اي لنخلصنّ لوطاً من العذاب باخراجه منها ولنخلصن ايضا اهله المؤمنين منهم (إلا امرأته) فإنها تبقى في العذاب لا تنجو منه وذلك قوله (كانت من الغابرين) اي من الباقين في العذاب (ولما ان جاءت رسلنا لوطا) ان هذه مزيدة (سيء بهم) معناه سيء لوط بالملائكة اي ساءه مجيئهم لما رآهم في احسن صورة لما كان يعلمه من خبث فعل قومه عن قتادة وقيل معناه سيء بقومه لما علم من عظيم البلاء النازل بهم (وضاق بهم ذرعا) اي ضاق قلبه وقيل ضاقت حيلته فيما أراد من حفظهم وصيانتهم عن الجبائي فلما رأى الملائكة حزنه وضيق صدره (قالوا لا تخف) علينا وعليك (ولا تحزن) بما نفعله بقومك وقيل لا تخف ولا تحزن علينا فإنا رسل الله لا يقدرون علينا (إنا منجوك وأهلك)

من العذاب (إلا امرأتك) الكافرة (كانت من الغابرين) اي الباقين في العذاب (إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً) اي عذابا من السماء (بما كانوا يفسقون) اي يخرجون من طاعة الله إلى معصيته اي جزاء بفسقهم (ولقد تركنا منها آية بينة) اي تركنا من تلك القرية عبرة واضحة ودلالة على قدرتنا قال قتادة هي الحجارة التي امطرت عليهم وقال ابن عباس هي آثار منازلهم الخربة وقال مجاهد هي الماء الأسود على وجه الارض (لقوم يعقلون) ذلك ويبصرونه ويتفكرون فيه ويتعظون به فيزجرهم ذلك عن الكفر بالله واتخاذ شريك معه في العبادة

قوله تعالى (٣٦) وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٣٧) فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٣٨) وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ (٣٩) وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ (٤٠) فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ خمس آيات

اللغة

الرجفة زعزعة الأرض تحت القدم يقال رجف السطح من تحت اهله يرجف رجفا ورجفة شديدة والبحر رجاف لاضطرابه وأرجف الناس بالشيء أي اخبروا بما يضطرب لأجله من غير تحقق به والحاصب الريح العاصفة التي فيها الحصباء وهي الحصى الصغار يشبه به البرد والجليد قال الفرزدق

مستقبلين رياح الشام تضربنا   بحاصب كنديف القطن منثور

وقال الأخطل

ولقد علمت إذا العشار تروحت   هدج الرئال تكبهن شمالا
ترمي العضاه بحاصب من ثلجها   حتى تبيت على العضاه جفالا

والخسف سوخ الأرض بما عليها يقال خسف الله به الأرض وخسف القمر اذهاب نوره والخسوف للقمر والكسوف للشمس

الاعراب

اخاهم ينتصب بفعل مضمر والتقدير وأرسلنا إلى مدين اخاهم وعادا منصوب بفعل مضمر تقديره وأهلكنا عادا وثمود وقد تبين فاعله مضمر تقديره وقد تبين اهلاكهم لكم وكانوا مستبصرين في موضع نصب على الحال. ليظلمهم اللام لتأكيد النفي ولا يجوز اظهار أن بعده

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال (وإلى مدين) أي وأرسلنا إلى مدين (أخاهم شعيباً) وهذا مفسر فيما مضى (فقال ياقوم اعبدوا الله) بدأ بالدعاء إلى التوحيد والعبادة (وارجوا اليوم الآخر) اي وأملوا ثواب اليوم الآخر واخشوا عقابه بفعل الطاعات وتجنب السيئات (ولا تعثوا في الأرض مفسدين) اي لا تسعوا في الأرض بالفساد ثم اخبر ان قومه كذبوه ولم يقبلوا منه فعاقبهم الله وذلك قوله (فكذبوه فأخذتهم الرجفة) وقد مر بيانه (فأصبحوا في دارهم جاثمين) اي باركين على ركبهم ميتين (وعادا وثمود) اي وأهلكنا ايضا عادا وثمود جزاء لهم على كفرهم (وقد تبين لكم) معاشر الناس كثير (من مساكنهم) وقيل معناه وقد ظهر لكم يا أهل مكة من منازلهم بالحجر واليمن آية في هلاكهم (وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن السبيل) اي فمنعهم عن طريق الحق (وكانوا مستبصرين) اي وكانوا عقلاء يمكنهم التمييز بين الحق والباطل بالاستدلال والنظر ولكنهم اغفلوا ولم يتدبروا وقيل معناه إنهم كانوا مستبصرين عند انفسهم فيما كانوا عليه من الضلالة يحسبون انهم على هدى عن قتادة والكلبي (وقارون) اي وأهلكنا قارون (وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات) اي بالحجج الواضحات من قلب العصا حية واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها (فاستكبروا) اي طلبوا التجبر (في الأرض) ولم ينقادوا للحق (وما كانوا سابقين) اي فائتين الله كما يفوت السابق (فكلا اخذنا بذنبه) اي فأخذنا كلا من هؤلاء بذنبه وعاقبناهم بتكذيبهم الرسل (فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) أي حجارة وقيل ريحا فيها حصى وهم قوم لوط عن ابن عباس وقتادة وقيل هم عاد (ومنهم من اخذته الصيحة) وهم ثمود وقوم شعيب عن ابن عباس وقتادة والصيحة العذاب وقيل صاح بهم جبرائيل فهلكوا (ومنهم من خسفنا به الأرض) وهو قارون (ومنهم من اغرقنا) يعني قوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) فيعذبهم على غير ذنب أو قبل ازاحة العلة (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بكفرهم وتكذيبهم الرسل وفي هذا دلالة واضحة على فساد مذهب اهل الجبر فإن الظلم لو كان من فعل الله كما يزعمون لما كان هؤلاء هم الظالمين لنفوسهم بل كان الظالم لهم من فعل فيهم الظلم تعالى الله عن ذلك

قوله تعالى (٤١) مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِ ٱللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنْكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤٢) إِنَّ ٱللهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٤٣) وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ (٤٤) خَلَقَ ٱللهُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ (٤٥) ٱتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَابِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَاةَ إِنَّ ٱلصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللهِ أَكْبَرُ وَٱللهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل البصرة وعاصم إلا الأعمش والبرجمي ما يدعون بالياء والباقون بالتاء

﴿ الحجة والاعراب ﴾

قال ابو علي التاء على قوله قل لهم إن الله يعلم ما تدعون لايكون إلا عند هذا لأن المسلمين لايخاطبون بذلك وما استفهام وموضعه نصب بيدعون ولا يجوز أن يكون نصبا بيعلم ولكن صارت الجملة التي هي منها في موضع نصب بيعلم ولا يكون يعلم بمعنى يعرف كقوله ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت لأن ذلك لا يلغى وما لا يلغى لا يعلق ويبعد ذلك دخول من في الكلام وهي إنما تدخل في نحو قولك هل من طعام وهل من رجل ولا تدخل في الايجاب هذا قول الخليل وكذلك قوله فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار المعنى فستعلمون المسلم تكون له عاقبة الدار ام الكافر وكل ما كان من هذا فهكذا القول فيه وهو قياس قول الخليل

﴿ اللغة ﴾

جمع العنكبوت عناكب وتصغيره عنيكب ووزنه فعللوت وهو يذكر ويؤنث قال الشاعر

كأن العنكبوت هو ابتناها على هطالهم منهم بيوت

ويقال فيه العنكبى

﴿ المعنى ﴾

ثم شبه سبحانه حال الكفار الذين اتخذوا من دونه آلهة بحال العنكبوت فقال (مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء) اي شبه من اتخذ الأصنام آلهة يريدون نصرها ونفعها وضرها والرجوع اليها عند الحاجة (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها لتأوي اليه فكما أن بيت العنكبوت لا يغني عنها شيئا لكونه في غاية الوهن والضعف ولا يجدي نفعا كذلك الأصنام لا تملك لهم خيرا وشرا ونفعا وضرا والولي هو المتولي للنصرة وهو ابلغ من الناصر لأن الناصر قد يكون ناصرا بأن يأمر غيره بالنصرة والولي هو الذي يتولى النصرة بنفسه (وان اوهن البيوت) اي اضعفها (لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون) صحة ما اخبرناهم به ويتحققون ولو متعلقة بقوله اتخذوا أي لو علموا أن اتخاذهم الأولياء كاتخاذ العنكبوت بيتا سخيفا لم يتخذوهم اولياء ولا يجوز أن تكون متعلقة بقوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت لأنهم كانوا يعلمون ان بيت العنكبوت واه ضعيف (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء) هذا وعيد منه سبحانه ومعناه انه يعلم ما يعبد هؤلاء الكفار وما يتخذونه من دونه اربابا (وهو العزيز) الذي لا يغالب فيما يريده (الحكيم) في جميع افعاله (وتلك الامثال) وهي الاشباه والنظائر يعني امثال القرآن (نضربها للناس) اي نذكرها لهم لندعوهم إلى المعرفة والتوحيد ونعرفهم قبح ما هم فيه من عبادة الأصنام (وما يعقلها إلا العالمون) أي وما يفهمها إلا من يعلم وجه الشبه بين المثل والممثل به وقيل معناه وما يعقل الامثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله وروى الواحدي بالاسناد عن جابر قال تلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية وقال العالم الذي عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه ثم بين سبحانه ما يدل على إلهيته واستحقاقه العبادة فقال (خلق الله السموات والأرض) اي اخرجهما من العدم إلى الوجود ولم يخلقهما عبثا بل خلقهما ليسكنهما خلقه وليستدلوا بهما على اثباته ووحدانيته (بالحق) اي على وجه الحكمة وقيل معناه للحق واظهار الحق (إن في ذلك لآية للمؤمنين) لأنهم المنتفعون بذلك ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (اتل ما اوحي اليك من الكتاب) يعني القرآن

اي اقرأه على المكلفين واعمل بما تضمنه (وأقم الصلاة) اي ادها بحدودها في مواقيتها (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) في هذا دلالة على ان فعل الصلاة لطف للمكلف في ترك القبيح والمعاصي التي ينكرها العقل والشرع فإن انتهى عن القبيح يكون توفيقا والا فقد اتي المكلف من قبل نفسه وقيل ان الصلاة بمنزلة الناهي بالقول إذا قال لا تفعل الفحشاء والمنكر وذلك لأن فيها التكبير والتسبيح والتهليل والقراءة والوقوف بين يدي الله تعالى وغير ذلك من صنوف العبادة وكل ذلك يدعو إلى شكله ويصرف عن ضده فيكون مثل الأمر والنهي بالقول وكل دليل مؤد إلى المعرفة بالحق فهو داع اليه وصارف عن الباطل الذي هو ضده وقيل معناه ان الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها وقيل معناه انه ينبغي أن تنهاه كقوله ومن دخله كان آمنا وقال ابن عباس في الصلاة منهى ومزدجر عن معاصي الله فمن لم تنهه صلاته عن المعاصي لم يزدد من الله إلا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه وروى انس بن مالك الجهني عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال انه من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا وروي عن ابن مسعود ايضا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا صلاة لمن لم يطع الصلاة وطاعة الصلاة ان ينتهي عن الفحشاء والمنكر ومعنى ذلك ان الصلاة إذا كانت ناهية عن المعاصي فمن اقامها ثم لم ينته عن المعاصي لم تكن صلاته بالصفة التي وصفها الله بها فإن تاب من بعد ذلك وترك المعاصي فقد تبين أن صلاته كانت نافعة له ناهية وان لم ينته إلا بعد زمان وروى انس ان فتى من الانصار كان يصلي الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويرتكب الفواحش فوصف ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال إن صلاته تنهاه يوما وعن جابر قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال إن صلاته لتردعه روى اصحابنا عن ابي عبد الله «ع» قال من احب ان يعلم اقبلت صلاته ام لم تقبل فلينظر هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر فبقدر ما منعته قبلت منه (ولذكر الله اكبر) اي ولذكر الله اياكم برحمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته عن ابن عباس وسلمان وابن مسعود ومجاهد وقيل معناه ذكر العبد لربه اكبر مما سواه وافضل من جميع اعماله عن سلمان في رواية اخرى وابن زيد وقتادة وروي ذلك عن ابي الدرداء وعلى هذا فيكون تأويله أن اكبر شيء في النهي عن الفحشاء ذكر العبد ربه وأوامره ونواهيه وما اعده من الثواب والعقاب فإنه اقوى لطف يدعو إلى الطاعة وترك المعصية وهو اكبر من كل لطف وقيل معناه ذكر الله العبد في الصلاة اكبر من الصلاة عن ابي مالك وقيل ان ذكر الله هو التسبيح والتقديس والتهليل وهو اكبر واحرى بأن ينهى عن الفحشاء والمنكر عن الفراء اي من كان ذاكرا لله فيجب أن ينهاه ذكره عن الفحشاء والمنكر وروي عن ثابت البناني قال ان رجلا اعتق اربع رقاب فقال رجل آخر سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ثم دخل المسجد فأتى حبيب بن اوفى السلمي واصحابه فقال ما تقولون في رجل اعتق اربع رقاب واني أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر فأيهما افضل فنظروا هنيهة فقالوا ما نعلم شيئا افضل من ذكر الله وعن معاذ بن جبل قال ما من عمل آدمي عمل انجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل وقيل ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد فإن الله عز وجل يقول ولذكر الله اكبر وعنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اي الأعمال احب إلى الله قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله عز وجل وقال صلى الله عليه وآله وسلم يامعاذ ان السابقين الذين يسهرون بذكر الله

عز وجل ومن احب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل وروي عن عطاء بن السائب عن عبد الله بن ربيعة قال قال ابن عباس أرأيت قول الله عز وجل ولذكر الله اكبر قال قلت ذكر الله بالقرآن حسن وذكره بالصلاة حسن وبالتسبيح والتكبير والتهليل حسن وأفضل من ذلك أن يذكر الرجل ربه عند المعصية فينحجز عنها فقال ابن عباس لقد قلت قولا عجيبا وما هو كما قلت ولكن ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه (والله يعلم ما تصنعون) من خير وشر فيجازيكم بحسبه

قوله تعالى (٤٦) وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ ٱلْكِتَابِ إِلاَّ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِٱلَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلٰهُنَا وَإِلٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٤٧) وَكَذٰلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ فَٱلَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ ٱلْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هٰؤُلاَءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ ٱلْكَافِرُونَ (٤٨) وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لاَرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ (٤٩) بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ ٱلظَّالِمُونَ (٥٠) وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا ٱلآيَاتُ عِنْدَ ٱللهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ خمس آيات

القراءة

قرأ ابن كثير واهل الكوفة غير حفص وقتيبة آية من ربه على التوحيد والباقون آيات على الجمع

الحجة

قال ابو علي حجة الافراد قوله فليأتنا بآية وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية وحجة الجمع ان في حرف أبي زعموا لولا يأتينا بآيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وقد تقع آية على لفظ الواحد ويراد به كثرة كما جاء وجعلنا ابن مريم وأمه آية وليس في قوله قل إنما الآيات عند الله دلالة على ترجيح من قرأ آيات لأنه لما اقترحوا آية قيل إنما الآيات عند الله والمعنى الآية التي اقترحتموها وآيات أخر لم تقترحوها

اللغة

أصل الجدل شدة الفتل يقال جدلته اجدله جدلا إذا فتلته فتلا شديدا والجدال فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج فيه وقيل ان اصله من الجدالة وهي الأرض فإن كل واحد من الخصمين يروم أن يلقي صاحبه بالجدالة . الخط معروف والارتياب والريبة شك مع تهمة

الاعراب

الذين ظلموا منهم في محل النصب على الاستثناء من أهل الكتاب وكذلك انزلنا اليك الكتاب تقديره وكما أنزلنا الى اهل الكتاب الكتاب أنزلنا اليك الكتاب . إذا لارتاب المبطلون اللام للقسم وفي الكلام حذف تقديره ولو خططته بيمينك او تلوت قبله كتابا إذا والله لارتابوا به . من ربه في موضع رفع بأنه صفة آية

المعنى

لما تقدم الأمر بالدعاء الى الله سبحانه بين عقيبه كيف يدعونهم وكيف يجادلونهم فقال (ولا تجادلوا اهل الكتاب) وهم نصارى بني نجران وقيل اليهود والنصارى (إلا بالتي هي احسن) اي بالطريق التي هي احسن وإنما يكون احسن إذا كانت المناظرة برفق ولين لإرادة الخير والنفع بها ومثله قوله فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى والأحسن الأعلى في الحسن من جهة قبول العقل له وقد يكون ايضا أعلى في الحسن من جهة قبول الطبع وقد يكون في الأمرين جميعا وفي هذا دلالة على وجوب الدعاء الى الله تعالى على احسن الوجوه وألطفها واستعمال القول الجميل في التنبيه على آيات الله وحججه (إلا الذين ظلموا منهم) اي إلا من أبى ان يقر بالجزية منهم ونصب الحرب فجادلوا هؤلاء بالسيف حتى يسلموا او يعطوا الجزية عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل إلا الذين ظلموا منهم بالعناد و كتمان صفة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بعد العلم به عن ابي مسلم وقيل إلا الذين ظلموا منهم بالإقامة على الكفر بعد قيام الحجة عن ابن زيد والأولى ان يكون معناه إلا الذين ظلموك في جدالهم او في غيره مما يقتضي الاغلاظ لهم فيجوز أن يسلكوا معهم طريقة الغلظة وقيل ان الآية منسوخة بآية السيف عن قتادة والصحيح انها غير منسوخة لأن الجدال على الوجه الأحسن هو الواجب الذي لا يجوز غيره (وقولوا) لهم في المجادلة وفي الدعوة الى الدين (آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم) اي بالكتاب الذي أنزل الينا وبالكتاب الذي انزل اليكم (وإلهنا وإلهكم واحد) لا شريك له (ونحن له مسلمون) اي مخلصون طائعون (وكذلك) اي ومثل ما انزلنا الكتاب على موسى وعيسى (أنزلنا اليك الكتاب) وهو القرآن (فالذين آتيناهم الكتاب) اي علم الكتاب فحذف المضاف (يؤمنون به) يعني مؤمني اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام ونظرائه (ومن هؤلاء) يعني كفار مكة (من يؤمن به) يعني من اسلم منهم ويجوز ان تكون الهاء في به راجعة الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويجوز ان تكون راجعة الى القرآن ويحتمل ايضا ان يريد بقوله الذين آتيناهم الكتاب المسلمين والكتاب القرآن ومن هؤلاء يعني ومن اليهود والنصارى من يؤمن به (وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) اي وما ينكر دلالاتنا إلا الكافرون ولا يضرك جحودهم ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (وما كنت تتلو من قبله من كتاب) اي وما كنت يا محمد تقرأ قبل القرآن كتابا والمعنى انك لم تكن تحسن القراءة قبل ان يوحى اليك بالقرآن (ولا تخطه بيمينك) معناه وما كنت ايضا تكتبه بيدك (إذا لارتاب المبطلون) أي ولو كنت تقرأ كتابا او تكتبه لوجد المبطلون طريقا الى اكتساب الشك في امرك والقاء الريبة لضعفة الناس في نبوتك ولقالوا إنما تقرأ علينا ما جمعته من كتب الأولين فلما ساويتهم في المولد والمنشأ ثم أتيت بما عجزوا عنه وجب أن يعلموا انه من عند الله تعالى وليس من عندك إذ لم تجر العادة أن ينشأ الانسان بين قوم يشاهدون احواله من عند صغره الى كبره ويرونه في حضره وسفره لا يتعلم شيئا من غيره ثم يأتي من عنده بشيء يعجز الكل عنه وعن بعضه ويقرأ عليهم اقاصيص الأولين. قال الشريف الأجل المرتضى علم الهدى قدس الله روحه هذه الآية تدل على ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يحسن الكتابة قبل النبوة فأما بعد النبوة فالذي نعتقده في ذلك التجويز لكونه عالما بالكتابة والقراءة والتجويز لكونه غير عالم بهما من غير قطع على احد الأمرين وظاهر الآية يقتضي ان النفي قد تعلق بما قبل النبوة دون ما بعدها ولأن التعليل في الآية يقتضي اختصاص النفي بما قبل النبوة لأن المبطلين إنما

يرتابون في نبوته ﷺ لو كان يحسن الكتابة قبل النبوة فأما بعد النبوة فلا تعلق له بالريبة والتهمة فيجوز ان يكون قد تعلمها من جبرائيل «ع» بعد النبوة ثم قال سبحانه (بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) يعني ان القرآن دلالات واضحات في صدور العلماء وهم النبي ﷺ والمؤمنون به لأنهم حفظوه ورعوه ورسخ معناه في قلوبهم عن الحسن وقيل هم الائمة (ع) من آل محمد عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وقيل إن هو كناية عن النبي ﷺ اي انه في كونه امياً لا يقرأ ولا يكتب آيات بينات في صدور العلماء من اهل الكتاب لأنه منعوت في كتبهم بهذه الصفة عن الضحاك وقال قتادة المراد به القرآن وأعطى هذه الأمة الحفظ ومن كان قبلها لا يقرؤن الكتاب إلا نظرا فإذا اطبقوه لم يحفظوا ما فيه إلا اليسير (وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) الذين ظلموا انفسهم بترك النظر فيها والعناد لها بعد حصول العلم لهم بها وقيل يريد بالظالمين كفار قريش واليهود وقالوا يعني كفار مكة (لولا انزل عليه آية من ربه) أراد به الآيات التي اقترحوها في قوله وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا الآيات وان يجعل الصفا ذهبا وقيل انهم سألوا آية كآية موسى «ع» من فلق البحر وقلب العصا حية وجعلوا ما أتى به من المعجزات والآيات غير آية وحجة إلقاء للشبهة بين العوام فقال الله تعالى (قل) يا محمد لهم (إنما الآيات عند الله) ينزلها ويظهرها بحسب ما يعلم من مصالح عباده وينزل على كل نبي منها ما هو أصلح له ولأمته ولذلك لم تتفق آيات الأنبياء كلها وإنما جاء كل نبي بفن منها (وإنما انا نذير مبين) اي منذر مخوف من معصية الله مظهر طريق الحق والباطل وقد فعل الله سبحانه ما يشهد بصدقي من المعجزات

قوله تعالى (٥١) أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢) قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٣) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٤) يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٥) يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ نافع وأهل الكوفة ويقول بالياء والآخرون بالنون

الحجة

قال ابو علي ويقول اي ويقول الموكل بعذابهم ذوقوا كقوله والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم تجزون عذاب الهون اي يقولون لهم ومن قرأ بالنون فلأن ذلك لما كان بأمره سبحانه جاز أن ينسب اليه والمعنى ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون وإنما قيل ذوقوا لوصول ذلك إلى المعذبين واتصاله كوصول المذوق إلى الذائق قال دونك ما جنيته فأحسن وذق

الاعراب

يتلى في موضع نصب على الحال من الكتاب اي متلوا عليهم. يعلم ما في السماوات يجوز ان يكون صفة

لقوله شهيدا ويجوز أن يكون حالا ويجوز أن يكون جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب . وليأتينهم اللام جواب قسم مقدر . بغتة منصوب على الحال . يوم يغشيهم ظرف لقوله محيطة

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم طلبهم للآيات أجابهم سبحانه فقال (او لم يكفهم انا انزلنا عليك) يا محمد (الكتاب) اي القرآن (يتلى عليهم) بين سبحانه ان في انزال القرآن دلالة واضحة ومعجزة لائحة وحجة بالغة تنزاح معه العلة وتقوم به الحجة فلا يحتاج في الوصول إلى العلم بصحة نبوته إلى غيره على ان اظهار المعجزات مع كونها ازاحة للعلة تراعى فيه المصلحة فإذا كانت المصلحة في اظهار نوع منها لم يجز اظهار غيرها ولو اظهر الله سبحانه الآيات التي اقترحوها ثم لم يؤمنوا لاقتضت الحكمة اهلاكهم بعذاب الاستئصال كما اقتضت ذلك في الامم السالفة وقد وعد الله سبحانه ان لا يعذب هذه الامة بعذاب الاستئصال وفي هذا دلالة على أن القرآن كاف في المعجز وانه في أعلى درجات الإعجاز لأنه جعله كافيا عن جميع المعجزات والكفاية بلوغ حد ينافي الحاجة (إن في ذلك) معناه ان في القرآن (لرحمة) اي نعمة عظيمة الموقع لأن من تبعه وعمل به نال الثواب وفاز بالجنة (وذكرى) اي وتذكير او موعظة (لقوم يؤمنون) اي يصدقون به وقيل ان قوما من المسلمين كتبوا شيئا من كتب اهل الكتاب فهددهم سبحانه في هذه الآية ونهاهم عنه وقال النبي ﷺ جئتكم بها بيضاء نقية (قل) يا محمد (كفى بالله بيني وبينكم شهيداً) لي بالصدق والإبلاغ وعليكم بالتكذيب والعناد وشهادة الله له قوله محمد رسول الله وهو في كلام معجز قد ثبت انه من الله سبحانه وقيل ان شهادة الله له اثبات المعجزة له بإنزال الكتاب عليه (يعلم ما في السموات والأرض) فيعلم اني على الهدى وانكم على الضلالة (والذين آمنوا بالباطل) اي صدقوا بغير الله عن ابن عباس وقيل بعبادة الشيطان عن مقاتل (وكفروا بالله) اي جحدوا وحدانية الله (أولئك هم الخاسرون) خسروا ثواب الله بارتكاب المعاصي والجحود بالله (ويستعجلونك بالعذاب) يا محمد اي يسألونك نزول العذاب عاجلا لجحودهم صحة ما توعدهم به كما قال النضر بن الحرث امطر علينا حجارة من السماء (ولولا أجل مسمى) أي وقت قدره الله تعالى أن يعاقبهم فيه وهو يوم القيامة او أجل قدره الله تعالى أن يبقيهم اليه لضرب من المصلحة (لجاءهم العذاب) الذي استحقوه (وليأتينهم) العذاب (بغتة وهم لا يشعرون) بإتيانه ووقت مجيئه ثم ذكر ان موعد عذابهم النار فقال (يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) يعني ان العذاب وإن لم يأتهم في الدنيا فإن جهنم محيطة بهم اي جامعة لهم وهم معذبون فيها لا محالة (يوم يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم) يعني ان العذاب يحيط بهم لا انه يصل الى موضع منهم دون موضع فلا يبقى جزء منهم إلا وهو معذب في النار عن الحسن وهذا كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش (ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) اي جزاء اعمالكم وافعالكم القبيحة

قوله تعالى (٥٦) يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٧) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٥٩) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى

رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٦٠) وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ خمس آيات

القراءة

قرأ يرجعون بالياء يحيى عن ابي بكر وهشام والباقون بالتاء وقرأ اهل الكوفة غير عاصم لنثوينهم بالثاء والباقون لنبوئنهم بالباء

الحجة

قال ابو علي اما يرجعون بالياء فلأن الذي قبله على لفظ الغيبة وترجعون على انه انتقل من الغيبة إلى الخطاب مثل اياك نعبد بعد قوله الحمد لله وحجة من قرأ لنبوئنهم بالباء قوله ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوء صدق وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت وتكون اللام هنا زائدة كزيادتها في قوله ردف لكم ويجوز ان يكون بوأنا لدعاء ابراهيم (ع) ويكون المفعول محذوفا اي بوأنا لدعائه ناسا مكان البيت ومن قرأ لنثوينهم فحجته قوله وما كنت ثاويا في اهل مدين اي مقيما نازلا فيهم قال الأعشى

اثوى وقصر ليله ليزودا ومضى وأخلف من قتيلة موعدا

وقال حسان « ثوى في قريش بضع عشرة حجة » أي أقام فيهم فإذا تعدى بحرف جر فزيدت عليه الهمزة وجب أن يتعدى إلى المفعول الثاني بحرف جر وليس في الآية حرف جر قال ابو الحسن قرأ الأعمش لنثوينهم من الجنة غرفا ولا يعجبني لأنك لا تقول اثويته الدار قال ابو علي ووجهه انه كان في الأصل لنثوينهم من الجنة في غرف كما يقول لننزلنهم من الجنة في غرف وحذف الجار كما حذف من قولك « أمرتك الخير فافعل ما امرت به » ويقوي ذلك أن الغرف وإن كانت اماكن مختصة فقد اجريت المختصة من هذه الحروف مجرى غير المختص نحو قوله (كما عسل الطريق الثعلب) ونحو ذهبت الشام عند سيبويه

الاعراب

خالدين نصب على الحال من الهاء والميم . الذين صبروا في موضع جر صفة للعاملين ويكون المخصوص بالمدح محذوفا اي نعم اجر العاملين الصابرين المتوكلين اجرهم ويجوز أن يكون المضاف محذوفا اي نعم اجر العاملين اجر الذين صبروا فحذف المخصوص بالمدح وأقام المضاف اليه مقامه . وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله . موضع كأين مرفوع . ومن دابة في موضع التبيين له . وقوله لا تحمل رزقها صفة للمجرور ويكون قوله الله مبتدأ ويرزقها خبره والجملة خبر كأين

النزول

قيل نزلت الآية الاولى في المستضعفين من المؤمنين بمكة امروا بالهجرة عنها عن مقاتل والكلبي ونزل قوله وكأين من دابة لا تحمل رزقها في جماعة كانوا بمكة يؤذيهم المشركون فأمروا بالهجرة إلى المدينة فقالوا كيف نخرج اليها وليس لنا بها دار ولا عقار ومن يطعمنا ومن يسقينا

المعنى

ثم بين سبحانه انه لا عذر لعباده في ترك طاعته فقال (ياعبادي الذين آمنوا إن ارضي واسعة)

بعد اقطارها فاهربوا من ارض يمنعكم اهلها من الايمان والاخلاص في عبادتي وقال ابو عبد الله (ع) معناه إذا عصي الله في ارض انت فيها فاخرج منها إلى غيرها وقيل معناه إن أرض الجنة واسعة عن الجبائي واكثر المفسرين على القول الأول (فإياي فاعبدون) اي اعبدوني خالصا ولا تطيعوا احدا من خلقي في معصيتي واياي منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده وقد مر بيانه وقيل إن دخول الفاء للجزاء والتقدير ان ضاق بكم موضع فاعبدوني ولا تعبدوا غيري إن ارضي واسعة امر سبحانه المؤمنين إذا كانوا في بلد لا يلتئم فيه لهم أمر دينهم أن ينتقلوا عنه إلى غيره ثم خوفهم بالموت ليهون عليهم الهجرة فقال (كل نفس ذائقة الموت) اي كل نفس احياها الله بحياة خلقها فيه ذائقة مرارة الموت بأي ارض كان فلا تقيموا بدار الشرك خوفا من الموت (ثم الينا ترجعون) بعد الموت فنجازيكم بأعمالكم ثم ذكر سبحانه ثواب من هاجر فقال (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) يعني المهاجرين (لنبوئنهم) اي لننزلنهم (من الجنة غرفا) اي علالي عاليات (تجري من تحتها الأنهار) قال ابن عباس لنسكننهم غرف الدر والزبرجد والياقوت ولننزلنهم قصور الجنة (خالدين فيها) يبقون فيها ببقاء الله (نعم اجر العاملين) لله تلك الغرف ثم وصفهم فقال (الذين صبروا) على دينهم فلم يتركوه لشدة نالتهم واذى لحقهم وصبروا على مشاق الطاعات (وعلى ربهم يتوكلون) في مهمات امورهم ومهاجرة دورهم ثم قال (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) أي وكم من دابة لا يكون رزقها مدخرا معدا عن الحسن وقيل معناه لا تطيق حمل رزقها لضعفها وتأكل بأفواهها عن مجاهد وقيل إن الحيوان اجمع من البهائم والطيور وغيرهما مما يدب على وجه الأرض لا تدخر القوت لغدها إلا ابن آدم والنملة والفارة بل تأكل منه قدر كفايتها فقط عن ابن عباس (الله يرزقها واياكم) اي يرزق تلك الدابة الضعيفة التي لا تقدر على حمل رزقها ويرزقكم ايضا فلا تتركوا الهجرة بهذا السبب وعن عطا عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لا تأكل فقلت لا اشتهيه يارسول الله قال لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم اذق طعاما ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت مع قوم يخبئون رزق سنتهم لضعف اليقين فوالله ما برحنا حتى نزلت هذه الآية وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم (وهو السميع العليم) اي السميع لأقوالكم عند مفارقة أوطانكم العليم بأحوالكم لا يخفى عليه شيء من سركم واعلانكم

قوله تعالى (٦١) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٦٢) اللّٰهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللّٰهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٦٣) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللّٰهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٦٤) وَمَا هٰذِهِ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٦٥) فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (٦٦) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٦٧) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ

ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ (٦٨) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ (٦٩) وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ تسع آيات

القراءة

قرأ ابن كثير وقالون واهل الكوفة غير عاصم إلا الأعمش والبرجمي وليتمتعوا ساكنة اللام والباقون وليتمتعوا بكسر اللام

الحجة

قال ابو علي من كسر اللام وجعلها الجارة كانت متعلقة بالاشراك المعنى يشركون ليكفروا اي لا فائدة لهم في الاشراك إلا الكفر وليس يرد عليهم الشرك نفعا إلا الكفر والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة ومن قرأ وليتمتعوا وأراد الأمر كان على معنى التهديد والوعيد كقوله واستفزز من استطعت واعملوا ما شئتم ويدل على ذلك قوله في موضع آخر فتمتعوا فسوف تعلمون والإسكان في لام الأمر سائغ

اللغة

قال ابوعبيدة الحيوان والحياة واحد وهما مصدران حيي حياة وحيوانا والحياة عرض يصيّر الأجزاء بمنزلة الشيء الواحد حتى يصح أن يكون قادراً عالما وخاصية الحياة الإدراك . والتخطف تناول الشيء بسرعة ومنه اختطاف الطير لصيده

الإعراب

أنى في قوله وأنى يؤفكون منصوب الموضع فيجوز أن يكون حالا من يؤفكون والتقدير منكرين يؤفكون ويجوز أن يكون مصدرا تقديره اي إفك يؤفكون ويتخطف الناس من حولهم جملة في موضع الحال

المعنى

ثم عجب سبحانه ورسوله والمؤمنون من إيمان المشركين بالباطل مع اعترافهم بأن الله هو الخالق الفاعل فقال (ولئن سئلتهم) اي إن سألت يا محمد هؤلاء المشركين (من خلق السموات والأرض) أي من انشأهما واخرجهما من العدم الى الوجود (وسخر الشمس والقمر) اي من ذللها وسيرهما في دورانها على طريقة واحدة لا تختلف (ليقولن) في جواب ذلك (الله) الفاعل لذلك لأنهم كانوا يقولون بحدوث العالم والنشأة الأولى (فأنى يؤفكون) اي فكيف يصرفون عن عبادته الى عبادة حجر لا ينفع ولا يضر (الله يبسط الرزق) اي يوسعه (لمن يشاء من عباده ويقدر له) اي ويضيق ذلك على قدر ما تقتضيه المصلحة وانما خص بذكر الرزق على الهجرة لئلا يخالفهم عنها خوف العيلة (إن الله بكل شيء عليم) يعلم مصالح عباده فيرزقهم بحسبها (ولئن سئلتهم من نزّل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن) في الجواب عن ذلك (الله) قل يا محمد عند ذلك (الحمد لله) على كمال قدرته وتمام نعمته وعلى ما وفقنا للاعتراف بتوحيده والاخلاص في عبادته ثم قال (بل اكثرهم لا يعقلون) توحيد ربهم مع اقرارهم بأنه خالق الأشياء

ومنزل المطر من السماء لأنهم لا يتدبرون وعن الطريق المفضي الى الحق يعدلون فكأنهم لا يعقلون (وماهذه الحيوة الدنيا إلا لهو ولعب) لأنها تزول كما يزول اللهو واللعب ويستمتع بهما الانسان مدة ثم تنصرم وتنقطع (وان الدار الآخرة) يعني الجنة (لهي الحيوان) اي الحياة على الحقيقة لأنها الدائمة الباقية التي لا زوال لها ولا موت فيها وتقديره وان الدار الآخرة لهي دار الحيوان او ذات الحيوان لأن الحيوان مصدر كالنزوان والغليان فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والمعنى ان حياة الدار الآخرة هي الحياة التي لا تنغيص فيها ولا تكدير (لو كانوا يعلمون) الفرق بين الحياة الفانية والحياة الباقية الدائمة اي لو علموا لرغبوا في الباقي وزهدوا في الفاني ولكنهم لا يعلمون (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) اخبر الله سبحانه عن حال هؤلاء الكفار فقال انهم إذا ركبوا في السفن في البحر وهاجت به الرياح وتلاطمت به الأمواج وخافوا الهلاك اخلصوا الدعاء لله مستيقنين انه لا يكشف السوء إلا هو وتركوا شركاءهم فلم يطلبوا منهم انجاءهم (فلما نجيهم الى البر إذا هم يشركون) اي فلما خلصهم إلى البر وأمنوا الهلاك عادوا الى ما كانوا عليه من الاشراك معه في العبادة (ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون) ان جعلت اللام للأمر فمعناه التهديد اي ليجحدوا نعم الله في إنجائه إياهم وليتمتعوا بباقي عمرهم فسوف يعلمون عاقبة كفرهم وان جعلتها لام كي فالمعنى انهم يشركون ليكفروا وقد مرّ معناه (أولم يروا) اي ألم يعلم هؤلاء الكفار (أنا جعلنا حرما آمنا) يأمن أهله فيه من القتل والغارة (ويتخطف الناس من حولهم) اي يقتل بعضهم بعضا فيما حولهم وهم آمنون في الحرم ذكرهم سبحانه النعمة بذلك ليذعنوا له بالطاعة وينزجروا عن عبادة غيره ثم قال مهدداً لهم (أفبالباطل يؤمنون) اي يصدقون بعبادة الأصنام وهي باطلة مضمحلة (وبنعمة الله) التي أنعم بها عليهم (يكفرون) ثم قال (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) اي لا ظالم اظلم ممن اضاف الى الله ما لم يقله من عبادة الأصنام وغيرها (او كذّب بالحق) اي بالقرآن وقيل بمحمد ﷺ (لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين) هذا استفهام تقرير اي اما لهؤلاء الكفار المكذبين مثوى في جهنم وهذا مبالغة في إنجاز الوعيد لهم (والذين جاهدوا فينا) اي جاهدوا الكفار ابتغاء مرضاتنا وطاعة لنا وجاهدوا انفسهم في هواها خوفا منا وقيل معناه اجتهدوا في عبادتنا رغبة في ثوابنا ورهبة من عقابنا (لنهدينهم سبلنا) اي لنهدينهم السبل الموصلة الى ثوابنا عن ابن عباس وقيل لنوفقنهم لازدياد الطاعات فيزداد ثوابهم وقيل معناه والذين جاهدوا في اقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة وقيل معناه والذين يعملون بما يعلمون لنهدينهم الى ما لا يعلمون (وان الله لمع المحسنين) بالنصر والمعونة في دنياهم والثواب والمغفرة في عقباهم وبالله التوفيق

سورة الروم

هي مكية قال الحسن إلا قوله فسبحان الله حين تمسون الآية

﴿ عدد آيها ﴾

تسع وخمسون مكية والمدني الأخير والباقون ستون آية

﴿ اختلافها ﴾

اربع آيات الۤمۤ كوفي غلبت الروم غير الكوفي والمدني الأخير في بضع سنين غير الكوفي والمدني الأول يقسم المجرمون المدني الأول

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأها كان له من الأجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح لله ما بين السماء والأرض وأدرك ما ضيع في يومه وليلته

﴿ تفسيرها ﴾

اجمل في آخر العنكبوت ذكر المجاهدين ثم فصل في هذه السورة فقال

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ الۤمۤ (١) غُلِبَتِ ٱلرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ (٧)

سبع آيات

﴿ اللغة ﴾

قال الزجاج الغلب والغلبة مصدر غلبت مثل الجلب والجلبة والغلبة الاستيلاء على القرن بالقهر والبضع القطعة من العدد ما بين الثلاثة إلى العشرة وهو من بضعته اي قطعته تبضيعا ومنه البضاعة القطعة من المال تدور في التجارة قال المبرد البضع ما بين العقدين في جميع الأعداد والفرج والسرور نظيران ونقيضهما الغم وليس شيء من ذلك بجنس والصحيح انها من جنس الاعتقاد

﴿ الاعراب ﴾

من بعد غلبهم تقديره من بعد أن غلبوا فالمصدر مضاف إلى المفعول. وعد الله مصدر مؤكد لأن قوله سيغلبون وعد من لله للمؤمنين فالمعنى وعد الله ذلك وعدا

﴿ المعنى ﴾

(الۤمۤ) مر تفسيره (غلبت الروم) قال المفسرون غلبت فارس الروم وظهروا عليهم على عهد رسول الله ﷺ وفرح بذلك كفار قريش من حيث إن اهل فارس لم يكونوا اهل كتاب وساء ذلك المسلمين وكان بيت المقدس لأهل الروم كالكعبة للمسلمين فدفعتهم فارس عنه وقوله (في ادنى الأرض) اي في ادنى الأرض من أرض العرب عن الزجاج وقيل في ادنى الأرض من أرض الشام إلى أرض فارس يريد الجزيرة وهي اقرب أرض الروم إلى فارس عن مجاهد وقيل يريد اذرعات وكسكر عن عكرمة (وهم) يعني الروم (من بعد غلبهم سيغلبون) اي من بعد غلبة فارس اياهم سيغلبون فارس (في بضع سنين) وهذه من الآيات الدالة على أن القرآن من عند الله عز وجل لأن فيه انباء ما سيكون وما يعلم ذلك إلا الله عز وجل (لله الأمر

من قبل ومن بعد) أي من قبل ان غلبت الروم ومن بعد ان غلبت فإن شاء جعل الغلبة لأحد الفريقين على الآخر وان شاء جعل الغلبة للفريق الآخر عليهم وان شاء اهلكهما جميعا (ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) اي ويوم يغلب الروم فارسا يفرح المؤمنون بدفع الروم فارسا عن بيت المقدس لا بغلبة الروم على بيت المقدس فإنهم كفار ويفرحون ايضا لوجوه اخر وهو اغتمام المشركين بذلك ولتصديق خبر الله عز وجل وخبر رسوله ولأنه مقدمة لنصرهم على المشركين (بنصر من يشاء) من عباده (وهو العزيز) في الانتقام من اعدائه (الرحيم) بمن اناب اليه من خلقه (وعد الله) اي وعد الله ذلك (لا يخلف الله وعده) بظهور الروم على فارس (ولكن اكثر الناس) يعني كفار مكة (لا يعلمون) صحة ما اخبرناه لجهلهم بالله تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) اي يعلمون منافع الدنيا ومضارها ومتى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يجمعون وكيف يبنون وهم جهال بالآخرة فعمروا دنياهم وخربوا آخرتهم عن ابن عباس وقال الحسن بلغ والله من علم احدهم بدنياه ان يقلب الدرهم على ظهره فيخبرك بوزنه وما يحسن أن يصلي وسئل ابو عبد الله (ع) عن قوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا فقال منه الزجر والنجوم

-(القصة)-

عن الزهري قال كان المشركون يجادلون المسلمين وهم بمكة يقولون ان الروم أهل كتاب وقد غلبهم الفرس وانتم تزعمون انكم ستغلبون بالكتاب الذي انزل اليكم على نبيكم فسنغلبكم كما غلبت فارس الروم وانزل الله تعالى الم غلبت الروم إلى قوله في بضع سنين قال فأخبرني عبد الله بن عتبة بن مسعود أن أبا بكر باحث بعض المشركين قبل ان يحرم القمار على شيء إن لم تغلب فارس في سبع سنين فقال رسول الله ﷺ لم فعلت فكل ما دون العشرة بضع فكان ظهور فارس على الروم في تسع سنين ثم اظهر الله الروم على فارس زمن الحديبية ففرح المسلمون بظهور اهل الكتاب وروى ابو عبد الله الحافظ بالاسناد عن ابن عباس في قوله الم غلبت الروم قال قد مضى كان ذلك في أهل فارس والروم وكانت فارس قد غلبت عليهم ثم غلبت الروم بعد ذلك ولقي نبي الله مشركي العرب والتقت الروم وفارس فنصر الله النبي ﷺ ومن معه من المسلمين على مشركي العرب ونصر اهل الكتاب على مشركي العجم ففرح المسلمون بنصر الله اياهم ونصر اهل الكتاب على العجم قال عطية وسألت أبا سعيد الخدري عن ذلك فقال التقينا مع رسول الله ﷺ ومشركو العرب والتقت الروم وفارس فنصرنا الله على مشركي العرب ونصر اهل الكتاب على المجوس ففرحنا بنصر الله ايانا على مشركي العرب ونصر اهل الكتاب على المجوس فذلك قوله يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وقال سفيان الثوري سمعت انهم ظهروا يوم بدر وقال مقاتل فلما كان يوم بدر غلب المسلمون كفار مكة واخبر رسول الله ﷺ ان الروم غلبت فارساً ففرح المؤمنون بذلك وروي انهم استردوا بيت المقدس وأن ملك الروم مشى اليه شكرا وبسطت له الرياحين فمشي عليها وقال الشعبي لم تمض تلك المدة التي عقدها ابو بكر مع ابي بن خلف حتى غلبت الروم فارسا وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية فأخذ ابو بكر الخطر من ورثته وجاء به إلى رسول الله ﷺ فتصدق به وروي ان ابا بكر لما أراد الهجرة تعلق به ابي وأخذ ابنه عبد الله بن ابي بكر كفيلا فلما أراد أن يخرج ابي إلى حرب احد تعلق به عبد الله بن ابي بكر واخذ منه ابنه كفيلا وجرح ابي في احد وعاد إلى مكة فمات من تلك الجراحة جرحه رسول الله ﷺ

وجاءت الرواية عن النبي ﷺ انه قال لفارس نطحة أو نطحتان ثم قال لا فارس بعدها ابدا والروم ذات القرون كلما ذهب قرن خلف قرن هبهب إلى آخر الأبد والمعنى أن فارس تنطح نطحة او نطحتين فيبطل ملكها ويزول امرها

قوله تعالى (٨) أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٩) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٠) ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَاءُوا ٱلسُّوأَىٰ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ثلاث آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير البرجمي والشموني عن ابي بكر عاقبة بالنصب والباقون بالرفع

الحجة

قال ابو علي من نصب عاقبة جعلها خبر كان ونصبها متقدمة كما قال وكان حقا علينا نصر المؤمنين فأما اسمها على هذه القراءة فيجوز أن يكون احد الشيئين السوءى والتقدير ثم كان السوءى عاقبة الذين أساءوا ويكون ان كذبوا مفعولا له اي لأن كذبوا ولا يجوز أن يكون كذبوا متعلقا بقوله أساءوا على هذا لأنك تفصل بين الصلة والموصول باسم كان أو يكون ان كذبوا اسم كان والتقدير ثم كان التكذيب عاقبة الذين أساءوا ويكون السوءى على هذا مصدرا لأساؤوا لأن فعلى من ابنية المصادر كالرجعى والشورى والبشرى ويدل على أن السوءى والسوء بمنزلة المصدر ما انشده ابو عمرو

انى جزوا عامراً سوءاً بفعلهم ام كيف يجزونني السوءى من الحسن

ومن رفع عاقبة جاز أن يكون الخبر احد الشيئين السوءى وان كذبوا كما جاز في النصب أن يكون كل واحد منهما الاسم ومعنى الذين أساءوا الذين اشركوا والتقدير ثم كان عاقبة المسيئ التكذيب بآيات الله اي لم يظفر في كفره وشركه بشيئ إلا بالتكذيب وإذا جعلت أن كذبوا نفس الخبر جعلت السوءى في موضع نصب بأنه مصدر وقد يجوز أن يكون السوءى صفة لموصوف محذوف كأنه قال الخلة السوءى او الخلال السوءى

(المعنى)

ثم حث سبحانه على التفكر والتدبر فيما يدل على توحيده من خلق السماوات والأرض ثم في احوال القرون الخالية والأمم الماضية فقال (أو لم يتفكروا في انفسهم) اي في حال الخلوة لأن في تلك الحالة يتمكن الإنسان من نفسه ويحضره ذهنه وقيل معناه او لم يتفكروا في خلق الله أنفسهم والمعنى او لم يتفكروا فيعلموا وحذف لأن في الكلام دليلا عليه (ما خلق الله السموات والارض وما بينهما إلا بالحق) قال الزجاج معناه الا للحق اي لإقامة الحق ومعناه للدلالة على الصانع والتعريض للثواب (واجل مسمى) اي ولوقت معلوم توفى فيه كل نفس ما كسبت وقيل معناه خلقها في أوقات قدرها اقتضت المصلحة خلقها فيها ولم يخلقها عبثا عن الجبائي (سؤال) قالوا كيف يعلم المتفكر في نفسه ان الله سبحانه لم يخلق شيئا إلا بالحق وكيف يعلم الآخرة (جواب) قلنا إذا

علم بالنظر في نفسه انه محدث مخلوق وان له محدثا قديما قادرا عالما حيا وانه لا يفعل القبيح وانه حكيم علم انه لم يخلقه عبثا وإنما خلقه لغرض وهو التعريض للثواب وذلك لا يتم إلا بالتكليف فلا بدإذا من الجزاء فإذا لم يوجد في الدنيا فلا بد من دار أخرى يجازي فيها ويعلم إذا خلق ما لا ينتفع بنفسه فلا بد ان يكون الغرض ان ينتفع الحي به (وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون) اي بلقاء جزاء ربهم وبالبعث وبيوم القيامة لجاحدون غير معترفين ثم نبههم سبحانه دفعة اخرى فقال (اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم (كانوا اشد منهم قوة) فهلكوا وبادوا فيعتبروا بهم لعلمهم انهم اهلكوا بتكذيبهم (وأثاروا الارض) اي وقلبوها وحرثوها بعمارتها عن مجاهد (وعمروها اكثر مما عمروها) اي اكثر ما عمرها هؤلاء الكفار لأنهم كانوا اكثر اموالا واطول اعمارا واكثر اعدادا فحفروا الانهار وغرسوا الاشجار وبنوا الدور وشيدوا القصور ثم تركوها وصاروا إلى القبور و إلى الهلاك والثبور (وجاءتهم رسلهم بالبينات) اي اتتهم رسلهم بالدلالات من عند الله وفي الكلام حذف تقديره فجحدوا الرسل وكذبوا بتلك الرسل فأهلكهم الله بالعذاب (فما كان الله ليظلمهم) بأن يهلكهم من غير استحقاق (ولكن كانوا انفسهم يظلمون) بأن جحدوا رسل الله واشركوا معه في العبادة سواه حتى استحقوا العذاب عاجلا وآجلا (ثم كان عاقبة الذين أساؤا) إلى نفوسهم بالكفر بالله وتكذيب رسله وارتكاب معاصيه (السوأى) اي الخلة التي تسوء صاحبها إذا ادركها وهي عذاب النار عن ابن عباس وقتادة (ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن) اي لتكذيبهم بآيات الله واستهزائهم بها

قوله تعالى (١١) ٱللَّهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (١٢) وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ (١٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَٰؤُا وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٤) وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٥) فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٦) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٧) فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٨) وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٩) يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (٢٠) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ عشر آيات

« القراءة »

قرأ يرجعون بالياء ابوعمرو غير عباس واوقية وسهل وحماد ويحيى مختلف عنهما والباقون بالتاء وقرأ حمزة والكسائي وكذلك تخرجون بفتح التاء والباقون بضمها وفتح الراء وفي الشواذ قراءة عكرمة حينا تمسون وما بعده

الحجة

قال ابو علي حجة الياء ان المتقدم ذكره غيبة يبدؤا الخلق ثم يعيده والخلق هم المخلوقون في المعنى وجاء قوله ثم يعيده على لفظ الخلق وقوله واليه يرجعون على المعنى ولم يرجع على لفظ الواحد وجه التاء انه صار الكلام من الغيبة الى الخطاب وحجة من قرأ يخرجون قوله يخرجون من الاجداث وقوله إلى ربهم ينسلون وحجة تخرجون من بعثنا من مرقدنا وقوله وكذلك نخرج الموتى واليه تقلبون وأما قوله حين تمسون فالمراد تمسون فيه فحذف فيه تخفيفا على مذهب صاحب الكتاب في نحوه ومثله قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا اي لاتجزى

فيه قال ابن جني قال سيبويه حذف فيه معتبطا لحرف الجر والضمير لدلالة الفعل عليهما وقال ابو الحسن حذف في فبقي تجزيه لأنه اوصل الفعل اليه ثم حذف الضمير من بعد فهما حذفان متتاليان شيئا على شيء

اللغة

الابلاس اليأس من الخير وقيل هو التحير عند لزوم الحجة قال العجاج

ياصاح هل تعرف رسما مكرسا ... قال نعم اعرفه وابلسا

والحبرة المسرة ومنه الحبر العالم والحبر الجمال وفي الحديث يخرج رجل من النار ذهب حبره وسبره اي جماله وسحناؤه والتحبير التحسين الذي يسر به وخص ذكر الروضة ها هنا لأنه ليس عند العرب شيء احسن منها قال الاعشى

ما روضة من رياض الحزن معشبة ... خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق ... مؤزر بعميم النبت مكتهل

يوماً بأطيب منها نشر رائحة ... ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

الإعراب

ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون يوم ظرف ليتفرقون ويومئذ بدل عنه وموضع الكاف من كذلك نصب بقوله يخرجون

المعنى

ثم ذكر سبحانه قدرته على الاعادة فقال (الله يبدؤا الخلق ثم يعيده) اي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت احياء كما كانوا (ثم اليه يرجعون) فيجازيهم بأعمالهم (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) اي يوم تقوم القيامة ييأس الكافرون من رحمة الله تعالى ونعمه التي يفيضها على المؤمنين وقيل يتحيرون وتنقطع حججهم بظهور جلائل آيات الآخرة التي يقع عندها علم الضرورة (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء) اي لم يكن لهم من اوثانهم التي عبدوها ليشفعوا لهم شفعاء تشفع لهم او تدفع عنهم كما زعموا انا نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى (وكانوا بشركائهم كافرين) يعني ان المشركين يتبرؤن من الاوثان وينكرون كونها آلهة ويقرون بأن الله لا شريك له عن الجبائي وابي مسلم (ويوم تقوم الساعة) اي تظهر القيامة (يومئذ يتفرقون) فيصير المؤمنون اصحاب اليمين والمشركون اصحاب الشمال فيتفرقون تفرقا لا يجتمعون بعده وقال الحسن لئن كانو اجتمعوا في الدنيا ليتفرقن يوم القيامة هؤلاء في اعلى عليين وهؤلاء في اسفل السافلين وهو قوله (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون) اي في الجنة ينعمون ويسرون سرورا يبين اثره عليهم عن قتادة ومجاهد ومنه قيل كل حبرة تتبعها عبرة والروضة البستان المتناهي منظرا وطيبا وقال ابن عباس يحبرون اي يكرمون وقيل يلذذون بالسماع عن يحيى بن ابي كثير والاوزاعي اخبرنا ابو الحسن عبيد الله بن محمد بن احمد البيهقي قال اخبرنا جدي الإمام ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي قال حدثنا ابو سعيد عبد الملك بن ابي عثمان الزاهد قال اخبرنا ابو الحسن علي بن بندار قال حدثنا جعفر بن محمد بن الحسن القرباني قال حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي قال حدثنا خالد بن يزيد بن ابي مالك عن ابيه عن خالد بن معدان عن ابي امامة الباهلي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين تغنيانه باحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان ولكن بتمجيد الله وتقديسه وعن ابي الدرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الازواج والنعيم وفي القوم اعرابي فجثا لركبتيه وقال يارسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة نهرا حافتاه الابكار من كل بيضاء يتغنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال الراوي سألت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وعن ابراهيم إن في الجنة لأشجارا عليها

اجراس من فضة فإذا اراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحاً من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا هذا الحديث ليس في بعض النسخ وفي اكثرها موجود وعن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين منها كما بين السماء والارض والفردوس اعلاها سموا واوسطها محلة ومنها تنفجر انهار الجنة فقام اليه رجل وقال يارسول الله اني رجل حبب الي الصوت فهل لي في الجنة صوت حسن فقال اي والذي نفسي بيده ان الله تعالى يوحي الى شجرة في الجنة ان أسمعي عبادي الذين اشتغلوا بعبادتي وذكري عن عزف البرابط والمزامير فترفع صوتا لم يسمع الخلائق بمثله قط من تسبيح الرب ثم اخبر عن حال الكافرين فقال (واما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) اي بدلائلنا وبالبعث يوم القيامة (فأولئك في العذاب محضرون) اي فيه محصلون ولفظة الاحضار لا تستعمل الا فيما يكرهه الانسان يقال احضر فلان مجلس القضاء اذا جيء به لما لا يؤثره ومنه حضور الوفاة ثم ذكر سبحانه ما تدرك به الجنة فقال (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون) وهذا خبر والمراد به الأمر اي فسبحوه ونزهوه عما لا يليق به او ينافي تعظيمه من صفات النقص بأن تصفوه بما يليق به من الصفات والاسماء . والامساء الدخول في المساء وهو مجيء الليل والإصباح نقيضه وهو الدخول في الصباح وهو مجيء ضياء النهار وله الثناء والمدح في السماوات والأرض اي هو المستحق لمدح اهلها لإنعامه عليهم وعشيا اي وفي العشي وحين تدخلون في الظهيرة وهي نصف النهار وانما خص تعالى هذه الاوقات بالذكر بالحمد وان كان حمده واجبا في جميع الاوقات لأنها اوقات تذكر باحسان الله وذلك ان انقضاء احسان اول الى احسان ثان يقتضي الحمد عند تمام الإحسان الأول والأخذ في الآخر كما اخبر سبحانه عن حمد اهل الجنة بقوله وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين لأن ذلك حال الانتقال من نعيم الدنيا الى الجنة وقيل ان الآية تدل على الصلوات الخمس في اليوم والليلة لأن قوله حين تمسون يقتضي المغرب والعشاء الآخرة وحين تصبحون يقتضي صلاة الصبح وعشيا يقتضي صلاة العصر وحين تظهرون يقتضي صلاة الظهر عن ابن عباس ومجاهد وهو الأحسن لأنه خص هذه الاوقات بالذكر وقيل إنما خص صلاة الليل باسم التسبيح وصلاة النهار باسم الحمد لأن الإنسان في النهار متقلب في احوال توجب الحمد لله عليها وفي الليل على احوال توجب تنزيه الله تعالى من الاسواء فيها فلذلك صار الحمد في النهار اخص فسميت به صلاة النهار والتسبيح بالليل اخص فسميت به صلاة الليل (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) اي يخرج الانسان من النطفة ويخرج النطفة من الانسان عن ابن عباس وابن مسعود وقيل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن عن مجاهد وقد ذكرناه فيما تقدم (ويحيي الأرض بعد موتها) بالنبات بعد جدوبها (وكذلك تخرجون) اي كما احيا الأرض بالنبات كذلك يحييكم بالبعث وتخرجون من قبوركم احياء (ومن آياته) اي ومن دلالاته على وحدانيته وكمال قدرته (ان خلقكم) اي خلق آدم الذي هو ابوكم واصلكم (من تراب) ثم خلقكم منه وذلك قوله (ثم اذا انتم بشر تنتشرون) اي ثم اذا انتم ذرية بشر من لحم ودم تنبسطون في الارض وتنصرفون على ظهرها وتتفرقون في اطرافها فهلا دلكم ذلك على انه لا يقدر على ذلك غيره تعالى وانه لا يستحق العبادة سواه

قوله تعالى (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٤)

وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٥) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ حفص للعالمين بكسر اللام الأخيرة والباقون بفتحها

الحجة

قال ابو علي خص العالمين في رواية حفص و إن كانت الآية لكافة الناس عالمهم وجاهلهم لأن العالم لما تدبر فاستدل بما شاهده على ما لم يستدل عليه غيره صار كأنه ليس بآية لغير العالم لذهابه عنها وتركه الاعتبار بها ومن قال للعالمين فلأن ذلك في الحقيقة دلالة وموضع اعتبار وان ترك تاركون لغفلتهم او لجهلهم التدبر بها والاستدلال بها

(الإعراب)

في قوله ومن آياته يريكم البرق اقوال * احدها * ان التقدير ومن آياته ان يريكم فلما حذف ان ارتفع الفعل كقول طرفة

ألا أي هذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل انت مخلدي

وفي المثل تسمع بالمعيدي خير من أن تراه * وثانيها * ان التقدير ومن آياته آية يريكم البرق بها ثم حذف لدلالة من عليها ومثله من الشعر

وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح

اي فمنهما تارة اموتها اي أموت فيها * وثالثها * ان يكون التقدير ويريكم البرق خوفا وطمعا ومن آياته فيكون عطفا لجملة على جملة وقوله خوفا وطمعا منصوبان على تقدير اللام والتقدير لتخافوا خوفا ولتطمعوا طمعا ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض الجار يتعلق بمحذوف في موضع الحال من الكاف والميم اي إذا دعاكم خارجين من الأرض و إن شئت كان وصفا للنكرة اي دعوة ثابتة من هذه الجهة ولا يجوز أن يتعلق فيخرجون لأن ما بعد إذا لا يعمل فيما قبله

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما قدمه من تنبيه العبيد على دلائل التوحيد فقال (ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم) اي جعل لكم من شكل انفسكم ومن جنسكم (ازواجا) وإنما منّ سبحانه علينا بذلك لأن الشكل إلى الشكل اميل عن ابي مسلم وقيل معناه ان حواء خلقت من ضلع آدم «ع» عن قتادة وقيل إن المراد بقوله من انفسكم ان النساء خلقن من نطف الرجال (لتسكنوا اليها) اي لتطمئنوا اليها وتألفوا بها ويستأنس بعضكم ببعض (وجعل بينكم مودة ورحمة) يريد بين المرأة وزوجها جعل سبحانه بينهما المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان وما شيء أحب إلى احدهما من الآخر من غير رحم بينهما قال السدي المودة المحبة والرحمة الشفقة (إن في ذلك) اي في خلق الأزواج مشاكلة للرجال (لآيات) اي لدلالات واضحات (لقوم يتفكرون) في ذلك ويعتبرون به ثم نبه سبحانه على آية أخرى فقال (ومن آياته) الدالة على توحيده (خلق السموات والأرض) ومافيها من عجائب خلقه وبدائع صنعه مثل ما في السماوات من النجوم والشمس والقمر وجريها في مجاريها على غاية الاتساق والنظام وما في الأرض من انواع الجماد والنبات والحيوان المخلوقة على وجه الاحكام (واختلاف ألسنتكم)

فالألسنة جمع لسان واختلافها هو أن ينشئها الله تعالى مختلفة في الشكل والهيئة والتركيب فتختلف نغماتها واصواتها حتى انه لا يشتبه صوتان من نفسين هما اخوان وقيل ان اختلاف الألسنة هو اختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما ولا شيء من الحيوانات تتفاوت لغاتها كتفاوت لغات الإنسان فإن كانت اللغات توقيفيا من قبل الله تعالى فهو الذي فعلها وابتدأها وان كانت مواضعة من قبل العباد فهو الذي يسرها (والوانكم) اي واختلاف الوانكم من البياض والحمرة والصفرة والسمرة وغيرها فلا يشبه احد احدا مع التشاكل في الخلقة وماذاك الا للتراكيب البديعة واللطائف العجيبة الدالة على كمال قدرته وحكمته حتى لا يشتبه اثنان من الناس ولا يلتبسان مع كثرتهم (إن في ذلك لآيات) اي ادلة واضحات (للعالمين) اي للمكلفين (ومن آياته) الدالة على توحيده واخلاص العبادة له (منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) بالنهار وهذا تقديره اي يصرفكم في في طلب المعيشة والمنام والنوم بمعنى واحد وقيل ان الليل والنهار معا وقت للنوم ووقت لابتغاء الفضل لأن من الناس من يتصرف في كسبه ليلا وينام نهارا فيكون معناه ومن دلائله النوم الذي جعله الله راحة لابدانكم بالليل وقد تنامون بالنهار فإذا انتبهتم انتشرتم لابتغاء فضل الله (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) ذلك فيقبلونه ويتفكرون فيه لان من لا يتفكر فيه لا ينتفع به فكأنه لم يسمعه (ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا) معناه ومن دلالاته ان يريكم النار تنقدح من السحاب يخافه المسافر ويطمع فيه المقيم عن قتادة وقيل خوفا من الصواعق وطمعا في الغيث عن الضحاك وقيل خوفا من ان يخلف ولا يمطر وطمعا في المطر عن ابي مسلم (وينزل من السماء ماء) اي غيثا ومطرا (فيحيي به) اي بذلك الماء (الارض بعد موتها) اي بعد انقطاع الماء عنها وجدوبها (ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون) اي للعقلاء المكلفين (ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره) بلا دعامة تدعمها ولا علاقة تتعلق بها بأمره لهما بالقيام كقوله تعالى إنما أمرنا لشيء إذا أردناه ان نقول له كن فيكون وقيل بأمره اي بفعله وامساكه إلا ان افعال الله عز اسمه تضاف اليه بلفظ الامر لأنه ابلغ في الاقتدار فإن قول القائل أراد فكان اوأمر فكان ابلغ في الدلالة على الاقتدار من ان يقول فعل فكان ومعنى القيام الثبات والدوام ويقال السوق قائمة (ثم إذا دعاكم دعوة من الارض) اي من القبر عن ابن عباس يأمر الله عز اسمه اسرافيل (ع) فينفخ في الصور بعد ما يصور الصور في القبور فيخرج الخلائق كلهم من قبورهم (إذا انتم تخرجون) من الارض احياء وقيل انه سبحانه جعل النفخة دعاء لأن اسرافيل يقول أجيبوا داعي الله فيدعو بأمر الله سبحانه وقيل ان معناه اخرجكم من قبوركم بعد ان كنتم امواتا فيها فعبر عن ذلك بالدعاء إذ هو بمنزلة الدعاء وبمنزلة كن فيكون في سرعة تأتي ذلك وامتناع التعذر وإنما ذكر سبحانه هذه المقدورات على اختلافها ليدل عباده على انه القادر الذي لا يعجزه شيء العالم الذي لا يعزب عنه شيء وتدل هذه الآيات على فساد قول من قال ان المعارف ضرورية لأن ما يعرف ضرورة لا يمكن الاستدلال عليه

قوله تعالى (٢٦) وَلَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (٢٧) وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢٨) ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٩) بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٠) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ

لِخَلْقِ اللّٰهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ خمس آيات

﴿ الإعراب ﴾

هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء . لكم الجار والمجرور في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ والمبتدأ من شركاء ومن مزيدة ومن في قوله مما ملكت أيمانكم تتعلق بما يتعلق به اللام ويجوز ان يتعلق بمحذوف ويكون في موضع نصب على الحال والعامل في الحال ما يتعلق به اللام . فأنتم فيه سواء جملة في موضع نصب لأنه جواب قوله هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء وتقديره فتستووا وقوله تخافونهم اي تخافون ان يساووكم كخيفتكم مساواة بعضكم بعضا . حنيفا نصب على الحال . فطرة الله منصوب بمعنى اتبع فطرة الله لأن معنى فأقم وجهك للدين القيم اتبع الدين القيم فيكون بدلا من وجهك في المعنى

=[المعنى]=

ثم قال سبحانه بعد ان ذكر الدلالات الدالة على توحيده (وله من في السموات والارض) من العقلاء يملكهم ويملك التصرف فيهم وإنما خص العقلاء لأن ما عداهم في حكم التبع لهم ثم اخبر سبحانه عن جميعهم فقال (كل له قانتون) اي كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وان عصوا في العبادة عن ابن عباس وهذا مفسر في سورة البقرة (وهو الذي يبدؤا الخلق ثم يعيده) اي يخلقهم انشاء ويخترعهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الافناء فجعل سبحانه ما ظهر من ابتداء خلقه دليلا على ما خفي من إعادته استدلالا بالشاهد على الغائب ثم أكد ذلك بقوله (وهو أهون عليه) هو يعود إلى مصدر يعيده فالمعنى والاعادة أهون وقيل فيه اقوال ﴿ احدها ﴾ ان معناه وهو هين عليه كقوله الله اكبر اي كبير لا يدانيه أحد في كبريائه وكقول الشاعر

لعمرك ما أدري وإني لأوجل على اينا تغدو المنية أول

فمعنى لأوجل اي وجل وقال الفرزدق

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز واطول

اي عزيزة طويلة وقد قيل فيه انه أراد أعز وأطول من دعائم بيوت العرب وقال آخر

تمنى رجال ان أموت وان أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

اي بواحد هذا قول أهل اللغة ﴿ والثاني ﴾ انه انما قال أهون لما تقرر في العقول ان اعادة الشيء أهون من ابتدائه ومعنى اهون ايسر واسهل وهم كانوا مقرين بالابتداء فكأنه قال لهم كيف تقرون بما هو اصعب عندكم وتنكرون ما هو اهون عندكم ﴿ الثالث ﴾ ان الهاء في عليه يعود إلى الخلق وهو المخلوق اي والاعادة على المخلوق أهون من النشأة الأولى لأنه إنما يقال له في الإعادة كن فيكون وفي النشأة الأولى كان نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم كسيت العظام لحما ثم نفخ فيه الروح فهذا على المخلوق اصعب والانشاء يكون اهون عليه وهذا قول النحويين ومثله يروى عن ابن عباس قال وهو اهون على المخلوق لأنه يقول له يوم القيامة كن فيكون وأما ما يروى عن مجاهد انه قال الانشاء اهون عليه من الابتداء فقوله مرغوب عنه لأنه تعالى لا يكون عليه شيء اهون من شيء (وله المثل الاعلى) اي وله الصفات العليا (في السموات والارض) وهي انه لا إله إلا هو وحده لا شريك له لأنها دائمة يصفه بها الثاني كما يصفه بها الأول عن قتادة وقيل هي انه ليس كمثله شيء عن ابن عباس وقيل هي جميع ما يختص به عز اسمه من الصفات العلى التي لا يشاركه فيها سواه والاسماء الحسنى التي تفيد التعظيم كالقاهر والإله (وهو العزيز) في ملكه (الحكيم) في خلقه ثم احتج سبحانه على عبدة الاوثان فقال (ضرب لكم) ايها المشركون (مثلا من انفسكم) اي بين لكم شبها لحالكم ذلك

المثل من انفسكم ثم بينه فقال (هل لكم مما ملكت أيمانكم) اي من عبيدكم وإمائكم (من شركاء فيما رزقناكم) من المال والاملاك والنعم اي هل يشاركونكم في اموالكم وهو قوله (فأنتم فيه سواء) اي فأنتم وشركاؤكم من عبيدكم وإمائكم فيما رزقناكم شرع سواء (تخافونهم) ان يشاركوكم فيما ترثونه من آبائكم (كخيفتكم أنفسكم) اي كما يخاف الرجل الحر شريكه الحر في المال يكون بينهما ان ينفرد دونه فيه بأمر وكما يخاف الرجل شريكه في الميراث أن يشاركه لأنه يحب أن ينفرد به فهو يخاف شريكه يعني ان هذه الصفة لا تكون بين المالكين والمملوكين كما تكون بين الاحرار ومعنى انفسكم هاهنا أمثالكم من الاحرار كقوله ولا تلمزوا أنفسكم وكقوله ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا أي بأمثالهم من المؤمنين والمؤمنات والمعنى انكم إذا لم ترضوا في عبيدكم ان يكونوا شركاء لكم في أموالكم واملاككم فكيف ترضون لربكم ان يكون له شركاء في العبادة قال سعيد بن جبير لأنه كانت تلبية قريش لبيك اللهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك فأنزل الله تعالى الآية ردا عليهم وانكارا لقولهم (كذلك) أي كما ميزنا لكم هذه الأدلة (نفصل الآيات) أي الأدلة (لقوم يعقلون) فيتدبرون ذلك ثم قال سبحانه مبينا لهم انهم انما اتبعوا اهواءهم فيما أشركوا به (بل اتبع الذين ظلموا) أي اشركوا بالله (اهواءهم) في الشرك (بغير علم) يعلمونه جاءهم من الله (فمن يهدي من أضل الله) اي فمن يهدي إلى الثواب والجنة من أضله الله عن ذلك عن الجبائي وقيل معناه من أضل عن الله الذي هو خالقه ورازقه والمنعم عليه مع ما نصبه له من الأدلة فمن يهديه بعد ذلك عن ابي مسلم قال وهو من قولهم أضل فلان بعيره بمعنى ضل بعيره عنه قال الشاعر

هبوني امرءاً منكم اضل بعيره له ذمة إن الذمام كثير

وانما المعنى ضل بعيره عنه (وما لهم من ناصرين) ينصرونهم ويدفعون عنهم عذاب الله تعالى إذا حل بهم ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ والمراد جميع المكلفين وقال (فأقم وجهك للدين) أي أقم قصدك للدين والمعنى كن معتقدا للدين وقيل معناه اثبت ودم على الاستقامة وقيل معناه اخلص دينك عن سعيد بن جبير وقيل معناه سدد عملك فإن الوجه ما يتوجه اليه وعمل الإنسان ودينه مما يتوجه الإنسان اليه لتشديده واقامته (حنيفا) اي مائلا اليه ثابتا عليه مستقيما فيه لا يرجع عنه إلى غيره (فطرت الله التي فطر الناس عليها) فطرة الله الملة وهي الدين والإسلام والتوحيد التي خلق الناس عليها ولها وبها أي لأجلها والتمسك بها فيكون كقوله وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون وهو كما يقول القائل لرسوله بعثتك على هذا ولهذا وبهذا والمعنى واحد ومنه قول النبي ﷺ كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقيل معناه اتبع من الدين ما دلك عليه فطرة الله وهو ابتداء خلقه للأشياء لأنه خلقهم وركبهم وصورهم على وجه يدل على ان لهم صانعا قادرا عالما حيا قديما واحدا لايشبه شيئا ولا يشبهه شيء عن ابي مسلم (لا تبديل لخلق الله) أي لا تغيير لدين الله الذي أمر الناس بالثبات عليه في التوحيد والعدل واخلاص العبادة لله عن الضحاك ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير وابراهيم وابن زيد وقالوا ان لا هاهنا بمعنى النهي أي لا تبدلوا دين الله التي امرتم بالثبات عليها وقيل المراد به النهي عن الخصاء عن ابن عباس وعكرمة وقيل معناه لا تبديل لخالق الله فيما دل عليه بمعنى انه فطرة الله على وجه يدل على صانع حكيم فلا يمكن ان يجعله خلقا لغير الله حتى يبطل وجه الاستدلال عن ابي مسلم والمعنى انما دلت عليه الفطرة لا يمكن فيه التبديل (ذلك الدين القيم) اي ذلك الدين المستقيم الذي يجب اتباعه (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) صحة ذلك لعدولهم عن النظر فيه

قوله تعالى (٣١) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ

(٣٢) مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٣) وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٣٤) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣٥) أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ حمزة والكسائي فارقوا بالالف والباقون فرقوا وقد مضى بيانه في سورة الأنعام وفي الشواذ قراءة ابي العالية فيمتعوا فسوف يعلمون ومعناه تطول اعمارهم على كفرهم فسوف يعلمون تهديدا على ذلك

اللغة

الإنابة الانقطاع إلى الله بالطاعة فأصله على هذا القطع ومنه الناب لأنه قاطع وينيب في الأمر إذا نشب فيه كما ينشب الناب القاطع ويجوز ان يكون من ناب ينوب إذا رجع مرة بعد مرة فتكون الانابة التوبة التي يجددها مرة بعد مرة والشيع الفرق وكل فرقة شيعة على حدة سموا بذلك لأن بعضهم يشيع بعضا على مذهبه فشيعة الحق هم الذين اجتمعوا على الحق وكذلك شيعة امير المؤمنين (ع) هم الذين اجتمعوا معه على الحق

المعنى

ثم قال سبحانه (منيبين اليه) قال الزجاج زعم جميع النحويين ان معناه فأقيموا وجوهكم منيبين اليه لأن مخاطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم تدخل معه فيها الأمة والدليل على ذلك قوله يا ايها النبي إذا طلقتم النساء فقوله فأقم وجهك معناه فأقيموا وجوهكم منيبين اليه أي راجعين إلى كل ما امر به مع التقوى واداء الفرض وهو قوله (واتقوه وأقيموا الصلوة) ثم اخبر سبحانه انه لا ينفع ذلك إلا بالاخلاص في التوحيد فقال (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم) اي لا تكونوا من أهل الشرك من جملة الذين فرقوا دينهم عن الفراء ويجوز ان يكون قوله من الذين فرقوا دينهم (وكانوا شيعا) ابتداء كلام ومعناه الذين اوقعوا في دينهم الاختلاف وصاروا ذوي أديان مختلفة فصار بعضهم يعبد وثنا وبعضهم يعبد نارا وبعضهم شمسا إلى غير ذلك وقد تقدم تفسيره في سورة الانعام (كل حزب بما لديهم فرحون) أي كل اهل ملة بما عندهم من الدين راضون عن مقاتل وقيل كل فريق بدينهم معجبون مسرورون يظنون انهم على حق (وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم) أي إذا اصابهم مرض او فقر او شدة دعوا الله تعالى (منيبين اليه) أي منقطعين اليه مخلصين في الدعاء له (ثم إذا أذاقهم منه رحمة) بأن يعافيهم من المرض او يغنيهم من الفقر أو ينجيهم من الشدة (إذا فريق منهم بربهم يشركون) اي يعودون إلى عبادة غير الله على خلاف ما يقتضيه العقل من مقابلة النعم بالشكر ثم بين سبحانه انهم يفعلون ذلك (ليكفروا بما آتيناهم) من النعم إذ لا غرض في الشرك إلا كفران نعم الله سبحانه وقيل ان هذه اللام للأمر على معنى التهديد مثل قوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ثم قال سبحانه يخاطبهم مهددا لهم (فتمتعوا) بهذه الدنيا وانتفعوا بنعيمها الفاني كيف شئتم (فسوف تعلمون) عاقبة كفركم (أم انزلنا عليهم سلطانا) هذا استفهام مستأنف معناه بل انزلنا عليهم برهانا وحجة يتسلطون بذلك على ما ذهبوا اليه (فهو يتكلم بما كانوا به يشركون) اي فذلك البرهان كأنه يتكلم بصحة شركهم ويحتج لهم به والمعنى انهم لا يقدرون على تصحيح ذلك ولا يمكنهم ادعاء برهان وحجة عليه

قوله تعالى (٣٦) وَإِذَا أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ

أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ (٣٧) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٣٨) فَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٣٩) وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَا فِي أَمْوَالِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ ٱللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ (٤٠) ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَٰلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ ابن كثير وما اتيتم من ربا مقصورة الألف غير ممدودة وقرأ الباقون ما آتيتم بالمد وقرأ أهل المدينة ويعقوب وسهل لتربوا بالتاء وضمها وسكون الواو والباقون ليربوا بالياء وفتحها ونصب الواو

الحجة

قال أبو علي معنى ما آتيتم من ربا ما اتيتم من هدية أهديتموها لتعوضوا ما هو اكثر منه وتكافئوا أزيد منه فلا يربو عند الله لأنكم انما قصدتم إلى زيادة العوض فلم تبتغوا في ذلك وجه الله ومثل هذا في المعنى قوله ولا تمنن تستكثر فمن مد آتيتم فلأن المعنى أعطيتم ومن قصر فإنه يؤول في المعنى إلى قول من مد إلا أن أتيتم على لفظ جئتم كما تقول جئت زيداً فكأنه قال ما جئتم من ربا ومجيئهم لذلك إنما هو على وجه الاعطاء له كما تقول اتيت الخطأ واتيت الصواب قال الشاعر

اتيت الذي يأتي السفيه لغرتي ... إلى ان علا وخط من الشيب مفرقي

فإتيانه الذي يأتيه السفيه إنما هو فعل منه له قال ولم يختلفوا في مد وما آتيتم من زكوة فهو كقوله وإيتاء الزكاة وان كان لو قال أتيت الزكاة لجاز أن يعني به فعلتها ولكن الذي جاء منه في التنزيل وفي سائر الكلام الإيتاء ومن قرأ ليربو فإن فاعله الربا المذكور في قوله وما آتيتم من ربا وقدر المضاف وحذفه كأنه في اجتلاب أموال الناس واجتذابه ونحو ذلك وكأنه سمي هذا المدفوع على وجه اجتلاب الزيادة ربا ولو قصد به وجه الله لما كان العوض فيه الاستزادة على ما أعطي فسمي بأسم الزيادة والرباء هو الزيادة بذلك سمي المحرم المتوعد فاعله وبالزيادة ما يأخذ على ما اعطي والمدفوع ليس في الحقيقة ربا إنما المحرم الزيادة التي يأخذها زيداً على ما اعطي فسمي الجميع ربا فكذلك ما اعطاه الواهب والمهدي لاستجلاب الزيادة سمي ربا لمكان الزيادة المقصودة في المكافأة فوجه ليربوا في أموال الناس ليربوا ما آتيتم فلا يربو عند الله لأنه لم يقصد به وجه البر والقربة انما قصد به اجتلاب الزيادة ولو قصد به وجه الله تعالى لكان كقوله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون أي صاروا ذوي اضعاف من الثواب على ما اتوا من الزكاة يعطون بالحسنة عشرا فله عشر امثالها وقول نافع لتربوا أي لتصيروا ذوي زيادة فيما اتيتم من أموال الناس أي تستدعونها وتجتلبونها وكانه من أربى أي صار ذا زيادة مثل اقطف واجرب

المعنى

لما تقدم ذكر المشركين عقبه سبحانه بذكر احوالهم في البطر عند النعمة واليأس عند الشدة فقال (وإذا أذقنا الناس رحمة) أي إذا آتيناهم نعمة من عافية وصحة جسم أو سعة رزق أو أمن ودعة (فرحوا بها) أي سروا بتلك الرحمة (وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم) أي وان أصابهم بلاء وعقوبة بذنوبهم التي قدموها وسمي

ذلك سيئة توسعاً لكونه جزاء على السيئة عن الجبائي وقيل وان يصبهم قحط وانقطاع مطر وشدة وسميت سيئة لأنها تسوء صاحبها (إذا هم يقنطون) أي ييأسون من رحمة الله وإنما قال بما قدمت أيديهم ولم يقل بما قدموا على التغليب للأظهر الأكثر فإن اكثر العمل لليدين والعمل للقلب وان كان كثيراً فإنه أخفى ثم نبههم سبحانه على توحيده فقال (أولم يروا ان الله يبسط الرزق) اي بوسعه (لمن يشاء ويقدر) أي ويضيق لمن يشاء على حسب ما تقتضيه مصالح العباد (ان في ذلك) أي في بسط الرزق لقوم وتضييقه لقوم آخرين (لآيات) أي دلالات (لقوم يؤمنون) بالله ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (وآت ذا القربى حقه) اي واعط ذوي قرباك يا محمد حقوقهم التي جعلها الله لهم من الاخماس عن مجاهد والسدي وروى ابو سعيد الخدري وغيره انه لما نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعطى فاطمة (ع) فدكا وسلمه اليها وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) وقيل انه خطاب له صلى الله عليه وآله وسلم ولغيره والمراد بالقربى قرابة الرجل وهو امر بصلة الرحم بالمال والنفس عن الحسن (والمسكين وابن السبيل) معناه وآت المسكين والمسافر المحتاج ما فرض الله لهم في مالك (ذلك خير) أي اعطاء الحقوق مستحقيها خير (للذين يريدون وجه الله) بالاعطاء دون الرياء والسمعة (وأولئك هم المفلحون) أي الفائزون بثواب الله (وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله) قيل في الربا المذكور في الآية قولان أحدهما انه ربا حلال وهو ان يعطي الرجل العطية او يهدي الهدية ليثاب اكثر منها فليس فيه اجر ولا وزر عن ابن عباس وطاوس وهو المروي عن ابي جعفر (ع) والقول الآخر انه الربا المحرم عن الحسن والجبائي فعلى هذا يكون كقوله يمحق الله الربا ويربي الصدقات (وما آتيتم من زكاة) أي وما اعطيتموه أهله على وجه الزكاة (تريدون) بذلك (وجه الله) اي ثواب الله ورضاه ولا تطلبون بها المكافأة (فأولئك هم المضعفون) اي فأهلها هم المضعفون يضاعف لهم الثواب وقيل المضعفون ذوو الاضعاف في الحسنات كما يقال رجل مقو اي ذو قوة وموسر اي ذو يسار وقيل هم المضعفون للمال في العاجل وللثواب في الآجل لأن الله سبحانه جعل الزكاة سبباً لزيادة المال ومنه الحديث ما نقص مال من صدقة وقال امير المؤمنين (ع) فرض الله تعالى الصلاة تنزيها عن الكبر والزكاة تسبيباً للرزق والصيام ابتلاء لإخلاص الخلق وصلة الارحام منماة للعدد في كلام طويل وبدأ سبحانه في الآية بالخطاب ثم ثنى بالخبر وذلك معدود في الفصاحة ثم عاد إلى دليل التوحيد فقال (الله الذي خلقكم) اي أوجدكم وأنشأ خلقكم (ثم رزقكم) اي اعطاكم أنواع النعم (ثم يميتكم) بعد ذلك ليصح إيصالكم إلى ما عرضكم له من الثواب الدائم (ثم يحييكم) ليجازيكم على افعالكم (هل من شركائكم) التي عبدتموها من دونه (من يفعل من ذلكم من شيء) او يقدر عليه فيجوز لذلك توجه العبادة اليه ثم نزه سبحانه نفسه عن ان يشرك معه في العبادة فقال (سبحانه وتعالى عما يشركون)

قوله تعالى (٤١) ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٢) قُلْ سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ (٤٣) فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (٤٤) مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ (٤٥) لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْكَافِرِينَ

خمس آيات

﴿ اللغة ﴾

الصدع الشق وتصدع القوم تفرقوا قال

وكنا كندماني جذيمة حقبة　　من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه ما اصاب الخلق بسبب ترك التوحيد فقال (ظهر الفساد في البر والبحر) ومعناه ظهر قحط المطر وقلة النبات في البر حيث لا يجري نهر وهو البوادي والبحر وهو كل قرية على شاطئ نهر عظيم (بما كسبت أيدي الناس) يعني كفار مكة عن ابن عباس وليس المراد بالبر والبحر في الآية كل بر وبحر في الدنيا وإنما المراد به حيث ظهر القحط بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعلى هذا يكون التقدير ظهر عقوبة الفساد في البر والبحر قال الفراء اجدب البر وانقطعت مادة البحر بذنوبهم وكان ذلك ليذوقوا الشدة في العاجل ويجوز ايضاً ان يسمى الهلاك والخراب فساداً كما يسمى العذاب سوء وان كان ذلك حكمة وعدلا وقيل البر ظهر الأرض والبحر المعروف والفساد ارتكاب المعاصي عن ابي العالية وقيل فساد البر قتل قابيل بن آدم أخاه وفساد البحر اخذ السفينة غصباً عن مجاهد وقيل ولاة السوء في البر والبحر وقيل فساد البرّ ما يحصل فيه من المخاوف المانعة من سلوكه ويكون ذلك بخذلان الله تعالى لأهله والعقاب به وفساد البحر اضطراب أمره حتى لا يكون للعباد متصرف فيه وكل ذلك ليرتدع الخلق عن معاصيه وقيل البر البرية والبحر الريف والمواضع الخصبة وأصل البر من البر لأنه يبر بصلاح المقام فيه وكذلك البُر لأنه يبر بصلاحه في الغذاء أتم صلاح وأصل البحر الشق لأنه شق في الأرض ثم كثر فسمي الماء الملح بحراً انشد تغلب

وقد عاد عذب الماء بحراً فزادني　　على مرضي ان ابحر المشرب العذب

(بما كسبت أيدي الناس) أي جزاء بما عمله الناس من الكفر والفسوق وقيل معناه بسوء افعالهم وشؤم معاصيهم (ليذيقهم بعض الذي عملوا) أي ليصيبهم الله بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوها من المعاصي (لعلهم يرجعون) اي ليرجعوا عنها في المستقبل وقيل معناه ليرجع من يأتي بعدهم عن المعاصي (قل) يا محمد (سيروا في الأرض) ليس بأمر ولكنه مبالغة في العظة وروي عن ابن عباس انه قال من قرأ القرآن وعمله سار في الأرض لأن فيه اخبار الأمم (فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) من الملوك العاتية والقرون العاصية كيف اهلكهم الله وكيف صارت قصورهم قبورهم ومحاضرهم مقابرهم فلم يبق لهم عين ولا اثر ثم بين انه فعل ذلك بهم لسوء صنيعهم فقال (كان أكثرهم مشركين فأقم وجهك للدين القيم) أي استقم للدين المستقيم بصاحبه إلى الجنة اي لا تعدل عنه يميناً ولا شمالا فإنك متى فعلت ذلك اداك إلى الجنة وهو مثل قوله ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم وقوله تتقلب فيه القلوب والابصار (من قبل ان يأتي يوم لا مرد له) اي لذلك اليوم وهو يوم القيامة (من الله) أي لا يرده أحد من الله (يومئذ يصدعون) أي يتفرقون فيه فريق في الجنة وفريق في السعير عن قتادة وغيره (من كفر فعليه كفره) أي عقوبة كفره لا يعاقب احد بذنبه (ومن عمل صالحا فلا نفسهم يمهدون) أي يوطئون لأنفسهم منازلهم يقال مهدت لنفسي خيراً أي هيأته ووطأته والمعنى ان ثواب ذلك يصل اليهم ويتمهد احوالهم الحسنة عند الله وهذا توسع يقول من أصلح عمله فكأنه فرش لنفسه في القبر والقيامة وسوى مضجعه ومثواه وروى منصور بن حازم عن ابي عبد الله (ع) قال ان العمل الصالح ليسبق صاحبه إلى الجنة فيمهد له كما يمهد لأحدكم خادمه فراشه (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) أي ليجزيهم على قدر استحقاقهم ويزيدهم من فضله وقيل معناه بسبب فضله لأنه خلقه وهداه ومكنه وأزاح علته حتى استحق الثواب

وقيل من فضله يعني فضلا من فضله وثوابا لا ينقطع (انه لا يحب الكافرين) أي لا يريد كرامتهم ومنفعتهم وإنما يريد عقابهم جزاء على كفرهم

قوله تعالى (٤٦) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٤٧) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ فَٱنْتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٤٨) ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي ٱلسَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ (٤٩) وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ (٥٠) فَٱنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ خمس آيات

❋ القراءة ❋

قرأ ابو جعفر وابن ذكوان كسفًا بسكون السين والباقون بتحريكها وقد مضى القول فيه وقرأ ابن عامر واهل الكوفة غير ابي بكر إلى آثار على الجمع والباقون أثر بغير الالف على الواحد وروي عن علي (ع) وابن عباس والضحاك من خلله وعن الجحدري وابن السميقع وابي حيوة كيف تحيي بالتاء

❋ الحجة ❋

قال ابو علي الافراد في أثر لانه مضاف إلى مفرد وجاز الجمع لأن رحمة الله يجوز أن يراد به الكثرة كما قال سبحانه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقوله كيف يحيي الأرض يجوز ان يكون فاعل يحيي الضمير العائد الى اثر ويجوز ان يكون الضمير العائد إلى اسم الله وهو الأولى ومن رد الضمير إلى اثر لزمه ان يقول تحيي بالتاء إذا قرأ آثار رحمة الله فأما من قرأ من خلله فيجوز ان يكون خلل واحد خلال كجبل وجبال ويجوز أن يكون خلال واحدا عاقب خللا كالضلال والضلال ومن قرأ إلى أثر رحمت الله كيف تحيي بالتاء فإنما جاز ذلك وإن كان لا يجوز أما ترى الى غلام هند كيف تضرب زيداً بالتاء لأن الرحمة قد يقوم مقامها اثرها ولا يقوم مقام هند غلامها تقول رأيت عليك النعمة ورأيت عليك اثر النعمة ولا يعبر عن هند بغلامها

❋ الإعراب ❋

وليذيقكم عطف على المعنى وتقديره يرسل الرياح ليبشركم بها وليذيقكم وقوله كيف يشاء تقديره ايه مشيئة يشاء فيكون مفعولا مطلقاً ليشاء وقوله كيف يحيي الأرض يجوز ان يكون كيف في موضع نصب على الحال من يحيي وذو الحال الضمير المستكن في يحيي أو الأرض والتقدير أمبدعاً يحيي الأرض أم لا او مبدعة يحيي الأرض ام لا ويجوز أن يكون على تقدير المصدر أي اي احياء يحيي الأرض قال ابن جني والجملة منصوبة الموضع على الحال حملا على المعنى لا على اللفظ وذلك ان اللفظ استفهام والحال ضرب من الخبر والاستفهام والخبر معنيان متدافعان وتلخيص كونها حالا انه كأنه قال فانظر إلى آثار رحمة الله محيية للأرض كما ان قوله

ما زلت اسعى منهم واختبط حتى إذا جاء الظلام المختلط

جاؤوا بضيح هل رأيت الذئب قط

فقوله هل رأيت الذئب قط جملة استفهامية في موضع وصف لضيح حملا على المعنى دون اللفظ فكأنه قال جاؤوا بضيح يشبه لونه لون الذئب والضيح اللبن المخلوط بالماء وهو يضرب إلى الخضرة والطلسة

﴿ المعنى ﴾

ولما وعد الله سبحانه واوعد فكأن قائلا قال ما اصل مايجزي الله عليه بالخير فقيل العبادة وأصل عبادة الله معرفته ومعرفته انما تكون بأفعاله فقال (ومن آياته) أي ومن أفعاله الدالة على معرفته (ان يرسل الرياح مبشرات) بالمطر فكأنها ناطقات بالبشارة لما فيها من الدلالة عليه وارسال الرياح تحريكها واجراؤها في الجهات المختلفة تارة شمالا وتارة جنوبا ومرة صبا واخرى دبوراً على حسب ما يعلم الله في ذلك من المصلحة (وليذيقكم من رحمته) اي وليصيبكم من نعمته وهي الغيث وتقديره انه يرسل الرياح للبشارة والإذاقة من الرحمة (ولتجري الفلك) بها (بأمره ولتبتغوا من فضله) اي ولتطلبوا بركوب السفن الارباح وقيل لتطلبوا بالامطار فيما تزرعونه من فضل الله (ولعلكم تشكرون) نعمة الله تلطف سبحانه بلفظ لعلكم في الدعاء إلى الشكر كما تلطف في الدعاء إلى البر بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم تسلية له في تكذيب قومه إياه فقال (ولقد أرسلنا من قبلك) يا محمد (رسلا إلى قومهم فجاؤهم بالبينات) أي بالمعجزات والآيات الباهرات وهاهنا حذف تقديره فكذبوهم وجحدوا بآياتنا فاستحقوا العذاب (فانتقمنا من الذين اجرموا) أي عاقبناهم بتكذيبهم (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) معناه ودفعنا السوء والعذاب عن المؤمنين وكان واجباً علينا نصرهم بإعلاء الحجة ودفع الأعداء عنهم إلا انه دل على المحذوف قوله وكان حقاً علينا نصر المؤمنين وجاءت الرواية عن ام الدرداء انها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقاً على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم قرأ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ثم قال سبحانه مفسراً لما أجمله في الآية المتقدمة (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا) اي فتهيج سحاباً فتزعجه (فيبسطه) الله (في السماء كيف يشاء) ان شاء بسطه مسيرة يوم وان شاء بسطه مسيرة يومين ويجريها إلى اي جهة شاء وإلى اي بلد شاء (ويجعله كسفاً) اي قطعاً متفرقة عن قتادة وقيل متراكبا بعضه على بعض حتى يغلظ عن الجبائي وقيل قطعاً تغطي ضوء الشمس عن ابي مسلم (فترى الودق) اي القطر (يخرج من خلاله) اي من خلال السحاب (فإذا اصاب به) اي بذلك الودق (من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) اي يفرحون ويبشر بعضهم بعضاً به (وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين) معناه وانهم كانوا من قبل انزال المطر عليهم قانطين آيسين من نزول المطر عن قتادة وكرر كلمة من قبل للتوكيد عن الاخفش وقيل ان الأول من قبل الانزال للمطر والثاني من قبل الارسال للرياح (فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض) حتى انبتت شجراً ومرعى (بعد موتها) اي بعد ان كانت مواتا يابسة جعل الله سبحانه اليبس والجدوبة بمنزلة الموت وظهور النبات فيها بمنزلة الحياة توسعاً (ان ذلك لمحي الموتى) أي ان الله تعالى بفعل ما ترون وهو الله تعالى ليحيي الموتى في الآخرة بعد كونهم رفاتا (وهو على كل شيء قدير) مر معناه.

قوله تعالى (٥١) وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ (٥٢) فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٣) وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ (٥٤) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ

الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ (٥٥) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ ابن كثير وعباس عن ابي عمرو ولا يسمع الصم والباقون ولا تسمع الصم وقد ذكرناه في سورة النمل وقرأ عاصم وحمزة من ضعف بالضم والباقون بفتح الضاد وقد ذكرنا في سورة الانفال

الاعراب

جواب الشرط من قوله لئن ارسلنا قد حذف لأنه قد اغنى عنه جواب القسم لأن المعنى في قوله لظلوا ليظلن كما ان قوله ان ارسلنا بمعنى ان نرسل فجواب القسم قد ناب عن الامرين وكان احق بالحكم لتقدمه على الشرط ولو تقدم الشرط لكان الجواب له كقولك ان ارسلنا ريحاً ظلوا والله يكفرون واللام في قوله ولئن يسميها البصريون لام توطئة القسم ويسميها الكوفيون لام انذار القسم والمعنى ظل يفعل في صدر النهار وهو الوقت الذي فيه الظل للشمس

المعنى

ثم عاب سبحانه كافر النعمة فقال (ولئن ارسلنا ريحاً) مؤذنة بالهلاك باردة (فرأوه مصفراً) أي فرأوا النبت والزرع الذي كان من أثر رحمة الله مصفراً من البرد بعد الخضرة والنضارة وقيل ان الهاء يعود إلى السحاب ومعناه فرأوا السحاب مصفراً لأنه إذا كان كذلك لم يكن فيه مطر (لظلوا من بعده يكفرون) أي لصاروا من بعد ان كانوا راجين مستبشرين يكفرون بالله وبنعمته ولم يرضوا بقضاء الله تعالى فيه فعل من جهل صانعه ومدبره ولا يعلم انه حكيم لا يفعل إلا الاصلح فيشكر عند النعمة ويصبر عند الشدة ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (فإنك لا تسمع) يا محمد (الموتى ولا تسمع الصم الدعاء) شبه الكفار في ترك تدبرهم فيما يدعوهم اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم تارة بالأموات وتارة بالصم لأنهم لا ينتفعون بدعاء الداعي فكأنهم لا يسمعونه (إذا ولوا مدبرين) أي إذا اعرضوا عن أدلتنا ذاهبين إلى الضلال والفساد غير سالكين سبيل الرشاد (وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم) يعني انهم كالعمي لا يهتدون بالأدلة ولا تقدر على ردهم عن العمى إذ لم يطلبوا الاستبصار (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا) اي ليس تسمع إلا من يصدق بآياتنا وأدلتنا فإنهم المنتفعون بدعائك واسماعك (فهم مسلمون) منقادون لأمر الله ثم عاد سبحانه إلى ذكر الادلة فقال (الله الذي خلقكم من ضعف) أي من نطف وقيل معناه خلقكم أطفالاً لا تقدرون على البطش والمشي والتصرفات (ثم جعل من بعد ضعف قوة) أي شباباً (ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة) يعني حال الشيخوخة والكبر (يخلق ما يشاء) من ضعف وقوة (وهو العليم) بما فيه مصالح خلقه (القدير) على فعله يفعل بحسب ما يعلمه من المصلحة ثم بين سبحانه حال البعث فقال (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) أي يحلف المشركون ما لبثوا في القبور غير ساعة واحدة عن الكلبي ومقاتل وقيل يحلفون ما مكثوا في الدنيا غير ساعة لاستقلالهم مدة الدنيا وقيل يحلفون (ما لبثوا) بعد انقطاع عذاب القبر (غير ساعة) عن الجبائي ومتى قيل كيف يحلفون كاذبين مع ان معارفهم في الآخرة ضرورية قيل فيه أقوال ❊ احدها ❊ انهم حلفوا على الظن ولم يعلموا لبثهم في القبور فكأنهم قالوا ما لبثنا غير ساعة في ظنوننا عن ابي علي وابي هاشم ❊ وثانيها ❊ انهم استقلوا الدنيا لما عاينوا من امر الآخرة فكأنهم قالوا ما الدنيا في الآخرة إلا ساعة فاستقلوا حيث اشتغلوا في المدة اليسيرة بما أوردهم تلك الأهوال الكثيرة ❊ وثالثها ❊ ان ذلك يجوز ان يقع منهم قبل اكمال عقولهم عن ابي بكر بن الاخشيد (كذلك كانوا يؤفكون) في دار الدنيا أي يكذبون وقيل يصرفون

صرفهم جهلهم عن الحق في الدارين ومن استدل في هذه الآية على نفي عذاب القبر فقد ابعد لما بينا انه يجوز أن يريدوا انهم لم يلبثوا بعد عذاب الله إلا ساعة

قوله تعالى (٥٦) وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٥٧) فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٥٨) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ (٥٩) كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٦٠) فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة لا ينفع بالياء والباقون بالتاء وكذلك في حم المؤمن ووافق نافع اهل الكوفة في حم المؤمن

الحجة

قال ابو علي التأنيث حسن لأن المعذرة اسم مؤنث واما التذكير فلأن التأنيث غير حقيقي وقد وقع الفصل بين الفعل وفاعله والفصل يحسن التذكير

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن علماء المؤمنين في ذلك اليوم فقال (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان) أي آتاهم الله العلم بما نصب لهم من الأدلة الموجبة له فنظروا فيها فحصل لهم العلم فلذلك أضافه إلى نفسه لما كان هو الناصب للأدلة على العلوم والتصديق بالله وبرسوله (لقد لبثتم) اي مكثتم (في كتاب الله) ومعناه ان لبثكم ثابت في كتاب الله ثبته الله فيه وهو قوله ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون وهذا كما يقال ان كل ما يكون فهو في اللوح المحفوظ أي هو مثبت فيه والمراد لقد لبثتم في قبوركم (إلى يوم البعث) وقيل ان الذين أوتوا العلم والإيمان هم الملائكة وقيل هم الأنبياء وقيل هم المؤمنون وقيل ان هذا على التقديم وتقديره وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله وهم الذين يعلمون كتاب الله والإيمان لقد لبثتم إلى يوم البعث وقال الزجاج في كتاب الله أي في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ فهذا يوم البعث الذي كنتم تنكرونه في الدنيا (ولكنكم كنتم لا تعلمون) وقوعه في الدنيا فلم ينفعكم العلم به الآن ويدل على هذا المعنى قوله (فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا) انفسهم بالكفر (معذرتهم) فلا يمكنون من الاعتذار ولو اعتذروا لم يقبل عذرهم (ولا هم يستعتبون) أي لا يطلب منهم الإعتاب والرجوع إلى الحق (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي بالغنا في البيان للمكلفين في هذا القرآن الذي أنزلناه على نبينا من كل مثل يدعوهم إلى التوحيد والإيمان (ولئن جئتهم بآية) أي معجزة باهرة مما اقترحوها منك (ليقولن الذين كفروا ان انتم إلا مبطلون) أي اصحاب اباطيل وهذا اخبار عن عناد القوم وتكذيبهم بالآيات (كذلك) اي مثل ما طبع الله على قلوب هؤلاء (يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) توحيد الله والطبع والختم مفسران في سورة البقرة (فاصبر) يا محمد على اذى هؤلاء الكفار واصرارهم على كفرهم (إن وعد الله حق) بالعذاب والتنكيل لأعدائك والنصر والتأييد لك ولدينك (ولا يستخفنك) اي لا يستفزنك (الذين لا يوقنون) بالبعث والحساب فهم ضالون شاكون وقيل لا يستخفنك اي لا يحملنك كفر هؤلاء على الخفة والعجلة لشدة الغضب عليهم لكفرهم بآياتك فتفعل خلاف ما امرت به من الصبر والرفق عن الجبائي

سورة لقمان

مكية عن ابن عباس سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام إلى آخرهن

عدد آيها

ثلاث وثلاثون آية حجازي اربع في الباقين

اختلافها

آيتان الٓمٓ كوفي مخلصين له الدين بصري شامي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأ سورة لقمان كان لقمان له رفيقاً يوم القيامة واعطي من الحسنات عشراً بعدد من عمل بالمعروف وعمل بالمنكر وروى محمد بن جبير العزرمي عن ابيه عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ سورة لقمان في كل ليلة وكل الله به في ليلته ثلاثين ملكاً يحفظونه من ابليس وجنوده حتى يصبح فإن قرأها بالنهار لم يزالوا يحفظونه من ابليس وجنوده حتى يمسي

تفسيرها

لما ختم الله سورة الروم بذكر الآيات الدالة على صحة نبوته افتتح هذه السورة بذكر آيات القرآن فقال

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) الٓمٓ (٢) تِلْكَ آيَاتُ ٱلْكِتَابِ ٱلْحَكِيمِ (٣) هُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُحْسِنِينَ (٤) ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكٰوةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٥) أُولٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (٦) وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ ٱللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٧) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ ٱلنَّعِيمِ (٩) خَالِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (١٠) خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ

عشر آيات

القراءة

قرأ حمزة ورحمة بالرفع والباقون ورحمة بالنصب وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر ويعقوب ويتخذها بالنصب والباقون بالرفع وقد ذكرنا فيما تقدم ان ابن كثير وابا عمرو ويعقوب قرؤوا ليضل بفتح الياء وان نافعاً يقرأ الاذن بسكون الذال كل القرآن

الحجة

قال ابو علي والزجاج وجه النصب في ورحمة انه انتصب عن الاسم المبهم على الحال أي تلك آيات الكتاب في حال الهداية والرحمة والرفع على اضمار المبتدأ اي هو هدى ورحمة ومن رفع ويتخذها جمله عطفاً على الفعل الأول أي من يشتري ويتخذ ومن نصب عطفه على ليضل ويتخذها واما الضمير في يتخذها فيجوز ان يكون للحديث لأنه بمعنى الاحاديث ويجوز ان يكون للسبيل لأن السبيل يؤنث قال قل هذه سبيلي ويجوز ان يكون لآيات الله وقد جرى ذكرها في قوله تلك آيات الكتاب

الإعراب

مفعول يضل محذوف اي ليضل الناس . بغير علم في موضع النصب على الحال تقديره ليضل الناس جاهلا او غير عالم . كأن لم يسمعها الكاف في موضع الحال وكذا قوله كأن في اذنيه وقراً في موضع الحال أي ولى مستكبراً مشبهاً للصم . لهم جنات النعيم جنات يرتفع بالظرف على المذهبين لأنه جرى خبراً على المبتدأ . وعدالله مصدر فعل محذوف وحقاً صفة للمصدر وتقديره وعد الله وعداً حقاً . بغير عمد يجوز ان يكون غير صفة لمحذوف مجرور بالباء أي بعمد غير عمد ترونها وترونها جملة في موضع جر بكونها صفة لعمد أي بغير عمد مرئية ويجوز ان يكون غير بمعنى لا وعلى الوجهين يتعلق الباء بخلق ويجوز ان يكون الباء للحال فيكون حالا من السموات ويجوز وجه آخر وهو ان يتعلق الباء بترون والجملة في موضع نصب على الحال من خلق فالتقدير خلق السموات مرئية بغير عمد . ان تميد في موضع نصب بأنه مفعول له وتقديره حذر ان تميد و كراهة ان تميد

النزول

نزل قوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث في النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد الدار بن قصي ابن كلاب كان يتجر فيخرج إلى فارس فيشتري اخبار الاعاجم ويحدث بها قريشاً ويقول لهم ان محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود وانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن عن الكلبي وقيل نزل في رجل اشترى جارية تغنيه ليلاً ونهاراً عن ابن عباس ويؤيده ما رواه ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن واثمانهن حرام وقد نزل تصديق ذلك في كتاب الله تعالى ومن الناس من يشتري الآية والذي نفسي بيده ما رفع رجل عقيرته يتغني إلا ارتدفه شيطانان يضربان ارجلها على صدره وظهره حتى يسكت

المعنى

(الم تلك آيات الكتاب الحكيم) تقدم تفسيره (هدى ورحمة للمحسنين) أي بيان ودلالة ونعمة للمطيعين وقيل للموحدين وقيل للذين يحسنون العمل ثم وصفهم فقال (الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة) إلى قوله (هم المفلحون) قد مر تفسيره في سورة البقرة ثم وصف الذين حالهم تخالف حال هؤلاء فقال (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) اي باطل الحديث واكثر المفسرين على ان المراد بلهو الحديث الغناء وهو قول ابن عباس وابن مسعود وغيرهما وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله وابي الحسن الرضا عليهم السلام قالوا منه الغناء وروي ايضاً عن ابي عبد الله (ع) انه قال هو الطعن بالحق والاستهزاء به وما كان ابو جهل واصحابه يجيئون به إذ قال يا معشر قريش ألا أطعمكم من الزقوم الذي يخوفكم به صاحبكم ثم ارسل إلى زبد وتمر فقال هذا هو الزقوم الذي يخوفكم به قال ومنه الغناء فعلى هذا فإنه يدخل فيه كل شيء يلهي عن سبيل الله وعن طاعته من الاباطيل والمزامير والملاهي والمعازف ويدخل فيه السخرية بالقرآن واللغو فيه كما قاله ابو مسلم والترهات والبسابس على ما قاله عطا وكل لهو ولعب على ما قاله قتادة والأحاديث الكاذبة والأساطير الملهية عن القرآن على

ما قاله الكلبي وروى الواحدي بالاسناد عن نافع عن ابن عمر انه سمع النبي ﷺ في هذه الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث قال باللعب والباطل كثير النفقة سمح فيه ولا تطيب نفسه بدرهم يتصدق به وروي ايضاً بالاسناد عن ابي هريرة قال قال رسول الله ﷺ من ملأ مسامعه من غناء لم يوءذن له ان يسمع صوت الروحانيين يوم القيامة قيل وما الروحانيون يا رسول الله قال قراء أهل الجنة (ليضل عن سبيل الله) أي ليضل غيره ومن أضل غيره فقد ضل هو ومن قرأ بفتح الياء فالمعنى ليصير أمره إلى الضلال وهو ان لم يكن يشتري للضلال فإنه يصير امره إلى ذلك قال قتادة بحسب المرء من الضلالة ان يختار حديث الباطل على حديث الحق وسبيل الله قراءة القرآن وذكر الله عن ابن عباس (بغير علم) معناه انه جاهل فيما يفعله لا يفعل عن علم (ويتخذها هزوا) أي ويتخذ آيات القرآن هزوا أو ويتخذ سبيل الله هزوا يستهزأ بها (أولئك لهم عذاب مهين) أي مضل يهينهم الله به (وإذا تتلى عليه آياتنا) أي وإذا قرئ عليه القرآن (ولى مستكبراً كأن لم يسمعها) أي اعرض عن سماعه اعراض من لا يسمعه رافعاً نفسه فوق مقدارها (كأن في أذنيه وقرا) أي كأن في مسامعه ثقلا يمنعه عن سماع تلك الآيات (فبشره) يا محمد (بعذاب أليم) أي موءلم موجع في القيامة ثم اخبر سبحانه عن صفة المؤمنين المصدقين فقال (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم) يوم القيامة يتنعمون فيها (خالدين فيها) اي موءبدين في تلك الجنات (وعد الله حقاً) أي وعداً وعده الله حقاً لا خلف له (وهو العزيز) في انتقامه (الحكيم) في جميع افعاله وأحكامه لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة ثم أخبر سبحانه عن افعاله الدالة على توحيده فقال (خلق السموات) أي انشأها واخترعها (بغير عمد ترونها) إذ لو كان لها عمد لرأيتموها لأنها لو كانت تكون اجساماً عظاماً حتى يصح منها ان تقل السموات ولو كانت كذلك لاحتاجت إلى عمد أخر فكان يتسلسل فإذا لا عمد لها وقيل ان المراد بغير عمد مرئية والمعنى ان لها عمداً لا ترونها عن مجاهد والصحيح الأول (وألقى في الأرض رواسي) اي جبالاً ثابتة (أن تميد بكم) أي كراهة ان تميد بكم وقيل لئلا تميد بكم (وبث فيها) أي فرق فيها اي في الأرض (من كل دابة) تدب على وجهها من انواع الحيوانات (وأنزلنا من السماء ماء) اي غيثاً ومطراً (فأنبتنا فيها) أي في الأرض بذلك الماء (من كل زوج) أي صنف (كريم) أي حسن النبتة طيب الثمرة

قوله تعالى (١١) هذَا خَلْقُ ٱللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ ٱلظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٢) وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ ٱللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٣) وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِٱبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٤) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ (١٥) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ ابن كثير في رواية البزي يا بني لا تشرك بالله ساكنة الياء يا بني انها مكسورة الياء يا بني اقم الصلاة مفتوحة الياء وقرأ في رواية القواس يا بني لا تشرك يا بني اقم ساكنة الياء فيهما يا بني انها مكسورة الياء وقرأ ابن

فليج يا بني لا تشرك يا بني انها مكسورة الياء فيهما يا بني اقم مفتوحة الياء وقرأ حفص يا بني بفتح الياء في كل القرآن والباقون بكسر الياء في كل القرآن وفي الشواذ قراءة عيسى الثقفي ورواية بعضهم عن ابي عمرو وهنًا على وهن بفتح الهاء وقراءة الحسن بخلاف وابي رجا والجحدري وقتادة ويعقوب وفصله في عامين

الحجة

قال ابو علي من اسكن الياء في الوصل فإنه يجوز ان يكون على قول من قال يا غلام اقبل فلما وقف قال يا غلام فأسكن للوقف ويكون اجرى الوصل مجرى الوقف وهذا يجيء في الشعر كقول عمران بن حطان

قد كنت عندك حولا لا يروعني فيه روائع من انس ومن جان

فإنما خفف جان للقافية ثم وصل بحرف الاطلاق وأجرى الوصل مجرى الوقف وهذا لا نعلم جاء في الكلام ومن قال يا بني انها فهو على قولك يا غلام أقبل ومن قال يا بني بفتح الياء فانه على قولك يا بنيا فأبدل من ياء الاضافة الفا ومن الكسرة فتحة وعلى هذا حمل ابو عثمان قوله يا أبت وقد تقدم ذكر ذلك فيما سلف ومن قرأ وهَنًا على وهَن بفتح الهاء فيمكن ان يكون حرك الهاء لأجل حرف الحلق كقراءة الحسن إلى يوم البعث فهذا يوم البعث بفتح العين وأما الفصل فإنه أعم من الفصال لأنه يستعمل في الرضاع وغيره والفصال هاهنا أوجه لأن الموضع مختص بالرضاع

الاعراب

فأروني ماذا خلق الذين من دونه تقديره أي شيء خلق فماذا بمنزلة اسم واحد في موضع نصب بأنه مفعول خلق والجملة معلقة بأروني . أن اشكر لله . قال الزجاج معناه لأن يشكر لله ويجوز ان تكون ان مفسرة فيكون المعنى ان اشكر لله وتأويل ان اشكر قلنا له اشكر لله على ما اتاك . حملته امه جملة في موضع النصب على الحال بإضمار قد والعامل في الحال معنى الفعل الذي يدل عليه قوله ووصينا الإنسان بوالديه فإن معناه أمرناه بالإحسان إلى والديه وحاله انه كان محمولاً لأمه ومثله قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا أي وحالكم انكم كنتم أمواتا . وهنًا مصدر فعل محذوف في موضع الحال أي تهن وهنًا وقوله على وهن في موضع الصفة لقوله وهنا ويجوز أن يتعلق ايضاً بالعامل في وهنًا وقوله معروفًا صفة لمصدر محذوف وتقديره مصاحبًا معروفًا بمعنى مصاحبة معروفة.

المعنى

ثم اشار سبحانه إلى ما تقدم ذكره فقال (هذا خلق الله) اي هذا الذي ذكرت من السموات على عظمها وكبر حجمها والأرض وما فيها خلق الله الذي أوجده وأحدثه (فأروني ماذا خلق الذين من دونه) يعني آلهتهم التي يعبدونها (بل الظالمون في ضلال مبين) المعنى انهم لا يجدون لهذا الكلام جوابا ولا يمكنهم أن يشيروا إلى شيء هو خلق آلهتهم فلم يحملهم على عبادتهم خلقها لشيء ولكنهم في عدول ظاهر عن الحق ولما ذكر سبحانه الأدلة الدالة على توحيده وقدرته وحكمته بين عقيب ذلك قصة لقمان وانه اعطاه الحكمة فقال (ولقد آتينا لقمان الحكمة) اي اعطيناه العقل والعلم والعمل به والاصابة في الأمور واختلف فيه فقيل انه كان حكيماً ولم يكن نبياً عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وأكثر المفسرين وقيل انه كان نبياً عن عكرمة والسدي والشعبي وفسروا الحكمة هنا بالنبوة وقيل انه كان عبدا اسود حبشياً غليظ المشافر مشقوق الرجلين في زمن داود (ع) وقال له بعض الناس ألست كنت ترعي معنا فقال نعم قال فمن أين أوتيت ما أرى قال قدر الله واداء الأمانة وصدق الحديث والصمت عما لا يعنيني وقيل انه كان ابن اخت ايوب عن وهب وقيل كان ابن خالة ايوب عن مقاتل وروي عن نافع عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول حقاً أقول لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه ومنّ عليه بالحكمة كان نائماً نصف النهار إذ جاءه نداء يا لقمان هل لك

ان يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت ان خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلاء وان عزم علي فسمعاً وطاعة فإني اعلم انه ان فعل بي ذلك اعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لايراهم لمَ يا لقمان قال لأن الحكم أشد المنازل وآكدها يغشاه الظلم من كل مكان ان وقي فبالحري ان ينجو وان اخطأ اخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا وفي الآخرة شريفاً خير من ان يكون في الدنيا شريفاً وفي الآخرة ذليلاً ومن يخير الدنيا على الآخرة تفته الدنيا ولا يصيب الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطي الحكمة فانتبه يتكلم بها ثم كان يوآزر داود بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان اعطيت الحكمة وصرفت عنك البلوى (ان اشكر لله) معناه وقلنا له اشكر لله تعالى على ما اعطاك من الحكمة (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه) اي من يشكر نعمة الله ونعمة من انعم عليه فإنه انما يشكر لنفسه لان ثواب شكره عائد عليه ويستحق مزيد النعمة والزيادة الحاصلة بالشكر تكون له (ومن كفر فإن الله غني) عن شكر الشاكرين (حميد) اي محمود على افعاله وقيل مستحمد إلى خلقه بالانعام عليهم والشكر لا يكون إلا على نعمة سبقت فهو يقتضي منعما فعلى هذا لا يصح ان يشكر الإنسان نفسه كما لا يصح ان يكون منعما على نفسه ويجري مجرى الدين في انه حق لغيره عليه يلزمه اداؤه فكما لا يصح ان يقرض نفسه فكذلك لا يصح ان ينعم على نفسه (وإذ قال لقمان لابنه) معناه واذكر يا محمد إذ قال لقمان لابنه ويجوز ايضاً ان يتعلق إذ بقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة إذ قال لابنه (وهو يعظه) أي يؤدبه ويذكره أي في حالة ما يعظه (يا بني لا تشرك بالله) أي لا تعدل بالله شيئاً في العبادة (إن الشرك لظلم عظيم) أصل الظلم النقصان ومنع الواجب فمن اشرك بالله فقد منع ما وجب لله عليه من معرفة التوحيد فكان ظالماً وقيل انه ظلم نفسه ظلما عظيما بأن اوبقها (ووصينا الإنسان بوالديه) لما قدم الأمر بشكر النعمة اتبعه بالتنبيه على وجوب الشكر لكل منعم فبدأ بالوالدين أي أمرناه بطاعة الوالدين وشكرهما والإحسان اليهما وإنما قرن شكرهما بشكره لأنه الخالق المنشئ وهما السبب في الانشاء والتربية ثم بين سبحانه زيادة نعمة الأم فقال (حملته أمه وهناً على وهن) معناه ضعفاً على ضعف عن الضحاك والحسن يعني ضعف نطفة الوالد على ضعف نطفة الأم عن ابي مسلم وقيل لأن الحمل يؤثر فيها فكلما ازداد الحمل ازدادت ضعفاً على ضعف وقيل لأنها ضعيفة الخلقة فازدادت ضعفاً بالحمل وقيل وهناً على وهن أي شدة على شدة وجهداً على جهد عن ابن عباس وقتادة (وفصاله في عامين) اي وفطامه من الرضاع في انقضاء عامين لأن العامين جملة مدة الرضاع فهو كقوله يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة والمراد انها بعد ما تلده ترضعه عامين وتربيه فتلحقها المشقة بذلك ايضاً (ان اشكر لي ولوالديك) هذا تفسير قوله ووصينا الإنسان أي وصيناه بشكرنا وشكر والديه فشكر الله سبحانه بالحمد والطاعة وشكر الوالدين بالبر والصلة (إلي المصير) وفيه تهديد أي إلي مرجعكم فأجازيكم على حسب أعمالكم (وإن جاهداك) أيها الإنسان أي جاهداك والداك (على ان تشرك بي) معبوداً آخر فلا تطعهما وهو قوله (ما ليس لك به علم) لأن ما يكون حقاً تعلم صحته فما لا تعلم صحته فهو باطل فكأنه قال فإن دعواك إلى باطل (فلا تطعهما) في ذلك (وصاحبهما في الدنيا معروفاً) أي واحسن اليهما وارفق بهما في الأمور الدنيوية وان وجبت مخالفتهما في أبواب الدين لمكان كفرهما (واتبع سبيل من أناب إلي) أي واسلك طريقة من رجع إلى طاعتي وأقبل إلي بقلبه وهو النبي ﷺ والمؤمنون قال (ثم إلي) أي إلى حكمي (مرجعكم) ومنقلبكم (فأنبئكم) أي اخبركم (بما كنتم تعملون) في دار الدنيا من الأعمال وأجازيكم عليها بحسبها

فصل في ذكر نبذ من حكم لقمان عليه السلام

ذكر في التفسير ان مولاه دعاه فقال اذبح شاة فأتني بأطيب مضغتين منها فذبح شاة وأتاه بالقلب واللسان

فسأله عن ذلك فقال انهما اطيب شيء إذا طابا واخبث شيء إذا خبثا وقيل ان مولاه دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس على الحاجة يفجع منه الكبد ويورث منه الباسور ويصعد الحرارة إلى الرأس فاجلس هونا وقم هونا قال فكتب حكمته على باب الحش . قال عبد الله بن دينار قدم لقمان من سفر فلقي غلامه في الطريق فقال ما فعل ابي قال مات قال ملكت أمري قال ما فعلت امرأتي قال ماتت قال جدد فراشي قال ما فعلت اختي قال ماتت قال سترت عورتي قال ما فعل اخي قال مات قال انقطع ظهري وقيل للقمان اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيئاً . وقيل له ما اقبح وجهك قال تعتب على النقش او على فاعل النقش . وقيل انه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وفي كتاب من لا يحضره الفقيه قال لقمان لابنه يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد هلك فيها عالم كثير فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله واجعل شراعها التوكل على الله واجعل زادك فيها تقوى الله فإن نجوت فبرحمة الله وان هلكت فبذنوبك وروى سليمان بن داود المنقري عن حماد بن عيسى عن ابي عبد الله (ع) قال في وصية لقمان لابنه يا بني سافر بسيفك وخفك وعمامتك وخبائك وسقائك وخيوطك ومخرزك وتزود معك من الادوية ما تنتفع به أنت ومن معك وكن لأصحابك موافقاً إلا في معصية الله عز وجل يا بني إذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك وامورهم وأكثر التبسم في وجوههم وكن كريما على زادك بينهم فإذا دعوك فأجبهم وإذا استعانوا بك فأعنهم واستعمل طول الصمت وكثرة الصلاة وسخاء النفس بما معك من دابة او ماء أو زاد وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم واجهد رأيك لهم إذا استشاروك ثم لا تعزم حتى تثبت وتنظر ولا تجب في مشورة حتى تقوم فيها وتقعد وتنام وتأكل وتصلي وأنت مستعمل فكرتك وحكمتك في مشورته فإن من لم يمحض النصيحة من استشاره سلبه الله رأيه وإذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم فإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم واسمع لمن هو اكبر منك سناً وإذا امروك بأمر وسألوك شيئاً فقل نعم ولا تقل لا فإن لا عي ولؤم وإذا تحيرتم في الطريق فانزلوا وإذا شككتم في القصد فقفوا وتوآمروا وإذا رأيتم شخصاً واحداً فلا تسألوه عن طريقكم ولا تسترشدوه فإن الشخص الواحد في الفلاة مريب لعله يكون عين اللصوص أو يكون هو الشيطان الذي حيركم واحذروا الشخصين أيضاً إلا ان تروا ما لا أرى لأن العاقل إذا أبصر بعينه شيئاً عرف الحق منه والشاهد يرى ما لا يرى الغائب يا بني إذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخرها لشيء صلها واسترح منها فإنها دين وصل في جماعة ولو على رأس زج ولا تنامن على دابتك فإن ذلك سريع في دبرها وليس ذلك من فعل الحكماء إلا ان تكون في محمل يمكنك التمدد لاسترخاء المفاصل فإذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وابدأ بعلفها قبل نفسك فإنها نفسك وإذا أردتم النزول فعليكم من بقاع الأرض بأحسنها لوناً وألينها تربة وأكثرها عشباً وإذا نزلت فصل ركعتين قبل ان تجلس وإذا اردت قضاء حاجتك فابعد المذهب في الأرض وإذا ارتحلت فصل ركعتين ثم ودع الأرض التي حللت بها وسلم على اهلها فإن لكل بقعة أهلا من الملائكة وإن استطعت ان لا تأكل طعاماً حتى تبتدئ فتصدق منه فافعل وعليك بقراءة كتاب الله ما دمت راكباً وعليك بالتسبيح مادمت عاملا عملا وعليك بالدعاء مادمت خالياً وإياك والسير في أول الليل إلى آخره وإياك ورفع الصوت في مسيرك . وقال ابو عبد الله (ع) والله ما أوتي لقمان الحكمة لحسب ولا مال ولا بسط في جسم ولا جمال ولكنه كان رجلا قوياً في امر الله متورعاً في الله ساكتاً سكيناً عميق النظر طويل التفكر حديد البصر لم ينم نهاراً قط ولم يتكئ في مجلس قوم قط ولم يتفل في مجلس قوم قط ولم يعبث بشيء قط ولم يره احد من الناس على بول ولا غائط قط ولا على اغتسال لشدة تستره وتحفظه في امره ولم يضحك من شيء قط ولم يغضب قط مخافة الاثم في دينه ولم يمازح إنسانا قط ولم يفرح بما اوتيه من الدنيا ولا حزن منها على شيء قط وقد

نكح من النساء وولد له الأولاد الكثيرة وقدم اكثرهم افراطا فما بكى على موت احد منهم ولم يمر بين رجلين يقتتلان أو يختصمان إلا اصلح بينهما ولم يمض عنهما حتى تحاجزا ولم يسمع قولا استحسنه من احد قط إلا سأله عن تفسيره وعن من اخذه وكان يكثر مجالسة الفقهاء والعلماء وكان يغشى القضاة والملوك والسلاطين فيرثي للقضاة بما ابتلوا به ويرحم الملوك والسلاطين لعزتهم بالله وطمأنينتهم في ذلك ويتعلم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه ويحترز من السلطان وكان يداوي نفسه بالتفكر والعبر وكان لا يظعن إلا فيما ينفعه ولا ينظر إلا فيما يعنيه فبذلك اوتي الحكمة ومنح القضية

قوله تعالى (١٦) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمٰوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٧) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلٰوةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٩) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (٢٠) أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قد ذكرنا في سورة الأنبياء ان قراءة أهل المدينة مثقال حبة بالرفع وقراءة الباقين بالنصب وقرأ اهل الكوفة غير عاصم وابو عمرو ونافع ولا تصاعر بالالف والباقون ولا تصعر بالتشديد وقرأ اهل المدينة والبصرة غير يعقوب وحفص نعمه على الجمع والباقون نعمة على الواحد وفي الشواذ قراءة عبد الكريم الجزري فتكن في صخرة بكسر الكاف وقراءة يحيى بن عمارة واصبغ بالصاد عليكم نعمه ظاهرة وباطنة

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ ان تك مثقال بالرفع فألحق علامة التأنيث بالفعل فلأن المثقال هو السيئة اوالحسنة فأنث على المعنى كما قال فله عشر امثالها فأنث ومن قرأ مثقال بالنصب فالمعنى ان تك المظلمة أو السيئة أو الحسنة مثقال حبة اتى بها الله وأثاب عليها او عاقب واما قوله ولا تصعر فإنه يشبه ان يكون لا تصعر ولا تصاعر بمعنى كما قال سيبويه في ضعف وضاعف وقال ابو الحسن لا تصاعر لغة أهل الحجاز ولا تصعر لغة بني تميم وقال ابو عبيدة اصله من الصعر الذي يأخذ الابل في رؤوسها وأعناقها قال ابو علي فكأنه يقول لا تعرض عنهم ولا تزور كازورار الذي به هذا الداء الذي يلوي منه عنقه ويعرض بوجهه والنعم جمع نعمة فالنعم للكثير ونعم الله تعالى كثيرة والمفرد ايضاً يدل على الكثرة قال وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها وأما قوله ظاهرة وباطنة فلا ترجيح فيه لإحدى القراءتين على الأخرى ألا ترى أن النعم توصف بالظاهرة والباطنة كما توصف النعمة بذلك ومن قرأ فتكن فهو من وكن الطائر يكن إذا استقر في وكنه ومنه قول امرء القيس

وقد اغتدي والطير في وكناتها — بمنجرد قيد الأوابد هيكل

وقوله اصبغ ابدل فيه السين صاداً لأجل الغين كما قالوا سالغ وصالغ

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد سبحانه إلى الإخبار عن لقمان ووصيته لابنه وانه قال له (يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل) معناه ان فعلة الإنسان من خير أو شر ان كانت مقدار حبة خردل في الوزن ويجوز ان يكون الهاء في انها ضمير القصة كما في قوله فإنها لا تعمى الأبصار قال الزجاج يروى ان ابن لقمان سأل لقمان فقال ارأيت الحبة تكون في مقل البحر اي مغاص البحر يقال مقل يمقل إذا غاص أيعلمها الله فقال انها أي ان التي سألتني عنها ان تك مثقال حبة من خردل (فتكن في صخرة) اي فتكن تلك الحبة في جبل عن قتادة والمعنى في صخرة عظيمة لأن الحبة فيها اخفى وابعد من الاستخراج (او في السموات او في الارض) ذكر السموات والارض بعد ذكر الصخرة وان كان لا بد وان تكون الصخرة في الارض على وجه التأكيد كما قال اقرأ باسم ربك الذي خلق ثم قال خلق الإنسان وقال السدي هذه الصخرة ليست في السموات ولا في الارض هي تحت سبع أرضين وهذا قول مرغوب عنه (يأت بها الله) اي يحضرها الله يوم القيامة ويجازي عليها اي يأت بجزاء ما وازنها من خير او شر وقيل معناه يعلمها الله فيأتي بها إذا شاء كذلك قليل العمل من خير او شر يعلمه الله فيجازي عليه فهو مثل قوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وروى العياشي بالاسناد عن ابن مسكان عن ابي عبد الله «ع» قال اتقوا المحقرات من الذنوب فإن لها طالبا لا يقولن احدكم اذنب واستغفر الله ان الله تعالى يقول ان تك مثقال حبة من خردل الآية (ان الله لطيف) باستخراجها (خبير) بمستقرها عن قتادة وقيل اللطيف العالم بالامور الخفية والخبير العالم بالأشياء كلها (يا بني) انما صغر اسمه في هذه المواضيع للرقة والشفقة لا للتحقير (أقم الصلوة) اي أد الصلاة المفروضة في ميقاتها بشروطها (وامر بالمعروف) وهو الطاعة (وانه عن المنكر) وهو كل معصية وقبيح سواء كان من القبائح العقلية او الشرعية فإن المعروف ما يدعو اليه العقل والشرع والمنكر ما يزجر عنه العقل والشرع (واصبر على ما أصابك) من المشقة والأذى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن علي «ع» وقيل ما أصابك من شدائد الدنيا ومكارهها من الأمراض وغيرها عن الجبائي (ان ذلك من عزم الامور) اي من العقد الصحيح على فعل الحسن بدلا من القبيح والعزم الإرادة المتقدمة للفعل بأكثر من وقت وهو العقد على الأمر لتوطين النفس على فعله والتلون في الرأي يناقض العزم وقيل معناه ان ذلك من الامور التي يجب الثبات والدوام عليها وقيل العزم القوة والحزم الحذر ومنه المثل لاخير في عزم بغير حزم وقيل الحزم التأهب للامر والعزم النفاذ فيه ومنه قيل في المثل « رو بحزم فإذا استوضحت فاعزم » (ولا تصعر خدك للناس) اي ولا تمل وجهك من الناس تكبرا ولا تعرض عمن يكلمك استخفافا به وهذا معنى قول ابن عباس وابي عبد الله «ع» يقال أصاب البعير صعر اي داء يلوي منه عنقه فكأن المعنى لا تلزم خدك للصعر لأنه لا داء للإنسان ادوى من الكبر قال

وكنا إذا الجبار صعر خده اقمنا له من درئه فتقوما

وقيل هو ان يكون بينك وبين إنسان شيء فإذا لقيته اعرضت عنه عن مجاهد وقيل هو ان يسلم عليك فتلوي عنقك تكبرا عن عكرمة (ولا تمش في الارض مرحا) اي بطرا وخيلاء (ان الله لا يحب كل مختال فخور) اي كل متكبر فخور على الناس (واقصد في مشيك) اي اجعل في مشيك قصدا مستويا على وجه السكون والوقار كقوله الذين يمشون على الأرض هونا قال قتادة معناه تواضع في مشيك وقال سعيد بن جبير ولا تختل في مشيك (واغضض من صوتك) اي انقص من صوتك إذا دعوت وناجيت ربك عن عطا وقيل لا تجهر كل الجهر واخفض صوتك ولا ترفعه مطاولا به (ان انكر الاصوات لصوت الحمير) اي ان اقبح الاصوات صوت الحمير اوله زفير وآخره شهيق عن قتادة يقال وجه منكر اي قبيح . أمر لقمان ابنه بالاقتصاد في المشي والنطق وروي

عن زيد بن علي انه قال أراد صوت الحمير من الناس وهم الجهال شبههم بالحمير كما شبههم بالانعام في قوله أولئك كالانعام وروي عن ابي عبد الله «ع» قال هي العطسة المرتفعة القبيحة والرجل يرفع صوته بالحديث رفعاً قبيحا إلا ان يكون داعيا او يقرأ القرآن ثم ذكر سبحانه نعمه على خلقه ونبههم على معرفتها فقال (ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات) من الشمس والقمر والنجوم (وما في الارض) من الحيوان والنبات وغير ذلك مما تنتفعون به وتتصرفون فيه بحسب ما تريدون (وأسبغ عليكم) اي اوسع عليكم واتم عليكم نعمه (ظاهرة وباطنة) فالظاهرة ما لا يمكنكم جحده من خلقكم واحيائكم واقداركم وخلق الشهوة فيكم وغيرها من ضروب النعم والباطنة ما لا يعرفها إلا من امعن النظر فيها وقيل الباطنة مصالح الدين والدنيا مما يعلمه الله وغاب عن العباد علمه عن ابن عباس وفي رواية الضحاك عنه قال سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنه فقال يا ابن عباس اما ما ظهر فالاسلام وما سوى الله من خلقك وما افاض عليك من الرزق وأما ما بطن فستر مساوئ عملك ولم يفضحك به يا ابن عباس ان الله تعالى يقول ثلاثة جعلتهن للمؤمن ولم تكن له صلاة المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله وجعلت له ثلث ماله اكفر به عنه خطاياه والثالث سترت مساوئ عمله ولم أفضحه بشيء منه ولو ابديتها عليه لنبذه أهله فمن سواهم وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة عن عطا وقيل الظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم الآخرة وقيل الظاهرة نعم الجوارح والباطنة نعم القلب عن الربيع وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة الامداد بالملائكة عن مجاهد وقيل الظاهرة حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة عن الضحاك وقيل الظاهرة القرآن والباطنة تأويله ومعانيه وقال الباقر «ع» النعمة الظاهرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما جاء به النبي من معرفة الله عز وجل وتوحيده وأما النعمة الباطنة ولايتنا أهل البيت وعقد مودتنا ولا تنافي بين هذه الاقوال وكلها نعم الله تعالى ويجوز حمل الآية على الجميع (ومن الناس من يجادل) اي يخاصم في الله (بغير علم) بما يقوله (ولا هدى) اي ولا دلالة وحجة (ولا كتاب منير) اي ولا كتاب من عند الله ظاهر واضح وقد مضى هذا مفسرا في سورة الحج

قوله تعالى (٢١) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (٢٢) وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٣) وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنْكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤) نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ (٢٥) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ خمس آيات

المعنى

لما اخبر سبحانه عمن جادل في الله بغير علم ولم يذكر النعمة زاد عقيبه في ذمهم فقال (وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله) على محمد صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن وشرائع الاسلام (قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا) ذمهم على التقليد ثم قال منكرا عليهم (او لو كان الشيطان يدعوهم) الى تقليد آبائهم واتباع ما يدعوهم (إلى عذاب السعير) ادخل على واو العطف همزة الاستفهام على وجه الانكار وجواب او محذوف تقديره او لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير لاتبعوهم والمعنى ان الشيطان يدعوهم الى تقليد آبائهم وترك اتباع ماجاءت به الرسل

وذلك موجب لهم عذاب النار فهو في الحقيقة يدعوهم إلى النار ثم قال (ومن يسلم وجهه إلى الله) اي ومن يخلص دينه لله ويقصد في افعاله التقرب اليه (وهو محسن) فيها فيفعلها على موجب العلم ومقتضى الشرع وقيل ان اسلام الوجه إلى الله تعالى هو الانقياد لله تعالى في أوامره ونواهيه وذلك يتضمن العلم والعمل (فقد استمسك بالعروة الوثقى)اي فقد تعلق بالعروة الوثيقة التي لايخشى انفصامها والوثقى تأنيث الاوثق (و إلى الله عاقبة الامور) اي وعند الله ثواب ماصنع عن مجاهد والمعنى و إلى الله ترجع أواخر الامور على وجه لايكون لأحد التصرف فيها بالأمر والنهي (ومن كفر) من هؤلاء الناس (فلا يحزنك) يامحمد (كفره) اي لا يغمك ذلك(الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا) اي نخبرهم باعمالهم ونجازيهم بسوء افعالهم (ان الله عليم بذات الصدور) اي بما تضمره الصدور لايخفى عليه شيء منه (نمتعهم قليلا) اي نعطيهم من متاع الدنيا ونعيمها ما يتمتعون به مدة قليلة (ثم نضطرهم) في الآخرة (إلى عذاب غليظ) اي ثم نصيرهم مكرهين إلى عذاب يغلظ عليهم ويصعب (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن) في جواب ذلك (الله) خلقها (قل) يا محمد أو أيها السامع (الحمد لله) على هدايته لنا وتوفيقه إيانا لمعرفته وقيل معناه اشكر لله على دين يقر لك خصمك بصحته لوضوح دلالته عن الجبائي (بل اكثرهم لا يعلمون) ما عليهم من الحجة

قوله تعالى (٢٦) لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ (٢٧) وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٨) مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ (٢٩) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣٠) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ خمس آيات

القراءة

قرأ ابو عمرو ويعقوب والبحر بالنصب والباقون بالرفع وقرأ جعفر بن محمد «ع» والبحر مداده وفي قراءة ابن مسعود وبحر يمده وهي قراءة طلحة بن مصرف وقراءة الحسن والاعرج والبحر يمده بضم الياء

الحجة

قال ابو زيد امددت القوم بمال ورجال امدادا وقل ماء ركيتنا فمدتها ركية اخرى تمدها قال ابوعبيدة وهاهنا اختصارا سبيله او كتبت كلمات الله بهذه الاقلام والبحر ما نفدت قال ابو علي والمراد بذلك والله اعلم ما في المقدور دون ما خرج منه إلى الوجود قال قتادة يقول لو كان شجر الارض اقلاما ومع البحر سبعة ابحر مدادا إذا لانكسرت الاقلام ونفد ماء البحر قبل ان تنفد عجائب الله وحكمته وخلقه وعلمه فأما انتصاب البحر من قوله والبحر يمده فلأنه معطوف على اسم ان وهو ما في الأرض فما اسم ان واقلام خبرها والتقدير لو ان شجر الارض اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر فإذا عطفت البحر على اسم ان فنصبته كان خبره يمده والراجع إلى البحر الضمير المنصوب المتصل بيمد ومن رفع استأنف كأنه قال والبحر هذه حاله فيما قاله سيبويه وأقول إذا عطفت البحر على اسم ان فنصبته فالاولى ان يكون خبره محذوفا ويكون التقدير ولو ان البحر مدادا ويمده سبعة ابحر يكون جملة منصوبة الموضع على الحال وحذف

الخبر الذي هو مدادا لدلالة الكلام عليه و إذا نصبت البحر او رفعته فالمعنى او كتب ما في مقدور الله لنفد ذلك قبل نفاد المقدور ونحو هذا من الجمل قد يحذف لدلالة الكلام عليه كقوله اذهب بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ما ذا يرجعون قالت يا أيها الملأ والمعنى فذهب فالقى الكتاب فقرأته المرأة او فقرئ عليها فقالت يا أيها الملأ ومن قرأ وبحر يمده فتقديره وهناك بحر يمده من بعده سبعة ابحر قال ابن جني لا يجوز ان يكون وبحر معطوفا على اقلام لأن البحر وما فيه من الماء ليس من حديث الشجر والاقلام وإنما هو من حديث المداد كما قرأ جعفر الصادق «ع» مداده فأما رفع البحر فإن شئت كان معطوفا على موضع ان واسمها كما عطف عليه في قوله ان الله بريء من المشركين ورسوله وقد مضى ذكر ذلك في موضعه ومن قرأ يمده بضم الياء فإنه تشبيه بإمداد الجيش وليس يقوى ان يكون قراءة جعفر بن محمد (ع) والبحر مداده اي زائد فيه لأن ماء البحر لا يعتد في الشجر والاقلام لأنه ليس من جنسه والمداد هناك هو هذا الذي يكتب به

=« المعنى »=

ثم اكد سبحانه ما تقدم من خلقه السماوات والارض بقوله (لله ما في السموات والارض) اي له جميع ذلك خلقا وملكا يتصرف فيه كما يريده ليس لأحد الاعتراض عليه في ذلك (ان الله هو الغني) عن حمد الحامدين وعن كل شيء (الحميد) اي المستحق للحمد والتعظيم (ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله) اي لو كان شجر الارض اقلاما وكان البحر مدادا ويمده سبعة ابحر مثله اي تزيده بمائها فكتب بتلك الاقلام والبحور لتكسرت تلك الاقلام ونفد ماء البحور وما نفدت كلمات الله وقد ذكرنا تفسير كلمات الله في سورة الكهف والاولى ان يكون عبارة عن مقدوراته ومعلوماته لأنها إذا كانت لا تتناهى فكذلك الكلمات التي تقع عبارة عنها لا تتناهى (ان الله عزيز) في اقتداره على جميع ذلك (حكيم) يفعل من ذلك ما يليق بحكمته ثم قال (ما خلقكم ولا بعثكم) يا معشر الخلائق (إلا كنفس واحدة) اي كخلق نفس واحدة وبعث نفس واحدة في قدرته فإنه لا يشق عليه ابتداء جميع الخلق ولا اعادتهم بعد افنائهم قال مقاتل ان كفار قريش قالوا ان الله خلقنا اطوارا نطفة علقة مضغة لحا فكيف يبعثنا خلقا جديدا في ساعة واحدة فنزلت الآية (ان الله سميع) يسمع ما يقوله القائلون في ذلك (بصير) بما يضمرونه (الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) اي ينقص من الليل في النهار ومن النهار في الليل عن قتادة وقيل معناه ان كل واحد منهما يتعقب الآخر (وسخر الشمس والقمر) لأنهما يجريان على وتيرة واحدة لا يختلفان (كل يجري لأجل مسمى) قدره الله تعالى (وان الله بما تعملون خبير ذلك بأن الله هو الحق) الذي يجب توجيه العبادة اليه (وان ما يدعون من دونه الباطل وان الله هو العلي الكبير) اي القادر القاهر والآيتان مفسرتان في سورة الحج

قوله تعالى (٣١) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٢) وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٣) يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (٣٤) إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي

نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ   أربع آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة الاعرج بنعمات الله ساكنة العين

﴿ الحجة ﴾

في جمع فعلة ثلاث لغات فعلات بسكون العين وفعلات بفتحها وفعلات بكسر الفاء والعين

﴿ اللغة ﴾

الظلل جمع ظلة وهو ما أظلك والختر اقبح الغدر والختار صاحب الختل والختر قال عمرو بن معدي كرب

فإنك لو رأيت ابا عمير   ملأت يديك من غدر وختر

ويقال جزيت عنك اجزي اي اغنيت عنك وفيه لغة اخرى اجزأت عنك اجزئ بالهمز

﴿ الإعراب ﴾

فلما نجاهم العامل في لما معنى مقتصد وتقديره اقتصدوا واخشوا يوما انتصب يوما بأنه مفعول به. لايجزي في موضع نصب بأنه صفة يوم والتقدير لا يجزي فيه والد عن ولده ولا يكون مولود هو جاز عن والده شيئا انتصب شيئا بأنه مفعول جاز ومفعول يجزي محذوف ويجوز ان يكون سد مسد مفعوليهما جميعا

=[المعنى]=

ثم اكد سبحانه ما تقدم من الادلة على وحدانيته ونعمه على بريته فقال (ألم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمت الله) اي الم تعلم أيها الانسان ان السفن تجري في البحر بنعمة الله عليكم (ليريكم من آياته) اي بعض ادلته الدالة على وحدانيته ووجه الدلالة من ذلك ان الله تعالى يجري السفن بالرياح التي يرسلها في الوجوه التي يريدون المسير فيها ولو اجتمع جميع الخلق ليجروا الفلك في بعض الجهات المخالفة لجهة الرياح لما قدروا عليه وفي ذلك اعظم دلالة على ان المجري لها بالرياح هو القادر الذي لا يعجزه شيء فذلك بعض الادلة الدالة عليه فلذلك قال من آياته (إن في ذلك) اي في تسخير الفلك واجرائها على البحر واجراء الريح على وفقها (لآيات) اي دلالات (لكل صبار) على مشاق التكليف (شكور) لنعم الله تعالى عليه وإنما قال ذلك ليدل على ان الصبر على بلائه والشكر لنعمائه افضل الطاعات قال الشعبي الصبر نصف الايمان والشكر نصف الايمان واليقين الايمان كله وفي الحديث الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وعلى هذا فكأنه سبحانه قال ان في ذلك لآيات لكل مؤمن (وإذا غشيهم) اي إذا غشي اصحاب السفن الراكبي البحر (موج) وهو هيجان البحر (كالظلل) في ارتفاعه وتغطيته ما تحته شبه الموج بالسحاب الذي يركب بعضه على بعض عن قتادة وقيل يريد كالجبال عن مقاتل (دعوا الله مخلصين له الدين) اي ان خافوا الغرق والهلاك فاخلصوا في الدعاء لله في هذه الحال (فلما نجاهم) اي خلصهم (إلى البر) وسلمهم من هول البحر (فمنهم مقتصد) اي عدل في الوفاء في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له وقيل ان هذا كان سبب اسلام عكرمة بن ابي جهل وهو اخلاصهم الدعاء في البحر روى السدي عن مصعب بن سعد عن ابيه قال لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس إلا اربعة نفر قال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين باستار الكعبة عكرمة بن ابي جهل وعبد الله بن اخطل وقيس بن صبابة وعبد الله بن سعد ابن ابي سرح فأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم ريح عاصفة فقال اهل السفينة اخلصوا فإن آلهتكم لا تغني عنكم شيئا هاهنا فقال عكرمة لئن لم ينجني في البحر إلا الاخلاص ما ينجيني في البر غيره اللهم ان لك علي عهدا إن انت عافيتني مما انا فيه ان آتي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم حتى اضع يدي في يده فلأجدنه عفوا كريما فجاء

فأسلم وقيل فمنهم مقتصد معناه على طريقة مستقيمة وصلاح من الامر عن ابن زيد وقيل ثابت على إيمانه عن الحسن وقيل موف بعهده في البر عن ابن عباس وقيل مقتصد في قوله مضمر لكفره عن مجاهد ثم ذكر الذين تركوا التوحيد في البر فقال (وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار) بعهده اي غادرا سوء الغدر واقبحه (كفور) لله في نعمه ثم خاطب سبحانه جميع المكلفين فقال (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده) يعني يوم القيامة لا يغني فيه أحد عن أحد لا والد عن ولده (ولا مولود هو جاز عن والده شيئا) كل امرء تهمه نفسه (ان وعد الله) بالبعث والجزاء والثواب والعقاب (حق) لا خلف فيه (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) أي لا يغرنكم الإمهال عن الانتقام والآمال والأموال عن الإسلام ومعناه لا تغتروا بطول السلامة وكثرة النعمة فإنهما عن قريب إلى زوال وانتقال (ولا يغرنكم بالله الغرور) وهو الشيطان عن مجاهد وقتادة والضحاك وقيل هو تمنيك المغفرة في عمل المعصية عن سعيد بن جبير وقيل كل شيء غرك حتى تعصي الله وتترك ما أمرك الله به فهو غرور شيطانا كان أو غيره عن ابي عبيدة وفي الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لها بعد الموت والفاجر من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وفي الشواذ قراءة سماك بن حرب الغرور بضم الغين وعلى هذا فيكون المعنى ولا يغرنكم غرور الدنيا بخدعها الباطلة أو غرور النفس بشهواتها الموبقة (ان الله عنده علم الساعة) أي استأثر سبحانه به ولم يطلع عليه أحد من خلقه فلا يعلم وقت قيام الساعة سواه (وينزل الغيث) فيما يشاء من زمان أو مكان والصحيح ان معناه ويعلم نزول الغيث في مكانه وزمانه كما جاء في الحديث ان مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله وقرأ هذه الآية (ويعلم ما في الارحام) أي ويعلم ما في ارحام الحوامل أذكر أم أنثى أصحيح أم سقيم واحد او اكثر (وما تدري نفس ماذا تكسب غدا) أي ماذا تعمل في المستقبل وقيل ما يعلم بقاءه غدا فكيف يعلم تصرفه (وما تدري نفس بأي ارض تموت) اي في أي أرض يكون موته وقيل انه إذا رفع خطوة لم يدر أنه يموت قبل ان يضع الخطوة ام لا وانما قال بأي أرض لأنه أراد بالارض المكان ولو قال بأية أرض لجاز وروي ان ذلك قراءة ابي وقد روي عن أئمة الهدى «ع» ان هذه الأشياء الخمسة لا يعلمها على التفصيل والتحقيق غيره تعالى (ان الله عليم) بهذه الاشياء (خبير) بها

سورة السجدة

وسميت ايضا سجدة لقمان لئلا تلتبس بحم السجدة وهي مكية ماخلا ثلاث آيات فإنها نزلت بالمدينة أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون الى تمام الآيات

عدد آيها

تسع وعشرون آية بصري وثلاثون في الباقين

اختلافها

آيتان ألم كوفي جديد حجازي شامي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأ ألم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك فكأنما احيا ليلة القدر

وروى ليث بن ابي الزبير عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينام حتى يقرأ الٓمٓ تنزيل وتبارك الذي بيده الملك قال ليث فذكرت ذلك لطاوس فقال فضلتا على كل سورة في القرآن ومن قرأهما كتب له ستون حسنة ومحي عنه ستون سيئة ورفع له ستون درجة وروى الحسين بن ابي العلاء عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة السجدة في كل ليلة جمعة اعطاه الله كتابه بيمينه ولم يحاسبه بما كان منه وكان من رفقاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته (ع)

تفسيرها

ختم الله سبحانه السورة التي قبلها بدلائل الربوبية وافتتح هذه السورة ايضا بها فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) الٓمٓ (٢) تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ (٣) أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤) ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٥) يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ خمس آيات

الإعراب

تنزيل الكتاب خبر مبتدأ محذوف وتقديره هذا تنزيل ويجوز ان يكون تنزيل الكتاب مبتدأ ولا ريب فيه خبره وعلى القول الأول يكون لا ريب فيه في موضع نصب على الحال أو في موضع رفع على انه خبر بعد خبر وقوله من رب العالمين يحتمل الوجهين ايضا . أم يقولون افتراه ام هاهنا استفهام مستأنف والتقدير بل أيقولون وقوله من ربك يجوز ان يتعلق بالحق على تقدير هو الذي حق من ربك ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال أي كائنا من ربك والعامل فيه الحق وذو الحال الضمير المستكن فيه . لتنذر اللام يتعلق بما يتعلق به من قوله ما لكم من دونه من ولي من الثانية زائدة والتقدير ما ولي ثبت لكم ومن دونه في موضع نصب على الحال مما يتعلق به اللام في لكم

المعنى

(الٓمٓ) مفسر في اول البقرة (تنزيل الكتاب) أي هذه الآيات تنزيل الكتاب الذي وعدتم به (لا ريب فيه) اي لا شك فيه انه وحي (من رب العالمين) والمعنى انه لا ريب فيه للمهتدين وان كان قد ارتاب فيه خلق من المبطلين لا يعتد بهم لأنه ليس بموضع الشك وقيل معناه انه زال الشك في انه كلام رب العزة لعجزهم عن الإتيان بمثله وقيل ان لفظه الخبر ومعناه النهي أي لا ترتابوا فيه والريب اقبح الشك (أم يقولون) اي بل يقولون (افتريه) وليس الأمر على ما يقولون (بل هو الحق) نزل عليك (من ربك) والحق هو كل شيء من اعتقده كان معتقده على ما هو به مما يدعو العقل إلى استحقاق المدح عليه وتعظيمه فالكتاب حق لأن من اعتقد انه من عند الله كان معتقده على ما هو به والباطل نقيض الحق (لينذر قوما ما أتيهم من نذير من قبلك) يعني قريشا إذ لم يأتهم نبي قبل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وان اتى غيرهم من قبائل العرب مثل خالد بن سنان العبسي وقيل يعني اهل الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم فكانوا كأنهم في غفلة عما ازمهم من حق نعم الله وما خلقهم له من العبادة عن ابن عباس (لعلهم يهتدون) اي ليهتدوا ثم ذكر سبحانه الدلالة على وحدانيته فقال (الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام) أي فيما قدره ستة أيام لأن قبل الشمس لم يكن ليل ولا نهار (ثم استوى على العرش)

بالقهر والاستعلاء وهو مفسر في سورة الاعراف (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) أي ليس لكم من دون عذابه ولي أي قريب ينفعكم ويرد عذابه عنكم ولا شفيع يشفع لكم وقيل من ولي اي من ناصر ينصركم من دون الله (أفلا تتذكرون) أي أفلا تتفكرون فيما قلناه وتعتبرون به فتعلموا صحة ما بيناه لكم (يدبر الأمر من السماء إلى الأرض) أي خلقها وما بينها في هذه المدة يدبر الأمور كلها ويقدرها على حسب إرادته فيما بين السماء والأرض وينزله مع الملك الى الارض (ثم يعرج اليه) الملك أي يصعد إلى المكان الذي أمره الله تعالى ان يصعد اليه (في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون) اي يوم كان مقداره لو ساره غير الملك الف سنة مما يعده البشر خمسمائة عام نزوله وخمسمائة عام صعوده وقوله يعرج اليه يعني إلى الموضع الذي أمره بالعروج اليه كقول ابراهيم اني ذاهب إلى ربي سيهدين أي إلى أرض الشام التي أمرني ربي بالذهاب اليها وقوله ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله يعني إلى المدينة ولم يكن الله سبحانه بالشام ولا بالمدينة ومعناه انه ينزل الملك بالتدبير اوالوحي ويصعد إلى السماء فيقطع في يوم واحد من أيام الدنيا مسافة الف سنة مما تعدونه أنتم لأن ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام لابن آدم وهذا معنى قول ابن عباس والحسن والضحاك وقتادة وهو اختيار الجبائي وقيل معناه انه يدبر الامر سبحانه ويقضي امر كل شيء لألف سنة في يوم واحد ثم يلقيه إلى ملائكته فإذا مضى الألف سنة قضى لألف سنة أخرى ثم كذلك أبدا عن مجاهد وقيل معناه يدبر امر الدنيا فينزل القضاء والتدبير من السماء إلى الارض مدة أيام الدنيا ثم يرجع الامر ويعود التدبير اليه بعد انقضاء الدنيا وفنائها حتى ينقطع امر الامراء وحكم الحكام وينفرد الله بالتدبير في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيامة فالمدة المذكورة مدة يوم القيامة إلى ان يستقر الخلق في الدارين عن ابن عباس ايضا فأما قوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فإنه اراد سبحانه على الكافر جعل الله ذلك اليوم مقدار خمسين الف سنة فإن المقامات في يوم القيامة مختلفة وقيل ان المراد بالأول ان مسافة الصعود والنزول إلى السماء الدنيا في يوم واحد للملك مقدار مسيرة الف سنة لغير الملك من بني آدم وإلى السماء السابعة مقدار مسيرة خمسين الف سنة وقيل ان الالف سنة للنزول والعروج والخمسين الف سنة لمدة القيامة

قوله تعالى (٦) ذَٰلِكَ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ (٧) ٱلَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِنْ طِينٍ (٨) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٩) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلأَبْصَارَ وَٱلأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ (١٠) وَقَالُوا أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ

خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة ونافع وسهل خلقه بفتح اللام والباقون خلقه بسكون اللام وفي الشواذ قراءة الزهري وبدا خلق الانسان بغير همز وقرأ علي وابن عباس وابان بن سعيد بن العاص والحسن بخلاف أإذا ضللنا بالضاد مكسورة اللام وقرأ الحسن صللنا بالصاد أيضا مفتوحة اللام

الحجة

قال ابو علي خلقه منتصب على انه مصدر دل عليه ما تقدم من قوله احسن كل شيء فأما الضمير الذي أضيف خلق اليه فلا يخلو من أن يكون ضمير اسم الله تعالى أو يكون كناية عن المفعول فالذي يدل عليه

نظائره ان الضمير لاسم الله تعالى لانه مصدر لم يسند الفعل المنتصب عنه إلى فاعل ظاهر وما كان من هذا النحو اضيف المصدر فيه إلى الفاعل نحو صنع الله ووعد الله و كتاب الله عليكم فكما اضيف هذه المصادر الى الفاعل فكذلك يكون خلقه مضافا إلى ضمير الفاعل لأن قوله احسن كل شيء خلقه يدل على خلق كل شيء. فإن قلت كيف يدل قوله احسن كل شيء على خلق كل شيء وقد نجد اشياء حسنة مما لم يخلقها قيل هذا كما قال خالق كل شيء فاطلق اللفظ عاما وروي ان عكرمة سئل عن قوله تعالى احسن كل شيء خلقه فقال ان است القرد ليست بحسنة ولكنه ابرم خلقها اي اتقن وما قلناه من ان انتصاب خلقه من المصدر الذي دل عليه فعل متقدم مذهب سيبويه ويجوز أن يكون خلقه بدل من قوله كل شيء فيصير التقدير الذي احسن خلق كل شيء ومن قال احسن كل شيء خلقه كان خلقه وصفا للنكرة المتقدمة وموضع الجملة يحتمل وجهين النصب على أن يكون صفة لكل والجر على أن يكون صفة لشيء وترك الهمزة في بدأ محمول على البدل لا على التخفيف القياسي ومثله بيت الكتاب

راحت بمسلمة البغال عشية … فارعي فزارة لا هناك المرتع

وتقول على البدل ابديت إذا اخبرت عن نفسك وتقول على التخفيف بدات بالألف بلا همزة وقد مر القول في اختلافهم في قوله أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد وموضع إذا نصب بما دل عليه قوله أإنا لفي خلق جديد لأن هذا الكلام يدل على نعاد والتقدير نعاد إذا ضللنا في الأرض قال ابو عبيدة معناه همدنا في الأرض وقال غيره صرنا ترابا فلم يتبين شيء من خلقنا وقوله صللنا بالصاد من قولهم صل اللحم إذا نتن يصل ويصُل والمعنى اذا دفنا في الأرض وصلت اجسامنا وقيل أن معناه من الصلة وهي الأرض اليابسة ومنه الصلصال

❋ المعنى ❋

ثم اكد سبحانه ما تقدم من دلائل وحدانيته واعلام ربوبيته فقال (ذلك عالم الغيب والشهادة) أي الذي يفعل ذلك ويقدر عليه هو العالم بما يشاهد وما لا يشاهد وبما غاب عن الخلق وما حضر (العزيز) المنيع في ملكه (الرحيم) بأهل طاعته (الذي احسن كل شيء خلقه) اي احكم كل شيء خلقه واتقنه عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه علم كيف يخلق كل شيء قبل ان خلقه من غير أن يعلمه احد عن مقاتل والسدي من قولهم فلان يحسن كذا اي يعلمه وقيل الذي جعل كل شيء في خلقه حسنا حتى جعل الكلب في خلقه حسنا عن ابن عباس والمعنى انه احسن خلقه من جهة الحكمة فكل شيء خلقه وأوجده فيه وجه من وجوه الحكمة تحسنه وفي هذا دلالة على ان الكفر والقبائح لا يجوز أن يكون من خلقه (وبدأ خلق الانسان من طين) أي ابتدأ خلق آدم الذي هو أول البشر من طين كان ترابا ثم صار طينا ثم صلصالا ثم حيوانا (ثم جعل نسله) اي نسل الانسان الذي هو آدم يعني ولده (من سلالة) وهي الصفوة التي تنسل من غيرها ويسمى ماء الرجل سلالة لانسلاله من صلبه (من ماء مهين) اي ضعيف عن قتادة وقيل حقير مهان اشار إلى انه من شيء حقير لا قيمة له وإنما يصير ذا قيمة بالعلم والعمل (ثم سوّيه) أي جعله بشرا سويا وعدله ورتب جوارحه (ونفخ فيه) اي في ذلك المخلوق (من روحه) اضاف الروح إلى نفسه اضافة اختصاص وملك على وجه التشريف ثم قال سبحانه مخاطبا لذريته (وجعل لكم) ايها الخلق (السمع والأبصار)

لتسمعوا المسموعات وتبصروا المبصرات (والأفئدة) اي وجعل لكم القلوب لتعقلوا بها (قليلا ما تشكرون) اي تشكرون نعم الله قليلا من كثير وما مزيدة ويجوز أن يكون ما مصدرية فيكون تقديره قليلا شكركم لهذه النعم (وقالوا) يعني منكري البعث (أإذا ضللنا في الأرض) اي غبنا في الأرض وصرنا ترابا وكل شيء غلب عليه غيره حتى يغيب فيه فقد ضل قال الأخطل

كنت القذا في موج اكدر مزبد قذف الأتي به فضل ضلالا

وقيل ان معنى ضللنا هلكنا عن قتادة ومجاهد (أإنا لفي خلق جديد) اي نبعث ونحيى فهو استفهام معناه الانكار والمعنى كيف نخلق جديدا ونعاد بعد ان هلكنا وتفرقت اجسامنا ثم قال سبحانه (بل هم) اي هؤلاء الكفار (بلقاء ربهم) اي ما وعد ربهم به من الثواب والعقاب (كافرون) اي جاحدون فلهذا قالوا هذا القول

قوله تعالى (١١) قُلْ يَتَوَفَّيكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١٢) وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (١٣) وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٤) فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ خمس آيات

❋ اللغة ❋

التوفي اخذ الشيء على تمام قال الراجز

إن بني دارم ليسوا من احد ولا توفتهم قريش في العدد

يقال استوفى الدين اذا قبضه على كماله والتوكيل تفويض الامر الى غيره للقيام به والنكس قلبك الشيء على رأسه ويقال في المرض النكس بضم النون وأما النكس بكسر النون فهو السهم ينكس فيجعل اعلاه اسفله

❋ الاعراب ❋

ولو ترى اذ المجرمون يجوز أن يكون مفعول ترى محذوفا فيكون تقديره ولو ترى المجرمين اذ هم ناكسو رؤوسهم ويجوز أن يكون المعنى او رأيت ببصرك مثل قوله وإذا رأيت ثم رأيت نعيما فيكون ترى عاملا في اذ وجواب لو محذوف تقديره لو رأيت المجرمين على تلك الحالة رأيت ما تعتبر به غاية الاعتبار فذوقوا اي فيقال لهم ذوقوا العذاب بنسيانكم وهذا في موضع جر على انه صفة ليومكم

❋ المعنى ❋

ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (قل) يامحمد للمكلفين (يتوفيكم) اي يقبض ارواحكم اجمعين وقيل يقبضكم واحدا واحدا حتى لا يبقي منكم احدا (ملك الموت الذي وكل بكم) اي وكل بقبض ارواحكم عن ابن عباس قال جعلت الدنيا بين يدي ملك الموت مثل جام يأخذ منها ما شاء إذا قضى عليه الموت من

غير عناء وخطوته ما بين المشرق والمغرب وقيل ان له اعوانا كثيرة من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب عن قتادة والكلبي فعلى هذا المراد بملك الموت الجنس ويدل عليه قوله توفته رسلنا وقوله تتوفيهم الملائكة واما اضافة التوفي إلى نفسه في قوله الله يتوفى الأنفس حين موتها فلأنه سبحانه خلق الموت ولا يقدر عليه احد سواه (ثم إلى ربكم ترجعون) اي إلى جزاء ربكم من الثواب والعقاب تردون وجعل ذلك رجوعا اليه تفخيما للأمر وتعظيما للحال وروى عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمراض والأوجاع كلها بريد للموت ورسل للموت فإذا حان الأجل اتى ملك الموت بنفسه فقال يا ايها العبد كم خبر بعد خبر وكم رسول بعد رسول وكم بريد بعد بريد انا الخبر الذي ليس بعدي خبر وانا الرسول أجب ربك طائعا او مكرها فإذا قبض روحه وتصارخوا عليه قال على من تصرخون وعلى من تبكون فوالله ما ظلمت له اجلا ولا اكلت له رزقا بل دعاه ربه فليبك الباكي على نفسه فإن لي فيكم عودات وعودات حتى لا ابقي منكم احدا ثم اخبر سبحانه عن حالهم في القيامة وعند الحساب فقال (ولو ترى) يا محمد او ايها الانسان (إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم) اي يوم القيامة حين يكون المجرمون متطأطئي رؤسهم ومطرقيها حياء وندما وذلا (عند ربهم) اي عند ما يتولى الله سبحانه حساب خلقه يقولون (ربنا ابصرنا وسمعنا) اي ابصرنا الرشد وسمعنا الحق وقيل معناه ابصرنا صدق وعدك وسمعنا منك تصديق رسلك وقيل معناه إنا قد كنا بمنزلة العمي فأبصرنا وبمنزلة الصم فسمعنا (فارجعنا) اي فارددنا إلى دار التكليف (نعمل صالحا) من الصالحات (إنا موقنون) اليوم لا نرتاب شيئا من الحق والرسالة ثم قال سبحانه (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) بأن نفعل امرا من الامور يلجئهم إلى الاقرار بالتوحيد ولكن ذلك يبطل الغرض بالتكليف لأن المقصود به استحقاق الثواب والإلجاء لا يثبت معه استحقاق الثواب قال الجبائي ويجوز ان يكون المراد به ولو شئنا لأجبناهم إلى ما سألوا من الرد الى دار التكليف ليعملوا بالطاعات ولكن حق القول مني ان اجازيهم بالعقاب ولا اردهم وقيل معناه ولو شئنا لهديناهم الى الجنة (ولكن حق القول مني) اي الخبر والوعيد (لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين) اي من كلا الصنفين بكفرهم بالله سبحانه وجحدهم وحدانيته و كفرانهم نعمته والقول من الله سبحانه بمنزلة القسم فلذلك اتى بجواب القسم وهو قوله لأملأن جهنم ثم حكى سبحانه ما يقال لهؤلاء الذين طلبوا الرجعة الى دار التكليف اذا جعلوا في العذاب بقوله (فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) اي بما فعلتم فعل من نسي لقاء جزاء هذا اليوم فتركتم ما امركم الله به وعصيتموه والنسيان الترك ومنه قول النابغة « سفود شرب نسوه عند مفتأد » اي تركوه فلم يستعملوه قال المبرد لانه لو كان المراد النسيان الذي هو ضد الذكر لجاز ان يكونوا استعملوه (انا نسيناكم) اي فعلنا معكم فعل من نسيكم من ثوابه اي تركناكم من نعيمه جزاء على تركنكم طاعتنا (وذوقوا عذاب الخلد) الذي لا فناء له (بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصي ثم اخبر سبحانه عن حال المؤمنين فقال (إنما يؤمن بآياتنا) اي يصدق بالقرآن وسائر حججنا (الذين اذا ذكروابها) تذكروا واتعظوا بمواعظها بأن (خروا سجدا) أي ساجدين شكراً لله سبحانه على ان هداهم بمعرفته وأنعم عليهم بفنون نعمته (وسبحوا بحمد ربهم) اي نزهوه عما لا يليق به من الصفات وعظموه وحمدوه (وهم لا يستكبرون) عن عبادته ولا يستنكفون من طاعته ولا يأنفون أن يعفروا وجوههم صاغرين له

قوله تعالى (١٦) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٧) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨) أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لَا يَسْتَوُونَ (١٩) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ حمزة ويعقوب ما أخفي لهم ساكنة الياء والباقون بفتحها وروي في الشواذ عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابي هريرة وابي الدرداء وابن مسعود قرات اعين

الحجة

قال ابو علي الذي يقوي بناء الفعل للمفعول به قوله فلهم جنات المأوى نزلا فأبهم ذلك كما أبهم قوله أخفي لهم ولم يسند إلى فاعل بعينه ولو كان اخفي لكان اعطاهم جنات المأوى ويقوي قراءة حمزة ان اخفى مثل آتينا كل نفس هديها وقوله حق القول مني وقوله مما رزقناهم ينفقون واما ما في قوله ما اخفي فالأبين فيه أن يكون استفهاما وهو عندي قياس قول الخليل فمن قال اخفي كان ما عنده مرفوعاً بالابتداء والذكر الذي في اخفي يعود اليه والجملة التي هي ما اخفي في موضع نصب ويعلم هو الذي يتعدى إلى مفعولين كما ان قوله ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء كذلك ومن قال ما أخفي لهم فإن ما في موضع نصب بأخفي والجملة في موضع نصب بيعلم كما كان في الأول كذلك ومثله قوله فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار وسوف يعلمون من يأتيه عذاب يخزيه وما اشبه ذلك يحمل فيه العلم على التعدي إلى مفعولين ومن بعده للاستفهام واما قوله قرات أعين فإن القرة مصدر وكان القياس ان لا يجمع لأن المصدر اسم الجنس والأجناس أبعد شيء من الجمعية لكن جعلت القرة نوعا هاهنا فجمع كما يقال نحن في اشغال ولنا علوم

اللغة

التجافي تعاطي الارتفاع عن الشيء ومثله النبو يقال جفا عنه يجفو جفاء وتجافى عنه تجافيا إذا نبا عنه قال الشاعر

وصاحبي ذات هباب دمشق ... وابن ملاط متجاف ارفق

والمضجع موضع الاضطجاع وقال عبد الله بن رواحة يصف النبي صلى الله عليه وآله وسلم

يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

الاعراب

خوفا وطمعا مفعول له كما يقال فعلت ذلك مخافة الشر قال الزجاج وحقيقته انه في موضع المصدر لأن يدعون ربهم هنا يدل على انهم يخافون عذابه ويرجون رحمته فهو في تأويل يخافون خوفا ويطمعون طمعا وقوله جزاء منصوب ايضا بأنه مفعول له لا يستوون جواب الاستفهام أي لا يكون كذلك والواو الثانية في يستوون فاعل من وجه مفعول من وجه لأن المعنى لا يساوي هؤلاء أولئك ولا أولئك هؤلاء ولو قال لا يستويان لكان جائزا ولكنه جاء على معنى لا يستوي المؤمنون والكافرون ويجوز أن يكون لا يستوون للاثنين لأن معنى الاثنين جماعة . نزلا نصب على الحال والعامل فيه ما يتعلق به اللام من لهم . كلما ظرف زمان لأعيدوا

المعنى

ثم وصف سبحانه المؤمنين المذكورين في الآية المتقدمة فقال (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) أي ترتفع جنوبهم عن مواضع اضطجاعهم لصلاة الليل وهم المتهجدون بالليل الذين يقومون عن فرشهم للصلاة عن الحسن ومجاهد وعطا وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله«ع» وروى الواحدي بالاسناد عن معاذ بن جبل قال بينا نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة تبوك وقد أصابنا الحر فتفرق القوم فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اقربهم مني فدنوت منه فقلت يا رسول الله أنبئني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم شهر رمضان قال وإن شئت أنبأتك بأبواب الخير قال قلت أجل يا رسول الله قال الصوم جنة والصدقة تكفر الخطيئة وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله ثم قرأ هذه الآية تتجافى جنوبهم عن المضاجع وبالاسناد عن بلال قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة إلى الله ومنهاة عن الاثم وتكفير للسيئات ومطردة الداء عن الجسد وقيل هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة قال أنس نزلت فينا معاشر الأنصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصلي العشاء الآخرة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هم الذين يصلون ما بين المغرب والعشاء الآخرة وهي صلاة الأوابين عن قتادة وقيل هم الذين يصلون العشاء والفجر في جماعة (يدعون ربهم خوفاً) من عذاب الله (وطمعاً) في رحمة الله (ومما رزقناهم ينفقون) في طاعة الله وسبيل ثوابه ووجه المدح في هذه الآية ان هؤلاء المؤمنين يقطعهم اشتغالهم بالصلاة والدعاء عن طيب المضجع لانقطاعهم إلى الله تعالى فآمالهم مصروفة اليه واتكالهم في كل الأمور عليه ثم ذكر سبحانه جزاءهم فقال (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) أي لا يعلم احد ما خبئ لهؤلاء الذين ذكروا مما تقر به اعينهم قال ابن عباس هذا ما لا تفسير له فالأمر اعظم وأجل مما يعرف تفسيره وقد ورد في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان الله يقول أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بل هو مما اطلعتكم عليه اقرؤا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين رواه البخاري ومسلم جميعاً وقد قيل في فائدة الاخفاء وجوه ﴿ احدها ﴾ ان الشيء إذا عظم خطره وجل قدره لا تستدرك صفاته على كنهه إلا بشرح طويل ومع ذلك فيكون ابهامه ابلغ ﴿ وثانيها ﴾ ان قرة العيون غير متناهية فلا يمكن إحاطة العلم بتفاصيلها ﴿ وثالثها ﴾ إنه جعل ذلك في مقابلة صلاة الليل وهي خفية فكذلك ما بازائها من جزائها ويؤيد ذلك ما روي عن ابي عبد الله«ع» انه قال ما من حسنة إلا ولها ثواب مبين في القرآن إلا صلاة الليل فإن الله عز اسمه لم يبين ثوابها لعظم خطرها قال فلا تعلم نفس الآية وقرة العين رؤية ماتقر به العين يقال أقر الله عينك أي صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك حتى لا تطمح بالنظر إلى ما فوقه وقيل هي من القر أي البرد لأن المستبشر الضاحك يخرج من شؤون عينيه دمع بارد والمحزون المهموم يخرج من عينيه دمع حار ومنه قولهم سخنت عينه وهو قرير العين وسخين العين وإنما أضاف القرة إلى الأعين على الإطلاق لا إلى اعينهم تنبيها على انها غاية في الحسن والكمال فتقر بها كل عين (جزاء بما كانوا يعملون) من الطاعات في دار الدنيا (أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا) هذا استفهام يراد به التقرير اي أيكون من هو مصدق بالله على الحقيقة عارفا بالله وبأنبيائه عاملا بما أوجبه الله عليه وندبه اليه مثل من هو فاسق خارج عن طاعة الله مرتكب لمعاصي الله ثم قال (لا يستوون) لأن منزلة المؤمن درجات الجنان ومنزلة الفاسق دركات النيران ثم فسر ذلك بقوله (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) يأوون اليها (نزلا بما كانوا يعملون) أي عطاء بما كانوا يعملون عن الحسن وقيل ينزلهم الله فيها نزلا كما ينزل الضيف يعني انهم في حكم الأضياف (وأما الذين فسقوا فمأويهم)

الذي يأوون اليه (النار) نعوذ بالله منها (كلما أرادوا أن يخرجوا منها) أي كلما هموا بالخروج منها لما يلحقهم من ألم العذاب (أعيدوا) اي ردوا (فيها) وقد مر بيانه في سورة الحج (وقيل لهم) مع ذلك (ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) اي لا تصدقون به وتجحدونه وفي هذا دلالة على ان المراد بالفاسق هنا الكافر المكذب قال ابن ابي ليلى نزل قوله أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا الآيات في علي بن ابي طالب«ع» ورجل من قريش وقال غيره نزلت في علي بن ابي طالب«ع» والوليد بن عقبة فالمؤمن علي والفاسق الوليد وذلك انه قال لعلي«ع» انا ابسط منك لسانا وأحد منك سنانا فقال علي«ع» ليس كما تقول يافاسق قال قتادة لا والله ما استووا لا في الدنيا ولا عند الموت ولا في الآخرة

قوله تعالى (٢١) وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٢) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٢٤) وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ حمزة والكسائي ورويس عن يعقوب لما صبروا بكسر اللام والباقون لما بالتشديد وفتح اللام

الحجة

قال ابو علي من قرأ لما فإنه جعله للمجازات إلا ان الفعل المتقدم أغنى عن الجواب كما انك إذا قلت أجيئك إذا جئت تقديره إن جئت أجئك فاستغنيت عن الجواب بالفعل المتقدم على الشرط فكذلك المعنى هنا لما صبروا جعلناهم أئمة ومن قال لما صبروا علق الجار بجعلنا والتقدير جعلنا منهم أئمة لصبرهم

المعنى

ثم اقسم سبحانه في هذه الآية فقال (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) اما العذاب الأكبر فهو عذاب جهنم في الآخرة واما العذاب الأدنى ففي الدنيا واختلف فيه فقيل انه المصائب والمحن في الانفس والأموال عن أبي بن كعب وابن عباس وابي العالية والحسن وقيل هو القتل يوم بدر بالسيف عن ابن مسعود وقتادة والسدي وقيل هو ما ابتلوا به من الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والكلاب عن مقاتل وقيل هو الحدود عن عكرمة وابن عباس وقيل هو عذاب القبر عن مجاهد وروي ايضا عن ابي عبد الله«ع» والأكثر في الرواية عن ابي جعفر«ع» وابي عبد الله«ع» ان العذاب الأدنى الدابة والدجال (لعلهم يرجعون) أي ليرجعوا إلى الحق ويتوبوا من الكفر وقيل ليرجع الآخرون عن أن يذنبوا مثل ذنوبهم (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) اي لا أحد اظلم لنفسه ممن نبه على حجج الله التي توصله إلى معرفته ومعرفة ثوابه (ثم اعرض عنها) جانبا ولم ينظر فيها (إنا من المجرمين) الذين يعصون الله تعالى بقطع طاعاته وتركها (منتقمون) بأن نحل العقاب بهم (ولقد آتينا موسي الكتاب) يعني التوراة (فلا تكن في مرية من لقائه) أي في شك من لقائه اي من لقائك موسي ليلة الاسراء بك إلى السماء عن ابن عباس وقد ورد في الحديث انه قال رأيت ليلة اسري بي موسى بن عمران رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى بن مريم رجلا مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس فعلى هذا فقد وعد صلى الله عليه وآله وسلم انه سيلقى موسي قبل ان يموت وبه قال مجاهد والسدي وقيل

فلا تكن في مرية من لقاء موسى إياك في الآخرة وقيل معناه فلا تكن يا محمد في مرية من لقاء موسى الكتاب عن الزجاج وقيل معناه فلا تكن في شك من لقاء الاذى كما لقي موسى الأذى عن الحسن فكأنه قال فلا تك في مرية من أن تلقى كما لقي موسى (وجعلناه هدى لبني اسرائيل) اي وجعلنا موسى هاديا لهم عن قتادة وقيل وجعلنا الكتاب هاديا لهم عن الحسن (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا) اي وجعلنا منهم رؤساء في الخير يقتدى بهم يهدون إلى افعال الخير بإذن الله عن قتادة وقيل هم الانبياء الذين كانوا فيهم يدلون الناس على الطريق المستقيم بأمر الله (لما صبروا) أي لما صبروا وجعلوا أئمة (وكانوا بآياتنا يوقنون) لا يشكون فيها (إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيمة) اي يحكم بين المؤمن والكافر والفاسق (فيما كانوا فيه يختلفون) من التصديق برسل الله والإيمان بالبعث والنشور وغير ذلك من اعمالهم وأمور دينهم .

النظم

وجه اتصال ذكر موسى «ع» بما قبله ان المراد بالآية كما آتيناك القرآن يا محمد فكذبوك كذلك آتينا موسى التوراة فكذبوه فهو تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ووعيد للمكذبين به

قوله تعالى (٢٦) أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٧) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ (٢٨) وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٩) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٣٠) فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ زيد أولم نهد بالنون والقراء كلهم على الياء وقد ذكرناه في سورة الاعراف وفي الشواذ قراءة ابن السميقع يمشون بضم الياء وتشديد الشين وانهم منتظرون بفتح الظاء

الحجة

قال ابن جني دفع ابوحاتم فتح الظاء واستدل على ذلك بقوله فارتقب انهم مرتقبون وقوله يمشون للكثرة قال

نمشي بيننا حانوت كرم من الخرس الصراصرة القطاط

اللغة

يقال هداه في الدين يهديه هدى والى طريق هداية واهتدى إذا قبل الهداية والواجب من الهدى هو ما يؤدي إلى ما ليس للعبد عنه غنى في دينه فاللطف على هذا هدى والنظر المؤدي إلى معرفة الله تعالى هدى . والسوق الحث على السير ساقه يسوقه . والجرز الأرض اليابسة التي ليس فيها نبات لانقطاع الأمطار عنها واشتقاقه من قولهم سيف جراز أي قطاع لا يبقي شيئا إلا قطعه وناقة جراز إذا كانت تأكل كل شيء فلا تبقي شيئا إلا قطعته بفيها ورجل جروز أي اكول قال الراجز «خب جروز وإذا جاع بكى» وفي الجرز اربع لغات بضم الجيم والراء وبفتحها وبضم الجيم واسكان الراء وفتح الجيم واسكان الراء

(الاعراب)

فاعل يهد مضمر يدل عليه قوله كم أهلكنا وتقديره أولم يهد لهم اهلاكنا من أهلكناه من القرون الخالية

ولا يجوز أن يكون فاعله كم أهلكنا لأن ما قبل كم لا يجوز أن يعمل فيه إلا حروف الإضافة لأن كم على تقدير الاستفهام الذي له صدر الكلام فهو في محل النصب لأنه مفعول أهلك ويمشون في محل النصب على الحال

المعنى

ثم نبه الله سبحانه خلقه على الاعتبار بمن تقدمهم من القرون فقال (او لم يهد لهم) أي أو لم يبصرهم ويبين لهم (كم اهلكنا من قبلهم من القرون) الماضية جزاء على كفرهم بالله وارتكابهم لمعاصيه (يمشون في مساكنهم) ويرون آثارهم وقيل معناه انا اهلكناهم بغتة وهم مشاغيل بنفوسهم يمشون في منازلهم (إن في ذلك لآيات) اي في اهلاكنا لهم دلالات واضحات على الحق (افلا يسمعون) اي افلا يسمع هؤلاء الكفار ما يوعظون به من المواعظ ثم نبههم سبحانه على وجه آخر فقال (أو لم يروا) اي او لم يعلموا (أنا نسوق الماء) بالمطر والثلج وقيل بالانهار والعيون (إلى الأرض الجرز) اي اليابسة التي لا نبات فيها وقيل نسوق الماء بالسيول اليها لأنها مواضع عالية وهي قرى بين الشام واليمن عن ابن عباس (فنخرج بـه زرعا تأكل منه) اي من ذلك الزرع (انعامهم وأنفسهم) والمعنى أن هذه الأرض تنبت ما يأكله الناس والانعام (افلا يبصرون) نعم الله تعالى عليهم (ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين) قال الفراء المراد به فتح مكة وقال السدي الفتح هو القضاء بعذابهم في الدنيا وهو يوم بدر وقال مجاهد وهو الحكم بالثواب والعقاب يوم القيامة وكانوا يسمعون المسلمين يستفتحون بالله عليهم فقالوا لهم متى هذا الفتح اي متى هذا الحكم فينا (قل) يامحمد (يوم الفتح) يوم (لا ينفع الذين كفروا ايمانهم) بين سبحانه ان يوم الفتح يكون يوم القيامة وذلك اليوم لا ينفع الكافرين ايمانهم (ولا هم ينظرون) أي لا يؤخر عنهم العذاب يعني الذين قتلوا يوم بدر لم ينفعهم ايمانهم بعد القتل (فاعرض عنهم) يامحمد فإنه لا ينجع فيهم الدعاء والوعظ وقيل اعرض عن أذاهم وانتظر حكم الله فيهم قال ابن عباس نسخت آية السيف (وانتظر) موعدي لك بالنصر على اعدائك (انهم منتظرون) بك حوادث الزمان من موت او قتل فيستريحون منك وقيل معناه انهم سيأتيهم ما وعد الله فيهم فكأنهم ينتظرونه

سورة الاحزاب

مدنية وهي ثلاث وسبعون آية بالاجماع

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأ سورة الأحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر وروى عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله (ع) قال من كان كثير القراءة لسورة الأحزاب كان يوم القيامة في جوار محمد وآله وأزواجه

تفسيرها

امره سبحانه في مختتم تلك السورة بالانتظار ثم امره هنا ان يكون في انتظاره متقيا ونهاه عن طاعة الكفار فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢) وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٣) وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا (٤) مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـٰٓـِٔى تُظَـٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَـٰتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ

أَبْنَائَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ (٤) ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً

خمس آيات

القراءة

قرأ ابو عمرو بما يعملون خبيرا بالياء والباقون بالتاء وقرأ ابن عامر واهل الكوفة اللائي مهموزة ممدودة مشبعة بعدها ياء وفي سورة المجادلة والطلاق مثله وقرأ نافع ويعقوب اللاء مهموزة ممدودة مختلسة لا ياء بعدها والباقون اللاي بغير همزة ولا مد حيث كانت وقرأ عاصم تظاهرون بضم التاء وتخفيف الظاء وقرأ بفتح التاء وتخفيف الظاء أهل الكوفة غير عاصم وقرأ ابن عامر تظاهرون بفتح التاء وتشديد الظاء وقرأ الباقون تظهرون بغير الف وتشديد الظاء والهاء

الحجة

قال ابو علي من قرأ بما يعملون بالياء فعلى لا تطع الكافرين انه بما يعملون والتاء على المخاطبة ويدخل فيه الغيب واللائي اصله فاعل مثل شائي فالقياس ان يثبت الياء فيه كما يثبت في الشائي والنائي وقد حذفوا الياء في حروف من ذلك قولهم ما باليت به بالة ومنه جابة وكذا إذا حذفت من اللائي يصير اللاء فإن خففت الهمزة فالقياس ان تجعل بين بين وقد حكى سيبويه حذف الياء من اللاي ومن قرأ تظهرون فإنه تتظهرون فادغم التاء في الظاء ومن قرأ تظاهرون مضمومة التاء فهو من ظاهر من امرأته ويقوي ذلك قولهم في مصدره الظهار ومن قرأ تظاهرون خفيفة الظاء فمعناه تتظاهرون فحذف تاء تتفاعلون التي ادغمها غيره وهو من قرأ تظاهرون بتشديد الظاء مع الألف

النزول

نزلت في ابي سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابي الأعور السلمي قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن ابي بعد غزوة احد بأمان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليكلموه فقاموا وقام معهم عبد الله بن ابي وعبد الله بن سعد ابن ابي سرح وطعمة بن ابيرق فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يا محمد ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومنات وقل ان لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال عمر بن الخطاب إئذن لنا يا رسول الله في قتلهم فقال اني اعطيتهم الأمان وامر صلى الله عليه وآله وسلم فأخرجوا من المدينة ونزلت الآية ولا تطع الكافرين من اهل مكة أبا سفيان وابا الأعور وعكرمة والمنافقين ابن ابي وابن سعد وطعمة وقيل نزلت في ناس من ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فطلبوا منه ان يمتعهم باللات والعزى سنة قالوا لتعلم قريش منزلتنا منك وقوله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه نزلت في ابي معمر جميل بن معمر بن حبيب الفهري وكان لبيباً حافظا لما يسمع وكان يقول إن في جوفي لقلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد فكانت قريش تسميه ذا القلبين فلما كان يوم بدر وهزم المشركون وفيهم ابو معمر وتلقاه ابو سفيان بن حرب وهو آخذ بيده احدى نعليه والاخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فما بالك احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك فقال ابو معمر ما شعرت إلا انها في رجلي فعرفوا يومئذ انه لم يكن له إلا قلب واحد لما نسي نعله في يده

﴿ المعنى ﴾

خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (يا ايها النبي اتق الله) أي اثبت على تقوى الله ودم عليه وقيل معناه اتق الله في اجابة المشركين إلى ما التمسوه وقيل ان بعض المسلمين همّوا بقتل أولئك الذين قدموا المدينة بأمان فقال اتق الله في نقض العهد (ولا تطع الكافرين والمنافقين) مر بيانه وقيل انه عام وهو الوجه والكافر هو الذي يظهر الكفر ويبطنه والمنافق هو الذي يظهر الإيمان ويبطن الكفر (إن الله كان عليما) بما يكون قبل كونه (حكيما) فيما يخلقه ولما نهاه عن متابعة الكفار وأهل النفاق أمره باتباع أوامره ونواهيه على الاطلاق فقال (واتبع ما يوحى اليك من ربك) من القرآن والشرائع فبلغه واعمل به (إن الله كان بما تعملون خبيرا) أي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم فيجازيكم بحسبها إن خيرا فخير وإن شرا فشر (وتوكل على الله) أي فوّض أمورك إلى الله حتى لا تخاف غيره ولا ترجو إلا خيره (وكفى بالله وكيلا) اي قائما بتدبيرك حافظا لك ودافعا عنك (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) فإن أمر الرجل الواحد لا ينتظم ومعه قلبان فكيف تنتظم أمور العالم وله إلهان معبودان وقيل انه نزل في أبي معمر على ما مر بيانه عن مجاهد وقتادة واحدى الروايتين عن ابن عباس وقيل إن المنافقين كانوا يقولون ان لمحمد قلبين ينسبونه إلى الدهاء فأكذبهم الله تعالى بذلك عن ابن عباس وقيل ان رجلا كان يقول ان لي نفسين نفسا تأمرني ونفسا تنهاني فنزل ذلك فيه عن الحسن وقيل هو رد على المنافقين والمعنى ليس لاحد قلبان يؤمن بأحدهما ويكفر بالآخر وإنما هو قلب واحد فإما أن يؤمن وإما أن يكفر عن أبي مسلم وقيل انه يتصل بقوله وما جعل ادعياءكم أبناءكم والتقدير انه كما لم يجعل لرجل قلبين في جوفه لم يجعل ابن الانسان ابنا لغيره وقيل بل يتصل بما قبله والمعنى انه لا يمكن الجمع بين اتباعين متضادين اتباع الوحي والقرآن واتباع أهل الكفر والطغيان فكنى عن ذلك بذكر القلبين لأن الاتباع يصدر عن الاعتقاد والاعتقاد من افعال القلوب فكما لا يجتمع قلبان في جوف واحد لا يجتمع اعتقادان متضادان في قلب واحد وقال ابو عبد الله (ع) ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه يحب بهذا قوما ويحب بهذا اعداءهم واختلف العلماء في انه هل يجوز ان يكون لإنسان واحد قلبان فمنع بعضهم من ذلك وقال إن ذلك يؤدي إلى أن لا ينفصل إنسان من إنسانين لأنه يصح أن يريد بأحد قلبيه ما يكرهه بالقلب الآخر فيصير كشخصين وجوز بعضهم ذلك وقال كما ان الانسان الواحد يجوز ان يكون له قلب كثير الأجزاء ويمتنع أن يريد ببعض الأجزاء ما يكرهه البعض الآخر لأن الإرادة والكراهة وإن وجدتا في جزئين من القلب فالحالتان الصادرتان عنهما يرجعان إلى الجملة وهي جملة واحدة فاستحال اجتماع معنيين ضدين في حي واحد ويجوز ان يكون معنيان مختلفان او مثلان في جزئين من القلب ويوجبان الصفتين للحي الواحد فكذلك القياس إذا كان المعنيان في قلبين إذا كان ما يوجد فيهما يرجع إلى حي واحد إلا ان السمع ورد بالمنع من ذلك (وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم) يقال ظاهر من امرأته وتظاهر وتظهر وهو ان يقول لها أنت علي كظهر أمي وكانت العرب تطلق نساءها في الجاهلية بهذا اللفظ فلما جاء الإسلام نهوا عنه وأوجبت الكفارة على من ظاهر من امرأته وسنذكره في سورة المجادلة والمعنى ان الله تعالى أعلمنا ان الزوجة لا تصير أما فقال وما جعل نساءكم اللاتي تقولون هن علينا كظهر أمهاتنا أمهاتكم لأن امهاتكم على الحقيقة هن اللائي ولدنكم وارضعنكم (وماجعل ادعياءكم ابناءكم) الأدعياء جمع الدعي وهو الذي يتبناه الإنسان بين سبحانه انه ليس بابن على الحقيقة ونزلت في زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي من بني عبدود تبناه النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل الوحي وكان قد وقع عليه السبي فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وآله بسوق عكاظ فلما نبئ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاه إلى الإسلام فأسلم فقدم ابو حارثة مكة وأتى ابا طالب وقال سل ابن أخيك فإما أن يبيعه وإما أن يعتقه فلما قال ذلك ابو طالب لرسول الله قال هو حر فليذهب حيث شاء فأبى زيد أن يفارق

رسول الله ﷺ فقال حارثة يا معشر قريش اشهدوا انه ليس ابني فقال رسول الله ﷺ اشهدوا انه ابني يعني زيداً فكان يدعى زيداً بن محمد فلما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش فكانت تحت زيد بن حارثة قالت اليهود والمنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عنها فقال الله سبحانه ما جعل الله من تدعونه ولدا وهو ثابت النسب من غيركم ولدا لكم (ذلكم قولكم بأفواهكم) أي ان قولكم الدعي ابن الرجل شيء تقولونه بألسنتكم لا حقيقة له عند الله تعالى (والله يقول الحق) الذي يلزم اعتقاده وله حقيقة وهو ان الزوجة لا تصير بالظهار أما والدعي لا يصير بالتبني ابنا (وهو يهدي السبيل) اي يرشد إلى طريق الحق ويدل عليه (ادعوهم لآبائهم) الذين ولدوهم وانسبوهم اليهم أو إلى من ولدوا على فراشهم (هو اقسط عند الله) أي اعدل عند الله قولا وحكما وروى سالم عن ابن عمر قال ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيداً بن محمد حتى نزل في القرآن ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله أورده البخاري في الصحيح (فإن لم تعلموا آباءهم) أي لم تعرفوا بأعيانهم (فإخوانكم في الدين) اي فهم اخوانكم في الملة فقولوا يا أخي (ومواليكم) اي بنو اعمامكم قال الزجاج ويجوز أن يكون المراد أولياءكم في الدين في وجوب النصرة وقيل معناه معتقوكم ومحرروكم إذا اعتقتموهم من رق فلكم ولاؤهم (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) اي ليس عليكم حرج في نسبته إلى المتبني إذا ظننتم انه ابوه ولم تعلموا انه ليس بابن له فلا يؤاخذكم الله به (ولكن ما تعمدت قلوبكم) أي ولكن الإثم والجناح فيما تعمدت قلوبكم يعني في الذي تعمدته قلوبكم وقصدتموه من دعائهم إلى غير آبائهم فإنكم تؤاخذون به وقيل ما أخطأتم قبل النهي وما تعمدتموه بعد النهي عن مجاهد (وكان الله غفوراً) لما سلف من قولكم (رحيماً) بكم وفي هذه الآية دلالة على انه لا يجوز الانتساب إلى غير الأب وقد وردت السنة بتغليظ الأمر فيه قال «ع» من انتسب إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله

قوله تعالى (٦) ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَابِ مَسْطُورًا (٧) وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا (٨) لِّيَسْأَلَ ٱلصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٩) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (١٠) إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا خمس آيات

القراءة

قرأ اهل المدينة وابن عامر وابو بكر وقتيبة الظنونا والرسولا والسبيلا بألف في الوصل والوقف وقرأ اهل البصرة وحمزة بغير الف في الوصل والوقف والباقون بالألف في الوقف وبغير الف في الوصل

الحجة

قال ابو علي وجه قول من أثبت في الوصل انها في المصحف كذلك وهو رأس آية ورؤوس الآيات تشبه

بالقوافي من حيث كانت مقاطع فلما شبه أكرمن واهانن بالقوافي في حذف الياء منهن كما حذف في نحو قوله «من حذر الموت أن يأتين» «وإذا ما انتسبت له انكرن» كذلك يشبه هذا في اثبات الألف بالقوافي فأما من طرح الالف في الوصل فإنه ذهب إلى ان ذلك في القوافي وليس رؤوس الآي بقوافٍ فيحذف في الوصل كما يحذف غيرهما مما يثبت في الوقف نحو التشديد الذي يلحق الحرف الموقوف عليه وهذا إذا أثبت في الخط فينبغي أن لا يحذف كما لا يحذف هاء الوقف من حسابيه و كتابيه وان يجري مجرى الموقوف عليه ولا يوصل.

الاعراب

أن تفعلوا موصول وصلة في موضع رفع بالابتداء إلا انه استثناء منقطع وخبره محذوف تقديره لكن فعلكم إلى أوليائكم معروفا جائز وإذ اخذنا العامل في الظرف هنا محذوف تقديره واذكروا نعمة الله عليكم كائنة وقت مجيء جنود. إذ جاؤكم بدل من إذ الأولى وإذ زاغت كذلك

النزول

قال الكلبي آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الناس فكان يؤاخي بين الرجلين فإذا مات احدهما ورثه الثاني منهما دون أهله فمكثوا بذلك ما شاء الله حتى نزلت وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة وورث الأدنى فالأدنى من القرابات وقال قتادة كان المسلمون يتوارثون بالهجرة و كان لا يرث الاعرابي المسلم من المهاجرين شيئا فنزلت هذه الآية فصار المواريث بالقرابات

المعنى

(النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي هو أولى بهم منهم بأنفسهم وقيل في معناه اقوال أحدها انه أحق بتدبيرهم وحكمه أنفذ عليهم من حكمهم على أنفسهم خلاف ما يحكم به لوجوب طاعته التي هي مقرونة بطاعة الله تعالى عن ابن زيد وثانيها انه أولى بهم في الدعوة فإذا دعاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى شيء ودعتهم انفسهم إلى شيء كانت طاعته اولى بهم من طاعة أنفسهم عن ابن عباس وعطا وهذا قريب من الأول وثالثها ان حكمه أنفذ عليهم من حكم بعضهم على بعض كقوله فسلموا على أنفسكم فإذا كان هو أحق بهم وهو لا يرث أمته بما له من الحق فكيف يرث من توجبون حقه بالتبني وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما أراد غزوة تبوك وأمر الناس بالخروج قال قوم نستأذن آباءنا وأمهاتنا فنزلت هذه الآية وروي عن أبي وابن مسعود وابن عباس انهم كانوا يقرؤون النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم وكذلك هو في مصحف أبي وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله «ع» قال مجاهد وكل نبي أب لأمته ولذلك صار المؤمنون أخوة لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابوهم في الدين وواحدة الأنفس نفس وهي خاصة الحيوان الحساسة الدراكة التي هي أنفس ما فيه ويحتمل أن يكون اشتقاقه من التنفس الذي هو التروح ويحتمل ان يكون من النفاسة لأنه أجل ما فيه واكرمه (وازواجه أمهاتهم) المعنى انهن للمؤمنين كالأمهات في الحرمة وتحريم النكاح ولسن أمهات لهم على الحقيقة إذ لو كن كذلك لكانت بناته اخوات المؤمنين على الحقيقة فكان لا يحل للمؤمن التزويج بهن فثبت ان المراد به يعود إلى حرمة العقد عليهن لا غير لأنه لم يثبت شيء من احكام الأمومة بين المؤمنين وبينهن سوى هذه الواحدة ألا ترى انه لا يحل للمؤمنين رؤيتهن ولا يرثن المؤمنين ولا يرثونهن ولهذا قال الشافعي وازواجه امهاتهم في معنى دون معنى وهو انهن محرمات على التأبيد وما كن محارم في الخلوة والمسافرة وهذا معنى ما رواه مسروق عن عائشة ان امرأة قالت لها يا أمه فقالت لست لك بأم إنما انا أم رجالكم فعلى هذا لا يجوز ان يقال لإخوانهن واخواتهن اخوال المؤمنين وخالات المؤمنين قال الشافعي تزوج الزبير اسماء بنت ابي بكر ولم يقل هي خالة المؤمنين (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين) وهو مفسر في آخر الأنفال وأولوا الأرحام

هم ذوو الأنساب . لما ذكر سبحانه ان ازواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين عقبه بهذا وبين انه لا توارث إلا بالولادة والرحم والمعنى ان ذوي القرابات بعضهم أولى بميراث بعض من المؤمنين أي من الأنصار والمهاجرين اي الذين هاجروا من مكة إلى المدينة وقيل معناه من المؤمنين والمتواخين والمهاجرين فصارت هذه الآية ناسخة للتوارث بالهجرة والمؤاخاة في الدين دالة على ان الميراث بالقرابة فمن كان اقرب في قرباه فهو أحق بالميراث من الأبعد (إلا أن تفعلوا إلى اوليائكم معروفا) هذا استثناء منقطع ومعناه لكن إن فعلتم إلى اوليائكم المؤمنين وخلفائكم ما يعرف حسنه وصوابه فهو حسن قال السدي عنى بذلك وصية الرجل لأخوانه في الدين وقال غيره لما نسخ التوارث بالمؤاخاة والهجرة أباح الوصية فيوصي لمن يتولاه بما أحب من الثلث فمعنى المعروف هنا الوصية وحكي عن محمد بن الحنفية وعكرمة وقتادة ان معناه الوصية لذوي القرابات من المشركين وقيل ان هذا لا يصح لأنه تعالى نهى عن ذلك بقوله لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقد أجاز كثير من الفقهاء الوصية للقرابة الكافرة وقال اصحابنا انها جائزة للوالدين والولد (كان ذلك) أي نسخ الميراث بالهجرة ورده إلى أولي الأرحام من القرابات (في الكتاب) اي في اللوح المحفوظ وقيل في القرآن وقيل في التوراة (مسطورا) اي مكتوبا ومن في قوله من المؤمنين والمهاجرين يحتمل امرين ﴿احدهما﴾ ما ذكرناه ﴿والآخر﴾ ان يكون التقدير وأولوا الأرحام من المؤمنين والمهاجرين أولى بالميراث (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) اي واذكر يا محمد حين أخذ الله الميثاق على النبيين خصوصاً بأن يصدق بعضهم بعضا ويتبع بعضهم بعضا عن قتادة وقيل اخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله وان يصدق بعضهم بعضا وان ينصحوا لقومهم عن مقاتل (ومنك) يا محمد وإنما قدمه لفضله وشرفه (ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم) خص هؤلاء بالذكر لأنهم اصحاب الشرائع (واخذنا منهم ميثاقاً غليظا) اي عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا من اعباء الرسالة وتبليغ الشرائع وقيل على ان يعلنوا أن محمدا رسول الله ﷺ ويعلن محمد ﷺ انه لا نبي بعده وإنما أعاد ذكر الميثاق على وجه التغليظ وذكره في اول الآية مطلقا وفي آخرها مقيدا بزيادة صفة ثم بين سبحانه الفائدة في اخذ الميثاق فقال (ليسئل الصادقين عن صدقهم) قيل معناه إنما فعل ذلك ليسأل الأنبياء المرسلين ما الذي جاءت به أممكم عن مجاهد وقيل ليسأل الصادقين في توحيد الله وعدله والشرائع عن صدقهم أي عما كانوا يقولونه فيه تعالى فيقال لهم هل ظلم الله تعالى أحدا هل جازى كل إنسان بفعله هل عذب بغير ذنب ونحو ذلك فيقولون نعم عدل في حكمه وجازى كلا بفعله وقيل معناه ليسأل الصادقين في اقوالهم عن صدقهم في افعالهم وقيل ليسأل الصادقين ماذا قصدتم بصدقكم وجه الله أو غيره ويكون فيه تهديد للكاذب قال الصادق «ع» إذا سأل عن صدقه على اي وجه قاله فيجازى بحسبه فكيف يكون حال الكاذب ثم قال سبحانه (واعد للكافرين عذابا أليما) اي مؤلما ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) ذكرهم سبحانه عظيم نعمته عليهم في دفع الأحزاب عنهم (إذ جاءتكم جنود) وهم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ ايام الخندق (فأرسلنا عليهم ريحا) وهي الصبا ارسلت عليهم حتى اكفأت قدورهم ونزعت فساطيطهم (وجنوداً لم تروها) من الملائكة وقيل ان الملائكة لم يقاتلوا يومئذ ولكن كانوا يشجعون المؤمنين ويجبنون الكافرين (وكان الله بما تعملون بصيراً) من قرأ بالتاء وجه الخطاب إلى المؤمنين ومن قرأ بالياء أراد ان الله عالم بما يعمله الكفار ثم قال (إذ جاؤكم) اي واذكروا حين جاءكم جنود المشركين (من فوقكم) أي من فوق الوادي قبل المشرق قريظة والنضير وغطفان (ومن اسفل منكم) اي من قبل المغرب من ناحية مكة ابو سفيان في قريش ومن تبعه (وإذ زاغت الأبصار) اي مالت عن كل شيء فلم تنظر إلا إلى عدوها مقبلا من كل جانب وقيل معناه عدلت الأبصار عن مقرها من الدهش والحيرة كما يكون الجبان فلا يعلم ما يبصر (وبلغت القلوب الحناجر) والحنجرة جوف الحلقوم اي شخصت القلوب

من مكانها فلولا انه ضاق الحلقوم عنها ان تخرج لخرجت عن قتادة وقال ابو سعيد الخدري قلنا يوم الخندق يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر فقال قولوا اللهم استر عوراتنا وأمن روعاتنا قال فقلناها فضرب وجوه اعداء الله بالريح فهزموا قال الفراء المعنى في قوله بلغت القلوب الحناجر انهم جبنوا وجزع اكثرهم وسبيل الجبان إذ اشتد خوفه أن ينتفخ سحره والسحر الرئة فإذا انتفخت الرئة رفعت القلوب إلى الحنجرة (وتظنون بالله الظنونا) اي اختلفت الظنون فظن بعضكم بالله النصر وبعضكم أيس وقنط وقيل تظنون ظنونا مختلفة فظن المنافقون انه يستأصل محمد وظن المؤمنون انه ينصر عن الحسن وقيل ان من كان ضعيف القلب والايمان ظن ما ظنه المنافقون إلا انه لم يرد ذلك وقيل اختلاف ظنونهم ان بعضهم ظن ان الكفار تغلبهم فظن بعضهم انهم يستولون على المدينة وظن بعضهم ان الجاهلية تعود كما كانت وظن بعضهم ان ما وعد الله ورسوله من نصرة الدين وأهله غرور فاقسام الظنون كثيرة خصوصاً ظن الجبناء

النظم

اتصل قوله النبي أولى بالمؤمنين بقوله وما جعل ادعياءكم ابناءكم فإنه سبحانه لما بين ان التبني عليه لا يجوز بين عقيبه انه مع ذلك اولى بالمؤمنين من انفسهم من حيث انه ولاه الله امرهم فيلزمهم طاعته والانقياد له وأصل الولاية لله تعالى كما قال هنالك الولاية لله فلاحظ فيها لأحد إلا لمن ولاه سبحانه وإلى هذا المعنى اشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الغدير في قوله ألست أولى بكم منكم بأنفسكم فلما قالوا بلى قال من كنت مولاه فعلي مولاه والمولى بمعنى الأولى بدلالة قوله مأواكم النار هي مولاكم أي أولى بكم وقول لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب انه ... مولى المخافة خلفها وأمامها

اي أولى بالمخافة ثم عاد سبحانه إلى الكلام في تأكيد نبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بذكر ما اخذ على النبيين من الميثاق في هذا الباب وعقب ذلك ببيان آياته ومعجزاته يوم الأحزاب وذكر ما انعم عليه وعلى المؤمنين من النصر مع ما اعده لهم من الثواب

قصة غزوة الخندق

ذكر محمد بن كعب القرظي وغيره من اصحاب السير قالوا كان من حديث الخندق أن نفرا من اليهود منهم سلام بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب في جماعة من بني النضير الذين اجلاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا إنا سنكون معكم عليهم حتى نستأصلهم فقالت لهم قريش يامعشر اليهود إنكم اهل الكتاب الأول فديننا خير أم دين محمد قالوا بل دينكم خير من دينه فأنتم أولى بالحق منه فهم الذين انزل الله فيهم ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا إلى قوله وكفى بجهنم سعيرا فسر قريشا ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه فاجمعوا لذلك واتعدوا له ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واخبروهم انهم سيكونون معهم عليه صلى الله عليه وآله وسلم وان قريشا قد بايعوهم على ذلك فأجابوهم فخرجت قريش وقائدهم ابوسفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر في فزارة والحرث بن عوف في بني مرة ومسعر بن جبلة الأشجعي فيمن تابعه من اشجع وكتبوا إلى حلفائهم من بني اسد فأقبل طليحة في من اتبعه من بني اسد وهما حليفان اسد وغطفان وكتب قريش إلى رجال من بني سليم فأقبل ابو الأعور السلمي فيمن اتبعه من بني سليم مددا لقريش فلما علم بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضرب الخندق على المدينة وكان الذي اشار عليه سلمان الفارسي (ره) وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يومئذ حر قال يارسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون حتى احكموه فمما ظهر من دلائل

النبوة في حفر الخندق ما رواه ابو عبد الله الحافظ باسناده عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني قال حدثني ابي عن ابيه قال خط رسول الله ﷺ الخندق عام الاحزاب اربعين ذراعا بين عشرة فاختلف المهاجرون والانصار في سلمان الفارسي وكان رجلا قويًا فقال الانصار سلمان منا وقال المهاجرون سلمان منا فقال رسول الله ﷺ سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف فكنت انا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن وستة من الانصار نقطع اربعين ذراعًا فحفرنا حتى إذا بلغنا الثرى اخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا ياسلمان ارق إلى رسول الله ﷺ فأخبره عن الصخرة فإما ان نعدل عنها فإن المعدل قريب وإما ان يأمرنا فيه بأمره فإنا لا نحب ان نجاوز خطه فرقي سلمان حتى اتى رسول الله ﷺ وهو مضروب عليه قبة فقال يارسول الله خرجت صخرة بيضاء من الخندق مدورة فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها بأمرك فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان في الخندق واخذ المعول وضرب به ضربة فلمعت منها برقة اضاءت ما بين لابتيها يعني لابتي المدينة حتى لكأن مصباحًا في جوف ليل مظلم فكبر رسول الله ﷺ تكبيرة فتح فكبر المسلمون ثم ضرب ضربة اخرى فلمعت برقة اخرى ثم ضرب به الثالثة فلمعت برقة اخرى فقال سلمان بأبي انت وأمي يارسول الله ما هذا الذي أرى فقال اما الاولى فإن الله عز وجل فتح علي بها اليمن وأما الثانية فإن الله فتح علي بها الشام والمغرب وأما الثالثة فإن الله فتح علي بها المشرق فاستبشر المسلمون بذلك وقالوا الحمد لله موعد صادق قال وطلعت الأحزاب فقال المؤمنون هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وقال المنافقون ألا تعجبون يحدثكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر في يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون ان تبرزوا ومما ظهر فيه ايضا من آيات النبوة ما رواه ابو عبد الله الحافظ بالاسناد عن عبد الواحد بن ايمن المخزومي قال حدثني ايمن المخزومي قال سمعت جابر بن عبد الله قال كنا يوم الخندق نحفر الخندق فعرضت فيه كذانة وهي الجبل فقلنا يا رسول الله إن كذانة عرضت فيه فقال رسول الله ﷺ رشوا عليها ماء ثم قام فأتاها وبطنه معصوب بحجر من الجوع فأخذ المعول أو المسحاة فسمى ثلاثا ثم ضرب فعادت كثيبًا اهيل فقلت له إئذن لي يا رسول الله الى المنزل ففعل فقلت للمرأة هل عندك من شيء فقالت عندي صاع من شعير وعناق فطحنت الشعير وعجنته وذبحت العناق وسلختها وخليت بين المرأة وبين ذلك ثم اتيت الى رسول الله ﷺ فجلست عنده ساعة ثم قلت إئذن لي يا رسول الله ففعل فأتيت المرأة فإذا العجين واللحم قد أمكنا فرجعت الى رسول الله ﷺ فقلت ان عندنا طعيمًا لنا فقم يارسول الله انت ورجلان من اصحابك فقال وكم هو قلت صاع من شعير وعناق فقال للمسلمين جميعًا قوموا إلى جابر فقاموا فلقيت من الحياء ما لا يعلمه الا الله فقلت جاء بالخلق على صاع شعير وعناق فدخلت على المرأة وقلت قد افتضحت جاءك رسول الله ﷺ بالخلق اجمعين فقالت هل كان سألك كم طعامك قلت نعم فقالت الله ورسوله اعلم قد اخبرناه ما عندنا فكشفت عني غمًا شديدا فدخل رسول الله ﷺ فقال خذي ودعيني من اللحم فجعل رسول الله ﷺ يثرد ويفرق اللحم ثم يجم هذا ويجم هذا فما زال يقرب الى الناس حتى شبعوا اجمعين ويعود التنور والقدر املأ ما كانا ثم قال رسول الله ﷺ كلي واهدي فلم نزل نأكل ونهدي قومنا اجمع اورده البخاري في الصحيح وعن البراء بن عازب قال كان رسول الله ﷺ ينقل معنا التراب يوم الاحزاب وقد وارى التراب بياض بطنه وهو يقول « اللهم لولا انت ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فانزلن سكينة علينا وثبت الأقدام أن لاقينا ان الاولى قد بغوا علينا اذا أرادوا فتنة أبينا» يرفع بها صوته رواه البخاري ايضا في الصحيح عن ابي الوليد عن شعبة عن ابي اسحاق عن البراء قالوا ولما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من احابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة واهل تهامة واقبلت غطفان

ومن تابعهم من اهل نجد حتى نزلوا الى جانب احد وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هناك عسكره والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام وخرج عدو الله حيي بن اخطب النضيري حتى اتى كعب بن اسد القرظي صاحب بني قريظة وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع كعب صوت ابن اخطب اغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى ان يفتح له فناداه يا كعب افتح لي فقال ويحك يا حيي انك رجل مشؤوم اني قد عاهدت محمداً ﷺ ولست بناقض ما بيني وبينه ولم أر منه إلا وفاء وصدقا قال ويحك افتح لي أكلمك قال ما انا بفاعل قال ان اغلقت دوني إلا على حشيشة تكره ان آكل منها معك فاحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها وسادتها وبغطفان على سادتها وقادتها قد عاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال كعب جئتني والله بذل الدهر بجهام قد هراق ماؤه يرعد ويبرق وليس فيه شيء فدعني ومحمدا وما انا عليه فلم أر من محمد إلا صدقا ووفاء فلم يزل حيي بكعب يفتل منه في الذروة والغارب حتى سمح له على ان اعطاه عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن ادخل معك في حصنك حتى يصيبني ما اصابك فنقض كعب عهده وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله ﷺ فلما انتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ بعث سعد بن معاذ بن النعمان بن امرء القيس احد بني عبد الاشهل وهو يومئذ سيد الاوس وسعد بن عبادة احد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير فقال انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فإن كان حقا فالحنوا لنا لحنا نعرفه ولا تفتوا اعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس وخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على اخبث مما بلغهم عنهم قالوا لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وقال سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فإن ما بيننا وبينهم اعظم من المشاتمة ثم اقبلوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا عضل والقارة لغدر عضل والقارة باصحاب رسول الله حبيب بن عدي واصحابه اصحاب الرجيع فقال رسول الله ﷺ الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن وظهر النفاق من بعض المنافقين فأقام رسول الله ﷺ واقام المشركون عليه بضعا وعشرين ليلة لم يكن بينهم قتال إلا الرمي بالنبل إلا ان فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود اخو بني عامر بن لوي وعكرمة بن ابي جهل وضرار بن الخطاب وهبيرة بن ابي وهب ونوفل بن عبد الله قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيولهم حتى مروا بمنازل بني كنانة فقالوا تهيأوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا تعنق بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق فقالوا والله ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق فضربوا خيولهم فاقتحموا فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج علي بن ابي طالب «ع» في نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي منها اقتحموا واقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو بن عبدود فارس قريش وكان قد قاتل يوم بدر حتى ارتث واثبته الجراح ولم يشهد احدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مشهده وكان يعد بألف فارس وكان يسمى فارس يليل لأنه اقبل في ركب من قريش حتى إذا كانوا بيليل وهو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر في عدد فقال لأصحابه امضوا فمضوا فقام في وجوه بني بكر حتى منعهم من ان يصلوا اليه فعرف بذلك وكان اسم الموضع الذي حفر فيه الخندق المذاد وكان اول من طفره عمرو واصحابه فقيل في ذلك

عمرو بن عبد كان أول فارس جزع المذاد وكان فارس يليل

وذكر ابن اسحاق ان عمرو بن عبدود كان ينادي من يبارز فقام علي «ع» وهو مقنع في الحديد فقال انا له

يا نبي الله فقال انه عمرو اجلس ونادى عمرو ألا رجل وهو يؤنبهم ويقول اين جنتكم التي تزعمون ان من قتل منكم دخلها فقام علي «ع» فقال انا له يا رسول الله ثم نادى الثالثة فقال

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن المشجع موقف البطل المناجز
إن السماحة والشجا عة في الفتى خير الغرائز

فقام علي فقال يا رسول الله انا فقال انه عمرو فقال وان كان عمرا فاستأذن رسول الله فأذن له رسول الله وفيما رواه لنا السيد ابو محمد الحسيني القايني عن الحاكم ابي القاسم الحسكاني بالاسناد عن عمرو بن ثابت عن ابيه عن جده عن حذيفة قال فألبسه رسول صلى الله عليه وآله وسلم درعه ذات الفضول واعطاه سيفه ذا الفقار وعممه عمامة السحاب على رأسه تسعة اكوار ثم قال له تقدم فقال لما ولى اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوق رأسه ومن تحت قدميه قال ابن اسحاق فمشى اليه وهو يقول

لا تعجلن فقد أتا ك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو ان أقيـ ـم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

قال له عمرو من انت قال انا علي قال ابن عبد مناف فقال انا علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فقال غيرك يا ابن أخي من اعمامك من هو اسن منك فإني اكره ان اهريق دمك فقال علي «ع» لكني والله ما اكره ان اهريق دمك فغضب ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ثم اقبل نحو علي مغضبا فاستقبله علي بدرقته فضربه عمرو بالدرقة فقدها واثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه وضربه علي على حبل العاتق فسقط وفي رواية حذيفة وتسيف علي رجليه بالسيف من اسفل فوقع على قفاه وثارت بينهما عجاجة فسمع علي يكبر فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتله والذي نفسي بيده فكان أول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب فإذا علي يمسح سيفه بدرع عمرو فكبر عمر بن الخطاب وقال يا رسول الله قتله فحز علي رأسه واقبل نحو رسول الله ووجهه يتهلل فقال عمر بن الخطاب هلا استلبته درعه فإنه ليس للعرب درع خير منها فقال ضربته فاتقاني بسوأته فاستحييت ابن عمي ان استلبه قال حذيفة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ابشر يا علي فلو وزن اليوم عملك بعمل امة محمد لرجح عملك بعملهم وذلك انه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن بقتل عمرو ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عز بقتل عمرو وعن الحاكم ابي القاسم ايضا بالاسناد عن سفيان الثوري عن زبيد الثاني عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال كان يقرأ وكفى الله المؤمنين القتال بعلي وخرج اصحابه منهزمين حتى طفرت خيولهم الخندق وتبادر المسلمون فوجدوا نوفل بن عبد العزى جوف الخندق فجعلوا يرمونه بالحجارة فقال لهم قتلة اجمل من هذه ينزل بعضكم اقاتله فقتله الزبير بن العوام وذكر ابن اسحاق ان عليا «ع» طعنه في ترقوته حتى اخرجها من مراقه فمات في الخندق وبعث المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشترون جيفته بعشرة آلاف فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو لكم لا نأكل ثمن الموتى وذكر علي «ع» ابياتا منها

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت رب محمد بصواب
فضربته وتركته متجدلا كالجذع بين دكادك وروابي

وعففت عن اثوابه ولو انني كنت المقطر بزني اثوابي

وروى عمرو بن عبيد عن الحسن البصري قال ان عليا «ع» لما قتل عمرو بن عبدود حمل رأسه فالقاه بين يدي رسول الله ﷺ فقام ابوبكر وعمر فقبلا رأس علي «ع» وروي عن ابي بكر بن عياش انه قال ضرب علي ضربة ما كان في الإسلام اعز منها يعني ضربة عمرو بن عبدود وضرب علي ضربة ما كان في الإسلام ضربة أشأم منها يعني ضربة ابن ملجم عليه لعائن الله . قال ابن اسحاق ورمى حيان بن قيس بن العرقة سعد بن معاذ بسهم وقال خذها وانا ابن العرقة فقطع اكحله فقال سعد عرف الله وجهك في النار اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش شيئا فأبقني لها فإنه لا قوم احب الي ان اجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه واخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة قال وجاء نعيم بن مسعود الاشجعي إلى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله إني قد اسلمت ولم يعلم بي احد من قومي فمرني بأمرك فقال له رسول الله ﷺ إنما انت فينا رجل واحد فخذل عنا ما استطعت فإنما الحرب خدعة فانطلق نعيم بن مسعود حتى اتى بني قريظة فقال لهم إني لكم صديق والله ما انتم وقريش وغطفان من محمد ﷺ بمنزلة واحدة إن البلد بلدكم وبه اموالكم وابناؤكم ونساؤكم وإنما قريش وغطفان بلادهم غيرها وإنما جاءوا حتى نزلوا معكم فإن رأوا فرصة انتهزوها وإن رأوا غير ذلك رجعوا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ولا طاقة لكم به فلا تقاتلوا حتى تأخذوا رهنا من اشرافهم تستوثقون به ان لا يبرحوا حتى يناجزوا محمدا فقالوا له قد اشرت برأي ثم ذهب فأتى ابا سفيان واشراف قريش فقال يامعشر قريش إنكم قد عرفتم ودي اياكم وفراقي محمدا ودينه وإني قد جئتكم بنصيحة فاكتموا علي فقالوا نفعل ما انت عندنا بمتهم فقال تعلمون ان بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد فبعثوا اليه انه لا يرضيك عنا إلا ان تأخذ من القوم رهنا من اشرافهم وندفعهم اليك فتضرب اعناقهم ثم نكون معك عليهم حتى نخرجهم من بلادك فقال بلى فإن بعثوا اليكم يسألونكم نفرا من رجالكم فلا تعطوهم رجلا واحدا واحذروا ثم جاء غطفان وقال يامعشر غطفان إني رجل منكم ثم قال لهم ما قال لقريش فلما اصبح ابو سفيان وذلك يوم السبت في شوال سنة خمس من الهجرة بعث اليهم ابو سفيان عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش ان ابا سفيان يقول لكم يامعشر اليهود ان الكراع والخف قد هلكا وانا لسنا بدار مقام فاخرجوا إلى محمد حتى نناجزه فبعثوا اليه ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم نستوثق بهم لا تذهبوا وتدعونا حتى نناجز محمدا فقال ابو سفيان والله قد حذرنا هذا نعيم فبعث اليهم ابو سفيان انا لا نعطيكم رجلا واحدا فإن شئتم أن تخرجوا وتقاتلوا وإن شئتم فاقعدوا فقالت اليهود هذا والله الذي قال لنا نعيم فبعثوا اليهم انا والله لا نقاتل حتى تعطونا رهنا وخذل الله بينهم وبعث سبحانه عليهم الريح في ليال شاتية باردة شديدة البرد حتى انصرفوا راجعين قال محمد بن كعب قال حذيفة بن اليمان والله لقد رأيتنا يوم الخندق وبنا من الجهد والجوع والخوف مالا يعلمه إلا الله وقام رسول الله ﷺ فصلى ما شاء الله من الليل ثم قال ألا رجل يأتينا بخبر القوم يجعله الله رفيقي في الجنة قال حذيفة فوالله ما قام منا احد مما بنا من الخوف والجهد والجوع فلما لم يقم احد دعاني فلم اجد بدا من اجابته قلت لبيك قال اذهب فجئني بخبر القوم ولا تحدث شيئا حتى ترجع قال وأتيت القوم فإذا ريح الله وجنوده يفعل بهم ما يفعل ما يستمسك لهم بناء ولا تثبت لهم نار ولا تطمئن لهم قدر فإني لكذلك إذ خرج ابو سفيان من رحله ثم قال يا معشر قريش لينظر احدكم من جليسه قال حذيفة فبدأت بالذي عن يميني فقلت من انت قال انا فلان ثم عاد ابو سفيان براحلته فقال يا معشر قريش والله ما انتم بدار مقام هلك الخف والحافر واخلفتنا بنو قريظة وهذه الريح لا يستمسك لنا معها شيء ثم عجل فركب راحلته وانها لمعقولة ما حل عقالها إلا بعد

ما ركبها قال قلت في نفسي اورميت عدو الله فقتلته كنت قد صنعت شيئا فوترت قوسي ثم وضعت السهم في كبد القوس وانا اريد ان ارميه فاقتله فذكرت قول رسول الله ﷺ لا تحدثن شيئا حتى ترجع قال فحططت القوس ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو يصلي فلما سمع حسي فرج بين رجليه فدخلت تحته وارسل علي طائفة من مرطه فركع وسجد ثم قال ما الخبر فاخبرته وروى الحافظ بالاسناد عن عبد الله بن ابي أوفى قال دعا رسول الله ﷺ على الاحزاب فقال اللهم انت منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم وعن ابي هريرة ان رسول الله (ﷺ) كان يقول لا إله إلا الله وحده وحده اعز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده وعن سليمان بن صرد قال قال رسول الله ﷺ حين اجلى عنه الأحزاب الآن نغزوهم ولا يغزوننا فكان كما قال ﷺ فلم تغزهم قريش بعد ذلك وكان هو يغزوهم حتى فتح الله عليهم مكة

قوله تعالى (١١) هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً (١٢) وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا ٱللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً (١٣) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا وَيَسْتَئْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً (١٤) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا ٱلْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلاَّ يَسِيراً (١٥) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا ٱللهَ مِنْ قَبْلُ لاَ يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللهِ مَسْئُولاً (١٦) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذاً لاَ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٧) قُلْ مَنْ ذَا ٱلَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ ٱللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلاَ يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ ٱللهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً (١٨) قَدْ يَعْلَمُ ٱللهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَٱلْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٩) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُولٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ ٱللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى ٱللهِ يَسِيراً (٢٠) يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً عشر آيات

القراءة

قرأ حفص لا مقام لكم بضم الميم والباقون بفتحها وقرأ اهل الحجاز لأتوها بغير مد والباقون لآتوها بالمد وقرأ يعقوب يسائلون بالتشديد والمد والباقون يسئلون بالتخفيف وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابن يعمر وقتادة ان بيوتنا عورة وما هي بعورة بكسر الواو في الموضعين وقراءة الحسن ثم سولوا الفتنة مرفوعة السين ولا يجعل فيها ياء ولا يمدها وقراءة ابن عباس لو انهم بدى في الاعراب

الحجة

قال ابو علي المقام يحتمل أمرين احدهما لا موضع إقامة لكم وهذا اشبه لأنه في معنى لا مقام بفتح

الميم اي ليس لكم موضع تقومون فيه ﴿ والآخر ﴾ لا اقامة لكم ومن قصر لأتوها فلأنك تقول أتيت الشيء إذا فعلته تقول أتيت الخير وتركت الشر ومعنى ثم سئلوا الفتنة لأتوها سئلوا فعل الفتنة لفعلوها ومن قرأ لآتوها فالمعنى لأعطوها اي لم يمتنعوا فيها والمعنى او قيل لهم كونوا على المسلمين ومع المشركين لفعلوا ذلك ومن قرأ يسّاءلون فإنه يتساءلون اي يسأل بعضهم بعضا فأدغم التاء في السين ومن قرأ عورة بكسر الواو فإنه شاذ من طريق الاستعمال وذلك لتحرك الواو بعد الفتحة والقياس ان تقول عارة كما قالوا رجل مال وامرأة مالة وكبش صاف ونعجة صافة ومثل عورة في صحة الواو قولهم رجل عور لا مال له وقول الاعشى

وقد غدوت إلى الحانوت يتبعني ... شاو مشل شلول شلشل شول

وقوله سولوا من قولهم سال يسال كخاف يخاف فالعين على هذه اللغة واو وحكى ابو زيد قولهم هما يتساولان كما يقال يتقاومان والأقيس على هذا ان يقال سألوا كعبدوا وقيل واللغة الاخرى إشمام الضمة نحو سئلوا واللغة الثالثة سولوا على اخلاص ضمة فعل إلا انه اردأ اللغات قال الشاعر « وقول لا اهل له ولا مال » اي وقيل وقال آخر « نوط الى صلب شديد الحل » اي نيط وقوله بدى جمع باد فهو مثل غاز وغزى

﴿ اللغة ﴾

يقال هنا للقريب من المكان وهنالك للبعيد وهناك للمتوسط بين القريب والبعيد وسبيله سبيل ذا وذلك وذاك والزلزال الاضطراب العظيم والزلزلة اضطراب الارض وقيل انه مضاعف زل وزلزله غيره والشدة قوة تدرك بالحاسة لأن القوة التي هي القدرة لا تدرك بالحاسة وإنما تعلم بالدلالة فلذلك يوصف تعالى بأنه قوي ولا يوصف بأنه شديد والغرور ايهام المحبوب بالمكروه والغرور الشيطان قال الحرث بن حلزة

لم يغروكم غرورا ولكن ... يرفع الآل جمعهم والضحاء

ويثرب اسم ارض المدينة قال ابو عبيدة ان مدينة الرسول في ناحية من يثرب وقيل يثرب هي المدينة نفسها وذكر المرتضى علم الهدى قدس الله روحه ان من اسماء المدينة يثرب وطيبة وطابة والدار والمسكينة وجابرة والمجبورة والمحبة والمحبوبة والعذراء والمرحومة والقاصمة وينذد فذلك ثلاثة عشر اسما والعورة كل شيء يتخوف منه في ثغر او حرب ومكان معور ودار معورة إذا لم تكن حريزة • القطر الناحية والجانب وجمعه الاقطار يقال طعنه فقطره إذا القاه على احد قطريه اي احد شقيه والتعويق التثبيط والعوق الصرف ورجل عوق وعوقة يعوق الناس عن الخير • والبأس الحرب واصله الشدة • والاشحة جمع شحيح والشح البخل مع حرص يقال شح يشح بضم الشين وفتحها • والسلق اصله الضرب وسلق اي صاح ومنه خطيب مسلق ومصلق فصيح وسلقته بالكلام اسمعته المكروه وفي الحديث ليس منا من سلق او حلق اورفع صوته عند المصيبة وقيل هو ان تصك وجهها ومعنى حلق اي يحلق رأسه وشعره عند المصيبة • والحديد ضد الكليل والجمع حداد • والاحزاب الجماعات واحدها حزب وتحزبوا اي تجمعوا من مواضع والبادي الذي ينزل البادية ومنه الحديث من بدا جفا اي من نزل البادية كان فيه جفوة الاعراب والبداوة الخروج إلى البادية بفتح الباء وكسرها قال القطامي

ومن تكن الحضارة اعجبته ... فأي اناس بادية ترانا

﴿ الإعراب ﴾

الضمير في دخلت عائد إلى البيوت الا يسيرا تقديره الا تلبثا يسيرا وزمانا يسيرا فهو صفة ظرف زمان محذوف واذا لا تمتعون لم يعمل إذا لوقوعه بين الواو والفعل وقد اعملت بعد ان في قول الشاعر

لا تتركني فيهم شطيرا ... اني إذا اهلك أو أطيرا

ولا يأتون جملة معطوفة على صلة الموصول أي الذين يعوقون ولا يأتون وقوله إلا قليلا تقديره الا زمانا قليلا وان شئت الا اتيانا قليلا اشحة منصوب على الحال في الموضعين وقيل هو نصب على الذم كالذي يغشى عليه من الموت اي تدور اعينهم دورانا مثل دوران اعين الذي يغشى عليه من الموت فالكاف صفة مصدر محذوف وقد حذف بعد الكاف المضاف والمضاف اليه • هلم معناه اقبل وتعال واهل الحجاز يقولون للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث هلم بلفظ الواحد وانما هي لم ضمت اليها هاء التي للتنبيه ثم حذفت الالف منها اذ صار شيئا واحدا كقولهم ويلمه واصله ويل لأمه فلما جعلوهما شيئا واحدا حذفوا وغيروا وأما بنو تميم فيصرفونه تصريف الفعل يقولون هلم يا رجل وهلما وهلموا وهلمي يا امرأة وهلما هلممن يا نساء الا انهم يفتحون آخر الواحد البتة

❋ المعنى ❋

لما وصف سبحانه شدة الامر يوم الخندق قال (هنالك ابتلي المؤمنون) اي اختبروا وامتحنوا ليظهر الك حسن ايمانهم وصبرهم على ما امرهم الله به من جهاد اعدائه فظهر من كان ثابتا قويا في الايمان ومن كان ضعيفا فيه (وزلزلوا زلزالا شديدا) اي حركوا بالخوف تحريكا شديدا وازعجوا ازعاجا عظيما وذلك ان الخائف يكون قلقا مضطربا لا يستقر على مكانه قال الجبائي منهم من اضطرب خوفا على نفسه من القتل ومنهم من اضطرب عليه دينه (واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) اي شك عن الحسن وقيل ضعف في الايمان (ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) قال ابن عباس ان المنافقين قالوا يعدنا محمد ان يفتح مدائن كسرى وقيصر ونحن لا نأمن ان نذهب الى الخلاء هذا والله الغرور (وإذ قالت طائفة منهم) يعني عبد الله بن ابي واصحابه عن السدي وقيل هم بنو سالم من المنافقين عن مقاتل وقيل ان القائل لذلك اوس بن قبطي ومن وافقه على رأيه عن يزيد بن رومان (يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا) اي لا اقامة لكم هاهنا او لا مكان لكم تقومون فيه للقتال اذا فتح الميم فارجعوا الى منازلكم بالمدينة وأرادوا الهرب من عسكر رسول الله ﷺ (ويستأذن فريق منهم النبي) في الرجوع الى المدينة وهم بنو حارثة وبنو سلمة (يقولون ان بيوتنا عورة) ليست بحريزة مكشوفة ليست بحصينة عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه بيوتنا خالية من الرجال نخشى عليها السراق عن الحسن وقيل قالوا بيوتنا مما يلي العدو ولا نأمن على اهلينا عن قتادة فكذبهم الله تعالى فقال (وما هي بعورة) بل هي رفيعة السمك حصينة عن الصادق (ع) (ان يريدون) اي ما يريدون (الا فرارا) وهربا من القتال ونصرة المؤمنين (ولو دخلت) اي ولو دخلت البيوت او دخلت المدينة (عليهم) اي ولو دخل هؤلاء الذين يريدون القتال وهم الاحزاب على الذين يقولون ان بيوتنا عورة وهم المنافقون (من اقطارها) أي من نواحي المدينة او البيوت (ثم سئلوا الفتنة لآتوها) اي ثم دعوا هؤلاء إلى الشرك لأشركوا فالمراد بالفتنة الشرك عن ابن عباس (وما تلبثوا بها إلا يسيرا) اي وما احتبسوا عن الاجابة إلى الكفر إلا قليلا عن قتادة وقيل معناه وما اقاموا بالمدينة بعد اعطائهم الكفر إلا قليلا حتى يعاجلهم الله بالعذاب عن الحسن والفراء ثم ذكرهم الله سبحانه عهدهم مع النبي ﷺ بالثبات في المواطن فقال (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أي من قبل الخندق (لا يولون الأدبار) اي بايعوا النبي ﷺ وحلفوا له انهم ينصرونه ويدفعون عنه كما يدفعون عن نفوسهم ولا يرجعون عن مقاتلة العدو ولا ينهزمون قال مقاتل يريد ليلة العقبة (وكان عهد الله مسئولا) يسألون عنهم في الآخرة وإنما جاء بلفظ الماضي تأكيدا ثم قال سبحانه (قل) يا محمد للذين استأذنوك في الرجوع واعتلوا بأن بيوتهم يخاف عليها (لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت او القتل) إن كان حضرت آجالكم فإنه لا بد من واحد منهما وان هربتم فالهرب لا يزيد في آجالكم (وإذا لا تمتعون إلا قليلا) معناه وان لم تحضر آجالكم وسلمتم من الموت أو القتل في هذه الوقعة لم تمتعوا في الدنيا إلا اياما قلائل وإنما فرق بين الموت والقتل لأن القتل غير الموت فإن الموت ضد

الحياة عند من اثبته معنى وانتفاء الحياة عند من لم يثبته معنى والقتل هو نقض البنية الحيوانية فالقتل يقدر عليه غير الله تعالى والموت لا يقدر عليه غيره (قل) يا محمد (من ذا الذي يعصمكم من الله) اي يدفع عنكم قضاء الله ويمنعكم من الله (إن اراد بكم سوء) اي عذابا وعقوبة (أو أراد بكم رحمة) اي نصرا وعزا فإن احدا لا يقدر على ذالك (ولا يجدون لهم من دون الله وليا) يلي امورهم (ولا نصيرا) ينصرهم ويدفع عنهم ثم قال سبحانه (قد يعلم الله المعوقين منكم) وهم الذين يعوقون غيرهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ ويثبطونهم ويشغلونهم لينصرفوا عنه وذالك بأنهم قالوا لهم ما محمد واصحابه إلا أكلة رأس ولو كانوا لحما لا التهمهم ابو سفيان وهؤلاء الأحزاب (والقائلين لاخوانهم) يعني اليهود قالوا لاخوانهم المنافقين (هلم الينا) اي تعالوا وأقبلوا الينا ودعوا محمدا وقيل القائلون هم المنافقون قالوا لاخوانهم من ضعفة المسلمين لا تحاربوا وخلوا محمدا فإنا نخاف عليكم الهلاك (ولا يأتون البأس) اي ولا يحضرون القتال في سبيل الله (إلا قليلا) يخرجون رياء وسمعة قدر ما يوهمون انهم معكم يعلم الله سبحانه احوالهم لا يخفى عليه شيء منها عن السدي وقيل معناه ولا يحضرون القتال إلا كارهين تكون قلوبهم مع المشركين عن قتادة (أشحة عليكم) اي لا يأتون الناس اشحة عليكم أي بخلاء بالقتال معكم وقيل بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة عن قتادة ومجاهد ومعناه لا ينصرونكم ثم اخبر عن جبنهم فقال (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون اليك تدور أعينهم كالذي يغشى)اي كعين الذي يغشى (عليه من الموت) وهو الذي قرب من حال الموت وغشيته اسبابه فيذهل ويذهب عقله ويشخص بصره فلا يطرف كذالك هؤلاء تشخص ابصارهم وتحار اعينهم من شدة خوفهم فإذا ذهب الخوف والفزع وجاء الأمن والغنيمة (سلقوكم بألسنة حداد) اي آذوكم بالكلام وخاصموكم بألسنة سليطة ذربة عن الفراء وقيل معناه بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا اعطونا فلستم بأحق بها منا عن قتادة قال فأما عند البأس فأجبن قوم واخذلهم للحق واما عند الغنيمة فأشح قوم وهو قوله (أشحة على الخير) اي بخلاء بالغنيمة يشاحون المؤمنين عند القسمة وقيل معناه بخلاء بأن يتكلموا بكلام فيه خير عن الجبائي (أولئك) يعني من تقدم وصفهم (لم يؤمنوا) كما آمن غيرهم وإلا لما فعلوا ذالك (فأحبط الله اعمالهم) لأنها لم تقع على الوجوه التي يستحق عليها الثواب إذ لم يقصدوا بها وجه الله تعالى وفي هذا دلالة على صحة مذهبنا في الاحباط لأن المنافقين ليس لهم ثواب فيحبط فليس إلا ان جهادهم الذي لم يقارنه إيمان لم يستحقوا عليه ثوابا (وكان ذالك) الاحباط اوكان نفاقهم (على الله يسيرا) اي هينا ثم وصف سبحانه هؤلاء المنافقين فقال (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا) اي يظنون ان الجماعات من قريش وغطفان وأسد واليهود الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ لم ينصرفوا وقد انصرفوا و إنما ظنوا ذالك لجبنهم وفرط حبهم قهر المسلمين (و إن يأت الأحزاب) اي و إن يرجع الأحزاب اليهم ثانية للقتال (يودوا لو انهم بادون في الاعراب يسئلون عن انبائكم) اي يود هؤلاء المنافقون ان يكونوا في البادية مع الأعراب يسألون عن اخباركم ولا يكونوا معكم حذرا من القتل وتربصا للدوائر (ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا) اي ولو كان هؤلاء المنافقون معكم وفيكم لم يقاتلوا معكم إلا قدرا يسيرا ليوهموا انهم في جملتكم لا لينصروكم ويجاهدوا معكم وقيل معناه قتالا قليلا رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان لله تعالى لم يكن قليلا عن الجبائي ومقاتل

قوله تعالى (٢١) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا (٢٢) وَلَمَّا رَأَى ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٣) مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ

مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً (٢٤) لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً (٢٥) وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً وَكَفَى اللهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللهُ قَوِيًّا عَزِيزاً خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم أسوة بضم الألف حيث كان في جميع القرآن والباقون بكسر الألف وهما لغتان ومعناهما قدوة

﴿ اللغة ﴾

النحب النذر قال بشر بن ابي حازم

واني والهجاء لآل لام ... كذات النحب توفي بالنذور

والنحب الموت قال ذو الرمة

عشية فر الحارثيون بعد ما ... قضى نحبه في ملتقى الخيل هوبر

وهوبر اسم رجل والنحب الخطر قال جرير

بطخفة جالدنا الملوك وخيلنا ... عشية بسطام جرين على نحب

اي على خطر والنحب المد في السير يوما وليلة

=[المعنى]=

ثم حث سبحانه على الجهاد والصبر عليه فقال (لقد كان لكم) معاشر المكلفين (في رسول الله أسوة حسنة) اي قدوة صالحة يقال لي في فلان أسوة أي لي به اقتداء والأسوة من الاتساء كما ان القدوة من الاقتداء اسم وضع موضع المصدر والمعنى كان لكم برسول الله اقتداء او اقتديتم به في نصرته والصبر معه في مواطن القتال كما فعل هو يوم أحد إذ انكسرت رباعيته وشج حاجبه وقتل عمه فواساكم مع ذلك بنفسه فهلا فعلتم مثل ما فعله هو وقوله لمن كان يرجو الله بدل من قوله لكم وهو تخصيص بعد العموم للمؤمنين يعني ان الأسوة برسول الله إنما تكون (لمن كان يرجو الله) أي يرجو ما عند الله من الثواب والنعيم عن ابن عباس وقيل معناه يخشى الله ويخشى البعث الذي فيه جزاء الأعمال وهو قوله (واليوم الآخر) عن مقاتل (وذكر الله كثيرا) اي ذكرا كثيرا وذلك ان ذاكر الله متبع لأوامره بخلاف الغافل عن ذكره ثم عاد سبحانه إلى ذكر الأحزاب فقال (ولما رأى المؤمنون الأحزاب) اي ولما عاين المصدقون بالله ورسوله الجماعة التي تحزبت على قتال النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع كثرتهم (قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله) اختلف في معناه على قولين ﴿ احدهما ﴾ ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد اخبرهم انه يتظاهر عليهم الأحزاب ويقاتلونهم ووعدهم الظفر بهم فلما رأوهم تبين لهم مصداق قوله وكان ذلك معجزا له (وما زادهم) مشاهدة عدوهم (إلا إيمانا) اي تصديقا بالله ورسوله (وتسليما) لأمره عن الجبائي ﴿ والآخر ﴾ ان الله تعالى وعدهم في سورة البقرة بقوله أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا إلى قوله ان نصر الله قريب ما سيكون من الشدة التي تلحقهم من عدوهم فلما رأوا الأحزاب يوم الخندق قالوا هذه المقالة علما منهم انه لايصيبهم إلا ما أصاب الأنبياء والمؤمنين قبلهم وزادهم كثرة المشركين تصديقا ويقينا وثباتا في الحرب عن قتادة وغيره (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أي بايعوا أن لا يفروا فصدقوا في لقائهم العدو (فمنهم من قضى نحبه) اي مات أو قتل في سبيل الله فأدرك ما تمنى فذلك قضاء النحب وقيل قضى نحبه معناه فرغ من عمله ورجع إلى ربه يعني من استشهد يوم أحد عن محمد بن اسحاق وقيل معناه

قضى أجله على الوفاء والصدق عن الحسن وقال ابن قتيبة أصل النحب النذر وكان قوما نذروا إن يلقوا العدو أن يقاتلوا حتى يقتلوا أو يفتح الله فقتلوا فقيل فلان قضى نحبه إذا قتل وروي عن أنس بن مالك ان عمه غاب عن قتال بدر فقال غبت عن اول قتال قاتله رسول الله مع المشركين لئن أراني الله قتالا للمشركين ليرين الله ما أصنع فلما كان يوم احد انكشف المسلمون فقال اللهم اني اعتذر اليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فلقيه سعد دون أحد فقال انا معك قال سعد فلم استطع ان اصنع ما صنع فوجد فيه بضع وثمانون ما بين ضربة بسيف وطعنة برمح ورمية بسهم كنا نقول فيه وفي اصحابه نزلت فمنهم من قضى نحبه (ومنهم من ينتظر) رواه البخاري في الصحيح عن محمد بن سعيد الخزاعي عن عبد الأعلى عن حميد بن أنس وقال ابن اسحاق فمنهم من قضى نحبه من استشهد يوم بدر وأحد ومنهم من ينتظر ما وعد الله من نصرة أو شهادة على ما مضى عليه اصحابه (وما بدلوا تبديلا) أي ما غيروا العهد الذي عاهدوا ربهم كما غير المنافقون قال ابن عباس من قضى نحبه حمزة بن عبد المطلب ومن قتل معه وأنس بن النضر واصحابه وقال الكلبي ما بدلوا العهد بالصبر ولا نكثوه بالفرار وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني بالاسناد عن عمرو بن ثابت عن ابي اسحاق عن علي «ع» قال فينا نزلت رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فأنا والله المنتظر وما بدلت تبديلا (ليجزي الله الصادقين بصدقهم) أي صدق المؤمنون في عهودهم ليجزيهم الله بصدقهم (ويعذب المنافقين) بنقض العهد (إن شاء أو يتوب عليهم) إن تابوا ويكون معناه انه سبحانه إن شاء قبل توبتهم واسقط عقابهم و إن شاء لم يقبل توبتهم وعذبهم فإن اسقاط العذاب على المذهب الصحيح بالتوبة تفضل من الله تعالى لا يجب عقلا وإنما علمنا ذلك بالسمع والاجماع على ان الله سبحانه يفعل ذلك فالآية قاضية بما يقتضيه العقل من الحكم ويؤكد ذلك قوله (إن الله كان غفورا رحيما) لأن المدح إنما يحصل إذا رحم سبحانه من يستحق العقاب ويغفر ما جاز له المؤاخذة به ولا مدح في مغفرة ورحمة من يجب عليه غفرانه ورحمته وقيل معناه ويعذب المنافقين بعذاب عاجل في الدنيا إن شاء أو يتوبوا عن الجبائي ثم عاد سبحانه إلى تعداد نعمه فقال (ورد الله الذين كفروا) يعني الأحزاب أبا سفيان وجنوده وغطفان ومن معهم من قبائل العرب (بغيظهم) أي بغمهم الذي جاؤا به وحنقهم لم يشفوا بنيل ما أرادوا و (لم ينالوا خيرا) أملوه وأرادوه من الظفر بالنبي والمؤمنين و إنما سماه خيرا لأن ذلك كان خيرا عندهم وقيل أراد بالخير المال كما في قوله وانه لحب الخير لشديد (وكفى الله المؤمنين القتال) أي مباشرة القتال بما أنزل الله على المشركين من الريح الشديدة الباردة التي أزعجتهم عن أماكنهم وبما ارسل من الملائكة وبما قذف في قلوبهم من الرعب وقيل بعلي بن ابي طالب «ع» وقتله عمرو بن عبدود وكان ذلك سبب هزيمة القوم عن عبد الله بن مسعود وهو المروي عن ابي عبد الله «ع» (وكان الله قويا) اي قادرا على ما يشاء (عزيزا) لا يمتنع عليه شيء من الاشياء وقيل قويا في ملكه وسلطانه عزيزا في قهره وانتقامه

قوله تعالى (٢٦) وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٧) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا آيتان

اللغة

المظاهرة المعاونة وهي زيادة القوة بأن يكون المعاون ظهيرا لصاحبه في الدفع عنه والظهير المعين والصياصي الحصون التي يمتنع بها واحدتها صيصية يقال جذ الله صيصية فلان أي حصنه الذي يمتنع به وكل ما امتنع به فهو صيصية ومنه يقال لقرون البقر والظباء صياصي ويقال ايضا لشوكة الديك وشوكة الحايك صيصية قال «كوقع

الصياصي في النسيج المدد»

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما فعل باليهود من بني قريظة فقال (وأنزل الذين ظاهروهم) اي عاونوا المشركين من الأحزاب ونقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن لا ينصروا عليه عدوا من أهل الكتاب يعني من اليهود واتفق المفسرون على انهم بنو قريظة إلا الحسن فإنـه قال هم بنو النضير والأول أصح وأليق بسياق الآيات لأن بني النضير لم يكن لهم في قتال أهل الأحزاب شيء وكانوا قد انجلوا قبل ذلك (من صياصيهم) أي من حصونهم (وقذف في قلوبهم الرعب) أي القى في قلوبهم الخوف من النبي صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه المؤمنين (فريقا تقتلون) منهم يعني الرجـال (وتأسرون فريقا) يعني الـذراري والنساء (وأورثكم ارضهم) اي واعطاكم ارضهم (وديارهم واموالهم وارضا لم تطؤوها) اي وأورثكم ارضا لم تطؤوها بأقـدامكم بعد وسيفتحها الله عليكم وهي خيبر فتحها الله عليهم بعد بني قريظة عن ابن زيد ويزيد بن رومان ومقاتل وقيل هي مكة عن قتادة وقيل هي الروم وفارس عن الحسن وقيل هي كل ارض تفتح إلى يوم القيامة عن عكرمـة وقيل هي ما افاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب عن ابي مسلم (وكان الله على كل شيء قديرا) ظاهر المعنى

القصة

روى الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن ابيه قال لما انصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع المسلمين عن الخندق ووضع عنه اللامة واغتسل واستحم تبدى له جبرائيل (ع) فقال عذيرك من محارب ألا اراك قد وضعت عنك اللامة وما وضعناها بعد فوثب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزعا فعزم على الناس أن لا يصلوا صلاة العصر حتى يأتوا قريظة فلبس الناس السلاح فلم يأتوا بنو قريظة حتى غربت الشمس واختصم الناس فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عزم علينا ان لا نصلي حتى نأتي قريظة فإنما نحن في عزمة رسول الله فليس علينا اثم وصلى طائفة من الناس احتسابا وتركت طائفة منهم الصلاة حتى غربت الشمس فصلوها حين جاءوا بني قريظة احتسابا فلم يعنف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واحدا من الفريقين وذكر عروة انه بعث علي بن ابي طالب (ع) على المقدم ودفع اليه اللواء وأمره أن ينطلق حتى يقف بهم على حصن بني قريظة ففعل وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على آثارهم فمر على مجلس من الانصار في بني غنم ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزعموا انه قال مر بكم الفارس آنفا فقالوا مر بنا دحية الكلبي على بغلة شهباء تحته قطيفة ديباج فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس ذلك بدحية ولكنه جبرائيل (ع) ارسل إلى بني قريظة ليزلزلهم ويقذف في قلوبهم الرعب قالوا وسار علي (ع) حتى إذا دنا من الحصن سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالطريق فقال يارسول الله لا عليك ان لا تدنو من هؤلاء الأخابث قال اظنك سمعت لي منهم اذى فقال نعم يارسول الله فقال لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حصونهم قال يا اخوة القردة والخنازير هـل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته فقالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى اجهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حيي بن اخطب دخل مع بني قريظة في حصنهم حين رجعت قريش وغطفان فلما ايقنوا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن اسد يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شئتم قالوا ما هن قال نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا عـلى

دمائكم واموالكم ونسائكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة ابدا ولا نستبدل به غيره قال فإذا أبيتم علي هذا فهلموا فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلا يهمنا وان نظهر لنجدن النساء والابناء فقالوا نقتل هؤلاء المساكين فما خير في العيش بعدهم قال فإذا ابيتم علي هذه فإن الليلة ليلة السبت وعسى أن يكون محمد واصحابه قد امنوا فيها فانزلوا فعلّنا نصيب منهم غرة فقالوا نفسد سبتنا ونحدث فيها ما احدث من كان قبلنا فأصابهم ماقد علمت من المسخ فقال مابات رجل منكم منذ ولدته امه ليلة واحدة من الدهر حازماً قال الزهري وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين سألوه ان يحكم فيهم رجلا اختاروا من شئتم من اصحابي فاختاروا سعد بن معاذ فرضي بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلوا على حكم سعد بن معاذ فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسلاحهم فجعل في قبته وامر بهم فكتفوا واوثقوا وجعلوا في دار اسامة وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى سعد بن معاذ فجيء به فحكم فيهم بأن يقتل مقاتليهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم وتغنم اموالهم وان عقارهم للمهاجرين دون الانصار وقال للانصار انكم ذوو عقار وليس للمهاجرين عقار فكبر رسول الله وقال لسعد لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل وفي بعض الروايات لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة وارقعة جمع رقيع اسم سماء الدنيا فقتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مقاتليهم وكانوا فيما زعموا ستمائة مقاتل وقيل قتل منهم اربعمائة وخمسين رجلا وسبى سبعمائة وخمسين وروي انهم قالوا لكعب بن اسد وهم يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارسالا يا كعب ما ترى يصنع بنا فقال كعب أوفي كل موطن تقولون الا ترون ان الداعي لا ينزع ومن يذهب منكم لا يرجع هو والله القتل وأتي بحيي بن اخطب عدو الله عليه حلة فاختية قد شقها عليه من كل ناحية كموضع الانملة لئلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل فلما بصر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال اما والله ما لمت نفسي على عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم قال ايها الناس انه لا بأس بأمر الله كتاب الله وقدره ملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضرب عنقه ثم قسم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نساءهم وابناءهم واموالهم على المسلمين وبعث بسبايا منهم إلى نجد مع سعد بن زيد الانصاري فابتاع بهم خيلا وسلاحا قالوا فلما انقضى شأن بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ فرجعه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد وروي عن جابر بن عبدالله قال جاء جبرائيل (ع) إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال من هذا العبد الصالح الذي مات فتحت له ابواب السماء وتحرك له العرش فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فإذا سعد بن معاذ قد قبض

قوله تعالى (٢٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا (٢٩) وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا (٣٠) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣١) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا اربع آيات

«« القراءة »»

قرأ ابن كثير وابن عامر نضعف بالنون والتشديد العذاب بالنصب وقرأ ابو جعفر وأهل البصرة يضعف

بالياء والتشديد العذاب بالرفع والباقون يضاعف بالياء والألف وفتح العين وقرأ اهل الكوفة غير عاصم ومن يقنت ويعمل صالحا يؤتها الجميع بالياء وقرأ روح وزيد من تأت ومن تقنت وتعمل كلها بالتاء نؤتها بالنون والباقون من يات ومن يقنت بالياء وتعمل بالتاء ونؤتها بالنون

الحجة

قال ابو علي ضاعف وضعف بمعنى فمن لم يسم الفاعل اسند الفعل الى العذاب ومن قرأ بكسر العين فالفعل مسند الى ضمير اسم الله تعالى ومعنى يضاعف لها العذاب ضعفين انها لما تشاهد من الزواجر الرادعة عن مواقعة الذنوب ينبغي أن يمتنع منها اكثر مما يمتنع من لا يشاهد ذلك وقال يضاعف لها العذاب فعاد الضمير الى معنى من دون لفظه ولو عاد على لفظه لذكره ومن قرأ يقنت بالياء فلأن الفعل مسند الى ضمير من ولم يتبين فاعل الفعل بعد فلما ذكر ما دل على ان الفعل لمؤنث حمل على المعنى فأنث و كذلك قوله من آمن بالله ثم قال فلا خوف عليهم ومن قرأ كل ذلك بالياء فإنه حمل على اللفظ دون المعنى ومن قرأ من تأت بالتاء حمل على المعنى فكأنه قال أية امرأة منكن أتت بفاحشة أو تأت بفاحشة ومثله في الكلام كثير للبيان كقوله سبحانه ومنهم من يستمعون اليك وقول الفرزدق

تعش فإن عاهدتني لا تخونني ... نكن مثل من يا ذئب يصطحبان

أي مثل اللذين يصطحبان قال ابن جني ان تكون من هنا على الصلة أولى من ان تكون على الصفة

اللغة

الضعف مثل الشيء الذي يضم اليه يقال ضاعفته أي زدت عليه مثله ومنه الضعف وهو نقصان القوة بأن يذهب احد ضعفيها فهو ذهاب ضعف القوة

النزول

قال المفسرون ان ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم سألنه شيئا من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه لغيرة بعضهن على بعض فآلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهن شهرا فنزلت آية التخيير وهو قوله قل لأزواجك وكن يومئذ تسعا عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت ابي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت ابي أمية فهؤلاء من قريش وصفية بنت حيي الخيبرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث المصطلقية وروى الواحدي بالاسناد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالسا مع حفصة فتشاجرا بينهما فقال لها هل لك ان اجعل بيني وبينك رجلا قالت نعم فأرسل الى عمر فلما ان دخل عليهما قال لها تكلمي فقالت يا رسول الله تكلم ولا تقل إلا حقا فرفع عمر يده فوجأ وجهها ثم رفع يده فوجأ وجهها فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم كف فقال عمر ياعدوة الله النبي لا يقول إلا حقا والذي بعثه بالحق لولا مجلسه ما رفعت يدي حتى تموتي فقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصعد الى غرفة فمكث فيها شهرا لا يقرب شيئا من نسائه يتغدى ويتعشى فيها فأنزل الله تعالى هذه الآيات

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى ذكر نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم آمرا له أن يخير ازواجه فقال (يا ايها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها) أي سعة العيش في الدنيا و كثرة المال

(فتعالين أمتعكن) اي اعطكن متعة الطلاق وقد مر بيانها في سورة البقرة وقيل امتعكن بتوفير المهر (واسرحكن) اي اطلقكن (سراحا جميلا) والسراح الجميل الطلاق من غير خصومة ولا مشاجرة بين الزوجين (وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة) اي وان اردتن طاعة الله وطاعة رسوله والصبر على ضيق العيش والجنة (فإن الله أعد للمحسنات) اي العارفات المريدات الإحسان المطيعات له (منكن أجرا عظيما) واختلف في هذا التخيير فقيل انه خيرهن بين الدنيا والآخرة فإن هن اخترن الدنيا ومحبتها استأنف حينئذ طلاقهن بقوله أمتعكن واسرحكن سراحا جميلا عن الحسن وقيل خيرهن بين الطلاق والمقام معه عن مجاهد والشعبي وجماعة من المفسرين واختلف العلماء في حكم التخيير على اقوال * احدها * ان الرجل إذا خير امرأته فاختارت زوجها فلا شيء وإن اختارت نفسها تقع تطليقة واحدة وهو قول عمر بن الخطاب وابن مسعود واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه * وثانيها * انه إذا اختارت نفسها تقع ثلاث تطليقات وإن اختارت زوجها تقع واحدة وهو قول زيد بن ثابت واليه ذهب مالك * وثالثها * انه ان نوى الطلاق كان طلاقا وإلا فلا وهو مذهب الشافعي * ورابعها * انه لا يقع بالتخيير طلاق وإنما كان ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة ولو اخترن انفسهن لما خيرهن ابن منه فأما غيره فلا يجوز له ذلك وهو المروي عن ائمتنا «ع» ثم خاطب سبحانه نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) اي بمعصية ظاهرة (يضاعف لها العذاب) في الآخرة (ضعفين) اي مثلي ما يكون على غيرهن وذلك لأن نعم الله سبحانه عليهن اكثر لمكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهن ولنزول الوحي في بيوتهن فإذا كانت النعمة عليهن اعظم واوفر كانت المعصية منهن افحش والعقوبة بها اعظم واكثر وقال ابو عبيدة الضعفان ان يجعل الواحد ثلاثة فيكون عليهن ثلاثة حدود لأن ضعف الواحد مثله وضعفي الشيء مثلاه وقال غيره المراد بالضعف المثل فالمعنى انها يزاد في عذابها ضعف كما زيد في ثوابها ضعف في قوله نؤتها أجرها مرتين (وكان ذلك على الله يسيرا) اي كان عذابها على الله هينا عن مقاتل (ومن يقنت منكن لله ورسوله) اي ومن يطع الله ورسوله والقنوت الطاعة وقيل معناه من يواظب منكن على الطاعة لله ولرسوله ومنه القنوت في الصلاة وهو المداومة على الدعاء المعروف (وتعمل صالحا) فيما بينها وبين ربها (نؤتها أجرها مرتين) أي نؤتها ثوابها مثلي ثواب غيرها وروى ابو حمزة الثمالي عن زيد بن علي «ع» انه قال اني لأرجو للمحسن منا أجرين وأخاف على المسيء منا أن يضاعف له العذاب ضعفين كما وعد ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى محمد بن ابي عمير عن ابراهيم بن عبد الحميد عن علي ابن عبد الله بن الحسين عن ابيه عن علي بن الحسين زين العابدين انه قال له رجل انكم أهل بيت مغفور لكم قال فغضب وقال نحن أحرى أن يجري فينا ما أجرى الله في ازواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أن نكون كما تقول إنا نرى لمحسننا ضعفين من الأجر ولمسيئنا ضعفين من العذاب ثم قرأ الآيتين (وأعتدنا لها رزقا كريما) اي عظيم القدر رفيع الخطر وقيل ان الرزق الكريم ما سلم من كل آفة وقيل هو الثواب الذي لا يحسن الابتداء بمثله

قوله تعالى (٣٢) يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٣٣) وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ

الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَوٰةَ وَآتِينَ الزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً (٣٤) وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً (٣٥) إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً اربع آيات

القراءة

قرأ أهل المدينة وعاصم وقرن بفتح القاف وقرأ الباقون وهبيرة عن حفص عن عاصم وقرن بكسر القاف وفي الشواذ قراءة الأعرج وابان بن عثمان فيطمع الذي بكسر العين

الحجة

قال ابو علي قوله وقرن لا يخلو اما ان يكون من القرار او من الوقار فإن كان من الوقار فهو مثل عدن وكان مما يحذف فيه الفاء وهي واو فيبقى من الكلمة علن وإن كان من القرار فيكون الأمر اقررن فيبدل من العين الياء كراهة التضعيف كما ابدل في قيراط ودينار فيصير لها حركة الحرف المبدل منه ثم تلقى الحركة على الفاء فتسقط همزة الوصل لتحرك ما بعدها فتقول قرن لأن حركة الواء كانت كسرة في تقرألا ترى ان القاف متحرك بها واما من فتح فقال قرن فمن لم يجز قررت بالمكان أقر وإنما يقول قررت أقر فإن فتح الفاء عنده لا يجوز ومن أجاز ذلك جاز على قوله قرن كما جاز رقرن وهي لغة حكاها الكسائي وقال ابو عثمان يقال قررت به عينا أقر ولا يقال قررت في هذا المعنى وقررت في المكان فأنا أقر فيه يقال قررت في هذا المعنى ومن قرأ فيطمع الذي بالكسر فهو معطوف على فلا تخضعن أي فلا يطمع الذي في قلبه مرض فكلاهما منهي عنه إلا ان النصب اقوى لأنه يكون بمعنى ان طمعه مسبب عن خضوعهن بالقول وإذا كان عطفا كان نهيا لهن وله وليس فيه دليل على ان الطمع واقع من أجلهن

اللغة

التبرج اظهار المرأة محاسنها مأخوذ من البرج وهو السعة في العين وطعنة برجاء واسعة وفي اسنانه برج إذا تفرق ما بينها

الإعراب

قوله ليذهب اللام يتعلق بمحذوف تقديره وارادته ليذهب ويجوز أن يتعلق بيريد ، أهل البيت منصوب على المدح تقديره اعني اهل البيت ويجوز ان يكون منادى مضافا ويجوز في العربية جر اللام ورفعها فالجر على أن يكون بدلا من كم والرفع على المدح

المعنى

ثم اظهر سبحانه فضيلتهن على سائر النسوان بقوله (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) قال الزجاج

لم يقل كواحدة من النساء لأن احدا للنفي العام وقال ابن عباس معناه ليس قدركن عندي كقدر غيركن من النساء الصالحات أنتن اكرم علي فأنا بكن أرحم وثوابكن اعظم لمكانكن من رسول الله ﷺ (إن اتقيتن) الله شرط عليهن التقوى ليبين سبحانه ان فضيلتهن بالتقوى لا باتصالهن بالنبي ﷺ (فلا تخضعن بالقول) اي لا ترققن القول ولا تلن الكلام للرجال ولا تخاطبن الأجانب مخاطبة تؤدي إلى طمعهم فتكن كما تفعل المرأة التي تظهر الرغبة في الرجال (فيطمع الذي في قلبه مرض) اي نفاق وفجور عن قتادة وقيل من في قلبه شهوة للزنا عن عكرمة وقيل ان المرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب الى الغلظة في المقالة لأن ذلك أبعد من الطمع في الريبة (وقلن قولا معروفا) اي مستقيما جميلا بريئا من التهمة بعيدا من الريبة موافقا للدين والإسلام (وقرن في بيوتكن) أمرهن بالاستقرار في بيوتهن والمعنى اثبتن في منازلكن والزمنها وإن كان من وقر يقر فمعناه كن اهل وقار وسكينة (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) اي لا تخرجن على عادة النساء اللاتي في الجاهلية ولا تظهرن زينتكن كما كن يظهرن ذلك وقيل التبرج التبختر والتكبر في المشي عن قتادة ومجاهد وقيل هو أن تلقي الخمار على رأسها ولا تشده فتواري قلائدها وقرطيها فيبدو ذلك منها عن مقاتل والمراد بالجاهلية الأولى ما كان قبل الإسلام عن قتادة وقيل ما كان بين آدم «ع» ونوح «ع» ثمان مائة سنة عن الحكم وقيل ما بين عيسى ومحمد عن الشعبي قال وهذا لا يقتضي أن يكون بعدها جاهلية في الإسلام لأن الأول اسم للسابق تأخر عنه غيره أو لم يتأخر وقيل ان معنى تبرج الجاهلية الأولى انهم كانوا يجوزون أن تجمع امرأة واحدة زوجا وخلا فتجعل لزوجها نصفها الأسفل ولخلها نصفها الأعلى يقبلها ويعانقها ثم قال (وأقمن الصلاة) اي أدينها في اوقاتها بشرائطها (وآتين الزكوة) المفروضة في اموالكن (وأطعن الله ورسوله) فيما يأمرانكن به وينهانكن عنه ثم قال عز وجل (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) قال ابن عباس الرجس عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضى والبيت التعريف فيه للعهد والمراد به بيت النبوة والرسالة والعرب تسمي ما يلتجأ اليه بيتا ولهذا سموا الانساب بيوتا وقالوا بيوتات العرب يريدون النسب قال

الا يا بيت بالعلياء بيت ... ولولا حب أهلك ما أتيت
الا يا بيت أهلك أوعدوني ... كأني كل ذنبهم جنيت

يريد بيت النسب وبيت النبوة والرسالة كبيت النسب قال الفرزدق

بيت زرارة محتب بفنائه ... ومجاشع وابو الفوارس نهشل
لا يحتبي بفناء بيتك مثلهم ... أبدا إذا عد الفعال الأكمل

وقيل البيت بيت الحرام وأهله هم المتقون على الاطلاق لقوله ان أولياؤه إلا المتقون وقيل البيت مسجد رسول الله ﷺ وأهله من مكنه رسول الله ﷺ فيه ولم يخرجه ولم يسد بابه وقد اتفقت الأمة بأجمعها على ان المراد بأهل البيت في الآية أهل بيت نبينا ﷺ ثم اختلفوا فقال عكرمة أراد ازواج النبي لأن اول الآية متوجه اليهن وقال ابو سعيد الخدري وانس بن مالك ووائلة بن الاسقع وعائشة وأم سلمة ان الآية مختصة برسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره حدثني شهر بن حوشب عن أم سلمة قالت جاءت فاطمة «ع» الى النبي ﷺ تحمل خزيرة

لها فقال ادعي زوجك وابنيك فجاءت بهم فطعموا ثم القى عليهم كساء له خيبريا فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقلت يا رسول الله وانا معهم قال انت إلى خير وروى الثعلبي في تفسيره ايضا بالاسناد عن أم سلمة ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيتها فأتته فاطمة (ع) ببرمة فيها خزيرة فقال لها ادعي زوجك وابنيك فذكرت الحديث نحو ذلك ثم قالت فأنزل الله تعالى إنما يريد الله الآية قالت فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم اخرج يده فألوى بها الى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فأدخلت رأسي البيت وقلت وانا معكم يا رسول الله قال انك إلى خير انك إلى خير وباسناده قال مجمع دخلت مع أمي على عائشة فسألتها أمي أرأيت خروجك يوم الجمل قالت انه كان قدرا من الله فسألتها عن علي (ع) فقالت تسألني عن أحب الناس كان إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وزوج أحب الناس كان الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد رأيت عليا وفاطمة وحسنا وحسينا (ع) وجمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثوب عليهم ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت فقلت يارسول الله انا من أهلك قال تنحي فإنك إلى خير وباسناده عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال نزلت هذه الآية في خمسة فيّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة (ع) واخبرنا السيد ابو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القاسم الحسكاني قال حدثونا عن ابي بكر السبيعي قال حدثنا ابو عروة الحراني قال حدثنا ابن مصفي قال حدثنا عبدالرحيم بن واقد عن ايوب بن سيار عن محمد بن المنكدر عن جابر قالت نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليست في البيت إلا فاطمة والحسن والحسين (ع) وعلي (ع) إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم هؤلاء أهلي وحدثنا السيد ابو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القاسم باسناده عن زاذان عن الحسن ابن علي (ع) قال لما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإياه في كساء لأم سلمة خيبري ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي وعترتي والروايات في هذا كثيرة من طريق العامة والخاصة لوقصدنا إلى ايرادها لطال الكتاب وفيما اوردناه كفاية واستدلت الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة (ع) بأن قالوا إن لفظة إنما محققة لما اثبت بعدها نافية لما لم يثبت فإن قول القائل إنما لك عندي درهم و إنما في الدار زيد يقتضي انه ليس عنده سوى الدرهم وليس في الدار سوى زيد و إذا تقرر هذا فلا تخلو الإرادة في الآية أن تكون هي الارادة المحضة أو الإرادة التي يتبعها التطهير واذهاب الرجس ولا يجوز الوجه الأول لأن الله تعالى قد اراد من كل مكلف هذه الارادة المطلقة فلا اختصاص لها بأهل البيت دون سائر الخلق ولأن هذا القول يقتضي المدح والتعظيم لهم بغير شك وشبهة ولا مدح في الارادة المجردة فثبت الوجه الثاني وفي ثبوته ثبوت عصمة المعنيين بالآية من جميع القبائح وقد علمنا أن من عدا من ذكرناه من اهل البيت غير مقطوع على عصمته فثبت ان الآية مختصة بهم لبطلان تعلقها بغيرهم ومتى قيل ان صدر الآية وما بعدها في الازواج فالقول فيه ان هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون اليه والقرآن من ذلك مملوء وكذلك كلام العرب واشعارهم ثم عاد سبحانه إلى ذكر الازواج فقال (واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة) معناه واشكرن الله تعالى إذ صيركن في بيوت يتلى فيها القرآن والسنة عن قتادة وقيل اذكرن اي احفظن ذلك وليكن منكن على بال ابدا لتعملن بموجبه وهذا حث لهن على حفظ القرآن والاخبار ومذاكرتهن بهما والخطاب وان اختص بهن فغيرهن يشاركهن فيه لأن بناء الشريعة على القرآن والسنة (إن الله كان لطيفا) بأوليائه (خبيرا) بجميع خلقه وقيل لطيفا في تدبير خلقه وايصال المنافع اليهم خبيرا بما يكون منهم ومصالحهم ومفاسدهم فيأمرهم بفعل ما فيه صلاحهم واجتناب ما فيه فسادهم قال مقاتل بن حيان لما رجعت اسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي

طالب (ع) دخلت على نساء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار فقال صلى الله عليه وآله ومم ذلك قالت لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فانزل الله تعالى هذه الآية (إن المسلمين والمسلمات) اي المخلصين الطاعة لله والمخلصات من قوله ورجلا سلما لرجل اي خالصا وقيل معناه إن الداخلين في الاسلام من الرجال والنساء وقيل يعني المستسلمين لأوامر الله والمنقادين له من الرجال والنساء (والمؤمنين والمؤمنات) اي والمصدقين بالتوحيد والمصدقات والاسلام والايمان واحد عند اكثر المفسرين وإنما كرر لاختلاف اللفظين وقيل انهما مختلفان فالاسلام الاقرار باللسان والايمان التصديق بالقلب ويعضده قوله قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا وقيل الاسلام هو اسم الدين والايمان التصديق به قال البلخي فسر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلم والمؤمن بقوله المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمن جاره بوائقه وما آمن بي من بات شبعان وجاره طاو (والقانتين والقانتات) يعني الدائمين على الأعمال الصالحات والدائمات وقيل يعني الداعين والداعيات (والصادقين) في إيمانهم وفيما ساءهم وسرهم (والصادقات والصابرين) على طاعة الله وعلى ما ابتلاهم الله به (والصابرات والخاشعين) أي المتواضعين الخاضعين لله تعالى (والخاشعات) وقيل معناه والخائفين والخائفات (والمتصدقين) أي المخرجين الصدقات والزكوات (والمتصدقات والصائمين) لله تعالى بنية صادقة (والصائمات والحافظين فروجهم) من الزنا وارتكاب الفجور (والحافظات) فروجهن فحذف لدلالة الكلام عليه (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) الله كثيرا وحذف ايضا للدلالة عليه (أعد الله لهم) أي لهؤلاء الموصوفين بهذه الصفات والخصال (مغفرة) لذنوبهم (وأجرا عظيما) في الآخرة وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فتوضئا وصليا كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وروي عن أبي عبد الله «ع» انه قال من بات على تسبيح فاطمة «ع» كان من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات

قوله تعالى (٣٦) وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣٧) وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٣٨) مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (٣٩) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (٤٠) مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة وهشام ان يكون بالياء والباقون بالتاء وقرأ عاصم وحده وخاتم النبيين بفتح التاء والباقون بكسرها

الحجة

قال ابو علي التذكير والتأنيث حسنان وهذه الآية تدل على ان ما في قوله يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة نفي وليست بموصولة ومن كسر التاء من خاتم فإنه ختمهم فهو خاتمهم ومن فتح التاء فمعناه آخر النبيين لا نبي بعده قال الحسن خاتم الذي ختم به قال المبرد خاتم فعل ماض على فاعل وهو في معنى ختم النبيين ونصب النبيين على هذا الوجه بأنه مفعول به وفي حرف عبد الله ولكن نبيا وختم النبيين

اللغة

قال الزجاج الخيرة التخيير وقال علي بن عيسى الخيرة ارادة اختيار الشيء على غيره والوطر الارب والحاجة وقضاء الشهوة قال

وكيف ثوائي في المدينة بعد ما قضى وطرا منها جميل بن معمر

قال الخليل الوطر كل حاجة يكون لك فيها همة فإذا بلغها البالغ قيل قد قضى وطره واربه

الاعراب

سنة الله منصوب على المصدر تقديره سن الله لهسنة · الذين يبلغون يجوز ان يكون رفعا على المدح تقديره هم الذين يبلغون رسالات الله ويجوز ان يكون نصبا على اعني الذين · ولكن رسول الله تقديره ولكن كان رسول الله وكان خاتم النبيين ولو قرئ رسول الله وخاتم النبيين بالرفع لجاز اي ولكن هو رسول الله وخاتم النبيين

النزول

نزلت في زينب بنت جحش الأسدية وكانت بنت اميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فخطبها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على مولاه زيد بن حارثة ورأت انه يخطبها على نفسه فلما علمت انه يخطبها على زيد ابت وانكرت وقالت انا ابنة عمتك فلم اكن لأفعل وكذلك قال اخوها عبد الله بن جحش فنزل وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الآية يعني عبد الله بن جحش واخته زينب فلما نزلت الآية قالت رضيت يارسول الله وجعلت امرها بيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكذلك اخوها فأنكحها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) زيدا فدخل بها وساق اليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عشرة دنانير وستين درهما مهرا وخمارا وملحفة ودرعا وإزارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقالت زينب خطبني عدة من قريش فبعثت اختي حمنة بنت جحش إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استشيره فاشار بزيد فغضبت اختي وقالت تزوج بنت عمتك مولاك ثم اعلمتني فغضبت اشد من غضبها فنزلت الآية فارسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقلت زوجني ممن شئت فزوجني من زيد وقيل نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وكانت وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيد بن حارثة فسخطت هي واخوها وقالا إنما اردنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فزوجنا عبده فنزلت الآية عن ابن زيد وذكر علي بن ابراهيم في تفسيره ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان شديد الحب لزيد وكان إذا ابطأ عليه زيد اتى منزله فيسأل عنه فأبطأ عليه يوما فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزله فإذا زينب جالسة وسط حجرتها تسحق طيبا بفهرلها قال فدفع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الباب فلما نظر اليها قال سبحان الله خالق النور تبارك الله احسن الخالقين ورجع فجاء زيد واخبرته زينب بما كان فقال لها لعلك وقعت في قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهل لك ان اطلقك حتى يتزوجك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت اخشى إن تطلقني ولا يتزوجني فجاء زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تمام القصة فنزلت الآية واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه الآية

المعنى

لما تقدم ذكر نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عقبه سبحانه بذكر زيد وزوجته فقال (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا

قضى الله ورسوله) اي إذا اوجب الله ورسوله (امرا) والزماه وحكما به (ان يكون لهم الخيرة) اي الاختيار (من امرهم) على اختيار الله تعالى والمعنى ان كل شيء أمر الله تعالى به أو حكم به فليس لأحد مخالفته وترك ما أمر به الى غيره (ومن يعص الله ورسوله) فيما يختاران له (فقد ضل ضلالا مبينا) اي ذهب عن الحق ذهابا ظاهرا ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (وإذ تقول) اي واذكر يا محمد حين تقول (للذي انعم الله عليه) بالهداية إلى الإيمان (وانعمت عليه) بالعتق وقيل انعم الله عليه بمحبة رسوله وانعم الرسول عليه بالتبني عن السدي والثوري وهو زيد بن حارثة (امسك عليك زوجك) يعني زوجك زينب تقول احبسها ولا تطلقها وهذا الكلام يقتضي مشاجرة جرت بينهما حتى وعظه الرسول وقال له امسكها (واتق الله) في مفارقتها ومضارتها (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشيه) والذي اخفاه في نفسه هو انه ان طلقها زيد تزوجها وخشي لائمة الناس ان يقولوا أمره بطلاقها ثم تزوجها وقيل ان الذي اخفاه في نفسه هو ان الله سبحانه اعلمه انها ستكون من أزواجه وان زيدا سيطلقها فلما جاء زيد وقال له أريد ان اطلق زينب قال له امسك عليك زوجك فقال سبحانه لم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك روي ذلك عن علي بن الحسين «ع» وهذا التأويل مطابق لتلاوة الآية وذلك انه سبحانه اعلم انه يبدي ما أخفاه ولم يظهر غير التزويج فقال زوجناكها فلو كان الذي اضمره محبتها او إرادة طلاقها لا ظهر الله تعالى ذلك مع وعده بأنه يبديه فدل ذلك على انه انما عوتب على قوله امسك عليك زوجك مع علمه بأنها ستكون زوجته وكتمانه ما اعلمه الله به حيث استحيا ان يقول لزيد ان التي تحتك ستكون امرأتي قال البلخي ويجوز ان يكون ايضا على ما يقولونه ان النبي استحسنها فتمنى ان يفارقها زيد فيتزوجها وكتم ذلك لأن هذا التمني قد طبع عليه البشر ولا حرج على احد في ان يتمنى شيئا استحسنه وقيل انه انما اضمر ان يتزوجها ان طلقها زيد من حيث انها كانت ابنة عمته فأراد ضمها إلى نفسه لئلا يصيبها ضيعة كما يفعل الرجل بأقاربه عن الجبائي قال: فأخبر الله سبحانه الناس بما كان يضمره من ايثار ضمها الى نفسه ليكون ظاهره مطابقا لباطنه ولهذا المعنى قال صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه يوم فتح مكة وقد جاءه عثمان بعبد الله بن سعد بن ابي سرح يستأمنه منه وكان صلى الله عليه وآله وسلم قبل ذلك قد اهدر دمه وأمر بقتله فلما رأى عثمان استحيا من رده وسكت طويلا ليقتله بعض المؤمنين ثم آمنه بعد تردد المسألة من عثمان وقال أما كان منكم رجل رشيد يقوم الى هذا فيقتله فقال له عباد بن بشر يا رسول الله ان عيني ما زالت في عينك انتظار ان تومئ الي فأقتله فقال ان الأنبياء لا تكون لهم خائنة أعين فلم يستحب الإشارة الى قتل كافر وان كان مباحا وقيل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يريد أن يتزوج بها إذا فارقها ولكنه عزم ان لا يتزوجها مخافة ان يطعنوا عليه فأنزل الله هذه الآية كيلا يمتنع عن فعل المباح خشية الناس ولم يرد بقوله والله احق ان تخشاه خشية التقوى لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يتقي الله حق تقاته ويخشاه فيما يجب ان يخشى فيه ولكنه أراد خشية الاستحياء لأن الحياء كان غالبا على شيمته الكريمة صلى الله عليه وآله وسلم كما قال سبحانه ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم وقيل ان زينب كانت شريفة فزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من زيد مولاه ولحقها بذلك بعض العار فأراد صلى الله عليه وآله وسلم ان يزيدها شرفا بأن يتزوجها لأنه كان السبب في تزويجها من زيد فعزم ان يتزوج بها إذا فارقها وقيل ان العرب كانوا ينزلون الادعياء منزلة الابناء في الحكم فأراد صلى الله عليه وآله وسلم ان يبطل ذلك بالكلية وينسخ سنة الجاهلية فكان يخفي في نفسه تزويجها لهذا الغرض كيلا يقول الناس انه تزوج بامرأة ابنه ويقرفونه بما هو منزه عنه ولهذا قال امسك عليك زوجك عن ابي مسلم ويشهد لهذا التأويل قوله فيما بعد (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم إذا قضوا منهن وطرا) ومعناه فلما قضى زيد حاجته من نكاحها فطلقها وانقضت عدتها ولم يكن في قلبه ميل اليها ولا وحشة من فراقها فإن معنى القضاء هو الفراغ من الشيء على التمام زوجناكها اي اذنالك في تزويجها وإنما فعلنا ذلك توسعة على المؤمنين

احتى لا يكون عليهم إثم في ان يتزوجوا أزواج ادعيائهم الذين تبنوهم إذا قضى الادعياء منهن حاجتهم وفارقوهن فبين سبحانه أن الغرض في ذلك ان لا يجري المتبني في تحريم امرأته إذا طلقها على المتبني مجرى الابن من النسب والرضاع في تحريم امرأته إذا طلقها على الأب (وكان أمر الله مفعولا) اي كائنا لا محالة وفي الحديث ان زينب كانت تفتخر على سائر نساء النبي وتقول زوجني الله من النبي وانتن انما زوجكن أولياؤكن وروى ثابت عن انس بن مالك قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد اذهب فاذكرها علي قال زيد فانطلقت فقلت يا زينب ابشري قد ارسلني رسول الله ﷺ يذكرك ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير اذن لقوله تعالى زوجناكها وفي رواية أخرى قال زيد فانطلقت فإذا هي تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت في نفسي حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله ﷺ ذكرها فوليتها ظهري وقلت يازينب ابشري ان رسول الله ﷺ يخطبك ففرحت بذلك وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى أوامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل زوجناكها فتزوجها رسول الله ﷺ ودخل بها وما اولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار وعن الشعبي قال كانت زينب تقول للنبي ﷺ اني لأدل عليك بثلاث مامن نسائك امرأة تدل بهن جدي وجدك واحد واني انكحنيك الله في السماء وان السفير لي جبرائيل (ع) ثم قال سبحانه (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) اي ما كان على النبي من اثم وضيق فيما أحل الله له من التزويج بامرأة الابن المتبنى وقيل فيما فرض وأوجب عليه من التزويج بها ليبطل حكم الجاهلية في الادعياء (سنة الله في الذين خلوا من قبل) اي كسنة الله في الأنبياء الماضين وطريقته وشريعته فيهم في زوال الحرج عنهم وعن اممهم بما احل سبحانه لهم من ملاذهم وقيل في كثرة الازواج كما فعله داود وسليمان (ع) وكان لداود مائة امرأة ولسليمان ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية وقيل أشار بالسنة إلى أن النكاح من سنة الأنبياء كما قال النكاح من سنتي فمن رغب عنه فقد رغب عن سنتي (وكان امر الله قدرا مقدورا) اي كان ما ينزله الله على انبيائه من الامر الذي يريده قضاء مقضيا وقيل معناه جاريا على مقدار لا يكون فيه تفاوت من جهة الحكمة وقيل ان القدر المقدر هو ما كان على مقدار ما تقدم من غير زيادة ولا نقصان وعليه قول الشاعر

واعلم بأن ذا الجلال قد قدر   في الصحف الاولى التي كان سطر

ثم وصف سبحانه الأنبياء الماضين واثنى عليهم فقال (الذين يبلغون رسالات الله) اي يؤدونها إلى من بعثوا اليهم ولا يكتمونها (ويخشونه) اي ويخافون الله مع ذلك في ترك ما أوجبه عليهم (ولا يخشون احدا إلا الله) ولا يخافون من سوى الله فيما يتعلق بالاداء والتبليغ وفي هذا دلالة على ان الانبياء لا يجوز عليهم التقية في تبليغ الرسالة ومتى قيل فكيف ما قال لنبينا ﷺ وتخشى الناس فالقول انه لم يكن ذلك فيما يتعلق بالتبليغ وإنما خشي المقالة القبيحة فيه والعاقل كما يتحرز عن المضار يتحرز من اساءة الظنون به والقول السيء فيه ولا يتعلق شيء من ذلك بالتكليف (وكفى بالله حسيبا) اي حافظا لأعمال خلقه ومحاسبا مجازيا عليها ولما تزوج زينب بنت جحش قال الناس إن محمدا تزوج امرأة ابنه فقال سبحانه (ما كان محمد ابا احد من رجالكم) الذين لم يلدهم وفي هذا بيان انه ليس بأب لزيد فتحرم عليه زوجته فإن تحريم زوجة الابن معلق بثبوت النسب فمن لا نسب له لا حرمة لامرأته ولهذا اشار اليهم فقال من رجالكم وقد ولد له ﷺ اولاد ذكور ابراهيم والقاسم والطيب والمطهر فكان اباهم وقد صح انه قال للحسن ان ابني هذا سيد وقال ايضا للحسن والحسين ابناي هذان إمامان قاما او قعدا وقال ﷺ ان كل بني بنت ينتسبون إلى أبيهم إلا أولاد فاطمة فإني أنا ابوهم وقيل أراد بقوله رجالكم البالغين من رجال ذلك الوقت ولم يكن أحد من ابنائه رجلا في ذلك الوقت (ولكن رسول الله) أي ولكن كان رسول الله لا يترك ما أباحه الله تعالى بقول الجهال وقيل ان الوجه

في اتصاله بما قبله انه أراد سبحانه ليس يلزم طاعته وتعظيمه لمكان النسب بينه وبينكم ولمكان الأبوة بل إنما يجب ذلك عليكم لمكان النبوة (وخاتم النبيين) أي وآخر النبيين ختمت النبوة به فشريعته باقية إلى يوم الدين وهذا فضيلة له صلوات الله عليه وآله اختص بها من بين سائر المرسلين فإن قيل ان اليهود يدعون في موسى مثل ذلك فالجواب ان بعض اليهود يدعون ان شريعته لا تنسخ وهم مع ذلك يجوزون أن يكون بعده أنبياء ونحن إذا أثبتنا نبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بالمعجزات القاهرة وجب نسخ شريعته بذلك (وكان الله بكل شيء عليما) لا يخفى عليه شيء من مصالح العباد وصح الحديث عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إنما مثلي في الانبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وحسنها الا موضع لبنة فكان من دخل فيها فنظر اليها قال ما احسنها إلا موضع هذه اللبنة قال صلى الله عليه وآله وسلم فأنا موضع اللبنة ختم بي الانبياء وأورده البخاري ومسلم في صحيحيهما

قوله تعالى (٤١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤٢) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٣) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٤) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٥) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٦) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٧) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا (٤٨) وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ثماني آيات

✻ المعنى ✻

ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من عجز عن الليل ان يكابده وجبن عن العدو ان يجاهده وبخل بالمال ان ينفقه فليكثر ذكر الله عز وجل ثم اختلف في معنى الذكر الكثير فقيل هو أن لا ينساه ابدا عن مجاهد وقيل هو ان يذكره سبحانه بصفاته العلى واسمائه الحسنى وينزهه عما لا يليق به وقيل هو ان يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر على كل حال عن مقاتل وقد ورد عن أئمتنا (ع) انهم قالوا من قالها ثلاثين مرة فقد ذكر الله ذكراً كثيرا وعن زرارة وحمران ابني اعين عن ابي عبد الله «ع» قال من سبح تسبيح فاطمة الزهراء «ع» فقد ذكر الله ذكرا كثيرا وروى الواحدي بإسناده عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال جاء جبرائيل «ع» إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله عدد ما علم وزنة ما علم وملء ما علم فإن من قالها كتب الله له بها ست خصال كتب من الذاكرين الله كثيرا وكان أفضل من ذكره بالليل والنهار وكن له غرسا في الجنة وتحاتت عنه خطاياه كما تحات ورق الشجرة اليابسة وينظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه (وسبحوه بكرة وأصيلا) اي ونزهوه سبحانه عن جميع ما لا يليق به بالغداة والعشي والأصيل العشي وقيل يعني به صلاة الصبح وصلاة العصر عن قتادة وقيل صلاة الصبح وصلاة العشاء الآخرة خصها بالذكر لأن لها مزية على غيرهما من حيث أن ملائكة الليل والنهار يجتمعون فيها وقال الكلبي اما بكرة فصلاة الفجر وأما اصيلا فصلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة وسمى الصلاة تسبيحاً لما فيها من التسبيح والتنزيه (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) الصلاة من الله تعالى المغفرة والرحمة عن سعيد بن جبير والحسن وقيل الثنا عن ابي العالية وقيل هي الكرامة عن سفيان وأما صلاة الملائكة فهي دعاؤهم عن ابن عباس وابي العالية وقيل طلبهم انزال الرحمة من الله تعالى (ليخرجكم من الظلمات إلى النور) اي من الجهل بالله سبحانه

إلى معرفته فشبه الجهل بالظلمات وشبه المعرفة بالنور لأن هذا يقود إلى الجنة وذلك يقود إلى النار وقيل من الضلالة إلى الهدى بالطافه وهدايته وقيل من ظلمات النار إلى نور الجنة (وكان بالمؤمنين رحيما) خص المؤمنين بالرحمة دون غيرهم لأنه سبحانه جعل الإيمان بمنزلة العلة في ايجاب الرحمة والنعمة العظيمة التي هو الثواب (تحيتهم يوم يلقونه سلام) اي يحيي بعضهم بعضا يوم يلقون ثواب الله بأن يقولوا السلامة لكم من جميع الآفات ولقاء الله سبحانه معناه لقاء ثوابه كما سبق القول فيه وروي عن البراء بن عازب انه قال يوم يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن إلا سلم عليه فعلى هذا يكون المعنى تحية المؤمنين من ملك الموت يوم يلقونه أن يسلم عليهم وملك الموت مذكور في الملائكة (وأعد لهم اجرا كريما) اي ثوابا جزيلا ثم خاطب نبيه ﷺ فقال (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا) على امتك فيما يفعلونه من طاعة أو معصية وإيمان او كفر لتشهد لهم وعليهم يوم القيامة ونجازيهم بحسبه (ومبشراً) اي ومبشرا لمن اطاعني واطاعك بالجنة (ونذيرا) لمن عصاني وعصاك بالنار (وداعياً) أي وبعثناك داعياً إلى الله والاقرار بوحدانيته وامتثال أوامره ونواهيه (بإذنه) اي بعلمه وأمره (وسراجاً منيراً) يهتدى بك في الدين كما يهتدى بالسراج والمنير الذي يصدر النور من جهته إما بفعله وإما لأنه سبب له فالقمر منير والسراج منير بهذا المعنى والله منير السماوات والأرض وقيل عنى بالسراج المنير القرآن والتقدير وبعثناك ذا سراج منير فحذف المضاف عن الزجاج (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) زيادة على ما يستحقونه من الثواب (ولا تطع الكافرين والمنافقين) هو مفسر في اول السورة (ودع اذيهم) اي وأعرض عن اذاهم فإني سأكفيك امرهم إذا توكلت علي وعملت بطاعتي فإن جميعهم في سلطاني بمنزلة ما هو في قبضة عبدي وقيل معناه كف عن اذاهم وقتالهم وذلك قبل أن يؤمر بالقتال عن الكلبي (وتوكل على الله) اي واسند امرك إلى الله ينصرك عليهم (وكفى بالله وكيلا) اي كافياً ومتكفلا بما يسند اليه

النظم

إنما اتصلت الآية بما تقدمها من قوله ولكن رسول الله فإنه منَّ عليهم به ثم امرهم بأن يشكروه على ذلك وقوله هو الذي يصلي عليكم يتصل بما قبله من الأمر بالذكر والتقدير ان الله عز اسمه مع غناه عنكم يذكركم فأنتم أولى بأن تذكروه وتقبلوا عليه مع احتياجكم اليه وقيل انه سبحانه عدد نعمه على المؤمنين وعدد من جملتها صلاته عليهم ثم بين ارساله النبي اليهم مع جلالة قدره وعلو امره

قوله تعالى (٤٩) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً (٥٠) يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

آيتان

القراءة

في الشواذ قراءة أبي بن كعب والحسن والثقفي أن وهبت بفتح الألف

الحجة

قال ابن جني تقديره لأن وهبت نفسها أي انها تحل له من أجل ان وهبت نفسها له وليس يعني بذلك امرأة بعينها قد كانت وهبت نفسها له وإنما محصوله انه ان وهبت امرأة نفسها للنبي حلت له من أجل هبتها إياه فالحل إنما هو مسبب عن الهبة متى كانت ويؤكد ذلك القراءة بالكسر فصح به الشرط

الاعراب

العامل في الظرف من قوله إذا نكحتم ما يتعلق به لكم والتقدير إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن لم يثبت لكم عليهن عدة. مما أفاء الله عليك الجار والمجرور في موضع نصب على الحال من الضمير المحذوف في قوله وما ملكت يمينك أي ما ملكته. إن وهبت نفسها للنبي جزاء شرط محذوف تقديره ان وهبت نفسها للنبي أحللناها له وجزاء الشرط الذي هو إن أراد النبي أن يستنكحها الشرط والجزاء المتقدم تقديره إن أراد النبي أن يستنكحها إن وهبت نفسها له أحللناها له وان يستنكحها في موضع نصب بأنه مفعول أراد. خالصة لك نصب على الحال والهاء فيه للمبالغة

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى ذكر النساء فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) اي من قبل ان تدخلوا بهن (فما لكم عليهن من عدة تعتدونها) اي تستوفونها بالعدد وتحصون عليهن بالاقراء وبالأشهر اسقط الله سبحانه العدة عن المطلقة قبل المسيس لبراءة رحمها فإن شاءت تزوجت من يومها (فمتعوهن) قال ابن عباس هذا إذا لم يكن سمى لها صداقا فإذا فرض لها صداقا فلها نصفه ولا تستحق المتعة وهو المروي عن أئمتنا «ع» فالآية محمولة عندنا على التي لم يسم لها مهرا فيجب لها المتعة (وسرحوهن سراحا جميلا) أي طلقوهن طلاقا للسنة من غير ظلم عليهن عن الجبائي وقيل سرحوهن عن البيت فإنه ليس عليها عدة فلا يلزمها المقام في منزل الزوج سراحا جميلا بغير جفوة ولا أذية وقيل السراح الجميل هو رفع المتعة بحسب الميسرة والعسرة عن حبيب بن ابي ثابت قال كنت قاعدا عند علي بن الحسين «ع» فجاءه رجل فقال اني قلت يوم اتزوج فلانة فهي طالق فقال اذهب فتزوجها فإن الله تعالى بدأ بالنكاح قبل الطلاق وقرأ هذه الآية ثم خاطب النبي ﷺ فقال (يا أيها النبي انا احللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) اي اعطيت مهورهن والإيتاء قد يكون بالاداء وقد يكون بالالتزام (وما ملكت يمينك) أي وأحللنا لك ما ملكت يمينك من الإماء (مما أفاء الله عليك) من الغنائم والأنفال فكانت من الغنائم مارية القبطية أم ابنه ابرهيم ومن الأنفال صفية وجويرية اعتقها وتزوجها (وبنات عمك) أي وأحللنا لك بنات عمك (وبنات عماتك) يعني نساء قريش (وبنات خالك وبنات خالاتك) يعني نساء بني زهرة (اللاتي هاجرن معك) إلى المدينة وهذا إنما كان قبل تحليل غير المهاجرات ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي) أي وأحللنا لك امرأة مصدقة بتوحيد الله تعالى وهبت نفسها منك بغير صداق وغير المؤمنة إن وهبت نفسها منك لا تحل لك (إن أراد النبي أن يستنكحها) اي آثر النبي ﷺ نكاحها ورغب فيها (خالصة لك من دون المؤمنين) اي خالصة لك دون غيرك قال ابن عباس يقول لا يحل هذا لغيرك وهو لك حلال وهذا من خصائصه في النكاح فكان ينعقد النكاح له بلفظ الهبة ولا ينعقد ذلك لأحد غيره واختلف في انه هل كانت عند النبي ﷺ امرأة وهبت نفسها له أم لا فقيل انه لم يكن عنده امرأة وهبت نفسها له عن ابن عباس ومجاهد وقيل بل كانت عنده ميمونة بنت الحرث بلا مهر قد وهبت نفسها للنبي في رواية أخرى عن ابن عباس وقتادة وقيل هي زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الأنصار عن الشعبي وقيل هي امرأة من بني أسد يقال لها أم شريك بنت جابر عن علي بن الحسين «ع»

والضحاك ومقاتل وقيل هي خولة بنت حكيم عن عروة بن الزبير وقيل انها لما وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت عائشة ما بال النساء يبذلن أنفسهن بلا مهر فنزلت الآية فقالت عائشة ما أرى الله تعالى إلا يسارع في هواك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانك إن أطعت الله سارع في هواك (قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم) معناه قد علمنا ما أخذنا على المؤمنين في ازواجهم من المهر والحصر بعدد محصور ووضعناه عنك تخفيفاً عنك (وما ملكت أيمانهم) أي وما أخذنا عليهم في ملك اليمين أن لا يقع لهم الملك إلا بوجوه معلومة من الشراء والهبة والإرث والسبي وأبحنا لك غير ذلك وهو الصفي الذي تصطفيه لنفسك من السبي وإنما خصصناك على علم منا بالمصلحة فيه من غير محاباة ولا جزاف (لكيلا يكون عليك حرج) أي ليرتفع عنك الحرج وهو الضيق والإثم (وكان الله غفوراً) لذنوب عباده (رحيماً) بهم أو رحيما بك في رفع الحرج عنك

قوله تعالى (٥١) تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَلِيماً (٥٢) لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً (٥٣) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ ٱلْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَسْئَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ ٱللَّهِ عَظِيماً (٥٤) إِنْ تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (٥٥) لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً خمس آيات

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير ابي بكر إلا الأعشى وعباس وأهل المدينة ترجي بغير همز والباقون بالهمز وقرأ ابو عمرو ويعقوب لا تحل بالتاء والباقون بالياء. سهل ابو حاتم يجيز فيهما

الحجة

قال ابو علي جاء في هذا الحرف الهمز وغيره وكذلك ارجئه وارجه فالقراءة بكل واحد من الأمرين حسنة والتاء والياء في لا تحل حسنان لأن النساء تأنيثه غير حقيقي إنما هو تأنيث الجمع فالتأنيث حسن والتذكير كذلك

اللغة

الإرجاء هو التأخير ويكون من تبعيد وقت الشيء عن وقت غيره ومنه الإرجاء في فساق أهل الصلاة وهو

تأخير حكمهم بالعقاب إلى الله تعالى والإيواء ضم القادر غيره من الأحياء الذين هم من جنس ما يعقل إلى ناحيته يقال آويت الإنسان آويه إيواء وأوى هو يأوي اويا إذا انضم إلى مأواه ويقال انى الطعام يأني انى مقصورا إذا بلغ حالة النضج وأدرك وقته وإذا فتح مد فقيل أناء قال الحطيئة « وآنيت العشاء الى سهيل او الشعرى فطال بي الإناء » والاستئناس ضد الاستيحاش والانس ضد الوحشة

الإعراب

ذلك أدنى ان تقر تقديره من أن تقر اوالى ان تقر اعينهن. كلهن تأكيد للضمير وهو النون في يرضين ولو نصب جاز على تأكيد قوله هن في آتيتهن. غير ناظرين منصوب على الحال ولا مستأنسين معطوف عليه فهو حال معطوف على حال قبله وتقديره ولا تدخلوا مستأنسين لحديث

النزول

نزلت الآية الأولى حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت آية التخيير فأمره الله تعالى أن يخيرهن بين الدنيا والآخرة وأن يخلي سبيل من اختار الدنيا ويمسك من اختار الله تعالى ورسوله على انهن أمهات المؤمنين ولا ينكحن ابدا وعلى انه يؤوي من يشاء منهن ويرجي من يشاء منهن ويرضين به قسم لهن أو لم يقسم او قسم لبعضهن ولم يقسم لبعضهن أو فضل بعضهن على بعض في النفقة والقسمة والعشرة او سوى بينهن والأمر في ذلك اليه يفعل ما يشاء وهذه من خصائصه صلى الله عليه وآله وسلم فرضين بذلك كله واخترنه على هذا الشرط فكان صلى الله عليه وآله وسلم يسوي بينهن مع هذا إلا امرأة منهن أراد طلاقها وهي سودة بنت زمعة فرضيت بترك القسم وجعلت يومها لعائشة عن ابن زيد وغيره وقيل لما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فنزلت الآية وكان ممن ارجي منهن سودة وصفية وجويرية وميمونة وأم حبيبة فكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكان ممن آوى اليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وكان يقسم بينهن على السواء لا يفضل بعضهن على بعض عن ابن رزين ونزلت آية الحجاب لما بنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بزينب بنت جحش وأولم عليها قال أنس أولم عليها بتمر وسويق وذبح شاة وبعثت اليه أمي أم سليم بحيس في تور من حجارة فأمرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أدعو اصحابه إلى الطعام فدعوتهم فجعل القوم يجيئون ويأكلون ويخرجون ثم يجيء القوم فيأكلون ويخرجون قلت يا نبي الله قد دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم فرفعوا طعامهم وخرج القوم وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت فأطالوا المكث فقام صلى الله عليه وآله وسلم وقمت معه لكي يخرجوا فمشى حتى بلغ حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم جلوس مكانهم فنزلت الآية وروي مثل ذلك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يريد أن يخلو له المنزل لأنه كان حديث عهد بعرس وكان محبا لزينب وكان يكره أذى المؤمنين وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يطعم ومعه بعض اصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة وكانت معهم فكره صلى الله عليه وآله وسلم ذلك فنزلت آية الحجاب عن مجاهد ونزل قوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الى آخر الآية في رجل من الصحابة قال لئن قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأنكحن عائشة بنت ابي بكر عن ابن عباس قال مقاتل وهو طلحة بن عبيد الله وقيل ان رجلين قالا أينكح محمد نساءنا ولا ننكح نساءه والله لئن مات لنكحنا نساءه وكان أحدهما يريد عائشة والآخر يريد أم سلمة عن ابي حمزة الثمالي

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم يخيره في نسائه فقال (ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء) اي تؤخر وتبعد من تشاء من ازواجك وتضم اليك من تشاء منهن واختلف في معناه على اقوال احدها ان

المراد تقدم من تشاء من نسائك في الايواء اليك وهو الدعاء إلى الفراش وتؤخر من تشاء في ذلك وتدخل من تشاء منهن في القسم ولا تدخل من تشاء عن قتادة قال وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقسم بين ازواجه وأباح الله له ترك ذلك ﴿ وثانيها ﴾ ان المراد تعزل من تشاء منهن بغير طلاق وترد اليك من تشاء منهن بعد عزلك اياها بلا تجديد عقد عن مجاهد والجبائي وابي مسلم ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد تطلق من تشاء منهن وتمسك من تشاء عن ابن عباس ﴿ ورابعها ﴾ ان المراد تترك نكاح من تشاء من نساء امتك وتنكح منهن من تشاء عن الحسن قال وكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا خطب امرأة لم يكن لغيره أن يخطبها حتى يتزوجها أو يتركها ﴿ وخامسها ﴾ تقبل من تشاء من المؤمنات اللائي يهبن انفسهن لك فتؤويها اليك وتترك من تشاء منهن فلا تقبلها عن زيد ابن اسلم والطبري قال ابو جعفر وابو عبد الله (ع) من ارجى لم ينكح ومن اوى فقد نكح (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) اي إن اردت ان تؤوي اليك امرأة ممن عزلتهن عن ذلك وتضمها اليك فلا سبيل عليك بلوم ولا عتب ولا اثم عليك في ابتغائها اباح الله سبحانه له ترك القسم في النساء حتى يؤخر من يشاء عن وقت نوبتها ويطأ من يشاء في غير وقت نوبتها وله ان يعزل من يشاء وله ان يرد المعزولة ان شاء فضله الله تعالى بذلك على جميع الخلق (ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن) معناه انهن إذا علمن انه ردهن إلى فراشه بعد ما اعتزلهن قرت اعينهن ولم يحزن ويرضين بما يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم من التسوية والتفضيل لأنهن يعلمن انهن لم يطلقن عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه ذلك اطيب لنفوسهن واقل لحزنهن إذا علمن أن لك الرخصة بذلك من الله تعالى ويرضين بما يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم من التسوية والتفضيل عن قتادة وقرة العين عبارة عن السرور وقيل ذلك المعرفة منهن بأنك إذا عزلت واحدة كان لك أن تؤويها بعد ، ذلك ادنى بسرورهن وقرة اعينهن عن الجبائي وقيل معناه نزول الرخصة من الله تعالى اقر لأعينهن وادنى إلى رضاهن بذلك لعلمهن بما لهن في ذلك من الثواب في طاعة الله تعالى ولو كان ذلك من قبلك لحزنّ وحملن ذلك على ميلك إلى بعضهن (والله يعلم ما في قلوبكم) من الرضا والسخط والميل إلى بعض النساء دون بعض (وكان الله عليما) بمصالح عباده (حليما) في ترك معاجلتهم بالعقوبة (لا يحل لك النساء من بعد) اي من بعد النساء اللواتي احللناهن لك في قوله انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن الآية وهن ستة اجناس النساء اللاتي آتاهن اجورهن أي اعطاهن مهورهن وبنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته اللاتي هاجرن معه ومن وهبت نفسها له يجمع ما شاء من العدد ولا يحل له غيرهن من النساء عن ابي بن كعب وعكرمة والضحاك وقيل يريد المحرمات في سورة النساء عن ابي عبد الله (ع) وقيل معناه لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات (ولا ان تبدل بهن) ولا ان تبدل الكتابيات بالمسلمات لأنه لا ينبغي ان يكنّ امهات المؤمنين (إلا ما ملكت يمينك) من الكتابيات فأحل له ان يتسراهن عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل معناه لا يحل لك النساء من بعد نسائك اللاتي خيرتهن فاخترن الله ورسوله وهن التسع صرت مقصورا عليهن وممنوعا من غيرهن ومن ان تستبدل بهن غيرهن (ولو اعجبك حسنهن) اي وقع في قلبك حسنهن مكافأة لهن على اختيارهن الله ورسوله عن الحسن والشعبي وقيل ان التي اعجبه حسنها اسماء بنت عميس بعد قتل جعفر بن ابي طالب عنها وقيل انه منع من طلاق من اختارته من نسائه كما امر بطلاق من لم تختره فأما تحريم النكاح عليه فلا عن الضحاك وقيل ايضا إن هذه الآية منسوخة وابيح له بعدها تزويج ما شاء فروي عن عائشة انها قالت ما فارق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدنيا حتى حلل له ما أراد من النساء وقوله ولا ان تبدل بهن من ازواج فقيل ايضا في معناه أن العرب كانت تتبادل بأزواجهم فيعطي احدهم زوجته رجلا فيأخذ بها زوجة منه بدلا عنها فنهى عن ذلك وقيل في قوله ولو اعجبك حسنهن يعني إن اعجبك حسن ما حرم عليك من جملتهن ولم يحللن لك وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) (وكان الله على كل شيء رقيبا) اي عالما حافظا عن الحسن وقتادة (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين اناه) نهاهم سبحانه عن دخول

دار النبي ﷺ بغير اذن وهو قوله إلا ان يؤذن لكم اي في الدخول يعني إلا أن يدعوكم إلى طعام فادخلوا غير ناظرين اناه اي غير منتظرين ادراك الطعام فيطول مقامكم في منزله والمعنى لاتدخلوها بغير اذن وقيل نضج الطعام انتظارا لنضجه فيطول لبثكم ومقامكم (ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا) اي فإذا أكلتم الطعام فتفرقوا واخرجوا (ولا مستأنسين لحديث) اي ولا تدخلوا فتقعدوا بعد الأكل متحدثين يحدث بعضكم بعضا ليؤنسه ثم بين المعنى في ذلك فقال (إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم) اي طول مقامكم في منزل النبي ﷺ يؤذيه لضيق منزله فيمنعه الحياء أن يأمركم بالخروج من المنزل (والله لا يستحيي من الحق) اي لا يترك ابانة الحق فيأمركم بتعظيم رسوله وترك دخول بيته من غير اذن والامتناع عما يؤدي إلى اذاه وكراهيته قالت عائشة يحسب الثقلاء ان الله سبحانه لم يحتملهم فقال فإذا طعمتم فانتشروا وقال بعض العلماء هذا أدب أدب الله به الثقلاء (وإذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب) يعني فإذا سألتم ازواج النبي ﷺ شيئا تحتاجون اليه فاسألوهن من وراء الستر قال مقاتل امر الله المؤمنين ألا يكلموا نساء النبي ﷺ إلا من وراء حجاب وروى مجاهد عن عائشة قالت كنت آكل مع النبي ﷺ حيسا في قعب فمر بنا عمر فدعاه فأكل فأصابت اصبعه اصبعي فقال حس لو اطاع فيكن ما رأتكن عين فنزل الحجاب (ذلكم) اي سؤالكم اياهن المتاع من وراء حجاب (اطهر لقلوبكم وقلوبهن) من الريبة ومن خواطر الشيطان التي تدعو إلى ميل الرجال الى النساء والنساء إلى الرجال (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) اي ليس لكم ايذاء رسول الله ﷺ بمخالفة ماامر به في نسائه ولا في شيء من الأشياء (ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا) أي من بعد وفاته المعنى ولا يحل لكم ان تزوجوا واحدة من نسائه بعد مماته كما لا يحل لكم ان تؤذوه في حال حياته وقيل من بعده أي من بعد فراقه في حياته كما قال بئسما خلفتموني من بعدي (إن ذلكم كان عند الله عظيما) اي ايذاء الرسول بما ذكرنا كان ذنبا عظيم الموقع عند الله تعالى (إن تبدوا شيئا أو تخفوه) اي تظهروا شيئا او تضمروه مما نهيتم عنه من تزويجهن (فإن الله كان بكل شيء عليما) من الظواهر والسرائر وهذا تهديد وروي عن حذيفة انه قال لامرأته ان تريدي ان تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوجي بعدي فإن المرأة لآخر أزواجها فلذلك حرم الله تعالى على ازواج النبي ﷺ ان يتزوجن بعده وروي عن النبي سئل عن المرأة تكون لها زوجان فتموت فتدخل الجنة فلأيهما تكون قال لأحسنهما خلقا كان معها في الدنيا ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والابناء والأقارب يارسول الله ونحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فأنزل الله تعالى قوله (لاجناح عليهن في آبائهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء أخوانهن ولا ابناء اخواتهن) ان يروهن ولا يحتجبن عنهم (ولا نسائهن) قيل يريد نساء المؤمنين لا نساء اليهود ولا النصارى فيصفن نساء رسول الله لأزواجهن إن رأينهن عن ابن عباس وقيل يريد جميع النساء (ولا ما ملكت ايمانهن) يعني العبيد والإماء (واتقين الله) اي اتركن معاصيه وقيل اتقين عقاب الله من دخول الأجانب عليكن (إن الله كان على كل شيء شهيدا) اي حفيظا لا يغيب عنه شيء قال الشعبي وعكرمة وإنما لم يذكر العم والخال لئلا ينعتاهن لابنائهما

قوله تعالى (٥٦) إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا (٥٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا (٥٨) وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٥٩) يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ

ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٦٠) لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦١) مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا (٦٢) سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا سبع آيات

القراءة

في الشواذ قراءة الحسن فصلوا عليه

الحجة

إنما جاز دخول الفاء لما في الكلام من معنى الشرط وذلك ان الصلاة إنما وجبت عليه منا لأن الله قد صلى عليه وملائكته فجرى مجرى قول القائل قد أعطيتك فخذ أي إنما وجب عليك الأخذ من أجل العطية

اللغة

الجلباب خمار المرأة الذي يغطي رأسها ووجهها إذا خرجت لحاجة والارجاف اشاعة الباطل للاغتمام به وأصله الاضطراب ومنه يقال للبحر رجاف لاضطرابه فارجاف الناس بالشيء اضطرابهم بالخوض فيه ومنه ترجف الراجفة والاغراء الدعاء إلى تناول الشيء بالتحريض عليه يقال أغراه بالشيء اغراء فغري به اي أولع به

الإعراب

يدنين في موضع جزم بأنه جواب شرط مقدر وتقديره قل لأزواجك ادنين عليكن من جلابيبكن فإنك إن تقل ذلك يدنين. ملعونين نصب على الذم. أينما ثقفوا أخذوا شرط وجزاء وأين ظرف لثقفوا ومعمول له وإنما جاز ذلك لأن الجازم في الأصل ان المحذوفة فصار أينما بتضمنها فيغني عنها ويقوم مقامها ولا يجوز أن يعمل فيه أخذوا لأنه جواب الشرط ولا يعمل الجواب فيما قبل الشرط

المعنى

لما صدر سبحانه هذه السورة بذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقرر في اثناء السورة ذكر تعظيمه ختم ذلك بالتعظيم الذي ليس يقاربه تعظيم ولا يدانيه فقال (إن الله وملائكته يصلون على النبي) معناه إن الله يصلي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويثني عليه بالثناء الجميل ويبجله بأعظم التبجيل وملائكته يصلون عليه يثنون عليه بأحسن الثناء ويدعون له بأزكى الدعاء (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) قال أبو حمزة الثمالي حدثني السدي وحميد بن سعد الأنصاري ويزيد بن ابي زياد عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن كعب بن عجزة قال لما نزلت هذه الآية قلنا يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد عن عبد الله بن مسعود قال إذا صليتم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأحسنوا الصلاة عليه فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه قالوا فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الدين وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محموداً يغبطه به الأولون والآخرون اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد حدث عن ابي بصير قال سألت أباعبد الله (ع) عن هذه الآية فقلت كيف صلاة الله على رسوله فقال يا أبا محمد تزكيته له

في السماوات العلى فقلت قد عرفت صلواتنا عليه فكيف التسليم فقال هو التسليم له في الامور فعلى هذا يكون معنى قوله وسلموا تسليما انقادوا لأوامره وابذلوا الجهد في طاعته وفي جميع ما يأمركم به وقيل معناه سلموا عليه بالدعاء اي قولوا السلام عليك يارسول الله (الحديث) وحدث عن انس بن مالك عن ابي طلحة قال دخلت على النبي ﷺ فلم أره اشد استبشارا منه يومئذ ولا اطيب نفسا قلت يارسول الله ما رأيتك قط اطيب نفسا ولا اشد استبشارا منك اليوم فقال وما يمنعني وقد خرج آنفاً جبرائيل من عندي قال قال الله تعالى من صلى عليك صلاة صليت بها عليه عشر صلوات ومحوت عنه عشر سيئات وكتبت له عشر حسنات (إن الذين يؤذون الله ورسوله) قيل هم المنافقون والكافرون والذين وصفوا الله بما لا يليق به وكذبوا رسله وكذبوا عليه فعلى هذا يكون معنى يؤذون الله يخالفون أمره ويصفونه بما هو منزه عنه ويشبهونه بغيره فإن الله عز اسمه لا يلحقه اذى ولكن لما كانت مخالفة الأمر فيما بيننا تسمى ايذاء خوطبنا بما نتعارفه وقيل يؤذون الله يلحدون في اسمائه وصفاته وقيل معناه يؤذون رسول الله فقدم ذكر الله على وجه التعظيم إذ جعل اذى رسوله أذى له تشريفا له وتكريما فكأنه يقول لو جاز ان يناله اذى من شيء لكان ينالني من هذا واتصاله بما قبله انه كأنه يقول صلوا عليه ولا تؤذوا فإن من آذاه فهو كافر ثم اوعد عليه بقوله (لعنهم الله في الدنيا والآخرة) اي يبعدهم الله من رحمته ويحل بهم وبال نقمته بحرمان زيادات الهدى في الدنيا والخلود في النار في الآخرة (واعد لهم) في الآخرة (عذابا مهينا) اي مذلا لهم حدثنا السيد ابو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القاسم الحسكاني قال حدثنا ابو عبد الله الحافظ قال حدثنا احمد بن محمد بن ابي دارم الحافظ قال حدثنا علي بن احمد العجلي قال حدثنا عباد بن يعقوب قال حدثنا ارطاة بن حبيب قال حدثنا ابو خالد الواسطي وهو آخذ بشعره قال حدثني زيد بن علي بن الحسين «ع» وهو آخذ بشعره قال حدثني علي بن الحسين وهو آخذ بشعره قال حدثني الحسين بن علي بن ابي طالب «ع» وهو آخذ بشعره قال حدثني علي بن ابي طالب وهو آخذ بشعره قال حدثني رسول الله ﷺ وهو آخذ بشعره فقال من آذى شعرة منك فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فعليه لعنة الله (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) اي يؤذونهم من غير ان عملوا ما يوجب أذاهم (فقد احتملوا بهتانا) اي فقد فعلوا ما هو اعظم الاثم مع البهتان وهو الكذب على الغير يواجهه به فجعل ايذاء المؤمنين والمؤمنات مثل البهتان وقيل يعني بذلك أذية اللسان فيتحقق فيها البهتان (واثما مبينا) اي ومعصية ظاهرة قال قتادة والحسن اياكم واذى المؤمنين فإن الله تعالى يغضب له وقيل نزلت في قوم من الزناة كانوا يمشون في الطرقات ليلا فإذا رأوا امرأة غمزوها وكانوا يطلبون الإماء عن الضحاك والسدي والكلبي ثم خاطب النبي ﷺ فقال (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن) اي قل لهؤلاء فليسترن موضع الجيب بالجلباب وهو الملاءة التي تشتمل بها المرأة عن الحسن وقيل الجلباب مقنعة المرأة اي يغطين جباههن ورؤوسهن إذا خرجن لحاجة بخلاف الإماء اللاتي يخرجن مكشفات الرؤوس والجباه عن ابن عباس ومجاهد وقيل أراد بالجلابيب الثياب والقميص والخمار وما تستتر به المرأة عن الجبائي وابي مسلم (ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين) اي ذلك اقرب إلى ان يعرفن بزيهن انهن حرائر ولسن بإماء فلا يؤذيهن اهل الريبة فإنهم كانوا يمازحون الإماء وربما كان يتجاوز المنافقون إلى ممازحة الحرائر فإذا قيل لهم في ذلك قالوا حسبناهن اماء فقطع الله عذرهم وقيل معناه ذلك اقرب الى ان يعرفن بالستر والصلاح فلا يتعرض لهن لأن الفاسق اذا عرف امرأة بالستر والصلاح لم يتعرض لها عن الجبائي (وكان الله غفورا) اي ستاراً لذنوب عباده (رحيما) بهم ثم اوعد سبحانه هؤلاء الفساق فقال (لئن لم ينته المنافقون) اي لئن لم يمتنع المنافقون (والذين في قلوبهم مرض) اي فجور وضعف في الإيمان وهم الذين لا دين لهم عما ذكرناه من مراودة النساء وايذائهن (والمرجفون في المدينة) وهم المنافقون ايضا الذين كانوا يرجفون في المدينة بالاخبار الكاذبة المضعفة لقلوب المسلمين بأن يقولوا اجتمع المشركون في موضع

كذا قاصدين لحرب المسلمين ونحو ذلك ويقولوا لسرايا المسلمين انهم قتلوا وهزموا وفي الكلام حذف وتقديره لئن لم ينته هؤلاء عن اذى المسلمين وعن الارجاف بما يشغل قلوبهم (لنغرينك بهم) اي لنسلطنك عليهم يامحمد عن ابن عباس والمعنى أمرناك بقتلهم حتى تقتلهم وتخلي عنهم المدينة وقد حصل الإغراء بهم بقوله جاهد الكفار والمنافقين عن ابي مسلم وقيل لم يحصل الاغراء بهم لأنهم انتهوا عن الجبائي قال ولو حصل الإغراء لقتلوا وشردوا واخرجوا عن المدينة (ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا) اي ثم لا يساكنونك في المدينة الا يسيرا وهومابين الأمر بالقتل ومابين قتلهم (ملعونين) اي مطرودين منفيين عن المدينة مبعدين عن الرحمة وقيل ملعونين على السنة المؤمنين (اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا) اي اينما وجدوا وظفر بهم اخذوا وقتلوا ابلغ القتل (سنة الله في الذين خلوا من قبل) والسنة الطريقة في تدبير الحكم وسنة رسول الله ﷺ طريقته التي اجراها بأمر الله تعالى فأضيفت اليه ولا يقال سنته اذا فعلها مرة او مرتين لأن السنة الطريقة الجارية والمعنى سن الله في الذين ينافقون الأنبياء ويرجفون بهم ان يقتلوا حيثما ثقفوا عن الزجاج (ولن تجد لسنة الله تبديلا) اي تحويلا وتغييرا اي لا يتهيأ لأحد تغييرها ولا قلبها من جهتها لأنه سبحانه القادر الذي لا يتهيأ لأحد منعه مما أراد فعله

قوله تعالى (٦٣) يَسْئَلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ ٱللهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٤) إِنَّ ٱللهَ لَعَنَ ٱلْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٥) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٦) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا ٱللهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا (٦٧) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا (٦٨) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٩) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ ٱللهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ ٱللهِ وَجِيهًا سبع آيات

القراءة

قرأ ابن عامر ويعقوب وسهل ساداتنا بالألف وكسر التاء والباقون سادتنا بغير الف وقرأ عاصم كبيرا بالباء والباقون كثيرا بالثاء وفي الشواذ قراءة عيسى بن عمر يوم تقلب وجوههم وقراءة ابن مسعود والأعمش وكان عبداً لله وجيها

الحجة

قال ابو علي سادة فعلة مثل كتبة وفجرة قال

سليل قروم سادة مثل ذادة يذودون اهل الجمع يوم المحصب

ووجه الجمع بالالف والتاء انهم قد قالوا الطرقات والمعنات في المعن جمع معين قال الاعشى

جدك التالد الطريف من السا دات اهل القباب والآكال

قال ابو الحسن هي عربية والكبر مثل العظم والكثرة اشبه بالموضع لأنهم يلعنون مرة بعد مرة وقد جاء يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون فالكثرة اشبه بالمرار المتكررة من الكبر وقوله يوم تقلب وجوههم تقديره يوم تقلب السعير وجوههم نسب الفعل إلى النار لما كان التقليب فيها كما قال مكر الليل والنهار لوقوع المكر فيها وعليه قول رؤبة « فنام ليلي وتجلى همي » وقوله عبداً لله وجيها لا يفهم منه وجاهته عند الله فقراءة الناس المشهورة اقوى منه لإسناده وجاهته إلى الله سبحانه

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه (يسئلك) يا محمد (الناس عن الساعة) يعني القيامة (قل انما علمها عند الله) لا يعلمها غيره (وما يدريك) يا محمد اي اي شيء يعلمك من امر الساعة ومتى يكون قيامها اي انت لا تعرفه ثم قال (لعل الساعة تكون قريبا) اي قريبا مجيئها ويجوز ان يكون امره ان يجيب كل من يسأله عن الساعة بهذا فيقول لعل ما تستبطئه قريب وما تنكره كائن ويجوز ان يكون تسلية له صلى الله عليه وآله وسلم اي فاعلم انه قريب فلا يضيقن صدرك باستهزائهم باخفائها (إن الله لعن الكافرين واعد لهم سعيراً) اي نارا تستعر وتلتهب (خالدين فيها ابداً لا يجدون وليا ولا نصيراً) اي وليا ينصرهم ونصيرا يدفع عنهم (يوم تقلب وجوههم في النار) العامل في يوم تقلب قوله واعد لهم سعيراً والتقليب تصريف الشيء في الجهات ومعناه تقلب وجوه هؤلاء السائلين عن الساعة واشباههم من الكفار فتسود وتصفر وتصير كالحة بعد ان لم تكن وقيل معناه تنقل وجوههم من جهة إلى جهة في النار فيكون ابلغ فيما يصل اليها من العذاب (يقولون) متمنين متأسفين (يا ليتنا اطعنا الله) فيما امرنا به ونهانا عنه (واطعنا الرسولا) فيما دعانا اليه (وقالوا ربنا انا اطعنا) فيما فعلناه (سادتنا وكبرائنا) والسيد المالك المعظم الذي يملك تدبير السواد الأعظم وهو الجمع الاكثر قال مقاتل هم المطعمون في غزوة بدر وقال طاوس هم العلماء والوجه ان المراد جميع قادة الكفر وائمة الضلال (فأضلونا السبيلا) اي اضلنا هؤلاء عن سبيل الحق وطريق الرشاد (ربنا آتهم ضعفين من العذاب) بضلالهم في نفوسهم واضلالهم ايانا اي عذبهم مثلي ما تعذب غيرهم (والعنهم لعنا كبيرا) مرة بعد اخرى وزدهم غضبا إلى غضبك وسخطا إلى سخطك ثم خاطب سبحانه المظهرين للايمان فقال (يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) اي لا تؤذوا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم كما آذى بنو اسرائيل موسى فإن حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يعظم ويبجل لا ان يؤذى واختلفوا فيما أوذي به موسى على اقوال ﴿احدها﴾ ان موسى وهارون صعدا الجبل فمات هارون فقالت بنو اسرائيل انت قتلته فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرفوا انه قد مات وبرأه الله من ذلك عن علي (ع) وابن عباس واختاره الجبائي ﴿وثانيها﴾ ان موسى كان حييا ستيرا يغتسل وحده فقالوا ما يستتر منا إلا لعيب بجلده امابرص واما ادرة فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر فمر الحجر بثوبه فطلبه موسى فرآه بنو اسرائيل عريانا كأحسن الرجال خلقا فبرأه الله مما قالوا رواه ابو هريرة مرفوعا وقال قوم ان ذلك لا يجوز لأن فيه اشهار النبي وابداء سوأته على رؤوس الاشهاد وذلك ينفر عنه ﴿وثالثها﴾ ان قارون استأجر مومسة لتقذف موسى بنفسها على رأس الملأ فعصمه الله تعالى من ذلك على مامر ذكره عن ابي العالية ﴿ورابعها﴾ انهم آذوه من حيث انهم نسبوه إلى السحر والجنون والكذب بعد ما رأوا الآيات عن ابي مسلم (وكان عند الله وجيها) اي عظيم القدر رفيع المنزلة يقال وجه وجاهة فهو وجيه إذا كان ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان عند الله خطيرا لا يسأله شيئا إلا اعطاه

قوله تعالى (٧٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧١) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧٢) إِنَّا

عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (٧٣) لِيُعَذِّبَ اللهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا اربع آيات

المعنى

ثم أمر الله سبحانه أهل الإيمان والتوحيد بالتقوى والقول السديد فقال (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله) أي اتقوا عقاب الله باجتناب معاصيه وفعل واجباته (وقولوا قولا سديدا) أي صوابا بريئا من الفساد خالصا من شائبة الكذب واللغو موافق الظاهر للباطن وقال الحسن وعكرمة صادقا يعني كلمة التوحيد لا إله إلا الله وقال مقاتل هذا يتصل بالنهي عن الايذاء أي قولوا قولا صوابا ولا تنسبوا رسول الله ﷺ إلى ما لا يجمل ولا يليق به (يصلح لكم اعمالكم) معناه إن فعلتم ذلك يصلح لكم اعمالكم بأن يلطف لكم فيها حتى تستقيموا على الطريقة المستقيمة السليمة من الفساد ويوفقكم لما فيه الصلاح والرشاد وقيل معناه يزكي اعمالكم ويتقبل حسناتكم عن ابن عباس ومقاتل (ويغفر لكم ذنوبكم) باستقامتكم في الأقوال والأفعال (ومن يطع الله ورسوله) في الأوامر والنواهي (فقد فاز فوزاً عظيما) أي فقد أفلح افلاحا عظيما وقيل فقد ظفر برضوان الله وكرامته (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) اختلف في معنى الأمانة فقيل هي ما أمر الله به من طاعته ونهى عنه من معصيته عن ابي العالية وقيل هي الأحكام والفرائض التي أوجبها الله تعالى على العباد عن ابن عباس ومجاهد وهذان القولان متقاربان وقيل هي أمانات الناس والوفاء بالعهود فأولها ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده حين أراد التوجه إلى مكة عن أمر ربه فخان قابيل إذ قتل هابيل عن السدي والضحاك واختلف في معنى عرض الأمانة على هذه الأشياء وقيل فيه اقوال * احدها * ان المراد العرض على أهلها فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وعرضها عليهم هو تعريفه إياهم ان في تضييع الأمانة الإثم العظيم وكذلك في ترك أوامر الله تعالى واحكامه فبين سبحانه جرأة الإنسان على المعاصي واشفاق الملائكة من ذلك فيكون المعنى عرضنا الأمانة على أهل السماوات والأرض والجبال من الملائكة والجن والإنس (فأبين أن يحملنها) أي فأبى أهلهن أن يحملوا تركها وعقابها والمأثم فيها (وأشفقن منها) أي واشفق أهلهن من حملها (وحملها الإنسان إنه كان ظلوما) لنفسه بارتكاب المعاصي (جهولا) بموضع الأمانة في استحقاق العقاب على الخيانة فيها عن ابي علي الجبائي وقال إذا لم يصح حمله على نفس السماوات والأرض والجبال فلا بد أن يكون المراد به أهلها لأنه يجب أن يكون المراد به المكلفين دون غيرهم لأن ذلك لا يصح إلا فيهم ولا بد من أن يكون المراد بحمل الأمانة تضييعها لأن نفس الأمانة قد حملتها الملائكة وقامت بها قال الزجاج كل من خان الأمانة فقد حملها ومن لم يحمل الأمانة فقد أداها وكذلك كل من أثم فقد احتمل الإثم قال الله سبحانه وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم فقد أعلم الله سبحانه انَّ من باء بالإثم يسمى حاملا للإثم وهو قول الحسن لأنه قال الكافر والمنافق حملا الأمانة أي خانا ولم يطيعا وأنشد بعضهم في حمل الأمانة بمعنى الخيانة قول الشاعر

إذا أنت لم تبرح تؤدي أمانة ... وتحمل أخرى أفرحتك الودائع

وأقول ان الظاهر لا يدل على ذلك لأنه يجوز أن يكون المراد بالحمل هنا قبول الأمانة لأن الشاعر جعله في مقابلة الاداء فكأنه قال إذا كنت لا تزال تقبل أمانة وتؤدي أخرى شغلت نفسك بقبول الودايع وادائها فأثقلتك ❊ وثانيها ❊ ان معنى عرضنا عارضنا وقابلنا فإن عرض الشيء على الشيء ومعارضته به سواء والأمانة ما عهد الله سبحانه إلى عباده من امره ونهيه وأنزل فيه الكتب وأرسل الرسل وأخذ عليه الميثاق والمعنى ان هذه الأمانة في جلالة موقعها وعظم شأنها لو قيست بالسموات والأرض والجبال وعورضت بها لكانت هذه الأمانة أرجح وأثقل وزنا ومعنى قوله فأبين أن يحملنها ضعفن عن حملها كذلك وأشفقن منها لأن الشفقة ضعف القلب ولذلك صار كناية عن الخوف الذي يضعف عنده القلب ثم قال ان هذه الأمانة التي من صفتها انها اعظم من هذه الأشياء العظيمة تقلدها الإنسان فلم يحفظها بل حملها وضيعها لظلمه على نفسه وجهله بمبلغ الثواب والعقاب عن ابي مسلم ❊ وثالثها ❊ انه على وجه التقدير إلا انه اجري عليه لفظ الواقع لأن الواقع أبلغ من المقدر . معناه لو كانت السموات والأرض والجبال عاقلة ثم عرضت عليها الأمانة وهي وظائف الدين أصولا وفروعا وما ذكرناه من الأقاويل فيها بما فيها من الوعد والوعيد عرض تخيير لاستثقلت ذلك مع كبر أجسامها وشدتها وقوتها ولامتنعت من حملها خوفا من القصور عن اداء حقها ثم حملها الإنسان مع ضعف جسمه ولم يخف الوعيد لظلمه وجهله وعلى هذا يحمل ما روي عن ابن عباس انها عرضت على نفس السموات والأرض فامتنعت من حملها ❊ ورابعها ❊ ان معنى العرض والإباء ليس هو ما يفهم بظاهر الكلام بل المراد تعظيم شأن الأمانة لا مخاطبة الجماد والعرب تقول سألت الربع وخاطبت الدار فامتنعت عن الجواب وانما هو اخبار عن الحال عبر عنه بذكر الجواب والسؤال وتقول أتى فلان بكذب لا تحمله الجبال وقال سبحانه فقال لها وللأرض ائتيا طوعا او كرها قالتا أتينا طائعين وخطاب من لا يفهم لا يصح وقال الشاعر

فأجهشت للبوباة حين رأيته ... وكبر للرحمن حين رآني
فقلت له اين الذين عهدتهم ... بجنبك في خفض وطول زمان
فقال مضوا واستودعوني بلادهم ... ومن ذا الذي يبقى على الحدثان

وقال آخر

فقال لي البحر إذ جئته ... وكيف يجيب ضرير ضريرا

فالأمانة على هذا ما اودع الله السماوات والأرض والجبال من الدلائل على وحدانيته وربوبيته فأظهرتها والإنسان الكافر كتمها وجحدها لظلمه وجهله وبالله التوفيق ولم يرد بقوله الإنسان جميع الناس بل هو مثل قوله ان الإنسان لفي خسر وان الانسان لربه لكنود وأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه والانبياء والأولياء والمؤمنون عن عموم هذه الآية خارجون ولا يجوز ان يكون الإنسان محمولا على آدم (ع) لقوله ان الله اصطفى آدم وكيف يكون من اصطفاه الله من بين خلقه موصوفا بالظلم والجهل ثم بين سبحانه الغرض الصحيح والحكمة البالغة في عرضه هذه الأمانة فقال (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) يعني بتضييع الأمانة قال الحسن هما اللذان حملاها ظلما وجهلا (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) بحفظهم

الأمانة ووفائهم وهذا هو الغرض بالتكليف عند من عرف المكلف والمكلف فالمعنى انا عرضنا ذلك ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم الله ويظهر ايمان المؤمن فيتوب الله عليه إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات (وكان الله غفورا) أي ستارا لذنوب المؤمنين (رحيما) بهم

سورة سبأ (مكية)

﴿ عدد آيها ﴾

خمس وخمسون آية شامي اربع في الباقون

﴿ اختلافها ﴾

آية عن يمين وشمال

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال من قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول إلا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا وروى ابن اذينة عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ الحمدين جميعا سبأ وفاطر في ليلة لم يزل ليلته في حفظ الله تعالى وكلائه فإن قرأهما في نهاره لم يصبه في نهاره مكروه واعطي من خير الدنيا وخير الآخرة ما لم يخطر على قلبه ولم يبلغ مناه

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة الأحزاب ببيان الغرض في التكليف وانه سبحانه يجزي المحسن باحسانه والمسيء باساءته افتتح هذه السورة بالحمد له على نعمته وكمال قدرته فقال

بِسْمِ اللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي لَهُ مَا فِي ٱلسَّمٰوٰاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلْآخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ (٢) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ (٣) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمٰوٰاتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٤) لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ أُولٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥) وَٱلَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٍ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة والشام عالم الغيب بالرفع وقرأ حمزة والكسائي علام الغيب بالجر واللام قبل الالف

والباقون عالم الغيب بالجر وقرأ ابن كثير وحفص ويعقوب من رجز اليم هنا وفي الجاثية أيضاً بالرفع والباقون بالجر

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الجر على قوله الحمد لله عالم الغيب وقال غيره عالم الغيب بالجر صفة لقوله وربي او بدل منه فأما الرفع فيجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره هو عالم الغيب وان يكون ابتداء وخبره لا يعزب وعلام أبلغ من عالم والرجز العذاب بدلالة قوله لئن كشفت عنا الرجز وانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء فإذا كان العذاب يوصف باليم كما انه نفس العذاب جاز ان يوصف به والجر في اليم ابين لأنه إذا كان عذاب من عذاب اليم كان العذاب الاول اليما وإذا جرى الاليم على العذاب كان المعنى عذاب اليم من عذاب والأول اكثر فائدة

﴿ اللغة ﴾

الحمد هو الوصف بالجميل على جهة التعظيم ونقيضه الذم وهو الوصف بالقبيح على جهة التحقير ثم ينقسم فمنه ما هو أعلى ومنه ما هو ادنى والأعلى ما يقع على وجه العبادة ولا يستحقها إلا الله سبحانه لأن احسان الله عز اسمه لا يوازيه احسان احد من المخلوقين ويستحق الحمد على الإحسان والانعام فلا يستحق احد من المخلوقين مثل ما يستحقه سبحانه والولوج الدخول والعروج الصعود والمعارج الدرج من هذا وعزب عنه يعزب ويعزب إذا بعد وفي الحديث من قرأ القرآن في اربعين ليلة فقد عزب اي بعد عهده بما ابتدأ منه وابطأ في تلاوته

(الإعراب)

ليجزي الذين آمنوا يتعلق بقوله لا يعزب

﴿ المعنى ﴾

(الحمد لله) معناه قولوا الحمد لله وهو تعريف لوجوب الشكر على نعم الله سبحانه وتعليم لكيفية الشكر (الذي له ما في السموات وما في الأرض) اي الذي يملك التصرف في جميع ما في السموات وجميع ما في الارض ليس لأحد الاعتراض عليه ولا منعه (وله الحمد في الآخرة) أي هو المستحق للحمد على افعاله الحسنى في الدارين لكونه منعما فيهما والآخرة وإن كانت ليست بدار تكليف فلا يسقط فيها الحمد والاعتراف بنعم الله تعالى بل العباد ملجأون إلى ذلك لمعرفتهم الضروري بنعم الله عليهم من الثواب والعوض وضروب التفضل ومن حمد اهل الجنة قولهم الحمد لله الذي هدانا لهذا والحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل انما يحمده اهل الجنة لا على جهة التعبد لكن على جهة السرور والتلذذ بالحمد ولا يكون بالحمد عليهم فيه تعب ولا مشقة وقيل يحمده اهل الجنة على نعمه وفضله ويحمده اهل النار على عدله (وهو الحكيم) في جميع افعاله لأنها كلها واقعة على وجه الحكمة (الخبير) بجميع المعلومات (يعلم ما يلج في الأرض) اي ما يدخل فيها من مطر او كنز أو ميت (وما يخرج منها) من زرع ونبات او جواهر أو حيوان (وما ينزل من السماء) من مطر او رزق او ملك (وما يعرج) اي يصعد (فيها) من الملائكة واعمال العباد فهو يجري جميع ذلك على تقدير تقتضيه الحكمة وتدبير توجبه المصلحة (وهو الرحيم) بعباده مع علمه بما يعملون من المعاصي فلا يعاجلهم بالعقوبة

ويمهلهم للتوبة (الغفور) اي الساتر عليهم ذنوبهم في الدنيا المتجاوز عنها في العقبى كما قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (وقال الذين كفروا) يعني منكري البعث والنشور (لا تأتينا الساعة) يعني القيامة (قل) لهم يا محمد (بلى وربي) اي وحق الله ربي الذي خلقني واوجدني (لتأتينكم) القيامة (عالم الغيب) يعلم كل شيء يغيب عن العباد علمه (لا يعزب عنه) أي لا يفوته (مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) بل هو عالم بجميع ذلك (ولا أصغر من ذلك ولا اكبر إلا في كتاب مبين) يعني اللوح المحفوظ وقد مضى هذا مفسرا في سورة يونس كذب الله سبحانه في هذه الآية الكفار الجاحدة للبعث وبين ان القيامة آتية كائنة لا محالة وأمر رسوله ﷺ بأن يحلف على ذلك تأكيدا له ثم مدح نفسه بأنه يعلم ما غاب عن العباد علمه مما هو كائن او سيكون ولم يوجد بعد ثم قال (ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي انما أثبت ذلك في الكتاب المبين ليكافئهم بما يستحقونه من الثواب على صالح أعمالهم (أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم وسترلها (ولهم) مع ذلك (رزق كريم) أي هنيء لا تنغيص فيه ولا تكدير وقيل هو الجنة عن قتادة (والذين سعوا في آياتنا معاجزين) أي والذين عملوا بجهدهم وجدهم في ابطال حججنا وفي تزهيد الناس عن قبولها مقدرين اعجاز ربهم وظانين انهم يفوتونه وقيل معاجزين مسابقين ومعجزين مثبطين وقد مضى تفسير هذه الآية في سورة الحج (أولئك لهم عذاب من رجز) اي سيء العذاب عن قتادة (اليم) أي مؤلم

النظم

وجه اتصال قوله عالم الغيب بما قبله انه سبحانه لما حكى عن المشركين ما يضاد الاقرار له بالربوبية والاعتراف بالنعمة من انكار القيامة ذكر بعده ان من يعلم أفعال العباد وما يستحقونه من الجزاء او لم يجعل دارا أخرى يجازي فيها المحسن على احسانه والمسيء على اساءته وينتصف للمظلوم من الظالم كان ذلك خروجا عن موجب الحكمة

قوله تعالى (٦) وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ (٧) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٨) أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِ جِنَّةٌ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ (٩) أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ اربع آيات

القراءة

قرأ حمزة والكسائي وخلف ان يشأ يخسف بهم الأرض أو يسقط بالياء في الجميع والباقون كل ذلك بالنون وادغم الكسائي وحده الفاء في الباء في يخسف بهم

الحجة

قال ابو علي حجة النون قوله ولقد آتينا داود فالنون أشبه بآتينا وحجة الياء قوله افترى على الله كذبا

فحمل على اسم الله تعالى قال وادغام الفاء في الباء لا يجوز لأن الفاء من باطن الشفة السفلى واطراف الثنايا العليا وانحدر الصوت به إلى الفم حتى اتصل بمخرج الثاء حتى جاء مثل الجدث والجدف والمغاثير والمغافير فتعاقبا للمقاربة بينهما فلما اتصلت بمخرج الثاء صارت بمنزلة حرف من تلك الحروف فلم يجز ادغامها في الباء لأنه إذا اتصل بما ذكرنا صار كحرف من ذلك الموضع فكما ان ذلك الحرف الذي اتصل بالفاء لا يدغم في الباء كذلك الفاء لا يدغم في الباء و كذلك لا يجوز ان يدغم الفاء في الباء لزيادة صوتها المتصل بحرف من حروف الفم

❋ الاعراب ❋

ويرى يحتمل ان يكون منصوبا عطفا على ليجزي ويحتمل ان يكون مرفوعا على الاستئناف والذي انزل اليك في موضع نصب لأنه مفعول يرى وهو فصل والحق مفعول ثان ايرى وقوله إذا مزقتم قال الزجاج إذا في موضع نصب بمزقتم ولا يجوز ان يعمل فيها جديد لأن ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها والتأويل هل ندلكم على رجـل يقول لكم إذا مزقتم تبعثون ويكون إذا بمنزلة ان الجزاء يعمل فيها الذي يليها قال قيس ابن الخطيم

إذا قصرت اسيافنا كان وصلها   خطانا إلى اعدائنا فنضارب

والمعنى يكن وصلها والدليل عليه جزم فنضارب ويجوز ان يكون العامل في إذا مضمراً يدل عليه انكم لفي خلق جديد ويكون المعنى هل ندلكم على رجل يقول لكم إذا مزقتم بعثتم قال ابو علي ان جعل موضع إذا نصبا بمزقتم لزم ان يحكم على موضعه بالجزم لأن إذا هذه لا يجوز ان ينتصب به حتى يقدر جزم الفعل الذي هو الشرط بها والجزم بها لا يسوغ ان يحمل عليه الكتاب لأن ذلك إنما يكون في ضرورة الشعر فإن حمل موضع إذا على انه نصب والفعل غير مقـدر في موضعه الجزم لم يجز لأنه إذا لم يجاز بها اضيفت إلى الفعل والمضاف اليه لا يعمل في المضاف ولا فيما قبله وموضع الفعل الواقع بعد إذا خفض فلما لم يجز زيدا غلام ضارب عندك تريد غلام ضارب زيدا عندك فكذلك لا يجوز ان يكون موضع إذا نصبا بمزقتم فالتقدير ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق بعثتم او نشرتم او ما اشبه ذلك من الأفعال التي يكون قوله انكم لفي خلق جديد دالا عليه ومفسرا له وان قدر هذا الفعل قبل إذا كان سائغا فيكون التقدير ينبئكم فيقول لكم تبعثون إذا مزقتم كل ممزق ويكون جواب إذا على هذا التقدير مضمرا كأنه تبعثون إذا مزقتـم كل ممزق بعثتم فيستغنى إذا عن اظهار الجواب إذا تقدمها ما يدل عليـه نحو انت ظالم ان فعلت وكذلك يحذف الشرط لدلالة الجزاء عليه إذا وقع بعد كلام غير واجب نحو الأمر والاستفهام وما اشبه ذلك فافهم ذلك فإنـه فصل جليل الموقع في النحو استخرجته من كلام ابي علي. افتـرى اصله أافترى دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فأسقطتها

=[المعنى]=

ثم ذكر سبحانه المؤمنين واعترافهم بما جحده من تقدم ذكرهم من الكافرين فقال (ويرى الذين اوتوا العلم) اي ويعلم الذين اعطوا المعرفة بوحدانية الله تعالى وهم اصحاب محمد ﷺ عن قتادة وقيل هم المؤمنون من اهل الكتاب عن الضحاك وقيل هم كل من اوتي العلم بالدين وهذا اولى لعمومه (الذي انزل اليك من

ربك) يعني القرآن (هو الحق) اي يعلمونه الحق لأنهم يتدبرونه ويتفكرون فيه فيعلمون بالنظر والاستدلال انه ليس من قبل البشر فهؤلاء لطف الله سبحانه لهم بما اداهم إلى العلم فكأنه سبحانه قد اتاهم العلم وقوله (ويهدي) اي ويعلمون انه يهدي الى القرآن ويرشد (إلى صراط العزيز الحميد) اي دين القادر الذي لا يغالب المحمود على جميع افعاله وهو الله تعالى وفي هذه الآية دلالة على فضيلة العلم وشرف العلماء وعظم اقدارهم ثم عاد سبحانه إلى الحكاية عن الكفار فقال (وقال الذين كفروا) اي بعضهم لبعض اوالقادة للأتباع على وجه الاستبعاد والتعجب (هل ندلكم على رجل) يعنون محمدا صلى الله عليه وآله وسلم (ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد) أي يزعم انكم تبعثون بعد ان تكونوا عظاما ورفاتا وترابا وهو قوله إذا مزقتم كل ممزق أي فرقتم كل تفريق وقطعتم كل تقطيع وأكلتكم الأرض والسباع والطيور والجديد المستأنف المعاد والمعنى انكم يجدد خلقكم بأن تنشروا وتبعثوا (افترى على الله كذبا) معناه هل كذب على الله متعمدا حين زعم انا نبعث بعد الموت وهو استفهام تعجب وانكار (أم به جنة) أي جنون فهو يتكلم بما لا يعلم ثم رد سبحانه عليهم قولهم فقال (بل) ليس الأمر على ما قالوا من الافتراء والجنون (الذين لا يؤمنون بالآخرة) اي هؤلاء الذين لا يصدقون بالبعث والجزاء والثواب والعقاب (في العذاب)في الآخرة(والضلال البعيد) من الحق في الدنيا ثم وعظهم سبحانه ليعتبروا فقال (أفلم يروا) أي أفلم ينظر هؤلاء الكفار(إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) كيف احاطت بهم وذلك ان الإنسان حيث ما نظر رأى السماء والأرض قدامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يقدر على الخروج منها وقيل معناه أفلم يتدبروا ويتفكروا في السماء والأرض فيستدلوا بذلك على قدرة الله تعالى ثم ذكر سبحانه قدرته على اهلاكهم فقال(ان نشأ نخسف بهم الأرض) كما خسفنا بقارون (او نسقط عليهم كسفا من السماء) اي قطعة من السماء تغطيهم وتهلكهم (ان في ذلك لآية) معناه ان فيما ترون من السماء والأرض لدلالة على قدرة الله على البعث وعلى ما يشاء من الخسف بهم (لكل عبد منيب) أناب إلى الله ورجع إلى طاعته أفلا يرتدع هؤلاء عن التكذيب بآيات الله والانكار لقدرته على البعث

قوله تعالى (١٠) وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١١) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٢) وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٣) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٤) فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب وعبيد بن عمير والاعرج والطير بالرفع وقرأ سائر القراء والطير بالنصب وقرأ ابوبكر ولسليمان

الريح بالرفع والباقون بالنصب وقرأ ابن كثير وابو عمرو كالجوابي بالياء في الوصل إلا ابن كثير وقف بياء وابو عمرو بغير ياء والباقون بغير ياء في الوصل والوقف وقرأ أهل المدينة وابو عمرو وابن فليح وزيد عن يعقوب منساته بغير همز وقرأ ابن عامر منسأته بهمزة ساكنة والباقون بهمزة مفتوحة وقرأ يعقوب تبينت الجن بضم التاء والباء وكسر الياء والباقون تبينت بفتح الجميع وفي الشواذ قراءة ابن عباس والضحاك تبينت الانس وهو قراءة علي بن الحسين زين العابدين «ع» وابي عبد الله «ع»

❋ الحجة ❋

قال الزجاج اما الرفع في والطير ففيه وجهان ❋ احدهما ❋ ان يكون نسقا على الياء في اوبي المعنى يا جبال رجعي التسبيح انت معه والطير ❋ والآخر ❋ ان يكون معطوفا على لفظ جبال التقدير يا جبال والطير واما النصب ففيه ثلاثة اوجه ❋ احدها ❋ ان يكون عطفا على فضلا أي آتينا داود منا فضلا والطير بمعنى وسخرنا له الطير حكى ذلك ابو عبيدة عن ابي عمرو بن العلاء ❋ والثاني ❋ ان يكون نصبا على النداء ويكون معطوفا على محل جبال كأنه قال ادعو الجبال والطير ❋ والثالث ❋ ان يكون منصوبا على معنى مع والمعنى اوبي معه ومع الطير قال ابو علي من قرأ ولسليمان الريح بالنصب حمله على التسخير في قوله فسخرنا له الريح تجري بأمره ويقوي ذلك قوله ولسليمان الريح عاصفة ووجه الرفع ان الريح إذا سخرت لسليمان جاز أن يقال له الريح على معنى له تسخير الريح فالرفع على هذا يؤول إلى معنى النصب لأن المصدر المقدر في تقدير الاضافة إلى المفعول به قال والقياس في الجوابي ان يثبت الياء مع الالف واللام وانما وقف ابو عمرو بغير ياء لأنه فاصلة اي مشبه بها من حيث تم الكلام ومن حذف الياء في الوصل والوقف فلأن هذا النحو قد يحذف كثيرا والقياس في همزة منسأته إذا خففت الهمزة منها أن تجعل بين بين إلا انهم خففوا همزتها على غير القياس قال الشاعر انشده ابو الحسن

إذا دببت على المنساة من هرم ... فقد تباعد عنك اللهو والغزل

واما قوله تبينت الانس فمعناه تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب وهكذا هو في مصحف عبد الله ويؤول إلى هذا المعنى قراءة يعقوب تبينت الجن

❋ اللغة ❋

التأويب الترجيع بالتسبيح قال سلامة بن جندل

يومان يوم مقامات واندية ... ويوم سير إلى الاعداء تأويب

اي رجوع بعد رجوع والسابغ التام من اللباس وسرد الحديد نظمه قال الشاعر

على ابن ابي العاصي دلاص حصينة ... أجاد المسدي سردها وأذالها

وقال ابو ذؤيب

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود أو صنع السوابغ تبع

وهو مأخوذ من سرد الكلام يسرد سردا إذا تابع بين بعض حروفه وبعض قال المبرد لا يسمى محرابا إلا ما يرتقى اليه بدرج قال عدي بن زيد

كدمى العاج في المحاريب او كالبيـ ... ـض في الروض زهره مستنير

وقال وضاح اليمن

ربة محراب إذا جئتها لم القها أو أرتقي سلما

والتماثيل صور الأشياء واحدها تمثال واصلها من المثول وهو القيام كأنه نصب قائما ومنه الحديث من سره ان يمثل له الناس فليتبوء مقعده من النار والجوابي جمع جابية وهي الحوض العظيم يجبى فيه الماء قال الاعشى

تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق

والمنسأة العصا الكبيرة التي يسوق بها الراعي غنمه مفعلة من نسأت الناقة والبعير إذا زجرته

﴿ الاعراب ﴾

ان اعمل سابغات ان هاهنا في تأويل التفسير والقول وهي تدعى المفسرة بمعنى اي كأنه قيل وألنا له الحديد أي اعمل سابغات والتقدير قلنا له اعمل ويكون في معنى لأن يعمل وانما تصل ان هذه بلفظ الأمر ومثله في الكلام ارسل اليه ان قم إلى فلان وقدر مفعوله محذوف أي قدر الحلق والمسامير وقوله غدوها شهر ورواحها شهر في موضع نصب على الحال والتقدير غدوها مسيرة شهر ورواحها كذلك فحذف المضاف والعامل في الحال معنى التسخير في قوله ولسليمان الريح ومن يعمل في موضع نصب على تقدير وسخرنا من الجن من يعمل . شكرا يجوز ان يكون مفعول اعملوا على تقدير اشكروا شكرا كما تقول احمد الله شكرا فيكون مفعولا مطلقا وهو المصدر ويجوز ان يكون مفعولا له ومفعول اعمل محذوف وتقديره اعملوا الطاعة شكرا وقوله ان لو كانوا يعلمون الغيب ان هذه مخففة من الثقيلة على تقدير انهم لو كانوا يعلمون الغيب قال ابو علي والتقدير فلما خر تبين امر الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب فحذف المضاف فان لو كانوا بدل من الجن ولفظ تبين هنا لازم غير متعد مثله في قوله وتبين لكم كيف فعلنا بهم وقوله فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شيء قدير والمعنى فلما خر انكشف للانس امر الجن من جهلهم بالغيب وذلك لأن الجن ما ادعوا علم الغيب وانما اعتقد الأنس فيهم انهم يعلمون الغيب فأبطل الله عقيدتهم فيهم بموت سليمان

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر عباد الله المنيبين اليه وصله سبحانه بذكر داود وسليمان فقال (ولقد آتينا داود منا فضلا) معناه ولقد اعطينا داود من عندنا نعمة واحسانا اي فضلناه على غيره بما اعطيناه من النبوة والكتاب وفصل الخطاب والمعجزات ثم فصل سبحانه ما اعطاه فقال (يا جبال اوبي معه والطير) أي قلنا للجبال يا جبال سبحي معه إذا سبح عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد قالوا امر الله الجبال ان تسبح معه إذا سبح فسبحت معه وتاويله عند أهل اللغة رجعي معه التسبيح من آب يؤوب ويجوز ان يكون سبحانه فعل في الجبال ما يأتي به منها التسبيح معجزا له واما الطير فيجوز ان يسبح ويحصل له من التمييز ما يتأتى منه ذلك بأن يزيد الله في فطنته فيفهم ذلك وقيل معناه سيري معه فكانت الجبال والطير تسير معه اينما سار وكان ذلك معجزا له عن الجبائي والتأويب السير بالنهار وقيل معناه ارجعي إلى مراد داود فيما يريده من حفر بئر واستنباط عين واستخراج معدن ووضع طريق (وألنا له الحديد) فصار في يده كالشمع يعمل به ما شاء من غير ان يدخله النار ولا ان يضربه بالمطرقة عن قتادة (ان اعمل سابغات) أي قلنا له اعمل من الحديد دروعا تامات وانما ألان الله تعالى الحديد لداود لأنه احب أن يأكل من كسب يده فألان الحديد له وعلمه صنعة الدرع وكان اول من اتخذها وكان يبيعها ويأكل من ثمنها ويطعم عياله ويتصدق منه وروي عن الصادق «ع» قال ان الله أوحى إلى داود «ع» نعم العبد أنت إلا انك تأكل من بيت المال فبكى داود اربعين صباحا فألان الله له الحديد وكان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بألف درهم فعمل ثلاثمائة وستين درعا فباعها بثلاثمائة وستين الفا فاستغنى عن بيت المال (وقدر في السرد) اي عدل في نسج الدروع ومنه قيل لصانعها سراد وزراد والمعنى لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتكسر الحلق وقيل السرد المسامير

التي في حلق الدروع عن قتادة حكي ان لقمان حضر داود عند اول درع عملها فجعل يتفكر فيها ولا يدري ما يريد ولم يسأله حتى فرغ منها ثم قام فلبسها وقال نعم جنة الحرب هذه فقال لقمان عند ذلك الصمت حكمة وقليل فاعله (واعملوا صالحا) أي وقلنا اعمل انت وأهلك الصالحات وهي الطاعات شكرا لله سبحانه على عظيم نعمه (إني بما تعملون بصير) أي أنا عالم بما تفعلونه لا يخفى علي شيء من اعمالكم ثم ذكر سبحانه سليمان وما اتاه من الفضل والكرامة فقال (ولسليمان الريح) اي وسخرنا لسليمان الريح (غدوها شهر ورواحها شهر) أي مسير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسير رواح تلك الريح مسيرة شهر والمعنى انها كانت تسير في اليوم مسيرة شهرين للراكب قال قتادة كان يغدو مسيرة شهر إلى نصف النهار ويروح مسيرة شهر إلى آخر النهار وقال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر من ارض اصفهان وبينهما مسيرة شهر للمسرع ويروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر تحمله الريح مع جنوده اعطاه الله الريح بدلا من الصافنات الجياد (واسلنا له عين القطر) اي أذبنا له عين النحاس واظهرناها له قالوا أجريت له عين الصفر ثلاثة ايام بلياليهن جعلها الله له كالماء وانما يعمل الناس بما اعطي سليمان منه (ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه) المعنى وسخرنا له من الجن من يعمل له بحضرته وأمام عينه ما يأمرهم به من الاعمال كما يعمل الآدمي بين يدي الآدمي بأمر ربه تعالى وكان يكلفهم الاعمال الشاقة مثل عمل الطين وغيره وقال ابن عباس سخرهم الله لسليمان وامرهم بطاعته فيما يأمرهم به وفي هذا دلالة على انه قد كان من الجن من هو غير مسخر له (ومن يزغ منهم عن امرنا نذقه من عذاب السعير) المعنى ومن يعدل من هؤلاء الجن الذين سخرناهم لسليمان عما امرناهم به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير اي عذاب النار في الآخرة عن اكثر المفسرين وفي هذا دلالة على انهم قد كانوا مكلفين وقيل معناه نذيقه العذاب في الدنيا وان الله سبحانه وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه ضربة احرقته (يعملون له ما يشاء من محاريب) وهي بيوت الشريعة وقيل هي القصور والمساجد يتعبد فيها عن قتادة والجبائي قال وكان مما عملوه بيت المقدس وقد كان الله عز وجل سلط على بني اسرائيل الطاعون فهلك خلق كثير في يوم واحد فأمرهم داود ان يغتسلوا ويبرزوا إلى الصعيد بالذراري والاهلين ويتضرعون إلى الله لعله يرحمهم وذلك صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد وارتفع داود فوق الصخرة فخر ساجدا يبتهل إلى الله سبحانه وسجدوا معه فلم يرفعوا رؤوسهم حتى كشف الله عنهم الطاعون فلما ان شفّع الله داود في بني اسرائيل جمعهم داود بعد ثلاث وقال لهم ان الله تعالى قد منّ عليكم ورحمكم فجددوا له شكرا بأن تتخذوا من هذا الصعيد الذي رحمكم فيه مسجدا ففعلوا واخذوا في بناء بيت المقدس وكان داود ينقل الحجارة لهم على عاتقه وكذلك خيار بني اسرائيل حتى رفعوه قامة ولداود يومئذ سبع وعشرون ومائة سنة فأوحى الله إلى داود ان تمام بنائه يكون على يدي ابنه سليمان فلما صار داود ابن اربعين ومائة سنة توفاه الله واستخلف سليمان فأحب اتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال يخص كل طائفة منهم بعمل فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمهاء الأبيض الصافي من معادنه وأمر ببناء المدينة من الرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ربضا وأنزل كل ربض منها سبطا من الاسباط ولما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فرقة يستخرجون الذهب واليواقيت من معادنها وفرقة يقلعون الجواهر والاحجار من اماكنها وفرقة يأتون بالمسك والعنبر وسائر الطيب وفرقة يأتون بالدر من البحار فأوتي من ذلك بشيء لا يحصيه إلا الله تعالى ثم احضر الصناع وامرهم بنحت تلك الاحجار حتى صيروها الواحا ومعالجة تلك الجواهر واللآلئ قال وبنى سليمان المسجد بالرخام الأبيض والاصفر والاخضر وعمده بأساطين المها الصافي وسقفه بألواح الجواهر وفضض سقوفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت والجواهر وبسط ارضه بألواح الفيروزج فلم يكن في الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد كان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة

البدر فلما فرغ منه جمع اليه احبار بني اسرائيل فأعلمهم انه بناه لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيدا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزا بخت نصر بني اسرائيل فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد واخذ ما في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر واليواقيت والجواهر فحملها إلى دار مملكته من أرض العراق قال سعيد بن المسيب لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس تغلقت ابوابه فعالجها سليمان فلم تنفتح حتى قال في دعائه بصلوات ابي داود الا فتحت الابواب ففتحت ففرغ له سليمان عشرة آلاف من قراء بني اسرائيل خمسة آلاف بالليل وخمسة آلاف بالنهار فلا تأتي ساعة من ليل ولا نهار الا ويعبد الله فيها (وتماثيل) يعني صورا من نحاس وشبه وزجاج ورخام كانت الجن تعملها ثم اختلفوا فقال بعضهم كانت صور للحيوانات وقال آخرون كانوا يعملون صور السباع والبهائم على كرسيه ليكون اهيب له فذكروا انهم صوروا اسدين اسفل كرسيه ونسرين فوق عمودي كرسيه فكان إذا أراد ان يصعد الكرسي بسط الاسدان ذراعيهما وإذا علا على الكرسي نشر النسران اجنحتهما فظللاه من الشمس ويقال ان ذلك كان مما لا يعرفه أحد من الناس فلما حاول بخت نصر صعود الكرسي بعد سليمان حين غلب على بني اسرائيل لم يعرف كيف كان يصعد سليمان فرفع الاسد ذراعيه فضرب ساقه فقدها فوقع مغشيا عليه فما جسر احد بعده ان يصعد ذلك الكرسي قال الحسن ولم تكن يومئذ التصاوير محرمة وهي محظورة في شريعة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فإنه قال لعن الله المصورين ويجوز ان يكره ذلك في زمن دون زمن وقد بين الله سبحانه ان المسيح كان يصور بأمر الله من الطين كهيئة الطير وقال ابن عباس كانوا يعملون صور الانبياء والعباد في المساجد ليقتدى بهم وروي عن الصادق «ع» انه قال والله ما هي تماثيل النساء والرجال ولكنه الشجر وما اشبهه (وجفان كالجواب) أي صحاف كالحياض التي يجبى فيها الماء أي يجمع وكان سليمان (ع) يصلح طعام جيشه في مثل هذه الجفان فإنه لم يمكنه ان يطعمهم في مثل قصاع الناس لكثرتهم وقيل انه كان يجمع على كل جفنة الف رجل يأكلون بين يديه (وقدور راسيات) أي ثابتات لا يزلن عن امكنتهن لعظمهن عن قتادة وكانت باليمن وقيل كانت عظيمة كالجبال يحملونها مع انفسهم وكان سليمان يطعم جنده ثم نادى سبحانه آل داود وأمرهم بالشكر على ما أنعم به عليهم من هذه النعمة العجيبة لأن نعمته على سليمان نعمة عليهم فقال (اعملوا آل داود شكرا) اي قلنا لهم يا آل داود اعملوا بطاعة الله شكرا له على ما آتاكم من النعم عن مجاهد وفي هذا دلالة على وجوب شكر النعمة وان الشكر طاعة المنعم وتعظيمه وفيه اشارة ايضا إلى ان لقرابة أنبياء الله تعالى اثرا في القرب إلى رضى الله حين خص آل داود بالأمر (وقليل من عبادي الشكور) والفرق بين الشكور والشاكر ان الشكور من تكرر منه الشكر والشاكر من وقع منه الشكر قال ابن عباس أراد به المؤمن الموحد وفي هذا دلالة على ان المؤمن الشاكر يقل في كل عصر (فلما قضينا عليه الموت) أي فلما حكمنا على سليمان بالموت وقيل معناه اوجبنا على سليمان الموت (ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) أي ما دل الجن على موته إلا الأرضة ولم يعلموا موته حتى أكلت عصاه فسقط فعلموا انه ميت وقيل ان سليمان كان يعتكف في مسجد بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل واكثر يدخل فيه طعامه وشرابه ويتعبد فيه فلما كان في المرة التي مات فيها لم يكن يصبح يوما إلا وتنبت شجرة كان يسألها سليمان فتخبره عن اسمها ونفعها وضرها فرأى يوما نبتا فقال ما اسمك قال الخرنوب قال لأي شيء أنت قال للخراب فعلم انه سيموت فقال اللهم عم على الجن موتي ليعلم الانس انهم لا يعلمون الغيب وكان قد بقي من بنائه سنة وقال لأهله لا تخبروا الجن بموتي حتى يفرغوا من بنائه ودخل محرابه وقام متكئا على عصاه فمات وبقي قائما سنة وتم البناء ثم سلط الله على منسأته الأرضة حتى اكلتها فخر ميتا فعرف الجن موته وكانوا يحسبونه حيا لما كانوا يشاهدون من طول قيامه قبل ذلك وقيل ان في إماتته قائما وبقائه كذلك اغراضا منها اتمام البناء ومنها ان يعلم الانس ان الجن لا تعلم الغيب وانهم في ادعاء ذلك كاذبون

ومنها ان يعلم ان من حضر اجله فلا يتأخر إذ لم يؤخر سليمان مع جلالته وروي انه اطلعه الله سبحانه على حضور وفاته فاغتسل وتحنط وتكفن والجن في عملهم وروى ابو بصير عن ابي جعفر (ع) قال ان سليمان امر الشياطين فعملوا له قبة من قوارير فبينا هو قائم متكئ على عصاه في القبة ينظر إلى الجن كيف يعملون وهم ينظرون اليه ولا يصلون اليه إذا رجل معه في القبة فقال من أنت فقال انا الذي لا اقبل الرشى ولا أهاب الملوك فقبضه وهو قائم متكئ على عصاه في القبة قال فمكثوا سنة يعملون له حتى بعث الله الارضة فأكلت منسأته وفي حديث آخر عن ابي عبد الله (ع) قال فكان آصف يدبر أمره حتى دبت الارضة (فلما خر) اي سقط سليمان ميتاً (تبينت الجن) اي ظهرت الجن فانكشف للناس (ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) معناه في الاعمال الشاقة وانما سماها عذاباً للمشاق التي فيها لا انه كان عذاباً فليس ذلك إلا ان يكون عبادة له او بمنزلة ما يعوضون عليه أي ما عملوا مسخرين لسليمان وهو ميت وهم يظنون انه حي وقيل ان المعنى تبينت عامة الجن وضعفتهم ان رؤساءهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يوهمونهم انهم يعلمون الغيب وقيل معناه تبينت الانس ان الجن كانوا لايعلمون الغيب فإنهم كانوا يوهمون الإنس انا نعلم الغيب وإنما قال تبينت الجن كما يقول من يناظر غيره ويلزمه الحجة هل تبين لك انك على باطل وعلى هذا تدل قراءة من قرأ تبينت الانس قد مضى بيانه وذكر أهل التاريخ ان عمر سليمان كان ثلاثاً وخمسين سنة مدة ملكه منها اربعون سنة وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه والله اعلم وأما الوجه في عمل الجن تلك الاعمال العظيمة فهو ان الله تعالى زاد في اجسامهم وقوتهم وغيَّر خلقهم عن خلق الجن الذين لا يرون للطافتهم ورقة اجسامهم على سبيل الاعجاز الدال على نبوة سليمان فكانوا بمنزلة الأسراء في يده وكانوا تتهيأ لهم الاعمال التي كان يكلفها إياهم ثم لما مات «ع» جعل الله خلقهم على ما كانوا عليه فلا يتهيأ لهم في هذا الزمان شيء من ذلك

قوله تعالى (١٥) لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٦) فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٧) ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٨) وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٩) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ خمس آيات

القراءة

قرأ مسكنهم على التوحيد بفتح الكاف حمزة وحفص وبكسر الكاف الكسائي وخلف والباقون مساكنهم على الجمع وقرأ أكل خمط مضاف غير منون اهل البصرة وقرأ الباقون غير مضاف بالتنوين وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر ويعقوب وهل نجازي بالنون وكسر الزاي الا الكفور بالنصب وادغم الكسائي اللام من هل في النون وغيره لم يدغم والباقون يجازي بالياء وفتح الزاي والكفور بالرفع وقرأ ابو عمرو وابن كثير وهشام بعدبين اسفارنا بالتشديد على لفظ الامر وقرأ يعقوب وسهل ربنا بالضم باعد بالالف وفتح الباء والعين والدال مخففة وهو قراءة محمد بن علي الباقر «ع» وابن عباس وقرأ الباقون ربنا بالنصب باعد بالالف على الدعاء وفي الشواذ قراءة ابن يعمر ومحمد بن

السميقع ربنا بالنصب بَعُدَ بفتح الباء والدال وضم العين بين اسفارنا بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ مساكنهم اتى باللفظ وفقا للمعنى لأن لكل ساكن مسكنا ومن قرأ مسكنهم فيشبه ان يكون جعل المسكن مصدرا وحذف المضاف والتقدير في مواضع سكناهم فلما جعل المسكن كالسكنى والسكون افرد كما يفرد المصدر وهذا اشبه من ان تحمله على نحو كلوا في بعض بطنكم وعلى هذا قوله تعالى في مقعد صدق اي في موضع قعود الا ترى ان لكل واحد من المتقين موضع قعود والاشبه في الكاف الفتح لأن اسم المكان والمصدر من باب يفعل على المفعل وقد يشذ على القياس نحو هذا كما جاء المسجد وسيبويه يحمله على اسم البيت وكذلك المطلع الا ان ابا الحسن يقول ان المسكن إذا كسرته لغة كثيرة وهي لغة الناس اليوم والفتح لغة اهل الحجاز فأما الاضافة في أكل خمط فإن ابا عبيدة قال الخمط كل شجرة مرة ذات شوكة والأكل الجنى فعلى هذا التفسير تحسن الاضافة وذلك ان الاكل اذا كان الجنى فإن جنى كل شجرة منه وغير الاضافة ليس في حسن الاضافة لأن الخمط إنما هو اسم شجرة وليس بوصف فإذا لم يكن وصفا لم يجر على ما قبله كما يجري الوصف على الموصوف والبدل ليس بالسهل ايضاً لأنه ليس هو هو ولا بعضه لأن الجنى من الشجر وليس الشجر من الجنى فيكون اجراؤه عليه على وجه عطف البيان كأنه بين ان الجنى لهذا الشجر ومنه قال ابو الحسن الأحسن في كلام العرب ان يضيفوا ما كان من نحو هذا مثل دار آجر وثوب خز قال فأكل خمط قراءة كثيرة وليست بجيدة في العربية وحجة من قرأ وهل نجازي بالنون قوله جزيناهم ومن قرأ يجازى على بناء الفعل للمفعول فإن المجازي ايضا هو الله تعالى وانما خص الكفور بالجزاء لأن المؤمن قد يكفر عن سيئاته قال سبحانه ونتجاوز عن سيئاتهم وقال ان الحسنات يذهبن السيئات وليس كذلك الكافر فإنه يجازى بكل سوء يعمله واما ادغام الكسائي اللام في النون فجائز حكاه سيبويه والبيان احسن واما قوله ربنا باعد بين اسفارنا فذكر سيبويه ان فاعل وفعل يجيئان بمعنى كقولهم ضاعف وضعف وقارب وقرب واللفظان جميعا على معنى الطلب والدعاء قال ابن جني بين منصوب نصب المفعول به اي بعد وباعد مسافة اسفارنا وليس نصبه على الظرف يدلك على ذلك قراءة من قرأ بعد بين اسفارنا كما تقول بعد مدى اسفارنا فرفعه دليل كونه اسما وعليه قوله

كأن رماحهم اشطان بئر . بعيد بين جاليها جرور

اي بعيد مدى جاليها أو مسافة جاليها

﴿ اللغة ﴾

العرم المسناة التي تحبس الماء واحدها عرمة أخذ من عرامة الماء وهي ذهابه كل مذهب قال الاعشى

ففي ذاك للمؤتسي اسوة ومأرب قفى عليه العرم
رخام بنته له حمير إذا جاء ماؤهم لم يرم

وقيل العرم اسم واد كان يجتمع فيه سيول من أودية شتى وقيل العرم هنا اسم الجرذ الذي نقب السكر عليهم وهو الذي يقال له الخلد وقيل العرم المطر الشديد

﴿ الاعراب ﴾

آية اسم كان • جنتان رفع على انه بدل من آية ويجوز ان يكون خبرا لمبتدأ محذوف كأنه قيل ما الآية فقال الآية جنتان وعن يمين وشمال صفة لجنتان وعلى هذا تقف على قوله آية وتبتدئ بقوله جنتان كلوا من رزق ربكم اي يقال كلوا من رزق ربكم منهما فحذف العائد من الصفة إلى الموصوف كما حذف القول • بلدة طيبة تقديره

هذه بلدة طيبة والله رب غفور .

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن قصة سبأ بما دل على حسن عاقبة الشكور وسوء عاقبة الكفور فقال (لقد كان لسبأ)وهو ابو عرب اليمن كلها وقد تسمى به القبيلة وفي الحديث عن فروة بن مسيك انه قال سألت رسول الله ﷺ عن سبأ أرجل هو ام امرأة فقال هو رجل من العرب ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم منهم اربعة فأما الذين تيامنوا فالازد وكندة ومذحج والاشعرون وانمار وحمير فقال رجل من القوم ما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة واما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم وغسان فالمراد بسبأ هاهنا القبيلة الذين هم اولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان (في مسكنهم) اي في بلدهم (آية) اي حجة على وحدانية الله عز اسمه وكمال قدرته وعلامة على سبوغ نعمه ثم فسر سبحانه الآية فقال (جنتان عن يمين وشمال) أي بستانان عن يمين من أتاهما وشماله وقيل عن يمين البلد وشماله وقيل انه لم يرد جنتين اثنتين والمراد كانت ديارهم على وتيرة واحدة إذ كانت البساتين عن يمينهم وشمالهم متصلة بعضها ببعض وكان من كثرة النعم ان المرأة كانت تمشي والمكتل على رأسها فيمتلئ بالفواكه من غير ان تمس بيدها شيئا وقيل الآية المذكورة هي انه لم يكن في قريتهم بعوضة ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وكان الغريب إذا دخل بلدهم وفي ثيابه قمل ودواب ماتت عن ابن زيد وقيل ان المراد بالآية خروج الأزهار والثمار من الاشجار على اختلاف الوانها وطعومها وقيل انما كانت ثلاث عشرة قرية في كل قرية نبي يدعوهم إلى الله سبحانه يقولون لهم (كلوا من رزق ربكم واشكروا له) أي كلوا مما رزقكم الله في هذه الجنان واشكروا له يزيدكم من نعمه واستغفروه يغفر لكم (بلدة طيبة) اي هذه بلدة مخصبة نزهة ارضها عذبة تخرج النبات وليست بسبخة وليس فيها شيء من الهوام المؤذية قيل اراد به صحة هواها وعذوبة مائها وسلامة تربتها وانه ليس فيها حر يؤذي في القيظ ولا برد يؤذي في الشتاء (ورب غفور) اي كثير المغفرة للذنوب (فأعرضوا) عن الحق ولم يشكروا الله سبحانه ولم يقبلوا ممن دعاهم إلى الله من انبيائه (فأرسلنا عليهم سيل العرم) وذلك ان الماء كان يأتي أرض سبا من أودية اليمن وكان هناك جبلان يجتمع ماء المطر والسيول بينهما فسدوا ما بين الجبلين فإذا احتاجوا إلى الماء نقبوا السد بقدر الحاجة فكانوا يسقون زروعهم وبساتينهم فلما كذبوا رسلهم وتركوا امر الله بعث الله جرذا نقبت ذلك الردم وفاض الماء عليهم فأغرقهم عن وهب وقد مر تفسير العرم وقال ابن الاعرابي العرم السيل الذي لا يطاق (وبدلناهم بجنتيهم) اللتين فيهما أنواع الفواكه والخيرات (جنتين) أخراوين سماها جنتين لازدواج الكلام كما قال ومكروا ومكر الله فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه (ذواتي اكل خمط واثل) اي صاحبتي اكل وهو اسم لثمر كل شجرة وثمر الخمط البرير قال ابن عباس والخمط هو الاراك وقيل هو شجر الغضا وقيل هو كل شجر له شوك والاثل الطرفاء عن ابن عباس وقيل ضرب من الخشب عن قتادة وقيل هو السمر (وشيء من سدر قليل) يعني ان الاثل والخمط كانا اكثر فيهما من السدر وهو النبق قال قتادة كان شجرهم خير شجر فصيره الله شر شجر بسوء اعمالهم (ذلك) أي ما فعلنا بهم (جزيناهم بما كفروا) أي بكفرهم (وهل نجازي) بهذا الجزاء (إلا الكفور) الذي يكفر نعم الله وقد استدل الخوارج بهذا على ان مرتكب الكبيرة كافر وهذا الاستدلال غير سديد من حيث انه سبحانه إنما بين بذلك انه لا يجازي بهذا النوع من العذاب الذي هو الاستئصال إلا الكافر ويجوز ان يعذب الفاسق بغير ذلك العذاب وقيل ان معناه هل نجازي بجميع سيئاته إلا الكافر لأن المؤمن قد يكفر عنه بعض سيئاته وقيل ان المجازاة من التجازي وهو التقاضي أي لا يقتضي ولا يرتجع ما أعطي إلا الكافر وانهم لما كفروا النعمة اقتضوا ما اعطوا اي ارتجع منهم عن ابي مسلم (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة) اي وقد كان من قصتهم انا جعلنا بينهم

وبين قرى الشام التي باركنا فيها بالماء والشجر قرى متواصلة وكان متجرهم من أرض اليمن إلى الشام وكانوا يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى حتى يرجعوا وكانوا لا يحتاجون إلى زاد من وادي سبأ إلى الشام ومعنى الظاهرة ان الثانية كانت ترى من الأولى لقربها منها (وقدرنا فيها السير) أي جعلنا السير من القرية إلى القرية مقدارا واحدا نصف يوم وقلنا لهم (سيروا فيها) أي في تلك القرى (ليالي وأياما) أي ليلا شئتم المسير او نهارا (آمنين) من الجوع والعطش والتعب ومن السباع وكل المخاوف وفي هذا اشارة إلى تكامل نعمه عليهم في السفر كما انه كذلك في الحضر ثم اخبر سبحانه انهم بطروا وبغوا فقالوا (ربنا باعد بين اسفارنا) اي اجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز انركب اليها الرواحل ونقطع المنازل وهذا كما قالت بنو اسرائيل لما ملوا النعمة أخرج الينا مما تنبت الأرض من بقلها بدلا من المن والسلوى (وظلموا أنفسهم) بارتكاب المعاصي والكفر (فجعلناهم أحاديث) لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم ويضربون بهم المثل فيقولون تفرقوا ايادي سبا إذا تشتتوا اعظم التشتت (ومزقناهم كل ممزق) أي فرقناهم في كل وجه من البلاد كل تفريق (ان في ذلك لآيات) اي دلالات (لكل صبار) على الشدائد (شكور) على النعماء وقيل لكل صبار عن المعاصي شكور للنعم بالطاعات

–(القصة)–

عن الكلبي عن ابي صالح قال القت طريفة الكاهنة إلى عمرو بن عامر الـذي يقال له مزيقياء بن ماء السماء وكانت قد رأت في كهانتها ان سد مأرب سيخرب وانه سيأتي سيل العرم فيخرب الجنتين فباع عمرو بن عامر أمواله وسار هو وقومه حتى انتهوا إلى مكة فأقاموا بها وما حولها فأصابتهم الحمى وكانوا ببلد لا يدرون فيـه ما الحمى فدعوا طريفة فشكوا اليها الذي اصابهم فقالت لهم قد اصابني الذي تشكون وهو مفرق بيننا قالوا فماذا تأمرين قالت من كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بقصر عمان المشيد وكانت ازدعمان ثم قالت من كان منكم ذا جلد وقسر وصبر على ازمات الدهر فعليه بالاراك من بطن مر وكانت خزاعة ثم قالت من كان منكم يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل وكانت الاوس والخزرج ثم قالت من كان منكم يريد الخمر والخمير والملك والتأمير وملابس التاج والحرير فليلحق ببصرى وغوير وهما من ارض الشام وكان الذين سكنوها آل جفنة بن غسان ثم قالت من كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق وكنوز الارزاق والدم المهراق فليلحق بأرض العراق وكان الذين سكنوها آل جذيمة الأبرش ومـن كان بالحيرة وآل محرق

قوله تعالى (٢٠) وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢٢) قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٣) وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٤) قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٥) قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ست آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة صدق بتشديد الدال والباقون بتخفيفها وقرأ يعقوب وسهل صدق بالتشديد ابليس بالنصب ظنه بالرفع وقرأ ابو عمرو واهل الكوفة غير عاصم إلا الأعشى والبرجمي أذن بضم الهمزة والباقون بفتحها وقرأ ابن عامر ويعقوب فزع بفتح الفاء والزاي والباقون بضم الفاء وكسر الزاي وفي الشواذ قراءة الحسن بخلاف وقتادة فزع بفتح الفاء والزاي والعين والتشديد وعن الحسن ايضا فزع بضم الفاء وكسر الزاي والتشديد وعنه وعن قتادة فزع بضم الفاء وكسر الزاي والتخفيف

الحجة

قال ابو علي معنى التخفيف في صدق انه صدق ظنه بهم من متابعتهم إياه إذا أغواهم وذلك نحو قوله فبما أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ولأغوينهم أجمعين فهذا ظنه لأنه لم يقل ذلك عن يقين فظنه على هذا ينتصب انتصاب المفعول به ويجوز ان ينتصب انتصاب الظرف أي في ظنه وقد يقال اصاب الظن وأخطأ الظن وقال الشاعر

ان يك ظني صادقا وهو صادق بشملة يحبسهم بها محبسا وعرا

فعداه إلى المفعول به ومن قرأ بالتشديد نصب الظن على انه مفعول به ومن قرأ صدق عليهم ابليس بالنصب ظنه بالرفع فالمعنى ان ابليس كان سولت له نفسه شيئا فصدقه ظنه ومن قرأ إلا لمن أذن له فالمعنى لمن أذن الله له ان يشفع ومن قرأ اذن له فبنى الفعل للمفعول به فهو يريد هذا المعنى ايضا كما ان قوله حتى إذا فزع عن قلوبهم وفزع وهل نجازي إلا الكفور وهل يجازي إلا الكفور واحد في المعنى وان اختلفت الالفاظ

اللغة

يقال صدقت زيدا وصدقته وكذبته وكذبته وينشد الاعشى « وصدقته وكذبته والمرء ينفعه كذابه » ابو عبيدة فزع عن قلوبهم نفس عنها يقال فزع وفزع إذا ازيل الفزع عنها

الإعراب

لنعلم قال الزجاج معناه ما امتحناهم في ابليس إلا لنعلم ذلك علم وقوعه منهم وهو الذي يجازون عليه . لا يملكون الأجودان يكون جملة مستأنفة ويجوز ان يكون حالا وقوله وانا اواياكم لعلى هدى او في ضلال مبين تقديره وانا لعلى هدى أو في ضلال مبين وانكم لعلى هدى أو في ضلال مبين

المعنى

ثم قال سبحانه (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) الضمير في عليهم يعود إلى اهل سبا وقيل إلى الناس كلهم إلا من أطاع الله عن مجاهد والمعنى ان ابليس كان قال لأغوينهم ولأضلنهم وما كان ذلك عن علم وتحقيق وانما قاله ظنا فلما تابعه اهل الزيغ والشرك صدق ظنه وحققه (فاتبعوه) فيما دعاهم اليه (إلا فريقا من المؤمنين) من هنا للتبيين يعني المؤمنين كلهم عن ابن عباس أي علموا قبح متابعته فلم يتبعوه واتبعوا امر الله تعالى (وما كان له عليهم من سلطان) أي ولم يكن لابليس عليهم من سلطنة ولا ولاية يتمكن بها من اجبارهم على الغي والضلال وإنما كان يمكنه الوسوسة فقط كما قال وما كان لي عليكم من سلطان إلا ان دعوتكم فاستجبتم لي (إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك) المعنى انا لم نمكنه من اغوائهم ووسوستهم إلا لنميز بين من يقبل منه ومن يمتنع ويأبى متابعته فنعذب من تابعه ونثيب من خالفه فعبر عن التمييز بين الفريقين بالعلم وهذا التمييز متجدد لأنه لا يكون إلا بعد وقوع ما يستحقون به ذلك واما العلم

فبخلاف ذلك فإنه سبحانه كان عالما بأحوالهم وبما يكون منهم فيما لم يزل وقيل معناه لنعلم طاعاتهم موجودة او معاصيهم ان عصوا فنجازيهم بحسبها لأنه سبحانه لا يجازي احدا على ما يعلم من حاله إلا بعد ان يقع ذلك منه وقيل معناه لنعامله معاملة من كأنه لا يعلم وإنما يعمل ليعلم من يصدق بالآخرة ويعترف بها ممن يرتاب فيها أي ويشك (وربك) يا محمد (على كل شيء حفيظ) أي عالم لا يفوته علم شيء من احوالهم ثم قال سبحانه (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين (ادعوا الذين زعمتم من دون الله) انهم آلهة وانهم شركاء لله تعالى وانهم شفعاؤكم وانها تستحق الإلهية هل يستجيبون لكم إلى ما تسألونهم وهذا نوع توبيخ لا امر ليعلموا ان أوثانهم لا تنفعهم ولا تضرهم (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض)أي لا يملكون زنة ذرة من خير وشر ونفع وضر فيهما (وما لهم فيهما) أي وليس لهم في خلق السماوات والارض (من شرك) ونصيب (وما لهم منهم من ظهير) اي ليس لله سبحانه منهم معاون على خلق السموات والأرض ولا على شيء من الأشياء (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) المعنى انه لا تنفع الشفاعة عندالله تعالى إلا لمن رضيه الله وارتضاه وأذن له في الشفاعة مثل الملائكة والأنبياء والأولياء ويجوز ان يكون المعنى إلا لمن أذن الله في ان يشفع له فيكون مثل قوله ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وانما قال سبحانه ذلك لأن الكفار كانوا يقولون نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عندالله فحكم الله تعالى ببطلان اعتقاداتهم (حتى إذا فزع عن قلوبهم) أي كشف الفزع عن قلوبهم وفزع كشف الله الفزع عن قلوبهم واختلف في الضمير في قوله في قلوبهم فقيل يعود إلى المشركين الذين تقدم ذكرهم فيكون المعنى حتى إذا أخرج عن قلوبهم الفزع وقت الفزع ليسمعوا كلام الملائكة (قالوا) أي قالت الملائكة لهم (ماذا قال ربكم قالوا) اي قال هؤلاء المشركون مجيبين لهم (الحق) أي قال الحق فيعترفون ان ما جاء به الرسل كان حقا عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وقيل ان الضمير يعود إلى الملائكة ثم اختلف في معناه على وجوه ❊ احدها ❊ ان الملائكة إذا صعدوا بأعمال العباد ولهم زجل وصوت عظيم فتحسب الملائكة انها الساعة فيخرون سجدا ويفزعون فإذا علموا انه ليس ذلك قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق ❊ وثانيها ❊ ان الفترة لما كانت بين عيسى (ع) ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعث الله محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أنزل الله سبحانه جبرائيل بالوحي فلما نزل ظنت الملائكة انه نزل بشيء من أمر الساعة فصعقوا لذلك فجعل جبرائيل يمر بكل سماء ويكشف عنهم الفزع فرفعوا رؤوسهم وقال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا الحق يعني الوحي عن مقاتل والكلبي ❊ وثالثها ❊ ان الله تعالى إذا اوحى إلى بعض ملائكته لحق الملائكة غشى عند سماع الوحي ويصعقون ويخرون سجدا للآية العظيمة فإذا فزع عن قلوبهم سألت الملائكة ذلك الملك الذي اوحي اليه ماذا قال ربك او يسأل بعضهم بعضا فيعلمون ان الامر في غيرهم عن ابن مسعود واختاره الجبائي (وهو العلي) أي السيد القادر المطاع وقيل العلي في صفاته (الكبير) في قدرته (قل من يرزقكم من السموات والأرض) فإنهم لا يمكنهم أن يقولوا ترزقنا آلهتنا التي نعبدها ثم عند ذلك (قل الله) الذي يرزقكم (وانا أو اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين) انما قال ذلك على وجه الانصاف في الحجاج دون الشك كما يقول القائل لغيره احدنا كاذب وان كان هو عالما بالكاذب وعلى هذا يقول ابو الاسود الدئلي يمدح اهل البيت «ع»

يقول الارذلون بنو قشير طوال الدهر لا تنسى عليا

بنو عم النبي واقربوه أحب الناس كلهم إليا
فإن يك حبهم رشدا اصبه ولست بمخطئ إن كان غيا

لم يقل هذا لكونه شاكا في محبتهم وقد ايقن ان محبتهم رشد وهدى وقيل انه جمع بين الخبرين وفوض التمييز إلى العقول فكأنه قال أنا على هدى وأنتم على ضلال كقول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي

فجمع بين القلوب الرطبة واليابسة وجمع بين العناب والحشف البالي وقيل انما قاله على وجه الاستعطاف والمداراة ليسمع الكلام وهذا من احسن ما ينسب به المحق نفسه إلى الهدى وخصمه إلى الضلال لأنه كلام من لا يكاشف خصمه بالتضليل بل ينسبه اليه على احسن وجه ويحثه على النظر ولا يجب النظر إلا بعد التردد (قل) يا محمد إذا لم ينقادوا للحجة (لا تسئلون) ايها الكفار (عما اجرمنا) اي اقترفنا من المعاصي (ولا نسئل) نحن (عما تعملون) أي تعملونه انتم بل كل إنسان يسأل عما يعمله ويجازى على فعله دون فعل غيره وفي هذا دلالة على ان احدا لا يجوز ان يؤخذ بذنب غيره

قوله تعالى (٢٦) قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٧) قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٨) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٩) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٠) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ

خمس آيات

✻ الاعراب ✻

الذين ألحقتم به العائد من الصلة إلى الموصول محذوف والتقدير ألحقتموهم به وشركاء حال من هم المحذوف وكافة حال من الكاف في أرسلناك أي ما أرسلناك الا تكفهم وتردعهم وقيل في الكلام تقديم وتأخير أي وما أرسلناك الا للناس كافة وكافة كالعافية والعاقبة وما اشبه ذلك. بشيرا حال بعد حال ونذيرا معطوف عليه

✻ المعنى ✻

ثم امر سبحانه ان يحاكمهم الى الله لاعراضهم عن الحجة فقال (قل) يا محمد (يجمع بيننا ربنا) يوم القيامة (ثم يفتح بيننا) أي يحكم (بالحق وهو الفتاح) أي الحاكم (العليم) بالحكم لا يخفى عليه شيء منه (قل) يا محمد (أروني الذين ألحقتم به شركاء) انما ذكر هذا سبحانه على وجه التعظيم والتعجيب أي أروني الذين زعمتم انهم شركاء لله تعبدونهم معه وهذا كالتوبيخ لهم فيما اعتقدوه من الاشراك مع الله كما يقول القائل لمن افسد عملا أرني ما عملته توبيخا له بما افسده فانهم سيفتضحون بذلك اذا أشاروا الى الأصنام ثم قال سبحانه (كلا) أي ليس كما تزعمون وقيل معناه ارتدعوا عن هذا المقال وتنبهوا من الغي والضلال (بل هو الله العزيز) اي القادر الذي لا يغالب (الحكيم) في جميع افعاله فكيف يكون له شريك ثم بيّن

سبحانه نبوة نبيه ﷺ فقال(وما ارسلناك) يا محمد بالرسالة التي حملنا كها (الا كافة للناس) اي عامة للناس كلهم العرب والعجم وسائر الامم عن الجبائي وغيره ويؤيده الحديث المروي عن ابن عباس عن النبي ﷺ اعطيت خمسا ولا أقول فخرا بعثت الى الاحمر والاسود وجعلت لي الارض طهورا ومسجدا واحل لي المغنم ولا يحل لاحد قبلي ونصرت بالرعب فهو يسير أمامي مسيرة شهر واعطيت الشفاعة فادخرتها لأمتي يوم القيامة وقيل معناه جامعا للناس بالانذار والدعوة وقيل كافاً للناس اي مانعا لهم عما هم عليه من الكفر والمعاصي بالامر والنهي والوعيد والإنذار والهاء للمبالغة عن ابي مسلم (بشيرا) لهم بالجنة (ونذيرا) بالنار (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) رسالتك لإعراضهم عن النظر في معجزتك وقيل لا يعلمون مالهم في الآخرة في اتباعك من الثواب والنعيم وما عليهم في مخالفتك من العذاب الاليم ثم حكى سبحانه عن الكفار فقال (ويقولون متى هذا الوعد الذي) تعدوننا به (ان كنتم صادقين) فيما تقولونه يا معشر المؤمنين ثم أمر سبحانه نبيه ﷺ بإجابتهم فقال (قل) يا محمد (لكم ميعاد يوم) اي ميقات يوم ينزل بكم ماوعدتم به وهو يوم القيامة وقيل يوم وفاتهم وقبض ارواحهم عن ابي مسلم (لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) اي لا تتأخرون عن ذلك اليوم ولا تتقدمون عليه بأن يزاد في آجالكم او ينقص منها

قوله تعالى (٣١) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣٢) قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (٢٤) وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِيٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ (٣٤) وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٣٥) وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ   خمس آيات

﴿ الاعراب ﴾

بل مكر الليل والنهار فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون مكر مبتدأ وخبره محذوفا أي مكركم في الليل والنهار صدنا عن ذلك حين أمرتمونا أن نكفر بالله ﴿ والآخر ﴾ ان يكون فاعل فعل محذوف تقديره بل صدنا مكركم في الليل والنهار والعرب تضيف الأحداث إلى الزمان على سبيل الاتساع فتقول صيام النهار وقيام الليل والمعنى ان الصيام في النهار والقيام في الليل قال الشاعر

لقد لمتنا ياام غيلان في السرى   ونمت وماليل المطي بنائم

فوصف الليل بالنوم وهذا على حد قولك نهارك صائم وليلك قائم

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حالهم في القيامة فقال حكاية عنهم (وقال الذين كفروا) وهم اليهود وقيل هم

مشركو العرب وهو الاصح (لن نؤمن بهذا القرآن) اي لا نصدق بأنه من الله تعالى ولا بالذي بين يديه من أمر الآخرة وقيل يعنون به التوراة والانجيل وذلك انه لما قال مؤمنو اهل الكتاب ان صفة محمد ﷺ في كتابنا وهو نبي مبعوث كفر المشركون بكتابهم ثم قال (ولو ترى) يا محمد (اذ الظالمون موقوفون عند ربهم) اي محبوسون للحساب يوم القيامة (يرجع بعضهم الى بعض القول) اي يرد بعضهم إلى بعض القول في الجدال (يقول الذين استضعفوا) وهم الاتباع (للذين استكبروا) وهم الاشراف والقادة (لولا انتم لكنا مؤمنين) مصدقين بتوحيد الله اي انتم منعتمونا من الايمان والمعنى لولا دعاؤكم ايانا الى الكفر لآمنا بالله في الدنيا (قال الذين استكبروا للذين استضعفوا) اي قال المتبوعون للاتباع على طريق الانكار (انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم) اي لم نصدكم نحن عن قبول الهدى (بل كنتم مجرمين) اي بل انتم كفرتم ولم نحملكم على الكفر قهرا فكل واحد من الفريقين ورك الذنب على صاحبه واتهمه ولم يضف واحد منهم الذنب الى الله تعالى (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا يعني الاتباع للمتبوعين (بل مكر الليل والنهار) اي مكركم في الليل والنهار صدنا عن قبول الهدى (اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا) اي حين أمرتمونا ان نجحد وحدانية الله تعالى ودعوتمونا الى ان نجعل له شركاء في العبادة (وأسروا الندامة) فيه وجهان * احدهما * ان معناه اظهروا الندامة * والآخر * ان المعنى اخفوها وقد فسر الاسرار في بيت امرء القيس

تجاوزت حراسا اليها ومعشرا ... علي حراصا لو يسرون مقتلي

على الوجهين فمن قال بالأول قال معناه اظهر المتبوعون الندامة على الاضلال واظهر الاتباع الندامة على الضلال وقيل معناه اقبل بعضهم على بعض يلومه ويظهر ندمه ومن قال بالثاني قال معناه اخفوا الندامة في انفسهم خوف الفضيحة وقيل معناه ان الرؤساء أخفوا الندامة عن الاتباع (لما رأوا العذاب) اي حين رأوا نزول العذاب بهم (وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا) قال ابن عباس غلوا بها في النيران (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) اي لا يجزون إلا بأعمالهم التي عملوها على قدر استحقاقهم (وما ارسلنا في قرية من نذير) اي من نبي مخوف بالله تعالى (الا قال مترفوها) اي جبابرتها واغنياؤها المتنعمون فيها (انا بما ارسلتم به كافرون) وفي هذا بيان للنبي ﷺ ان اهل قريته جروا على منهاج الاولين واشارة الى انه كان اتباع الانبياء فيما مضى الفقراء واوساط الناس دون الاغنياء ثم بين سبحانه علة كفرهم بأن قال (وقالوا نحن اكثر أموالا واولادا) اي افتخروا بأموالهم وأولادهم ظنا بأن الله سبحانه انما خولهم المال والولد كرامة لهم عنده فقالوا اذا رزقنا وحرمتم فنحن اكرم منكم وافضل عند الله تعالى فلا يعذبنا على كفرنا بكم وذلك قوله (ومانحن بمعذبين) ولم يعلموا ان الاموال والاولاد عطاء من الله تعالى يستحق به الشكر عليهم وليس ذلك للاكرام والتفضل

قوله تعالى (٣٦) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧) وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَـٰتِ ءَامِنُونَ (٣٨) وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ

فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٩) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٤٠) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ خمس آيات

«القراءة»

قرأ حمزة وحده في الغرفة والباقون في الغرفات على الجمع وقرأ يعقوب جزاء بالنصب. الضعف بالرفع

الحجة

حجة من قرأ الغرفة قوله تعالى أولئك يجزون الغرفة بما صبروا وفي الجنة غرفات وغرف غير ان العرب قد تجتزئ بالواحد عن الجمع إذا كان اسم الجنس قالوا اهلك الناس الدينار والدرهم ومن قرأ فأولئك لهم جزاء الضعف فالتقدير فأولئك لهم الضعف جزاء في حال المجازاة فهو مصدر وضع موضع الحال اي مجزيين جزاء ويجوز ان يكون مفعولا له وأما اضافة جزاء الى الضعف في القراءة المشهورة فهو على اضافته الى المفعول

الإعراب

زلفى في موضع نصب على المصدر تقديره تقربكم قربة وتقريبا وقوله الا من آمن الموصول والصلة في موضع نصب على البدل من الكاف والميم في تقربكم ويجوز ان يكون نصبا على الاستثناء

المعنى

لما حكى الله سبحانه عن الكفار انهم قالوا ما نحن بمعذبين لأن الله تعالى اغنانا في الدنيا فلا يعذبنا في الآخرة قال رادا عليهم (قل) يا محمد (ان ربي) الذي خلقني (يبسط الرزق لمن يشاء) على ما يعلمه من مصلحته ومصلحة غيره (ويقدر) اي ويضيق ايضا على حسب المصلحة فبسط الرزق هو الزيادة فيه على قدر الكفاية والقدر تضييقه عن قدر الكفاية (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ذلك بجهلهم بالله وبحكمته فيظنون ان كثرة مال الإنسان يدل على كرامته عند الله تعالى ثم صرح بهذا المعنى فقال (وما اموالكم) اي ليس اموالكم التي خولتموها (ولا أولادكم) التي رزقتموها (بالتي تقربكم عندنا زلفى) اي قربى عن مجاهد قال الاخفش اراد بالتي تقربكم عندنا تقريبا فزلفى اسم المصدر وقال الفراء التي يجوز ان يقع على الأموال والأولاد وجاء الخبر بلفظ الواحدة وان دخل فيه الاخرى (الا من آمن وعمل صالحا) معناه لكن من آمن بالله وعرفه وصدق نبيه ﷺ وأطاعه فيما امر به وانتهى عما نهاه عنه (فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) اي يضاعف الله حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة عشرا إلى ما زاد والضعف اسم جنس يدل على الكثير والقليل ويجوز ان يكون الاموال والاولاد تقرب إلى الله تعالى زلفى بأن يكسب المؤمن المال مستعينا به على القيام بحق التكاليف ويستولد الولد كذلك فيقرّ بأنه عند الله زلفى فعلى هذا يكون الاستثناء متصلا ولا يكون بمعنى لكن وقيل ان جزاء الضعف ان يعطيهم في الآخرة مثل ما كان لهم في الدنيا من النعيم والضعف المثل عن أبي مسلم (وهم في الغرفات) اي في غرف الجنة وهي البيوت فوق الابنية (آمنون) فيها لا يخافون شيئا مما يخاف مثله في دار الدنيا من الموت والغير والآفات والاحزان (والذين

يسعون في آياتنا) اي يجتهدون في ابطال آياتنا وتكذيبها (معاجزين) لأنبيائنا ومعاجزين اي مثبطين غيرهم عن افعال البر (أولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) مر تفسيره وإنما كرره سبحانه لاختلاف الفائدة فالأول توبيخ للكافرين وهم المخاطبون به والثاني وعظ للمؤمنين فكأنه قال ليس اغناء الكفار واعطاؤهم بدلالة على كرامتهم وسعادتهم بل يزيدهم ذلك عقوبة واغناء المؤمنين يجوز ان يكون زيادة في سعادتهم بأن ينفقوها في سبيل الله ويدل على ذلك قوله (وما انفقتم من شيء فهو يخلفه) اي وما اخرجتم من اموالكم في وجوه البر فإنه سبحانه يعطيكم خلفه وعوضه إما في الدنيا بزيادة النعمة وإما في الآخرة بثواب الجنة يقال اخلف الله له وعليه اذا ابدل له ما ذهب عنه (وهو خير الرازقين) لأنه يعطي لمنافع عباده لا لدفع ضرر اوجر نفع لاستحالة المنافع والمضار عليه وقال الكلبي ما تصدقتم به في خير فهو يخلفه اما ان يجعله لكم في الدنيا او يدخر لكم في الآخرة وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قال الله عز وجل لي انفق انفق عليك وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ينادي مناد كل ليلة لدوا للموت وينادي مناد ابنوا للخراب وينادي مناد اللهم هب للمنفق خلفا وينادي مناد اللهم هب للممسك تلفا وينادي مناد ليت الناس لم يخلقوا وينادي مناد ليتهم إذ خلقوا فكروا فيما له خلقوا وعن جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كل معروف صدقة وما وقى به الرجل عرضه فهو صدقة وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامنا إلا ما كان من نفقة في بنيان او معصية وعن ابي امامة قال انكم تؤولون هذه الآية في غير تأويلها وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول وإلا فصمتا اياكم والسرف في المال والنفقة وعليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم قط اقتصدوا ثم قال سبحانه (ويوم نحشرهم جميعا) يعني يوم القيامة يجمع العابدين لغير الله والمعبودين من الملائكة للحساب (ثم نقول للملائكة أهؤلاء) الكفار (اياكم كانوا يعبدون) أي كانوا يعبدونكم ويقصدونكم بالعبادة وعلى هذا وجه التقرير والاستشهاد للملائكة على اعتقادات الكفار حتى تتبرأ الملائكة منهم ومن عبادتهم كما قال سبحانه ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلٰهين من دون الله

النظم

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها انهم لما قالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً بين أن دعواهم مردودة وانهم معذبون محجوجون

قوله تعالى (٤١) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤٢) فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٣) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٤٤) وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (٤٥) وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ

كَانَ نَكِيرِ   خمس آيات

﴿ الإعراب ﴾

بينات نصب على الحال وآباؤكم فاعل يعبد واسم كان محذوف يفسره آباؤكم والتقدير عما كان آباؤكم يعبدون . يدرسونها يجوز أن يكون في محل جر صفة لكتب ويجوز ان يكون في محل نصب على موضع الجار والمجرور لأن المعنى وما آتيناهم كتباً مدرسة وكيف كان نكير كيف خبر كان ونكير اسمه والنكير مصدر مثل عذير في قوله «عذير الحي من عدوان كانوا حية الارض»

﴿ المعنى ﴾

(قالوا) أي قالت الملائكة (سبحانك) اي تنزيها لك عن أن نعبد سواك ونتخذ معبوداً غيرك (أنت) يا الله (ولينا) أي ناصرنا وأولى بنا (من دونهم) أي دون هؤلاء الكفار ودون كل أحد وما كنا نرضى بعبادتهم إيانا مع علمنا بأنك ربنا وربهم (بل كانوا يعبدون الجن) بطاعتهم اياهم فيما دعوهم اليه من عبادة الملائكة وقيل المراد بالجن ابليس وذريته واعوانه (أكثرهم بهم مؤمنون) أي مصدقون بالشياطين مطيعون لهم ثم يقول الله سبحانه (فاليوم) يعني في الآخرة (لا يملك بعضكم لبعض) يعني العابدين والمعبودين (نفعا ولا ضراً) أي نفعا بالشفاعة ولا ضراً بالتعذيب (ونقول للذين ظلموا) بأن عبدوا غير الله (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) أي لا تعترفون بها وتجحدونها ثم عاد سبحانه إلى الحكاية عن حال الكفار في الدنيا فقال (وإذا تتلى عليهم آياتنا) أي تقرأ عليهم حججنا (بينات) أي واضحات من القرآن الذي أنزلناه على نبينا (قالوا) عند ذلك (ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم) أي يمنعكم (عما كان يعبد آباؤكم) فزعوا إلى تقليد الآباء لما أعوزتهم الحجة (وقالوا ما هذا) القرآن (إلا افك) أي كذب (مفترى) قد تخرصه وافتراه (وقال الذين كفروا للحق) أي للقرآن (لما جاءهم إن هذا) أي ليس هذا (إلا سحر مبين) أي ظاهر ثم أخبر سبحانه انهم لم يقولوا ذلك عن بينة فقال (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) أي وما اعطينا مشركي قريش كتابا قط يدرسونه فيعلمون بدرسه ان ما جئت به حق أو باطل وانما يكذبونك بهواهم من غير حجة (وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير) أي رسول أمرهم بتكذيبك وأخبرهم ببطلان قولك يعني انهم لا يرجعون في تكذيبك إلا إلى الجهل والعناد واتباع الهوى ثم أخبر سبحانه عن عاقبة من كذب الرسل قبلهم تخويفا لهم فقال (وكذب الذين من قبلهم) من بعث اليهم من الرسل وما آتاهم الله من الكتب (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) أي وما بلغ قومك يا محمد معشار ما أعطينا من قبلهم من القوة وكثرة المال وطول العمر فأهلكهم الله عن ابن عباس وقتادة (فكذبوا رسلي فكيف كان نكير) أي عقوبتي وتغييري حالهم وقيل معناه أنظر في آثارهم كيف كان انكاري عليهم بالهلاك عن ابن مسلم والمراد انا كما أهلكنا أولئك حين كذبوا رسلنا فليحذر هؤلاء مثل ما نزل بهم من الهلاك والاستئصال

قوله تعالى (٤٦) قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٧) قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٨) قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ

بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٤٩) قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٥٠) قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ خمس آيات

الاعراب

ان تقوموا في موضع جر على البدل من واحدة ويجوز ان يكون في موضع نصب بحذف حرف الجر وافضاء الفعل اليه والتقدير أعظكم بطاعة الله لأن تقوموا أو اعظكم بأن تقوموا. مثنى وفرادى نصب على الحال. ما سألتكم ماشرطية وهي في محل النصب بأنها مفعول ثان لسألت ويجوز ان تكون موصولة فيكون التقدير ما سألتكموه فيكون مع الصلة في موضع رفع بالابتداء. علام الغيوب يجوز ان يكون بدلا من الضمير المستكن في يقذف ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو علام الغيوب ولو نصب على انه نعت لربي لكان جائزا لكن الرفع اجود لأنه جاء بعد تمام الكلام

المعنى

ثم خاطب سبحانه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (قل) يا محمد لهم (إنما أعظكم بواحدة) أي آمركم واوصيكم بخصلة واحدة وقيل بكلمة واحدة وهي كلمة التوحيد وقيل بطاعة الله عن مجاهد ومن قال بالأول قال انه فسر الواحدة بما بعده فقال (أن تقوموا لله مثنى وفرادى) أي اثنين اثنين وواحداً واحداً (ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) معناه أن يقوم الرجل منكم وحده أو مع غيره ثم تتساءلون هل جربنا على محمد كذبا أو هل رأينا به جنة ففي ذلك دلالة على بطلان ما ذكرتم فيه وليس معنى القيام هنا القيام على الأرجل وانما المراد به القصد للاصلاح والاقبال عليه مناظرا مع غيره ومتفكراً في نفسه لأن الحق انما يتبين للانسان بهما وقد تم الكلام عند قوله تتفكروا وما للنفي قال قتادة أي ليس بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم جنون وان جعلت تمام الكلام آخر الآية فالمعنى ثم تتفكروا أي شيء بصاحبكم من الجنون أي هل رأيتم من منشأه إلى مبعثه وصمة تنافي النبوة من كذب او ضعف في العقل أو اختلاف في القول والفعل فيدل ذلك على الجنون (إن هو إلا نذير لكم) أي مخوف من معاصي الله (بين يدي عذاب شديد) يعني عذاب القيامة ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (قل) لهم يا محمد (ما سألتكم من أجر فهو لكم) يعني لا أسألكم على تبليغ الرسالة شيئا من عرض الدنيا فتتهموني فما طلبته منكم من أجر على اداء الرسالة وبيان الشريعة فهو لكم وهذا كما يقول الرجل لمن لا يقبل نصحه ما أعطيتني من أجر فخذه وما لي في هذا فقد وهبته لك يريد ليس لي فيه شيء ومنه النصح مجان وقال الماوردي معناه ان اجر ما دعوتكم اليه من اجابتي وذخره هو لكم دوني وهو المروي عن ابي جعفر «ع» (ان أجري إلا على الله) أي ليس ثواب عملي إلا على الله فهو يثيبني عليه ولا يضيعه (وهو على كل شيء شهيد) اي عليم به لم يغب عنه شيء فيعلم ما يلحقني من اذاكم (قل) يا محمد (ان ربي يقذف بالحق) ويلقيه إلى انبيائه عن قتادة ومقاتل (علام الغيوب) علم جميع الخفيات وما غاب عن خلقه في الارضين والسموات (قل) يا محمد (جاء الحق) وهو امر الله تعالى بالإسلام والتوحيد وقيل هو الجهاد بالسيف عن ابن مسعود (وما يبدئ الباطل وما يعيد) اي ذهب الباطل ذهابا لم يبق منه ابداء ولا اعادة ولا اقبال ولا ادبار لأن الحق إذا جاء لا يبقى للباطل بقية وقيل ان الباطل ابليس لا يبدئ الخلق ولا يعيدهم عن قتادة وقيل معناه ما يبدئ الباطل لأهله خيراً في الدنيا ولا يعيد خيراً في الآخرة عن الحسن وقال الزجاج ويجوز

ان يكون ما استفهاما في موضع نصب على معنى واي شيء يبدئ الباطل واي شيء يعيده قال ابن مسعود دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد (قل ان ضللت) عن الحق كما تدعون (فإنما اضل على نفسي) اي فإنما يرجع وبال ضلالي علي لأني مأخوذ به دون غيري (وإن اهتديت) إلى الحق (فبما يوحي إلي ربي) اي بفضل ربي حيث اوحى إلي فله المنة بذلك علي دون خلقه (انه سميع) لأقوالنا (قريب) منا فلا يخفى عليه المحق والمبطل

قوله تعالى (٥١) وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٥٢) وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٤) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ اربع آيات

القراءة

قرأ ابو عمرو واهل الكوفة غير عاصم التناوش بالمد والهمز والباقون بغير مد ولا همز

الحجة

التناوش التناول من قولهم نشت انوش قال الشاعر

فهي تنوش الحوض نوشا من علا ... نوشا به تقطع اجواز الفلا

فمن لم يهمز جعله تفاعلا منه ومن همز احتمل امرين احدهما انه ابدل من الواو والهمز لانضمامها مثل أقتت وادؤر ونحو ذلك والآخر يكون من النأش وهو الطلب قال رؤبة

اقحمني جار ابي الخاموش ... اليك نأش القدر النئوش

والنأش الحركة في الابطاء قال الشاعر

تمنى نئيشا ان يكون أطاعني ... وقد حدثت بعد الأمور أمور

اي تمنى مدة مديدة فنصب نئيشا على الظرف

المعنى

ثم قال سبحانه (ولو ترى) يا محمد (إذ فزعوا) اي عند البعث (فلا فوت) اي فلا يفوتني منهم احد ولا ينجو مني ظالم (واخذوا من مكان قريب) يعني القبور وحيث كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه وجواب لو محذوف ويدل الكلام عليه والتقدير لرأيت امراً عظيما وقيل إذ فزعوا في الدنيا حين رأوا بأس الله عند معاينة الملائكة لقبض ارواحهم عن قتادة وقيل هو فزعهم يوم بدر حين ضربت اعناقهم فلم يستطيعوا فراراً من العذاب ولا رجوعا إلى التوبة عن الضحاك والسدي وقال ابو حمزة الثمالي سمعت علي بن الحسين «ع» والحسن بن الحسن بن علي «ع» يقولان هو جيش البيداء يؤخذون من تحت اقدامهم قال وحدثني عمرو بن مرة وحمران بن اعين انهما سمعا مهاجرا المكي يقول سمعت ام سلمة تقول قال رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم يعوذ عائذ بالبيت فيبعث الله اليه جيشا حتى إذا كانوا بالبيداء بيداء المدينة خسف بهم وروي عن حذيفة بن اليمان ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر فتنة تكون بين اهل المشرق والمغرب قال فبينا هم كذلك يخرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فور ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا إلى المشرق وآخر الى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل من المدينة الملعونة يعني بغداد فيقتلون اكثر من ثلاثة آلاف ويفضحون اكثر من مائة امرأة ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ماحولها ثم يخرجون متوجهين إلى الشام فيخرج راية هدى من الكوفة فيلحق ذلك الجيش فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما في ايديهم من السبي والغنائم ويحل الجيش الثاني بالمدينة فينتهبونها ثلاثة ايام بلياليها ثم يخرجون متوجهين إلى مكة حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبرائيل فيقول يا جبرائيل اذهب فأبدهم فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم عندها ولا يفلت منهم إلا رجلان من جهينة فلذلك جاء القول «وعند جهينة الخبر اليقين» فذلك قوله ولو ترى إذ فزعوا إلى آخره اورده الثعلبي في تفسيره وروى اصحابنا في احاديث المهدي عن ابي عبد الله «ع» وابي جعفر «ع» مثله (وقالوا) اي ويقولون في ذلك الوقت وهو يوم القيامة أو عند رؤية البأس أو عند الخسف في حديث السفياني (آمنا به وانى لهم التناوش) أي ومن أين لهم الانتفاع بهذا الإيمان الذي الجئوا اليه بين سبحانه انهم لا ينالون به نفعا كما لا ينال احد التناوش (من مكان بعيد) وقيل معناه انهم طلبوا المرد إلى الدنيا فالمراد انهم طلبوا الأمر من حيث لا ينال ولم يرد بعد المكان وإنما أراد بعد انتفاعهم بذلك وبعدهم عن الصواب (وقد كفروا به من قبل) المعنى وكيف تقبل توبتهم او يردون إلى الدنيا وقد كفروا بالله من قبل ذلك (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) اي ويرجمون بالظن فيقولون لا جنة ولا نار ولا بعث وهذا أبعد ما يكون من الظن عن قتادة وقيل معناه يرمون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالظنون من غير يقين وذلك قولهم هو ساحر وهو شاعر وهو مجنون وجعله قذفا لخروجه في غير حق وقيل معناه ويبعدون أمر الآخرة فيقولون لاتباعهم هيهات هيهات لما توعدون وذلك كالشيء يرى في موضع بعيد المرمى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) أي وفرق بينهم وبين مشتهياتهم بالموت الذي حل بهم كما حل بأمثالهم عن ابي مسلم وقيل مشتهاهم هو التوبة والإيمان او الرد إلى الدنيا وقد منعوا منه وقيل هو نعيم الجنة عن الجبائي وقيل معناه منعوا من كل مشتهى فيلحق الله تعالى فيهم النفار فلا يدركون شيئا إلا ويتألمون به (كما فعل مثل ذلك بأشياعهم من قبل) أي بأمثالهم من الكفار وقيل معناه بموافقيهم وأهل دينهم من الأمم الماضية حين لم تقبل منهم التوبة وقت رؤية البأس والعذاب قال الضحاك المراد بذلك اصحاب الفيل حين ارادوا خراب الكعبة (انهم كانوا في شك) من البعث والنشور وقيل في شك من وقوع العذاب بهم (مريب) اي مشكك كما قالوا عجب عجيب

سورة الملائكة

مكية قال الحسن إلا آيتين إن الذين يتلون كتاب الله الآية ثم اورثنا الكتاب الآية

﴿ عدد آيها ﴾

ست واربعون آية شامي والمدني الأخير وخمس في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

سبع آيات الذين كفروا لهم عذاب شديد بصري شامي جديد والبصري والنور ثلاثهن غير البصري من في القبور غير شامي ان تزولا بصري تبديلا بصري شامي والمدني الأخير

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيامة ثلاثة ابواب من الجنة ان ادخل من اي الابواب شئت

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه السورة المتقدمة بالرد على اهل الشرك والشك والعنود افتتح هذه السورة بذكر كمال قدرته ووحدانيته ودلائل التوحيد فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللّٰهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) مَا يَفْتَحِ اللّٰهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللّٰهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٤) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللّٰهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٥) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللّٰهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللّٰهِ الْغَرُورُ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير عاصم وابو جعفر غير الله بالجر والباقون بالرفع

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ غير الله بالجر جعله صفة على اللفظ والخبر يرزقكم من السماء والأرض ومن قرأ غير الله بالرفع احتمل وجوها ﴿ احدها ﴾ ان يكون خبر المبتدأ ﴿ والآخر ﴾ أن يكون صفة على الموضع والخبر مضمر تقديره هل خالق غير الله في الوجود او العالم ﴿ والثالث ﴾ أن يكون غير استثناء والخبر مضمر كأنه قال هل من خالق إلا الله ويدل على جواز الاستثناء قوله ما من إله إلا الله

﴿ اللغة ﴾

الفطر الشق عن الشئ باظهاره للحس وفاطر السموات خالقها

﴿ الاعراب ﴾

مثنى وثلاث ورباع صفة لأجنحة معدولة عن اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ۰ ما يفتح الله ما شرطية في محل النصب لكونها مفعول يفتح

﴿ المعنى ﴾

(الحمد لله فاطر السموات والأرض) اي خالقها مبتدئا على غير مثال سبق حمد سبحانه نفسه ليعلمنا كيف نحمده وليبين لنا أن الحمد كله له (جاعل الملئكة رسلا) إلى الأنبياء بالرسالات والوحي (اولي اجنحة مثنى وثلاث ورباع) تقدم تفسيرها وإنما جعلهم اولي اجنحة ليتمكنوا بها من العروج إلى السماء ومن النزول إلى الأرض فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة اجنحة ومنهم من له اربعة اجنحة عن قتادة قال ويزيد فيها ما يشاء وهو قوله (يزيد في الخلق ما يشاء) قال ابن عباس رأى رسول الله ﷺ جبرائيل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وهذا اختيار الزجاج والفراء وقيل أراد بقوله يزيد في الخلق ما يشاء حسن الصوت عن الزهري وابن جريج وقيل هو الملاحة في العينين عن قتادة وروى ابو هريرة عن النبي ﷺ قال هو الوجه الحسن والصوت الحسن والشعر الحسن (إن الله على كل شئ قدير) لا شئ إلا وهو قادر عليه بعينه او قادر على مثله ثم بين سبحانه انعامه على خلقه فقال (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها) اي ما يأتيهم به من مطر أو عافية أو اي نعمة شاء فإن احدا لا يقدر على امساكه (وما يمسك) من ذلك (فلا مرسل له من بعده) اي فإن احدا لا يقدر على ارساله وقيل معناه ما يرسل الله من رسول إلى عباده في وقت دون وقت فلا مانع له لأن ارسال الرسول رحمة من الله كما قال وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وما يمسكه في زمان الفترة او عمن يقترحه من الكفار فلا مرسل له عن الحسن واللفظ محتمل للجميع (وهو العزيز) اي القادر الذي لا يعجز (الحكيم) في افعاله ان انعم وان امسك لأنه يفعل ما تقتضيه الحكمة ثم خاطب المؤمنين فقال (يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) الظاهرة والباطنة التي من جملتها انه خلقكم واوجدكم واحياكم واقدركم وشهاكم وخلق لكم انواع الملاذ والمنافع (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض) هذا استفهام تقرير لهم ومعناه النفي ليقروا بأنه لا خالق إلا الله يرزق من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات وهل يجوز اطلاق لفظ الخالق على غير الله سبحانه فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ انه لا تطلق هذه اللفظة على احد سواه وإنما يوصف به غيره على جهة التقييد وان جاز اطلاق لفظ الصانع والفاعل نحوهما على غيره ﴿ والآخر ﴾ ان المعنى لا خالق يرزق ويخلق الرزق إلا الله تعالى (لا إله إلا هو) أي لا معبود يستحق العبادة سواه سبحانه (فأنى تؤفكون) اي كيف تصرفون عن طريق الحق إلى الضلال وقيل معناه أنى يعدل بكم عن هذه الأدلة التي اقمتها لكم على التوحيد مع وضوحها ثم سلى سبحانه نبيه ﷺ عن تكذيب قومه اياه فقال (وان يكذبوك) يا محمد (فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الامور) فيجازي من كذب رسله وينصر من كذب من رسله ثم خاطب الخلق فقال (يا ايها الناس ان وعد الله) من البعث والنشور والجنة والنار والجزاء والحساب (حق) صدق كائن لا محالة (فلا تغرنكم الحيوة الدنيا) فتغترون بملاذها ونعيمها ولا

يخدعنكم حب الرياسة وطول البقاء فإن ذلك عن قليل نافد بائد ويبقى الوبال والوزر (ولا يغرنكم بالله الغرور) وهو الذي عادته ان يغر غيره والدنيا وزينتها بهذه الصفة لأن الخلق يغترون بها وقيل ان الغرور الشيطان الذي هو ابليس عن الحسن ومجاهد

قوله تعالى (٦) إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ (٧) ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٨) أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٩) وَٱللَّهُ ٱلَّذِي أَرْسَلَ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ (١٠) مَنْ كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ خمس آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر فلا تذهب بضم التاء نفسك بالنصب والباقون فلا تذهب نفسك والوجه فيهما ظاهر

الإعراب

حسرات مصدر فعل محذوف تقديره فلا تذهب نفسك تتحسر عليهم حسرات وجميعا نصب على الحال والعامل فيه ما يتعلق به اللام من لله ومكر اولئك هو يبور هو فصل بين المبتدأ وخبره

المعنى

ثم انه سبحانه حذرهم الشيطان فقال (إن الشيطان لكم عدو) يدعوكم إلى ما فيه الهلاك والخسر ويصرفكم عن افعال الخير والبر ويدعوكم إلى الشر (فاتخذوه عدوا) اي فعادوه ولا تتبعوه بأن تعملوا على وفق مراده وتدعنوا لانقياده (إنما يدعو حزبه) اي اتباعه واولياءه واصحابه (ليكونوا من اصحاب السعير) اي النار المسعرة والمعنى انه لا سلطان له على المؤمنين ولكنه يدعو اتباعه إلى ما يستحقون به النار ثم بين سبحانه حال من اجابه وحال من خالفه فقال (الذين كفروا لهم عذاب شديد) جزاء على كفرهم (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة) من الله لذنوبهم (واجر كبير) اي ثواب عظيم ثم قال سبحانه مقررا لهم (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) يعني الكفار زينت لهم نفوسهم اعمالهم السيئة فتصوروها حسنة او زينه الشيطان لهم بأن امالهم إلى الشبه المضلة وترك النظر في الأدلة واغواهم حتى تشاغلوا بما فيه عاجل اللذة وطرح الكلفة وخبر قوله افمن زين له سوء عمله محذوف اي اهو كمن علم الحسن والقبيح وعمل بما علم ولم يزين له سوء عمله وقيل تقديره كمن هداه الله وقيل كمن زين له صالح عمله (فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) مر بيانه (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) اي لا تهلك نفسك يا محمد عليهم حسرة ولا يغمك حالهم اذ كفروا واستحقوا العقاب وهو مثل قوله لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين والحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر (إن الله عليم بما يصنعون) فيجازيهم عليه ثم عاد سبحانه إلى ذكر ادلة التوحيد

فقال (والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا) اي تهيجه وتزعجه من حيث هو (فسقناه) اي فسقنا السحاب (إلى بلد ميت) اي قحط وجدب لم يمطر فيمطر على ذلك البلد (فأحيينا به) اي بذلك المطر والماء (الأرض بعد موتها) بأن انبتنا فيها الزرع والكلأ بعد أن لم يكن (كذلك النشور) أي كما فعل هذا بهذه الارض الجدبة من احيائها بالزرع والنبات ينشر الخلائق بعد موتهم ويحشرهم للجزاء من الثواب والعقاب (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) اختلف في معناه فقيل المعنى من كان يريد علم العزة وهي القدرة على القهر والغلبة لمن هي فإنها لله جميعا عن الفراء وقيل معناه من أراد العزة فليتعزز بطاعة الله فإن الله تعالى يعزه عن قتادة يعني ان قوله فلله العزة جميعا معناه الدعاء الى طاعة من له العزة كما يقال من أراد المال فالمال لفلان اي فليطلبه من عنده يدل على صحة هذا مارواه أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ان ربكم يقول كل يوم انا العزيز فمن أراد عز الدارين فليطع العزيز (اليه يصعد الكلم الطيب) والكلم جمع الكلمة يقال هذا كلم وهذه كلم فيذكر ويؤنث وكل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء يجوز فيه التذكير والتأنيث ومعنى الصعود هاهنا القبول من صاحبه والإثابة عليه وكلما يتقبله الله سبحانه من الطاعات يوصف بالرفع والصعود لأن الملائكة يكتبون اعمال بني آدم ويرفعونها إلى حيث شاء الله تعالى وهذا كقوله ان كتاب الأبرار لفي عليين وقيل معنى اليه يصعد إلى سمائه والى حيث لا يملك الحكم سواه فجعل صعوده إلى سمائه صعودا اليه تعالى كما يقال ارتفع امرهم الى السلطان والكلم الطيب الكلمات الحسنة من التعظيم والتقديس واحسن الكلم لا إله إلا الله (والعمل الصالح يرفعه) قيل فيه وجوه ❊ احدها ❊ العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله فالهاء من يرفعه يعود إلى الكلم وهو معنى قول الحسن ❊ والثاني ❊ على القلب من الأول اي والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب والمعنى ان العمل الصالح لا ينفع إلا إذا صدر عن التوحيد عن ابن عباس ❊ والثالث ❊ ان المعنى العمل الصالح يرفعه الله لصاحبه اي يقبله عن قتادة وعلى هذا فيكون ابتداء اخبار لا يتعلق بما قبله ثم ذكر سبحانه من لا يوحد الله سبحانه فقال (والذين يمكرون السيئات) اي يعملون السيئات عن الكلبي وقيل يمكرون اي يشركون بالله وقيل يعني الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في دار الندوة عن ابي العالية وهو قوله وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية (لهم عذاب شديد) في الآخرة ثم اخبر سبحانه ان مكرهم يبطل فقال (ومكر أولئك هو يبور) اي يفسد ويهلك ولا يكون شيئا ولا ينفذ فيما ارادوه

قوله تعالى (١١) وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ (١٢) وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٣) يُولِجُ ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٤) إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا

لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٥) يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٦) إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٧) وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ سبع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ روح وزيد عن يعقوب ولا ينقص بفتح الياء وهو قراءة الحسن وابن سيرين والباقون ولا ينقص على البناء للمفعول به وقرأ قتيبة عن الكسائي والذين يدعون بالياء والباقون بالتاء. وفي الشواذ قراءة عيسى الثقفي سيغ شرابه

﴿ الحجة ﴾

من قرأ ينقص فالتقدير ولا ينقص الله من عمره والقراءة المشهورة ولا ينقص وهي أوفق لما تقدمه من قوله وما يعمر من معمر وكذلك قراءة تدعون على الخطاب أوفق بما تقدم من الكلام وما تأخر ويدعون بالياء على الغيبة ومن قرأ سيغ شرابه فإنه على التخفيف من سيغ بالتشديد على فيعل وأصله سيوغ مثل هين وهيّن وميت وميّت

﴿ اللغة ﴾

النطفة الماء القليل والماء الكثير وهو من الاضداد ومنه قول امير المؤمنين «ع» لما قيل له ان الخوارج عبروا جسر النهروان مصارعهم دون النطفة والعمر البقاء وأصله طول المدة وقولهم لعمر الله بالفتح لا غير والقطمير لفافة النواة وقيل الحبة في بطن النواة والجديد القريب العهد بانقطاع العمل عنه واصله من القطع

﴿ الاعراب ﴾

لا ينقص تقديره لا ينقص من عمره شيء فمفعول ما لم يسم فاعله محذوف وقوله إلا في كتاب الجار والمجرور في موضع خبر لمبتدأ محذوف تقديره إلا هو كائن في كتاب. تلبسونها يجوز أن يكون جملة منصوبة الموضع على الحال من تستخرجون ويجوز ان يكون صفة لحلية اي حلية ملبوسة واللام من قوله لتبتغوا يتعلق بمواخر لأن المعنى ان الفلك يشق الماء للابتغاء من فضل الله وقوله من دونه في موضع الحال من الضمير المحذوف من قوله تدعون والتقدير والذين تدعونهم كائنين من دونه

﴿ المعنى ﴾

ثم نسق سبحانه على ما تقدم من دلائل التوحيد فقال (والله خلقكم من تراب) بأن خلق اباكم آدم منه فإن الشيء يضاف إلى اصله وقيل اراد به آدم «ع» نفسه (ثم من نطفة) أي ماء الرجل والمرأة (ثم جعلكم ازواجا) اي ذكورا وإناثا وقيل ضروبا واصنافا (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) اي وما تحمل من الإناث حاملة ولدها في بطنها إلا بعلم الله تعالى والمعنى إلا وهو عالم بذلك (وما يعمر من معمر) معناه وما يمد في عمر معمر اي ولا يطول عمر احد (ولا ينقص من عمره) اي من عمر ذلك المعمر بانقضاء الأوقات عليه عن ابي مالك يعني ولا يذهب بعض عمره بمضي الليل والنهار وقيل معناه ولا ينقص من عمر غير ذلك المعمر عن الحسن والضحاك وابن زيد وقيل هو ما يعلمه الله تعالى ان فلانا لو اطاع لبقي الى وقت

كذا وإذا عصى نقص عمره فلا يبقى فالنقصان على ثلاثة اوجه اما ان يكون من عمر المعمر او من عمر معمر آخر او يكون بشرط (إلا في كتاب) اي إلا وذلك مثبت في الكتاب وهو الكتاب المحفوظ أثبته الله تعالى قبل كونه قال سعيد بن جبير مكتوب في أم الكتاب عمر فلان كذا سنة ثم يكتب اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة ايام حتى يأتي على آخر عمره (ان ذلك على الله يسير) يعني ان تعمير من يعمره ونقصان من ينقصه واثبات ذلك في الكتاب سهل على الله تعالى غير متعذر ثم قال (وما يستوي البحران) يعني العذب والمالح ثم ذكرهما فقال (هذا عذب فرات) اي طيب بارد (سائغ شرابه) اي جائز في الحلق هنيء (وهذا ملح اجاج) شديد الملوحة عن ابن عباس وما بعد هذا مفسر في سورة النحل الى آخر الآية (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) اي يدخل احدهما في الآخر بالزيادة والنقصان (وسخر الشمس والقمر) اي يجريهما كما يريد (كل يجري لأجل مسمى) اي لوقت معلوم وقد مضى تفسيره (ذلكم الله ربكم) أي مدبر هذه الأمور وهو الله خالقكم (له الملك) في الدنيا والآخرة (والذين تدعون من دونه) اي تدعونهم آلهة من الأصنام والأوثان وتوجهون عبادتكم اليهم (ما يملكون من قطمير) اي قشر نواة عن ابن عباس اي لا يقدرون من ذلك على قليل ولا كثير (إن تدعوهم) لكشف ضر (لا يسمعوا دعاءكم) لأنها جماد لا تنفع ولا تضر (ولو سمعوا) بأن يخلق الله لها سمعا (ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم) اي يتبرأون عن عبادتكم ينطقهم الله يوم القيامة لتوبيخ عابد بها فيقولون لم عبدتمونا وما دعوناكم إلى ذلك قال البلخي ويجوز ان يكون المراد به الملائكة وعيسى ويكون معنى قوله لا يسمعوا دعاءكم انهم بحيث لا يسمعونه او انهم مشتغلون عنهم لا يلتفتون اليهم ويجوز ان يكون المراد به الأصنام ويكون ما يظهر من بطلان ما ظنوه كفرا بشركهم وجحودا له كما ان ما يحصل في الجماد من الدلالة على الله تسبيح منهم (ولا ينبئك مثل خبير) اي لا يخبرك بما فيه الصلاح والفساد والمنافع والمضار مثل الله سبحانه العليم بالاشياء كلها (يا أيها الناس انتم الفقراء) المحتاجون (إلى الله والله هو الغني) عن عبادتكم لا يحتاج إلى شيء (الحميد) المستحق للحمد على جميع افعاله فلا يفعل إلا ما يستحق به حمدا ثم اخبر عن كمال قدرته فقال (ان يشأ يذهبكم) ويفنكم (ويأت بخلق جديد) سواكم كما خلقكم ولم تكونوا شيئا (وما ذلك على الله بعزيز) اي ممتنع بل هو عليه هين يسير

قوله تعالى (١٨) وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١٩) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ (٢٠) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢١) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢٢) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٢٣) إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٤) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٥) وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٦) ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ سبع آيات بصري تسع في غيرهم

﴿ اللغة ﴾

الحرور السموم وهي الريح الحارة قال الفراء السموم لا يكون إلا بالنهار والحرور يكون بالليل والنهار والاستواء حصول احد الشيئين على مقدار الآخر ومنه الاستواء في العود والطريق خلاف الاعوجاج لمره على مقدار وضع له من غير انعدال والاسماع إيجاد المسموع بحيث يدركه السامع

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن عدله في حكمه فقال (ولا تزر وازرة وزر اخرى) أي لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى اي لا يؤاخذ أحد بذنب غيره وإنما يؤاخذ كل بما يقترفه من الآثام (وان تدع مثقلة الى حملها) اي وان تدع نفس مثقلة بالآثام غيرها الى ان يتحمل عنها شيئا من إثمها (لا يحمل منه شيء) أي لا يحمل غيرها شيئا من ذلك الحمل (ولو كان ذا قربى) أي ولو كان المدعو الى التحمل ذا قرابة منها واقرب الناس اليها ما حمل عنها شيئا فكل نفس بما كسبت رهينة قال ابن عباس يقول الأب والأم يا بني احمل عني فيقول حسبي ما علي (إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) أي وهم غائبون عن احكام الآخرة وأهوالها وهذا كقوله إنما انت منذر من يخشاها والمعنى ان انذارك لا ينفع إلا الذين يخشون ربهم فكأنك تنذرهم دون غيرهم ممن لا ينفعهم الانذار وقيل الذين يخشون ربهم في خلواتهم وغيبتهم عن الخلق (واقاموا الصلاة) أي أداموها وقاموا بشرائطها وإنما عطف الماضي على المستقبل اشعارا باختلاف المعنى لأن الخشية لازمة في كل وقت والصلاة لها اوقات مخصوصة (ومن تزكى) أي فعل الطاعات وقام بما يجب عليه من الزكاة وغيرها من الواجبات وقيل تطهر من الآثام (فإنما يتزكى لنفسه) لأن جزاء ذلك يصل اليه دون غيره (والى الله المصير) أي مرجع الخلق كلهم الى حيث لا يملك الحكم إلا الله سبحانه فيجازي كلا على قدر عمله (وما يستوي الأعمى والبصير) اي لا يتساوى الأعمى عن طريق الحق والذي اهتدى اليه قط وقيل المشرك والمؤمن (ولا الظلمات) أي ظلمات الشرك والضلال (ولا النور) أي نور الإيمان والهداية وفي قوله ولا النور وما بعده من زيادة لا قولان ﴿ احدهما ﴾ انها زائدة مؤكدة للنفي ﴿ والثاني ﴾ انها نافية لاستواء كل واحد منها لصاحبه على التفصيل (ولا الظل ولا الحرور) يعني الجنة والنار عن الكلبي وقيل يعني ظل الليل والسموم بالنهار (وما يستوي الأحياء ولا الأموات) يعني المؤمنين والكافرين وقيل يعني العلماء والجهال وقال بعضهم أراد نفس الأعمى والبصير والظل والحرور والظلمات والنور على طريق ضرب المثل أي كما لا يستوي هذه الأشياء ولا يتماثل ولا يتشاكل فكذلك عبادة الله لا تشبه عبادة غيره ولا يستوي المؤمن والكافر والحق والباطل والعالم والجاهل (إن الله يسمع من يشاء) أي ينفع بالاسماع من يشاء أن يلطف له ويوفقه ولم يرد به نفي حقيقة السماع لأنهم كانوا يسمعون آيات الله (وما انت بمسمع من في القبور) أي انك لا تقدر على ان تنفع الكفار باسماعك إياهم إذ لم يقبلوا كما لا تسمع من في القبور من الأموات (إن أنت إلا نذير) أي ما انت إلا مخوف لهم بالله (إنا ارسلناك بالحق) أي بالدين الصحيح (بشيرا ونذيرا) أي مبشرا للمؤمنين ونذيرا للكافرين (وإن من أمة) اي ومامن امة من الامم الماضية (إلا خلا فيها نذير) أي مضى فيها مخوف يخوفهم وينذرهم فأنت مثلهم نذير لمن جحد بشير لمن وحد قال الجبائي وفي هذا دلالة على انه لا أحد من المكلفين إلا وقد بعث اليه الرسول وانه سبحانه اقام الحجة على جميع الأمم ثم قال تعالى

تسلية لنبيه ﷺ (وإن يكذبوك) يا محمد ولم يصدقوك (فقد كذب الذين من قبلهم) من الكفار أنبياء ارسلهم الله اليهم (جاءتهم رسلهم بالبينات) اي بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات (وبالزبر) أي وبالكتب (وبالكتاب المنير) أي الواضح البين وإنما كرر ذكر الكتاب وعطفه على الزبر لاختلاف الصفتين فإن الزبور أثبت في الكتاب من الكتاب لأنه يكون منقرا منقشا فيه كالنقر في الحجر (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير) أي فلما كذبوا رسلهم ولم يعترفوا بنبوتهم أخذتهم بالعذاب وأهلكتهم ودمرت عليهم فكيف كان تعييري وانكاري عليهم وإنزالي العقاب بهم

قوله تعالى (٢٧) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٨) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٩) إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٣٠) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ اربع آيات

اللغة

واحد الجدد جدة واما الجدد فجمع جديد قال المبرد الجدد الطرائق والخطوط قال امرؤ القيس

كأن سراته وجدة متنه كنائن يجرى بينهن دليص

يعني الخطة السوداء في ظهر حمار الوحش وكل طريقة جدة وجادة وقال الفراء هي الطرائق تكون في الجبال كالعروق بيض وسود وحمر والغربيب الشديد السواد الذي يشبه لون الغراب

(الإعراب)

مختلفا صفة لثمرات وألوانها مرفوع بأنه فاعله. مختلف الوانه خبر مبتدأ محذوف تقديره ماهو مختلف الوانه فالهاء في الوانه عائد الى هو ويجوز أن يكون الهاء عائدا الى موصوف لمختلف تقديره جنس مختلف الوانه وهو الأصح. سرا وعلانية يجوز ان يكون نصبها على الحال على تقدير أنفقوا مسرين ومعلنين ويجوز أن يكون على صفة مصدر أنفق تقديره أنفقوا إنفاقا مسرا ومعلنا ويرجون في موضع نصب على الحال

المعنى

ثم عاد الكلام إلى ذكر دلائل التوحيد فقال سبحانه (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) اي غيثا ومطرا (فأخرجنا) اخبر عن نفسه بنون الكبرياء والعظمة (به) اي بذلك الماء (ثمرات) جمع ثمرة وهي ما تجتني من الشجر (مختلفا الوانها) وطعومها وروائحها اقتصر على ذكر الألوان لأنها اظهر ولدلالة الكلام على الطعوم والروائح (ومن الجبال جدد) اي ومما خلقنا من الجبال جدد (بيض وحمر) اي طرق بيض وطرق حمر (مختلف الوانها وغرابيب سود) اي ومن الجبال غرابيب سود على لون واحد لا خطط فيها قال الفراء وهذا على التقديم والتأخير تقديره وسود غرابيب لأنه يقال اسود غربيب واسود حالك واقول ينبغي أن يكون سود عطف بيان يبين غرابيب به والاجود أن يكون تأكيدا إذ الغرابيب لا تكون إلا سودا فيكون كقولك رأيت زيدا زيدا وهذا أولى من ان يحمل على التقديم والتأخير (ومن الناس) ايضا (والدواب) التي تدب على وجه الارض (والأنعام)

كالابل والغنم والبقر خلق (مختلف الوانه كذلك) اي كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام ثم قال (إنما يخشى الله من عباده العلماء) اي ليس يخاف الله حق خوفه ولا يحذر معاصيه خوفا من نقمته إلا العلماء الذين يعرفونه حق معرفته وروي عن الصادق «ع» انه قال يعني بالعلماء من صدق قوله فعله ومن لم يصدق فعله قوله فليس بعالم وعن ابن عباس قال يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني وفي الحديث اعلمكم بالله اخوفكم لله قال مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى الله وكفى بالمرء جهلا ان يعجب بعلمه وإنما خص سبحانه العلماء بالخشية لأن العالم احذر لعقاب الله من الجاهل حيث يختص بمعرفة التوحيد والعدل ويصدق بالبعث والحساب والجنة والنار ومتى قيل فقد نرى من العلماء من لا يخاف الله ويرتكب المعاصي ﴿ فالجواب ﴾ انه لابد من ان يخافه مع العلم به وإن كان ربما يؤثر المعصية عند غلبة الشهوة لعاجل اللذة (إن الله) تعالى (عزيز) في انتقامه من اعدائه (غفور) لزلات اوليائه ثم وصف سبحانه العلماء فقال (إن الذين يتلون كتاب الله) اي يقرؤن القرآن في الصلاة وغيرها اثنى سبحانه عليهم بقراءة القرآن قال مطرف بن عبد الله الشخير هذه آية القراء (واقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم) اي ملكناهم التصرف فيه (سرا وعلانية) اي في حال سرهم وفي حال علانيتهم وعن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي قال قام رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله مالي لا أحب الموت قال ألك مال قال نعم قال فقدمه قال لا استطيع قال فإن قلب الرجل مع ماله إن قدمه أحب ان يلحق به و إن أخره أحب ان يتأخر معه (يرجون تجارة لن تبور) اي راجين بذلك تجارة لن تكسد ولن تفسد ولن تهلك (ليوفيهم أجورهم) اي قصدوا بأعمالهم الصالحة وفعلوها لأن يوفيهم الله أجورهم بالثواب ويزيدهم على قدر استحقاقهم (من فضله انه غفور) لذنوبهم (شكور) لحسناتهم عن الزجاج وقال الفرا خبر ان قوله يرجون تجارة لن تبور وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال في قوله ويزيدهم من فضله هو الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليه معروفا في الدنيا وعن الضحاك قال يفسح لهم في قبورهم وقيل معنى شكور انه يقبل اليسير ويثيب عليه الكثير تقول العرب اشكر من بروقة وتزعم انها شجرة عارية من الورق تغيم السماء فوقها فتخضر وتورق من غير مطر

قوله تعالى (٣١) وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣٢) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٣) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٤) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٥) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو يدخلونها بضم الياء على ما لم يسم فاعله ليشاكل قوله يحلون والباقون بفتح الياء لأنهم إذا ادخلوا فقد دخلوا وقد ذكرنا اختلافهم في لؤلؤا في سورة الحج

﴿ اللغة ﴾

المقامة الإقامة وموضع الاقامة وإذا فتحت الميم كان بمعنى القيام وموضع القيام قال الشاعر

يومان يوم مقامات واندية ويوم سير إلى الأعداء تأويب

والنصب التعب وفيه لغتان النُصب والنصب لغتان كالرشد والرشد والحزن والحزَن واللغوب الاعياء من التعب

الاعراب

من الكتاب في موضع الحال من الضمير المنصوب المحذوف من الصلة والتقدير والذي اوحيناه اليك كائنا من الكتاب جنات عدن يدخلونها خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون بدلا من قوله الفضل الكبير يدخلونها في موضع نصب على الحال وكذلك يحلون فيها من اساور من يتعلق بيحلون من ذهب في موضع الصفة لاساور اي اساور كائنة من ذهب والمعنى ذهبية. لايسنا في موضع نصب على الحال

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (والذي أوحينا اليك) يا محمد وانزلناه (من الكتاب) وهو القرآن (هو الحق) اي الصحيح الذي لا يشوبه فساد والصدق الذي لا يمازجه كذب والعقل يدعو إلى الحق ويصرف عن الباطل (مصدقا لما بين يديه) اي لما قبله من الكتب لأنه جاء موافقا لما بشرت به تلك الكتب من حاله وحال من اتى به (إن الله بعباده لخبير) اي عالم (بصير) بأحوالهم (ثم أورثنا الكتاب) يعني القرآن وقيل هو التوراة عن ابي مسلم وقيل اراد الكتب لأن الكتاب يطلق ويراد به الجنس عن الجبائي والصحيح الأول لأن ظاهر لفظ الكتاب لا يطلق إلا على القرآن (الذين اصطفينا من عبادنا) اي اخترناهم ومعنى الارث انتهاء الحكم اليهم ومصيره لهم كما قال وتلك الجنة التي اورثتموها وقيل معناه اورثناهم الايمان بالكتب السالفة اذ الميراث انتقال الشيء من قوم إلى قوم والاول اصح واختلف في الذين اصطفاهم الله تعالى من عباده في الآية فقيل هم الأنبياء اختارهم الله برسالته وكتبه عن الجبائي وقيل هم المصطفون الداخلون في قوله إن الله اصطفى آدم إلى قوله وآل ابراهيم وآل عمران يريد بني اسرائيل عن ابي مسلم قال لأن الأنبياء لا يرثون الكتب بل يورث علمهم وقيل هم امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم اورثهم الله كل كتاب انزله عن ابن عباس وقيل هم علماء امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لما ورد في الحديث العلماء ورثة الأنبياء والمروي عن الباقر والصادق «ع» انهما قالا هي لنا خاصة وايانا عنى وهذا اقرب الأقوال لأنهم احق الناس بوصف الاصطفاء والاجتباء وايراث علم الأنبياء إذ هم المتعبدون بحفظ القرآن وبيان حقائقه والعارفون بجلائله ودقائقه (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) اختلف في ان الضمير في منهم إلى من يعود على قولين ﴿ احدهما ﴾ انه يعود إلى العباد وتقدير الكلام فمن العباد ظالم وروي نحو ذلك عن ابن عباس والحسن وقتادة واختاره المرتضى قدس الله روحه من اصحابنا قال والوجه فيه انه لما علق توريث الكتاب بمن اصطفاه من عباده بين عقيبه انه إنما علق وراثة الكتاب ببعض العباد دون بعض لأن فيهم من هو ظالم لنفسه ومن هو مقتصد ومن هو سابق بالخيرات ﴿ والقول الثاني ﴾ أن الضمير يعود إلى المصطفين من العباد عن اكثر المفسرين ثم اختلف في احوال الفرق الثلاث على قولين ﴿ احدهما ﴾ ان جميعهم ناج ويؤيد ذلك ما ورد في الحديث عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول في الآية أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام ثم يدخل الجنة فهم الذين قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وعن عائشة انها قالت كلهم في الجنة اما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالجنة واما المقتصد فمن اتبع اثره من اصحابه حتى لحق بهم وأما الظالم فمثلي ومثلكم وروي عنها ايضا أنها قالت السابق الذي اسلم قبل الهجرة والمقتصد الذي اسلم بعد الهجرة والظالم نحن وروي عن عمر بن الخطاب انه قال سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وقيل إن الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل منهم ظالم لنفسه بالصغائر ومنهم مقتصد بالطاعات في الدرجة الوسطى ومنهم سابق بالخيرات في الدرجة

العليا عن جعفر بن حرب وروى اصحابنا عن ميسر بن عبد العزيز عن الصادق «ع» انه قال الظالم لنفسه منا من لا يعرف حق الإمام والمقتصد منا العارف بحق الإمام والسابق بالخيرات هو الإمام وهؤلاء كلهم مغفور لهم وعن زياد بن المنذر عن ابي جعفر (ع) قال اما الظالم لنفسه منا فمن عمل عملا صالحا وآخر سيئا واما المقتصد فهو المتعبد المجتهد واما السابق بالخيرات فعلي والحسن والحسين (ع) ومن قتل من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم شهيدا والقول الآخر ان الفرقة الظالمة لنفسها غير ناجية قال قتادة الظالم لنفسه اصحاب المشأمة والمقتصد اصحاب الميمنة والسابق بالخيرات هم السابقون المقربون من الناس كلهم كما قال سبحانه وكنتم ازواجا ثلاثة وقال عكرمة عن ابن عباس ان الظالم هو المنافق والمقتصد والسابق من جميع الناس وقال الحسن السابقون هم الصحابة والمقتصدون هم التابعون والظالمون هم المنافقون فإن قيل لم قدم الظالم وأخر السابق و إنما يقدم الأفضل فالجواب انهم يقدمون الادنى في الذكر على الأفضل قال سبحانه يولج الليل في النهار وقال يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقال خلق الموت والحياة وقال فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقيل إنما قدم الظالم لئلا ييأس من رحمته واخر السابق لئلا يعجب بعلمه وقيل إنما رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لأن احوال الناس ثلاث معصية وغفلة ثم التوبة ثم القربة فإذا عصى فهو ظالم و إذا تاب فهو مقتصد و إذا صحت توبته وكثرت مجاهدته اتصل بالله وصار من جملة السابقين وقوله (بإذن الله) اي بأمره وتوفيقه ولطفه (ذلك هو الفضل الكبير) معناه ان ايراث الكتاب واصطفاء الله اياهم هو الفضل العظيم من الله عليهم (جنات عدن يدخلونها) هذا تفسير للفضل كأنه قيل ما ذلك الفضل فقال هي جنات اي جزاء جنات او دخول جنات ويجوز أن يكون بدلا من الفضل كأنه قال ذلك دخول جنات (يحلون فيها من اساور) جمع اسورة وهي جمع سوار (من ذهب ولؤلؤا) ومن قرأ ولؤلؤ فالمعنى ويحلون فيها لؤلؤا (ولباسهم فيها حرير) وهو الابريسم المحض و إذا قلنا إن المراد به الفرق الثالث فالظالم إنما يدخلها بفضل الله تعالى أو بالشفاعة (وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن) اخبر سبحانه عن حالهم انهم إذا دخلوا الجنة يقولون الحمد لله اعترافا منهم بنعمته لا على وجه التكليف وشكرا له على ان اذهب الغم الذي كانوا عليه في دار الدنيا عنهم وقيل يعنون الحزن الذي اصابهم قبل دخول الجنة لأنهم كانوا يخافون دخول النار إذ كانوا مستحقين لذلك فإذا تفضل الله عليهم بإسقاط عقابهم وادخلهم الجنة حمدوه على ذلك وشكروه (إن ربنا لغفور) الذنوب عباده وقبيح افعالهم (شكور) يقبل اليسير من محاسن اعمالهم وقيل ان شكره سبحانه هو مكافاته لهم على الشكر له والقيام بطاعته وان كان حقيقة الشكر لا يجوز عليه سبحانه من حيث كان اعترافا بالنعمة ولا يصح ان يكون سبحانه منعما عليه (الذي احلنا دار المقامة) اي انزلنا دار الخلود يقيمون فيها ابدا لا يموتون ولا يتحولون عنها (من فضله) اي ذلك بتفضله وكرمه (لا يمسنا فيها نصب) لا يصيبنا في الجنة عناء ومشقة (ولا يمسنا فيها لغوب) اي ولا يصيبنا فيها اعياء ومتعبة في طلب المعاش وغيره

قوله تعالى (٣٦) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٧) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٨) إِنَّ ٱللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٣٩) هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي ٱلْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٤٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ ٱلَّذِينَ

تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا خمس آيات

القراءة

قرأ ابو عمرو وخلف وحده يجزى كل كفور على ما لم يسم فاعله والباقون نجزي بالنون كل بالنصب وقرأ ابن كثير وابو عمرو وحمزة وحفص وخلف على بينة بالتوحيد والباقون بينات بالجمع

الحجة

من قرأ نجزي بالنون فإنه على وجه الاخبار من الله تعالى عن نفسه ومن قرأ على بناء الفعل للمفعول به فحجته ان ما قبله لا يقضى عليهم ولا يخفف عنهم والوجه في قراءة بينة على الافراد انه يجعل ما في الكتاب او ما يأتي به النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينة كما قال أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وقد جاءتكم بينة من ربكم ومن قرأ بالجمع فإن لكل نبي بينة فإذا جمعوا جمعت البينة بجمعهم على ان في الكتاب ضروبا من البينة فجمع لذلك

اللغة

الاصطراخ الصياح والنداء بالاستغاثة افتعال من الصراخ قلبت التاء طاء لأجل الصاد الساكنة قبلها و إنما فعل ذلك لتعديل الحروف بحرف وسط بين حرفين يوافق الصاد في الاستعلاء والاطباق ويوافق التاء في المخرج والمقت البغض مقته يمقته وهو ممقوت ومقيت

الاعراب

فيموتوا جواب النفي ويموتوا منصوب باضمار ان وعلامة النصب سقوط النون ما يتذكر فيه من تذكر الموصول والصلة في محل النصب على انه ظرف زمان لأن المعنى أولم نعمركم زمانا طويلا يتذكر فيه من تذكر والهاء فيه يعود إلى ما وقلما يجيء ما في معنى الظرف وهو اسم و إنما يجيء حرفا مصدريا

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر ما أعده لأهل الجنة من انواع الثواب عقبه بذكر ما أعده للكفار من أليم العقاب فقال (والذين كفروا) بوحدانية الله وجحدوا نبوة نبيه (لهم نار جهنم) جزاء على كفرهم (لا يقضى عليهم) بالموت (فيموتوا) فيستريحوا (ولا يخفف عنهم من عذابها) اي ولا يسهل عليهم عذاب النار (كذلك) اي ومثل هذا العذاب ونظيره (نجزي كل كفور) جاحد كثير الكفران مكذب لأنبياء الله (وهم يصطرخون فيها) اي يتصايحون بالاستغاثة يقولون (ربنا اخرجنا) من عذاب النار (نعمل صالحا) اي نؤمن بدل الكفر ونطيع بدل المعصية والمعنى ردنا إلى الدنيا لنعمل بالطاعات التي تأمرنا بها (غير الذي كنا نعمل) من المعاصي فوبخهم الله تعالى فقال (أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر) اي ألم نعطكم من العمر مقدار ما يمكن ان يتفكر ويعتبر وينظر في أمور دينه وعواقب حاله من يريد ان يتفكر ويتذكر واختلف في هذا المقدار فقيل هو ستون سنة وهو المروي عن امير المؤمنين «ع» قال العمر الذي اعذر الله فيه إلى ابن آدم ستون سنة وهو احدى الروايتين عن ابن عباس وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ايضا مرفوعا انه قال من عمره الله ستين سنة فقد اعذر اليه وقيل هو اربعون سنة عن ابن عباس ومسروق وقيل هو توبيخ لابن ثماني عشرة سنة عن وهب وقتادة وروي ذلك عن الصادق «ع» (وجاءكم النذير) اي المخوف من عذاب الله وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن ابن زيد والجبائي وجماعة وقيل النذير القرآن عن زيد ابن علي وقيل النذير الشيب عن عكرمة وسفيان بن عيينة ومنه قيل

رأيت الشيب من نذر المنايا لصاحبه وحسبك من نذير

وقائلة تبيض والغواني نوافر عن معاينة القتير
فقلت لها المشيب نذير عمري ولست مسودا وجه النذير

وقال عدي بن زيد

وابيضاض السواد من نذر المو ت وهل بعده يجيء نذير

وقيل النذير موت الأهل والأقارب وقيل كمال العقل (فذوقوا) اي فذوقوا العذاب وحسرة الندم (فما للظالمين من نصير) يدفع عنهم العذاب (إن الله عالم غيب السماوات والارض) فلا يخفى عليه شيء مما يغيب عن الخلائق علمه (إنه عليم بذات الصدور) اي فلا تضمروا في انفسكم ما يكرهه سبحانه فإنه عالم به (هو الذي جعلكم خلائف في الارض) اي جعلكم معاشر الكفار أمة بعد امة وقرنا بعد قرن عن قتادة وقيل جعلكم خلائف القرون الماضية بأن احدثكم بعدهم وأورثكم ما كان لهم (فمن كفر فعليه كفره) اي فعليه ضرر كفره وعقاب كفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا) اي اشد البغض (ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا) اي خسرانا وهلاكا (قل) يا محمد (أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الارض) معناه اخبروني ايها المشركون عن الأوثان الذين اشركتموهم مع الله في العبادة أروني ماذا خلقوا من الارض اي بأي شيء أوجبتم له شركا مع الله تعالى في العبادة أبشيء خلقوه من الارض (أم لهم شرك في السماوات) اي شركة في خلقها ثم ترك هذا النظم فقال (أم آتيناهم كتابا) اي أم أنزلنا عليهم كتابا يصدق دعواهم فيما هم عليه من الشرك (فهم على بينة) اي فهم على دلالات واضحات (منه) اي من ذلك الكتاب أراد فإن جميع ذلك محال لا يمكنهم اقامة حجة ولا شبهة على شيء منه وقيل أم آتيناهم كتابا بأن الله لا يعذبهم على كفرهم فهم واثقون به (بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا) معناه ليس شيء من ذلك لكن ليس يعد بعض الظالمين بعضا إلا غرورا لا حقيقة له يغرونهم يقال غره يغره غرورا إذا اطمعه فيما لا يطمع فيه

النظم

اتصال قوله ان الله عالم غيب السماوات والأرض الآية بما قبله ان المعنى يعلم الله انه لو ردكم إلى الدنيا لعدتم إلى كفركم فاتصل بقوله نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل واتصل قوله هو الذي جعلكم خلائف في الارض بما قبله على معنى انه كما أورثكم الكتاب اورثكم الارض لتشكروه على نعمه وتعتبروا بمن سلف من الأمم

قوله تعالى (٤١) إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٢) وَأَقْسَمُوا بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٣) ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٤) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٥) وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

بِعِبَادِهِ بَصِيراً خمس آيات

القراءة

قرأ حمزة وحده ومكر السيئ بسكون الهمزة والباقون بالجر

الحجة

قال الزجاج تسكين هذه الهمزة لحن عند البصريين و انما يجوز في الشعر في الاضطرار انشدوا «إذا اعوججن قلت صاحب قوم» والأصل ياصاحب قوم لكنه حذف مضطرا وأنشدوا

فاليوم أشرب غير مستحقب إثما من الله ولا واغل

وأنشد ابو العباس المبرد «اذا اعوججن قلت صاح قوّم» وقال ابو علي في إسكان الهمزة أجراها في الوصل مجراها في الوقف فهو مثل قوله «ببازل وجناء او عيهل» وقوله «مثل الحريق وافق القصبا»

الاعراب

ان تزولا مفعول له اي كراهة ان تزولا او لئلا تزولا واستكبارا مفعول له ايضا ومكر السيئ معطوف عليه ويجوز ان يكون مصدرا على تقدير استكبروا استكبارا في الأرض وأن يكون حالا ايضا اي مستكبرين في الأرض وأن يكون بدلا من نفورا اي ما زادهم مجيئ النذير إلا استكبارا في الأرض. من شيئ فاعل يعجز ومن مزيدة ومن دابة في محل نصب لانه مفعول ترك ومن مزيدة ايضا

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن عظم قدرته وسعة مملكته فقال (إن الله يمسك السموات والأرض) معناه انه يمسك السموات من غير علاقة فوقها ولا عاد تحتها ويمسك الأرض كذلك (ان تزولا) اي لئلا تزولا (ولئن زالتا إن امسكهما من احد) اي وان قدر ان تزولا عن مراكزهما ما امسكهما احد ولا يقدر على امساكهما احد (من بعده) اي من بعد الله تعالى وقيل من بعد زوالهما (إنه كان حليما) اي قادرا لا يعاجل بالعقوبة من استحقها (غفورا) اي ستارا للذنوب كثير الغفران ثم حكى عن الكفار فقال (واقسموا بالله جهد ايمانهم) يعني كفار مكة حلفوا بالله قبل ان يأتيهم محمد ﷺ بأيمان غليظة غاية وسعهم وطاقتهم (لئن جاءهم نذير) اي رسول مخوف من جهة الله تعالى (ليكونن اهدى) إلى قبول قوله واتباعه (من احدى الامم) الماضية يعني اليهود والنصارى والصابئين (فلما جاءهم نذير) محمد ﷺ (ما زادهم) مجيئه (إلا نفورا) اي تباعدا عن الهدى وهربا من الحق والمعنى انهم ازدادوا عند مجيئه نفورا (استكبارا) اي تكبرا وتجبرا وعتوا على الله وانفة من أن يكونوا تبعا لغيرهم (في الأرض ومكر السيئ) اي وقصد الضرر بالمؤمنين والمكر السيئ كل مكر اصله الكذب والخديعة وكان تأسيسه على فساد لأن من المكر ما هو حسن وهو مكر المؤمنين بالكافرين إذا حاربوهم من الوجه الذي يحسن أن يمكروا بهم فالمراد به ها هنا المكر برسول الله ﷺ وبأهل دينه واضيف المصدر إلى صفة المصدر فالتقدير ومكروا المكر السيئ بدلالة قوله (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) والمعنى لا ينزل جزاء المكر السيئ إلا بمن فعله (فهل ينظرون إلا سنت الأولين) اي فهل ينتظرون الا عادة الله تعالى في الامم الماضية ان يهلكهم إذا كذبوا رسله وينزل بهم العذاب ويحل عليهم النقمة جزاء على كفرهم وتكذيبهم فإن كانوا ينتظرون ذلك (فلن تجد) يامحمد (لسنة الله تبديلا) أي لا يغير الله عادته من عقوبة من كفر نعمته وجحد ربوبيته ولا يبدلها (ولن تجد لسنة الله تحويلا) فالتبديل تصيير الشيئ مكان غيره والتحويل تصيير الشيئ في غير المكان الذي كان فيه والتغيير تصيير الشيئ على خلاف ما كان (أولم يسيروا في الأرض)

اي اولم يسروا هؤلاء الكفار الذين انكروا اهلاك الله الامم الماضية في الأرض (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) اي كيف اهلك الله المكذبين من قبلهم مثل قوم لوط وعاد وثمود فيعتبروا بهم (وكانوا) وكان اولئك (اشد منهم) اي من هؤلاء (قوة وما كان الله ليعجزه من شيء) اي لم يكن الله يفوته شيء (في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما) بجميع الأشياء (قديرا) على ما لا نهاية له ثم منّ سبحانه على خلقه بتأخيره العقاب عنهم فقال (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من الشرك والتكذيب لعجل لهم العقوبة وهو قوله (ما ترك على ظهرها من دابة) والضمير عائد إلى الأرض وان لم يجر لها ذكر لدلالة الكلام على ذلك والعلم الحاصل به (ولكن يؤخرهم إلى اجل مسمى) والآية مفسرة في سورة النحل (فإذا جاء اجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا) اي هو بصير بمكانهم فيؤاخذهم حيث كانوا وقيل بصيرا بأعمالهم فيجازيهم عليها

سورة يس

مكية عند الجميع قال ابن عباس إلا آية منها وهي قوله وإذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله الآية نزلت بالمدينة

﴿ عدد آيها ﴾

ثلاث وثمانون آية كوفي اثنتان في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

آية واحدة يس كوفي

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب قال من قرأ سورة يس يريد بها وجه الله عز وجل غفر الله له وأعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرة وأيما مريض قرئت عنده سورة يس نزل عليه بعدد كل حرف منها عشرة املاك يقومون بين يديه صفوفا ويستغفرون له ويشهدون قبضه ويتبعون جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وأيما مريض قرأها وهو في سكرات الموت او قرئت عنده جاءه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة فسقاه إياها وهو على فراشه فيشرب فيموت ريان ويبعث ريان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو ريان. ابو بكر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال سورة يس تدعى في التوراة المعمة قيل وما المعمة قال تعم صاحبها خير الدنيا والآخرة وتكابد عنه بلوى الدنيا وتدفع عنه اهاويل الآخرة وتدعى المدافعة القاضية تدفع عن صاحبها كل شر وتقضي له كل حاجة ومن قرأها عدلت له عشرين حجة ومن سمعها عدلت له الف دينار في سبيل الله ومن كتبها ثم شربها ادخلت جوفه الف دواء والف نور والف يقين والف بركة والف رحمة ونزعت عنه كل داء وعلة وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنات وروى ابو بصير عن ابي عبد الله «ع» قال إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس فمن قرأ يس في نهاره قبل أن يمسي كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسي ومن قرأها في ليله قبل ان ينام وكل به الف ملك يحفظونه من كل شيطان رجيم ومن كل آفة وإن مات في نومه أدخله الله الجنة وحضر غسله ثلاثون الف ملك كلهم يستغفرون له ويشيعونه إلى قبره بالاستغفار

له فإذا ادخل لحده كانوا في جوف قبره يعبدون الله وثواب عبادتهم له وفسح له في قبره مد بصره وامن من ضغطة القبر ولم يزل له في قبره نور ساطع إلى عنان السماء إلى ان يخرجه الله من قبره فإذا اخرجه لم تزل ملائكة الله معه يشيعونه ويحدثونه ويضحكون في وجهه ويبشرونه بكل خير حتى يجوزوا به الصراط والميزان ويوقفوه من الله موقفا لا يكون عند الله خلق اقرب منه إلا ملائكة الله المقربون وأنبياؤه المرسلون وهو مع النبيين واقف بين يدي الله لا يحزن مع من يحزن ولا يهتم مع من يهتم ولا يجزع مع من يجزع ثم يقول له الرب تعالى اشفع عبدي اشفعك في جميع ما تشفع وسلني عبدي اعطك جميع ما تسأل فيسأل فيعطى ويشفع فيشفع ولا يحاسب فيمن يحاسب ولا يذل مع من يذل ولا يبكت بخطيئة ولا بشيء من سوء عمله ويعطى كتابا منشورا فيقول الناس بأجمعهم سبحان الله ما كان لهذا العبد خطيئة واحدة ويكون من رفقاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم وروى محمد بن مسلم عن ابي جعفر «ع» قال ان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اثنى عشر اسما خمسة منها في القرآن محمد واحمد وعبد الله ويس ونون

❋ تفسيرها ❋

لما ذكر سبحانه في آخر السورة انهم اقسموا بالله ليؤمنن ان جاءهم نذير افتتح هذه السورة بأنهم لم يؤمنوا وقد جاءهم النذير فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) يس (٢) وَٱلْقُرْآنِ ٱلْحَكِيمِ (٣) إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ (٤) عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥) تَنْزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ (٦) لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٧) لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٨) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٩) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (١٠) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ عشر آيات

❋ القراءة ❋

قرأ اهل الكوفة غير عاصم إلا حمادا ويحيى عن ابي بكر يس بالامالة والباقون بالتفخيم وقرأ ابو جعفر وابو عمرو وحمزة وابن كثير برواية القواس والبزي ونافع برواية اسماعيل وورش بخلاف باظهار النون من يس عند الواو وكذلك نون والقلم وقرأ ابن عامر والكسائي وخلف باخفاء النون فيها وقرأ قالون عن نافع باظهار النون من نون واخفائها من يس واما عاصم فإنه يظهر النون منها في رواية حفص ورواية البرجمي عن ابي بكر ومحمد ابن غالب عن الأعمش عن ابي بكر ويظهر النون من يس ويخفيها من نون في رواية العليمي عن حماد واما يعقوب فإنه يظهر النونين في رواية روح وزيد ويخفيها في رواية رويس وقرأ اهل الحجاز والبصرة وابو بكر تنزيل بالرفع والباقون بالنصب وفي الشواذ قراءة الثقفي يس بفتح النون وقراءة ابي السماك يس بكسر النون وقراءة الكلبي يس بالرفع وقراءة ابن عباس وعكرمة وابن يعمر والنخعي وعمر بن عبد العزيز فأعشيناهم بالعين وقراءة ابن محيصن والزهري انذرتهم بهمزة واحدة

❋ الحجة ❋

قال ابو علي مما يحسن امالة الفتح من يس نحو الكسرة أنهم قالوا يازيد في النداء فأمالوا الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء وان كان قولهم ياحرفا على حرفين والحروف التي على حرفين لا يمال منها شيء نحو لا وما فإذا

كانوا قد أمالوا ما لا يمال من الحروف من اجل الياء فإن يميلوا الاسم الذي هو يا من ياسين اجدر الا ترى ان هذه الحروف اسماء لما يلفظ بها واما من بيّن النون من يٰس فإنما جاز ذلك وإن كانت النون الساكنة تخفى مع حروف الفم ولا تبين لأن هذه الحروف مبنية على الوقف ومما يدل على ذلك استجازتهم فيها الجمع بين ساكنين كما يجتمعان في الكلم التي يوقف عليها ولولا ذلك لم يجز الجمع بينهما وأما من لم يبين فلأنه وان كان في تقدير الوقف ام يقطع فيه همزة الوصل وذلك قوله الٓمٓ الله ألا ترى انه حذف همزة الوصل ولم يثبت كما لم يثبت مع غيرها من الكلام الذي يوصل ومن رفع تنزيل فعلى تقدير هو تنزيل العزيز الرحيم او تنزيل العزيز الرحيم هذا والنصب على نزل تنزيل العزيز الرحيم وأما من قال يٰس بالنصب أو الجر فكلاهما لالتقاء الساكنين ومن رفع فعلى ما روي عن الكلبي انه قال هي بلغة طي ياانسان قال ابن جني ويحتمل عندي أن يكون اكتفى من جميع الاسم بالسين فيا فيه حرف نداء كقولك يارجل ونظير حذف بعض الاسم قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم كفى بالسيف شا اي شاهدا فحذف العين واللام فكذلك حذف من إنسان الفاء والعين وجعل ما بقي منه اسما قائما برأسه وهو السين فقيل يا سين وهو شبيه بقول الشاعر « قلنالها قفي لنا قالت قاف » اي وقفت ومن قرأ فأعشيناهم بالعين فإنه منقول من عشي يعشي اذا ضعف بصره واعشيته انا واما اغشيناهم بالغين المعجمة فعلى حذف المضاف اي فأغشينا ابصارهم اي جعلنا عليها غشاوة والغشاوة على العين كالغشي على القلب فيلتقي معنى القراءتين وأما من قرأ انذرتهم بهمزة واحدة فإنه حذف الهمزة التي للاستفهام تخفيفا وهو يريدها كما قال الكميت

طربت وما شوقا الى البيض اطرب ... ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

والمعنى او ذوالشيب يلعب تناكرا لذلك وكبيت الكتاب

لعمرك ما ادري وان كنت داريا ... شعيب بن سهم او شعيب بن منقر

❋ اللغة ❋

المقمح الغاض بصره بعد رفع رأسه وقيل هو المقنع وهو الذي يحدب ذقنه حتى يصير في صدره ثم يرفع وقيل للكانونين شهرا قماح لأن الإبل اذا اوردت الماء ترفع رؤوسها لشدة برده ويقال قمح البعير إذا رفع رأسه ولم يشرب الماء وبعير قامح وإبل قماح واقمحتها انا قال الشاعر يصف سفينة ركبها.

ونحن على جوانبها قعود ... نغض الطرف كالإبل القماح

❋ الإعراب ❋

على في قوله على صراط يتعلق بالمرسلين تقديره ارسلوا على صراط ويجوز ان يكون الجار والمجرور في موضع خبر ان فيكون خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون في موضع نصب على الحال فكأنه قال ارسلوا مستقيما طريقهم ما انذر آباؤهم الاجود ان يكون ما نافية وتكون الجملة في موضع نصب لأنها صفة قوم ويجوز ان يكون ما حرفا موصولا مصدريا على تقدير لتنذر قوما أُنذر آباؤهم

❋ النزول ❋

قيل نزل قوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا في ابي جهل كان حلف لئن رأى محمدا يصلي ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه فلما رفعه انثنت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده فلما عاد إلى اصحابه واخبرهم بما رأى سقط الحجر من يده فقال رجل من بني مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فأغشى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع إلى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه ماصنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لأكلني وروى ابو حمزة الثمالي عن عمار بن عاصم

عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود أن قريشا اجتمعوا بباب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فخرج اليهم فطرح التراب على رؤوسهم وهم لا يبصرونه قال عبد الله هم الذين سحبوا في القليب قليب بدر وروى ابو حمزة عن مجاهد عن ابن عباس ان قريشا اجتمعت فقال لئن دخل محمد لنقومن اليه قيام رجل واحد فدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعل الله من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فلم يبصروه فصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم اتاهم فجعل ينثر على رؤوسهم التراب وهم لا يرونه فلما خلي عنهم رأوا التراب وقالوا هذا ما سحركم ابن ابي كبشة

المعنى

(يس) قد مضي الكلام في الحروف المعجمة عند مفتتح السور في اول البقرة واختلاف الاقوال فيها وقيل ايضا يس معناه يا إنسان عن ابن عباس واكثر المفسرين وقيل معناه يا رجل عن الحسن وابي العالية وقيل معناه يامحمد عن سعيد بن جبير ومحمد بن الحنفية وقيل معناه يا سيد الأولين والآخرين وقيل هو اسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن علي ابن ابي طالب وابي جعفر «ع» وقد ذكرنا الرواية فيه قبل (والقرآن الحكيم) اقسم سبحانه بالقرآن المحكم من الباطل وقيل سماه حكيما لما فيه من الحكمة فكأنه المظهر للحكمة الناطق بها (انك لمن المرسلين) اي ممن ارسله الله تعالى بالنبوة والرسالة (على صراط مستقيم) يؤدي بسالكه إلى الحق او الى الجنة وقيل معناه على شريعة واضحة وحجة لائحة (تنزيل العزيز) اي هذا القرآن تنزيل العزيز في ملكه (الرحيم) بخلقه ولذلك ارسله ثم بين سبحانه الغرض في بعثته فقال (لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم) اي لتخوف به من معاصي الله قوما لم ينذر آباؤهم قبلهم لأنهم كانوا في زمان الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام عن قتادة وقيل لم يأتهم نذير من أنفسهم وقومهم وان جاءهم من غيرهم عن الحسن وقيل معناه لم يأتهم من انذرهم بالكتاب حسب ما آتيت وهذا على قول من قال كان في العرب قبل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم من هو نبي كخالد بن سنان وقس بن ساعدة وغيرهما وقيل معناه لتنذر قوما كما انذر آباؤهم عن عكرمة (فهم غافلون) عما تضمنه القرآن وعما انذر الله به من نزول العذاب والغفلة مثل السهو وهو ذهاب المعنى عن النفس ثم اقسم سبحانه مرة أخرى فقال (لقد حق القول على اكثرهم) اي وجب الوعيد واستحقاق العقاب عليهم (فهم لا يؤمنون) ويموتون على كفرهم وقد سبق ذلك في علم الله تعالى وقيل تقديره لقد سبق القول على اكثرهم انهم لا يؤمنون فهم لا يؤمنون وذلك انه سبحانه اخبر ملائكته انهم لا يؤمنون فحق قوله عليهم (انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي إلى الاذقان) يعني أيديهم كنى عنها وان لم يذكرها لأن الاعناق والاغلال تدلان عليها وذلك ان الغل إنما يجمع اليد إلى الذقن والعنق ولا يجمع الغل العنق إلى الذقن وروي عن ابن عباس وابن مسعود أنهما قرءا إنا جعلنا في ايمانهم اغلالا وقرأ بعضهم في ايديهم والمعنى في الجميع واحد لأن الغل لا يكون في العنق دون اليد ولا في اليد دون العنق ومثل هذا قول الشاعر

وما ادري إذا يممت ارضا ... اريد الخير ايهما يليني
أألخير الذي أنا ابتغيه ... ام الشر الذي لا يأتليني

ذكر الخير وحده ثم قال ايهما يليني لأنه قد علم ان الخير والشر معرضان للانسان فلم يدر أيلقاه هذا أم ذلك ومثله في التنزيل وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ولم يقل والبرد لأن ما يقي من الحر يقي من البرد واختلف في معنى الآية على وجوه ﴿ احدها ﴾ انه سبحانه إنما ذكره ضربا للمثل وتقديره مثل هؤلاء المشركين في اعراضهم عما تدعوهم اليه كمثل رجل غلت يداه إلى عنقه لايمكنه أن يبسطها إلى خير ورجل طامح برأسه لايبصر موطئ قدميه عن الحسن والجبائي قال ونظيره قول الافوه الازدي

كيف الرشاد وقد صرنا إلى أمم ... لهم عن الرشد اغلال واقياد

ونحوه كثير في كلام العرب ﴿ وثانيها ﴾ ان المعنى كأن هذا القرآن اغلال في اعناقهم يمنعهم عن الخضوع لاستماعه وتدبره لثقله عليهم وذلك انهم لما استكبروا عنه وأنفوا من اتباعه وكان المستكبر رافعا رأسه لاويا عنقه شامخا بأنفه لا ينظر إلى الارض صاروا كأنما غلت ايديهم إلى اعناقهم وإنما اضاف ذلك إلى نفسه لأن عند تلاوته القرآن عليهم ودعوته إياهم صاروا بهذه الصفة فهو مثل قوله حتى أنسوكم ذكري عن ابي مسلم ﴿ وثالثها ﴾ ان المعنى بذلك ناس من قريش هموا بقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعلت ايديهم إلى اعناقهم فلم يستطيعوا أن يبسطوا اليه يدا عن ابن عباس والسدي ﴿ ورابعها ﴾ ان المراد به وصف حالهم يوم القيامة فهو مثل قوله إذ الأغلال في اعناقهم وإنما ذكره بلفظ الماضي للتحقيق وقوله (فهم مقمحون) اراد ان ايديهم لما غلت إلى اعناقهم ورفعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم صعدا فهم مرفوعو الرأس برفع الأغلال إياها عن الأزهري ويدل على هذا المعنى قول قتادة مقمحون مغلولون (وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون) هذا على احد الوجهين تشبيه لهم بمن هذه صفته في اعراضهم عن الايمان وقبول الحق وذلك عبارة عن خذلان الله إياهم لما كفروا فكأنه قال وتركناهم مخذولين فصار ذلك من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا وإذا قلنا انه وصف حالهم في الآخرة فالكلام على حقيقته ويكون عبارة عن ضيق المكان في النار بحيث لا يجدون متقدما ولا متأخرا إذ سد عليهم جوانبهم وإذا حملناه على صفة القوم الذين هموا بقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فالمراد جعلنا بين ايدي أولئك الكفار منعا ومن خلفهم منعا حتى لم يبصروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون اي أغشينا ابصارهم فهم لا يبصرون النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد روي ان ابا جهل همّ بقتله صلى الله عليه وآله وسلم فكان إذا خرج بالليل لا يراه ويحول الله بينه وبينه وقيل فأغشيناهم فأعميناهم فهم لا يبصرون الهدى وقيل فأغشيناهم العذاب فهم لا يبصرون النار وقيل معناه انهم لما انصرفوا عن الايمان والقرآن لزمهم ذلك حتى لم يكادوا يتخلصون منه بوجه كالمغلول والمسدود عليه طرقه (وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون) هذا مفسر في سورة البقرة

قوله تعالى (١١) إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٣) وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٤) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (١٥) قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٦) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٧) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٨) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٩) قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٢٠) وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ عشر آيات

القراءة

قرأ ابو بكر فعزنا بالتخفيف والباقون بتشديد الزاي وقرأ ابو عمرو وقالون عن نافع وزيد عن يعقوب ان ذكرتم بهمزة واحدة غير ممدودة وقرأ ابن كثير ويعقوب ونافع ان ذكرتم بهمزة واحدة ممدودة وقرأ ابو

جعفر ائن بهمزة واحدة مطولة والثانية ملينة مفتوحة ذكرتم مخففة والباقون ائن ذكرتم بهمزتين

الحجة

قال ابو علي قال بعضهم عززنا قوينا وكثرنا واما عززنا فغلبنا من قوله تعالى وعزني في الخطاب وقوله ءان ذكرتم فإنما هي ان الجزاء دخلت عليها الف الاستفهام والمعنى ءان ذكرتم تشاءمتم فحذف الجواب لأن تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وأصل تطيرنا تفعلنا من الطائر عند العرب الذي به يتشاءمون ويتيمنون ومن قرأ ائن ذكرتم بفتح ان فالمعنى ألأن ذكرتم تشاءمتم واما تخفيف الهمزة وتحقيقها فقد تقدم ذكرهما في مواضع

الإعراب

وكل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر الذي هو احصيناه والتقدير احصينا كل شيء أحصيناه اصحاب القرية بدلا من مثلا. إذ جاءها المرسلون العامل في إذ محذوف تقديره قصة اصحاب القرية كائنة إذ جاءها المرسلون وإذ ارسلنا بدلا من الأول

المعنى

لما اخبر سبحانه عن أولئك الكفار انهم لا يؤمنون وانهم سواء عليهم الإنذار وترك الإنذار عقبه بذكر حال من ينتفع بالإنذار فقال (إنما تنذر من اتبع الذكر) والمعنى إنما ينتفع بإنذارك وتخويفك من اتبع القرآن لأن نفس الإنذار قد حصل للجميع (وخشي الرحمن بالغيب) أي في حال غيبته عن الناس بخلاف المنافق وقيل معناه وخشي الرحمن فيما غاب عنه من أمر الآخرة (فبشره) أي فبشر يا محمد من هذه صفته (بمغفرة) من الله لذنوبه (وأجر كريم) أي ثواب خالص من الشوائب ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال (إنا نحن نحيي الموتى) في القيامة للجزاء (ونكتب ما قدموا) من طاعتهم ومعاصيهم في دار الدنيا عن مجاهد وقتادة وقيل نكتب ماقدموه من عمل ليس له أثر (وآثارهم) اي ما يكون له أثر عن الجبائي وقيل يعني بآثارهم اعمالهم التي صارت سنّة بعدهم يقتدى فيها بهم حسنة كانت أم قبيحة وقيل معناه ونكتب خطاهم إلى المسجد وسبب ذلك ما رواه ابو سعيد الخدري ان بني سلمة كانوا في ناحية من المدينة فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد منازلهم من المسجد والصلاة معه فنزلت الآية وفي الحديث عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان اعظم الناس اجرا في الصلاة أبعدهم اليها ممشى فأبعدهم رواه البخاري ومسلم في الصحيح (وكل شيء أحصيناه في إمام مبين) أي وأحصينا وعددنا كل شيء من الحوادث في كتاب ظاهر وهو اللوح المحفوظ والوجه في إحصاء ذلك فيه اعتبار الملائكة به إذ قابلوا به ما يحدث من الأمور ويكون فيه دلالة على معلومات الله سبحانه على التفصيل وقيل أراد به صحائف الأعمال وسمي ذلك مبينا لأنه لا يدرس أثره عن الحسن ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (واضرب لهم) يا محمد (مثلا) أي مثل لهم مثالا وهو من قولهم هؤلاء اضراب أي أمثال وقيل معناه واذكر لهم مثلا (اصحاب القرية) وهذه القرية انطاكية في قول المفسرين (إذ جاءها المرسلون) أي حين بعث الله اليهم المرسلين (إذ أرسلنا اليهم اثنين) أي رسولين من رسلنا (فكذبوهما) أي فكذبوا الرسولين قال ابن عباس ضربوهما وسجنوهما (فعززنا بثالث) أي فقويناهما وشددنا ظهورهما برسول ثالث مأخوذ من العزة وهي القوة والمنعة ومنه قولهم من عزّ بزّ أي من غلب سلب قال شعبة كان اسم الرسولين شمعون ويوحنا واسم الثالث بولس وقال ابن عباس وكعب صادق وصدوق والثالث سلوم وقيل انهم رسل عيسى وهم الحواريون عن وهب وكعب قالا وإنما أضافهم تعالى إلى نفسه لأن عيسى (ع) ارسلهم بأمره (فقالوا إنا اليكم مرسلون) أي قالوا لهم يا أهل القرية إن الله أرسلنا اليكم (قالوا) يعني اهل القرية (ما انتم إلا بشر مثلنا) فلا تصلحون للرسالة كما لا نصلح نحن لها (وما انزل الرحمن من شيء) تدعوننا اليه (إن انتم إلا تكذبون) أي ما انتم إلا كاذبون فيما تزعمون اعتقدوا أن من كان مثلهم

في البشرية لا يصلح أن يكون رسولا وذهب عليهم أن الله عز اسمه يختار من يشاء لرسالته وانه علم من حال هؤلاء صلاحهم للرسالة وتحمل اعبائها (قالوا ربنا يعلم إنا اليكم لمرسلون) وإنما قالوا ذلك بعد ما قامت الحجة بظهور المعجزة فلم يقبلوها ووجه الاحتجاج بهذا القول أنهم الزموهم بذلك النظر في معجزاتهم ليعلموا أنهم صادقون على الله ففي ذلك تحذير شديد (وما علينا إلا البلاغ المبين) اي وليس يلزمنا إلا اداء الرسالة والتبليغ الظاهر وقيل معناه وليس علينا أن نحملكم على الايمان فإنا لا نقدر عليه (قالوا) أي قال هؤلاء الكفار في جواب الرسل حين عجزوا عن ايراد شبهة وعدلوا عن النظر في المعجزة (إنا تطيرنا بكم) اي تشاءمنا بكم (لئن لم تنتهوا) عما تدعونه من الرسالة (لنرجمنكم) بالحجارة عن قتادة وقيل معناه لنشتمنكم عن مجاهد (وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا) يعني الرسل (طائركم معكم) اي الشؤم كله معكم بإقامتكم على الكفر بالله تعالى فأما الدعاء إلى التوحيد وعبادة الله تعالى ففيه غاية البركة والخير واليمن ولا شؤم فيه وقيل معنى طائركم حظكم ونصيبكم من الخير والشر عن ابي عبيدة والمبرد (أئن ذكرتم) أي إن ذكرتم قلتم هذا القول وقيل معناه إن ذكرناكم هددتمونا وهو مثل الأول وقيل معناه ان تدبرتم عرفتم صحة ما قلناه لكم (بل انتم قوم مسرفون) معناه ليس فينا ما يوجب التشاؤم بنا ولكنكم متجاوزون عن الحد في التكذيب للرسل والمعصية والاسراف الافساد ومجاوزة الحد والسرف الفساد قال طرفة

إن امرءاً سرف الفؤاد يرى عسلا بماء سحابة شتمي

أي فاسد القلب (وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى) وكان اسمه حبيب النجار عن ابن عباس وجماعة من المفسرين وكان قد آمن بالرسل عند ورودهم القرية وكان منزله عند اقصى باب من ابواب المدينة فلما بلغه أن قومه قد كذبوا الرسل وهموا بقتلهم جاء يعدو ويشتد (قال ياقوم اتبعوا المرسلين) الذين أرسلهم الله اليكم وأقروا برسالتهم قالوا وإنما علم هو بنبوتهم لأنهم لما دعوه قال أتأخذون على ذلك اجرا قالوا لا وقيل انه كان به زمانة او جذام فأبرأوه فآمن بهم عن ابن عباس

-(القصة)-

قالوا بعث عيسى رسولين من الحواريين إلى مدينة انطاكية فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب صاحب يس فسلما عليه فقال الشيخ لهما من انتما قالا رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن فقال أمعكما آية قالا نعم نحن نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله فقال الشيخ إن لي ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا إلى منزلك نتطلع حاله فذهب بهما فمسحا ابنه فقام في الوقت بإذن الله صحيحاً ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على ايديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الأصنام فأنهي الخبر اليه فدعاهما فقال لهما من انتما قالا رسولا عيسى جئنا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر فقال الملك ولنا إله سوى آلهتنا قال نعم من اوجدك وآلهتك قال قوما حتى انظر في امركما فأخذهما الناس في السوق وضربوهما قال وهب بن منبه بعث عيسى هذين الرسولين الى انطاكية فأتياها ولم يصلا إلى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله فغضب الملك وأمر بحبسهما وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى شمعون الصفا رأس الحواريين على اثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلدة متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه ورضي عشرته وانس به واكرمه ثم قال له ذات يوم ايها الملك بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك فهل سمعت قولهما قال الملك حال الغضب بيني وبين ذلك قال فإن رأى الملك دعاهما حتى نتطلع ما عندهما فدعاهما الملك فقال لهما شمعون من أرسلكما إلى هاهنا قالا الله الذي خلق كل شيء لا شريك له قال وما آيتكما قالا ما تتمناه فأمر الملك حتى جاءوا

بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان الله حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعا في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك أرأيت لوسألت إلهك حتى يصنع صنيعا مثل هذا فيكون لك ولإلهك شرفا فقال الملك ليس لي عنك سرا إن إلهنا الذي نعبده لا يضر ولا ينفع ثم قال الملك للرسولين إن قدر إلهكما على احياء ميت آمنا به وبكما قالا إلهنا قادر على كل شيء فقال الملك إن هاهنا ميتا مات منذ سبعة أيام لم ندفنه حتى يرجع ابوه وكان غائبا فجاءوا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال لهم إني قد مت منذ سبعة ايام وادخلت في سبعة أودية من النار وأنا احذركم ما انتم فيه فآمنوا بالله فتعجب الملك فلما علم شمعون أن قوله اثر في الملك دعاه إلى الله فآمن وآمن من اهل مملكته قوم وكفر آخرون وقد روى مثل ذلك العياشي باسناده عن الثمالي وغيره عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) إلا أن في بعض الروايات بعث الله الرسولين إلى اهل انطاكية ثم بعث الثالث وفي بعضها أن عيسى أوحى الله اليه ان يبعثهما ثم بعث وصيه شمعون ليخلصهما وأن الميت الذي احياه الله تعالى بدعائهما كان ابن الملك وأنه قد خرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له يابني ما حالك قال كنت ميتا فرأيت رجلين ساجدين يسألان الله تعالى ان يحييني قال يابني فتعرفهما إذا رأيتهما قال نعم فأخرج الناس إلى الصحراء فكان يمر عليه رجل بعد رجل فمر احدهما بعد جمع كثير فقال هذا احدهما ثم مر الآخر فعرفهما وأشار بيده اليهما فآمن الملك واهل مملكته وقال ابن اسحاق بل كفر الملك وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة الاقصى فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة الرسل

قوله تعالى (٢١) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٣) أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونَ (٢٤) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٥) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٦) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٧) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٨) وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٩) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٣٠) يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ عشر آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر إلا صيحة واحدة بالرفع والباقون بالنصب وفي الشواذ قراءة ابن مسعود وعبد الرحمن بن الاسود الازقية وقرأ الاعرج ومسلم بن جندب يا حسره على العباد ساكنة الهاء وقراءة علي بن الحسين «ع» وأبي بن كعب وابن عباس والضحاك ومجاهد يا حسرة العباد مضافا

الحجة

قال ابن جني الرفع ضعيف لتأنيث الفعل فلا يقوى أن تقول ما قامت إلا هند والمختار ما قام إلا هند وذلك ان الكلام محمول على معناه اي ما قام احد إلا هند ثم انه لما كان محصول الكلام قد كانت هناك صيحة واحدة جيء بالتأنيث حملا للظاهر عليه ومثله قراءة الحسن فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم بالتاء في ترى وعليه قول ذي الرمة

تزى النحر والاجواز ما في عروضها فما بقيت إلا الصدور الجراشع

واما الزقية فمن زقا الطائر يزقو ويزقى زقاء وزقوا إذا صاح وهي الزقية والزقوة وكأنه إنما استعمل هاهنا صياح الديك ونحوه تنبيها على ان البعث بما فيه من عظيم القدرة في استثارة الموتى من القبور سهل على الله تعالى كزقية زقاها طائر فهذا كقوله تعالى ماخلقكم ولابعثكم إلا كنفس واحدة وأما من قرأ ياحسره على العباد بسكون الهاء فيمكن أن يكون حسره غير معلقة بعلى فيحسن الوقف عليها ثم يعلق على بمضمر يدل عليه قوله حسره فكأنه قال أتحسر على العباد ومثل ذلك كثير في التنزيل وإذا كان حسرة معلقة بعلى او موصوفة فلا يحسن الوقف عليها دونه وعلى هذا فيمكن أن يكون ذلك لتقوية المعنى في النفس وذلك انه موضع تنبيه وتذكير فطال الوقف على الهاء كما يفعله المستعظم للأمر المتعجب منه الدال على انه قد بهره وملك عليه لفظه وخاطره ثم قال من بعد على العباد واما من قرأ يا حسرة العباد مضافا فإن فيه وجهين * احدهما * ان يكون العباد فاعلين في المعنى كقوله يا قيام زيد والمعنى كان العباد إذا شاهدوا العذاب تحسروا * والآخر * ان العباد مفعولون في المعنى وتدل عليه القراءة الظاهرة يا حسرة على العباد اي يتحسر عليهم من يعنيه أمرهم وهذا واضح وفتح ابو عمرو الياء من قوله وما لي لا اعبد لئلا يكون الابتداء بلا اعبد وقرأ في النمل ما لي لا أرى الهدهد بسكون الياء

المعنى

ثم ذكر سبحانه تمام الحكاية عن الرجل الذي جاءهم من اقصى المدينة فقال (اتبعوا من لا يسئلكم أجراً) اي وقال لهم اتبعوا معاشر الكفار من لا يطلبون منكم الأجر ولا يسألونكم اموالكم على ما جاؤكم به من الهدى (وهم) مع ذلك (مهتدون) إلى طريق الحق سالكون سبيله قال فلما قال هذا اخذوه ورفعوه إلى الملك فقال له الملك أفأنت تتبعهم فقال (وما لي لا اعبد الذي فطرني) أي وأي شيء لي إذا لم اعبد خالقي الذي أنشأني وأنعم علي وهداني (واليه ترجعون) أي تردون عند البعث فيجزيكم بكفركم ثم انكر اتخاذ الأصنام وعبادتها فقال (ءأتخذ من دونه آلهة) اعبدهم (إن يردن الرحمن بضر) اي ان أراد الله إهلاكي والاضرار بي (لا تغن عني شفاعتهم شيئا) اي لا تدفع ولا تمنع شفاعتهم عني شيئا والمعنى لا شفاعة لهم فتغني (ولا ينقذون) اي ولا يخلصوني من ذلك الهلاك أو الضرر والمكروه (إني إذا لفي ضلال مبين) اي اني إن فعلت ذلك في عدول عن الحق واضح والوجه في هذا الاحتجاج ان العبادة لا يستحقها إلا الله سبحانه المنعم بأصول النعم وبما لا توازيه نعمة منعم (إني آمنت بربكم) الذي خلقكم واخرجكم من العدم إلى الوجود (فاسمعون) اي فاسمعوا قولي واقبلوه عن وهب وقيل انه خاطب بذلك الرسل أي فاسمعوا ذلك مني حتى تشهدوا لي به عند الله عن ابن مسعود قال ثم ان قومه لما سمعوا ذلك القول منه وطأوه بأرجلهم حتى مات فأدخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق وهو قوله (قيل ادخل الجنة) وقيل رجموه حتى قتلوه عن قتادة وقيل ان القوم لما أرادوا أن يقتلوه رفعه الله اليه فهو في الجنة لا يموت إلا بفناء الدنيا وهلاك الجنة عن الحسن ومجاهد وقال ان الجنة التي دخلها يجوز هلاكها وقيل انهم قتلوه إلا ان الله سبحانه أحياه وادخله الجنة فلما دخلها (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي) تمنى ان يعلم قومه بما اعطاه الله تعالى من المغفرة وجزيل الثواب ليرغبوا في مثله وليؤمنوا لينالوا ذلك وفي تفسير الثعلبي بالاسناد عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن ابيه عن النبي ﷺ قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن ابي طالب (ع) وصاحب يس ومؤمن آل فرعون فهم الصديقون وعلي افضلهم (وجعلني من المكرمين) اي من المدخلين الجنة والاكرام هو اعطاء المنزلة الرفيعة على وجه التبجيل والاعظام وفي هذا دلالة على نعيم القبر لأنه إنما قال ذلك وقومه احياء وإذا جاز نعيم القبر جاز عذاب القبر فإن الخلاف فيهما واحد وما في قوله بما غفر لي ربي مصدرية والمعنى بمغفرة الله لي ويجوز أن يكون معناه بالذي غفر لي به ربي فيكون اسما موصولا ويجوز

أن يكون المعنى بأي شيء غفر لي ربي فيكون استفهاما يقال علمت بما صنعت هذا باثبات الألف وبم صنعت هذا بحذفها إلا ان الحذف اجود في هذا المعنى ثم حكى سبحانه ما انزله بقومه من العذاب والاستئصال فقال (وما انزلنا على قومه من بعده) أي من بعد قتله أو من بعد رفعه (من جند من السماء) يعني الملائكة أي لم تنتصر منهم بجند من السماء ولم تنزل لإهلاكهم بعد قتلهم الرسل جندا من السماء يقاتلونهم (وما كنا منزلين) أي وما كنا ننزلهم على الأمم إذا أهلكناهم وقيل معناه وما أنزلنا على قومه من بعده رسالة من السماء قطع الله عنهم الرسالة حين قتلوا رسله عن مجاهد والحسن والمراد ان الجند هم ملائكة الوحي الذين ينزلون على الأنبياء ثم بين سبحانه بأي شيء كان هلاكهم فقال (إن كانت إلا صيحة واحدة) أي كان اهلاكهم عن آخرهم بأيسر أمر صيحة واحدة حتى هلكوا بأجمعهم (فإذا هم خامدون) اي ساكنون قد ماتوا قيل انهم لما قتلوا حبيب بن مري النجار غضب الله عليهم فبعث جبرئيل حتى أخذ بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم لا يسمع لهم حس كالنار إذا طفئت (يا حسرة على العباد) معناه يا ندامة على العباد في الآخرة باستهزائهم بالرسل في الدنيا ثم بين سبب الحسرة فقال (ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزؤون) عن مجاهد وهذا من قول الله سبحانه والمعنى انهم حلوا محل من يتحسر عليه وقيل ان المعنى يا ويلا على العباد عن ابن عباس ويحتمل أن يكون ذلك من كلام الرجل المذكور وقال ابو العالية انهم لما عاينوا العذاب قالوا يا حسرة على العباد يعني على الرسل حيث لم نؤمن بهم فتمنوا الإيمان وندموا حين لم تنفعهم الندامة قال الزجاج إذا قال قائل ما الفائدة في مناداة الحسرة والحسرة مما لا تجيب فالفائدة في ذلك ان النداء باب تنبيه فإذا قلت للمخاطب انا اعجب مما فعلت فقد أفدته انك متعجب وإذا قلت واعجباه مما فعلت ويا عجباه تفعل كذا كان دعاؤك العجب ابلغ في الفائدة والمعنى يا عجب اقبل فإنه من اوقاتك و كذلك إذا قلت ويل زيد لم فعل كذا ثم قلت يا ويل زيد لم فعل كذا كان ابلغ و كذلك في كتاب الله تعالى يا ويلنا ويا حسرتا ويا حسرة على العباد والحسرة ان يركب الانسان من شدة الندم ما لا نهاية بعده حتى يبقى قلبه حسيراً

قوله تعالى (٣١) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣٢) وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٣) وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٤) وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٥) لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ عاصم وحمزة وابن عامر لما جميع بتشديد الميم والباقون بالتخفيف وقرأ اهل الكوفة غير حفص وما عملت بغير هاء والباقون وما عملته

الحجة

من خفف الميم من لما فإن من قوله وان كل مخففة من الثقيلة وما من لما مزيدة والتقدير وانه كل لجميع لدينا محضرون ومن شدد الميم من لما فإن لما هاهنا بمعنى الا يقال سألتك لما فعلت كذا والا فعلت وان نافية فيكون التقدير ما كل إلا محضرون وقوله وما عملت ايديهم فإن الحذف في التنزيل من هذا كثير نحو قوله وسلام على عباده الذين اصطفى وأهذا الذي بعث الله رسولا وموضع ما جر والتقدير ليأكلوا مما عملته ايديهم ويجوز أن يكون ما نافية اي ولم تعمله ايديهم ويقوي ذلك قوله ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون

﴿ الإعراب ﴾

انهم اليهم لا يرجعون بدل من كم أهلكنا والتقدير ألم يروا أنهم اليهم لا يرجعون وكم في موضع نصب باهلكنا

﴿ المعنى ﴾

ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال (ألم يروا) أي ألم يعلم هؤلاء الكفار (كم أهلكنا قبلهم من القرون) أي كم قرنا أهلكناهم مثل عاد وثمود وقوم لوط وغيرهم (انهم اليهم لا يرجعون) والمعنى ألم يروا ان القرون التي أهلكناهم لا يرجعون اليهم أي لا يعودون إلى الدنيا أفلا يعتبرون بهم ووجه التذكير بكثرة المهلكين أي انكم ستصيرون إلى مثل حالهم فانظروا لأنفسكم واحذروا أن يأتيكم الهلاك وأنتم في غفلة وغرة كما أتاهم ويسمى أهل كل عصر قرنا لاقترانهم في الوجود (وان كل لما جميع لدينا محضرون) معناه ان الأمم يوم القيامة يحضرون فيقفون على ما عملوه في الدنيا أي وكل الماضين والباقين مبعوثون للحساب والجزاء ثم قال سبحانه (وآية لهم) أي ودلالة وحجة قاطعة لهم على قدرتنا على البعث (الارض الميتة أحييناها) أي الارض القحطة المجدبة التي لا تنبت أحييناها بالنبات (واخرجنا منها حبا) أي كل حب يتقوتونه مثل الحنطة والشعير والأرز وغيرها من الحبوب (فمنه يأكلون) أي فمن الحب يأكلون (وجعلنا فيها جنات) اي بساتين (من نخيل واعناب) وإنما خص النوعين لكثرة انواعها ومنافعها (وفجرنا فيها من العيون) اي وفجرنا في تلك الأرض الميتة او في تلك الجنات عيونا من الماء ليسقوا بها الكرم والنخيل ثم بين سبحانه انه إنما فعل ذلك (ليأكلوا من ثمره) أي من ثمر النخيل رد الضمير إلى احد المذكورين كما قال ولا ينفقونها في سبيل الله والمعنى غرضنا نفعهم بذلك وانتفاعهم بأكل ثمار الجنات (وما عملته ايديهم) أي ولم تعمل تلك الثمار ايديهم هذا إذا كان ما بمعنى النفي قال الضحاك أي وجدوها معمولة ولا صنع لهم فيها أراد انه من صنع الخالق ولم يدخل في مقدورات الخلائق وإذا كان بمعنى الذي فالتقدير والذي عملته ايديهم من انواع الأشياء المتخذة من النخل والعنب الكثيرة منافعها وقيل تقديره ومن ثمره ما عملته ايديهم يعني الغروس والزروع التي قاسوا حراثتها (أفلا يشكرون) أي ألا يشكرون الله تعالى على مثل هذه النعم وهذا تنبيه منه سبحانه لخلقه على شكر نعمائه وذكر جميل بلائه

قوله تعالى (٣٦) سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٧) وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٨) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٩) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٤٠) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ

خمس آيات

-(القراءة)-

قرأ زيد عن يعقوب لمستقر لها بكسر القاف والباقون بفتحها وقرأ اهل الحجاز والبصرة غير ابي جعفر وزويس والقمر بالرفع والباقون بالنصب وروي عن علي بن الحسين زين العابدين «ع» وابي جعفر الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام وابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعطا بن ابي رياح لا مستقر لها بنصب الراء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي الرفع على تقدير وآية لهم القمر قدرناه منازل مثل قوله وآية لهم الليل فهو على هذا اشبه بالجمل التي قبلها والقول في آية انه يرتفع بالابتداء ولهم صفة للنكرة والخبر مضمر تقديره وآية لهم في الشاهد او الوجود

وقوله الليل نسلخ منه النهار والقمر قدرناه منازل تفسير للآية كما ان قوله تعالى لهم مغفرة تفسير للوعد وللذكر مثل حظ الانثيين تفسير للوصية ومن نصب فقد حمله على زيدا ضربته واما قوله لامستقر لها فظاهره العموم والمعنى الخصوص فهو بمنزلة قوله

أبكي لفقدك ما ناحت مطوقة وما سما فنن يوما على ساق

والمعنى لو عشت ابدا لبكيتك وكذلك قوله لا مستقر لها أي ما دامت السماوات على ما هي عليه فإذا زالت السماوات استقرت الشمس وبطل سيرها

(اللغة)

السلخ اخراج الشيء من لباسه ومنه اخراج الحيوان من جلده ومنه قوله فانسلخ منها اي فخرج منها خروج الشيء مما لابسه والعرجون العذق الذي فيه الشماريخ وهو العثكول والعثكال والكباسة والقنو وهو فعلول قال رؤبة «في خدرمياس الدمي معرجن»

(الإعراب)

والقمر قدرناه منازل تقديره ذا منازل ثم حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ولا يجوز أن يكون بلا حذف لأن القمر غير المنازل وإنما يجري فيها ولا يجوز أن ينتصب منازل على الظرف لأنه محدود والفعل لا يصل إلى المحدود إلا بحرف جر نحو جلست في المسجد ولا يجوز جلست المسجد

(المعنى)

ثم نزه سبحانه نفسه وعظمها دالا بذلك على انه هو الذي يستحق منتهى الحمد وغاية الشكر فقال (سبحان الذي خلق الازواج كلها) اي تنزيها وتعظيما وبراءة عن السوء للذي خلق الأصناف والاشكال من الاشياء فالحيوان على مشاكلة الذكر للانثى وكذلك النخل والحبوب اشكال والتين والكرم ونحوهما اشكال فلذلك قال (مما تنبت الأرض) اي من سائر النبات (ومن انفسهم) اي وخلق منهم اولادا أزواجا ذكورا واناثا (ومما لا يعلمون) مما في بطون الأرض وقعر البحار فلم يشاهدوه ولم يتصل خبره بهم (وآية لهم) اي ودلالة لهم اخرى (الليل نسلخ منه النهار) اي ننزع منه ونخرج ضوء الشمس فيبقى الهواء مظلما كما كان لأن الله سبحانه يضيء الهواء بضياء الشمس فإذا سلخ منه الضياء اي كشط وازيل يبقى مظلما وقيل إنما قال سبحانه نسلخ منه النهار لأنه تعالى جعل الليل كالجسم لظلمته وجعل النهار كالقشر ولأن النهار عارض فهو كالكسوة والليل اصل فهو كالجسم وقوله (فإذا هم مظلمون) أي داخلون في الليل لا ضياء لهم فيه (والشمس تجري لمستقر لها) معناه ودلالة اخرى لهم الشمس وفي قوله لمستقر لها اقوال * احدها * انها تجري لانتهاء امرها عند انقضاء الدنيا فلا تزال تجري حتى تنقضي الدنيا عن جماعة من المفسرين قال ابو مسلم ومعنى هذا ومعنى لا مستقر لها واحد اي لا قرار لها إلى انقضاء الدنيا * وثانيها * انها تجري لوقت واحد لا تعدوه ولا يختلف عن قتادة * وثالثها * انها تجري إلى اقصى منازلها في الشتاء والصيف لا تتجاوزها والمعنى أن لها في الارتفاع غاية لا تتجاوزها ولا تنقطع دونها ولها في الهبوط غاية لا تتجاوزها ولا تقصر عنها فهو مستقرها (ذلك تقدير العزيز) اي القادر الذي لا يعجزه شيء (العليم) الذي لا يخفى عليه شيء (والقمر قدرناه منازل) وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل كل يوم وليلة منزلة منها لا يختلف حاله في ذلك الى ان يقطع الفلك (حتى عاد كالعرجون القديم) اي عاد في آخر الشهر دقيقا كالعذق اليابس العتيق ثم يخفى يومين آخر الشهر وانما شبهه سبحانه بالعذق لأنه إذا مضت عليه الايام جف وتقوس فيكون اشبه الاشياء بالهلال وقيل ان العذق يصير كذلك في كل ستة اشهر روى علي بن ابراهيم

بإسناده قال دخل ابو سعيد المكاري وكان واقفيا على ابي الحسن الرضا (ع) فقال له أبلغ من قدرك انك تدعي ما ادعاه ابوك فقال له ابو الحسن مالك اطفأ الله نورك وادخل الفقر بيتك أما علمت ان الله عز وجل اوحى الى عمران اني واهب لك ذكرا يبرئ الاكمه والابرص فوهب له مريم ووهب لمريم عيسى فعيسى من مريم ومريم من عيسى ومريم وعيسى شيء واحد وانا من ابي وابي مني وأنا وابي شيء واحد فقال له ابو سعيد فاسألك عن مسألة قال سل ولا اخالك تقبل مني ولست من غنمي ولكن هلمها قال ما تقول في رجل قال عند موته كل مملوك لي قديم فهو حر لوجه الله فقال ابو الحسن ما ملكه لستة اشهر فهو قديم وهو حر قال وكيف صار كذلك قال لأن الله تعالى يقول والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم اسماه الله قديما ويعود كذلك لستة اشهر قال فخرج ابو سعيد من عنده وذهب بصره وكان يسأل على الأبواب حتى مات (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر) في سرعة سيره لأن الشمس ابطأ سيرا من القمر فإنها تقطع منازلها في سنة والقمر يقطعها في شهر والله سبحانه يجريهما اجراء التدوير بأين بين فلكيهما ومجاريهما فلا يمكن ان يدرك احدهما الآخر ما داما على هذه الصفة (ولا الليل سابق النهار) اي ولا يسبق الليل النهار وقيل معناه لا يجتمع ليلتان ليس بينهما يوم بل تتعاقبان كما قدره الله تعالى عن عكرمة وروى العياشي في تفسيره بالاسناد عن الاشعث بن حاتم قال كنت بخراسان حيث اجتمع الرضا (ع) والفضل بن سهل والمأمون في ايوان الحبري بمرو فوضعت المائدة فقال الرضا (ع) ان رجلا من بني اسرائيل سألني بالمدينة فقال النهار خلق قبل ام الليل فما عندكم قال فأداروا الكلام فلم يكن عندهم في ذلك شيء فقال الفضل للرضا اخبرنا بها اصلحك الله قال نعم من القرآن ام من الحساب قال له الفضل من جهة الحساب فقال قد علمت يا فضل ان طالع الدنيا السرطان والكواكب في مواضع شرفها فزحل في الميزان والمشتري في السرطان والشمس في الحمل والقمر في الثور فذلك يدل على كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط السماء فالنهار خلق قبل الليل وفي قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار اي قد سبقه النهار ثم قال (وكل) من الشمس والقمر والنجوم (في فلك يسبحون) يسيرون فيه بانبساط وكل ما انبسط في شيء فقد سبح فيه ومنه السباحة في الماء وانما قال يسبحون بالواو والنون لما اضاف اليها ما هو من فعل الآدميين كما قال مالكم لا تنطقون لما وصفها بصفة من يعقل وقال ابن عباس يسبحون اي يجري كل واحد منها في فلكه كما يدور المغزل في الفلكة

قوله تعالى (٤١) وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤٢) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٣) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٤) إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٤٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٦) وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٨) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٥٠) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ

عشر آيات

(القراءة)

قرأ اهل المدينة وابن عامر ويعقوب وسهل ذرياتهم على الجمع والباقون ذريتهم على التوحيد وقرأ ابن كثير وورش ومحمد بن حبيب عن الاعمش وروح وزيد عن يعقوب يخصمون بفتح الياء والخاء وتشديد الصاد وقرأ ابو عمرو بفتح الخاء ايضا إلا انه يشمه الفتح ولا يشبعه وقرأ اهل المدينة غير ورش يخصمون ساكنة الخاء مشددة الصاد وقرأ حمزة يخصمون ساكنة الخاء خفيفة الصاد والباقون يخصمون بفتح الياء وكسر الخاء وتشديد الصاد

(الحجة)

من قرأ يخصمون حذف الحركة من التاء المدغم في يختصمون والقاها على الساكن الذي قبلها وهو الخاء وهذا أحسن الوجوه بدلالة قولهم ودّ وفر وعض القوا حركة العين على الساكن الذي قبلها ومن قرأ يخصمون حذف الحركة من الحرف المدغم إلا انه لم يلقها على الساكن الذي قبلها كما ألقاه في الأول فالتقى الساكنان فحرك الحرف الذي قبل المدغم بالكسر ومن قرأ يخصمون جمع بين الساكنين الخاء والحرف المدغم قال ابو علي ومن زعم ان ذلك ليس في طاقة اللسان فقد ادعى ما يعلم فساده بغير استدلال واما من قرأ يخصمون وتقديره يخصم بعضهم بعضا فحذف المضاف وحذف المفعول به ويجوز ان يكون المعنى يخصمون مجادلهم عند أنفسهم فحذف المفعول به ومعنى يخصمون يغلبون في الخصام خصومهم

(اللغة)

الحمل منع الشيء أن يذهب إلى جهة السفل والفلك السفن لأنها تدور في الماء ومنه الفلكة لأنها تدور في المغزل والفلك لأنها تدور بالنجوم وفلك ثدي المرأة إذا استدار والمشحون المملوء وشحنت الثغر بالرجال اشحنه شحنا إذا ملأته ومنه الشحنة لأنه يملأ بهم البلد

(الإعراب)

رحمة منا نصب على انه مفعول له ومتاعا عطف عليه ويمكن أن يكون على معنى إلا ان نرحمهم رحمة ونمتعهم متاعا

(المعنى)

ثم امتن سبحانه على خلقه بذكر فنون نعمه دالا بذلك على وحدانيته فقال (وآية لهم) اي وحجة وعلامة لهم على اقتدارنا (أنا حملنا ذريتهم) يعني آباءهم وأجدادهم الذين هؤلاء من نسلهم (في الفلك المشحون) يعني سفينة نوح المملوءة من الناس وما يحتاج اليه من فيها فسلموا من الغرق فانتشر منهم بشر كثير ويسمى الآباء ذرية من ذرء الله الخلق لأن الأولاد خلقوا منهم وسمي الأولاد ذرية لأنهم خلقوا من الآباء عن الضحاك وقتادة وجماعة من المفسرين وقيل الذرية هم الصبيان والنساء والفلك هي السفن الجارية في البحار وخص الذرية بالحمل في الفلك لضعفهم ولأنه لا قوة لهم على السفر كقوة الرجال فسخر الله لهم السفن ليمكن الحمل في البحر والإبل ليمكن الحمل في البر يقول القائل حملني فلان إذا اعطاه ما يحمل او هداه إلى ما يحمل عليه قال الشاعر

ألا فتى عنده خفان يحملني عليها أنني شيخ على سفر

(وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) أي وخلقنا لهم من مثل سفينة نوح سفنا يركبون فيها كما ركب نوح يعني السفن التي عملت بعد سفينة نوح مثلها على صورتها وهيئتها عن ابن عباس وغيره وقيل ان المراد به الإبل وهي سفن البر عن مجاهد وقيل مثل السفينة من الدواب كالإبل والبقر والحمير عن الجبائي (وإن نشأ نغرقهم) اي وإن نشأ إذا حملناهم في السفن نغرقهم بتهييج الرياح والأمواج (فلا صريخ لهم) اي لا مغيث لهم (ولا

هم ينقذون) أي ولا يخلصون من الغرق إذا أردناه (إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين) أي إلا ان نرحمهم بأن نخلصهم في الحال من أهوال البحر ونمتعهم إلى وقت ما قدرناه لتقضي آجالهم وقيل معناه بقيناهم نعمة منا عليهم وإمتاعا إلى مدة (وإذا قيل لهم) أي للمشر كين (اتقوا ما بين ايديكم) من أمر الآخرة فاعملوا لها (وما خلفكم) من امر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها (لعلكم ترحمون) اي لتكونوا على رجاء الرحمة من الله تعالى عن ابن عباس وقيل معناه اتقوا ما مضى من الذنوب وما يأتي من الذنوب عن مجاهد اي اتقوا عذاب الله بالتوبة للماضي والاجتناب للمستقبل وقيل اتقوا العذاب المنزل على الامم الماضية وما خلفكم من عذاب الآخرة عن قتادة وروى الحلبي عن ابي عبد الله «ع» قال معناه اتقوا ما بين ايديكم من الذنوب وما خلفكم من العقوبة وجواب إذا محذوف تقديره إذا قيل لهم هذا اعرضوا ويدل على هذا المحذوف قوله (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) أي اعرضوا عن الداعي وعن التفكر في الحجج وفي المعجزات ومن في قوله من آية هي التي تزاد في النفي للاستغراق ومن الثانية للتبعيض اي ليس تأتيهم آية ابة آية كانت إلا ذهبوا عنها واعرضوا عن النظر فيها وذلك سبيل من ضل عن الهدى وخسر الدنيا والآخرة (وإذا قيل لهم) ايضا (انفقوا مما رزقكم الله) في طاعته واخرجوا ما أوجب الله عليكم في اموالكم (قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لو يشاء الله اطعمه) احتجوا في منع الحقوق بأن قالوا كيف نطعم من يقدر الله على اطعامه ولو شاء الله اطعامه اطعمه فإذا لم يطعم دل على انه لم يشأ إطعامه وذهب عليهم أن الله سبحانه إنما تعبدهم بذلك لما لهم فيه من المصلحة فأمر الغني بالانفاق على الفقير ليكسب به الأجر والثواب واختلف في هؤلاء الذين قالوا ذلك فقيل هم اليهود حين امروا بإطعام الفقراء عن الحسن وقيل هم مشركو قريش قال لهم اصحاب رسول الله ﷺ اطعمونا من اموالكم ما زعمتم انه لله وذلك قوله هذا لله بزعمهم عن مقاتل وقيل هم الزنادقة الذين انكروا الصانع تعلقوا بقوله رزقكم الله فقالوا إن كان هو الرزاق فلا فائدة في التماس الرزق منا وقد رزقنا وحرمكم فلم تأمرون بإعطاء من حرمه الله (إن انتم إلا في ضلال مبين) هذا من قول الكفار لمن امرهم بالإطعام عن قتادة وقيل انه من قول الله تعالى لهم حين ردوا هذا بالجواب عن علي بن عيسى (ويقولون متى هذا الوعد) الذي تعدنا به من نزول العذاب بنا (ان كنتم صادقين) في ذلك انت وأصحابك وهذا استهزاء منهم بخبر النبي ﷺ وخبر المؤمنين فقال تعالى في جوابهم (ما ينظرون) اي ما ينتظرون (إلا صيحة واحدة) يريد النفخة الاولى عن ابن عباس يعني ان القيامة تأتيهم بغتة (تأخذهم) الصيحة (وهم يخصمون) اي يختصمون في امورهم ويتبايعون في الاسواق وفي الحديث تقوم الساعة والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم والرجل يرفع أكلته الى فيه فما تصل إلى فيه حتى تقوم والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم وقيل وهم يختصمون هل ينزل بهم العذاب ام لا (فلا يستطيعون توصية) يعني ان الساعة إذا اخذتهم بغتة لم يقدروا على الإيصاء بشيء (ولا إلى اهلهم يرجعون) اي ولا الى منازلهم يرجعون من الاسواق وهذا اخبار عما يلقونه في النفخة الاولى عند قيام الساعة

قوله تعالى (٥١) وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ (٥٢) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ (٥٣) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٤) فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٥) إِنَّ أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٦) هُمْ

وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٧) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (٥٨) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (٥٩) وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٦٠) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ عشر آيات

«القراءة»

قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وروح في شغل ساكنة الغين والباقون في شغل بضم الغين وقرأ ابو جعفر فكهون بغير الف حيث وقع ووافقه حفص في المطففين انقلبوا فكهين وقرأ الآخرون بالألف كل القرآن وقرأ اهل الكوفة غير عاصم في ظلل بضم الظاء بلا الف والباقون في ظلال. وروي عن امير المؤمنين«ع» انه قرأ من بعثنا من مرقدنا وفي الشواذ قراءة ابن ابي ليلى يا ويلتا وقرأ أبي بن كعب من هبنا من مرقدنا

الحجة

الشغل والشغل لغتان وكذلك الفكه والفاكه والظلل جمع ظلة والظلال يجوز ايضا ان يكون جمع ظلة فيكون كبرمة وبرام وعلبة وعلاب ويجوز ان يكون جمع ظل واما قوله من بعثنا فهو كقولك يا ويلي من اخذك مني قال ابن جني من الأولى متعلقة بالويل كقولك يا تألمي منك وإن شئت كان حالا فتعلقت بمحذوف حتى كأنه قال يا ويلنا كائنا من بعثنا فجاز ان يكون حالا منه كما جاز ان يكون خبرا عنه في مثل قول الاعشى

قالت هريرة لما جئت زائرها ويلي عليك وويلي منك يا رجل

وذلك ان الحال ضرب من الخبر واما من في قوله من مرقدنا فمتعلقة بنفس البعث ومن قرأ يا ويلتا فأصله يا ويلتي فأبدلت الياء الفا لأنه نداء فهو موضع تخفيف فتارة تحذف هذه الياء نحو غلام وتارة بالبدل نحو يا غلاما قال «يا أبتا علك اوعساكا» فإن قلت كيف قال يا ويلتا وهذا اللفظ للواحد وهم جماعة فالقول انه يكون على ان كل واحد منهم قال يا ويلتا من بعثنا من مرقدنا ونحوه قوله فاجلدوهم ثمانين جلدة أي فاجلدوا كل واحد منهم ومثله ما حكاه ابو زيد من قولهم أتينا الأمير فكسانا كلنا حلة واعطانا كلنا مائة اي كسا كل واحد منا حلة واعطي كل واحد منا مائة واما هبنا فيمكن ان يكون هب لغة في اهب ويمكن أن يكون على معنى هب بنا أي ايقظنا ثم حذف حرف الجر فوصل الفعل

اللغة

قال ابو عبيدة الصور جمع صورة مثل بسرة وبسر وهو مشتق من صاره يصوره صورا إذا اماله فالصورة تميل إلى مثلها بالمشاهدة والجدث القبر وجمعه الأجداث وهذه لغة اهل العالية ويقول اهل السافلة بالفاء جدف والنسول الاسراع في الخروج يقال نسل ينسل وينسل قال امرؤ القيس

وإن تك قد ساءتك مني خليقة فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

وقال آخر

عسلان الذئب أمسى قاربا برد الليل عليه فنسل

الإعراب

هذا ما وعد الرحمن مبتدأ وخبر ويكون من بعثنا من مرقدنا كلاما تاما يوقف عليه ويجوز ان يكون هذا من نعت مرقدنا اي مرقدنا الذي كنا راقدين فيه فيكون الوقف على مرقدنا هذا ويكون ما وعد الرحمن خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ محذوف الخبر على تقدير هذا ما وعد الرحمن او حق ماوعد الرحمن. سلام بدل من ما

والمعنى لهم ما يتمنون لهم سلام وقولا منصوب على انه مصدر فعل محذوف أي يقوله الله قولا

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن النفخة الثانية وما يلقونه فيها إذا بعثوا بعد الموت فقال (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث) وهي القبور (إلى ربهم) اي إلى الموضع الذي يحكم الله فيه لا حكم لغيره هناك (ينسلون) اي يخرجون سراعا فلما رأوا اهوال القيامة (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) اي من حشرنا من منامنا الذي كنا فيه نياماً ثم يقولون (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) فيما اخبرونا عن هذا المقام وهذا البعث قال قتادة أول الآية للكافرين وآخرها للمسلمين قال الكافرون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقال المسلمون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وإنما وصفوا القبر بالمرقد لأنهم لما أحيوا كانوا كالمنتبهين عن الرقدة وقيل انهم لما عاينوا احوالهم في القيامة عدوا احوالهم في قبورهم بالإضافة إلى تلك الأهوال رقاداً قال قتادة هي النومة بين النفختين لا يفتر عذاب القبر إلا فيما بينهما فيرقدون ثم اخبر سبحانه عن سرعة بعثهم فقال (إن كانت إلا صيحة واحدة) اي لم تكن المدة إلا مدة صيحة واحدة (فإذا هم جميع لدينا محضرون) أي فإذا الأولون والآخرون مجموعون في عرصات القيامة محصلون في موقف الحساب ثم حكى سبحانه ما يقوله يومئذ للخلائق فقال (فاليوم لا تظلم نفس شيئا) أي لا ينقص من له حق شيئاً من حقه من الثواب اوالعوض او غير ذلك ولا يفعل به ما لا يستحقه من العقاب بل الأمور جارية على مقتضى العدل وذلك قوله (ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون) ثم ذكر سبحانه اولياءه فقال (إن اصحاب الجنة اليوم في شغل) شغلهم النعيم الذي شملهم وغمرهم بسروره عما فيه أهل النار من العذاب عن الحسن والكلبي فلا يذكرونهم ولا يهتمون بهم وإن كانوا اقاربهم وقيل شغلوا بافتضاض العذارى عن ابن عباس وابن مسعود وهو المروي عن الصادق (ع) قال وحواجبهن كالأهلة واشفار اعينهن كقوادم النسور وقيل باستماع الألحان عن وكيع وقيل شغلهم في الجنة سبعة أنواع من الثواب لسبعة اعضاء فثواب الرجل بقوله ادخلوها بسلام آمنين وثواب اليد يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها وثواب الفرج وحور عين وثواب البطن كلوا واشربوا هنيئا الآية وثواب اللسان وآخر دعويهم الآية وثواب الاذن لا يسمعون فيها لغوا ونظائرها وثواب العين وتلذ الاعين (فاكهون) اي فرحون عن ابن عباس وقيل ناعمون متعجبون بما هم فيه قال ابو زيد الفكه الطيب النفس الضحوك رجل فكه وفاكه ولم يسمع لهذا فعل في الثلاثي وقال ابو مسلم انه مأخوذ عن الفكاهة فهو كناية عن الأحاديث الطيبة وقيل فاكهون ذوو فاكهة كما يقال لاحم شاحم اي ذو لحم وشحم وعاسل ذو عسل قال الحطيئة

وغررتني وزعمت أنك لابن في الصيف تامر

اي ذو لبن وتمر ثم اخبر سبحانه عن حالهم فقال (هم وازواجهم) اي هم وحلائلهم في الدنيا ممن وافقهم على إيمانهم في استار عن وهج الشمس وسمومها فهم في مثل تلك الحال الطيبة من الظلال التي لا حر فيها ولا برد وقيل ازواجهم اللاتي زوجهم الله من الحور العين (في ظلال) اشجار الجنة وقيل في ظلال تسترهم من نظر العيون اليهم (على الأرائك) وهي السرر عليها الحجال وقيل هي الوسائد (متكئون) اي جالسون جلوس الملوك إذ ليس عليهم من الأعمال شيء قال الأزهري كلما اتكئ عليه فهو اريكة والجمع أرائك (لهم فيها) اي في الجنة (فاكهة ولهم ما يدعون) أي ما يتمنون ويشتهون قال ابو عبيدة تقول العرب ادع علي ما شئت اي تمن علي وقيل معناه إن كل من يدعي شيئاً فهو له بحكم الله تعالى لانه قد هذب طباعهم فلا يدعون إلا ما يحسن منهم قال الزجاج هو مأخوذ من الدعاء يعني أن اهل الجنة كلما يدعونه يأتيهم ثم بين سبحانه ما يشتهون فقال (سلام) أي لهم سلام ومنى أهل الجنة أن يسلم الله عليهم (قولا) اي يقوله الله قولاً (من رب رحيم) بهم يسمعونه من

الله فيؤذنهم بدوام الأمن والسلامة مع سبوغ النعمة والكرامة وقيل ان الملائكة يدخل عليهم من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم ثم ذكر سبحانه أهل النار فقال (وامتازوا اليوم ايها المجرمون) اي يقال لهم انفصلوا معاشر العصاة واعتزلوا من جملة المؤمنين وقيل معناه كونوا على حدة عن السدي وقيل معناه ان لكل كافر بيتاً في النار يدخل فيردم بابه لا يرى ولا يرى عن الضحاك ثم خصهم سبحانه بالتوبيخ فقال (ألم أعهد اليكم يا بني آدم) أي ألم آمركم على ألسنة الأنبياء والرسل في الكتب المنزلة (ألا تعبدوا الشيطان) أي لا تطيعوا الشيطان فيما يأمركم به (إنه لكم عدو) أي وقلت لكم ان الشيطان لكم عدو (مبين) ظاهر عداوته عليكم يدعوكم إلى ما فيه هلاككم وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه لا يخلق عبادة الشيطان لأنه حذر من ذلك ووبخ عليه

قوله تعالى (٦١) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٢) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٣) هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٤) اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٥) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

خمس آيات

القراءة

قرأ ابو عمرو وابن عامر جبلا بضم الجيم وسكون الباء وقرأ اهل المدينة وعاصم وسهل جبلا بكسر الجيم والباء وتشديد اللام وقرأ روح وزيد جبلا بضم الجيم والباء وتشديد اللام وهو قراءة الحسن والأعرج والزهري وقرأ الباقون جبلا بضمهما وتخفيف اللام

الحجة

معناهن جميعا الخلق الكثير والجماعة والجمع الذين جبلوا على خليقة اي طبعوا واصل الجبل الطبع ومنه الجبل لأنه مطبوع على الثبات وقال ابو مسلم اصله الغلظة والشدة

المعنى

ثم قال سبحانه في حكايته ما يقوله الكفار يوم القيامة (وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم) فوصف عبادته بأنه طريق مستقيم من حيث كان طريقا إلى الجنة ثم ذكر سبحانه عداوة الشيطان لبني آدم فقال (ولقد اضل منكم جبلا كثيرا) اي اضل الشيطان عن الدين خلقا كثيرا منكم بأن دعاهم إلى الضلال وحملهم على الضلال وأغواهم (افلم تكونوا تعقلون) انه يغويكم ويصدكم عن الحق فتنبهون عنه صورته استفهام ومعناه الانكار عليهم والتبكيت لهم وفي هذا بطلان مذهب اهل الجبر في ان الله أراد اضلالهم ولو كان كما قالوه لكان ذلك اضر عليهم وانكر من ارادة الشيطان ذلك (هذه جهنم التي كنتم توعدون) بها في دار التكليف حاضرة لكم تشاهدونها (اصلوها اليوم) اي الزموا العذاب بها واصل الصلاء اللزوم ومنه المصلي الذي يجيء في اثر السابق للزومه اثره وقيل معناه صيروا صلاها اي وقودها عن ابي مسلم (بما كنتم تكفرون) جزاء لكم على كفركم بالله وتكذيبكم انبياءه (اليوم نختم على افواههم) هذا حقيقة الختم فتوضع على افواه الكفار يوم القيامة فلا يقدرون على الكلام والنطق (وتكلمنا ايديهم) بما عملوا (وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون) اي نستنطق الأعضاء التي كانت لا تنطق في الدنيا لتشهد عليهم ونختم على افواههم التي عهد

منها النطق واختلف في كيفية شهادة الجوارح على وجوه ✽ احدها ✽ ان الله تعالى يخلقها خلقة يمكنها ان تتكلم وتنطق وتعترف بذنوبها ✽ وثانيها ✽ ان الله تعالى يجعل فيها كلاما وإنما نسب الكلام اليها لأنه لا يظهر إلا من جهتها ✽ وثالثها ✽ ان معنى شهادتها وكلامها ان الله تعالى يجعل فيها من الآيات ما يدل على أن أصحابها عصوا الله بها فسمى ذلك شهادة منها كما يقال عيناك تشهدان بسهرك وقد ذكرنا امثال ذلك فيما سلف

قوله تعالى (٦٦) وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (٦٧) وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (٦٨) وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (٦٩) وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٧٠) لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ خمس آيات

✽ القراءة ✽

قرأ ابو بكر وحده مكاناتهم على الجمع والباقون على التوحيد وقد تقدم ذكر ذلك وقرأ عاصم وحمزة وسهل ننكسه بضم النون الاولى وفتح الثانية وكسر الكاف وتشديدها وقرأ الباقون بضم الكاف وتخفيفها وقرأ اهل المدينة والشام ويعقوب وسهل لتنذر بالتاء والباقون بالياء.

✽ الحجة ✽

يقال نكسته ونكّسته وانكسه وانكّسه مثل رددت ورددت غير أن التشديد للتكثير والتخفيف يحتمل القليل والكثير ومن قرأ لتنذر بالتاء فهو خطاب للنبي ﷺ ومن قرأ بالياء أراد القرآن ويجوز ان يريد لينذر الله

✽ اللغة ✽

الطمس محو الشيء حتى يذهب اثره فالطمس على العين كالطمس على الكتاب. ومثله الطمس على المال وهو اذهابه حتى لا يقع عليه ادراك واعمى مطموس وطميس وهو أن يذهب الشق الذي بين الجفنين والمسخ قلب الصورة إلى خلقة مشوهة كما مسخ قوم قردة وخنازير

✽ الاعراب ✽

أنى في محل النصب على الحال من يبصرون أو على انه في معنى مصدره

✽ المعنى ✽

ثم اخبر سبحانه عن قدرته على اهلاك هؤلاء الكفار الذين جحدوا وحدانيته فقال (ولو نشاء لطمسنا على اعينهم) أي لأعميناهم عن الهدى عن ابن عباس وقيل معناه لتركناهم عمياً يترددون عن الحسن وقتادة والجبائي (فاستبقوا الصراط) أي فطلبوا طريق الحق وقد عموا عنه (فأنى يبصرون) أي فكيف يبصرون عن ابن عباس وقيل معناه فطلبوا النجاة والسبق اليها ولا بصر لهم فكيف يبصرون وقد اعميناهم وقيل طلبوا الطريق إلى منازلهم فلم يهتدوا اليها (ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم) اي على مكانهم الذي هم فيه قعود والمعنى ولو نشاء لعذبناهم بنوع آخر من العذاب فأقعدناهم في منازلهم ممسوخين قردة وخنازير والمكانة والمكان واحد وقيل معناه ولو شئنا لمسخناهم حجارة في منازلهم ليس فيهم أرواحهم (فما استطاعوا

مضيا ولا يرجعون) أي فلم يقدروا على ذهاب ولا مجيئ لو فعلنا ذلك بهم وقيل معناه فما استطاعوا مضيا من العذاب ولا رجوعا إلى الخلقة الأولى بعد المسخ وهذا كله تهديد هددهم الله به ثم قال سبحانه (ومن نعمره ننكسه في الخلق) أي من نطول عمره نصيره بعد القوة إلى الضعف وبعد زيادة الجسم إلى النقصان وبعد الجدة والطراوة إلى البلى والخلوقة فكأنه نكس خلقه وقيل ننكسه نرده إلى حال الهرم التي تشبه حال الصبي في ضعف القوة وغروب العلم عن قتادة (أفلا تعقلون) أي أفلا تتدبرون في أن الله تعالى يقدر على الإعادة كما قدر على ذلك وإنما قال على الخطاب لقوله ألم اعهد اليكم ومن قرأ بالياء فالمعنى أفليس لهم عقل فيعتبروا ويعلموا ذلك ثم اخبر سبحانه عن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم توكيدا لقوله إنك لمن المرسلين فقال (وما علمناه الشعر) يعني قول الشعراء وصناعة الشعر أي ما أعطيناه العلم بالشعر وانشائه (وما ينبغي له) أن يقول الشعر من عند نفسه وقيل معناه ما يتسهل له الشعر وما كان يتزين له بيت شعر حتى انه إذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روي عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتمثل بهذا البيت «كفى الإسلام والشيب للمرء ناهيا» فقال ابو بكر يارسول الله إنما قال الشاعر «كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا» اشهد انك رسول الله وما علمك الشعر وما ينبغي لك وعن عائشة انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتمثل ببيت اخي بني قيس

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ... ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل يقول يأتيك من لم تزود بالأخبار فيقول ابو بكر ليس هكذا يارسول الله فيقول اني لست بشاعر وما ينبغي لي فأما قوله صلى الله عليه وآله وسلم انا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب فقد قال قوم ان هذا ليس بشعر وقال آخرون انما هو اتفاق منه وليس بقصد الى قول الشعر وقيل أن معنى الآية وما علمناه الشعر بتعليم القرآن وما ينبغي للقرآن أن يكون شعرا فإن نظمه ليس بنظم الشعر وقد صح انه كان يسمع الشعر ويحث عليه وقال لحسان ابن ثابت لا تزال بإحسان مؤيدا بروح القدس ما نصرتنا بلسانك (إن هو) أي من الذي انزلناه عليه (إلا ذكر وقرآن مبين) من عند رب العالمين ليس بشعر ولا رجز ولا خطبة والمراد بالذكر انه يتضمن ذكر الحلال والحرام والدلالات وأخبار الامم الماضية وغيرها وبالقرآن أنه مجموع بعضه إلى بعض فجمع سبحانه بينهما لاختلاف فائدتها (لتنذر من كان حيا) اي انزلناه لتخوف به من معاصي الله من كان مؤمنا لأن الكافر كالميت بل اقل من الميت لأن الميت وإن كان لا ينتفع ولا يتضرر والكافر لا ينتفع بدينه ويتضرر به ويجوز أن يكون المراد بمن كان حيا عاقلا وروي ذلك عن علي «ع» وقيل من كان حي القلب حي البصر عن قتادة (ويحق القول على الكافرين) اي يجب الوعيد والعذاب على الكافرين بكفرهم

قوله تعالى (٧١) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧٢) وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٣) وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٤) وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (٧٥) لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (٧٦) فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ

ست آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة الحسن والأعمش ركوبهم وقراءة عائشة وابي بن كعب ركوبتهم

﴿ الحجة ﴾

اما الركوب فمصدر والكلام على حذف المضاف والتقدير فمنها ذو ركوبهم وذو الركوب هو المركوب ويجوز أن يكون التقدير فمن منافعها ركوبهم كما يقول الإنسان لغيره مــن بركاتك وصول الخير إلي على يدك وأما ركوبتهم فهي المركوبة كالقتوبة والحلوبة والجزورة لما يقتب ويحلب ويجزر

﴿ المعنى ﴾

ثم عاد الكلام إلى ذكر الأدلة على التوحيد فقال سبحانه (أو لم يروا) معناه اولم يعلموا (أنا خلقنا لهم) اي لمنافعهم (مما عملت ايدينا) اي مما ولينا خلقه بإبداعنا وانشائنا لم نشارك في خلقه ولم نخلقه باعانــة معين واليد في اللغة على اقسام منها الجارحة ومنها النعمة ومنها القوة ومنها تحقيق الاضافة يقال في معنى النعمة لفلان عندي يد بيضاء وبمعنى القدرة تلقى فلان قولي باليدين اي بالقوة والتقبل وبمعنى تحقيق الإضافة قول الشاعر

دعوت لما نابني مسورا　　　فلبى فلبى يدي مسور

وانما ثناه لتحقيق المبالغة في الإضافة الى مسور ويقولون هذا ماجنت يداك وهو المعنى في الآية واذا قال الواحد منا عملت هذا بيدي دل ذلك على انفراده بعمله من غير ان يكله إلى احد (انعاما) يعني الإبل والبقر والغنم (فهم لها مالكون) اي ولو لم نخلقها لما ملكوها ولما انتفعوا بها وبألبانها وركوب ظهورها ولحومها وقيل فهم لها ضابطون قاهرون لم نخلقها وحشية نافرة منهم لا يقدرون على ضبطها فهي مسخرة لهم وهو قوله (وذللناها لهم) اي سخرناها لهم حتى صارت منقادة (فمنها ركوبهم ومنها يأكلون) قسم الانعام بأن جعل منها ما يركب ومنها ما يذبح فينتفع بلحمه ويؤكل قال مقاتل الركوب الحمولة يعني الابل والبقر (ولهم فيها منافع ومشارب) فمن منافعها لبس اصوافها واشعارها واوبارها واكل لحومها وركوب ظهورها الى غير ذلك من انواع المنافع الكثيرة فيها والمشارب من البانها (افلا يشكرون) الله تعالى على هذه النعم ثم ذكر سبحانه جهلهم فقال (واتخذوا من دون الله آلهة) يعبدونها (لعلهم ينصرون) اي لكي ينصروهم ويدفعوا عنهم عذاب الله (لا يستطيعون نصرهم) يعني هذه الآلهة التي عبدوها لا تقدر عــلى نصرهم والدفع عنهم (وهم لهم جند محضرون) يعني ان هذه الآلهة معهم في النار محضرون لأن كل حزب مع ما عبده مــن الأوثان في النار فلا الجند يدفعون عنها الاحراق ولا هي تدفع عنهم العذاب وهذا كما قال سبحانه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم عــن الجبائي وقيل معناه ان الكفار جند للأصنام يغضبون لهم ويحضرونهم في الدنيا عن قتادة اي يغضبون للآلهة في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خــيرا ولا تدفع عنهم شرا قال الزجاج ينصرون الأصنام وهي لا تستطيع نصرهم ثم عزى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن قال (فلا يحزنك قولهم) في تكذيبك (انا نعلم ما يسرون) في ضمائرهم (وما يعلنون) بألسنتهم فنجازيهم على كل ذلك

قوله تعالى (٧٧) أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٨) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٩) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا

أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٨٠) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨١) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨٢) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٣) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ سبع آيات

القراءة

قرأ يعقوب يقدر بالياء وكذلك في الاحقاف والوجه فيه ظاهر وفي الشواذ قراءة طلحة وابراهيم التيمي والاعمش ملكة كل شيء ومعناه فسبحان الذي بيده القدرة على كل شيء وهو من ملكت العجين إذا اجدت عجنه فقويته بذلك والملكوت فعلوت منه زادوا فيه الواو والتاء للمبالغة بزيادة اللفظ ولهذا لا يطلق الملكوت إلا على الأمر العظيم

الاعراب

الذي جعل لكم بدل من الذي انشأها ويجوز أن يكون مرفوعا أو منصوبا على المدح. ان يقول في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ

النزول

قيل إن ابي بن خلف او العاص بن وائل جاء بعظم بال متفتت وقال يا محمد اتزعم أن الله يبعث هذا فقال نعم فنزلت الآية أو لم ير الانسان إلى آخر السورة

المعنى

ثم نبه سبحانه خلقه على الاستدلال على صحة البعث والإعادة فقال (اولم ير) اولم يعلم (الانسان انا خلقناه من نطفة) والتقدير ثم نقلناه من النطفة الى العلقة ومن العلقة إلى المضغة ومن المضغة إلى العظم ومن العظم الى ان جعلناه خلقا سويا ثم جعلنا فيه الروح واخرجناه من بطن امه وربيناه ونقلناه من حال إلى حال الى ان كمل عقله وصار متكلما خصيما وذلك قوله (فإذا هو خصيم مبين) اي مخاصم ذو بيان اي فمن قدر على جميع ذلك فكيف لا يقدر على الإعادة وهي اسهل من الانشاء والابتداء ولا يجوز أن يكون خلق الانسان واقعا بالطبيعة لأن الطبيعة في حكم الموات في أنها ليست بحية قادرة فكيف يصح منها الفعل ولا ان يكون كذلك بالاتفاق لأن المحدث لابد له من محدث قادر عالم وفي الآية دلالة على صحة استعمال النظر في الدين لأن الله سبحانه اقام الحجة على المشركين بقياس النشأة الثانية على النشأة الأولى وألزم من اقر بالأولى ان يقر بالثانية ثم اكد سبحانه الانكار عليه فقال (وضرب لنا مثلا) اي ضرب المثل في انكار البعث بالعظم البالي وفته بيده وتعجب ممن يقول ان الله يحييه (ونسي خلقه) اي وترك النظر في خلق نفسه اذ خلق من نطفة ثم بين ذلك المثل بقوله (قال من يحيي العظام وهي رميم) اي بالية واختلف في القائل لذلك فقيل هو ابي بن خلف عن قتادة ومجاهد وهو المروي عن الصادق (ع) وقيل هو العاص بن وائل السهمي عن سعيد بن جبير وقيل امية بن خلف عن الحسن ثم قال سبحانه في الرد عليه (قل) يا محمد لهذا المتعجب من الإعادة (يحييها الذي انشأها أول مرة) لأن من قدر على اختراع ما يبقى فهو على اعادته قادر لامحالة

(وهو بكل خلق عليم) من الابتداء والاعادة فيعلم به قبل أن يخلقه انه إذا خلقه كيف يكون ويعلم به قبل ان يعيده انه إذا اعاده كيف يكون ثم زاد سبحانه في البيان واخبر من صنعه بما هو عجيب الشأن فقال (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا انتم منه توقدون) اي جعل لكم من الشجر الرطب المطفئ للنار نارا محرقة يعني بذلك المرخ والعفار وهما شجرتان يتخذ الأعراب زنودها منهما فبين سبحانه ان من قدر على ان يجعل في الشجر الذي هو في غاية الرطوبة نارا حامية مع مضادة النار للرطوبة حتى إذا احتاج الإنسان حك بعضه ببعض فنخرج منه النار وينقدح قدر ايضا على الإعادة وتقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار وقال الكلبي كل شجر تنقدح منه النار الا العناب ثم ذكر سبحانه من خلقه ما هو اعظم من الانسان فقال (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على ان يخلق مثلهم) هذا استفهام معناه التقرير يعني من قدر على خلق السماوات والأرض واختراعهما مع عظمهما وكثرة اجزائهما يقدر على اعادة خلق البشر ثم اجاب سبحانه هذا الاستفهام بقوله (بلى) اي هو قادر على ذلك (وهو الخلاق) اي يخلق خلقا بعد خلق (العليم) بجميع ما خلق ثم ذكر قدرته على ايجاد الأشياء فقال (انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون) والتقدير ان يكونه فيكون فعبر عن هذا المعنى بكن لأنه ابلغ فيما يراد وليس هنا قول وإنما هو اخبار بحدوث ما يريده تعالى وقيل إن المعنى إنما امره إذا أراد شيئا أن يقول من اجله كن فيكون فعبر عن هذا المعنى بكن وقيل إن هذا إنما هو في التحويلات نحو قوله كونوا قردة خاسئين وكونوا حجارة او حديدا وما اشبه ذلك ولفظ الأمر في الكلام على عشرة أوجه ✽احدها✽ الأمر لمن هو دونك ✽ والثاني ✽ الندب كقوله فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا ✽ وثالثها ✽ الإباحة نحو قوله فإذا قضيت الصلوة فانتشروا وإذا حللتم فاصطادوا ✽والرابع✽ الدعاء ربنا آتنا من لدنك رحمة ✽الخامس✽ الترفيه كقوله ارفق بنفسك ✽ السادس ✽ الشفاعة نحو قولك شفعني فيه ✽ السابع ✽ التحويل نحو كونوا قردة خاسئين وكونوا حجارة أو حديدا ✽ الثامن ✽ التهديد نحو قوله اعملوا ما شئتم ✽التاسع✽ الاختراع والاحداث نحو قوله كن فيكون ✽ العاشر ✽ التعجب نحو ابصر بهم وأسمع قال علي بن عيسى في قوله كن فيكون الأمر هاهنا افخم من الفعل فجاء للتفخيم والتعظيم قال ويجوز ان يكون بمنزلة التسهيل والتهوين فإنه إذا أراد فعل شيء فعله بمنزلة ما يقول للشيء كن فيكون في الحال وانشد

فقالت له العينان سمعا وطاعة ... وحدرتا كالدر لما يثقب

وإنما اخبر عن سرعة دمعه دون ان يكون ذلك قولا على الحقيقة ثم نزه سبحانه نفسه من ان يوصف بما لا يليق به فقال (فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء) اي تنزيها له من نفي القدرة على الإعادة وغير ذلك مما لا يليق بصفاته الذي بيده اي بقدرته ملك كل شيء ومن قدر على كل شيء قدر على احياء العظام الرميم وعلى خلق كل شيء وافنائه واعادته (واليه ترجعون) يوم القيامة اي تردون إلى حيث لا يملك الأمر والنهي احد سواه فيجازيكم بالثواب والعقاب على الطاعات والمعاصي على قدر اعمالكم



سورة الصافات مكية

﴿ عدد آيها ﴾

مائة واحدى وثمانون آية بصري وآيتان في الباقي

﴿ اختلافها ﴾

آيتان وما كانوا يعبدون غير البصري وكاهم يعدون وان كانوا ليقولون غير ابي جعفر

﴿ فضلها ﴾

قال ابي بن كعب قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن قرأ سورة الصافات اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له حافظاه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين وروى الحسين بن ابي العلاء عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الصافات في كل يوم جمعة لم يزل محفوظا من كل آفة مدفوعا عنه كل بلية في حياته الدنيا مرزوقا في الدنيا بأوسع ما يكون من الرزق ولم يصبه الله في ماله ولا ولده ولا بدنه بسوء من شيطان رجيم ولا جبار عنيد وان مات في يومه اوليلته بعثه الله شهيدا وأماته شهيدا وادخله الجنة مع الشهداء في درجة من الجنة

﴿ تفسيرها ﴾

افتتح الله هذه السورة بمثل ما اختتم به سورة يس من ذكر البعث فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا (٢) فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا (٣) فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا (٤) إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ (٥) رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ (٦) إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ (٧) وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ (٨) لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ (٩) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (١٠) إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

ادغم ابو عمرو وحمزة التاء في الصاد وفي الزاي وفي الذال من الصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا والذاريات ذروا وقرأ ابو عمرو وحده والعاديات ضبحا مدغما فالمغيرات صبحا فالملقيات ذكرا والسابحات سبحا والسابقات سبقا مدغما وعباس لا يدغم شيئا من ذلك والباقون باظهار التاء في ذلك كله وقرأ عاصم وحمزة بزينة بالتنوين الكواكب بالجر وقرأ ابو بكر بزينة منونا ايضا الكواكب بالنصب وقرأ الباقون بزينة الكواكب مضافة وقرأ اهل الكوفة غير ابي بكر لا يسمعون بتشديد السين والميم والباقون لا يسمعون بالتخفيف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي ادغام التاء في الصاد حسن لمقاربة اللفظين الا ترى انهما من طرف اللسان واصول الثنايا ويجتمعان في الهمس والمدغم فيه يزيد على المدغم بخلتين هما الاطباق والصفير ويحسن ادغام الأنقص في

الأزيد ولا يجوز ان يدغم الازيد صوتا في الانقص صوتا فلهذا يحسن ادغام التاء في الزاي من قوله فالزاجرات زجرا لأن التاء مهموسة والزاي مجهورة وفيها زيادة صفير كما كان في الصاد وكذلك حسن ادغام التاء في الذال في قوله فالتاليات ذكرا والذاريات ذروا لاتفاقهما في انهما من طرف اللسان واصول الثنايا فأما ادغام التاء في الضاد من قوله تعالى والعاديات ضبحا فإن التاء اقرب إلى الذال وإلى الزاي منها في الضاد لأن الذال والزاي والصاد من حروف طرف اللسان واصول الثنايا وطرفها والضاد ابعد منهن لأنها من وسط اللسان وكذلك حسن ادغام التاء فيها لأن الصاد تفشى الصوت بها واتسع واستطال حتى اتصل صوتها باصول الثنايا وطرف اللسان فادغم التاء فيها وسائر حروف طرف اللسان واصول الثنايا الا حروف الصفير فإنها لم تدغم في الضاد ولم تدغم الضاد في شيء من هذه الحروف لما فيها من زيادة الصوت فأما الادغام في السابحات سبحا والسابقات سبقا فحسن لمقاربة الحروف فأما من قرأ بالإظهار في هذه الحروف فلاختلاف المخارج وأما من قرأ بزينة الكواكب جعل الكواكب بدلا من الزينة كما تقول مررت بأبي عبد الله زيد ومن قرأ الكواكب بالنصب أعمل الزينة في الكواكب والمعنى بأن زينا الكواكب فيها ومثل ذلك أو اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ومن قرأ بزينة الكواكب اضاف المصدر إلى المفعول كقوله تعالى من دعاء الخير وبسؤال نعجتك ومن قرأ لا يسمعون فإنما هو لا يتسمعون فادغم التاء في السين وقد يتسمع ولا يسمع فإذا نفى التسمع عنهم فقد نفى سمعهم من جهة التسمع ومن جهة غيره فهو ابلغ ويقال سمعت الشيء واستمعته كما يقال حقرته واحتقرته وشويته واشتويته وقد قال تعالى وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وقال ومنهم من يستمع اليك فعدى الفعل مرة بإلى ومرة باللام وحجة من قرأ يسمعون قوله انهم عن السمع لمعزولون

﴿ اللغة ﴾

قال ابو عبيدة كل شيء بين السماء والأرض لم يضم قطريه فهو صاف ومنه الطير صافات إذا نشرت اجنحتها والصافات جمع الجمع لأنه جمع صافة والزجر الصرف عن الشيء لخوف الذم والعقاب. المارد الخارج إلى الفساد العظيم وهو من وصف الشياطين وهم المردة واصله الانجراد ومنه الأمرد فالمارد المنجرد من الخير. الدحور الدفع بالعنف يقال دحر يدحر دحرا ودحورا. والواصب الدائم الثابت قال أبو الأسود

لا اشتري الحمد القليل بقاؤه ... يوما بذم الدهر اجمع واصبا

والخطفة الاستلاب بسرعة يقال خطفه واختطفه والشهاب شعلة نار ساطعة يقال فلان شهاب حرب إذا كان ماضيا والثاقب المضيء كأنه يثقب بضوئه ومنه حسب ثاقب اي شريف

﴿ الاعراب ﴾

حفظا مصدر فعل محذوف اي زيناها وحفظناها حفظا. لا يسمعون جملة مجرورة الموضع بأنها صفة شيطان دحورا مصدر فعل دل عليه يقذفون اي يدحرون دحورا. إلا من خطف الخطفة يحتمل ان يكون من خطف في موضع نصب على الاستثناء والعامل فيه ما يتعلق به اللام في لهم عذاب والمستثنى منه هم من لهم ويحتمل ان يكون استثناء منقطعا فيكون من خطف مبتدأ وخبره فأتبعه شهاب ثاقب

﴿ المعنى ﴾

(والصافات صفا) اختلف في معنى الصافات على وجوه « احدها » انها الملائكة تصف انفسها صفوفا

في السماء كصفوف المؤمنين في الصلاة عن ابن عباس ومسروق والحسن وقتادة والسدي « وثانيها » انها الملائكة تصف اجنحتها في الهواء إذا أرادت النزول إلى الأرض واقفة تنتظر ما يأمرها الله تعالى عن الجبائي « وثالثها » انهم جماعة من المؤمنين يقومون مصطفين في الصلاة وفي الجهاد عن ابي مسلم (فالزاجرات زجرا) اختلف فيها ايضا على وجوه « احدها » انها الملائكة تزجر الخلق عن المعاصي زجرا عن السدي ومجاهد وعلى هذا فإنه يوصل الله مفهومه إلى قلوب العباد كما يوصل مفهوم إغواء الشيطان إلى قلوبهم ليصح التكليف « وثانيها » انها الملائكة الموكلة بالسحاب تزجرها وتسوقها عن الجبائي « وثالثها » انها زواجر القرآن وآياته الناهية عن القبائح عن قتادة «ورابعها» انهم المؤمنون يرفعون اصواتهم عند قراءة القرآن لأن الزجرة الصيحة عن ابي مسلم (فالتاليات ذكرا) اختلف فيها ايضا على اقوال « احدها » انها الملائكة تقرأ كتب الله تعالى والذكر الذي ينزل على الموحى اليه عن مجاهد والسدي « وثانيها » انها الملائكة تتلو كتاب الله الذي كتبه لملائكته وفيه ذكر الحوادث فتزداد يقينا بوجود المخبر على وفق الخبر «وثالثها» جماعة قراء القرآن من المؤمنين يتلونه في الصلاة عن ابي مسلم وإنما لم يقل فالتاليات تلوا كما قال فالزاجرات زجرا لأن التالي قد يكون بمعنى التابع ومنه قوله والقمر إذا تلاها فلما كان اللفظ مشتركا بيّنه بما يزيل الابهام (إن إلهكم لواحد) وهذه قسام اقسم الله تعالى بها انه واحد ليس له شريك ثم اختلف في مثل هذه الأقسام فقيل انها أقسام بالله تعالى على تقدير ورب الصافات ورب الزاجرات ورب التين والزيتون لأن في القسم تعظيما للمقسم به ولأنه يجب على العباد ان لا يقسموا إلا بالله تعالى إلا انه حذف لأن حجج العقول دالة على المحذوف عن الجبائي والقاضي وقيل بل اقسم الله سبحانه بهذه الأشياء وإنما جاز ذلك لأنه ينبئ عن تعظيمها بما فيها من الدلالة على توحيده وصفاته العلى فله سبحانه ان يقسم بما شاء من خلقه وليس لخلقه أن يقسموا الا به ثم قال سبحانه (رب السموات والأرض) اي خالقهما ومدبرهما (وما بينهما) من سائر الاجناس من الحيوان والنبات والجماد (ورب المشارق) وهي مشارق الشمس اي مطالعها بعدد أيام السنة ثلاثمائة وستون مشرقا والمغارب مثل ذلك تطلع الشمس كل يوم من مشرق وتغرب في مغرب عن ابن عباس والسدي وإنما خص المشارق بالذكر لأن الشروق قبل الغروب (إنا زينا السماء الدنيا) يعني التي هي اقرب السماوات الينا وإنما خصها بالذكر لاختصاصها بالمشاهدة (بزينة الكواكب) اي بحسنها وضوئها والتزيين تحسين الشيء وجعله على صورة تميل اليها النفس فالله سبحانه زين السماء على وجه تمتع الرائي لها وفي ذلك اعظم النعمة على العباد مع ما لهم من المنفعة بالتفكير فيها والاستدلال بها على صانعها (وحفظا من كل شيطان) اي وحفظناها من كل شيطان (مارد) اي خبيث خال من الخير متمرد والمعنى وحفظناها من دنو كل شيطان للاستماع فإنهم كانوا يسترقون السمع ويستمعون إلى كلام الملائكة ويقولون ذلك إلى ضعفة الجن وكانوا يوسوسون بها في قلوب الكهنة ويوهمونهم انهم يعرفون الغيب فمنعهم الله تعالى عن ذلك (لا يسمعون إلى الملأ الأعلى) اي لكيلا يتسمعوا إلى الكتبة من الملائكة في السماء عن الكلبي وقيل إلى كلام الملإ الأعلى اي لكيلا يتسمعوا والملأ الأعلى عبارة عن الملائكة لأنهم في السماء (ويقذفون من كل جانب) اي يرمون بالشهب من كل جانب من جوانب السماء إذا أرادوا الصعود إلى السماء للاستماع (دحورا) اي دفعا لهم بالعنف وطردا (ولهم عذاب واصب) اي ولهم مع ذلك ايضا عذاب دائم يوم القيامة (إلا من خطف الخطفة) والتقدير

لا يتسمعون إلى الملائكة إلا من وثب الوثبة إلى قريب من السماء فاختلس خلسة من الملائكة واستلب استلابا بسرعة (فأتبعه شهاب ثاقب) اي فلحقه وأصابه نار مضيئة محرقة والثاقب المنير المضيء وهذا كقوله إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين

قوله تعالى (١١) فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (١٢) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٣) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٤) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٥) وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ١٦) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٧) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٨) قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ (١٩) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ (٢٠) وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ عشر آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم بل عجبت بضم التاء والباقون بفتحها وقرأ ابن عامر واهل المدينة غير ورش أو آباؤنا ساكنة الواو والباقون بفتحها وكذلك في الواقعة

الحجة

قال ابو علي من قرأ بل عجبت بالفتح فالمعنى بل عجبت من انكارهم البعث وهم يسخرون او عجبت من نزول الوحي عليك وهم يسخرون والضم فيما زعموا قراءة علي «ع» وابن عباس وروي عن شريح من انكار له فإنه قال ان الله لا يعجب وقد احتج بعضهم للضم بقوله وان تعجب فعجب قولهم وليس في هذا دلالة على ان الله سبحانه اضاف العجب إلى نفسه ولكن المعنى وان تعجب فعجب قولهم عندكم والمعنى في الضم ان انكار البعث والنشر مع ثبات القدرة على الابتداء والإنشاء عجيب وبين ذلك عند من استدل عندكم مما تقولون فيه هذا النحو من الكلام إذا ورد عليكم مثله كما ان قوله اسمع بهم وأبصر معناه ان هؤلاء ممن تقولون انتم فيه هذا النحو وكذلك قوله فما اصبرهم على النار عند من لم يحمل اللفظ على الاستفهام وعلى هذا النحو قوله ويل للمطففين وويل يومئذ للمكذبين وقوله لعله يتذكر أو يخشى ولا يجوز أن يكون العجب في وصف القديم سبحانه كما يكون في وصف الإنسان لأن العجب فينا إنما يكون إذا شاهدنا ما لم نشاهد مثله ولم نعرف سببه وهذا منتف عن القديم سبحانه

اللغة

اللازب واللازم بمعنى ابدلت من الميم الباء قال النابغة

ولا يحسبون الخير لا شر عنده ولا يحسبون الشر ضربة لازب

وبعض بني عقيل يقولون لاتب ايضا بالتاء والداخر الصاغر اشد الصغر

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (فاستفتهم) اي فاسألهم يا محمد سؤال تقرير (اهم اشد خلقا) اي احكم صنعا (ام من خلقنا) قبلهم من الامم الماضية والقرون السالفة يريد انهم ليسوا بأحكم خلقا من غيرهم من الامم وقد اهلكناهم بالعذاب وقيل اهم اشد خلقا ام من خلقنا من الملائكة والسموات والأرض وغلب

ما يعقل على ما لا يعقل (إنا خلقناهم من طين لازب) معناه انهم إن قالوا نحن اشد فاعلمهم ان الله خلقهم من طين فكيف صاروا اشد قوة منهم والمراد أن آدم خلقه الله من طين وأن هؤلاء نسله وذريته فكأنهم منه وقال ابن عباس اللازب الملتصق من الطين الحر الجيد (بل عجبت) يامحمد من تكذيبهم اياك (وهم يسخرون) من تعجبك ومن ضم التاء فالمراد انه سبحانه امر نبيه ﷺ ان يخبر عن نفسه بأنه عجب من هذا القرآن حين أعطيه وسخر منه اهل الضلال وتقديره قل بل عجبت عن المبرد وقيل يسخرون اي يهزأون بدعائك اياهم إلى الله والنظر في دلائله وآياته وروي عن الأعمش عن ابي وائل قال قرأ عبد الله بن مسعود بل عجبت بالضم فقال شريح إن الله لا يعجب إنما يعجب من لا يعلم قال الاعمش فذكرته لابراهيم فقال ان شريحا كان معجبا برأيه إن عبد الله قرأ بل عجبت وعبد الله اعلم من شريح واضافة العجب إلى الله تعالى ورد الخبر به كقوله عجب ربكم من شباب ليس له صبوة وعجب ربكم من ذلكم وقنوطكم ويكون ذلك على وجهين عجب مما يرضى ومعناه الاستحسان والخبر عن تمام الرضى وعجب مما يكره ومعناه الإنكار له والذم (وإذا ذكروا لا يذكرون) اي وإذا خوفوا بالله ووعظوا بالقرآن لا ينتفعون بذلك ولا يتعظون به (وإذا رأوا آية) من آيات الله ومعجزة مثل انشقاق القمر وغيرها (يستسخرون) اي يستهزؤون ويقولون هذا عمل السحر وسخر واستسخر بمعنى واحد وقيل معناه يستدعي بعضهم بعضا إلى اظهار السخرية وقيل معناه يعتقدونه سخرية كما تقول استقبحه اي اعتقده قبيحا واستحسنه اي اعتقده حسنا (وقالوا إن هـذا إلا سحر مبين) اي وقالوا التلك الآية ما هذا إلا سحر ظاهر وتمويه (أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون) بعد ذلك ومحشورون اي كيف نبعث بعد ما صرنا ترابا (أوآباؤنا الأولون) الذين تقدمونا بهذه الصفة اي اويبعث آباؤنا بعد ما صاروا ترابا يعنون ان هذا لا يكون ومن فتح الواو وجعلها واو العطف دخل عليها همزة الاستفهام كقوله أو من اهل القرى ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (قل) لهم (نعم) تبعثون (وانتم داخرون) صاغرون اشد الصغار ثم ذكر أن بعثهم يقع بزجرة واحدة فقال (فإنما هي) اي فإنما قصة البعث (زجرة واحـدة) اي صيحة واحدة من اسرافيل يعني نفخة البعث والزجرة الصرفة عن الشيء بالمخافة فكأنهم زجروا عن الحال التي هم فيها إلى الحشر (فإذا هم ينظرون) إلى البعث الذي كذبوا به وقيل معناه فإذا هم احياء ينتظرون ما ينزل بهم من عذاب الله (وقالوا) اي ويقولون معترفين على نفوسهم بالعصيان (ياويلنا) من العذاب وهو كلمة يقولها القائل عند الوقوع في الهلكة ومثله ياحسرتنا ينادون مثل هذه الأشياء على وجه التنبيه على عظم الحال (هذا يوم الدين) اي يوم الحساب عن ابن عباس وقيل يوم الجزاء عن قتادة والمراد انهم اعترفوا بالحق خاضعين نادمين

قوله تعالى (٢١) هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٢) ٱحْشُرُوا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٣) مِنْ دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ ٱلْجَحِيمِ (٢٤) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٥) مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٦) بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٧) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٩) قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ (٢٩) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٣٠) وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ عشر آيات

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن حالهم ايضا فقال (هذا يوم الفصل) بين الخلائق والحكم وتمييز الحق من الباطل على وجه يظهر لجميعهم الحال فيه وذلك بأن يدخل المطيع الجنة على وجه الاكرام ويدخل العاصي النار على وجه الإهانة (الذي كنتم) يامعشر الكفار (به تكذبون) وهذا كلام بعضهم لبعض وقيل بل هو كلام الملائكة ثم حكى سبحانه ما يقوله للملائكة بأن قال (احشروا الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصي أي اجمعوهم من كل جهة وقيل ظلموا أنفسهم بمخالفتهم أمر الله سبحانه وبتكذيبهم الرسل وقيل ظلموا الناس (وأزواجهم) أي واشباههم عن ابن عباس ومجاهد ومثله وكنتم ازواجاً ثلاثة اي اشباها واشكالا ثلاثة فيكون المعنى ان صاحب الزنا يحشر مع اصحاب الزنا وصاحب الخمر مع اصحاب الخمر إلى غيرهم وقيل واشياعهم من الكفار عن قتادة وقيل وازواجهم المشركات كأنه قال احشروا المشركين والمشركات عن الحسن وقيل واتباعهم على الكفر ونظراؤهم وضرباؤهم (وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم) إنما عبر عن ذلك بالهداية من حيث كان بدلا من الهداية إلى الجنة كقوله فبشرهم بعذاب أليم من حيث ان هذه البشارة وقعت لهم بدلا من البشارة بالنعيم (وقفوهم) اي قفوا هؤلاء الكفار واحبسوهم عن دخول النار (انهم مسئولون) روى أنس بن مالك مرفوعا انهم مسؤولون عما دعوا اليه من البدع وقيل مسئولون عن اعمالهم وخطاياهم عن الضحاك وقيل عن قول لا إله إلا الله عن ابن عباس وقيل عن ولاية علي بن ابي طالب «ع» عن ابي سعيد الخدري وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعا حدثناه عن الحاكم ابي القاسم الحسكاني بالاسناد يقال وقفت انا ووقفت غيري وبعض بني تميم يقول أوقفت الدابة والدار وأنشد الفراء

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا ... وإن نحن أومأنا إلى الناس اوقفوا

(ما لكم لا تناصرون) اي لا تتناصرون وهذا على وجه التوبيخ والتبكيت اي ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا في دفع العذاب والتقدير ما لكم غير متناصرين ثم بين سبحانه انهم لا يقدرون على التناصر فقال (بل هم اليوم مستسلمون) اي منقادون خاضعون ومعنى الاستسلام أن يلقي بيده غير منازع فيما يراد منه (واقبل بعضهم على بعض يتساءلون) هذا اخبار منه سبحانه ان كل واحد منهم يقبل على صاحبه الذي اغواه فيقول له على وجه التأنيب والتعنيف لم غررتني ويقول ذلك له لم قبلت مني وقيل يقبل الاتباع على المتبوعين والمتبوعون على الاتباع يتلاومون ويتعاتبون ويتخاصمون (قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أي يقول الكفار لغواتهم انكم كنتم تأتوننا من جهة النصيحة واليمن والبركة ولذلك اقررنا لكم والعرب تتيمن بما جاء من اليمين عن الجبائي وقيل معناه كنتم تأتوننا من قبل الدين فتروننا ان الحق والدين ما يضلوننا به واليمين عبارة عن الحق عن الزجاج وقيل معناه كنتم تأتوننا من قبل القوة والقدرة فتخدعوننا من اقوى الوجوه ومنه قوله فراغ اليهم ضربا باليمين عن الفراء (قالوا) في جواب ذلك ليس الأمر كما قلتم (بل لم تكونوا مؤمنين) مصدقين بالله (وما كان لنا عليكم من سلطان) اي قدرة وقوة فنجبركم على الكفر فلا تسقطوا اللوم عن انفسكم فإنه لازم لكم ولاحق بكم (بل كنتم قوما طاغين) اي خارجين عن الحق باغين تجاوزتم الحد إلى أفحش الظلم وأعظم المعاصي .

قوله تعالى (٣١) فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣٢) فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٣) فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٤) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٥) إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٦) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ

مجنون (٣٧) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٨) إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٩) وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٠) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ عشر آيات

❊ المعنى ❊

هذا تمام الحكاية عن الكفار الذين قالوا وما كان لنا عليكم من سلطان ثم قالوا (فحق علينا قول ربنا) اي وجب علينا قول ربنا بأنا لا نؤمن ونموت على الكفر اووجب علينا العذاب الذي نستحقه على الكفر والاغواء (إنا لذائقون) العذاب الذي نستحقه على الكفر أي ندركه كما ندرك المطعوم بالذوق ثم يعترفون بأنهم اغووهم بأن قالوا (فأغويناكم) اي أضللناكم عن الحق ودعوناكم إلى الغي (إنا كنا غاوين) اي داخلين في الضلالة والغي وقيل معناه فخيبناكم إنا كنا خائبين (فإنهم يومئذ) أي في ذلك اليوم (في العذاب مشتركون) واشتراكهم اجتماعهم فيه والمعنى ان ذلك التخاصم لم ينفعهم إذا اجتمع الاتباع والمتبوعون كلهم في النار الاتباع بقبول الكفر والمتبوعون بالكفر والاغواء (إنا كذلك نفعل بالمجرمين) اي الذين جعلوا لله شركاء عن ابن عباس وقيل معناه انا مثل ما فعلنا بهؤلاء نفعل بجميع المجرمين ثم بين سبحانه انه انما فعل ذلك بهم من اجل (انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) عن قبول ذلك (ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) أي يأنفون من هذه المقالة ويستخفون بمن يدعوهم اليها ويقولون لا ندع عبادة الاصنام لقول شاعر مجنون يعنون النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعونا إلى خلافها وقيل لأجل شاعر عن ابي مسلم فرد الله هذا القول عليهم وكذبهم بأن قال (بل جاء بالحق) اي ليس بشاعر ولا مجنون ولكنه اتى بما تقبله العقول من الدين الحق والكتاب (وصدق المرسلين) اي حقق ما اتى به المرسلون من بشاراتهم والكتاب الحق بدين الإسلام وقيل صدقهم بأن اتى بمثل ما اتوا به من الدعاء إلى التوحيد وقيل صدقهم بالنبوة ثم خاطب الكفار فقال (انكم) ايها المشركون (لذائقوا العذاب الاليم) على كفركم ونسبتكم اياه الى الشعر والجنون (وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) اي على قدر اعمالكم ثم استثنى من جملة المخاطبين المعذبين فقال (إلا عباد الله المخلصين) الذين اخلصوا العبادة لله وأطاعوه في كل ما أمرهم به فإنهم لا يذوقون العذاب وإنما ينالون الثواب

قوله تعالى (٤١) أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤٢) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٣) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٤) عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٥) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٦) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٧) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٨) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٩) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٥٠) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ عشر آيات

❊ القراءة ❊

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ينزفون بكسر الزاي والباقون بفتح الزاء وكذلك في سورة الواقعة إلا عاصم فإنه قرأ هاهنا بفتح الزاي وهناك بكسر الزاي

❊ الحجة ❊

قال ابو علي انزف يكون على معنيين ❊ احدهما ❊ بمعنى سكر قال

لعمري لإن انزفتم اوصحوتم لبئس الندامى كنتم آل ابجرا

فمقابلته صحوتم يدل على انه أراد سكرتم ❊ والآخر ❊ بمعنى انفد شرابه فمعنى انزف صار ذا انفاد لشرابه

كما ان الأول بمعناه النفاد من عقله فمن قرأ ينزفون يجوز ان يريد به لا يسكرون عن شربها ويجوز ان يريد به لا ينفد ذلك عندهم كما ينفد شراب اهل الدنيا ومن قرأ ينزفون بفتح الزاي فإنــه من نزف الرجل فهو منزوف ونزيف إذا ذهب عقله بالسكر

﴿ اللغة ﴾

قال الأخفش كل كأس في القرآن فالمراد به الخمر · معين يحتمل ان يكون فعيلا من أمعن في الأمر إذا اشتد دخوله فيه وهو الماء الشديد الجري ويحتمل ان يكون مفعولا من عين الماء لأنه يجري ظاهرا للعين · واللذة اللذيذة يقال شراب لذ ولذيذ والغول فساد يلحق الشيء خفيا يقال اغتاله اغتيالا وغاله غولا ومنه الغيلة وهي القتل سرا قال الشاعر

وما زالت الكاس تغتالنا وتذهب بالأول الأول

والقاصرات جمع قاصرة وهن اللاتي يقصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم والقصر معناه الحبس والعين النجل العيون الحسانها والمكنون المصون من كل شيء قال الشاعر

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا ص ميزت من جوهر مكنون

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما أعده لعباده المخلصين من انواع النعم فقال (أولئك لهم رزق معلوم) جعل لهم التصرف فيه وحكم لهم به في الأوقات المستأنفة في كل وقت شيئا معلوما مقدرا ثم فسر ذلك الرزق بأن قال (فواكه) وهي جمع فاكهة يقع على الرطب واليابس من الثمار كلها يتفكهون بها ويتنعمون بالتصرف فيها (وهم مكرمون) مع ذلك اي معظمون مبجلون وضد الإكرام الإهانة (في جنات النعيم) اي وهم مع ذلك في بساتين فيها انواع النعيم يتنعمون بها (على سرر) وهي جمع سرير (متقابلين) يستمتع بعضهم بالنظر إلى وجوه بعض ولا يرى بعضهم قفا بعض (يطاف عليهم بكأس) وهو الإناء بما فيه من الشراب (من معين) اي من خمر جارية في انهار ظاهرة العيون عــن الحسن وقتادة والضحاك والسدي وقيل شديد الجري ثم وصف الخمر فقال (بيضاء) وصفها بالبياض لأنها في نهاية الرقة مع الصفاء واللطافة النورية التي لها قال الحسن خمر الجنة اشد بياضا من اللبن وذكر ان قراءة ابن مسعود صفراء فيحتمل أن يكون بيضاء الكاس صفراء اللون (لذة) اي لذيذة (للشاربين) ليس فيها ما يعتري خمر الدنيا من المرارة والكراهة (لا فيها غول) اي لا تغتال عقولهم فتذهب بها ولا تصيبهم منها وجع في البطن ولا في الرأس ويقال للوجع غول لأنه يؤدي إلى الهلاك (ولا هم عنها ينزفون) اي يسكرون ولا ينزفون لا يفنى خمرهم وتحمل هذه القراءة على هذا لزيادة الفائدة وعلى القراءة الأولى فيحمل الغول عــلى الصداع والوجع وأذى الخمار قال ابن عباس معناه ولا يبولون قال وفي الخمر اربع خصال السكر والصداع والقيء والبول فنزه الله سبحانه خمر الجنة عن هذه الخصال (وعندهم قاصرات الطرف) قصرن طرفهن عــلى ازواجهن فلا يردن غيرهن لحبهن إياهم وقيل معناه لا يفتحن أعينهن دلالا وغنجا (عين) اي واسعات العيون والواحــدة عيناء وقيل هي الشديدة بياض العين الشديدة سوادها عن الحسن (كأنهن بيض مكنون) شبههن ببيض النعام مكنة بالريش من الغبار والريح عن الحسن وابن زيد وفي معناه قول امرئ القيس

كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير محلل

وقيل شبههن ببطن البيض قبل أن يقشر وقبل أن تمسه الأيدي والمكنون المصون ثم قال (فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يعني أهل الجنة يسأل بعضهم بعضا عن احوالهم مــن حين بعثوا إلى أن أدخلوا الجنة فيخبر

كل صاحبه بإنعام الله تعالى عليه

قوله تعالى (٥١) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥٢) يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٣) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٤) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٥) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٦) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٧) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٨) أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٩) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٦٠) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ عشر آيات

القراءة

في الشواذ قراءة ابن عباس وابن محيصن هل انتم مطلعون بالتخفيف فاطلع

الحجة

الاطلاع الاقبال فعلى هذا يكون معناه فهل انتم مقبلون فأقبل واطلع يكون مسندا إلى مصدره اي فاطلع الاطلاع كما يقال قد قيم اي قد قيم القيام

الإعراب

إلا موتتنا الاولى نصب بقوله ميتين انتصاب المصدر بالفعل الواقع قبله كما تقول ما ضربت إلا ضربة واحدة والتقدير فما نموت إلا موتتنا الأولى

المعنى

هذا تمام الحكاية عن احوال اهل الجنة واقبال بعضهم على بعض في المسائلة عن الاخبار والاحوال (قال قائل منهم) اي من اهل الجنة (اني كان لي قرين) في دار الدنيا اي صاحب يختص بي اما من الانس على قول ابن عباس او من الشيطان على قول مجاهد (يقول) لي على وجه الإنكار علي والتهجين لفعلي (أئنك لمن المصدقين) بيوم الدين وبالبعث والنشور والحساب والجزاء والاستفهام هنا على وجه الإنكار (أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) اي مجزيون محاسبون من قولهم كما تدين تدان والمعنى ان ذلك القرين كان يقول لي في الدنيا على طريق الاستبعاد والاستنكار أنبعث بعد ان صرنا ترابا وعظاما بالية ونجازى على اعمالنا اي ان هذا لا يكون ابدا وهذا ابلغ في النفي من ان يقول لا نبعث ولا نجازى (قال هل انتم مطلعون) اي ثم قال هذا المؤمن لأخوانه في الجنة هل انتم مطلعون على موضع من الجنة يرى منه هذا القرين يقال طلع على كذا إذا اشرف عليه والمعنى هل تؤثرون ان تروا مكان هذا القرين في النار وفي الكلام حذف اي فيقولون له نعم اطلع انت فأنت اعرف بصاحبك قال الكلبي وذلك لأن الله تعالى جعل لأهل الجنة كوة ينظرون منها إلى اهل النار (فاطلع فرآه) أي فاطلع هذا المؤمن فرأى قرينه (في سواء الجحيم) اي في وسط النار (قال) اي فقال له المؤمن (تالله إن كدت لتردين) هذه إن المخففة من الثقيلة بدلالة مصاحبة لام الابتداء لها في قوله لتردين اقسم بالله سبحانه على وجه التعجب إنك كدت تهلكني بما قلته لي ودعوتني اليه حتى يكون هلاكي كهلاك المتردي من شاهق ومنه قوله وما يغنى عنه ماله إذا تردى أي تردى في النار (ولولا نعمة ربي) علي بالعصمة واللطف والهداية حتى آمنت (لكنت من المحضرين) معك في النار ولا يستعمل احضر مطلقا إلا في الشر قال قتادة فوالله لولا ان الله عرفه إياه لما كان يعرفه لقد تغير حبره وسبره اي حسنه وسخاوته (أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين) معناه ان هذا المؤمن يقول لهذا القرين على وجه التوبيخ والتقريع أليس كنت في الدنيا تقول انا لانموت إلا الموتة التي تكون

في الدنيا ولا نعذب فقد ظهر الأمر بخلاف ذلك وقيل ان هذا من قول أهل الجنة بعضهم لبعض على وجه اظهار السرور بدوام نعيم الجنة ولهذا عقبه بقوله (إن هذا لهو الفوز العظيم) معناه فما نحن بميتين في هذه الجنة إلا موتتنا التي كانت في الدنيا وما نحن بمعذبين كما وعدنا الله تعالى ويريدون به التحقيق لا الشك وإنما قالوا هذا القول لأن لهم في ذلك سرورا مجددا وفرحا مضاعفا وإن كانوا قد عرفوا انهم سيخلدون في الجنة وهذا كما ان الرجل يعطى المال الكثير فيقول مستعجبا كل هذا المال لي وهو يعلم ان ذلك له وهذا كقوله

أبطحاء مكة هذا الذي ... أراه عيانا وهذا انا

قوله تعالى (٦١) لِمِثْلِ هٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦٢) أَذٰلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٣) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٤) إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٥) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٦) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٨) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٩) إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٧٠) فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ عشر آيات

﴿ اللغة ﴾

النزل الريع والفضل يقال لهذا الطعام نزل ونزل وقيل هي الانزال التي يتقوت بها فتقيم الأبدان وتبقى عليها الأرواح ويقال اقمت للقوم نزلهم اي ما يصلح أن ينزلوا عليه من الغذاء وزعم قطرب ان الزقوم شجرة مرة تكون بتهامة قال ابو مسلم وظاهر التلاوة يدل على ان العرب كانت لاتعرفها فلذلك فسر بعد ذلك . والطلع حمل النخلة سمي بذلك لطلوعه والشوب خلط الشيء بما ليس منه وهو شر منه . والحميم الحار الذي يدني من الاحراق المهلك قال

أحم الله ذلك من لقاء ... أحاد أحاد في الشهر الحلال

اي ادناه وحمم ريش الفرخ حتى يدنو من الطيران والحميم الصديق القريب اي الداني من القلب وهرع الرجل واهرع إذا استحث فأسرع قال الازهري الاهراع الاسراع والمهرع الحريص

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه في تمام الحكاية عن قول اهل الجنة (لمثل هذا فليعمل العاملون) اي لمثل هذا الثواب والفوز والفلاح فليعمل العاملون في دار التكليف وقيل ان هذا من قول الله تعالى اي لمثل هذا النعيم الذي ذكرناه وهو من قوله لهم رزق معلوم إلى قوله بيض مكنون فليعمل العاملون هذا ترغيب في طلب الثواب بالطاعة اي من كان يريد أن يعمل لنفع يرجوه فليعمل لمثل هذا النفع العظيم (أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم) اي أذلك الذي ذكرناه من قرى اهل الجنة وما اعد لهم خير في باب الانزال التي يتقوت بها ويمكن معها الاقامة أم نزل اهل النار فيها عن الزجاج وقيل معناه أسبب هذا المؤدى اليه خير ام سبب ذلك لأن الزقوم لا خير فيه وقيل إنما جاز ذلك لأنهم لما عملوا بما أدى اليه فكأنهم قالوا فيه خير وقيل إنما قال خير على وجه المقابلة فهو مثل قوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا وهذا كما يقول الرجل لعبده إن فعلت كذا اكرمتك و إن فعلت كذا ضربتك أهذا خير أم ذلك وإن لم يكن في الضرب خيرا والزقوم ثمر شجرة متكره جدا من قولهم تزقم هذا الطعام إذا تناوله على تكره ومشقة شديدة وقيل الزقوم شجرة في النار يقتاتها اهل النار لها ثمرة مرة خشنة اللمس منتنة الرائحة وقيل انها معروفة من شجر الدنيا تعرفها العرب وقيل انها لاتعرفه فقد روي ان قريشا سمعت هذه الآية

قالت ما نعرف هذه الشجرة فقال ابن الزبعرى الزقوم بكلام البربر التمر والزبد وفي رواية بلغة اليمن فقال ابو جهل لجاريته يا جارية زقمينا فأتته الجارية بتمر وزبد فقال لأصحابه تزقموا بهذا الذي يخوفكم به محمد فيزعم ان النار تنبت الشجرة والنار تحرق الشجرة فأنزل الله سبحانه (إنا جعلناها فتنة للظالمين) اي خبرة لهم افتتنوا بها وكذبوا بكونها فصارت فتنة لهم عن قتادة والزجاج وقيل ان المراد بالفتنة العذاب اي جعلناها شدة عذاب لهم من قوله يومهم على النار يفتنون اي يعذبون عن الجبائي وابي مسلم (انها شجرة تخرج من أصل الجحيم) اي ان الزقوم شجرة تنبت في قعر جهنم واغصانها ترفع إلى دركاتها عن الحسن ولا يبعد ان يخلق الله سبحانه بكمال قدرته شجرة في النار من جنس النار او من جوهر لا تأكله النار ولا تحرقه كما انها لا تحرق السلاسل والاغلال فيها وكما لا تحرق حياتها وعقاربها وكذلك الضريع وما اشبه ذلك (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) يسأل عن هذا فيقال كيف شبه طلع هذه الشجرة برؤوس الشياطين وهي لا تعرف وإنما يشبه الشيء بما يعرف وأجيب عنه بثلاثة اجوبة ❊ احدها ❊ ان رؤوس الشياطين ثمرة يقال لها الأستن وإياه عنى النابغة بقوله

تحيد عن أستن سود أسافله مثل الإماء اللواتي تحمل الحزما

وهذه الشجرة تشبه بني آدم قال الأصمعي ويقال له الصوم وانشد

موكل بشدوف الصوم يرقبه من المغارم مهضوم الحشازرم

يصف وعلا يظن هذا الشجر قناصين فهو يرقبه والشدوف الشخوص واحدها شدف ❊وثانيا❊ ان الشيطان جنس من الحيات فشبه سبحانه طلع تلك الشجرة برؤوس تلك الحيات انشد الفراء

عنجرد تحلف حين احلف كمثل شيطان الحماط اعرف

اي له عرف وأنشد المبرد

وفي البقل إن لم يدفع الله شره شياطين يعدو بعضهن على بعض

❊ وثالثها ❊ ان قبح صور الشياطين متصور في النفوس ولذلك يقولون لما يستقبحونه جدا كأنه شيطان فشبه سبحانه طلع هذه الشجرة بما استقرت بشاعته في قلوب الناس قال الراجز

ابصرتها تلتهم الثعبانا شيطانة تزوجت شيطانا

وقال ابو النجم

الرأس قمل كله وصئبان وليس في الرجلين إلا خيطان

وهي التي يفزع منها الشيطان وقال امرؤ القيس

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

فشبه اسنته بأنياب الأغوال ولم يقل احد انه رأى الغول وهذا قول ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وقال الجبائي إن الله تعالى يشوه خلق الشياطين في النار حتى انه لو رآهم راء من العباد لاستوحش منهم فلذلك شبه برؤوسهم (فإنهم لآكلون منها) يعني أن أهل النار ليأكلون من ثمرة تلك الشجرة (فمالئون منها البطون) اي يملأون بطونهم منها لشدة مايلحقهم من ألم الجوع وقد روي ان الله تعالى يجوعهم حتى ينسوا عذاب النار من شدة الجوع فيصرخون إلى مالك فيحملهم إلى تلك الشجرة وفيهم ابو جهل فيأكلون منها فتغلي بطونهم كغلي الحميم فيستسقون فيسقون شربة من الماء الحار الذي بلغ نهايته في الحرارة فإذا قربوها من وجوههم شوت وجوههم فذلك قوله يشوي الوجوه فإذا وصل إلى بطونهم صهر ما في بطونهم كما قال سبحانه يصهر ما في بطونهم والجلود فذلك شرابهم وطعامهم فذلك قوله (ثم ان لهم عليها) زيادة على شجرة الزقوم (لشوبا من حميم) اي خليطا

ومزاجا من ماء حار يمزج ذلك الطعام بهذا الشراب وقيل إنهم يكرهون على ذلك عقوبة لهم (ثم ان مرجعهم) بعد أكل الزقوم وشراب الحميم (لإلى الجحيم) وذلك انهم يوردون الحميم لشربه وهو خارج عن الجحيم كما تورد الابل الى الماء ثم يردون إلى الجحيم ويدل على ذلك قوله يطوفون بينها وبين حميم آن والجحيم النار الموقدة والمعنى أن الزقوم والحميم طعامهم وشرابهم والجحيم المسعرة منقلبهم ومأواهم (إنهم ألفوا آباءهم ضالين) أي ان هؤلاء الكفار صادفوا آباءهم ذاهبين عن الحق والدين (فهم على آثارهم يهرعون) في الضلال أي يقلدونهم ويتبعونهم اتباعا في سرعة وقيل معناه يسرعون عن ابن عباس والحسن وقيل يعملون بمثل أعمالهم عن الكلبي وقيل يستحثون عن ابي عبيدة

قوله تعالى (٧١) وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧٢) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (٧٣) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٤) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٥) وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (٧٦) وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٧) وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ (٧٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٩) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨٢) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ

اثنتا عشرة آية

المعنى

ثم اقسم سبحانه فقال (ولقد) اللام هي التي تدخل في جواب القسم وقد للتأكيد (ضل قبلهم) اي قبل هؤلاء الكفار الذين هم في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق الهدى واتباع الحق (اكثر الأولين) من الامم الخالية والاكثر هو الأعظم في العدد والأول هو الكائن قبل غيره والأول قبل كل شيء هو الله سبحانه لأن كل ما سواه موجود بعده وفي هذه الآية دلالة على ان اهل الحق في كل زمان كانوا اقل من اهل الباطل (ولقد ارسلنا فيهم منذرين) من الأنبياء والمرسلين يخوفونهم من عذاب الله تعالى ويحذرونهم معاصيه (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) اي من المكذبين المعاندين للحق والمعنى فانظر يامحمد كيف اهلكتهم وماذا حل بهم من العذاب وكذلك يكون عاقبة المكذبين ثم استثنى من المنذرين فقال (إلا عباد الله المخلصين) الذين قبلوا من الأنبياء وأخلصوا عبادتهم لله تعالى فإن الله خلصهم من ذلك العذاب ووعدهم بجزيل الثواب (ولقد نادانا نوح) اي دعانا نوح بعد ما يئس من إيمان قومه لننصره عليهم وذلك قوله إني مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) نحن لنوح في دعائه اجبناه الى ما سأل وخلصناه من أذى قومه باهلاكهم وقيل هو على العموم اي فلنعم المجيبون نحن لمن دعانا (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) اي من المكروه الذي كان ينزل به من قومه والكرب كل غم يصل حره الى الصدر وأصل النجاة من النجوة للمكان المرتفع فهي الرفع من الهلاك واهله هم الذين نجوا معه في السفينة (وجعلنا ذريته هم الباقين) بعد الغرق فالناس كلهم بعد نوح من ولد نوح عن ابن عباس وقتادة فالعرب والعجم من اولاد سام بن نوح والترك والصقالبة والخزر ويأجوج ومأجوج من اولاد يافث بن نوح والسودان من أولاد حام بن نوح قال الكلبي لما خرج نوح من السفينة ماتت من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساؤهم (وتركنا عليه في الآخرين) اي تركنا عليه ذكرا جميلا وأثنينا عليه في امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فحذف عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ومعنى تركنا ابقينا قال الزجاج معناه تركنا عليه الذكر الجميل إلى يوم القيامة وذلك الذكر قوله (سلام على نوح في العالمين) اي تركنا عليه ان يصلى عليه إلى يوم القيامة فكأنه قال وتركنا عليه التسليم في الآخرين

ثم فسر التسليم بقوله سلام على نوح في العالمين وقال الفراء تركنا عليه قولا وهو أن يقال في آخر الأمم سلام على نوح في العالمين قال الكلبي معناه سلامة منا على نوح وهذا هو السلام المراد بقوله اهبط بسلام منا وبركات عليك (إنا كذلك نجزي المحسنين) اي جزيناه ذلك الثناء الحسن في العالمين بإحسانه عن مقاتل وقيل إن معناه مثل ما فعلنا بنوح نجزي كل من احسن بافعال الطاعات وتجنب المعاصي ونكافيهم بإحسانهم (إنه من عبادنا المؤمنين) يعني نوحا وهذه الآية تتضمن مدح المؤمنين حيث خرج من بينهم مثل نوح (ثم اغرقنا الآخرين) أي من لم يؤمن به والمعنى ثم اخبركم اني اغرقت الآخرين

النظم

الوجه في اتصال قصة نوح والأنبياء بما قبلها تسلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم في كفر قومه بأن حالهم معه شبيهة بحال من تقدم من الامم مع انبيائهم وتحذير القوم عن سلوك مثل طريقتهم لئلا يعاقبوا بمثل عقوبتهم

قوله تعالى (٨٣) وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٤) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٥) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٦) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٧) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٨٨) فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ (٨٩) فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ (٩٠) فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ (٩١) فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٩٢) مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ (٩٣) فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ (٩٤) فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ (٩٥) قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٦) وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ (٩٧) قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ (٩٨) فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (٩٩) وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ (١٠٠) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ

ثماني عشرة آية

القراءة

قرأ حمزة وحده يُزفون بضم الياء والباقون بفتحها وفي الشواذ قراءة الحسن فراغ عليهم سفقا وقراءة عبد الله بن زيد يزفون خفيفة الفاء

الحجة

زفت الإبل تزف إذا اسرعت وقراءة حمزة يزفون اي يحملون غيرهم على الزفيف قال الأصمعي ازففت الابل حملتها على ان تزف وهو سرعة المشي ومقاربة الخطو والمفعول محذوف على قراءته وقيل ايضا ان ازف لغة في زف واما يزفون بالتخفيف فذهب قطرب إلى انها تخفيف يزفون كقوله وقرن في بيوتكن اي اقررن قال الهذلي

وزفت الشول من برد العشي كما زف النعام إلى حفانه الروح

والظاهر ان يزفون من وزف يزف مثل وعد يعد واما قوله سفقا فهو من قولهم سفقت الباب وصفقته والصاد اعرف وروي عن الحسن بالصاد ايضا

اللغة

الشيعة الجماعة التابعة لرئيس لهم وصار بالعرف عبارة عن شيعة علي بن ابي طالب «ع» الذين كانوا معه على أعدائه وبعده مع من قام مقامه من ابنائه وروى ابو بصير عن ابي جعفر «ع» قال ليهنكم الاسم قلت وما هو قال الشيعة قلت ان الناس يعيروننا بذلك قال أما تسمع قول الله سبحانه و إن من شيعته لإبراهيم وقوله فاستغاثه الذي من

شيعته على الذي من عدوه والروغ الميل من جهة إلى جهة يقال راغ يروغ روغا وروغانا أي حاد والرواغ الحياد قال عدي بن زيد

حين لا ينفع الرواغ ولا ينـ ... ـفع إلا المصادق النحرير

الإعراب

آلهة بدل من قوله افكا وافكا مفعول تريدون . فما ظنكم ما مبتدأ وظنكم خبره وقوله ضربا مصدر فعل محذوف والتقدير يضربهم ضربا والباء في قوله باليمين متعلق بذلك المحذوف ويزفون حال من اقبلوا والله خلقكم في موضع نصب على الحال من تعبدون والتقدير أتعبدون ما تنحتون مخلوقين . هب لي مفعوله محذوف اي ولدا

المعنى

ثم أتبعه سبحانه وتعالى بقصة ابراهيم «ع» فقال (وإن من شيعته لإبراهيم) أي وان من شيعة نوح ابراهيم يعني انه على منهاجه وسنته في التوحيد والعدل واتباع الحق عن مجاهد وقيل ان معناه وان من شيعة محمد ابراهيم كما قال إنا حملنا ذريتهم أي ذرية من هو اب لهم فجعلهم ذرية لهم وقد سبقوهم عن الفراء (إذ جاء ربه بقلب سليم) اي حين صدق الله وآمن به بقلب سليم خالص من الشرك بريء من المعاصي والغل والغش على ذلك عاش وعليه مات وقيل بقلب سليم من كل ما سوى الله تعالى لم يتعلق بشيء غيره عن ابي عبد الله «ع» (إذ قال لأبيه وقومه) حين رآهم يعبدون الأصنام من دون الله على وجه التهجين افعالهم والتقريع لهم (ماذا تعبدون) أي أي شيء تعبدون (أئفكا آلهة) الإفك هو اشنع الكذب وافظعه واصله قلب الشيء عن جهته التي هي له فلذلك كان الكذب افكا وإنما قال آلهة على اعتقاد المشركين وتوهمهم الفاسد في إلهية الاصنام لما اعتقدوا انها تستحق العبادة ثم اكد التقريع بقوله (دون الله تريدون) اي تريدون عبادة آلهة دون عبادة الرحمن فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه لأن الإرادة لا يصح تعلقها إلا بما يصح حدوثه والاجسام مما لا يصح ان تراد (فما ظنكم برب العالمين) ان يصنع بكم مع عبادتكم غيره وقيل معناه كيف تظنون برب تأكلون رزقه وتعبدون غيره وقيل معناه ما تظنون بربكم انه على اي صفة ومن اي جنس من اجناس الاشياء حين شبهتم به هذه الاصنام وفيه إشارة الى انه لا يشبه شيئا (فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم) اختلف في معناه على اقوال أحدها انه «ع» نظر في النجوم فاستدل بها على وقت حمى كانت تعتاده فقال اني سقيم أراد انه قد حضر وقت علته وزمان نوبتها فكأنه قال اني سأسقم لا محالة وحان الوقت الذي تعتريني فيه الحمى وقد يسمى المشارف للشيء باسم الداخل فيه قال الله تعالى إنك ميت وإنهم ميتون ولم يكن نظره في النجوم على حسب ما ينظره المنجمون طلبا للاحكام ومثله قول الشاعر

إسهري ما سهرت ام حكيم ... واقعدي مرة لذلك وقومي

وافتحي الباب وانظري في النجوم ... كم علينا من قطع ليل بهيم

وثانيها انه نظر في النجوم كنظرهم لأنهم كانوا يتعاطون علم النجوم فأوهمهم انه يقول بمثل قولهم فقال عند ذلك اني سقيم فتركوه ظنا منهم ان نجمه يدل على سقمه ويجوز ان يكون الله تعالى اعلمه بالوحي انه سيسقمه في وقت مستقبل وجعل العلامة على ذلك إما طلوع نجم على وجه مخصوص اواتصاله بآخر على وجه مخصوص فلما رأى ابراهيم تلك الإمارة قال اني سقيم تصديقا بما اخبره الله تعالى وثالثها ان معناه نظر في النجوم نظر تفكر فاستدل بها كما قصه الله تعالى في سورة الانعام على كونها محدثة غير قديمة ولا آلهة وأشار بقوله اني سقيم على انه في حال مهلة النظر وليس على يقين من الامر ولاشفاء من العلم وقد يسمى الشك

بأنه سقم كما يسمى العلم بأنه شفاء وإنما زال عنه هذا السقم عند زوال الشك وكمال المعرفة عن ابي مسلم وهذا الوجه ضعيف لأن سياق الآية يمنع منه فإن قوله إذ جاء ربه بقلب سليم إذ قال لأبيه وقومه ما ذا تعبدون الى هذا الموضع من قصته يبين أنه «ع» لم يكن في زمان مهلة النظر وانه كان كامل المعرفة خالص اليقين والبصيرة ﴿ ورابعها ﴾ ان معنى قوله انى سقيم اني سقيم القلب او الرأي حزنا من اصرار القوم على عبادة الاصنام وهي لا تسمع ولا تبصر ويكون على هذا معنى نظره في النجوم فكرته في انها محدثة مخلوقة مدبرة وتعجبه كيف ذهب على العقلاء ذلك من حالها حتى عبدوها وما رواه العياشي باسناده عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) انهما قالا والله ما كان سقيما وما كذب فيمكن ان يحمل على احد الوجوه التي ذكرناها ويمكن ان يكون على وجه التعريض بمعنى ان كل من كتب عليه الموت فهو سقيم وان لم يكن به سقم في الحال وما روي ان ابراهيم (ع) كذب ثلاث كذبات قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله في سارة انها اختي فيمكن ان يحمل ايضا على المعاريض اي سأسقم وفعله كبيرهم على ما ذكرناه في موضعه وسارة اخته في الدين وقد ورد في الخبر إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب والمعاريض ان يقول الرجل شيئا يقصد به غيره ويفهم منه غير ما يقصده ولا يكون ذلك كذبا فإن الكذب قبيح لعينه ولا يجوز ذلك على الانبياء لأنه يرفع الثقة بقولهم جل امناء الله تعالى واصفياؤه عن ذلك وقوله (فتولوا عنه مدبرين) اخبار عن قومه انهم لما سمعوا قوله اني سقيم تركوه واعرضوا عنه وخرجوا إلى عيدهم (فراغ إلى آلهتهم) معناه فمال إلى اصنامهم التي كانوا يدعونها آلهة (فقال ألا تأكلون) خاطبها وإن كانت جمادا على وجه التهجين لعابديها وتنبيههم على ان من لا يتكلم ولا يقدر على الجواب كيف تصح عبادتها وكانوا صنعوا للاصنام طعاما تقربا اليها وتبركا بها فلما لم تجيبوه قال (ما لكم لا تنطقون) زيادة في تهجين عابديها كأنهم حاضرون لها اي ما لكم لا تجيبون وفي هذا تنبيه على انها جماد لا تأكل ولا تنطق فهي اخس الاشياء وأقلها (فراغ عليهم ضربا باليمين) اي فمال على الاصنام يضربها ويكسرها باليد اليمنى لأنها أقوى على العمل عن الربيع بن انس وقيل المراد باليمين القوة كما في قوله «تلقاها عرابة باليمين» عن الفراء وهو قول السدي وقيل معناه بالقسم الذي سبق منه وهو قوله وتالله لأكيدن اصنامكم (فأقبلوا اليه يزفون) اي اقبلوا بعد الفراغ من عيدهم إلى ابراهيم يسرعون عن الحسن وابن زيد وقيل يزفون زفيف النعام وهو حالة بين المشي والعدو عن مجاهد وفي هذا انهم اخبروا بصنيع ابراهيم باصنامهم فقصدوه مسرعين وحملوه إلى بيت اصنامهم وقالوا له أأنت فعلت هذا بآلهتنا فأجابهم على وجه الحجاج عليهم بأن (قال اتعبدون ما تنحتون) فهو استفهام معناه الانكار والتوبيخ اي كيف يصح ان يعبد الإنسان ما يعمله بيده فإنهم كانوا ينحتون الاصنام بأيديهم (والله خلقكم وما تعملون) اي وخلق ما عملتم من الاصنام فكيف تدعون عبادته وتعبدون معمولكم وهذا كما يقال فلان يعمل الحصير وهذا الباب من عمل فلان النجار قال الحسن معناه وخلق أصل الحجارة التي تعملون منها الأصنام وهذا يجري مجرى قوله تلقف ما يأفكون وقوله تلقف ما صنعوا في انه أراد المنحوت من الجسم هنا دون العرض الذي هو النحت كما أراد هناك المأفوك فيه والمصنوع فيه من الحبال والعصي دون العرض الذي هو فعلهم فليس لاهل الجبر تعلق بهذه الآية في الدلالة على ان الله سبحانه خالق لأفعال العباد لأن من المعلوم ان الكفار لم يعبدوا نحتهم الذي هو فعلهم وإنما كانوا يعبدون الاصنام التي هي الاجسام وقوله ما تنحتون هو ما يعملون في المعنى على ان مبنى الآية على التقريع للكفار والإزراء عليهم بقبيح فعلهم ولو كان معناه والله خلقكم وخلق عبادتكم لكانت الآية الى ان تكون عذرا لهم اقرب من ان تكون لوما وتهجينا ولكان لهم ان يقولوا ولم توبخنا على عبادتها والله تعالى هو الفاعل لذلك فتكون الحجة لهم لا عليهم ولأنه قد أضاف العمل اليهم بقوله تعملون فكيف يكون مضافا إلى الله تعالى وهذا تناقض ولما لزمتهم

الحجة (قالوا ابنوا له بنيانا) قال ابن عباس بنوا حائطا من حجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملأوه ناراً وطرحوه فيها وذلك قوله (فألقوه في الجحيم) قال الزجاج كل نار بعضها فوق بعض فهي جحيم وقيل ان الجحيم النار العظيمة (فأرادوا به كيدا)اي حيلة وتدبيرا في اهلاكه واحراقه بالنار (فجعلناهم الاسفلين) بأن أهلكناهم ونجينا ابراهيم وسلمناه ورددنا كيدهم عنه وقيل بأن اشرفوا عليه فرأوه سالما وتحققوا أن كيدهم لا ينفذ فيه وعلموا انهم مغلوبون (وقال) ابراهيم (إني ذاهب إلى ربي) قال ابن عباس معناه مهاجر إلى ربي أي أهجر ديار الكفار وأذهب إلى حيث أمرني الله تعالى بالذهاب اليه وهي الارض المقدسة وقيل إني ذاهب إلى مرضاة ربي بعملي ونيتي عن قتادة (سيهدين) أي يهديني ربي فيما بعد إلى طريق المكان الذي امرني بالمصير اليه أو إلى الجنة بطاعتي إياه قال مقاتل وهو أول من هاجر ومعه لوط وسارة إلى الشام وإنما قال سيهديني ترغيبا لمن هاجر معه في الهجرة وتوبيخا لقومه فلما قدم الارض المقدسة سأل ابراهيم ربه الولد فقال (رب هب لي من الصالحين) أي ولدا صالحا من الصالحين كما تقول أكلت من الطعام فحذف لدلالة الكلام عليه

قوله تعالى (١٠١) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠٢) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٣) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٤) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٥) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٦) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٧) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٨) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٩) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (١١٠) كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١١١) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (١١٢) وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٣) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ثلاث عشرة آية

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم ماذا تري بضم التاء و كسر الراء والباقون بفتح التاء والراء وفي الشواذ قراءة الأعمش والضحاك بضم التاء وفتح الراء وروي عن علي «ع» وابن مسعود وابن عباس ومجاهد والضحاك والأعمش وجعفر بن محمد فلما سلما بغير الف ولام مشددة

الحجة

قال ابو علي من فتح التاء فقال ماذا ترى كان مفعول ترى احد الشيئين إما أن يكون ماذا في موضع نصب بأنه مفعوله ويكون بمنزلة اسم واحد وإما أن يكون ذا بمنزلة الذي فيكون مفعول ترى الهاء المحذوفة من الصلة ويكون ترى على هذا معناها الرأي وليس ادراك الحاسة كما تقول فلان يرى رأي ابي حنيفة وإذا جعلت ذا بمعنى الذي صار تقديره ما الذي تراه فيصير ما في موضع ابتداء والذي في موضع خبره ويكون المعنى ما الذي تذهب اليه فيما القيت اليك هل تستسلم له وتتلقاه بالقبول اوتأتي غيرذلك ومن قرأ ماذا ترى فيجوز أن يكون ما مع ذا بمنزلة اسم واحد فيكونا في موضع نصب والمعنى اجلدا ترى على ما تحمل عليه ام خوار أو يجوز أن يكون ما مبتدأ وذا بمعنى الذي ويعود اليه الذكر المحذوف من الصلة والفعل منقول من رأى زيد الأمر وأريته الشيء إلا انه من باب اعطيت فيجوز الاقتصار على احد المفعولين دون الآخر كما ان اعطيت كذلك ولو ذكرت المفعول الآخر كان أريت زيدا خالدا وقال ابن جني من قرأ ماذا ترى فالمعنى ماذا يلقي اليك ويوقع في خاطرك

ومن قرأ ماذا ترى فالمعنى ماذا تشير به وتدعو إلى العمل بحسبه وهو من قولك ما رأيك في كذا ومنه قوله لتحكم بين الناس بما أراك الله اي بما يحضرك اياه الرأي والخاطر وأما قوله اسلما فمعناه فوضا وأطاعا وأما سلما فمن التسليم اي سلما انفسهما وأراهما كالتسليم باليد لما امرا به ولم يخالفا ما اريد منهما من اجماع ابراهيم الذبح واسحاق أو اسماعيل الصبر

﴿ اللغة ﴾

التل الصرع ومنه التل من التراب جمعه تلول والتليل العنق لأنه يتل والجبين ماعن يمين الجبهة وشمالها وللوجه جبينان الجبهة بينهما والذبح بكسر الذال المهيأ لأن يذبح وبفتح الذال المصدر

﴿ الإعراب ﴾

اختلف في جواب لما من قوله فلما اسلما فقيل هو محذوف وتقديره فلما أسلما وتله للجبين وناديناه فازا وظفرا بما أرادا وقيل جوابه ناديناه والواو زائدة · نبياً منصوب بأنه حال من بشرناه وذو الحال اسحاق

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه انه استجاب لإبراهيم دعاءه بقوله (فبشرناه بغلام حليم) اي بابن وقور عن الحسن قال وما سمعت الله تعالى نحل عباده شيئاً اجل من الحلم والحليم الذي لا يعجل في الأمر قبل وقته مع القدرة عليه وقيل الذي لا يعجل بالعقوبة قال الزجاج وهذه البشارة تدل على أن الغلام يبقى حتى ينتهي في السن ويوصف بالحلم ثم اخبر سبحانه أن الغلام الذي بشره به ولد له وترعرع بقوله (فلما بلغ معه السعي) اي شب حتى بلغ سعيه سعي ابراهيم عن مجاهد والمعنى بلغ إلى ان يتصرف ويمشي معه ويعينه على اموره قالوا وكان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وقيل يعني بالسعي العمل لله والعبادة عن الحسن والكلبي وابن زيد ومقاتل (قال يابني إني أرى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى) معنى رأى في الكلام على خمسة اوجه ﴿ احدها ﴾ ابصر ﴿ والثاني ﴾ علم نحو رأيت زيدا عالما ﴿ والثالث ﴾ ظن كقوله تعالى إنهم يرونه بعيدا ونراه قريباً ﴿ والرابع ﴾ اعتقد نحو قوله

وانا لقوم ما نرى القتل سبة ... إذا ما رأته عامر وسلول

﴿ والخامس ﴾ بمعنى الرأي نحو رأيت هذا الرأي وأما رأيت في المنام فمن رؤية البصر فمعنى الآية ان ابراهيم قال لابنه إني ابصرت في المنام رؤيا تأويلها الأمر بذبحك فانظر ماذا تراه أو أي شيء ترى من الرأي ولا يجوز أن يكون ترى هاهنا بمعنى تبصر لأنه لم يشر إلى شيء يبصر بالعين ولا يجوز ان يكون بمعنى علم أو ظن او اعتقد لان هذه الأشياء تتعدى إلى مفعولين وليس هنا إلا مفعول واحد مع استحالة المعنى فلم يبق إلا أن يكون من الرأي والأولى أن يكون الله تعالى قد أوحى إليه في حال اليقظة وتعبده بأن يمضي ما يأمره به في حال نومه من حيث ان منامات الأنبياء لا تكون إلا صحيحة ولو لم يأمره بذلك في حال اليقظة لما كان يجوز أن يعمل على ما يراه في المنام وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس منامات الأنبياء وحي وقال قتادة رؤيا الأنبياء حق إذا رأوا شيئا فعلوه وقال ابو مسلم رؤيا الأنبياء مع ان جميعها صحيحة ضربان ﴿ احدهما ﴾ أن يأتي الشيء كما رأوه ومنه قوله سبحانه لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام الآية ﴿ والآخر ﴾ أن يكون عبارة عن خلاف الظاهر مما رأوه في المنام وذلك كرؤيا يوسف الأحد عشر كوكبا والشمس والقمر ساجدين وكأن رؤيا ابراهيم من هذا القبيل لكنه لم يأمن أن يكون ما رآه مما يلزمه العمل به على الحقيقة ولا يسعه غير ذلك فلما اسلما اعلمه الله سبحانه انه صدق الرؤيا بما فعله وفدى ابنه من الذبح بالذبح (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أي ما أمرت به (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) أي ستصادفني بمشيئة الله وحسن توفيقه ممن يصبر على الشدائد في جنب الله ويسلم لأمره (فلما اسلما) اي استسلما لأمر الله ورضيا به واطاعاه وقيل معناه سلم

الأب ابنه لله وسلم الابن نفسه لله (وتله للجبين) أي اضطجعه على جبينه عن الحسن وقيل معناه وضع جبينه على الأرض لئلا يرى وجهه فتلحقه رقة الآباء عن ابن عباس وروي انه قال اذبحني وانا ساجد لا تنظر إلى وجهي فعسى ان ترحمني فلا تذبحني (وناديناه ان يا ابراهيم) تقديره ناديناه بأن يا ابراهيم اي بهذا الضرب من القول (قد صدقت الرؤيا) اي فعلت ما امرت به في الرؤيا (انا كذلك نجزي المحسنين) اي كما جزيناه بالعفو عن ذبح ابنه نجزي من سلك طريقهما في الإحسان بالاستسلام والانقياد لامر الله (إن هذا لهو البلاء المبين) اي ان هذا لهو الامتحان الظاهر والاختبار الشديد وقيل ان هذا لهو النعمة الظاهرة وتسمى النعمة بلاء بسببها المؤدي اليها كما يقال لاسباب الموت هي الموت لانها تؤدي اليه واختلف العلماء في الذبيح على قولين ﴿احدهما﴾ انه اسحاق وروي ذلك عن علي (ع) وابن مسعود وقتادة وسعيد بن جبير ومسروق وعكرمة وعطا والزهري والسدي والجبائي والقول الآخر انه اسماعيل عن ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي ومجاهد والربيع بن انس والكلبي ومحمد بن كعب القرظي وكلا القولين قد رواه أصحابنا عن أئمتنا (ع) الا ان الأظهر في الروايات انه اسماعيل ويعضده قوله بعد قصة الذبيح وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين ومن قال انه بشر بنبوة اسحاق فقد ترك الظاهر ولأنه قال في موضع آخر فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فبشره باسحاق وبأنه سيولد له يعقوب فكيف يبشره بذرية اسحاق ثم يأمره بذبح اسحاق مع ذلك وقد صح عن النبي ﷺ انه قال انا ابن الذبيحين ولاخلاف انه من ولد اسماعيل والذبيح الآخر هو عبد الله ابوه وحجة من قال انه اسحاق ان اهل الكتابين اجمعوا على ذلك وجوابه ان اجماعهم ليس بحجة وقولهم غير مقبول وروى محمد بن اسحاق عن محمد بن كعب القرظي قال كنت عند عمر بن عبد العزيز فسألني عن الذبيح فقلت اسماعيل واستدللت بقوله وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين فأرسل الى رجل بالشام كان يهوديا فاسلم وحسن اسلامه وكان يرى انه من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وانا عنده فقال اسماعيل ثم قال والله يا امير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون ابوكم الذي كان من امر الله فيه ما كان فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحاق لإن اسحاق ابوهم وقال الاصمعي سألت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح اسحاق ام اسماعيل فقال يا اصمعي اين ذهب عنك عقلك ومتى كان اسحاق بمكة وإنما كان بمكة اسماعيل وهو بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة لا شك فيه وقد استدل بهذه الآية من اجاز نسخ الشيء قبل وقت فعله فقال ان الله تعالى نهاه عن ذبحه بعد ان امره به وقد اجيب عن ذلك باجوبة ﴿احدها﴾ انه سبحانه لم يأمر ابراهيم بالذبح الذي هو فري الاوداج وإنما امره بمقدمات الذبح من الاضجاع وتناول المدية وما يجري مجرى ذلك والعرب قد تسمي الشيء باسم مقدماته ولهذا قال قد صدقت الرؤيا ولو كان أمره بالذبح لكان إنما صدق بعض الرؤيا وأما الفداء بالذبح فلما كان يتوقعه من الأمر بالذبح ولا يمتنع ايضا ان يكون فدية عن مقدمات الذبح لأن الفدية لا يجب ان تكون من جنس المفدى ألا ترى ان حلق الرأس قد يفدى بدم ما يذبح وكذلك لبس الثوب المخيط والجماع وغير ذلك ﴿ وثانيها ﴾ انه «ع» إنما أمر بصورة الذبح وقد فعله لأنه فرى اوداج ابنه ولكنه كلما فرى جزءاً منه وجاوزه إلى غيره عاد في الحال ملتحما فإن قلت ان حقيقة الذبح هو قطع مكان مخصوص تزول معه الحياة فالجواب ان ذلك غير مسلم لأنه يقال ذبح هذا الحيوان ولم يمت بعد ولو سلمنا ان حقيقة الذبح ذلك لكان لنا ان نحمل الذبح على المجاز للدليل الدال عليه ﴿ وثالثها ﴾ ان الله تعالى أمره بالذبح إلا انه سبحانه جعل على عنقه صفحة من نحاس وكلما أمر ابراهيم السكين عليه لم يقطع او كان كلما اعتمد على السكين انقلب على اختلاف الرواية فيه وهذا التأويل يسوغ إذا قلنا انه كان مأمورا بما يجري مجرى الذبح ولا يسوغ إذا قلنا انه أمر بحقيقة الذبح لأنه يكون تكليفا لما لا يطاق ثم قال سبحانه (وفديناه بذبح عظيم) الفداء جعل الشيء مكان الشيء لدفع الضرر عنه والذبح هو المذبوح وما يذبح ومعناه انا جعلنا الذبح

بدلا عنه كالأسير يفدى بشيء واختلف في الذبح فقيل كان كبشا من الغنم عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وسعيد بن جبير قال ابن عباس هو الكبش الذي تقبل من هابيل حين قربه وقيل فدي بوعل اهبط عليه من ثبير عن الحسن ولم سمي عظيما فيه خلاف قيل لأنه كان مقبولا عن مجاهد وقيل لأن قدر غيره من الكباش يصغر بالاضافة اليه وقيل لأنه رعى في الجنة اربعين خريفا عن سعيد بن جبير وقيل لأنه كان من عند الله كونه ولم يكن عن نسل وقيل لأنه فداء عبد عظيم (وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين) قد مضى تفسير ذلك (وبشرناه باسحاق) اي بولادة اسحاق (نبيا من الصالحين) اي ولدا نبيا من جملة الأنبياء الصالحين وهذا ترغيب في الصلاح بأن مدح مثله في جلالته بالصلاح ومن قال ان الذبيح اسحاق قال بعني بشرناه بنبوة إسحاق وآتينا اسحاق النبوة بصبره (وباركنا عليه وعلى اسحاق) اي وجعلنا فيما اعطيناهما من الخير والبركة يعني النماء والزيادة ومعناه وجعلنا ما اعطيناهما من الخير دائما ثابتا ناميا ويجوز ان يكون أراد كثرة ولدهما وبقاءهم قرنا بعد قرن الى ان تقوم الساعة (ومن ذريتهما) اي ومن اولاد ابراهيم واسحاق (محسن) بالايمان والطاعة (وظالم لنفسه) بالكفر والمعاصي (مبين) بين الظلم

القصة

من ذهب إلى ان الذبيح اسحاق ذكر ان ابراهيم لما فارق قومه مهاجرا إلى الشام هاربا بدينه كما حكى الله سبحانه عنه بقوله إني ذاهب إلى ربي سيهدين دعا الله سبحانه ان يهب له ولدا ذكرا من سارة فلما نزل به اضيافه من الملائكة المرسلين الى المؤتفكة وبشروه بغلام حليم قال ابراهيم حين بشر به هو إذا له ذبيح فلما ولد الغلام وبلغ معه السعي قيل له أوف بنذرك الذي نذرت فكان هذا هو السبب في أمره «ع» بذبح ابنه فقال ابراهيم «ع» عند ذلك لاسحاق انطلق نقرب قربانا لله وأخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام يا ابه اين قربانك فقال يا بني اني أرى في المنام اني اذبحك الى آخره عن السدي وقيل ان ابراهيم رأى في المنام ان يذبح ابنه اسحاق وقد كان حج بوالدته سارة وأهله فلما انتهى الى منى رمى الجمرة هو وأهله وأمر سارة فزارت البيت واحتبس الغلام فانطلق به إلى موضع الجمرة الوسطى فاستشاره في نفسه فأمره الغلام ان يمضي ما أمره الله وسلما لأمر الله فأقبل شيخ فقال يا ابراهيم ما تريد من هذا الغلام قال أريد أن أذبحه فقال سبحان الله تريد ان تذبح غلاما لم يعص الله طرفة عين قط قال ابراهيم ان الله أمرني بذلك قال ربك ينهاك عن ذلك وإنما أمرك بهذا الشيطان فقال ابراهيم لا والله فلما عزم على الذبح قال الغلام يا ابتا خمر وجهي وشد وثاقي قال ابراهيم يا بني الوثاق مع الذبح والله لا اجمعهما عليك اليوم ورفع رأسه إلى السماء ثم انحنى عليه بالمدية وقلب جبرائيل المدية على قفاها واجتر الكبش من قبل ثبير واجتر الغلام من تحته ووضع الكبش مكان الغلام ونودي من ميسرة مسجد الخيف يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا بإسحاق إنا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين قال ولحق إبليس بأم الغلام حين زارت البيت فقال لها ما شيخ رأيته بمنى قالت ذاك بعلي قال فوصيف رأيته قالت ذاك ابني قال فإني رأيته وقد اضجعه وأخذ المدية ليذبحه قالت كذبت ابراهيم ارحم الناس فكيف يذبح ابنه قال فورب السماء ورب هذه الكعبة قد رأيته كذلك قالت ولم قال زعم ان ربه أمره بذلك قالت حق له ان يطيع ربه فوقع في نفسها انه قد أمر في ابنها بأمر فلما قضت نسكها اسرعت في الوادي راجعة إلى منى واضعة يديها على رأسها وهي تقول يا رب لا تؤاخذني بما عملت بأم اسماعيل فلما جاءت سارة واخبرت الخبر قامت إلى ابنها تنظر فرأت الى أثر السكين خدشا في حلقه ففزعت واشتكت وكانت بدو مرضها الذي هلكت به رواه العياشي وعلي ابن ابراهيم بالاسناد في كتابيهما ومن قال ان الذبيح اسماعيل فمنهم محمد بن اسحاق بن يسار وذكر ان ابراهيم كان إذا زار اسماعيل وهاجر حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة

ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى إذا بلغ معه السعي رأى في المنام ان يذبحه فقال له يا بني خذ الحبل والمدية ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في شعب ثبير اخبره بما قد ذكره الله عنه فقال يا ابت اشدد رباطي حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا تنتضح من دمي شيئا فتراه أمي واشحذ شفرتك واسرع مر السكين على حلقي ليكون اهون علي فإن الموت شديد فقال له ابراهيم نعم العون أنت يابني على أمر الله ثم ذكر نحواً مما تقدم ذكره وروى العياشي باسناده عن بريد بن معاوية العجلي قال قلت لابي عبد الله «ع» كم كان بين بشارة ابراهيم «ع» باسماعيل «ع» وبين بشارته باسحاق قال كان بين البشارتين خمس سنين قال الله سبحانه فبشرناه بغلام حليم يعني اسماعيل وهي أول بشارة بشر الله بها ابراهيم في الولد ولما ولد لابراهيم اسحاق من سارة وبلغ اسحاق ثلاث سنين اقبل اسماعيل «ع» إلى اسحاق وهو في حجر ابراهيم فنحاه وجلس في مجلسه فبصرت به سارة فقالت يا ابراهيم ينحي ابن هاجر ابني من حجرك ويجلس هو في مكانه لا والله لا تجاورني هاجر وابنها في بلاد ابدا فنحهما عني وكان ابراهيم مكرما لسارة يعزها ويعرف حقها وذلك لأنها كانت من ولد الانبياء وبنت خالته فشق ذلك على ابراهيم واغتم لفراق اسماعيل «ع» فلما كان في الليل اتى ابراهيم آت من ربه فأراه الرؤيا في ذبح ابنه اسماعيل بموسم مكة فأصبح ابراهيم حزينا للرؤيا التي رآها فلما حضر موسم ذلك العام حمل ابراهيم هاجر واسماعيل في ذي الحجة من ارض الشام فانطلق بهما إلى مكة ليذبحه في الموسم فبدأ بقواعد البيت الحرام فلما رفع قواعده خرج إلى منى حاجاً وقضى نسكه بمنى ورجع إلى مكة فطافا بالبيت اسبوعاً ثم انطلقا إلى السعي فلما صارا في المسعى قال ابراهيم «ع» لاسماعيل «ع» يا بني إني أرى في المنام اني اذبحك في موسم عامي هذا فماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر فلما فرغا من سعيها انطلق به ابراهيم إلى منى وذلك يوم النحر فلما انتهى به إلى الجمرة الوسطى وأضجعه لجنبه الأيسر وأخذ الشفرة ليذبحه نودي ان يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا إلى آخره وفدي اسماعيل بكبش عظيم فذبحه وتصدق بلحمه على المساكين وعن محمد بن مسلم عن ابي جعفر «ع» قال سألته عن كبش ابراهيم «ع» ما كان لونه قال أملح اقرن ونزل من السماء على الجبل الأيمن من مسجد منى بحيال الجمرة الوسطى وكان يمشي في سواد ويأكل في سواد وينظر في سواد ويبعر في سواد ويبول في سواد وعن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله «ع» انه سئل عن صاحب الذبيح قال هو اسماعيل وعن زياد بن سوقة عن ابي جعفر «ع» قال سألته عن صاحب الذبح فقال اسماعيل «ع»

قوله تعالى (١١٤) وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١١٥) وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (١١٦) وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (١١٧) وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ (١١٨) وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (١١٩) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (١٢٠) سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ (١٢١) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٢٢) إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ

تسع آيات

(اللغة)

أصل المن القطع ومنه قوله لهم أجر غير ممنون أي غير مقطوع وحبل منين أي منقطع والنصر المعونة الا ان كل نصر معونة وليس كل معونة نصراً لأن النصر يختص بالمعونة على الأعداء والمعونة عامة

❋ المعنى ❋

ثم عطف سبحانه على ما تقدم بذكر موسى وهارون فقال (ولقد مننا على موسى وهرون) أي أنعمنا عليهما

نعماً قطعت عنهما كل أذية فمنها النبوة ومنها النجاة من آل فرعون ومنها سائر النعم الدينية والدنياوية (ونجيناهما وقومهما) بني إسرائيل (من الكرب العظيم) من تسخير قوم فرعون إياهم واستعمالهم في الأعمال الشاقة وقيل من الغرق ونصرناهم على فرعون وقومه (فكانوا هم الغالبين) القاهرين بعد ان كانوا مغلوبين مقهورين (وآتيناهما الكتاب المستبين) يعني التوراة الداعي إلى نفسه بما فيه من البيان وكذلك كل كتب الله تعالى بهذه الصفة (وهديناهما الصراط المستقيم) أي دللناهما على الطريق المؤدي إلى الحق الموصل إلى الجنة (وتركنا عليهما) الثناء الجميل (في الآخرين) بأن قلنا (سلام على موسى وهرون) وقد مر القول في ذلك (إنا كذلك) مثل ما فعلنا بهما (نجزي المحسنين) نفعل بالمطيعين نجزيهم ذلك على طاعاتهم وفي هذا دلالة على ان ما ذكره الله كان على وجه الثواب لموسى وهارون ومن تقدم ذكره لأن لفظ الجزاء يفيد ذلك (إنهما من عبادنا المؤمنين) أي من جملة عبادنا المصدقين بجميع ما أوجبه الله تعالى عليهم العاملين بذلك

قوله تعالى (١٢٣) وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٢٤) إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٥) أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ (١٢٦) اللهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (١٢٧) فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٢٨) إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (١٢٩) وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٣٠) سَلَامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ (١٣١) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٣٢) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ عشر آيات

القراءة

قرأ أهل العراق غير ابي عمرو وأبي بكر الله ربكم ورب آبائكم الأولين بالنصب والباقون برفع الجميع وقرأ ابن عامر ونافع ورويس عن يعقوب آل يس بفتح الألف وكسر اللام المقطوعة من ياسين والباقون الياسين بكسر الالف وسكون اللام موصولة بياسين وفي الشواذ قراءة ابن مسعود ويحيى والأعمش والحكم بن عيينة وان ادريس سلام على ادراسين وقراءة ابن محيصن وابي رجاء وان الياس وسلام على الياسين بغير همز

الحجة

من قرأ الله ربكم فهو على الاستئناف ومن نصب فعلى البدل من أحسن الخالقين وقال ابو علي من قرأ آل يس فحجته انها في المصحف مفصولة من يس وفي فصلها دلالة على ان آل هو الذي تصغيره اهيل وقال الزجاج من قرأ الياسين فإنه جمع الياس جمع هو وأمته المؤمنون وكذلك يجمع ما ينسب إلى الشيء بلفظ الشيء تقول رأيت المسامعة والمهالبة تريد بني المسمع وبني المهلب وكذلك رأيت المهلبين والمسمعين وفيها وجه آخر وهو ان يكون لغتان الياس والياسين كما قيل ميكال وميكائيل وقال ابو علي هذا لا يصح لأن ميكال وميكائيل لغتان في اسم واحد وليس أحدهما مفرداً والآخر جمعاً كالياس والياسين وادريس وادراسين ومثله «قدني من نصر الخبيبين قدي» أراد عبد الله ومن كان على رأيه فكذلك الياسين وادراسين من كان من شيعته وأهل دينه على ارادة ياء النسب التقدير الياسيين وادراسيين فحذف كما حذف من سائر هذه الكلم التي يراد الصفة كالاعجمين والاشعرين

الإعراب

سلام في هذه الآي كلها مبتدأ والخبر بعده الجار والمجرور والجملة في موضع المفعول لقوله تركنا ولو اعمل تركنا فيه لقال سلاماً ويجوز ان يكون التقدير وتركنا عليه في الآخرين الثناء الحسن فحذف مفعول تركنا ثم ابتدأ فقال سلام

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه قصة الياس فقال (وان إلياس لمن المرسلين) واختلف فيه فقيل هو ادريس عن ابن مسعود وقتادة وقيل هو من انبياء بني اسرائيل من ولد هارون بن عمران بن عم اليسع عن ابن عباس ومحمد بن اسحاق وغيرهما قالوا انه بعث بعد حزقيل لما عظمت الاحداث في بني إسرائيل وكان يوشع لما فتح الشام بوأها بني اسرائيل وقسمها بينهم فأحل سبطا منهم ببعلبك وهم سبط إلياس بعث فيهم نبياً اليهم فأجابه الملك ثم ان امرأته حملته على أن ارتد وخالف إلياس وطلبه ليقتله فهرب إلى الجبال والبراري وقيل انه استخلف اليسع على بني اسرائيل ورفعه الله تعالى من بين أظهرهم وقطع عنه لذة الطعام والشراب وكساه الريش فصار انسياً ملكياً أرضياً سماويا وسلط الله على الملك وقومه عدواً لهم فقتل الملك وامرأته وبعث الله اليسع رسولاً فآمنت به بنو اسرائيل وعظموه وانتهوا إلى أمره عن ابن عباس وقيل ان إلياس صاحب البراري والخضر صاحب الجزائر ويجتمعان في كل يوم عرفة بعرفات وذكر وهب انه ذو الكفل (إذ قال لقومه ألا تتقون) عذاب الله ونقمته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (أتدعون بعلا) يعني صنما لهم من ذهب كانوا يعبدونه عن عطا والبعل بلغة اهل اليمن هو الرب والسيد عن عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي فالتقدير أتدعون رباً غير الله تعالى (وتذرون أحسن الخالقين) أي تتركون عبادة أحسن الخالقين (الله ربكم) اي خالقكم ورازقكم فهو الذي تحق له العبادة (ورب آبائكم الأولين) وخالق من مضى من آبائكم وأجدادكم (فكذبوه) فيما دعاهم اليه ولم يصدقوه (فإنهم لمحضرون) للحساب أو في العذاب والنار (إلا عباد الله المخلصين) استثنى من جملتهم الذين أخلصوا عبادتهم لله من قومه (وتركنا عليه في الآخرين) فيه القولان اللذان ذكرناهما (سلام على إلياسين) قال ابن عباس آل يس آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وياسين من أسمائه ومن قرأ الياسين أراد الياس ومن اتبعه وقيل يس اسم السورة فكأنه قال سلام على من آمن بكتاب الله تعالى والقرآن الذي هو يس (إنا كذلك نجزي المحسنين) بإحسانهم (انه من عبادنا المؤمنين) المصدقين العاملين بما أوجبناه عليهم

قوله تعالى (١٣٣) وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٣٤) إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ (١٣٥) إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ (١٣٦) ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ (١٣٧) وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٨) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٣٩) وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (١٤٠) إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١٤١) فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ (١٤٢) فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (١٤٣) فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٤) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٥) فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ (١٤٦) وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ (١٤٧) وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ (١٤٨) فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ست عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ جعفر بن محمد الصادق «ع» ويزيدون بالواو والوجه فيه ظاهر

﴿ اللغة ﴾

الغابر الباقي قليلا بعد ما مضى ومنه الغبار لأنه يبقى بعد ذهاب التراب قليلا والتدمير الاهلاك على وجه التنكيل والآبق الفار إلى حيث لا يهتدي اليه طالبه وقد ابق يأبق اباقا والمشحون المملوء والمساهمة المقارعة مأخوذ

من القاء السهام ودحضت حجته أي سقطت وأدحضها الله مأخوذ من الدحض وهو الزلق لأنه يسقط المار فيه قال الشاعر «وحدت كما حاد البعير عن الدحض» والالتقام ابتلاع اللقمة يقال لقمه والتقمه وتلقمه بمعنى والام الرجل فهو مليم أتى بما يلام عليه قال لبيد

سفها عذلت ولمت غير مليم ... وهداك قبل اليوم غير حكيم

والعراء الفضاء الذي لا يواريه شجر ولا غيره وقيل العراء وجه الأرض الخالي قال

ورفعت رجلا لا أخاف عثارها ... ونبذت بالبلد العراء ثيابي

واليقطين كل شجرة تبقى من الشتاء إلى الصيف ليس لها ساق قال أمية بن ابي الصلت

فأنبت يقطينا عليه برحمة ... من الله لولا الله ألفي ضاحيا

وهو يفعيل من قطن بالمكان إذا أقام به إقامة زائل لا إقامة راسخ والقطاني من الحبوب التي تقيم في البيت مثل الحمص والعدس والخلر واحدها قطنية وقطنية

﴿ الإعراب ﴾

مصبحين حال من قوله تمرون بالليل الجار والمجرور ايضاً في موضع نصب عطفاً عليه تقديره لتمرون عليه مصبحين وممسين

(المعنى)

ثم عطف سبحانه على ما تقدم خبر لوط فقال (وان لوطاً لمن المرسلين) اي رسولا من جملة من ارسله الله إلى خلقه داعياً لهم إلى طاعته ومنبهاً لهم على وحدانيته (إذ نجيناه واهله اجمعين) إذ يتعلق بمحذوف وكأنه قيل اذكر يا محمد إذ نجيناه اي خلصناه ومن آمن به من قومه من عذاب الاستئصال (إلا عجوزاً في الغابرين) أي في الباقين الذين اهلكوا استثنى من جملة قومه امرأته فقال (ثم دمرنا الآخرين) اي اهلكناهم (وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل) هذا خطاب لمشركي العرب أي تمرون في ذهابكم ومجيئكم إلى الشام على منازلهم وقراهم بالنهار وبالليل (أفلا تعقلون) فتعتبرون بهم ومن كثر مروره بموضع العبر فلم يعتبر كان ألوم ممن قل ذلك عنه والمعنى أفلا تتفكرون فيما نزل بهم لتجتنبوا ما كانوا يفعلونه من الكفر والضلال والوجه في ذكر قصص الانبياء وتكريرها التشويق إلى مثل ما كانوا عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الخلال وصرف الخلق عما كان عليه الكفار من مساوئ الخصال ومقابح الأفعال (وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون) أي فر من قومه إلى السفينة المملوءة من الناس والاحمال خوفاً من ان ينزل العذاب بهم وهو مقيم فيهم (فساهم) يونس القوم بأن القوا السهام على سبيل القرعة اي قارعهم (فكان من المدحضين) أي من المقروعين عن الحسن وابن عباس وقيل من المسهومين عن مجاهد والمراد من الملقين في البحر واختلف في سبب ذلك فقيل انهم أشرفوا على الغرق فرأوا انهم ان طرحوا واحداً منهم في البحر لم يغرق الباقون وقيل ان السفينة احتبست فقال الملاحون ان هاهنا عبداً آبقا فإن من عادة السفينة إذا كان فيها آبق لا تجري فلذلك اقترعوا فوقعت القرعة على يونس ثلاث مرات فعلموا انه المطلوب فألقى نفسه في البحر وقيل انه لما وقعت القرعة عليه القوه في البحر (فالتقمه الحوت) أي ابتلعه وقيل ان الله سبحانه أوحى إلى الحوت اني لم أجعل عبدي رزقاً لك ولكني جعلت بطنك مسجداً له فلا تكسرن له عظما ولا تخدشن له جلداً (وهو مليم) أي مستحق للوم لوم العتاب لا لوم العقاب على خروجه من بين قومه من غير أمر ربه وعندنا ان ذلك انما وقع منه تركا للمندوب وقد يلام الإنسان على ترك المندوب ومن جوز الصغيرة على الأنبياء قال قد وقع ذلك صغيرة مكفرة واختلف في مدة لبثه في بطن الحوت فقيل

كانت ثلاثة أيام عن مقاتل بن حيان وقيل سبعة ايام عن عطا وقيل عشرين يوماً عن الضحاك وقيل اربعين يوماً عن السدي ومقاتل بن سليمان والكلبي (فلولا انه كان من المسبحين) أي كان من المصلين في حال الرخاء فنجاه الله عند البلاء عن قتادة وقيل كان تسبيحه انه كان يقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين عن سعيد بن جبير وقيل من المسبحين أي من المنزهين الله عما لا يليق به ولا يجوز في صفته الذاكرين له (للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) أي لصار بطن الحوت قبراً له إلى يوم القيامة (فنبذناه بالعراء) أي فطرحناه بالمكان الخالي الذي لا نبت فيه ولا شجر وقيل بالساحل ألهم الله سبحانه الحوت حتى قذفه ورماه من جوفه على وجه الأرض (وهو سقيم) أي مريض حين القاه الحوت (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) وهو القرع عن ابن مسعود وقيل هو كل نبت يبسط على وجه الأرض ولا ساق له عن ابن عباس والحسن وروي عن ابن مسعود قال خرج يونس من بطن الحوت كهيئة فرخ ليس عليه ريش فاستظل بالشجر من الشمس (وأرسلناه إلى مائة الف أو يزيدون) قيل ان الله سبحانه ارسله إلى أهل نينوى من أرض الموصل عن قتادة وكانت رسالته هذه بعد ما نبذه الحوت عن ابن عباس فعلى هذا يجوز ان يكون ارسل إلى قوم بعد قوم ويجوز ان يكون ارسل إلى الأولين بشريعة فآمنوا بها وقيل في معنى أو من قوله او يزيدون وجوه * احدها * انه على طريق الابهام على المخاطبين كأنه قال ارسلناه إلى احدى العددين * وثانيها * ان أو تخيير كأن الرائي خير بين ان يقول هم مائة الف او يزيدون عن سيبويه والمعنى انهم كانوا عدداً لو نظر اليهم الناظر لقال هم مائة الف أو يزيدون * وثالثها * ان او بمعنى الواو كأنه قال ويزيدون عن بعض الكوفيين وقال بعضهم معناه بل يزيدون وهذان القولان الأخيران غير مرضيين عند المحققين وأجود الأقوال الثاني واختلف في الزيادة على مائة الف كم هي فقيل عشرون الفا عن ابن عباس ومقاتل وقيل بضع وثلاثون الفاً عن الحسن والربيع وقيل سبعون الفاً عن مقاتل ابن حيان (فآمنوا فمتعناهم إلى حين) حكى سبحانه عنهم انهم آمنوا بالله وراجعوا التوبة فكشف عنهم العذاب ومتعهم بالمنافع واللذات إلى انقضاء آجالهم

قوله تعالى (١٤٩) فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ (١٥٠) أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ (١٥١) أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥٢) وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٣) أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ (١٥٤) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٥) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٦) أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ (١٥٧) فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٥٨) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ (١٥٩) سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٦٠) إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ اثنتا عشرة آية

-(القراءة)-

قرأ ابوجعفر ونافع برواية اسماعيل وورش من طريق الاصفهاني لكاذبون اصطفى البنات بالوصل والابتداء اصطفى بكسر الهمزة والباقون أصطفى بفتح الهمزة وكذلك ورش من طريق البخاري

* الحجة *

قال ابو علي الوجه الهمز على وجه التقريع لهم بذلك والتوبيخ ويقويه قوله تعالى أم اتخذ مما يخلق بنات وقوله أم له البنات ولكم البنون ألكم الذكر وله الأنثى فكما ان هذه المواضع كلها استفهام كذلك قوله أصطفى

البنات ووجه القراءة الاخرى انه على وجه الخبر كأنه اصطفى البنات فيما يقولون كقوله ذق إنك أنت العزيز الكريم أي عند نفسك وفيما كنت تقوله وتذهب اليه ويجوز ان يكون اصطفى البنات بدلا من قوله ولد الله لأن ولادة البنات واتخاذهن اصطفاؤهن فيصير اصطفى بدلا من المثال الماضي كما كان قوله يضاعف له العذاب بدلا من قوله يلق أثاما ويجوز ان يكون اصطفى البنات تفسيرا لكذبهم في قوله وإنهم لكاذبون كما ان قوله لهم مغفرة تفسير للوعد ويجوز ان يكون متعلقا بالقول على انه أريد حرف العطف فلم يذكر واستغنى بما في الجملة الثانية من الاتصال بالاولى عن حرف العطف كقوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ونحو ذلك

المعنى

ثم عاد الكلام إلى الرد على مشركي العرب فقال سبحانه (فاستفتهم) اي سلهم واطلب الحكم منهم في هذه القصة (ألربك البنات ولهم البنون) اي كيف اضفتم البنات إلى الله تعالى واخترتم لأنفسكم البنين وكانوا يقولون إن الملائكة بنات الله على وجه الاصطفاء لا على وجه الولادة (أم خلقنا الملائكة إناثا) معناه بل خلقنا الملائكة إناثا (وهم شاهدون) أي حاضرون خلقنا إياهم اي كيف جعلوهم إناثا ولم يشهدوا خلقهم ثم اخبر عن كذبهم فقال (الا إنهم من افكهم ليقولون ولد الله) حين زعموا ان الملائكة بنات الله تعالى (وإنهم لكاذبون في قولهم (اصطفى البنات على البنين) دخلت همزة الاستفهام على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل ومثله قول ذي الرمة

استحدث الركب من اشياعهم خبرا ... أم راجع القلب من اطرابه طرب

والمعنى كيف يختار الله سبحانه الأدون على الأعلى مع كونه مالكا حكيما ثم وبخهم (فقال مالكم كيف تحكمون) لله بالبنات ولأنفسكم بالبنين (أفلا تذكرون) اي أفلا تتعظون فتنتهون عن مثل هذا القول (أم لكم سلطان مبين) اي حجة بينة على ما تقولون وتدعون وهذا كله انكار في صورة الاستفهام (فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين) المعنى فأتوا بكتابكم الذي لكم فيه الحجة ان كنتم صادقين في قولكم والمراد انه دليل لكم على ما تقولونه من جهة العقل لا من جهة السمع (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) اختلف في معناه على اقوال ﴿احدها﴾ ان المراد به قول الزنادقة إن الله وابليس اخوان وان الله تعالى خلق النور والخير والحيوان النافع وابليس خالق الظلمة والشر والحيوان الضار عن الكلبي وعطية ﴿وثانيها﴾ انه قول المشركين إن الملائكة بنات الله وسمى الملائكة جنة لاستتارهم عن العيون عن مجاهد وقتادة والجبائي ﴿وثالثها﴾ أنهم قالوا صاهر الله الجن فحدثت الملائكة تعالى الله عن قولهم ﴿ورابعها﴾ انهم اشركوا الشيطان في عبادة الله تعالى فذلك هو النسب الذي جعلوه بينه وبين الجنة عن الحسن (ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون) اي علمت الملائكة ان هؤلاء الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب يوم القيامة عن السدي وقيل معناه قد علمت الجنة وهم الجن الذين دعوهم انهم محضرون العذاب بدعائهم الى هذا القول (سبحان الله عما يصفون) نزه سبحانه نفسه عما وصفوه به وأضافوه اليه (إلا عباد الله المخلصين) استثنى عباده المخلصين من جملة الكفار القائلين فيه ما لا يليق به

قوله تعالى (١٦١) فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ (١٦٢) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ (١٦٣) إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ (١٦٤) وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٦) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٧) وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ (١٦٨) لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٦٩) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (١٧٠) فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ عشر آيات

(القراءة)

في الشواذ قراءة الحسن صالُ الجحيم بضم اللام

(الحجة)

قال ابن جني كان الشيخ ابو علي يحمله على انه حذف لام صال تخفيفا واعرب اللام بالضم كما حذفت لام البالية من قولهم ما باليت به بالة وذهب قطرب إلى انه صال اي صالون فحذف النون للإضافة والواو لالتقاء الساكنين وحمل على معنى من لأنه جمع كقوله ومنهم من يستمعون اليك وقال هذا حسن عندي وقول ابي علي مأخوذ به

(اللغة)

الفاتن الداعي إلى الضلال بتزيينه وأصل الفتنة من قولهم فتنت الذهب بالنار إذا اخرجته إلى حال الخلاص الصالي اللازم للنار المحترق بها والمصطلي المستدفئ بالنار ومنه الصلاة للزوم الدعاء فيها والمصلي الذي يجيئ بعد السابق للزومه أثره

(المعنى)

ثم خاطب سبحانه الكفار بأن قال لهم (فإنكم وما تعبدون) وموضع ما نصب عطفا على الكاف والميم والمعنى إنكم يا معشر الكفار والذي تعبدونه (ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم) الهاء في عليه إلى ماذا يعود فيه قولان * احدهما * انه يعود إلى ما تعبدون والتقدير إنكم وما تعبدونه ما انتم بفاتنين على عبادته احداً إلا من يصلى الجحيم ويحترق بها بسوء اختياره وقيل معناه ما انتم بمضلين أحدا اي لا تقدرون على اضلال احدا لا من سبق في علم الله تعالى أن سيكفر بالله تعالى ويصلى الجحيم * والآخر * أن الضمير في عليه يعود الى الله تعالى والتقدير ما أنتم على الله و على دينه بمضلين احدا الا من هو صالي الجحيم باختياره وهذا كما يقال لا يهلك على الله هالك وفلان يربح على فلان ويخسر على فلان (وما منّا الا له مقام معلوم) هذا قول جبرائيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل انه قول الملائكة وفيه مضمر اي وما منا معشر الملائكة ملك الا له مقام معلوم في السماوات يعبد الله فيه وقيل معناه انه لا يتجاوز ما امر به ورتب له كما لا يتجاوز صاحب المقام مقامه الذي حدّ له فكيف يجوز ان يعبد من بهذه الصفة وهو عبد مربوب (وانا لنحن الصافون) حول العرش ننتظر الأمر والنهي من الله تعالى وقيل القائمون صفوفا في الصلاة قال الكلبي صفوف الملائكة في السماء كصفوف أهل الدنيا في الأرض وقال الجبائي صافون باجنحتنا في الهواء للعبادة والتسبيح (وانا لنحن المسبحون) اي المصلون والمنزهون الرب عما لا يليق به ومنه قوله فرغت من سبحتي أي من صلاتي وذلك لما في الصلاة من تسبيح الله تعالى وتعظيمه والمسبحون القائلون سبحان الله على وجه التعظيم لله (وان كانوا ليقولون) ان هذه هي المخففة من الثقيلة الا ترى ان اللام قد لزم خبرها والمعنى وان هؤلاء الكفار يعني اهل مكة كانوا يقولون (لو ان عندنا ذكرا) اي كتابا (من الأولين) اي من كتب الأولين التي انزلها على انبيائه وقيل ذكرا اي علما من الأولين الذين تقدمونا وما فعل الله بهم فسمي العلم ذكرا لأن الذكر من اسباب العلم (لكنا عباد الله المخلصين) الذين يخلصون العبادة لله تعالى فجعلوا العذر في امتناعهم من الايمان انهم لا يعرفون اخبار من تقدمهم وهل حصلوا في جنة او نار (فكفروا به) في الكلام حذف تقديره فلما أتاهم الكتاب وهو القرآن كفروا به (فسوف يعلمون) عاقبة كفرهم وهذا تهديد لهم

قوله تعالى (١٧١) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧٢) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (١٨٣) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٤) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٥) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ

يبْصِرُونَ (١٧٦) أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ (١٧٧) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ (١٧٨) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ (١٧٩) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ (١٨٠) سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨١) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨٢) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

اثنتا عشرة آية

المعنى

ثم اقسم سبحانه فقال (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) اي سبق الوعد منا لعبادنا الذين بعثناهم إلى الخلق (انهم لهم المنصورون) في الدنيا والآخرة على الاعداء بالقهر والغلبة وبالحجج الظاهرة وقيل معناه سبقت كلمتنا لهم بالسعادة ثم ابتدأ فقال انهم اي ان المرسلين لهم المنصورون واللام للتأكيد وهم فصل وقيل عنى بالكلمة قوله كتب الله لأغلبن أنا ورسلي الآية وسميت جملة من الكلام بأنها كلمة لانعقاد بعض معانيه ببعض حتى صار خبرا واحدا وقصة واحدة كالشيء الواحد قال الحسن المراد بالآية نصرتهم في الحرب فإنه لم يقتل نبي من الأنبياء قط في الحرب وإنما قتل من قتل منهم غيلة او على وجه آخر في غير الحرب وإن مات نبي قبل النصرة او قتل فقد اجرى الله تعالى العادة بأن ينصر قومه من بعده فيكون في نصرة قومه نصرة له فقد تحقق قوله انهم لهم المنصورون وقال السدي المراد بالآية النصر بالحجة (وان جندنا لهم الغالبون) أضاف المؤمنين إلى نفسه ووصفهم بأنهم جنده تشريفا وتنويها بذكرهم حيث قاموا بنصرة دينه وقيل معناه ان رسلنا هم المنصورون لأنهم جندنا وان جندنا هم الغالبون يقهرون الكفار بالحجة تارة وبالفعل أخرى ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (فتول عنهم) اي اعرض عن هؤلاء الكفار (حتى حين) اي إلى وقت نأمرك فيه بقتالهم يعني يوم بدر عن مجاهد والسدي وقيل إلى يوم الموت عن ابن عباس وقتادة وقيل إلى يوم القيامة وقيل إلى انقضاء مدة الإمهال (وأبصرهم فسوف يبصرون) اي انظرهم وابصر ما ضيعوا من أمر الله فسوف يرون العذاب عن ابن زيد وقيل وابصرهم إذا نزل بهم العذاب فسوف يبصرون وقيل وابصر حالهم بقلبك فسوف يبصرون ذلك في القيامة معاينة وفي هذا اخبار بالغيب لأنه وعد نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالنصر والظفر فوافق المخبر الخبر وكأنهم قالوا متى هذا العذاب فأنزل الله (أفبعذابنا يستعجلون) اي يطلبون تعجيل عذابنا (فإذا نزل بساحتهم) اي إذا نزل العذاب بأفنية دورهم كما يستعجلون (فساء صباح المنذرين) اي فبئس الصباح صباح من خوف وحذر فلم يحذر ولم يخف والساحة فناء الدار وفضاؤها الواسع فالمراد ان العذاب لعظمه لا يسعه الا الساحة ذات الفضاء الواسع وقيل نزل بساحتهم اي بدارهم عن السدي وكانت العرب تفاجئ اعداءها بالغارات صباحا فخرج الكلام على عادتهم ولأن الله سبحانه أجرى العادة بتعذيب الامم وقت الصباح كما قال ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب (وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون) مضى تفسيره وإنما كرر ما سبق للتأكيد وقيل لأن المراد باحدهما عذاب الدنيا وبالآخر عذاب الآخرة اي فكن على بصيرة من امرك فسوف يكونون على بصيرة من أمرهم حين لا ينفعهم ثم نزه سبحانه نفسه عن وصفهم وبهتهم فقال (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) اي تنزيها لربك مالك العزة يعز من يشاء من الأنبياء والاولياء لا يملك احد إعزاز احد سواه فسبحانه عما يصفونه مما لا يليق به من الصفات وهو قولهم باتخاذ الأولاد واتخاذ الشريك (وسلام على المرسلين) اي سلامة وأمان لهم من ان ينصر عليهم اعداؤهم وقيل هو خبر معناه امر اي سلموا عليهم كلهم لا تفرقوا بينهم (والحمد لله رب العالمين) اي احمدوا الله الذي هو مالك العالمين وخالقهم والمنعم عليهم واخلصوا له الثناء والحمد ولا تشركوا به احدا فإن النعم كلها منه وروى الاصبغ بن نباتة

عن علي (ع) وقد روي ايضاً مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من اراد ان يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه في مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

سورة ص مكية

عدد آيها

هي ثمان وثمانون آية كوفي وست حجازي بصري شامي وخمس في عدد ايوب بن المتوكل وحده

اختلافها

ثلاث آيات ذي الذكر كوفي وغواص غير البصري والحق اقول كوفي وبصري وفي رواية المعلى عن الجحدري وتركها ايوب وهو يوافق الجحدري إلا في هذا الحرف

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ سورة ص أعطي من الأجر بوزن كل جبل سخره الله لداود حسنات وعصمه الله ان يصر على ذنب صغيراً أو كبيراً وروى العياشي باسناده عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ سورة ص في ليلة الجمعة أعطي من خير الدنيا والآخرة مالم يعط أحد من الناس إلا نبي مرسل أو ملك مقرب وادخله الله الجنة وكل من أحب من أهل بيته حتى خادمه الذي يخدمه وان كان ليس في حد عياله ولا في حد من يشفع له وامنه الله يوم الفزع الأكبر

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الصافات بذكر القرآن والرسول وانكار الكفار لما دعاهم اليه افتتح هذه السورة بالقرآن ذي الذكر والرد على الكفار ايضا فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) صۤ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ (٢) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ (٣) كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ (٤) وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٥) أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ خمس آيات

القراءة

في الشواذ قراءة ابي بن كعب والحسن وابن ابي اسحاق صاد بكسر الدال وقراءة الثقفي صاد بفتح الدال والقراءة بالوقف وهو الصحيح لأن حروف الهجاء يوقف عليها وقراءة عيسى بن عمر وابي عبدالرحمن السلمي عجاب بتشديد الجيم

❋ الحجة ❋

من كسر فلاجتماع الساكنين أو لأنه جعله من المصاداة وهي المعارضة أي عارض القرآن بعملك ومن فتح فلأن الفتحة أخف من الكسرة ويجوز ان يكون من فتح جعل الصاد علماً للسورة فلم يصرفه والعجاب بالتشديد هو المفرط في العجب يقال شيء عجيب ثم عجاب بالتخفيف ثم عجاب بالتشديد كما قالوا رجل وضي ووضاء وانشدوا

والمرء يلحقه بفتيان الندى　　خلق الكريم وليس بالوضاء

وقال آخر

جاؤوا بصيد عجب من العجب　　ازيرق العينين طوال الذنب

❋ اللغة ❋

الشقاق والمشاقة الخلاف وأصله ان يصير كل واحد من الفريقين في شق أي في جانب ومنه يقال شق فلان العصا إذا خالف والمناص من النوص وهو التأخر ناص ينوص إذا تأخر وباص يبوص بالباء اذا تقدم قال امرؤ القيس

أمن ذكر ليلى إن نأتك تنوص　　فتقصر عنها خطوة وتبوص

❋ الاعراب ❋

اختلف في جواب القسم على وجوه ❋ احدها ❋ ان جوابه محذوف فكأنه قال والقرآن ذي الذكر لقد جاء الحق وظهر الامر لأن حذف الجواب في مثل هذا ابلغ فإن ذكر الجواب يقصر المعنى على وجه والحذف يصرف إلى كل وجه فيعم ❋ والثاني ❋ ان جوابه ص فإن معناه صدق اقسم سبحانه بالقرآن ان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد صدق والله وفعل والله ❋ والثالث ❋ ان الجواب مما كفى منه قوله كم اهلكنا وقيل ما كفى منه بل الذين كفروا فكأنه قال والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما قالوا واحدهما عن الفراء والآخر عن قتادة ❋ والرابع ❋ ان جوابه كم اهلكنا والتقدير لكم اهلكنا فلما طال الكلام حذف اللام ومثله قد افلح من زكاها والتقدير لقد افلح عن الفراء وهذا غلط لأن اللام لا تدخل على المفعول وكم مفعول ❋ والخامس ❋ ان الجواب في آخر السورة ان ذلك لحق تخاصم أهل النار إلا انه بعد من أول الكلام عن الكسائي ولات حين مناص فيه قولان ❋ احدهما ❋ ان التاء متصلة بلا وانهما بمنزلة ليس قال الزجاج ويجوز ولات حين مناص في اللغة فأما النصب فعلى ان المعنى ليس الوقت حين مناص والرفع على ان يجعل حين اسم ليس ويضمر الخبر والمعنى ليس حين ملجأ لنا والوقف عليها لات بالتاء والكسائي يقف بالهاء لاه والأول اصح لأن هذه التاء نظيرة التاء في الفعل نحو ذهبت وفي الحرف نحو رأيت زيدا ثمت عمراً فإنها دخلت في الموضعين على ما لا يعرب ولا هو في طريق الاسماء وقال الاخفش ان لات حين مثل لا رجل في الدار ودخلت التاء في التأنيث قال الشاعر

تذكر حب ليلى لات حينا　　وأضحى الشيب قد قطع القرينا

❋ والقول الآخر ❋ ان التاء متصلة بحين كما قال الشاعر

العاطفين تحين ما من عاطف والمطعمين زمان ما من مطعم

وقد أجازوا الجر بلات وانشدوا لأبي زبيد

طلبوا صلحنا ولات اوان فأجبنا ان ليس حين بقاء

قال الزجاج والذي انشدناه ابو العباس المبرد بالرفع وقد روي بالكسر

﴿ النزول ﴾

قال المفسرون ان اشراف قريش وهم خمسة وعشرون منهم الوليد بن المغيرة وهو اكبرهم وابو جهل وابي وامية ابنا خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والنضر بن الحارث اتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد اتيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فإنه سفه احلامنا وشتم آلهتنا فدعا ابو طالب رسول الله ﷺ وقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسألونك فقال ماذا يسألونني قالوا دعنا وآلهتنا ندعك وإلهك فقال ﷺ اتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب والعجم فقال ابو جهل لله ابوك نعطيك ذلك عشر امثالها فقال قولوا لا إله إلا الله فقاموا وقالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً فنزلت هذه الآيات وروي ان النبي ﷺ استعبر ثم قال يا عم والله لو وضعت الشمس في يميني والقمر في شمالي ما تركت هذا القول حتى انفذه أو أقتل دونه فقال له ابو طالب امض لأمرك فوالله لا أخذلك أبدا

﴿ المعنى ﴾

(ص) اختلفوا في معناه فقيل هو اسم للسورة وقيل غير ذلك على ما ذكرناه في أول البقرة وقال ابن عباس هو اسم من اسماء الله تعالى أقسم به وروي ذلك عن الصادق «ع» وقال الضحاك معناه صدق وقال قتادة هو اسم من اسماء القرآن فعلى هذا يجوز ان يكون موضعه نصبا على تقدير حذف حرف القسم ويجوز ان يكون رفعا على تقدير هذه صاد في مذهب من جعله اسما للسورة (والقرآن ذي الذكر) أي ذي الشرف عن ابن عباس يوضحه قوله وانه لذكر لك ولقومك وقيل معناه ذي البيان الذي يؤدي إلى الحق ويهدي إلى الرشد لأن فيه ذكر الأدلة التي إذا تفكر فيها العاقل عرف الحق عقلا وشرعا وقيل ذي التذكر لكم عن قتادة وقيل فيه ذكر الله وتوحيده واسماؤه الحسنى وصفاته العلى وذكر الأنبياء وأخبار الامم وذكر البعث والنشور وذكر الأحكام وما يحتاج اليه المكلف من الأحكام عن الجبائي ويؤيده قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء (بل الذين كفروا) من أهل مكة (في عزة) أي في تكبر عن قبول الحق وحمية جاهلية عن قتادة ويدل عليه قوله أخذته العزة بالإثم وقيل في ملكة واقتدار وقوة بتمكين الله اياهم (وشقاق) أي عداوة وعصيان ومخالفة لأنهم يأنفون عن متابعتك ويطلبون مخالفتك ثم خوفهم سبحانه فقال (كم اهلكنا من قبلهم من قرن) بتكذيبهم الرسل (فنادوا) عند وقوع الهلاك بهم بالاستغاثة (ولات حين مناص) أي ليس الوقت حين منجى ولا فوت وقيل لات حين نداء ينجي قال قتادة نادى القوم على غير حين النداء (وعجبوا ان جاءهم منذر منهم) أي جاءهم رسول من أنفسهم مخوف من جهة الله تعالى يحذرهم المعاصي وينذرهم النار (فقال الكافرون هذا ساحر كذاب) حين يزعم انه رسول الله (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) هذا استفهام انكار وتعجيب وذلك ان النبي ﷺ ابطل عبادة ما كانوا يعبدونه من الآلهة مع الله ودعاهم إلى عبادة الله وحده فتعجبوا من ذلك وقالوا كيف جعل لنا إلهاً واحدا بعد ما كنا

نعبد آلهة (إن هذا) الذي يقوله محمد من ان الإله واحد (لشيء عجاب) لأمر عجيب مفرط في العجب

قوله تعالى (٦) وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا وَٱصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٧) مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا ٱخْتِلَاقٌ (٨) أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٩) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ (١٠) أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي ٱلْأَسْبَابِ

خمس آيات

اللغة

الانطلاق الذهاب بسهولة ومنه طلاقة الوجه والحلق. والاختلاق والفري والافتراء متقارب والارتقاء الصعود من سفل إلى علو درجة درجة قال

لو لم يجد سلما ما كان مرتقيا والمرتقي والذي رقاه سيان

الاسباب جمع سبب والسبب ما يوصل به إلى المطلوب واسباب السماوات أبوابها قال زهير

ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم

والفرق بين السبب والعلة في عرف المتكلمين ان السبب ما يوجب ذاتاً والعلة ما يوجب صفة

الاعراب

ان امشوا ان هذه هي التي تسمى المفسرة بمعنى أي امشوا قال الزجاج ويجوز ان يكون تقديره بأن امشوا أي بهذا القول

المعنى

(وانطلق الملأ منهم) هذا تمام الحكاية عن الكفار الذين تقدم ذكرهم أي وانطلق الاشراف منهم (ان امشوا) أي يقول بعضهم لبعض امشوا (واصبروا على آلهتكم) يعني انهم خرجوا من مجلسهم الذي كانوا فيه عند ابي طالب وهم يقولون اثبتوا على عبادة آلهتكم واصبروا على دينكم وتحملوا المشاق لأجله وقيل ان القائل لذلك عقبة بن ابي معيط (ان هذا) الذي نراه من زيادة اصحاب محمد (لشيء يراد) اي أمر يراد بنا وقيل معناه ان هذا فساد في الأرض وعن قريب ينزل به الهلاك ونتخلص منه وقيل ان هذا الأمر يراد بنا من زوال نعمة أو نزول شدة لأنهم كانوا يعتقدون في الأصنام انهم لو تركوا عبادتها أصابهم القحط والشدة ثم حكى عنهم ايضا بأنهم قالوا (ما سمعنا بهذا) الذي يدعونا اليه محمد من التوحيد وخلع الانداد من دون الله (في الملة الآخرة) يعنون في النصرانية لأنها آخر الملل عن ابن عباس قال ان النصارى لا يوحدون لأنهم يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش أي في ملة زماننا هذا عن مجاهد وقتادة وقيل معناه ما سمعنا بأن هذا يكون في آخر الزمان عن الحسن (ان هذا) اي ما هذا الذي يقول محمد (إلا اختلاق) أي تخرص وكذب وافتعال ثم أنكروا تخصيص الله إياه بالقرآن والنبوة بأن قالوا (ءأنزل عليه الذكر من بيننا) أي كيف أنزل على محمد القرآن من بيننا وليس بأكبر سناً منا ولا بأعظم

شرفا فقال سبحانه (بل هم في شك من ذكري) أي ليس يحملهم على هذا القول إلا الشك في الذكر الذي أنزلته على رسولي (بل لما يذوقوا عذاب) وهذا تهديد لهم والمعنى انهم سيذوقونه ثم اجابهم عن انكارهم نبوته بقوله (ام عندهم خزائن رحمة ربك) يقول أبأيديهم مفاتيح النبوة والرسالة فيضعونها حيث شاؤوا أي انها ليست بأيديهم ولكنها بيد (العزيز) في ملكه (الوهاب) كثير الهبات والعطايا على حسب المصالح فيختار للنبوة من يشاء من عباده ونظيره قوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين (أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما) فيتهيأ لهم ان يمنعوا الله من مراده (فليرتقوا) أي إن ادعوا ذلك فليصعدوا (في الاسباب) أي في ابواب السماء وطرقها عن مجاهد وقتادة وقيل الأسباب الحيل أي فليحتالوا في أسباب توصلهم إلى السموات ليأتوا بالوحي إلى من اختاروا

قوله تعالى (١١) جُندٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ (١٢) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ (١٣) وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ (١٤) إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ (١٥) وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم من فواق بضم الفاء والباقون بفتحها

الحجة

وهما لغتان مثل قصاص الشعر وقصاصه وجمام المكوك وجمامه وهو من الافاقة وما بين الرضعتين فواق وقيل بينهما فرق فبالفتح يكون بمعنى الراحة وبالضم بمعنى المهلة والانتظار عن ابي عبيدة والفراء

اللغة

هنالك اشارة إلى المكان البعيد وهناك بين البعيد والقريب وهنا للقريب ومثله ذا وذاك وذلك . والاحزاب جمع حزب وهو الجماعة التي تجتمع من كل اوب وقال الزجاج ما لها من فواق اي رجوع وفواق الناقة مشتق من الرجوع ايضا لأنه يعود اللبن إلى الضرع بين الحلبتين وافاق من مرضه اي رجع الى الصحة

الاعراب

ما مزيدة في قوله جند ما مثلها في قول الاعشى

فاذهبا ما اليك ادركني الحلم عداني عن هيجكم اشغالي

وجند مبتدأ وهنالك صفة له اي جند ثابت هنالك . ومهزوم خبر مبتدأ ويجوز ان يكون هنالك ظرفا لمهزوم اي جند مهزوم في ذلك الموضع . كذبت قبلهم قوم نوح يجوز ان يقف على قوله نوح ويكون عاد مبتدأ ما بعده معطوف عليه ويكون اولئك الأحزاب خبرا عن الجميع ويجوز ان يكون الخبر قوله ان كل إلا كذب الرسل ويجوز ان يكون اولئك الاحزاب ابتداء ويقف على قوم لوط

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن الكفار انهم سيهزمون ببدر فقال (جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب) قال

قتادة اخبر الله سبحانه وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وهنالك اشارة إلى بدر ومصارعهم بها اي هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند مهزومون مغلوبون من جملة الكفار الذين تحزبوا على الانبياء وانت منصور عليهم مظفر غالب وقيل هم احزاب الذين حاربوا نبينا ﷺ يوم الخندق ووجه اتصاله بما قبله ان المعنى كيف يرتقون إلى السماء وهم فرق من قبائل شتى مهزومون (كذبت قبلهم) أسي قبل هؤلاء الكفار (قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد) وقيل في معناه اقوال « احدها » انه كانت له ملاعب من اوتاد يلعب له عليها عن ابن عباس وقتادة وعطا « والثاني » انه كان يعذب الناس بالأوتاد وذلك انه إذا غضب على احد وتد يديه ورجليه ورأسه على الأرض عن السدي والربيع بن انس ومقاتل والكلبي « والثالث » ان معناه ذو البنيان والبنيان اوتاد عن الضحاك « والرابع » ان المعنى ذو الجنود والجموع الكثيرة بمعنى انهم يشدون ملكه ويقوون امره كما يقوي الوتد الشيء عن الجبائي والقتيبي والعرب تقول هو في عز ثابت الاوتاد والاصل فيه ان بيوتهم انما تثبت بالاوتاد قال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بأنعم عيشة ... في ظل ملك ثابت الاوتاد

﴿ والخامس ﴾ انه سمي ذو الاوتاد لكثرة جيوشه السائرة في الارض وكثرة اوتاد خيامهم فعبر بكثرة الاوتاد عن كثرة الاجناد (وثمود) يعني قوم صالح (وقوم لوط واصحاب الايكة) وهم قوم شعيب (اولئك الأحزاب) لما ذكر سبحانه هؤلاء المكذبين أعلمنا أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب ومعناه هم الأحزاب حقا اي احزاب الشيطان كما يقال هم هم قال

وان الذي حانت بفلج دماؤهم ... هم القوم كل القوم يا أم خالد

(وان كل إلا كذب الرسل) اي ما كل حزب منهم إلا كذب الرسل (فحق عقاب) اي فوجب عليهم عقابي بتكذيبهم رسلي (وما ينظر) اي وما ينتظر (هؤلاء) يعني كفار مكة (إلا صيحة واحدة) وهي النفخة الاولى في الصور (ما لها من فواق) اي لا يكون لتلك الصيحة افاقة بالرجوع إلى الدنيا عن قتادة والسدي والمراد ان عقوبة امة محمد ﷺ بعذاب الاستئصال مؤخرة الى يوم القيامة وعقوبة سائر الأمم معجلة في الدنيا كما قال بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر قال الفراء إذا ارتضعت البهيمة امها ثم تركتها حتى تنزل فتلك الافاقة والفواق ثم قيل لكل راحة وانظار للاستراحة فواق وقيل معناه ما لها مثنوية اي صرف ورد عن الضحاك وقيل ما لها من فتور كما يفتر المريض عن ابن زيد

قوله تعالى (١٦) وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٧) اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ (١٨) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (١٩) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (٢٠) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ

خمس آيات

﴿ اللغة ﴾

القط الكتاب قال الاعشى

ولا الملك النعمان يوم لقيته ... بنعمته يعطي القطوط ويأفق

اي كتب الجوائز واشتقاقها من القط وهو القطع لأنها تقطع النصيب لكل واحد بما كتب فيها والقط النصيب ايضا قال ابو عبيدة والقط الحساب وفي الأثر ان عمر وزيدا كانا لا يريان ببيع القطوط باسا اذا خرجت والفقهاء لا يجيزونه وهي الجوائز والارزاق وقولهم ما رأيته قط اي قطع الدهر الذي مضى

❊ المعنى ❊

(وقالوا) يعني هؤلاء الكفار الذين وصفهم (ربنا عجل لنا قطنا) اي قدم لنا نصيبا من العذاب (قبل يوم الحساب) قالوه على وجه الاستهزاء بخبر الله عز وجل عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه أرنا حظنا من النعيم في الجنة حتى نؤمن عن السدي وسعيد بن جبير وقيل لما نزل واما من أوتي كتابه بيمينه واما من أوتي كتابه بشماله قالت قريش زعمت يامحمد أنا نؤتى كتابنا بشمالنا فعجل لنا كتبنا التي نقرؤها في الآخرة استهزاء منهم بهذا الوعيد وتكذيبا به عن ابي العالية والكلبي ومقاتل فقال الله سبحانه لنبيه ﷺ (اصبر) يا محمد اي احبس نفسك (على مايقولون) من تكذيبك فإن وبال ذلك يعود عليهم (واذكر عبدنا داود ذا الأيد) اي ذا القوة على العبادة عن ابن عباس ومجاهد وذكر انه يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر كان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك أشد الصوم وقيل ذا القوة على الاعداء وقهرهم وذلك لأنه رمى بحجر من مقلاعه صدر رجل فأنفذه من ظهره فأصاب آخر فقتله وقيل معناه ذا التمكين العظيم والنعم العظيمة وذلك انه كان يبيت كل ليلة حول محرابه الوف كثيرة من الرجال (انه اواب) اي تواب راجع عن كل ما يكره الله تعالى الى كل ما يحب من آب يؤب اذا رجع عن مجاهد وابن زيد وقيل مسبح عن سعيد ابن جبير وقيل مطيع عن ابن عباس (انا سخرنا الجبال معه يسبحن) لله إذا سبح ويحتمل ان يكون الله سبحانه خلق في الجبال التسبيح ويمكن أن يكون بنى فيها بنية يأتي فيها التسبيح (بالعشي والإشراق) اي بالرواح والصباح (والطير) اي وسخرنا الطير (محشورة) اي مجموعة اليه تسبح الله تعالى معه (كل)يعني كل الطير والجبال (له اواب) رجاع الى ما يريد مطيع له بالتسبيح معه قال الجبائي لا يمتنع ان يكون الله تعالى خلق في الطيور من المعارف ما تفهم به أمر داود (ع) ونهيه فتطيعه فيما يريد منها وان لم تكن كاملة العقل مكلفة (وشددنا ملكه) اي قوينا ملكه بالحرس والجنود والهيبة وكثرة العدد والعدة (وآتيناه الحكمة) وهي النبوة وقيل الإصابة في الأمور وقيل العلم بالله وشرائعه عن ابي العالية والجبائي (وفصل الخطاب) يعني الشهود والايمان وان البينة على المدعي واليمين على من انكر لأن خطاب الخصوم لا ينفصل ولا ينقطع الا بهذا وهو قول الأكثرين وقيل فصل الخطاب هو العلم بالقضاء والفهم عن ابن مسعود والحسن ومقاتل وقتادة وقال البلخي يجوز ان يكون المراد بتسبيح الجبال معه ما اعطاه الله تعالى من حسن الصوت بقراءة الزبور فكان اذا قرأ الزبور او رفع صوته بالتسبيح بين الجبال ردت الجبال عليه مثله من الصدى فسمى الله ذلك تسبيحا

قوله تعالى (٢١) وَهَلْ أَتَيكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (٢٢) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (٢٣) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ (٢٤) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ

كَثِيراً مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ (٢٥) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَئَابٍ خمس آيات

=« القراءة »=

في الشواذ قراءة ابي رجاء وقتادة ولا تشطط بفتح التاء وضم الطاء وقراءة الحسن والأعرج نعجة ولي نعجة بكسر النون وقراءة ابي حيوة وعزني بتخفيف الزاي وقراءة عمر بن الخطاب فتناه بتشديد التاء والنون وقراءة قتادة وابي عمرو وفي بعض الروايات الشاذة فتناه بتخفيف النون

﴿ الحجة ﴾

اما قراءة ولا تشطط من شط يشط ويشط اذا بعد قال عنترة

شطت مزار العاشقين فاصبحت عسراً علي طلابك ابنة مخرم

قال ابن جني معناه بعدت عن مزار العاشقين ولما بالغ في ذكر استضراره بها خاطبها بذلك لأنه ابلغ فعدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب فقال طلابك فأما النعجة فهي لغة في النعجة ومثله لقوة ولَقْوة وقوم شجعة وشجعة اي شجعان واما عزني بالتخفيف فيمكن ان يكون اصله عزّني غير انه خفف بحذف الزاي الثانية أو الأولى كما قالوا في مسست وظللت مست وظلت واما قوله فتناه فإنما هو فعلناه للمبالغة واما فتناه بتخفيف النون فإن المراد بالتثنية هنا الملكان اللذان اختصما اليه اي اختبراه

﴿ اللغة ﴾

الخصم هو المدعي على غيره حقا من الحقوق والمنازع له فيه ويعبر به عن الواحد والاثنين والجماعة بلفظ واحد لأن اصله المصدر فيقال رجل خصم ورجلان خصم ورجال خصم يقال خاصمته فخصمته اخصمه خصما. والتسور الاتيان من جهة السور يقال تسور فلان الدار اذا أتاها من جهة سورها. والمحراب مجلس الاشراف الذي يحارب دونه لشرف صاحبه ومنه سمي المصلي محرابا وموضع القبلة محرابا واشط الرجل في حكمه اذا جار فهو مشط وشط عليه في السوم يشط شططا قال

ألا يا لقومي قد اشطت عواذلي ويزعمن ان اودي بحقي باطلي

=(الإعراب)=

اذ دخلوا بدل من قوله اذ تسوروا وقيل ان التسور في زمان غير زمان الدخول. خصمان خبر مبتدأ محذوف اي نحن خصمان. وقليل ماهم هم مبتدأ وقليل خبره وما زائدة ويجوز ان يكون ما بمعنى الذين وهم مبتدأ والخبر محذوف اي وقليل الذين هم كذلك

﴿ المعنى ﴾

لما ذكر سبحانه انه آتى داود الحكمة وفصل الخطاب عقبه بذكر من تخاصم اليه فقال (وهل أتاك) يا محمد (نبوء الخصم) اي هل بلغك خبرهم والمراد بالاستفهام هنا الترغيب في الاستماع والتنبيه على موضع اخلاله ببعض ما كان ينبغي ان يفعله (اذ تسوروا المحراب) اي حين صعدوا اليه المحراب وأتوه من اعلى

سوره وهو مصلاه وإنما جمعهم لأنه اراد المدعي والمدعى عليه ومن معهما وقد تعلق به من قال ان اقل الجمع اثنان واجيب عن ذلك بأنه اراد الفريقين (اذ دخلوا على داود ففزع منهم) لدخولهم عليه في غير الوقت الذي يحضر فيه الخصوم من غير الباب الذي كان يدخل الخصوم منه ولأنهم دخلوا عليه بغير اذنه (قالوا لا تخف خصمان) اي فقالوا لداود نحن خصمان (بغى بعضنا على بعض) فجئناك لتقضي بيننا وذلك قوله (فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط) اي ولا تجر علينا في حكمك ولا تجاوز الحق فيه بالميل لأحدنا على صاحبه (واهدنا الى سواء الصراط) اي دلنا وارشدنا الى وسط الطريق الذي هو طريق الحق ثم حكى سبحانه ما قاله احد الخصمين لصاحبه بقوله) ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة) قال الخليل النعجة هي الانثى من الضأن والبقر الوحشية والشاة الجبلية والعرب تكني عن النساء بالنعاج والظباء والشاة قال الأعشى

فرميت غفلة عينه عن شاته ... فأصبت حبة قلبها وطحالها

قال عنترة

يا شاة ما قنص لمن حلت له ... حرمت عليه وليتها لم تحرم

(فقال أكفلنيها) اي ضمها الي واجعلني كافلها الذي يلزم نفسه القيام بها وحياطتها والمعنى اعطنيها وقيل معناه انزل لي عنها حتى تصير في نصيبي عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد (وعزني في الخطاب) اي غلبني في مخاطبة الكلام وقيل معناه انه ان تكلم كان ابين مني وان بطش كان اشد مني وان دعا كان اكثر مني عن الضحاك (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال نعجتك) معناه ان كان الأمر على ما تدعيه لقد ظلمك بسؤاله اياك بضم نعجتك (الى نعاجه) فاضاف المصدر الى المفعول به (وان كثيرا من الخلطاء) اي الشركاء المخالطين جمع الخليط (ليبغي بعضهم على بعض) ثم استثنى من جملة الخلطاء الذين يبغي بعضهم على بعض الذين آمنوا فقال (الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اي فإنهم لا يظلم بعضهم بعضا (وقليل ما هم) اي وقليل هم وما مزيدة (وظن داود أنما فتناه)اي وعلم داود انا اختبرناه وابتليناه وقيل إنا شددنا عليه في التعبد عن علي بن عيسى وقيل اراد الظن المعروف الذي هو خلاف اليقين (فاستغفر ربه) اي سأل الله سبحانه المغفرة والستر عليه (وخر راكعا) اي صلى لله تعالى (وأناب) اليه وقيل سقط ساجدا لله تعالى ورجع اليه وقد يعبر عن السجود بالركوع قال الشاعر

فخر على وجهه راكعا ... وتاب الى الله من كل ذنب

قال الحسن انما قال وخر راكعا لأنه لا يصير ساجدا حتى يركع وقال مجاهد مكث اربعين يوما ساجداً لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة يقيمها او لحاجة لا بد منها (فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى) اي قربى وكرامة (وحسن مآب) في الجنة واختلف في استغفار داود (ع) من اي شيء كان فقيل انه حصل منه على سبيل الانقطاع إلى الله تعالى والخضوع له والتذلل بالعبادة والسجود كما حكى سبحانه عن ابراهيم «ع» بقوله والذي اطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين واما قوله فغفرنا له ذلك فالمعنى انا قبلناه منه وأثبناه عليه فأخرجه على لفظ الجزاء مثل قوله يخادعون الله وهو خادعهم وقوله الله يستهزئ بهم فلما كان المقصود من الاستغفار والتوبة القبول قيل في جوابه غفرنا وهذا قول من ينزه الأنبياء عن جميع الذنوب من الإمامية وغيرهم ومن جوز على الأنبياء الصغائر قال ان استغفاره كان لذنب صغير وقع منه ثم انهم

اختلفوا في ذلك على وجوه * احدها * ان أوريا بن حيان خطب امرأة وكان أهلها أرادوا أن يزوجوها منه فبلغ داود جمالها فخطبها ايضا فزوجوها منه فقدموه على اوريا فعوتب داود على الحرص على الدنيا عن الجبائي * وثانيها * انه اخرج اوريا إلى بعض ثغوره فقتل فلم يجزع عليه جزعه على أمثاله من جنده إذ مالت نفسه إلى نكاح امرأته فعوتب على ذلك بنزول الملكين * وثالثها * انه كان في شريعته ان الرجل إذا مات وخلف امرأة فأولياؤه أحق بها الا ان يرغبوا عن التزويج بها فحينئذ يجوز لغيرهم أن يتزوج بها فلما قتل اوريا خطب داود «ع» امرأته ومنعت هيبة داود وجلالته اولياءه ان يخطبوها فعوتب على ذلك * ورابعها * ان داود كان متشاغلا بالعبادة فأتاه رجل وامرأة متحاكمين اليه فنظر إلى المرأة ليعرفها بعينها وذلك نظر مباح فمالت نفسه اليها ميل الطباع ففصل بينهما وعاد إلى عبادة ربه فشغله الفكر في امرها عن بعض نوافله فعوتب «وخامسها» انه عوتب على عجلته في الحكم قبل التثبت وكان يجب عليه حين سمع الدعوى من احد الخصمين ان يسأل الآخر عما عنده فيها ولا يحكم عليه قبل ذلك وانما أنساه التثبت في الحكم فزعه من دخولها عليه في غير وقت العادة واما ما ذكر في القصة ان داود كان كثير الصلاة فقال يا رب فضلت علي ابراهيم فاتخذته خليلا وفضلت علي موسى فكلمته تكليما فقال يا داود انا ابتليناهم بما لم نبتلك بمثله فإن شئت ابتليتك فقال نعم يا رب فابتلني فبينا هو في محرابه ذات يوم إذ وقعت حمامة فأراد أن يأخذها فطارت إلى كوة المحراب فذهب ليأخذها فاطلع من الكوة فإذا امرأة اوريا بن حيان تغتسل فهويها وهم بتزويجها فبعث باوريا إلى بعض سراياه وأمر بتقديمه امام التابوت الذي فيه السكينة ففعل ذلك وقتل فلما انقضت عدتها تزوجها وبنى بها فولد له منها سليمان فبينا هو ذات يوم في محرابه يقرأ إذ دخل عليه رجلان ففزع منهما فقالا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض إلى قوله وقليل ما هم فنظر احد الرجلين إلى صاحبه ثم ضحك فتنبه داود على انهما ملكان بعثهما الله اليه في صورة خصمين ليبكتاه على خطيئته فتاب وبكى حتى نبت الزرع من كثرة دموعه فمما لا شبهة في فساده فإن ذلك مما يقدح في العدالة فكيف يجوز ان يكون انبياء الله الذين هم أمناؤه على وحيه وسفراؤه بينه وبين خلقه بصفة من لا تقبل شهادته وعلى حالة تنفر عن الاستماع اليه والقبول منه جل انبياء الله عن ذلك وقد روي عن امير المؤمنين «ع» انه قال لا اوتى برجل يزعم ان داود تزوج امرأة اوريا إلا جلدته حدين حدا للنبوة وحدا للإسلام وقال ابو مسلم لا يمتنع ان يكون الداخلان على داود كانا خصمين من البشر وان يكون ذكر النعاج محمولا على الحقيقة دون الكناية وإنما خاف منهما لدخولهما من غير اذن وعلى غير مجرى العادة وإنما عوتب على انه حكم بالظلم على المدعى عليه قبل ان يسأله

قوله تعالى (٢٦) يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ (٢٧) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٨) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ (٢٩) كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ

وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ اربع آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر والاعمش والبرجمي لتدبروا بالتاء وتخفيف الدال والباقون بالياء وتشديد الدال

الحجة

لتدبروا اصله لتتدبروا فحذفت التاء الثانية التي هي فاء الفعل وقوله ليدبروا اصله ليتدبروا فادغم التاء في الدال

اللغة

الخليفة هو المدبر للأمور من قبل غيره بدلا من تدبيره وفلان خليفة الله في ارضه معناه انه جعل اليه تدبير عباده بأمره

المعنى

ثم ذكر سبحانه اتمام نعمته على داود «ع» بقوله (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض)أي صيرناك خليفة تدبر امور العباد من قبلنا بأمرنا وقيل معناه جعلناك خلف من مضى من الأنبياء في الدعاء إلى توحيد الله تعالى وعدله وبيان شرائعه عن ابي مسلم (فاحكم بين الناس بالحق) أي افصل أمورهم بالحق وضع كل شيء موضعه (ولا تتبع الهوى) أي ما يميل طبعك اليه ويدعو هواك اليه إذا كان مخالفا للحق (فيضلك عن سبيل الله) معناه انك إذا اتبعت الهوى عدل الهوى بك عن سبيل الحق الذي هو سبيل الله (ان الذين يضلون عن سبيل الله) أي يعدلون عن العمل بما أمرهم الله (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) أي لهم عذاب شديد يوم الحساب بتركهم طاعات الله في الدنيا عن عكرمة والسدي ويكون على هذا يتعلق يوم الحساب بعذاب شديد وقيل معناه لهم عذاب شديد باعراضهم عن ذكر يوم القيامة فيكون يوم متعلقا بنسوا (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا) لا غرض فيه حكمي بل خلقناهما لغرض حكمي وهو ما في ذلك من اظهار الحكمة وتعريض انواع الحيوان للمنافع الجليلة وتعريض العقلاء منهم للثواب العظيم وهذا ينافي قول اهل الجبر ان كل باطل وضلال فهو من فعل الله (ذلك ظن الذين كفروا) بالله وجحدوا حكمته (فويل للذين كفروا من النار) ظاهر المعنى ثم قال سبحانه على وجه التوبيخ للكفار على وجه الاستفهام (أم نجعل الذين آمنوا) معناه بل أنجعل الذين صدقوا الله ورسله (وعملوا الصالحات) والطاعات (كالمفسدين في الأرض) العاملين بالمعاصي (أم نجعل المتقين كالفجار) اي بل أنجعل المتقين الذين اتقوا المعاصي لله خوفا من عقابه كالفجار الذين عملوا بالمعاصي وتركوا الطاعات اي ان هذا لا يكون ابدا ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (كتاب أنزلناه اليك مبارك) اي هذا القرآن كتاب منزل اليك مبارك اي كثير نفعه وخيره فإن في التدين به يستبين الناس ما أنعم الله عليهم (ليدبروا آياته) اي ليتفكر الناس ويتعظوا بمواعظه (وليتذكر اولوا الالباب) اي اولوا العقول فهم المخاطبون به

قوله تعالى (٣٠) وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٣١) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ (٣٢) فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ (٣٣) رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٤) وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ

جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ (٣٥) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٣٦) فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (٣٧) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (٣٨) وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٣٩) هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٤٠) وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَئَابٍ احدى عشرة آية

اللغة

الصافنات جمع الصافنة من الخيل وهي التي تقوم على ثلاثة قوائم وترفع إحدى يديها حتى تكون على طرف الحافر يقال صفنت الخيل تصفن صفونا إذا وقفت كذلك قال الشاعر

الف الصفون فلا يزال كأنه ... مما يقوم على الثلاث كسيرا

والجياد جمع جواد والياء هاهنا منقلبة عن واو والاصل جواد وهي السراع من الخيل كأنها تجود بالركض وقيل هو جمع جود فيكون مثل سوط وسياط والكرسي السرير وأصله من التكرس وهو الاجتماع ومنه الكراسة لاجتماعها والرخاء الريح اللينة وهي من رخاوة المرور وسهولته والاصفاد جمع صفد وهو الغل ومنه يقال للعطاء صفد لأنه يرتبط بشكره كما قيل « ومن وجد الإحسان قيدا تقيدا »

الإعراب

حب الخير نصب على انه مفعول به والتقدير اخترت حب الخير وعن في قوله عن ذكر ربي بمعنى على وعلى هذا فيكون احببت بمعنى استحببت مثل ما في قوله الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة أي يؤثرونها وقال ابو علي أحببت بمعنى قعدت وازمت من قولهم أحب البعير إذا برك وقوله حب الخير مفعول له أي ازمت الأرض لحب الخير معرضا عن ذكر ربي فعن في موضع نصب على الحال وذكر مصدر مضاف إلى المفعول ويجوز ان يكون مضافا إلى الفاعل أي عما ذكرني ربي حيث امرني في التوراة بإقامة الصلاة. توارت بالحجاب أي توارت الشمس ولم يجر لها ذكر لأنه شيء قد عرف كقوله سبحانه إنا أنزلناه يعني القرآن ولم يجر له ذكر وقوله كل من عليها فان يعني الارض قال الزجاج في الآية دليل يدل على الشمس وهو قوله إذ عرض عليه فهو في معنى عرض عليه بعد زوال الشمس حتى توارت الشمس بالحجاب قال وليس يجوز الاضمار إلا ان يجري ذكر او دليل بمنزلة الذكر وقوله مسحا مصدر فعل محذوف وهو خبر طفق التقدير فطفق يمسح مسحا وقوله رخاء منصوب على الحال والعامل فيه تجري فهو حال من حال لأن تجري في محل نصب بكونه حالا وكل بناء بدل من الشياطين بدل البعض من الكل وقوله بغير حساب في موضع نصب على الحال تقديره غير محاسب

المعنى

ثم عطف سبحانه على قصة داود «ع» حديث سليمان فقال (ووهبنا لداود سليمان) أي وهبناه له ولدا (نعم العبد) أي نعم العبد سليمان (انه أواب) أي رجاع إلى الله تعالى في أمور دينه ابتغاء مرضاته (إذ عرض عليه) يجوز ان يتعلق إذ بنعم العبد أي نعم العبد هو حين عرض عليه ويجوز ان يتعلق باذكر يا محمد المحذوف لدلالة الكلام عليه (بالعشي) أي في آخر النهار بعد زوال الشمس (الصافنات) الخيل الواقفة على ثلاث قوائم الواضعة طرف السنبك الرابع على الارض (الجياد) السريعة المشي الواسعة الخطو قال مقاتل انه ورث من ابيه الف فرس وكان ابوه قد اصاب ذلك من العمالقة وقال الكلبي غزا سليمان دمشق ونصيبين فأصاب الف فرس وقال الحسن كانت خيلا خرجت من البحر لها اجنحة وكان سليمان قد صلى الصلاة الاولى وقعد على كرسيه والخيل تعرض

عليه حتى غابت الشمس (فقال اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي) والمراد بالخير الخيل هنا فإن العرب تسمي الخيل الخير عن قتادة والسدي فالمعنى آثرت حب الخيل عن ذكر ربي أي على ذكر ربي قال الفراء كل من أحب شيئا فقد آثره وفي قراءة ابن مسعود حب الخيل وسمى النبي ﷺ زيد الخيل زيد الخير وقال ﷺ الخير معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة وقيل معناه حب المال عن سعيد بن جبير والخيل مال والخير بمعنى المال كثير في التنزيل وقيل ان هذه الخيل كانت شغلته عن صلاة العصر حتى فات وقتها عن علي (ع) وقتادة والسدي وفي روايات اصحابنا انه فاته اول الوقت وقال الجبائي لم يفته الفرض وانما فاته نفل كان يفعله آخر النهار لاشتغاله بالخيل وقيل ان ذكر ربي كناية عن كتاب الله التوراة فالمعنى اني احببت الخيل عن كتاب الله وكما ان ارتباط الخيل ممدوح في كتابنا كذلك كان في كتابهم عن ابي مسلم (حتى توارت بالحجاب) اي غربت الشمس عن ابن مسعود وجماعة من المفسرين وجاز وان لم يجر للشمس ذكر كما قال لبيد

حتى إذا ألقت يدا في كافر وأجن عورات الثغور ظلامها

وقيل الضمير للخيل يعني حتى توارت الخيل بالحجاب بمعنى انها شغلت فكره إلى تلك الحال وهي غيبوبتها عن بصره وذلك بأنه أمر باجراء الخيل فأجريت حتى غابت عن بصره عن ابي مسلم وعلي بن عيسى (ردوها علي) أي قال لأصحابه ردوا الخيل علي عن اكثر المفسرين وقيل معناه انه سأل الله تعالى ان يرد الشمس عليه فردها عليه حتى صلى العصر فالهاء في ردوها كناية عن الشمس عن علي بن ابي طالب (ع) (فطفق مسحا بالسوق والاعناق) قيل فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان المسح هاهنا القطع والمعنى انه اقبل يضرب سوقها واعناقها لأنها كانت سبب فوت صلاته عن الحسن ومقاتل وقال ابو عبيدة تقول العرب مسح علاوته أي ضرب عنقه وقيل انه انما فعل ذلك لأنها كانت اعز ماله فتقرب إلى الله تعالى بأن ذبحها ليتصدق بلحومها ويشهد بصحته قوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه فجعل يمسح اعراف خيله وعراقيبها بيده حبا لها عن ابن عباس والزهري وابن كيسان قال ابن عباس سألت عليا (ع) عن هذه الآية فقال ما بلغك فيها يا ابن عباس قلت سمعت كعبا يقول اشتغل سليمان بعرض الافراس حتى فاتته الصلاة فقال ردوها علي يعني الافراس كانت اربعة عشر فأمر بضرب سوقها واعناقها بالسيف فقتلها فسلبه الله ملكه أربعة عشر يوما لأنه ظلم الخيل بقتلها فقال علي (ع) كذب كعب لكن اشتغل سليمان بعرض الافراس ذات يوم لأنه اراد جهاد العدو حتى توارت الشمس بالحجاب فقال بأمر الله تعالى للملائكة الموكلين بالشمس ردوها علي فردت فصلى العصر في وقتها وان انبياء الله لا يظلمون ولا يأمرون بالظلم لأنهم معصومون مطهرون ﴿ وثالثها ﴾ انه مسح اعناقها وسوقها وجعلها مسبلة في سبيل الله تعالى وقيل لتغلب ان قطربا يقول مسحها وبارك عليها فأنكر ذلك وقال القول ما قال الفراء انه ضرب اعناقها وسوقها ثم قال سبحانه (ولقد فتنا سليمان) أي اختبرناه وابتليناه وشددنا المحنة عليه (والقينا على كرسيه جسدا) أي وطرحنا عليه جسدا والجسد الذي لا روح فيه ثم اناب سليمان واختلف العلماء في زلته وفتنته والجسد الذي القي على كرسيه على أقوال « منها » ان سليمان قال يوما في مجلسه لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تلد كل امرأة منهن غلاما يضرب بالسيف في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق ولد رواه ابو هريرة عن النبي ﷺ قال ثم قال فوالذي نفس محمد بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا فالجسد الذي القي على كرسيه كان هذا ثم أناب الى الله تعالى وفزع الى الصلاة والدعاء على وجه الانقطاع اليه سبحانه وهذا لا يقتضي انه وقع منه معصية صغيرة ولا كبيرة لأنه وان لم يستثن ذلك لفظا فلا بد من أن يكون قد استثناه ضميرا واعتقادا اذ لو كان قاطعا للقول بذلك لكان مطلقا لما لا يأمن من ان يكون كذبا الا انه لما لم يذكر لفظة الاستثناء عوتب على ذلك من حيث ترك ما هو مندوب اليه « ومنها » ما روي ان الجن والشياطين لما ولد لسليمان ابن قال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لنلقين منه ما لقينا

من ابيه من البلاء فأشفق منهم عليه فاسترضعه في المزن وهو السحاب فلم يشعر الا وقد وضع على كرسيه ميتا تنبيها على ان الحذر لا ينفع عن القدر فإنما عوتب على خوفه من الشياطين عن الشعبي وهو المروي عن ابي عبدالله (ع) « ومنها » انه ولد له ولد ميت جسد بلا روح فألقي على سريره عن الجبائي ومنها ان الجسد المذكور هو جسد سليمان لمرض امتحنه الله تعالى به وتقدير الكلام والقينا منه على كرسيه جسدا لشدة المرض فيكون جسداً منصوبا على الحال والعرب تقول في الانسان اذا كان ضعيفا هو جسد بلا روح ولحم على وضم (ثم أناب) اي رجع الى حال الصحة عن ابي مسلم واستشهد على ذلك بقوله تعالى ومنهم من يستمع اليك الى قوله يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين ولو اتى بالكلام على شرحه لقال يقول الذين كفروا منهم اي من المجادلين كما قال سبحانه محمد رسول الله الى قوله وعدالله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة ومثله قول الاعشى

وكأن السموط علقها السلـ ... ـك بعطفي جيداء ام غزال

ولو أتى بالشرح لقال علقها السلك منها وقال كعب بن زهير

زالوا فما زال انكاس ولا كشف ... عند اللقاء ولا ميل معازيل

ولو اتى بالشرح لقال فما زال منهم انكاس واماما ذكر عن ابن عباس انه ألقي شيطان اسمه صخر على كرسيه وكان ماردا عظيما لا يقوى عليه جميع الشياطين وكان نبي الله سليمان لا يدخل الكنيف بخاتمه فجاء صخر في صورة سليمان حتى أخذ الخاتم من امرأة من نسائه واقام اربعين يوما في ملكه وسليمان هارب وعن مجاهد ان شيطانا اسمه آصف قال له سليمان كيف تفتنون الناس قال ارني خاتمك اخبرك بذلك فلما اعطاه اياه نبذه في البحر فذهب ملكه وقعد الشيطان على كرسيه ومنعه الله تعالى نساء سليمان فلم يقربهن وكان سليمان يستطعم فلا يطعم حتى اعطته امرأة يوما حوتا فشق بطنه فوجد خاتمه فيه فرد الله عليه ملكه وعن السدي ان اسم ذلك الشيطان حيقيق وما ذكر ان السبب في ذلك ان الله سبحانه أمره ان لا يتزوج في غير بني اسرائيل فتزوج من غيرهم وقيل بل السبب فيه انه وطئ امرأة في حال الحيض فسال منه الدم فوضع خاتمه ودخل الحمام فجاء ابليس الشيطان وأخذه وقيل تزوج امرأة مشركة ولم يستطع ان يكرهها على الإسلام فعبدت الصنم في داره اربعين يوما فابتلاه الله بحديث الشيطان والخاتم اربعين يوما وقيل احتجب ثلاثة ايام ولم ينظر في أمر الناس فابتلي بذلك فإن جميع ذلك مما لا يعول عليه لأن النبوة لاتكون في خاتم ولا يجوز ان يسلبها الله لنبي ولا أن يمكن الشيطان من التمثل بصورة النبي والقعود على سريره والحكم بين عباده وبالله التوفيق ثم حكى سبحانه دعاء سليمان حين اناب الى الله تعالى بقوله (قال رب اغفرلي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك انت الوهاب) يسأل عن هذا فيقال ان هذا القول من سليمان يقتضي الضن والمنافسة لأنه لم يرض بأن يسأل الملك حتى اضاف الى ذلك ان يمنع غيره منه (واجيب) عنه باجوبة ﴿ احدها ﴾ أن الانبياء لا يسألون الا ما يؤذن لهم في مسألته وجائز ان يكون الله تعالى اعلم سليمان انه ان سأل ملكا لا يكون لغيره كان اصلح له في الدين واعلمه انه لا صلاح لغيره في ذلك ولو ان احدنا صرح في دعائه بهذا الشرط حتى يقول اللهم اجعلني اكثر اهل زماني مالا اذا علمت ان ذلك اصلح لي لكان ذلك منه حسنا جائزا ولا ينسب في ذلك الى شح وضن واختاره الجبائي ﴿ وثانيها ﴾ انه يجوز ان يكون التمس من الله تعالى آية لنبوته يبين بها من غيره واراد لا ينبغي لأحد غيري ممن انا مبعوث اليه ولم يرد من بعده الى يوم القيامة من النبيين كما يقال انا لا اطيع احدا بعدك اي لا اطيع احدا سواك ﴿ وثالثها ﴾ ما قاله المرتضى قدس الله روحه انه يجوز ان يكون إنما سأل ملك الآخرة وثواب الجنة ويكون معنى قوله لا ينبغي لأحد من بعدي لا يستحقه بعد وصولي اليه احد من حيث لا يصلح ان يعمل ما يستحق به ذلك لانقطاع التكليف ﴿ ورابعها ﴾ انه التمس معجزة تختص به كما ان موسى يختص

بالعصا واليد البيضاء واختص صالح بالناقة ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالمعراج والقرآن ويدل عليه ما روي مرفوعاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه صلى صلاة فقال ان الشيطان عرض لي ليفسد علي الصلاة فامكنني الله منه فدفعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا وتنظروا اليه اجمعين فذكرت قول سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله خاسئا خائبا اورده البخاري ومسلم في الصحيحين ثم بين سبحانه انه اجاب دعاه بقوله (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء) اي لينة سهلة عن ابن زيد وقيل طيبة سريعة عن قتادة وقيل مطيعة تجري الى حيث يشاء عن ابن عباس (حيث اصاب) اي حيث اراد سليمان من النواحي عن اكثر المفسرين وحقيقته حيث قصد والمعنى انه ينطاع له كيف اراد قال الحسن كان يغدو من ايليا ويقيل بقزوين ويبيت بكابل «سؤال» كيف وصف سبحانه الريح بالعاصف في قوله ولسليمان الريح عاصفة ووصفها هنا بخلافه «جوابه» يجوز ان يكون الله سبحانه جعلها عاصفة تارة ورخاء اخرى بحسب ما اراد سليمان (ع) (والشياطين) اي وسخرنا له الشياطين ايضا (كل بناء) في البر يبني له ما اراد من الأبنية الرفيعة (وغواص) في البحر على اللآلئ والجواهر فيستخرج له ما يشاء منها (وآخرين مقرنين في الاصفاد) اي وسخرنا له آخرين من الشياطين مشدودين في الأغلال والسلاسل من الحديد وكان يجمع بين اثنين وثلاثة منهم في سلسلة لا يمتنعون عليه اذا اراد ذلك بهم عند تمردهم وقيل انه إنما كان يفعل ذلك بكفارهم فإذا آمنوا اطلقهم (هذا عطاؤنا) اي هذا الذي تقدم ذكره من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك عطاؤنا (فامنن أو أمسك) اي فاعط من الناس من شئت وامنع من شئت والمن الاحسان الى من لا يستثيبه (بغير حساب) اي لا تحاسب يوم القيامة على ما تعطي وتمنع فيكون اهنأ لك عن قتادة والضحاك وسعيد بن جبير وقيل معناه بغير جزاء اي اعطيناكه تفضلا لا مجازاة عن الزجاج وقيل ان المعنى فانعم على من شئت من الشياطين باطلاقه او أمسك من شئت منهم في وثاقه وصرفه في عمله من غير حرج عليك فيما تفعله (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) معناه وان لسليمان عندنا لقربى وحسن مرجع في الآخرة وهذا من اعظم النعم اذ هي النعمة الباقية الدائمة

قوله تعالى (٤١) وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ (٤٢) ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ (٤٣) وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ (٤٤) وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ اربع آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر بنصب بضمتين وقرأ يعقوب بنصب بفتحتين والباقون بضم النون وسكون الصاد

الحجة

قال الزجاج النُّصب والنَّصب لغتان كالرشد والرشد والبخل والبخل تقول نصبت نصبا قال ابو عبيدة النصب البلاء والشر وانشد لبشر بن ابي حازم «تعناك نصب من اميمة منصب» ومن قرأ بنصب بضمتين فانه اتبع الصاد ما قبله فهي أربع لغات

اللغة

الركض الدفع بالرجل على جهة الاسراع ومنه ركض الفرس لإسراعه إذا دفعه برجله قال سيبويه يقال ركضت الدابة وركضتها فهو مثل جبر العظم وجبرته والضغث ملء الكف من الشجرة والحشيش والشماريخ وما أشبه ذلك

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصة ايوب (ع) فقال (واذكر) يا محمد (عبدنا ايوب) شرفه الله سبحانه بأنه أضافه إلى نفسه واقتد به في الصبر على الشدائد وكان في زمان يعقوب بن اسحاق وتزوج ليا بنت يعقوب (إذ نادى ربه) أي حين دعا ربه رافعا صوته يقول يا رب لأن النداء هو الدعاء بطريقة يا فلان ومتى قال اللهم افعل بي كذا وكذا كان داعيا ولا يكون مناديا (اني مسني الشيطان بنصب وعذاب) أي بتعب ومكروه ومشقة وقيل بوسوسة فيقول له طال مرضك ولا يرحمك ربك عن مقاتل وقيل بأن يذكره ما كان فيه من نعم الله تعالى من الأهل والولد والمال وكيف زال ذلك كله وحصل فيما هو فيه من البلية طمعا ان يزله بذلك ويجد طريقا إلى تضجره وتبرمه فوجده صابرا مسلما لأمر الله وقيل انه اشتد مرضه حتى تجنبه الناس فوسوس الشيطان إلى الناس أن يستقذروه ويخرجوه من بينهم ولا يتركوا امرأته التي تخدمه ان تدخل عليهم فكان أيوب يتأذى بذلك ويتألم منه ولم يشك الألم الذي كان من امر الله تعالى قال قتادة دام ذلك سبع سنين وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) قال أهل التحقيق انه لا يجوز ان يكون بصفة يستقذره الناس عليها لأن في ذلك تنفيرا فأما المرض والفقر وذهاب الاهل فيجوز أن يمتحنه الله بذلك فأجاب الله دعاءه وقال له (اركض برجلك) أي ادفع برجلك الارض (هذا مغتسل بارد وشراب) وفي الكلام حذف أي فركض رجله فنبعت بركضته عين ماء وقيل نبعت عينان فاغتسل من احدهما فبرئ وشرب من الآخر فروي عن قتادة والمغتسل الموضع الذي يغتسل منه وقيل هو اسم للماء الذي يغتسل به عن ابن قتيبة (ووهبنا له اهله ومثلهم معهم) هذا مفسر في سورة الانبياء وروي عن ابي عبد الله (ع) ان الله تعالى احيا له اهله الذين كانوا ماتوا قبل البلية واحيا له اهله الذين ماتوا وهو في البلية (رحمة منا) اي فعلنا ذلك به لرحمتنا اياه فيكون منصوبا بأنه مفعول له و يجوز ان يكون منصوبا على المصدر لما كانت الموهبة بمعنى الرحمة (وذكرى لأولي الألباب) أي ليتذكر ويعتبر به ذوو الالباب أي العقول ويعرفوا حسن عاقبة الصبر فيصبروا كما صبر قالوا انه اطعم جميع اهل قريته سبعة أيام وأمرهم بأن يحمدوا الله ويشكروه (وخذ بيدك ضغثا) وهو ملء الكف من الشماريخ وما اشبه ذلك أي وقلنا له ذلك وذلك انه حلف على امرأته لأمر انكره من قولها لئن عوفي ليضربنها مائة جلدة فقيل له خذ ضغثا بعدد ما حلفت به (فاضرب به) اي واضربها به دفعة واحدة فإنك إذا فعلت ذلك برت يمينك (ولا تحنث) في يمينك نهاه عن الحنث وروي عن ابن عباس انه قال كان السبب في ذلك ان ابليس لقيها في صورة طبيب فدعته لمداواة ايوب (ع) فقال اداويه على انه إذا برئ قال انت شفيتني لا أريد جزاء سواه قالت نعم فأشارت إلى ايوب بذلك فحلف ليضربنها وقيل انها كانت ذهبت في حاجة فأبطأت في الرجوع فضاق صدر المريض فحلف ثم اخبر سبحانه عن حال ايوب وعظم منزلته فقال (انا وجدناه صابرا) على البلاء الذي ابتليناه به (نعم العبد انه أواب) اي رجاع الى الله منقطع اليه وروى العياشي باسناده ان عباد المكي قال قال لي سفيان الثوري اني ارى لك من ابي عبد الله (ع) منزلة فاسأله عن رجل زنى وهو مريض فإن اقيم عليه الحد خافوا ان يموت ما تقول فيه فسألته فقال لي هذه المسألة من تلقاء نفسك او امرك بها انسان فقلت ان سفيان الثوري امرني ان أسألك عنها فقال ان رسول الله ﷺ أتي برجل أحبن قد استسقى بطنه وبدت عروق فخذيه وقد زنى بامرأة مريضة فأمر رسول الله ﷺ فأتي بعرجون فيه مائة شمراخ فضربه به ضربة وضربها به ضربة وخلى سبيلهما وذلك قوله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث

قوله تعالى (٤٥) وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٦) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٧) وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ (٤٨) وَاذْكُرْ

إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ (٤٩) هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ (٥٠) جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ (٥١) مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥٢) وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٣) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ (٥٤) إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ عشر آيات

❋ القراءة ❋

قرأ ابن كثير وحده واذكر عبدنا ابراهيم والباقون عبادنا وقرأ اهل المدينة وهشام بخالصة ذكرى الدار غير منون على الاضافة والباقون بالتنوين وخلافهم في واليسع مذكور في سورة الانعام وقرأ ابن كثير وابو عمرو ما يوعدون بالياء وابن كثير وحده يقرأ في سورة ق بالياء ايضا والباقون بالتاء في الموضعين وفي الشواذ قراءة الحسن والثقفي اولي الايد بغير ياء

❋ الحجة ❋

قال ابو علي من قرأ عبدنا فإنه اختصه بالإضافة على وجه التكرمة له والاختصاص بالمنزلة الشريفة كما قيل في مكة بيت الله ومن قرأ عبادنا اجرى هذا الوصف على غيره من الانبياء ايضا وجعل ما بعده بدلا من العباد والأول جعل ابراهيم بدلا وما بعده معطوفا على المفعول به المذكور وقوله بخالصة ذكرى الدار يحتمل امرين «احدهما» ان يكون ذكرى بدلا من الخالصة تقديره انا اخلصناهم بذكرى الدار ويجوز ان يقدر في قوله ذكرى التنوين فيكون الدار في موضع نصب تقديره بأن يذكروا الدار بالتأهب للآخرة «والثاني» ان لا يقدر البدل ولكن يكون الخالصة مصدرا فيكون مثل قوله من دعاء الخير ويكون المعنى بخالصة تذكر الدار ويقوي هذا الوجه ما روي من قراءة الأعمش بخالصتهم ذكرى الدار وهذا يقوي النصب فكأنه قال بأن اخلصوا تذكير الدار فإذا نونت خالصة احتمل أمرين ❋ احدهما ❋ ان يكون المعنى بأن خلصت لهم ذكرى الدار فيكون ذكرى في موضع رفع بأنه فاعل ❋ والآخر ❋ أن يقدر المصدر الذي هو خالصة من الإخلاص فحذفت الزيادة فيكون المعنى بإخلاص ذكرى فيكون ذكرى في موضع نصب والدار يجوز ان يعنى بها الدنيا ويجوز ان يعنى بها الآخرة والذي يدل على انه يجوز ان يراد بها الدنيا قوله تعالى في الحكاية عن ابراهيم واجعل لي لسان صدق في الآخرين وقوله وجعلنا لهم لسان صدق فاللسان هو القول الحسن والثناء عليه لا الجارحة كما في قول الشاعر

ندمت على لسان فات مني فليت بأنه في جوف علم

وكذلك قول الآخر

إني اتاني لسان لا أسر به من علو لا كذب فيه ولا سحر

وقوله تعالى وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم وسلام على نوح في العالمين والمعنى ابقينا عليهم الثناء الجميل في الدنيا فالدار في هذا التقدير ظرف والقياس ان يتعدى الفعل والمصدر اليه بالحرف ولكنه على ذهبت الشام عند سيبويه وكما عسل الطريق الثعلب «وأما» جواز كون الدار الآخرة في قوله أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار فيكون ذلك بإخلاصهم ذكرى الدار ويكون ذكرهم لها وجل قلوبهم منها ومن حسابها كما قال وهم من الساعة مشفقون فالدار على هذا مفعول بها وليست كالوجه المتقدم وأما من اضاف فقال بخالصة ذكرى الدار فإن الخالصة تكون على ضروب تكون للذكر وغير الذكر فإذا اضيفت إلى ذكرى اختصت الخالصة

بهذه الإضافة فتكون هذه الاضافة إلى المفعول به كأنه باخلاصهم ذكرى الدار أي بأن أخلصوا ذكرها والخوف منها لله ويكون على اضافة المصدر الذي هو الخالصة إلى الفاعل تقديره بأن خلصت لهم ذكرى الدار والدار على هذا يحتمل الوجهين اللذين تقدما من كونها للآخرة والدنيا فأما قوله وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا فيجوز في خالصة وجهان * احدهما * ان يكون مصدراً كالعاقبة * والآخر * ان يكون وصفاً وكلا الوجهين يحتمل الآية فيجوز ان يكون ما في بطون هذه الانعام ذات خلوص ويجوز ان يكون الصفة وانث على المعنى لأنه كثرة والمراد به الأجنة والمضامين فيكون التأنيث على هذا ومن قرأ الليسع جعله اسما على صورة الصفات كالحارث والعباس ألا ترى ان فيعلا مثل ضيغم وحيدر كثير في الصفات ووجه قراءة من قرأ واليسع ان الالف واللام قد يدخلان الكلمة على وجه الزيادة كما حكى ابو الحسن الخمسة عشر درهما قال

ولقد جنيتك اكمؤا وعساقلا ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

وبنات الاوبر ضرب من الكمأة معرفة فأدخل في المعرفة الألف واللام على وجه الزيادة فكذلك التي تكون في اليسع ومن قرأ هذا ما توعدون بالتاء فعلى معنى قل للمتقين هذا ما توعدون والياء على معنى وان للمتقين لحسن مآب هذا ما يوعدون والياء اعم لأنه يصلح ان يدخل فيه الغيب من الأنبياء واما في سورة ق فنحو هذا وازلفت الجنة للمتقين هذا ما توعدون ايها المتقون على الرجوع من الغيبة إلى الخطاب أو على قل لهم هذا ما توعدون والياء على اخبار النبي ﷺ بما وعدوا كأنه هذا ما يوعدون أيها النبي ومن قرأ اولي الأيد بغير ياء فإنه يحتمل ان يكون أراد الأيدي فحذف الياء تخفيفاً كقوله يوم يدع الداع ونحو ذلك ويحتمل ان يكون أراد بالأيد القوة في طاعة الله ويدل عليه انه مقرون بالابصار أي البصر بما يحظى عند الله وعلى هذا فالايدي هنا إنما هي جمع اليد التي هي القوة لا التي هي الجارحة ولا النعمة لكنه كقولك له يد في الطاعة

* الاعراب *

قال الزجاج جنات بدل من حسن مآب مفتحة لهم الأبواب أي مفتحة لهم الأبواب منها وقال بعضهم مفتحة لهم ابوابها والمعنى واحد إلا ان على تقدير العربية الأبواب منها اجود ان يجعل الالف واللام بدلا من الهاء والالف لأن معنى الالف واللام ليس من معنى الهاء والالف في شيء لأن الهاء والالف اسم والالف واللام دخلتا للتعريف ولا يبدل حرف جاء بمعنى من اسم ولا ينوب عنه قال ابو علي مفتحة صفة لجنات عدن وفي مفتحة ضمير يعود إلى جنات والأبواب بدل من ذلك الضمير لأنك تقول فتحت الجنان إذا فتحت أبوابها فيكون من بدل البعض من الكل نحو ضربت زيدا رأسه وفي القرآن وفتحت السماء فكانت ابوابا وليس جنات عدن معرفة إذ ليس عدن بعلم وإنما هو بمنزلة جنات اقامة وقوله هذا خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر هذا ويجوز ان يكون مبتدأ محذوف الخبر أي هذا امرهم

* المعنى *

ثم عطف سبحانه على ما تقدم حديث الأنبياء فقال (واذكر) يا محمد لقومك وأمتك (عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب) ليقتدوا بهم في حميد افعالهم وكريم خلالهم فيستحقوا بذلك حسن الثناء في الدنيا وجزيل الثواب في العقبى كما استحق أولئك وإذا قرئ عبدنا فيكون التقدير واذكر عبدنا ابراهيم خصه بشرف الإضافة إلى نفسه واذكر اسحاق ويعقوب وصفهم جميعا فقال (أولي الأيدي) اي ذوي القوة على العبادة (والابصار) الفقه في الدين عن ابن عباس ومجاهد وقتادة ومعناه اولي العلم والعمل فالأيدي العمل والابصار العلم عن ابي مسلم وقيل أولي الأيدي أولي النعم على عباد الله بالدعاء الى الدين والابصار جمع البصر وهو العقل (انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) اي جعلناهم لنا خالصين بأن خلصت لهم ذكرى الدار والخالصة بمعنى الخلوص والذكرى

بمعنى التذكير اي خلص لهم تذكير الدار وهو انهم كانوا يتذكرونها بالتأهب لها ويزهدون في الدنيا كما هو عادة الأنبياء وقيل المراد بالدار الدار الدنيا عن الجبائي وابي مسلم اي خصصناهم بالذكر في الاعقاب من بين أهل الدنيا (وانهم عندنا) وبحسب ما سبق في علمنا (لمن المصطفين) للنبوة وتحمل اعباء الرسالة (الاخيار) جمع خير كالاموات جمع ميت وهو الذي يفعل الأفعال الكثيرة الحسنة وقيل هي جمع خير فيكون كالأقيال جمع قيل وهذا مثل قوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين (واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل) اي اذكر لأمتك هؤلاء ايضا ليقتدوا بهم ويسلكوا طريقتهم وقد تقدم ذكرهم (وكل من الاخيار) قد اختارهم الله للنبوة (هذا ذكر) اي شرف لهم وذكر جميل وثناء حسن يذكرون به في الدنيا أبدا (وإن للمتقين لحسن مئاب) اي حسن مرجع ومنقلب يرجعون في الآخرة إلى ثواب الله ومرضاته ثم فسر حسن المآب بقوله (جنات عدن) فهي في موضع جر على البدل اي جنات إقامة وخلود (مفتحة لهم الأبواب) اي يجدون ابوابها مفتوحة حين يردونها ولا يحتاجون إلى الوقوف عند ابوابها حتى تفتح وقيل معناه لا يحتاجون إلى مفاتيح بل تفتح بغير مفتاح وتغلق بغير مغلاق قال الحسن بكلام يقال انفتحي انغلقي وقيل معناه انها معدة لهم غير ممنوعين منها وإن لم تكن ابوابها مفتوحة قبل مصيرهم اليها كما يقول الرجل لغيره متى نشطت لزيارتي فالباب مفتوح والدست مطروح (متكئين فيها) اي مستندين فيها إلى المساند جالسين جلسة الملوك (يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب) اي يتحكمون في ثمارها وشرابها فإذا قالوا لشيء منها اقبل حصل عندهم (وعندهم قاصرات الطرف) اي وعندهم في هذه الجنان ازواج قصرن طرفهن على ازواجهن راضيات بهم ما لهن في غيرهم رغبة والقاصر نقيض الماد يقال فلان قاصر طرفه عن فلان وماد عينه إلى فلان قال امرؤ القيس

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الأتب منها لأثرا

(اتراب) اي اقران على سن واحد ليس فيهن عجوز ولا هرمة وقيل امثال واشباه عن مجاهد اي متساويات في الحسن ومقدار الشباب لا يكون لواحدة على صاحبتها فضل في ذلك وقيل اتراب على مقدار سن الازواج كل واحدة منهن ترب زوجها لا تكون اكبر منه قال الفراء الترب اللدة مأخوذ من اللعب بالتراب ولا يقال إلا في الإناث قال عمر بن ابي ربيعة

ابرزوها مثل المهاة تهادى بين عشر كواعب اتراب

(هذا) يعني ما ذكر فيما تقدم (ما توعدون) اي يوعد به المتقون او يخاطبون فيقال لهم هذا القول (ليوم الحساب) اي ليوم الجزاء (ان هذا) الذي ذكرنا (لرزقنا) اي عطاؤنا الجاري المتصل (ماله من نفاد) اي فناء وانقطاع لأنه على سبيل الدوام عن قتادة وقيل انه ليس لشيء في الجنة نفاد ما أكل من ثمارها خلف مكانه مثله وما أكل من حيوانها وطيرها عاد مكانه حيا عن ابن عباس

قوله تعالى (٥٥) هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٦) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٧) هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٨) وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٩) هَٰذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٦٠) قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦١) قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ سبع آيات

(القراءة)

قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر غساق بالتشديد حيث كان في القرآن والباقون بالتخفيف وقرأ أهل

البصرة وأُخر بضم الألف والباقون آخر على التوحيد

(الحجة)

قال ابو علي أما الغساق بالتشديد فلا يخلو أن يكون اسما او وصفا فالاسم لا يجيئ على هذا الوزن الا قليلا نحو الكلاد والقذاف والجبار فينبغي ان يكون وصفا قد أقيم مقام الموصوف والاحسن ان لا تقام الصفة مقام الموصوف إلا ان تكون صفة قد غلبت نحو العبد والابطح والأبرق والقراءة بالتخفيف أحسن من حيث ذكرنا ومن قرأ وأُخر على الجمع كان أُخر مبتدأ ومن شكله في موضع صفته اي من ضربه وأزواج خبر المبتدأ لأنه جمع كالمبتدأ وقد وصفت النكرة فحسن الابتداء بها والضمير في شكله يعود إلى قوله حميم ويجوز أن يكون المعنى من شكل ما ذكرناه ومن قرأ وآخر على الافراد فآخر يرتفع بالابتداء في قول سيبويه وفيه ذكر مرفوع عنده وبالظرف في قول ابي الحسن ولا ذكر في الظرف لارتفاع الظاهر به فإن لم تجعل آخر مبتدأ في هذا الوجه خاصة قلت انه يكون ابتداء بالنكرة فلا احمل على ذلك ولكن لما قال حميم وغساق دل هذا الكلام على ان لهم حميا وغساقا فحمل المعطوف على المعنى فجعل لهم المدلول عليه خبرا آخر فهو قول وكأن التقدير لهم عذاب آخر من شكله أزواج فيكون من شكله في موضع الصفة ويكون ارتفاع أزواج به في قول سيبويه وابي الحسن ولا يجوز أن يجعل قوله من شكله أزواج في قول من قرأ وأُخر على الجمع وصفاً ويضمر الخبر كما فعلت ذلك في قول من وحد لأن الصفة لا يرجع منها ذكر إلى الموصوف ألا ترى ان ازواج إذا ارتفع بالظرف لم يجز أن يكون فيه ذكر مرفوع والهاء التي للافراد لا ترجع إلى الجمع في الوجه البين فتحصل الصفة بلا ذكر يعود منها إلى الموصوف وأما امتناع اخر من الصرف في النكرة فللعدل والوصف فمعنى العدل فيه ان هذا النحو لا يوصف به إلا بالالف واللام واستعملت اخر بلا الف ولام فصارت بذلك معدولة عن الالف واللام

(اللغة)

المهاد الفراش الموطأ يقال مهدت له تمهيداً مثل وطأت له توطئة والحميم الحار الشديد الحرارة ومنه الحمى لشدة حرارتها والغساق قيح شديد النتن يقال غسقت القرحة تغسق غسوقاً وقيل هو مشتق من الغسق وهو السواد والظلمة أي هو على ضد ما يراد في الشراب من الضياء والرقة عن ابي مسلم ومنه يقال ليل غاسق وغسقت عينه أظلمت وأغسق المؤذن المغرب أخره إلى الظلمة والشكل بفتح الشين الضرب المتشابه والشكل بالكسر النظير في الحسن وهو الدل ايضاً والاقتحام الدخول في الشيئ بشدة وصعوبة قال ابو عبيدة قولهم لا مرحباً به أي لا رحبت عليه الارض . القتيبي قولهم مرحباً بك أي أتيت رحباً وسعة قال النابغة

لا مرحباً بغد ولا أهلا به إن كان تفريق الأحبة في غد

❊ الإعراب ❊

هذا مبتدأ وحميم خبره وغساق معطوف عليه وفليذوقوه خبر بعد خبر والتقدير هذا حميم وغساق فليذوقوه ويجوز ان يكون هذا فليذوقوه مبتدأ وخبر وحميم خبر مبتدأ محذوف أي هو حميم ويجوز ان يكون هذا في موضع نصب بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر .

❊ المعنى ❊

لما بين سبحانه احوال اهل الجنة وما اعد لهم من جزيل الثواب عقبه ببيان أحوال أهل النار وما لهم من أليم العذاب فقال (هذا) اي ما ذكرناه للمتقين ثم ابتدأ فقال (وان للطاغين) الذين طغوا على الله وكذبوا رسله (لشر مآب) وهو ضد مآب المتقين ثم فسر ذلك فقال (جهنم يصلونها) أي يدخلونها فيصيرون صلاء لها

(فبئس المهاد) أي فبئس المسكن وبئس الممهد (هذا فليذوقوه حميم وغساق) أي هذا حميم وغساق فليذوقوه عن الفراء والزجاج وقيل معناه هذا الجزاء للطاغين فليذوقوه واطلق عليه لفظ الذوق لأن الذائق يدرك الطعم بعد طلبه فهو أشد احساساً به والحميم الماء الحار والغساق البارد الزمهرير عن ابن مسعود وابن عباس فيكون المعنى انهم يعذبون بحار الشراب الذي انتهت حرارته وببارد الذي انتهت برودته فيبرده يحرق كما يحرق النار وقيل ان الغساق عين في جهنم يسيل اليها سم كل ذات حمة من حية وعقرب عن كعب وقيل هو ما يسيل من دموعهم يسقونه مع الحميم عن السدي وقيل هو القيح الذي يسيل منهم يجمع ويسقونه عن ابن عمر وقتادة وقيل هو عذاب لا يعلمه إلا الله عن الحسن (وآخر) أي وضروب اخر (من شكله) أي من شكل هذا العذاب وجنسه (أزواج) أي ألوان وأنواع متشابهة في الشدة لا نوع واحد (هذا فوج مقتحم معكم) هاهنا حذف أي يقال لهم هذا فوج وهم قادة الضلالة إذا دخلوا النار ثم يدخل الاتباع فيقول الخزنة للقادة هذا فوج أي قطع من الناس وهم الاتباع مقتحم معكم في النار دخلوها كما دخلتم عن ابن عباس وقيل يعني بالأول أولاد ابليس وبالفوج الثاني بني آدم اي يقال لبني ابليس بأمر الله تعالى هذا جمع من بني آدم مقتحم معكم يدخلون النار وعذابها وانتم معهم عن الحسن (لا مرحباً بهم انهم صالوا النار) أي لا اتسعت لهم أماكنهم لأنهم لازموا النار فيكون المعنى على القول الأول ان القادة والرؤساء يقولون للأتباع لا مرحباً بهؤلاء انهم يدخلون النار مثلنا فلا فرح لنا في مشاركتهم إيانا فيقول الاتباع لهم (بل أنتم لا مرحباً بكم) أي لا نلتم رحباً وسعة (انتم قدمتموه لنا) أي حملتمونا على الكفر الذي أوجب لنا هذا العذاب ودعوتمونا اليه واما على القول الثاني ان اولاد ابليس يقولون لا مرحباً بهؤلاء قد ضاقت اماكننا بهم إذ كانت النار مملوءة منا فليس لنا منهم إلا ضيق في شدة وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان النار تضيق عليهم كضيق الزج بالرمح (قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم) أي يقول بنوا آدم بل لا كرامة لكم أنتم شرعتموه لنا وزينتموه في نفوسنا (فبئس القرار) الذي استقررنا عليه (قالوا ربنا من قدم لنا هذا) أي يدعون عليهم بهذا إذا حصلوا في نار جهنم أي من سبب لنا هذا العذاب ودعانا إلى ما استوجبنا به ذلك (فزده عذابا ضعفاً) اي مثلا مضاعفاً إلى مثل ما يستحقه (في النار) احد الضعفين لكفرهم بالله والضعف الآخر لدعائهم إيانا إلى الكفر

قوله تعالى (٦٢) وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (٦٣) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ (٦٤) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ (٦٥) قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٦٦) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ (٦٧) قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ (٦٨) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ (٦٩) مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٨٠) إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ تسع آيات

القراءة

قرأ اهل العراق غير عاصم اتخذناهم موصولة الهمزة والباقون اتخذناهم بقطع الهمزة وقرأ اهل المدينة والكوفة غير عاصم سخريا بضم السين والباقون بكسرها وقرأ ابو جعفر ان يوحى الي إلا انما بكسر الالف والباقون أنما بالفتح

الحجة

قال ابو علي في الحاق همزة الاستفهام في قوله اتخذناهم سخريا بعض البعد لأنهم قد علموا انهم اتخذوهم

سخريا وكيف يستقيم ان يستفهم عنه ويدل على علمهم بذلك انه قد اخبر عنهم بذلك في قوله فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري فالجملة التي هي اتخذناهم سخريا صفة للنكرة فأما وجه فتح الهمزة فإنه يكون على التقرير وعودلت بأم لأنها على لفظ الاستفهام كما عودلت بأم في قوله سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم وان لم يكن استفهاما في المعنى وكذلك قولهم ما أبالي أزيداً ضربت أم عمراً فإن قلت فما الجملة المعادلة بقوله أم زاغت عنهم الابصار في قول من كسر الهمزة في قوله اتخذناهم فالقول فيه ان الجملة المعادلة لأم محذوفة والمعنى اتراهم ام زاغت عنهم الابصار وكذلك قوله ام كان من الغائبين لأن المعنى أخبروني عن الهدهد أحاضر هو ام كان من الغائبين هذا قول ابي الحسن ويجوز عندي في قوله تعالى قل تمتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار ام من هو قانت آناء الليل ان تكون المعادلة لأم محذوفة تقديره أفأصحاب النار خير أم من هو قانت وحكي عن ابي عمرو انه قال ما كان من مثل العبودية فسخري مضموم وما كان من مثل الهزء فسخري مكسور السين وقد تقدم ذكر هذا قال ابن جني من قرأ انما فعلى الحكاية فكأنه قال ان يقال لي إلا انما انا نذير مبين وهذا كما تقول لصاحبك أنت قلت انك شجاع ونحو ذلك قول الشاعر

تنادوا بالرحيل غدا [illegible] وفي ترحالهم نفسي

قال واجاز ابو علي ثلاثة اضرب من الاعراب بالرحيل والرحيل والرحيل رفعاً ونصباً وجراً فمن رفع أو نصب فقد وفى الحكاية اللفظ المقول البتة فكأنهم قالوا الرحيل غدا فأما الجر فعلى اعمال الباء فيه وهو معنى ما قالوه ولكن حكيت منه قولك غدا وحده وهو خبر المبتدأ أو في موضع رفع لأنه خبر المبتدأ ولا يكون ظرفاً لتنادوا لأن الفعل الماضي لا يعمل في الزمان الآتي وإذا قال بالرحيل غدا فإن غدا يجوز ان يكون ظرفاً لنفس الرحيل ويجوز ان يكون ظرفاً لفعل آخر نصب الرحيل اي يحدث الرحيل غدا

المعنى

ثم حكى سبحانه عن اهل النار ايضاً بقوله (وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار) أي يقولون ذلك حين ينظرون في النار فلا يرون من كان يخالفهم فيها معهم وهم المؤمنون عن الكلبي وقيل نزلت في ابي جهل والوليد بن المغيرة وذويهما يقولون ما لنا لا نرى عمارا وخبابا وصهيباً وبلالا الذين كنا نعدهم في الدنيا من جملة الذين يفعلون الشر والقبيح ولا يفعلون الخير عن مجاهد وروى العياشي بالاسناد عن جابر عن ابي عبد الله «ع» انه قال ان اهل النار يقولون ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار يعنونكم لا يرونكم في النار لا يرون والله احداً منكم في النار (اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار) معناه انهم يقولون لما لم يروهم في النار اتخذناهم هزؤا في الدنيا فأخطأنا أم عدلت عنهم ابصارنا فلا نراهم وهم معنا في النار (ان ذلك لحق) اي ان ما ذكر قبل هذا لحق اي كائن لا محالة ثم بين ما هو فقال (تخاصم اهل النار) يعني تخاصم الاتباع والقادة أو مجادلة اهل النار بعضهم لبعض على ما اخبر عنهم ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (قل) يا محمد (إنما انا منذر) اي مخوف من معاصي الله ومحذر من عقابه (وما من إله) يحق له العبادة (إلا الله الواحد القهار) لجميع خلقه المتعالي بسعة مقدوراته فلا يقدر احد على الخلاص من عقوبته إذا أراد عقابه (رب السموات والأرض وما بينهما) من الإنس والجن وكل خلق (العزيز) الذي لا يغلبه شيء ولا يمتنع منه شيء (الغفار) لذنوب عباده مع قدرته على عقابهم (قل) يا محمد (هو نبؤ عظيم) اختلف فيه فقيل يعني القرآن هو حديث عظيم لأنه كلام الله المعجز ولأن فيه انباء الاولين (انتم عنه) أي عن تدبره والعمل به (معرضون) عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والسدي وقيل خبر القيامة خبر عظيم انتم عنه معرضون اي عن الاستعداد لها غافلون وبها مكذبون عن الحسن وقيل معناه النبأ الذي انبأتكم به عن الله نبؤ عظيم عن الزجاج يعني ما انبأهم به من

قصص الأولين انهم عنه معرضون لا يتفكرون فيه فيعلموا صدقي في نبوتي قال ويدل على صحة هذا المعنى قوله (ما كان لي من علم بالملأ الأعلى) يعني الملائكة (إذ يختصمون) يعني ما ذكر من قوله إني جاعل في الارض خليفة إلى آخر القصة وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي أي فما علمت ما كانوا فيه إلا بوحي من الله تعالى وروى ابن عباس عن النبي ﷺ قال قال لي ربي أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت لا قال اختصموا في الكفارات والدرجات فأما الكفارات فإسباغ الوضوء في السبرات ونقل الاقدام إلى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة واما الدرجات فإفشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام (ان يوحى إلي إلا انما انا نذير مبين) معناه ما كان لي من علم باختصام الملائكة فيما ذكرنا لولا ان الله تعالى اخبرني به لم يمكني اخباركم ولكن ما يوحى إلي إلا الانذار البين الواضح وقيل معناه ليس يوحى إلي إلا اني نذير مبين مخوف مظهر للحق

قوله تعالى (٧١) إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ (٧٢) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٣) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٧٤) إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ (٧٥) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ (٧٦) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (٧٧) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٨) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٧٩) قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٨٠) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٨١) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٨٢) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٣) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ

ثلاث عشرة آية

المعنى

ثم دل سبحانه على ان اختصام الملآئكة كان في أمر آدم (ع) بقوله (إذ قال ربك للملآئكة) فالظاهر ان إذ يتعلق بقوله يختصمون وان اعترض بينهما كلام (اني خالق بشرا من طين) يعني آدم (فإذا سويته) أي فإذا سويت خلق هذا البشر وتممت اعضاءه وصورته (ونفخت فيه من روحي) اي احييته وجعلت فيه الروح واضاف الروح الى نفسه تشريفا له ومعنى نفخت فيه اي توليت فعله من غير سبب وواسطة كالولادة المؤدية الى ذلك فإن الله شرف آدم وكرمه بهذه الحالة (فقعوا له ساجدين) اي فاسجدوا له أجمعين وفي الكلام حذف والتقدير ثم ان الله تعالى خلق ذلك البشر الذي وعدهم بخلقه (فسجد له الملائكة كلهم أجمعون إلا ابليس استكبر وكان من الكافرين) مفسر في سورة البقرة (قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي) هذا سؤال توبيخ وتعريف للملائكة انه لا عذر له في الامتناع عن السجود ومعنى قوله لما خلقت بيدي توليت خلقه بنفسي من غير واسطة عن الجبائي ومثله مما عملت ايدينا وذكر اليدين لتحقيق الإضافة لخلقه الى نفسه وهو قول مجاهد ومثله قوله ويبقى وجه ربك اي ربك وقيل معناه خلقته بقدرتي عن ابي مسلم وغيره والعرب كما تطلق لفظ اليد للقدرة والقوة فقد تطلق لفظة اليدين قال

تحملت من ذلفاء ما ليس لي به ... ولا للجبال الراسيات يدان

وقال آخر

انابغ انكم لم تبلغونا وما لكم بذلكم يدان

وقال عروة بن حزام

فإن تحملي ودي وودك تفدحي ومالك بالحمل الثقيل يدان

(استكبرت ام كنت من العالين) اي أرفعت نفسك فوق قدرك وتعظمت عن امتثال امري ام كنت من الذين تعلو اقدارهم عن السجود فتعاليت عنه (قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) فضل النار على الطين (قال فاخرج منها) أي من الجنة (فإنك رجيم) اي طريد مبعد (وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال) ابليس عند ذلك (رب فأنظرني الى يوم يبعثون) اي أخرني الى يوم يحشرون للحساب وهو يوم القيامة (قال) الله تعالى له (فإنك من المنظرين) اي المؤخرين (الى يوم الوقت المعلوم) وقد فسرنا جميع ذلك فيما تقدم (قال) ابليس (فبعزتك) اي اقسم بقدرتك التي تقهر بها جميع خلقك (لأغوينهم) يعني بني آدم كلهم (أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) اي ادعوهم الى الغي وأزين لهم القبائح إلا عبادك الذين استخلصتهم وآثرتهم وعصمتهم فلا سبيل لي عليهم

قوله تعالى (٨٤) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ (٨٥) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٦) قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ (٨٧) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٨٨) وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ خمس آيات

✻ القراءة ✻

قرأ أهل الكوفة غير الكسائي وهبيرة وروح وزيد عن يعقوب قال فالحق بالرفع والباقون بالنصب

✻ الحجة ✻

قال ابو علي من نصب الحق الأول كان منصوبا بفعل مضمر بدل انتصاب الحق عليه وذلك الفعل هو ما ظهر في قوله ويحق الله الحق بكلماته ويجوز ان ينتصب على التشبيه بالقسم فيكون الناصب له ما ينصب القسم من نحو الله لأفعلن فيكون التقدير الحق لأملئن وقد يجوز ان يكون الحق الثاني الأول وكرر على وجه التأكيد ومن رفع كان محتملا لوجهين ✻ احدهما ✻ ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره انا الحق ✻ والآخر ✻ ان يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره فالحق مني كما قال الحق من ربك

=(المعنى)=

ثم حكى سبحانه ما أجاب به ابليس وانه (قال) له (فالحق والحق أقول) اي حقا (لأملأن) والحق اقول اعتراض بين القسم والمقسم عليه وجاز ذلك لأنه مما يؤكد القصة كما قال الشاعر

أراني ولا كفران لله آية لنفسي لقد طالبت غير منيل

فاعترض بقوله ولا كفران لله بين المفعول الأول والثاني ومن رفع فعلى معنى فانا الحق او الحق مني وأقول الحق (لأملأن جهنم منك وممن تبعك) وقيل قولك (منهم) أي من بني آدم (أجمعين) ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (قل) يا محمد لكفار مكة (ما أسألكم عليه) أي على تبليغ الوحي والقرآن والدعاء إلى الله سبحانه (من أجر) أي مال تعطونيه (وما أنا من المتكلفين) لهذا القرآن من تلقاء نفسي وقيل معناه اني ما اتيتكم رسولا من قبل نفسي ولم اتكلف هذا الاتيان بل أمرت به وقيل معناه لست ممن يتعسف في طلب الأمر الذي لا يقتضيه العقل وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فإن من

العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم فإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ قل ما أسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين اورده البخاري في الصحيح (إن هو إلا ذكر للعالمين) أي ما القرآن إلا موعظة للخلق اجمعين وقيل ماالقرآن إلا شرف لمن آمن به (ولتعلمن نبأه بعد حين) أي ولتعلمن يا كفار مكة خبر صدقه بعد الموت عن ابن عباس وقتادة وقيل بعد يوم بدر عن السدي وقيل من عاش علم ذلك إذا ظهر امره وعلا دينه ومن مات علمه بعد الموت عن الكلبي

سورة الزمر

وتسمى ايضاً سورة الغرف وهي مكية كلها عن مجاهد وقتادة والحسن وقيل سوى ثلاث آيات نزلن بالمدينة في وحشي قاتل حمزة قل يا عبادي إلى آخرهن وقيل غير آية قل يا عبادي

عدد آيها

خمس وسبعون آية كوفي ثلاث شامي اثنتان في الباقين

اختلافها

سبع آيات فيما هم فيه يختلفون غير الكوفي مخلصاً له الدين الثاني ومخلصاً له ديني ومن هاد الثاني وسوف يعلمون اربعهن كوفي فبشر عبادي عراقي شامي والمدني الاخير من تحتها الانهار مكي شامي والمدني الاول

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاه واعطاه ثواب الخائفين الذين خافوا الله تعالى وروى هارون بن خارجة عن ابي عبد الله «ع» قال من قرأ سورة الزمر اعطاه الله شرف الدنيا والآخرة وأعزه بلا مال ولا عشيرة حتى يهابه من يراه وحرم جسده على النار ويبنى له في الجنة الف مدينة في كل مدينة الف قصر في كل قصر مائة حوراء وله مع ذلك عينان تجريان وعينان نضاختان وجنتان مدهامتان وحور مقصورات في الخيام

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة صۤ بذكر القرآن وافتتح هذه السورة ايضاً به فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) تَنزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٢) إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَابَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ (٣) أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٤) لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَانَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَاحِدُ ٱلْقَهَّارُ (٥) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ خمس آيات

﴿ اللغة ﴾

التكوير طرح الشيء بعضه على بعض يقال كور المتاع إذا القى بعضه على بعض ومنه كور العامة

﴿ الإعراب ﴾

تنزيل مبتدأ وخبره من الله اي تنزيل الكتاب من الله لا من غيره كما تقول استقامة الناس من الأنبياء اي انها لا تكون إلا منهم ويجوز أن يكون تنزيل الكتاب خبر مبتدأ محذوف والتقدير هذا تنزيل الكتاب فعلى هذا يجوز ان يكون من الله خبرا بعد خبر ويجوز أن يكون في موضع نصب لأنه يتعلق بتنزيل . بالحق مفعول أنزلنا ويجوز ان يكون في موضع الحال والتقدير انزلنا الكتاب محقين أو محقا فيكون ذو الحال نا من انزلنا او الكتاب . زلفى في موضع نصب على المصدر والتقدير ليقربونا قربى والتقدير يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا فيكون يقولون خبر الذين اتخذوا لأنه مبتدأ أو يكون حالا من الضمير في اتخذوا ويكون الخبر قوله إن الله يحكم بينهم يكور يحتمل أن يكون حالا ويحتمل أن يكون استئناف كلام فلا يكون له محل

﴿ المعنى ﴾

عظم الله سبحانه امر القرآن وحث المكلفين على القيام بما فيه واتباع أوامره ونواهيه بأن قال (تنزيل الكتاب من الله العزيز) المتعال من المثل والشبه (الحكيم) في افعاله وأقواله فوصف هنا نفسه بالعزة تحذيرا من مخالفة كتابه وبالحكمة اعلاما بأنه يحفظه حتى يصل إلى المكلفين من غير تغيير لشيء منه (إنا أنزلنا اليك الكتاب بالحق) اي لم ننزله باطلا بغير غرض وقيل معناه بالأمر الحق اي بالدين الصحيح (فاعبد الله) اي توجه بعبادتك إلى الله وحده (مخلصا له الدين) من شرك الأوثان والأصنام والإخلاص أن يقصد العبد بنيته وعمله إلى خالقه لايجعل ذلك لغرض الدنيا (ألا لله الدين الخالص) والخالص هو الذي لا يشوبه الرياء والسمعة ولا وجه من وجوه الدنيا والدين الخالص الإسلام عن الحسن وقيل هو شهادة أن لا إله إلا الله عن قتادة وقيل معناه الا لله الطاعة بالعبادة التي يستحق بها الجزاء فهذا لله وحده لا يجوز ان يكون لغيره وقيل هو الاعتقاد الواجب في التوحيد والعدل والنبوة والشرائع والإقرار بها والعمل بموجبها والبراءة من كل دين سواها فهذا تفصيل قول الحسن انه الإسلام (والذين اتخذوا من دونه اولياء) اي زعموا أن لهم من دون الله مالكا يملكهم وهاهنا حذف يدل الكلام عليه اي يقولون (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) اي ليشفعوا لنا إلى الله والزلفى القربى وهو اسم اقيم مقام المصدر (إن الله يحكم بينهم) يوم القيامة (فيما هم فيه يختلفون) من امور الدين فيعاقب كلا منهم على قدر استحقاقه (إن الله لا يهدي) إلى طريق الجنة او لا يحكم بهدايته إلى الحق (من هو كاذب) على الله وعلى رسوله (كفار) بما انعم الله عليه جاحد لإخلاص العبادة لله ولم يرد به الهداية إلى الإيمان لقوله سبحانه واما ثمود فهديناهم (لو أراد الله أن يتخذ ولدا) على ما يقوله هؤلاء من ان الملائكة بنات الله أو ما يقوله النصارى من أن المسيح ابن الله او اليهود ان عزيرا ابن الله (لاصطفى) اي لاختار (مما يخلق ما يشاء) اي ما كان يتخذ الولد باختيارهم حتى يضيفوا اليه من شاءوا بل كان يختص من خلقه ما يشاء لذلك لأنه غير ممنوع من مراده ومثله قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ثم اخبر سبحانه انه منزه عن اتخاذ الأولاد بقوله (سبحانه) اي تنزيها له عن ذلك (هو الله الواحد) لا شريك له ولا صاحبة ولا ولد (القهار) لخلقه بالموت وهو حي لا يموت ثم نبه سبحانه على كمال قدرته فقال (خلق السموات والأرض بالحق) اي لم يخلقهما باطلا لغير غرض بل خلقهما للغرض الحكمي (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) اي يدخل كل واحد منهما على صاحبه بالزيادة والنقصان فما يزيد في احدهما ينقص من الآخر عن الحسن وجماعة من المفسرين وقيل يغشى هذا هذا كما قال يغشى الليل النهار ويولج الليل في النهار عن قتادة (وسخر الشمس والقمر) بأن اجراهما على وتيرة واحدة (كل يجري لأجل مسمى) أي إلى

مدة قدرها الله لها ان يجريا اليها وقيل إلى قيام الساعة وقيل لأجل مسمى اي لوقت معلوم في الشتاء والصيف هو المطلع والمغرب لكل واحد منها (الا هو العزيز الغفار) مر معناه وفائدة الآية ان من قدر على خلق السموات والأرض وتسخير الشمس والقمر وادخال الليل في النهار فهو منزه عن اتخاذ الولد والشريك فإن ذلك من صفة المحتاجين

قوله تعالى (٦) خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٧) إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٨) وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ (٩) أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٠) قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ

خمس آيات

القراءة

قرأ ابو عمرو في رواية اوقية وابي شعيب السوسي وأبي عمرو والدوري عن اليزيدي عنه وحمزة وفي رواية العجلي يرضه لكم ساكنة الهاء وقرأ ابن كثير وابن عامر والكسائي وخلف ونافع برواية اسماعيل وابو بكر برواية البرجمي يرضه مضمومة الهاء مشبعة وقرأ الباقون بضم الهاء مختلسة غير مشبعة وقرأ ابن كثير ونافع وحمزة أمن هو قانت خفيفة الميم والباقون بتشديد الميم

الحجة

قال ابو علي حجة من قرأ يرضهو فألحق الواو وان ما قبل الهاء متحرك فيكون بمنزلة ضربهو وهذالهو ومن قال يرضه فحرك الهاء ولم يلحق الواو ان الألف المحذوفة للجزم ليس يلزم حذفها لأن الكلمة إذا نصبت او رفعت عادت الألف فصار الألف في حكم الثابت فإذا ثبت الألف فالأحسن ان لا يلحق الواو نحو قوله القى موسى عصاه وذلك ان الهاء خفيفة فلو لحقتها الواو وقبلها الألف لأشبه الجمع بين الساكنين واما من اسكن فقال يرضه لكم فإن ابا الحسن يزعم ان ذلك لغة وعلى هذا قوله «ونضواي مشتاقان له ارقان» ومن قرأ ام من هو قانت ففيه وجهان احدهما ان المعنى الجاحد الكافر خير ام من هو قانت ويدل على المحذوف قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ودل عليه ايضا قوله قل تمتع بكفرك قليلا وقد تقدم ذكره والآخر ان المعنى قل أمن هو قانت كغيره اي أمن هو مطيع كمن هو عاص ويكون على هذا الخبر محذوفا لدلالة الكلام عليه كقوله تعالى افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت افمن يتقي بوجهه سوء العذاب واما من خفف فقال أمن هو

قانت فالمعنى ايضا ام من هو قانت كمن هو بخلاف هـذا الوصف فلا وجه للنداء هنا لأن هذا موضع معادلة وإنما يقع فيه الحمل الذي يكون فيه اخبار وليس النداء كذلك وقال ابو الحسن القراءة بالتخفيف ضعيفة لأن الاستفهام إنما يبتدئ ما بعده ولا يحمل على ما قبله وهذا الكلام ليس قبله شيء يحمل عليه إلا في المعنى

❊ اللغة ❊

التخويل العطية العظيمة على وجه الهبة وهي المنحة خوله الله مالا ومنه الحديث كان يتخولهم بالموعظة مخافة السآمة عليهم اي يتعهدهم والحديث الآخر إذا بلغ بنو ابي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا ودين الله دخلا وعباد الله خولا اي يظنون عباد الله عبيدهم اعطاهم الله ذلك قال ابو النجم

اعطى فلم يبخل ولم يبخل ‏ ‏ ‏ ‏ كوم الذرى من خول المخول

والقانت الداعي والقانت المصلي قال

قانتا لله يتلو كتبه ‏ ‏ ‏ ‏ وعلى عمد من الناس اعتزل

آناء الليل واحدها اني وانى

❊ الإعراب ❊

ذلكم الله ربكم له الملك ذلكم مبتدأ والله عطف بيان وربكم بدل من لفظة الله وان شئت كان خبرا لمبتدأ. له الملك يرتفع الملك بالظرف والظرف مع ما ارتفع به في موضع الحال والعامل فيه معنى الإشارة والتقدير ثابتا له الملك ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وكذا قوله لا إله إلا هو جاز ان يكون في موضع الحال اي متوحدا بالوحدانية وجاز ان يكون خبرا آخر. فأنى تصرفون أنى في موضع نصب على الحال او على المصدر ومعناه كيف تصرفون.

❊ المعنى ❊

ثم أبان سبحانه عن كمال قدرته بخلق آدم وذريته فقال (خلقكم من نفس واحدة) يعني آدم(ع) لأن جميع البشر من نسله (ثم جعل منها زوجها) يعني حواء اي من فضل طينته وقيل من ضلع من اضلاعه وفي قوله ثم جعل منها زوجها ثم يقتضي التراخي والمهلة وخلق الوالدين قبل الولد ثلاثة اقوال ❊ احدها ❊ انه عطف يوجب ان الكلام الثاني بعد الأول ويجري مجرى قول القائل قد رأيت ما كان منك اليوم ثم ما كان منك أمس وإن كان ما كان أمس قبل ما يكون اليوم مثله قول الشاعر

ولقد ساد ثم ساد ابوه ‏ ‏ ‏ ‏ ثم قد ساد قبل ذلك جده

❊ وثانيها ❊ انه معطوف على معنى واحدة فكأنه قال خلقكم من نفس واحدة اوجدها وحدها ثم جعل منها زوجها ❊ وثالثها ❊ انه خلق الذرية في ظهر آدم واخرجها من ظهره كالذر ثم خلق من بعد ذلك حواء من ضلع من اضلاعه على ما ورد في الاخبار وهذا ضعيف وقد مضى الكلام عليه (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية ازواج) اختلف في معناه على وجوه ❊ احدها ❊ ان معنى الإنزال هنا الإحداث والإنشاء كقوله وقد انزلنا عليكم لباساً ولم ينزل اللباس ولكن أنزل الماء الذي هو سبب القطن والصوف واللباس يكون منهما فكذلك الأنعام تكون بالنبات والنبات يكون بالماء ❊ والثاني ❊ انه انزلها بعد ان خلقها في الجنة عن الجبائي قال وفي الخبر الشاة من دواب الجنة والإبل من دواب الجنة ❊ والثالث ❊ ان المعنى جعلها نزلا ورزقا لكم ويعني بالأزواج الثمانية من الأنعام الإبل والبقر والغنم والضأن والمعز من كل صنف اثنان

هما زوجان وهو مفسر في سورة الأنعام (يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق) نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم يكسو العظام لحما ثم ينشئ خلقا آخر عن قتادة ومجاهد والسدي وقيل خلقا في بطون الأمهات بعد الخلق في ظهر آدم عن ابن زيد (في ظلمات ثلث) ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وابن زيد وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وقيل ظلمة الليل أو ظلمة صلب الرجل وظلمة الرحم وظلمة البطن ثم خاطب سبحانه خلقه فقال (ذلكم الله) الذي خلق هذه الأشياء (ربكم) الذي يملك التصرف فيكم (له الملك) على جميع المخلوقات (لا إله إلا هو فأنى تصرفون) عن طريق الحق بعد هذا البيان مثل قوله فأنى تؤفكون (إن تكفروا) اي تجحدوا نعمة الله تعالى ولم تشكروه (فإن الله غني عنكم) وعن شكركم فلا يضره كفركم (ولا يرضى لعباده الكفر) وفي هذا اوضح دلالة على انه سبحانه لا يريد الكفر الواقع من العباد لأنه لو أراده لوجب متى وقع ان يكون راضيا به لعبده لأن الرضا بالفعل ليس إلا ما ذكرناه ألا ترى انه يستحيل أن نريد من غيرنا شيئا ويقع منه على ما نريده فلا نكون راضين به أو أن نرضى شيئا ولم نرده البتة (وان تشكروا يرضه لكم) أي وأن تشكروا الله تعالى على نعمه وتعترفوا بها يرضه لكم ويرده منكم ويثيبكم عليه والهاء في يرضه كناية عن المصدر الذي دل عليه وان تشكروا والتقدير يرضي الشكر لكم كقولهم من كذب كان شرا له اي كان الكذب شرا له (ولا تزر وازرة وزر اخرى) اي لا تحمل حاملة ثقل اخرى والمعنى لا يؤاخذ بالذنب إلا من يرتكبه ويفعله (ثم إلى ربكم مرجعكم) اي مصيركم (فينبئكم بما كنتم تعملون) اي يخبركم بما عملتموه ويجازيكم بحسب ذلك (انه عليم بذات الصدور) فلا يخفى عليه سر وعلانية (وإذا مس الانسان ضر) من شدة ومرض وقحط وغير ذلك (دعا ربه منيبا اليه) اي راجعا اليه وحده لا يرجو سواه (ثم إذا خوله) اي اعطاه (نعمة منه نسي ما كان يدعوا اليه من قبل) اي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى ان يكشفه من قبل نيل هذه النعمة قال الزجاج معناه نسي الدعاء الذي كان يتضرع به إلى الله عز وجل من قبل وجائز ان يكون المعنى نسي الله الذي كان يتضرع اليه من قبل ومثله ولا انا عابد ما عبدتم ولا انتم عابدون ما اعبد فكانت ما مما تدل على الله تعالى ومن عبارة عن كل مميز وما يكون لكل شيء (وجعل لله اندادا) اي سمى له امثالا في توجيه عبادته اليها من الأصنام والأوثان (ليضل) الناس (عن سبيله) اي عن دينه أو يضل هو عن الدين واللام لام العاقبة وذلك انهم لم يفعلوا ما فعلوه وغرضهم ذلك لكن عاقبتهم كانت اليه (قل تمتع بكفرك قليلا) هذا امر معناه الخبر كقوله إذا لم تستح فاصنع ما شئت والمعنى أن مدة تمتعه في الدنيا بكفره قليلة زائلة (إنك من اصحاب النار) تعذب فيها دائما (ام من هو قانت) اي اهذا الذي ذكرناه خير ام من هو دائم على الطاعة عن ابن عباس والسدي وقيل على قراءة القرآن وقيام الليل عن ابن عمر وقيل يعني صلاة الليل عن ابي جعفر (ع) (آناء الليل) اي ساعات الليل (ساجدا وقائما) يسجد تارة في الصلاة ويقوم اخرى (يحذر الآخرة) اي عذاب الآخرة (ويرجوا رحمة ربه) اي يتردد بين الخوف والرجاء اي ليسا سواء وهو قوله (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) اي لا يستوي الذين يعلمون ما وعد الله من الثواب والعقاب والذين لا يعلمون ذلك (إنما يتذكر اولوا الألباب) أي إنما يتعظ ذوو العقول من المؤمنين وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال نحن الذين يعلمون وعدونا الذين لا يعلمون وشيعتنا اولو الألباب (قل) يا محمد لهم

(ياعباد الذين آمنوا) اي صدقوا بتوحيد الله تعالى (اتقوا ربكم) اي عقاب ربكم باجتناب معاصيه وتم الكلام ثم قال (للذين احسنوا) اي فعلوا الأعمال الحسنة وأحسنوا إلى غيرهم (في هذه الدنيا حسنة) اي لهم على ذلك في هذه الدنيا حسنة اي ثناء حسن وذكر جميل ومدح وشكر وصحة وسلامة عن السدي وقيل معناه للذين أحسنوا العمل في هذه الدنيا مثوبة حسنة في الآخرة وهو الخلود في الجنة (وأرض الله واسعة) هذا حث لهم على الهجرة من مكة عن ابن عباس أي لا عذر لأحد في ترك طاعة الله فإن لم يتمكن منها في ارض فليتحول إلى اخرى يتمكن منها فيها كقوله ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل معناه وأرض الله الجنة واسعة فاطلبوها بالأعمال الصالحة عن مقاتل وابي مسلم (إنما يوفى الصابرون اجرهم) اي ثوابهم على طاعاتهم وصبرهم على شدائد الدنيا (بغير حساب) لكثرته لا يمكن عده وحسابه وروى العياشي بالاسناد عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله «ع» قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا نشرت الدواوين ونصبت الموازين لم ينصب لأهل البلاء ميزان ولم ينشر لهم ديوان ثم تلا هذه الآية إنما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب

قوله تعالى (١١) قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ ٱلدِّينَ (١٢) وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ (١٣) قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٤) قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِي (١٥) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ ٱلْخَاسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ (١٦) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ ٱلنَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٧) وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا ٱلطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٨) ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَاهُمُ ٱللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ (١٩) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي ٱلنَّارِ (٢٠) لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ عشر آيات

(اللغة)

الظلة السترة العالية جمعها ظلل والانقاذ الانجاء والغرف المنازل الرفيعة واحدها غرفة

(الإعراب)

ذلك مبتدأ ويخوف الله به عباده خبره ٠ ان يعبدوها في موضع نصب بدل من الطاغوت والتقدير والذين اجتنبوا عبادة الطاغوت وخبر الذين اجتنبوا قوله لهم البشرى والبشرى ترتفع بالظرف لجريه خبراً على المبتدأ قال الزجاج أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار معناه الشرط والجزاء وألف الاستفهام هنا معناها معنى التوقيف والألف الثانية جاءت مؤكدة معادة لما طال الكلام والمعنى افمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذه ومثله ايعدكم انكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما إنكم مخرجون اعاد ان الثانية والمعنى انكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما تخرجون ويكون على وجه آخر على انه حذف الخبر وفي الكلام دليل على

المحذوف على معنى أفمن حق عليه كلمة العذاب يتخلص منه او ينجو منه أفأنت تنقذ اي لا يقدر أحد أن ينقذه

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (قل) يامحمد لهؤلاء الكفار الذين تقدم ذكرهم (إني امرت ان أعبد الله مخلصا له الدين) اي موحدا له لا اعبد معه سواه والعبادة الخالصة هي التي لا يشوبها شيء من المعاصي (وأمرت) ايضا (لأن اكون أول المسلمين) فيكون لي فضل السبق وثوابه (قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم) اي عذاب يوم القيامة (قل) لهم (الله اعبد مخلصا له ديني) وطاعتي (فاعبدوا) انتم معاشر الكفار (ماشئتم من دونه) من الأصنام وهذا على وجه التهديد لهم بذلك (قل) لهم (ان الخاسرين) في الحقيقة هم (الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة) فلا ينتفعون بأنفسهم ولا يجدون في النار اهلا كما كان لهم في الدنيا اهل فقد فاتتهم المنفعة بأنفسهم وأهليهم عن مجاهد وابن زيد وقيل خسروا انفسهم بأن قذفوها بين اطباق الجحيم وخسروا أهليهم الذين اعدوا لهم في جنة النعيم عن الحسن قال ابن عباس ان الله تعالى جعل لكل انسان في الجنة منزلا وأهلا فمن عمل بطاعته كان له ذلك ومن عصاه صار الى النار ودفع منزله وأهله إلى من اطاع فذلك قوله أولئك هم الوارثون (ألا ذلك هو الخسران المبين) اي البين الظاهر الذي لا يخفى (لهم من فوقهم ظلل من النار) اي سرادقات واطباق من النار ودخانها نعوذ بالله منها (ومن تحتهم ظلل) اي فرش ومهد وقيل انما سمي ما تحتهم من النار ظللا لأنها ظلل لمن تحتهم إذ النار أدراك وهم بين اطباقها وقيل انما أجرى اسم الظلل على قطع النار على سبيل التوسع والمجاز لأنها في مقابلة ما لأهل الجنة من الظلل والمراد أن النار تحيط بجوانبهم (ذلك يخوف الله به عباده) اي ذلك الذي وصف من العذاب يخوف الله به عباده رحمة لهم ليتقوا عذابه بامتثال أوامره ثم امرهم بالاتقاء فقال (ياعباد فاتقون) فقد انذرتكم وألزمتكم الحجة وإنما حذف الياء في الموضعين لأن الكسرة تدل عليها (والذين اجتنبوا الطاغوت) اي الأوثان والشيطان وقيل كل من دعا إلى عبادة غير الله تعالى وإنما انث للجماعة وفي قراءة الحسن اجتنبوا الطواغيت (ان يعبدوها) اي اجتنبوا عبادتها (وأنابوا إلى الله) اي تابوا اليه فأقلعوا عما كانوا عليه (لهم البشرى) اي البشارة وهي الإعلام بما يظهر به السرور في بشرة وجوههم جزاء على ذلك وروى ابو بصير عن ابي عبد الله «ع» قال انتم هم ومن اطاع جبارا فقد عبده ثم قال سبحانه مخاطبا لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (فبشر) يامحمد (عباد) اجتزأ بالكسرة عن الياء (الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه) أي أولاه بالقبول والعمل به وأرشده إلى الحق وقيل فيتبعون احسن ما يؤمرون به ويعملون به عن السدي وروي عن ابي الدرداء قال لولا ثلاث ما احببت أن اعيش يوما واحدا الظمأ بالهواجر والسجود في جوف الليل ومجالسة اقوام ينتقون من خير الكلام كما ينتقى طيب التمر وقيل معناه يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن عن الزجاج وقيل يستمعون ما في القرآن والسنة من الطاعات والمباحات فيتبعون الطاعة التي هي احسن إذ يستحق الثواب عليه اكثر وهو ان يأخذ بأفضل الأمرين كما ان القصاص حق والعفو افضل فيأخذون بالعفو (أولئك الذين هديهم الله) اي هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين هداهم الله فاهتدوا به إلى الحق (وأولئك هم اولوا الألباب) اي ذوو العقول الذين انتفعوا بعقولهم وقال عبد الرحمن بن زيد نزل قوله والذين اجتنبوا الطاغوت الآيتين في ثلاثة نفر كانوا يقولون في الجاهلية لا إله إلا الله زيد بن عمرو بن نفيل

وابي ذر الغفاري وسلمان الفارسي (أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار) اختلف في تقديره فقيل معناه افمن وجب عليه وعيد الله بالعقاب أفأنت تخلصه من النار فاكتفى بذكر من في النار عن الضمير العائد إلى المبتدأ عن الزجاج والأخفش وقيل تقديره أفأنت تنقذ من في النار منهم وأتى بالاستفهام مرتين توكيدا للتنبيه على المعنى وقال ابن الانباري الوقف على قوله كلمة العذاب والتقدير كمن وجبت له الجنة ثم يبتدئ أفأنت تنقذ وأراد بكلمة العذاب قوله لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين وإنما قال ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لحرصه على اسلام المشركين والمعنى انك لا تقدر على ادخال الاسلام في قلوبهم شاءوا ام ابوا فلاعليك إذالم يؤمنوا فإنما اتوا ذلك من قبل نفوسهم وهذا كقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم الآية ثم بين سبحانه ما اعده للمؤمنين كما بين ما اعده للكفار فقال (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف) اي قصور في الجنة (من فوقها غرف) قصور (مبنية) وهذا في مقابلة قوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل فإن في الجنة منازل رفيعة بعضها فوق بعض وذلك أن النظر من الغرف الى الخضر والمياه اشهى وألذ (تجري من تحتها الانهار) اي من تحت الغرف (وعد الله) اي وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا (لا يخلف الله الميعاد)

قوله تعالى (٢١) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٢٢) أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٣) اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٤) أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٢٥) كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ خمس آيات

اللغة

الينابيع جمع ينبوع وهو الموضع الذي ينبع منه الماء يقال نبع الماء من موضع كذا اذا فار منه والزرع ما ينبت على غير ساق والشجر ماله ساق وأغصان والنبات يعم الجميع وهاج النبت يهيج هيجا إذا جف وبلغ نهايته في اليبوسة والحطام فتات التبن والحشيش والحطم الكسر للشيء اليابس ومنه سميت جهنم حطمة لأنها تكسر كل شيء ومنه الحطيم بمكة قال النضر لأن البيت رفع وترك ذلك محطوما وهو حجر الكعبة مما يلي الميزاب

الإعراب

افمن شرح الله صدره من مع صلته مبتدأ والخبر محذوف تقديره افمن شرح الله صدره كمن قسا قلبه من ذكر الله اي من ترك ذكر الله لأن القلب إنما يقسو من ترك ذكر الله ويجوز ان يكون تشمئز عند ذكر الله فيقال قست من ذكر الله اي من ذكر الناس الله . كتابا منصوب لأنه بدل من قوله احسن الحديث ،

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه ذكر الدعاء إلى التوحيد عقبه بذكر دلائل التوحيد فقال يخاطب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وان كان المراد جميع المكلفين (ألم تر ان الله انزل من السماء ماء) اي مطرا (فسلكه) اي فأدخل ذلك الماء (ينابيع في الأرض) مثل العيون والانهار والقني والآبار ونظيره قوله وانزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض (ثم يخرج به) اي بذلك الماء من الأرض (زرعا مختلفا ألوانه) اي صنوفه من البر والشعير والارز وغير ذلك يقال هذا لون من الطعام اي صنف وقيل مختلف الألوان من اخضر وأصفر وابيض واحمر (ثم يهيج) اي يجف وييبس (فتريه مصفرا) بعد خضرته (ثم يجعله حطاما) اي رفاتا منكسرا متفتتا (إن في ذلك لذكرى لأولي الألباب) معناه إن في اخراج هذه الزروع الوانا مختلفة بماء واحد ونقلها من حال إلى حال لتذكيرا لذوي العقول السليمة إذا تفكروا في ذلك عرفوا الصانع المحدث وعلموا صحة الابتداء والبعث والإعادة (أفمن شرح الله صدره للإسلام) اي فسح صدره ووسع قلبه لقبول الإسلام والثبات عليه وشرح الصدر يكون بثلاثة اشياء ﴿ احدها ﴾ بقوة الأدلة التي نصبها الله تعالى وهذا يختص به العلماء ﴿ والثاني ﴾ بالالطاف التي تتجدد له حالا بعد حال كما قال سبحانه والذين اهتدوا زادهم هدى ﴿ والثالث ﴾ بتوكيد الأدلة وحل الشبهة والقاء الخواطر (فهو على نور) اي على دلالة وهدى (من ربه) شبه الأدلة بالنور لأن بها يعرف الحق كما بالنور تعرف امور الدنيا عن الجبائي وقيل النور كتاب الله عز وجل فبه نأخذ واليه ننتهي عن قتادة وحذف كمن هو قاسي القلب يدل على المحذوف قوله (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) وهم الذين ألفوا الكفر وتعصبوا له وتصلبت قلوبهم حتى لا ينجع فيها وعظ ولا ترغيب ولا ترهيب ولا ترق عند ذكر الله وقراءة القرآن عليه (اولئك في ضلال) اي عدول عن الحق (مبين) اي ظاهر واضح (الله نزل احسن الحديث) يعني القرآن سماه الله حديثا لأنه كلام الله والكلام سمي حديثا كما يسمى كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديثا ولأنه حديث التنزيل بعد ما تقدمه من الكتب المنزلة على الأنبياء وهو احسن الحديث افرط فصاحته ولإعجازه واشتماله على جميع ما يحتاج المكلف اليه من التنبيه على ادلة التوحيد والعدل وبيان احكام الشرع وغير ذلك من المواعظ وقصص الأنبياء والترغيب والترهيب (كتابا متشابها) يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل معناه انه يشبه كتب الله المتقدمة وان كان أعم وأجمع وانفع وقيل متشابها في حسن النظم وجزالة اللفظ وجودة المعاني (مثاني) سمي بذلك لأنه يثني فيه بعض القصص والاخبار والاحكام والمواعظ بتصريفها في ضروب البيان ويثني ايضا في التلاوة فلا يمل لحسن مسموعه (تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم) أي تأخذهم قشعريرة خوفا مما في القرآن من الوعيد (ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) إذا سمعوا ما فيه من الوعد بالثواب والرحمة والمعنى ان قلوبهم تطمئن وتسكن إلى ذكر الله الجنة والثواب فحذف مفعول الذكر للعلم به وروي عن العباس ابن عبد المطلب ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها وقال قتادة هذا نعت لأولياء الله نعتهم الله بأن تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم إنما ذلك في أهل البدع وهو من الشيطان (ذلك) يعني القرآن (هدى الله يهدي به من يشاء) من عباده بما نصب فيه من الأدلة وهم الذين آتاهم القرآن من امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الجبائي وقيل يهدي به من يشاء من الذين اهتدوا به إنما خصهم بذلك لأنهم المنتفعون بالهداية ومن لم يهتد لا يوصف بأنه هداه الله اذ ليس معه هداية (ومن يضلل الله) عن طريق الجنة (فما له من هاد) اي لا يقدر على هدايته احد عن الجبائي وقيل معناه من ضل عن الله ورحمته فلا هادي له يقال اضللت بعيري إذا ضل عن ابي مسلم وقيل معناه من يضلله عن زيادة الهدى والألطاف لأن الكافر لا لطف له (أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيمة)

تقديره أفحال من يدفع عذاب الله بوجهه يوم القيامة كحال من يأتي آمنا لا تمسه النار وإنما قال بوجهه لان الوجه أعز اعضاء الإنسان وقيل معناه أمن يلقى في النار منكوسا فأول عضو منه مسته النار وجهه عن عطاء ومعنى يتقي يتوقى كما قال عنترة

إذ يتقون بيَ الأسنة لم أخم عنها ولكني تضايق مقدمي

اي يقدمونني إلى القتال فيتوقون بي حرها ثم اخبر سبحانه عما يقوله خزنة النار للكفار بقوله (وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون) اي جزاء ما كسبتموه من المعاصي ثم اخبر سبحانه عن امثال هؤلاء الكفار من الأمم الماضية فقال (كذب الذين من قبلهم) بآيات الله وجحدوا رسله (فأتيهم العذاب) عاجلا (من حيث لا يشعرون) اي وهم آمنون غافلون

النظم

إنما اتصل قوله أفمن شرح الله صدره بما تقدم من ذكر أدلة التوحيد والعدل التي إذا تفكر فيها العاقل انشرح صدره واطمأنت نفسه إلى ثلج اليقين واتصل قوله الله نزل احسن الحديث بما تقدمه من قوله فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اي فإن احسن الحديث القرآن فهو اولى بالاتباع عن ابي مسلم واتصل قوله أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب بما قبله على تقدير فمن لم يهتد بهدى الله لا يهتدي وكيف يهتدي بغيره من يتقي بوجهه سوء العذاب يعني المقيم على كفره

قوله تعالى (٢٦) فَأَذَاقَهُمُ اللهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٢٧) وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٨) قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٩) ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلّٰهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ (٣١) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ست آيات

القراءة

قرأ ابن كثير واهل البصرة غير سهل سالما بالالف والباقون سلما بغير ألف واللام مفتوحة وفي الشواذ قراءة سعيد بن جبير سلما بكسر السين وسكون اللام

الحجة

قال ابو علي يقوي قراءة من قرأ سالما قوله فيه شركاء متشاكسون فكما ان الشريك عبارة عن العين وليس باسم حدث فكذلك الذي بإزائه ينبغي أن يكون فاعلا ولا يكون اسم حدث ومن قرأ وسلما سلما فهما مصدران وليس بوصفين كحسن وبطل ونقض ونحو يقال سلم سلما وسلامة وسلما والمعنى فيمن قال سلما ذا سلم أي رجلا ذا سلم قال ابو الحسن سلم من الاستسلام وقال غيره السلام خلاف المحارب

اللغة

الخزي المكروه والهوان والتشاكس التمانع والتنازع تشاكسوا في الأمر تشاكسا وأصله من الشكاسة وهو سوء الخلق والاختصام رد كل واحد من الاثنين ما أتى به الآخر على وجه الانكار عليه وقد يكون احدهما محقا والآخر مبطلا وقد يكونان جميعا مبطلين كاليهودي والنصراني وقد يكونان جميعا محقين

الاعراب

قال الزجاج عربيا منصوب على الحال اي في حال عروبيته وذكر قرآنا توكيدا كما تقول جاءني زيد رجلا صالحا وجاءني عمرو انسانا عاقلا فتذكر رجلا و إنسانا توكيدا · ضرب الله مثلا رجلا فرجلا بدل من قوله مثلا والتقدير ضرب الله مثلا مثل رجل فحذف المضاف وقوله فيه شركاء يرتفع بالظرف ورجلا عطف على الأول اي ومثل رجل سالم

(المعنى)

ثم اخبر سبحانه عما فعله بالأمم المكذبة بأن قال (فأذاقهم الله الخزي) اي الذل والهوان (في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر) اي اعظم واشد (لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) سمى ذكر الأمم الماضيـة مثلا كما قال ونبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال والمعنى إنا وصفنا وبينا للناس في هذا القرآن كلما يحتاجون اليـه من مصالح دينهم ودنياهم (لعلهم يتذكرون) اي لكي يتذكروا ويتدبروا فيعتبروا (قرآنا عربيا غير ذي عوج) اي غير ذي ميل عن الحق بل هو مستقيم موصل إلى الحق (لعلهم يتقون) اي لكي يتقوا معاصي الله ثم ضرب سبحانه مثلا للكافر وعبادته الاصنام فقال (ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون) اي مختلفون سيئو الاخلاق متنازعون و إنما ضرب هذا المثل لسائر المشركين ولكنه ذكر رجلا واحدا وصفه بصفة موجودة في سائر المشركين فيكون المثل المضروب لـه مضروبا لهم جميعا ويعني بقوله رجلا فيه شركاء اي يعبد آلهة مختلفة واصناما كثيرة وهم متشاجرون متعاسرون هذا يأمره وهذا ينهاه ويريد كل واحد منهم ان يفرده بالخدمة ثم يكل كل منهم أمره إلى الآخر ويكل الآخر إلى الآخر فيبقى هو خاليا عن المنافع وهـذا حال من يخدم جماعة مختلفة الآراء والاهواء هذا مثل الكافر ثم ضرب سبحانـه مثل المؤمن الموحد فقال (ورجلا سلما لرجل) اي خالصا يعبد مالكا واحدا لا يشوب بخدمته خدمة غيره ولا يأمل سواه ومن كان بهذه الصفة نال ثمرة خدمته لا سيما إذا كان المخدوم حكيما قادرا كريما وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني بالاسناد عن علي (ع) انه قال أنا ذاك الرجل السلم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وروى العياشي بإسناده عن ابي خالد عن ابي جعفر (ع) قال الرجل السلم الرجل حقا علي وشيعته (هل يستويان مثلا) اي هل يستوي هذان الرجلان صفة وشبها في حسن العاقبة وحصول المنفعة اي لا يستويان فإن الخالص لمالك واحد يستحق من معونته وحياطته ما لا يستحقه صاحب الشركاء المختلفين في أمره وتم الكلام ثم قال (الحمد لله) اي احمد والله المستحق للثناء والشكر على هذا المثل الذي علمكموه فأزال به للمؤمنين الشبه واوضح الدلالة وقيل معناه احمدوا الله حيث لطف بكم حتى عبدتموه وحده واخلصتم الإيمان له والتوحيد فهي النعمة السابغة (بل اكثرهم لا يعلمون) حقيقة ذلك ثم بين سبحانه المقام الذي يتبين فيـه المحق والمبطل فقال (إنك ميت و إنهم ميتون) اي عاقبتك الموت وكذا عاقبة هؤلاء (ثم إنكم يوم القيامـة عند ربكم تختصمون) يعني المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن ابن عباس وكان ابو العالية يقول الاختصام يكون بين اهل القبلة قال ابن عمر كنا نرى ان هذه الآية فينا وفي اهل الكتابين وقلنا كيف نختصم نحن ونبينا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعلمت انها فينا نزلت وقال ابو سعيد الخدري في هذه الآية كنا نقول ربنا واحـد ونبينا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا عـلى بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وقال ابن عباس الاختصام يكون بين المهتدين والضالين والصادقين والكاذبين

قوله تعالى (٣٢) فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي

جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ (٣٣) وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٥) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ اربع آيات

الإعراب

والذي جاء بالصدق وصدق به الذي هنا جنس لأن خبره جمع وهو قوله أولئك فلا يراد بـه واحد معين ليكفر الله اللام من صلة قوله لهم ما يشاؤون عند ربهم وقيـل هو لام القسم والتقدير والله ليكفرن فحذفت النون وكسرت اللام

المعنى

ثم بين سبحانه حال الفريقين فقال (فمن اظلم ممن كذب على الله) بأن ادعى له ولدا وشريكا (وكذب بالصدق) بالتوحيد والقرآن (إذ جاءه) ثم هدد سبحانه من هذه صورته بأن قال (أليس في جهنم مثوى للكافرين) اي منزل ومقام للجاحدين وهذا استفهام يراد به التقرير ومعناه انه لكذلك ويقال اثوى وثوى بمعنى قال

طال الثواء على ربع بيمؤود أودى وكل جديد مرة مود

(والذي جاء بالصدق وصدق به) اختلف في المعني به فقيل الذي جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم جاء بالقرآن وصدق به المؤمنون فهو حجتهم في الدنيا والآخرة عن ابن زيد وقتادة ومقاتل واحتجوا بقوله (أولئك هم المتقون) وقيل الذي جاء بالصدق وهو القرآن جبرائيل (ع) وصدق به محمد صلى الله عليه وآله وسلم تلقاه بالقبول عن السدي وقيل الذي جاء بالصدق وهو قول لا إله الا الله هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصدق به هو ايضا وبلغه الى الخلق عن ابن عباس قال ولو كان المصدق به غيره لقال والذي صدق به وهذا اقوى الاقوال وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصدق به ابو بكر عن ابي العالية والكلبي وقيل الذي جاء بالصدق الانبياء وصدق به اتباعهم عن عطاء والربيع وعلى هذا فيكون الذي للجنس كما في قول الشاعر

وان الذي حانت بفلج دماؤهم هم القوم كل القوم يا ام خالد

ألا ترى انه عاد اليه ضمير الجمع وقيل الذي جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصدق به علي بن ابي طالب «ع» عن مجاهد ورواه الضحاك عن ابن عباس وهو المروي عن أئمة الهدى «ع» من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم من سبحانه بما أعد لهم من النعيم فقال لهم (ما يشاؤون) من الثواب والنعيم في الجنة (عند ربهم) ينالون من جهته (ذلك جزاء المحسنين) على احسانهم الذي فعلوه في الدنيا واعمالهم الصالحة (ليكفر الله عنهم اسوء الذي عملوا) اي اسقط الله عنهم عقاب الشرك والمعاصي التي فعلوها قبل ذلك بإيمانهم واحسانهم ورجوعهم إلى الله تعالى (ويجزيهم اجرهم) اي ثوابهم (بأحسن الذي كانوا يعملون) اي بالفرائض والنوافل فهي احسن اعمالهم لأن المباح وان كان حسنا فلا يستحق به ثواب ولا مدح

قوله تعالى (٣٦) أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٧) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ (٣٨) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ

اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ (٣٩) قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤٠) مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم وابو جعفر بكاف عباده على الجمع والباقون عبده على التوحيد وقرأ اهل البصرة كاشفات وممسكات بالتنوين وما بعدهما منصوبان وقرأ الباقون بغير تنوين على اضافة كل واحدة منها إلى ما بعدها

الحجة

قال ابو علي حجة من قرأ عبده ويخوفونك فكأن المعنى أليس الله بكافيك وهم يخوفونك ومن قرأ عباده فالمعنى أليس الله بكاف عباده الأنبياء كما كفى ابراهيم النار ونوحا الغرق ويونس ما وقع اليه فهو سبحانه كافيك كما كفى الانبياء قبلك ومن قرأ كاشفات ضره وممسكات رحمته فالوجه فيه انه مما لم يقع وما لم يقع من اسماء الفاعلين او كان للحال فالوجه فيه النصب ووجه الجر انه لما حذف التنوين وان كان المعنى على اثباته عاقبت الاضافة التنوين

المعنى

لما وعد الله سبحانه الصادق والمصدق عقبه بأنه يكفيهم وان كانت الأعداء تقصدهم وتؤذيهم فقال (أليس الله بكاف عبده) استفهام يراد به التقرير يعني به محمدا صلى الله عليه وآله وسلم يكفيه عداوة من يعاديه ويناوئه (ويخوفونك) يا محمد (بالذين من دونه) كانت الكفار تخوفه بالأوثان التي كانوا يعبدونها عن قتادة والسدي وابن زيد لأنهم قالوا له إنا نخاف أن تهلكك آلهتنا وقيل انه لما قصد خالد لكسر العزى بأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالوا اياك ياخالد فبأسها شديد فضرب خالد أنفها بالفأس وهشمها وقال كفرانك ياعزى لا سبحانك سبحان من أهانك إني رأيت الله قد أهانك (ومن يضلل الله فما له من هاد) أي من اضله الله عن طريق الجنة بكفره ومعاصيه فليس له هاد يهديه اليها وقيل معناه ان من وصفه بأنه ضال إذا ضل هو عن الحق فليس له من يسميه هاديا وقيل من يحرمه الله من زيادات الهدى فليس له زائد (ومن يهدي الله فما له من مضل) اي من يهده الله إلى طريق الجنة فلا احد يضله عنها وقيل من يهده الله فاهتدى فلا يقدر احد على صرفه عنه وقيل من بلغ استحقاق زيادات الهدى فقد ارتفع عن تأثير الوسواس (أليس الله بعزيز) اي قادر قاهر لا يقدر احد على مغالبته (ذي انتقام) من اعدائه الجاحدين لنعمه ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (ولئن سألتهم) يامحمد (من خلق السموات والأرض) وأوجدها وانشأها بعد ان كانت معدومة (ليقولن الله) الفاعل لذلك لأنهم مع عبادتهم الأوثان يقرون بذلك ثم احتج عليهم بأن مايعبدونه من دون الله لا يملك كشف الضر والسوء عنهم فقال (قل) لهم (أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر) اي بمرض او فقر او بلاء او شدة (هل هن كاشفات ضره) اي هل يكشفن ضره (او أرادني برحمة) اي بخير او صحة (هل هن ممسكات رحمته) اي هل يمسكن ويحبسن عني رحمته والمعنى أن من عجز عن النفع والضر وكشف السوء والشر عمن يتقرب اليه كيف يحسن منه عبادته وإنما يحسن العبادة لمن قدر على جميع ذلك ولا يلحقه العجز والمنع وهو الله تعالى (قل) يا محمد (حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) وبه يثق الواثقون ومن توكل على غيره توكل على غير كاف (قل) لهم يامحمد (ياقوم اعملوا على مكانتكم) اي على قدر جهدكم وطاقتكم في اهلاكي وتضعيف امري (اني عامل) قدر جهدي وطاقتي (فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم) قد مضى مفسرا وفي هذا غاية الوعيد والتهديد

النظم

اتصل قوله ولئن سألتهم بقوله ويخوفونك بالذين من دونه والمعنى انه لا ينبغي ان يخوفوك بها مع اعترافهم بأن الخالق هو الله دون غيره

قوله تعالى (٤١) إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ (٤٢) ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٣) أَمِ ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (٤٤) قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٤٥) وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم وقتيبة قضي بالضم الموت بالرفع والباقون قضى بالفتح الموت بالنصب

الحجة

قال ابو علي حجة من بنى الفعل للفاعل قوله ويرسل الأخرى فكما أن هذا مبني للفاعل فكذلك حكم الذي عطف عليه ومن بنى الفعل للمفعول به فهو في المعنى مثل بناء الفعل للفاعل والأول أبين

اللغة

التوفي قبض الشيء على الايفاء والاتمام يقال توفيت حقي من فلان واستوفيته بمعنى والاشمئزاز الانقباض والنفور من الشيء قال عمرو بن كلثوم

إذا عض الثقاف بها اشمأزت ... وولتهم عشوزنة زبونا

وروى ثعلب عن ابن الأعرابي الشمز نفور الشيء من الشيء يكرهه

المعنى

ثم بين سبحانه تحقيق وعيده بالعذاب المقيم بأن قال (إنا أنزلنا عليك الكتاب) يعني القرآن (للناس) اي لجميع الخلق عن ابن عباس (بالحق) اي ليس فيه شيء من الباطل وقيل بالحق معناه بأنه الحق او على انه الحق الذي يجب النظر في موجبه ومقتضاه فما صححه وجب تصحيحه وما افسده وجب افساده وما رغب فيه وجب العمل به وما حذر منه وجب اجتنابه وما دعا اليه فهو الرشد وما صرف عنه فهو الغي (فمن اهتدى) بما فيه من الأدلة (فلنفسه) لأن النفع في عاقبته يعود اليه (ومن ضل) عنه وحاد (فإنما يضل عليها) اي على نفسه لأن مضرة عاقبته من العقاب تعود عليه (وما انت) يامحمد (عليهم بوكيل) اي برقيب في ايصال الحق إلى قلوبهم وحفظه عليهم حتى لا يتركوه ولا ينصرفوا عنه اذ لا تقدر على اكراههم على الاسلام وقيل بكفيل يلزمك إيمانهم فإنما عليك البلاغ (الله يتوفى الأنفس حين موتها) اي يقبضها اليه وقت موتها وانقضاء آجالها والمعنى حين موت أبدانها واجسادها على حذف المضاف (والتي لم تمت في منامها) اي ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها والتي

تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز وهي التي تفارق النائم فلا يعقل والتي تتوفى عند الموت هي نفس الحياة التي إذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس فالفرق بين قبض النوم وقبض الموت ان قبض النوم يضاد اليقظة وقبض الموت يضاد الحياة وقبض النوم يكون الروح معه في البدن وقبض الموت يخرج الروح معه من البدن (فيمسك التي قضى عليها الموت) إلى يوم القيامة لا تعود إلى الدنيا (ويرسل الأخرى) يعني الأنفس الأخرى التي لم يقض على موتها يريد نفس النائم (إلى أجل مسمى) قد سمي لموته (إن في ذلك لآيات) أي دلالات واضحات على توحيد الله وكمال قدرته (لقوم يتفكرون) في الأدلة إذ لا يقدر على قبض النفوس تارة بالنوم وتارة بالموت غير الله تعالى قال ابن عباس في بني آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحرك فإذا نام قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وإذا مات قبض الله نفسه وروحه ويؤيده ما رواه العياشي بالاسناد عن الحسن بن محبوب عن عمرو بن ثابت ابي المقدام عن ابي جعفر «ع» قال ما من أحد ينام إلا عرجت نفسه إلى السماء وبقيت روحه في بدنه وصار بينهما سبب كشعاع الشمس فإن أذن الله في قبض الأرواح أجابت الروح النفس وإذا أذن الله في رد الروح أجابت النفس الروح وهو قوله سبحانه الله يتوفى الأنفس حين موتها الآية فمهما رأت في ملكوت السماوات فهو مما له تأويل وما رأت فيما بين السماء والأرض فهو مما يخيله الشيطان ولا تأويل له (أم اتخذوا) أي بل اتخذوا (من دون الله) آلهة (شفعاء قل) يا محمد (أولو كانوا) يعني الآلهة (لايملكون شيئا) من الشفاعة (ولايعقلون) وجواب هذا الاستفهام محذوف تقديره أولو كانوا بهذه الصفة يتخذونهم شفعاء ويعبدونهم راجين شفاعتهم ثم قال (قل) لهم (لله الشفاعة جميعا) أي لا يشفع احد إلا بإذنه عن مجاهد والمعنى لا يملك احد الشفاعة إلا بتمليكه كما قال من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وفي هذا ابطال الشفاعة لمن ادعيت له الشفاعة من الآلهة (له ملك السماوات والأرض ثم اليه ترجعون) مضى معناه ثم اخبر سبحانه عن سوء اعتقادهم وشدة عنادهم فقال (وإذا ذكر الله وحده اشمأزت) أي نفرت عن السدي والضحاك والجبائي وقيل انقبضت عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقيل كفرت واستكبرت عن قتادة (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة) كان المشركون إذا سمعوا قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له نفروا من هذا لأنهم كانوا يقولون الأصنام آلهة (وإذا ذكر الذين من دونه) يعني الأصنام التي عبدوها من دونه (إذا هم يستبشرون) يفرحون ويسرون حتى يظهر السرور في وجوههم

﴿ النظم ﴾

اتصل قوله الله يتوفى الأنفس بقوله وما أنت عليهم بوكيل فبين سبحانه ان الحفيظ عليهم هو الذي يتوفاهم ويصرفهم كيف يشاء وقيل يتصل بقوله أليس الله بكاف عبده أي من كان هذه صفته فإنه يكفيك امرهم واتصل قوله أم اتخذوا من دون الله شفعاء بقوله أليس الله بكاف عبده أي فكما ان اصنامهم لا تملك الضر والنفع فإنها لا تملك الشفاعة

قوله تعالى (٤٦) قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ عَالِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٤٧) وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ (٤٨) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٤٩) فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ (٥٠) قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ خمس آيات

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه ذكر الأدلة فلم ينظروا فيها والمواعظ فلم يتعظوا بها أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يحاكمهم اليه ليفعل بهم ما يستحقونه فقال (قل) يا محمد ادع بهذا الدعاء (اللهم فاطر السماوات والأرض) أي ياخالقها ومنشئها (عالم الغيب والشهادة) أي يا عالم ما غاب علمه عن جميع الخلق وعالم ما شهدوه وعلموه (أنت تحكم بين عبادك) يوم القيامة (فيما كانوا فيه يختلفون) في دار الدنيا من أمر دينهم ودنياهم وتفصل بينهم بالحق في الحقوق والمظالم أي فاحكم بيني وبين قومي بالحق وفي هذا بشارة للمؤمنين بالظفر والنصر لأنه سبحانه إنما أمره به للاجابة لا محالة وعن سعيد بن المسيب انه قال اني لأعرف موضع آية لم يقرأها أحد قط فسأل الله شيئا إلا اعطاه قوله قل اللهم فاطر السماوات والأرض الآية ثم اخبر سبحانه عن وقوع العقاب بالكفار بأن قال(ولو أن للذين ظلموا مافي الأرض جميعا ومثله معه)زيادة عليه(لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة)وقد مضى تفسيره (وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) اي ظهر لهم يوم القيامة من صنوف العذاب ما لم يكونوا ينتظرونه ولا يظنونه واصلا اليهم ولم يكن في حسابهم قال السدي ظنوا اعمالهم حسنات فبدت لهم سيئات وقيل ان محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له أتجزع قال أخذتني آية من كتاب الله عز وجل وبدا لهم الآية أخذتني أن يبدو لي من الله ما لم احتسب (وبدا لهم) أي وظهر لهم ايضا (سيئات ما كسبوا) أي جزاء سيئات اعمالهم (وحاق بهم) أي نزل بهم (ما كانوا به يستهزؤون) وهو كل ماينذرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم مما كانوا ينكرونه ويكذبون به ثم اخبر عن شدة تقلب الانسان من حال الى حال فقال (فإذا مس الانسان ضر) من مرض اوشدة (دعانا) واستغاث بنامسلما مخلصا في كشفه علما بأنه لا يقدر غيرنا عليه (ثم إذا خولناه نعمة منا) أي أعطيناه نعمة من الصحة في الجسم والسعة في الرزق او غير ذلك من النعم (قال إنما أوتيته على علم) قيل فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ قال إنما أوتيته بعلمي وجلدي وحيلتي عن الحسن والجبائي فيكون هذا اشارة الى جهلهم بمواضع المنافع والمضار ﴿ وثانيها ﴾ على علم على خير علمه الله عندي عن قتادة ومقاتل ﴿ وثالثها ﴾ على علم يرضاه عني فلذلك أتاني ما أتاني من النعم ثم قال ليس الأمر على ما يقولونه (بل هي فتنة) أي بلية واختبار يبتليه الله بها فيظهر كيف شكره او صبره في مقابلتها فيجازيه بحسبها وقيل معناه هذه النعمة فتنة أي عذاب لهم إذا أضافوها إلى أنفسهم وقيل معناه هذه المقاله التي قالوها فتنة لهم لأنهم يعاقبون عليها (ولكن اكثرهم لا يعلمون) البلوى من النعمى وقيل لا يعلمون ان النعم كلها من الله وان حصلت بأسباب من جهة العبد (قد قالها) أي قد قال مثل هذه الكلمة وهذه المقالة(الذين من قبلهم) مثل قارون حيث قال إنما أوتيته على علم عندي (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) أي فلم ينفعهم ما كانوا يجمعونه من الأموال بل صارت وبالا عليهم

قوله تعالى (٥١) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٥٢) أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٣) قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ

رَحْمَةِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٤) وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (٥٥) وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ خمس آيات

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن حال هؤلاء الكفار فقال (فأصابهم سيئات ما كسبوا) أي اصابهم عقاب سيئاتهم فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه وقيل إنما سمي عقاب سيئاتهم سيئة لازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها (والذين ظلموا من هؤلاء) اي من كفار قومك يا محمد (سيصيبهم سيئات ما كسبوا) ايضا (وما هم بمعجزين) أي لا يفوتون الله تعالى وقيل لا يعجزون الله بالخروج من قدرته (أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) اي يوسع الرزق على من يشاء ويضيق على من يشاء بحسب ما يعلم من المصلحة (إن في ذلك لآيات) دلالات واضحات (لقوم يؤمنون) يصدقون بتوحيد الله تعالى لأنهم المنتفعون بها (قل) يا محمد (يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم) بارتكاب الذنوب (لا تقنطوا من رحمة الله) أي لا تيأسوا من مغفرة الله (إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم) وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما احب ان لي الدنيا ومافيها بهذه الآية وعن امير المؤمنين علي «ع» انه قال ما في القرآن آية أوسع من يا عبادي الذين اسرفوا الآية وفي مصحف عبدالله ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء وقيل ان الآية نزلت في وحشي قاتل حمزة حين أراد أن يسلم وخاف أن لا تقبل توبته فلما نزلت الآية اسلم فقيل يا رسول الله هذه له خاصة أم للمسلمين عامة فقال صلى الله عليه وآله وسلم بل للمسلمين عامة وهذا لا يصح لأن الآية نزلت بمكة ووحشي اسلم بعدها بسنين كثيرة ولكن يمكن أن يكون قرئت عليه الآية فكانت سبب إسلامه فالآية محمولة على عمومها فالله سبحانه يغفر جميع الذنوب للتائب لا محالة فإن مات الموحد من غير توبة فهو في مشيئة الله إن شاء عذبه بعدله وإن شاء غفر له بفضله كما قال ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ثم دعا سبحانه عباده الى التوبة وأمرهم بالإنابة اليه فقال (وأنيبوا إلى ربكم) أي ارجعوا من الشرك والذنوب الى الله فوحدوه (وأسلموا له) أي انقادوا له بالطاعة فيما يأمركم به وقيل معناه اجعلوا أنفسكم خالصة له قد حث سبحانه بهذه الآية على التوبة كيلا يرتكب الإنسان المعصية ويدع التوبة اتكالا على الآية المتقدمة (من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون) عند نزول العذاب بكم (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) اي من الحلال والحرام والأمر والنهي والوعد والوعيد فمن أتى بالمأمور به وترك المنهي عنه فقد اتبع الأحسن عن ابن عباس وقيل إنما قال احسن ما أنزل لأنه أراد بذلك الواجبات والنوافل التي هي الطاعات دون المباحات وقيل اراد بالأحسن الناسخ دون المنسوخ عن الجبائي قال علي بن عيسى وهذا خطأ لأن المنسوخ لا يجوز العمل به فلا يكون حسنا بل هو قبيح ولا يكون الحسن احسن من قبيح وقد أجيب عن هذا بأن المنسوخ يجوز ان يكون حسنا إلا ان العمل بالناسخ يكون اصلح واحسن (من قبل ان يأتيكم العذاب بغتة) اي فجأة في وقت لا تتوقعونه (وأنتم لا تشعرون) اي لا تعرفون وقت نزوله بكم

قوله تعالى (٥٦) أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللّٰهِ وَإِنْ كُنْتُ

لَمِنَ ٱلسَّاخِرِينَ (٥٧) أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ (٥٨) أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ (٥٩) بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ (٦٠) وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ خمس آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر يا حسرتاي بياء مفتوحة بعد الألف والباقون يا حسرتا بغير ياء

الحجة

قال ابن جني في قوله يا حسرتاي اشكال وذلك ان الألف في حسرتا إنما هي بدل من يا حسرتي ابدلت الياء الفا هربا إلى خفة الألف من ثقل الياء قال والذي عندي فيه انه جمع بين العوض والمعوض عنه كذهب ابي اسحاق وابي بكر في قول الفرزدق

هما نفثا في فيّ من فمويهما ... على النابح العاوي أشد رجام

فجمع بين الميم والواو وإنما الميم بدل من الواو ومثله ما أنشده ابو زيد

إني إذا ما حدث ألما ... أقول يا اللهم يا اللهما

فجمع بين ياء وميم وإنما الميم عوض من ياء

اللغة

التفريط اهال ما يجب ان يتقدم فيه حتى يفوت وقته ومثله التقصير وضده الأخذ بالحزم يقال فلان حازم وفلان مفرط والتحسر الاغتمام مما فات وقته لانحساره عنه بما لا يمكنه استدراكه ومثله التأسف واصل الباب الانقطاع يقال انحسرت الدابة أي انقطع سيرها كلالا والجنب العضو المعروف والجنب ايضا معظم الشيء واكثره يقال هذا قليل في جنب مودتك ويقال ما فعلت في جنب حاجتي اي في امره قال كثير

الا تتقين الله في جنب عاشق ... له كبد حرى عليك تقطع

الاعراب

بلى قد جاءتك جواب قوله او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين لأن معناه ما هداني فقيل لها بلى قد جاءتك آياتي لأن بلى جواب النفي وليس في الظاهر نفي فيحمل على المعنى . وجوههم مسودة مبتدأ وخبر والجملة في موضع نصب على الحال واستغنى عن الواو لمكان الضمير ويجوز في غير القرآن وجوههم بالنصب على البدل . من الذين كذبوا اي ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة بالنصب ومثل النصب قول عدي بن زيد

دعيني ان أمرك لن يطاعا ... وما ألفيتني حلمي مضاعا

(المعنى)

لما أمر الله سبحانه باتباع الطاعات واجتناب المقبحات تحذيرا من نزول العقوبات بين الغرض في ذلك

بقوله (ان تقول نفس) اي خوف ان تقول او حذرا من ان تقول والمعنى كراهة ان تصيروا الى حال تقولون فيها (يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله) اي يا ندامتي على ما ضيعت من ثواب الله عن ابن عباس وقيل قصرت في أمر الله عن مجاهد والسدي وقيل في طاعة الله عن الحسن قال الفراء الجنب القرب اي في قرب الله وجواره يقال فلان يعيش في جنب فلان اي في قربه وجواره ومنه قوله تعالى والصاحب بالجنب فيكون المعنى على هذا القول على ما فرطت في طلب جنب الله اي في طلب جواره وقربه وهو الجنة وقال الزجاج اي فرطت في الطريق الذي هو طريق الله فيكون الجنب بمعنى الجانب اي قصرت في الجانب الذي يؤدي إلى رضا الله وروى العياشي بالاسناد عن ابي الجارود عن ابي جعفر «ع» انه قال نحن جنب الله (وإن كنت لمن الساخرين) اي واني كنت لمن المستهزئين بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن وبالمؤمنين في دار الدنيا عن قتادة والسدي وقيل من الساخرين ممن يدعوني إلى الايمان (او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين) اي فعلنا ذلك كراهة ان تقول لو أراد الله هدايتي لكنت ممن يتقي معاصيه خوفا من عقابه وقيل انهم لما لم ينظروا في الأدلة واعرضوا عن القرآن واشتغلوا بالدنيا والاباطيل توهموا ان الله تعالى لم يهدهم فقالوا ذلك بالظن ولهذا رد الله عليهم بقوله بلى قد جاءتك آياتي الآية وقيل معناه لو ان الله هداني الى النجاة بأن يردني الى حال التكليف لكنت ممن يتقي المعاصي عن الجبائي قال لأنهم يضطرون يوم القيامة إلى العلم بأن الله قد هداهم (او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فأكون من المحسنين) اي لو ان لي رجعة إلى الدنيا فأكون من الموحدين المطيعين ثم قال سبحانه منكرا على هذا القائل (بلى) اي ليس كما قلت (قد جاءتك آياتي) اي حججي ودلالاتي (فكذبت بها) وانفت من اتباعها وذلك قوله (واستكبرت وكنت من الكافرين) بها وإنما قال جاءتك وان كانت النفس مؤنثة لأن المراد بالنفس هنا الانسان وروي في الشواذ عن عاصم والجحدري ويحيى بن يعمر بكسر الكاف والتاءآت بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين (ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) فزعموا ان له شريكا وولدا (وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) الذين تكبروا عن الايمان بالله هذا استفهام تقرير اي فيها مثواهم ومقامهم وروى العياشي باسناده عن خثيمة قال سمعت اباعبد الله «ع» يقول من حدث عنا بحديث فنحن سائلوه عنه يوما فإن صدق علينا فإنما يصدق على الله وعلى رسوله وإن كذب علينا فإنما يكذب على الله وعلى رسوله لأنا إذا حدثنا لا نقول قال فلان وقال فلان إنما نقول قال الله وقال رسوله ثم تلا هذه الآية ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله الآية ثم أشار خثيمة إلى أذنيه فقال صمتا ان لم أكن سمعته وعن سودة بن كليب قال سألت ابا جعفر «ع» عن هذه الآية فقال كل امام انتحل إمامة ليست له من الله قلت وان كان علويا قال «ع» وان كان علويا قلت وإن كان فاطميا قال وان كان فاطميا

قوله تعالى (٦١) وَيُنَجِّي اللهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (٦٣) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ أُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٦٤) قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٥) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ

وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٦) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ست آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير حفص بمفازاتهم والباقون بمفازتهم وقرأ اهل المدينة تأمروني خفيفة النون مفتوحة الياء وقرأ ابن عامر تأمرونني بنونين ساكنة الياء وقرأ ابن كثير تأمرونّي مشددة النون مفتوحة الياء والباقون تأمروني مشددة النون ساكنة الياء وقرأ زيد عن يعقوب لنحبطن عملك والباقون وليحبطن عملك

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة الافراد ان المفازة والفوز واحد فافراد المفازة كافراد الفوز وحجة الجمع ان المصادر قد تجمع اذا اختلفت اجناسها ومثله في الافراد والجمع على مكانتكم ومكاناتكم وقوله افغير الله تأمروني أعبد غير ينتصب على وجهين ﴿ احدهما ﴾ اعبد غير الله فيما تأمروني ﴿ والآخر ﴾ ان ينتصب بتأمروني اي اتأمروني بعبادة غير الله فلما حذف ان ارتفع اعبد فصارت ان وصلتها في موضع نصب ولا يجوز انتصاب غير بأعبد على هذا لأنه في تقدير الصلة فلا يعمل فيما تقدم عليه فموضع اعبد وان المضمرة نصب على تقدير البدل من غير كأنه قال أبعبادة غير الله تأمروني الا ان الجار حذف كما حذف من قوله امرتك الخير وصار التقدير بعد الحذف اغير الله تأمروني عبادته فاضمر المفعول الثاني للأمر والمفعول الأول علامة المتكلم وان اعبد بدل من غير ومثل هذا في البدل قوله وما أنسانيه الا الشيطان ان اذكره اي ما انساني ذكره الا الشيطان واقول في بيانه وشرحه ان تقديره كان في الأصل افبعبادة غير الله تأمروني ثم حذف الجار الذي هو الباء فوصل الفعل فنصبه فصار أفبعبادة غير الله تأمروني ثم حذف المضاف الذي هو عبادة واقيم المضاف اليه الذي هو غير مقامه فصار افغير الله تأمروني ثم جعل اعبد الذي تقديره ان اعبده وهو في معنى عبادته بدلا من غير الله وبيانا للمحذوف الذي هو عبادة في قوله أفبعبادة غير الله فصار مثل قوله تعالى وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره ومن قال ان قوله اعبد في موضع نصب على الحال فلا وجه لقوله واما على الوجه الاول وهو ان يكون غير الله منصوبا بأعبد فإنه يكون تأمرني اعتراضا بين العامل والمعمول. رجعنا الى كلام ابي علي فأما تأمروني فالقياس تأمرونني ويدغم فيصير تأمرونّي وجاز الادغام وإسكان النون المدغمة لأن قبلها حرف لين وهو الواو في تأمرونني ومن خفف فقال تأمروني ينبغي ان يكون حذف النون الثانية المصاحبة لعلامة المنصوب المتكلم لأنها قد حذفت في مواضع نحو «يسوء الفاليات اذا فليني» واني وكاني وقدي وقدني وإنما قدرنا حذف الثانية لأن التكرير والتثقيل به وقع ولأن حذف الاولى لحن لأنها دلالة الرفع وعلى هذا يحمل قول الشاعر

ابالموت الذي لا بد أني ملاقٍ لا أباك تخوفيني

وفتح الياء من تأمروني واسكانها جميعا سائغ حسن

﴿ المعنى ﴾

لما اخبر الله سبحانه عن حال الكفار عقبه بذكر حال الأتقياء الابرار فقال (وينجي الله الذين اتقوا) معاصيه خوفا من عقابه (بمفازتهم) اي بمنجاتهم من النار واصل المفازة المنجاة وبذلك سميت المفازة على وجه التفاؤل بالنجاة منها كما سموا اللديغ سليما (لا يمسهم السوء) اي لا يصيبهم المكروه والشدة (ولا هم

يحزنون) على ما فاتهم من لذات الدنيا ولما ذكر الوعد والوعيد بين سبحانه انه القادر على كل شيء بقوله (الله خالق كل شيء)اي محدث كل شيء ومبدعه (وهو على كل شيء وكيل) اي حافظ مدبر (له مقاليد السماوات والارض) واحدها مقليد ومقلاد يريد مفاتيح السماوات والارض بالرزق والرحمة عن ابن عباس وقتادة وقيل خزائن السماوات والارض يفتح الرزق على من يشاء ويغلقه عمن يشاء عن الضحاك (والذين كفروا بآيات الله اولئك هم الخاسرون) لأنهم يخسرون الجنة ونعيمها ويصلون النار وسعيرها ثم اعلم سبحانه انه المعبود لا معبود سواه بقوله (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (افغير الله تأمروني اعبد) اي اتأمرونني أن اعبد غير الله (ايها الجاهلون) فيما تأمرونني به إذ تأمرون بعبادة من لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (ولقد اوحي اليك) يا محمد (والى الذين من قبلك) من الانبياء والرسل (لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) قال ابن عباس هذا أدب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وتهديد لغيره لأن الله تعالى قد عصمه من الشرك ومداهنة الكفار وليس في هذا ما يدل على صحة القول بالإحباط على ما يذهب اليه اهل الوعيد لأن المعنى فيه ان من اشرك في عبادة الله غيره من الاصنام وغيرها وقعت عبادته على وجه لا يستحق عليها الثواب به ولذلك وصفها بأنها محبطة إذ لو كانت العبادة خالصة لوجه الله تعالى لاستحق عليها الثواب ثم أمر سبحانه بالتوحيد فقال (بل الله فاعبد) اي وجه عبادتك اليه تعالى وحده دون الأصنام (وكن من الشاكرين) الذين يشكرون الله على نعمه ويخلصون العبادة له قال الزجاج الله منصوب بقوله فاعبد في قول البصريين والكوفيين والفاء جاءت على معنى المجازاة والمعنى قد تبينت فاعبد الله

قوله تعالى (٦٧) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٨) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (٦٩) وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٧٠) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ اربع آيات

=(الإعراب)=

جميعا نصب على الحال والعامل فيه محذوف وتقديره والارض اذا كانت مجتمعة قبضته فإذا ظرف زمان والعامل فيه قبضته وكان هاهنا تامة إذ لو كانت ناقصة لكان جميعا خبرها ولم يجز ان يكون حالا وهذا كما قالوا في . أخطب ما يكون الأمير قائما ان التقدير إذا كان قائما او اذ كان قائما وهذا بسرا اطيب منه تمرا أن التقدير هذا إذا كان بسرا اطيب منه إذا كان تمرا ومثله قول الشاعر

إذا المرء أعيته المروة ناشئا ... فمطلبها كهلا عليه شديد

اي إذا كان كهلا والمعنى والأرض في حال اجتماعها قبضته قال الإمام النحوي البصير قال ابوعلي في الحجة ان التقدير والأرض ذات قبضته إذا كانت مجتمعة وقال في الحلبيات التقدير والأرض مقبوضة إذا كانت مجتمعة وقال فعلى التقدير الذي في الحجة لا يتأتى اعمال قبضته في إذا لأنه قدره ذات قبضته والمضاف اليه لا يعمل فيما قبل المضاف وعلى التقدير في الحلبيات يتأتى اعمال قبضته في إذا لأنه بمعنى مفعول

وأقول ان المضاف اليه إذا أقيم مقام المضاف بعد ان حذف المضاف جاز ان يعمل عمل المضاف كما عرب بإعرابه فارتفع بعد أن كان مجرورا في الأصل فلما جاز أن يعمل المضاف فيما قبله جاز لما قام مقامه ان يعمل فيما قبله كما اكتسى اعرابه وكيف يجوز ان يستتم ما ذكره هذا الجامع للعلوم على مثل ابي علي مع انه يشق الشعر في هذا الفن

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن احوالهم فقال (وما قدروا الله حق قدره) اي ما عظموا الله حق عظمته إذ عبدوا غيره وأمروا نبيه بعبادة غيره عن الحسن والسدي قال المبرد واصله من قولك فلان عظيم القدر يريد بذلك جلالته والقدر اختصاص الشيء بعظم او صغر اومساواة وقيل معناه وما وصفوا الله حق وصفه إذ جحدوا البعث فوصفوه بأنه خلق الخلق عبثا وانه عاجز عن الإعادة والبعث (والأرض جميعا قبضته يوم القيامة) والقبضة في اللغة ما قبضت عليه بجميع كفك أخبر سبحانه عن كمال قدرته فذكر أن الأرض كلها مع عظمها في مقدوره كالشيء الذي يقبض عليه القابض بكفه فيكون في قبضته وهذا تفهيم لنا على عادة التخاطب فيما بيننا لأنا نقول هذا في قبضة فلان وفي يد فلان إذا هان عليه التصرف فيه وان لم يقبض عليه وكذا قوله (والسموات مطويات بيمينه) اي يطويها بقدرته كما يطوي الواحد منا الشيء المقدور له طيه بيمينه وذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار والتحقيق للملك كما قال اوماملكت أيمانكم اي ما كان تحت قدرتكم إذ ليس الملك يختص باليمين دون الشمال وسائر الجسد وقيل معناه انه محفوظات مصونات بقوته واليمين القوة كما في قول الشاعر

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

ثم نزه سبحانه نفسه عن شركهم فقال (سبحانه وتعالى عما يشركون) اي عما يضيفونه اليه من الشبيه والمثل (ونفخ في الصور) وهو قرن ينفخ فيه اسرافيل ووجه الحكمة في ذلك انها علامة جعلها الله ليعلم بها العقلاء آخر أمرهم في دار التكليف ثم تجديد الخلق فشبه ذلك بما يتعارفونه من بوق الرحيل والنزول ولا تتصوره النفوس باحسن من هذه الطريقة وقيل ان الصور جمع صورة فكأنه نفخ في صورة الخلق عن قتادة وروي عنه انه قرأ في الصوز بفتح الواو (فصعق من في السموات ومن في الأرض) اي يموت من شدة تلك الصيحة التي تخرج من الصور جميع من في السماوات والأرض يقال صعق فلان إذا مات بحال هائلة شبيهة بالصيحة العظيمة (إلا من شاء الله) اختلف في المستثنى فقيل هم جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عن السدي وهو المروي عن حديث مرفوع وقيل هم الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله عن سعيد ابن جبير وعطا عن ابن عباس وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه سأل جبرائيل عن هذه الآية من الذي لم يشأ الله ان يصعقهم قال هم الشهداء متقلدون اسيافهم حول العرش (ثم نفخ فيه اخرى) يعني نفخة البعث وهي النفخة الثانية وقال قتادة في حديث رفعه ان ما بين النفختين اربعين سنة وقيل ان الله تعالى يفني الاجسام كلها بعد الصعق وموت الخلق ثم يعيدها وقوله (فإذا هم قيام) اخبار عن سرعة ايجادهم لأنه سبحانه إذا نفخ النفخة الثانية أعادهم عقيب ذلك فيقومون من قبورهم (احياء ينظرون) اي ينتظرون ما يفعل بهم وما يؤمرون به (وأشرقت الارض بنور ربها) اي أضاءت الارض بعدل ربها يوم القيامة لأن نور

الارض بالعدل كان نور العلم بالعمل عن الحسن والسدي وقيل بنور يخلقه الله عز وجل يضيء به ارض القيامة من غير شمس ولا قمر (ووضع الكتاب) اي كتب الاعمال التي كتبتها الملائكة على بني آدم توضع في أيديهم ليقرؤا منها اعمالهم والكتاب اسم جنس فيؤدي معنى الجمع اي يوضع كتاب كل إنسان في يمينه او شماله (وجيء بالنبيين والشهداء) اي يعطى بهم والشهداء هم الذين يشهدون للانبياء على الأمم بأنهم قد بلغوا وان الأمم قد كذبوا عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله عن السدي وقيل هم عدول الآخرة يشهدون على الأمم بما شاهدوا عن الجبائي وابي مسلم وهذا كما جرت العادة بأن القضاء يكون بشهد الشهداء والعدول وقيل هم الحفظة من الملائكة ويدل عليه قوله وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقيل هم جميع الشهداء من الجوارح والمكان والزمان (وقضي بينهم بالحق وهم لايظلمون) اي يفصل بينهم بر الحق لا ينقص احد منهم شيئا مما يستحقه من الثواب ولا يفعل به مالا يستحقه من العقاب (ووفيت كل نفس ما عملت) اي يعطي كل نفس عاملة بالطاعات جزاء ما عملته على الوفاء والكمال دون النقصان (وهو اعلم بما يفعلون) اي والله سبحانه اعلم من كل احد بما يفعلونه من طاعة او معصية ولم يأمر الملائكة بكتبة الاعمال لحاجة إلى ذلك بل لزيادة تأكيد وليعلموا انه يجازيهم بحسب ما عملوا

﴿ النظم ﴾

اتصل قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة بقوله وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته إذ عبدوا معه غيره مع اقتداره على السماوات والأرض

قوله تعالى (٧١) وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ (٧٢) قِيلَ ٱدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ (٧٣) وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٤) وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَامِلِينَ (٧٥) وَتَرَى ٱلْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ خمس آيات

« القراءة »

قرأ اهل الكوفة فتحت وفتحت بالتخفيف فيهما والباقون بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

حجة التشديد قوله مفتحة لهم الابواب وان التشديد يختص بالكثرة ووجه التخفيف ان التخفيف يصلح للقليل والكثير

﴿ اللغة ﴾

السوق الحث على السير ومنه قولهم الكلام يجري على سياقة واحدة ومنه السوق لأن المعاملة تساق فيها بالبيع والشراء والزمر جمع زمرة وهي الجماعة لها صوت كصوت المزمار ومنه مزامير داود وهي اصوات كانت له مستحسنة قال

له زجل كأنه صوت حاد إذا طلب الوسيقة او زمير

وقال ابو عبيدة هم جماعات في تفرقة بعضهم في أثر بعض وحف القوم بفلان إذا اطافوا به واحدقوا به والحفافان الجانبان قال المبرد الواو في قوله حتى إذا جاؤها وفتحت ابوابها زائدة وكان ينكر قول من يقول هي واو الثمانية وأنشد لامرء القيس

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل

قال والمعنى فلما اجزنا ساحة الحي انتحى بنا قال علي بن عيسى إنما جيء بهذه الواو تارة وحذفت أخرى للتصرف في الكلام وجواب إذا في صفة اهل الجنة محذوف وتقديره حتى إذا جاؤها وفتحت ابوابها وكانوا كيت وكيت فازوا ونالوا المنى وما اشبه ذلك وهذا معنى قول الخليل لأنه قال في بيت امرء القيس الجواب محذوف والتقدير فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى بنا خلونا ونعمنا ومثله قول بعض الهذليين

حتى إذا سلكوهم في قتائده شلا كما تطرد الجمالة الشردا

فحذف جواب إذا لأن هذا البيت آخر القصيدة وتحقيقه ان التقدير حتى إذا جاؤها وفتحت ابوابها فالواو واو حال وجواب إذا مضمر كما اضمر في قوله حتى إذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت إلى قوله ثم تاب عليهم والتقدير قاربوا الهلاك ثم تاب عليهم

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن قسمة احوال الخلائق في المحشر بعد فصل القضاء فقال (وسيق الذين كفروا) اي يساقون سوقا في عنف (إلى جهنم زمرا) اي فوجا بعد فوج وزمرة بعد زمرة (حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها) اي حتى إذا انتهوا إلى جهنم فتحت ابواب جهنم عند مجيئهم اليها وهي سبعة ابواب (وقال لهم خزنتها) الموكلون بها على وجه التهجين لفعلهم والانكار عليهم (ألم يأتكم رسل منكم) اي من امثالكم من البشر (يتلون عليكم) يقرؤن عليكم حجج ربكم وما يدلكم على معرفته ووجوب عبادته (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) اي ويخوفونكم من مشاهدة هذا اليوم وعذابه (قالوا) اي قال الكفار لهم (بلى) قد جاءتنا رسل ربنا وخوفونا بآيات الله (ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين) اي وجب العقاب على من كفر بالله تعالى لأنه اخبر بذلك وعلم من يكفر ويوافي بكفره فقطع على عقابه فلم يكن شيء يقع منه خلاف ما علمه واخبر به فصار كوننا في جهنم موافقا لما اخبر به تعالى ولما علمه (قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها) أي فيقول عند ذلك خزنة جهنم وهم الملائكة الموكلون ادخلوا أبواب جهنم مؤبدين لا آخر لعقابكم (فبئس مثوى المتكبرين) أي بئس موضع اقامة المتكبرين عن الحق وقبوله جهنم (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً) أي يساقون مكرمين زمرة بعد زمرة كقوله يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا وانما ذكر السوق على وجه المقابلة لسوق الكافرين إلى جهنم كلفظ البشارة في قوله فبشرهم بعذاب اليم وإنما البشارة هي الخبر

النار (حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها) أي وقد فتحت أبوابها قبل مجيئهم وأبواب الجنة ثمانية وعن سهل ابن سعد الساعدي ان رسول الله ﷺ قال ان في الجنة ثمانية أبواب منها باب يسمى الريان لا يدخلها إلا الصائمون رواه البخاري ومسلم في الصحيحين (وقال لهم خزنتها) عند استقبالهم (سلام عليكم) أي سلامة من الله عليكم يحيونهم بالسلامة ايزدادوا بذلك سروراً وقيل هو دعاء لهم بالسلامة والخلود أي سلمتم من الآفات (طبتم) أي طبتم بالعمل الصالح في الدنيا وطابت أعمالكم الصالحة وزكت وقيل معناه طابت أنفسكم بدخول الجنة وقيل انهم طيبوا قبل دخول الجنة بالمغفرة واقتص لبعضهم من بعض فلما هذبوا وطيبوا قال لهم الخزنة طبتم عن قتادة وقيل طبتم أي طاب لكم المقام عن ابن عباس وقيل انهم إذا قربوا من الجنة يردون على عين من الماء فيغتسلون بها ويشربون منها فيطهر الله أجوافهم فلا يكون بعد ذلك منهم حدث وأذى ولا تتغير ألوانهم فتقول الملائكة (طبتم فادخلوها خالدين) أي فادخلوا الجنة خالدين مخلدين مؤبدين (وقالوا) أي ويقول أهل الجنة إذا دخلوها اعترافا بنعم الله تعالى عليهم (الحمد لله الذي صدقنا وعده) الذي وعدناه على ألسنة الرسل (وأورثنا الأرض) أي أرض الجنة لما صارت الجنة عاقبة أمرهم عبر عن ذلك بلفظ الميراث والايراث وقيل لأنهم ورثوها عن أهل النار (نتبوء من الجنة) أي نتخذ من الجنة مبوأ ومأوى (حيث نشاء) وهذا إشارة إلى كثرة قصورهم ومنازلهم وسعة نعمتهم (فنعم أجر العاملين) أي فنعم ثواب المحسنين الجنة والنعيم فيها (وترى الملائكة حافين من حول العرش) معناه ومن عجائب أمور الآخرة انك ترى الملائكة محدقين بالعرش عن قتادة والسدي يطوفون حوله (يسبحون بحمد ربهم) أي ينزهون الله تعالى عما لا يليق به ويذكرونه بصفاته التي هو عليها وقيل يحمدون الله تعالى حيث دخل الموحدون الجنة وقيل ان تسبيحهم في ذلك الوقت على سبيل التلذذ والتنعم لا على وجه التعبد إذ ليس هناك تكليف وقد عظم الله سبحانه أمر القضاء في الآخرة بنصب العرش وقيام الملائكة حوله معظمين له سبحانه ومسبحين كما ان السلطان إذا أراد الجلوس للمظالم وقعد على سريره وأقام جنده حوله تعظيما لأمره وإن استحال كونه عز وجل على العرش إذ ليس بصفة الجواهر والأجسام والجلوس على العرش من صفات الأجسام (وقضي بينهم بالحق) أي وفصل بين الخلائق بالعدل وقيل بين الأنبياء والأمم وقيل بين أهل الجنة والنار (وقيل الحمد لله رب العالمين) من كلام أهل الجنة يقولون ذلك شكرا لله على نعمه التامة وقيل انه من كلام الله تعالى فقال في ابتداء الخلق الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وقال بعد افناء الخلق ثم بعد بعثهم واستقرار أهل الجنة في الجنة الحمد لله رب العالمين فوجب الأخذ بأدبه في ابتداء كل أمر بالحمد وختمه بالحمد

سورة المؤمن

مكية قال ابن عباس وقتادة إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة ان الذين يجادلون في آيات الله إلى قوله لا يعلمون وقال الحسن إلا قوله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار يعني بذلك صلاة الفجر وصلاة المغرب وقد ثبت ان فرض الصلاة نزل بالمدينة

﴿ عدد آيها ﴾

خمس وثمانون آية كوفي شامي وأربع حجازي آيتان بصري

﴿ اختلافها ﴾

تسع آيات حم كوفي كاظمين غير الكوفي يوم التلاق غير الشامي بارزون شامي بني اسرائيل الكتاب مكي كوفي والمدني الأول والبصير شامي والمدني الأخير يسبحون كوفي شامي والمدني الآخير كنتم تشركون كوفي شامي

﴿ فضلها ﴾

فضل الحواميم عموما وفضلها خصوصا أبو بريرة الأسلمي عن رسول الله ﷺ قال من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم في صلاة الليل. أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال الحواميم ديباج القرآن. ابن عباس قال لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم. ابن مسعود قال إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات دمثات اتأنق فيهن. ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأ سورة حم المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا مؤمن إلا صلوا عليه واستغفروا له. وروى ابو بصير عن ابي عبد الله «ع» قال الحواميم ريحان القرآن فاحمدوا الله واشكروه بحفظها وتلاوتها وان العبد ليقوم يقرأ الحواميم فيخرج من فيه أطيب من المسك الاذفر والعنبر وان الله ليرحم تاليها وقارءها ويرحم جيرانه وأصدقاءه ومعارفه وكل حميم أو قريب له وانه في القيامة يستغفر له العرش والكرسي وملائكة الله المقربون. وروى ابو الصباح عن أبي جعفر (ع) قال من قرأ حم المؤمن في كل ثلاث غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر والزمه التقوى وجعل الآخرة خيرا له من الدنيا

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم سبحانه سورة الزمر بذكر الملائكة والجنة والنار افتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) حمٓ (٢) تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣) غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٤) مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (٥) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير عاصم الا حمادا ويحيى عن ابي بكر حم بإمالة الألف والباقون بالفتح بغير امالة وهما لغتان فصيحتان

﴿ اللغة ﴾

من جعل حم اسما للسورة يؤيده قول شريح بن اوفى العجلي

يذكرني حاميم والرمح شاجر ... فهلا تلا حم قبل التقدم

فجعله اسما معربا وقول الكميت

وجدنا لكم في آل حم آية ... تأولها منا تقي ومعرب

والعزيز القادر الغالب الذي لا يغالب المنيع بقدرته على غيره ولا يقدر عليه غيره والتوب يجوز أن يكون جمع توبة كدوم ودومة ويجوز ان يكون مصدر تاب يتوب توبا . والطول الانعام الذي تطول مدته على صاحبه كما ان التفضل النفع الذي فيه افضال على صاحبه ولو وقع النفع على خلاف هذا الوجه لم يكن تفضلا

﴿ الاعراب ﴾

إذا قدرت اتل حم فموضعه نصب وقيل موضعه جر بالقسم وقد يجوز ان يكون مرفوع الموضع على تقدير هذا حم وقد فتح الميم علي بن عيسى بن عمر جعله اسما للسورة فنصبه ولم ينون لأنه على وزن هابيل ويجوز ان يكون فتحه لالتقاء الساكنين والقراء على تسكين الميم وإذا كان من حروف التهجي فلا يدخلها الاعراب وتنزيل خبر مبتدأ محذوف . غافر الذنب جر بأنه صفة بعد صفة ومعناه ان من شأنه غفران الذنب فيما مضى وفيما يستقبل فلذلك كان صفة المعرفة وكذلك قابل التوب ولو جعلته بدلا كانت المعرفة والنكرة سواء

﴿ المعنى ﴾

(حم) قد مضى ذكر الأقوال فيه وقيل أقسم الله بحلمه وملكه لا يعذب من عاذ به وقال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه عن القرظي وقيل هو افتتاح أسمائه حليم حميد حكيم حي حنان ملك مجيد مبدئ معيد عن عطاء الخراساني وقيل معناه حم أي قضي ما هو كائن عن الكلبي (تنزيل الكتاب) أي هذا تنزيل الكتاب (من الله) الذي يحق له العبادة (العزيز) في ملكه (العليم) الكثير العلوم (غافر الذنب) لمن يقول لا إله إلا الله وهم أولياؤه وأهل طاعته والذنب اسم جنس فالمعنى غافر الذنوب فيما مضى وفيما يستقبل (وقابل التوبة) يقبل توبة من تاب اليه من المعاصي بأن يثيب عليها ويسقط عقاب معاص تقدمها على وجه التفضل منه لذلك كان صفة مدح ولو كان سقوط العقاب عندها واجبا لما كان فيه مدح قال الفراء معناهما ذي الغفران وذي قبول التوبة ولذلك صار نعتا للمعرفة (شديد العقاب) اي شديد عقابه وذكر ذلك عقيب قوله غافر الذنب لئلا يعول المكلف على الغفران بل يكون بين الرجاء والخوف (ذي الطول) اي ذي النعم على عباده عن ابن عباس وقيل ذي الغنى والسعة عن مجاهد وقيل ذي التفضل على المؤمنين عن الحسن وقتادة وقيل ذي القدرة والسعة عن ابن زيد والسدي وروي عن ابن عباس انه قال غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله قابل التوب عمن قال لا إله إلا الله شديد العقاب لمن لم يقل لا إله إلا الله ذي الطول ذي

الغنى عمن لم يقل لا إله إلا الله وقيل انه انما ذكر ذي الطول عقيب قوله شديد العقاب ليعلم ان العاصي أتي في هلا كه من قبل نفسه لا من قبل ربه والا فنعمه سابغة عليه دنيا ودينا (لا إله إلا هو) أي هو الموصوف بهذه الصفات دون غيره ولا يستحق العبادة سواه (اليه المصير) أي المرجع للجزاء والمعنى ان الأمور تؤول إلى حيث لايملك أحد النفع والضر والأمر والنهي غيره تعالى وهو يوم القيامة (ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا) أي لا يخاصم في دفع حجج الله وانكارها وجحدها إلا الذين كفروا بالله وآياته وجحدوا نعمه ودلالاته (فلا يغررك) يا محمد (تقلبهم في البلاد) أي تصرفهم في البلاد للتجارات سالمين أصحاء بعد كفرهم فإن الله تعالى لا يخفى عليه حالهم وإنما يمهلهم لأنهم في سلطانه ولا يفوتونه ولا يهملهم وفي هذا غاية التهديد ثم بين ان عاقبتهم الهلاك كعاقبة من قبلهم من الكفار فقال (كذبت قبلهم قوم نوح) يعني رسولهم نوحا (والأحزاب من بعدهم) وهم الذين تحزبوا على أنبيائهم بالتكذيب نحو عاد وثمود ومن بعدهم (وهمت كل أمة) منهم (برسولهم) أي قصدوه (ليأخذوه) أي ليقتلوه ويهلكوه عن ابن عباس وإنما قال برسولهم ولم يقل برسولها لأن المراد الرجال (وجادلوا بالباطل) أي خاصموا رسلهم بأن قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وهلا أرسل الله الينا ملائكة وبأمثال هذا من القول (ليدحضوا به الحق) الذي بينه الله تعالى وجاءت به رسله أي ليبطلوه ويزيلوه يقال أدحض الله حجته أي أزالها (فأخذتهم) بالعقاب أي أهلكتهم ودمرت عليهم وعاقبتهم (فكيف كان عقاب) أي فانظر كيف كان عقابي لهم وهذا استفهام تقرير لعقوبتهم الواقعة بهم

قوله تعالى (٦) وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (٧) الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٨) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٩) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ خمس آيات

❋ القراءة ❋

قرأ اهل المدينة وابن عامر كلمات ربك على الجمع والباقون كلمة ربك على التوحيد

❋ الحجة ❋

قال ابو علي الكلمة تقع مفردة على الكثرة فإذا كان كذلك استغني فيها عن الجمع كما تقول يعجبني قيامكم وقعودكم قال سبحانه لا تدعوا اليوم ثبورا واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً وقال ان أنكر الأصوات لصوت الحمير فأفرد الصوت مع الاضافة إلى الكثرة فكذلك الكلمة وقد قالوا قال قس في كلمته يعنون خطبته ومن جمع فلأن هذه الأشياء وان كانت تدل على الكثرة قد تجمع إذا اختلف أجناسها

-(الإعراب)-

انهم أصحاب النار يجوز ان يكون موضعه نصبا على تقدير بأنهم او لأنهم ويجوز ان يكون رفعا على البدل من كلمة ومن حوله معطوف على الذين يحملون العرش ورحمة وعلما منصوبان على التمييز ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم في موضع نصب عطفا على الهاء والميم في وادخلهم اي وادخل من صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم الجنة ايضا ويجوز ان يكون عطفا على الهاء والميم في وعدتهم اي وعدت من صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم وقوله لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم إذ تدعون لا يجوز ان يكون اذ ظرفا لمقت الله لأن المصدر لا يجوز ان يحال بينه وبين معموله بالأجنبي ولا يجوز ان يكون ظرفا للمقت الثاني في قوله من مقتكم انفسكم لأن الدعاء إلى الإيمان كان في الدنيا ومقتهم انفسهم يكون في الآخرة ولا يجوز ان يكون ظرفا لتدعون لأن تدعون في موضع جر بالاضافة والمضاف اليه لا يجوز ان يعمل في المضاف فالوجه ان يتعلق الظرف بفعل مضمر دلت عليه الجملة تقديره مقتم إذ تدعون او يتعلق بالمقت الثاني على تقدير تسمية الشيء بما يؤول اليه

❋ المعنى ❋

ثم قال سبحانه (وكذلك) اي ومثل ما حق على الأمم المكذبة من العقاب (حقت كلمة ربك) اي العذاب (على الذين كفروا) من قومك اي اصروا على كفرهم (انهم) اي لأنهم او بأنهم (اصحاب النار) عن الأخفش ثم اخبر سبحانه عن حال المؤمنين وانه تستغفر لهم الملائكة مع عظم منزلتهم عند الله تعالى فحالهم بخلاف احوال من تقدم ذكرهم من الكفار فقال (الذين يحملون العرش) عبادة لله وامتثالا لأمره (ومن حوله) يعني الملائكة المطيفين بالعرش وهم الكروبيون وسادة الملائكة (يسبحون بحمد ربهم) اي ينزهون ربهم عما يصفه به هؤلاء المجادلون وقيل يسبحونه بالتسبيح المعهود ويحمدونه على انعامه (ويؤمنون به) أي ويصدقون به ويعترفون بوحدانيته (ويستغفرون) اي ويسألون الله المغفرة (للذين آمنوا) من اهل الأرض اي صدقوا بوحدانية الله واعترفوا بآلهيته وبما يجب الاعتراف به يقولون في دعائهم لهم (ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما) اي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء والمراد بالعلم المعلوم كما في قوله ولا يحيطون بشيء من علمه اي بشيء من معلومه على التفصيل فجعل العلم في موضع المعلوم والمعنى انه لا اختصاص لمعلوماتك بل انت عالم بكل معلوم ولا تختص رحمتك حيا دون حي بل شملت جميع الحيوانات وفي هذا تعليم الدعاء ليبدأ بالثناء عليه قبل السؤال (فاغفر للذين تابوا) من الشرك والمعاصي (واتبعوا سبيلك) الذي دعوت اليه عبادك وهو دين الإسلام (وقهم) اي وادفع عنهم (عذاب الجحيم) وفي هذه الآية دلالة على ان اسقاط العقاب عند التوبة تفضل من الله تعالى إذ لو كان واجبا لكان لا يحتاج فيه إلى مسألتهم بل كان يفعله الله سبحانه لا محالة (ربنا وادخلهم) مع قبول توبتهم ووقايتهم النار (جنات عدن التي وعدتهم) على ألسن انبيائك (ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم) ليكمل أنسهم ويتم سرورهم (انك انت العزيز) القادر على من يشاء (الحكيم) في افعالك (وقهم السيئات) اي وقهم عذاب السيئات ويجوز ان يكون العذاب هو السيئات وسماه السيئات اتساعا كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها (ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته) اي ومن تصرف عنه شر معاصيه فتفضلت عليه يوم القيامة باسقاط عذابها فقد انعمت عليه (وذلك هو الفوز

العظيم) اي الظفر بالبغية والفلاح العظيم ثم عاد الكلام إلى من تقدم ذكرهم من الكفار فقال عز اسمه (ان الذين كفروا ينادون) اي يناديهم الملائكة يوم القيامة (لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم إذ تدعون إلى الايمان فتكفرون) والمقت اشد العداوة والبغض والمعنى انهم لما رأوا اعمالهم ونظروا في كتابهم وادخلوا النار مقتوا انفسهم لسوء صنيعهم فنودوا لمقت الله اياكم في الدنيا إذ تدعون إلى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم اليوم عن مجاهد وقتادة والسدي وقيل انهم لما تركوا الايمان وصاروا الى الكفر فقد مقتوا انفسهم اعظم المقت وهذا كما يقول احدنا لصاحبه إذا كنت لا تبالي بنفسك فمبالاتي بك اقل وليس يريد انه لا يبالي بنفسه بل يريد انه يفعل فعل من هو كذلك عن البلخي

قوله تعالى (١١) قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (١٢) ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ (١٣) هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ (١٤) فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (١٥) رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٦) يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (١٧) الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ سبع آيات

القراءة

قرأ روح وزيد عن يعقوب لتنذر بالتاء والباقون بالياء

الحجة

التاء على وجه الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقراءة القراء بالياء على ان الضمير يعود إلى من يشاء من عباده

الإعراب

لمن الملك اليوم انتصب اليوم لمدلول قوله لمن الملك اليوم اي لمن ثبت الملك في هذا اليوم ويجوز ان يتعلق بنفس الملك وقال قوم إن الوقف على الملك حسن ويبتدئ اليوم لله الواحد القهار أي في هذا اليوم

المعنى

ثم حكى سبحانه عن الكفار الذين تقدم وصفهم بعد حصولهم في النار بأنهم قالوا (ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين) اختلف في معناه على وجوه * احدها * ان الإماتة الاولى في الدنيا بعد الحياة والثانية في القبر قبل البعث والاحياء الآتي في القبر للمسائلة والثانية في الحشر عن السدي وهو اختيار البلخي * وثانيها * ان الإماتة الاولى حال كونهم نطفاً فأحياهم الله في الدنيا ثم اماتهم الموتة الثانية ثم أحياهم للبعث فهاتان حياتان وموتتان ونظيره قوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً الآية عن ابن عباس وقتادة والضحاك واختاره ابو مسلم * وثالثها * ان الحياة الأولى في الدنيا والثانية في القبر ولم يرد الحياة يوم القيامة والموتة الأولى في

الدنيا والثانية في القبر عن الجبائي (فاعترفنا بذنوبنا) التي اقترفناها في الدنيا (فهل إلى خروج من سبيل) هذا تلطف منهم في الاستدعاء أي هل بعد الاعتراف سبيل إلى الخروج وقيل انهم سألوا الرجوع إلى الدنيا أي هل من خروج من النار إلى الدنيا لنعمل بطاعتك ولو علم الله سبحانه انهم يفلحون لردهم إلى حال التكليف ولذلك قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه تنبيها على انهم لو صدقوا في ذلك لأجابهم إلى ما تمنوه وفي الكلام حذف تقديره فأجيبوا بأنه لا سبيل لكم إلى الخروج (ذلكم) أي ذلكم العذاب الذي حل بكم (بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم) أي إذا قيل لا إله إلا الله قلتم أجعل الآلهة إلها واحداً وجحدتم ذلك (وان يشرك به تؤمنوا) أي وان يشرك به معبود آخر من الأصنام والأوثان تصدقوا (فالحكم لله) في ذلك والفصل بين الحق والباطل (العلي) القادر على كل شيء ليس فوقه من هو أقدر منه أو من يساويه في مقدوره ونقلت هذه اللفظة من علو المكان إلى علو الشأن ولذلك جاز وصفه سبحانه بذلك يقال استعلى فلان عليه بالقوة وبالحجة وليس كذلك الرفعة ولذلك لا يوصف بمكانه بأنه رفيع كما وصف بأنه علي (الكبير) العظيم في صفاته التي لا يشاركه فيها غيره وقيل هو السيد الجليل عن الجبائي (هو الذي يريكم آياته) اي مصنوعاته التي تدل على كمال قدرته وتوحيده من السماء والأرض والشمس والقمر (وينزل لكم من السماء رزقا) من الغيث والمطر الذي ينبت ما هو رزق للخلق (وما يتذكر) أي وما يتعظ بهذه الآيات وليس يتفكر في حقيقتها (إلا من ينيب) أي يرجع اليه وقيل إلا من يقبل إلى طاعة الله عن السدي ثم أمر المؤمنين بتوحيده فقال (فادعوا الله مخلصين له الدين) أي وجهوا عبادتكم اليه تعالى وحده (ولو كره الكافرون) فلا تبالوا بهم ثم وصف سبحانه نفسه فقال (رفيع الدرجات) الرفيع بمعنى الرافع أي هو رافع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة عن عطا عن ابن عباس وقيل معناه رافع السموات السبع عن سعيد بن جبير وقيل معناه انه عالي الصفات (ذو العرش) أي مالك العرش وخالقه وربه وقيل ذو الملك والعرش الملك عن ابي مسلم (يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده) وقيل الروح هو القرآن وكل كتاب أنزله الله تعالى على نبي من انبيائه وقيل الروح الوحي هنا لأنه يحيي به القلب اي يلقي الوحي على قلب من يشاء ممن يراه أهلا له يقال ألقيت عليه كذا أي فهمته اياه وقيل ان الروح جبرائيل (ع) يرسله الله تعالى بأمره عن الضحاك وقتادة وقيل ان الروح هاهنا النبوة عن السدي (لينذر) النبي بما اوحي اليه (يوم التلاق) يلتقي في ذلك اليوم أهل السماء وأهل الأرض عن قتادة والسدي وابن زيد وقيل فيه يلتقي الأولون والآخرون والخصم والمخصوم والظالم والمظلوم عن الجبائي وقيل يلتقي الخلق والخالق عن ابن عباس يعني انه يحكم بينهم وقيل يلتقي المرء وعمله والكل مراد والله اعلم (يوم هم بارزون) من قبورهم وقيل يبرز بعضهم لبعض فلا يخفى على أحد حال غيره لأنه ينكشف ما يكون مستورا (لا يخفى على الله منهم شيء) أي من اعمالهم واحوالهم ويقول الله في ذلك اليوم (لمن الملك اليوم) فيقر المؤمنون والكافرون بأنه (لله الواحد القهار) وقيل انه سبحانه هو القائل لذلك وهو المجيب لنفسه ويكون في الأخبار بذلك مصلحة للمكلفين قال محمد بن كعب القرظي يقول الله تعالى ذلك بين النفختين حين يفني الخلائق كلها ثم يجيب نفسه لأنه بقي وحده والاول أصح لأنه بين انه يقول ذلك يوم التلاق يوم يبرز العباد من قبورهم وانما خص ذلك اليوم بأن له الملك فيه لأنه قد ملك العباد بعض الأمور في الدنيا ولا يملك أحد شيئا ذلك اليوم فإن قيل أليس يملك الأنبياء والمؤمنون في الآخرة الملك العظيم فالجواب ان احدا لا يستحق اطلاق الصفة بالملك إلا الله لأنه يملك جميع الأمور من غير تمليك مملك وقيل ان

المراد به يوم القيامة قبل تمليك أهل الجنة ما يملكهم (اليوم تجزى كل نفس بما كسبت) يجزى المحسن باحسانه والمسيء بإساءته وفي الحديث ان الله تعالى يقول أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار وعنده مظلمة حتى أقصه منه ثم تلا هذه الآية (لا ظلم اليوم) اي لا ظلم لأحد على أحد ولا ينقص من ثواب أحد ولا يزاد في عقاب أحد (ان الله سريع الحساب) لا يشغله محاسبة واحد من محاسبة غيره

﴿ النظم ﴾

اتصل قوله ربنا امتنا اثنتين بما تقدم من ذكر انكار الكفار البعث فعقبه سبحانه بذكر اعترافهم بذلك يوم القيامة وأيضا فإنه سبحانه لما ذكر مقتهم أنفسهم لعظم ما نزل بهم ذكر بعده سؤالهم الرجعة إلى الدنيا وانما اتصل قوله فاعترفنا بذنوبنا بما تقدم من اقرارهم بصفة الرب سبحانه فكأنهم قالوا اعترفنا بك ربنا فإنك أمتنا وأحييتنا ومع هذا فقد اعترفنا بذنوبنا واتصل قوله هو الذي يريكم آياته بقوله العلي الكبير أي ومن هذه صفاته يريكم آياته واتصل قوله رفيع الدرجات بقوله هو الذي يريكم آياته أي وهو الرفيع الدرجات وقيل انه لما ذكر حال الفريقين ذكر الدرجات

قوله تعالى (١٨) وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْآزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٩) يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ (٢٠) وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ثلاث آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ نافع وهشام عن ابن عامر والذين تدعون بالتاء والباقون بالياء

(الحجة)

من قرأ بالتاء فعلى الخطاب والتقدير قل لهم يا محمد ومن قرأ بالياء جعل الاخبار عن الغائب

﴿ اللغة ﴾

الآزفة الدانية من قولهم أزف الأمر إذا دنا وقته قال النابغة

أزف الترحل غير ان ركابنا ... لما تزل برحالنا وكأن قد

والحناجر جمع حنجرة وهي الحلقوم والكاظم الممسك على ما في قلبه يقال كظم غيظه إذا تجرعه وأصل الكظم للبعير على جرته يردها في حلقه

﴿ الإعراب ﴾

قال الزجاج كاظمين منصوب على الحال والحال محمولة على المعنى لأن القلوب لا يقال لها كاظمون وانما الكاظمون أصحاب القلوب والمعنى إذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كظمهم وهو حال من الضمير في لدى ومعناه متوقفين عن كل شيء إلا عما دفعت اليه من فكرها فيه ونسبة الكظم إلى القلب كنسبة الكتابة إلى الأيدي في قوله كتبت ايديهم وانما ذلك للجملة . يطاع جملة في موضع جر بكونها صفة شفيع أي ولا من شفيع يطاع

﴿ المعنى ﴾

ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان يخوف المكلفين يوم القيامة فقال (وأنذرهم يوم الآزفة) أي الدانية وهو يوم القيامة لأن كل ما هو آت دان قريب وقيل يوم دنو المجازاة (إذ القلوب لدى الحناجر) وذلك انها تزول

عن مواضعها من الخوف حتى تصير إلى الحنجرة ومثله قوله وبلغت القلوب الحناجر (كاظمين) اي مغمومين مكروبين ممتلئين غما قد اطبقوا افواههم على قلوبهم من شدة الخوف (ما للظالمين من حميم) يريد ما للمشركين والمنافقين من قريب ينفعهم (ولا شفيع يطاع) فيهم فتقبل شفاعته عن ابن عباس ومقاتل (يعلم خائنة الاعين) أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل النظر اليه عن مجاهد وقتادة والخائنة مصدر مثل الخيانة كما ان الكاذبة واللاغية بمعنى الكذب واللغو وقيل ان تقديره يعلم الاعين الخائنة عن مؤرج وقيل هو الرمز بالعين عن السدي وقيل هو قول الانسان ما رأيت وقد رأى ورأيت وما رأى عن الضحاك (وما تخفي الصدور) ويعلم ما تضمره الصدور وفي الخبر ان النظرة الاولى لك والثانية عليك فعلى هذا تكون الثانية محرمة فهي المراد بخائنة الاعين (والله يقضي بالحق) أي يفصل بين الخلائق بالحق فيوصل كل ذي حق إلى حقه (والذين يدعون من دونه) من الاصنام (لا يقضون بشيء) لأنها جماد (ان الله هو السميع البصير) أي الذي يجب ان يسمع المسموعات ويبصر المبصرات إذا وجدتا وهاتان الصفتان في الحقيقة ترجعان إلى كونه حيا لا آفة به وقال قوم معناهما العالم بالمسموعات والعالم بالمبصرات والاول هو الصحيح

قوله تعالى (٢١) أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ (٢٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٣) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٢٥) فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ خمس آيات

(القراءة)

قرأ ابن عامر اشد منكم بالكاف والميم والباقون منهم بالهاء والميم

الحجة

قال ابو علي من قال منهم فأتى بلفظ الغيبة فلأن ما قبله اولم يسيروا فينظروا ومن قال منكم فلانصرافه من الغيبة إلى الخطاب كقوله اياك نعبد بعد قوله الحمد لله

(المعنى)

ثم نبههم سبحانه على النظر بقوله (أولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم) من المكذبين من الأمم لرسلهم (كانواهم أشد منهم قوة) في انفسهم (وآثارا في الأرض) أي واكثر عمارة للأبنية العجيبة وقيل وأبعد ذهابا في الأرض لطلب الدنيا (فأخذهم الله بذنوبهم) اي أهلكهم الله بسبب ذنوبهم (وما كان لهم من الله من واق) أي دافع يدفع عنهم عذابه ويمنع من نزوله بهم (ذلك) العذاب الذي نزل بهم (بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أي بالمعجزات الباهرات والدلالات الظاهرات (فكفروا) بها (فأخذهم الله) أي أهلكهم عقوبة على كفرهم (انه قوي) قادر على الانتقام منهم (شديد العقاب) أي شديد عقابه ثم ذكر قصة موسى وفرعون ليعتبروا بها فقال (ولقد ارسلنا موسى بآياتنا) أي بعثناه بحججنا ودلالاتنا (وسلطان مبين) أي حجة ظاهرة نحو قلب العصا حية وفلق البحر (إلى فرعون وهامان وقارون) كان موسى

رسولا إلى كافتهم إلا انه خص فرعون لأنه كان رئيسهم وكان هامان وزيره وقارون صاحب كنوزه والباقون تبع لهم وانما عطف السلطان على الآيات لاختلاف اللفظين تأكيدا وقيل المراد بالآيات حجج التوحيد والعدل وبالسلطان المعجزات الدالة على نبوته (فقالوا ساحر) اي هو (كذاب) فيما يدعو اليه (فلما جاءهم بالحق من عندنا) اي فلما اتاهم موسى بالتوحيد والدلالات عليه من عندنا وقيل المراد بالدين الحق (قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم) اي امروا بقتل الذكور من قوم موسى لئلا يكثر قومه ولا يتقوى بهم وباستبقاء نسائهم للخدمة وهذا القتل غير القتل الأول لأنه أمر بالقتل الأول لئلا ينشأ منهم من يزول ملكه على يده ثم ترك ذلك فلما ظهر موسى عاد إلى تلك العادة فمنعهم الله عنه بإرسال الدم والضفادع والطوفان والجراد كما مضى ذكر ذلك ثم اخبر سبحانه ان ما فعله من قتل الرجال واستحياء النساء لم ينفعه بقوله (وما كيد الكافرين إلا في ضلال) اي في ذهاب عن الحق لا ينتفعون به

قوله تعالى (٢٦) وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٧) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٢٨) وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ (٢٩) يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٠) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل المدينة وأبو عمرو وان يظهر بغير الف قبل الواو ويظهر بضم الياء وكسر الهاء الفساد بالنصب وقرأ ابن كثير وابن عامر وان يظهر بفتح الياء الفساد بالرفع وقرأ حفص ويعقوب وان يظهر بضم الياء الفساد بالنصب والباقون او ان يظهر بفتح الياء الفساد بالرفع وقرأ اهل الكوفة غير عاصم وابو عمرو واسماعيل عن نافع وابو جعفر عذت هنا وفي الدخان بإدغام الذال في التاء وكذلك قوله فنبذتها حيث كان والباقون بالاظهار حيث كان

الحجة

قال ابو علي من قرأ او ان يظهر فالمعنى اني أخاف هذا الضرب منه كما تقول كل خبزا اوتمرا اي هذا الضرب ومن قرأ وان يظهر فالمعنى إني أخاف هذين الأمرين منه ومن قرأ يظهر في الأرض الفساد فأسند الفعل إلى موسى فلأنه أشبه بما تقدم من قوله يبدل دينكم ومن قرأ وان يظهر فالمعنى وان يظهر الفساد في الارض بمكانه او اراد انه إذا بدل الدين ظهر الفساد بالتبديل فأما الادغام في عذت فحسن لتقارب الحرفين والاظهار حسن لأن الذال ليست من حيز التاء وانما الذال والظاء والثاء من حيز والدال والتاء والطاء من حيز إلا انها كلها من طرف اللسان واصول الثنايا فلذلك صارت متقاربة

المعنى

(وقال فرعون ذروني أقتل موسى) اي قال لقومه اتركوني أقتله وفي هذا دلالة على انه كان في خاصة فرعون

قوم يشيرون عليه بأن لا يقتل موسى ويخوفونه بأن يدعو ربه فيهلك فلذلك قال (وليدع ربه) اي كما يقولون وقيل انهم قالوا له هو ساحر فإن قتلته قبل ظهور الحجة قويت الشبهة بمكانه بل ارجه واخاه وابعث في المدائن حاشرين وقوله وليدع ربه معناه وقولوا له ليدع ربه وليستعن به في دفع القتل عنه فإنه لا يجيء من دعائه شيء قاله تجبرا وعتوا وجرأة على الله (إني اخاف ان يبدل دينكم) ان لم اقتله وهو ما تعتقدونه من إلهيتي (او ان يظهر في الأرض الفساد) بأن يتبعه قوم ويحتاج إلى ان نقاتله فيخرب فيما بين ذلك البلاد ويظهر الفساد وقيل ان الفساد عند فرعون ان يعمل بطاعة الله عن قتادة فلما قال فرعون هذا استعاذ موسى بربه وذلك قوله (وقال موسى اني عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب) اي اني اعتصمت بربي الذي خلقني وربكم الذي خلقكم من شر كل متكبر على الله متجبر عن الانقياد له لا يصدق بيوم المجازاة ليدفع شره عني ولما قصد فرعون قتل موسى وعظهم المؤمن من آله وهو قوله (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه) في صدره على وجه التقية قال ابو عبد الله (ع) التقية من ديني ودين آبائي ولا دين لمن لا تقية له والتقية ترس الله في الارض لأن مؤمن آل فرعون لو اظهر الاسلام لقتل قال ابن عباس لم يكن من آل فرعون مؤمن غيره وغير امرأة فرعون وغير المؤمن الذي انذر موسى فقال ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك قال السدي ومقاتل كان ابن عم فرعون وكان آمن بموسى وهو الذي جاء من أقصى المدينة يسعى وقيل انه كان ولي عهده من بعده وكان اسمه حبيب وقيل اسمه حزبيل (اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله) وهو استفهام انكار ولو قال أتقتلون رجلا قائلا ربي الله لم يدل على ان القتل من أجل الايمان لأن يقول يكون صفة لرجل نحو يقتلون رجلا قائلا ربي الله فموضع ان يقول نصب على انه مفعول له (وقد جاءكم بالبينات من ربكم) أي بما يدل على صدقه من المعجزات مثل العصا واليد وغيرهما (وان يك كاذبا فعليه كذبه) انما قال هذا على وجه التلطف كقوله وانا او إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ومعناه ان يك كاذبا فعلى نفسه وبال كذبه (وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم) قيل ان موسى كان يعدهم بالنجاة ان آمنوا وبالهلاك ان كفروا وقال يصبكم بعض الذي يعدكم لأنهم إذا كانوا على احدى الحالين نالهم احد الامرين فذلك بعض الامر لا كله وقيل انما قال بعض الذي يعدكم لأنه توعدهم امورا مختلفة منها الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة فيكون هلاكهم في الدنيا بعض ما توعدهم به وقيل استعمل البعض في موضع الكل تلطفا في الخطاب وتوسعا في الكلام كما قال الشاعر

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل

وكأنه قال أقل ما فيه ان يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي ذلك البعض هلاككم وقال علي بن عيسى إنما قال بعض الذي يعدكم على المظاهرة بالحجاج اي انه يكفي بعضه فكيف جميعه (ان الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) اي لا يهدي إلى جنته وثوابه من هو مسرف على نفسه متجاوز عن الحد في المعصية كذاب على ربه ويجوز ان يكون هذا حكاية عن قول المؤمن ويجوز أن يكون ابتداء الكلام من الله تعالى ثم ذكرهم هذا المؤمن ما هم فيه من الملك ليشكروا الله على ذلك بالايمان به فقال (يا قوم لكم الملك اليوم) اي لكم السلطان على اهل الأرض يعني ارض مصر اليوم (ظاهرين في الارض) اي عالين فيها غالبين عليها قاهرين لأهلها (فمن ينصرنا من بأس الله) اي من يمنعنا من عذاب الله (ان جاءنا) ومعناه لا تتعرضوا لعذاب الله بقتل النبي وتكذيبه فلا مانع لعذاب من عذاب الله ان حل بكم (فقال فرعون) عند ذلك (ما اريكم إلا ما ارى) اي ما اشير عليكم إلا بما اراه صوابا وارضاه لنفسي وقيل معناه ما اعلمكم إلا ما اعلم (وما اهديكم إلا سبيل الرشاد) وما ارشدكم إلا إلى ما هو طريق الرشاد والصواب عندي وهو قتل موسى والتكذيب به واتخاذي إلها وربا ثم ذكرهم ما نزل بمن قبلهم وذلك قوله (وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب) اي عذابا مثل يوم الاحزاب

قال الجبائي القائل لذلك موسى لأن المؤمن من آل فرعون كان يكتم إيمانه وهذا لا يصح لأنه قريب من قوله اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله واراد بالاحزاب الجماعات التي تحزبت على انبيائها بالتكذيب وقد يطلق اليوم على النعمة والمحنة فكأنه قال يوم هلاكهم

قوله تعالى (٣١) مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ (٣٢) وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٣) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٤) وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٥) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ خمس آيات

القراءة

قرأ ابو عمرو وابن ذكوان وقتيبة على كل قلب بالتنوين والباقون على كل قلب متكبر على الاضافة وفي الشواذ قراءة ابن عباس والضحاك وابي صالح والكلبي يوم التناد بتشديد الدال

الحجة

قال ابو علي من نون فإنه جعل المتكبر صفة لقلب فإذا وصف القلب بالتكبر كان صاحبه في المعنى متكبرا فكأنه أضاف التكبر إلى القلب كما أضيف الصعر إلى الخد في قوله تعالى ولا تصعر خدك للناس فكما يكون بتصعير الخد متكبرا كذلك يكون بالتكبر في القلب متكبرا بجملة وأما من أضافه فقال على كل قلب متكبر فلا يخلو من أن يقدر الكلام على ظاهره او يقدر فيه حذفا فإن تركه على ظاهره كان المعنى يطبع الله على كل قلب متكبر اي يطبع على جملة القلب من المتكبر وليس المراد ان يطبع على كل قلبه فيعم الجميع بالطبع إنما المعنى إنه يطبع على القلوب إذا كانت قلبا قلبا والطبع علامة في جملة القلب كالختم عليه فإذا كان الحمل على الظاهر غير مستقيم علمت أن الكلام ليس على ظاهره وانه حذف منه شيء وذلك المحذوف إذا اظهرته كذلك يطبع الله على كل قلب كل متكبر فيكون المعنى يطبع على القلوب إذا كانت قلبا قلبا من كل متكبر ويختم عليه ويؤكد ذلك ان في حرف ابن مسعود فيما زعموا على قلب كل متكبر واظهار كل في حرفه يدل على انه في حرف العامة ايضا مراد وحسن حذف كل لتقدم ذكره كما جاز ذلك في قوله

أكل امرىء تحسبين امرأً ونار توقد بالليل نارا

وفي قولهم ما كل سوداء تمرة ولا بيضاء شحمة فحذف كل لتقدم ذكرها فكذلك في الآية وأما التناد بالتشديد فإنه تفاعل من ند يند إذا نفر

اللغة

الجبار الذي يقتل على الغضب يقال اجبر فهو جبار مثل ادرك فهو دراك قال الفراء ولا ثالث لهما وقال ابن خالويه وجدت لهما ثالثا أسار فهو سئار

المعنى

ثم فسر سبحانه ذلك فقال (مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود) والدأب العادة ومعناه إني أخاف عليكم مثل

سنة الله في قوم نوح وعاد وثمود وحالهم حين اهلكهم الله واستأصلهم جزاء على كفرهم (والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد) وفي هذا اوضح دلالة على فساد قول المجبرة القائلة بأن كل ظلم يكون في العالم فهو بإرادة الله تعالى ثم حذرهم عذاب الآخرة ايضا فقال (ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد) حذف الياء للاجتزاء بالكسرة الدالة عليها وهو يوم القيامة ينادي فيه بعض الظالمين بعضا بالويل والثبور وقيل انه اليوم الذي ينادي فيه اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا الآية وينادي اصحاب النار اصحاب الجنة ان أفيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله عن الحسن وقتادة وابن زيد وقيل ينادى فيه كل اناس بإمامهم (يوم تولون مدبرين) أي يوم تعرضون على النار فارين منها مقدرين ان الفرار ينفعكم وقيل منصرفين إلى النار بعد الحساب عن قتادة ومقاتل (ما لكم من الله من عاصم) اي مانع من عذاب الله (ومن يضلل الله فماله من هاد) أي من يضلل الله عن طريق الجنة فما له من هاد يهديه اليها (ولقد جاءكم يوسف) وهو يوسف بن يعقوب بعثه الله رسولا إلى القبط (من قبل) اي من قبل موسى (بالبينات) اي بالحجج الواضحات (فما زلتم في شك مما جاءكم به) من عبادة الله تعالى وحده لا شريك له عن ابن عباس وقيل مما دعاكم اليه من الدين (حتى إذا هلك) أي مات (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) اي أقمتم على كفركم وظننتم ان الله تعالى لا يجدد لكم ايجاب الحجة (كذلك) اي مثل ذلك الضلال (يضل الله من هو مسرف) على نفسه كافر واصل الاسراف مجاوزة الحد (مرتاب) اي شاك في التوحيد ونبوة الأنبياء (الذين يجادلون في آيات الله) أي في دفع آيات الله وابطالها وموضع الذين نصب لأنه بدل من قوله من هو مسرف ويجوز ان يكون رفعا بتقديرهم (بغير سلطان) أي بغير حجة (اتيهم كبر مقتا عند الله) اي كبر ذلك الجدال منهم عداوة عند الله (وعند الذين آمنوا) بالله والمعنى مقته الله تعالى ولعنه واعد له العذاب ومقته المؤمنون وابغضوه بذلك الجدال وانتم جادلتم وخاصمتم في رد آيات الله مثلهم فاستحققتم ذلك (كذلك) اي مثل ما طبع على قلوب اولئك بأن ختم عليها علامة لكفرهم (يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) يفعل ذلك عقوبة له على كفره والجبار صفة للمتكبر وهو الذي يأنف من قبول الحق قيل وهو القتال

قوله تعالى (٣٦) وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٧) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ (٣٨) وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ (٣٩) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٤٠) مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ خمس آيات

(القراءة)

قرأ حفص فاطلع بالنصب والباقون بالرفع واختلافهم في صد عن السبيل وفي يدخلون الجنة قد تقدم ذكره

الحجة

من رفع فاطلع فعلى معنى لعلي ابلغ ولعلي اطلع ومثله قوله لعله يزكي أو يذكر وليس بجواب ومن نصب جعله جوابا بالفاء الكلام غير موجب والمعنى اني إذا بلغت واطلعت ومما يقوي بناء الفعل للفاعل في صد قوله الذين

كفروا وصدوا من سبيل الله وفي موضع آخر ويصدون عن سبيل الله فكذلك وصد عن السبيل ينبغي ان يكون الفعل فيه مبنيا للفاعل ومن ضم الصاد فلأن ما قبله مبني للمفعول به وهو قوله وكذلك زين لفرعون سوء عمله

﴿ اللغة ﴾

الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على عين الناظر وان بعد وهو من التصريح بالأمر وهو اظهاره بأتم الإظهار والسبب كل ما يتوصل به إلى شيء يبعد عنك وجمعه الاسباب والتباب الخسار والهلاك بالانقطاع

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما موه به فرعون على قومه لما وعظه المؤمن وخوفه من قتل موسى وانقطعت حجته بقوله (وقال فرعون يا هامان) وهو وزيره وصاحب امره (ابن لي صرحا) أي قصرا مشيدا بالآجر وقيل مجلسا عاليا عن الحسن (لعلي أبلغ الاسباب) ثم فسر تلك الأسباب فقال (أسباب السموات) والمعنى لعلي ابلغ الطرق من سماء إلى سماء عن السدي وقيل ابلغ ابواب طرق السموات عن قتادة وقيل منازل السموات عن ابن عباس وقيل لعلي اتسبب وأتوصل به إلى مرادي والى علم ما غاب عني ثم بين مراده فقال اسباب السموات (فأطلع إلى إله موسى) اي فأنظر اليه فأراد به التلبيس على الضعفة مع علمه باستحالة ذلك عن الحسن وقيل اراد فأصل إلى إله موسى فغلبه الجهل واعتقد ان الله سبحانه في السماء وانه يقدر على بلوغ السماء (واني لأظنه كاذبا) معناه واني لأظن موسى كاذبا في قوله ان له إلها غيري ارسله الينا (وكذلك) اي مثل ما زين لهؤلاء الكفار سوء اعمالهم (زين لفرعون سوء عمله) اي قبيح عمله وانما زين له ذلك اصحابه وجلساؤه وزين له الشيطان كما قال وزين لهم الشيطان أعمالهم (وصد عن السبيل) ومن ضم الصاد فالمعنى انه صده غيره ومن فتح فالمعنى انه صد نفسه او صد غيره (وما كيد فرعون) في ابطال آيات موسى (إلا في تباب) اي هلاك وخسار لا ينفعه ثم عاد الكلام إلى ذكر نصيحة مؤمن آل فرعون وهو قوله (وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد) أي طريق الهدى وهو الايمان بالله وتوحيده والاقرار بموسى وقيل ان هذا القائل موسى ايضا عن الجبائي (يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع) اي انتفاع قليل ثم يزول وينقطع ويبقى وزره وآثامه (وان الآخرة هي دار القرار) أي دار الاقامة التي يستقر الخلائق فيها فلا تغتروا بالدنيا الفانية ولا تؤثروها على الدار الباقية (من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها) اي من عمل معصية فلا يجزى إلا مقدار ما يستحقه عليها من العقاب لا اكثر من ذلك (ومن عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن) مصدق بالله وانبيائه شرط الايمان في قبول العمل الصالح (فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) أي زيادة على ما يستحقونه تفضلا من الله تعالى ولو كان على مقدار العمل فقط لكان بحساب وقيل معناه لا تبعة عليهم فيما يعطون من الخير في الجنة عن مقاتل قال الحسن هذا كلام مؤمن آل فرعون ويحتمل ان يكون كلام الله تعالى اخبارا عن نفسه

قوله تعالى (٤١) وَيَاقَوْمِ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى ٱلنَّارِ (٤٢) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّارِ (٤٣) لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ (٤٤) فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌ بِٱلْعِبَادِ (٤٥) فَوَقَٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ (٤٦) ٱلنَّارُ

يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ست آيات

القراءة

قرأ اهل المدينة والكوفة إلا ابا بكر ويعقوب ادخلوا بقطع الهمزة وكسر الخاء والباقون بالوصل وضم الخاء

الحجة

قال ابو علي القول مراد في الوجهين جميعا كأنه قال يقال ادخلوهم ويقال ادخلوا فمن قال ادخلوا كان آل فرعون مفعولا به وأشد العذاب مفعولا ثانيا والتقدير ارادته حرف الجر ثم حذف كما انك إذا قلت دخل زيد الدار كان معناه في الدار كما ان خلافه الذي هو خرج كذلك في التقدير وكذلك قوله لتدخلن المسجد الحرام ومن قال ادخلوا آل فرعون كان انتصاب آل فرعون على النداء وأشد العذاب في موضع مفعول به وحذف الجار فانتصب انتصاب المفعول به وحجة من قال ادخلوا قوله ادخلوا الجنة انتم وأزواجكم تحبرون وادخلوها بسلام آمنين وادخلوا أبواب جهنم وحجة من قال ادخلوا انه امر بهم فأدخلوا

المعنى

ثم قال (يا قوم مالي) اي ما لكم كما يقول الرجل ما لي أراك حزينا معناه ما لك ومعناه أخبروني عنكم كيف هذه الحال (ادعوكم إلى النجوة) من النار بالايمان بالله (وتدعونني إلى النار) أي إلى الشرك الذي يوجب النار ومن دعا إلى سبب الشيء فقد دعا اليه ثم فسر الدعوتين بقوله (تدعونني لأكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم) ولا يجوز حصول العلم به إذ لا يجوز قيام الدلالة على اثبات شريك لله تعالى لا من طريق السمع ولا من طريق العقل (وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار) أي إلى عبادة القادر الذي لا يقهر ولا يمنع فينتقم من كل كفار عنيد الغافر الذنوب من يشاء من اهل التوحيد (لا جرم) قيل معناه حقا مقطوعا به من الجرم وهو القطع قال الزجاج حكاية عن الخليل هو رد الكلام والمعنى وجب وحق (انما تدعونني اليه ليس له دعوة) أي وجب بطلان دعوته يقول لا بد انما تدعونني اليه من عبادة الأصنام أو عبادة فرعون ليس له دعوة نافعة (في الدنيا ولا في الآخرة) فأطلق انه ليس له دعوة ليكون ابلغ وان توهم جاهل ان له دعوة ينتفع بها فإنه لا يعتد بذلك لفساده وتناقضه وقيل معناه ليست لهذه الأصنام استجابة دعوة احد في الدنيا ولا في الآخرة فحذف المضاف عن السدي وقتادة والزجاج وقيل معناه ليست له دعوة في الدنيا لأن الأصنام لا تدعو إلى عبادتها فيها ولا في الآخرة لأنها تبرأ من عبادها فيها (وان مردنا إلى الله) أي ووجب ان مرجعنا ومصيرنا إلى الله فيجازي كلا بما يستحقه (وان المسرفين) اي ووجب ان المسرفين الذين اسرفوا على انفسهم بالشرك وسفك الدماء بغير حقها (هم أصحاب النار) الملازمون لها ثم قال لهم على وجه التخويف والوعظ (فستذكرون) صحة (ما أقول لكم) إذا حصلتم في العذاب يوم القيامة وقيل معناه فستذكرون عند نزول العذاب بكم ما اقول لكم من النصيحة (وأفوض أمري إلى الله) اي اسلم امري إلى الله وأتوكل عليه وأعتمد على لطفه والأمر اسم جنس (إن الله بصير بالعباد) أي عالم بأحوالهم وبما يفعلونه من طاعة ومعصية وأظهر إيمانه بهذا القول (فوقيه الله سيئات ما مكروا) أي صرف الله عنه سوء مكرهم فنجا مع موسى حتى عبر البحر معه عن قتادة وقيل انهم هموا بقتله فهرب إلى جبل فبعث فرعون رجلين في طلبه فوجداه قائما يصلي وحوله الوحوش صفوفا فخافا ورجعا هاربين (وحاق بآل فرعون) اي احاط ونزل بهم (سوء العذاب) اي مكروهه وما يسوء منه وآل فرعون اشياعه واتباعه وقيل من كان على دينه عن الحسن وانما ذكر آله ولم يذكره لأنهم إذا هلكوا بسببه فكيف يكون حاله وسوء العذاب في الدنيا الغرق وفي الآخرة النار وذلك قوله (النار يعرضون عليها غدوا وعشيا) اي يعرض آل فرعون على النار في قبورهم صباحا ومساء فيعذبون وانما رفع النار بدلا من قوله سوء العذاب وعن نافع عن ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال ان

أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار يقال هذا مقعدك حين يبعثك الله يوم القيامة أورده البخاري ومسلم في الصحيحين وقال ابو عبد الله (ع) ذلك في الدنيا قبل يوم القيامة لأن في نار القيامة لا يكون غدو وغشي ثم قال ان كانوا يعذبون في النار غدوا وعشيا ففيما بين ذلك هم من السعداء لا ولكن هذا في البرزخ قبل يوم القيامة ألم تسمع قوله عز وجل (ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب) وهذا أمر لآل فرعون بالدخول او امر للملائكة بإدخالهم في أشد العذاب وهو عذاب جهنم

قوله تعالى (٤٧) وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ (٤٨) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ (٤٩) وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ (٤٠) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ اربع آيات

(اللغة)

التبع يصلح ان يكون مصدرا يقال تبع تبعا ويجوز ان يكون جمع تابع نحو خادم وخدم وخائل وخول وغائب وغيب

❋ الإعراب ❋

اولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات التقدير اولم تك القصة وتأتيكم رسلكم تفسير القصة فاسم كان مضمر

❋ المعنى ❋

ثم ذكر سبحانه ما يجري بين اهل النار من التحاج فقال (وإذ يتحاجون في النار) معناه واذكر يا محمد لقومك الوقت الذي يتحاج فيه أهل النار في النار ويتخاصم الرؤساء والاتباع (فيقول الضعفاء) وهم الاتباع (للذين استكبروا) وهم الرؤساء (انا كنا لكم) معاشر الرؤساء (تبعا) وكنا نمتثل امركم ونجيبكم إلى ما تدعوننا اليه (فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار) لأنه يلزم الرئيس الدفع عن اتباعه والمنقادين لأمره اي هل أنتم حاملون عنا قسطا من النار والعذاب الذي نحن فيه (قال الذين استكبروا انا كل فيها) اي نحن وانتم في النار وكل فيها مبتدأ وخبر في موضع رفع بأنه خبر ان ويجوز ان يكون كل خبر ان والمعنى انا مجتمعون في النار (ان الله قد حكم بين العباد) بذلك وبأن لا يتحمل احد عن احد وانه يعاقب من أشرك به وعبد معه غيره لا محالة (وقال الذين في النار) اي حصلوا في النار من الاتباع والمتبوعين (لخزنة جهنم) وهم الذين يتولون عذاب اهل النار من الملائكة الموكلين بهم (ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب) يقولون ذلك لأنه لا طاقة لهم على شدة العذاب ولشدة جزعهم إلا انهم يطمعون في التخفيف لأن معارفهم ضرورية يعلمون ان عقابهم لا ينقطع ولا يخفف عنهم (قالوا) اي قال الخزنة لهم (أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات) اي الحجج والدلالات على صحة التوحيد والنبوات أي فكفرتم وعاندتم حتى استحققتم هذا العذاب (قالوا بلى) جاءتنا الرسل والبينات فكذبناهم وجحدنا نبوتهم (قالوا فادعوا) اي قالت الخزنة فادعوا انتم فإنا لا ندعوا إلا بإذن ولم يؤذن لنا فيه وقيل انما قالوا ذلك استخفافا بهم وقيل معناه فادعوا بالويل والثبور (وما دعاء الكافرين إلا في ضلال) اي في ضياع لأنه لا ينتفع به

قوله تعالى (٥١) إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ (٥٢) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٥٣) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ (٥٤) هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٥٥) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وابن كثير وابن عامر واهل البصرة يوم لا تنفع بالتاء والباقون بالياء

﴿ الحجة ﴾

والوجهان حسنان لأن المعذرة والاعتذار بمعنى كما ان الوعظ والموعظة كذلك

﴿ الاعراب ﴾

يوم يقوم الاشهاد محمول على موضع قوله في الحياة الدنيا كما يقال جئتك امس واليوم

-(المعنى)-

ثم اخبر سبحانه عن نفسه بأنه ينصر رسله ومن صدقهم فقال (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحيوة الدنيا) اي ننصرهم بوجوه النصر فإن النصر قد يكون بالحجة ويكون ايضا بالغلبة في المحاربة وذلك بحسب ما تقتضيه الحكمة ويعلمه سبحانه من المصلحة ويكون ايضا بالألطاف والتأييد وتقوية القلب ويكون بإهلاك العدو وكل هذا قد كان للأنبياء والمؤمنين من قبل الله تعالى فهم منصورون بالحجة على من خالفهم وقد نصروا ايضا بالقهر على من ناوأهم وقد نصروا بإهلاك عدوهم وانجائهم مع من آمن معهم وقد يكون النصر بالانتقام لهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل حين قتل به سبعون الفا فهم لا محالة منصورون في الدنيا بأحد هذه الوجوه (ويوم يقوم الأشهاد) جمع شاهد مثل الأصحاب جمع صاحب وهم الذين يشهدون بالحق للمؤمنين وعلى المبطلين والكافرين يوم القيامة وفي ذلك سرور للمحق وفضيحة للمبطل في ذلك الجمع العظيم وقيل هم الملائكة والأنبياء والمؤمنون عن قتادة وقيل هم الحفظة من الملائكة عن مجاهد يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب وقيل هم الأنبياء وحدهم يشهدون للناس وعليهم ثم اخبر سبحانه عن ذلك اليوم فقال (يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم) اي ان اعتذروا من كفرهم لم يقبل منهم وان تابوا لم تنفعهم التوبة وإنما نفى ان تنفعهم المعذرة في الآخرة مع كونها نافعة في دار الدنيا لأن الآخرة دار الإلجاء إلى العمل والملجأ غير محمود على العمل الذي الجئ اليه (ولهم اللعنة) أي البعد من الرحمة والحكم عليهم بدوام العقاب (ولهم سوء الدار) جهنم نعوذ بالله منها ثم بين سبحانه نصرته موسى وقومه فقال (ولقد آتينا موسى الهدى) اي اعطيناه التوراة فيها ادلة واضحة على معرفة الله وتوحيده (وأورثنا بني اسرائيل الكتاب) اي وأورثنا من بعد موسى بني اسرائيل التوراة وما فيه من البيان (هدى) اي هو هدى اي دلالة يعرفون بها معالم دينهم (وذكرى لاولي الألباب) اي وتذكير لاولي العقول لأنهم الذين يتمكنون من الانتفاع به دون من لا عقل له ويجوز أن يكون هدى وذكرى منصوبين على ان يكونا مصدرين وضعا موضع الحال من الكتاب بمعنى هاديا ومذكرا ويجوز أن يكون بمعنى المفعول له اي للهدى والتذكير ثم امر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالصبر فقال

(فاصبر) يامحمد على اذى قومك وتحمل المشاق في تكذيبهم اياك (إن وعد الله) الذي وعدك به من النصر في الدنيا والثواب في الآخرة (حق) لا خلف فيه (واستغفر لذنبك) من جوّز الصغائر على الانبياء قال معناه اطلب المغفرة من الله على صغيرة وقعت منك ولعظيم نعمته على الأنبياء كلفهم التوبة من الصغائر ومن لا يجوّز ذلك عليهم وهو الصحيح قال هذا تعبد من الله سبحانه لنبيه ﷺ بالدعاء والاستغفار لكي يزيد في الدرجات وليصير سنة لمن بعده (وسبح بحمد ربك) اي نزه الله تعالى واعترف بشكره واضافة النعم اليه ونفي التشبيه عنه وقيل نزه صفاته عن صفات المحدثين ونزه افعاله عن افعال الظالمين وقيل معناه صل بأمر ربك (بالعشي) من زوال الشمس إلى الليل (والابكار) من طلوع الفجر الثاني إلى طلوع الشمس عن مجاهد وقيل يريد الصلوات الخمس عن ابن عباس وروي عن النبي ﷺ انه قال قال الله جل جلاله يا ابن آدم اذكرني بعد الغداة ساعة وبعد العصر ساعة أكفك ما أهمك

قوله تعالى (٥٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ (٥٧) لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ (٥٨) وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ (٥٩) إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ (٦٠) وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ خمس آيات

« القراءة »

قرأ أهل الكوفة تتذكرون بالتاء والباقون بالياء وقرأ ابو جعفر وابن كثير وابو بكر غير الشموني وسهل سيدخلون بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الياء وضم الخاء

الحجة

التاء على قل لهم قليلا ما تتذكرون والياء على آن الكفار قليلا ما يتذكرون وقوله سيدخلون الوجه في في القراءتين ظاهر

النزول

نزل قوله ان الذين يجادلون في آيات الله الآية في اليهود لأنهم كانوا يقولون سيخرج المسيح الدجال فنعينه على محمد واصحابه ونستريح منهم ويرد الملك الينا عن ابي العالية

المعنى

ثم قال سبحانه (ان الذين يجادلون) أي يخاصمون (في آيات الله) اي في دفع آيات الله وابطالها (بغير سلطان) اي حجة (أتيهم) الله إياها يتسلط بها على انكار مذهب يخالف مذهبهم (ان في صدورهم إلا كبر) اي ليس في صدورهم إلا عظمة وتكبر على محمد ﷺ وجبرية (ما هم ببالغيه) ما هم ببالغي مقتضى تلك العظمة لأن الله تعالى مذلهم وقيل معناه كبر بحسدك على النبوة التي اكرمك الله بها ما هم ببالغيه

لأن الله تعالى يوفع بشرف النبوة من يشاء وقيل ما هم ببالغي وقت خروج الدجال (فاستعذ بالله) من شر اليهود والدجال ومن جميع ما يجب الاستعاذة منه (انه هو السميع) لأقوال هؤلاء (البصير) بضمائرهم وفي هذا تهديد لهم فيما اقدموا عليه ثم قال سبحانه (لخلق السموات والأرض) مع عظمهما وكثرة اجزائهما ووقوفهما بغير عمد وجريان الفلك والكواكب من غير سبب (اكبر) اي اعظم واهول في النفس (من خلق الناس) وإن كان خلق الناس عظيما بما فيه من الحياة والحواس المهيأة لأنواع مختلفة من الادراكات (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) لعدولهم عن الفكر فيه والاستدلال على صحته والمعنى انهم إذا اقروا بأن الله تعالى خلق السماء والأرض فكيف انكروا قدرته على إحياء الموتى ولكنهم اعرضوا عن التدبر فحلوا محل الجاهل الذي لا يعلم شيئا (وما يستوي الأعمى والبصير) اي لا يستوي من أهمل نفسه ومن تفكر فعرف الحق شبه الذي لا يتفكر في الدلائل بالأعمى والذي يستدل بها بالبصير (والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء) اي وما يستوي المؤمنون الصالحون ولا الكافر الفاسق في الكرامة والاهانة والهدى والضلال (قليلا ما تتذكرون) يجوز ان تكون ما مزيدة ويجوز ان تكون مصدرية فيكون تقديره قليلا تذكرهم اي قلّ نظرهم فيما ينبغي ان ينظروا فيه مما دعوا اليه (ان الساعة) يعني القيامة (لآتية) اي جائية واقعة (لاريب فيها) اي لا شك في مجيئها (ولكن اكثر الناس لا يؤمنون) اي لا يصدقون بذلك لجهلهم بالله تعالى وشكهم في اخباره (وقال ربكم ادعوني استجب لكم) يعني إذا اقتضت المصلحة اجابتكم وكل من يسأل الله شيئا ويدعوه فلا بد ان يشترط المصلحة في ذلك اما لفظا او اضمارا وإلا كان قبيحا لأنه ربما كان داعيا بما يكون فيه مفسدة ولا يشترط انتفاؤها فيكون قبيحا وقيل معناه وحدوني واعبدوني أثبكم عن ابن عباس ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء هو العبادة ولما عبر عن العبادة بالدعاء جعل الإثابة استجابة ليتجانس اللفظ (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) ودعائي (سيدخلون جهنم داخرين) اي صاغرين ذليلين وفي الآية دلالة على عظم قدر الدعاء عند الله تعالى وعلى فضل الانقطاع اليه وقد روى معاوية بن عمار قال قلت لأبي عبد الله «ع» جعلني الله فداك ما تقول في رجلين دخلا المسجد جميعا كان احدهما اكثر صلاة والآخر دعاء فأيهما افضل قال كل حسن قلت قد علمت ولكن ايهما افضل قال اكثرهما دعاء أما تسمع قول الله تعالى ادعوني استجب لكم إلى آخر الآية وقال هي العبادة الكبرى وروى زرارة عن ابي جعفر «ع» في هذه الآية قال هو الدعاء وأفضل العبادة الدعاء وروى حنان بن سدير عن ابيه قال قلت لأبي جعفر اي العبادة افضل قال ما من شيء احب إلى الله من أن يسأل ويطلب ما عنده وما احد ابغض إلى الله عز وجل ممن يستكبر عن عبادته ولا يسأل ما عنده

قوله تعالى (٦١) ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٦٢) ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٦٣) كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ (٦٤) ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَاراً وَٱلسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ ٱلطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ (٦٥) هُوَ ٱلْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ خمس آيات

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه ما يدل على توحيده فقال (الله الذي جعل لكم) معاشر الخلق (الليل) وهو ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثاني (لتسكنوا فيه) اي وغرضه في خلق الليل سكونكم واستراحتكم فيه من كد النهار وتعبه (والنهار مبصرا) اي وجعل لكم النهار وهو ما بين طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس مضيئا تبصرون فيه مواضع حاجاتكم فجعل سبحانه النهار مبصرا لما كان يبصر فيه المبصرون (إن الله لذو فضل على الناس) بهذه النعم من غير استحقاق منهم لذلك ولا تقدم طلب (ولكن اكثر الناس لا يشكرون) اي ومع هذا فإن اكثر الناس لا يعترفون بهذه النعم بل يجحدونها ويكفرون بها ثم قال سبحانه مخاطبا لخلقه (ذلكم الله ربكم) اي الذي اظهر هذه الدلالات وانعم بهذه النعم هو الله خالقكم ومالككم (خالق كل شيء) من السموات والأرض وما بينهما (لا إله إلا هو) اي لا يستحق العبادة سواه (فأنى تؤفكون) اي فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع وضوح الدلالة على توحيده ثم قال سبحانه (كذلك) اي مثل ماصرف وافك هؤلاء (يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون) وهم من تقدمهم من الكفار صرفهم أكابرهم ورؤساؤهم ثم عاد سبحانه إلى ذكر الأدلة على توحيده فقال (الله الذي جعل لكم الأرض قرارا) اي مستقرا تستقرون عليه (والسماء بناء) اي وجعل السماء بناء مرتفعا فوقها ولو جعلها رتقا لما امكن الخلق الانتفاع بما بينهما ثم قال (وصوركم فأحسن صوركم) لأن صورة ابن آدم احسن صور الحيوان وقال ابن عباس خلق ابن آدم قائما معتدلا يأكل بيده ويتناول بيده وكل من خلقه الله يتناول بفيه (ورزقكم من الطيبات) لأنه ليس شيء من الحيوان له طيبات المآكل والمشارب مثل ما خلق الله سبحانه لابن آدم فإن انواع الطيبات واللذات التي خلقها الله تعالى لهم من الثمار وفنون النبات واللحوم وغير ذلك مما لا يحصى كثرة ثم قال (ذلكم الله ربكم) اي فاعل هذه الأشياء خالقكم (فتبارك الله رب العالمين) اي جل الله بأنه الدائم الثابت الذي لم يزل ولا يزال (هو الحي) معناه ان الذي أنعم عليكم بهذه النعم هو الحي على الإطلاق من غير علة ولا فاعل ولا بنية (لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين) اي مخلصين في دعائه وعبادته (الحمد لله رب العالمين) قال الفراء وهو خبر وفيه اضمار كأنه قال ادعوه واحمدوه على هذه النعم وقولوا الحمد لله رب العالمين وروى مجاهد عن ابن عباس قال من قال لا إله إلا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين يريد قول الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين

قوله تعالى (٦٦) قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٨) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٦٩) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ

(٧٠) ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِٱلْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ خمس آيات

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (قل) يا محمد لكفار قومك (إني نهيت) اي نهاني الله (أن اعبد الذين تدعون من دون الله) اي أوجه العبادة الى من تدعونه من دون الله من الأصنام التي تجعلونها آلهة (لما جاءني البينات من ربي) اي حين أتاني الحجج والبراهين من جهة الله تعالى دلتني على ذلك (وامرت) مع ذلك (أن اسلم لرب العالمين) اي استسلم لأمر رب العالمين الذي يملك تدبير الخلائق اجمعين ثم عاد الى ذكر الأدلة فقال (هو الذي خلقكم) معاشر البشر (من تراب) اي خلق أباكم آدم من تراب وانتم نسله واليه تنتمون (ثم من نطفة) اي ثم أنشأ من ذلك الأصل الذي خلقه من تراب النطفة وهي ماء الرجل والمرأة (ثم من علقة) وهي قطعة من الدم (ثم يخرجكم طفلا) اي اطفالا واحداً واحداً فلذلك ذكره بالتوحيد قال يونس العرب تجعل الطفل للواحد والجماعة قال الله تعالى او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء والمعنى ثم يقلبكم اطوارا إلى أن يخرجكم من ارحام الأمهات اطفالا صغاراً (ثم لتبلغوا أشدكم) وهو حال استكمال القوة وهذا يحتمل أن يكون معطوفا على معنى قوله ثم يخرجكم طفلا لتنشأوا وتشبوا ثم لتبلغوا اشدكم ويحتمل ان يكون معطوفا على معنى قوله نخرجكم طفلا والتقدير لطفوليتكم ثم لتبلغوا اشدكم (ثم لتكونوا شيوخا) بعد ذلك (ومنكم من يتوفى من قبل) اي من قبل أن يصير شيخا ومن قبل أن يبلغ اشده (ولتبلغوا اجلا مسمى) اي وليبلغ كل واحد منكم ما سمي له من الأجل الذي يموت عنده وقيل هذا للقرن الذي تقوم عليهم القيامة والأجل المسمى هو القيامة عن الحسن (ولعلكم تعقلون) اي خلقكم لهذه الأغراض التي ذكرها ولكي تتفكروا في ذلك فتعقلوا ما أنعم الله به عليكم من انواع النعم واراده منكم من اخلاص العبادة ثم قال (هو الذي يحيي ويميت) اي من خلقكم من تراب على هذه الأوصاف التي ذكرها هو الذي يحييكم وهو الذي يميتكم فأولكم من تراب وآخركم إلى تراب (فإذا قضى امرا فإنما يقول له كن فيكون) ومعناه انه يفعل ذلك من غير ان يتعذر ويمتنع عليه فهو بمنزلة ما يقال له كن فيكون لأنه سبحانه يخاطب المعدوم بالتكون (ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله) يعني المشركين الذين يخاصمون في ابطال حجج الله ودفعها (أنى يصرفون) اي كيف ومن اين يقلبون عن الطريق المستقيم الى الضلال ولو كانوا يخاصمون في آيات الله بالنظر في صحتها والفكر فيها لما ذمهم الله تعالى ثم وصفهم سبحانه فقال (الذين كذبوا بالكتاب) اي بالقرآن وجحدوه (وبما ارسلنا به رسلنا) اي و كذبوا بما ارسلنا به من الكتب والشرائع رسلنا قبلك (فسوف يعلمون) عاقبة امرهم إذا حل بهم وبال ما جحدوه ونزل بهم عقاب ما ارتكبوه فيعرفون ان ما دعوتهم اليه حق وما ارتكبوه ضلال وفساد

قوله تعالى (٧١) إِذِ ٱلْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٧٢) فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ (٧٣) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٤) مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَافِرِينَ (٧٥) ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن مسعود وابن عباس والسلاسل بفتح اللام يسحبون

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني تقديره إذ الأغلال في أعناقهم ويسحبون السلاسل فعطف الجملة من الفعل والفاعل على الجملة التي من المبتدأ والخبر كما قد عودل أحداهما بالآخر ونحو قوله

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد أموف بأدراع بن طيبة أم تذم

أي أأنت موف بها أم تذم فقابل بالمبتدأ والخبر التي من الفعل والفاعل الجاري مجرى الفاعل (؟)

﴿ اللغة ﴾

الأغلال جمع غل وهو طوق يدخل في العنق للذل والألم وأصله الدخول يقال انغل العنق في الشيء إذا دخل فيه والغلول الخيانة لأنها تصير كالغل في عنق صاحبها. السلاسل جمع سلسلة وهي الحلق منتظمة في جهة الطول مستمرة والسحب جر الشيء على الأرض هذا أصله والسجر أصله القاء الحطب في معظم النار كالتنور الذي يسجر بالوقود والفرح والبطر والأشر نظائر والمرح شدة الفرح وفرس مروح اي نشيط قال

ولا ينسى على الحدثان عرضي ولا أرخي من المرح الإزارا

=(الإعراب)=

يسحبون في موضع نصب على الحال تقديره مسحوبين على النار مسجونين فيها والعامل في اذ الأغلال قوله تعالى فسوف يعلمون إذا لم يوقف على يعلمون ووقف على السلاسل ومن وقف على يعلمون فالعامل في اذ يسحبون

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه (إذ الأغلال في اعناقهم) اي يعلمون وبال أمرهم في حال تكون الأغلال في أعناقهم (والسلاسل يسحبون في الحميم) اي يجرون في الماء الحار الذي قد انتهت حرارته (ثم في النار يسجرون) اي ثم يقذفون في النار ويلقون فيها وقيل معناه ثم يصيرون وقود النار عن مجاهد والمعنى توقد بهم النار (ثم قيل لهم) اي لهؤلاء الكفار إذا دخلوا النار على وجه التوبيخ (أين ما كنتم تشركون من دون الله) أي أين ما كنتم تزعمون انها تنفع وتضر من اصنامكم التي عبدتموها (قالوا ضلوا عنا) اي ضاعوا عنا وهلكوا فلا نراهم ولا نقدر عليهم ثم يستدركون فيقولون (بل لم نكن ندعو من قبل شيئا) والمعنى لم نكن ندعو شيئا يستحق العبادة ولا ما ننتفع بعبادته عن الجبائي وقيل بل لم نكن ندعو شيئا ينفع ويضر ويسمع ويبصر قال ابو مسلم وهذا كما يقال لكل ما لا يغني شيئا هذا ليس بشيء لأن قولهم ضلوا عنا اعتراف بعبادتهم ولأن الآخرة دار إلجاء فهم ملجأون إلى ترك القبيح وقيل معناه ضاعت عباداتنا لهم فلم نكن نصنع شيئا إذ عبدناها كما يقول المتحسر ما فعلت شيئا (كذلك يضل الله الكافرين) معناه كما أضل الله أعمال هؤلاء وأبطل ما كانوا يؤملونه كذلك يفعل بجميع من يتدين بالكفر فلا ينتفعون بشيء من اعمالهم وقيل يضل الله اعمالهم اي يبطلها عن الحسن وقيل يضل الكافرين عن طريق الجنة والثواب كما أضلهم عما اتخذوه إلها بأن صرفهم عن الطمع في نيل منفعة من جهتها عن الجبائي (ذلكم) العذاب الذي نزل بكم

(بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) قيد الفرح وأطلق المرح لأن الفرح قد يكون بحق فيحمد عليه وقد يكون بالباطل فيذم عليه والمرح لا يكون إلا باطلا ومعناه ان ما فعل بكم جزاء بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق اي بما كان يصيب انبياء الله تعالى وأولياءه من المكاره وبما كنتم تمرحون اي تأشرون وتبطرون

قوله تعالى (٧٦) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٧) فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٧٨) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (٧٩) اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٨٠) وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ خمس آيات

(المعنى)

ثم حكى سبحانه عن هؤلاء الكفار انه يقال لهم (ادخلوا أبواب جهنم) وهي سبعة أبواب (خالدين فيها) أي مؤبدين فيها لا انقطاع لكربكم فيها ولا نهاية لعقابكم وقيل إنما جعل لجهنم ابواب كما جعل لها دركات تشبيها بما يتصور الانسان في الدنيا من المطابق والسجون والمطامير فإن ذلك أهول وأعظم في الزجر (فبئس مثوى المتكبرين) اي بئس مقام الذين تكبروا عن عبادة الله تعالى وتجبروا عن الانقياد له وإنما اطلق عليه اسم بئس وان كان حسنا لأن الطبع ينفر عنه كما ينفر العقل عن القبيح فحسن لهذه العلة اسم بئس عليه ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (فاصبر) يامحمد على اذى قومك لك وتكذيبهم اياك ومعناه اثبت على الحق فسماه صبرا للمشقة التي تلحق به كما تلحق بتجرع المر ولذلك لا يوصف اهل الجنة بالصبر وان وصفوا بالثبات على الحق وان كان في الوصف به في الدنيا فضل ولكنهم يوصفون بالحلم لأنه مدح ليس فيه صفة نقص (إن وعد الله حق) معناه ان ما وعد الله به المؤمنين على الصبر من الثواب في الجنة حق لا شك فيه بل هو كائن لا محالة وقيل إن وعد الله بالنصر لانبيائه والانتقام من اعدائه حق وصدق لا خلف فيه (فإما نرينك بعض الذي نعدهم) من العذاب في حياتك وإنما قال بعض الذي نعدهم لأن المعجل من عذابهم في الدنيا هو بعض ما يستحقونه (أو نتوفينك) قبل أن يحل بهم ذلك (فإلينا يرجعون) يوم القيامة فنفعل بهم ما يستحقونه من العقاب ولا يفوتوننا ثم زاد سبحانه في تسلية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) يامحمد (منهم من قصصنا عليك) قصصهم وأخبارهم (ومنهم من لم نقصص عليك) اخبارهم وقيل معناه منهم من تلونا عليك ذكره ومنهم من لم نتل عليك ذكره وروي عن علي «ع» انه قال بعث الله نبيا اسود لم يقص علينا قصته واختلفت الأخبار في عدد الأنبياء فروي في بعضها أن عددهم مائة الف واربعة وعشرون الفا وفي بعضها ان عددهم ثمانية آلاف نبي اربعة آلاف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من غيرهم (وما كان لرسول أن يأتي بآية) اي بمعجزة ودلالة (إلا بإذن الله) وامره والمعنى

ان الاتيان بالمعجزات ليس إلى الرسول ولكنه إلى الله تعالى يأتي بها على وجه المصلحة (فإذا جاء امر الله) وهو القيامة (قضي بالحق) بين المسلمين والكفار والابرار والفجار (وخسر هنالك) عند ذلك (المبطلون) لأنهم يخسرون الجنة ويحصلون في النار بدلا منها وذلك هو الخسران المبين والمبطل صاحب الباطل ثم عدد سبحانه نعمه على خلقه فقال (الله الذي جعل لكم الأنعام) من الإبل والبقر والغنم (لتركبوا منها) اي لتنتفعوا بركوبها (ومنها تأكلون) يعني أن بعضها للركوب والأكل كالابل والبقر وبعضها للأكل كالاغنام وقيل المراد بالأنعام هاهنا الابل خاصة لأنها التي تركب ويحمل عليها في اكثر العادات واللام في قوله لتركبوا لام الغرض وإذا كان الله تعالى خلق هذه الأنعام وأراد ان ينتفع خلقه بها وكان جل جلاله لا يريد القبيح ولا المباح فلا بد أن يكون اراد انتفاعهم بها على وجه القربة اليه والطاعة له (ولكم فيها منافع) يعني من جهة البانها وأصوافها وأوبارها وأشعارها (ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم) بأن تركبوها وتبلغوا المواضع التي تقصدونها بحوائجكم (وعليها) اي وعلى الأنعام وهي الابل هنا (وعلى الفلك) أي وعلى السفن (تحملون) يعني على الإبل في البر وعلى الفلك في البحر تحملون في الأسفار علم الله سبحانه انا نحتاج إلى ان نسافر في البر والبحر فخلق لنا مركبا للبر ومركبا للبحر

قوله تعالى (٨١) وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ (٨٢) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٣) فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨٤) فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٥) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ خمس آيات

※ المعنى ※

ثم قال سبحانه مخاطبا للكفار الذين جحدوا آيات الله وانكروا أدلته الدالة على توحيده (ويريكم آياته) اي ويعلمكم حججه ويعرفكم اياها ومنها اهلاك الامم الماضية ووجه الآية فيه انهم بعد حصولهم في النعم صاروا إلى النقم بكفرهم وجحودهم ومنها الآية في خلق الأنعام التي قدم ذكرها ووجه الآية فيها تسخيرها لمنافع الخلق بالتصريف في الوجوه التي قد جعل كل شيء منها لما يصلح له وذلك يقتضي أن الجاعل لذلك قادر على تصريفه عالم بتدبيره (فأي آيات الله تنكرون) هذا توبيخ لهم على الجحد وقد يكون الانكار والجحد تارة بأن يجحد اصلا وتارة بأن يجحد كونها دالة على صحة ما هي دلالة عليه والخلاف يكون في ثلاثة اوجه إما في صحتها في نفسها وإما في كونها دلالة وإما فيهما جميعا وإنما يجوز من الجهال دفع الآية بالشبهة مع قوة الآية وضعف الشبهة لامور ※ منها ※ اتباع الهوى ودخول الشبهة التي تغطي على الحجة حتى لا يكون لها في النفس منزلة ※ ومنها ※ التقليد لمن ترك النظر في الامور ※ ومنها ※ السبق إلى اعتقاد فاسد لشبهة فيمنع ذلك من توليد النظر للعلم ثم نبههم سبحانه فقال (أفلم يسيروا في الأرض) بأن يمروا في جنباتها

(فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم) عددا (وأشد قوة) أي وأعظم قوة (وآثارا في الأرض) بالأبنية العظيمة التي بنوها والقصور المشيدة التي شيدوها وقيل بمشيهم على ارجلهم على عظم خلقهم عن مجاهد فلما عصوا الله سبحانه وكفروا به وكذبوا رسله اهلكهم الله واستأصلهم بالعذاب (فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون) اي لم يغن عنهم ما كسبوه من البنيان والأموال شيئا من عذاب الله تعالى وقيل ان في قوله فما اغنى بمعنى اي فالمعنى فأي شيء اغنى عنهم كسبهم فيكون موضع ما الأولى نصبا وموضع ما الثانية رفعا ثم قال سبحانه (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات) أي فلما أتى هؤلاء الكفار رسلهم الذين دعوهم إلى توحيد الله واخلاص العبادة له بالحجج والآيات وفي الكلام حذف تقديره لما جاءتهم رسلهم بالبينات فجحدوها وأنكروا دلالتها ووعد الله الرسل بإهلاك أممهم ونجاة قومهم (فرحوا بما عندهم من العلم) اي فرح الرسل بما عندهم من العلم بذلك عن الجبائي وقيل معناه فرح الكفار بما عندهم من العلم اي بما كان عندهم انه علم وهو جهل على الحقيقة لأنهم قالوا نحن أعلم منهم لا نبعث ولا نعذب واعتقدوا انه علم فأطلق عليه لفظ العلم على اعتقادهم كما قال حجتهم داحضة وقال ذق انك أنت العزيز الكريم اي عند نفسك اوعند قومك عن الحسن ومجاهد وقيل معناه فرحوا بالشرك الذي كانوا عليه واعجبوا به وظنوا انه علم وهو جهل وكفر عن الضحاك قال والمراد بالفرح شدة الإعجاب (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) اي حل بهم ونزل بهم جزاء استهزائهم برسلهم من العذاب والهلاك (فلما رأوا بأسنا) اي عذابنا النازل بهم (قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين) اي كفرنا بالأصنام والأوثان (فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا) اي عند رؤيتهم بأس الله وعذابه لأنهم يصيرون عند ذلك ملجأين وفعل الملجأ لا يستحق به المدح (سنت الله التي قد خلت من قبل في عباده) نصب سنة الله على المصدر ومعناه سن الله هذه السنة في الأمم الماضية كلها اذ لا ينفعهم إيمانهم إذا رأوا العذاب والمراد بالسنة هنا الطريقة المستمرة من فعله بأعدائه الجاحدين (وخسر هنالك الكافرون) بدخول النار واستحقاق النقمة وفوت الثواب والجنة وبالله التوفيق وحسبنا الله ونعم المولى ونعم النصير



فهرس المجلد الرابع من مجمع البيان في تفسير القرآن

وهو حاو للجزء السابع والثامن حسب تجزئة المصنف

وفيه تفسير سورة طه، الأنبياء، الحج، المؤمنون، النور، الفرقان، الشعراء، النمل، القصص، العنكبوت، الروم، لقمان، السجدة، الأحزاب، سبأ، الملائكة، يس، الصافات، ص، الزمر، المؤمن

﴿ سورة طه ﴾

﴿ سورة الأنبياء ﴾

﴿ سورة الحج ﴾

صفحة

﴿ سورة المؤمنون ﴾

﴿ سورة النور ﴾

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص



لمؤلفه

الشيخ ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي

من اكابر علماء الامامية في القرن السادس

يقع في خمسة مجلدات أو عشرة اجزاء

يكون مجموعه مع الفهارس زهاء ثلاثة آلاف صفحة

الجزء التاسع

وهو جزء من عشرة اجزاء

حسب تجزئة المصنف

وبه تفسير من سورة حم السجدة الى سورة الصف

المجلد الخامس

قيمة الاشتراك ليرة عثمانية ما عدا اجرة البريد

١٣٥٦ هـ — مطبعة العرفان * صيدا (سوريا) — ١٩٣٧م

﴿ الجزء التاسع ﴾

سورة حم السجدة ﴿مكية﴾

﴿ عدد آيها ﴾

اربع وخمسون آية كوفي ثلاث حجازي آيتان بصري شامي

﴿ اختلافها ﴾ آيتان حم كوفي عاد وثمود حجازي كوفي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ حم السجدة أعطي بعدد كل حرف منها عشر حسنات وروى ذريح المحاربي عن ابي عبد الله «ع» قال من قرأ حم السجدة كانت له نورا يوم القيامة مد بصره وسرورا وعاش في هذه الدنيا مغبوطا محمودا

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سورة المؤمن بذكر المتكبرين لآيات الله وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) حم (٢) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (٣) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٤) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٥) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ خمس آيات

﴿ الإعراب ﴾

قال الزجاج تنزيل رفع بالابتداء وخبره كتاب فصلت هذا مذهب البصريين وقال الفراء يجوز ان يكون تنزيل يرتفع بحم ويجوز ان يرتفع باضمار هذا والمعنى هذا تنزيل او هو تنزيل وقوله قرآنا عربيا نصب قرآنا على الحال بمعنى بينت آياته في حال جمعه وبشيرا ونذيرا من صفته

﴿ المعنى ﴾

حم قد تقدم القول فيه وقيل في وجه الاشتراك في افتتاح هذه السور السبع بـ حم انه للمشاكلة التي بينها بما يختص به وليس لغيرها وذلك ان كل واحدة منها استفتحت بصفة الكتاب مع تقاربها في الطول ومع شدة تشاكل الكلام في النظم (تنزيل من الرحمن الرحيم) نزل به جبرائيل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم (كتاب فصلت آياته) وصف الكتاب بالتفصيل دون الاجمال لأن التفصيل يأتي على وجوه البيان اي الذي بينت آياته بيانا تاما والتبيين فيه على وجوه منها تبيين الواجب مما ليس بواجب وتبيين الأولى في الحكمة مما ليس بأولى وتبيين الجائز مما ليس بجائز وتبيين الحق من الباطل وتبيين الدليل على الحق مما ليس بدليل وتبيين ما يرغب فيه مما لا يرغب فيه وتبيين ما يحذر منه مما لا يحذر منه إلى غير ذلك من الوجوه وقيل فصلت آياته بالأمر والنهي والوعد والوعيد والترغيب والترهيب والحلال والحرام والمواعظ والأمثال وقيل فصلت اي نظمت آياته على احسن نظام وأوضح بيان (قرآنا عربيا) وصفه بأنه قرآن لأنه جمع بعضه إلى بعض وبأنه عربي

لأنه يخالف جميع اللغات التي ليست بعربية وكل ذلك يدل على حدوث القرآن (لقوم يعلمون) اللسان العربي ويعجزون عن مثله فيعرفون اعجازه وقيل يعلمون ان القرآن من عند الله نزل. عن الضحاك (بشيرا ونذيرا) يبشر المؤمن بما فيه من الوعد وينذر الكافر بما فيه من الوعيد (فأعرض اكثرهم) يعني أهل مكة عدلوا عن الايمان بالله والتدبر فيه (فهم لا يسمعون) اي لا يسمعونه سمع تفكر وقبول فكأنهم لا يسمعونه حقيقة (وقالوا قلوبنا في أكنة) اي في اغطية عن مجاهد والسدي (مما تدعونا اليه) فلا نفقه ما تقول وإنما قالوا ذلك ليؤيسوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبولهم دينه فكأنهم شبهوا قلوبهم بما يكون في غطاء فلا يصل اليه شيء مما وراءه (وفي آذاننا وقر) اي ثقل عن استماع القرآن وصمم (ومن بيننا وبينك حجاب) اي بيننا وبينك فرقة في الدين وحاجز في النحلة فلا نوافقك على ما تقول عن الزجاج وقيل انه تمثيل بالحجاب ليؤيسوه من الاجابة عن علي بن عيسى (فاعمل اننا عاملون) قيل ان ابا جهل رفع ثوبا بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا محمد أنت من ذلك الجانب ونحن من هذا الجانب فاعمل أنت على دينك ومذهبك اننا عاملون على ديننا ومذهبنا عن مقاتل وقيل معناه فاعمل في هلاكنا إنا عاملون في هلاكك عن الفراء وقيل فاعمل به في ابطال أمرنا إنا عاملون في ابطال أمرك وهذا غاية في العناد

قوله تعالى (٦) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٧) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٩) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (١٠) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ خمس آيات

❋ القراءة ❋

قرأ ابو جعفر سواء بالرفع وقرأ يعقوب سواء بالجر والباقون بالنصب سواء

(الحجة)

من قرأ سواء بالرفع جعله خبر مبتدأ محذوف اي هو سواء ومن قرأ سواء بالجر جعله صفة أيام التقدير في اربعة أيام مستويات تامات واما النصب فعلى المصدر على معنى استوت سواء واستواء

❁ المعنى ❁

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (قل) يا محمد لهؤلاء الكفار (إنما أنا بشر مثلكم) من ولد آدم لحم ودم وانما خصني الله تعالى بنبوته وميزني منكم بأن اوحى إلي ولولا الوحي ما دعوتكم وهو قوله (يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد) لا شريك له في العبادة (فاستقيموا اليه) اي لا تميلوا عن سبيله وتوجهوا اليه بالطاعة كما يقال استقم إلى منزلك اي لا تعدل عنه إلى غيره (واستغفروه) من الشرك واطلبوا المغفرة لذنوبكم من جهته ثم اوعدهم فقال (وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة) اي لا يعطون المفروضة وفيه دلالة على ان الكفار مخاطبون بالشرائع وهذا هو الظاهر وقيل معناه لا يطهرون أنفسهم من الشرك بقول لا إله إلا الله فإنها زكاة الأنفس عن عطاء عن ابن عباس وهذا كما يقال اعطى فلان من نفسه الطاعة اي الزمها نفسه

وقد وصف سبحانه الكفر بالنجاسة بقوله إنما المشركون نجس وذكر الزكاة بمعنى التطهير في قوله خيرا منه زكاة وقيل معناه لا يقرون بالزكاة ولا يرون إيتاءها ولا يؤمنون بها عن الحسن وقتادة وعن الكلبي عابهم الله بها وقد كانوا يحجون ويعتمرون وقيل لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون عن الضحاك ومقاتل و كان يقول الزكاة قنطرة الإسلام وقال الفراء الزكاة في هذا الموضع ان قريشاً كانت تطعم الحاج وتسقيهم فحرموا ذلك على من آمن بمحمد ﷺ (وهم بالآخرة هم كافرون) وهم مع ذلك يجحدون بما أخبر الله تعالى به من احوال الآخرة ثم عقب سبحانه ما ذكره من وعيد الكافرين بذكر الوعد للمؤمنين فقال (إن الذين آمنوا) اي صدقوا بأمر الآخرة من الثواب والعقاب (وعملوا الصالحات) اي الطاعات (لهم أجر غير ممنون) اي لهم جزاء على ذلك غير مقطوع بل هو متصل دائم ويجوز ان يكون معناه انه لا أذى فيه من المن الذي يكدر الصنيعة ثم وبخهم سبحانه على كفرهم فقال (قل) يامحمد لهم على وجه الانكار عليهم (أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض) وهذا استفهام تعجيب اي كيف تستجيزون ان تكفروا وتجحدوا نعمة من خلق الأرض (في يومين) اي في مقدار يومين (وتجعلون له انداداً) اي امثالا واشباها تعبدونهم وفي هذا دلالة على انه سبحانه انما يستدل على اثبات ذاته وصفاته بأفعاله فهي دالة على اثبات صفاته إما بنفسها كما يدل صحة الفعل على كونه قادرا واحكامه على كونه عالما وإما بواسطة كما يدل كونه قادرا عالما على كونه حيا موجودا سميعا بصيرا (ذلك رب العالمين) اي ذلك الذي خلق الأرض في يومين خالق العالمين ومالك التصرف فيهم (وجعل فيها) اي في الأرض (رواسي) اي جبالا راسيات ثابتات (من فوقها) اي من فوق الأرض (وبارك فيها) بما خلق فيها من المنافع وقيل بأن انبت شجرها من غير غرس واخرج نبتها من غير زرع وبذر واودعها ما ينتفع به العباد عن السدي (وقدر فيها اقواتها) اي قدر في الأرض أرزاق اهلها على حسب الحاجة اليها في قوام ابدان الناس وسائر الحيوان وقيل قدر في كل بلدة منها ما لم يجعله في اخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد (في اربعة أيام) اي في تتمة اربعة أيام من حين ابتداء الخلق فاليومان الأولان داخلان فيها كما تقول خرجت من البصرة إلى بغداد في عشرة أيام وإلى الكوفة في خمسة عشر يوما اي في تتمة خمسة عشر يوما (سواء للسائلين) اي مستوية كاملة من غير زيادة ولا نقصان للسائلين عن مدة خلق الأرض وقيل معناه للذين يسألون الله ارزاقهم ويطلبون اقواتهم فإن كلا يطلب القوت ويسأله عن قتادة والسدي واختلف في علة خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام فقيل إنما خلق ذلك شيئا بعد شيء في هذه الأيام الأربعة ليعلم الخلق ان من الصواب التأني في الأمور وترك الاستعجال فيها فإنه سبحانه كان قادرا على ان يخلق ذلك في لحظة واحدة عن الزجاج وقيل إنما خلق ذلك في هذه المدة ليعلم بذلك انها صادرة عن قادر مختار عالم بالمصالح وبوجوه الأحكام إذ لو صدرت عن مطبوع اوموجب لحصلت في حالة واحدة وروى عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ انه قال ان الله تعالى خلق الأرض في يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثا وخلق الشجر والماء والعمران والخراب يوم الاربعا فتلك اربعة أيام وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة وآدم

قوله تعالى (١١) ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ (١٢) فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ

أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٣) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (١٤) إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (١٥) فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ خمس آيات

✻ الإعراب ✻

طوعا وكرها مصدران وضعا موضع الحال التقدير ائتيا تطيعان اطاعة او تكرهان كرها وطائعين يدل على ذلك وهو منصوب على الحال . سبع سماوات ايضا منصوب على الحال بعد الفراغ من الفعل

✻ المعنى ✻

ثم ذكر سبحانه خلق السماوات فقال (ثم استوى إلى السماء وهي دخان) اي ثم قصد إلى خلق السماء وكانت السماء دخانا وقال ابن عباس كانت بخار الأرض وأصل الاستواء الاستقامة والقصد للتدبير المستقيم تسوية له وقيل معناه ثم استوى أمره إلى السماء عن الحسن (فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) قال ابن عباس أتت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم وأتت الأرض بما فيها من الأنهار والأشجار والثمار وليس هناك أمر بالقول على الحقيقة ولا جواب لذلك القول بل اخبر الله سبحانه عن اختراعه السماوات والأرض وانشائه لهما من غير تعذر ولا كلفة ولا مشقة بمنزلة ما يقال للمأمور إفعل فيفعل من غير تلبث ولا توقف فعبر عن ذلك بالأمر والطاعة وهو كقوله إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون وإنما قال أتينا طائعين ولم يقل أتينا طائعتين لأن المعنى اتينا بمن فينا من العقلاء فغلب حكم العقلاء عن قطرب وقيل انه لما خوطبن خطاب من يعقل جمعن جمع من يعقل كما قال وكل في فلك يسبحون ومثله كثير في كلامهم قال

فأجهشت للبوباة حين رأيته ... وكبر للرحمن حين رآني
فقلت له أين الذين رأيتهم ... بجنبك في خفض وطيب زمان
فقال مضوا واستودعوني بلادهم ... ومن ذا الذي يبقى على الحدثان

وقال آخر

الا انعم صباحا أيها الرسم وانطق ... وحدث حديث الحي إن شئت واصدق

وقد ذكرنا فيما تقدم من أمثال ذلك ما فيه كفاية وقوله سبحانه ثم استوى إلى السماء يفيد انه خلق السماء بعد الأرض وخلق الأقوات فيها وقال سبحانه في موضع آخر والأرض بعد ذلك دحاها وعلى هذا فتكون الفائدة فيه ان الأرض كانت مخلوقة غير مدحوة فلما خلق الله السماء دحا بعد ذلك الأرض وبسطها وإنما جعل الله السماء اولا دخانا ثم سموات أطباقا ثم زينها بالمصابيح ليدل ذلك على انه سبحانه قادر لنفسه لا يعجزه شيء . عالم لذاته لا يخفى عليه شيء . غني لا يحتاج وكلما سواه محتاج اليه سبحانه وتعالى

(فقضيهن) اي صنعهن واحكمهن وفرغ من خلقهن (سبع سموات في يومين) يوم الخميس والجمعة قال السدي إنما سمي جمعة لأنه جمع فيه خلق السماوات والأرض (وأوحى في كل سماء أمرها) اي خلق فيها ما أراده من ملك وغيره عن السدي وقتادة وقيل معناه وأمر في كل سماء بما أراد عن مقاتل وقيل وأوحى إلى أهل كل سماء من الملائكة ما أمرهم به من العبادة عن علي بن عيسى (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) سمي الكواكب مصابيح لأنه يقع الاهتداء بها كقوله وبالنجم هم يهتدون (وحفظا) اي وحفظناها من استماع الشياطين قيل بالكواكب حفظا (ذلك) الذي ذكر (تقدير العزيز) في ملكه لا يمتنع عليه شيء (العليم) بمصالح خلقه لا يخفى عليه شيء ثم عقب سبحانه دلائل التوحيد بذكر الوعيد لأهل الشرك والجحود من العبيد فقال (فإن أعرضوا) عن الإيمان بك بعد هذا البيان (فقل) يا محمد لهم مخوفا إياهم (أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) اي استعدوا للعذاب فقد خوفتكم عذابا مثل عذاب عاد وثمود لما أعرضوا عن الإيمان والصاعقة المهلكة من كل شيء وهي في العرف اسم للنار التي تنزل من السماء فتحرق (إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم) اذ متعلقة بقوله صاعقة والتقدير نزلت بهم حين أتتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم عن ابن عباس يعني به الرسل الذين جاؤا آباءهم والرسل الذين جاؤهم في أنفسهم لأنهم كانوا خلف من جاء آباءهم من الرسل فيكون الهاء والميم في من خلفهم للرسل وقيل معناه ان منهم من تقدم زمانهم ومنهم من تأخر قال البلخي ويجوز أن يكون المراد أتاهم أخبار الرسل من ها هنا ومن ها هنا (الا تعبدوا) اي ارسلناهم بأن لا تعبدوا (إلا الله) وحده ولا تشركوا بعبادته غيره (قالوا) اي فقال المشركون عند ذلك (لو شاء ربنا) ان نؤمن به ونخلع الانداد (لأنزل ملائكة) تدعونا إلى ذلك ولم يبعث بشراً مثلنا وكأنهم انفوا من الإنقياد لبشر مثلهم وجهلوا ان الله تعالى يبعث الأنبياء على حسب ما يعلمه من مصالح عباده ويعلم من يصلح للقيام بأعباء النبوة (فإنا بما أرسلتم به كافرون) اي اظهروا الكفر بهم والجحود ثم فصل سبحانه اخبارهم فقال (فأما عاد فاستكبروا) اي تجبروا وعتوا (في الارض) وتكبروا على أهلها (بغير الحق) اي بغير حق جعله الله لهم بل للكفر المحض والظلم الصراح (وقالوا من أشد منا قوة) اغتروا بقوتهم لما هددهم هود بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفعه بفضل قوتنا إذ لا أحد أشد منا قوة فقال الله سبحانه رداً عليهم (اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) اي أو لم يعلموا ان الله الذي خلقهم وخلق فيهم هذه القوة اعظم اقتداراً منهم فلو شاء أهلكهم (وكانوا بآياتنا) اي بدلالاتنا (يجحدون) ينكرونها ولا يعترفون بها

قوله تعالى (١٦) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ (١٧) وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٨) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (١٩) وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (٢٠) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن عامر وأهل الكوفة نحسات بكسر الحاء والباقون نحسات بسكونها وقرأ نافع ويعقوب

نحشر بالنون اعداء الله بالنصب والباقون يحشر بالياء على ما لم يسم فأعله اعداء الله بالرفع

❋ الحجة ❋

قال ابو علي النحس كلمة يكون على ضربين ❋ احدهما ❋ ان يكون اسما ❋ والآخر ❋ ان يكون وصفا فما جاء فيه اسما مصدرا قوله في يوم نحس مستمر فالإضافة اليه يدل على انه اسم ليس بوصف لا يضاف اليه الموصوف وقال المفسرون في نحسات قولين ❋ احدهما ❋ الشديدة البرد ❋ والآخر ❋ انها المشؤومة عليهم فتقدير قوله في يوم نحس في يوم مشؤوم وقالوا يوم نحس ويوم نحس فمن أضافه كان مثل ما في التنزيل ومن أجراه على الاول احتمل أمرين ❋ احدهما ❋ ان يكون وصفا مثل فسل ورذل ❋ والآخر ❋ ان يكون مصدرا وصف به نحو رجل عدل فمن قرأ في أيام نحسات فأسكن الحاء اسكنها لأنه صفة مثل عبلات وصعبات ويجوز أن يكون جمع المصدر وتركه على اسكانه في الجمع كما قالوا زورة وعدلة قال ابو الحسن لم اسمع في النحس إلا الإسكان وقال ابو عبيدة نحسات ذوات نحس فيمكن أن يكون من كسر العين جعله صفة من باب فرق ونزق وجمع على ذلك ومن قرأ نحشر اعداء الله فحجته انه معطوف على قوله ونجينا ويقويه قوله يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا ومن قرأ يحشر فبنى الفعل للمفعول به يقويه قوله فهم يوزعون وكلا الأمرين حسن

-(اللغة)-

اشتقاق الصرصر من الصر يرضوعف اللفظ اشعارا بمضاعفة المعنى يقال صر يصرصر برا وصرصر يصرصر صرصرة وريح صرصر شديدة الصوت وأصله صرر ثم قلبت الراء صادا كما يقال نههه ونهنهه وكففه وكفكفه قال النابغة

اكفكف عبرة غلبت عزائي إذا نهنهتها عادت ذباحا

الخزي الهون الذي يستحيي من مثله خوفا من الفضيحة والهون الهوان والوزع المنع والكف ومنه قول الحسن «لا بد للناس من وزعة»

❋ الإعراب ❋

قوله ويوم يحشر انتصب الظرف بمدلول قوله فهم يوزعون لأن يوما بمنزلة إذا ولا ينتصب بقوله ونجينا الذين آمنوا لأنه ماض وقوله ويوم يحشر مستقبل فلا يعمل فيه الماضي

❋ المعنى ❋

ثم اخبر سبحانه عن هلاكهم بقوله (فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا) اي عاصفا شديدة الصوت من الصرة وهي الصيحة وقيل هي الباردة من الصر وهو البرد عن ابن عباس وقتادة وقال الفراء هي الباردة تحرق كما تحرق النار (في ايام نحسات) اي نكدات مشومات ذوات نحوس عن مجاهد وقتادة والسدي والنحس سبب الشر والسعد سبب الخير وبذلك سميت سعود النجوم ونحوسها وقيل نحسات ذوات غبار وتراب حتى لا يكاد يبصر بعضهم بعضا عن الجبائي وقيل نحسات باردات والعرب تسمي البرد نحسا عن ابي مسلم (لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا) اي فعلنا ذلك بهم لنذيقهم عذاب الهون والذل وهو عذاب الذي يجزون في الدنيا فيوقنوا بقوة معذبهم وبقدرته عليهم ويظهر ذلك لمن رأى حالهم (ولعذاب الآخرة أخزى) وافضح من ذلك (وهم لا ينصرون) اي لا يدفع عنهم العذاب الذي ينزل بهم ثم ذكر قصة ثمود فقال (وأما ثمود فهديناهم) اي بينا لهم سبيل الخير والشر عن قتادة وقيل دللناهم

وبينا لهم الحق عن ابن عباس والسدي وابن زيد (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا العمى في الدين على قبول الهدى وبئس الاختيار ذلك عن الحسن وقيل اختاروا الكفر على الايمان عن ابن زيد والفراء (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) اي ذي الهون وهو الذي يهينهم ويخزيهم وقد قيل ان كل عذاب صاعقة لأن كل من يسمعها يصعق لها (بما كانوا يكسبون) من تكذيبهم صالحا وعقرهم الناقة (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك اي ونجينا صالحا ومن آمن به من العذاب ثم اخبر سبحانه عن احوال الكفار يوم القيامة فقال (ويوم يحشر اعداء الله إلى النار فهم يوزعون) اي يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ولايتفرقوا والمعنى إذاحشروا وقفوا (حتى إذاما جاؤها) اي جاؤا النار التي حشروا اليها (شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) اي شهد عليهم سمعهم بما قرعه من الدعاء الى الحق فأعرضوا عنه ولم يقبلوه وابصارهم بما رأوا من الآيات الدالة على وحدانية الله فلم يؤمنوا وسائر جلودهم بما باشروه من المعاصي والافعال القبيحة وقيل في شهادة الجوارح قولان (احدهما) ان الله تعالى يبنيها بنية الحي ويلجؤها إلى الاعتراف والشهادة بما فعله اصحابه (والآخر) ان الله يفعل فيها الشهادة وإنما أضاف الشهادة اليها مجازا وقيل في ذلك ايضا وجه ثالث وهو انه يظهر فيها أمارات دالة على كون اصحابها مستحقين للنار فسمى ذلك شهادة مجازا كما يقال عيناك تشهدان بسهرك وقيل ان المراد بالجلود هنا الفروج على طريق الكناية عن ابن عباس والمفسرين

قوله تعالى (٢١) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٣) وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٤) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٥) وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ خمس آيات

القراءة

في الشواذ قراءة الحسن وعمرو بن عبيد وان يستعتبوا بضم الياء وفتح التاء فما هم من المعتبين بكسر التاء

الحجة

قال ابن جني معناه لو استعطفوا لما عطفوا لأنه لا غناء عندهم ولا خير فيهم فيجيبوا إلى جميل

اللغة

الإنطاق جعل القادر على الكلام ينطق إما بالالجاء الى النطق او الدعاء اليه والنطق إدارة اللسان في الفم بالكلام ولذلك لا يوصف سبحانه انه ناطق وان وصف بأنه متكلم والإرداء الإهلاك يقال أرداه فردي يردى فهو رد قال الاعشى

افي الطوف خفت علي الردى ... وكم من رد أهله لم يرم

والاستعتاب طلب العتبى وهي الرضا وهو الاسترضاء والاعتاب الارضاء وأصل الاعتاب عند العرب استصلاح الجلد بإعادته في الدباغ ثم استعير فيما يستعطف به البعض بعضا لإعادته ما كان من الالفة وأصل التقييض التبديل

ومنه المقايضة وهي مبادلة مال بمال قال الشاخ

تذكرت لما أثقل الدين كاهلي وعاب يزيد ما أردت تعذرا
رجالا مضوا مني فلست مقايضا بهم ابدا من سائر الناس معشرا

الاعراب

وذلكم ظنكم ذالكم مبتدأ وظنكم خبره وارداكم خبر بعد خبر وان اضمرت قد فجملته حالا جاز اي ذلكم ظنكم مرديا اياكم ويجوز ان يكون ذلكم مبتدأ وظنكم بدلا منه وارداكم خبر المبتدأ

المعنى

ثم حكى سبحانه عنهم بقوله (وقالوا) يعني الكفار (لجلودهم لم شهدتم علينا) اي يعاتبون إعضاءهم فيقولون لها لم شهدتم علينا (قالوا) اي فتقول جلودهم في جوابهم (انطقنا الله الذي انطق كل شيء) اي مما ينطق والمعنى اعطانا الله آلة النطق والقدرة على النطق وتم الكلام ثم قال سبحانه (وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون) في الآخرة أي الى حيث لا يملك أحد الأمر والنهي سواه تعالى وليس هذا من جواب الجلود (وما كنتم تستترون ان يشهد) اي من ان يشهد (عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم) معناه وما كنتم تستخفون اي لم يكن يتهيأ لكم ان تستروا اعمالكم عن هذه الاعضاء لأنكم كنتم بها تعملون فجعلها الله شاهدة عليكم في القيامة وقيل معناه وما كنتم تتركون المعاصي حذرا ان تشهد عليكم جوارحكم بها لأنكم ما كنتم تظنون ذلك (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون) لجهلكم بالله تعالى فهان عليكم ارتكاب المعاصي لذلك وروي عن ابن مسعود انها نزلت في ثلاثة نفر تساروا وقالوا أترى الله يسمع سرارنا ويجوز ان يكون المعنى انكم عملتم عمل من ظن ان عمله يخفى على الله كما يقال أهلكت نفسي اي عملت عمل من اهلك النفس وقيل ان الكفار كانوا يقولون ان الله لا يعلم ما في أنفسنا ولكنه يعلم ما يظهر عن ابن عباس (وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم) ذالكم مبتدأ وظنكم خبره وأرداكم خبر ثان ويجوز ان يكون ظنكم بدلا من ذالكم ويكون المعنى وظنكم الذي ظننتم بربكم انه لا يعلم كثيرا مما تعملون اهلككم اذ هون عليكم أمر المعاصي وأدى بكم إلى الكفر (فأصبحتم من الخاسرين) اي فضللتم من جملة من خسرت تجارته لأنكم خسرتم الجنة وحصلتم في النار قال الصادق (ع) ينبغي للمؤمن ان يخاف الله خوفا كأنه يشرف على النار ويرجوه رجاء كأنه من أهل الجنة ان الله تعالى يقول وذالكم ظنكم الذي ظننتم بربكم الآية ثم قال ان الله عند ظن عبده به ان خيرا فخير وان شرا فشر ثم اخبر سبحانه عن حالهم فقال (فإن يصبروا فالنار مثوى لهم) اي فإن يصبر هؤلاء على النار وآلامها وليس المراد به الصبر المحمود ولكنه الامساك عن اظهار الشكوى وعن الاستغاثة فالنار مسكن لهم (وان يستعتبوا فما هم من المعتبين) اي وان يطلبوا العتبى وسألوا الله تعالى ان يرضى عنهم فليس لهم طريق إلى الاعتاب فما هم ممن يقبل عذرهم ويرضى عنهم وتقدير الآية انهم إن صبروا وسكتوا وجزعوا فالنار مأواهم كما قال سبحانه اصلوها فاصبروا اولا تصبروا سواء عليكم والمعتب هو الذي يقبل عتابه ويجاب إلى ما سأل وقيل معناه وان يستغيثوا فما هم من المغاثين (وقيضنا لهم قرناء) اي هيأنا لهم قرناء من الشياطين عن مقاتل ومعناه بدلناهم قرناء سوء من الجن والانس مكان قرناء الصدق الذي أمروا بمقارنتهم فلم يفعلوا . بين الله سبحانه انه إنما فعل ذلك عقوبة لهم على مخالفتهم ونظيره ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقيل معناه خلينا بينهم وبين قرناء السوء بما استوجبوه من الخذلان عن الحسن (فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم) اي زينوا لهم ما بين أيديهم من أمرنا من أمر الدنيا حتى آثروه وعملوا له وما خلفهم من أمر الآخرة بدعائهم الى انه لا بعث ولا جزاء عن الحسن والسدي وقيل فزينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الآخرة

فقالوا لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب وما خلفهم من أمر الدنيا من جمع الأموال وترك النفقة في وجوه البر عن الفراء وقيل ما بين أيديهم ما قدموه من أفعالهم السيئة حتى ارتكبوها وما خلفهم ما سنوه لغيرهم ممن يأتي بعدهم (وحق عليهم القول) اي وجب عليهم الوعيد والعذاب (في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس) اي صاروا في أمم أمثالهم كذبوا لتكذيبهم قد مضوا قبلهم وجب عليهم العذاب بعصيانهم ثم قال سبحانه (إنهم كانوا خاسرين) خسروا الجنة ونعيمها

قوله تعالى (٢٦) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (٢٧) فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٨) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٢٩) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ (٣٠) إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ خمس آيات

❋ اللغة ❋

اللغو الكلام الذي لا معنى له يستفاد والغاء الكلمة اسقاط عملها يقال لغي يلغي ويلغو لغوا ولغى يلغي لغا قال عن اللغاء ورفث التكلم

—(الإعراب)—

ذلك مبتدأ وجزاء اعداء الله خبره والنار بدل من قوله جزاء اعداء لله ويجوز ان تكون النار تفسيرا كأنه قيل ما هي فقيل يقول هو النار قال الزجاج قوله لهم فيها دار الخلد اي لهم في النار دار الخلد والنار هي الدار كما تقول لك في هذه الدار دار سرور وأنت تعني الدار بعينها كما قال الشاعر

أخو رغائب يعطيها ويسألها   يأبى الظلامة منه النوفل الزفر

فيكون ذلك من باب التجريد وموضع ان لا تخافوا نصب تقديره تتنزل عليهم الملائكة بأن لا يخافوا فلما حذف الباء وصل الفعل فنصبه

❋ المعنى ❋

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من ذكر الكفار فقال (وقال الذين كفروا) اي قال رؤساؤهم لأتباعهم او قال بعضهم لبعض يعني كفار قريش (لا تسمعوا لهذا القرآن) الذي يقرؤه محمد ولا تصغوا اليه (والغوا فيه) اي عارضوه باللغو الباطل وبما لا يعتد به من الكلام (لعلكم تغلبون) اي لتغلبوه باللغو والباطل ولا يتمكن اصحابه من الاستماع وقيل اللغو فيه بالتخليط في القول والمكاء والصفير عن مجاهد وقيل معناه ارفعوا اصواتكم في وجهه بالشعر والرجز عن ابن عباس والسدي لما عجزوا عن معارضة القرآن احتالوا في اللبس على غيرهم وتواصوا بترك استماعه والالغاء عنه عند قراءته ثم أوعدهم الله سبحانه فقال (فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا) في الدنيا بالأسر والقتل يوم بدر وقيل في الآخرة (ولنجزينهم اسوء الذي كانوا يعملون) اي نجازيهم بأقبح الجزاء على اقبح معاصيهم وهو الكفر والشرك وخص الاسوء بالذكر للمبالغة في الزجر وقيل معناه لنجزينهم بأسوء اعمالهم وهي المعاصي دون غيرها مما لا يستحق به العذاب (ذلك) يعني ما تقدم الوعيد به (جزاء اعداء الله) الذين

عادوه بالعصيان والكفر وعادوا اولياءه من الأنبياء والمؤمنين (النار) وهي النار والكون فيها (لهم فيها دار الخلد) اي منزل الدوام والتأبيد (جزاء لهم) وعقوبة (بما كانوا بآياتنا يجحدون) يعني القرآن يجحدون بأنه من عند الله عن مقاتل (وقال الذين كفروا) اي وسيقول الكفار في النار (ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس) يعنون إبليس الابالسة وقابيل بن آدم أول من ابدع المعصية روي ذلك عن علي (ع) وقيل المراد بذلك كل من ابدع الكفر والضلالة من الجن والإنس والمراد بالذين جنس الجن والإنس كما في قوله واللذان يأتيانها منكم (نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من الاسفلين) تمنوا الشدة لشدة عداوتهم لهم وبغضهم إياهم بما اضلوهم وأغووهم ان يجعلوهم تحت أقدامهم في الدرك الأسفل من النار وقيل ان المراد به ندوسهما ونطاؤهما باقدامنا اذلالا لهما ليكونا من الاضلين الاذلين قال ابن عباس ليكونا اشد عذابا منا ولما ذكر سبحانه وعيد الكفار عقبه بذكر الوعد للمؤمنين الابرار فقال (إن الذين قالوا ربنا الله) اي وحدوا الله تعالى بلسانهم واعترفوا به وصدقوا انبياءه (ثم استقاموا) اي استمروا على ان الله ربهم وحده لم يشركوا به شيئا عن مجاهد وقيل معناه ثم استقاموا على طاعته وأداء فرائضه عن ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد وقيل ثم استقاموا في افعالهم كما استقاموا في أقوالهم وقيل ثم استقاموا على ما توجبه الربوبية من عبادته عن ابن مسلم وروي عن انس قال قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية ثم قال قد قالها ناس ثم كفر اكثرهم فمن قالها حتى يموت فهو ممن استقام عليها وروى محمد بن الفضيل قال سألت ابا الحسن الرضا (ع) عن الاستقامة فقال هي والله ما انتم عليه (تتنزل عليهم الملائكة) يعني عند الموت عن مجاهد والسدي وروى ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل تستقبلهم الملائكة إذا خرجوا من قبورهم في الموقف بالبشارة من الله عن الحسن وثابت وقتادة وقيل في القيامة عن الجبائي وابي مسلم وقيل ان البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث عن وكيع بن الجراح (الا تخافوا ولا تحزنوا) اي تقولون لهم لا تخافوا عقاب الله ولا تحزنوا لفوات الثواب وقيل لا تخافوا مما امامكم من أمور الآخرة ولا تحزنوا على ما وراءكم وعلى ما خلفتم من اهل وولد عن عكرمة ومجاهد وقيل لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإني اغفرها لكم عن عطا ابن ابي رياح وقيل ان الخوف يتناول المستقبل والحزن يتناول الماضي وكأن المعنى لا تخافوا فيما يستقبل من الاوقات ولا تحزنوا على ما مضى وهذا نهاية المطلوب (وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون) بها في دار الدنيا على السنة الأنبياء

قوله تعالى (٣١) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣٢) نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٣) وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٤) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٥) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ خمس آيات

❋ الاعراب ❋

نزلا نصب على المصدر وتقديره أنزلكم ربكم فيما تشتهون نزلا ويجوز ان يكون نصبا على الحال وتقديره ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم منزلا نزلا كما يقال جاء زيد مشيا اي ماشيا والقولان جميعا يرجعان إلى كونه مصدرا وقال ابو علي نزلا يحتمل ضربين ❋ احدهما ❋ ان يكون جمع نازل كقوله

ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا ... أو تنزلون فإنا معشر نزل

ويكون حالا من الضمير في تدعون اي ماتدعون من غفوررحيم نازلين ﴿ والآخر ﴾ ان يراد به القوت الذي يقام للنازل او الضيف ويكون حالا مما تدعون اي لكم ماتدعون نزلا من غفور رحيم صفة نزل وفيه ضمير يعود اليه وقولا نصب على التفسير وقوله ولا السيئة لا هاهنا زائدة موكدة لتبعيد المساواة

﴿ المعنى ﴾

ثم حكى سبحانه ان الملائكة تقول للمؤمنين الذين استقاموا بعد البشارة (نحن أولياؤكم) اي نحن معاشر الملائكة انصاركم واحباؤكم (في الحيوة الدنيا) نتولى إيصال الخيرات اليكم من قبل الله تعالى (وفي الآخرة) فلا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة عن مجاهد وقيل كنا نتولى حفظكم في الدنيا بأنواع المعونة وفي الآخرة نتولاكم بأنواع الإكرام والمثوبة وقيل نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا اي نحرسكم في الدنيا وعند الموت وفي الآخرة عن ابي جعفر (ع) (ولكم فيها) اي في الآخرة (ما تشتهي أنفسكم) من الملاذ وتتمنونه من المنافع (ولكم فيها ما تدعون) انه لكم فإن الله سبحانه يحكم لكم بذلك وقيل ان المراد بقوله ما تشتهي أنفسكم البقاء لأنهم كانوا يشتهون البقاء في الدنيا أي لكم فيها ماكنتم تشتهون من البقاء ولكم فيها ماكنتم تتمنونه من النعيم عن ابن زيد (نزلاً من غفور رحيم) معناه ان هذا الموعود به مع جلالته في نفسه له جلالة بمعطيه إذ هو عطاء لكم ورزق يجري عليكم ممن يغفر الذنوب ويستر العيوب رحمة منه لعباده فهو أهنأ لكم وأكمل لسروركم قال الحسن أرادوا ان جميع ذلك من الله وليس منا وفي هذه الآية بشارة للمؤمنين بمودة الملائكة لهم وفيها بشارة بنيل مشتهياتهم في الجنة وفيها دلالة على ان الملائكة تتردد إلى من كان مستقيما على الطاعات وعلى شرف الاستقامة أيضا تتولى الملائكة صاحبها من أجلها (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً) صورته صورة الاستفهام والمراد به النفي تقديره وليس أحد أحسن قولا ممن دعا إلى طاعة الله وأضاف إلى ذلك أن يعمل الأعمال الصالحة (وقال انني من المسلمين) أي ويقول مع ذلك انني من المستسلمين لأمر الله المنقادين إلى طاعته وقيل معناه ويقول انني من جملة المسلمين كما قال ابراهيم وأنا أول المسلمين وهذا الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الحسن وابن زيد والسدي وقيل هو وجميع الأئمة الدعاة الهداة إلى الحق عن مقاتل وجماعة من المفسرين وقيل هم المؤذنون عن عائشة وعكرمة وفي هذه الآية رد على من قال أنا مؤمن ان شاء الله لأنه مدح من قال انني من المسلمين من غير أن يقرنه بالمشيئة وفي هذه الآية دلالة على ان الدعاء إلى الدين من اعظم الطاعات وأجل الواجبات وفيها دلالة على ان الداعي يجب ان يكون عاملا بعلمه ليكون الناس إلى القبول منه أقرب واليه أسكن ثم قال سبحانه (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة) قيل معناه لا تستوي الملة الحسنة التي هي الإسلام والملة السيئة التي هي الكفر وقيل لا تستوي الأعمال الحسنة ولا الاعمال القبيحة وقيل لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة فلا يستوي الصبر والغضب والحلم والجهل والمداراة والغلظة والعفو والإساءة ثم بين سبحانه ما يلزم على الداعي من الرفق بالمدعو فقال (ادفع بالتي هي أحسن) خاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ادفع بالتي هي احسن خاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال ادفع بحقك باطلهم وبحلمك جهلهم وبعفوك اساءتهم (فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) معناه فإنك إذا دفعت خصومك بلين ورفق ومداراة صار عدوك الذي يعاديك في الدين بصورة وليك القريب فكأنه وليك في الدين وحميمك في النسب وروي عن ابي عبد الله (ع) ان الحسنة التقية والسيئة الإذاعة (وما يلقيها) اي وما يلقى هذه الفعلة وهذه الحالة التي هي دفع السيئة بالحسنة (إلا الذين صبروا) على كظم الغيظ واحتمال المكروه وقيل إلا الذين صبروا في الدنيا على الأذى عن ابي عبد الله «ع» (وما يلقيها) اي وما يلقى هذه الخصلة المذكورة ولا يؤتاها (إلا ذو حظ عظيم) اي ذو نصيب وافر من الرأي والعقل وقيل إلا ذو نصيب عظيم من الثواب والخير وقيل الحظ العظيم الجنة عن قتادة وما يلقاها إلا من وجبت له الجنة وروي عن

ابي عبد الله «ع» وما يلقاها إلا كل ذي حظ عظيم

النظم

اتصل قوله ومن احسن قولا ممن دعا إلى الله الآية بما قبله من قوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الآية فكأنه قال الاتتعجبون من اعراض الكفار عن استماع القرآن وتواصيهم فيما بينهم باللغو في قراءته ولا قائل احسن قولا من محمد صلى الله عليه وآله وسلم يدعوكم إلى من تقرون انه خالقكم ثم انه قد عمل في دينه بما دعاكم اليه فانتفت عنه التهمة من جميع الوجوه

قوله تعالى (٣٦) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٣٧) وَمِنْ آيَاتِهِ ٱللَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٨) فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ (٣٩) وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَاءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ٱعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤١) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤٢) لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (سبع آيات)

(اللغة)

النزغ النخس بما يدعو إلى الفساد يقال نزغ ينزغ نزغا وفلان ينزغ فلانا كأنه ينخسه بما يدعوه إلى خلاف الصواب والحد مال عن الحق ويقال لحد يلحد ايضا بمعناه ويسمى القرآن ذكرا لأنه ذكر فيه الدلائل والاحكام

الإعراب

واما ينزغنك هي ان التي للجزاء زيد عليها ما تأكيدا فأشبه لذلك القسم فلذلك دخل الفعل نون التأكيد ان الذين كفروا بالذكر لم يذكر لأن خبرا والتقدير ان الذين كفروا بالذكر مبتدأ الخبر معذبون فحذف الخبر ويجوز ان يكون الخبر أولئك ينادون من مكان بعيد

المعنى

ثم أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يستعيذ بالله إذا صرفه الشيطان عن الاحتمال فقال (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ) ان ما يدعونك نزغ من الشيطان بالوسوسة (فاستعذ بالله) أي فاطلب الاعتصام من شره بالله (انه هو السميع العليم) الآية مفسرة في آخر سورة الاعراف ثم ذكر سبحانه دلالات التوحيد فقال (ومن آياته) أي حججه الدالة على وحدانيته وادلته على صفاته التي باين بها جميع خلقه (الليل) بذهاب الشمس عن بسيط الارض (والنهار) بطلوعها على وجهها وتقديرهما على وجه مستقر وتدبيرهما على نظام مستمر (والشمس والقمر) وما اختصا به من النور وظهر فيهما من التدبير في المسير والفرق في فلك التدبير (لا تسجدوا للشمس ولا للقمر) وان كان فيهما منافع كثيرة لأنهما ليسا بخالقين (واسجدوا لله الذي خلقهن) وأنشأهن وانما قال خلقهن لوجهين (احدهما) ان ضمير غير ما يعقل على لفظ التأنيث تقول هذا كباشك فسقها وان شئت قلت فسقهن (والآخر) ان الضمير يرجع إلى معنى

الآيات لأنه قال ومن آياته هذه الأشياء واسجدوا لله الذي خلقهن (إن كنتم إياه تعبدون) ان كنتم تقصدون بعبادتكم لله كما تزعمون الله فاسجدوا لله دون غيره ثم قال (فإن استكبروا) عن توجيه العبادة إلى الله وحده (فالذين عند ربك) وهم الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون) اي لا يملون ولا يفترون وهو مفسر في سورة الاعراف والمروي عن ابن عباس وقتادة وابن المسيب ان موضع السجود عند قوله وهم لا يسأمون وعن ابن مسعود والحسن انه عند قوله ان كنتم إياه تعبدون وهو اختيار عمرو بن العلا وهو المروي عن أئمتنا «ع» (ومن آياته) اي ومن ادلته الدالة على ربوبيته (انك ترى الأرض خاشعة) أي غبراء دارسة متهشمة عن قتادة والسدي أي كان حالها حال الخاضع المتواضع وقيل ميتة يابسة لا نبات فيها قال الازهري إذا يبست الأرض ولم تمطر قيل قد خشعت (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت) اي تحركت بالنبات وربت أي انتفخت وارتفعت قبل ان تنبت وقيل اهتزت بالنبات (وربت) بكثرة ريعها عن الكلبي (ان الذي أحياها) أي أحيا الأرض بما أنزله من المطر (لمحيي الموتى) في الآخرة مثل ذلك (انه على كل شيء قدير) ظاهر المعنى (ان الذين يلحدون) اي ان الذين يميلون عن الإيمان بآياتنا (لا يخفون علينا) باشخاصهم وأقوالهم وافعالهم وهذا وعيد عن قتادة وابن زيد والسدي وقد قيل ان معنى الإلحاد في آيات الله هو ما كانوا يفعلونه من المكاء والصفير عن مجاهد وقيل هو تبديلهم ذلك ووضعه في غير موضعه عن ابن عباس وقال بعض المفسرين ان المراد بالآيات هنا دلالات التوحيد والإلحاد فيها الانحراف عنها وترك الاستدلال بها ثم قال سبحانه على وجه الانكار عليهم والتهجين لفعلهم والتهديد لهم (أفمن يلقى في النار خير) وهم الملحدون (أم من يأتي آمنا يوم القيامة) من عذاب الله وهم المؤمنون المطيعون وهذا استفهام تقرير معناه انهما لا يستويان وقيل ان الذي يلقى في النار ابو جهل والذي يأتي آمنا يوم القيامة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن مقاتل وقيل هو عمار بن ياسر عن عكرمة والصحيح ان الآية على العموم والمراد بها المؤمن والكافر ثم قال سبحانه (اعملوا ما شئتم) لفظه لفظ الأمر ومعناه الوعيد والتهديد أي فإذا علمتم انهما لا يستويان فليختر كل واحد منكم لنفسه ما شاء من الامرين فإن العاقل لا يختار الالقاء في النار فإذا لم يختر ذلك فلا بد ان يؤمن بالآيات فلا يلحد فيها (انه بما تعملون) أي بأعمالكم (بصير) عالم لا يخفى عليه شيء منها ثم اخبر سبحانه عنهم متهجنا لهم فقال (ان الذين كفروا بالذكر) الذي هو القرآن وجحدوه (لما جاءهم) اي حين جاءهم ثم اخذ سبحانه في وصف الذكر وترك خبر ان على تقدير ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم ونحو ذلك وقيل ان خبره (أولئك ينادون من مكان بعيد) عن ابي عمرو بن العلا وقيل ان قوله (وانه الكتاب عزيز) في موضع الخبر والتقدير الكتاب الذي جاءهم عزيز وأما قوله وانه فالهاء يعود إلى القرآن الذي هو الذكر والمعنى ان الذكر الكتاب عزيز بأنه لا يقدر أحد من العباد على ان يأتي بمثله وقيل انه عزيز باعزاز الله عز وجل إياه إذ حفظه من التغيير والتبديل وقيل هو عزيز إذ جعله الله على اتم صفات الاحكام وقيل عزيز بأنه يجب ان يعز ويجل بالانتهاء إلى ما فيه وترك الاعراض عنه وقيل عزيز أي كريم على الله عز وجل عن ابن عباس (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قيل فيه أقوال ﴿ احدها ﴾ ان الباطل الشيطان ومعناه لا يقدر الشيطان أن ينقص منه حقا أو يزيد فيه باطلا عن قتادة والسدي ﴿ وثانيها ﴾ انه لا يأتيه ما يبطله من بين يديه أي من الكتب التي قبله ولا من خلفه أي لا يجيء من بعده كتاب يبطله اي ينسخه عن ابن عباس والكلبي ومقاتل ﴿ وثالثها ﴾ معناه انه ليس في اخباره عما مضى باطل ولا في اخباره عما يكون في المستقبل باطل بل اخباره كلها موافقة لمخبراتها وهو المروي عن ابي جعفر «ع» وابي عبدالله «ع» ﴿ ورابعها ﴾ لا يأتيه الباطل من أول تنزيله ولا من آخره عن الحسن ﴿ وخامسها ﴾ لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات فلا تناقض في الفاظه ولا كذب في اخباره ولا يعارض ولا يزاد فيه ولا يغير بل هو محفوظ حجة على المكلفين إلى يوم القيامة ويؤيده

قوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (تنزيل من حكيم) اي هو تنزيل من عالم بوجوه الحكمة (حميد) مستحق للحمد على خلقه بالإنعام عليهم والقرآن هو من اعظم نعمه فاستحق به الحمد والشكر

قوله تعالى (٤٣) مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٤) وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٤٥) وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ثلاث آيات

❋ القراءة ❋

قرأ أهل الكوفة غير حفص أأعجمي بهمزتين وقرأ هشام عن ابن عامر بهمزة واحدة وقرأ الباقون بهمزة واحدة ممدودة

❋ الحجة ❋

قال ابو علي الأعجمي الذي لا يفصح من العرب كان او من العجم قالوا زياد الأعجم لآفة كانت في لسانه وكان عربيا وقالوا صلاة النهار عجماء أي تخفى فيها القراءة ولا تبين ويجمع الاعجم على عجم انشد ابو زيد

يقول الخنا وابغض العجم ناطقا إلى ربنا صوت الحمار اليجدع

أي ابغض صوت العجم صوت الحمار وتسمي العرب من لم يبين كلامه من أي صنف كان من الناس اعجم ومنه قول ابن الاخزر

سلوم لو اصبحت وسط الاعجم بالروم او بالترك او بالديلم

فقال او كنت وسط الأعجم ولم يقل وسط العجم لأنه جعل كل من لم يبين كلامه أعجم فكأنه قال وسط القبيل الاعجم والعجم خلاف العرب والعجمي خلاف العربي منسوب إلى العجم و إنما قوبل الاعجمي بالعربي في الآية وخلاف العربي العجمي لأن الاعجمي في انه لا يبين مثل العجمي عندهم فمن حيث اجتمعا في انهما لا يبينان قوبل به العربي في قوله ءأعجمي وعربي وينبغي ان يكون الاعجمي الياء فيه للنسب نسب إلى الاعجم الذي لا يفصح وهو في المعنى كالعجمي وان كانا يختلفان في النسبة فيكون الاعجمي عربيا ويجوز ان يقال للرجل اعجمي ويراد به ما يراد باعجم بغير ياء النسب كما يقال احمر واحمري و دوار ودواري وقوله ولو نزلناه على بعض الاعجمين مما جمع على ارادة ياء النسب فيه مثل قولهم النميرون ولولا ذلك لم يجز جمعه بالواو والنون ألا ترى انك لا تقول في الاحمر إذا كان صفة أحمرون وانما جاز الاعجمون لما ذكرنا فأما الأعاجم فينبغي ان تكون تكسير اعجمي كما كان المسامعة تكسير مسمعي وقد استعمل هذا الوصف استعمال الاسماء فمن ذلك قوله خرق يمانية لاعجم طمطم فينبغي ان يكون من باب الأجازع والاباطح وأما قوله تعالى اعجمي وعربي فالمعنى المنزل اعجمي والمنزل عليه عربي فقوله اعجمي وعربي يرتفع كل منهما على انه خبر مبتدأ محذوف وهذه الآية في المعنى كقوله ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين

❋ المعنى ❋

ثم عزى سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على تكذيبهم فقال (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) أي ما يقول هؤلاء الكفار لك إلا ما قد قيل للأنبياء قبلك من التكذيب والجحد لنبوتهم عن قتادة والسدي

والجبائي وقيل معناه ما يقول الله لك إلا ما قد قاله للرسل من قبلك وهو الأمر بالدعاء إلى الحق في عبادة الله ولزوم طاعته فهذا القرآن موافق لما قبله من الكتب وقيل معناه ما حكاه تعالى بعده من (ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم)فيكون على جهة الوعد والوعيد اي انه لذو مغفرة لمن آمن بك وذو عقاب أليم لمن كذب بك (ولو جعلناه قرآنا اعجميا) اي لو جعلنا هذا الكتاب الذي تقرؤه على الناس بغير لغة العرب (لقالوا لولا فصلت آياته) اي هلا بينت بلسان العرب حتى نفهمه (أأعجمي وعربي) اي كتاب اعجمي ونبي عربي وهذا استفهام على وجه الانكار والمعنى انهم كانوا يقولون المنزل عليه عربي والمنزل اعجمي وكان ذلك أشد لتكذيبهم فبين الله سبحانه انه أنزل الكتاب بلغتهم وأرسل الرسول من عشيرتهم ليكون ابلغ في الحجة واقطع للمعذرة (قل) يا محمد لهم (هو) اي القرآن (للذين آمنوا هدى) من الضلالة (وشفاء) من الاوجاع وقيل وشفاء للقلوب من كل شك وريب وشبهة وسمى اليقين شفاء كما سمى الشك مرضا في قوله في قلوبهم مرض (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) اي ثقل وصمم عن سماعه من حيث يثقل عليهم استماعه فلا ينتفعون به فكأنهم صم عنه (وهو عليهم عمى) عميت قلوبهم عنه عن السدي يعني انهم لما ضلوا عنه وحاروا عن تدبره فكأنه عمى لهم (أولئك ينادون من مكان بعيد) اي انهم لا يسمعون ولا يفهمون كما ان من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم وإنما قال ذلك لبعد افهامهم وشدة اعراضهم عنه وقيل لبعده عن قلوبهم عن مجاهد وقيل ينادى الرجل منهم في الآخرة باشنع اسمه عن الضحاك (ولقد آتينا موسى الكتاب) اي التوراة (فاختلف فيه) لأنه آمن به قوم وكذب به آخرون وهذه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله ايضا عن جحود قومه له وانكارهم لنبوته (ولولا كلمة سبقت من ربك) في تأخير العذاب عن قومك وانه لا يعذبهم وأنت فيهم (لقضي بينهم) اي لفرغ من عذابهم واستئصالهم وقيل معناه لولا حكم سبق من ربك بتأخيرهم العذاب إلى وقت انقضاء آجالهم لقضي بينهم قبل انقضاء آجالهم فيظهر المحق من المبطل (وانهم لفي شك منه مريب) اي وان قومك لفي شك مما ذكرناه موقع لهم الريبة وهو افظع الشك

قوله تعالى (٤٦) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٤٧) إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ (٤٨) وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ (٤٩) لَا يَسْأَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ (٥٠) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ خمس آيات

(القراءة)

قرأ اهل المدينه والشام وحفص من ثمرات على الجمع والباقون من ثمرة على التوحيد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من ثمرة إذا افرد يدل على الكثرة واستغنى به عن الجمع ويقوي الافراد قوله وما تحمل من أنثى وحجة من جمع ان الجمع صحيح وان المعنى على ذلك

﴿ اللغة ﴾

الاكمام جمع كم وكم جمع كمة عن ابن خالويه وقيل هي جمع كمة عن ابي عبيدة وهي الكفري وتكمم الرجل في ثوبه إذا تلفف به والإيذان الإعلام

﴿ المعنى ﴾

ثم احتج سبحانه عليهم بأن قال (من عمل صالحا فلنفسه) اي من عمل طاعة فلنفسه لأن ثواب ذلك واصل اليه ومنفعته تكون له دون غيره (ومن أساء فعليها) اي من عمل معصية فعلى نفسه وبال ذلك وعقابه يلحقه دون غيره (وما ربك بظلام للعبيد) وهذا على وجه المبالغة في نفي الظلم عن نفسه للعبيد وإنما قال ذلك مع انه لا يظلم مثقال ذرة لأمرين ﴿ احدهما ﴾ ان من فعل الظلم وان قل وهو عالم بقبحه وبأنه غني عنه لكان ظلاما ﴿ والآخر ﴾ انه على طريق الجواب لمن زعم انه يظلم العباد فيأخذ احدا بذنب غيره ويصيبه بطاعة غيره ثم بين سبحانه انه العالم بوقت القيامة فقال (اليه يرد علم الساعة) التي يقع فيها الجزاء للمطيع والعاصي وهو يوم القيامة (وما تخرج من ثمرات من اكمامها) اى وما تخرج ثمرة من اوعيتها وغلفها (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه) اي ولا تحمل انثى من حمل ذكرا كان او انثى ولا تضع انثى إلا في الوقت الذي علم سبحانه انها تحمل فيه وتضع فيه فيعلم سبحانه قدر الثمار و كيفيتها واجزاءها وطعومها وروائحها ويعلم ما في بطون الحبالى و كيفية انتقالها حالا بعد حال حتى يصير بشرا سويا (ويوم يناديهم) اي ينادي الله المشركين (أين شركائي)اي في قولكم وزعمكم كما قال اين شركائي الذين كنتم تزعمون (قالوا آذناك ما منا من شهيد) اي يقولون اعلمناك ما منا شاهد بأن لك شريكا يتبرون يومئذ من ان يكون مع الله شريك (وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل) اي بطل عنهم وذهب ما كانوا أملوه من اصنامهم (وظنوا) اي ايقنوا (ما لهم من محيص) اي من مهرب وملجأ دخل الظن على ما التي للنفي كما تدخل على لام الابتداء وكلاهما له صدر الكلام والمعنى انهم علموا ان لا مخلص لهم من عذاب الله وقد يعبر بالظن عن اليقين فيما طريقه الخبر دون العيان ثم بين سبحانه طريقتهم في الدنيا فقال (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير) قال الكلبي الإنسان هاهنا يراد به الكافر اي لا يمل الكافر من دعائه الخير ولا يزال يسأل ربه الخير الذي هو المال والغنى والصحة والولد (وإن مسه الشر) اي البلاء والشدة والفقر (فيؤوس) اي فهو يؤوس شديد اليأس من الخير (قنوط) من الرحمة وقيل يؤوس من إجابة الدعاء قنوط سيء الظن بربه (ولئن اذقناه رحمة منا) اي خيرا وعافية وغنى (من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي) اي هذا بعملي وانا محقوق به عن مجاهد قال وكل هذا من اخلاق الكافر وقيل معناه هذا لي دائما ابدا (وما اظن الساعة قائمة) اي كائنة على ما يقوله المسلمون (ولئن رجعت إلى ربي ان لي عنده للحسنى) اي لست على يقين من البعث فإن كان الأمر على ذلك ورددت الى ربي إن لي عنده الحالة الحسنى والمنزلة الحسنى وهي الجنة سيعطيني في الآخرة مثل ما اعطاني في الدنيا ثم هدد سبحانه من هذه صفته ان قال (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) اي لنقفنهم يوم القيامة على

مساوئ اعمالهم عن ابن عباس (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) اسيء شديد متراكم

قوله تعالى (٥١) وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ (٥٢) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٤) أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ
اربع آيات

❋ المعنى ❋

ثم اخبر سبحانه عن جهل الإنسان الذي تقدم وصفه بمواقع نعم الله سبحانه فقال (وإذا انعمنا على الانسان اعرض) عن الشكر (ونأى بجانبه) اي بعد بجانبه تكبرا وتجبرا عن الاعتراف بنعم الله تعالى ومن قرأ ناء فإنه مقلوب من نأى كما في قول الشاعر

اقول وقد ناءت بها غربة النوى   نوى خيتمور لا تشط ديارك

(وإذا مسه الشر) اي الضر او الفقر او المرض (فذو دعاء عريض) اي فهو ذو دعاء كثير عند ذلك عن السدي وإنما قال فذو دعاء عريض ولم يقل طويل لأنه ابلغ فإن العرض يدل على الطول والطول لا يدل على العرض اذ قد يصح طويل ولا عرض له ولا يصح عريض ولا طول له فإن العرض الانبساط في خلاف جهة الطول والطول الامتداد في اي جهة كان وفي الآية دلالة على بطلان مذهب اهل الجبر القائلين بأنه ليس لله على الكافر نعمة فإن الله سبحانه اخبر بأنه ينعم على الكافر وأنه يعرض عن موجبها من الشكر والمراد بالآية ان الكافر يسأل ربه بالتضرع والدعاء ان يكشف ما به من الضر والبلاء ويعرض عن الدعاء في الرخاء (قل) يا محمد (أرأيتم ان كان) القرآن (من عند الله) وقيل ان كان هذا الانعام من عند الله (ثم كفرتم به) وجحدتموه (من اضل ممن هو في شقاق بعيد) اي في خلاف للحق بعيد عنه وهو انتم والشقاق والمشاقة الميل الى شق العداوة اي فلا احد اضل منكم (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم) اختلف في معناه على اقوال ❋ احدها ❋ ان المعنى سنريهم حججنا ودلائلنا على التوحيد في آفاق العالم واقطار السماء والارض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والاشجار والبحار والجبال وفي انفسهم وما فيها من لطائف الصنعة وبدائع الحكمة (حتى يتبين لهم) اي يظهر لهم (انه الحق) اي أن الله الحق عن عطاء وابن زيد ❋ وثانيها ❋ ان معناه سنريهم آياتنا ودلائلنا على صدق محمد ﷺ وصحة نبوته في الآفاق اي بما يفتح من القرى عليه وعلى المسلمين في اقطار الأرض وفي انفسهم يعني فتح مكة عن السدي والحسن ومجاهد وقالوا هو ظهور محمد ﷺ على الآفاق وعلى مكة حتى يعرفوا ان ما أتى به من القرآن حق ومن عند الله لأنهم بذلك يعرفون انه مؤيد من قبل الله تعالى بعد أن كان واحدا لا ناصر له ❋ وثالثها ❋ ان المراد بقوله في الآفاق وقائع الله في الأمم وفي انفسهم وقعة يوم بدر عن قتادة ❋ ورابعها ❋ ان معناه نريهم آياتنا في الآفاق بصدق ما كان يخبرهم به النبي ﷺ من الحوادث فيها وفي انفسهم يعني ما كان بمكة من انشقاق القمر حتى يعلموا ان خبره حق من قبل الله سبحانه ❋ وخامسها ❋ ان المراد سنريهم آثار من

مضى من قبلهم ممن كذب الرسل من الأمم وآثار خلق الله في كل البلاد وفي انفسهم من انهم كانوا نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما ثم كسيت لحما ثم نقلوا الى التمييز والعقل وذلك كله دليل على ان الذي فعله واحد ليس كمثله شيء عن الزجاج (اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد) موضع قوله بربك رفع والمعنى اولم يكف ربك وانه على كل شيء شهيد في موضع رفع ايضا على البدل وان حملته على اللفظ فهو في موضع جر والمفعول محذوف وتقديره اولم يكف شهادة ربك على كل شيء ومعنى الكفاية هنا انه سبحانه بين للناس ما فيه كفاية من الدلالة على توحيده وتصحيح نبوة رسله قال مقاتل معناه اولم يكف ربك شاهدا ان القرآن من عند الله وقيل معناه اولم يكف ربك لأنه على كل شيء شهيد اي عليم بالأشياء شاهد لجميعها لا يغيب عنه شيء (ألا انهم في مرية من لقاء ربهم) الا كلمة تنبيه وتاكيد ان الكفار في شك من لقاء ثواب ربهم وعقابه اي في شك من مجازاة ربهم وفي هذا تسفيه لهم في اضافة العبث إلى الله (ألا انه بكل شيء محيط) اي احاط علمه بكل شيء فلا يخفى عليه شيء

سورة حمعسق

وتسمى سورة الشورى ايضا وهي مكية عن الحسن إلا قوله والذين استجابوا والذين إذا اصابهم إلى قوله لا يحب الظالمين وعن ابن عباس وقتادة إلا اربع آيات منها نزلن في المدينة قل لا اسئلكم عليه اجرا إلا المودة في القربى قال ابن عباس ولما نزلت هذه الآية قال رجل والله ما انزل الله هذه الآية فأنزل الله ام يقولون افترى على الله كذبا ثم ان الرجل تاب وندم فنزل وهو الذي يقبل التوبة عن عباده إلى قوله لهم عذاب شديد

عدد آيها

ثلاث وخمسون آية كوفي وخمسون في الباقي

اختلافها

ثلاث آيات حمعسق كالاعلام ثلثهن كوفي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة حمعسق كان ممن يصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون وروى سيف بن عميرة عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ حم عسق بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر حتى يقف بين يدي الله عز وجل فيقول عبدي أدمنت قراءة حم عسق ولم تدر ما ثوابها أما لو دريت ما هي وما ثوابها لما مللت من قراءتها ولكن سأجزيك جزاءك أدخلوه الجنة وله فيها قصر من ياقوتة حمراء ابوابها وشرفها ودرجها منها يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وله فيها حوراوان من الحور العين والف جارية والف غلام من الولدان المخلدين الذين وصفهم الله

تفسيرها

ختم الله سورة حم السجدة بذكر القرآن وافتتح هذه السورة بذكره ايضا فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) حم (٢) عسق (٣) كَذٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن

قبلك الله العزيز الحكيم (٤) له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم (٥) تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير كذلك يوحى اليك بفتح الحاء والباقون يوحي بكسر الحاء وفي الشواذ رواية الأعمش عن ابن مسعود حم سق بغير عين

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ يوحى فبنى الفعل للمفعول به احتمل أمرين ﴿ احدهما ﴾ أن المعنى يوحى اليك السورة كما اوحي إلى الذين من قبلك زعموا ان هذه السورة قد اوحي إلى الأنبياء قبل ﴿ والآخر ﴾ ان يكون الجار والمجرور يقومان مقام الفاعل ويجوز ان يكون قوله تعالى الله العزيز الحكيم تبيينا للفاعل كقوله يسبح له فيها ثم قال رجال كأنه قيل من يسبح فقال رجال ومن قرأ يوحي اليك على بناء الفعل للفاعل فإن اسم الله يرتفع بفعله وأما اختلاف القراء في يتفطرن وينفطرن والوجه في ذلك قد مر ذكره في سورة مريم وقال ابن جني قراءة ابن مسعود حم سق مما يؤكد ان الغرض في هذه الفواتح انما هو لكونها فواصل بين السور ولو كان في اسماء الله سبحانه لما جاز تحريف شيء منها بل كانت مؤداة بأعيانها وقد كان ابن عباس قد قرأها بلا عين ايضا وكان يقول السين كل فرقة تكون والقاف كل جماعة تكون

﴿ المعنى ﴾

(حم) قد مضى تفسيره (عسق) قيل انما فضلت هذه السورة من بين سائر الحواميم بعسق لأن جميعها استفتح بذكر الكتاب على التصريح به إلا هذه فذكر عسق ليكون دلالة على الكتاب دلالة التضمين وان لم يدل عليه دلالة التصريح وهو معنى قول قتادة فإنه قال هو اسم من اسماء القرآن وقيل لأن هذه السورة انفردت بأن معانيها اوحيت إلى سائر الأنبياء فلذلك خصت بهذه التسمية وقال عطا هي حروف مقطعة من حوادث آتية فالحاء من حرب والميم من تحويل ملك والعين من عدو مقهور والسين من الاستئصال بسنين كسني يوسف والقاف من قدرة الله في ملوك الأرض وسائر الأقوال في ذلك مذكورة في أول البقرة (كذلك يوحي اليك وإلى الذين من قبلك) أي كالوحي الذي تقدم يوحي اليك اخبار الغيب وما يكون قبل ان يكون وإلى الذين من قبلك من الأنبياء عن عطا عن ابن عباس قال وما من نبي انزل الله عليه الكتاب إلا أنزل عليه معاني هذه السورة بلغاتهم وقيل معناه كهذا الوحي الذي يأتي في هذه السورة يوحي اليك لأن ما لم يكن حاضرا تراه صلح فيه هذا القرب وقته وذلك لبعده في نفسه ومعنى التشبيه في كذلك ان بعضه كبعض في انه حكمة وصواب بما تضمنه من الحجج والمواعظ والفوائد (الله) الذي تحق له العبادة (العزيز) القادر الذي لا يغالب (الحكيم) المحكم لأفعاله (له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي) المستعلي على كل قادر (العظيم) شأنه (تكاد السموات يتفطرن من فوقهن) اي تكاد كل واحدة من السماوات تنشق من فوق التي تليها من قول المشركين اتخذ الله ولدا استعظاما

اذاك عن ابن عباس والحسن وقيل معناه تكاد السماوات يتشققن فرقا من عظمة الله وجلاله من فوقهن تقديره ممن فوقهن اي من عظمة من فوقهم عن الضحاك وقتاده والزجاج وقيل من فوقهن اي من فوق الأرضين وهذا على طريق التمثيل والمعنى لو كانت السماوات تنفطر لشيء لانفطرت لهذا (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) اي ينزهونه عما لا يجوز عليه في صفاته ويعظمونه عما لا يليق به في ذاته وافعاله وروي عن ابي عبد الله (ع) والملائكة ومن حول العرش يسبحون بحمد ربهم لا يفترون (ويستغفرون لمن في الأرض) من المؤمنين (ألا ان الله هو الغفور الرحيم) والمعنى ظاهر

قوله تعالى (٦) وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (٧) وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ (٨) وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَٱلظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٩) أَمِ ٱتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠) وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ خمس آيات

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن امهاله الكفار بعد تقديم الانذار فقال (والذين اتخذوا من دونه أولياء) اي آلهة عبدوها من دون الله يعني كفار مكة (الله حفيظ عليهم) اي حافظ عليهم اعمالهم لا يعزب شيء منها عنه ليجازيهم على ذلك كله (وما أنت) يا محمد (عليهم بوكيل) اي وما أنت بمسلط عليهم لتدخلهم في الايمان قهرا وقيل معناه إنك لم توكل بحفظ اعمالهم وإنما بعثت نذيرا لهم داعيا إلى الله مبينا سبيل الرشد اي فلا يضيقن صدرك بتكذيبهم اياك وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا) اي ومثل ما اوحينا إلى من تقدمك من الأنبياء بالكتب التي أنزلناها عليهم بلغة قومهم أوحينا اليك قرآنا بلغة العرب ليفقهوا ما فيه (لتنذر أم القرى ومن حولها) اي لتنذر أهل ام القرى وهي مكة ومن حولها من سائر الناس وقرى الأرض كلها (وتنذر يوم الجمع) اي وتنذرهم يوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله فيه الأولين والآخرين وأهل السماوات والارضين فيوم الجمع مفعول ثان لتنذر وليس بظرف (لا ريب فيه) اي لا شك في كونه ثم قسم سبحانه أهل يوم الجمع فقال (فريق في الجنة وفريق في السعير) اي فريق منهم في الجنة بطاعتهم وفريق منهم في النار بمعصيتهم (ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة) اي ولو شاء الله ان يحملهم على دين واحد وهو الاسلام بأن يلجئهم اليه لفعله ولكنه لم يفعله لأنه يؤدي إلى ابطال التكليف والتكليف إنما يثبت مع الاختيار عن الجبائي وقيل ان معناه ولو شاء الله لسوى بين الناس في المنزلة بأن يخلقهم في الجنة ولكنه اختار لهم أعلى الدرجتين وهو استحقاق الثواب (ولكن يدخل من يشاء في رحمته) وهم المؤمنون (والظالمون ما لهم من ولي) يواليهم (ولا نصير) يمنع عنهم عذاب الله (أم اتخذوا من دونه أولياء) اي بل اتخذ الكافرون من دون الله اولياء من الأصنام والأوثان يوالونهم (فالله هو الولي) معناه ان المستحق للولاية في الحقيقة هو الله تعالى دون غيره لأنه المالك للنفع والضر (وهو يحيي الموتى) اي يبعثهم

للجزاء (و هو على كل شيء قدير) من الإحياء والإماتة وغير ذلك (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) معناه ان الذي تختلفون فيه من أمور دينكم ودنياكم وتتنازعون فيه فحكمه إلى الله فإنه الفاصل بين المحق والمبطل فيه فيحكم للمحق بالثواب والمدح وللمبطل بالعقاب والذم وقيل معناه فبيان الصواب إلى الله بنصب الأدلة وقيل فحكمه إلى الله يوم القيامة فيجازي كل احد بما يستحقه (ذلكم الله) الذي يحكم بين المختلفين (ربي) اي هو ربي (عليه توكلت) في مهماتي (واليه أنيب) اي اليه ارجع في جميع أموري

قوله تعالى (١١) فَاطِرُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ (١٢) لَهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٣) شَرَعَ لَكُمْ مِنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَٱلَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ (١٤) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا ٱلْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ (١٥) فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ خمس آيات

اللغة

الذرأ اظهار الخلق بإيجاده يقال ذرأ الله الخلق يذرؤهم ومنه ملح ذرآني لظهور بياضه ويقال أنمى الله ذرأك وذروك اي ذريتك عن الأزهري وشرع الله الدين اي بين واظهر ومنه المشرعة والشريعة لأنها في مكان معلوم ظاهر من الانهار فالشريعة والشرعة الظاهر المستقيم من المذاهب التي شرعها الله

الإعراب

ان أقيموا الدين يجوز ان يكون موضعه رفعا ونصبا وجرا فالرفع على معنى هو أن أقيموا الدين والنصب على معنى شرع لكم أن أقيموا الدين والجر على البدل من الهاء في به وجائز ايضا ان يكون أن أقيموا الدين تفسيرا لما وصى به نوحا ولقوله والذي أوحينا اليك ولقوله وما وصينا به ابراهيم فيكون المعنى شرع لكم ولمن قبلكم إقامة الدين وترك الفرقة فيه

(المعنى)

ثم وصف سبحانه نفسه بما يوجب ان لا يعبد غيره فقال (فاطر السموات والأرض) اي خالقها ومبدعها ابتداء (جعل لكم من أنفسكم أزواجا) اي اشكالا مع كل ذكر أنثى يسكن اليها ويألفها (ومن الأنعام أزواجا) اي ذكورا وإناثا لتكمل منافعكم بها كما قال ثمانية أزواج من الضأن اثنين إلى آخره

(يذرؤكم فيه) اي يخلقكم في هذا الوجه الذي ذكر من جعل الازواج فالهاء في فيه يعود إلى الجعل المراد بقوله جعل لكم وقيل معناه يذرؤكم في التزاوج لتكثروا به لدلالة الكلام عليه وهو ذكر الازواج ومثله قول ذي الرمة

ومية أحسن الثقلين جيدا   وسالفة وأحسنه قذالا

اي واحسن من ذكر يعني الثقلين وقال الزجاج والفراء معناه يذرؤكم به اي يكثركم بأن جعل من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام ازواجا وأنشد الأزهري في ذلك

وارغب فيها عن لقيط وأهله   ولكنني عن سنبس لست ارغب

اي ارغب بها عن لقيط (ليس كمثله شيء) اي ليس مثله شيء والكاف زائدة مؤكدة لمعنى النفي قال اوس بن حجر

وقتلى كمثل جذوع النخيل   يغشاهم سبيل منهمر

وقال آخر

سعد بن زيد إذا ابصرت فضلهم   ما إن كمثلهم في الناس من أحد

وقيل معناه إنه لو قدر الله تعالى مثل لم يكن لذلك المثل مثل لما تقرر في القول ان الله تعالى متفرد بصفات لا يشاركه فيها غيره فلو كان له مثل لتفرد بصفات لا يشاركه فيها غيره فكان هو الله وقد دل الدليل على أنه ليس مع الله إله آخر وقيل فيه حذف مضاف ومثل بمعنى الصفة تقديره ليس كصاحب صفته شيء وصاحب صفته هو اي ليس كهو شيء والوجه هو الأول (وهو السميع البصير) لما نفى ان يكون له نظير وشبيه على وجه من الوجوه بين انه مع ذلك سميع بصير فإنما المدحة في انه لا مثل له مع كونه سميعا بصيراً لجميع المسموعات والمبصرات (له مقاليد السموات والأرض) اي مفاتيح أرزاق السماوات والأرض واسبابها فتمطر السماء بأمره وتنبت الارض بإذنه عن مجاهد وقيل معناه خزائن السماوات والأرض عن السدي (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) اي يوسع الرزق لمن يشاء ويضيق على من يشاء على ما يعلمه من المصالح للعباد (انه بكل شيء عليم) فيفعل ذلك بحسب المصالح ثم خاطب سبحانه خلقه فقال (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) اي بين لكم ونهج واوضح من الدين والتوحيد والبراءة من الشرك ما وصى به نوحا (والذي أوحينا اليك) اي وهو الذي أوحينا اليك يا محمد وهو (ما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) ثم بين ذلك بقوله (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وإقامة الدين التمسك به والعمل بموجبه والدوام عليه والدعاء اليه ولا تتفرقوا اي ولا تختلفوا فيه وائتلفوا فيه واتفقوا وكونوا عباد الله اخوانا (كبر على المشركين ما تدعوهم اليه) من توحيد الله والإخلاص له ورفض الأوثان وترك دين الآباء لأنهم قالوا اجعل الآلهة إلها واحدا ومعناه ثقل عليهم وعظم اختيارنا لك بما تدعوهم اليه وتخصيصك بالوحي والنبوة دونهم (الله يجتبي اليه من يشاء) اي ليس اليهم الاختيار لأن الله يصطفي لرسالته من يشاء على حسب ما يعلم من قيامه بأعباء الرسالة وتحمله لها فاجتباك الله لها كما اجتبى من قبلك من الانبياء وقيل معناه الله يصطفي من عباده لدينه من يشاء (ويهدي اليه من ينيب) اي ويرشد إلى دينه من يقبل إلى طاعته وهذا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وقيل يهدي إلى جنته وثوابه من يرجع اليه بالنية والإخلاص ثم قال (وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم) معناه وإن هؤلاء الكفار لم يختلفوا عليك إلا بعد أن أتاهم طريق العلم بصحة نبوتك

فعدلوا عن النظر فيه (بغيا بينهم) أي فعلوا ذلك للظلم والحسد والعداوة والحرص على طلب الدنيا وقيل معناه وما تفرقوا عنه اي عن محمد ﷺ الا بعد أن علموا انه حق ولكنهم تفرقوا عنه حسدا له وخوفا أن تذهب رئاستهم (ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضي بينهم) معناه ولولا وعد الله تعالى واخباره بتبقيتهم الى وقت معلوم وتأخر العذاب عنهم في الحال لفصل بينهم الحكم وأنزل عليهم العذاب الذي استحقوه عاجلا وقيل معناه ولولا وعد الله بتأخير عذابهم الى يوم القيامة وهو الأجل المسمى لقضي بينهم باهلاك المبطل وإثابة المحق (وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب) معناه وان اليهود والنصارى الذين اورثوا الكتاب من بعد قوم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومن بعد احبارهم لفي شك من القرآن او من محمد ﷺ موقع الى الريبة عن السدي بين بذلك أن أحبارهم انكروا الحق عن معرفته وان عوامهم كانوا شاكين فيه يدل عليه قوله الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه وقيل معناه وان الذين اورثوا الكتاب أي القرآن وهم العرب من بعدهم أي من بعد اليهود والنصارى لفي شك منه بليغ ولو استقصوا في النظر ادى بهم الى اليقين والرشد (فلذلك فادع) اي فإلى ذلك فادع عن الفراء والزجاج يقال دعوت لفلان والى فلان وذلك اشارة الى ما وصى به الأنبياء من التوحيد ومعناه فإلى الدين الذي شرعه الله تعالى ووصى به أنبياءه فادع الخلق يا محمد وقيل إن اللام للتعليل اي فلأجل الشك الذي هم عليه فادعهم الى الحق حتى تزيل شكهم (واستقم كما أمرت) أي فاثبت على امر الله وتمسك به واعمل بموجبه وقيل واستقم على تبليغ الرسالة (ولا تتبع اهواءهم) يعني اهواء المشركين في ترك التبليغ (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) اي آمنت بكتب الله التي أنزلها على الأنبياء قبلي كلها (وامرت لأعدل بينكم) اي كي اعدل بينكم اي اسوي بينكم في الدين والدعاء الى الحق ولا احابي احدا وقيل معناه امرت بالعدل بينكم في جميع الاشياء وفي الحديث ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فالمنجيات العدل في الرضاء والغضب والقصد في الغنى والفقر وخشية الله في السر والعلانية والمهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه (الله ربنا وربكم)اي وقل لهم ايضا الله مدبرنا ومدبركم ومصرفنا ومصرفكم والمنعم علينا وعليكم وإنما قال ذلك لأن المشركين قد اعترفوا بأن الله هو الخالق (لنا اعمالنا ولكم اعمالكم) أي لا يضرنا اصراركم على الكفر فإن جزاء اعمالنا لنا وجزاء اعمالكم لكم لا يؤاخذ احدا بذنب غيره (لا حجة بيننا وبينكم) اي لا خصومة بيننا وبينكم عن مجاهد وابن زيد والمعنى ان الحق قد ظهر فسقط الجدال والخصومة وكني بالحجة عن الخصومة لاحتجاج أحد الخصمين على الآخر وهذا قبل أن يؤمر بالقتال واذا لم يؤمر بالقتال وامر بالدعوة لم تكن بينه وبين من لا يجيب خصومة وقيل معناه لا حجة بيننا وبينكم لظهور امركم في البغي علينا والعداوة لنا والمعاندة لا على طريق الشبهة وليس ذلك تحريما لإقامة الحجة لأنه لا يلزم قبول الدعوة الا بالحجة التي يظهر بها المحق من المبطل فإذا صار الإنسان الى البغي والعداوة سقط الحجاج بينه وبين أهل الحق (الله يجمع بيننا) يوم القيامة لفصل القضاء (واليه المصير) يحكم بيننا بالحق وفي هذا غاية التهديد

قوله تعالى (١٦) وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (١٧) اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ

لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ (١٨) يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ أَلَا إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (١٩) ٱللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْعَزِيزُ (٢٠) مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (خمس آيات)

❋ المعنى ❋

لما تقدم ظهور الحجة وانقطاع المحاجة عقبه بذكر من يحاج بالباطل فقال سبحانه (والذين يحاجون في الله) اي يخاصمون النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين في دين الله وتوحيده وهم اليهود والنصارى قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم واولى بالحق عن مجاهد وقتادة وإنما قصدوا بما قالوا ليدفعوا ما أتى به محمد صلى الله عليه وآله وسلم (من بعد ما استجيب له) اي من بعد ما دخل الناس في الإسلام واجابوه الى ما دعاهم اليه (حجتهم داحضة عند ربهم) اي خصومتهم باطلة حيث زعموا أن دينهم افضل من الإسلام ولأن ما ذكروه لا يمنع من صحة نبوة نبينا بأن ينسخ الله كتابهم وشريعة نبيهم وقيل معناه والذين يجادلون في الله بنصرة مذهبهم من بعد ما استجيب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم دعاؤه في كفار بدر حتى قتلهم الله بايدي المؤمنين واستجيب دعاؤه على أهل مكة وعلى مضر حتى قحطوا ودعاؤه المستضعفين حتى خلصهم الله من ايدي قريش وغير ذلك مما يطول تعداده عن الجبائي وقيل من بعد ما استجيب لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم دعاؤه في اظهار المعجزات واقامتها وقيل من بعد ما استجيب له بأن أقروا به قبل مبعثه فلما بعث جحدوه كما قال وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا وانما سمى سبحانه شبهتهم حجة على اعتقادهم ولشبهها بالحجة اجرى عليها اسمها من غير اطلاق الصفة بها (وعليهم غضب) اي غضب الله عليهم لأجل كفرهم (ولهم عذاب شديد) دائم يوم القيامة (الله الذي انزل الكتاب) اي القرآن (بالحق) اي بالصدق فيما اخبر به من ماض ومستقبل وقيل بالحق اي بالأمر والنهي والفرائض والاحكام وكله حق من الله (والميزان) اي وانزل الله العدل والميزان عبارة عن العدل كنى به عنه عن ابن عباس وقتادة ومجاهد ومقاتل وإنما سمي العدل ميزانا لأن الميزان آلة الانصاف والتسوية بين الخلق وقيل اراد به الميزان المعروف وأنزله الله من السماء وعرفهم كيف يعملون به بالحق وكيف يزنون به عن الجبائي وقيل الميزان محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقضي بينهم بالكتاب عن علقمة ويكون على التوسع والتشبيه ولما ذكر العدل اتبعه بذكر الساعة فقال (وما يدريك لعل الساعة قريب) اي وما يدريك يا محمد ولا غيرك لعل مجيء الساعة قريب وإنما اخفى الله الساعة ووقت مجيئها على العباد ليكونوا على خوف وليبادروا الى التوبة ولو عرفهم مجيئها لكانوا مغرين بالقبائح قبل ذلك تعويلا على التلافي بالتوبة (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) لجهلهم باحوالها واهوالها فلا يخافون ما فيها إذ لم يؤمنوا بها فهم يطلبون قيامها استبعادا لكونها (والذين آمنوا مشفقون منها) اي خائفون من مجيئها وهم غير متأهبين لها (ويعلمون انها الحق) اي أن مجيئها الحق الذي لا خلف فيه (الا إن الذين يمارون) اي تدخلهم المرية والشك (في الساعة) فيخاصمون في مجيئها على وجه الانكار لها (لفي ضلال) عن الصواب (بعيد) حين لم يذكروا فيعلموا أن الذي خلقهم أولا قادر على بعثهم ثم قال (الله لطيف بعباده) اي حفي بارٌّ بهم رفيق عن ابن عباس وعكرمة والسدي

وقيل اللطيف العالم بخفيات الامور والغيوب والمراد به هنا الموصل المنافع الى العباد من وجه يدق ادراكه وذلك في الأرزاق التي قسمها الله لعباده وصرف الآفات عنهم وايصال السرور والملاذ اليهم وتمكينهم بالقدر والآلات الى غير ذلك من الطافه التي لا يوقف على كنهها لغموضها ثم قال سبحانه (يرزق من يشاء) اي يوسع الرزق على من يشاء يقال فلان مرزوق اذا وصف بسعة الرزق وقيل معناه يرزق من يشاء في خفض ودعة ومن يشاء في كد ومشقة ومتعبة وكل من رزقه الله من ذي روح فهو ممن شاء الله أن يرزقه (وهو القوي) القادر الذي لا يعجز (العزيز) الغالب الذي لا يغالب (من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه) معنى الحرث في اللغة الكسب وفلان يحرث لعياله ويحترث اي يكتسب اي من كان يريد بعمله نفع الآخرة ويعمل لها نجازه بعمله ونضاعف له ثواب عمله فنعطيه على الواحد عشرة ونزيد على ذلك مانشاء (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب) اي ومن كان يريد بعمله نفع الدنيا نعطه نصيبا من الدنيا لا جميع ما يريده بل على حسب ما تقتضيه الحكمة كما قال سبحانه عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد وما له في الآخرة من نصيب وقيل معناه من قصد بالجهاد وجه الله فله سهم الغانمين والثواب في الآخرة ومن قصد به الغنيمة لم يحرم ذلك وحصل له سهمه من الغنيمة ولكن لا نصيب له من الثواب في الآخرة وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من كانت نيته الدنيا فرق الله عليه امره وجعل الفقر بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن كانت نيته الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقيل من كان يعمل للآخرة نال الدنيا والآخرة ومن عمل للدنيا فلاحظ له في ثواب الآخرة لأن الأعلى لا يجعل تبعا للأدون عن الحسن

قوله تعالى (٢١) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢) تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٢٣) ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٤) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٥) وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (خمس آيات)

القراءة

قرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وخلف يبشر الله بفتح الياء وسكون الباء وضم الشين والباقون يبشر الله بضم الياء وفتح الباء وكسر الشين مشددة وقرأ أهل الكوفة غير ابي بكر ويعلم ما تفعلون بالتاء على الخطاب والباقون بالياء

-(الاعراب)-

ذلك الذي يبشر الله عباده تقديره الذي يبشر الله به عباده فحذف الباء ثم حذف الهاء ويجوز أن يكون الذي حكمه حكم ما التي تكون مصدرية أي ذلك تبشير الله عباده ويمح الله الباطل ليس بمعطوف على يختم لأن محو الباطل واجب فلا يكون معلقا بالشرط ؛

❋ المعنى ❋

لما اخبر الله سبحانه أن من يطلب الدنيا باعماله فلاحظ له في الآخرة قال (ام لهم شركاء) اي بل لهؤلاء الكفار شركاء فيما كانوا يفعلونه (شرعوا لهم) اي بينوا لهم ونهجوا لهم (من الدين ما لم يأذن به الله) اي مالم يأمر به الله ولا أذن فيه اي شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام عن ابن عباس (ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم) اي لولا ان الله حكم في كلمة الفصل بين الخلق بتأخير العذاب لهذه الأمة الى الآخرة لفرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا (وان الظالمين) الذين يكذبونك (لهم عذاب اليم) في الآخرة (ترى الظالمين مشفقين) اي خائفين (مما كسبوا) اي من جزاء ما كسبوا من المعاصي وهو العقاب الذي استحقوه (وهو واقع بهم) لا محالة لا ينفعهم منه خوفهم من وقوعه والاشفاق الخوف من جهة الرقة على المخوف عليه من وقوع الأمر (والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات) فالروضة الارض الخضرة بحسن النبات والجنة الارض التي يحفها الشجر (لهم فيها ما يشاؤن عند ربهم) اي لهم ما يتمنون ويشتهون يوم القيامة الذي لا يملك فيه الأمر والنهي غير ربهم ولا يريد بعند قرب المسافة لأن ذلك من صفات الاجسام وقيل عند ربهم اي في حكم ربهم (ذلك هو الفضل الكبير) اي ذلك الثواب هو الفضل العظيم من الله إذ نالوا نعيما لا ينقطع بعمل قليل منقطع ثم قال (ذلك) الفضل الكبير (الذي يبشر الله به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ليستعجلوا بذلك السرور في الدنيا من شدد الشين اراد به التكثير ومن خفف فلأنه يدل على القليل والكثير ثم قال سبحانه (قل) لهم يا محمد (لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) اختلف في معناه على اقوال ❋ احدها ❋ لا أسألكم على تبليغ الرسالة وتعليم الشريعة أجراً الا التوادد والتحاب فيما يقرب الى الله تعالى من العمل الصالح عن الحسن والجبائي وابي مسلم قالوا هو التقرب الى الله تعالى والتودد اليه بالطاعة ❋ وثانيها ❋ أن معناه إلا أن تودوني في قرابتي منكم وتحفظوني لها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وجماعة قالوا وكل قريش كانت بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرابة وهذا لقريش خاصة والمعنى ان لم تودوني لأجل النبوة فودوني لأجل القرابة التي بيني وبينكم ❋ وثالثها ❋ أن معناه الا ان تودوا قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم عن علي بن الحسين (ع) وسعيد بن جبير وعمرو بن شعيب وجماعة وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) واخبرنا السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قال اخبرنا الحاكم ابو القاسم الحسكاني قال حدثني القاضي ابو بكر الحميري قال اخبرنا ابو العباس الضبعي قال اخبرنا الحسن بن علي بن زياد السري قال اخبرنا يحيى بن عبد الحميد الحماني قال حدثنا حسين الأشقر قال اخبرنا قيس عن الاعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت قل لا أسألكم عليه أجرا الآية قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين امرنا الله بمودتهم قال علي وفاطمة وولدها واخبرنا السيد ابو الحمد قال اخبرنا الحاكم ابو القاسم بالاسناد المذكور في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل مرفوعا الى ابي امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان

الله تعالى خلق الأنبياء من اشجار شتى وخلقت انا وعلي من شجرة واحدة فأنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها واشياعنا اوراقها فمن تعلق بغصن من اغصانها نجا ومن زاغ عنها هوى ولو ان عبداً عبد الله بين الصفا والمروة الف عام ثم الف عام ثم الف عام حتى يصير كالشن البالي ثم لم يدرك محبتنا كبه الله على منخريه في النار ثم تلا قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى وروى زاذان عن علي (ع) قال فينا في آل حم آية لا يحفظ مودتنا الا كل مؤمن ثم قرأ هذه الآية والى هذا اشار الكميت في قوله

وجدنا لكم في آل حم آية ... تأولها منا تقي ومعرب

وعلى الأقوال الثلاثة فقد قيل في الا المودة قولان * احدهما * انه استثناء منقطع لأن هذا مما يجب بالإسلام فلا يكون اجرا للنبوة * والآخر * انه استثناء متصل والمعنى لا أسألكم عليه اجرا الا هذا فقد رضيت به أجرا كما انك تسأل غيرك حاجة فيعرض المسؤول عليك برا فتقول له اجعل بري قضاء حاجتي وعلى هذا يجوز أن يكون المعنى لا أسألكم عليه اجرا الا هذا ونفعه ايضا عائد عليكم فكأني لم أسألكم اجرا كما مر بيانه في قوله قل ما سألتكم من أجر فهو لكم وذكر ابو حمزة الثمالي في تفسيره حدثني عثمان بن عمير عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قدم المدينة واستحكم الإسلام قالت الأنصار فيما بينها نأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنقول له ان تعروك امور فهذه اموالنا تحكم فيها غير حرج ولا محظور عليك فأتوه في ذلك فنزلت قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى فقرأها عليهم وقال تودون قرابتي من بعدي فخرجوا من عنده مسلمين لقوله فقال المنافقون ان هذا لشيء افتراه في مجلسه اراد بذلك أن يذللنا لقرابته من بعده فنزلت ام يقولون افترى على الله كذبا فارسل اليهم فتلاها عليهم فبكوا واشتد عليهم فأنزل الله وهو الذي يقبل التوبة عن عباده الآية فارسل في أثرهم فبشرهم وقال ويستجيب الذين آمنوا وهم الذين سلموا لقوله ثم قال سبحانه (ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا) أي من فعل طاعة نزد له في تلك الطاعة حسنا بأن يوجب له الثواب وذكر ابو حمزة الثمالي عن السدي قال ان اقتراف الحسنه المودة لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصح عن الحسن بن علي (ع) انه خطب الناس فقال في خطبته انا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا فاقتراف الحسنة مودتنا اهل البيت وروى اسماعيل بن عبد الخالق عن ابي عبدالله (ع) انه قال انها نزلت فينا أهل البيت اصحاب الكساء (ان الله غفور شكور) اي غفور للسيئات شكور للطاعات يعامل عباده معاملة الشاكر في توفية الحق حتى كأنه ممن وصل اليه النفع فشكره (ام يقولون افترى على الله كذبا) اي بل يقولون افترى محمد على الله كذبا في ادعائه الرسالة عن الله (فإن يشأ الله يختم على قلبك) اي لو حدثت نفسك بأن تفتري على الله كذبا لطبع الله على قلبك ولأنساك القرآن فكيف تقدر أن تفتري على الله وهذا كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وقيل معناه فإن يشأ الله يربط على قلبك بالصبر على اذاهم حتى لا يشق عليك قولهم انه مفتر وساحر عن مجاهد ومقاتل فعلى هذا لا يحتاج الى اضمار وحذف ثم اخبر سبحانه انه يذهب ما يقولونه باطلا فقال (ويمح الله الباطل) اي يزيله ويرفعه بإقامة الدلائل على بطلانه وحذف الواو من يمحو في المصاحف كما حذف من قوله سندع الزبانية على اللفظ في ذهابها لالتقاء الساكنين وليس بعطف على قوله يختم لأنه مرفوع يدل عليه قوله (ويحق الحق بكلماته) اي ويثبت الحق باقواله التي ينزلها على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وهو هذا القرآن المعجز (انه عليم بذات الصدور) اي بضمائر القلوب (وهو الذي يقبل التوبة

عن عباده) وان جلت معاصيهم فكأنه قال من نسب محمداً صلى الله عليه وآله وسلم الى الافتراء ثم تاب قبلت توبته وإن جلت معصيته (ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون) من خير وشر فيجازيهم على ذلك

قوله تعالى(٢٦) وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَٱلْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (٢٧) وَلَوْ بَسَطَ ٱللهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي ٱلْأَرْضِ وَلٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ (٢٨) وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ (٢٩) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٣٠) وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ

(خمس آيات)

القراءة

قرأ أهل المدينة وابن عامر وما اصابكم من مصيبة بما كسبت ايديكم بغير فاء والباقون بالفاء

الحجة

قال ابو علي القول في ذلك ان اصاب في قوله وما اصابكم يحتمل امرين يجوز أن يكون صلة ما ويجوز أن يكون شرطاً في موضع جزم فمن قدره شرطاً لم يجز حذف الفاء منه على قول سيبويه وقد تأول ابو الحسن بعض الآي على حذف الفاء في جواب الشرط وقال بعض البغداديين حذف الفاء من الجواب جائز واستدل على ذلك بقوله وان اطعتموهم انكم لمشركون واذا كان صلة فالاثبات والحذف جائزان على معنيين مختلفين اما اذا ثبت الفاء ففيه دليل على ان الأمر الثاني وجب بالأول واذا لم يذكر الفاء جاز ان يكون الثاني وجب بالأول وجاز ان يكون لغيره

المعنى

لما تقدم وعيد أهل العصيان عقبه سبحانه بالوعد لأهل الطاعة فقال(ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اي يجيبهم الى ما يسألونه وقيل معناه يجيبهم في دعاء بعضهم لبعض عن معاذ بن جبل وقيل معناه يقبل طاعاتهم وعباداتهم ويزيدهم من فضله على ما يستحقونه من الثواب وقيل معناه ويستجيب الذين آمنوا بأن يشفعهم في اخوانهم (ويزيدهم من فضله) ويشفعهم في اخوان اخوانهم عن ابن عباس وروي عن ابي عبد الله(ع) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن احسن اليهم في الدنيا (والكافرون لهم عذاب شديد) ظاهر المعنى ولما بين سبحانه انه يزيد المؤمنين من فضله اخبر عقيبه ان الزيادة في الارزاق في الدنيا تكون على حسب المصالح فقال (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) اي لو وسع الرزق على عباده على حسب ما يطلبونه لبطروا النعمة وتنافسوا وتغالبوا وظلموا في الارض وتغلب بعضهم على بعض وخرجوا عن الطاعة قال ابن عباس بغيهم في الارض طلبهم منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة وملبسا بعد ملبس (ولكن ينزل بقدر ما يشاء) اي ولكنه ينزل من الرزق قدر صلاحهم ما يشاء نظرا منه لهم عن قتادة والمعنى انه يوسع الرزق على من تكون مصلحته فيه ويضيق على من يكون مصلحته فيه ويؤيده الحديث الذي رواه أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرائيل (ع) عن الله ان من عبادي من لا يصلحه الا السقم ولو صححته لافسده وان من عبادي من لا يصلحه الا الصحة ولو أسقمته لأفسده وان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لافسده وان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لافسده وذلك اني ادبر عبادي لعلمي بقلوبهم والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة ومتى قيل نحن نرى كثيرا ممن يوسع عليه الرزق يبغي في الارض قلنا انا اذا علمنا على الجملة انه سبحانه يدبر امور

عباده بحسب ما يعلم من مصالحهم فلعل هؤلاء كان يستوي حالهم في البغي وسع عليهم اولم يوسع او لعلهم لو لم يوسع عليهم لكانوا أسوء حالا في البغي فلذلك وسع عليهم والله اعلم بتفاصيل احوالهم (انه بعباده خبير بصير) اي عليم باحوالهم بصير بما يصلحهم وما يفسدهم ثم بين سبحانه حسن نظره بعباده فقال (وهو الذي ينزل الغيث من بعد ماقنطوا) اي ينزله عليهم من بعد مايئسوا من نزوله والغيث ما كان نافعا في وقته والمطر قد يكون نافعا وقد يكون ضارا في وقته وغير وقته ووجه انزاله بعد القنوط انه ادعى الى شكر الآتي به وتعظيمه والمعرفة بموقع احسانه (وينشر رحمته) اي ويفرق نعمته ويبسطها باخراج النبات والثمار التي يكون سببها المطر (وهو الولي) الذي يتولى تدبير عباده وتقدير امورهم ومصالحهم المالك لهم (الحميد) المحمود على جميع افعاله لكون جميعها احسانا ومنافع (ومن آياته) الدالة على وحدانيته وصفاته التي باين بها خلقه (خلق السموات والارض) لأنه لا يقدر على ذلك غيره لما فيهما من العجائب والاجناس التي لايقدر عليها القادر بقدرته (وما بث فيهما من دابة) والدابة ما تدب فيدخل فيه جميع الحيوانات (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) اي وهو على حشرهم الى الموقف بعد اماتتهم قادر لا يتعذر عليه ذلك ثم قال سبحانه (وما اصابكم) معاشر الخلق (من مصيبة) من بلوى في نفس او مال (فبما كسبت ايديكم) من المعاصي (ويعفو عن كثير) منها فلا يعاقب بها قال الحسن الآية خاصة بالحدود التي تستحق على وجه العقوبة وقال قتادة هي عامة وروي عن علي (ع) انه قال قال رسول الله ﷺ خير آية في كتاب الله هذه الآية ياعلي مامن خدش عود ولا نكبة قدم الا بذنب وما عفا الله عنه في الدنيا فهو اكرم من ان يعود فيه وما عاقب عليه في الدنيا فهو اعدل من أن يثني على عبده وقال أهل التحقيق ان ذلك خاص وان خرج مخرج العموم لما يلحق من مصائب الاطفال والمجانين ومن لا ذنب له من المؤمنين ولأن الأنبياء والأئمة يمتحنون بالمصائب وان كانوا معصومين من الذنوب لما يحصل لهم على الصبر عليها من الثواب

النظم

والوجه في اتصال هذه الآية بما قبلها ان الله تعالى لما بين عظيم انعامه على العباد بين بعده ان لا يعاقبهم إلا على معاصيهم

قوله تعالى (٣١) وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣٢) وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٣) إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٤) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ (٣٥) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ
(خمس آيات)

القراءة

قرأ اهل الكوفة وابن عامر الجوار بحذف الياء في الوصل والوقف وقرأ الباقون الجواري باثبات الياء في الوصل وابن كثير ويعقوب في الوقف ايضا وقرأ أهل المدينة وابن عامر يعلم الذين يجادلون بالرفع والباقون ويعلم بالنصب

الحجة

قال ابو علي القياس الجواري ومن حذف فلأن حذف هذه الياءات وان كانت لاما قد كثر في كلامهم فصار كالقياس المستمر ومن قرأ يعلم بالرفع استأنف لأنه موضع استئناف من حيث جاء من بعد الجزاء وان شئت جعلته خبر مبتدأ محذوف ومن نصب فلأن قبله شرط وجزاء وكل واحد منهما غير واجب تقول في الشرط

إن تأتني وتعطيني اكرمك فتنصب وتعطيني وتقديره ان يكن إتيان منك واعطاء اكرمك فالنصب بعد الشرط إذا عطفت عليه بالفاء امثل من النصب بالفاء بعد جزاء الشرط فأما قوله

ومن لا يقدم رجله مطمئنة فيثبتها في مستوى الارض يزلق

فالنصب فيه حسن لمكان النفي فاما العطف على الشرط نحو إن تأتني وتكرمني فاكرمك فالذي يختار سيبويه للنصب في العطف على جزاء الشرط فيختار ويعلم الذين يجادلون اذا لم يقطعه من الاول فيرفعه ويزعم أن المعطوف على جزاء الشرط شبيه بقوله « وألحق بالحجاز فأستريحا » قال الا ان من ينصب في العطف على جزاء الشرط امثل من ذلك لأنه ليس بوقع فعلا الا بأن يكون من غيره فعل فصار بمنزلة غير الواجب وزعم سيبويه أن بعضهم قرأ يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء بالنصب وانشد للاعشى في نصب ما عطف بالفاء على الجزاء

ومن يغترب عن أهله لم يزل يرى مصارع مظلوم مجرا ومسحبا
وتدفن منه الصالحات وان يسئ يكن ما اساء النار في رأس كبكبا

فهذا حجة لمن قرأ ويعلم

اللغة

الأعلام الجبال واحدها علم قالت الخنساء

وإن صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فيظللن اي يدمن ويقمن يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهاراً والرواكد الثوابت والإيباق الإهلاك والإتلاف ووبق الرجل يبق ووبق يوبق اذا هلك والمحيص المعدل والملجأ

المعنى

ثم قال سبحانه (وما انتم) يا معشر المشركين (بمعجزين في الأرض) اي لا تعجزونني حيث ما كنتم فلا تسبقونني هربا في الارض وفي هذا استدعاء الى العبادة وترغيب فيما أمر به وترهيب عما نهى عنه (وما لكم من دون الله من ولي) يدفع عنكم عقابه (ولا نصير) ينصركم عليه (ومن آياته) اي ومن حججه الدالة على اختصاصه بصفات لا يشركه فيها غيره (الجوار) اي السفن الجارية (في البحر كالأعلام) اي كالجبال الطوال (ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره) اي ان يشأ الله يسكن الريح فتبقى السفن راكدة واقفة على ظهر الماء لا يبرحن عن المكان لأن ماء البحر يكون راكدا فلو لم تجئ الريح اوقفت السفينة في البحر ولم تجر فالله سبحانه جعل الريح سببا لجريها فيه وجعل هبوبها في الجهة التي تسير اليها السفينة (ان في ذلك) الذي ذكر (لآيات) اي حججا واضحات (لكل صبار) على امر الله (شكور) على نعمته وقيل صبار على ركوبها شكور على جريها والنجاة من البحر (او يوبقهن بما كسبوا) معناه ان يشأ اسكان الريح يسكن الريح أو ان يشأ يجعل الريح عاصفة فيهلك السفن اي اهلها بالغرق في الماء عقوبة لهم بما كسبوا من المعاصي (ويعف عن كثير) من أهلها فلا يغرقهم ولا يعاجلهم بعقوبة معاصيهم (ويعلم الذين يجادلون في آياتنا) اي في ابطال آياتنا ودفعها (ما لهم من محيص) اي ملجأ يلجأون اليه عن السدي.

قوله تعالى (٣٦) فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣٩) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٤٠) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَى وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ خمس آيات

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم هنا وفي سورة والنجم كبير الاثم على التوحيد والباقون كبائر الإثم على الجمع

(الحجة)

حجة الجمع قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ومن قال كبير فافرد جاز أن يريد به الجمع كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وفي الحديث منعت العراق درهمها وقفيزها

الإعراب

واذا ما غضبوا هم يغفرون يجوز ان يكون هم تأكيدا للضمير في غضبوا ويغفرون جواب اذا ويجوز أن يكون هم ابتداء ويغفرون خبره وكذا هم ينتصرون وان شئت كان هم وصفا للمنصوب قبله وان شئت كان مبتدأ وقياس قول سيبويه أن يرتفع هم بفعل مضمر دل عليه هم ينتصرون

المعنى

ثم خاطب سبحانه من تقدم وصفهم فقال (فما أوتيتم من شيء) اي الذي اعطيتموه من شيء من الأموال (فمتاع الحيوة الدنيا) اي فهو متاع الحياة الدنيا تتمتعون به اياما ثم تموتون فيبقى عنكم او يهلك المال قبل موتكم (وما عند الله) من الثواب والنعيم وما اعده للجزاء على الطاعة (خير وابقى) من هذه المنافع القليلة (للذين آمنوا) اي صدقوا بتوحيد الله وبما يجب التصديق به (وعلى ربهم يتوكلون) والتوكل على الله تفويض الامور اليه باعتقاد انها جارية من قبله على احسن التدبير مع الفزع اليه بالدعاء من كل ما ينوب (والذين يجتنبون كبائر الإثم) يجوز أن يكون موضع الذين جرا عطفا على قوله للذين آمنوا فيكون المعنى وما عند الله خير وابقى للمؤمنين المتوكلين على ربهم المجتنبين كبائر الإثم (والفواحش) ويجوز أن يكون في موضع رفع بالابتداء ويكون الخبر محذوفا فيكون المعنى والذين يجتنبون الكبائر والفواحش (واذا ماغضبوا) مما يفعل بهم من الظلم (هم يغفرون) ويتجاوزون عنه لهم مثل ذلك والفواحش جمع فاحشة وهي اقبح القبيح والمغفرة في الاية المراد بها ما يتعلق بالإساءة الى نفوسهم فمتى عفوا عنها كانوا ممدوحين فأما مايتعلق بحقوق الله وواجبات حدوده فليس للإمام تركها ولا العفو عنها ولا يجوز له العفو عن المرتد وعمن جرى مجراه ثم زاد سبحانه في صفاتهم فقال (والذين استجابوا لربهم) أي اجابوه فيما دعاهم اليه من امور الدين (واقاموا الصلوة) اي اداموها في اوقاتها بشرائطها (وأمرهم شورى بينهم) يقال صار هذا الشيء شورى بين القوم اذا تشاوروا فيه وهو فعلى من المشاورة وهي المفاوضة في الكلام ليظهر الحق اي لا يتفردون بأمر حتى يشاوروا غيرهم فيه وقيل ان المعنى بالآية الانصار كانوا اذا ارادوا امرا قبل الإسلام وقبل قدوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم اجتمعوا وتشاوروا ثم عملوا عليه فأثنى الله عليهم بذلك وقيل هو تشاورهم حين سمعوا بظهور النبي صلى الله عليه وآله وسلم وورود النقباء عليه حتى اجتمعوا في دار ابي ايوب على الايمان به والنصرة له عن الضحاك وفي هذا دلالة على فضل المشاورة في الامور وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ما من رجل يشاور احدا الا هدي الى الرشد (ومما رزقناهم ينفقون) في طاعة الله تعالى وسبيل الخير (والذين اذا اصابهم البغي) من غيرهم (هم ينتصرون) ممن بغى عليهم من غير ان يعتدوا عن السدي وقيل ينتصرون اي يتناصرون ينصر بعضهم بعضا نحو يختصمون ويتخاصمون عن ابي مسلم وقيل يعني به المؤمنين الذين اخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم مكنهم الله في الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم عن عطاء وقيل

جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عمن ظلمهم وهم الذين ذكروا قبل هذه الآية وهو قوله واذا ماغضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون ممن ظلمهم وهم الذين ذكروا في هذه الآية فمن انتصر وأخذ بحقه ولم يجاوز في ذلك ماحد الله فهو مطيع لله ومن اطاع الله فهو محمود عن ابن زيد ثم ذكر سبحانه حد الانتصار فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) قيل هو جواب القبيح اذا قال اخزاك الله تقول اخزاك الله من غير أن تعتدي عن ابن نجيح والسدي ومجاهد وقيل يعني القصاص في الجراحات والدماء عن مقاتل وسمى الثانية سيئة لأنها في مقابلة الأولى كما قال فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ثم ذكر سبحانه العفو فقال (فمن عفى واصلح فأجره على الله) اي فمن عفا عما له المؤاخذة به واصلح امره فيما بينه وبين ربه فثوابه على الله (انه لا يحب الظالمين) ثم بين سبحانه انه لم يرغب المظلوم في العفو عن الظالم لميله الى الظالم او لحبه إياه ولكن ليعرضه بذلك لجزيل الثواب ولحبه الاحسان والفضل وقيل انه لايحب الظالم في قصاص وغيرة بتعديه عما هو له الى ما ليس له وقيل ان الآية الاولى عامة في وجوب التناصر بين المسلمين وهذه الآية في خاصة الرجل يجازي من ظلمه بمثل ما فعله او يعفو وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال اذا كان يوم القيامة نادى منادمن كان اجره على الله فليدخل الجنة فيقال من ذا الذي اجره على الله فيقال العافون عن الناس فيدخلون الجنة بغير حساب

قوله تعالى (٤١) وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (٤٢) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٣) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٤) وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (٤٥) وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ خمس آيات

الإعراب

ان ذلك لمن عزم الامور جواب القسم الذي دل عليه قوله ولمن صبر وغفر كما قال سبحانه لئن اخرجوا لايخرجون معهم وقيل بل هي جملة في موضع خبر المبتدأ الذي هو من صبر وغفر والتقدير ان ذلك منه لمن عزم الامور وحسن الحذف لطول الكلام وقوله خاشعين منصوب على الحال من يعرضون ويعرضون في موضع النصب على الحال من تراهم

المعنى

ثم ذكر سبحانه المنتصر فقال (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل) معناه من انتصر لنفسه وانتصف من ظالمه بعد ظلمه اضاف الظلم الى المظلوم اي بعد ان ظلم وتعدي عليه فاخذ لنفسه بحقه فالمنتصرون ما عليهم من اثم وعقوبة وذم ومثله في اضافة المصدر الى المفعول قوله من دعاء الخير (إنما السبيل) اي الاثم والعقاب (على الذين يظلمون الناس) ابتداء (ويبغون في الارض بغير الحق اولئك لهم عذاب أليم) اي موجع (ولمن صبر) اي تحمل المشقة في رضاء الله (وغفر) فلم ينتصر (إن في ذلك) الصبر والتجاوز (لمن عزم الامور) اي من ثابت الامور التي امر الله تعالى بها فلم ينسخ وقيل عزم الامور هو الأخذ باعلاها في باب نيل الثواب والأجر (ومن يضلل الله) اي ومن يضلله الله عن رحمته وجنته (فماله من ولي) اي معين (من بعده) اي سواه وقيل من عذبه الله عقوبة له على عناده وجحوده فما له من ولي يلي أمره ويدفع عذاب الله عنه (وترى الظالمين لما رأوا العذاب) اي ترى الظالمين يا محمد اذا شاهدوا عذاب النار (يقولون هل الى مرد) اي

رجوع وردالى دار الدنيا (من سبيل) تمنيا منهم لذالك (وتراهم) يا محمد (يعرضون عليها) اي على النار قبل دخولهم النار (خاشعين من الذل) اي ساكنين متواضعين في حال العرض (ينظرون من طرف خفي) اي خفي النظر لما عليهم من الهوان يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلة في نفوسهم عن الحسن وقتادة وقيل خفي ذليل عن ابن عباس ومجاهد وقيل من عين لاتفتح كلها وانما نظروا ببعضها الى النار (وقال الذين آمنوا) لما رأوا عظيم مانزل بالظالمين (ان الخاسرين) في الحقيقة هم (الذين خسروا انفسهم) بأن فوّتوها الانتفاع بنعيم الجنة (واهليهم) اي واولادهم وازواجهم واقاربهم لا ينتفعون بهم (يوم القيامة) لما حيل بينهم وبينهم وقيل واهليهم من الحور العين في الجنة او آمنوا (الا ان الظالمين في عذاب مقيم) هذا من قول الله تعالى والمقيم الدائم الذي لا زوال له

قوله تعالى (٤٦) وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ ٱللهِ وَمَنْ يُضْلِلِ ٱللهُ فَمَالَهُ مِنْ سَبِيلٍ (٤٧) اُسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ ٱللهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَاءٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ (٤٨) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنْسَانَ كَفُورٌ (٤٩) لِلّٰهِ مُلْكُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ ٱلذُّكُورَ (٥٠) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ

خمس آيات

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن الظالمين الذين ذكرهم فقال (وما كان لهم من اولياء) لافيما عبدوه من دونه ولافيمن اطاعوه في معصيته اي نُصّار (ينصروهم من دون الله) ويدفعون عنهم عقابه (ومن يضلل الله فما له من سبيل) يوصله الى الجنة ثم قال سبحانه (استجيبوا لربكم) اي اجيبوا داعي ربكم يعني محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فيما دعاكم اليه ورغبكم فيه من المصير الى طاعته والانقياد لامره (من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله) اي لا رجوع بعده الى الدنيا وقيل معناه لا يقدر احد على رده ودفعه وهو يوم القيامة عن الجبائي وقيل معناه لا يرد ولا يؤخر عن وقته وهو يوم الموت عن ابي مسلم (ما لكم من ملجأ يومئذ) اي معقل يعصمكم من العذاب (وما لكم من نكير) اي انكار وتغيير للعذاب وقيل من نصير منكر ما يحل بكم ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (فإن اعرضوا) يعني الكفار اي عدلوا عما دعوتهم اليه (فما ارسلناك عليهم حفيظا) اي مأمورا بحفظهم لئلا يخرجوا عما دعوتهم اليه كما يحفظ الراعي غنمه لئلا يتفرقوا اي فلا تحزن لإعراضهم (ان عليك الا البلاغ) اي ليس عليك الا ايصال المعنى الى افهامهم والبيان لما فيه رشدهم (وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة) واوصلنا اليه نعمة (فرح بها) اي بطر لأن الفرح المراد هنا ما قارنه اشر او جحود او انكار لأنه خرج مخرج الذم وقيل ان الرحمة هنا العافية (وان تصبهم سيئة بما قدمت ايديهم) اي قحط او فقر او مرض او غير ذلك مما يسوءهم (فإن الانسان كفور) يعدد المصيبة ويجحد النعم ثم بين سبحانه ان النعم كلها منه فقال (لله ملك السماوات والأرض) اي له التصرف فيهما وفيما بينهما وسياستهما بما تقتضيه الحكمة (يخلق ما يشاء) من انواع الخلق (يهب لمن يشاء) من خلقه (اناثا) فلا يولد له ذكر (ويهب لمن يشاء الذكور) البنين فلا يولد له انثى (او يزوجهم ذكرانا واناثا) معناه او يجمع لهم بين البنين والبنات تقول العرب زوجت إبلي اي جمعت بين صغارها وكبارها قال مجاهد هو ان تلد المرأة غلاما ثم جارية ثم غلاما ثم جارية وقيل هو ان تلد توأما ذكرا وانثى او ذكرا وذكرا او انثى وانثى

عن ابن زيد وقيل هو ان يجمع في الرحم الذكر والأنثى عن محمد بن الحنفية (ويجعل من يشاء) من الرجال والنساء (عقيما) لا يلد ولا يولد له (انه عليم) بما خلق (قدير) على خلق من يشاء

قوله تعالى (٥١) وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥٢) وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابُ وَلَا ٱلْإِيمَانُ وَلَٰكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٣) صِرَاطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ أَلَا إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ثلاث آيات

القراءة

قرأ نافع او يرسل بالرفع فيوحي بسكون الياء والباقون او يرسل فيوحي بالنصب

الحجة

قال ابو علي من نصب او يرسل فلا يخلو من أن يكون محمولا على ان في قوله ان يكلمه الله او على غيره فلا يجوز أن يكون محمولا عليه لأنه يصير تقديره ماكان لبشر أن يكلمه الله او أن يرسل رسولا اليه ولم يخل قوله او يرسل رسولا من أن يكون المراد أو يرسله رسولا او يكون او يرسل اليه رسولا والتقديران جميعا فاسدان الا ترى ان كثيرا من البشر قد ارسل رسولا وكثيرا منهم قد ارسل اليه الرسل فإذا لم يخل من هذين التقديرين ولم يصح واحد منهما علمت ان المعنى ليس عليه والتقدير على غيره فالذي عليه المعنى والتقدير الصحيح ما ذهب اليه الخليل من أن يحمل يرسل على ان يوحي الذي يدل عليه وحيا فصار التقدير ما كان لبشر ان يكلمه الله الا أن يوحي وحيا أو يرسل رسولا فيوحي ويجوز في قوله إلا وحيا امران ﴿احدهما﴾ أن يكون استثناء منقطعا ﴿والآخر﴾ أن يكون حالا فإن قدرته استثناء منقطعا لم يكن في الكلام شيء يوصل بمن لأن ما قبل الاستثناء لا يعمل فيما بعده لأن حرف الاستثناء في معنى حرف النفي الا ترى انك اذا قلت قام القوم الا زيدا فالمعنى قام القوم إلا زيد فكما لا يعمل ما قبل حرف النفي فيما بعده كذلك لا يعمل ما قبل الاستثناء اذا كان كلاما تاما فيما بعده اذ كان بمعنى النفي وكذلك لا يجوز أن يعمل ما بعد الا فيما قبلها نحو ما انا الخبز الا آكل كما لم يعمل ما بعد حرف النفي فيما قبله فإذا كان كذلك لم يتصل الجار بما قبل الا ويمتنع أن يتصل به الجار من وجه آخر وهو ان قوله أو من وراء حجاب في صلة وحي الذي هو بمعنى أن يوحي فإذا كان كذلك لم يجز ان يحمل الجار الذي هو من قوله او من وراء حجاب على او يرسل لأنك تفصل بين الصلة والموصول بما ليس منهما الا ترى ان المعطوف على الصلة في الصلة فإذا حملت العطف على ما ليس في الصلة فصلت بين الصلة والموصول بالأجنبي الذي ليس منهما فإذا لم يجز حمله على يكلمه من قوله ما كان لبشر أن يكلمه الله ولم يكن بد من أن يعلق الجار بشيء ولم يكن في اللفظ شيء تحمله عليه اضمرت يكلم وجعلت الجار في قوله او من وراء حجاب متعلقا بفعل مراد في الصلة محذوف منها للدلالة عليه وقد يحذف من الصلة اشياء للدلالة عليها ويكون في المعنى معطوفا على الفعل المقدر صلة لأن الموصول وهي يوحي فيكون التقدير ما كان لبشر ان يكلمه الله الا ان يوحي اليه او يكلمه من وراء حجاب فحذف يكلم من الصلة لأن ذكره قد جرى وان كان خارجا من الصلة فحسن ذلك حذفه من الصلة وسوغه الا ترى انما قبل حرف الاستفهام مثل ما قبل الصلة في انه لا يعمل في الصلة كما لا يعمل ما قبل الاستفهام فيما كان من حيز الاستفهام وقد جاء الآن وقد عصيت قبل والمعنى الآن آمنت وقد عصيت قبل فلما

كان ذكر الفعل قد جرى في الكلام اضمر ولا يجوز ان يقدر عطف او من وراء حجاب على الفعل الخارج من الصلة فيفصل بين الصلة والموصول بالاجنبي منهما كما في قوله الا ان يكون ميتة أو دما مسفوحا او لحم خنزير فإنه رجس ثم قال او فسقا اهل لغير الله به فعطف با وعلى ما في الصلة بعد ما فصل بين الصلة والموصول بقوله فإنه رجس لأن قوله فإنه رجس من الاعتراض الذي يسدد ما في الصلة ويوضحه فصار بذلك بمنزلة الصفة لما في الصفة من التبيين والتخصيص ومثل هذا في الفصل في الصلة قوله تعالى والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة وفصل بقوله جزاء بمثلها وعطف عليه قوله وترهقهم ذلة على الصلة مع هذا الفصل من حيث قوله جزاء سيئة بمثلها يسدد ما الصلة واما من رفع فقال او يرسل رسولا فيجعل يرسل حالا فإن الجار في قوله او من وراء حجاب متعلق بمحذوف ويكون في الظرف ذكر من ذي الحال فيكون قوله الا وحيا على هذا التقدير مصدرا وقع موقع الحال كقولك جئت ركضا واتيت عدوا ويكون من في انه مع ما انجر به في موضع الحال كقوله ومن الصالحين بعد قوله ويكلم الناس في المهد وكهلا ومعنى او من وراء حجاب فمن قدر الكلام استثناء منقطعا او حالا يكلمهم غير مجاهر لهم بكلامه يريد ان كلامه يسمع ويحدث من حيث لا يرى كما يرى سائر المتكلمين وليس ان ثم حجابا يفصل موضعا من موضع فيدل ذلك على تحديد المحجوب ومن رفع يرسل كان في موضع نصب على الحال والمعنى هذا كلامه اياهم كما يقول تحيتك الضرب وعتابك السيف

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه اجل النعم وهي النبوة فقال (وما كان لبشر ان يكلمه الله) اي ليس لأحد من البشر أن يكلمه الله (الا) ان يوحي اليه (وحيا) وهو داود اوحى في صدره فزبر الزبور (او من وراء حجاب) اي ويكلمه من وراء حجاب وهو موسى (ع) (او يرسل رسولا) وهو جبرائيل ارسل الى محمد ﷺ عن مجاهد وقيل معناه ما كان لبشر ان يكلمه الله الا بمثل ما يكلم به عباده من الامر بطاعته والنهي عن معاصيه وتنبيهه اياهم على ذلك من جهة الخاطر او المنام وما اشبه ذلك على سبيل الوحي وسماه وحيا لأن الوحي في اللغة ما جرى مجرى الإيماء والتنبيه على الشيء من غير ان يفصح به او من وراء حجاب وهو ان يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه الا من يريد ان يكلمه به نحو كلامه لموسى (ع) لانه حجب ذلك عن جميع الخلق الا عن موسى (ع) وحده وفي المرة الثانية حجبه عن جميع الخلق الا عن موسى والسبعين الذين كانوا معه وقد يقال انه حجب عنهم موضع الكلام الذي اقام الكلام فيه فلم يكونوا يدرون من اين يسمعونه لأن الكلام عرض لا يقوم الا في جسم ولا يجوز ان يكون اراد بقوله إن الله تعالى كان من وراء حجاب يكلم عباده لأن الحجاب لا يجوز الا على الاجسام المحدودة وعنى بقوله (او يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء) ارساله ملائكته بكتبه وكلامه الى انبيائه ليبلغوا ذلك عنه عباده فهذا ايضا ضرب من الكلام الذي يكلم الله به عباده ويأمرهم فيه وينهاهم من غير ان يكلمهم على سبيل ما كلم به موسى وهو خلاف الوحي الذي ذكر في اول الآية لأنه تنبيه خاطر وليس فيه افصاح عن ابي علي الجبائي وقال الزجاج معناه ان كلام الله للبشر اما أن يكون بالهام يلهمهم او بكلام من وراء حجاب كما كلم موسى او برسالة ملك اليهم فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء الله (انه علي) عن الادراك بالابصار (حكيم) في جميع افعاله (وكذلك اوحينا اليك) اي مثل ما اوحينا إلى الأنبياء قبلك اوحينا اليك (روحا من امرنا) يعني الوحي بأمرنا ومعناه القرآن لأنه يهتدى به ففيه حياة من موت الكفر عن قتادة والجبائي وغيرهما وقيل هو روح القدس عن السدي وقيل هو ملك اعظم من جبرائيل وميكائيل كان مع رسول الله ﷺ عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) قالا ولم يصعد إلى السماء وانه لفينا (ما كنت تدري) يا محمد قبل الوحي (ما الكتاب ولا الايمان) اي ما القرآن ولا الشرائع ومعالم الايمان وقيل معناه ولا اهل الايمان اي من الذي

يؤمن ومن الذي لا يؤمن وهذا من باب حذف المضاف (ولكن جعلناه نورا) أي جعلنا الروح الذي هو القرآن نوراً لأن فيه معالم الدين عن السدي وقيل جعلنا الايمان نورا لأنه طريق النجاة عن ابن عباس (نهدي به من نشاء من عبادنا) أي نرشده إلى الجنة (وانك لتهدي إلى صراط مستقيم) أي ترشد وتدعو إلى طريق مفض إلى الحق وهو الايمان ثم فسر ذلك الصراط بقوله (صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض) ملكا وخلقا (ألا إلى الله تصير الأمور) أي اليه ترجع الأمور والتدبير يوم القيامة فلا يملك ذلك غيره

سورة الزخرف

مكية كلها وقيل إلا آية منها واسئل من أرسلنا الآية نزلت ببيت المقدس عن مقاتل

﴿ عدد آيها ﴾

ثمان وثمانون آية شامي تسع في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

آيتان حم كوفي هو مهين حجازي بصري

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال ومن قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب وعن ابي بصير قال قال ابو جعفر (ع) من أدمن قراءة حم الزخرف آمنه الله في قبره من هوام الارض ومن ضمة القبر حتى يقف بين يدي الله عز وجل ثم جاءت حتى تكون هي التي تدخله الجنة بأمر الله عز وجل

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سورة حم عسق بذكر القرآن والوحي افتتح هذه السورة بذلك أيضا فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) حمٓ (٢) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (٣) إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٤) وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥) أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ خمس آيات

—(القراءة)—

قرأ اهل المدينة والكوفة غير عاصم ان كنتم بكسر الهمزة والباقون بفتحها

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قال ان كنتم فالمعنى لأن كنتم فأما صفحا فانتصابه من باب صنع الله لأن قوله أفنضرب عنكم الذكر يدل على ان نصفح عنكم صفحا وكأن قولهم صفحت عنه أي أعرضت عنه ووليته صفحة العنق فالمعنى أفنضرب عنكم ذكر الانتقام منكم والعقوبة لكم ان كنتم قوما مسرفين وهذا يقرب من

قوله أيحسب الإنسان أن يترك سدى والكسر على انه جزاء استغني عن جوابه بما تقدمه مثل أنت ظالم ان فعلت كذا كأنه قال ان كنتم مسرفين نضرب

﴿ اللغة ﴾

يقال ضربت عنه وأضربت عنه اي تركته وأمسكت عنه ويقال صفح عني بوجهه قال كثير وذكر امرأة

صفوحا فما تلقاك إلا بخيلة   فمن مل منها ذلك الوصل ملت

أي معرضة بوجهها والصفوح في صفات الله تعالى معناه العفو عن الذنب كأنه أعرض عن مجازاته تفضلا يقال صفح عن ذنبه إذا عفا والاسراف مجاوزة الحد في العصيان

﴿ المعنى ﴾

(حٰمٓ) مر معناه (والكتاب المبين) أقسم بالقرآن المبين للحلال والحرام المبين ما يحتاج اليه الأنام من شرائع الإسلام (انا جعلناه) أي أنزلناه عن السدي وقيل قلناه عن مجاهد ونظيره ويجعلون لله البنات اي يقولون (قرآنا عربيا) أي بلسان العرب والمعنى جعلناه على طريقة العرب في مذاهبهم في الحروف والمفهوم ومع ذلك فإنه لا يتمكن أحد منهم من انشاء مثله والابتداء بما يقاربه من علو طبقته في البلاغة والفصاحة اما لعدم علمهم بذلك أو لأنهم صرفوا عنه على الخلاف بين العلماء فيه (لعلكم تعقلون) أي لكي تعقلوا وتتفكروا فيه فتعلموا صدق من ظهر على يده وفي هذه الآية دلالة على حدوث القرآن لأن المجعول هو المحدث بعينه (وانه) يعني القرآن (في ام الكتاب) أي في اللوح المحفوظ وإنما سمي أما لأن سائر الكتب تنسخ منه وقيل لأن أصل كل شيء أمه والقرآن مثبت عند الله في اللوح المحفوظ كما قال بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ عن الزجاج وهو الكتاب الذي كتب الله فيه ما يكون إلى يوم القيامة لما رأى في ذلك من صلاح ملائكته بالنظر فيه وعلم فيه من لطف المكلفين بالاخبار عنه (لدينا) أي الذي عندنا عن ابن عباس (لعلي) أي عال في البلاغة مظهر ما بالعباد اليه من الحاجة وقيل معناه يعلو كل كتاب بما اختص به من كونه معجزا وناسخا للكتب وبوجوب إدامة العمل به وبما تضمنه من الفوائد وقيل علي أي عظيم الشأن رفيع الدرجة تعظمه الملائكة والمؤمنون (حكيم) أي مظهر للحكمة البالغة وقيل حكيم دلالة على كل حق وصواب فهو بمنزلة الحكيم الذي لا ينطق إلا بالحق وصف الله تعالى القرآن بهاتين الصفتين على سبيل التوسع لأنهما من صفات الحي ثم خاطب سبحانه من لم يعتبر بالقرآن وجحد ما فيه من الحكمة والبيان فقال (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) والمراد بالذكر هنا القرآن أي أفنترك عنكم الوحي صفحا فلا نأمركم ولا ننهاكم ولا نرسل اليكم رسولا (أن كنتم قوما مسرفين) اي لأن كنتم والمعنى أفنمسك عن انزال القرآن ونهملكم فلا نعرفكم ما يجب عليكم من أجل انكم أسرفتم في كفركم وهذا استفهام انكار ومعناه انا لا نفعل ذلك وأصل ضربت عنه الذكر ان الراكب إذا ركب دابة فأراد ان يصرفه عن جهة ضربه بعصى أو سوط ليعدل به إلى جهة أخرى ثم وضع الضرب موضع الصرف والعدل وقيل ان الذكر بمعنى العذاب ومعناه أحسبتم انا لا نعذبكم أبداً عن السدي

قوله تعالى (٦) وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (٧) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٨) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ (٩) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ

خَلَقَ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ (١٠) ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْداً وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ خمس آيات

-(المعنى)-

ثم عزى سبحانه نبيه ﷺ بقوله (وكم أرسلنا من نبي في الأولين) أي في الأمم الماضية (وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزءون) يعني من الأمم الخالية التي ذكرناها كفرت بالأنبياء وسخرت منهم لفرط جهالتهم وغباوتهم واستهزأت بهم كما استهزأ قومك بك أي فلم نضرب عنهم صفحا لاستهزائهم برسلهم بل كررنا الحجج وأعدنا الرسل (فأهلكنا أشد منهم بطشا) أي فأهلكنا من أولئك الأمم بأنواع العذاب من كان أشد قوة ومنعة من قومك فلا يغتر هؤلاء المشركون بالقوة والنجدة (ومضى مثل الأولين) أي سبق فيما أنزلنا اليك شبه حال الكفار الماضية بحال هؤلاء في التكذيب ولما اهلكوا أولئك بتكذيبهم رسلهم فعاقبة هؤلاء أيضا الاهلاك (ولئن سألتهم) أي ان سألت قومك يا محمد (من خلق السموات والأرض) أي أنشأها واخترعها (ليقولن خلقهن العزيز العليم) أي لم يكن جوابهم في ذلك إلا أن يقولوا خلقهن يعني السموات والأرض العزيز القادر الذي لا يقهر العليم بمصالح الخلق وهو الله تعالى لأنهم لا يمكنهم ان يحيلوا في ذلك على الأصنام والأوثان وهذا اخبار عن غاية جهلهم إذ اعترفوا بأن الله خالق السموات والأرض ثم عبدوا معه غيره وانكروا قدرته على البعث ثم وصف سبحانه نفسه فقال (الذي جعل لكم الارض مهدا) وقرئ مهادا وقد مضى ذكره في طه (وجعل لكم فيها سبلا) تسلكون بها (لعلكم تهتدون) لكي تهتدوا إلى مقاصدكم في اسفاركم وقيل معناه لتهتدوا إلى الحق في الدين بالاعتبار الذي حصل لكم بالنظر فيها

قوله تعالى (١١) وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١٢) وَٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٣) لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٤) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ (١٥) وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءاً إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ خمس آيات

﴿ اللغة ﴾

يقال أنشر الله الخلق فنشروا أي احياهم فحيوا قال الأعشى

لو اسندت ميتا إلى نحرها عاش ولم ينقل إلى قابر
حتى يقول الناس مما رأوا يا عجباً للميت الناشر

الإقران الإطاقة يقال اقرنت لهذا البعير أي اطقته

﴿ المعنى ﴾

ثم اكد سبحانه ما قدمه بقوله (والذي نزل من السماء ماء) أي غيثا ومطرا (بقدر) أي بقدر الحاجة

لا زائداً عليها فيفسد ولا ناقصاً عنها فيضر ولا ينفع وفي ذلك دلالة على انه واقع من قادر مختار قد قدره على ما تقتضيه الحكمة لعلمه بذلك (فأنشرنا) أي فأحيينا (به) أي بذلك المطر (بلدة ميتا) أي جافة يابسة بإخراج النبات والأشجار والزروع والثمار (وكذلك) اي مثل ما اخرج النبات من الأرض اليابسة (تخرجون) من قبوركم يوم البعث (والذي خلق الأزواج كلها) يعني أزواج الحيوان من ذكر وانثى وقيل معناه خلق الأشكال جميعها من الحيوان والجماد فمن الحيوان الذكر والأنثى ومن غير الحيوان ما هو كالمقابل كالحلو والمر والرطب واليابس وغير ذلك وقيل الأزواج الشتاء والصيف والليل والنهار والشمس والقمر والسماء والأرض والجنة والنار عن الحسن (وجعل لكم من الفلك) أي السفن (والانعام) من الإبل والبقر عن سعيد بن جبير .وقيل الابل (ما تركبون) في البحر والبر (لتستووا على ظهوره) بين سبحانه ان الغرض في خلق ما ذكر لتستووا على ظهور ما جعل لكم فالضمير في ظهوره يعود إلى لفظ ما (ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) فتشكروا على تلك النعمة التي هي تسخير ذلك المركب (وتقولوا) معترفين بنعمه منزهين له عن شبه المخلوقين (سبحان الذي سخر لنا هذا) المركب اي ذلله لنا حتى ركبناه (وما كنا له مقرنين) اي مطيقين مقاومين في القوة (وانا إلى ربنا لمنقلبون) اي ولتقولوا ايضا ذلك ومعناه وانا إلى الله راجعون في آخر عمرنا على مركب آخر وهو الجنازة قال قتادة قد علمكم كيف تقولون إذا ركبتم وروي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجا في سفر كبر ثلاثا وقال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا إلى ربنا لمنقلبون اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى والعمل بما ترضى اللهم هون علينا سفرنا واطو عنا بُعده اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والمال اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الاهل والمال وإذا رجع قال آيبون تائبون لربنا حامدون أورده مسلم في الصحيح وروى العياشي بإسناده عن ابي عبد الله «ع» قال ذكر النعمة ان تقول الحمد لله الذي هدانا للإسلام وعلمنا القرآن ومنّ علينا بمحمد ﷺ وتقول بعده سبحان الذي سخر لنا هذا إلى آخره ثم رجع سبحانه إلى ذكر الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال (وجعلوا له من عباده جزءاً) أي نصيبا يعني حكموا بأن بعض عباده وهم الملائكة له أولاد ومعنى الجعل هنا الحكم وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد والحسن قالوا زعموا ان الملائكة بنات الله قال الزجاج قد أنشد بعض أهل اللغة بيتا يدل على ان معنى جزء معنى الإناث وهو

إن أجزأت حرة يوماً فلاعجب　　　قد تجزئ الحرة المذكار أحيانا

اي انثت وقيل ان معناه وجعلوا لله من مال عباده نصيبا فيكون كقوله وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فحذف المضاف (إن الإنسان لكفور مبين) اي جاحد لنعم الله مظهر لكفره غير مستتر به

قوله تعالى (١٦) أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِٱلْبَنِينَ (١٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٨) أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٩) وَجَعَلُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ

سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر ينشأ بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين والباقون ينشأ بفتح الياء وسكون النون والتخفيف وقرأ اهل الكوفة وابو عمرو عباد الرحمن والباقون عند الرحمن وقرأ اهل المدينة أأشهدوا على افعلوا بضم الهمزة وسكون الشين وقبلها همزة الاستفهام مفتوحة ثم تخفف الثانية من غير ان يدخل بينهما الفا وبعضهم يدخل بينهما الفا وقرأ الباقون اشهدوا بفتح الالف والشين

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي يقال نشأت السحابة ونشأ الغلام فإذا نقل هذا الفعل بالهمزة كقوله ينشئ السحاب الثقال ثم أنشأناه خلقا آخر تعدى إلى مفعول ومن قرأ يُنشّأ كان مثل فرح وافرح وغرم واغرم وموضع من نصب على تقدير اتخذوا له من ينشأ في الحلية على وجه التقريع لهم بما افتروه كما قال تعالى أم له البنات ولكم البنون وحجة من قرأ عباد الرحمن قوله بل عباد مكرمون وحجة من قرأ عند الرحمن قوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وقوله ان الذين عند ربك لا يستكبرون وفي هذا دلالة على رفع المنزلة والتقريب كما قال ولا الملائكة المقربون وليس من قرب المسافة وشهدت تستعمل على ضربين ﴿ احدهما ﴾ بمعنى الحضور ﴿ والآخر ﴾ بمعنى العلم والذي بمعنى الحضور يتعدى إلى مفعول به يدلك على ذلك قوله «ويوم شهدناه سليما وعامرا» تقديره شهدنا فيه سليما ومن ذلك قوله

شهدنا فما تلقى لنا من كتيبة يد الدهر إلا جبرئيل أمامها

فهذا محذوف المفعول والتقدير فيه شهدنا المعركة فهذا الضرب إذا نقل بالهمزة تعدى إلى مفعولين تقول شهد زيد المعركة وأشهدته إياها ومن ذلك قوله ما أشهدتهم خلق السموات والأرض واماشهدت الذي بمعنى علمت فيستعمل على ضربين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون قسما ﴿ والآخر ﴾ ان يكون غير قسم فاستعمالهم إياه قسما كاستعمالهم علم الله ويعلم الله قسمين تقول علم الله لأفعلن فيتلقاه ما يتلقى الأقسام وانشد سيبويه

ولقد علمت لتأتين منيتي إن المنايا لا تطيش سهامها

وحكي ان زفر كان يذهب إلى أنه إذا قال أشهد بالله كان يمينا وان قال اشهد ولم يقل بالله لم يره يمينا وقال محمد الشيباني أشهد غير موصولة بقوله بالله مثل اشهد موصولة بقولك بالله في انه يمين واستشهد على ذلك بقوله قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنة فجعله يمينا ولم يوصل بقوله بالله وأما شهدت الذي يراد به علمت ولا يراد به حضرت فهو ضرب من العلم مخصوص فكل شهادة علم وليس كل علم شهادة ومما يدل على اختصاصه في العلم انه لو قال عند الحاكم اعلم ان لزيد على عمرو عشرة لم يحكم بها حتى يقول أشهد فالشهادة مثل التيقن في انه ضرب من العلم مخصوص وليس كل علم تيقنا وان كان كل تيقن علما فكان معنى اشهد أيها الحاكم على كذا أعلمه علما يحضرني وقد تذلل لي فلا اتوقف فيه لوضوحه عندي

وتبينه لي وليس كذلك سبيل المعلومات كلها ألا ترى ان منها ما يحتاج إلى توقف فيه واستدلال عليه وأما قوله أشهدوا خلقهم فمن الشهادة التي هي الحضور كأنهم وبخوا على ان قالوا ما لم يحضروه مما حكمه ان يعلم بالمشاهدة ومن قال أشهدوا خلقهم فالمعنى أحضروا ذلك وكان الفعل متعديا إلى مفعولين فلما بني للمفعول به نقص مفعولا فتعدى الفعل إلى مفعول واحد ويقوي هذه القراءة ما أشهدتهم خلق السموات والأرض واما قوله اني اشهد الله واشهدوا اني بريء فحذف المفعول الأول على حد ضربني وضربت وهذا منقول من شهد بكذا الا ان حرف الجر يحذف مع ان وانّ

المعنى

ثم انكر سبحانه عليهم قولهم فقال (ام) وهذا استفهام انكار وتوبيخ ومعناه بل (اتخذ مما يخلق بنات) أي اتخذ ربكم لنفسه البنات (واصفاكم) اي اخلصكم (بالبنين) وهذا كقوله أفأصفاكم ربكم بالبنين الآية ثم زاد في الاحتجاج عليهم بأن قال (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) اي بما جعل لله شبها وذلك ان ولد كل شيء شبهه وجنسه فالمعنى إذا بشر احدهم بولادة ابنة له (ظل وجهه مسوداً) بما يلحقه من الغم بذلك (وهو كظيم) اي مملوء كربا وغيظا ثم وبخهم بما افتروه فقال (اومن ينشؤا في الحلية) اي اوجعلوا من ينشؤ في الحلية اي في زينة النساء لله عز وجل يعني البنات (وهو في الخصام) يعني المخاصمة (غير مبين) للحجة قال قتادة قلما تتكلم امرأة بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها اي لا يمكنها ان تبين الحجة عند الخصومة لضعفها وسفهها وقيل معناه او تعبدون من ينشأ في الحلية ولا يمكنه ان ينطق بحجته ويعجز عن الجواب وهم الأصنام فإنهم كانوا يحلونها بالحلي عن ابن زيد وإنما قال وهو في الخصام ولم يقل وهي لأنه حمله على لفظ من (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) بأن زعموا انهم بنات الله (أشهدوا خلقهم) هذا رد عليهم اي أحضروا خلقهم حتى علموا انهم إناث وهذا كقوله ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون (ستكتب شهادتهم) بذلك (ويسألون) عنها يوم القيامة (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أي لو شاء الرحمن ان لا نعبدهم ما عبدناهم فإنما عبدناهم بمشيئة الله (ما لهم بذلك من علم) اي لا يعلمون صحة ما يقولون هذا اشارة إلى بطلان قولهم لما لم يصدر عن دليل وعلم (ان هم الا يخرصون) اي ما هم إلا كاذبون قال ابو حامد كذبهم الله تعالى لأنهم انكروا التوحيد بإضافتهم الولد اليه سبحانه وفارقوا العدل بإضافتهم الكفر إلى مشيئة الله تعالى

قوله تعالى (٢١) أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ (٢٢) بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٣) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٤) قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٢٥) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ خمس آيات

القراءة

قرأ ابن عامر وحفص قال أولو وقرأ الباقون قل أولو وقرأ ابو جعفر جئناكم والباقون جئتكم

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ قال فالمعنى قال لهم النذير اولو جئتكم ومن قرأ قل فإنه يكون حكاية ماأوحي الى النذير كأنه اوحينا اليه فقلنا له قل لهم اولو جئتكم بأهدى من ذلك

﴿ المعنى ﴾

لما حكى سبحانه تخرص من اضاف عبادة الاصنام والملائكة إلى مشيئة الله قال (ام آتيناهم كتابا)وهو استفهام بمعنى التقرير لهم على خطئهم والتقدير أهذا الذي ذكروه شيء تخرصوه وافتعلوه أم آتيناهم كتابا (من قبله فهم به مستمسكون) اي مستمسكون بذلك فإذا لم يمكنهم ادعاء ان الله تعالى أنزل بذلك كتابا علم ان ذلك من تخرصهم ودل ام على حذف حرف الاستفهام لأن المعادلة له ثم اعلم انهم اتبعوا آباءهم في الضلالة فقال ليس الامر كذلك (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة) اي على ملة وطريقة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي وقيل على جماعة اي كانوا مجتمعين موافقين على ما نحن عليه عن الجبائي (وانا على آثارهم مهتدون) نهتدي بهداهم ثم قال سبحانه (وكذلك) اي ومثل ما قال هؤلاء في الحوالة على تقليد آبائهم في الكفر (ما ارسلنا من قبلك) يا محمد (في قرية) ومجمع من الناس (من نذير)اي نذيراً لأن من زائدة (إلا قال مترفوها) وهم المتنعمون الذين آثروا الترفه على طلب الحجة يريد الرؤساء (إنا وجدنا آباءنا على امة وإنا على آثارهم مقتدون) نقتدي بهم فلا نخالفهم واحال جميعهم على التقليد للآباء فحسب دون الحجة والتقليد قبيح في العقول إذ لو كان جائزا لكان يلزم في ذلك ان يكون الحق في الشيء ونقيضه فكل فريق يقلد اسلافه مع ان كلا منهم يعتقد ان من سواه على خطأ وضلال وهذا باطل لا شبهة في بطلانه فإذا لا بد من الرجوع إلى حجة عقلية او سمعية ثم قال سبحانه للنذير (قل) لهم (اولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آبائكم) تتبعون ما وجدتم عليه آباءكم ولا تقبلون ما جئتكم به وفي هذا احسن التلطف في الاستدعاء إلى الحق وهو انه لو كان ما يدعونه حقا وهدى وكان ما جئتكم به من الحق اهدى منه كان اوجب ان يتبع ويرجع اليه ثم اخبر انهم ابوا ان يقبلوا ذلك (وقالوا إنا بما ارسلتم به) ايها الرسل (كافرون) ثم ذكر سبحانه ما فعل بهم فقال (فانتقمنا منهم) بأن اهلكناهم وعجلنا عقوبتهم (فانظر كيف كان عاقبة المكذبين) لأنبياء الله والجاحدين لهم وفي هذا إشارة إلى ان العاقبة المحمودة تكون لأهل الحق والمصدقين لرسل الله

قوله تعالى (٢٦) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٧) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٨) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٩) بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ (٣٠) وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ خمس آيات

﴿ اللغة ﴾

تقول العرب انا براء منك ونحن براء منك الذكر والانثى والاثنان والجماعة فيه سواء والمعنى انا ذو براء منك كما قالوا رجل عدل وقوم عدل أي ذو عدل وذوو عدل

﴿ المعنى ﴾

(وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه) حين رآهم يعبدون الأصنام والكواكب (انني براء) أي بريء (مما تعبدون) ثم استثنى خالقه من جملة ما كانوا يعبدونه فقال (إلا الذي فطرني) اي سوى الله الذي خلقني وابتدأني وتقديره إلا من الذي فطرني قال قتادة كانوا يقولون الله ربنا مع عبادتهم الأوثان (فإنه سيهدين) إلى طريق الجنة بلطف من ألطافه وقيل سيهدين إلى الحق بما نصب لي من الأدلة وفيه بيان ثقته بالله تعالى ودعاء لقومه إلى ان يطلبوا الهداية من عنده (وجعلها كلمة باقية في عقبه) أي جعل كلمة التوحيد وهي قول لا إله إلا الله كلمة باقية في ذرية ابراهيم ونسله فلم يزل فيهم من يقولها عن قتادة ومجاهد والسدي وقيل جعل هذه الكلمة التي قالها ابراهيم وهو براءة من الشرك باقية في ولده من بعده وقيل الكلمة الباقية في عقبه هي الإمامة إلى يوم الدين عن ابي عبد الله (ع) واختلف في عقبه من هم فقيل ذريته وولده عن ابن عباس ومجاهد وقيل ولده إلى يوم القيامة عن الحسن وقيل هم آل محمد عن السدي (لعلهم يرجعون) اي لعلهم يتوبون ويرجعون عما هم عليه إلى الاقتداء بأبيهم ابراهيم في توحيد الله تعالى كما اقتدى الكفار بآبائهم عن الفراء والحسن وقيل لعلهم يرجعون عما هم عليه إلى عبادة الله تعالى ثم ذكر سبحانه نعمه على قريش فقال (بل متعت هؤلاء وآباءهم) المشركين بأنفسهم وأموالهم وأنواع النعم ولم أعاجلهم بالعقوبة لكفرهم (حتى جاءهم الحق) اي القرآن عن السدي وقيل الآيات الدالة على الصدق (ورسول مبين) يبين الحق ويظهره وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ولما جاءهم الحق) اي القرآن (قالوا هذا سحر) اي حيلة خفية وتمويه (وانا به كافرون) جاحدون لكونه من قبل الله تعالى

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قصة ابراهيم (ع) بما قبلها انه سبحانه لما ذم التقليد وأوجب اتباع الحق والدليل اتبعه بذكر ابراهيم الخليل حيث اتبع الحجة واوضح المحجة وقيل انه سبحانه لما ذم التقليد وذكر أن الكفار ابوا إلا ذلك ذكر ان تقليد ابراهيم اولى لأنهم من اولاده وذريته ويدعون انهم على طريقته وإنما اتصل قوله بل متعت هؤلاء وآباءهم بما تقدمه من ذكر اعراضهم عن الحجة وتعويلهم على التقليد فبين سبحانه انهم اتوا من قبل نفوسهم فقد ازيحت علتهم بأن امهلوا ومتعوا ثم جاءهم الحق فلم يؤمنوا

قوله تعالى (٣١) وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣٢) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٣) وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٤) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ (٣٥) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وابو عمرو وابو جعفر سقفا بفتح السين والباقون سقفا بضم السين والقاف وقرأ عاصم وحمزة وان كل ذلك لما بتشديد الميم والباقون لما خفيفة الميم

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي سقف جمع سقف مثل رهن ورُهن ويخفف فيقال رهن وفعل في الجمع يخفف وسقف واحد يدل على الجمع الا ترى انه علم بقوله لبيوتهم ان لكل بيت سقفا ومن شدد لما كانت ان عنده بمنزلة ما النافية فالمعنى ما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا ولما في معنى إلا حكى سيبويه نشدتك الله لما فعلت وحمله على إلا وهذه الآية تدل على فساد قول من قال ان قوله وان كل لما جميع لدينا محضرون ان المعنى لمن هو جميع لدينا حاضرون وزعموا ان في حرف ابي وما ذلك إلا متاع الحياة الدنيا ومن قرأ لما بالتخفيف فإن ان في قوله وان كل هي المخففة من الثقيلة واللام فيها هي التي تدخل لتفصل بين النفي والإيجاب في قوله «هبلتك امك ان قتلت لفارسا» ومن نصب بها مخففة فقال ان زيدا لمنطلق استغنى عن هذه اللام لأن النافية لا ينتصب بعدها اسم فلا يقع اللبس وما فيه زيادة والمعنى وان كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا

﴿ اللغة ﴾

المعارج الدرج واحدها معرج والعروج الصعود وظهر عليه إذا علاه وصعده قال النابغة الجعدي

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

والسرر جمع سرير ويجمع على اسرة ايضا والزخرف كمال حسن الشيء ومنه قيل للذهب زخرف ويقال زخرفه زخرفة إذا حسنه وزينه ومنه قيل للنقوش والتصاوير زخرف وفي الحديث انه صلى الله عليه وآله وسلم لم يدخل الكعبة حتى امر بالزخرف فنحي

﴿ المعنى ﴾

(وقالوا) اي وقال هؤلاء الكفار (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) يعنون بالقريتين مكة والطائف وتقدير الآية على رجل عظيم من القريتين اي من احدى القريتين فحذف المضاف ويعنون بالرجل العظيم من احدى القريتين الوليد بن المغيرة من مكة وابا مسعود عروة بن مسعود الثقفي من الطائف عن قتادة وقيل عتبة ابن ابي ربيعة من مكة وابن عبد ياليل من الطائف عن مجاهد وقيل الوليد بن المغيرة من مكة وحبيب بن عمر الثقفي من الطائف عن ابن عباس وإنما قالوا ذلك لأن الرجلين كانا عظيمي قومهما وذوي الأموال الجسيمة فيهما فدخلت الشبهة عليهم حتى اعتقدوا ان من كان كذلك كان اولى بالنبوة فقال سبحانه ردا عليهم (أهم يقسمون رحمة ربك) يعني النبوة بين الخلق بين سبحانه انه هو الذي يقسم النبوة لا غيره والمعنى ابأيديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاءوا عن مقاتل ثم قال سبحانه (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا) اي نحن قسمنا الرزق في المعيشة على حسب ما علمناه من مصالح عبادنا فليس لأحد ان يتحكم في شيء من ذلك فكما فضلنا بعضهم على بعض في الرزق فكذلك اصطفينا للرسالة من نشاء وقوله (ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) معناه افقرنا البعض واغنينا البعض فتلقى ضعيف الحيلة عيي اللسان وهو مبسوط له وتلقى شديد الحيلة بسيط اللسان وهو مقتر عليه ولم نفوض ذلك اليهم مع قلة خطره بل جعلناه

على ما توجبه الحكمة والمصلحة فكيف نفوض اختيار النبوة اليهم مع عظم محلها وشرف قدرها وقوله (ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) معناه ان الوجه في اختلاف الرزق بين العباد في الضيق والسعة زيادة على ما فيه من المصلحة إن في ذلك تسخيراً من بعض العباد لبعض بإحواجهم اليهم يستخدم بعضهم بعضا فينتفع احدهم بعمل الآخر له فينتظم بذلك قوام امر العالم وقيل معناه ليملك بعضهم بعضا بما لهم فيتخذونهم عبيدا ومماليك عن قتادة والضحاك (ورحمة ربك خير مما يجمعون) اي ورحمة الله سبحانه ونعمته من الثواب والجنة خير مما يجمعه هؤلاء من حطام الدنيا وقيل معناه والنبوة لك من ربك خير مما يجمعونه من الأموال عن ابن عباس ثم اخبر سبحانه عن هوان الدنيا عليه وقلة مقدارها عنده فقال (ولولا أن يكون الناس امة واحدة) اي لولا ان يجتمع الناس على الكفر فيكونوا كلهم كفارا على دين واحد لميلهم إلى الدنيا وحرصهم عليها عن ابن عباس والحسن وقتادة والسدي وقيل معناه ولولا أن يجتمع الناس على اختيار الدنيا على الدين عن ابن زيد (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة) قوله لبيوتهم بدل من قوله لمن يكفر والمعنى لجعلنا لبيوت من يكفر بالرحمن سقفا من فضة فالسقف إذا كان من فضة فالحيطان من فضة وقيل ان اللام الثانية بمعنى على فكأنه قال لجعلنا لمن يكفر بالرحمن على بيوتهم سقفا من فضة وقال مجاهد ما يكون من السماء فهو سقف بالفتح وما يكون من البيت فهو سقف بضمتين ومنه قوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا (ومعارج عليها يظهرون) أي وجعلنا درجا وسلاليم من فضة لتلك السقف عليها يعلون ويصعدون (ولبيوتهم أبوابا وسرراً) أي وجعلنا لبيوتهم أبوابا وسررا من فضة (عليها) اي على تلك السرر (يتكئون وزخرفا) اي ذهبا عن ابن عباس والضحاك وقتادة وهو منصوب بفعل مضمر أي وجعلنا لهم مع ذلك ذهبا وقيل الزخرف النقوش عن الحسن وقيل هو الفرش ومتاع البيت عن ابن زيد والمعنى لأعطي الكافر في الدنيا غاية ما يتمناه فيها لقلتها وحقارتها عنده ولكنه سبحانه لم يفعل ذلك لما فيه من المفسدة ثم اخبر سبحانه ان جميع ذلك إنما يتمتع به في الدنيا فقال (وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا) وقد مر بيانه (والآخرة) اي الجنة الباقية (عند ربك للمتقين) خاصة لهم قال الحسن والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل سبحانه ذلك فكيف لو فعله وفي هذه الآية دلالة على اللطف وانه تعالى لا يفعل المفسدة وما يدعو إلى الكفر وإذا لم يفعل مايؤدي إلى الكفر فلأن لا يفعل الكفر ولا يريده أولى

قوله تعالى(٣٦) وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ ٱلرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ (٣٧) وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ (٣٨) حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ (٣٩) وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٤٠) أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِي ٱلْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم في رواية حماد ويعقوب يقيض بالياء والباقون نقيض بالنون وقرأ اهل العراق غير ابي بكر حتى إذا جاءنا على الواحد والباقون جاءآنا على الاثنين

﴿ الحجة ﴾

من قرأ يقيض بالياء فالضمير يعود إلى الرحمن ومن قرأ بالنون فالمعنى على ذلك لكنه سبحانه اخبر عن نفسه بنون العظمة ومن قرأ جاءآنا على التثنية فهو الكافر وقرينه ومن قرأ جاءنا فهو الكافر لأنه افرد بالخطاب في الدنيا وأقيمت عليه الحجة بإنفاذ الرسول اليه فاجتزئ بالواحد عن الاثنين كما قال لينبذن في الحطمة والمراد لينبذن هو وماله

﴿ اللغة ﴾

العشو أصله النظر ببصر ضعيف يقال عشي يعشو عشواً وعشوا إذا ضعف بصره وأظلمت عينه كأن عليها غشاوة وقال الاعشى

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره   تجد خير نار عندها خير موقد

و إذا ذهب البصر قيل عشي يعشى عشا والرجل أعشى وقرأ في الشواذ ومن يعش بفتح الشين ومعناه يعمى ويقال عشي إلى النار إذا أتاها وقصد لها وعشي عنها إذا اعرض عنها قاصدا لغيرها كقولهم مال اليه ومال عنه والتقيض الإتاحة . الازهري قيض الله فلانا لفلان جاء به

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر الوعد للمتقين عقبه بذكر الوعيد لمن هو على ضد صفتهم فقال (ومن يعش عن ذكر الرحمن) أي يعرض عنه عن قتادة والسدي وقيل معناه ومن يعم عنه عن ابن عباس وابن زيد قال الجبائي شبههم بالاعمى لما لم يبصروا الحق والذكر هو القرآن وقيل هو الآيات والأدلة (نقيض له شيطانا فهو له قرين) أي نخل بينه وبين الشيطان الذي يغويه ويدعوه إلى الضلالة فيصير قرينه عوضاً عن ذكر الله عن الحسن وابي مسلم قال الحسن وهو الخذلان عقوبة له عن الإعراض حين علم انه لا يفلح وقيل معناه نقرن به شيطانا في الآخرة يلزمه فيذهب به إلى النار كما ان المؤمن يقرن به ملك فلا يفارقه حتى يصير به إلى الجنة عن قتادة وقيل أراد به شياطين الانس نحو علماء السوء ورؤساء الضلالة يصدونهم عن سبيل الله فيتبعونهم (وانهم) يعني وان الشياطين وإنما جمع لأن قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا في مذهب جمع وإن كان اللفظ على الواحد (ليصدونهم) أي يصرفون هؤلاء الكفار (عن السبيل) أي عن طريق الجنة (ويحسبون انهم مهتدون) أي ويحسب الكفار انهم على الهدى فيتبعونهم (حتى إذا جائنا) من قرأ على التثنية فالمعنى جاءنا الشيطان ومن أغواه يوم القيامة الذي يتولى سبحانه حساب الخلق فيه ومن قرأ على التوحيد فالمعنى حتى إذا جاءنا الكافر وعلم مايستحقه من العقاب (قال) في ذلك الوقت لقرينه الذي اغواه (يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين) يعني المشرق والمغرب فغلب احدهما كما قال الشاعر

أخذنا بآفاق السماء عليكم   لنا قمراها والنجوم الطوالع

يعني الشمس والقمر وقيل يعني محمداً ﷺ وابراهيم(ع) وقيل أراد بالمشرقين مشرق الشتاء ومشرق الصيف كما في قوله رب المشرقين والمراد يا ليت بيني وبينك هذا البعد مسافة فلم أرك ولا اغتررت بك (فبئس القرين) كنت لي في الدنيا حيث أضللتني وأوردتني النار وبئس القرين انت لي اليوم فإنهما يكونان مشدودين في سلسلة واحدة زيادة عقوبة وغم عن ابن عباس ويقول الله سبحانه في ذلك اليوم للكفار (ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم انكم في العذاب مشتركون) أي لا يخفف الاشتراك عنكم شيئًا من العذاب لأن لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الاوفر من العذاب وقيل معناه انه لا تسلي لهم عما هم فيه بما يرونه بغيرهم من العذاب لأنه قد يتسلى الإنسان عن المحنة إذا رأى ان عدوه في مثلها ثم قال لنبيه ﷺ (أفأنت تسمع الصم او تهدي العمي) شبه

الكفار في عدم انتفاعهم بما يسمعونه ويرونه بالصم والعمي (ومن كان في ضلال مبين) أي بيّن ظاهر مضاف معناه فلا يضيقن صدرك فإنك لا تقدر على اكراههم على الإيمان

قوله تعالى (٤١) فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ (٤٢) أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ (٤٣) فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٤) وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ (٤٥) وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ خمس آيات

الإعراب

لما دخل ما على حرف الشرط اشبه القسم في التأكيد والإيذان بطلب التصديق فدخلت النون في الكلام لذلك لأن النون يلزم في جواب القسم ولا يلزم في الجزاء لأنه مشبه به

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون) اي فإما نتوفينك فإنا منهم منتقمون من أمتك بعدك (او نرينك الذي وعدناهم) معناه او نبقينك ونرينك في حياتك ما وعدناهم من العذاب (فإنا عليهم مقتدرون) اي قادرون على الانتقام منهم وعقوبتهم في حياتك وبعد وفاتك قال الحسن وقتادة ان الله اكرم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن لم يره تلك النقمة ولم ير في أمته إلا ما قرت به عينه وقد كان بعده نقمة شديدة وقد روي انه صلى الله عليه وآله وسلم أري ما تلقى أمته بعده فما زال منقبضا ولم ينبسط ضاحكا حتى لقي الله تعالى وروى جابر بن عبد الله الانصاري قال اني لأدناهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع بمنى حتى قال لألفينكم ترجعون بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وأيم الله لئن فعلتموها لتعرفنني في الكتيبة التي تضاربكم ثم التفت إلى خلفه فقال او علي او علي ثلاث مرات فرأينا أن جبرائيل غمزه فأنزل الله على أثر ذلك فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون بعلي بن ابي طالب (ع) وقيل ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أري الانتقام منهم وهو ما كان من نقمة الله من المشركين يوم بدر بعد ان اخرجوه من مكة فقد اسر منهم وقتل مع قلة اصحابه وضعف منتهم وكثرة الكفار وشدة شوكتهم ثم أمره سبحانه بالتمسك بالقرآن فقال (فاستمسك بالذي أوحي اليك) من القرآن بأن تتلوه حق تلاوته وتتبع أوامره وتنتهي عما نهي فيه عنه (انك على صراط مستقيم) اي على دين حق وصواب وهو دين الإسلام (وإنه لذكر لك ولقومك) اي وان القرآن الذي أوحي اليك لشرف لك ولقومك من قريش عن ابن عباس والسدي وقيل لقومك اي للعرب لأن القرآن نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب حتى يكون الشرف لقريش اكثر من غيرهم ثم لبني هاشم اكثر مما يكون لقريش (وسوف تسئلون) عن شكر ما جعله الله لكم من الشرف عن الكلبي والزجاج وغيرهما وقيل تسئلون عن القرآن وعما يلزمكم من القيام بحقه (واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا) معناه سل مؤمني اهل الكتاب الذين ارسلنا اليهم الرسل هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد وهو قول اكثر المفسرين والتقدير سل أمم من ارسلنا او اتباع من ارسلنا فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه وقيل ان المراد سل أهل الكتابين التوراة والإنجيل وان كانوا كفارا فإن الحجة تقوم بتواتر خبرهم

والخطاب وان توجه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فالمراد به الأمة اي سلوا من ذكرنا (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) اي هل جعلنا فيما مضى معبودا سوى الله يعبده قوم فإنهم يقولون انا لم نأمرهم بذلك ولا تعبدناهم وقيل معناه وسل الأنبياء وهم الذين جمعوا له ليلة الأسرى و كانوا تسعين نبيا منهم موسى وعيسى ولم يسألهم صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم كان اعلم بالله منهم عن الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد

قوله تعالى (٤٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٧) فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ (٤٨) وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤٩) وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ (٥٠) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (٥١) وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥٢) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٣) فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ (٥٤) فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ عشر آيات حجازي بصري تسع عند غيرهم

القراءة

قرأ حفص ويعقوب وسهل أسورة والباقون اساورة

الحجة

الاسورة جمع سوار مثل سقاء واسقية وخوان واخونة ومن قرأ اساورة جعله جمع اسوار فيكون الهاء عوضا عن الياء التي كانت ينبغي أن تلحق في جمع اسوار على حد اعصار واعاصير ويجوز في اساورة ان يكون جمع اسورة فيكون مثل اسقية واساق ولحق الهاء كما لحق في قشعم وقشاعمة

المعنى

ثم ذكر سبحانه حديث موسى (ع) فقال (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) اي با لحجج الباهرة والمعجزات القاهرة (إلى فرعون وملئه) اي اشراف قومه وخص الملأ بالذكر وان كان ايضا مرسلا إلى غيرهم لأن من عداهم تبع لهم (فقال) موسى (اني رسول رب العالمين) أرسلني اليكم (فلما جاءهم بآياتنا) اي فلما أظهر المعجزات التي هي اليد البيضاء والعصا (إذا هم منها يضحكون) استهزاء واستخفافا وجهلا منهم بما عليهم من ترك النظر فيها وبما لهم من النفع بحصول العلم بها (وما نريهم من آية إلا هي اكبر من أختها) المراد بذلك ما ترادف عليهم من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وكانت كل آية من هذه الآيات اكبر من التي قبلها وهي العذاب المذكور في قوله (وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون) لأنهم عذبوا بهذه الآيات وكانت عذابا لهم ومعجزات لموسى (ع) فغلب عليهم الشقاء ولم يؤمنوا (وقالوا يا أيه الساحر) يعنون بذلك يا أيها العالم وكان الساحر عندهم عظيما يعظمونه ولم يكن صفة ذم عن الكلبي والجبائي وقيل إنما قالوا استهزاء بموسى (ع) عن الحسن وقيل معناه يا أيها الذي غلبنا بسحره تقول العرب

خاصمته فخصمته وحاججته فحججته فكذلك ساحرته وأرادوا انه غالب السحرة فغلبهم بسحره (ادع لنا ربك بما عهد عندك) اي بما زعمت انه عهد عندك وهو انه ضمن لنا أنا إذا آمنا بك ان يكشف العذاب عنا (إننا لمهتدون) اي راجعون إلى الحق الذي تدعونا اليه متى كشف عنا العذاب وفي الكلام حذف لأن التقدير فدعا موسى وسأل ربه ان يكشف عنهم ذلك العذاب فكشف الله عنهم ذلك (فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون) اي يغدرون وينقضون العهد وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى فاصبر يا محمد على اذى قومك فإن حالك معهم كحال موسى مع قومه فيؤول أمرك إلى الاستعلاء على قومك كما آل أمره إلى ذلك (ونادى فرعون في قومه) معناه انه لما رأى أمر موسى يزيد على الأيام ظهورا واعتلاء خاف على مملكته فأظهر الخداع فخطب الناس بعد ما اجتمعوا (وقال يا قوم أليس لي ملك مصر) انصرف فيها كما أشاء أراد بذلك اظهار بسطته في الملك والمال (وهذه الانهار) مثل النيل وغيرها (تجري من تحتي) اي من تحت امري وقيل انها كانت تجري تحت قصره وهو مشرف عليها (أفلا تبصرون) هذا الملك العظيم وقوتي وضعف موسى (أم انا خير من هذا الذي هو مهين) اي ضعيف حقير يعني به موسى قال سيبويه والخليل عطف انا بأم على قوله أفلا تبصرون لأنّ معنى أم انا خير معنى ام تبصرون فكأنه قال أفلا تبصرون ام تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير منه فقد صاروا بصراء عنده وقيل المهين الفقير الذي يمتهن نفسه في جميع ما يحتاج اليه ليس له من يكفيه أمره (ولا يكاد يبين) اي ولا يكاد يفصح بكلامه وحججه للعقدة التي في لسانه وقال الحسن كانت العقدة زالت عن لسانه حين أرسله الله كما قال مخبرا عن نفسه واحلل عقدة من لساني ثم قال قد أوتيت سؤلك يا موسى وإنما عيره بما كان في لسانه قبل وقيل كان في لسانه لثغة فرفعه الله تعالى وبقي فيه ثقل عن الجبائي (فلولا القي عليه اسورة من ذهب) اي هلا طرح عليه اسورة من ذهب ان كان صادقا في نبوته وكان إذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب (او جاء معه الملائكة مقترنين) متتابعين يعينون على أمره الذي بعث له ويشهدون له بصدقه وقيل متعاضدين متناصرين كل واحد منهم يمالئ صاحبه (فاستخف قومه) ومعناه ان فرعون استخف عقول قومه (فأطاعوه) فيما دعاهم اليه لأنه احتج عليهم بما ليس بدليل وهو قوله أليس لي ملك مصر الى آخره ولو عقلوا لقالوا ليس في ملك الإنسان دلالة على انه محق وليس يجب ان يأتي مع الرسل ملائكة لأن الذي يدل على صدق الرسل هو المعجز دون غيره (انهم كانوا قوما فاسقين) اي خارجين عن طاعة الله تعالى

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قصة موسى (ع) بما قبلها انه لما تقدم السؤال عن احوال الرسل وما جاؤا به اتصل به حديث موسى وعيسى (ع) لأن اهل الكتابين اليهما ينتسبون وقيل انه لما تقدم ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وتكذيب قومه إياه ذكر حديث موسى تسلية له وتطيبا لقلبه صلى الله عليه وآله وسلم

قوله تعالى (٥٥) فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٦) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ (٥٧) وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ (٥٨) وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا

خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (٥٩) إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ (٦٠) وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ

ست آيات

القراءة

قرأ حمزة والكسائي سلفا بضم السين واللام وقرأ الباقون بفتحها وقرأ أهل المدينة وابن عامر والاعشى والبرجمي والكسائي وخلف يصدون بضم الصاد والباقون بكسر الصاد

الحجة

من قرأ سلفا جاز أن يكون جمعا لسلف مثل أسد وأسد ووثن ووثن ومن قرأ سلفا فلأن فعلا قد جاء في حروف يراد بها الكثرة فكأنه اسم من اسماء الجمع قالوا خادم وخدم وطالب وطلب وحارس وحرس و كذلك المثل واحد يراد به الجمع ولذلك عطف على سلف في قوله فجعلناهم سلفا ومثلا ومعنى يصدون ويصدون جميعا يضجون عن ابي عبيدة قال والكسر اجود ويقال صد عن كذا فيوصل بعن كما قال الشاعر

صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكأس مجراها اليمينا

وصدوا عن سبيل الله فمن ذهب في يصدون إلى معنى يعدلون كان المعنى إذا قومك منه اي من أجل المثل يصدون ولم يوصل يصدون بعن ومن قال يصدون يضجون جعل من متصلة بيضج كما تقول يضج من كذا وقال بعض المفسرين معنى يصدون يضجون والمعنى انه لما نزل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآية لأنها اتخذت آلهة وعبدت فعيسى في حكمهم قال ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك في هذا الذي قالوه منه يضحكون لما أتوا به من عندهم من تسويتهم بين عيسى وبين آلهتهم وما ضربوه إلا إرادة للمجادلة لأنهم قد علموا ان المراد بحصب جهنم ما اتخذوا من الموات

اللغة

يقال أسفه فأسف يأسف اسفا اي اغضبه فغضب واحزنه فحزن ويقال الاسف الغيظ من المغتم إلا انه هاهنا بمعنى الغضب والسلف المتقدم على غيره قبل مجيء وقته ومنه السلف في البيع والسلف نقيض الخلف والجدل مقابلة الحجة بالحجة وقيل الجدل اللدد في الخصام واصله من جدل الحبل وهو شدة فتله ورجل مجدول الخلق اي شديده وقيل أصله من الجدالة وهي الارض كأن كل واحد من الخصمين يروم القاء صاحبه على الجدالة

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن انتقامه من فرعون وقومه فقال (فلما اسفونا) اي اغضبونا عن ابن عباس ومجاهد وغضب الله سبحانه على العصاة ارادة عقوبتهم ورضاه عن المطيعين ارادة ثوابهم الذي يستحقونه على طاعتهم وقيل معناه اسفوا رسلنا لأن الأسف بمعنى الحزن لا يجوز على الله سبحانه (انتقمنا منهم) اي انتقمنا لاوليائنا منهم (فأغرقناهم اجمعين) ما نجا منهم احد (فجعلناهم سلفا) اي متقدمين إلى النار (ومثلا) اي عبرة وموعظة (للآخرين) اي لمن جاء بعدهم يتعظون بهم والمعنى ان حال غيرهم يشبه حالهم إذا اقاموا على العصيان (ولما ضرب ابن مريم مثلا) اختلف في المراد به على وجوه أحدها ان معناه ولما وصف ابن مريم شبها

في العذاب بالآلهة اي فيما قالوه على زعمهم وذلك انه لما نزل قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون قد رضينا بأن تكون آلهتنا حيث يكون عيسى وذلك قوله (إذا قومك منه يصدون) اي يضجون ضجيج المجادلة حيث خاصموك وهو قوله (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) اي ليست آلهتنا خيرا من عيسى فإن كان عيسى في النار بأنه يعبد من دون الله فكذلك آلهتنا عن ابن عباس ومقاتل ✽ وثانيها ✽ ان معناه لما ضرب الله المسيح مثلا بآدم في قوله ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب اي من قدر على ان ينشئ آدم من غير أب وأم قادر على انشاء المسيح من غير أب اعترض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك قوم من كفار قريش فنزلت هذه الآية ✽ وثالثها ✽ ان معناه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما مدح المسيح وأمه وانه كآدم في الخاصية قالوا ان محمدا يريد ان نعبده كما عبدت النصارى عيسى عن قتادة ✽ ورابعها ✽ ما رواه سادة اهل البيت عن علي عليه وعليهم افضل الصلوات انه قال جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما فوجدته في ملأ من قريش فنظر إلي ثم قال يا علي إنما مثلك في هذه الأمة كمثل عيسى بن مريم احبه قوم فأفرطوا في حبه فهلكوا وابغضه قوم فأفرطوا في بغضه فهلكوا واقتصد فيه قوم فنجوا فعظم ذلك عليهم فضحكوا وقالوا يشبهه بالانبياء والرسل فنزلت الآية وقالوا أآلهتنا خير أم هو اي آلهتنا أفضل ام المسيح فإذا كان المسيح في النار رضينا ان تكون آلهتنا معه عن السدي وابن زيد وقيل معناه ان آلهتنا خير من المسيح فإذا عبد المسيح جاز ان تعبد آلهتنا عن الجبائي وقيل هو كناية عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى آلهتنا خير من محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو يأمرنا بأن نعبده كما عبد النصارى المسيح ونطيعه ونترك آلهتنا عن قتادة وقال علي بن عيسى معنى سؤالهم بقولهم أآلهتنا خير ام هو انهم الزموا ما لا يلزم على ظن منهم وتوهم كأنهم قالوا ومثلنا فيما نعبد مثل ما يعبد المسيح فأيما خير عبادة آلهتنا ام عبادة المسيح على انه ان قال عبادة المسيح أقر بعبادة غير الله وكذلك ان قال عبادة الاوثان وان قال ليس في عبادة المسيح خير قصر به عن المنزلة التي أبين لأجلها من سائر العباد وجوابهم عن ذلك ان اختصاص المسيح بضرب من التشريف والانعام عليه لا يوجب العبادة له كما لا يوجب ان ينعم عليه بأعلى مراتب النعمة (ما ضربوه لك إلا جدلا) اي ما ضربوا هذا المثل لك إلا ليجادلوا به ويخاصموك ويدفعوك به عن الحق لأن المتجادلين لا بد ان يكون احدهما مبطلا بخلاف المتناظرين لأن المناظرة قد تكون بين المحقين (بل هم قوم خصمون) اي جدلون في دفع الحق بالباطل ثم وصف سبحانه المسيح فقال (ان هو إلا عبد انعمنا عليه) اي ما هو إلا عبد انعمنا عليه بالخلق من غير اب وبالنبوة (وجعلناه مثلا لبني إسرائيل) اي آية لهم ودلالة يعرفون بها قدرة الله تعالى على ما يريد حيث خلقه من غير أب فهو مثل لهم يشبهون به ما يرون من اعاجيب صنع الله ثم قال سبحانه دالا على كمال قدرته وعلى انه لا يفعل إلا الاصلح (ولو نشاء لجعلنا منكم) اي بدلا منكم معاشر بني آدم (ملائكة في الارض يخلفون) بني آدم اي يكونون خلفاء منهم والمعنى لو نشاء اهلكنا كم وجعلنا الملائكة بدلكم سكان الأرض يعمرونها ويعبدون الله ومثل قوله منكم في الآية ما في قول الشاعر

فليت لنا من ماء زمزم شربة ... مبردة باتت على الطهيان

وقيل معناه ولو نشاء لجعلنا كم أيها البشر ملائكة فيكون من باب التجريد وفيه إشارة إلى قدرته على تغيير بنية البشر الى بنية الملائكة يخلفون اي يخلف بعضهم بعضا

قوله تعالى (٦١) وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٢) وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٣) وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٦٤) إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦٥) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ (خمس آيات)

❋ القراءة ❋

في الشواذ قراءة ابن عباس وقتادة والضحاك وانه لعلم بفتح العين واللام اي امارة وعلامة

❋ المعنى ❋

ثم رجع سبحانه الى ذكر عيسى (ع) فقال (وانه لعلم للساعة) يعني ان نزول عيسى (ع) من اشراط الساعة يعلم بها قربها (فلا تمترن بها) اي بالساعة فلا تكذبوا بها ولا تشكوا فيها عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والضحاك والسدي وقال ابن جريج اخبرني ابو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يقول سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم تعال صل بنا فيقول لا ان بعضكم على بعض أمراء تكرمة من الله لهذه الأمة اورده مسلم في الصحيح وفي حديث آخر كيف انتم إذا نزل فيكم ابن مريم وامامكم منكم وقيل ان الهاء في قوله وانه يعود إلى القرآن ومعناه ان القرآن لدلالة على قيام الساعة والبعث يعلم به ذلك عن الحسن وقيل معناه ان القرآن لدليل الساعة لأنه آخر الكتب انزل على آخر الأنبياء عن ابي مسلم وقوله (واتبعون هذا صراط مستقيم) معناه واتبعوني فيما آمركم به هذا الذي انا عليه طريق واضح قيم (ولا يصدنكم الشيطان) اي ولا يصرفنكم الشيطان بوساوسه عن دين الله (انه لكم عدو مبين) بين العداوة يدعوكم إلى الضلال الذي هو سبب هلاككم ثم اخبر سبحانه عن حال عيسى (ع) حين بعثه الله نبيا فقال (ولما جاء عيسى بالبينات) اي بالمعجزات الدالة على نبوته وقيل بالانجيل عن قتادة (قال) لهم (قد جئتكم بالحكمة) اي بالنبوة عن عطاء وقيل بالعلم بالتوحيد والعدل والشرائع (ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه) قيل ان المعنى كل الذي تختلفون فيه كقول لبيد « او يخترم بعض النفوس حمامها » اي كل النفوس وقول القطامي

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون من المستعجل الزلل

اي كل حاجته عن ابي عبيدة قال الزجاج والصحيح ان البعض لا يكون في معنى الكل والذي جاء به عيسى في الانجيل انما هو بعض الذي اختلفوا فيه وبين لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا اليه وقول الشاعر «أو يخترم بعض النفوس حمامها » انما يعني نفسه وقيل معناه لأبين لكم ما تختلفون فيه من أمور الدين دون أمور الدنيا (فاتقوا الله) بأن تجتنبوا معاصيه وتعملوا بالطاعات (واطيعون) فيما ادعوكم اليه (ان الله هو ربي وربكم الذي) تحق له العبادة (فاعبدوه)خالصا ولا تشركوا به شيئا (هذا صراط مستقيم) يفضي بكم إلى الجنة وثواب الله (فاختلف الاحزاب من بينهم) يعني اليهود والنصارى اختلفوا في أمر عيسى (فويل للذين ظلموا من عذاب يوم اليم) قد مر تفسير الآية في سورة مريم

قوله تعالى (٦٦) هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٧) ٱلْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ (٦٨) يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٩) ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٧٠) ٱدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧١) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧٢) وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٣) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٤) إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٥) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ عشر آيات

❋ القراءة ❋

قرأ اهل المدينة وابن عامر وحفص ما تشتهيه الانفس بزيادة الهاء والباقون تشتهي الأنفس بحذف الهاء

❋ الحجة ❋

قال ابو علي حذف هذه الهاء من الصلة في الحسن كإثباتها إلا ان الحذف يرجح على الاثبات بأن عامة هذا النحو في التنزيل جاء على الحذف نحو قوله اهذا الذي بعث الله رسولا وسلام على عباده الذين اصطفى ويقوي الحذف من جهة القياس انه اسم قد طال والاسماء إذا طالت فقد يحذف منها كما يحذف في اشهيباب واحميرار وكما حذفوا من كينونة فكما الزموا الحذف لهذا كذلك حسن ان تحذف الهاء من الصلة

❋ اللغة ❋

الحبور السرور الذي يظهر في الوجه أثره وحبرته اي حسنته والحار الأثر والصحاف جمع صحفة وهي الجام الذي يؤكل فيه الطعام والاكواب جمع كوب وهي اناء على صورة الابريق لا أذن له ولا خرطوم وقيل انه كالكأس للشراب قال الاعشى

صريفية طيب طعمها لها زبد بين كوب ودن

❋ المعنى ❋

قال سبحانه موبخا لهم (هل ينظرون) اي هل ينتظر هؤلاء الكفار بعد ورود الرسل والقرآن (الا الساعة) اي القيامة (ان تأتيهم بغتة) اي فجأة (وهم لا يشعرون) اي لا يدرون وقت مجيئها (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو) ومعناه ان الذين تخالوا وتواصلوا في الدنيا يكون بعضهم اعداء لبعض ذلك اليوم يعني يوم القيامة وهم الذين تخالوا على الكفار والمعصية ومخالفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما يرى كل واحد منهم من العذاب بسبب تلك المصادقة ثم استثنى من جملة الاخلاء المتقين فقال (إلا المتقين) من المؤمنين الموحدين الذين خالّ بعضهم بعضا على الايمان والتقوى فإن تلك الخلة تتأكد بينهم يوم القيامة ولا تنقلب عداوة (ياعباد لا خوف عليكم اليوم) اي يقال لهم وقت الخوف يا عباد لا خوف عليكم من العذاب اليوم (ولا أنتم تحزنون) من فوت الثواب ثم وصف سبحانه عباده وميزهم من غيرهم فقال (الذين آمنوا بآياتنا) اي صدقوا بحججنا ودلائلنا واتبعوها (وكانوا مسلمين) اي مستسلمين لأمرنا خاضعين منقادين والذين آمنوا في محل النصب على البدل

من عبادي والصفة له ثم بين سبحانه ما يقال لهم بقوله (ادخلوا الجنة انتم وأزواجكم) اللاتي كن مؤمنات مثلكم وقيل يعني أزواجهم من الحور العين في الجنة (تحبرون) اي تسرون وتكرمون وقد مر تفسيره في سورة الروم (يطاف عليهم بصحاف) اي بقصاع (من ذهب) فيها الوان الاطعمة (وا كواب)اي كيزان لا عرى لها وقيل بانية مستديرة الرأس اكتفى سبحانه بذكر الصحاف والأكواب عن ذكر الطعام والشراب (وفيها) اي وفي الجنة (ما تشتهي الانفس) من أنواع النعيم المشروبة والمطعومة والملبوسة والمشمومة وغيرها (وتلذ الاعين) اي وما تلذه العيون بالنظر اليه وإنما أضاف الالتذاذ إلى الأعين وإنما الملتذ على الحقيقة هو الانسان لأن المناظر الحسنة سبب من أسباب اللذة فإضافة اللذة إلى الموضع الذي يلذ الإنسان به احسن لما في ذلك من البيان مع الإيجاز وقد جمع الله سبحانه بقوله ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ما لو اجتمع الخلائق كلهم على أن يصفوا ما في الجنة من انواع النعيم لم يزيدوا على ما انتظمته هاتان الصفتان (وأنتم فيها) اي في الجنة وانواع من الملاذ (خالدون) اي دائمون مؤبدون (وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون) اي اعطيتموها بأعمالكم قال ابن عباس الكافر يرث نار المؤمن والمؤمن يرث جنة الكافر وهذا كقوله أولئك هم الوارثون (لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون) جمع لهم بين الطعام والشراب والفواكه وبين دوام ذلك فهذه غاية الأمنية ثم اخبر سبحانه عن احوال اهل النار فقال (ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون) دائمون (لا يفتر عنهم) العذاب اي لا يخفف عنهم (وهم فيه مبلسون) آيسون من كل خير

قوله تعالى (٧٦) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٧) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (٧٨) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٩) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ (٨٠) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨١) قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨٢) سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٨٣) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٨٤) وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (٨٥) وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير واهل الكوفة غير عاصم الا يحيى وروح عن يعقوب واليه يرجعون بالياء والباقون بالتاء وفي الشواذ قراءة ابن مسعود ويحيي والاعمش يامال وروي ذلك عن علي (ع) وقراءة ابي عبد الرحمن اليماني فأنا أول العبدين بغير الف والقراءة المشهورة العابدين

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة الياء في يرجعون ان قبله غيبة وهو قوله فذرهم يخوضوا ويلعبوا وحجة التاء ان يراد

به مع الغيبة مخاطبون فغلب الخطاب على الغيبة او يكون على قل لهم واليه ترجعون وقوله يا مال على المذهب المألوف في الترخيم قال الشاعر

فأبلغ مالكا عني رسولا   وما يغني الرسول لديك مال

اي يا مالك قال ابن جني وفي هذا الموضع سر وهو انهم لعظم ما هم فيه خفيت قواهم وصغر كلامهم فكان هذا في موضع الاختصار وقوله انا أول العابدين من قولهم عبدت من الامر اعبد عبدا اي انفت منه قال الفرزدق

أولئك قومي ان هجوني هجوتهم   واعبد ان تهجى كليب بدارم

ولكن نصفا إن سببت وسبني   بنو عبد شمس من قريش وهاشم

❊ الإعراب ❊

قوله وهو الذي في السماء إله ارتفع إله بكونه خبر مبتدأ محذوف من الصلة وتقديره وهو الذي هو في السماء إله وفي السماء يتعلق بقوله إله وموضعه نصب به وان كان مقدما عليه وعنده علم الساعة اي علم وقوع الساعة فالمصدر مضاف إلى المفعول اي بعلم وقوع الساعة

❊ المعنى ❊

لما بين سبحانه ما يفعله بالمجرمين بين انه لم يظلمهم بذلك فقال (وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين) نفوسهم بما جنوا عليها من العذاب (ونادوا يا مالك) اي ويدعون خازن جهنم فيقولون يا مالك (ليقض علينا ربك) اي ليميتنا ربك حتى نتخلص ونستريح من هذا العذاب (قال) اي فيقول مالك مجيبا لهم (انكم ماكثون) اي لابثون دائمون في العذاب قال ابن عباس والسدي إنما يجيبهم مالك بذلك بعد الف سنة وقال عبد الله بن عمر بعد اربعين عاما (لقد جئنا كم) اي يقول الله تعالى لقد أرسلنا اليكم الرسل (بالحق) اي جاءكم رسلنا بالحق وأضافه إلى نفسه لأنه كان بأمره وقيل هو من قول مالك وانما قال لقد جئناكم لأنه من الملائكة وهم من جنس الرسل وعن الجبائي (ولكن أكثركم) معاشر الخلق (للحق كارهون) لأنكم ألفتم الباطل فكرهتم مفارقته (ام ابرموا أمرا فإنا مبرمون) اي بل احكموا أمرا في كيد محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمكر به فإنا مبرمون اي محكمون أمرا في مجازاتهم (ام يحسبون) اي بل أيظن هؤلاء الكفار (انا لا نسمع سرهم ونجواهم) اي ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم والسر مايضمره الانسان في نفسه ولا يظهره لغيره والنجوى ما يحدث به المحدث غيره في الخفية (بلى) نسمع ذلك وندركه (ورسلنا لديهم يكتبون) ما يقولونه ويفعلونه يعني الحفظة وسبب نزول الآية مذكور في تفسير أهل البيت (ع) (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) اختلف في معناه على اقوال ❊ احدها ❊ ان معناه ان كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم فأنا أول العابدين اي أول من عبد الله وحده فقد دفع ان يكون له ولد والمعنى فأنا أول الموحدين لله المنكرين لقولكم عن مجاهد ❊ وثانيها ❊ أن إن بمعنى ما النفي والمعنى ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لله المقرين بذلك عن ابن عباس وقتادة وابن زيد ❊ وثالثها ❊ ان معناه لو كان له ولد لكنت انا أول الآنفين من عبادته لأن من كان له ولد لا يكون إلا جسما محدثا ومن كان كذلك لا يستحق العبادة لأنه لا يقدر على النعم التي يستحق بها العبادة عن الجبائي وغيره ❊ ورابعها ❊ انه يقول كما اني لست أول

من عبد الله فكذلك ليس لله ولد وهذا كما تقول ان كنت كاتبا فأنا حاسب يريد لست كاتبا ولا انا حاسب عن سفيان بن عيينة * وخامسها * ان معناه لو كان له ولد لكنت أول من يعبده بأن له ولدا ولكن لا ولد له عن السدي وابي مسلم وهذا كما يقال لو دعت الحكمة إلى عبادة غيره لعبدته لكن الحكمة لا تدعو إلى عبادة غيره ولو دل الدليل على ان له ولدا لقلت به ولكنه لا يدل فهذا تحقيق لنفي الولد وتبعيد له لأنه تعليق محال بمحال ثم نزه سبحانه نفسه عن ذلك فقال (سبحان رب السموات والأرض ورب العرش عما يصفون) أي تنزيها لمالك السموات والأرض وخالقهن وخالق العرش ومدبره عما يصفونه به من اتخاذ الولد لأن من قدر على ذلك استغنى عن اتخاذ الولد ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على وجه التهديد للكفار فقال (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) في دنياهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) فيه بعذاب الأبد وهو يوم القيامة (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) أي هو الذي تحق له العبادة في السماء وتحق له العبادة في الارض وإنما كرر لفظ إله لأمرين * أحدهما * التأكيد ليتمكن المعنى في النفس * والثاني * لأن المعنى هو إله في السماء يجب على الملائكة عبادته وإله في الأرض يجب على الإنس والجن عبادته (وهو الحكيم) في جميع أفعاله (العليم) بمصالح عباده (وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما) أي دامت بركته فمنه البركات واتصال السعادات وجل عن ان يكون له ولد اوشبيه من له التصرف في السموات والأرض وفيما بينهما بلا دافع ولا منازع (وعنده علم الساعة) أي علم يوم القيامة لأنه لا يعلم وقته على التعيين غيره (واليه ترجعون) يوم القيامة فيجازي كلا على قدر عمله

قوله تعالى (٨٦) وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ٱلشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٨٧) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٨٨) وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ (٨٩) فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ اربع آيات

* القراءة *

قرأ عاصم وحمزة وقيله بالجر والباقون بالنصب وفي الشواذ قراءة الاعرج ومجاهد وقيله بالرفع وقرأ اهل المدينة والشام فسوف تعلمون بالتاء والباقون بالياء

* الحجة *

قال ابو علي وجه الجر في وقيله انه معطوف على قوله وعنده علم الساعة وعلم قيله أي يعلم الساعة ومن يصدق بها ويعلم قيله ومعنى يعلم قيله أي يعلم ان الدعاء مندوب اليه نحو قوله ادعوني أستجب لكم وادعوا ربكم تضرعا وخفية وأما من نصب حمله على موضع وعنده علم الساعة لأن الساعة مفعول بها وليست بظرف فالمصدر مضاف إلى المفعول به ومثل ذلك قوله

قد كنت داينت بها حسانا مخافة الإفلاس والليانا
يحسن بيع الأصل والقيانا

فكما ان القيان والليان محمولان على ما اضيف اليه المصدر من المفعول به فكذلك قوله تعالى وعنده علم الساعة لما كان معناه يعلم الساعة حملت قيله على ذلك ويجوز ان تحمله على يقول قبله فيدل انتصاب المصدر

على فعله و كذلك قول كعب

يسعى الوشاة جنابيها وقيلهم انك يا ابن ابي سلمى لمقتول

أي ويقولون حقا ووجه ثالث ان يحمل على قوله يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله ومن قرأ وقيله بالرفع احتمل ضربين ﴿ احدهما ﴾ ان يجعل الخبر وقيله قيل يا رب فيحذف ﴿ والآخر ﴾ ان يجعل الخبر وقيله يا رب مسموع ومتقبل فيا رب منصوب الموضع بقيله المذكور وعلى القول الآخر بقيله المضمر وهو من صلته ولا يمتنع ذلك من حيث امتنع ان يحذف بعض الموصول ويبقى بعضه لأن حذف القول قد كثر حتى صار بمنزلة المذكور وقد يحتمل بيت كعب الرفع على هذين الوجهين وقال ابن جني هو معطوف على علم اي وعلم قيله فحذف المضاف فالمصدر الذي قيل مضاف إلى الهاء الذي هو مفعول في المعنى والتقدير وعنده علم ان يقال يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون ومن قرأ فسوف تعلمون بالتاء فالوجه فيه انه على تقدير قل لهم فسوف تعلمون ووجه الياء ان يحمل على الغيبة التي هي فاصفح عنهم وقوله وقل سلام تقديره وقل أمرنا وأمركم سلام اي متاركة

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه انه لا شفاعة لمعبوديهم فقال (ولا يملك الذين يدعون من دونه) اي الذي يدعوه الكفار إلها ويوجهون عبادتهم اليه من الأصنام وغيرها (الشفاعة) لمن يعبدهم كما توهمه الكفار وهي مسألة الطالب العفو عن غيره واسقاط العقاب عنه (إلا من شهد بالحق) وهم عيسى بن مريم وعزير والملائكة استثناهم سبحانه ممن عبد من دون الله فإن لهم عند الله منزلة الشفاعة عن قتادة وقيل معناه لا يملك أحد من الملائكة وغيرهم الشفاعة إلا لمن شهد بالحق أي شهد ان لا إله إلا الله وذلك ان النضر بن الحارث ونفراً من قريش قالوا ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن نتولى الملائكة وهم احق بالشفاعة لنا منه فنزلت الآية فالمعنى انهم يشفعون للمؤمنين بإذن الله (وهم يعلمون) اي يعلمون بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وفي هذا دلالة على ان حقيقة الإيمان هو الاعتقاد بالقلب والمعرفة لأن الله شرط مع الشهادة العلم وهو ما اقتضى طمأنينة القلب إلى ما اعتقده بحيث لا يتشكك إذا شكك ولا يضطرب إذا حرك (ولئن سألتهم) يا محمد (من خلقهم) أي أخرجهم من العدم إلى الوجود (ليقولن الله) لأنهم يعلمون ضرورة ان اصنامهم لم تخلقهم (فأنى يؤفكون) اي فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره (وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) قال قتادة هذا نبيكم يشكو قومه إلى ربه وينكر عليهم تخلفهم عن الإيمان وذكر ان قراءة عبد الله وقال الرسول يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون وعلى هذا فالهاء في وقيله يعود إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم (فاصفح عنهم) اي فأعرض عنهم يا محمد بصفح وجهك كما قال واعرض عن الجاهلين (وقل سلام) اي مداراة ومتاركة وقيل هو سلام هجران ومجانبة لا سلام تحية و كرامة كقوله سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقيل معناه قل ما تسلم به من شرهم وأذاهم وهذا منسوخ بآية السيف عن قتادة وقيل معناه فاصفح عن سفههم ولا تقابلهم بمثله . ندبه سبحانه إلى الحلم فلا يكون منسوخا عن الحسن ثم هددهم سبحانه بقوله (فسوف يعلمون) يعني يوم القيامة إذا عاينوا ما يحل بهم من العذاب

سورة الدخان (مكية)

عدد آيها

تسع وخمسون آية كوفي سبع بصري ست في الباقين

اختلافها

اربع آيات حم وان هؤلاء ليقولون كوفي شجرة الزقوم عراقي شامي والمدني الأول في البطون عراقي مكي والمدني الأخير

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن قرأ الدخان في ليلة الجمعة غفر له. ابوهريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ سورة الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون الف ملك. وعنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأها في ليلة الجمعة اصبح مغفورا له. ابوامامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأ سورة الدخان ليلة الجمعة ويوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة. وروى ابو حمزة الثمالي عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ سورة الدخان في فرائضه ونوافله بعثه الله من الآمنين يوم القيامة وأظله تحت عرشه وحاسبه حسابا يسيرا واعطي كتابه بيمينه

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة الزخرف بالوعيد والتهديد وافتتح هذه السورة ايضا بمثل ذلك في الانذار بالعذاب الشديد فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) حمٓ (٢) وَٱلْكِتَابِ ٱلْمُبِينِ (٣) إِنَّآ أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٤) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٥) أَمْراً مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٦) رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ (٧) رَبِّ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ (٨) لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَآئِكُمُ ٱلأَوَّلِينَ (٩) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ (١٠) فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ (١١) يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ احدى عشرة آية كوفي في غيرهم

(القراءة)

قرأ اهل الكوفة رب السموات بالجر والباقون بالرفع

(الحجة)

الرفع فيه على احد امرين اما ان يكون خبر مبتدأ محذوف أي هو رب السموات واما ان يكون مبتدأ وخبره الجملة التي عاد الذكر منها اليه وهو قوله لا إله إلا هو ويقويه قوله رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو ومن قرأ بالجر جعله بدلا من ربك المتقدم ذكره قال ابو الحسن الرفع احسن وبه يقرأ

﴿ الإعراب ﴾

انا كنا منذرين جواب القسم دون قوله انا أنزلناه لأنك لا تقسم بالشيء على نفسه فإن القسم تأكيد خبر بخبر آخر فقوله إنا أنزلناه في ليلة مباركة اعتراض بين القسم وجوابه. أمراً من عندنا في انتصابه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان يكون نصبا على الحال وتقديره انا انزلناه امرين امراً كما يقال جاء فلان مشيا وركضا أي ماشيا وراكضا وعلى هذا فيكون مصدراً موضوعا موضع الحال وهذا اختيار الأخفش ويجوز ان يكون تقديره ذا أمر فحذف المضاف كما قال ولكن البر بمعنى ذا البر ﴿ والثاني ﴾ ان يكون منصوبا على المصدر لأن معنى قوله فيها يفرق فيها يؤمر قد دل يفرق على يؤمر وقوله رحمة منصوب على انه مفعول له اي انزلناه للرحمة وقال الاخفش هو منصوب على الحال اي راحمين رحمة

﴿ المعنى ﴾

(حم) مر بيانه (والكتاب المبين) اقسم سبحانه بالقرآن الدال على صحة نبوة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وفيه بيان الأحكام والفصل بين الحلال والحرام وجواب القسم (إنا انزلناه في ليلة مباركة) اي إنا انزلنا القرآن والليلة المباركة هي ليلة القدر عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله «ع» وقيل هي ليلة النصف من شعبان عن عكرمة والأصح الأول ويدل عليه قوله إنا انزلناه في ليلة القدر وقوله شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن واختلف في كيفية انزاله فقيل انزل إلى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم انزل نجوما إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل انه كان ينزل جميع ما يحتاج في كل سنة في تلك الليلة ثم كان ينزلهم جبرائيل (ع) شيئا فشيئا وقت وقوع الحاجة اليه وقيل كان بدء انزاله في ليلة القدر وروي عن ابن عباس انه قال قد كلم الله جبرائيل في ليلة واحدة وهي ليلة القدر فسمعه جبرائيل وحفظه بقلبه وجاء به إلى السماء الدنيا إلى الكتبة و كتبوه ثم نزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنجوم في ثلاث وعشرين سنة وقيل في عشرين سنة وانما وصف الله سبحانه هذه الليلة بأنها مباركة لأن فيها يقسم الله نعمه على عباده من السنة إلى السنة فتدوم بركاتها والبركة نماء الخير وضدها الشؤم وهو نماء الشر فالليلة التي انزل فيها كتاب الله مباركة ينمى الخير فيها على ما دبر الله سبحانه لها من علو مرتبتها واستجابة الدعاء فيها (إنا كنا منذرين) اي مخوفين بما انزلناه من تعذيب العصاة والانذار الاعلام بموضع الخوف ليتقى وموضع الأمن ليجتبى فالله عز اسمه قد انذر عباده بأتم الانذار من طريق العقل والسمع (فيها يفرق كل امر حكيم) اي في هذه الليلة يفصل ويبين والمعنى يقضى كل امر محكم لا تلحقه الزيادة والنقصان وهو انه يقسم فيها الآجال والأرزاق وغيرها من امور السنة إلى مثلها من العام القابل عن ابن عباس والحسن وقتادة وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال انك لترى الرجل يمشي في الاسواق وقد وقع اسمه في الموتى وقال عكرمة هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امر السنة وينسخ الاحياء من الأموات ويكتب الحاج فلا يزيد فيهم احد ولا ينقص منهم احد (أمرا من عندنا) معناه إنا نأمر ببيان ذلك ونسخه من اللوح المحفوظ (انا كنا مرسلين) محمدا إلى عبادنا كمن كان قبله من الانبياء (رحمة من ربك) اي رأفة منا بخلقنا ونعمة منا عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل عن ابن عباس (انه هو السميع) لمن دعاه من عباده (العليم) بمصالحهم (رب السموات والأرض) اي خالقهما ومدبرهما (وما بينهما ان كنتم موقنين) بهذا الخبر محققين له وهو انه (لا إله إلا هو) لا يستحق

العبادة سواه (يحيي) الخلق بعد موتهم (ويميت) أي ويميتهم بعد احيائهم (ربكم) الذي خلقكم ودبركم (ورب آبائكم الأولين) الذين سبقوكم ثم ذكر سبحانه الكفار فقال ليس هؤلاء بموقنين بما قلناه (بل هم في شك) مما اخبرناك به (يلعبون) مع ذلك ويستهزؤون بك وبالقرآن إذا قرئ عليهم عن الجبائي وقيل يلعبون اي يشتغلون بالدنيا ويترددون في احوالها ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (فارتقب) أي فانتظر يا محمد (يوم تأتي السماء بدخان مبين) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا على قومه لما كذبوه فقال اللهم سنينا كسني يوسف فأجدبت الأرض فأصابت قريشاً المجاعة وكان الرجل لما به من الجوع يرى بينه وبين السماء كالدخان وأكلوا الميتة والعظام ثم جاؤوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا يا محمد جئت تأمر بصلة الرحم وقومك قد هلكوا فسأل الله تعالى لهم بالخصب والسعة فكشف عنهم ثم عادوا إلى الكفر عن ابن مسعود والضحاك وقيل ان الدخان آية من اشراط الساعة تدخل في مسامع الكفار والمنافقين وهو لم يأت بعد وانه يأتي قبل قيام الساعة فيدخل اسماعهم حتى ان رؤوسهم تكون كالرأس الحنيذ ويصيب المؤمن منه مثل الزكمة وتكون الأرض كلها كبيت اوقد فيه ليس فيه خصاص ويمكث ذلك اربعين يوما عن ابن عباس وابن عمر والحسن والجبائي (يغشى الناس) يعني ان الدخان يعم جميع الناس وعلى القول الأول المراد بالناس أهل مكة وهم الذين يقولون (هذا عذاب اليم) اي موجع مؤلم .

قوله تعالى(١٢) رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ (١٣) أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ (١٤) ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ (١٥) إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ (١٦) يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ (١٧) وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ (١٨) أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٩) وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢٠) وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ (٢١) وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ عشر آيات

(الاعراب)

يوم نبطش منصوب بقوله انا كاشفو العذاب قليلا ويجوز ان ينتصب بمضمر دل عليه منتقمون ولا ينتصب بقوله منتقمون لأن ما بعد ان لا يعمل فيما قبله

المعنى

ثم لما اخبر سبحانه ان الدخان يغشى الناس عذابا لهم وانهم قالوا ويقولون على ما فيه من الخلاف هذا عذاب اليم حكى عنهم ايضا قولهم (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن قال سبحانه (أنى لهم الذكرى) اي من أين لهم التذكر والاتعاظ وكيف يتذكرون ويتعظون (وقد جاءهم رسول مبين) اي وحالهم انهم قد جاءهم رسول ظاهر الصدق والدلالة (ثم تولوا عنه) اي اعرضوا عنه ولم يقبلوا قوله (وقالوا معلم مجنون) اي هو معلم يعلمه بشر مجنون بادعاء النبوة ثم قال سبحانه (انا كاشفوا العذاب) اي عذاب الجوع والدخان (قليلا) اي زمانا قليلا يسيرا إلى يوم بدر عن مقاتل (انكم عائدون)

في كفركم وتكذيبكم فلما كشف الله سبحانه ذلك عنهم بدعاء النبي ﷺ واستسقائه لهم عادوا إلى تكذيبه هذا على تأويل من قال إن ذلك الدخان كان وقت النبي ﷺ فأما على القول الآخر فمعناه انكم عائدون إلى العذاب الأكبر وهو عذاب جهنم والقليل مدة ما بين العذابين (يوم نبطش البطشة الكبرى) اي واذكر لهم ذلك اليوم يعني يوم بدر على القول الأول قالوا لما كشف عنهم الجوع عادوا إلى التكذيب فانتقم الله منهم يوم بدر وعلى القول الآخر البطشة الكبرى تكون يوم القيامة والبطش هو الأخذ بشدة وقع الألم (انا منتقمون) منهم ذلك اليوم ثم قال سبحانه (ولقد فتنا قبلهم) اقسم سبحانه انه فتن قبل كفار قوم النبي ﷺ (قوم فرعون)اي اختبرهم وشدد عليهم التكليف لأن الفتنة شدة التعبد واصلها الاحراق بالنار لخلاص الذهب من الغش وقيل إن الفتنة معاملة المختبر ليجازى بما يظهر دون ما يعلم مما لا يظهر (وجاءهم رسول كريم) اي كريم الاخلاق والافعال بالتجاوز والصفح والدعاء الى الصلاح والرشد وقيل كريم عند الله بما استحق بطاعته من الإكرام والإعظام وقيل كريم شريف في قومه من بني اسرائيل (ان ادوا الي عباد الله) هذا من قول موسى (ع) لفرعون وقومه والمعنى اطلقوا بني اسرائيل من العذاب والتسخير فإنهم احرار فهو كقوله فارسل معي بني اسرائيل فيكون عباد الله مفعول ادوا وقال الفراء معناه ادوا إلي ما أمركم به يا عباد الله (اني لكم رسول أمين) على ما اؤديه وادعوكم اليه (وان لا تعلوا على الله) اي لا تتجبروا على الله بترك طاعته عن الحسن وقيل لا تتكبروا على اولياء الله بالبغي عليهم وقيل لا تبغوا عليه بكفران نعمه وافتراء الكذب عليه عن ابن عباس وقتادة (إني آتيكم بسلطان مبين) اي بحجة واضحة يظهر الحق معها وقيل بمعجز ظاهر يبين صحة نبوتي وصدق مقالتي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل والرجم فقال (وإني عذت بربي وربكم) اي لذت بمالكي ومالككم والتجأت اليه (أن ترجمون) اي من ان ترموني بالحجارة عن قتادة وقيل إن الرجم الذي استعاذ منه موسى هو الشتم كقولهم هو ساحر كذاب ونحوه عن ابن عباس وابي صالح (وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون) اي إن لم تصدقوني فاتركوني لا معي ولا علي وقيل معناه فاعتزلوا أذاي عن ابن عباس

قوله تعالى (٢٢) فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ (٢٣) فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (٢٤) وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ (٢٥) كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٦) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٧) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ (٢٩) فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ثماني آيات

اللغة

الرهو السهل الساكن يقال عيش راه أي خافض وادع قال الشاعر

يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ... ولا الصدور على الاعجاز تتكل

وقيل الرهو الدمث ليس برمل ولا حزن عن الازهري يقال جاءت الخيل رهوا أي مسابقة قال ابن الاعرابي الرهو من الطير والخيل السراع قال الشاعر

طيرا رأت بازيا نضخ الدماء به ... وأمة خرجت رهوا إلى عيد

﴿ الإعراب ﴾

رهوا نصب على الحال من البحر ويكون حالا بعد الفراغ من الفعل كقولهم قطعت الثوب قباء وهذا يدل على ان البحر كان قبل تركه وبعد تركه رهوا و كم في قوله كم تركوا في موضع نصب بأنه صفة موصوف محذوف وهو مفعول تركوا وتقديره شيئا كثيرا تركوا كذلك خبر مبتدأ محذوف أي الأمر كذلك

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه تمام قصة موسى بأن قال (فدعا ربه) أي فدعا موسى ربه حين يئس من قومه أن يؤمنوا به فقال (إن هؤلاء قوم مجرمون) اي مشركون لا يؤمنون عن الكلبي ومقاتل فكأنه قال اللهم عجل لهم مما يستحقونه بكفرهم ما يكونون به نكالاً لمن بعدهم وما دعا عليهم إلا بعد أن أذن له في ذلك وقوله (فأسر بعبادي ليلا) الفاء وقعت موقع الجواب والتقدير فأجيب بأن قيل له فأسر بعبادي امره سبحانه ان يسير بأهله وبالمؤمنين به ليلا حتى لا يردهم فرعون إذا خرجوا نهارا وأعلمه بأنه سيتبعهم فرعون بجنوده بقوله (انكم متبعون واترك البحر رهوا) اي ساكنا على ما هو به إذا قطعته وعبرته وكان قد ضربه بالعصا فانفلق لبني اسرائيل فأمره الله سبحانه أن يتركه كما هو ليغرق فرعون وقومه عن ابن عباس ومجاهد وقيل رهوا أي منفتحاً منكشفاً حتى يطمع فرعون في دخوله عن ابي مسلم قال قتادة لما قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم وخاف ان يتبعه فرعون وجنوده فقيل له واترك البحر رهوا أي كما هو طريقا يابساً (انهم جند مغرقون) سيغرقهم الله تعالى ثم اخبر سبحانه عن حالهم بعد إهلاكهم فقال (كم تركوا من جنات) رائعة (وعيون) جارية (وزروع) كثيرة (ومقام كريم) أي مجالس شريفة ومنازل خطيرة وقيل هي المناظر الحسنة ومجالس الملوك عن مجاهد وقيل منابر الخطباء عن ابن عباس وقيل المقام الكريم الذي يعطي اللذة كما يعطي الرجل الكريم الصلة عن علي بن عيسى (ونعمة كانوا فيها فاكهين) اي وتنعم وسعة في العيش كانوا بها ناعمين متمتعين كما يتمتع الآكل بأنواع الفواكه (كذلك) قال الكلبي معناه كذلك أفعل بمن عصاني (وأورثناها قوما آخرين) ايراث النعمة تصييرها إلى الثاني بعد الأول بغير مشقة كما يصير الميراث إلى اهله على تلك الصفة فلما كانت نعمة قوم فرعون وصلت بعد هلاكهم إلى غيرهم كان ذلك إيراثا من الله لهم واراد بقوم آخرين بني اسرائيل لأنهم رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون (فما بكت عليهم السماء والارض) اختلف في معناه على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه لم تبك عليهم اهل السماء والارض لكونهم مسخوطا عليهم عن الحسن فيكون مثل قوله حتى تضع الحرب أوزارها اي اصحاب الحرب ونحوه قول الحطيئة

وشر المنايا ميت وسط اهله ... كهلك الفتى قد أسلم الحي حاضره

اي وشر المنايا ميتة ميت وقال ذو الرمة

لهم مجلس صهب السبال اذلة ... سواسية احرارها وعبيدها

أي لهم أهل مجلس ﴿ وثانيها ﴾ انه سبحانه أراد المبالغة في وصف القوم بصغر القدر فإن العرب إذا أخبرت عن عظم المصاب بالهالك قالت بكاه السماء والارض وأظلم لفقده الشمس والقمر قال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز

الشمس طالعة ليست بكاسفة ... تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

اي ليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر لأن عظم المصيبة قد سلبها ضوءها وقال النابغة

تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الإظلام إظلام

(وثالثها) ان يكون ذلك كناية عن انه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرفع منها إلى السماء وقد روي عن ابن عباس انه سئل عن هذه الآية فقيل وهل يبكيان على احد قال نعم مصلاه في الارض ومصعد عمله في السماء وروى انس عن النبي ﷺ قال ما من مؤمن إلا وله باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه فعلى هذا يكون معنى البكاء الاخبار عن الاختلال بعده كما قال مزاحم العقيلي

بكت دارهم من اجلهم فتهللت دموعي فأي الجازعين ألوم

امستعبرا يبكي من الهون والبلى أم آخر يبكي شجوه ويهيم

وقال السدي لما قتل الحسين بن علي بن ابي طالب (ع) بكت السماء عليه وبكاؤها حمرة اطرافها وروى زرارة بن اعين عن ابي عبد الله (ع) انه قال بكت السماء على يحيي بن زكريا وعلى الحسين بن علي عليهما السلام اربعين صباحا ولم تبك إلا عليهما قلت وما بكاؤها قال كانت تطلع حمراء وتغيب حمراء (وما كانوا منظرين) اي عوجلوا بالعقوبة ولم يمهلوا .

قوله تعالى (٣٠) وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣١) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُسْرِفِينَ (٣٢) وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ (٣٤) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (٣٥) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (٣٦) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣٧) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٨) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٩) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٠) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ احدى عشرة آية

الاعراب

من فرعون اي من عذاب فرعون فحذف المضاف ويجوز أن يكون حالا من العذاب المهين اي ثابتا من فرعون فلا يكون على حذف المضاف . اهم خير ام قوم تبع والذين من قبلهم يجوز أن يكون الذين من قبلهم مبتدأ واهلكناهم خبره ويجوز ان يكون منتصبا بفعل مضمر دل عليه اهلكناهم ويجوز أن يكون رفعا بالعطف على قوم تبع فعلى هذا تقف على قبلهم ويكون اهلكناهم في تقدير واهلكناهم اي والمهلكون من قبلهم

المعنى

ثم اقسم سبحانه بقوله (ولقد نجينا بني اسرائيل) الذين آمنوا بموسى (من العذاب المهين) يعني قتل الابناء واستخدام النساء والاستعباد وتكليف المشاق (من فرعون انه كان عاليا) اي متجبرا متكبرا متغلبا (من المسرفين) اي المجاوزين الحد في الطغيان وصفه بأنه عال وان جاز ان يكون عال صفة مدح لأنه قيده بأنه غال في الإسراف لأن العالي في الإحسان ممدوح والعالي في الإساءة مذموم (ولقد اخترناهم)

اي اخترنا موسى وقومه بني اسرائيل وفضلناهم بالتوراة وكثرة الأنبياء منهم (على علم) اي على بصيرة منا باستحقاقهم التفضيل والاختيار (على العالمين) اي على عالمي زمانهم عن قتادة والحسن ومجاهد ويدل عليه قوله تعالى لأمة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كنتم خير امة اخرجت للناس وقيل فضلناهم على جميع العالمين في امر كانوا مخصوصين به وهو كثرة الانبياء منهم (وآتيناهم) اي واعطيناهم (من الآيات) يعني الدلالات والمعجزات مثل فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى (ما فيه بلاء مبين) اي ما فيه النعمة الظاهرة عن الحسن وقيل ما فيه شدة وامتحان مثل العصا واليد البيضاء فالبلاء يكون بالشدة والرخاء عن ابن زيد فيكون في الآيات نعمة على الانبياء وقومهم وشدة على الكفار المكذبين بهم ثم اخبر سبحانه عن كفار قوم نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الذين ذكرهم في اول السورة فقال (إن هؤلاء ليقولون إن هي إلا موتتنا الاولى) اي ما الموتة إلا موتة نموتها في الدنيا ثم لانبعث بعدها وهو قوله (وما نحن بمنشرين) اي بمبعوثين ولا معادين (فأتوا بآبائنا) الذين ماتوا قبلنا وأعيدوهم (إن كنتم صادقين) في ان الله تعالى يقدر على اعادة الاموات واحيائهم وقيل ان قائل هذا ابو جهل بن هشام قال ان كنت صادقا فابعث جدك قصي بن كلاب فإنه كان رجلا صادقا لنسأله عما يكون بعد الموت وهذا القول جهل من ابي جهل من وجهين * احدهما * إن الاعادة انما هي للجزاء لا للتكليف وليست هذه الدار بدار جزاء ولكنها دار تكليف فكأنه قال ان كنت صادقا في اعادتهم للجزاء فأعدهم للتكليف * والثاني * ان الإحياء في دار الدنيا انما يكون للمصلحة فلا يقف ذلك على اقتراحهم لأنه ربما تعلق بذلك مفسدة ولما تركوا الحجة وعدلوا إلى الشبهة جهلا عدل سبحانه في اجابتهم الى الوعيد والوعظ فقال (أهم خير ام قوم تبع) اي أمشركو قريش أظهر نعمة واكثر أموالا واعز في القوة والقدرة أم قوم تبع الحميري الذي سار بالجيوش حتى حير الحيرة ثم اتى سمرقند فهدمها ثم بناها وكان إذا كتب كتب باسم الذي ملك براً وبحراً وضحا وريحا عن قتادة وسمي تبعا لكثرة اتباعه من الناس وقيل سمي تبعا لأنه تبع من قبله من ملوك اليمن والتبابعة اسم ملوك اليمن فتبع لقب له كما يقال خاقان لملك الترك وقيصر لملك الروم واسمه اسعد ابو كرب وروى سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا تسبوا تبعا فإنه كان قد اسلم وقال كعب نعم الرجل الصالح ذم الله قومه ولم يذمه وروى الوليد بن صبيح عن ابي عبد الله (ع) قال ان تبعا قال للاوس والخزرج كونوا ههنا حتى يخرج هذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم أما انا لو ادركته لخدمته وخرجت معه (والذين من قبلهم) يعني من تقدمهم من قوم نوح وعاد وثمود (اهلكناهم) معناه انهم ليسوا بأفضل منهم وقد اهلكناهم بكفرهم وهؤلاء مثلهم بل أولئك كانوا اكثر قوة وعددا فإهلاك هؤلاء ايسر (إنهم كانوا مجرمين) اي كافرين فليحذر هؤلاء ان ينالهم مثل ما نال أولئك (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين) اي لم نخلق ذلك لا لغرض حكمي بل خلقناها لغرض حكمي وهو ان ننفع المكلفين بذلك ونعرضهم للثواب وننفع سائر الحيوانات بضروب المنافع واللذات (ما خلقناهما الا بالحق) اي إلا بالعلم الداعي الى خلقها والعلم لا يدعو الا إلى الصواب والحق وقيل معناه ما خلقناها الا للحق وهو الامتحان بالامر والنهي والتمييز بين المحسن والمسيء لقوله ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا الآية وقيل معناه ما خلقناهما إلا على الحق الذي يستحق به الحمد خلاف الباطل الذي يستحق به الذم (ولكن اكثرهم لا يعلمون) صحة ما قلناه لعدولهم عن النظر فيه والاستدلال على صحته (ان يوم الفصل ميقاتهم

أجمعين) يعني اليوم الذي يفصل فيه بين المحق والمبطل وهو يوم القيامة وقيل معناه يوم الحكم ميقات قوم فرعون وقوم تبع ومن قبلهم ومشركي قريش وموعدهم

قوله تعالى (٤١) يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤٢) إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٤٣) إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٤) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٥) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٦) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ (٤٧) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٨) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٩) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٥٠) إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ عشر آيات

القراءة

قرأ أهل الكوفة وحفص ورويس يغلي بالياء والباقون تغلي بالتاء وقرأ اهل الكوفة وابو جعفر وابو عمرو فاعتلوه بكسر التاء والباقون بضمها وقرأ الكسائي وحده ذق انك بفتح الهمزة والباقون انك بكسرها

الحجة

من قرأ تغلي بالتاء فعلى الشجرة كأن الشجرة تغلي ومن قرأ بالياء حمله على الطعام وهو الشجرة في المعنى ويعتل ويعتل مثل يعكف ويعكف ويفسق ويفسق في انهما لغتان ومعنى فاعتلوه قودوه بعنف ومن قرأ انك بالكسر فالمعنى انك انت العزيز الكريم في زعمك فأجرى ذلك على حسب ما كان يذكره او يذكر به ومن قرأ انك بالفتح فالمعنى ذق بأنك

المعنى

لما ذكر سبحانه ان يوم الفصل ميقات الخلق يحشرهم فيه بيّن أي يوم هو فقال (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا) فالمولى الصاحب الذي من شأنه ان يتولى معونة صاحبه على أموره فيدخل في ذلك ابن العم والناصر والحليف وغيرهم ممن هذه صفته والمعنى ان ذلك اليوم يوم لا يغني فيه ولي عن ولي شيئا ولا يدفع عنه عذاب الله تعالى (ولا هم ينصرون) وهذا لا ينافي ما يذهب اليه اكثر الأمة من اثبات الشفاعة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة (ع) والمؤمنين لأن الشفاعة لا تحصل إلا بامر الله تعالى واذنه والمراد بالآية انه ليس لهم من يدفع عنهم عذاب الله وينصرهم من غير ان يأذن الله له فيه وقد بين ما اشرنا اليه باستثنائه من رحمه منهم فقال (الا من رحم الله) اي إلا الذين رحمهم الله من المؤمنين فإنه إما ان يسقط عقابهم ابتداء او يأذن بالشفاعة فيهم لمن علت درجته عنده فيسقط عقاب المشفوع له لشفاعته (انه هو العزيز) في انتقامه من أعدائه (الرحيم) بالمؤمنين ثم وصف سبحانه ما يفصل به بين الفريقين فقال (إن شجرت الزقوم) وقد مر تفسيره في سورة الصافات (طعام الأثيم) اي الاثم وهو ابو جهل وروي أن ابا جهل اتى بتمر وزبد فجمع بينهما وأكل وقال هذا هو الزقوم الذي يخوفنا محمد به نحن نتزقمه اي نملأ افواهنا به فقال سبحانه (كالمهل)وهو المذاب من النحاس او الرصاص او الذهب او الفضة وقيل هو دردي الزيت (يغلي في البطون كغلي الحميم) اي إذا حصلت في اجواف اهل النار تغلي كغلي الماء الحار الشديد الحرارة قال ابو علي الفارسي لا يجوز ان يكون المعنى يغلي المهل في البطون لأن المهل إنما ذكر للتشبيه به في الذوب

الا ترى ان المهل لا يغلي في البطون وإنما يغلي ما شبه به (خذوه) اي يقال للزبانية خذوا الاثيم (فاعتلوه) اي زعزعوه وادفعوه بعنف ومنه قول الشاعر

فيا ضيعة الفتيان إذ يعتلونه ببطن الشرى مثل الفنيق المسدم

وقيل معناه جروه على وجهه عن مجاهد (إلى سواء الجحيم) اي الى وسط النار عن قتادة وسمي وسط الشيء سواء لاستواء المسافة بينه وبين اطرافه المحيطة به والسواء العدل (ثم صبوا فوق رأسه) قال مقاتل ان خازن النار يضربه على رأسه فيذهب رأسه عن دماغه ثم يصب فيه (من عذاب الحميم) وهو الماء الذي قد انتهى حره ويقول له (ذق انك انت العزيز الكريم) وذلك انه كان يقول انا اعز اهل الوادي واكرمهم فيقول له الملك ذق العذاب أيها المتعزز المتكرم في زعمك وفيما كنت تقوله وقيل انه على معنى النقيض فكأنه قيل انك انت الذليل المهين الا انه قيل على هذا الوجه للاستخفاف به وقيل معناه انك انت العزيز في قومك الكريم عليهم فما اغنى ذلك عنك (ان هذا ما كنتم به تمترون) اي ثم يقال لهم ان هذا العذاب ما كنتم تشكون فيه في دار الدنيا

قوله تعالى (٥١) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥٢) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٣) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٤) كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٥) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٦) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ (٥٧) فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (٥٨) فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٥٩) فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ تسع آيات

القراءة

قرأ اهل المدينة وابن عامر في مقام بالضم والباقون في مقام بالفتح

الحجة

من فتح الميم أراد به المجلس والمشهد كما قال في مقعد صدق ووصفه بالأمن يقوي ان المراد به المكان ومن ضم فإنه يحتمل ان يريد به المكان من اقام فيكون على هذا معنى القراءتين واحد او يجوز ان يجعله مصدراً ويقدر المضاف محذوفا أي موضع إقامة

اللغة

السندس الحرير والاستبرق الديباج الغليظ الصفيق قال الزجاج إنما قيل له استبرق لشدة بريقه والحور جمع حوراء من الحور وهو شدة البياض ومن البيض الوجوه وقال ابو عبيدة الحوراء الشديدة بياض العين الشديدة سوادها والعين جمع العيناء وهي العظيمة العينين

الاعراب

كذلك جار ومجرور في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ التقدير الأمر كذلك. متقابلين نصب على الحال من يلبسون ويلبسون يجوز ان يكون خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون حالا من الظرف الذي هو قوله في

مقام لأن التقدير ان المتقين ثبتوا في مقام ومفعول يلبسون محذوف و تقديره يلبسون ثيابا من سندس فآمنين حال من يدعون. الموتة الأولى نصب على الاستثناء قال الزجاج معناه سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا كقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف المعنى سوى ما قد سلف واقول ان سوى لا يكون إلا ظرفا والا حرف فكيف يكون بمعناه فالأولى ان يكون الا هنا مع ما بعدها صفة او بدلا بمعنى غير تقديره لا يذوقون فيها الموت غير الموتة الاولى إذ الموته الأولى قد انقضت فلا يمكن ان يستثنى من الموت الذي لا يذوقونه في الجنة إذ ليست بداخلة فيه وقوله فضلا من ربك مفعول له تقديره فعل الله ذلك بهم فضلا منه وتفضلا منه ويجوز ان يكون منصوبا بفعل مضمر تقديره واعطاهم فضلا ويجوز ان يكون مصدراً مؤكدا لما قبله لأن ما ذكره قبله تفضل منه سبحانه كقول امرء القيس « ورضت فذلت صعبة أي إذلال » على معنى ذللته أي اذلال فاستغنى عن أذللته بذكر رضت

﴿ المعنى ﴾

ثم عقب سبحانه الوعيد بذكر الوعد فقال (ان المتقين) الذين يجتنبون معاصي الله لكونها قبائح ويفعلون الطاعات لكونها طاعات (في مقام أمين) امنوا فيه الغير من الموت والحوادث وقيل امنوا فيه من الشيطان والأحزان عن قتادة (في جنات وعيون) أي بساتين وعيون ماء نابعة فيها (يلبسون من سندس واستبرق) خاطب العرب فوعدهم من الثياب بما عظم عندهم واشتهته أنفسهم وقيل السندس ما يلبسونه والاستبرق ما يفترشونه (متقابلين) في المجالس لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض بل يقابل بعضهم بعضا وقيل معناه متقابلين بالمحبة لا متدابرين بالبغضة (كذلك) حال اهل الجنة (وزوجناهم بحور عين) قال الأخفش المراد به التزويج المعروف يقال زوجته امرأة وبامرأة وقال غيره لا يكون في الجنة تزويج والمعنى وقرناهم بحور عين (يدعون فيها بكل فاكهة آمنين) أي يستدعون فيها أي ثمرة شاؤوا واشتهوا غير خائفين فوتها آمنين من نفادها ومضرتها وقيل آمنين من التخم والأسقام والأوجاع (لا يذوقون فيها الموت) شبه الموت بالطعام الذي يذاق ويتكره عند المذاق ثم نفى ان يكون ذلك في الجنة وإنما خصهم بأنهم لا يذوقون الموت مع ان جميع اهل الآخرة لا يذوقون الموت لما في ذلك من البشارة لهم بالحياة الهنيئة في الجنة فأما من يكون فيما هو كالموت في الشدة فإنه لا يطلق له هذه الصفة لأنه يموت موتات كثيرة بما يقاسيه من العقوبة (إلا الموتة الأولى) قيل معناه بعد الموتة الأولى وقيل معناه لكن الموتة الأولى قد ذاقوها وقيل سوى الموتة الأولى وقد بينا ما عندنا فيه (ووقيهم عذاب الجحيم) اي فصرف عنهم عذاب النار. استدلت المعتزلة بهذا على ان الفاسق الملي لا يخرج من النار لأنه يكون قد وقي النار والجواب عن ذلك ان هذه الآية يجوز ان تكون مختصة بمن لا يستحق دخول النار فلا يدخلها او من استحق النار فتفضل عليه بالعفو فلم يدخلها ويجوز ان يكون المراد ووقاهم عذاب الجحيم على وجه التأبيد او على الوجه الذي يعذب عليه الكفار (فضلا من ربك) أي فعل الله ذلك بهم تفضلا منه لأنه سبحانه خلقهم وأنعم عليهم وركب فيهم العقل وكلفهم وبين لهم من الآيات ما استدلوا به على وحدانية الله تعالى وحسن الطاعات فاستحقوا به النعم العظيمة ثم جزاهم بالحسنة عشر أمثالها فكان ذلك فضلا منه عز اسمه وقيل انما سماه فضلا وان كان مستحقا لأن سبب الاستحقاق هو التكليف والتمكين وهو فضل منه سبحانه (ذلك هو الفوز العظيم) أي الظفر بالمطلوب العظيم الشأن (فإنما يسرناه بلسانك) اي سهلنا

القرآن فالهاء كناية عن غير مذكور والمعنى هونا القرآن على لسانك وبسرنا قراءته عليك وقيل معناه جعلنا القرآن عربيا ليسهل عليك وعلى قومك تفهمه (لعلهم يتذكرون) أي ليتذكروا ما فيه من الأمر والنهي والوعد والوعيد ويتفكروا فيه (فارتقب انهم مرتقبون) أي فإن اعرضوا ولم يقبلوا فانتظر مجيء ماوعدناك به انهم منتظرون لأنهم في حكم من ينتظر لأن المحسن يترقب عاقبة الإحسان والمسيء يترقب عاقبة الإساءة وقيل معناه انتظر بهم عذاب الله فإنهم ينتظرون بك الدوائر وقيل انتظر قهرهم ونصرك عليهم فإنهم منتظرون قهرك بزعمهم

سورة الجاثية

وتسمى ايضا سورة الشريعة لقوله فيها ثم جعلناك على شريعة من الأمر وهي مكية قال قتادة إلا آية منها نزلت بالمدينة قل للذين آمنوا يغفروا الآية

﴿ عدد آيها ﴾

سبع وثلاثون آية كوفي ست في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

آية حم كوفي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكّن روعته عند الحساب وروى ابو بصير عن ابي عبد الله «ع» قال من قرأ سورة الجاثية كان ثوابها ان لا يرى النار أبدا ولا يسمع زفير جهنم ولا شهيقها وهو مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم

-(تفسيرها)-

لما ختم الله سبحانه سورة الدخان بذكر القرآن افتتح هذه السورة بذكره ايضا فقال سبحانه

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) حمٓ (٢) تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٣) إِنَّ فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٤) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٥) وَٱخْتِلَافِ ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ ٱللهُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي ويعقوب آيات في الموضعين على النصب والباقون آيات على الرفع فيهما

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي قوله وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات جاز الرفع في قوله آيات من وجهين ﴿ احدهما ﴾ العطف على موضع ان وما عملت فيه فإنه رفع بالابتداء فيحتمل الرفع فيه على الموضع ﴿ والآخر ﴾ ان يكون مستأنفا ويكون الكلام جملة معطوفة على جملة فيكون قوله آيات على هذا مرتفعا بالظرف فهذا وجه قول من رفع آيات في الموضعين قال ابو الحسن من دابة آيات قراءة الناس بالرفع وهي أجود وبها نقرأ لأنه قد صار على كلام آخر نحو إن في الدار زيدا وفي البيت عمرو لأنك انما تعطف الكلام كله على الكلام كله قال وقد قرئ بالنصب وهو عربي انتهت الحكاية عنه واما قول واختلاف الليل والنهار إلى آخره آيات فإنك ان تركت الكلام على ظاهره فإن فيه عطفا على عاملين احد العاملين الجار الذي هو في من قوله وفي خلقكم وما يبث من دابة والعامل الآخر ان نصبت آيات وان رفعت فالعامل المعطوف عليه في الابتداء والظرف ووجه قراءة من قرأ آيات بالنصب انه لم يحمل على موضع ان كما حمل من رفع آيات في الموضعين او قطعه واستأنف ولكن حمل على لفظ ان دون موضعها فحمل آيات في الموضعين على نصب إن في قوله ان في السموات والأرض لآيات للمؤمنين فإن قلت انه يعرض في هذه القراءة العطف على عاملين وذلك في قوله واختلاف الليل والنهار آيات وسيبويه وكثير من النحويين لا يجيزونه قيل يجوز ان يقدر في قوله واختلاف الليل والنهار آيات وان كانت محذوفة من اللفظ وذلك ان ذكره قد تقدم في قوله ان في السموات وقوله وفي خلقكم فلما تقدم ذكر الجار في هذين قدر فيه الإثبات في اللفظ وان كان محذوفا منه كما قدر سيبويه في قوله

أكل امرئ تحسبين امرءا ، ونار تأجج بالليل نارا

ان كل في حكم الملفوظ به واستغني عن اظهاره بتقدم ذكره ومما يؤكد هذه القراءة ان في آيات محمولة على ان ما ذكر عن ابي انه قرأ في المواضع الثلاثة الآيات فدخول اللامات تدل على ان الكلام محمول على ان واذا كان محمولا عليها حسن النصب وصار كل موضع من ذلك كأن ان مذكورة فيه بدلالة دخول اللام لأن هذه اللام انما تدخل على خبر إن او على اسمها ومما يجوز ان يتأول على ما ذكرنا قول الفرزدق

وباشر راعيها الصلا بلبانه ، وكفيه حر النار ما يتحرف

فهذا ان حملت الكلام على ظاهره كان عطفا على عاملين على الفعل والباء ان قدرت ان الباء ملفوظ بها لتقدم ذكرها صارت في حكم الثبات في اللفظ وإذا صار كذلك كان العطف على عامل واحد وهو الفعل دون الجار وكذلك قول الآخر

اوصيت من برة قلبا حرا ، بالكلب خيرا والحماة شرا

فإن قدرت الجار في حكم المذكور لدلالة المتقدم عليه لم يكن عطفا على عاملين كما لم يكن قولهُ واختلاف الليل والنهار لآيات كذلك وقد يخرج قولهُ واختلاف الليل والنهار آيات من ان يكون عطفا على عاملين من وجه آخر وهو ان تقدر قوله واختلاف الليل والنهار على في المتقدم ذكرها وتجعل آيات متكررة كررتها لما تراخى الكلام وطال كما قال بعض شيوخنا في قوله تعالى ألم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فأن له نار جهنم ان أن هي الاولى كررت وكما جاء فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به لما تراخى عن قوله ولما جاءهم كتاب من عند

الله وهذا النحو في كلامهم غير ضيق

المعنى

(حم) قد بينا ما قيل فيه وأجود الأقوال انه اسم للسورة قال علي بن عيسى وفي تسمية السورة بحم دلالة على ان هذا القرآن المعجز كله من حروف المعجم لأنه سمي به ليدل عليه بأوصافه ومن أوصافه انه معجز وانه مفصل قد فصلت كل سورة من اختها وانه هدى ونور فكأنه قيل هذا اسمه الدال عليه بأوصافه (تنزيل الكتاب من الله) أضاف التنزيل إلى نفسه في مواضع من السور استفتاحا بتعظيم شأنه وتفخيم قدره بإضافته إلى نفسه من اكرم الوجوه وأجلها وما اقتضى هذا المعنى لم يكن تكريرا فقد يقول القائل اللهم اغفر لي اللهم ارحمني اللهم عافني اللهم وسع علي في رزقي فيأتي بما يؤذن ان تعظيمه لربه منعقد بكل ما يدعو به وقوله من الله يدل على ان ابتداءه من الله تعالى (العزيز) أي القادر الذي لا يغالب (الحكيم) العالم الذي أفعاله كلها حكمة وصواب (ان في السموات والأرض لآيات للمؤمنين) الذين يصدقون بالله وبأنبيائه لأنهم المنتفعون بالآيات وهي الدلالات والحجج الدالة على ان لها مدبرا صانعا قادرا عالما (وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات) معناه وفي خلقه إياكم بما فيكم من بدائع الصنعة وعجائب الخلقة وما يتعاقب عليكم من الاحوال من مبتدأ خلقكم في بطون الأمهات إلى انقضاء الآجال وفي خلق ما يفرق على وجه الأرض من الحيوانات على اختلاف اجناسها ومنافعها والمقاصد المطلوبة منها دلالات واضحات على ما ذكرناه (لقوم يوقنون) اي يطلبون علم اليقين بالتدبر والتفكر (واختلاف الليل والنهار) اي وفي ذهاب الليل والنهار ومجيئهما على وتيرة واحدة وقيل معناه وفي اختلاف حالهما من الطول والقصر وقيل اختلافهما في ان احدهما نور والآخر ظلمة (وما أنزل الله من السماء من رزق) أراد به المطر الذي ينبت به النبات الذي هو رزق الخلائق فسماه رزقا لأنه سبب الرزق (فأحيا به الأرض بعد موتها) اي فأحيا بذلك المطر الأرض بعد يبسها وجفافها (وتصريف الرياح) اي وفي تصريف الرياح بجعلها مرة جنوباً وأخرى شمالا ومرة صبا واخرى دبورا عن الحسن وقيل يجعلها تارة رحمة وتارة عذابا عن قتادة (آيات لقوم يعقلون) وجوه الأدلة ويتدبرونها فيعلمون ان لهذه الأشياء مدبرا حكيما قادرا عليما حيا غنيا قديما لا يشبهه شيء

قوله تعالى (٦) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ (٧) وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٨) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٩) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٠) مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير حفص والاعشى والبرجمي وابن عامر ويعقوب تؤمنون بالتاء والباقون بالياء

الحجة

قال ابو علي حجة من قرأ بالياء ان قبله غيبة وهو قوله لقوم يؤمنون ومن قرأ بالتاء فالتقدير قل لهم فبأي حديث بعد ذلك تؤمنون

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه ذكر الادلة عقب ذلك بالوعيد لمن اعرض عنها ولم يتفكر فيها فقال (تلك آيات الله) اي ما ذكرناه ادلة الله التي نصبها لخلقه المكلفين (نتلوها عليك) اي نقرأها عليك يا محمد لتقرأها عليهم (بالحق) دون الباطل والتلاوة الاتيان بالثاني في أثر الأول في القراءة والحق الذي تتلى به الآيات هو كلام مدلوله على ما هو به في جميع انواعه (فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون) معناه ان هؤلاء الكفار إن لم يصدقوا بما تلوناه عليك فبأي حديث بعد حديث الله وهو القرآن وآياته يصدقون وبأي كلام ينتفعون وهذا اشارة إلى ان المعاند لا حيلة له والفرق بين الحديث الذي هو القرآن وبين الآيات ان الحديث قصص يستخرج منه عبر تبين الحق من الباطل والآيات هي الأدلة الفاصلة بين الصحيح والفاسد (ويل لكل أفاك اثيم) الأفاك الفعال من الإفك وهو الكذب ويطلق ذلك على من يكثر كذبه او يعظم كذبه وان كان في خبر واحد ككذب مسيلمة في ادعاء النبوة والاثيم ذو الإثم وهو صاحب المعصية التي يستحق بها العقاب والويل كلمة وعيد يتلقى بها الكفار وقيل هو واد سائل من صديد جهنم ثم وصف سبحانه الأفاك الاثيم بقوله (يسمع آيات الله تتلى عليه) اي يسمع آيات القرآن التي فيها الحجة تقرأ عليه (ثم يصر مستكبرا) اي يقيم على كفره وباطله متعظما عند نفسه عن الانقياد للحق (كأن لم يسمعها) اصلا في عدم القبول لها والاعتبار بها (فبشره بعذاب أليم) اي مؤلم (وإذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا) اي وإذا علم هذا الأفاك الأثيم من حججنا وادلتنا شيئا استهزأ بها ليري العوام انه لا حقيقة لها كما فعله ابو جهل حين سمع قوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم او كما فعله النضر بن الحارث حين كان يقابل القرآن بأحاديث الفرس (أولئك لهم عذاب مهين) اي مذل مخز مع ما فيه من الألم (من ورائهم جهنم) اي من وراء ما هم فيه من التعزز بالمال والدنيا جهنم ومعناه قدامهم ومن بين أيديهم كقوله وكان وراءهم ملك ووراء اسم يقع على القدام والخلف فما توارى عنك فهو وراءك خلفك كان او أمامك (ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا) اي لا يغني عنهم ما حصلوه وجمعوه من المال والولد شيئا من عذاب الله تعالى (ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء) من الآلهة التي عبدوها لتكون شفعاءهم عند الله (ولهم) مع ذلك (عذاب عظيم)

قوله تعالى (١١) هَٰذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (١٢) اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٣) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١٤) قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٥) مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ

خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير وحفص من رجز أليم بالرفع والباقون أليم بالجر وقرأ ابو جعفر ليجزي بضم الياء وفتح الزاي وقرأ

ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف لنجزي بالنون وكسر الزاي والنصب وقرأ الباقون ليجزي بفتح الياء وكسر الزاي

❋ الحجة ❋

قال ابو علي الرجز العذاب فمن جر فالتقدير بهم من عذاب اليم ومن رفع فالمعنى عذاب اليم من عذاب وفيه قولان ❋ احدها ❋ ان الصفة تجيء على وجه التأكيد كما ان الحال تجيء كذلك وذلك نحو قوله نفخة واحدة ومناة الثالثة الأخرى وقولهم أمس الدابر قال

وأبي الذي ترك الملوك وجمعهم   بفعال هامدة كأمس الدابر

❋ والآخر ❋ انه محمول على انه بمعنى الرجس الذي هو النجاسة على البدل للمقاربة ومعنى النجاسة فيه قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه فكأن المعنى لهم عذاب من تجرع رجس أو شرب رجس فتكون من تبيينا للعذاب مما هو ومن قرأ ليجزي بالياء فحجته ان ذكر الله قد تقدم في قوله لا يرجون أيام الله فيكون فاعل يجزي ومن قرأ بالنون فالنون في معنى الياء وان كانت الياء أشد مطابقة لما في اللفظ ومن قرأ ليجزي قوما فقال ابو عمرو انه لحسن ظاهر وذكر ان الكسائي قال ان معناه ليجزي الجزاء قوما قال الجامع البصير معناه ليجزي الخير قوما فأضمر الخير لدلالة الكلام عليه وليس التقدير ليجزي الجزاء قوما لأن المصدر لا يقوم مقام الفاعل ومعك مفعول صحيح فإذا الخير مضمر كما اضمر الشمس في قوله حتى توارت بالحجاب لأن قوله إذا عرض عليه بالعشي يدل على تواري الشمس

❋ المعنى ❋

ثم قال سبحانه (هذا هدى) أي هذا القرآن الذي تلوناه والحديث الذي ذكرناه هدى أي دلالة موصلة إلى الفرق بين الحق والباطل من أمور الدين والدنيا (والذين كفروا بآيات ربهم) وجحدوها (لهم عذاب من رجز أليم) مر معناه ثم نبه سبحانه خلقه على وجه الدلالة على توحيده فقال (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره) أي جعله على هيئته لتجري السفن فيه (ولتبتغوا من فضله) أي ولتطلبوا بركوبه في أسفاركم من الأرباح بالتجارات (ولعلكم تشكرون) له هذه النعمة (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض) أي وسخر لكم مع ذلك معاشر الخلق في السماوات من الشمس والقمر والنجوم والمطر والثلج والبرد وما في الأرض من الدواب والاشجار والنبات والاثمار والأنهار ومعنى تسخيرها لنا انه تعالى خلقها جميعا لانتفاعنا بها فهي مسخرة لنا من حيث انا ننتفع بها على الوجه الذي نريده وقوله (جميعا منه) قال ابن عباس أي كل ذلك رحمة منه لكم وقال الزجاج كل ذلك منه تفضل وإحسان ويحسن الوقف على قوله جميعا ثم يقول منه أي ذلك التسخير منه لا من غيره فهو فضله واحسانه وروي عن ابن عباس وعبد الله بن عمر والجحدري انهم قرأوا منة منصوبة ومنونة وعلى هذا فيكون من باب تبسمت وميض البرق فكأنه قال من عليهم منة وروي عن سلمة انه قرأ منة بالرفع وعلى هذا فيكون خبر مبتدأ محذوف أي ذلك منة أو هو منة أو يكون على معنى سخر لكم ذلك منة (إن في ذلك لآيات) اي دلالات (لقوم يتفكرون) ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (قل) يا محمد (للذين آمنوا يغفروا) هذا جواب امر محذوف دل عليه الكلام وتقديره قل لهم اغفروا يغفروا فصار قل لهم على هذا الوجه يغني عنه عن علي بن عيسى وقيل معناه

قل للذين آمنوا اغفروا ولكنه شبه بالشرط والجزاء كقوله قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة عن الفراء وقيل يغفروا تقديره يا هؤلاء اغفروا فحذف المنادى كقوله ألا يا اسجدوا لله وقول الشاعر « ألا يا اسلمي ذات الدماليج والعقد » (للذين لا يرجون ايام الله) أي لا يخافون عذاب الله إذا نالوكم بالأذى والمكروه ولا يرجون ثوابه بالكف عنكم وقد مرّ تفسير أيام الله عند قوله وذكرهم بأيام الله ومعنى يغفروا هاهنا يتركوا مجازاتهم على أذاهم ولا يكافؤهم ليتولى الله مجازاتهم (ليجزي قوما بما كانوا يكسبون) بيان هذا الجزاء في الآية التي تليها وهو قوله (من عمل صالحا) أي طاعة وخيرا وبرا (فلنفسه) لأن ثواب ذلك يعود عليه (ومن أساء فعليها) أي فوبال اساءته على نفسه (ثم إلى ربكم ترجعون) يوم القيامة أي إلى حيث لا يملك احد النفع والضر والنهي والأمر غيره سبحانه فيجازي كل إنسان على قدر عمله

قوله تعالى (١٦) وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٧) وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٨) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٩) إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (٢٠) هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ خمس آيات

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر النعمة ومقابلتهم إياها بالكفر والطغيان بين عقيب ذلك ذكر ما كان من بني اسرائيل ايضا في مقابلة النعم من الكفران فقال (ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب) يعني التوراة (والحكم) يعني العلم بالدين وقيل العلم بالفصل بين الخصمين وبين المحق والمبطل (والنبوة) أي وجعلنا فيهم النبوة حتى روي انه كان فيهم الف نبي (ورزقناهم من الطيبات) أي واعطيناهم من أنواع الطيبات (وفضلناهم على العالمين) اي عالمي زمانهم وقيل فضلناهم في كثرة الأنبياء منهم على سائر الأمم وإن كانت أمة محمد ﷺ أفضل منهم في كثرة المطيعين لله وكثرة العلماء منهم كما يقال هذا افضل في علم النحو وذاك في علم الفقه فأمة محمد ﷺ أفضل في علو منزلة نبيها عند الله على سائر الأنبياء وكثرة المجتبين الاخيار من آله وامته والفضل الخير الزائد على غيره فأمة محمد ﷺ أفضل بفضل محمد وآله (وآتيناهم بينات من الأمر) اي أعطيناهم دلالات وبراهين واضحات من العلم ببعث محمد وما بين لهم من أمره وقيل يريد بالامر أحكام التوراة (فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم) أي من بعد ما انزل الله الكتب على انبيائهم واعلمهم بما فيها (بغيا بينهم) أي طلبا للرئاسة وأنفة من الإذعان للحق وقيل بغيا على محمد ﷺ في جحود ما في كتابهم من نبوته وصفته (إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) ظاهر المعنى (ثم جعلناك على شريعة من الامر) اي ثم جعلناك يا محمد على دين ومنهاج وطريقة يعني بعد موسى وقومه والشريعة السنة التي من سلك طريقها أدته إلى البغية كالشريعة التي هي طريق إلى الماء فهي علامة منصوبة على

الطريق من الأمر والنهي يؤدي إلى الجنة كما يؤدي ذلك إلى الوصول إلى الماء (فاتبعها) اي اعمل بهذه الشريعة (ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون) الحق ولا يفصلون بينهُ وبين الباطل من اهل الكتاب الذين غيروا التوراة اتباعا لهواهم وحبا للرئاسة واستتباعا للعوام ولا المشركون الذين اتبعوا اهواءهم في عبادة الأصنام (انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا) اي لن يدفعوا عنك شيئا من عذاب الله ان اتبعت اهواءهم (وان الظالمين بعضهم اولياء بعض) يعني ان الكفار بأجمعهم متفقون على معاداتك وبعضهم انصار بعض عليك (والله ولي المتقين) اي ناصرهم وحافظهم فلا تشغل قلبك بتناصرهم وتعاونهم عليك فإن الله ينصرك عليهم ويحفظك (هذا بصائر للناس) اي هذا الذي انزلته عليك من القرآن بصائر اي معالم في الدين وعظات وعبر للناس يبصرون بها من أمور دينهم (وهدى) أي دلالة واضحة (ورحمة) أي ونعمة من الله (لقوم يوقنون) بثواب الله وعقابه لأنهم هم المنتفعون به

قوله تعالى (٢١) أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا ٱلسَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢٢) وَخَلَقَ ٱللهُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٣) أَفَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٤) وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٥) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ٱئْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ خمس آيات

—(القراءة)—

قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر وروح وزيد سواء بالنصب والباقون بالرفع وقرأ اهل الكوفة غير عاصم غشوة بفتح الغين بغير الف والباقون غشاوة بالألف

(الحجة)

قال ابو علي ليس الوجه في الآية نصب سواء على ان تجريه على ما قبله على حد قولك مررت برجل ضارب ابوه وبزيد خارجا اخوه لأنه ليس باسم فاعل ولا مشبه به مثل حسن وشديد ونحو ذلك إنما هو مصدر فلا ينبغي ان يجري على ما قبله كما يجري اسم الفاعل وما شبه به لتعريه من المعاني التي اعمل لها فاعل وما شبه به عمل الفعل ومن قال مررت برجل خير منه أبوه وسرج خز صفته وبرجل مائة ابله استجاز ان يجري سواء أيضا على ما قبله كما اجرى الضرب الأول فأما من قرأ سواء بالنصب فإن انتصابه يحتمل ثلاثة اوجه * احدها * ان يجعل المحيا والممات بدلا من الضمير المنصوب في نجعلهم فيصير التقدير ان نجعل محياهم ومماتهم سواء فينتصب سواء على انه مفعول ثان لنجعل ويكون انتصاب سواء على هذا القول حسنا لأنه لم يرفع مظهرا ويجوز ايضا ان يجعل محياهم ومماتهم ظرفين من الزمان فيكون كذلك ايضا ويجوز ان يعمل في الظرفين احد شيئين « احدهما » ما في سواء من معنى الفعل كأنه يستوون في المحيا والممات

«والآخر» ان يكون العامل الفعل ولم يعلم الكوفيون الذين نصبوا سواء نصبوا المات فإذا لم ينصبوه كان النصب في سواء على غير هذا الوجه وغير هذا الوجه لا يخلو من أن ينتصب على انه حال أو على انه المفعول الثاني لنجعل وعلى اي هذين الوجهين حملته فقد اعملته عمل الفعل فرفعت به المظهر فإن جعلته حالا أمكن ان يكون الحال من الضمير في نجعلهم ويكون المفعول الثاني قوله كالذين آمنوا فإذا جعلت قوله كالذين آمنوا المفعول الثاني أمكن ان يكون سواء منتصبا على الحال مما في قوله كالذين آمنوا من معنى الفعل فيكون ذو الحال الضمير المرفوع في قوله كالذين آمنوا وهذا الضمير يعود إلى الضمير المنصوب في نجعلهم وانتصابه على الحال من هذين الوجهين ويجوز ان لا يجعل قوله كالذين آمنوا المفعول الثاني ولكن يجعل المفعول الثاني قوله سواء محياهم ومماتهم فيكون جملة في موضع نصب بكونها في موضع المفعول الثاني لنجعل ويجوز فيمن قال مررت برجل مائة ابله فأعمل المائة عمل الفعل ان ينصب سواء على هذا الوجه ايضا ويرتفع به المحيا كما جاز ان يرتفع به إذا قدرت الجملة في موضع الحال والحال في الجملة التي هي سواء محياهم ومماتهم يكون من جعل ويكون مما في قوله كالذين من معنى الفعل وقد قيل في الضمير في قوله محياهم ومماتهم قولان ﴿احدهما﴾ انه ضمير الكفار دون الذين آمنوا فكان سواء على هذا القول مرتفعا بأنه خبر مبتدأ مقدم تقديره محياهم ومماتهم سواء اي محياهم محيا سوء ومماتهم ممات سوء ولا يكون النصب على هذا في سواء لأنه اثبات في الاخبار بأن محياهم ومماتهم يستويان في الذم والبعد من رحمة الله ﴿والقول الآخر﴾ ان الضمير في محياهم ومماتهم للقبيلين فإذا كان كذلك جاز أن ينتصب سواء على انه المفعول الثاني من نجعل فيمن استجاز ان يعمله في الظاهر لأنه يلتبس بالقبيلين جميعا وليس في الوجه الأول كذلك لأنه للكفار دون المؤمنين ولا يلتبس للمؤمنين من حيث كان للكفار من دونهم ولا يجوز ان ينتصب سواء ولم يكن فيه إلا الرفع ويكون على هذا الوجه قوله كالذين آمنوا وعملوا الصالحات في موضع المفعول الثاني وسواء محياهم استئناف ولا يكون في موضع حال من قوله كالذين آمنوا لأنه لا يلتبس بهم والقول في غشوة وغشاوة مذكور في سورة البقرة

﴿ اللغة ﴾

الاجتراح الاكتساب يقال جرح واجترح وكسب واكتسب وفلان جارحة قومه اي كاسبة قومه واصله من الجراح لأن لذلك تأثيراً كتأثير الجراح ومثله الاقتراف وهو مشتق من قرف القرحة والسيئة الفعلة القبيحة التي تسوء صاحبها باستحقاق الذم عليها والحسنة هي التي تسر صاحبها باستحقاق المدح عليها قال علي بن عيسى القبيح ما ليس للقادر عليه ان يفعله والحسن هو ما للقادر عليه ان يفعله وكل فعل وقع لا لأمر من الأمور فهو لغو لا ينسب إلى الحكمة ولا إلى السفه

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه للكفار على سبيل التوبيخ لهم (أم حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) معناه بل أحسب وهذا استفهام انكار وقيل ان هذا معطوف على معنى مضمر تقديره هذا القرآن بصائر للناس مؤدية إلى الجنة أفعلموا ذلك أم حسب الذين اكتسبوا الشرك والمعاصي ان نجعل منزلتهم منزلة الذين صدقوا الله ورسوله وحققوا أقوالهم بأعمالهم (سواء محياهم ومماتهم) اي يستوي

محيا الفريقين ومماتهم يعني أحسبوا أن حياتهم ومماتهم كحياة المؤمنين وموتهم (ساء ما يحكمون) أي ساء ما حكموا على الله تعالى فإنه لا يسوي بينهم ولا يستقيم ذلك في العقول بل ينصر المؤمنين في الدنيا ويمكنهم من المشركين ولا ينصر الكافرين ولا يمكنهم من المسلمين وينزل الملائكة عند الموت على المؤمنين بالبشرى وعلى الكافرين يضربون وجوههم وأدبارهم وقيل أراد محياهم بعد البعث ومماتهم عند حضور الملائكة لقبض أرواحهم وقيل أراد ان المؤمنين محياهم على الايمان والطاعة ومماتهم على الايمان والطاعة ومحيا المشركين على الشرك والمعصية ومماتهم كذلك فلا يستويان عن مجاهد وقيل ان الضمير في مماتهم ومحياهم للكفار والمعنى انهم يتساوون في حال كونهم أحياء وفي حال كونهم أمواتا لأن الحي متى لم يفعل الطاعة فهو بمنزلة الميت ثم قال سبحانه (وخلق الله السموات والارض بالحق) اي لم يخلقها عبثا وانما خلقهما لنفع خلقه بأن يكلفهم ويعرضهم للثواب الجزيل (ولتجزى كل نفس بما كسبت) من ثواب على طاعة او عقاب على معصية (وهم لا يظلمون) اي لا يبخسون حقوقهم ثم قال (أفرأيت) يا محمد (من اتخذ إلهه هويه) اي اتخذ دينه مايهواه فلا يهوى شيئا إلا ركبه لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافهُ فاتبع هواه في اموره ولا يحجزه تقوى عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل معناه من اتخذ معبوده ما يهواه دون ما دلت الدلالة على ان العبادة تحق له فإذا استحسن شيئا وهواه اتخذه إلها وكان احدهم يعبد الحجر فإذا رأى ما هو احسن منه رمى به وعبد الآخر عن عكرمة وسعيد بن جبير وقيل معناه افرأيت من انقاد لهواه انقياده لإلهه ومعبوده ويرتكب ما يدعوه اليه ولم يرد أنهُ يعبد هواه أو يعتقد انهُ تحق لهُ العبادة لأن ذلك لا يعتقده احد عن علي بن عيسى قد أيس الله رسوله من إيمان هؤلاء بهذا (وأضله الله على علم) أي خذله الله وخلاه وما اختاره جزاء له على كفره وعناده وترك تدبره على علم منه باستحقاقه لذلك وقيل أضله الله أي وجده ضالا على حسب ما علمه فخرج معلومه على وفق ما علمه كما يقال احمدت فلانا أي وجدته حميدا وكقول عمرو بن معديكرب قاتلناهم فما اجبناهم وسألناهم فما ابخلناهم وقاولناهم فما أفحمناهم أي ما وجدناهم كذلك وقيل معناه انه ضل عن الله كما قال

هبوني امرأ منكم أضل بعيره ... له ذمة إن الذمام كبير

اي أضل عنه بعيره (وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة) فسرناه في سورة البقرة (فمن يهديه من بعد الله) أي من بعد هداية الله إياه والمعنى إذا لم يهتد بهدى الله بعد ظهوره ووضوحه فلا طمع في اهتدائه (أفلا تذكرون) أي أفلا تتعظون بهذه المواعظ وهذا استبطاء بالتذكر منهم أي تذكروا واتعظوا حتى تحصلوا على معرفة الله تعالى ثم أخبر سبحانه عن منكري البعث فقال (وقالوا ما هي إلا حيوتنا الدنيا) أي ليس الحياة إلا حياتنا التي نحن فيها في دار الدنيا ولا يكون بعد الموت بعث ولا حساب (نموت ونحيا) قيل في معناه أقوال ❊ احدها ❊ ان تقديره نحيا ونموت فقدم وأخر ❊ والثاني ❊ ان معناه نموت ونحيي أولادنا ❊ والثالث ❊ يموت بعضنا ويحيا بعضنا كما قال فاقتلوا أنفسكم أي ليقتل بعضكم بعضا (وما يهلكنا إلا الدهر) أي وما يميتنا إلا الأيام والليالي أي مرور الزمان وطول العمر انكاراً منهم للصانع (وما لهم بذلك من علم) نفى سبحانه عنهم العلم أي انما ينسبون ذلك إلى الدهر لجهلهم ولو علموا ان الذي يميتهم هو الله وانه قادر على احيائهم لما نسبوا الفعل إلى الدهر (إنهم إلا يظنون) أي ما هم فيما ذكروه إلا ظانون وإنما الأمر بخلافه وقد روي في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا تسبوا الدهر فإن الله هو

الدهر وتأويله ان اهل الجاهلية كانوا ينسبون الحوادث المجحفة والبلايا النازلة إلى الدهر فيقولون فعل الدهر كذا وكانوا يسبون الدهر فقال ﷺ ان فاعل هذه الأمور هو الله تعالى فلا تسبوا فاعلها وقيل معناه فإن الله مصرف الدهر ومدبره والوجه الأول أحسن فإن كلامهم مملوء من ذلك ينسبون أفعال الله إلى الدهر قال الاصمعي ذم اعرابي رجلا فقال هو اكثر ذنوبا من الدهر وقال كثير

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ... ورجل رمى فيها الزمان فشلت

وقال آخر

فاستأثر الدهر الغداة بهم ... والدهر يرميني وما أرمي

يادهر قد اكثرت فجعتنا ... بسراتنا ووقرت في العظم

ثم قال سبحانه (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) أي إذا قرأت عليهم حججنا ظاهرات (ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين) أي لم يكن لهم في مقابلتها حجة إلا مقالتهم ان كنتم صادقين في ان الله يعيد الأموات ويبعثهم يوم القيامة فأتوا بآبائنا واحيوهم حتى نعلم ان الله قادر على بعثنا وإنما لم يجبهم الله إلى ذلك لأنهم قالوا ذلك متعنتين مقترحين لا طالبين الرشد

قوله تعالى (٢٦) قُلِ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٧) وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ (٢٨) وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٩) هٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٠) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب كل أمة تدعى إلى كتابها بفتح اللام والباقون بالرفع

﴿ الحجة ﴾

الوجه في نصبه انه بدل على الأول وفي الثاني من الايضاح ما ليس في الأول لأن فيه ذكر السبب الداعي إلى الحياة فلذلك جاز ابداله منه وتكون تدعى في موضع نصب على الحال أو على انه مفعول ثان على تفصيل معنى ترى

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ راداً على الكفار قولهم فقال (قل) يا محمد (الله يحييكم) في دار الدنيا لأنه لا يقدر على الإحياء احد سواه لأنه القادر لنفسه (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يجمعكم إلى يوم القيمة) بأن يبعثكم ويعيدكم أحياء (لا ريب فيه) أي لا شك فيه لقيام الحجة عليه وإنما احتج بالإحياء في دار الدنيا لأن من قدر على فعل الحياة في وقت قدر على فعلها في كل وقت ومن عجز عن ذلك في

وقت مع ارتفاع الموانع المعقولة وكونه حيا عجز عنه في كل وقت (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ذلك بعدولهم عن النظر الموجب للعلم بصحته (ولله ملك السموات والأرض) وهو قادر على البعث والإعادة (ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون) العادلون عن الحق الفاعلون للباطل انفسهم وحياتهم في الدنيا لا يحصلون من ذلك إلا على عذاب دائم (وترى كل أمة جاثية) أي وترى يوم القيامة اهل كل ملة باركة على ركبها عن ابن عباس وقيل باركة مستوفزة على ركبها كهيئة قعود الخصوم بين يدي القضاة عن مجاهد والضحاك وابن زيد وقيل ان الجثو للكفار خاصة وقيل هو عام للكفار والمؤمنين ينتظرون الحساب (كل أمة تدعى إلى كتابها) أي كتاب أعمالها الذي كان يستنسخ لها وقيل إلى كتابها المنزل على رسولها ليسئلوا عما عملوا به (اليوم تجزون ما كنتم تعملون) أي يقال لهم ذلك (هذا كتابنا) يعني ديوان الحفظة (ينطق عليكم بالحق) اي يشهد عليكم بالحق والمعنى يبينه بيانًا شافيًا حتى كأنه ناطق (انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) أي نستكتب الحفظة ما كنتم تعملون في دار الدنيا والاستنساخ الأمر بالنسخ مثل الاستكتاب الأمر بالكتابة وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ يشهد بما قضي فيه من خير وشر وعلى هذا فيكون معنى نستنسخ ان الحفظة تستنسخ الخزنة ما هو مدون عندها من احوال العباد وهو قول ابن عباس (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته) أي جنته وثوابه (ذلك هو الفوز المبين) أي الفلاح الظاهر

قوله تعالى (٣١) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٣٢) وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ (٣٣) وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ (٣٤) وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٥) ذَٰلِكُمْ بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٣٦) فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ (٣٧) وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَاءُ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (سبع آيات)

القراءة

قرأ حمزة وحده والساعة بالنصب والباقون بالرفع

الحجة

قال ابو علي الرفع على وجهين * أحدهما * ان يقطع من الأول فيعطف جملة على جملة * والآخر * ان يكون محمولا على موضع ان وما عملت فيه وموضعها رفع واما النصب فمحمول على لفظ ان وموضع لا ريب فيها رفع بأنه في موضع خبر ان وقد عاد الذكر إلى الاسم فكأنه قال والساعة حق لأن قوله لا ريب فيها في معنى حق قال ابو الحسن والرفع اجود في المعنى واكثر في كلام العرب إذا جاء بعد خبر ان اسم معطوف ويقويه قوله ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

(المعنى)

ثم عقب سبحانه الوعد بالوعيد فقال (وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم) اي فيقال لهم افلم تكن حججي وبيناتي تقرأ عليكم من كتابي (فاستكبرتم) اي تعظمتم عن قبولها (وكنتم قوما مجرمين) اي كافرين كما قال افنجعل المسلمين كالمجرمين والفاء في قوله افلم تكن دالة على جواب أما المحذوف (وإذا قيل ان وعد الله حق) اي ان ما وعد الله به من الثواب والعقاب كائن لا محالة (والساعة لاريب فيها) اي وان القيامة لا شك في حصولها (قلتم) معاشر الكفار (ما ندري ما الساعة) وانكرتموها (ان نظن إلا ظنا) ونشك فيه (وما نحن بمستيقنين) في ذلك (وبدا لهم سيئات ما عملوا) اي ظهر لهم جزاء معاصيهم التي عملوها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) اي جزاء استهزائهم (وقيل اليوم ننساكم) اي نترككم في العقاب (كما نسيتم لقاء يومكم هذا) اي تركتم التأهب للقاء يومكم هذا عن ابن عباس وقيل معناه نحلكم في العذاب محل المنسي كما أحللتم هذا اليوم عندكم محل المنسي (ومأواكم النار) اي مستقركم جهنم (وما لكم من ناصرين) يدفعون عنكم عذاب الله (ذلكم) الذي فعلنا بكم (بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا) اي سخرية تسخرون منها (وغرتكم الحيوة الدنيا) اي خدعتكم بزينتها فاغتررتم بها (فاليوم لا يخرجون منها) اي من النار وقرأ اهل الكوفة غير عاصم يخرجون بفتح الياء كما في قوله يريدون ان يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها (ولا هم يستعتبون) اي لا يطلب منهم العتبى والاعتذار لأن التكليف قد زال وقيل معناه لا تقبل منهم العتبى ثم ذكر سبحانه عظمته فقال (فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين) اي الشكر التام والمدحة التي لا يوازيها مدحة لله الذي خلق السماوات والارض ودبرها وخلق العالمين (وله الكبرياء) اي السلطان القاهر والعظمة القاهرة والعلو والرفعة (في السموات والارض) لا يستحقها احد سواه وفي الحديث يقول الله سبحانه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدة منها القيته في جهنم (وهو العزيز) في جلاله (الحكيم) في افعاله وقيل العزيز في انتقامه من الكفار والحكيم فيما يفعله بالمؤمنين والاخيار

سورة الاحقاف

مكية قال ابن عباس وقتادة إلا آية منها نزلت بالمدينة قل أرأيتم ان كان من عند الله الآية نزلت في عبد الله بن سلام

﴿ عدد آيها ﴾

خمس وثلاثون آية كوفي اربع في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

آية حم كوفي

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال ومن قرأ سورة الاحقاف أعطي من الاجر بعدد كل رمل في الدنيا عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات وعن عبد الله بن أبي يعفور عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ كل ليلة او كل جمعة سورة الاحقاف لم يصبه الله بروعة في الدنيا وآمنه من فزعه يوم القيامة

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله تلك السورة بذكر التوحيد وذم اهل الشرك والوعيد افتتح هذه السورة ايضا بالتوحيد ثم بالتوبيخ

لاهل الكفر من العبيد فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) حمٓ (٢) تَنْزِيلُ ٱلْكِتَابِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٣) مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ (٤) قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ ٱئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٥) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ

خمس آيات

القراءة

قرأ علي (ع) وابو عبد الرحمن السلمي اواثرة بسكون الثاء من غير الف وقرأ ابن عباس بخلاف وعكرمة وقتادة اواثرة بفتحتين والقراءة المشهورة اواثارة بالالف

الحجة

قال ابن جني الاثرة والاثارة البقية وهي مايؤثر من قولهم اثر الحديث يؤثره أثرا اواثرة ويقولون هل عندك من هذا اثرة واثارة اي اثر ومنه سيف مأثور اي عليه أثر الصنعة وطريق العمل وأما الاثرة ساكنة الثاء فهي ابلغ معنى وذلك انها الفعلة الواحدة من هذا الاصل فهي كقولهم أئتوني بخبر واحد وحكاية شاذة اي قنعت في الاحتجاج لكم بهذا الاصل على قلته

المعنى

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) مر تفسيره (ما خلقنا السموات والارض وما بينهما إلا بالحق) اي ما خلقناها عبثا ولا باطلا وإنما خلقناها لنتعبد سكانها بالامر والنهي ونعرضهم للثواب وضروب النعم فنجازيهم في الآخرة باعمالهم (واجل مسمى) يعني يوم القيامة فإنه اجل مسمى عنده مطوي عن العباد علمه اذا انتهى اليه تناهى وقامت القيامة وقيل هو مسمى للملائكة وفي اللوح المحفوظ (والذين كفروا عما انذروا معرضون) اي ان الكافرين عما انذروا من القيامة والجزاء معرضون عادلون عن التفكر فيه (قل) لهؤلاء الذين كفروا بالله (أرأيتم ما تدعون من دون الله) من الاصنام (أروني مـاذا خلقوا من الارض) فاستحقوا بخلق ذلك العبادة والشكر (ام لهم شرك في السموات) اي في خلقها وتقديره ام لهم شرك ونصيب في خلق السماوات ثم قال لهم (أئتوني بكتاب من قبل هذا) القرآن انزله الله يدل على صحة قولكم (اواثارة من علم) اي بقية من علم يؤثر من كتب الأولين يعلمون بـه انهم شركاء لله (إن كنتم صادقين) فيما تقولون عن مجاهد وقيل او اثارة من علم اي خبر من الانبياء عن عكرمة ومقاتل وقيل هو الخط اي بكتاب مكتوب عن ابن عباس وقيل خاصة من علم أوثرتم به عن قتادة والمعنى فهاتوا احدى هذه الحجج الثلاث اولاها دليل العقل والثانية الكتاب والثالثة الخبر المتواتر فإذا لم يمكنهم شيء من ذلك فقد وضح بطلان دعواهم (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة) اي من اضل عن طريق الصواب ممن يدعو من دون الله شيئا لو دعاه الى يوم القيامة لم يجبه ولم يغثه والمراد انه لا يستجيب له ابدا (وهم عن دعائهم غافلون) اي ومن يدعونهم مع ذلك لا علم لهم بدعائهم ولا يسمعون دعاءهم وإنما كنى عن الاصنام بالواو والنون لما أضاف اليها ما يكون من العقلاء كقوله رأيتهم لي ساجدين

قوله تعالى (٦) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ (٧) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٨) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٩) قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ خمس آيات

اللغة

الآية الدلالة التي تدل على مايتعجب منه قال

بآية تقدمون الخيل زورا ... كأن على سنابكها مداما

أفاض القوم في الحديث اذا مضوا فيه وأصل الافاضة الدفع وافاضوا من عرفات اندفعوا منها وحديث مفاض ومستفاض ومستفيض أي جار شائع والبدع والبديع بمعنى وهو بدع من قوم ابداع قال عدي بن زيد

فلا انا بدع من حوادث تعتري ... رجالا عرت من بعد بؤسى واسعد

النزول

قيل نزلت الآية الأخيرة في عبد الله بن سلام وهو الشاهد من بني اسرائيل فروي ان عبد الله بن سلام جاء الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم وقال يا رسول الله سل اليهود عني فإنهم يقولون هو اعلمنا فإذا قالوا ذلك قلت لهم ان التوراة دالة على نبوتك وان صفاتك فيها واضحة فلما سألهم قالوا ذلك فحينئذ اظهر عبد الله بن سلام ايمانه فكذبوه

المعنى

ثم ذكر سبحانه انه اذا قامت القيامة صارت آلهتهم التي عبدوها اعداء لهم فقال (وإذا حشر الناس كانوا لهم اعداء) وكذلك قوله ويكونون عليهم ضدا (وكانوا بعبادتهم كافرين) يعني ان هذه الاوثان التي عبدوها ينطقها الله حتى يجحدوا ان يكونوا دعوا الى عبادتها ويكفروا بعبادة الكفار ويجحدوا ذلك ثم وصفهم الله سبحانه فقال (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم) اي للقرآن والمعجزات التي ظهرت على يد النبي صلى الله عليه وآله وسلم (هذا سحر مبين) اي حيلة لطيفة ظاهرة وخداع بين (ام يقولون افتريه قل) يا محمد لهم (ان افتريته) اي ان كذبت على الله واختلقت القرآن كما زعمتم (فلا تملكون لي من الله شيئا) اي ان كان الامر على ما تقولون اني ساحر مفتر فلا يمكنكم ان تمنعوا الله مني اذا اراد اهلاكي على افترائي عليه والمراد كيف افتري على الله من اجلكم وأنتم لا تقدرون على دفع عقابه عني ان افتريت عليه (هو اعلم بما تفيضون فيه) اي ان الله اعلم بما تقولون في القرآن وتخوضون فيه من التكذيب به والقول فيه انه سحر (كفى به شهيدا بيني وبينكم) ان القرآن جاء من عنده (وهو الغفور الرحيم) في تأخير العقاب عنكم حين لا يعجل بالعقوبة قال الزجاج هذا دعاء لهم الى التوبة اي من اتى من الكبائر مثل ما اتيتم به من الافتراء على الله وعلي ثم تاب فإن الله غفور رحيم به (قل) يا محمد (ما كنت بدعا من الرسل) اي لست بأول رسول بعث عن ابن عباس ومجاهد

وقتادة والبدع الاول مـن الامر (وما ادري ما يفعل بي ولا بكم) اي لاادري أأموت ام اقتل ولا ادري أيها المكذبون اترمون بالحجارة من السماء ام يخسف بكم ام ليس يفعل بكم ما فعل بالامم المكذبة وهذا انما هو في الدنيا وأما في الآخرة فإنه قد علم انه في الجنة وان من كذبه في النار عن الحسن والسدي وقيل معناه لست ادعي غير الرسالة ولا ادعي علم الغيب ولا معرفة ما يفعله الله تعالى بي ولا بكم في الإحياء والإماتة والمنافع والمضار إلا أن يوحى الي عن ابي مسلم وقيل ما ادري ما اؤمر به ولا ما تأمرون به عن الضحاك وقيل ما ادري أأترك بمكة ام اخرج منها بأن أومر بالتحول عنها الى بلد آخر وما ادري أأومر بقتالكم او بالكف عن قتالكم وهل ينزل بكم العذاب ام لا (ان اتبع الاما يوحى إلي) اي استاتبع في أمركم من حرب اوسلم اوأمر اونهي إلاما يوحي الله الي ومايأمرني به (وما انا إلا نذير مبين) اي مخوف لكم ظاهر (قل) يا محمد لهم (أرأيتم) معناه اخبروني ماذا تقولون (ان كان من عند الله) اي ان كان هذا القرآن من عند الله هو أنزله وهـذا النبي رسوله (وكفرتم) انتم ايها المشركون بـه (وشهد شاهد مـن بني اسرائيل) يعني عبد الله بن سلام (على مثله) معناه عليه اي على انه من عند الله وقيل على مثله اي على التوراة عن مسروق وقال الشاهد موسى شهد على التوراة كما شهد النبي ﷺ على القرآن لأن السورة مكية وابن سلام اسلم بالمدينة (فآمن) يعني الشاهد (واستكبرتم) انتم على الايمان به وجواب قوله ان كان من عند الله محذوف وتقديره أليستم مـن الظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) وقيل جوابه فمن أضل منكم عن الحسن وقيل جوابه أفتؤمنون عن الزجاج

قوله تعالى (١١) وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ (١٢) وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ (١٣) إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٤) أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٥) وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ خمس آيات

«القراءة»

قرأ اهل الحجاز وابن عامر ويعقوب لتنذر بالتاء والباقون بالياء وقرأ اهل الكوفة احسانا والباقون حسنا وروي عن علي (ع) وابي عبد الرحمن السلمي حسنا بفتح الحاء والسين وقرأ اهل الحجاز وابو عمرو والكسائي كرها بفتح الكاف والباقون بضمها وقرأ يعقوب وفصله وهو قراءة الحسن وابي رجاء وعاصم والجحدري والباقون وفصاله

الحجة

قال ابو علي حجة مـن قرأ لتنذر بالتاء قوله انما انت منذر وقوله لتنذر بـه وذكرى وحجة الياء لينذر بأسا شديدا واسند الانذار الى الكتاب كما اسنده الى الرسول واما الباء في قوله بوالديه فيجوز ان يتعلق بوصينا

بدلالة قوله ذلكم وصاكم به ويجوز ان يتعلق بالاحسان ويدل عليه قوله وقد احسن بي اذ اخرجني ولا يجوز ان يتعلق في الآية بالاحسان لتقدمها على الموصول ولكن يجوز ان تعلقه بمضمر يفسره الاحسان كما جاز في نحو قوله وكانوا فيه من الزاهدين وقوله «كان جزائي بالعصا ان اجلدا» في قول من لم يعلقه بالجزاء . والاحسان خلاف الاساءة والحسن خلاف القبح فمن قال احسانا كان انتصابه على المصدر وذلك ان معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه حسنا امرناه بالاحسان اي ليأتي الاحسان اليهما دون الاساءة ولا يجوز ان يكون انتصابه بوصينا لأن وصينا قد استوفى مفعوليه اللذين احدهما منصوب والآخر المتعلق بالباء ومن قرأ حسنا فمعناه ليأت في امرهما امرا ذا حسن اي ليأت الحسن في امرهما دون القبيح ويؤيده قراءة علي صلوات الرحمن عليه حسنا لأن معناه ليأت في امرهما فعلا حسنا واما الكره بالفتح فهو المصدر والكره بالضم الاسم كأنه الشيء المكروه وقال كتب عليكم القتال وهو كره لكم وهذا بالضم وقال ان ترثوا النساء كرها فهذا في موضع الحال والفتح فيه احسن وقد قيل انهما لغتان واما الفصل فهو بمعنى الفصال الا ان الأكثر بالالف وفي الحديث لارضاع بعد الفصال يعني بعد الفطام

اللغة

القديم ما تقادم وجوده وفي عرف المتكلمين هو الموجود الذي لا اول لوجوده والايزاع اصله المنع واوزعني امنعني عن الانصراف عن ذلك باللطف ومنه قول الحسن لا بد للناس من وزعة وقال ابو مسلم الايزاع ايصال الشيء الى القلب

الإعراب

إماما منصوب على الحال من الضمير في الظرف عند سيبويه ومن كتاب موسى عند الأخفش ومن رفع بالظرف ويجوز ان يرتفع قوله كتاب موسى بالعطف على قوله وشهد شاهد من بني اسرائيل اي وشهد شاهد من قبل القرآن كتاب موسى ففصل بالظرف بين الواو والمعطوف به ورحمة معطوف على قوله اماما ولسانا عربيا منصوب على الحال ايضا من قوله هذا كتاب ويجوز ان يكون حالا مما في مصدق من الضمير وتقديره وهذا كتاب مصدق ملفوظا به على لسان العرب وبشرى عطف على قوله لينذر وهو مفعول له جزاء مصدر مؤكد لما قبله وتقديره جوزوا جزاء فاستغنى عن ذكر جوزوا لدلالة الجملة قبلها عليها ويجوز ان يكون جزاء مفعولا له وكرها منصوب على الحال اي حملته كارهة

المعنى

ثم اخبر سبحانه عن الكفار الذين جحدوا وحدانيته فقال (وقال الذين كفروا للذين آمنوا) بالله ورسوله (لو كان خيرا ما سبقونا اليه) اي لو كان هذا الذي يدعونا اليه محمد خيرا اي نفعا عاجلا او آجلا ما سبقنا هؤلاء الذين آمنوا به الى ذلك لأنا كنا بذلك اولى واختلف فيمن قال ذلك فقيل هم اليهود قالوا لو كان دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم خيرا ما سبقنا اليه عبد الله بن سلام عن اكثر المفسرين وقيل ان اسلم وجهينة ومزينة وغفارا لما اسلموا قال بنو عامر بن صعصعة وغطفان واسد واشجع هذا القول عن الكلبي ونظم الكلام يوجب ان يكون ما سبقتمونا اليه ولكنه على ترك المخاطبة (واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم) اي فاذا لم يهتدوا بالقرآن من حيث لم يتدبروه فسيقولون هذا القرآن كذب متقادم اي اساطير الاولين ثم قال سبحانه (ومن قبله كتاب موسى) اي من قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة (اماما) يقتدى به (ورحمة) من الله للمؤمنين به قبل القرآن وتقدير الكلام وتقدمه كتاب موسى اماما وفي الكلام محذوف يتم به المعنى تقديره فلم يهتدوا به ودل عليه قوله في الآية الاولى واذ لم يهتدوا به وذلك ان المشركين لم يهتدوا بالتوراة فيتركوا ما هم عليه من عبادة الاوثان ويعرفوا منها صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال (وهذا كتاب) يعني القرآن (مصدق)

للكتاب الذي قبله (لسانا عربيا) ذكر اللسان توكيدا كما تقول جاءني زيد رجلا صالحا فتذكر رجلا توكيدا (لتنذر الذين ظلموا) اي لتخوفهم يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم ومن قرأ بالياء اسند الفعل الى الكتاب (وبشرى للمحسنين) وبشارة للمؤمنين وقيل معناه ويبشر بشرى فيكون نصبا على المصدر ويجوز ان يكون في موضع رفع اي وهو بشرى للمحسنين الموحدين (ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) مر تفسيره (فلا خوف عليهم) من العقاب (ولا هم يحزنون) من اهوال يوم القيامة (اولئك اصحاب الجنة) الملازمون لها المنعمون فيها (خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون) في الدنيا من الطاعات والاعمال الصالحات (ووصينا الانسان بوالديه حسنا) مر تفسيره (حملته امه كرها) اي بكره ومشقة عن الحسن وقتادة ومجاهد يعني حين اثقلت وثقل عليها الولد (ووضعته كرها) يريد بهشدة الطلق عن ابن عباس (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) يريد ان اقل مدة الحمل وكمال مدة الرضاع ثلاثون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المرأة تسعة اشهر ارضعت احدوعشرين شهرا واذا حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا (حتى اذا بلغ اشده) وهو ثلاث وثلاثون سنة عن ابن عباس وقتادة وقيل بلوغ الحلم عن الشعبي وقيل وقت قيام الحجة عليه عن الحسن وقيل هو اربعون سنة وذلك وقت انزال الوحي على الانبياء ولذلك فسر به فقال (وبلغ اربعين سنة) فيكون هذا بيانا لزمان الأشد واراد بذلك انه يكمل له رأيه ويجتمع عليه عقله عند الاربعين سنة (قال رب اوزعني) اي الهمني (ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضيه) قد مر تفسيره في سورة النمل (واصلح لي في ذريتي) اي اجعل ذريتي صالحين عن الزجاج وقيل انه دعاء باصلاح ذريته لبره وطاعته لقوله اصلح لي وقيل انه الدعاء باصلاحهم لطاعة الله عز وجل وعبادته وهو الاشبه لأن طاعتهم لله من بره لأن اسم الذرية يقع على من يكون بعده وقيل معناه اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيد حق عن سهل بن عبد الله (اني تبت اليك) من سيئاتي وذنوبي (واني من المسلمين) المنقادين لأمرك

قوله تعالى (١٦) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (١٧) وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٨) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ (١٩) وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٠) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر نتقبل ونتجاوز بالنون احسن بالنصب والباقون يتقبل ويتجاوز بضم الياء احسن بالرفع وقرأ ابن كثير وابو جعفر ويعقوب آذهبتم بهمزة واحدة ممدودة وقرأ ابن عامر أاذهبتم بهمزتين والباقون اذهبتم بفتح الهمزة

﴿ الحجة ﴾

من قرأ يتقبل فلأن الفعل وان كان مبنيا للمفعول به فمعلوم انه لله تعالى كما جاء في الاخرى انما يتقبل الله من المتقين فبناؤه للمفعول كبنائه للفاعل في العلم بالفاعل وحجة من قرأ نتقبل بالنون انه قد تقدم الكلام ووصينا الانسان وكلاهما حسن وقد ذكرنا اختلافهم في اف في بني اسرائيل وحجة الاستفهام في اذهبتم انه قد جاء هذا النحو بالاستفهام نحو أليس هذا بالحق وقوله أكفرتم بعد ايمانكم ووجه الخبر ان الاستفهام تقرير فهو مثل الخبر الا ترى ان التقرير لايجاب بالفاء كما يجاب بها اذا لم يكن تقريرا فكأنهم يوبخون بهذا الذي يخبرون به ويبكتون والمعنى في القراءتين يقال لهم هذا فحذف القول كما حذف في نحو قوله اكفرتم بعد ايمانكم

-(الاعراب)-

وعد الصدق نصب على المصدر تقديره وعدهم الله ذلك وعدا واضافته الى الصدق غير حقيقية لأن الصدق في تقدير النصب بأنه صفة وعدوا الذي كانوا يوعدون موصول وصلة في موضع النصب بكونه صفة الوعد واف لكما مبتدأ وخبر تقديره هذه الكلمة التي تقال عند الامور المكروهة كائنة لكما • ويلك منصوب لأنه مفعول فعل محذوف تقديره الزمك الله الويل وقيل تقديره وي لك فهو مبتدأ وخبر كما قلناه في اف لكما وليوفيهم معطوف على محذوف تقديره والله اعلم ليجزيهم بما عملوا وليوفيهم اعمالهم

-(المعنى)-

ثم اخبر سبحانه بما يستحقه هذا الانسان من الثواب فقال (اولئك) يعني اهل هذا القول (الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا) اي يثابون على طاعاتهم والمعنى نقبل بايجاب الثواب لهم احسن اعمالهم وهو ما يستحق به الثواب من الواجبات والمندوبات فإن المباح ايضا من قبيل الحسن ولا يوصف بأنه متقبل (ونتجاوز عن سيئاتهم) التي اقترفوها (في اصحاب الجنة) اي في جملة من يتجاوز عن سيئاتهم وهم اصحاب الجنة فيكون قوله في اصحاب الجنة في موضع نصب على الحال (وعد الصدق الذي كانوا يوعدون) اي وعدهم وعد الصدق وهو ما وعد اهل الايمان بأن يتقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم اذا شاء ان يتفضل عليهم بإسقاط عقابهم اواذا تابوا الوعد الذي كانوا يوعدونه في الدنيا على ألسنة الرسل (والذي قال لوالديه) اذا دعواه الى الايمان (اف لكما) وهي كلمة تبرم يقصد بها اظهار التسخط ومعناه بعدا لكما وقيل معناه نتنا وقذرا لكما كما يقال عند شم الرائحة المكروهة (اتعدانني ان اخرج) من القبر واحيا وابعث (وقد خلت القرون من قبلي) اي مضت الامم وماتوا قبلي فما اخرجوا ولا اعيدوا وقيل معناه خلت القرون على هذا المذهب ينكرون البعث (وهما) يعني والديه (يستغيثان الله) اي يستصرخان الله ويطلبان منه الغوث ليلطف لهما يؤمن عنده ويقولان له (ويلك آمن) بالقيامة وبما يقوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم (ان وعد الله) بالبعث والنشور والثواب والعقاب (حق فيقول) هو في جوابهما (ما هذا) القرآن وما تزعمانه وتدعوانني اليه (الا اساطير الاولين) اي اخبار الأولين واحاديثهم التي سطروها وليس لها حقيقة وقيل ان الآية نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر قال له ابواه اسلم وألحا عليه فقال احيوا لي عبد الله بن جدعان ومشايخ قريش حتى اسألهم عما تقولون عن ابن عباس وابي العالية والسدي ومجاهد وقيل الآية عامة في كل كافر عاق لوالديه عن الحسن وقتادة والزجاج قالوا ويدل عليه انه قال عقيبها (اولئك الذين حق عليهم القول في امم) اي حقت عليهم كلمة العذاب في امم اي مع امم (قد خلت من قبلهم من الجن والانس) على مثل حالهم واعتقادهم قال قتادة قال الحسن الجن لا يموتون فقلت اولئك الذين حق عليهم القول في امم الآية تدل على خلافه ثم قال سبحانه مخبرا عن حالهم (انهم كانوا خاسرين) لأنفسهم إذ أهلكوها بالمعاصي (ولكل درجات مما عملوا) اي لكل واحد ممن تقدم ذكره من المؤمنين

البررة والكافرين الفجرة درجات على مراتبهم ومقادير اعمالهم فدرجات الابرار في عليين ودرجات الفجار دركات في سجين عن ابن زيد وابي مسلم وقيل معناه ولكل مطيع درجات ثواب وان تفاضلوا في مقاديرها عن الجبائي وعلي بن عيسى (ولنوفيهم اعمالهم) اي جزاء اعمالهم وثوابها ومن قرأ بالياء فالمعنى وليوفيهم الله اعمالهم (وهم لا يظلمون) بعقاب لا يستحقونه او بمنع ثواب يستحقونه (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) يعني يوم القيامة اي يدخلون النار كما يقال عرض فلان على السوط وقيل معناه عرض عليهم النار قبل ان يدخلوها ليروا اهوالها (اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا) اي فيقال لهم آثرتم طيباتكم ولذاتكم في الدنيا على طيبات الجنة (واستمتعتم بها) اي انتفعتم بها منهمكين فيها وقيل هي الطيبات من الرزق يقول انفقتموها في شهواتكم وفي ملاذ الدنيا ولم تنفقوها في مرضاة الله ولما وبخ الله سبحانه الكفار بالتمتع بالطيبات واللذات في هذه الدار آثر النبي ﷺ وامير المؤمنين (ع) الزهد والتقشف واجتناب الترفه والنعمة وقد روي في الحديث ان عمر بن الخطاب قال استأذنت على رسول الله ﷺ فدخلت عليه في مشربة ام ابراهيم وانه لمضطجع على خصفة وان بعضه على التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفا فسلمت عليه ثم جلست فقلت يا رسول الله انت نبي الله وصفوته وخيرته من خلقه وكسرى وقيصر على سرر الذهب وفرش الديباج والحرير فقال رسول الله ﷺ اولئك قوم عجلت طيباتهم وهي وشيكة الانقطاع وانما اخرت لنا طيباتنا وقال علي بن ابي طالب عليه افضل الصلوات في بعض خطبه والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها ولقد قال لي قائل الا تنبذها فقلت اغرب عني فعند الصباح يحمد القوم السرى وروى محمد بن قيس عن ابي جعفر الباقر (ع) انه قال والله ان كان علي (ع) ليأكل اكلة العبد ويجلس جلسة العبد وان كان يشتري القميصين فيخير غلامه خيرهما ثم يلبس الآخر فإذا جاز اصابعه قطعه واذا جاز كعبه حذفه ولقد ولي خمس سنين ما وضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة ولا اورث بيضاء ولا حمراء وان كان ليطعم الناس على خبز البر واللحم وينصرف الى منزله فيأكل خبز الشعير والزيت والخل وما ورد عليه امران كلاهما لله عزوجل فيه رضى الا اخذ باشدهما على بدنه ولقد اعتق الف مملوك من كد يمينه تربت منه يداه وعرق فيه وجهه وما اطاق عمله احد من الناس بعده وان كان ليصلي في اليوم والليلة الف ركعة وان كان اقرب الناس شبها به علي بن الحسين (ع) ما اطاق عمله احد من الناس بعده ثم انه قد اشتهر في الرواية انه (ع) لما دخل على العلاء بن زياد بالبصرة يعوده قال له العلاء يا امير المؤمنين اشكو اليك اخي عاصم بن زياد لبس العباءة وتخلى من الدنيا فقال (ع) علي به فلما جاء به قال يا عدي نفسه لقد استهام بك الخبيث اما رحمت اهلك وولدك اترى الله احل لك الطيبات وهو يكره ان تأخذها انت اهون على الله من ذلك قال يا امير المؤمنين هذا انت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك قال ويحك اني لست كأنت ان الله تعالى فرض على ائمة الحق ان يقدروا انفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره (فاليوم تجزون عذاب الهون) اي العذاب الذي فيه الذل والخزي والهوان (بما كنتم تستكبرون في الارض) اي باستكباركم عن الانقياد للحق في الدنيا وتكبركم على انبياء الله واوليائه (بغير الحق وبما كنتم تفسقون) اي بخروجكم من طاعة الله الى معاصيه

قوله تعالى (٢١) وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٢٢) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٣) قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ (٢٤) فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ

أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هٰذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ

خمس آيات

✻ القراءة ✻

قرأ اهل الكوفة غير الكسائي ويعقوب وسهل لا يرى بضم الياء الا مساكنهم بالرفع وقرأ الباقون لاترى بالتاء الا مساكنهم بالنصب وفي الشواذ قراءة الحسن وابي رجاء وقتادة ومالك بن دينار والاعمش لاترى بضم التاء إلا مساكنهم بالرفع وقرأ الأعمش مسكنهم

✻ الحجة ✻

قال ابو علي تذكير الفعل في قوله لا يرى إلا مساكنهم حسن وهو احسن من الحاق علامة التأنيث الفعل من اجل الجمع وذلك انهم حملوا الكلام في هذا الباب على المعنى فقالوا ما قام الا هند ولم يقولوا ما قامت لما كان المعنى ما قام احد ولا يجيء التأنيث فيه إلا في شذوذ وضرورة فمن ذلك قول الشاعر

يرى النحر والاجراز ما في عروضها فما بقيت إلا الصدور الجراشع

وقول ذي الرمة

كأنها جمل وهم وما بقيت إلا النحيزة والألواح والعصب

قال ابن جني قوله مسكنهم ان شئت جعلته مصدرا وقدرت حذف المضاف أي لا ترى إلا آثار مسكنهم كما قال ذو الرمة

تقول عجوز مدرجي متروحا على بابها من عند أهلي وغاديا

فالمدرج هنا مصدر الاتراه قد نصب الحال وإن شئت قلت مسكنهم واحد كفى من جماعة

✻ اللغة ✻

الاحقاف جمع حقف وهو الرمل المستطيل العظيم لا يبلغ أن يكون جبلا قال المبرد الحقف هو الرمل الكثير المكتنز غير العظيم وفيه اعوجاج قال العجاج «بات على ارطاة احقف احقفا» والعارض السحاب يأخذ في عرض السماء قال الاعشى

يا من رأى عارضا قد بت ارمقه كأنما البرق في حافاته شعل

والتدمير الإهلاك وإلقاء بعض الأشياء على بعض حتى يخرب ويهلك قال جرير

و كان لهم كبكر ثمود لما رغى ظهرا فدمرهم دمارا

✻ المعنى ✻

ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (واذكر) يامحمد لقومك اهل مكة (اخا عاد) يعني هودا (إذ انذر قومه) أي خوفهم بالله تعالى ودعاهم إلى طاعته (بالاحقاف) وهو واد بين عمان ومهرة عن ابن عباس وقيل رمال فيما بين عمان إلى حضرموت عن ابن اسحاق وقيل رمال مشرفة على البحر بالشحر من اليمن عن قتادة وقيل ارض خلالها رمال عن الحسن (وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه) اي وقد مضت الرسل من قبل هود (ع) ومن بعده (ألا تعبدوا إلا الله) اي بأن لا تعبدوا والمعنى اني لم ابعث قبل هود ولا بعده إلا بالأمر بعبادة الله وحده وهذا اعتراض كلام وقع بين انذار هود وكلامه لقومه ثم عاد إلى كلام هود لقومه فقال (إني اخاف عليكم عذاب يوم

عظيم) وتقدير الكلام إذ انذر قومه بالاحقاف فقال اني اخاف عليكم الآية ثم حكى ما اجاب به قومه بقوله (قالوا اجئتنا) ياهود (لتأفكنا) اي لتلفتنا وتصرفنا (عن آلهتنا) اي عن عبادة آلهتنا (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (إن كنت من الصادقين) أن العذاب نازل بنا (قال) هود (إنما العلم عند الله) هو يعلم متى يأتيكم العذاب لا انا (وابلغكم ما أرسلت به) اليكم اي وانا ابلغكم ما امرت بتبليغه اليكم (ولكني اريكم قوما تجهلون) حيث لا تجيبون إلى مافيه صلاحكم ونجاتكم وتستعجلون العذاب الذي فيه هلاككم وهذا لا يفعله إلا الجاهل بالمنافع والمضار (فلما رأوه) اي فلما رأوا ما يوعدون والهاء تعود إلى ما تعدنا في قوله فأتنا بما تعدنا (عارضا) اي سحابا يعرض في ناحية من السماء ثم يطبق السماء (مستقبل اوديتهم) قالوا كانت عاد قد حبس عنهم المطر اياما فساق الله اليهم سحابة سوداء خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم استبشروا (وقالوا هذا عارض ممطرنا) اي سحاب ممطر ايانا هذا تقديره لأنه نكرة بدلالة انه صفة لعارض فقال هود «ع» (بل هو ما استعجلتم به) اي ليس هو كما توهمتم بل هو الذي وعدتكم به وطلبتم تعجيله ثم فسره فقال (ريح فيها عذاب اليم) اي هو ريح فيها عذاب مؤلم وقيل بل هو قول الله تعالى (تدمر كل شيء بأمر ربها) اي تهلك كل شيء مرت به من الناس والدواب والاموال واعتزل هود ومن معه في حظيرة لم يصبهم من تلك الريح إلا ما تلين على الجلود وتلتذ به الأنفس وانها لتمر من عاد بالظعن ما بين السماء والأرض حتى ترى الظعينة كأنها جرادة عن عمر بن ميمون (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) وما عداها قد هلك ومن قرأ بالتاء فهو على وجه الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (كذلك) اي مثل ما اهلكنا اهل الاحقاف وجازيناهم بالعذاب (نجزي القوم المجرمين) اي الكافرين الذين يسلكون مسالكهم

قوله تعالى (٢٦) وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢٧) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٩) وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٣٠) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ

خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة ابن عباس وعكرمة وابي عامر افكهم بفتح الألف والفاء والكاف وقراءة عبد الله ابن الزبير آفكهم وقراءة ابن عياض افكهم بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

قوله افكهم معناه صرفهم وثناهم قال

إن يك عن احسن المروءة مأفو كا ففي آخرين قد افكوا

وآفكهم افعلهم منه اي اصارهم إلى الافك ويجوز ان يكون فاعلهم من ذلك مثل خادعهم واما افكهم ففعلهم وذلك لتكثيره ذلك الفعل بهم وروي عن قطرب ان ابن عباس قرأ آفكهم اي صارفهم

﴿ اللغة ﴾

التمكين اعطاء ما يتمكن به من الفعل وتدخل فيه القدرة والآلة وسائر ما يحتاج اليه الفاعل وقيل التمكين ازالة الموانع وذلك داخل في الأول لأنه كما يحتاج الفاعل في الفعل إلى الآلات يحتاج إلى زوال الموانع فإذا ازيحت عنه العلل كلها فقد مكن والقربان كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من طاعة أو نسك والجمع قرابين

﴿ الإعراب ﴾

فيما إن مكناكم فيه إن هنا بمعنى ما وان في النفي مع ما الموصولة بمعنى الذي احسن في اللفظ من ما ألا ترى انك او قلت رغبت فيما ما رغبت فيه لكان احسن منه ان تقول رغبت فيما ان رغبت فيه لاختلاف اللفظين

﴿ المعنى ﴾

ثم خوف سبحانه كفار مكة وذكر فضل عاد بالاجسام والقوة عليهم فقال (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم) اي في الذي ما مكناكم (فيه) والمعنى في الشيء الذي لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وبسطة الاجسام وطول العمر وكثرة الاموال عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه فيما مكناكم فيه وان مزيدة والمعنى مكناهم من الطاعات وجعلناهم قادرين متمكنين بنصب الادلة على التوحيد والتمكين من النظر فيها والترغيب والترهيب وازاحة العلل في جميع ذلك (وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة) ثم اخبر سبحانه عن اولئك انهم أعرضوا عن قبول الحجج والتفكر فيما يدلهم على التوحيد مع ما اعطاهم الله من الحواس الصحيحة التي بها تدرك الأدلة (فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء) اي لم ينفعهم جميع ذلك لأنهم لم يعتبروا ذلك ولا استعملوا ابصارهم وافئدتهم في النظر والتدبر (إذ كانوا يجحدون بآيات الله) وادلته (وحاق بهم) اي حل بهم جزاء (ما كانوا به يستهزؤون ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى) معناه ولقد اهلكنا يا أهل مكة ما حولكم وهم قوم هود وكانوا باليمن وقوم صالح بالحجر وقوم لوط على طريقهم إلى الشام (وصرفنا الآيات) تصريف الآيات تصييرها تارة في الاعجاز وتارة في الاهلاك وتارة في التذكير بالنعم وتارة في التذكير بالنقم وتارة في وصف الابرار ليقتدى بهم وتارة في وصف الفجار ليجتنب مثل فعلهم (لعلهم يرجعون) أي لكي يرجعوا عن الكفر (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة) أي فهلا نصر هؤلاء المهلكين الذين اتخذوهم آلهة وزعموا انهم يعبدونهم تقربا إلى الله تعالى ثم لم ينصروهم لأن هذا استفهام انكار (بل ضلوا عنهم) أي ضلت الآلهة وقت الحاجة اليها فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم (وذلك افكهم) اي اتخاذهم الآلهة دون الله كذبهم وافتراؤهم وهو قوله (وما كانوا يفترون) اي يكذبون من انها آلهة ثم بين سبحانه ان في الجن مؤمنين وكافرين كما في الانس فقال (واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) معناه واذكر يا محمد اذ وجهنا اليك جماعة من الجن تستمع القرآن وقيل معناه صرفناهم اليك عن بلادهم بالتوفيق والالطاف حتى اتوك وقيل صرفناهم اليك عن استراق

السمع من السماء برجوم الشهب ولم يكونوا بعد عيسى قد صرفوا عنه فقالوا ما هذا الذي حدث في السماء إلا من اجل شيء قد حدث في الأرض فضربوا في الأرض حتى وقفوا على النبي ﷺ ببطن نخلة عامدا إلى عكاظ وهو يصلي الفجر فاستمعوا القرآن ونظروا كيف يصلي عن ابن عباس وسعيد بن جبير وعلى هذا فيكون الرمي بالشهب لطفاً للجن (فلما حضروه) اي حضروا القرآن أو النبي ﷺ (قالوا انصتوا) اي قال بعضهم لبعض اسكتوا لنستمع إلى قراءته فلا يحول بيننا وبين القرآن شيء (فلما قضي) اي فرغ من تلاوته (ولوا إلى قومهم) اي انصرفوا إلى قومهم (منذرين) اي محذرين اياهم عذاب الله ان لم يؤمنوا (قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى) يعنون القرآن (مصدقا لما بين يديه) اي لما تقدمه من الكتب (يهدي إلى الحق) اي يرشد إلى دين الحق ويدل عليه ويدعو اليه (وإلى طريق مستقيم) يؤدي بسالكه إلى الجنة

❋ القصة ❋

عن الزهري قال لما توفي ابو طالب (ع) اشتد البلاء على رسول الله ﷺ فعمد ليقف بالطائف رجاء أن يؤوه فوجد ثلاثة نفر منهم هم سادة وهم أخوة عبد يا ليل ومسعود وحبيب بنو عمرو فعرض عليهم نفسه فقال احدهم أنا اسرق ثياب الكعبة ان كان الله بعثك بشيء قط وقال الآخر أعجز على الله ان يرسل غيرك وقال الآخر والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا أبدا فلئن كنت رسولا كما تقول فأنت أعظم خطرا من أن يرد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن اكلمك بعد وتهزؤا به وأفشوا في قومه ما راجعوه به فقعدوا له صفين على طريقه فلما مر رسول الله ﷺ بين صفيهم جعلوا لا يرفع رجليه ولا يضعهما إلا رضخوهما بالحجارة حتى أدموا رجليه فخلص منهم وهما يسيلان دما إلى حائط من حوائطهم واستظل في ظل نخلة منه وهو مكروب موجع تسيل رجلاه دما فإذا في الحائط عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة فلما رآهما كره مكانهما لما يعلم من عداوتهما لله ورسوله فلما رأياه أرسلا اليه غلاما لهما يدعى عداس معه عنب وهو نصراني من أهل نينوى فلما جاءه قال له رسول الله ﷺ من أي أرض انت قال من أهل نينوى قال من مدينة العبد الصالح يونس بن متي فقال له عداس وما يدريك من يونس بن متي قال أنا رسول الله والله تعالى اخبرني خبر يونس بن متي فلما اخبره بما اوحى الله اليه من شأن يونس خر عداس ساجداً لله ولرسول الله ﷺ وجعل يقبل قدميه وهما يسيلان الدماء فلما بصر عتبة وشيبة ما يصنع غلامهما سكتا فلما أتاهما قالا ما شأنك سجدت لمحمد وقبلت قدميه ولم نرك فعلت ذلك بأحد منا قال هذا رجل صالح أخبرني بشيء عرفته من شأن رسول بعثه الله الينا يدعى يونس بن متي فضحكا وقالا لا يفتننك عن نصرانيتك فإنه رجل خداع فرجع رسول الله ﷺ إلى مكة حتى إذا كان بنخلة قام في جوف الليل يصلي فمر به نفر من جن أهل نصيبين وقيل من اليمن فوجدوه يصلي صلاة الغداة ويتلو القرآن فاستمعوا له وهذا معنى قول سعيد بن جبير وجماعة وقال آخرون أمر رسول الله ﷺ أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله ويقرأ عليهم القرآن فصرف الله اليه نفرا من الجن من نينوى فقال ﷺ إني امرت ان أقرأ على الجن الليلة فأيكم يتبعني فاتبعه عبد الله بن مسعود قال عبد الله ولم يحضر معه احد غيري فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة ودخل نبي الله شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطاً ثم امرني أن اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك

ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن فغشيته اسودة كثيرة حتى حالت بيني وبينه حتى لم اسمع صوته ثم انطلقوا وطفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط وفرغ رسول الله ﷺ مع الفجر فانطلق فبرز ثم قال هل رأيت شيئا فقلت نعم رأيت رجالا سودا مشعنفري ثياب بيض قال اولئك جن نصيبين وروى علقمة عن عبد الله قال لم اكن مع رسول الله ﷺ ليلة الجن ووددت اني كنت معه وروي عن ابن عباس انهم كانوا سبعة نفر من جن نصيبين فجعلهم رسول الله ﷺ رسلا إلى قومهم قال زر بن حبيش كانوا تسعة نفر منهم زوبعة وروي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال لما قرأ رسول الله ﷺ الرحمن على الناس سكتوا فلم يقولوا شيئا فقال رسول الله ﷺ الجن كانوا أحسن جوابا منكم لما قرأت عليهم فبأي آلاء ربكما تكذبان قالوا لا ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب

قوله تعالى (٣١) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ ٱللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٣) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٤) وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥) فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَاسِقُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ يعقوب وحده يقدر بالياء وهو قراءة جده عبد الله بن ابي اسحق الحضرمي وعاصم الجحدري ومالك بن دينار وقرأ جميع القراء بقادر وفي الشواذ قراءة الحسن وعيسى الثقفي بلاغا بالنصب وقراءة ابن محيصن فهل يهلك بفتح الياء

الحجة

قال ابو علي قراءة القراء أولم يروا ان الله الذي خلق السموات والأرض إلى قوله بقادر من الحمل على المعنى ادخل الباء لما كان في معنى أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر ومثل ذلك في الحمل على المعنى قول الشاعر

بادت وغير آيهن مع البلى ... إلا رواكد جمرهن هباء

ثم قال «ومشجج اما سواء قذالها» لما كان غير آيهن مع البلى إلا رواكد بمعنى بها رواكد حمل مشجج على ذلك وكذلك قوله يطاف عليهم بكأس من معين ثم قال وحور عين لما كان يطاف عليهم بكذا معناه لهم فيها كذا وقالوا إن احدا لا يقول ذلك إلا زيد فادخل احدا في الواجب لما كان معنى الكلام النفي ومن قرأ بلاغا فهو على تقدير فعل مضمر اي بلغوا بلاغا كما أن الرفع على تقدير مضمر اي هو بلاغ او هذا بلاغ وقرأ ابو مجلز بلغ على الأمر

المعنى

ثم بين سبحانه تمام خبر الجن فقال حاكيا عنهم (ياقومنا اجيبوا داعي الله) يعنون محمدا صلى الله عليه وآله وسلم اذ دعاهم إلى توحيده وخلع الانداد دونه (وآمنوا به) اي بالله (يغفر لكم من ذنوبكم) اي فإنكم ان آمنتم بالله ورسوله يغفر لكم ذنوبكم (ويجركم) اي ويخلصكم (من عذاب اليم) قال علي بن ابراهيم فجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فآمنوا به وعلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شرائع الاسلام وانزل الله سبحانه قل اوحي إلي انه استمع نفر من الجن إلى آخر السورة وكانوا يفرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كل وقت وفي هذا دلالة على انه كان مبعوثا إلى الجن كما كان مبعوثا إلى الانس ولم يبعث الله نبيا إلى الانس والجن قبله (ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض) اي لا يعجز الله فيسبقه ويفوته (وليس له من دونه اولياء) اي انصار يمنعونه من الله ويدفعون عنه العذاب إذا نزل بهم ويجوز ان يكون هذا من كلام الله تعالى ابتداء ثم قال (اولئك) يعني الذين لا يجيبون داعي الله (في ضلال مبين) اي عدول عن الحق ظاهر ثم قال سبحانه منبها على قدرته على البعث والإعادة فقال (أولم يروا) اي او لم يعلموا (ان الله الذي خلق السموات والأرض) وانشأهما (ولم يعي بخلقهن) اي لم يصبه في خلق ذلك اعياء ولا تعب ولم يعجز عنه يقال عيي فلان بأمره إذا لم يهتد له ولم يقدر عليه (بقادر) الباء زائدة وموضعه رفع بأنه خبر إن (على ان يحيي الموتى) اي فخلق السموات والأرض اعجب من احياء الموتى ثم قال (بلى) هو قادر عليه (انه على كل شيء قدير) ثم عقبه بذكر الوعيد فقال (ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق) اي يقال لهم على وجه الاحتجاج عليهم أليس هذا الذي جوزيتم به حق لا ظلم فيه (قالوا) اي فيقولون (بلى وربنا) اعترفوا بذلك وحلفوا عليه بعد ما كانوا منكرين (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) اي اي بكفركم في الدنيا وانكاركم ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل) اي فاصبر يامحمد على اذى هؤلاء الكفار وعلى ترك اجابتهم الك كما صبر الرسل ومن هاهنا لتبيين الجنس كما في قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان وعلى هذا القول فيكون جميع الانبياء هم اولو العزم لأنهم عزموا على اداء الرسالة وتحمل اعبائها عن ابن زيد والجبائي وجماعة وقيل ان من هاهنا للتبعيض وهو قول اكثر المفسرين والظاهر في روايات اصحابنا ثم اختلفوا فقيل اولو العزم من الرسل من اتى بشريعة مستأنفة نسخت شريعة من تقدمه وهم خمسة اولهم نوح ثم ابراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) قال وهم سادة النبيين وعليهم دارت رحا المرسلين وقيل هم ستة نوح صبر على اذى قومه وابراهيم صبر على النار واسحق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر ويوسف صبر في البئر والسجن وايوب صبر على الضر والبلوى عن مقاتل وقيل هم الذين امروا بالجهاد والقتال واظهروا المكاشفة وجاهدوا في الدين عن السدي والكلبي وقيل هم ابراهيم وهود ونوح ورابعهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن ابي عالية والعزم هو الوجوب والحتم وأولو العزم من الرسل هم الذين شرعوا الشرائع واوجبوا على الناس الأخذ بها والانقطاع عن غيرها (ولا تستعجل لهم) اي ولا تستعجل لهم العذاب فإنه كائن واقع بهم عن قريب وما هو كائن فكأن قد كان وقع (كأنهم يوم يرون ما يوعدون)اي من العذاب في الآخرة (لم يلبثوا) في الدنيا (إلا ساعة من نهار) أي إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في

الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من نهار لأن ما مضى كأن لم يكن وإن كان طويلا وتم الكلام ثم قال بلاغ اي هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله اليكم والبلاغ بمعنى التبليغ وقيل معناه ذلك اللبث بلاغ (فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) أي لا يقع العذاب إلا بالعاصين الخارجين من امر الله تعالى وقيل معناه لا يهلك على الله تعالى إلا هالك مشرك ولى ظهره الإسلام او منافق صدق بلسانه وخالف بعمله عن قتادة وقيل معناه لا يهلك مع رحمة الله وتفضله إلا القوم الفاسقون عن الزجاج قال وما جاء في الرجاء لرحمة الله شيء اقوى من هذه الآية

سورة محمد وتسمى ايضا سورة القتال

وهي مدنية وقال ابن عباس وقتادة غير آية منها نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يريد التوجه إلى المدينة من مكة وجعل ينظر إلى البيت وهو يبكي حزنا عليه فنزلت وكأين من قرية هي اشد قوة من قريتك الآية

﴿ عدد آيها ﴾

اربعون آية بصري ثمان وثلاثون كوفي تسع في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

آيتان اوزارها غير الكوفي للشاربين بصري

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة محمد كان حقا على الله ان يسقيه من انهار الجنة وروى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأها لم يدخله شك في دينه ابدا ولم يزل محفوظا من الشرك والكفر ابدا حتى يموت فإذا مات وكل الله به في قبره الف ملك يصلون في قبره ويكون ثواب صلواتهم له ويشيعونه حتى يوقفوه موقف الأمن عند الله ويكون في امان الله وأمان محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال (ع) من أراد ان يعرف حالنا او حال اعدائنا فليقرأ سورة محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنه يراها آية فينا وآية فيهم

—(تفسيرها)—

ختم الله سبحانه تلك السورة بوعيد الكفار وافتتح هذه السورة بمثلها فقال جل ثناؤه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٢) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ٱتَّبَعُوا ٱلْبَاطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّبَعُوا ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٤) فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ

ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ (٥) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٦) وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (ست آيات)

—(القراءة)—

قرأ اهل البصرة وحفص والذين قتلوا على ما لم يسم فاعله والباقون قاتلوا بالألف

(الحجة)

قال ابو علي قاتلو اعم من قتلوا الا ترى ان من قاتل ولم يقتل لن يضل عمله كما ان الذي قتل كذلك فهو لعمومه اولى

اللغة

البال الحال والشأن والبال القلب ايضا يقال خطر ببالي كذا والبال لا يجمع لأنه أبهم اخواته من الحال والشأن . والإثخان اكثار القتل وغلبة العدو وقهرهم ومنه اثخنه المرض اشتد عليه واثخنه الجراح والوثاق اسم من الإيثاق ويقال اوثقه ايثاقا ووثاقا اذا اشتد اسره كيلا يفك والاوزار السلاح واصل الوزر ما يحمله الإنسان فسمى السلاح اوزارا لأنه يحمل قال الأعشى

واعددت للحرب اوزارها ، رماحا طوالا وخيلا ذكورا
ومن نسج داود يحدو بها على اثر الحي عيرا فعيرا

الاعراب

ذلك خبر مبتدأ محذوف تقديره الامر ذلك ويجوز ان يكون مبتدأ محذوف الخبر تقديره ذلك كائن فضرب الرقاب مصدر فعل محذوف تقديره فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل واضيف المصدر الى المفعول وهذه الإضافة في تقدير الانفصال لأن تقديره فضربا الرقاب قال الشاعر «فندلا زريق المال ندل الثعالب» و كذلك قوله منا وفداء تقديره فإما تمنون منا واما تفدون فداء

المعنى

(الذين كفروا) بتوحيد الله وعبدوا معه غيره (وصدوا) الناس (عن سبيل الله) اي عن سبيل الايمان والإسلام باستدعائهم الى تكذيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعني مشركي العرب (اضل اعمالهم) اي احبط الله اعمالهم التي كان في زعمهم انها قربة وانها تنفعهم كالعتق والصدقة وقرى الضيف والمعنى اذهبها وابطلها حتى كأنها لم تكن اذ لم يرو لها في الآخرة ثوابا وقيل نزلت في المطعمين ببدر و كانوا عشرة انفس أطعم كل واحد منهم الجند يوما (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) اي صدقوا بتوحيد الله وأضافوا إلى ذلك الأعمال الصالحة (وآمنوا بما انزل على محمد) من القرآن والعبادات خص الإيمان بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالذكر مع دخوله في الأول تشريفا له وتعظيما ولئلا يقول اهل الكتاب نحن آمنا بالله وبأنبيائنا و كتبنا (وهو الحق من ربهم) اي وما نزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو الحق من ربهم لأنه ناسخ للشرائع والناسخ هو الحق وقيل معناه ومحمد الحق من ربهم دون ما يزعمون من انه سيخرج في آخر الزمان نبي من العرب فليس هذا هو فرد الله ذلك

عليهم (كفر عنهم سيئاتهم) اي سترها عنهم بأن غفرها لهم يعني غفر سيئاتهم المتقدمة بإيمانهم وحكم بإسقاط المستحق عليها من العقاب (واصلح بالهم) اي اصلح حالهم في معاشهم وامر دنياهم عن قتادة وقيل اصلح امر دينهم ودنياهم بأن نصرهم على اعدائهم في الدنيا ويدخلهم الجنة في العقبى ثم بين سبحانه لم فعل ذلك ولم قسمهم هذين القسمين فقال (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) أي ذلك الإضلال والإصلاح باتباع الكافرين الشرك وعبادة الشيطان واتباع المؤمنين التوحيد والقرآن وما امر الله سبحانه باتباعه (كذلك يضرب الله للناس امثالهم) أي كالبيان الذي ذكرنا يبين الله سبحانه للناس امثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين فإن معنى قول القائل ضربت لك مثلا بنيت لك ضربا من الامثال عن الزجاج وقيل أراد به المثل المقرون به فجعل الكافر في اتباعه الباطل كمن دعاه الباطل إلى نفسه فأجابه والمؤمن كمن دعاه الحق إلى نفسه فأجابه وقيل معناه كما بينت عاقبة الكافر والمؤمن وجزاء كل واحد منهما أضرب للناس امثالا يستدلون فيزيدهم علما ووعظا واضاف المثل اليهم لأنه مجعول لهم ثم امر سبحانه بقتال الكفار فقال (فإذا لقيتم) معاشر المؤمنين (الذين كفروا) يعني اهل دار الحرب (فضرب الرقاب) اي فاضربوا رقابهم والمعنى اقتلوهم لأن اكثر مواضع القتل ضرب العنق وان كان يجوز الضرب في سائر المواضع فإن الغرض قتلهم (حتى إذا أثخنتموهم) اي اثقلتموهم بالجراح وظفرتم بهم وقيل حتى إذا بالغتم في قتلهم واكثرتم القتل حتى ضعفوا (فشدوا الوثاق) اي احكموا وثاقهم في الاسر امر سبحانه بقتلهم والإثخان فيهم ليذلوا فإذا ذلوا بالقتل اسروا فالأسر يكون بعد المبالغة في القتل كما قال سبحانه ما كان لنبي أن يكون له اسرى حتى يثخن في الأرض (فإما منًّا بعد وإما فداء) اي فإما ان تمنوا عليهم منا بعد ان تأسروهم فتطلقوهم بغير عوض واما ان تفدوهم فداء واختلف في ذلك فقيل كان الأسر محرما بآية الانفال ثم ابيح بهذه الآية لأن هذه السورة نزلت بعدها فإذا أسروا فالإمام مخير بين المن والفداء باسارى المسلمين وبالمال وبين القتل والاستعباد وهو قول الشافعي وابي يوسف ومحمد بن اسحاق وقيل ان الإمام مخير بين المن والفداء والاستعباد وليس له القتل بعد الاسر عن الحسن وكأنه جعل في الآية تقديما وتأخيرا تقديره فضرب الرقاب حتى تضع الحرب اوزارها ثم قال حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد واما فداء وقيل ان حكم الآية منسوخ بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وبقوله فإما تثقفنهم في الحرب عن قتادة والسدي وابن جريج وقال ابن عباس والضحاك الفداء منسوخ وقيل ان حكم الآية ثابت غير منسوخ عن ابن عمر والحسن وعطاء قالوا لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) منّ على ابي غرة وقتل عقبة بن ابي معيط وفادى اسارى بدر والمروي عن أئمة الهدى صلوات الرحمن عليهم ان الاسارى ضربان ضرب يؤخذون قبل انقضاء القتال والحرب قائمة فهؤلاء يكون الإمام مخيرا بين ان يقتلهم او يقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف ويتركهم حتى ينزفوا ولا يجوز المن ولا الفداء والضرب الآخر الذين يؤخذون بعد ان وضعت الحرب أوزارها وانقضى القتال فالإمام مخير فيهم بين المن والفداء اما بالمال او بالنفس وبين الاسترقاق وضرب الرقاب فإذا اسلموا في الحالين سقط جميع ذلك وكان حكمهم حكم المسلمين (حتى تضع الحرب اوزارها) أي حتى يضع اهل الحرب اسلحتهم فلا يقاتلون وقيل حتى لا يبقى احد من المشركين عن ابن عباس وقيل حتى لا يبقى دين غير دين الاسلام عن مجاهد والمعنى حتى تضع حربكم وقتالكم اوزار

المشركين وقبائح اعمالهم بأن يسلموا فلا يبقى إلا الإسلام خير الاديان ولا تعبد الاوثان وهذا كما جاء في الحديث والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر امتي الدجال وقال الفراء المعنى حتى لا يبقى إلا مسلم او مسالم وقال الزجاج اي اقتلوهم وأسروهم حتى يؤمنوا فما دام الكفر والحرب قائمة ابدا (ذلك) اي الامر الذي ذكرنا (ولو يشاء الله لانتصر منهم) أي من الكفار باهلاكهم وتعذيبهم بما شاء (ولكن) يأمركم بالحرب وبذل الأرواح في احياء الدين (ليبلو بعضكم ببعض) اي ليمتحن بعضكم ببعض فيظهر المطيع من العاصي والمعنى انه لو كان الغرض زوال الكفر فقط لاهلك الله سبحانه الكفار بما يشاء من انواع الهلاك ولكن أراد مع ذلك ان يستحقوا الثواب وذلك لا يحصل إلا بالتعبد وتحمل المشاق (والذين قتلوا في سبيل الله) اي في الجهاد في دين الله يوم احد عن قتادة ومن قرأ قاتلوا فالمعنى جاهدوا سواء قتلوا أو لم يقتلوا (فلن يضل اعمالهم) أي ان يضيع الله اعمالهم وان يهلكها بل يقبلها ويجازيهم عليها ثوابا دائما (سيهديهم) إلى طريق الجنة والثواب (ويصلح بالهم) اي شأنهم وحالهم والوجه في تكرير قوله بالهم ان المراد بالأول انه اصلح بالهم في الدين والدنيا وبالثاني انه يصلح حالهم في نعيم العقبى فالأول سبب النعيم والثاني نفس النعيم (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) اي بينها لهم حتى عرفوها اذ ادخلوها وتفرقوا إلى منازلهم فكانوا اعرف بها من اهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم عن سعيد بن جبير وابي سعيد الخدري وقتادة ومجاهد وابن زيد وقيل معناه بينها لهم وأعلمهم بوصفها على ما يشوق اليها فيرغبون فيها ويسعون لها عن الجبائي وقيل معناه طيبها لهم عن ابن عباس في رواية عطا من العرف وهو الرائحة الطيبة يقال طعم معرف اي مطيب

قوله تعالى (٧) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا ٱللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٨) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (٩) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (١٠) أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا اربع آيات

❊ اللغة ❊

التعس الانحطاط والعثار والاتعاس والازلال والادحاض بمعنى وهو العثار الذي لا يستقل صاحبه فإذا سقط الساقط فأريد به الانتعاش والاستقامة قيل لعاًله واذا لم يرد ذلك قيل تعسا قال الأعشى «فالتعس أولى لها من أن اقول لعا»

❊ المعنى ❊

ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله) اي ان تنصروا دين الله ونبي الله بالقتال والجهاد (ينصركم) على عدوكم (ويثبت اقدامكم) اي يشجعكم ويقوّ قلوبكم لتثبتوا وقيل ينصركم في الآخرة ويثبت اقدامكم عند الحساب وعلى الصراط وقيل ينصركم في الدنيا والآخرة ويثبت اقدامكم في الدارين وهو الوجه قال قتادة حق على الله أن ينصر من نصره لقوله ان تنصروا الله ينصركم وأن يزيد من شكره لقوله لئن شكرتم لأزيدنكم وأن يذكر من ذكره لقوله فاذكروني اذكركم وان يوفي بعهد من أقام على عهده لقوله وأوفوا بعهدي اوف بعهدكم (والذين كفروا فتعسا لهم) أي مكروها

لهم وسوءاً عن المبرد أي أتعسهم الله فتعسوا تعسا قال ابن عباس يريد في الدنيا العسرة وفي الآخرة التردي في النار (وأضل أعمالهم) مر معناه (ذلك) التعس والاضلال (بأنهم كرهوا ما انزل الله) على نبيه ﷺ من القرآن والأحكام وأمرهم بالانقياد فخالفوا ذلك وقال ابو جعفر «ع» كرهوا ما انزل الله في حق علي «ع» (فأحبط اعمالهم) لأنها لم تقع على الوجه المأمور به ثم نبههم سبحانه على الاستدلال على صحة ما دعاهم اليه من التوحيد واخلاص العبادة لله فقال (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) حين ارسل الله اليهم الرسل فدعوهم إلى توحيده واخلاص العبادة له فلم يقبلوا منهم وعصوهم اي فهلا ساروا ورأوا عواقب أولئك (دمر الله عليهم) اي اهلكهم ثم قال (وللكافرين) بك يا محمد (امثالها) من العذاب ان لم يؤمنوا ويقبلوا ما تدعوهم اليه والمعنى انهم يستحقون امثالها وانما يؤخر الله سبحانه عذابهم إلى الآخرة تفضلا منه

قوله تعالى (١١) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ ٱلْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ (١٥) إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَامُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (١٢) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ ٱلَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَٱتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٤) مَثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ خمس آيات

القراءة

قرأ ابن كثير اسن مقصورا والباقون آسن بالمد وقرأ علي «ع» وابن عباس امثال الجنة على الجمع

الحجة

قال ابو زيد يقال أسن الماء يأسن اسونا إذا تغير وأسن الرجل ياسن اسنا إذا غشي عليه من ريح خبيثة اوربما مات منها قال

التارك القرن مصفرا انامله تميل في الرمح ميل المائح الأسن

قال ابو عبيدة الاسن المتغير فحجة ابن كثير ان اسم الفاعل من فعل يفعل على فعل وقال ابو الحسن اسن إنما هو للحال التي تكون عليها ومن قرأ آسن على فاعل فإنما يريد أن ذلك لا يصير اليه فيما يستقبل وقوله امثال الجنة فيه دليل على ان القراءة العامة التي هي مثل في معنى الكثرة لما فيه من معنى المصدرية

اللغة

المثوى المنزل من قولهم ثوى بالمكان ثواء إذا اقام به ويقال للمرأة أم المثوى اي ربة المنزل والمثل والمثل بمعنى مثل الشبه والشبه والبدل والبدل والأمعاء جمع معي وفي الحديث المؤمن يأكل في معى واحد

والكافر يأكل في سبعة امعاء وفيه وجوه من التأويل ﴿احدها﴾ انه قال علي «ع» في رجل معين ﴿والثاني﴾ ان المعنى يأكل المؤمن فيسمي الله تعالى فيبارك في اكله ﴿والثالث﴾ ان المؤمن يضيق عليه في الدنيا والكافر يصيب منها ﴿والرابع﴾ انه مثل لزهد المؤمن في الدنيا وحرص الكافر عليها وهذا احسن الوجوه

﴿ الاعراب ﴾

قال الزجاج مثل الجنة مبتدأ وخبره محذوف تقديره مثل الجنة التي وعد المتقون مما قد عرفتموه من الدنيا جنة فيها انهار إلى آخره وقوله كمن هو خالد في النار تقديره أفمن كان على بينة من ربه واعطي هذه الاشياء كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه (ذلك) اي الذي فعلناه في الفريقين (بأن الله مولى الذين آمنوا) يتولى نصرهم وحفظهم ويدفع عنهم (وأن الكافرين لا مولى لهم) ينصرهم ولا أحد يدفع عنهم لا عاجلا ولا آجلا ثم ذكر سبحانه حال الفريقين فقال (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار) اي من تحت اشجارها وأبنيتها (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام) اي سيرتهم سيرة الانعام آثروا لذات الدنيا وشهواتها واعرضوا عن العبر يأكلون للشبع ويتمتعون لقضاء الوطر (والنار مثوى لهم) اي موضع مقامهم يقيمون فيها ثم خوفهم وهددهم سبحانه فقال (وكأين من قرية هي اشد قوة من قريتك) يا محمد يعني مكة (التي اخرجتك) اي اخرجك اهلها والمعنى كم من رجال هم اشد من اهل مكة ولهذا قال (اهلكناهم) فكنى عن الرجال عن ابن عباس (فلا ناصر لهم) يدفع عنهم اهلاكنا اياهم والمعنى فمن الذي يؤمن هؤلاء ان افعل بهم مثل ذلك ثم قال سبحانه على وجه التهجين والتوبيخ للكفار والمنافقين (أفمن كان على بينة من ربه) أي على يقين من دينه وعلى حجة واضحة من اعتقاده في التوحيد والشرائع (كمن زين له سوء عمله) زين له الشيطان المعاصي واغواه (واتبعوا اهواءهم) اي شهواتهم وما تدعوهم اليه طباعهم وهو وصف لمن زين له سوء عمله وهم المشركون وقيل هم المنافقون عن ابن زيد وهو المروي عن ابي جعفر «ع» ثم وصف الجنات التي وعدها المؤمنين بقوله (مثل الجنة التي وعد المتقون) تقدم تفسيره في سورة الرعد (فيها انهار من ماء غير آسن) أي غير متغير لطول المقام كما تتغير مياه الدنيا (وانهار من لبن لم يتغير طعمه) فهو غير حامض ولا قارص ولا يعتريه شيء من العوارض التي تصيب الالبان في الدنيا (وانهار من خمر لذة للشاربين) اي لذيذة يلتذون بشربها ولا يتأذون بها ولا بعاقبتها بخلاف خمر الدنيا التي لا تخلو من المزازة والسكر والصداع (وانهار من عسل مصفى) اي خالص من الشمع والرغوة والقذى ومن جميع الأذى والعيوب التي تكون لعسل الدنيا (ولهم فيها من كل الثمرات) اي مما يعرفون اسمها ومما لا يعرفون اسمها مبرأة من كل مكروه يكون لثمرات الدنيا (ومغفرة من ربهم) اي ولهم مع هذا مغفرة من ربهم وهو انه يستر ذنوبهم وينسيهم سيئاتهم حتى لا يتنغص عليهم نعيم الجنة (كمن هو خالد في النار) اي من كان في هذه النعيم كمن هو خالد في النار (وسقوا ماء حميما) شديد الحر (فقطع امعاءهم) إذا دخل أجوافهم وقيل ان قوله كمن هو خالد في النار معطوف على قوله كمن زين له سوء عمله اي كمن زين له سوء عمله ومن هو خالد في النار فحذف الواو كما يقال قصدني فلان شتمني ظلمني

قوله تعالى (١٦) وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ (١٧) وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (١٨) فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ (١٩) فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (٢٠) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ خمس آيات

القراءة

روي في بعض الروايات عن ابي كثير انفا بالقصر والقراءة المشهورة آنفا بالمد

الحجة

قال ابو علي انشد ابو زيد

وجدنا آل مرة حين خفنا ... جريرتنا هم الانف الكراما

ويسرح جارهم من حيث يمسي ... كأن عليه مؤتنفا حراما

اي كأن عليه حرمة شهر مؤتنف حرام فحذف والانف الذين يأنفون من احتمال الضيم قال ابو علي فإذا كان كذلك فقد جمع فعُل على فعل لأن واحد انُف انف بدلالة قول الشاعر

وحمال المئين إذا ألمت ... بنا الحدثان والانف النصور

وليس الانف والانف في البيتين مما في الآية في شيء لأن ما في الشعر من الانفة وما في الآية من الابتداء ولم يسمع انف في معنى ابتداء ويجوز ان يكون توهمه ابن كثير مثل حاذر وحذر وفاكه وفكه والوجه المد والانف الجائي من الإئتناف وهو الابتداء فقوله انفا اي في اول وقت يقرب منا

اللغة

الاهواء جمع الهوى وهو شهوة النفس يقال هوى يهوي هوى فهو هو واستهواه هذا الأمر اي دعاه إلى الهوى والاشراط العلامات واشرط فلان نفسه بالأمر إذا اعلمها بعلامة قال اوس بن حجر

فاشرط فيها نفسه وهو معصم ... والقى بأسباب له وتوكلا

وواحد الاشراط شرط والشرط بالتحريك العلامة واشراط الساعة علاماتها والشرط ايضا رذال المال قال جرير

ترى شرط المغرى مهور نسائهم ... وفي شرط المغرى لهن مهور

واصحاب الشرط سموا بذلك للبسهم لباسا يكون علامة لهم والشرط في البيع علامة بين المتبايعين

المعنى

ثم بين سبحانه حال المنافقين فقال (ومنهم من يستمع اليك) أي ومن الكافرين الذين تقدم ذكرهم من يستمع إلى قراءتك ودعوتك وكلامك لأن المنافق كافر (حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين

اوتوا العلم) يعني الذين أتاهم الله العلم والفهم من المؤمنين قال ابن عباس انا ممن اوتوا العلم بالقرآن وعن الاصبغ بن نباتة عن علي (ع) قال انا كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيخبرنا بالوحي فأعيه انا ومن يعيه فاذا خرجنا قالوا (ماذا قال آنفا) وقولهم ماذا قال آنفا اي اي شيء قال الساعة وإنما قالوه استهزاء أو اظهار انا لم نشتغل ايضا بوعيه وفهمه وقيل إنما قالوا ذلك لأنهم لم يفهموا معناه ولم يعلموا ما سمعوه وقيل بل قالوا ذلك تحقيرا لقوله اي لم يقل شيئا فيه فائدة ويحتمل ايضا أن يكونوا سألوا رياء ونفاقا أي لم يذهب عني من قوله إلا هذا فماذا قال اعده علي لأحفظه وإنما قال يستمع اليك ثم قال خرجوا من عندك لأن في الأول رد الضمير إلى لفظة من وفي الثاني إلى معناه فإنه موحد اللفظ مجموع المعنى ثم قال (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم) اي وسم قلوبهم بسمة الكفار أو خلى بينهم وبين اختيارهم (واتبعوا اهواءهم) اي شهوات نفوسهم وما مالت اليه طباعهم دون ما قامت عليه الحجة ثم وصف سبحانه المؤمنين فقال (والذين اهتدوا) بما سمعوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم (زادهم) الله او قراءة القرآن او النبي صلى الله عليه وآله وسلم (هدى) وقيل زادهم استهزاء المنافقين ايمانا وعلما وبصيرة وتصديقا لنبيهم صلى الله عليه وآله وسلم (وآتيهم تقويهم) اي وفقهم للتقوى وقيل معناه وآتاهم ثواب تقواهم عن سعيد بن جبيروابي علي الجبائي وقيل بين لهم ما يتقون وهو ترك الرخص والاخذ بالعزائم (فهل ينظرون إلا الساعة) أي فليس ينتظرون إلا القيامة (أن تأتيهم بغتة) أي فجأة فقوله ان تأتيهم بدل من الساعة وتقديره إلا الساعة إتيانها بغتة والمعنى إلا اتيان الساعة اياهم بغتة (فقد جاء اشراطها) اي علاماتها قال ابن عباس معالمها والنبي من اشراطها ولقد قال بعثت انا والساعة كهاتين وقيل هي اعلامها من انشقاق القمر والدخان وخروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونزول آخر الكتب عن مقاتل (فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم) اي فمن اين لهم الذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة وموضع ذكراهم رفع مثله في قوله يوم يتذكر الانسان وأنى له الذكرى اي ليس تنفعه الذكرى والذكرى ما امر الله سبحانه ان يتذكروا به ومعناه وكيف لهم بالنجاة إذا جاءتهم الساعة فإنه لا ينفعهم في ذلك الوقت الإيمان والطاعات لزوال التكاليف عنهم ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به جميع المكلفين (فاعلم انه لا إله إلا الله) قال الزجاج يجوز أن يكون المعنى اقم على هذا العلم واثبت عليه واعلم في مستقبل عمرك ما تعلمه الآن ويدل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من مات وهو يعلم انه لا إله إلا الله دخل الجنة أورده مسلم في الصحيح وقيل انه يتعلق بما قبله على معنى إذا جاءتهم الساعة فاعلم انه لا إله إلا الله اي يبطل الملك عند ذلك فلا ملك ولا حكم لأحد إلا الله وقيل ان هذا اخبار بموته صلى الله عليه وآله وسلم والمراد فاعلم أن الحي الذي لايموت هو الله وحده وقيل انه كان ضيق الصدر من أذى قومه فقيل له فاعلم انه لا كاشف لذلك إلا الله (واستغفر لذنبك) الخطاب له والمراد به الامة وإنما خوطب بذلك لتستن امته بسنته وقيل إن المراد بذلك الانقطاع إلى الله تعالى فإن الاستغفار عبادة يستحق به الثواب وقد صح الحديث بالاسناد عن حذيفة بن اليمان قال كنت رجلا ذرب اللسان على اهلي فقلت يارسول الله اني لأخشى ان يدخلني لساني في النار فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأين انت من الاستغفار اني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة (وللمؤمنين والمؤمنات) اكرمهم الله سبحانه بهذا إذ امر نبيهم ان يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم ثم اخبر سبحانه عن علمه واحوال الخلق ومالهم فقال (والله يعلم متقلبكم ومثويكم) اي متصرفكم في أعمالكم في الدنيا ومصيركم في الآخرة

إلى الجنة أو إلى النار عن ابن عباس وقيل يعلم متقلبكم في اصلاب الآباء إلى ارحام الامهات ومثواكم اي مقامكم في الأرض عن عكرمة وقيل متقلبكم من ظهر إلى بطن ومثواكم في القبور عن ابن كيسان وقيل يعلم متقلبكم متصرفكم في النهار ومثواكم مضجعكم بالليل والمعنى انه عالم بجميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها ثم قال سبحانه حكاية عن المؤمنين (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة) اي هلا نزلت لأنهم كانوا يأنسون بنزول القرآن ويستوحشون لإبطائه ليعلموا أوامر الله تعالى فيهم وتعبده لهم (فإذا انزلت سورة محكمة) ليس فيها متشابه ولا تأويل وقيل سورة ناسخة لما قبلها من اباحة التخفيف في الجهاد قال قتادة كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي اشد القرآن على المنافقين وقيل محكمة اي مقرونة بوعيد يؤكد الأمر كقوله الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما وقيل محكمة بوضوح الفاظها وعلى هذا فالقرآن كله محكم وقيل هي التي تتضمن نصا لم يختلف تأويله ولم يتعقبه نص وفي قراءة ابن مسعود سورة محدثة اي مجددة (وذكر فيها القتال) أي واوجب عليهم فيها القتال وامروا به (رأيت) يا محمد (الذين في قلوبهم مرض) اي شك ونفاق (ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت) قال الزجاج يريد انهم يشخصون نحوك بابصارهم وينظرون اليك نظرا شديدا كما ينظر الشاخص ببصره عند الموت لثقل ذلك عليهم وعظمه في نفوسهم (فاولى لهم) هذا تهديد ووعيد قال الاصمعي معنى قولهم في التهديد اولى لك وليك وقارنك ما تكره وقال قتادة معناه العقاب لهم والوعيد لهم وعلى هذا يكون اولى اسما للتهديد والوعيد ويكون اولى لهم مبتدأ او خبرا ولا ينصرف اولى لأنه على وزن الفعل وصار اسما للوعيد وقول الاصمعي ان معناه وليك ما تكره لا يريد به ان اولى فعل وإنما فسره على المعنى وقيل معناه اولى لهم طاعة لله ورسوله وقول معروف بالإجابة اي لو اطاعوا فاجابوا كانت الطاعة والإجابة اولى لهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء واختيار الكسائي فيكون على هذا طاعة وقول معروف متصلا بما قبله وكذلك او كانت صفة لسورة وتقديره فإذا انزلت سورة ذات طاعة وقول معروف على ما قاله الزجاج وعلى القول الاول يكون طاعة مبتدأ محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف امثل او احسن او يكون خبر مبتدأ محذوف وتقديره امرنا طاعة ويكون الوقف حسنا عند قوله فاولى لهم

قوله تعالى (٢١) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٢٢) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٣) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ (٢٤) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٥) إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ

خمس آيات

القراءة

قرأ يعقوب وسهل وتقطعوا بفتح التاء والطاء وسكون القاف والباقون وتقطعوا بالتشديد وضم التاء وكسر الطاء وقرأ اهل البصرة وأملي لهم بضم الهمزة وفتح الياء وفي رواية رويس عن يعقوب بسكون الياء وقرأ الباقون وأملى لهم بفتح الهمزة واللام وروي عن النبي صلى الله عليه وآله فهل عسيتم ان وليتم وعن علي (ع) ان توليتم قال ابو حاتم معناه ان تولاكم الناس

﴿ الحجة ﴾

حجة من قرأ وتقطعوا بالتخفيف قوله تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل والتشديد للمبالغة وقوله وليتم من الولاية وفيه دلالة على ان القراءة المشهورة توليتم معناه توليتم الامر قال ابو علي قال انتظرته مليا من الدهر اي متسعا منه صفة استعمل استعمال الاسماء وقالوا تمليت حبيبا اي عشت معه ملاوة من الدهر وقالوا الملوان يريدون بهما تكرر الليل والنهار وطول مدتهما قال

نهار وليل دائم ملواهما ... على كل حال المرء يختلفان

فلو كان الليل والنهار لم يضافا الى ضميرهما من حيث لا يضاف الشيء الى نفسه ولكن كأنه يراد تكرر الدهر واتساعه بهما والضمير في املي لهم لاسم الله كما قال واملي لهم ان كيدي متين فمن قرأ واملي لهم فبني الفعل للمفعول به فإنه يحسن في هذا الموضع للعلم بأنه لا يؤخر احد مدة احد ولا يوسع له فيها الا الله سبحانه

﴿ المعنى ﴾

(طاعة وقول معروف) قد ذكرنا أن فيه مذهبين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون متصلا بما قبله وقد مر ذكره ﴿ والآخر ﴾ ان يكون كلاما مبتدأ ثم اختلف في تقديره على وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون مبتدأ محذوف الخبر ثم قيل ان معناه طاعة وقول معروف امثل واليق من احوال هؤلاء المنافقين وقيل معناه طاعة وقول معروف خير لهم من جزعهم عند نزول فرض الجهاد عن الحسن والوجه الآخر انه خبر مبتدأ محذوف تقديره قولوا امرنا طاعة وقول معروف اي حسن لا ينكره السامع وهذا امر أمر الله به المنافقين عن مجاهد وقيل هو حكاية عنهم انهم كانوا يقولون ذلك ويقتضيه قوله فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم (فإذا عزم الأمر) معناه فإذا جد الأمر وازم فرض القتال وصار الأمر معزوما عليه والعزم العقد على الامر بالإرادة لأن يفعله فإذا عقد العازم العزم على ان يفعله قيل عزم الأمر على طريق البلاغة وجواب اذا محذوف ويدل عليه قوله (فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم) وتقديره فإذا عزم الأمر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا من انفسهم فلو صدقوا الله فيما امرهم به من الجهاد وامتثلوا امره لكان خيرا لهم في دينهم ودنياهم من نفاقهم (فهل عسيتم) يا معشر المنافقين (ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم) معناه ان توليتم الاحكام ووليتم اي جعلتم ولاة ان تفسدوا في الارض بأخذ الرشاء وسفك الدم الحرام فيقتل بعضكم بعضا ويقطع بعضكم رحم بعض كما قتلت قريش بني هاشم وقتل بعضهم بعضا وقيل ان توليتم معناه ان اعرضتم عن كتاب الله والعمل بما فيه ان تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية فتفسدوا بقتل بعضكم بعضا قال قتادة كيف رأيتم القوم حين تولوا عن القرآن ألم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن ثم ذم الله سبحانه من يريد ذلك فقال (اولئك الذين لعنهم الله) اي ابعدهم من رحمته (فأصمهم واعمى ابصارهم) ومعناه انهم لا يعون الخير ولا يبصرون مابه يعتبرون فكأنهم صم عمي عن ابي مسلم وقيل انهم في الآخرة لا يهتدون الى الجنة بمنزلة الاصم الاعمى في الدنيا عن ابي علي الجبائي ولا يجوز حمله على الصمم والعمى في الجارحة بلا خلاف لأنهم لو كانوا كذلك لما ذموا على انهم لا يسمعون ولا يبصرون وإنما اطلق الصمم لأنه لا يكون الا في الاذن وقرن العمي بالابصار لأنه قد يكون بالبصر وبالقلب (أفلا يتدبرون القرآن) بأن يتفكروا فيه ويعتبروا به وقيل افلا يتدبرون القرآن فيقضوا ما عليهم من الحق عن ابي عبد الله (ع) وابي الحسن موسى (ع) (أم على قلوب اقفالها) معنى تنكير القلوب ارادة قلوب هؤلاء ومن كان مثلهم من غيرهم وفي هذا دلالة على بطلان قول من قال لا يجوز تفسير شيء من ظاهر القرآن إلا بخبر وسمع وفيه تنبيه ايضا على فساد قول من يقول إن الحديث ينبغي ان يروى على ماجاء وإن كان مخالفا لاصول الديانات في المعنى لأنه سبحانه دعا إلى التدبر والتفكر وذلك مناف للتعامي والتجاهل ثم قال سبحانه (إن الذين ارتدوا عن ادبارهم) اي رجعوا عن الحق والايمان (من بعد ما تبين لهم الهدى) اي

من بعد ما بان لهم طريق الحق وهم المنافقون عن ابن عباس والضحاك والسدي كانوا يؤمنون عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم يظهرون الكفر فيما بينهم فتلك ردة منهم وقيل هم كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد عرفوه ووجدوا انعته مكتوبا عندهم عن قتادة وليس في هذا دلالة على أن المؤمن قد يكفر لأنه لا يمتنع ان يكون المراد من رجع في باطنه عن الايمان بعد ان اظهره وقامت الحجة عنده بصحته (الشيطان سول لهم) اي زين لهم خطاياهم عن الحسن وقيل اعطاهم سؤلهم وأمنيتهم إذ دعاهم إلى ما يوافق مرادهم وهواهم عن ابي مسلم (واملى لهم) اي طول لهم املهم فاغتروا به وقيل أوهمهم طول العمر مع الامن من المكاره وابعد لهم في الأمل والامنية

قوله تعالى (٢٦) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ (٢٧) فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٨) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٩) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٣٠) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير ابي بكر اسرارهم بالكسر والباقون اسرارهم بالفتح

الحجة

قال ابو علي حجة من قرأ اسرارهم انه لما كان مصدرا افرد ولم يجمع ويقوي الافراد قوله الم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجويهم فكما افرد السر ولم يجمع كذلك قال اسرارهم ومن فتح الهمزة جعله جمع سر فكأنه جمع لاختلاف ضروب السر وجميع الاجناس يحسن جمعها مع الاختلاف وقد جاء سرهم في قوله يعلم سرهم على ما عليه معظم المصادر لانه يتناول جميع ضروبه فافرد مرة وجمع اخرى

اللغة

الاضغان جمع الضغن وهو الحقد واللحن اصله ازالة الكلام عن جهته ثم انه يستعمل على وجهين في الصواب والخطأ اما في الصواب فمعناه الكناية عن الشيء والعدول عن الافصاح عنه قال الشاعر

ولقد وحيت لكم لكيلا تفطنوا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب

وقيل اللحن هي الفطنة وسرعة الفهم والفاعل منه لحن يلحن فهو لحن اذا فطن ومنه الحديث لعل احدكم يكون ألحن بحجته من بعض اي افطن لها واغوص بها ومنه قول الشاعر

منطق صائب وتلحن احيانا وخير الحديث ما كان لحنا

وإنما يسمى التعريض لحنا لانه ذهاب بالكلام الى خلاف جهته ومنه قول عمر تعلموا اللحن كما تتعلمون القرآن واما في الخطأ فإن اللحن ازالة الاعراب عن جهته والفعل منه لحن يلحن فهو لاحن

(المعنى)

ثم بين سبحانه سبب استيلاء الشيطان عليهم فقال (ذلك) اي التسويل والاملاء (بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله) من القرآن وما فيه من الامر والنهي والاحكام والمروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) انهم بنو امية كرهوا ما نزل الله في ولاية علي ابن ابي طالب (ع) (سنطيعكم في بعض الأمر) اي نفعل بعض ما تريدونه

(والله يعلم إسرارهم) اي ما اسره بعضهم الى بعض من القول وما اسروه في انفسهم من الاعتقاد (فكيف اذا توفتهم الملائكة) اي فكيف حالهم اذا قبضت الملائكة ارواحهم وانما حذف تفخيما لشأن ما ينزل بهم في ذلك الوقت (يضربون وجوههم وادبارهم) على وجه العقوبة لهم ثم ذكر الله سبحانه سبب نزول ذلك الضرب فقال (ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله) من المعاصي التي يكرهها الله ويعاقب عليها (وكرهوا رضوانه) اي سبب رضوانه من الايمان وطاعة الرسول (فأحبط الله اعمالهم) التي كانوا يعملونها من صلاة وصدقة وغير ذلك لأنها في غير ايمان ثم قال سبحانه (ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم) اي احقادهم على المؤمنين ولا يبدي عوراتهم للنبي ﷺ (ولو نشاء لأريناكهم) باعيانهم يا محمد حتى تعرفهم وهو قوله (فلعرفتهم بسيماهم) اي بعلاماتهم التي ننصبها لك كي تعرفهم بها (ولتعرفنهم في لحن القول) اي وتعرفهم الآن في فحوى كلامهم ومعناه ومقصده ومغزاه لأن كلام الانسان يدل على ما في ضميره وعن ابي سعيد الخدري قال لحن القول بغضهم علي بن ابي طالب (ع) قال وكنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله ﷺ ببغضهم علي بن ابي طالب (ع)وروي مثل ذلك عن جابر بن عبد الله الانصاري وعن عبادة بن الصامت قال كنا نبور اولادنا بحب علي (ع) فإذا رأينا احدهم لا يحبه علمنا انه لغير رشدة وقال انس ما خفي منافق على عهد رسول الله بعد هذه الآية (والله يعلم اعمالكم) ظاهرها وباطنها

قوله تعالى (٣١) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣٢) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ (٣٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٤) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٣٥) فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ خمس آيات

« القراءة »

قرأ ابو بكر وليبلونكم وما بعده بالياء وهو المروي عن ابي جعفر الباقر (ع) والباقون بالنون وقرأ يعقوب ونبلو ساكنة الواو

الحجة

قال ابو علي وجه الياء ان قبله والله يعلم اعمالكم واسم الغيبة اقرب اليه من لفظ الجمع فحمل على الاقرب ووجه النون قوله ولو نشاء لأريناكهم

اللغة

يقال وتره يتره وترا إذا نقصه ومنه الحديث فكأنه وتر اهله وماله واصله القطع ومنه الترة القطع بالقتل ومنه الوتر المنقطع بانفراده عن غيره

المعنى

ثم اقسم سبحانه فقال (ولنبلونكم) اي نعاملكم معاملة المختبر بما نكلفكم به من الامور الشاقة (حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) اي حتى يتميز المجاهدون في سبيل الله من جملتكم والصابرون على الجهاد

وقيل معناه حتى يعلم اولياؤنا المجاهدين منكم واضافه إلى نفسه تعظيما لهم وتشريفا كما قال إن الذين يؤذون الله ورسوله اي يؤذون اولياء الله وقيل معناه حتى نعلم جهادكم موجودا لأن الغرض ان تفعلوا الجهاد فيثيبكم على ذلك (ونبلوا اخباركم) اي نختبر اسراركم بما تستقبلونه من افعالكم (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) اي امتنعوا عن اتباع دين الله ومنعوا غيرهم عن اتباعه تارة وبالاغواء اخرى (وشاقوا الرسول) أي عاندوه وعادوه (من بعد ما تبين لهم الهدى) اي من بعد ما ظهر لهم انه الحق وعرفوا انه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لن يضروا الله) بذلك (شيئا) و إنما ضروا انفسهم (وسيحبط) الله (اعمالهم) فلا يرون لها في الآخرة ثوابا وفي هذه الآية دلالة على ان هؤلاء الكفار كانوا قد تبين لهم الهدى فارتدوا عنه فلم يقبلوه عنادا وهم المنافقون وقيل انهم اهل الكتاب ظهر لهم امر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يقبلوه وقيل هم رؤساء الضلالة جحدوا الهدى طلبا للجاه والرياسة لأن العناد يضاف إلى الخواص (يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله) بتوحيده (وأطيعوا الرسول) بتصديقه وقيل اطيعوا الله في حرمة الرسول واطيعوا الرسول في تعظيم امر الله (ولا تبطلوا اعمالكم) بالشك والنفاق عن عطاء وقيل بالرياء والسمعة عن الكلبي وقيل بالمعاصي والكبائر عن الحسن (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) مضى معناه (ثم ماتوا وهم كفار) أي أصروا على الكفر حتى ماتوا على كفرهم (فلن يغفر الله لهم) ابدا لان اللفظ لن للتأبيد (فلا تهنوا) اي ولا تتوانوا ولا تضعفوا عن القتال (وتدعوا إلى السلم) اي ولا تدعوا الكفار إلى المسالمة والمصالحة (وانتم الأعلون) أي وأنتم القاهرون الغالبون عن مجاهد وقيل إن الواو للحال أي لا تدعوهم إلى الصلح في الحال التي تكون الغلبة لكم فيها وقيل انه ابتداء اخبار من الله عن حال المؤمنين انهم الاعلون يدا ومنزلة آخر الامر وان غلبوا في بعض الاحوال (والله معكم) اي بالنصرة على عدوكم (وان يتركم اعمالكم) اي ان ينقصكم شيئا من ثوابها بل يثيبكم عليها ويزيدكم من فضله عن مجاهد وقيل معناه لن يظلمكم عن ابن عباس وقتادة وابن زيد

قوله تعالى (٣٦) إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ (٣٧) إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ (٣٨) هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم

ثلاث آيات

القراءة

في بعض الروايات عن ابي عمرو ويخرج بالرفع والمشهور عنه وعن الجميع ويخرج بالجزم

الحجة

وهذا يكون على استئناف الكلام اي وهو يخرج اضغانكم على كل حال

اللغة

الإحفاء الإلحاح في السؤال حتى ينتهي إلى مثل الحفاء والمشي بغير حذاء يقال احفاه بالمسألة يحفيه احفاء وقيل الاحفاء بالمسألة الالطاف فيها عن ابي مسلم والبخل هو منع الواجب وقيل هو منع النفع الذي هو اولى في العقل عن علي بن عيسى

(الاعراب)

يسألكموها فيحفكم إنما قدم المخاطب على الغائب لأن الابتداء بالأقرب مع انه المفعول الأول اولى وتقول

ان يساء. انما جماعتكم لأنه غائب مع غائب فالمتصل أولى بأن يلي الفعل من المنفصل وقال ها انتم هؤلاء كرر التنبيه في الموضعين للتأكيد وأنتم مبتدأ وهؤلاء بدل منه وتدعون خبر المبتدأ

المعنى

ثم حضّ الله سبحانه على طلب الآخرة فقال (إنما الحيوة الدنيا لعب ولهو) اي سريعة الفناء والانقضاء ومن اختار الفاني على الباقي كان جاهلا ومنقوصا قال الحسن الذي خلقها هو اعلم بها (و إن تؤمنوا) بالله ورسوله (وتتقوا) معاصيه (يؤتكم اجوركم) اي جزاء اعمالكم في الآخرة (ولايسألكم اموالكم) كلها في الصدقة وان اوجب عليكم الزكاة في بعض اموالكم عن سفيان بن عيينة والجبائي وقيل لا يسألكم اموالكم لأن الأموال كلها لله فهو املك لها وهو المنعم باعطائها وقيل لا يسألكم الرسول على اداء الرسالة اموالكم ان تدفعوها اليه (ان يسئلكموها فيحفكم) اي يجهدكم بمسألة جميعها (تبخلوا) بها فلا تعطوها اي ان يسئلكم جميع ما في ايديكم تبخلوا وقيل فيحفكم اي فيلطف في السؤال بأن يعد عليه الثواب الجزيل عن ابي مسلم (ويخرج اضغانكم) اي ويظهر بغضكم وعداوتكم لله ورسوله ولكنه فرض عليكم ربع العشر قال قتادة علم الله أن في مسألة الاموال خروج اضغان وهي الاحقاد التي في القلوب والعداوات الباطنة (ها انتم هؤلاء تدعون لتنفقوا في سبيل الله) يعني ما فرض عليهم في اموالهم أي إنما تؤمرون باخراج ذلك وانفاقه في طاعة الله (فمنكم من يبخل) بما فرض عليه من الزكاة (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) لأنه يحرمها مثوبة جسيمة ويلزمها عقوبة عظيمة وهذه اشارة إلى ان معطي المال احوج اليه من الفقير الآخذ فبخله بخل على نفسه وذلك اشد البخل قال مقاتل إنما يبخل بالخير والفضل في الآخرة عن نفسه وقيل معناه فإنما يبخل بداع عن نفسه يدعوه إلى البخل فإن الله تعالى نهى عن البخل وذمه فلا يكون البخل بداع من جهته (والله الغني) عما عندكم من الأموال (وانتم الفقراء) إلى ما عند الله من الخير والرحمة اي لا يأمركم بالانفاق لحاجته ولكن لتنتفعوا به في الآخرة (وان تتولوا) اي تعرضوا عن طاعته وعن امر رسوله (يستبدل قوما غيركم) امثل وأطوع لله منكم (ثم لا يكونوا امثالكم) بل يكونوا خيرا منكم واطوع لله وروى ابو هريرة ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالوا يارسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه وكان سلمان إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضرب يده على فخذ سلمان فقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس وروى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال إن تتولوا يا معشر العرب يستبدل قوما غيركم يعني الموالي وعن ابي عبد الله (ع) قال قد والله ابدل بهم خيرا منهم الموالي

سورة الفتح (مدنية)

عدد آيها

تسع وعشرون آية بالاجماع

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأها فكأنما شهد مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم فتح مكة وفي رواية اخرى فكأنما كان مع من بايع محمدا صلى الله عليه وآله وسلم تحت الشجرة. عمر بن الخطاب قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفر فقال نزلت علي البارحة سورة هي احب الي من الدنيا وما فيها انا فتحنا الى قوله وما تأخر اورده البخاري في الصحيح. قتادة عن انس قال لما رجعنا من غزوة الحديبية وقد حيل بيننا وبين نسكنا فنحن بين الحزن والكآبة اذ أنزل

الله عز وجل انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال رسول ﷺ لقد انزلت علي آية هي احب الي من الدنيا كلها • عبد الله بن مسعود قال اقبل رسول الله ﷺ من الحديبية فجعلت ناقته تثقل فتقدمنا فانزل الله عليه انا فتحنا لك فتحا مبينا فادركنا رسول الله ﷺ وبه من السرور ما شاء الله فاخبر انها انزلت عليه • عبد الله بن بكير عن ابيه قال قال ابو عبد الله (ع) حصنوا اموالكم ونساءكم وما ملكت ايمانكم من التلف بقراءة انا فتحنا فانه اذا كان ممن يدمن قراءتها ناداه مناد يوم القيامة حتى يسمع الخلائق انت من عبادي المخلصين الحقوه بالصالحين من عبادي فاسكنوه جنات النعيم واسقوه الرحيق المختوم بمزاج الكافور

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله تلك السورة بقوله والله الغني وانتم الفقراء ومن غناه انه فتح لنبيه ﷺ ما احتاج اليه في دينه ودنياه فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (٢) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٣) وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا (٤) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (٥) لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا

خمس آيات

﴿ اللغة ﴾

الفتح ضد الاغلاق وهو الاصل ثم استعمل في مواضع فمنها الحكم والقضاء ويسمى الحاكم فتاحا والفتاحة الحكومة ومنها النصر والاستفتاح الاستنصار ومنها فتح البلدان ومنها العلم وقوله وعنده مفاتيح الغيب من ذلك

﴿ المعنى ﴾

(انا فتحنا لك فتحا مبينا) اي قضينا لك قضاء ظاهرا عن قتادة وقيل معناه يسرنا لك يسرا بينا عن مقاتل وقيل معناه اعلمناك علما ظاهرا فيما انزلناه عليك من القرآن واخبرناك به من الدين وقيل معناه ارشدناك الى الاسلام وفتحنا لك امر الدين عن الزجاج ثم اختلف في هذا الفتح على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان المراد به فتح مكة وعدها الله ذلك عام الحديبية عند انكفائه منها عن انس وقتادة وجماعة من المفسرين قال قتادة نزلت هذه الآية عند مرجع النبي ﷺ من الحديبية بشر في ذلك الوقت بفتح مكة وتقديره انا فتحنا لك مكة اي قضينا لك بالنصر على اهلها وعن جابر قال ما كنا نعلم فتح مكة الا يوم الحديبية ﴿ وثانيها ﴾ ان المراد بالفتح هنا صلح الحديبية وكان فتحا بغير قتال قال الفراء الفتح قد يكون صلحا ومعنى الفتح في اللغة فتح المنغلق والصلح الذي حصل مع المشركين بالحديبية كان مسدودا متعذرا حتى فتحه الله وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم واسلم في ثلاث سنين خلق كثير فكثر بهم سواد الاسلام وقال الشعبي بويع بالحديبية وذلك بيعة الرضون واطعم نخيل خيبر وظهرت الروم على فارس وفرح المسلمون بظهور اهل الكتاب وهم الروم على المجوس إذ كان فيه مصداق قول الله تعالى انهم سيغلبون وبلغ الهدي محله والحديبية بئر روي انه نفد ماؤها فظهر فيها من اعلام النبوة ما اشتهرت

به الروايات قال البراء بن عازب تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها فما ترك منها قطرة فبلغ ذلك الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها وتركها ثم انها اصدرتنا نحن وركابنا وفي حديث سلمة بن الاكوع إما دعا واما بزق فيها فجاشت فسقينا واسقينا وعن محمد بن اسحاق بن يسار عن الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج لزيارة البيت لا يريد حربا فذكر الحديث الى ان قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انزلوا فقالوا يا رسول الله ما بالوادي ماء فاخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كنانته سهما فاعطاه رجلا من اصحابه فقال انزل في بعض هذه القلب فاغرزه في جوفه ففعل فجاش بالماء الرواء حتى ضرب الناس بعطن وعن عروة وذكر خروج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال وخرجت قريش من مكة فسبقوه إلى بلدح والى الماء فنزلوا عليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قد سبق نزل على الحديبية وذلك في حر شديد وليس فيها إلا بئر واحدة فاشفق القوم من الظمأ والقوم كثير فنزل فيها رجال يمتحونها ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدلو من ماء فتوضأ ومضمض فاه ثم مج فيه وأمر أن يصب في البئر ونزع سهما من كنانته والقاه في البئر فدعا الله تعالى ففارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها وهم جلوس على شفتها وروى سالم بن ابي الجعد قال قلت لجابر كم كنتم يوم الشجرة قال كنا الفا وخمسمائة وذكر عطشا اصابهم قال فأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بماء في تور فوضع يده فيه فجعل الماء يخرج من بين اصابعه كأنه العيون قال فشربنا وسعنا وكفانا قال قلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف كفانا كنا الفا وخمسمائة ﴿ ثالثها ﴾ أن المراد بالفتح هنا فتح خيبر عن مجاهد والعوفي وروي عن مجمع بن حارثة الانصاري كان احد القراء قال شهدنا الحديبية مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما انصرفنا عنها إذ الناس يهزون الاباعر فقال بعض الناس لبعض ما بال الناس قالوا أوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخرجنا نوجف فوجدنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس اليه قرأ إنا فتحنا لك فتحا مبينا السورة فقال عمر افتح هو يارسول الله قال نعم والذي نفسي بيده انه لفتح فقسمت خيبر على اهل الحديبية لم يدخل فيها احد إلا من شهدها ﴿ ورابعها ﴾ ان الفتح الظفر على الاعداء كلهم بالحجج والمعجزات الظاهرة واعلاء كلمة الاسلام (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) قد قيل فيه اقوال كلها غير موافق لما يذهب اليه اصحابنا أن الأنبياء معصومون من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها قبل النبوة وبعدها ﴿ فمنها ﴾ انهم قالوا معناه ما تقدم من معاصيك قبل النبوة وما تأخر عنها ﴿ ومنها ﴾ قولهم ما تقدم الفتح وما تأخر عنه ﴿ ومنها ﴾ قولهم ما وقع وما لم يقع على الوعد بأنه يغفره له إذا وقع ﴿ ومنها ﴾ قولهم ما تقدم من ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك وما تأخر من ذنوب امتك بدعوتك . الكلام في ذنب آدم كالكلام في ذنب نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ومن حمل ذلك على الصغائر التي تقع محبطة عندهم فالذي يبطل قولهم ان الصغائر إذا سقط عقابها وقعت مكفرة فكيف يجوز أن يمن الله سبحانه على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بأن يغفرها له و إنما يصح الامتنان والتفضل منه سبحانه بما يكون له المؤاخذة به لا بما لو عاقب به لكان ظالما عندهم فوضح فساد قولهم ولأصحابنا فيه وجهان من التأويل ﴿ احدهما ﴾ ان المراد ليغفر لك الله ما تقدم من ذنب امتك وما تأخر بشفاعتك وأراد بذكر التقدم والتأخر ماتقدم زمانه وما تأخر كما يقول القائل لغيره صفحت عن السالف والآنف من ذنوبك وحسنت اضافة ذنوب امته اليه للاتصال والسبب بينه وبين امته ويؤيد هذا الجواب ما رواه المفضل بن عمر عن الصادق (ع) قال سأله رجل عن هذه الآية فقال والله ما كان له ذنب ولكن الله سبحانه ضمن له ان يغفر ذنوب شيعة علي (ع) ما تقدم من ذنبهم وما تأخر وروى عمر بن يزيد قال قلت لأبي عبد الله (ع) عن قول الله سبحانه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال ما كان له ذنب ولا هم بذنب ولكن الله حمله ذنوب شيعته ثم غفرها له ﴿ والثاني ﴾ ما ذكره المرتضى قدس الله روحه أن

الذنب مصدر والمصدر يجوز اضافته إلى الفاعل والمفعول معاً فيكون هنا مضافا إلى المفعول والمراد ما تقدم من ذنبهم اليك في منعهم اياك عن مكة وصدهم لك عن المسجد الحرام ويكون معنى المغفرة على هذا التأويل الازالة والنسخ لاحكام اعدائه من المشركين عليه اي يزيل الله تعالى ذلك عنك ويستر عليك تلك الوصمة بما يفتح لك من مكة فستدخلها فيما بعد ولذلك جعله جزاء على جهاده وغرضا في الفتح ووجها له قال ولو انه أراد مغفرة ذنوبه لم يكن لقوله إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله معنى معقول لأن المغفرة للذنوب لا تعلق لها بالفتح فلا يكون غرضا فيه وأما قوله ماتقدم وما تأخر فلا يمتنع أن يريد به ما تقدم زمانه من فعلهم القبيح بك وبقومك وقيل ايضا في ذلك وجوه اخر ﴿ منها ﴾ ان معناه لو كان لك ذنب قديم او حديث لغفرناه لك ﴿ ومنها ﴾ أن المراد بالذنب هناك ترك المندوب وحسن ذلك لأن من المعلوم انه ممن لا يخالف الاوامر الواجبة فجاز ان يسمى ذنبا منه ما لو وقع من غيره لم يسم ذنباً لعلو قدره ورفعة شأنه ﴿ ومنها ﴾ ان القول خرج مخرج التعظيم وحسن الخطاب كما قيل في قوله عفا الله عنك وهذا ضعيف لأن العادة جرت في مثل هذا ان يكون على لفظ الدعاء وقوله (ويتم نعمته عليك) معناه ويتم نعمته عليك في الدنيا باظهارك على عدوك واعلاء امرك ونصرة دينك وبقاء شرعك وبالآخرة برفع محالك فإن معنى اتمام النعمة فعل ما يقتضيها وتبقيتها على صاحبها والزيادة فيها وقيل يتم نعمته عليك بفتح خيبر ومكة والطائف (ويهديك صراطا مستقيما) اي ويثبتك على صراط يؤدي بسالكه الى الجنة (وينصرك الله نصرا عزيزا) النصر العزيز هو ما يمتنع به من كل جبار عنيد وعات مريد وقد فعل ذلك بنبيه ﷺ اذ صير دينه اعز الاديان وسلطانه اعظم السلطان (هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين) وهي ان يفعل الله بهم اللطف الذي يحصل لهم عنده من البصيرة بالحق ما تسكن اليه نفوسهم وذلك بكثرة ما ينصب لهم من الادلة الدالة عليه فهذه النعمة التامة للمؤمنين خاصة واما غيرهم فتضطرب نفوسهم لاول عارض من شبهة ترد عليهم اذ لا يجدون برد اليقين وروح الطمأنينة في قلوبهم وقيل هي النصرة للمؤمنين لتسكن بذلك قلوبهم ويثبتوا في القتال وقيل هي ما اسكن قلوبهم من التعظيم لله ولرسوله (ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم) اي يقينا الى يقينهم بما يرون من الفتوح وعلو كلمة الإسلام على وفق ما وعدوا وقيل ليزدادوا تصديقا بشرائع الإسلام وهو انهم كلما امروا بشيء من الشرائع والفرائض كالصلاة والصيام والصدقات صدقوا به وذلك بالسكينة التي انزلها الله في قلوبهم عن ابن عباس والمعنى ليزدادوا معارف على المعرفة الحاصلة عندهم (ولله جنود السموات والارض) يعني الملائكة والجن والانس والشياطين عن ابن عباس والمعنى انه لو شاء لأعانكم بهم وفيه بيان انه لو شاء لأهلك المشركين لكنه عالم بهم وبما يخرج من اصلابهم فامهلهم لعلمه وحكمته ولم يأمر بالقتال عن عجز واحتياج لكن ليعرض المجاهدين لجزيل الثواب (وكان الله عليما حكيما) فكل افعاله حكمة وصواب (ليدخل المؤمنين والمؤمنات) تقديره انا فتحنا لك ليغفر لك الله انا فتحنا لك ليدخل المؤمنين والمؤمنات (جنات) ولذلك لم يدخل واو العطف في ليدخل اعلاما بالتفصيل (تجري من تحتها الانهار) اي من تحت اشجارها الانهار (خالدين فيها) اي دائمين مؤبدين لا يزول عنهم نعيمها (ويكفر عنهم سيئاتهم) اي عقاب معاصيهم التي فعلوها في دار الدنيا (وكان ذلك عند الله فوزا عظيما) اي ظفرا يعظم الله به قدره

قوله تعالى (٦) وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْمُنَافِقَاتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَاتِ ٱلظَّانِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً (٧) وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (٨) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٩) لِتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً

(١٠) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا خمس آيات

القراءة

قد بينا اختلافهم في السوء في سورة التوبة وقرأ ابن كثير وابو عمرو ليؤمنوا بالله ومابعده بالياء وقرأ الباقون بالتاء وقرأ أهل العراق فسيؤتيه بالياء والباقون بالنون وفي الشواذ قراءة الجحدري وتعزروه بفتح التاء وضم الزاي مخففا

الحجة

قال ابو علي حجة الياء انه لا يقال لتؤمنوا بالله ورسوله وهو الرسول فإذا لم يسهل ذلك كانت القراءة بالياء ليؤمنوا ومن قرأ بالتاء فعلى قوله قل لهم انا ارسلناك اليهم شاهداً لتؤمنوا وحجة الياء في فسيؤتيه قوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما على تقديم ذكر الغيبة وزعموا ان في حرف عبد الله فسوف يؤتيه الله والنون على الانصراف من الافراد الى لفظ الكثرة وقال ابن جني من قرأ تعزروه فالمعنى تمنعوه وتمنعوا دينه ونبيه فهو كقوله ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا دينه فهو على حذف المضاف واما تعزوره بالتشديد فتمنعوا منه بالسيف عن الكلبي وعزرت فلانا فخمت امره ومنه عزرة اسم رجل ومنه عندي التعزير للضرب دون الحدود وذلك انه لم يبلغ به ذل الحد الكامل فكأنه محاسنة فيه قال ابو حاتم وقرأ بعضهم تعززوه اي تجعلوه عزيزا

المعنى

لما تقدم الوعد للمؤمنين عقبه سبحانه بالوعيد للكافرين فقال (ويعذب) الله (المنافقين والمنافقات) وهم الذين يظهرون الايمان ويبطنون الشرك فالنفاق اسرار الكفر واظهار الايمان اخذ من نافقاء اليربوع وهو ان يجعل لسربه بابين يظهر احدهما ويخفى الآخر فإذا اتى من الظاهر خرج من الآخر (والمشركين والمشركات) وهم الذين يعبدون مع الله غيره (الظانين بالله ظن السوء) اي يتوهمون ان الله ينصرهم على رسوله وذلك سوء اي قبيح والسوء المصدر والسوء الاسم وقيل هو ظنهم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يعود الى موضع ولادته ابدا وقيل هو ظنهم ان لن يبعث الله احدا ومثله وظننتم ظن السوء (عليهم دائرة السوء) اي يقع عليهم العذاب والهلاك والدائرة هي الراجعة بخير او شر وقال حميد بن ثور «ودائرات الدهر ان تدورا» وقيل ان من قرأ بالضم فالمراد دائرة العذاب ومن قرأ بالفتح فالمراد ما جعله للمؤمنين من قتلهم وغنيمة اموالهم (وغضب الله عليهم ولعنهم) اي ابعدهم من رحمته (واعد لهم جهنم) يجعلهم فيها (وساءت مصيرا) اي مالا ومرجعا (ولله جنود السموات والارض) إنما كرر لأن الاول متصل بذكر المؤمنين اي فله الجنود التي يقدر ان يعينكم بها والثاني متصل بذكر الكافرين اي فله الجنود التي يقدر على الانتقام منهم بها (وكان الله عزيزا) في قهره وانتقامه (حكيما) في فعله وقضائه ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (انا ارسلناك) يا محمد (شاهدا) على امتك بما عملوه من طاعة ومعصية وقبول وردا وشاهدا عليهم بتبليغ الرسالة (ومبشراً) بالجنة لمن اطاع (ونذيرا) من النار لمن عصى ثم بين سبحانه الغرض بالإرسال فقال (لتؤمنوا بالله) من قرأ ليؤمنوا بالياء فالمعنى ليؤمن هؤلاء الكفار بالله (ورسوله وتعزروه) اي تنصروه بالسيف واللسان والهاء تعود الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وتوقروه) اي تعظموه وتبجلوه (وتسبحوه بكرة واصيلا) اي وتصلوا بالغداة والعشي وقيل معناه وتنزهوه عما لا يليق به وكثير من القراء اختاروا الوقف على وتوقروه لاختلاف الضمير فيه وفيما بعده وقيل وتعزروه اي وتنصروا الله وتوقروه اي وتعظموه وتطيعوه كقوله لا ترجون لله وقارا وعلى هذا فتكون الكنايات متفقة وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب اهل الجبر ان الله سبحانه يريد من الكفار الكفر لأنه صرح هنا انه يريد من جميع المكلفين الايمان والطاعة (ان الذين يبايعونك) المراد بالبيعة

هنا بيعة الحديبية وهي بيعة الرضون بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الموت (إنما يبايعون الله) يعني أن المبايعة معك تكون مبايعة مع الله لأن طاعتك طاعة الله وإنما سميت بيعة لأنها عقدت على بيع انفسهم بالجنة للزومهم في الحرب النصرة (يد الله فوق ايديهم) اي عقد الله في هذه البيعة فوق عقدهم لأنهم بايعوا الله ببيعة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فكأنهم بايعوه من غير واسطة عن السدي وقيل معناه قوة الله في نصرة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فوق نصرتهم اياه اي ثق بنصرة الله لك لا بنصرتهم وان بايعوك عن ابن كيسان وقيل نعمة الله عليهم بنبيه صلى الله عليه وآله وسلم فوق ايديهم بالطاعة والمبايعة عن الكلبي وقيل يد الله بالثواب وما وعدهم على بيعتهم من الجزاء فوق ايديهم بالصدق والوفاء عن ابن عباس (فمن نكث) اي نقض ما عقد من البيعة (فإنما ينكث على نفسه) اي يرجع ضرر ذلك النقض عليه وليس له الجنة ولا كرامة عن ابن عباس (ومن أوفى) اي ثبت على الوفاء (بما عاهد عليه الله) من البيعة (فسيؤتيه اجرا عظيما) اي ثوابا جزيلا

قوله تعالى (١١) سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ ٱللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١٢) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا (١٣) وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا (١٤) وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (١٥) سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ ٱللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا خمس آيات

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم ضرا بضم الضاد يبدلوا كلم الله بغير الف والباقون ضرا بالفتح كلام الله بالالف

الحجة

قال ابو علي الضر خلاف النفع وفي التنزيل ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا والضر سوء الحال وفي التنزيل فكشفنا ما به من ضر هذا الأبين في هذا الحرف عندي ويجوز ان يكونا لغتين في معنى كالفقر والفقر والضعف والضعف ومن قرأ كلام الله فوجهه انه قيل فيهم لن تخرجوا معي ابدا فخص الكلام بما كان مفيدا وحديثا فقال كلام الله ومن قرأ كلم الله قال الكلم قد يقع على ما يقع عليه الكلام وعلى غيره وان كان الكلام بما ذكرنا اخص الا ترى انه قال وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل فإنما هو والله اعلم ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض وما يتصل به

اللغة

المخلف هو المتروك في المكان خلف الخارجين من البلد وهو مشتق من الخلف وضده المقدم والاعراب

الجماعة من عرب البادية وعرب الحاضرة ليسوا باعراب فرقوا بينهما وان كان اللسان واحداً والبور الفاسد الهالك وهو مصدر لا يثنى ولا يجمع يقال رجل بور ورجال بور قال

يارسول المليك إن لساني ... راتق ما فتقت إذ أنا بور

وقال حسان

لا ينفع الطول من نوك القلوب وقد ... يهدي الإله سبيل المعشر البور

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عمن تخلف عن نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (سيقول لك المخلفون من الاعراب) اي الذين تخلفوا عن صحبتك في وجهتك وعمرتك وذلك انه لما اراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمرا وكان في ذي القعدة من سنة ست من الهجرة استنفر من حول المدينة الى الخروج معه وهم غفار واسلم ومزينة وجهينة واشجع والدئل حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او بصد واحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب فقالوا نذهب معه إلى قوم قد جاؤه فقتلوا اصحابه فتخلفوا عنه واعتلوا بالشغل فقال سبحانه انهم يقولون لك إذا انصرفت اليهم فعاتبتهم على التخلف عنك (شغلتنا اموالنا واهلونا) عن الخروج معك (فاستغفر لنا) في قعودنا عنك فكذبهم الله تعالى فقال (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) كذبهم في اعتذارهم بما اخبر عن ضمائرهم واسرارهم اي لا يبالون استغفر لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ام لا (قل) يا محمد (فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا) اي فمن يمنعكم من عذاب الله إن أراد بكم سوءاً أو نفعا اي غنيمة عن ابن عباس وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدفع عنهم الضر أو يعجل لهم النفع بالسلامة في انفسهم واموالهم فأخبرهم سبحانه انه ان اراد بهم شيئا من ذلك لم يقدر احد على دفعه عنهم (بل كان الله بما تعملون خبيرا) اي عالما بما كنتم تعملون في تخلفكم (بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى اهليهم ابدا) اي ظننتم انهم لا يرجعون إلى من خلفوا بالمدينة من الأهل والأولاد لأن العدو يستأصلهم ويصطليهم (وزين ذلك في قلوبكم) اي زين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم وسوله لكم (وظننتم ظن السوء) في هلاك النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين وكل هذا من الغيب الذي لا يطلع عليه احد إلا الله فصار معجزا لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم (وكنتم قوما بورا) اي هلكى لا تصلحون لخير عن مجاهد وقيل قوما فاسدين عن قتادة (ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا) اي نارا تسعرهم وتحرقهم (ولله ملك السموات والأرض يغفر لمن يشاء) ذنوبه (ويعذب من يشاء) إذا استحق العقاب (وكان الله غفورا رحيما) ظاهر المعنى ثم قال (سيقول لك المخلفون) يعني هؤلاء (إذا انطلقتم) ايها المؤمنون (إلى مغانم لتأخذوها) يعني غنائم خيبر (ذرونا نتبعكم) اي اتركونا نجيء معكم وذلك انهم لما انصرفوا من عام الحديبية بالصلح وعدهم الله سبحانه فتح خيبر وخص بغنائمها من شهد الحديبية فلما انطلقوا اليها قال هؤلاء المخلفون ذرونا نتبعكم فقال سبحانه (يريدون أن يبدلوا كلام الله) اي مواعيد الله لأهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة أرادوا تغيير ذلك بأن يشاركوهم فيها عن ابن عباس وقيل يريد امر الله لنبيه ان لا يسير معه منهم احد عن مقاتل (قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل) اي قال الله بالحديبية قبل خيبر وقبل مرجعنا اليكم إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية لا يشركهم فيها غيرهم هذا

قول ابن عباس ومجاهد وابن اسحاق وغيرهم من المفسرين وقال الجبائي أراد بقوله يريدون ان يبدلوا كلام الله قوله سبحانه قل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا وهذا غلط فاحش لأن هذه السورة نزلت بعد الانصراف من الحديبية في سنة ست من الهجرة وتلك الآية نزلت في الذين تخلفوا عن تبوك وكانت غزوة تبوك بعد فتح مكة وبعد غزوة حنين والطائف ورجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم منها إلى المدينة ومقامه ما بين ذي الحجة إلى رجب ثم تهيأ في رجب للخروج إلى تبوك وكان منصرفه من تبوك في بقية رمضان من سنة تسع من الهجرة ولم يخرج صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك لقتال ولا غزو إلى أن قبضه الله تعالى فكيف تكون هذه الآية مرادة بقوله كلام الله وقد نزلت بعده بأربع سنين لولا ان العصبية ترين على القلوب ثم قال (فسيقولون بل تحسدوننا) أي فسيقول المخلفون عن الحديبية لكم إذا قلتم هذا لم يأمركم الله تعالى به بل انتم تحسدوننا ان نشاركم في الغنيمة فقال سبحانه ليس الأمر على ما قالوه (بل كانوا لا يفقهون) الحق وما تدعونهم اليه (إلا قليلا) اي إلا فقها قليلا او شيئا قليلا وقيل معناه إلا القليل منهم وهم المعاندون

قوله تعالى (١٦) قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧) لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨) لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٩) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (٢٠) وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا

خمس آيات

القراءة

قرأ اهل المدينة وابن عامر ندخله ونعذبه بالنون والباقون بالياء وهما في المعنى سواء

المعنى

ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم (قل) يا محمد (للمخلفين) الذين تخلفوا عنك في الخروج إلى الحديبية (من الاعراب ستدعون) فيما بعد (إلى قوم اولي بأس شديد) وهم هوازن وحنين عن سعيد بن جبير وعكرمة وقيل هم هوازن وثقيف عن قتادة وقيل هم ثقيف عن الضحاك وقيل هم بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب عن الزهري وقيل هم اهل فارس عن ابن عباس وقيل هم الروم عن الحسن وكعب وقيل هم اهل صفين اصحاب معاوية والصحيح أن المراد بالداعي في قوله ستدعون هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه قد دعاهم بعد ذلك إلى غزوات كثيرة وقتال اقوام ذوي نجدة وشدة مثل اهل حنين والطائف ومؤتة إلى تبوك

وغيرها فلا معنى لحمل ذلك على ما بعد وفاته (تقاتلونهم أو يسلمون) معناه ان احد الأمرين لا بد ان يقع لا محالة وتقديره أو هم يسلمون اي يقرون بالاسلام ويقبلونه وقيل ينقادون لكم وفي حرف ابي او يسلموا وتقديره إلى أن يسلموا وفي النصب دلالة على ان ترك القتال من اجل الاسلام إذا وقع (فإن تطيعوا)اي فإن تجيبوا إلى قتالهم (يؤتكم الله اجرا حسنا) اي جزاءا صالحا (وإن تتولوا) عن القتال وتقعدوا عنه (كما توليتم من قبل)عن الخروج إلى الحديبية (يعذبكم عذابا أليما) في الآخرة (ليس على الأعمى حرج) اي ضيق في ترك الخروج مع المؤمنين في الجهاد والأعمى الذي لا يبصر بجارحة العين (ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج) في ترك الجهاد ايضا قال مقاتل عذر الله اهل الزمانة والآفات الذين تخلفوا عن المسير إلى الحديبية بهذه الآية (ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار) معناه في الامر بالقتال (ومن يتول) عن امر الله وامر رسوله فيقعد عن القتال (يعذبه عذابا أليما . لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) يعني بيعة الحديبية وتسمى بيعةالرضوان لهذه الآية ورضاء اللهسبحانه عنهم هو ارادته تعظيمهم واثابتهم وهذا اخبار منه سبحانه انه رضي عن المؤمنين اذ بايعوا النبي ﷺ في الحديبية تحت الشجرة المعروفة وهي شجرة السمرة (فعلم ما في قلوبهم) من صدق النية في القتال والكراهة له لأنه بايعهم على القتال عن مقاتل وقيل ما في قلوبهم من اليقين والصبر والوفاء (فأنزل السكينة عليهم)وهي اللطف القوي لقلوبهم والطمأنينة (وأثابهم فتحا قريبا) يعني فتح خيبر عن قتادة واكثر المفسرين وقيل فتح مكة عن الجبائي (ومغانم كثيرة يأخذونها) يعني غنائم خيبر فإنها كانت مشهورة بكثرة الاموال والعقار وقيل يعني غنائم هوازن بعد فتح مكة عن الجبائي (وكان الله عزيزا) اي غالبا على امره (حكيما) في افعاله ولذلك امر بالصلح وحكم للمسلمين بالغنيمة ولأهل الخيبر بالهزيمة ثم ذكر سبحانه سائر الغنائم التي يأخذونها فيما يأتي من الزمان فقال (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) مع النبي ﷺ ومن بعده إلى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) يعني غنيمة خيبر (وكف ايدي الناس عنكم) وذلك ان النبي ﷺ لما قصد خيبر وحاصر اهلها همت قبائل من اسد وغطفان ان يغيروا على اموال المسلمين وعيالهم بالمدينة فكف الله ايديهم عنهم بإلقاء الرعب في قلوبهم وقيل ان مالك بن عوف وعيينة بن حصين مع بني اسد وغطفان جاءوا لنصرة اليهود من خيبر فقذف الله الرعب في قلوبهم وانصرفوا (ولتكون)الغنيمة التي عجلها لهم (آية للمؤمنين) على صدقك حيث وعدهم أن يصيبوها فوقع المخبر على وفق الخبر (ويهديكم صراطا مستقيما) اي ويزيدكم هدى بالتصديق بمحمد ﷺ وما جاء به مما ترون من عدة الله في القرآن بالفتح والغنيمة .

قصة فتح الحديبية

قال ابن عباس ان رسول الله ﷺ خرج يريد مكة فلما بلغ الحديبية وقفت ناقته وزجرها فلم تنزجر وبركت الناقة فقال اصحابه خلأت الناقة فقال ﷺ ماهذا لها عادة ولكن حبسها حابس الفيل ودعا عمر بن الخطاب ليرسله إلى اهل مكة ليأذنوا له بأن يدخل مكة ويحل من عمرته وينحر هديه فقال يارسول الله مالي بها حميم واني اخاف قريشا لشدة عداوتي اياها ولكن ادلك على رجل هو اعز بها مني عثمان بن عفان فقال صدقت فدعا رسول الله ﷺ عثمان فأرسله إلى ابي سفيان واشراف قريش يخبرهم انه لم يأت لحرب

وإنما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين ان عثمان قد قتل فقال ﷺ لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فقام رسول الله ﷺ إلى الشجرة فاستند اليها وبايع الناس على ان يقاتلوا المشركين ولا يفروا قال عبد الله بن معقل كنت قائما على رأس رسول الله ﷺ ذلك اليوم وبيدي غصن من السمرة أذب عنه وهو يبايع الناس فلم يبايعهم على الموت وإنما بايعهم على ان لا يفروا وروى الزهري وعروة بن الزبير والمسور بن مخزمة قالوا خرج رسول الله ﷺ من الحديبية في بضع عشرة مائة من اصحابه حتى إذا كانوا بذي الحليفة قلد رسول الله ﷺ الهدي واشعره واحرم بالعمرة وبعث بين يديه عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار رسول الله ﷺ حتى إذ كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان اتاه عينه الخزاعي فقال اني تركت كعب بن لوي وعامر بن لوي قد جمعوا لك الاحابيش وجمعوا جموعا وهم قاتلوك او مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال ﷺ روحوا فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين وسار ﷺ حتى إذا كان بالثنية بركت راحلته فقال ﷺ ما خلأت القصواء ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت به قال فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء انما يتبرضه الناس تبرضا فشكوا اليه العطش فانتزع سهما من كنانته ثم امرهم ان يجعلوه في الماء فوالله ما زال يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبيناهم كذلك اذ جاءهم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله ﷺ من اهل تهامة فقال اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي ومعهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال رسول الله ﷺ إنا لم نجئ لقتال احد ولكن جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فإن شاءوا ما دونهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس وان شاءوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا والا فقد جموا وان ابوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على امري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله تعالى امره فقال بديل سأبلغهم ما تقول فانطلق حتى اتى قريشا فقال إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وانه يقول كذا وكذا فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال انه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آته فقالوا ائته فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ فقال له رسول الله ﷺ نحوا من قوله لبديل فقال عروة عند ذلك اي محمد أرأيت ان استأصلت قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح اصله قبلك وان تكن الاخرى فوالله اني لأرى وجوها وارى اشابا من الناس خلقاء ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر امصص بظر اللات أنحن نفر عنه وندعه فقال من ذا قال ابو بكر قال اما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم اجزك بها لأجبتك قال وجعل يكلم النبي ﷺ وكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر فكلما اهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله ﷺ قبل ان لا ترجع اليك فقال من هذا قال المغيرة بن شعبة قال اي غدر ولست اسعى في غدرتك قال وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية فقتلهم واخذ اموالهم ثم جاء فأسلم فقال النبي ﷺ أما الإسلام فقد قبلنا واما المال فإنه مال غدر لا حاجة لنا فيه ثم ان عروة جعل يرمق اصحاب النبي ﷺ إذا امرهم

رسول الله ﷺ ابتدروا امره واذا توضأ ثاروا يقتتلون على وضوئه واذا تكلموا خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له قال فرجع عروة إلى اصحابه وقال اي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا اذا امرهم ابتدروا امره واذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه فاذا تكلموا خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون اليه النظر تعظيما له وانه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها فقال رجل من بني كنانة دعوني آتيه فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال رسول الله ﷺ لاصحابه هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها فبعثت له واستقبله القوم يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آته فقالوا ائته فلما اشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل يكلم النبي ﷺ فبينا هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو فقال ﷺ قد سهل عليكم امركم فقال اكتب بيننا وبينك كتابا فدعا رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب فقال رسول الله اكتب باسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أما الرحمن فوالله ما ادري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم فقال المسلمون والله لانكتب إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي ﷺ اكتب باسمك اللهم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل او كنا نعلم انك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال النبي ﷺ اني لرسول الله وان كذبتموني ثم قال لعلي (ع) امح رسول الله فقال يا رسول الله إن يدي لا تنطلق بمحو اسمك من النبوة فأخذه رسول الله فمحاه ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض وعلى انه من قدم مكة من اصحاب محمد حاجا أو معتمرا أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله ومن قدم المدينة من قريش مجتازا إلى مصر أو إلى الشام فهو آمن على دمه وماله وان بيننا عيبة مكفولة وانه لا اسلال ولا اغلال وانه من احب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ومن احب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده وتواثبت بنو بكر فقالوا نحن في عقد قريش وعهدهم فقال رسول الله ﷺ على ان تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف فقال سهيل والله ما تتحدث العرب إنا اخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل فكتب فقال سهيل على انه لا يأتيك منا رجل وان كان على دينك إلا رددته الينا ومن جاءنا ممن معك لم نرده عليك فقال المسلمون سبحان الله كيف يرد الى المشركين وقد جاء مسلما فقال رسول الله ﷺ من جاءهم منا فأبعده الله ومن جاءنا منهم رددناه اليهم فلو علم الله الاسلام من قلبه جعل له مخرجا فقال سهيل وعلى انك ترجع عنا عامك هذا فلا تدخل علينا مكة فإذا كان عام قابل خرجنا عنها لك فدخلتها باصحابك فأقمت بها ثلاثا ولا تدخلها بالسلاح إلا السيوف في القراب وسلاح الراكب وعلى ان هذا الهدي حيث ما حبسناه محله لا تقدمه علينا فقال نحن نسوق وانتم تردون فبيناهم كذلك اذ جاء ابو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد خرج من اسفل مكة حتى رمى بنفسه بين اظهر المسلمين فقال سهيل هذا يامحمد أول ما اقاضيك عليه ان ترده فقال النبي ﷺ انا لم نقض بالكتاب بعد قال والله اذا لا صالحك على شيء ابدا فقال النبي ﷺ فأجره لي فقال ما أنا بمجيره

لك قال بلى فافعل قال ماانا بفاعل قال مكرز بلى قد اجرناه قال ابو جندل بن سهيل معاشر المسلمين أأرد إلى المشركين وقد جئت مسلما ألا ترون ما قد لقيت وكان قد عذب عذابا شديدا فقال عمر بن الخطاب والله ما شككت مذ اسلمت الا يومئذ فأتيت النبي ﷺ فقلت ألست نبي الله فقال بلى قلت ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعط الدنية في ديننا اذاً قال إني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري قلت اولست كنت تحدثنا إنا سنأتي البيت ونطوف حقا قال بلى فاخبرتك ان نأتيه العام قلت لا قال فإنك تأتيه وتطوف به فنحر رسول الله ﷺ بدنة فدعا بحالقه فحلق شعره ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات الآية قال محمد بن اسحاق بن يسار وحدثني بريدة بن سفيان عن محمد بن كعب ان كاتب رسول الله ﷺ في هذا الصلح كان علي بن ابي طالب (ع) فقال له رسول الله ﷺ اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو فجعل علي (ع) يتلكأ ويأبى ان يكتب إلا محمدا رسول الله فقال رسول الله فإن لك مثلها تعطيها وانت مضطهد فكتب ما قالوا ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فجاءه ابو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا العهد الذي جعلت لنا فدفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة فنزلا يأكلان من تمر لهم قال ابو بصير لأحد الرجلين واني لأرى سيفك هذا جيدا جدا فاستله وقال اجل انه لجيد وجربت به ثم جربت فقال ابو بصير ارني انظر اليه فامكنه منه فضربه به حتى برد وفر الآخر حتى بلغ المدينة فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله ﷺ حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى الى النبي ﷺ قال قتل والله صاحبي واني لمقتول قال فجاء ابو بصير فقال يا رسول قد اوفى الله ذمتك ورددتني اليهم ثم انجاني الله منهم فقال النبي ﷺ ويل امه مسعر حرب لو كان له احد فلما سمع ذلك عرف انه سيرده اليهم فخرج حتى اتى سيف البحر وانفلت منهم ابو جندل بن سهيل فلحق بابي بصير فلا يخرج من قريش رجل قد اسلم الا لحق بابي بصير حتى اجتمعت عليه عصابة قال فوالله لا يسمعون بعير لقريش قد خرجت الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم واخذوا اموالهم فارسلت قريش الى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لما ارسل اليهم فمن اتاه منهم فهو آمن فارسل (ﷺ) اليهم فأتوه

[قصة فتح خيبر]

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية مكث بها عشرين ليلة ثم خرج منها غاديا الى خيبر ذكر ابن اسحاق باسناده عن ابي مروان الاسلمي عن ابيه عن جده قال خرجنا مع رسول الله ﷺ الى خيبر حتى اذا كنا قريبا منها واشرفنا عليها قال رسول الله ﷺ قفوا فوقف الناس فقال اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن انا نسألك خير هذه القرية وخير اهلها وخير ما فيها ونعوذ بك من شر هذه القرية وشر اهلها وشر ما فيها اقدموا بسم الله وعن سلمة بن الاكوع قال خرجنا مع رسول الله (ﷺ) الى خيبر فسرنا ليلا فقال رجل من القوم لعامر بن الاكوع ألا تسمعنا من هنيهاتك وكان عامر رجلا شاعرا فجعل يقول

لاهم لولا انت ما حجينا — ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداءلك ما اقتفينا وثبت الاقدام ان لاقينا
وأنزلن سكينة علينا انا اذا صيح بنا اتينا
وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ من هذا السابق قالوا عامر قال يرحمه الله قال عمر وهو على جمل وجبت يا رسول الله لولا امتعتنا به وذلك ان رسول الله ﷺ ما استغفر لرجل قط يخصه الا استشهد قالوا فلما جد الحرب وتصاف القوم خرج يهودي وهو يقول

قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب اذ الحروب اقبلت تلهب

فبرز اليه عامر وهو يقول

قد علمت خيبر اني عامر شاكي السلاح بطل مغامر

فاختلفا ضربتين فوقع سيف اليهودي في ترس عامر وكان سيف عامر فيه قصر فتناول به ساق اليهودي ليضربه فرجع ذباب سيفه فاصاب عين ركبة عامر فمات منه قال سلمة فاذا نفر من اصحاب رسول الله ﷺ يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه قال فاتيت النبي ﷺ وانا ابكي فقلت قالوا ان عامرا بطل عمله فقال من قال ذلك قلت نفر من اصحابك فقال كذب اولئك بل أوتي من الأجر مرتين قال فحاصرناهم حتى اصابتنا مخمصة شديدة ثم ان الله فتحها علينا وذلك ان النبي ﷺ اعطى اللواء عمر بن الخطاب ونهض من نهض معه من الناس فلقوا اهل خيبر فانكشف عمر واصحابه فرجعوا الى رسول الله ﷺ يجبنه اصحابه ويجبنهم وكان رسول الله ﷺ اخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس فقال حين افاق من وجعه ما فعل الناس بخيبر فأخبر فقال لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرارا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه وروى البخاري ومسلم عن قتيبة بن سعيد قال حدثنا يعقوب عن عبد الرحمن الاسكندراني عن ابي حازم قال اخبرني سعد بن سهل ان رسول الله ﷺ قال يوم خيبر لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فبات الناس يدوكون بجملتهم ايهم يعطاها فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون ان يعطاها فقال اين علي بن ابي طالب فقالوا يارسول الله هو يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع فاعطاه الراية فقال علي (ع) يارسول الله اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من ان يكون لك حمر النعم قال سلمة فبرز مرحب وهو يقول قد علمت خيبر اني مرحب الابيات فبرز له علي (ع) وهو يقول

انا الذي سمتني امي حيدرة كليث غابات كريه المنظرة اوفيهم بالصاع كيل السندرة

فضرب مرحبا ففلق رأسه فقتله وكان الفتح على يده اورده مسلم في الصحيح وروى ابو عبد الله الحافظ باسناده عن رافع مولى رسول الله ﷺ قال خرجنا مع علي (ع) حين بعثه رسول الله ﷺ فلما دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول علي باب الحصن فتترس به عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم القاه من يده فلقد رأيتني في نفر مع سبعة انا منهم نجهد على ان نقلب ذلك الباب فما استطعنا ان نقلبه وباسناده عن ليث بن ابي سليم عن ابي جعفر

محمد بن علي (ع) قال حدثني جابر بن عبد الله أن عليا (ع) حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فافتتحوها وانه حرك بعد ذلك فلم يحمله اربعون رجلا قال وروي من وجه آخر عن جابر ثم اجتمع عليه سبعون رجلا فكان جهدهم أن اعادوا الباب وباسناده عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان علي (ع) يلبس في الحر والشتاء القباء المحشو الثخين وما يبالي الحر فأتاني اصحابي فقالوا إنا رأينا من امير المؤمنين (ع) شيئا فهل رأيت فقلت وما هو قالوا رأيناه يخرج علينا في الحر الشديد في القباء المحشو الثخين وما يبالي الحر ويخرج علينا في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين ومـا يبالي البرد فهل سمعت في ذلك شيئا فقلت لا فقالوا فسل لنا أباك عن ذلك فإنه يسمر معه فسألته فقال ما سمعت في ذلك شيئا فدخل على علي (ع) فسمر معه ثم سأله عن ذلك فقال أوما شهدت خيبر قلت بلى قال افما رأيت رسول الله ﷺ حين دعا ابا بكر فعقد له ثم بعثه إلى القوم فانطلق فلقي القوم ثم جاء بالناس وقد هزم فقال بلى قال ثم بعث إلى عمر فعقد له ثم بعثه إلى القوم فانطلق فلقي القوم فقاتلهم ثم رجع وقد هزم فقال رسول الله ﷺ لأعطين الرايـة اليوم رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه كرارا غير فرار فدعاني فأعطاني الرايـة ثم قال اللهم اكفه الحر والبرد فما وجدت بعد ذلك حرا ولا بردا وهـذا كله منقول من كتاب دلائل النبوة للإمام ابي بكر البيهقي ثم لم يزل رسول الله ﷺ يفتح الحصون حصنا حصنا ويحوز الأموال حتى انتهوا إلى حصن الوطيح والسلالم وكان آخر حصون خيبر افتتح وحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة قال ابن اسحاق ولما افتتح القموص حصن ابن ابي الحقيق أتي رسول الله ﷺ بصفية بنت حيي ابن اخطب وبأخرى معها فمر بهما بلال وهو الذي جاء بهما على قتلى من قتلى يهود فلما رأتهم التي معها صفيـة صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها فلما رآها رسول الله ﷺ قال اغربوا عني هذه الشيطانة وامر بصفية فحيزت خلفه والقى عليها رداءه فعرف المسلمون انه قد اصطفاها لنفسه وقال ﷺ لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامرأتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق ان قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياهـا على زوجها فقـال ما هـذا إلا انك تتمنين ملك الحجاز محمدا ولطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها فأتي بها رسول الله ﷺ وبها اثر منها فسألها رسول الله ﷺ ما هو فاخبرته وارسل ابن ابي الحقيق إلى رسول الله ﷺ انزل فأكلمك قال نعم فنزل وصالح رسول الله ﷺ على حقن دمـاء من في حصونهم من المقاتلة وترك الذرية لهم ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم ويخلون بين رسول الله وبين ما كان لهم من مال وأرض على الصفراء والبيضاء والكراع والحلقة وعلى البز إلا ثوبا عـلى ظهر انسان وقال رسول الله ﷺ فبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله ان كتمتموني شيئا فصالحوه على ذلك فلما سمع بهم اهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله يسألونه ان يسيرهم ويحقن دماءهم ويخلون بينه وبين الاموال ففعل وكان ممن مشى بين رسول الله ﷺ وبينهم في ذلك محيصـة بن مسعود أحد بني حارثة فلما نزل اهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله ﷺ ان يعاملهم الاموال عـلى النصف وقالوا نحن اعلم بها منكم واعمر لها فصالحهم رسول الله ﷺ عـلى النصف على أنا إذا شئنا ان نخرجكم اخرجناكم وصالحه اهل فدك عـلى مثل ذلك فكانت اموال خيبر فيأ بين المسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله

لأنهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب ولما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام ابن مشكم وهي ابنة اخي مرحب شاة مصلية وقد سألت أي عضو من الشاة احب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقيل لها الذراع فأكثرت فيها السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يديه تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضغة وانتهش منها ومعه بشر بن البراء بن معرور فتناول عظما فانتهش منه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ارفعوا ايديكم فإن كتف هذه الشاة تخبرني انها مسمومة ثم دعاها فاعترفت فقال ماحملك على ذلك فقالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان كان نبيا فسيخبر وان كان ملكا استرحت منه فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومات بشر بن البراء من اكلته التي اكل قال ودخلت ام بشر بن البراء على رسول الله تعوده في مرضه الذي توفي فيه فقال صلى الله عليه وآله وسلم يا ام بشر ما زالت اكلة خيبر التي اكلت بخيبر مع ابنك تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري وكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة

قوله تعالى (٢١) وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً (٢٢) وَلَوْ قَاتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً (٢٣) سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً (٢٤) وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً (٢٥) هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (خمس آيات)

القراءة

قرأ ابو عمرو بما يعملون بالياء والباقون بالتاء

الحجة

قال ابو علي وجه قول ابي عمرو وكان الله بما عمل الكفار من كفرهم وصدكم عن المسجد الحرام ومنعكم من دخوله بصيرا فيجازي عليه ووجه التاء ان الخطاب قد جرى للقبيلتين في قوله وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم فالخطاب لتقدم هذا الخطاب

اللغة

التبديل رفع احد الشيئين وجعل الآخر مكانه فيما حكم ان يستمر على ما هو به ولو رفع الله حكما إلى خلافه لم يكن تبديلا لحكمه لأنه لا يرفع شيئا إلا في الوقت الذي تقتضي الحكمة رفعه فيه والمعكوف الممنوع من الذهاب في جهة بالإقامة في مكانه ومنه الاعتكاف وهو الإقامة في المسجد للعبادة وعكف على هذا الأمر

يعكف عكوفا إذا قام عليه والمعرة الأمر القبيح المكروه يقال عر فلان فلانا إذا شانه وألحق به عيبا وبه سمي الجرب عرا والقدرة عرة

﴿ الاعراب ﴾

سنة الله منصوب على المصدر والمعنى سن الله خذلانهم سنة وموضع ان تطؤهم رفع بدل من رجال والمعنى لولا ان تطأوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات ثم قال لو تزيلوا لعذبنا الآية والتقدير وطء رجال ونساء اي قتلهم وهو بدل الاشتمال مثل نفعني عبد الله علمه واعجبتني الجارية حسنها ويجوز أن يكون موضع ان تطؤوهم نصبا على البدل من الهاء والميم في تعلموهم والتقدير ولولا رجال ونساء لم تعلموا أن تطؤهم اي لم تعلموا وطأهم وهو بدل الاشتمال ايضا وقوله لم تعلموهم ان تطؤهم في موضع رفع صفة لرجال ونساء وجواب لولا يغني عنه جواب لو في قوله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا وقوله والهدي معكوفا عطف على الكاف والميم في وصدوكم اي وصدوكم صدوا الهدي ومعكوفا حال وقوله ان يبلغ محله تقديره كراهة أن يبلغ فحذف المضاف وقيل معكوفا من ان يبلغ فحذف من

(النزول)

سبب نزول قوله وهو الذي كف ايديهم عنكم الآية ان المشركين بعثوا اربعين رجلا عام الحديبية ليصيبوا من المسلمين فأتي بهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسرى فخلى سبيلهم عن ابن عباس وقيل انهم كانوا ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا من جبل التنعيم عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوهم فأخذهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأعتقهم عن انس وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالسا في ظل شجرة وبين يديه علي صلوات الله عليه يكتب كتاب الصلح فخرج ثلاثون شابا عليهم السلاح فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخذ الله تعالى بأبصارهم فقمنا فأخذناهم فخلى سبيلهم فنزلت هذه الآية عن عبد الله بن المغفل

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ما تقدم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين فتوحا اخر فقال (واخرى لن تقدروا عليها) معناه ووعدكم الله مغانم اخرى ان تقدروا عليها بعد فتكون اخرى في محل النصب وقيل معناه وقرية اخرى لم تقدروا عليها قد اعدها الله لكم وهي مكة عن قتادة وقيل هي ما فتح الله على المسلمين بعد ذلك إلى اليوم عن مجاهد وقيل ان المراد بها فارس والروم عن ابن عباس والحسن والجبائي قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشرهم كنوز كسرى وقيصر وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم وفتح مدائنهم بل كانوا خولا لهم حتى قدروا عليها بالإسلام (قد احاط الله بها) أي قدر الله عليها واحاط علما بها فجعلهم بمنزلة قوم قد ادير حولهم فما يقدر احد منهم ان يفلت قال الفراء احاط الله بها لكم حتى يفتحها عليكم فكأنه قال حفظها عليكم ومنعها من غيركم حتى تفتحوها وتأخذوها (وكان الله على كل شيء) من فتح القرى وغير ذلك (قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا) من قريش يوم الحديبية يا معشر المؤمنين (لولوا الادبار) منهزمين بنصرة الله اياكم وخذلان الله اياهم عن قتادة والجبائي وقيل الذين كفروا من اسد وغطفان الذين أرادوا نهب ذراري المسلمين (ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا) يواليهم وينصرهم ويدافع عنهم وهذا من علم الغيب وفي الآية دلالة على انه يعلم ما لم يكن ان لو كان كيف يكون وفي ذلك اشارة إلى ان المعدوم معلوم

(سنت الله التي قد خلت من قبل) اي هذه سنتي في اهل طاعتي واهل معصيتي انصر أوليائي واخذل اعدائي عن ابن عباس وقيل معناه هذه طريقة الله وعادته السالفة ان كل قوم إذا قاتلوا انبياءهم انهزموا وقتلوا (وان تجد لسنة الله) في نصرة رسله (تبديلا) اي تغييرا (وهو الذي كف ايديهم عنكم) بالرعب (وأيديكم عنهم) بالنهي (ببطن مكة) يعني الحديبية (من بعد ان اظفركم عليهم) ذكر الله منته على المؤمنين بحجزه بين الفريقين حتى لم يقتتلا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان اعظم من الفتح (وكان الله بما تعملون بصيرا) من تفسيره ثم ذكر سبحانه سبب منعه رسول الله ﷺ ذلك العام دخول مكة فقال (هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام) ان تطوفوا وتحلوا من عمرتكم يعني قريشا (والهدي معكوفا أن يبلغ محله) اي وصدوا الهدي وهي البدن التي ساقها رسول الله ﷺ معه وكانت سبعين بدنة حتى بلغ ذي الحليفة فقلد البدن التي ساقها وأشعرها واحرم بالعمرة حتى نزل بالحديبية ومنعه المشركون وكان الصلح فلما تم الصلح نحروا البدن فذلك قوله معكوفا اي محبوسا عن ان يبلغ محله اي منحره وهو حيث يحل نحره يعني مكة لأن هدي العمرة لا يذبح إلا بمكة كما ان هدي الحج لا يذبح إلا بمنى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات) يعني المستضعفين الذين كانوا بمكة بين الكفار من اهل الإيمان (لم تعلموهم) باعيانهم لاختلاطهم بغيرهم (ان تطؤهم) بالقتل وتوقعوا بهم (فتصيبكم منهم معرة) اي اثم وجناية عن ابن زيد وقيل فيلحقكم بذلك عيب يعيبكم المشركون بأنهم قتلوا اهل دينهم وقيل هو غرم الدية والكفارة في قتل الخطأ عن ابن عباس وذلك انهم لو كبسوا مكة وفيها قوم مؤمنون لم يتميزوا من الكفار لم يأمنوا أن يقتلوا المؤمنين فتلزمهم الكفارة وتلحقهم السبة بقتل من على دينهم فهذه المعرة التي صان الله المؤمنين عنها وجواب لولا محذوف وتقديره لولا المؤمنون الذين لم تعلموهم لوطأتم رقاب المشركين بنصرنا اياكم قوله (بغير علم) موضعه التقديم لأن التقدير لولا ان تطؤهم بغير علم وقوله (ليدخل الله في رحمته من يشاء) اللام متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام تقديره فحال بينكم وبينهم ليدخل الله في رحمته من يشاء يعني من اسلم من الكفار بعد الصلح وقيل ليدخل الله في رحمته أولئك بسلامتهم من القتل ويدخل هؤلاء في رحمته بسلامتهم من الطعن والعيب (لو تزيلوا) أي لو تميز المؤمنون من الكافرين (لعذبنا الذين كفروا منهم) اي من اهل مكة (عذابا اليما) بالسيف والقتل بأيديكم ولكن الله تعالى يدفع المؤمنين عن الكفار فلحرمة اختلاطهم بهم لم يعذبهم

قوله تعالى (٢٦) إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ ٱللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ ٱللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٢٧) لَقَدْ صَدَقَ ٱللهُ رَسُولَهُ ٱلرُّؤْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِنْ شَاءَ ٱللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٨) هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِٱللهِ شَهِيدًا (٢٩) مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا

سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً أربع آيات

القراءة

قرأ ابن كثير عن ابن فليح وابن ذكوان شطأه بفتح الطاء والباقون بسكونها وقرأ ابن عامر فأزره بقصر الهمزة والباقون فآزره بالمد وفي الشواذ قراءة الحسن اشداء على الكفار رحماء بينهم بالنصب فيهما وقراءة عيسى الهمداني شطاءه بالمد والهمزة وشطاه ايضا

الحجة

قال ابو علي يشبه أن يكون شطأ لغة في شطء فيكون كالشمع والشمع والنهر والنهر ومن خفف الهمزة في شطاه حذفها والقى حركتها على الطاء وقال شطاه قال ابو زيد اشطأت الشجرة بغصونها إذا اخرجت غصونها ابو عبيدة اخرج شطاه فراخه واشطأ الزرع فهو مشطئ اي مفرخ وآزره على فاعله معناه ساواه اي صار مثل الأم وفاعله الشطء أي آزرا لشطء الزرع فصار في طوله قال امرؤ القيس

بمحنية قد آزر الضال نبتها   مضم جيوش غانمين وخيب

اي ساوى نبته الضال فصار في قامته لأنه لا يرعى ويجوز أن يكون فاعل آزر الزرع أي آزر الزرع الشطء ومن الناس من يفسر آزره اعانه وقواه فعلى هذا يكون آزر الزراع الشطء قال ابو الحسن آزره افعله وهو الاشبه ليكون قول ابن عامر ازره فعله فيكون فيه لغتان فعل وأفعل لأنها كثيرا ما يتعاقبان على الكلمة ومن قرأ اشداء بالنصب فهو نصب على الحال من معه اي هم معه على هذا الحال

اللغة

الحمية الأنفة والانكار يقال فلان ذو حمية منكرة إذا كان ذا غضب وانفة والكفار الزراع هنا لأن الزارع يغطي البذر وكل شيء قد غطيته فقد كفرته ومنه يقال لليل كافر لأنه يستر بظلمته كل شيء قال «ألقت ذكاء يمينها في كافر» وقال لبيد «في ليلة كفر النجوم غمامها»

الاعراب

محمد مبتدأ ورسول الله عطف بيان والذين معه عطف على محمد واشداء خبر محمد وما عطف عليه وقيل محمد مبتدأ ورسول الله خبره والذين معه مبتدأ وما بعده خبره يبتغون فضلا من الله إن شئت كان في موضع الحال وان شئت كان خبراً بعد خبر وان شئت كان هو الخبر فيمن نصب اشداء ويكون تراهم ايضا في موضع النصب مثل اشداء. ذلك مثلهم في التوراة ابتداء وخبر والكلام تام ثم ابتدأ فقال ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فلهم مثلان احدهما في التوراة والثاني في الانجيل وقال مجاهد بل قوله اشداء على الكفار مع ما بعده جميعا في التوراة والانجيل وكذلك قوله كزرع اخرج شطأه في التوراة والانجيل فيكون قوله كزرع خبر مبتدأ مضمر اي هم كزرع اخرج شطأه

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه (اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية) اذ يتعلق بقوله لعذبنا اي لعذبنا الذين كفروا واذنا لك في قتالهم حين جعلوا في قلوبهم الانفة التي تحمي الانسان اي حميت قلوبهم بالغضب ثم فسر تلك الحمية فقال (حمية الجاهلية) اي عادة آبائهم في الجاهلية أن لا يذعنوا لأحد ولا ينقادوا له وذلك أن كفار مكة قالوا قد قتل محمد واصحابه آباءنا واخواننا ويدخلون علينا في منازلنا فتتحدث العرب انهم دخلوا علينا على رغم انفنا واللات والعزى لا يدخلونها علينا فهذه الحمية الجاهلية التي دخلت قلوبهم وقيل هي انفتهم من الاقرار لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم حيث أراد ان يكتب كتاب العهد بينهم عن الزهري (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى) وهي قوله لا إله إلا الله عن ابن عباس وقتادة ومجاهد (وكانوا احق بها واهلها) قيل ان فيه تقديما وتأخيرا والتقدير كانوا اهلها واحق بها اي كان المؤمنون اهل تلك الكلمة واحق بها من المشركين وقيل معناه وكانوا احق بنزول السكينة عليهم واهلها وقيل وكانوا احق بمكة ان يدخلوها واهلها وقد يكون حق احق من غيره ألا ترى أن الحق الذي هو طاعة يستحق بها المدح احق من الحق الذي هو مباح لا يستحق به ذلك (وكان الله بكل شيء عليما) لما ذم الكفار بالحمية ومدح المؤمنين بلزوم الكلمة والسكينة بين عامه ببواطن سرائرهم وما ينطوي عليه عقد ضمائرهم (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) قالوا إن الله تعالى ارى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في المنام بالمدينة قبل ان يخرج إلى الحديبية أن المسلمين دخلوا المسجد الحرام فأخبر بذلك اصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلو مكة عامهم ذلك فلما انصرفوا ولم يدخلوا مكة قال المنافقون ما حلقنا ولا قصرنا ولا دخلنا المسجد الحرام فانزل الله هذه الآية واخبر انه أرى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الصدق في منامه لا الباطل وانهم يدخلونه واقسم على ذلك فقال (لتدخلن المسجد الحرام) يعني العام المقبل (إن شاء الله آمنين) قال ابو العباس ثعلب استثنى الله فيما يعلم ليستثني الناس فيما لا يعلمون وقيل ان الاستثناء من الدخول وكان بين نزول الآية والدخول مدة سنة وقد مات منهم اناس في السنة فيكون تقديره لتدخلن كلكم ان شاء الله إذ علم الله ان منهم من يموت قبل السنة أو يمرض فلا يدخلها فأدخل الاستثناء لأن لا يقع في الخبر خلف عن الجبائي وقيل ان الاستثناء داخل على الخوف والامن فأما الدخول فلا شك فيه وتقديره لتدخلن المسجد الحرام آمنين من العدو إن شاء الله فهذه الأقوال الثلاثة للبصريين وقيل إن" ان هنا بمعنى إذ اي إذ شاء الله حين ارى رسوله ذلك عن ابي عبيدة ومثله قوله وانتم الاعلون إن كنتم مؤمنين قال معناه اذ كنتم وهذا القول لا يرتضيه البصريون (محلقين رؤوسكم ومقصرين) اي محرمين يحلق بعضكم رأسه ويقصر بعض وهو ان يأخذ بعض الشعر وفي هذا دلالة على ان المحرم بالخيار عند التحلل من الاحرام ان شاء حلق وان شاء قصر (لا تخافون) مشركا (فعلم) من الصلاح في صلح الحديبية (ما لم تعلموا) وقيل علم في تأخير دخول المسجد الحرام من الخير والصلاح ما لم تعلموه انتم وهو خروج المؤمنين من بينهم والصلح المبارك موقعه (فجعل من دون ذلك) اي من قبل الدخول (فتحا قريبا) يعني فتح خيبر عن عطا ومقاتل وقيل يعني صلح الحديبية

﴿ عمرة القضاء ﴾

وكذلك جرى الامر في عمرة القضاء في السنة التالية للحديبية وهي سنة سبع من الهجرة في ذي القعدة وهو الشهر الذي صده فيه المشركون عن المسجد الحرام فخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودخل مكة مع اصحابه معتمرين وأقاموا بمكة ثلاثة ايام ثم رجعوا إلى المدينة وعن الزهري قال بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعفر بن ابي طالب (ع) بين يديه إلى ميمونة بنت الحرث العامرية فخطبها عليه فجعلت امرها إلى العباس بن عبد المطلب وكان تحته اختها ام الفضل بنت الحرث فزوجها العباس رسول الله فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امر اصحابه فقال أكشفوا عن المناكب واسعوا في الطواف ليرى المشركون جلدهم وقوتهم فاستكف اهل مكة الرجال والنساء والصبيان ينظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه وهم يطوفون بالبيت وعبد الله بن رواحة يرتجز بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم متوشحا بالسيف يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله ... قد انزل الرحمن في تنزيله

في صحف تتلى على رسوله ... اليوم نضربكم على تأويله

كما ضربناكم على تنزيله ... ضربا يزيل الهام عن مقيله

ويذهل الخليل عن خليله ... يا رب اني مؤمن لقيله

اني رأيت الحق في قبوله

ويشير بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانزل الله في تلك العمرة الشهر الحرام بالشهر الحرام وهو ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعتمر في الشهر الحرام الذي صد فيه ثم قال سبحانه (هو الذي ارسل رسوله) يعني محمداً (بالهدى) اي بالدليل الواضح والحجة الساطعة وقيل بالقرآن (ودين الحق) اي الاسلام (ليظهره على الدين كله) اي ليظهر دين الاسلام بالحجج والبراهين على جميع الاديان وقيل بالغلبة والقهر والانتشار في البلدان وقيل ان تمام ذلك عند خروج المهدي (ع) فلا يبقى في الأرض دين سوى دين الاسلام (وكفى بالله شهيدا) بذلك ثم قال سبحانه (محمد رسول الله) نص سبحانه على اسمه ليزيل كل شبهة . تم الكلام هنا ثم اثنى على المؤمنين فقال (والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم) قال الحسن بلغ من تشددهم على الكفار ان كانوا يتحرزون من ثياب المشركين حتى لا تلتزق بثيابهم وعن ابدانهم حتى لا تمس ابدانهم وبلغ تراحمهم فيما بينهم أن كان لا يرى مؤمن مؤمنا إلا صافحه وعانقه ومثله قوله اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين (تريهم ركعا سجدا) هذا اخبار عن كثرة صلواتهم ومداومتهم عليها (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) اي يلتمسون بذلك زيادة نعمهم من الله ويطلبون مرضاته (سيماهم في وجوههم من اثر السجود) اي علامتهم يوم القيامة ان تكون مواضع سجودهم اشد بياضا عن ابن عباس وعطية قال شهر بن حوشب يكون مواضع سجودهم كالقمر ليلة البدر وقيل هو التراب على الجباه لأنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب عن عكرمة وسعيد بن جبير وابي العالية وقيل هو الصفرة والنحول عن الضحاك قال الحسن إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى وقال عطاء الخراساني دخل في هذه الآية كل من صلى الخمس (ذلك مثلهم في التورية) يعني أن ما ذكر من وصفهم هو ما وصفوا به في التوراة ايضا ثم ذكر نعتهم في الانجيل فقال (ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه) أي فراخه عن الضحاك وقيل ليس بينهما وقف والمعنى

ذلك مثلهم في التوراة والانجيل جميعا عن مجاهد والمعنى كمثل زرع اخرج شطأه اي فراخه (فآزره) اي شده وأعانه وقواه وقال المبرد يعني أن هذه الافراخ لحقت الامهات حتى صارت مثلها (فاستغلظ) اي غلظ ذلك الزرع (فاستوى على سوقه) أي قام على قصبه واصوله فاستوى الصغار مع الكبار والسوق جمع الساق والمعنى انه تناهى وبلغ الغاية (يعجب الزراع) اي يروع ذلك الزرع الزراع اي الاكرة الذين زرعوه قال الواحدي هذا مثل ضربه الله تعالى بمحمد واصحابه فالزرع محمد صلى الله عليه وآله وسلم والشطأ اصحابه والمؤمنون حوله وكانوا في ضعف وقلة كما يكون اول الزرع دقيقا ثم غلظ وقوي وتلاحق فكذلك المؤمنون قوى بعضهم بعضا حتى استغلظوا واستووا على امرهم (ليغيظ بهم الكفار) اي إنما كثرهم الله وقواهم ليكونوا غيظا للكافرين بتوافرهم وتظاهرهم واتفاقهم على الطاعة ثم قال سبحانه (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات) اي وعد من أقام على الايمان والطاعة (منهم مغفرة) اي سترا على ذنوبهم الماضية (وأجرا عظيما) اي ثوابا جزيلا دائما

(سورة الحجرات) مدنية

عن الحسن وقتادة وعكرمة وعن ابن عباس إلا آية قوله ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى

﴿ عدد آيها ﴾

ثماني عشرة آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ سورة الحجرات اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من اطاع الله ومن عصاه . الحسين بن ابي العلا عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الحجرات في كل ليلة أو في كل يوم كان من زوار محمد صلى الله عليه وآله وسلم

—(تفسيرها)—

لما ختم الله سبحانه سورة الفتح بذكر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم افتتح هذه السورة ايضا بذكره وما يختص به من الاجلال والاعظام فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٣) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٤) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (٥) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ — خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب لا تقدموا بفتح التاء والدال والباقون لا تقدموا بضم التاء وكسر الدال وقرأ ابو جعفر الحجرات بفتح الجيم والباقون بضمها

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني معناه لا تفعلوا ما تؤثرونه وتتركوا ما امركم الله ورسوله به وهذا معنى القراءة المشهورة لا تقدموا اي لا تقدموا امرا على ما امركم الله به فالمفعول هنا محذوف كما ترى ومن قرأ الحجرات ابدل من الضمة فتحة استثقالا لتوالي الضمتين ومنهم من اسكن فقال الحجرات مثل عضد وعضد وقال ابو عبيدة حجرات جمع حجر فهو جمع الجمع

﴿ اللغة ﴾

قدم تقديما واقدم اقداما واستقدم وقدم كل ذلك بمعنى تقدم والجهر ظهور الصوت بقوة الاعتماد ومنه الجهارة في المنطق وجاهر بالأمر مجاهرة ويقال جهارا ونقيض الجهر الهمس والحروف المجهورة تسعة عشر حرفا يجمعها قولك «اطلقن ضرغم عجز ظبي ذواد» وماعداها من الحروف مهموس يجمعها قولك «حث فسكت شخصه» والغض الحط من منزلة على وجه التصغير يقال غض فلان من فلان إذا صغر حالة من هو ارفع منه وغض بصره إذا اضعفه عن حدة النظر قال جرير

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

—(الاعراب)—

أن تحبط اعمالكم في محل النصب لأنه مفعول له ويجوز أن يكون في محل جر باللام المقدرة أي لأن تحبط اعمالكم وقيل تقديره كراهة ان تحبط أو حذار أن تحبط

(النزول)

نزل قوله يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم إلى قوله غفور رحيم في وفد تميم وهم عطارد بن حاجب بن زرارة في اشراف من بني تميم منهم الاقرع بن حابس والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم وقيس بن عاصم في وفد عظيم فلما دخلوا المسجد نادوا رسول الله ﷺ من وراء الحجرات أن اخرج الينا يا محمد فآذى ذلك رسول الله ﷺ فخرج اليهم فقالوا جئناك لنفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا فقال قد اذنت فقام عطارد بن حاجب وقال الحمد لله الذي جعلنا ملوكا الذي له الفضل علينا والذي وهب علينا أموالا عظاما نفعل بها المعروف وجعلنا اعز اهل المشرق واكثر عددا وعدة فمن مثلنا في الناس فمن فاخرنا فليعد مثل ما عددنا ولو شئنا لأكثرنا من الكلام ولكنا نستحيي من الاكثار ثم جلس فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس قم فأجبه فقام فقال الحمد لله الذي السموات والأرض خلقه قضى فيهن امره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شيء قط إلا من فضله ثم كان من فضله أن جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا اكرمهم نسبا واصدقهم حديثا وأفضلهم حسبا فانزل الله عليه كتابا وأئتمنه على خلقه فكان خيرة الله على العالمين ثم دعا الناس إلى الايمان بالله فآمن به المهاجرون من قومه وذوي رحمه اكرم الناس احسابا

وأحسنهم وجوها فكان أول الخلق اجابة واستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نحن فنحن انصار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورِدؤه نقاتل الناس حتى يؤمنوا فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ومن نكث جاهدناه في الله ابدا وكان قتله علينا يسيرا اقول هذا واستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم ثم قام الزبرقان بن بدر ينشد واجابه حسان بن ثابت فلما فرغ حسان من قوله قال الأقرع إن هذا الرجل خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره اشعر من شاعرنا واصواتهم اعلى من اصواتنا فلما فرغوا اجازهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأحسن جوائزهم واسلموا عن ابن اسحاق وقيل إنهم اناس من بني العنبر كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اصاب من ذراريهم فأقبلوا في فدائهم فقدموا المدينة ودخلوا المسجد وعجلوا أن يخرج اليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجعلوا يقولون يا محمد اخرج الينا عن ابي حمزة الثمالي عن عكرمة عن ابن عباس

(المعنى)

(يا أيها الذين آمنوا) روى زرارة عن ابي جعفر (ع) انه قال ما سلت السيوف ولا اقيمت الصفوف في صلاة ولا زحوف ولا جهر بأذان ولا انزل الله يا أيها الذين آمنوا حتى اسلم ابناء قبيلة الأوس والخزرج (لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) بين اليدين عبارة عن الامام لأن ما بين يدي الانسان أمامه ومعناه لا تقطعوا امرا دون الله ورسوله ولا تعجلوا به قال ابو عبيدة العرب تقول لا تقدم بين يدي الامام وبين يدي الأب أي لا تعجل بالأمر دونه والنهي وقدم ههنا بمعنى تقدم وهو لازم وقيل معناه لاتقدموا اعمال الطاعة قبل الوقت الذي امر الله ورسوله به حتى انه قيل لا يجوز تقديم الزكاة قبل وقتها عن الزجاج وقيل لا تمكنوا احدا يمشي أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل كونوا تبعا له وأخروا أقوالكم وافعالكم عن قوله وفعله وقال الحسن نزل في قوم ذبحوا الاضحية قبل صلاة العيد فأمرهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالاعادة وقال ابن عباس نهوا أن يتكلموا قبل كلامه أي إذا كنتم جالسين في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسئل عن مسألة فلا تسبقوه بالجواب حتى يجيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولا وقيل معناه لا تسبقوه بقول ولا فعل حتى يأمركم به عن الكلبي والسدي والأولى حمل الآية على الجميع فإن كل شيء كان خلافا لله ورسوله إذا فعل فهو تقديم بين يدي الله ورسوله وذلك ممنوع (واتقوا الله) أي اجتنبوا معاصيه (إن الله سميع) لأقوالكم (عليم) بأعمالكم فيجازيكم بها (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي) لأن فيه احد الشيئين إما نوع استخفاف به فهو الكفر وإما سوء الأدب فهو خلاف التعظيم المأمور به (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) أي غضوا اصواتكم عند مخاطبتكم اياه وفي مجلسه فإنه ليس مثلكم اذ يجب تعظيمه وتوقيره من كل وجه وقيل معناه لا تقولوا له يا محمد كما يخاطب بعضكم بعضا بل خاطبوه بالتعظيم والتبجيل وقولوا يا رسول الله (أن تحبط اعمالكم) أي كراهة أن تحبط أو لئلا تحبط اعمالكم وقيل إنه في حرف عبد الله فتحبط اعمالكم (وأنتم لا تشعرون) أي وأنتم لا تعلمون انكم احبطتم أعمالكم بجهر صوتكم على صوته وترك تعظيمه قال انس لما نزلت هذه الآية قال ثابت بن قيس أنا الذي كنت ارفع صوتي فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واجهر له بالقول حبط عملي وأنا من اهل النار وكان ثابت رفيع الصوت فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال هو من اهل الجنة وقال اصحابنا ان المعنى في قوله أن تحبط اعمالكم انه ينحبط ثواب ذلك العمل لأنهم لو أوقعوه على وجه تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتوقيره لاستحقوا الثواب فلما فعلوه على

خلاف ذلك الوجه استحقوا العقاب وفاتهم ذلك الثواب فانحبط عملهم فلا تعلق لأهل الوعيد بهذه الآية ولأنه تعالى علق الإحباط في هذه الآية بنفس العمل وهم يعلقونه بالمستحق على العمل وذلك خلاف الظاهر ثم مدح سبحانه من يعظم رسوله ويوقره فقال (إن الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله) اي يخفضون اصواتهم في مجلسه اجلالا (أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى) اي اختبرها فأخلصها للتقوى عن قتادة ومجاهد اخذ من امتحان الذهب بالنار إذا اذيب حتى يذهب غشه ويبقى خالصه وقيل معناه أنه علم خلوص نياتهم لأن الإنسان يمتحن الشيء ليعلم حقيقته وقيل معناه عاملهم معاملة المختبر بما تعبدهم به من هذه العبادة فخلصوا على الاختبار كما يخلص جيد الذهب بالنار (لهم مغفرة) من الله لذنوبهم (وأجر عظيم) على طاعتهم ثم خاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) وهم الجفاة من بني تميم لم يعلموا في أي حجرة هو فكانوا يطوفون على الحجرات وينادونه (اكثرهم لا يعقلون) وصفهم الله سبحانه بالجهل وقلة الفهم والعقل إذ لم يعرفوا مقدار النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا ما استحقه من التوقير فهم بمنزلة البهائم (ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم) من أن ينادوك من وراء الحجرات في دينهم بما يحرزونه من الثواب وفي دنياهم باستعمالهم حسن الادب في مخاطبة الانبياء ليعدوا بذلك في زمرة العقلاء وقيل معناه لأطلقت اسراهم بغير فداء فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان سبى قوما من بني العنبر فجاءوا في فدائهم فاعتق نصفهم وفادى النصف فيقول ولو انهم صبروا لكنت تعتق كلهم (والله غفور رحيم) لمن تاب منهم

قوله تعالى (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٧) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٨) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٩) وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (١٠) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ

خمس آيات

القراءة

قرأ يعقوب فأصلحوا بين اخوتكم بالتاء على الجمع وهو قراءة ابن سيرين والباقون بين اخويكم على التثنية لقوله طائفتان وفي الشواذ قراءة زيد بن ثابت والحسن اخوانكم بالالف والنون على الجمع وقد ذكرنا في سورة النساء اختلافهم في قوله فتبينوا والوجه في القراءتين والمروي عن الباقر (ع) فتثبتوا بالثاء والتاء

اللغة

العنت المشقة يقال عنت الدابة تعنت عنتا إذا حدث في قوائمها كسر بعد جبر لا يمكنه معه الجري قال ابن الانباري اصل العنت التشديد يقال فلانا يعنت فلانا اي يشدد عليه ويلزمه ما يصعب عليه ثم نقل إلى

معنى الهلاك والقسط العدل ونحوه الإقساط والقسوط والقسط بالفتح الجور والعدول عن الحق فأصل الباب العدول فمن عدل إلى الحق فقد اقسط ومن عدل عن الحق فقد قسط

﴿ الإعراب ﴾

إن فيكم رسول الله خبر ان في الظرف الذي هو فيكم عند النحويين وفيه نظر لأن من حق الخبر ان يكون الخبر مفيدا فلا يقال النار حارة لعدم الفائدة والوجه عندي أن يكون لو مع ما في حيزه خبر ان والمعنى واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم ويجوز على الوجه الأول أن يكون المراد التنبيه لهم على مكان رسول الله ﷺ كما يقول القائل للرجل يريد ان ينبهه على شيء فلان حاضر والمخاطب يعلم حضوره ولو قال أن رسول الله ﷺ فيكم احتمل أن يكون غير رسول الله فيهم ممن هو بمنزلته فإذا قال إن فيكم رسول الله لا يحتمل ذلك على هذا فقوله لو يطيعكم لو مع ما في حيزه في محل رفع بأنه خبر إن خبر بعد خبر فضلا من الله مفعول له والتقدير فعل الله ذلك لكم فضلا منه ونعمة ويجوز أن يكون العامل فيه الراشدون وما فيه من الفعل أي رشد اوفضلا من الله وقوله بجهالة وبالعدل كلاهما في موضع نصب على الحال والعامل في الأول فتصيبوا وفي الثاني فأصلحوا

﴿ النزول ﴾

قوله ان جاءكم فاسق نزل في الوليد بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله ﷺ في صدقات بني المصطلق فخرجوا يتلقونه فرحا به وكانت بينهم عداوة في الجاهلية فظن أنهم هموا بقتله فرجع إلى رسول الله ﷺ وقال إنهم منعوا صدقاتهم وكان الامر بخلافه فغضب النبي ﷺ وهمَّ أن يغزوهم فنزلت الآية عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل انها نزلت فيمن قال للنبي ﷺ إن مارية ام ابراهيم يأتيها ابن عم لها قبطي فدعا رسول الله ﷺ عليا (ع) وقال يا أخي خذ هذا السيف فإن وجدته عندها فاقتله فقال يارسول الله اكون في امرك إذا ارسلتني كالسكة المحماة امضي لماامرتني ام الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال ﷺ بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب قال علي (ع) فأقبلت متوشحا بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما عرف اني اريده اتى نخلة فرقى اليها ثم رمى بنفسه على قفاه وشغر برجليه فإذا انه اجب امسح ما له مما للرجال قليل ولا كثير فرجعت فأخبرت النبي ﷺ فقال الحمد لله الذي يصرف عنا السوء اهل البيت وقوله وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا نزل في الأوس والخزرج وقع بينهما قتال بالسعف والنعال عن سعيد بن جبير وقيل نزل في رهط عبد الله بن ابي بن سلول من الخزرج ورهط عبد الله بن رواحة من الأوس وسببه ان النبي ﷺ وقف على عبد الله بن ابي فراث حمار رسول الله ﷺ فامسك عبد الله انفه وقال اليك عني فقال عبد الله بن رواحة لحمار رسول الله ﷺ اطيب ريحا منك ومن ابيك فغضب قومه واعان ابن رواحة قومه وكان بينهما ضرب بالحديد والايدي والنعال

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق) اي بخبر عظيم الشأن والفاسق الخارج عن طاعة الله إلى معصيته (فتبينوا) صدقه من كذبه ولا تبادروا إلى العمل بخبره ومن قال فتثبتوا فمعناه توقفوا فيه وتأنوا حتى يثبت عندكم حقيقته (أن تصيبوا قوما بجهالة) اي حذرا من ان تصيبوا قوما

في انفسهم واموالهم بغير علم بحالهم وما هم عليه من الطاعة والإسلام (فتصبحوا على ما فعلتم) من اصابتهم بالخطأ (نادمين) لا يمكنكم تداركه وفي هذا دلالة على ان خبر الواحد لا يوجب العلم ولا العمل لأن المعنى إن جاءكم من لا تأمنون ان يكون خبره كذبا فتوقفوا فيه وهذا التعليل موجود في خبر من يجوز كونه كاذبا في خبره وقد استدل بعضهم بالآية على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان عدلا من حيث ان الله سبحانه اوجب التوقف في خبر الفاسق فدل على ان خبر العدل لا يجب التوقف فيه وهذا لا يصح لأن دليل الخطاب لا يعول عليه عندنا وعند اكثر المحققين (واعلموا ان فيكم رسول الله) اي فاتقوا الله ان تكذبوه او تقولوا باطلا عنده فإن الله تعالى يخبره بذلك فتفضحوا وقيل معناه واعلموا بما اخبره الله تعالى من كذب الوليد أن فيكم رسول الله ﷺ فهذه احدى معجزاته (لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم) أي او فعل ما تريدونه في كثير من الامر لوقعتم في عنت وهو الإثم والهلاك فسمى موافقته لما يريدونه طاعة لهم مجازا ألا ترى أن الطاعة تراعى فيها الرتبة فلا يكون الإنسان مطيعا لمن دونه وإنما يكون مطيعا لمن فوقه إذا فعل ما امره به ثم خاطب المؤمنين الذين لا يكذبون فقال (ولكن الله حبب اليكم الإيمان) اي جعله احب الاديان اليكم بأن اقام الأدلة على صحته وبما وعد من الثواب عليه (وزينه في قلوبكم) بالالطاف الداعية اليه (وكره اليكم الكفر) بما وصف من العقاب عليه بوجوه الالطاف الصارفة عنه (والفسوق) أي الخروج عن الطاعة إلى المعاصي (والعصيان) اي جميع المعاصي وقيل الفسوق الكذب عن ابن عباس وابن زيد وهو المروي عن ابي جعفر (ع) ثم عاد سبحانه إلى الخبر عنهم فقال (أولئك هم الراشدون) يعني الذين وصفهم بالإيمان وزينه في قلوبهم هم المهتدون إلى محاسن الامور وقيل هم الذين اصابوا الرشد واهتدوا إلى الجنة (فضلا من الله ونعمة) أي تفضلا مني عليهم ورحمة مني لهم عن ابن عباس (والله عليم) بالأشياء كلها (حكيم) في جميع افعاله وفي هذه الآية دلالة على بطلان مذهب اهل الجبر من وجوه * منها * انه إذا حبب في قلوبهم الإيمان وكره الكفر فمن المعلوم انه لا يحب ما لا يحبه ولا يكره ما لا يكرهه * ومنها * أنه إذا لطف في تحبيب الإيمان بألطافه دل ذلك على ما نقوله في اللطف ثم قال (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) اي فريقان من المؤمنين قاتل احدهما صاحبه (فأصلحوا بينهما) حتى يصطلحا ولا دلالة في هذا على انهما إذا اقتتلا بقيا على الإيمان ويطلق عليهما هذا الاسم ولا يمتنع أن يفسق احدى الطائفتين أو تفسقا جميعا (فإن بغت احداهما على الاخرى) بأن تطلب ما لا يجوز لها وتقاتل الاخرى ظالمة لها متعدية عليها (فقاتلوا التي تبغي) لأنها هي الظالمة المتعدية دون الاخرى (حتى تفيء إلى امر الله) أي حتى ترجع إلى طاعة الله وتترك قتال الطائفة المؤمنة (فإن فاءت) اي رجعت وتابت واقلعت وأنابت إلى طاعة الله (فأصلحوا بينهما) اي بينها وبين الطائفة التي هي على الإيمان (بالعدل) اي بالقسط حتى يكونوا سواء لا يكون من احديهما على الاخرى جور ولا شطط فيما يتعلق بالضمانات من الاروش (واقسطوا) اي اعدلوا (ان الله يحب المقسطين) العادلين الذين يعدلون فيما يكون قولا وفعلا (إنما المؤمنون اخوة) في الدين يلزم نصرة بعضهم بعضا (فأصلحوا بين اخويكم) اي بين كل رجلين تقاتلا وتخاصما ومعنى الاثنين يأتي على الجمع لأن تأويله بين كل اخوين يعني فأنتم اخوة للمتقاتلين فأصلحوا بين الفريقين اي كفوا الظالم عن المظلوم واعينوا المظلوم (واتقوا الله) في ترك العدل والاصلاح او في منع

الحقوق (لعلكم ترحمون) اي لكي ترحموا قال الزجاج سمي المؤمنين اذا كانوا متفقين في دينهم اخوة لاتفاقهم في الدين ورجوعهم الى اصل النسب لأنهم لأم واحدة وهي حواء وروى الزهري عن سالم عن ابيه أن رسول الله ﷺ قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه من كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها عنه كربة من كروب يوم القيامة ومن ستر مسلما يستره الله يوم القيامة أورده البخاري ومسلم في صحيحيهما وفي وصية النبي ﷺ لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) سر ميلا عدمريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة اميال اجب دعوة سر اربعة اميال زر أخا في الله سر خمسة اميال اجب دعوة الملهوف سر ستة اميال انصر المظلوم وعليك بالاستغفار

النظم

وجه اتصال قوله إن جاءكم فاسق بنبأ بما قبله انه لما امر بطاعة الله ورسوله وبين عقيبه ان الرسول لا يجوز ان يتبع اهواءهم بل ينبغي أن يعمل بما عنده ووجه اتصال قوله ولكن الله حبب اليكم الايمان لئلا تقعوا في العنت وإنما قلنا ذلك لأن لكن لا بد أن يتقدمه نفي إذا كان ما بعده اثباتا وقوله او يطيعكم لعنتم معناه انه لم يطعكم فما عنتم

قوله تعالى (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٣) يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (١٤) قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ اربع آيات

القراءة

قرأ اهل البصرة لا يألتكم بالالف والباقون لا يلتكم بغير الألف

الحجة

قال ابو زيد التّه حقه يألته التا اذا نقصه وقوم يقولون لات يليت ليتا ويقول لت الرجل اليته ليتا إذا عميت عليه الخبر فأخبرته بغير ما يسألك عنه قال رؤبة

وليلة ذات ندى سريت ولم يلتني عن سراها ليت

وقوم يقولون الاتني عن حقي والاتني عن حاجتي اي صرفني عنها وحجة من قرأ لا يألتكم قوله تعالى وما

التناهم ومن قرأ يلتكم جعله من لات يليت

﴿ اللغة ﴾

الهمز واللمز العيب والغض من الناس فاللمزهو الرمي بالعيب لمن لا يجوز ان يؤذى بذكره وهو المنهي عنه فأما ذكر عيب الفاسق فليس بلمز وقد ورد في الحديث قولوا في الفاسق مافيه كي يحذره الناس والنبز القذف باللقب يقال نبزته انبزه والغيبة ان تذكر الانسان من ورائه بسوء هو فيه فإذا ذكرته بما ليس فيه فهو البهت والبهتان والشعوب الذي يصغر شأن العرب ولا يري لهم فضلا على غيرهم سموا بذلك لأنهم تأولوا وجعلناكم شعوبا على ان الشعوب من العجم كالقبائل من العرب وقال أبو عبيدة الشعوب العجم واصله من التشعب وهو كثرة تفرقهم في النسب ويقال شعبته جمعته وشعبته فرقته وهو من الاضداد

﴿ النزول ﴾

نزل قوله لا يسخر قوم من قوم في ثابت بن قيس بن شماس وكان في اذنه وقر وكان اذا دخل المسجد تفسحوا له حتى يقعد عند النبي فيسمع ما يقول فدخل المسجد يوما والناس قد فرغوا من الصلاة وأخذوا مكانهم فجعل يتخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا حتي انتهى الى رجل فقال له اصبت مجلسا فاجلس فجلس خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة قال من هذا قال الرجل انا فلان فقال ثابت ابن فلانه ذكر اماً له كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل رأسه حياء فنزلت الآية عن ابن عباس وقوله ولا نساء من نساء نزل في نساء النبي ﷺ سخرن من أم سلمة عن انس وذلك انها ربطت حقويها بسبية وهي ثوب أبيض وسدلت طرفها خلفها فكانت تجره فقالت عائشة لحفصة أنظري ماذا تجر خلفها كأنه لسان كلب فهذا كانت سخريتها وقيل انها عيرتها بالقصر وأشارت بيدها انها قصيرة عن الحسن وقوله ولا يغتب بعضكم بعضا نزل في رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ اغتابا رفيقهما وهو سلمان بعثاه الى رسول الله ﷺ ليأتي لهما بطعام فبعثه الى أسامة بن زيد وكان خازن رسول الله ﷺ على رحله فقال ما عندي شيء فعاد اليهما فقالا بخل اسامة وقالا لسلمان لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان عند أسامة ما امرهما به رسول الله فقال لهما رسول الله ﷺ مالي أرى خضرة اللحم في افواهكما قالا يارسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما قال ظللتم تأكلون لحم سلمان وأسامة فنزلت الآية وعن ابي قلابة قال ان عمر بن الخطاب حدث ان ابا محجن الثقفي يشرب الخمر في بيته هو واصحابه فانطلق عمر حتى دخل عليه فإذا ليس عنده الا رجل فقال ابو محجن يا امير المؤمنين ان هذا لا يحل لك قد نهاك الله عن التجسس فقال عمر ما يقول هذا قال زيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم صدق يا امير المؤمنين قال فخرج عمر وتركه وخرج عمر بن الخطاب ايضا ومعه عبد الرحمن بن عوف يعسان فتبينت لهما نار فأتيا واستأذنا ففتح الباب فدخلا فإذا رجل وامرأة تغني وعلى يد الرجل قدح فقال عمر من هذه منك قال امرأتي قال وما في هذا القدح قال ماء فقال للمرأة ما الذي تغنين قالت اقول

تطاول هذا الليل واسود جانبه ... وارقني الا حبيب الاعبه

فوالله لولا خشية الله والتقى ... لزعزع من هذا السرير جوانبه

ولكن عقلي والحياء يكفني ... واكرم بعلي ان تنال مراكبه

ثم قال الرجل ما بهذا أمرنا يا امير المؤمنين قال الله تعالى ولا تجسسوا فقال عمر صدقت وانصرف

وقوله يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى قيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله للرجل الذي لم يتفسح له ابن فلانة فقال صلى الله عليه وآله وسلم من الذاكر فلانة فقام ثابت فقال انا يارسول الله فقال انظر في وجوه القوم فنظر اليهم فقال ما رأيت يا ثابت قال رأيت ابيض واسود واحمر قال فإنك لا تفضلهم الا بالتقوى والدين فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس الآية عن ابن عباس وقيل لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلالا حتى علا ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب بن أسيد الحمد لله الذي قبض ابي حتى لم ير هذا اليوم وقال الحرث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو ان يرد الله شيئا يغيره لغيره وقال ابو سفيان اني لا أقول شيئا أخاف أن يخبره به رب السماوات فأتى جبرائيل (ع) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره بما قالوا فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسألهم عما قالوا فأقروا به ونزلت الآية وزجرهم عن التفاخر بالانساب والازدراء بالفقر والتكاثر بالأموال عن مقاتل

❋ المعنى ❋

لما امر سبحانه بصلاح ذات البين ونهى عن التفرق عقب ذلك بالنهي عن اسباب الفرقة من السخرية والازدراء بأهل الفقر والمسكنة ونحو ذلك فقال (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم) قال الخليل القوم يقع على الرجال دون النساء لقيام بعضهم مع بعض في الامور قال زهير

وما ادري ولست اخال ادري أقوم آل حصن أم نساء

فالمعنى لا يسخر رجال من رجال والسخرية الاستهزاء قال مجاهد معناه لا يسخر غني من فقير لفقره وربما يكون الفقير المهين في ظاهر الحال خيرا وأجل منزلة عند الله من الغني الحسن الحال ولو سخر مؤمن من كافر احتقارا له لم يكن مأثوما وقال ابن زيد هذا نهي عن استهزاء المسلمين بمن اعلن بفسقه عسى أن يكون المسخور عند الله خيرا من الساخر معتقدا أو اسلم باطنا (ولا نساء من نساء) على المعنى الذي تقدم (عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا انفسكم) أي لا يطعن بعضكم على بعض كما قال تعالى ولا تقتلوا انفسكم لأن المؤمنين كنفس واحدة فكأنه إذا قتل اخاه قتل نفسه عن ابن عباس وقتادة واللمز العيب في المشهد والهمز العيب في المغيب وقيل ان اللمز يكون باللسان وبالعين وبالاشارة والهمز لا يكون إلا باللسان وقيل معناه ولا يلعن بعضكم بعضا عن الضحاك (ولا تنابزوا بالالقاب) جمع اللقب وهو اسم غير الذي سمي به الانسان وقيل هو كل اسم لم يوضع له واذا دعي به يكرهه فأما إذا كان لا يسوؤه ولا يكرهه فلا بأس فيه مثل الفقيه والقاضي وقيل هو قول الرجل للرجل يا كافر يا فاسق يا منافق عن قتادة وعكرمة وقيل كان اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد ذلك يا يهودي أو يا نصراني فنهوا عن ذلك عن الحسن وقيل هو أن يعمل انسان شيئا من القبيح ثم يتوب منه فيعير بما سلف منه عن ابن عباس وروي ان صفية بنت حيي بن اخطب جاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم تبكي فقال لها ما وراءك فقالت إن عائشة تعيرني وتقول يهودية بنت يهوديين فقال لها هلا قلت ابي هارون وعمي موسى وزوجي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت الآية عن ابن عباس (بئس الاسم الفسوق بعد الايمان) اي بئس الاسم ان يقول له يا يهودي يا نصراني وقد آمن عن الحسن وغيره والمعنى بئس الشيء تسميته باسم الفسوق يعني الكفر بعد الايمان وقيل معناه بئس الشيء اكتساب اسم الفسوق باغتياب المسلمين ولمزهم وهذا لا يدل على ان اسم الايمان والفسق لا يجتمعان لأن هذا كما يقال بئس الحال الفسوق بعد الشيب والمعنى بئس الحال الفسوق مع الشيب وبئس الاسم الفسوق مع الايمان على ان الظاهر ان المعنى أن الفسوق الذي يتعقب الايمان بئس الاسم وذلك هو الكفر (ومن لم يتب) من التنابز والمعاصي ويرجع إلى طاعة الله تعالى (فأولئك هم الظالمون) نفوسهم بفعل ما يستحقون به العقاب (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن) قال الزجاج هو أن يظن بأهل الخير

سوء فأما أهل السوء والفسق فلنا أن نظن بهم مثل ما ظهر منهم وقيل هو أن يظن بأخيه المسلم سوءا ولا بأس به ما لم يتكلم به فإن تكلم بذلك الظن وأبداه أثم وهو قوله (إن بعض الظن اثم) يعني ما اعلنه مما ظن بأخيه عن المقاتلين وقيل انما قال كثيرا من الظن لأن من جملته ما يجب العمل به ولا يجوز مخالفته وإنما يكون إثما اذا فعله صاحبه وله الطريق الى العلم بدلا منه فهذا ظن محرم لا يجوز فعله فأما ما لا سبيل الى دفعه بالعلم بدلا منه فليس بإثم ولذلك قال بعض الظن إثم دون جميعه والظن المحمود قد بينه الله تعالى ودل عليه بقوله لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقيل معناه يجب على المؤمن ان يحسن الظن ولا يسيئه في شيء يجد له تأويلا جميلا وإن كان ظاهرا قبيحا (ولا تجسسوا) اي ولا تتبعوا عثرات المؤمنين عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقال ابو عبيدة التجسس والتحسس واحد وروي في الشواذ عن ابن عباس ولا تحسسوا بالحاء قال الأخفش وليس يبعد احدهما عن الآخر إلا ان التجسس عما يكتم ومنه الجاسوس والتحسس بالحاء البحث عما تعرفه وقيل ان التجسس بالجيم في الشر والجاسوس صاحب سر الشر والناموس صاحب سر الخير وقيل معناه لا تتبعوا عيوب المسلمين لتهتكوا العيوب التي سترها اهلها وقيل معناه ولا تبحثوا عما خفي حتى يظهر عن الاوزاعي وفي الحديث اياكم والظن فإن الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تقاطعوا ولا تحاسدوا ولا تنابزوا وكونوا عباد الله اخوانا وقوله (ولا يغتب بعضكم بعضا) الغيبة ذكر العيب بظهر الغيب على وجه تمنع الحكمة منه وفي الحديث اذا ذكرت الرجل بما فيه مما يكرهه الله فقد اغتبته واذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته وعن جابر قال قال رسول الله ﷺ اياكم والغيبة فإن الغيبة اشد من الزنا ثم قال ان الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه ثم ضرب سبحانه للغيبة مثلا فقال (أيحب احدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا) وتأويله ان ذكرك بالسوء من لم يحضرك بمنزلة أن تأكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك عن الزجاج ولما قيل لهم أيحب احدكم أن يأكل لحم اخيه ميتاً قالوا لا فقيل (فكرهتموه) اي فكما كرهتم ذلك فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا عن مجاهد وقيل فكما كرهتم لحمه ميتا فاكرهوا غيبته حيا عن الحسن فهذا هو تقدير الكلام وقوله (واتقوا الله) معطوف على هذا الفعل المقدر ومثله الم نشرح لك صدرك ووضعنا اي وقد شرحنا ووضعنا ويقال للمغتاب فلان يأكل لحوم الناس قال

وليس الذئب يأكل لحم ذئب ويأكل بعضنا بعضا عيانا

وقال آخر

فإن يأكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن يهدموا مجدي بنيت لهم مجدا

وقال قتادة كما يمتنع احدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا لكراهية الطبع كذلك يجب أن يمتنع عن غيبته لكراهية العقل والشرع لأن دواعي العقل والشرع أحق بالاتباع من دواعي الطبع فإن داعي الطبع أعمى وداعي العقل بصير وعن ميمون بن شاة وكان يفضل على الحسن لأنه قد لقي من لم يلقه الحسن قال بينا انا نائم اذا بجيفة زنجي وقائل يقول كل يا عبد الله قلت ولم آكل قال بما اغتيب عندك فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال لكنك استمعت فرضيت وكان ميمون بعد ذلك لا يدع أن يغتاب عنده واحد وقال رجل لابن سيرين إني قد اغتبتك فاجعلني في حل قال إني اكره أن احل ما حرم الله (ان الله تواب) قابل التوبة (رحيم) بالمؤمنين (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى) اي من آدم وحواء والمعنى انكم متساوون

في النسب لأن كلكم يرجع في النسب الى آدم وحواء زجر الله سبحانه عن التفاخر بالأنساب وروى عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال إنما انتم من رجل وامرأة كجمام الصاع ليس لأحد على احد فضل الا بالتقوى ثم ذكر سبحانه انه انما فرق انساب الناس ليتعارفوا لا ليتفاخروا فقال (وجعلناكم شعوبا وقبائل) وهي جمع شعب وهو الحي العظيم مثل مضر وربيعة وقبائل هي دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر هذا قول أكثر المفسرين وقيل الشعوب دون القبائل وإنما سميت بذلك لتشعبها وتفرقها عن الحسن وقيل اراد بالشعوب الموالي وبالقبائل العرب في رواية عطا عن ابن عباس والى هذا ذهب قوم فقالوا الشعوب من العجم والقبائل من العرب والاسباط من بني اسرائيل وروي ذلك عن الصادق (ع)(لتعارفوا) اي جعلناكم كذلك لتعارفوا فيعرف بعضكم بعضا بنسبه وابيه وقومه ولولا ذلك لفسدت المعاملات وخربت الدنيا ولما امكن نقل حديث(ان اكرمكم عند الله اتقيكم)اي ان اكثركم ثوابا وارفعكم منزلة عند الله اتقاكم لمعاصيه واعملكم بطاعته وروي عن النبي ﷺ انه قال يقول الله تعالى يوم القيامة أمرتكم فضيعتم ماعهدت اليكم فيه ورفعتم انسابكم فاليوم ارفع نسبي واضع انسابكم اين المتقون ان اكرمكم عند الله اتقاكم وروي أن رجلا سأل عيسى بن مريم اي الناس أفضل فأخذ قبضتين من تراب فقال اي هاتين أفضل الناس خلقوا من تراب فأكرمهم اتقاهم ابو بكر البيهقي بالإسناد عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ ان الله عز وجل جعل الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسما وذلك قوله واصحاب اليمين واصحاب الشمال فأنا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله واصحاب الميمنة واصحاب المشئمة والسابقون السابقون فأنا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلناكم شعوبا وقبائل الآية فإني أتقى ولد آدم ولا فخر وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا وذلك قوله عز وجل إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فأنا وأهل بيتي مطهرون من الذنوب (ان الله عليم) بأعمالكم (خبير) باحوالكم لا يخفى عليه شيء من ذلك (قالت الاعراب آمنا) وهم قوم من بني اسد أتوا النبي ﷺ في سنة جدبة وأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر إنما كانوا يطلبون الصدقة والمعنى انهم قالو صدقنا بما جئت به فأمره الله سبحانه أن يخبرهم بذلك ليكون آية معجزة له فقال (قل لم تؤمنوا) اي لم تصدقوا على الحقيقة في الباطن(ولكن قولوا أسلمنا)اي انقدنا واستسلمنا مخافة السبي والقتل عن سعيد بن جبير وابن زيد ثم بين سبحانه ان الإيمان محله القلب دون اللسان فقال (ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) قال الزجاج الإسلام اظهار الخضوع والقبول لما أتى به الرسول وبذلك يحقن الدم فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان وصاحبه المؤمن المسلم حقا فأما من اظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم وباطنه غير مصدق وقد اخرج هؤلاء من الإيمان بقوله ولما يدخل الإيمان في قلوبكم اي لم تصدقوا بعد بما اسلمتم تعوذا من القتل فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر والمسلم التام الإسلام مظهر للطاعة وهو مع ذلك مؤمن بها والذي اظهر الإسلام تعوذا من القتل غير مؤمن في الحقيقة الا أن حكمه في الظاهر حكم المسلمين وروى انس عن النبي ﷺ قال الإسلام علانية والإيمان في القلب واشار الى صدره (وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا) اي لا ينقصكم من ثواب

اعمالكم شيئا عن ابن عباس ومقاتل (ان الله غفور رحيم)

قوله تعالى (١٥) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٦) قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٧) يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨) إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ

اربع آيات

القراءة

قرأ ابن كثير يعملون بالياء والباقون بالتاء

الحجة

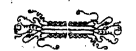
وجه التاء أن قبله خطابا وهو قوله لا تمنوا ووجه الياء ان قبله غيبة وهو قوله إنما المؤمنون الذين آمنوا

(الإعراب)

خبر المبتدأ الذي هو المؤمنون قوله أولئك هم الصادقون وقوله الذين آمنوا صفة لهم

(المعنى)

ثم نعت سبحانه الصادقين في إيمانهم فقال (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) اي لم يشكوا في دينهم بعد الإيمان (وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون) في اقوالهم دون من يقول بلسانه ما ليس في قلبه قالوا فلما نزلت الآيتان أتوا رسول ﷺ يحلفون انهم مؤمنون صادقون في دعواهم الإيمان فأنزل الله سبحانه (قل أتعلمون الله بدينكم) اي اتخبرون الله بالدين الذي انتم عليه والمعنى انه سبحانه عالم بذلك فلا يحتاج الى اخباركم به وهذا استفهام انكار وتوبيخ اي كيف تعلمون الله بدينكم (والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم) لأن العالم لنفسه يعلم المعلومات كلها بنفسه فلا يحتاج الى علم يعلم به ولا الى من يعلمه كما انه اذا كان قديما موجوداً في الأزل لنفسه استغنى عن موجد اوجده وكانوا يقولون آمنا بك من غير قتال وقاتلك بنو فلان فقال سبحانه (يمنون عليك ان أسلموا) أي بأن اسلموا والمعنى انهم يمنون عليك بالإسلام (قل لا تمنوا علي اسلامكم) أي بإسلامكم (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) اي بأن هداكم للإيمان وارشدكم اليه بأن نصب لكم من الأدلة عليه وازاح عللكم ووفقكم له (إن كنتم صادقين) في ادعائكم الإيمان (ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون) من طاعة ومعصية وإيمان وكفر



(سورة ق مكية)

قال الحسن غير قوله ولقد خلقنا السماوات والأرض الى قوله وقبل الغروب والمعدل عن ابن عباس ولقد خلقنا السماوات والارض الآية وهي خمس واربعون آية بالاجماع

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأ سورة ق هون الله عليه تارات الموت وسكراته. ابو حمزة الثمالي عن ابي جعفر (ع) قال ومن ادمن في فرائضه ونوافله سورة ق وسع الله في رزقه واعطاه كتابه بيمينه وحاسبه حسابا يسيراً

تفسيرها

لما ختم الله تلك السورة بذكر الايمان وشرائطه للعبيد افتتح هذه الصورة بذكر ما يجب الايمان به من القرآن وأدلة التوحيد فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (٢) بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٣) أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٤) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (٥) بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ خمس آيات

ولم يعد ق آية ولا نظير له من نون وصاد لأنه مفرد وكل مفرد فإنه لا يعد لبعده من شبه الجملة فأما المركب مما اشبه الجملة ووافق رؤوس الآي فإنه يعد مثل طه وحم والم وما أشبه ذلك

اللغة

المجيد الكريم المعظم والعظيم المكرم والمجد في كلامهم الشرف الواسع يقال مجد الرجل ومجد مجدا إذا عظم وكرم وأصله من قولهم مجدت الابل مجودا إذا عظمت بطونها من كثرة أكلها من كلأ الربيع وامجد فلان القوم قرى قال

أتيناه زواراً فأمجدنا قرى ... من البث والداء الدخيل المخامر

والعجيب والعجب هو كل ما لا يعرف علته ولا سببه والمريج المختلط الملتبس وأصله ارسال الشيء مع غيره من المرج قال الشاعر

فجالت فالتمست به حشاها ... فخر كأنه غصن مريج

أي التبس بكثرة شعبه ومرجت عهودهم وأمرجوها أي خلطوها ولم يفوا بها

الإعراب

جواب القسم في ق والقرآن المجيد محذوف يدل عليه أءذا متنا وكنا ترابا وتقديره انكم مبعوثون فقالوا أنبعث إذا متنا وكنا ترابا ويجوز أن يكون الجواب قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وحذفت اللام

لأن ما قبلها عوض منها كما قال والشمس وضحاها إلى قوله قد أفلح من زكاها والمعنى لقد أفلح والعامل في أءذا متنا مضمر والتقدير أءذا متنا بعثنا

﴿ المعنى ﴾

(ق) قد مر تفسيره وقيل انه اسم من اسماء الله تعالى عن ابن عباس وقيل هو اسم الجبل المحيط بالأرض من زمردة خضراء خضرة السماء منها عن الضحاك وعكرمة وقيل معناه قضي الأمر أو قضي ماهو كائن كما قيل في حم حم الأمر (والقرآن المجيد) أي الكريم على الله العظيم في نفسه الكثير الخير والنفع لتبعثن يوم القيامة وقيل تقديره والقرآن المجيد ان محمداً رسول الله ﷺ بدلالة قوله (بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم) أي ما كذبك قومك لأنك كاذب بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم وحسبوا أنه لا يوحى إلا إلى ملك (فقال الكافرون هذا شيء عجيب) أي معجب عجبوا من كون محمد ﷺ رسولا اليهم فأنكروا رسالته وأنكروا البعث بعد الموت وهو قوله (أءذا متنا وكنا تراباً) أنبعث ونرد أحياء (ذلك) أي ذلك الرد الذي يقولون (رجع بعيد) أي رد بعيد عن الأوهام واعادة بعيدة عن الكون والمعنى انه لايكون ذلك لأنه غير ممكن ثم قال سبحانه (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم) أي ما تأكل الأرض من لحومهم ودمائهم وتبليه من عظامهم فلا يتعذر علينا ردهم (وعندنا كتاب حفيظ) أي حافظ لعدتهم وأسمائهم وهو اللوح المحفوظ لا يشذ عنه شيء وقيل حفيظ أي محفوظ عن البلى والدروس وهو كتاب الحفظة الذين يكتبون أعمالهم ثم اخبر سبحانه بتكذيبهم فقال (بل كذبوا بالحق لما جاءهم) والحق القرآن وقيل هو الرسول (فهم في امر مريج) أي مختلط فمرة قالوا مجنون وتارة قالوا ساحر وتارة قالوا شاعر فتحيروا في أمرهم لجهلهم بحاله ولم يثبتوا على شيء واحد وقالوا للقرآن انه سحر مرة وزجر مرة ومفترى مرة فكان امرهم ملتبسا عليهم قال الحسن ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرهم

قوله تعالى (٦) أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٧) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٨) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٩) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (١٠) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ (١١) رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ست آيات

﴿ اللغة ﴾

الفروج الشقوق والصدوع وفي الحائط فرجة بضم الفاء فإذا قيل فرجة بفتح الفاء فهو التفصي من الهم قال

ربما تكره النفوس من الامـ ـر له فرجة كحل العقال

أي رب شيء تكرهه النفوس وما هاهنا نكرة موصوفة والفرج موضع المخافة وفي عهد الحجاج اني وليتك الفرجين يعني خراسان وسجستان والحصيد ما حصد من انواع النبات والباسقات الطوال وبسق النخل بسوقا والطلع طلع النخلة سمي بذلك لطلوعه والنضيد ما نضد بعضه على بعض

الاعراب

كيف يجوز ان يكون في موضع نصب على الحال ويجوز ان يكون مصدرا وما لها من فروج في موضع نصب على الحال تقديره غير مفروجة والارض منصوبة بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر وتقديره ومددنا الأرض مددناها ، تبصرة مفعول له وكذلك ذكرى وحب الحصيد تقديره وحب النبات الحصيد والحصيد صفة لموصوف محذوف وباسقات نصب على الحال وكذلك الجملة التي هي لها طلع نضيد حال بعد حال ورزقا للعباد مفعول له أي انبتنا هذه الأشياء لرزق العباد ويجوز أن يكون مفعولا مطلقا أعني المصدر وتقديره رزقناهم رزقا

المعنى

ثم أقام سبحانه الدلالة على كونه قادرا على البعث فقال (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم) أي ألم يتفكروا في بناء السماء مع عظمها وحسن ترتيبها وانتظامها (كيف بنيناها) بغير علاقة ولا عماد (وزيناها) بالكواكب السيارة والنجوم الثوابت (وما لها من فروج) أي شقوق وفتوق وقيل معناه ليس فيها تفاوت واختلاف عن الكسائي وإنما قال فوقهم بنيناها على انهم يرونها ويشاهدونها ثم لا يتفكرون فيها (والأرض مددناها) أي بسطناها (والقينا فيها رواسي) أي جبالا رواسخ تمسكها عن الميدان (وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن المنظر عن ابن زيد والبهجة الحسن الذي له روعة عند الرؤية كالزهرة والأشجار النضرة والرياض الخضرة وقال الأخفش البهيج الذي من رآه بهج به أي سر به فهو بمعنى المبهوج به (تبصرة وذكرى) أي فعلنا ذلك تبصيرا ليبصر به أمر الدين وتذكيراً وتذكرا (لكل عبد منيب) راجع إلى الله تعالى (ونزلنا من السماء ماء مباركا) اي مطرا وغيثا يعظم النفع به (فأنبتنا به) أي بالماء (جنات) أي بساتين فيها أشجار تشتمل على انواع الفواكه المستلذة (وحب الحصيد) أي حب البر والشعير وكل ما يحصد عن قتادة لأن من شأنه أن يحصد إذا تكامل واستحصد والحب هو الحصيد فهو مثل حق اليقين ومسجد الجامع ونحوهما (والنخل باسقات) أي وأنبتنا به النخل طويلات عاليات (لها طلع نضيد) أي لهذه النخل الموصوفة بالعلو طلع نضد بعضه على بعض عن مجاهد وقتادة والطلع الكفرّى وهو أول ما يظهر من ثمر النخل قبل ان ينشق وهو نضيد في أكمامه فإذا اخرج من اكمامه فليس بنضيد (رزقا للعباد) أي أنبتنا هذه الأشياء للرزق وكل رزق فهو من الله تعالى بأن يكون قد فعله أو فعل سببه لأنه مما يريده وقد يرزق الواحد منا غيره كما يقال رزق السلطان جنده (واحيينا به) أي بذلك الماء الذي أنزلناه من السماء (بلدة ميتا) اي جدبا وقحطا لا تنبت شيئا فنبتت وعاشت ثم قال (كذلك الخروج) من القبور أي مثل ما أحيينا هذه الأرض الميتة بالماء نحيي الموتى يوم القيامة فيخرجون من قبورهم فإن من قدر على احدهما قدر على الآخر وانما دخلت الشبهة على هؤلاء من حيث انهم رأوا العادة مستمرة في احياء الموات من الأرض بنزول المطر ولم تجر العادة بإحياء الموتى من البشر ولو انعموا الفكر وأمعنوا النظر لعلموا أن من قدر على احد الأمرين قدر على الآخر

قوله تعالى (١٢) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ (١٣) وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ (١٤) وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ

وَعِيدٌ (١٥) أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦) وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٧) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٨) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٩) وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (٢٠) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ تسع آيات

القراءه

الشواذ قراءة ابي بكر عند خروج نفسه وجاءت سكرة الحق بالموت وهي قراءة سعيد بن جبير وطلحة ورواها اصحابنا عن ائمة الهدى (ع)

الحجة

قال ابن جني الك في الباء ضربان من التقدير ان شئت علقتها بنفس جاءت كقولك جئت بزيد اسي احضرته وان شئت علقتها بمحذوف وجعلتها حالا اي وجاءت سكرة الحق ومعها الموت كقولك خرج بثيابه اي وثيابه عليه ومثله قوله فخرج على قومه في زينته اي وزينته عليه وكقول ابي ذؤيب

يعثرن في حد الظباة كأنما كسيت برود بني يزيد الأذرع

اي يعثرن وهن في حد الظباة وكقول الآخر

ومستنة كاستنان الخروف وقد قطع الحبل بالمرود

اي قطعه وفيه مروده وكذلك قراءة العامة وجاءت سكرة الموت بالحق ان شئت علقت الباء بنفس جاءت وان شئت علقتها بمحذوف وجاءت سكرة الموت ومعها الحق

اللغة

يقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه وتعذر ذلك عليك واعييت اذا تعبت وكل ذلك من التعب الا ان احدهما في الطلب والآخر فيما وقع الفراغ عنه والوريد عرق في الحلق وهما وريدان في العنق عن يمين وشمال وكأنه العرق الذي يرد اليه ماينصب من الرأس وحبل الوريد حبل العاتق وهو منفصل من الحلق الى العاتق والرقيب الحافظ والعتيد المعد للزوم الامر

المعنى

ثم ذكر سبحانه الامم المكذبة تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتهديدا للكفار فقال (كذبت قبلهم) من الامم الماضية (قوم نوح) فاغرقهم الله (واصحاب الرس) وهم اصحاب البئر التي رسوا نبيهم فيها بعد ان قتلوه عن عكرمة وقيل الرس بئر قتل فيها صاحب ياسين عن الضحاك وقيل هم قوم كانوا باليمامة على آبار لهم عن قتادة وقيل هم اصحاب الاخدود وقيل كان سحق النساء في اصحاب الرس وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) (وثمود) وهم قوم صالح (وعاد) وهم قوم هود (وفرعون واخوان لوط) أي وكذب فرعون موسى وقوم لوط لوطا وسماهم اخوانه لكونهم من نسبه (واصحاب الايكة) وهم قوم شعيب (وقوم تبع) وهو تبع الحميري الذي ذكرناه عند قوله اهم خير ام قوم تبع (كل) من هؤلاء المذكورين

(كذب الرسل) المبعوثة اليهم وجحدوا نبوتهم (فحق وعيد) اي وجب عليهم عذابي الذي اوعدتهم به فإذا كان مآل الامم الخالية إذا كذبوا الرسل الهلاك والدمار وانكم معاشر العرب قد سلكتم مسالكهم في التكذيب والإنكار فحالكم كحالهم في التباب والخسار ثم قال سبحانه جوابا لقولهم ذلك رجع بعيد (افعيينا بالخلق الأول) اي افعجزنا حين خلقناهم اولا ولم يكونوا شيئا فكيف نعجز عن بعثهم واعادتهم وهذا تقرير لهم لأنهم اعترفوا بأن الله هو الخالق ثم انكروا البعث ويقال لكل من عجز عن شيء عيي به ثم ذكر انهم في شك من البعث بعد الموت فقال (بل هم في لبس من خلق جديد) اي بل هم في ضلال وشك من اعادة الخلق جديدا واللبس منع من ادراك المعنى بما هو كالستر له والجديد القريب الانشاء (ولقد خلقنا الانسان) أراد به الجنس يعني ابن آدم (ونعلم ما توسوس به نفسه) اي ما يحدث به قلبه ومايخفي ويكن في نفسه ولا يظهره لأحد من المخلوقين (ونحن اقرب اليه) بالعلم (من حبل الوريد) وهو عرق يتفرق في البدن يخالط الانسان في جميع اعضائه وقيل هو عرق الحلق عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو عرق متعلق بالقلب يعني نحن اقرب اليه من قلبه عن الحسن وقيل معناه نحن اعلم به ممن كان منه بمنزلة حبل الوريد في القرب وقيل معناه نحن املك له من حبل وريده مع استيلائه عليه وقربه منه وقيل معناه نحن اقرب اليه بالادراك من حبل الوريد لو كان مدركا ثم ذكر سبحانه انه مع علمه به وكل به ملكين يحفظان عليه عمله الزاما للحجة فقال (اذ يتلقى المتلقيان) فإذ متعلقة بقوله ونحن اقرب اليه اي ونحن اعلم به واملك له حين يتلقى المتلقيان وهما الملكان يأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المملى عليه (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد فاكتفى باحدهما عن الآخر والمراد بالقعيد هنا الملازم الذي لا يبرح لا القاعد الذي هو ضد القائم وقيل عن اليمين كاتب الحسنات وعن الشمال كاتب السيئات عن الحسن ومجاهد وقيل الحفظة اربعة ملكان بالنهار وملكان بالليل عن الحسن (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) اي ما يتكلم بكلام فيلفظه اي يرميه من فيه إلا لديه حافظ حاضر معه يعني الملك الموكل به إما صاحب اليمين واما صاحب الشمال يحفظ عمله لا يغيب عنه والهاء في لديه تعود إلى القول اوإلى القائل وعن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن صاحب الشمال ليرفع القلم ست ساعات عن العبد المسلم المخطئ اوالمسيئ فإن ندم واستغفر الله منها القاها والا كتب واحدة وفي رواية اخرى قال صاحب اليمين امير على صاحب الشمال فإذا عمل حسنة كتبها له صاحب اليمين بعشر امثالها واذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين امسك فيمسك عنه سبع ساعات فإن استغفر الله منها لم يكتب عليه شيئ وإن لم يستغفر الله كتب له سيئة واحدة وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الله تعالى وكل بعبده ملكين يكتبان عليه فإذا مات قالا يارب قد قبضت عبدك فلانا فإلى اين قال سمائي مملوءة بملائكتي يعبدونني وارضي مملوءة من خلقي يطيعونني اذهبا إلى قبر عبدي فسبحاني وكبراني وهللاني فاكتبا ذلك في حسنات عبدي إلى يوم القيامة (وجاءت سكرة الموت بالحق) اي جاءت غمرة الموت وشدته التي تغشى الانسان وتغلب على عقله بالحق أي امر الآخرة حتى عرفه صاحبه واضطر اليه وقيل معناه جاءت سكرة الموت بالحق الذي هو الموت قال مقاتل يعني انه حق كائن والمراد أن هذه السكرة قد قربت منكم فاستعدوا لها فهي لقربها كالحاصلة مثل قوله تعالى اتى امر الله وروي أن عائشة قالت عند وفاة ابي بكر

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى　　　إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

فقال ابو بكر لا تقولي ذلك ولكنه كما قال الله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ويقال لمن جاءته سكرة الموت (ذلك) اي ذلك الموت (ما كنت منه تحيد) اي تهرب وتميل (ونفخ في الصور) قد مر تفسيره (ذلك يوم الوعيد) اي ذلك اليوم يوم وقوع الوعيد الذي خوف الله به عباده ليستعدوا و يقدموا العمل الصالح له

قوله تعالى (٢١) وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (٢٢) لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هٰذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (٢٣) وَقَالَ قَرِينُهُ هٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (٢٤) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٥) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (٢٦) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (٢٧) قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلٰكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٢٨) قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ (٢٩) مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٣٠) يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ　　　عشر آيات

« القراءة »

قرأ نافع وابو بكر يوم يقول بالياء والباقون بالنون

❋ الحجة ❋

الياء على معنى يقول الله تعالى والنون اشبه بقوله قد قدمت اليكم بالوعيد وقوله وما انا بظلام للعبيد

❋ اللغة ❋

السوق الحث على السير والحديد الحاد مثل الحفيظ والحافظ والعنيد الجائر عن القصد وهو العنود والعاند وناقة عنود لا تستقيم في سيرها والعنيد المتجبر منه

❋ الاعراب ❋

هذا ما لدي عتيد ما ها هنا نكرة موصوفة وتقديره هذا شيء ثابت لدي عتيد فالظرف صفة لما وكذلك عتيد. جهنم لا ينصرف للتعريف والتأنيث واصله من قولهم بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر وقيل هو اعجمي فلا ينصرف للتعريف والعجمة وقوله القيا في جهنم قيل فيه اقوال ❋ احدها ❋ أن العرب تأمر الواحد والقوم بما يؤمر به الاثنان يقول للرجل الواحد قوما واخرجا ويحكى عن الحجاج انه كان يقول ياحرسي اضربا عنقه يريد اضرب قال الفراء سمعت من العرب من يقول ويلك ارحلاها وانشدني بعضهم

فقلت لصاحبي لا تحبسانا　　　بنزع اصوله واجتز شيحا

وانشدني ابو ثروان

فان تزجراني يا ابن عفان انزجر　　　وان تدعاني احم عرضا ممنعا

قال وترى أن ذلك منهم لاجل أن ادنى اعوان الرجل في ابله وغنمه اثنان وكذلك الرفقة ادنى ما تكون ثلاثة فجرى كلام الواحد على صاحبيه ألا ترى أن الشعراء اكثر شيء قيلا ياصاحبي وياخليلي قال امرؤ القيس

خليلي مرا بي على أم جندب لنقضي حاجات الفؤاد المعذب
فإنكما ان تنظراني ليلة من الدهر تنفعني لدى ام جندب
ثم قال
ألم تر أني كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وإن لم تطيب
فرجع إلى الواحد لأن اول الكلام واحد في لفظ الاثنين وانشد ايضا
خليلي قوما في عطالة فانظرا انارا ترى من نحو ما بين ام برقا
ولم يقل تريا * والثاني * انه إنما ثني ليدل على التكثير كأنه قال الق الق فثني الضمير ليدل على تكرير الفعل وهذا لشدة ارتباط الفاعل بالفعل حتى اذا كرر احدهما فكأن الثاني كرر وهذا قول المازني ومثله عنده قال رب ارجعون إنما جمع ليدل على التكرير كأن قال ارجعني ارجعني ارجعني وحمل عليه قول امرئ القيس «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل» ونحو ذلك أي كأنه قال قف قف * والثالث * أن الامر تناول السائق والشهيد فكأنه قال يا أيها السائق ويا أيها الشهيد القيا * والرابع * انه يريد النون الخفيفة فكان القين فأجرى الوصل مجرى الوقف فأبدل من النون الفا كما قال الاعشى
وذا النسك المنصوب لاتنسكنه ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا
ويؤيد هذا القول ما روي عن الحسن انه قرأ القيا بالتنوين. الذي جعل مع الله إلها آخر إن كان مبتدأ فخبره قوله فالقياه ويجوز أن يكون نصبا بمضمر تفسيره فالقياه ويجوز أن يكون نصبا بدلا من قوله كل كفار ولا يجوز أن يكون جرا صفة لكفار لأن النكرة لا توصف بالموصول إنما الموصول وصلة إلى وصف المعارف بالجمل

* المعنى *

ثم اخبر سبحانه عن حال الناس بعد البعث فقال (وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد) اي وتجيء كل نفس من المكلفين في يوم الوعيد ومعها سائق من الملائكة يسوقها اي يحثها على السير إلى الحساب وشهيد من الملائكة يشهد عليها بما يعلم من حالها وشاهده منها وكتبه عليها فلا يجد إلى الهرب ولا إلى الجحود سبيلا وقيل السائق من الملائكة والشهيد الجوارح تشهد عليها عن الضحاك (لقد كنت في غفلة) اي يقال له لقد كنت في سهو ونسيان (من هذا) اليوم في الدنيا والغفلة ذهاب المعنى عن النفس (فكشفنا عنك غطاءك) الذي كان في الدنيا يغشى قلبك وسمعك وبصرك حتى ظهر لك الامر وانما تظهر الامور في الآخرة بما يخلق الله تعالى من العلوم الضرورية فيهم فيصير بمنزلة كشف الغطاء لما يرى وانما يراد به جميع المكلفين برهم وفاجرهم لأن معارف الجميع ضرورية (فبصرك اليوم حديد) اي فعينك اليوم حادة النظر لا يدخل عليها شك ولا شبهة وقيل معناه فعلمك بما كنت فيه من احوال الدنيا نافذ ولا يراد به بصر العين كما يقال فلان بصير بالنحو والفقه وقيل هو خاص في الكافر اي فأنت اليوم عالم بما كنت تنكره في الدنيا عن ابن عباس (وقال قرينه) يعني الملك الشهيد عليه عن الحسن وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله «ع» وقيل قرينه الذي قيض له من الشياطين عن مجاهد وقيل قرينه من الانس (هذا ما لدي عتيد) إن كان المراد به الملك الشهيد فمعناه هذا حسابه حاضر لدي في هذا الكتاب اي يقول لربه كنت

وكاتبني به فما كتبت من عمله حاضر عندي وان كان المراد به الشيطان أو القرين من الانس فالمعنى هذا العذاب حاضر عندي معد لي بسبب سيئاتي (القيا في جهنم كل كفار عنيد) هذا خطاب لخازن النار وقيل خطاب للملكين الموكلين به وهما السائق والشهيد عن الزجاج وقد ذكرنا ما قيل فيه وروى ابوالقاسم الحسكاني بالاسناد عن الأعمش انه قال حدثنا ابو المتوكل الناجي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى لي ولعلي القيا في النار من ابغضكما وادخلا الجنة من احبكما وذلك قوله القيا في جهنم كل كفار عنيد والعنيد الذاهب عن الحق وسبيل الرشد (مناع للخير) الذي امر الله به من بذل المال في وجوهه (معتد) ظالم متجاوز يتعدى حدود الله (مريب) اي شاك في الله وفيما جاء من عند الله وقيل متهم يفعل ما يرتاب بفعله ويظن به غير الجميل مثل المليم الذي يفعل ما يلام عليه وقيل انها نزلت في الوليد بن المغيرة حين استشاره بنو اخيه في الإسلام فمنعهم فيكون المراد بالخير الإسلام (الذي جعل مع الله إلها آخر) من الاصنام والأوثان (فالقياه في العذاب الشديد) هذا تأكيد الأول فكأنه قال افعلا ما امرتكما به فإنه مستحق لذلك (وقال قرينه) اي شيطانه الذي اغواه عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وانما سمي قرينه لأنه يقرن به في العذاب وقيل قرينه من الإنس وهم علماء السوء والمتبوعون (ربنا ما اطغيته) اي ما اضللته وما أوقعته في الطغيان باستكراه أي لم اجعله طاغيا (ولكن كان في ضلال) من الإيمان (بعيد) اي ولكنه طغى باختياره السوء ومثل هذا قوله وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي (قال) الله تعالى لهم (لا تختصموا لدي) أي لا يخاصم بعضكم بعضا عندي (وقد قدمت اليكم بالوعيد) في دار التكليف ولم تنزجروا وخالفتم امري (ما يبدل القول لدي) المعنى ان الذي قدمته لكم في دار الدنيا من اني اعاقب من جحدني وكذب رسلي وخالفني في امري لا يبدل بغيره ولا يكون خلافه (وما انا بظلام للعبيد) اي لست بظالم احدا في عقابي لمن استحقه بل هو الظالم لنفسه بارتكابه المعاصي التي استحق بها ذلك وإنما قال بظلام على وجه المبالغة ردا على من اضاف الظلم اليه تعالى وتقدس عن ذلك (يوم نقول لجهنم هل امتلأت) يتعلق يوم بقوله ما يبدل القول لدي الآية وقيل يتعلق بتقدير اذكر يا محمد ذلك اليوم الذي يقول الله فيه لجهنم هل امتلأت من كثرة ما القي فيك من العصاة (وتقول) جهنم (هل من مزيد) قال انس طلبت الزيادة وقال مجاهد المعنى معنى الكفاية اي لم يبق مزيد لامتلائها ويدل على هذا القول قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وقيل في الوجه الاول إن هذا القول كان منها قبل دخول جميع اهل النار فيها ويجوز ان تكون تطلب الزيادة على ان يزاد في سعتها كما جاء عن النبي ﷺ أنه قيل له يوم فتح مكة الا تنزل دارك فقال وهل ترك لنا عقيل من دار لانه كان قد باع دور بني هاشم لما خرجوا إلى المدينة فعلى هذا يكون المعنى وهل بقي زيادة فأما الوجه في كلام جهنم فقيل فيه وجوه * احدها * انه خرج مخرج المثل اي ان جهنم من سعتها وعظمتها بمنزلة الناطقة التي اذا قيل لها هل امتلأت تقول لم امتلئ وبقي في سعة كثيرة ومثله قول عنترة

فازور من وقع القنا بلبانه وشكا الي بعبرة وتحمحم

وقال آخر

امتلأ الحوض وقال قطني مهلا رويدا قد ملأت بطني

﴿ وثانيها ﴾ انه سبحانه يخلق لجهنم آلة الكلام فتتكلم وهذا غير منكر لأن من انطق الايدي والجوارح والجلود قادر على ان ينطق جهنم ﴿ وثالثها ﴾ انه خطاب لخزنة جهنم على وجه التقرير لهم هل امتلأت جهنم فيقولون بلى لم يبق موضع لمزيد ليعلم الخلق صدق وعده عن الحسن قال ومعناه ما من مزيد اي لا مزيد كقوله هل من خالق غير الله وهو قول واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد

قوله تعالى (٣١) وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣٢) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٣) مَنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٤) ٱدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ (٣٥) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٦) وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي ٱلْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ (٣٧) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٨) وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ (٣٩) فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ (٤٠) وَمِنَ ٱللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ ٱلسُّجُودِ عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الحجاز وحمزة وخلف وادبار بكسر الهمزة والباقون وادبار السجود بالفتح وفي الشواذ قراءة ابن عباس وابي العالية ويحيى بن يعمر فنقبوا في البلاد بكسر القاف وقراءة السدي والقي السمع وقراءة ابي عبد الرحمن السلمي وطلحة وما مسنا من لغوب بفتح اللام

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي إدبار مصدر والمصادر تجعل ظروفا على ارادة اضافة اسماء الزمان اليها وحذفها كقولك جئتك مقدم الحاج وخفوق النجم وخلافة فلان تريد في ذلك كله وقت كذا فكذلك يقدر هنا وقت ادبار السجود الا ان المضاف المحذوف في هذا الباب لا يكاد يظهر ولا يستعمل فهذا ادخل في باب الظروف من قول من فتح فكأنه أمر بالتسبيح بعد الفراغ من الصلاة ومن فتح جعله جمع دبر أو دبر مثل قفل واقفال وطنب واطناب وقد استعمل ذلك ظرفا نحو جئتك في دبر الصلاة وفي ادبار الصلاة قال أوس بن حجر

على دبر الشهر الحرام بأرضنا وما حولها جدب سنون تلمع

وأما من قرأ فنقبوا فقد قال ابن جني انه فعلوا من النقب أي ادخلوا وغوزوا في الأرض فإنكم لا تجدون لكم محيصا وقوله او القي السمع معناه أو القي السمع منه وقوله وما مسنا من لغوب فيمكن ان يكون من المصادر التي جاءت على فعول بفتح الفاء كالوضوء والولوغ والوزوع والقبول وهي صفات مصادر محذوفة وأي توضأت وضوءاً أي وضوءاً حسنا و كذلك هذا أي وما مسنا من لغوب لغوب أي تعب متعب

﴿ اللغة ﴾

الإزلاف التقريب إلى الخير ومنه الزلفة والزلفى وازدلف اليه أي اقترب والمزدلفة منزلة قريبة من الموقف وهو المشعر وجمع ومنه قول الراجز

ناج طواه الأين مما أوجفا طي الليالي زلفا فزلفا
سماوة الهلال حتى احقوقفا

والتنقيب التفتيح بما يصلح للسلوك وهو من النقب الذي هو الفتح قال امرؤ القيس

لقد نقبت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

أي طوفت في طرقها وسرت في نقوبها واللغوب الإعياء

﴿ الاعراب ﴾

غير بعيد صفة مصدر محذوف تقديره ازلافا غير بعيد ويجوز ان يكون منصوبا على الحال من الجنة ولم يقل غير بعيدة لأنه في تقدير النسب أي غير ذات بعد وقوله لكل اواب يجوز أن يكون في موضع رفع بأنه خبر مبتدأ محذوف أي هو لكل أواب ولا يجوز ان يكون خبرا بعد خبر تقديره هذا الموعود هذا لكل أواب حفيظ ولا يجوز أن تتعلق اللام بتوعدون لأن الأوابين هم الموعودون لا الموعود لهم . من خشي الرحمن يجوز ان يكون في محل جر على البدل من أواب فيتم الكلام عند قوله وجاء بقلب منيب ويجوزأن يكون مبتدأ وخبره محذوف على تقدير يقال لهم ادخلوها فعلى هذا يكون تمام الكلام عند قوله لكل أواب حفيظ ويقتضي ان يكون ادخلوها خطابا للمتقين وتقديره وتزلف الجنة للمتقين ويقال لهم ادخلوها بسلام

﴿ المعنى ﴾

لما اخبر سبحانه عما اعده للكافرين والعصاة عقبه بذكر ما اعده للمتقين فقال (وأزلفت الجنة للمتقين) أي قربت الجنة وأدنيت للذين اتقوا الشرك والمعاصي حتى يروا ما فيها من النعيم والجنة هي البستان التي تجمع كل لذة من الأنهار والاشجار وطيب الثمار ومن الأزواج الكرام والحور الحسان والخدم من الولدان ومن الأبنية الفاخرة المزينة بالياقوت والزمرد والعقيان نسأل الله التوفيق لما يقرب من رضاه (غير بعيد) أي هي قريبة منهم لا يلحقهم ضرر ولا مشقة في الوصول اليها وقيل معناه ليس ببعيد مجيء ذلك لأن كل آت قريب ومثله قول الحسن كأنك بالدنيا كأن لم تكن وبالآخرة كأن لم تزل (هذا ما توعدون) أي هذا الذي ذكرناه هو ما وعدتم به من الثواب على السنة الرسل (لكل أواب) اي تواب رجاع إلى الطاعة عن الضحاك وابن زيد وقيل لكل مسبح عن ابن عباس وعطاء (حفيظ) لما امر الله به متحفظ من الخروج إلى ما لا يجوز من سيئة تدنسه وخطيئة تحط منه وتشينه (من خشي الرحمن بالغيب) اي هو من خاف الله واطاعه وآمن بثوابه وعقابه ولم يره وقيل بالغيب اي في الخلوة بحيث لا يراه احد عن الضحاك والسدي (وجاء بقلب منيب) اي ودام على ذلك حتى وافى في الآخرة بقلب مقبل على طاعة الله راجع الى الله بضمائره (ادخلوها بسلام) اي يقال لهم ادخلوا الجنة بأمان من كل مكروه وسلامة من كل آفة وقيل بسلام من الله وملائكته عليهم (ذلك يوم الخلود) الوقت الذي يبقون فيه في النعيم مؤبدين لا إلى غاية (لهم ما يشاؤون فيها) اي لهم في الجنة ما تشتهيه انفسهم ويريدونه من انواع النعم (ولدينا مزيد) اي وعندنا زيادة على ما يشاؤونه مما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه أمانيهم وقيل هو الزيادة على مقدار استحقاقهم من الثواب بأعمالهم ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال (وكم اهلكنا قبلهم من قرن) اي كثيرا اهلكنا قبل هؤلاء من القرون الذين كذبوا رسلهم (هم اشد منهم بطشا) اي الذين اهلكناهم كانوا اشد قوة من هؤلاء وا كثر

عدة وعدة ولم يتعذر علينا ذلك فما الذي يؤمن هؤلاء من مثله (فنقبوا في البلاد) اي فتحوا المسالك في البلاد بشدة بطشهم اصله من النقب وهو الطريق وقيل معناه ساروا في البلاد وطوفوا فيها بقوتهم وسلكوا كل طريق وسافروا في اعمار طويلة (هل من محيص) اي هل من محيد عن الموت ومنجىً من الهلاك يعني لم يجدوا في جميع ذلك من الموت والهلاك منجىً ومهربا (ان في ذلك) اي فيما اخبرته وقصصته (لذكرى) اي ما يعتبر به ويتفكر فيه (لمن كان له قلب) معنى القلب هنا العقل عن ابن عباس من قولهم اين ذهب قلبك وفلان قلبه معه وانما قال ذلك لأن من لا يعي الذكر لا يعتد بماله من القلب وقيل لمن كان له قلب حي عن قتادة (او القى السمع وهو شهيد) اي استمع ولم يشغل قلبه بغير ما يستمع وهو شهيد لما يسمع فيفقهه غير غافل عنه ولا ساه عن ابن عباس ومجاهد والضحاك يقال الق إلي سمعك اي اسمع قال ابن عباس كان المنافقون يجلسون عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يخرجون فيقولون ماذا قال آنفا ليس قلوبهم معهم وقيل هو شهيد على صفة النبي في الكتب السالفة يريد اهل الكتاب عن قتادة (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب) اي نصب وتعب أكذب الله تعالى بهذا اليهود فإنهم قالوا استراح الله يوم السبت فلذلك لا تعمل فيه شيئا (فاصبر على ما يقولون) يا محمد من بهتهم و كذبهم وقولهم انك ساحر او مجنون واحتمل ذلك حتى يأتي الله بالفرج وهذا قبل ان امر الله بالقتال (وسبح بحمد ربك) أي وصل واحمد الله تعالى سمى الصلاة تسبيحا لأن الصلاة تشتمل على التسبيح والتحميد عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وقيل أراد به التسبيح بالقول تنزيها لله تعالى عما لايليق به (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) يعني صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر عن قتادة وابن زيد (ومن الليل فسبحه) يعني المغرب والعشاء الآخرة وقيل ومن الليل يعني صلاة الليل ويدخل فيه صلاة المغرب والعشاء عن مجاهد وروي عن ابي عبد الله (ع) انه سئل عن قوله وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فقال تقول حين تصبح وحين تمسي عشر مرات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير (وأدبار السجود) فيه أقوال ﴿ احدها ﴾ ان المراد به الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل الفجر عن علي بن ابي طالب (ع) والحسن بن علي (ع) والحسن والشعبي وعن ابن عباس مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ وثانيها ﴾ انه التسبيح بعد كل صلاة عن ابن عباس ومجاهد ﴿ وثالثها ﴾ انه النوافل بعد المفروضات عن ابن زيد والجبائي ﴿ ورابعها ﴾ انه الوتر من آخر الليل روي ذلك عن ابي عبد الله (ع)

قوله تعالى (٤١) وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ (٤٢) يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ (٤٣) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ (٤٤) يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (٤٥) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ خمس آيات

﴿ الاعراب ﴾

واستمع يوم ينادي المنادي تقديره واستمع حديث يوم ينادي المنادي فحذف المضاف وهو مفعول به وليس بالظرف ويوم يسمعون بدل من يوم ينادي المنادي وكذلك يوم تشقق الأرض ويجوز أن ينتصب يوم تشقق بقوله والينا المصير أي يصيرون الينا في ذلك اليوم

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به جميع المكلفين (واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب) أي اصغ إلى النداء وتوقعه يعني صيحة القيامة والبعث والنشور ينادي بها المنادي وهي النفخة الثانية ويجوز ان يكون المراد واستمع ذكر حالهم يوم ينادي المنادي وقيل انه ينادي مناد من صخرة بيت المقدس ايتها العظام البالية والأوصال المنقطعة واللحوم المتمزقة قومي لفصل القضاء وما اعد الله لكم من الجزاء عن قتادة وقيل ان المنادي هو اسرافيل يقول يا معشر الخلائق قوموا للحساب عن مقاتل وانما قال من مكان قريب لأنه يسمعه الخلائق كلهم على حد واحد فلا يخفى على احد قريب ولا بعيد فكأنهم نودوا من مكان يقرب منهم (يوم يسمعون الصيحة بالحق) والصيحة المرة الواحدة من الصوت الشديد وهذه الصيحة هي النفخة الثانية وقوله بالحق اي بالبعث عن الكلبي وقيل يعني انها كائنة حقا عن مقاتل (ذلك يوم الخروج) من القبور إلى أرض الموقف وقيل هو اسم من اسماء القيامة عن ابي عبيدة واستشهد بقول الشاعر

أليس يوم سمي الخروجا　　　اعظم يوم رجة رجوجا

(انا نحن نحيي ونميت) أخبر سبحانه عن نفسه انه هو الذي يحيي الخلق بعد ان كانوا جمادا امواتا ثم يميتهم بعد ان كانوا احياء ثم يحييهم يوم القيامة وهو قوله (والينا المصير يوم تشقق) أي تتشقق (الأرض عنهم) تتصدع فيخرجون منها (سراعا) يسرعون إلى الداعي بلا تأخير (ذلك حشر) والحشر الجمع بالسوق من كل جهة (علينا يسير) أي سهل علينا غير شاق هين غير متعذر مع تباعد ديارهم وقبورهم ثم عزى سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (نحن اعلم بما يقولون) أي بما يقوله هؤلاء الكفار في تكذيبك وجحود نبوتك وانكار البعث لا يخفى علينا من امرهم شيء (وما أنت عليهم بجبار) أي بمسلط قادر على قلوبهم فتجبرهم على الايمان وانما بعثت منذرا داعيا مرغبا وهذا معنى قول ابن عباس وقال تغلب جاءت احرف على فعال بمعنى مفعل مثل دراك بمعنى مدرك وسراع بمعنى مسرع وسيف سقاط بمعنى مسقط وبكاء بمعنى مبكي قال علي بن عيسى لم يسمع من ذلك الادراك من ادركت وقيل جبار من جبرته على الامر بمعنى أجبرته وهي لغة كنانة وقيل معناه ما أنت عليهم بفظ غليظ لا تحلم عنهم فاحتمل أذاهم (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) انما خص بالذكر من يخاف وعيد الله لأنه الذي ينتفع به

سورة الذاريات (مكية)

﴿ عدد آيها ﴾

ستون آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الذاريات اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت في الدنيا وروى داود بن فرقد عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الذاريات في يومه أو ليلته أصلح الله له معيشته وأتاه برزق واسع ونور له في قبره بسراج يزهر إلى يوم القيامة

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله تعالى سورة ق بالوعيد افتتح هذه السورة بتحقيق الوعيد فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا (٢) فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا (٣) فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا (٤) فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا (٥) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٦) وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ (٧) وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ (٨) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (٩) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (١٠) قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ (١١) ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١٢) يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ (١٣) يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ (١٤) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ اربع عشرة آية

❊ اللغة ❊

ذرت الريح التراب تذروه ذروا إذا طيرته واذرته تذريه بمعناه والحبك الطرايق التي تجري عـلى الشيء كالطرائق التي ترى في السماء وفي الصافي من الماء إذا مرت عليه الريح وهو تكسر جار فيه ويقال للشعر الجعد حبك والواحد حباك وحبيكة والحبك حسن اثر الصنعة في الشيء واستواؤه يقال حبكه يحبكه ويحبكه قال زهير في الحبك

مكلل بأصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك

والخراص الكذاب والخرص الظن والحدس وسمي الحزر خرصا منه ويقال كم خرص ارضك بكسر الخاء واصل الخرص القطع من قولهم خرص فلان كلاما واخترصه إذا اقتطعه من غير اصل والغمرة من غمره الماء يغمره وغمره الدين إذا غطاه بكثرته والغمر السيد الكثير العطاء لأنه يغمر بعطائه

❊ الاعراب ❊

قال الزجاج يوم نصب على وجهين ❊ احدهما ❊ ان يكون على معنى يقع الجزاء يومهم على النار يفتنون ❊ والآخر ❊ ان يكون لفظه لفظ نصب ومعناه معنى رفع لأنه مضاف الى جملة كلام تقول يعجبني يوم أنت قائم ويوم أنت تقوم ان شئت فتحته وان شئت رفعته كما قال الشاعر

لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت حمامة في غصون ذات اوقال

وروي غير ان نطقت بالرفع لما اضاف غير الى ان وليست بمتمكنة فتح وكذلك لما اضاف يوم الى الجملة فتح وكما قرئ من خزي يومئذ فتفتح يوم وهو في موضع خفض لأنك اضفته الى غير متمكن وقيل انه لما جرى في كلامهم ظرفا بقي في موضع الرفع عـلى ذلك الاستعمال وجاء مفتوحا كما جاء في قوله ومنا دون ذلك وقوله لقد تقطع بينكم

❊ المعنى ❊

(والذاريات ذروا)روي ان ابن الكوا سأل أمير المؤمنين عليا(ع) وهو يخطب على المنبر فقال ما الذاريات ذروا قال الرياح قال (فالحاملات وقرا) قال السحاب قال (فالجاريات يسرا) قال السفن قال (فالمقسمات امرا قال الملائكة وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد فالذاريات الرياح تذروا التراب وهشيم النبت أي تفرقه فالحاملات وقرا السحاب تحمل ثقلا من الماء من بلد الى بلد فتصير موقرة به او الوقر بالكسر ثقل الحمل على ظهر أو في بطن والوقر ثقل الأذن فالجاريات يسرا السفن تجري ميسرة على الماء جريا سهلا الى حيث سيرت وقيل هي السحاب تجري يسرا الى حيث سيرها الله من البقاع وقيل هي النجوم السبعة السيارة الشمس والقمر وزحـل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد (فالمقسمات أمرا) الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما امروا به أقسم الله تعالى بهذه الأشياء الكثيرة ما فيها من المنافع للعباد ولما تضمنه من الدلالة على وحدانية الله تعالى وبدائع صنعه وقيـل ان

التقدير فيها القسم برب هذه الأشياء لأنه لا يجوز القسم الا بالله عز اسمه وقال ابو جعفر وابو عبد الله (ع) انه لا يجوز لأحد أن يقسم الا بالله تعالى والله سبحانه يقسم بما يشاء من خلقه ثم ذكر المقسم عليه فقال (انما توعدون) أي من الثواب والعقاب والجنة والنار (لصادق) اي صدق لا بد من كونه فهو اسم وضع موضع المصدر وقيل معناه ذو صدق كقوله عيشة راضية (وان الدين لواقع) اي ان الجزاء وقيل ان الحساب لكائن يوم القيامة ثم انشأ قسماً آخر فقال (والسماء ذات الحبك) أي ذات الطرائق الحسنة لكنا لا نرى تلك الحبك لبعدها عنا عن الحسن والضحاك وقيل ذات الخلق الحسن المستوي عن ابن عباس وقتادة وعكرمة والربيع وقيل ذات الحسن والزينة عن علي (ع) وروى علي بن ابراهيم بن هاشم عن ابيه عن الحسين بن خالد عن ابي الحسن الرضا (ع) قال قلت له اخبرني عن قول الله تعالى والسماء ذات الحبك فقال محبوكة الى الارض وشبك بين اصابعه فقلت كيف تكون محبوكة الى الارض والله تعالى يقول رفع السماء بغير عمد فقال سبحان الله اليس يقول بغير عمد ترونها قلت بلى قال فثم عمد ولكن لا ترى فقلت فكيف ذلك جعلني الله فداك قال فبسط كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال هذه ارض الدنيا والسماء الدنيا فوقها قبة والارض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة والأرض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة ثم هكذا الى الأرض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبة وعرش الرحمن فوق السماء السابعة وهو قوله خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن وصاحب الأمر وهو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والوصي علي بعده وهو على وجه الارض وانما يتنزل الامر اليه من فوق من بين السموات والارضين قلت فما تحتنا الا ارض واحدة قال وما تحتنا الا أرض واحدة وان الست لفوقنا (انكم لفي قول مختلف) هذا جواب القسم أي انكم يا أهل مكة في قول مختلف في قول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فبعضكم يقول شاعر وبعضكم يقول مجنون وفي القرآن يقولون انه سحر وكهانة ورجز وما سطره الأولون وقيل معناه منكم مكذب بمحمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ومنكم مصدق به ومنكم شاك فيه وفائدته ان دليل الحق ظاهر فاطلبوا الحق بدليله والا هلكتم (يؤفك عنه من افك) أي يصرف عن الإيمان به من صرف عن الخير اي المصروف عن الخيرات كلها من صرف عن هذا الدين وقيل معناه يؤفك عن الحق والصواب من افك فدل ذكر القول المختلف على ذكر الحق فجازت الكناية عنه وقيل معناه يصرف عن هذا القول أي بسببه ومن اجله عن الايمان من صرف فالهاء في عنه تعود الى القول المختلف عن مجاهد فيكون الصارف لهم أنفسهم كما يقال فلان معجب بنفسه واعجب بنفسه وكما يقال اين يذهب بك لمن يذهب في شغله وقيل ان الصارف لهم رؤساء البدع وائمة الضلال لأن العامة تبع لهم (قتل الخراصون) اي لعن الكذابون يعني الذين يكذبون على الله وعلى رسوله وقيل معناه لعن المرتابون عن ابن عباس قال ابن الانباري وانما كان القتل بمعنى اللعنة هنا لأن من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك ثم وصف سبحانه هؤلاء الكفار فقال (الذين هم في غمرة) اي في شبهة وغفلة غمرهم الجهل (ساهون) اي لاهون عما يجب عليهم وقيل هم في ضلالتهم متمادون عن ابن عباس وقيل في عمى مترددون عن قتادة وقيل ان اول مراتب الجهل السهو عن الغفلة ثم الغمرة فتكون الغمرة عبارة عن المبالغة في الجهل اي هم في غاية الجهل ساهون عن الحق وعما يراد بهم (يسئلون ايان يوم الدين) اي متى وقت الجزاء انكارا واستهزاءاً لا على وجه الاستفادة لمعرفته فأجيبوا بما يسوؤهم من الحق الذي لا محالة انه نازل بهم فقيل (يوم هم على النار يفتنون) أي يكون هذا الجزاء في يوم يعذبون فيها ويحرقون بالنار وقال عكرمة ألم تر أن الذهب اذا أدخل النار قيل فتن اي فهؤلاء يفتنون بالاحراق كما يفتن الذهب باحراق الغش الذي فيه ويقول لهم خزنة النار (ذوقوا فتنتكم) اي عذابكم وحريقكم (هذا الذي كنتم به تستعجلون) في الدنيا تكذيبا به واستبعادا له فقد حصلتم الآن فيه وعرفتم صحته

قوله تعالى (١٥) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٦) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٧) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ ٱللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٨) وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٩) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَٱلْمَحْرُومِ (٢٠) وَفِي ٱلْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢١) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢٢) وَفِي ٱلسَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٣) فَوَرَبِّ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ تسع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير حفص مثل ما بالرفع والباقون بالنصب

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من رفع مثلا جعله وصفا لحق وجاز أن يكون مثل وان كان مضافا إلى معرفة صفة للنكرة لأن مثلا لا يختص بالاضافة لكثرة الاشياء التي يقع التماثل بها بين المتماثلين فلما لم تخصه الاضافة ولم يزل عنه الابهام والشياع الذي كان فيه قبل الاضافة بقي على تنكره فقالوا مررت برجل مثلك فلذلك في الآية لم يتعرف بالاضافة إلى انكم تنطقون وان كان قوله انكم تنطقون بمنزلة نطقكم وما في قوله مثل ما انكم تنطقون زائدة واما من نصب فقال مثل ما انكم فيحتمل ثلاثة اضرب ﴿ احدها ﴾ أنه لما اضاف مثل إلى مبني وهو قوله انكم بناه كما بنى يومئذ في نحو قوله من عذاب يومئذ و «على حين عاتبت المشيب على الصبى» وقوله

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات اوقال

فغير في موضع رفع بأنه فاعل يمنع وانما بنيت هذه الاسماء المبهمة نحو مثل ويوم وحين وغير إذا اضيفت إلى المبني لانها تكتسي منه البناء لأن المضاف يكتسي من المضاف اليه ما فيه من التعريف والتنكير والجزاء والاستفهام تقول هذا غلام زيد وصاحب القاضي فيتعرف الاسم بالاضافة إلى المعرفة وتقول غلام من يضرب فيكون استفهاما وتقول صاحب من يضرب اضرب فيكون جزاء فمن بنى هذه المبهمة إذا اضافها إلى مبني جعل البناء احد ما يكتسيه من المضاف اليه ولا يجوز على هذا جاءني صاحب الخمسة عشر ولا غلام هذا لأن هذين من الاسماء غير المبهمة والمبهمة في ابهامها وبعدها من الاختصاص كالحروف التي تدل على امور مبهمة فلما اضيفت إلى المبنية جاز ذلك فيها والبناء على الفتح في مثل قول سيبويه ﴿ والقول الثاني ﴾ ان تجعل ما مع مثل بمنزلة شيء واحد وبنيته على الفتح و إن كانت ما زائدة وهذا قول ابي عثمان وانشد في ذلك قول الشاعر

وتداعى منخراه بدم مثل ما اثمر حماض الجبل

فذهب إلى ان مثل مع ما بمنزلة شيء واحد وينبغي أن يكون اثمر صفة لمثل ما لأنه لا يخلو من أن يكون صفة له او يكون مثلا مضافا إلى الفعل فلا تجوز الاضافة لانا لم نعلم مثلا اضيف إلى الفعل في موضع فكذلك لا نضيفه في هذا الموضع إلى الفعل فإذا لم تجز الاضافة كان وصفا و إذا كان وصفا وجب أن يعود منه إلى الموصوف ذكر فيحذف كما يحذف الذكر العائد من الصفة إلى الموصوف وقد يجوز أن لا تقدر مثل مع ما كشيء واحد ولكن تجعله مضافا إلى ما فيكون التقدير مثل شيء اثمره حماض الجبل فبني مثل على الفتح لاضافتها إلى ما وهو غير متمكن ولا يكون لابي عثمان حينئذ في البيت حجة على كون مثل مع ما بمنزلة شيء واحد ويجوز أن يكون ما والفعل بمنزلة المصدر فيكون مثل اثمار الحمض فيكون كقوله وما كانوا بآياتنا يجحدون وفي قوله بما كانوا يكذبون ﴿ والقول الثالث ﴾ هو أن ينصب على الحال من النكرة في النطق وهو قول ابي عمرو الجرمي وذو الحال

الذكر المرفوع في قوله لحق والعامل في الحال هو الحق لأنه من المصادر التي وصف بها ويجوز أن يكون الحال عن النكرة الذي هو حق في قوله انه لحق و إلى هذا ذهب ابو عمرو ولم يعلم انه جعله حالا من الذكر الذي في حق وهذا لا خلاف في جوازه وقد حمل ابو الحسن قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا على الحال وذو الحال كل امر حكيم وهو نكرة فهذه وجوه النصب في مثل ما

❋ الاعراب ❋

كانوا قليلا من الليل ما يهجعون يجوز ان يكون قليلا خبر كان وفاعله ما يهجعون والتقدير كانوا قليلا هجوعهم ويجوز أن يكون قليلا صفة مصدر محذوف على تقديره كانوا يهجعون هجوعا قليلا فتكون ما زائدة ويهجعون خبر كان · ومن في قوله من الليل يجوز أن يكون بمعنى الباء كما يكون الباء بمعنى من في قوله عينا يشرب بها عباد الله اي منها فيكون التقدير كانوا يهجعون بالليل قليلا وقيل ان قوله ما يهجعون بمنزلة هجوعهم وهو بدل من الواو في كانوا وقوله من الليل في موضع الصفة لقليل والتقدير كان هجوعهم قليلا من الليل وقوله وفي الأرض آيات للموقنين وفي انفسكم أن رفعت آيات بالابتداء وجعلت في الارض خبرا كان الضمير في قوله وفي انفسكم كالضمير في خبر المبتدأ وان قدرت آيات مرتفعة بالظرف كان الضمير في قوله وفي انفسكم كالضمير في الفعل كقولهم قام زيد وقعد والتقدير وفي انفسكم آيات وكذا قوله فيما بعد وفي موسى أي وفي موسى آيات وفي هود آيات وفي ثمود آيات وفي قوم نوح آيات وفي عاد آيات

❋ المعنى ❋

ثم ذكر سبحانه ما اعده لأهل الجنة فقال (إن المتقين في جنات وعيون) مر تفسيره (آخذين ما آتيهم ربهم) أي ما اعطاهم من الخير والكرامة (إنهم كانوا قبل ذلك) يعني في دار التكليف (محسنين) يفعلون الطاعات ويحسنون إلى غيرهم بضروب الاحسان ثم ذكر احسانهم في اعمالهم فقال (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) اي كانوا يهجعون قليلا من الليل يصلون اكثر الليل عن الزهري وابراهيم والهجوع النوم بالليل دون النهار وقيل معناه كانوا قل ليلة تمر بهم إلا صلوا فيها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) والمعنى كان الذي ينامون فيه كله قليلا ويكون الليل اسما للجنس وقال مجاهد لا ينامون كل الليل وقيل أن الوقف على قوله قليلا على معنى كانوا من الناس قليلا ثم ابتدأ فقال من الليل ما يهجعون فيكون ما بمعنى النفي عن الضحاك ومقاتل وهذا على نفي النوم عنهم البتة اي كانوا يحيون الليل بالقيام في الصلاة وقراءة القرآن واقول ان ما اذا كان نفيا لا يتقدم عليه ما كان في حيزه إلا أن يتعلق قوله من الليل بفعل محذوف ويدل عليه قوله يهجعون كما تقوله في قوله إني لكما لمن الناصحين وكانوا فيه من الزاهدين (وبالاسحار هم يستغفرون) قال الحسن مدوا الصلاة إلى الاسحار ثم اخذوا بالاسحار في الاستغفار وقال ابو عبد الله (ع) كانوا يستغفرون الله في الوتر سبعين مرة في السحر وقيل ان معناه وبالاسحار هم يصلون وذلك ان صلاتهم بالاسحار طلب منهم للمغفرة عن مجاهد ومقاتل والكلبي ثم ذكر سبحانه صدقاتهم فقال (وفي اموالهم حق للسائل والمحروم) والسائل هو الذي يسأل الناس والمحروم هو المحارف عن ابن عباس ومجاهد وقيل المحروم المتعفف الذي لا يسأل عن قتادة والزهري وقيل هو الذي لا سهم له في الغنيمة عن ابراهيم النخعي والأصل ان المحروم هو الممنوع الرزق بترك السؤال او ذهاب المال أو خراب الضيعة أو سقوط السهم من الغنيمة لأن الانسان يصير فقيرا بهذه الوجوه ويريد سبحانه بقوله حق ما يلزمهم لزوم الديون من الزكوات وغير ذلك او ما الزموه انفسهم من مكارم الاخلاق قال الشعبي اعياني أن اعلم ما المحروم وفرق قوم بين الفقير والمحروم بأنه قد يحرمه الناس بترك الاعطاء وقد يحرم نفسه بترك السؤال فإذا سأل لا يكون ممن حرم نفسه بترك السؤال و إنما حرمه الغير و إذا لم يسأل فقد حرم نفسه ولم يحرمه الناس (وفي

الأرض آيات) أي دلالات بينات وحجج نيرات (للموقنين) الذين يتحققون توحيد الله و إنما خص الموقنين لأنهم ينظرون فيها فيحصل لهم العلم بموجبها وآيات الأرض ما فيها من انواع المخلوقات من الجبال والبحار والنبات والاشجار كل ذلك دال على كمال قدرته وحكمته

وفي كل شيء له آية　　　تدل على انه واحد

(وفي انفسكم)أي وفي انفسكم ايضا آيات دالات على وحدانيته (أفلا تبصرون) أي افلا ترون انها مصرفة من حال إلى حال ومنتقلة من صفة إلى اخرى إذ كنتم نطفا فصرتم احياء ثم كنتم اطفالا فصرتم شبابا ثم كهولا فهلا دلكم ذلك على ان لها صانعا صنعها ومدبرا دبرها ومصرفا صرفها على مقتضى الحكمة وقيل إن المراد بذلك اختلاف الألسنة والصور والالوان والطبائع عن ابن عباس في رواية عطا وقيل يريد سبيل الخلاء والبول والأكل والشرب من مدخل واحد والمخرج من سبيلين وتم الكلام عند قوله وفي انفسكم ثم عنفهم فقال افلا تبصرون وقيل يعني انه خلقك سميعا بصيرا تغضب وترضى وتجوع وتشبع وذلك كله من آيات الله تعالى عن الصادق (ع) وقيل إن المعنى أفلا تبصرون بقلوبكم نظر من كأنه يرى الحق بعينه (وفي السماء رزقكم) ينزله الله اليكم بأن يرسل الغيث والمطر عليكم فيخرج به من الأرض انواع ما تقتاتونه وتلبسونه وتنتفعون به (وما توعدون) من الثواب والعقاب عن عطاء وقيل من الجنة والنار عن مجاهد والضحاك وقيل معناه وفي السماء تقدير رزقكم أي ما قسمه لكم مكتوب في ام الكتاب وجميع ما توعدون في السماء ايضا لأن الملائكة تنزل من السماء لقبض الأرواح ولاستنساخ الاعمال ولإنزال العذاب ويوم القيامة للجزاء والحساب كما قال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ثم قال سبحانه (فورب السماء والأرض انه لحق) اقسم سبحانه بنفسه ان ما ذكر من امر الرزق والآيات حق لا شك فيه عن الزجاج وقيل يعني أن ما قضى في الكتاب كائن عن الكلبي (مثل ما انكم تنطقون) أي مثل نطقكم الذي تنطقون به فكما لا تشكون فيما تنطقون فكذلك لا تشكوا في حصول ما وعدتم به شبه الله تعالى تحقق ما اخبر عنه بتحقيق نطق الآدمي ووجوده فأراد انه لحق كما ان الآدمي ناطق وهذا كما تقول انه لحق كما انك هاهنا وانه لحق كما انك تتكلم والمعنى انه في صدقه وتحقق وجوده كالذي تعرفه ضرورة

قوله تعالى (٢٤) هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ (٢٥) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ (٢٦) فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (٢٧) فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (٢٨) فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ (٢٩) فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٣٠) قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ (٣١) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ (٣٢) قَالُوٓا إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٣) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٤) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٥) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٣٦) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (٣٧) وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ　　اربع عشرة آية

❋ اللغة ❋

الروغ الذهاب إلى الشيء في خفية يقال راغ يروغ روغا وروغانا وهو اروغ من ثعلب والصرة شدة الصياح وهو من صرير الباب ويقال للجماعة صرة ايضا قال امرؤ القيس

فالحقنا بالهاديات ودونه جواحرها في صرة لم تزيل

والصك الضرب باعتماد شديد وهو ان تصتك ركبتا الرجل والعقيم العاقر واصل العقم الشد وجاء في الحديث تعقم اصلاب المشركين فلا يستطيعون السجود اي تشد وداء عقام إذا اشتد حتى إذا يأس منه ان يبرء ومعاقم الفرس مفاصله يشد بعضها ببعض والعقيم والعقمة ثياب معلمة أي شدت بها الأعلام وعقمت المرأة فهي معقومة وعقيم من نساء عقم وعقمت ايضا ورجل عقيم من قوم عقمى قال الشاعر

عقم النساء فما يلدن شبيهه إن النساء بمثله عقم

والريح العقيم التي لا تنشئ السحاب للمطر والملك عقيم يقطع الولادة لأن الاب يقتل الابن على الملك والخطب الأمر الجليل ومنه الخطبة لأنها كلام بليغ لعقد امر جليل يستفتح بالتحميد والتمجيد والخطاب اجل من الابلاغ

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه الوعد والوعيد عقب ذلك بذكر بشارة ابراهيم ومهلك قوم لوط تخويفا للكفار أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك فقال (هل اتيك) يا محمد وهذا اللفظ يستعمل إذا اخبر الانسان بخبر ماض فيقال هل اتاك خبر كذا و إن علم انه لم يأته (حديث ضيف ابراهيم المكرمين) عند الله وذلك انهم كانوا ملائكة كراما ونظيره قوله بل عباد مكرمون وقيل اكرمهم ابراهيم فرفع مجالسهم وخدمهم بنفسه عن مجاهد لأن اضياف الكرام مكرمون وكان ابراهيم اكرم الناس واظهرهم فتوة وسماهم ضيفا من غير أن اكلوا من طعامه لأنهم دخلوا مدخل الاضياف واختلف في عددهم فقيل كانوا اثني عشر ملكا عن ابن عباس ومقاتل وقيل كان جبرائيل ومعه سبعة املاك عن محمد بن كعب وقيل كانوا ثلاثة جبرائيل وميكائيل وملك آخر (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أي حين دخلوا على ابراهيم فقالوا له على وجه التحية سلاما اي اسلم سلاما فقال لهم جوابا عن ذلك سلام وقرئ سلم وهذا مفسر في سورة هود (قوم منكرون) أي قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وذلك انه ظنهم من الانس ولم يعرفهم عن ابن عباس والانكار نفي صحة الأمر ونقيضه الاقرار والاعتراف (فراغ إلى أهله) اي ذهب اليهم خفيا و إنما راغ مخافة ان يمنعوه من تكلف مأكول كعادة الظرفاء (فجاء بعجل سمين) وكان مشويا لقوله في آية اخرى حنيذ قال قتادة وكان عامة مال ابراهيم (ع) البقر (فقربه اليهم) ليأكلوا فلم يأكلوا فلما رآهم لا يأكلون عرض عليهم (فقال ألا تأكلون) وفي الكلام حذف كما ترى (فأوجس منهم خيفة) اي فلما امتنعوا من الاكل اوجس منهم خيفة والمعنى خاف منهم وظن انهم يريدون به سوءا (قالوا) اي قالت الملائكة (لا تخف) ياابراهيم (وبشروه بغلام عليم) ان يكون عالما إذا كبر وبلغ والغلام المبشر به هو اسماعيل عن مجاهد وقيل هو اسحاق لأنه من سارة وهذه القصة لها عن اكثر المفسرين وهذا كله مفسر فيما مضى (فأقبلت امرأته في صرة) اي فلما سمعت البشارة امرأته سارة اقبلت في ضجة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل في جماعة عن الصادق «ع» وقيل في رفقة عن سفيان والمعنى اخذت تصيح وتولول كما قال قالت ياويلتى (فصكت وجهها) اي جمعت اصابعها فضربت جبينها تعجبا عن مقاتل والكلبي وقيل لطمت وجهها عن ابن عباس والصك ضرب الشيء بالشيء العريض (وقالت عجوز عقيم) اي اناعجوز عاقر فكيف ألد (قالوا كذلك قال ربك) اي كما قلنا لك قال ربك انك ستلدين غلاما فلا تشكي فيه (إنه هو الحكيم العليم) بخفايا الامور (قال) ابراهيم «ع» لهم (فما خطبكم) اي فما شأنكم ولأي امر جئتم (ايها المرسلون) وكأنه قال قد جئتم لأمر عظيم فما هو (قالوا انا ارسلنا إلى قوم مجرمين) اي عاصين لله كافرين لنعمه استحقوا العذاب والهلاك واصل الجرم القطع فالمجرم القاطع للواجب بالباطل فهؤلاء اجرموا بأن قطعوا الايمان بالكفر (لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك) هذا مفسر في سورة هود (للمسرفين) اي للمكثرين من المعاصي المتجاوزين الحد فيها وقيل ارسلت الحجارة

على الغائبين وقلبت القرية بالحاضرين (فأخرجنا من كان فيها) اي في قرى قوم لوط (من المؤمنين) وذلك قوله فاسر باهلك الآية وذلك أن الله تعالى أمر لوطا بأن يخرج هو ومن معه من المؤمنين لئلا يصيبهم العذاب (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين) أي غير اهل بيت من المسلمين يعني لوطا وبنتيه وصفهم الله بالإيمان والاسلام جميعا لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم والإيمان هو التصديق بجميع ما أوجب الله التصديق به والإسلام هو الاستسلام لوجوب عمل الفرض الذي أوجبه الله والزمه ووجدان الضالة هو ادراكها بعد طلبها (وتركنا فيها) أي وأبقينا في مدينة قوم لوط (آية) أي علامة (للذين يخافون العذاب الأليم) أي تدلهم على أن الله اهلكهم فيخافون مثل عذابهم والترك في الأصل ضد الفعل ينافي الاخذ في محل القدرة عليه والقدرة عليه قدرة على الأخذ وعلى هذا فالترك غير داخل في افعال الله تعالى فالمعنى هنا أنا ابقينا فيها عبرة ومثله قوله وتركهم في ظلمات وقيل انه الانقلاب لان اقتلاع البلدان لا يقدر عليه إلا الله تعالى

قوله تعالى (٣٨) وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٩) فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٤٠) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ (٤١) وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ (٤٢) مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ (٤٣) وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ (٤٤) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٤٥) فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ (٤٦) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ تسع آيات

القراءة

قرأ الكسائي الصعقة والباقون الصاعقة بالالف وقرأ ابو عمرو وأهل الكوفة غير عاصم وقوم نوح بالجر والباقون قوم نوح بالنصب

الحجة

قال ابو علي قال ابو زيد الصاعقة التي تقع من السماء والصاقعة التي تصقع الرؤوس وقال الاصمعي الصاعقة والصاقعة سواء وانشد الاصمعي

يحكون بالمصقولة القواطع تشقق البرق من الصواقع

وأما الصعقة فقيل انها مثل الزجرة وهو الصوت الذي يكون عن الصاعقة قال بعض الرجاز

لاح سحاب فرأينا برقه ثم تدانى فسمعنا صعقه

ومن جر قوم نوح حمله على قوله وفي موسى اي أي وفي قوم نوح وقوله وفي موسى إذ أرسلناه عطف على احد شيئين اما ان يكون على وتركنا فيها آية وفي موسى أو على قوله وفي الأرض آيات للموقنين وفي موسى اي وفي ارسال موسى آيات واضحة وفي قوم نوح آية ومن نصب فقال وقوم نوح جاز في نصبه أيضا امران كلاهما حمل على المعنى * احدهما * ان قوله اخذتهم الصاعقة يدل على اهلكناهم فكأنه قال واهلكنا قوم نوح * والآخر * ان قوله فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم يدل على اغرقناهم فكأنه قال اغرقناهم وأغرقنا قوم نوح

اللغة

الركن الجانب الذي يعتمد عليه يقال ركن يركن وركن يركن ايضا مثل نصر ينصر . والمليم الذي

اتى بما يلام عليه والملوم الذي وقع به اللوم وفي المثل رب لائم مليم ورب ملوم لا ذنب له والعتو والتجبر والتكبر واحد وجمع الريح ارواح ورياح ومنه راح الرجل إلى منزله أي رجع كالريح والرميم الذي انتفى رمه بانتفاء ملائمة بعضه لبعض وأما رمه يرمه رما والشيء مرموم اي مصلح بملائمة بعضه لبعض واصل الرميم السحيق البالي من العظم

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما نزل بالامم فقال (وفي موسى) أي وفي موسى ايضا آية (إذ ارسلناه إلى فرعون بسلطان مبين) أي بحجة ظاهرة وهي العصا (فتولى بركنه) أي فأعرض فرعون عن قبول الحق بما كان يتقوى به من جنده وقوله كالركن الذي يقوى به البنيان والباء في قوله بركنه للتعدية اي جعلهم يتولون (وقال) لموسى (ساحر أو مجنون) اي هو ساحر أو مجنون وفي ذلك دلالة على جهل فرعون لأن الساحر هو اللطيف الحيلة وذلك ينافي صفة المجنون المختلط العقل فكيف يوصف شخص واحد بهاتين الصفتين (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) أي فطرحناهم في البحر كما يلقي الشيء في البر (وهو مليم) أتى بما يلام عليه من الكفر والجحود والعتو (وفي عاد) عطف على ما تقدم أي وفي عاد ايضا آية اي دلالة فيها عظة وعبرة (إذ أرسلنا عليهم) أي حين اطلقنا عليهم (الريح العقيم) وهي التي عقمت عن أن تأتي بخير من تنشئة سحاب أو تلقيح شجر أو تذرية طعام أو نفع حيوان فهي كالمراة الممنوعة عن الولادة إذ هي ريح الاهلاك ثم وصفها فقال (ما تذر من شيء اتت عليه) اي لم تترك هذه الريح شيئاً تمر عليه (إلا جعلته كالرميم) أي كالشيء الهالك البالي وهو نبات الأرض إذا يبس وديس وقيل الرميم العظم البالي السحيق (وفي ثمود) ايضا آية (إذ قيل لهم تمتعوا) وذلك انهم لما عقروا الناقة قال لهم صالح تمتعوا ثلاثة ايام وهو قوله (تمتعوا حتى حين فعتوا عن امر ربهم) اي فخرجوا عن امر ربهم ترفعا عنه واستكبارا (فأخذتهم الصاعقة) بعد مضي الأيام الثلاثة وهو الموت عن ابن عباس وقيل هو العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك عن مقاتل (وهم ينظرون) اليها جهارا لا يقدرون على دفعها (فما استطاعوا من قيام) أي من نهوض والمعنى انهم لم ينهضوا من تلك الصرعة (وما كانوا منتصرين) أي ممتنعين من العذاب وقيل معناه ما كانوا طالبين ناصرا يمنعهم من عذاب الله (وقوم نوح) أي وأهلكنا قوم نوح من (قبل) اي من قبل عاد وثمود (إنهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن طاعة الله إلى معاصيه وعن الايمان إلى الكفر فاستحقوا لذلك الاهلاك

قوله تعالى (٤٧) وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٨) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ (٤٩) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٠) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥١) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٢) كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٣) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٥٤) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٥) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٦) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٧) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٨) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٩) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ (٦٠) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ

اربع عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة يحيى والاعمش ذو القوة المتين بالخفض

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني هذا يحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون وصفا للقوة وذكره على معنى الحبل يريد قوى الحبل كقوله فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴿ والآخر ﴾ أن يكون المراد الرفع وصفا للرزاق إلا انه جاء على لفظ القوة لجوارها اياه على قولهم هذا حجر ضب خرب فهذا ضعيف

﴿ اللغة ﴾

ألايد القوة يقال أد الرجل يأيد ايدا إذا اشتد وقوي والمؤيد الامر العظيم والايساع الاكثار من اذهاب الشيء في الجهات والماهد هو الموطئ للشيء وهو المهيئ لما يصلح الاستقرار عليه يقال مهد يمهد مهدا ومهد تمهيدا مثل وطئ توطئة والتواصي أن يوصي القوم بعضهم إلى بعض والوصية التقدمة في الامر بالأشياء المهمة مع النهي عن المخالفة واصل الذنوب الدلو الممتلئ ماء يؤنث ويذكر

قال لنا ذنوب ولكم ذنوب   فإن أبيتم فلنا القليب

وقال علقمة

وفي كل حي قد خبطت بنعمة   فحق لشاس من نداك ذنوب

﴿ المعنى ﴾

(والسماء بنيناها بأيد) تقديره وبنينا السماء بنيناها بقوة عن ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقتادة أي خلقناها ورفعناها على حسن نظامها (وانا لموسعون) أي قادرون على خلق ما هو اعظم منها عن ابن عباس وقيل معناه وانا لموسعون الرزق على الخلق بالمطر عن الحسن وقيل معناه وإنا لذو سعة لخلقنا أي قادورن على رزقهم لا نعجز عنه فالموسع ذو الوسع والسعة أي الغنى والجدة (والأرض فرشناها) أي وفرشنا الارض فرشناها اي بسطناها (فنعم الماهدون) نحن إذ فعلنا ذلك للمنافع ومصالح العباد لا لجر نفع ولا لدفع ضرر (ومن كل شيء خلقنا زوجين) أي وخلقنا من كل شيء صنفين مثل الليل والنهار والأرض والسماء والشمس والقمر والجن والانس والبر والبحر والنور والظلمة عن الحسن ومجاهد وقيل الزوجين الذكر والانثى عن ابن زيد (لعلكم تذكرون) أي لكي تعلموا أن خالق الأزواج واحد فرد لا يشبهه شيء (ففروا إلى الله) أي فاهربوا من عقاب الله إلى رحمته وثوابه بإخلاص العبادة له وقيل ففروا إلى الله بترك جميع ما يشغلكم عن طاعته ويقطعكم عما امركم به وقيل معناه حجوا عن الصادق «ع» (اني لكم منه) اي من الله (نذير) مخوف من عقابه (مبين) لكم ما ارسلت به (ولا تجعلوا مع الله إلها آخر) أي لا تعبدوا معه معبودا آخر من الاصنام والأوثان (اني لكم منه نذير مبين) والوجه في تكريره أن الثاني منعقد بغير ما انعقد به الأول اذ تقديره اني لكم منه نذير في الامتناع من جعل إله آخر معه وتقدير الأول إني لكم منه نذير في ترك الفرار اليه بطاعته فهو كقولك انذرك أن تكفر بالله انذرك أن تتعرض لسخط الله والنذير المخبر بما يحذر منه وهو يقتضي المبالغة والمنذر صفة جارية على الفعل والمبين الذي يأتي ببيان الحق من الباطل ثم قال (كذلك) اي الأمر كذلك وهو انه (ما اتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون) أي لم يأت الذين من قبلهم يعني كفار مكة من الامم رسول إلا قالوا ساحر محتال بالحيل اللطيفة أو مجنون به جنون فهو مغطى على عقله بما لا يتوجه للادراك به ثم قال سبحانه (اتواصوا به) اي أوصى أولهم آخرهم بالتكذيب والاستفهام للتوبيخ (بل هم قوم طاغون) معناه لم يتواصوا بذلك لكنهم طاغون

طغوا في معصية الله وحملهم الطغيان فيما اعطيتهم ووسعت عليهم على تكذيب أنبيائي ثم قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (فتول عنهم) أي فأعرض عنهم يا محمد فقد بلغت وأنذرت وهو قوله (فما أنت بملوم) أي في كفرهم وجحودهم بل اللائمة والذم عليهم من حيث لا يقبلون ما تدعوهم اليه قال المفسرون لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنون وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حل حتى نزلت الآية الثانيــة وروي بالإسناد عن مجاهد قال خرج علي بن ابي طالب (ع) مغتما مشتملا في قميصه فقال لما نزلت فتول عنهــم فما انت بملوم لم يبقــ أحد منا إلا أيقن بالهلكة حين قيل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فتول عنهم فلما نزل (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) طابت نفوسنا ومعناه عظ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكرى تنفعهم عــن الكلبي (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أي لم أخلق الجن والإنس إلا لعبادتي والمعنى لعبادتهم اياي عن الربيع فإذا عبدوني استحقوا الثواب وقيل إلا لآمرهم وأنهاهم وأطلب منهم العبادة عن مجاهد واللام لام الغرض والمراد ان الغرض في خلقهم تعريضهم للثواب وذلك لا يحصل إلا بأداء العبادات فصار كأنه سبحانه خلقهم للعبادة ثم انه إذا لم يعبده قوم لم يبطل الغرض ويكون كمن هيأطعاماالقوم ودعاهم ليأكلوه فحضروا ولم يأكله بعضهم فإنه لا ينسب إلى السفه ويصح غرضه فإن الأكل موقوف على اختيار الغير وكذلك المسألة فإن الله إذاأزاح علل المكلفين من القدرة والآلة والالطاف وأمرهم بعبادته فمن خالف فقد أتي من قبل نفسه لا من قبله سبحانه وقيل معناه إلا ليقروا بالعبودية طوعا وكرها عن ابن عباس (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) هذانفي الإيهام عن خلقهم لعبادته ان يكون ذلك لفائدة نفع يعود عليه تعالى فبين انه لفائدة النفع على الخلق دونه تعالى لاستحالة النفع عليه لأنه غني لنفسه فلا يحتاج إلى غيره وكل الخلق يحتاج اليه وقيل معناه ما أريد أن يرزقوا أحداً من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم وما أريد ان يطعموا أحدا من خلقي وانما أسند الإطعام إلى نفسه لأن الخلق كلهم عيال الله ومن أطعم عيال احد فقد أطعمه (ان الله هو الرزاق) لعباده وللخلائق كلهم فلا يحتاج إلى معين (ذو القوة) اي ذو القدرة (المتين) أي القوي الذي يستحيل عليه العجز والضعف إذ هو القادر لنفسه يقال متن متانة فهو متين إذا قوي (فإن للذين ظلموا) أنفسهم بالكفر والمعاصي (ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم) اي نصيبا من العذاب مثل نصيب اصحابهم الذين هلكوا نحو قوم نوح وعاد وثمود (فلا يستعجلون) بإنزال العذاب عليهم فإنهم لا يفوتون (فويل للــذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) هذا يدل على انهم اخروا إلى يوم القيامة والويل كلمة تقولها العرب لكل من وقع في الهلكة

النظم

وجه اتصال قوله والسماء بنيناها بأيد بما قبله هو انه في قوم نوح آية وفي السماء ايضاآية فهو متصل به في المعنى



سورة والطور (مكية)

﴿ عدد آيها ﴾

تسع واربعون آية كوفي شامي وثمان بصري وسبع حجازي

﴿ اختلافها ﴾

آيتان والطور عراقي شامي دعا كوفي شامي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ انه قال ومن قرأ سورة والطور كان حقا على الله ان يؤمنه من عذابه وان ينعمه في جنته وعن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ بالطور في المغرب وروى محمد ابن هشام عن ابي جعفر «ع» قال من قرأ سورة الطور جمع الله له خير الدنيا والآخرة

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سورة الذاريات بالوعيد افتتح هذه السورة بوقوع الوعيد فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) وَالطُّورِ (٢) وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ (٣) فِي رَقٍّ مَّنْشُورٍ (٤) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٥) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٦) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٨) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ (٩) يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا (١٠) وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا (١١) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٢) الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ (١٣) يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا (١٤) هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٥) أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ (١٦) اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

ست عشرة آية

﴿ اللغة ﴾

قال المبرد يقال لكل جبل طور فاذا دخلت الألف واللام للمعرفة فهو لشيء بعينه والرق جلد يكتب فيه واصله من اللمعان يقال ترقرق الشيء إذا لمع والرقراق ترقرق السراب والمسجور المملوء يقال سجرت التنور اي ملأتها ناراً وعين سجراء ممتلئة فيها حمرة كأنها احمرت مما هو حولها كالسجار للتنور قال لبيد

فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلأمها

والمور تردد الشيء بالذهاب والمجيء كما يتردد الدخان ثم يضمحل مار يمور موراً فهو ماير وروى بيت الأعشى

كأن مشيتها من بيت جارتها مور السحابة لا ريث ولا عجل

وقيل مر السحابة والخوض الدخول في الماء بالقدم وشبه به الدخول في القول والدع الدفع يقال دعه

يدعه دعاوصكه يصكه صكا مثله

﴿ الإعراب ﴾

والطور الواو للقسم وما بعده عطف عليه والعامل في قوله يوم تمور السماء موراً قوله واقع اي يقع في ذلك اليوم ويجوز ان يكون يوم هاهنا على تقدير اذا ويكون العامل فيه جوابه وهو الفاء وما بعده من قوله فويل يومئذ للمكذبين كما جاء ويوم يحشر اعداء الله إلى النار فهم يوزعون وقوله ويوم يدعون بدل من قوله يوم تمور السماء وان شئت كان التقدير فيه يوم يدعون إلى نار جهنم دعا يقال لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون فيعمل فيه يقال . أفسحر هذا مبتدأ وخبر أم أنتم أي بل أنتم لا تبصرون

﴿ المعنى ﴾

(والطور) أقسم الله سبحانه بالجبل الذي كلم عليه موسى (ع) بالأرض المقدسة عن الجبائي وجماعة من المفسرين وقيل هو الجبل أقسم به لما اودع فيه من أنواع نعمه عن مجاهد والكلبي (وكتاب مسطور) اي مكتوب وهو الكتاب الذي كتبه الله للملائكة في السماء يقرؤون فيه ما كان وما يكون وقيل هو القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ وهو الرق المنشور وقيل هو صحائف الأعمال التي تخرج إلى بني آدم يوم القيامة فمنهم آخذ كتابه بيمينه وآخذ بشماله وهذا كقوله ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا عن الفراء وقيل هو التوراة كتبها الله لموسى فخص الطور بالذكر لبركتها وكثرة منافعها في الدنيا وذكر الكتاب لعظم موقعها من الدين عن الكلبي وقيل انه القرآن يكتبه المؤمنون (في رق منشور) أي وينشرونه لقراءته والرق ما يكتب فيه وقيل الرق هو الورق عن ابي عبيدة وقيل انما ذكر الرق لأنه من أحسن ما يكتب فيه وإذا كتبت الحكمة فيما هو على هذه الصفة كان أبهى والمنشور المبسوط (والبيت المعمور) وهو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة تعمره الملائكة بما يكون منها فيه من العبادة عن ابن عباس ومجاهد وروي أيضا عن امير المؤمنين (ع) قال ويدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه أبدا وروي عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال البيت المعمور في السماء الدنيا وفي السماء الرابعة نهر يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل كل يوم طلعت فيه الشمس وإذا خرج انتفض انتفاضة جرت منه سبعون الف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون ان يؤتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيفعلون ثم لا يعودون اليه أبداً وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم البيت الذي في السماء الدنيا يقال له الضراح وهو بفناء البيت الحرام لو سقط سقط عليه يدخله كل يوم الف ملك لا يعودون اليه أبداً وقيل البيت المعمور هو الكعبة البيت الحرام معمور بالحج والعمرة عن الحسن وهو أول مسجد وضع للعبادة في الأرض (والسقف المرفوع) هو السماء عن علي (ع) ومجاهد وقتادة وابن زيد قالوا هي كالسقف للأرض رفعها الله (والبحر المسجور) أي المملوء عن قتادة وقيل هو الموقد المحمى بمنزلة التنور عن مجاهد والضحاك والاخفش وابن زيد ثم قيل انه تحمى البحار يوم القيامة فتجعل نيرانا ثم تفجر بعضها في بعض ثم تفجر إلى النار ورد به الحديث (ان عذاب ربك لواقع) هذا جواب القسم أقسم الله بهذه الأشياء للتنبيه على ما فيها من عظيم القدرة على ان تعذيب المشركين حق واقع لا محالة (ما له من دافع) يدفع عنهم ذلك العذاب ثم بين سبحانه انه متى يقع فقال (يوم تمور السماء موراً) أي تدور دورانا وتضطرب وتموج وتتحرك وتستدير كل هذه من عبارات

المفسرين (وتسير الجبال سيراً) أي تسير الجبال وتزول من أماكنها حتى تسوي الأرض (فويل يومئذ للمكذبين) دخلت الفاء لأن في الكلام معنى المجازاة والتقدير إذا كان هذا فويل لمن يكذب الله ورسوله (الذين هم في خوض) أي في حديث باطل يخوضون وهو الحديث الذي كان يخوض فيه الكفار من انكار البعث وتكذيب النبي ﷺ (يلعبون) يلهون بذكره (يوم يدعون) أي يدفعون (إلى نار جهنم دعا) أي دفعا بعنف وجفوة قال مقاتل هو ان تغل ايديهم إلى اعناقهم وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعون إلى جهنم دفعا على وجوههم حتى إذا دنوا قال لهم خزنتها (هذه النار التي كنتم بها تكذبون) في الدنيا ثم وبخوهم لما عاينوا ما كانوا يكذبون به وهو قوله (افسحر هذا) الذي ترون انتم (ام انتم لا تبصرون) وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا ﷺ إلى السحر وإلى انه يغطي على الابصار بالسحر فلما شاهدوا ما وعدوا به من العذاب وبخوا بهذا ثم يقال لهم (اصلوها) اي قاسوا شدتها (فاصبروا) على العذاب (او لا تصبروا) عليه (سواء عليكم) الصبر والجزع (إنما تجزون ما كنتم تعملون) في الدنيا من المعاصي بكفركم وتكذيبكم الرسول

قوله تعالى (١٧) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٨) فَٰكِهِينَ بِمَآ آتَٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ (١٩) كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيٓئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٠) مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢٢) وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢٣) يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٤) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (٢٥) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ (٢٦) قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٧) فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ (٢٨) إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ اثنتا عشرة آية

القراءة

قرأ ابو عمرو واتبعناهم بالنون والألف وقطع الهمزة ذرياتهم بالألف وكسر التاء الحقناهم بهم ذرياتهم كذلك وقرأ اهل المدينة وأتبعتهم بالتاء ووصل الهمزة ذريتهم بالرفع والحقنابهم ذرياتهم على الجمع وقرأ ابن كثير واهل الكوفة واتبعتهم ذريتهم الحقنابهم ذريتهم كذلك وقرأ ابن عامر ويعقوب وسهل اتبعتهم ذرياتهم جمع الحقنا بهم ذرياتهم ايضا وقرأ ابن كثير وما التناهم بكسر اللام والباقون التناهم بفتح اللام وقرأ اهل المدينة والكسائي أنه هو البر الرحيم بالفتح والباقون انه بالكسر وفي الشواذ قراءة عبد الله وابراهيم وزوجناهم بعيس عين وقراءة الاعرج وما التناهم على افعلناهم

الحجة

قال ابو علي الذرية تقع على الصغير والكبير فالأول نحو قوله ذرية طيبة والثاني نحو قوله ومن ذريته داود وسليمان فإن حملت الذرية في الآية على الصغار كان قوله بإيمان في موضع نصب على الحال من

المفعولين اي اتبعتهم بايمان من الآباء ذريتهم الحقنا الذرية بهم في احكام الاسلام فجعلناهم في حكمهم في انهم يرثون ويورثون ويدفنون في مقابر المسلمين وحكمهم حكم الآباء في احكامهم إلا فيما كان موضوعا عن الصغير لصغره وان جعلت الذرية للكبار كان قوله بايمان حالا من الفاعلين الذين هم ذريتهم اي الحقنا بهم ذريتهم في احكام الدنيا والثواب في الآخرة وما التناهم من عملهم أي من جزاء عملهم من شيء كما قال فلا تظلم نفس شيئا وكما قال ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما ومن قرأ ذريتهم فأفرد فلأن الذرية تقع على الكثرة فاستغني بذلك عن جمعه وكذا القول في بهم ذريتهم في انه افرد ذريتهم والحق التاء في اتبعتهم لتأنيث الاسم ومن جمعه فلأن المجموع قد يجمع نحو اقوام وطرقات وفي الحديث انكن صواحبات يوسف ومن قرأ التناهم بكسر اللام فيشبه أن يكون فعلنالغة كما قالوا نقم ينقم ونقم ينقم ومن قرأ ندعوه انه بالفتح فالمعنى لأنه هو البر الرحيم ومن كسر قطع الكلام عما قبله واستأنف قال ابن جني المرأة العيساء البيضاء ومثله جمل اعيس وناقة عيساء قال كأنها البكرة العيساء ويقال ألته يألته التا وآلته يولته ايلاتا ولاته يليته ليتا وولته يلته ولتا اي نقصه قال الحطيئة

ابلغ لديك بني سعد مغلغلة جهد الرسالة لا التا ولا كذبا

❋ المعنى ❋

لما تقدم وعيد الكفار عقبه سبحانه بالوعد للمؤمنين فقال (إن المتقين) الذين يجتنبون معاصي الله خوفا من عقابه (في جنات) اي في بساتين تجنها الاشجار (ونعيم) أي وفي نعيم (فاكهين بما آتيهم ربهم) اي منعمين بما اعطاهم ربهم من انواع النعيم وقيل فاكهين معجبين بما اتيهم ربهم عن الزجاج والفراء (ووقيهم) اي وصرف عنهم (ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا) اي يقال لهم كلوا واشربوا (هنيئا بما كنتم تعملون) اكلا وشربا هنيئا مأمون العاقبة من التخمة والسقم ثم ذكر حالهم في الأكل والشرب فقال (متكئين على سرر مصفوفة) والسرر جمع سرير والمصفوفة المصطفة الموصول بعضها ببعض وقيل إن في الكلام حذفا تقديره متكئين على نمارق موضوعة على سرر لكنه حذف لأن اللفظ يدل عليه من حيث أن الاتكاء جلسة راحة ودعة ولا يكون ذلك إلا على الوسائد والنمارق (وزوجناهم بحور عين) فالحور البيض النقيات في حسن وكمال والعين الواسعات الاعين في صفاء وبهاء ومعناه قرنا هؤلاء المتقين بحور عين على وجه التمتيع لهم والتنعيم وعن زيد بن ارقم قال جاء رجل من اهل الكتاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا أبا القاسم تزعم أن اهل الجنة يأكلون ويشربون فقال والذي نفسي بيده إن الرجل منهم ليؤتى قوة مائة رجل على الأكل والشرب والجماع قال فإن الذي يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال عرق يفيض مثل ريح المسك فإذا كان ذلك ضمر بطنه (والذين آمنوا وأتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنابهم ذريتهم) يعني بالذرية اولادهم الصغار والكبار لأن الكبار يتبعون الآباء بايمان منهم والصغار يتبعون الآباء بإيمان من الآباء فالولد يحكم له بالإسلام تبعا لوالده واتبع بمعنى تبع ومن قرأ وأتبعناهم فهو منقول من تبع ويتعدى إلى المفعولين وقيل الاتباع الحاق الثاني بالأول في معنى يكون الأول عليه لأنه لو الحق به من غير أن يكون في معنى هو عليه لم يكن إتباعا وكان إلحاقا والمعنى أنا نلحق الأولاد بالآباء في الجنة والدرجة من اجل إيمان الآباء لتقر أعين الآباء باجتماعهم معهم في الجنة كما كانت تقر بهم في الدنيا عن ابن عباس والضحاك

وابن زيد وفي رواية اخرى عن ابن عباس انهم البالغون الحقوا بدرجات آبائهم وان قصرت اعمالهم تكرمة لآبائهم فإن قيل كيف يلحقون بهم في الثواب ولم يستحقوه فالجواب انهم يلحقون بهم في الجمع لا في الثواب والمرتبة وروى زاذان عن علي (ع) قال قال رسول الله ﷺ إن المؤمنين واولادهم في الجنة ثم قرأ هذه الآية وروي عن الصادق قال اطفال المؤمنين يهدون إلى آبائهم يوم القيامة (وما ألتناهم من عملهم من شيء) اي لم ننقص الآباء من الثواب حين الحقنا بهم ذرياتهم عن ابن عباس ومجاهد وتم الكلام ثم ذكر سبحانه اهل النار فقال (كل امرىء بما كسب رهين) اي كل امرىء كافر مرتهن في النار بما كسب أسيء عمل من الشرك عن مقاتل والمؤمن من لا يكون مرتهنا لقوله كل نفس بما كسبت رهينة إلا اصحاب اليمين فاستثنى المؤمنين وقيل معناه كل انسان معامل بما يستحقه ويجازى بحسب ما عمله ان عمل طاعة اثيب وان عمل معصية عوقب ولا يؤاخذ احد بذنب غيره ثم ذكر سبحانه ما يزيدهم من الخير والنعمة فقال (وامددناهم بفاكهة) اي اعطيناهم حالا بعد حال فإن الإمداد هو الاتيان بالشيء بعد الشيء والفاكهة جنس الثمار (ولحم مما يشتهون) أي وأعطيناهم وامددناهم بلحم من الجنس الذي يشتهونه (يتنازعون فيها كأسا) اي يتعاطون كأس الخمر ثم وصف الكأس فقال (لا لغو فيها ولا تأثيم) أي لا يجري بينهم باطل لأن اللغو ما يلغى ولا ما فيه اثم كما يجري في الدنيا بين شرب الخمر والتأثيم تفعيل من الإثم يقال اثمه إذا جعله ذا اثم يعني أن تلك الكأس لا تجعلهم آثمين وقيل معناه لا يتسابون عليها ولا يؤثم بعضهم بعضا عن مجاهد (ويطوف عليهم) للخدمة (غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون) في الحسن والصباحة والصفاء والبياض والمكنون المصون المخزون وقيل انه ليس على الغلمان مشقة في خدمة أهل الجنة بل لهم في ذلك اللذة والسرور اذ ليست تلك الدار دار محنة وذكر عن الحسن انه قال قيل يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ فكيف المخدوم فقال والذي نفسي بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) اي يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا عن ابن عباس وهو قوله (قالوا إنا كنا قبل في اهلنا مشفقين) أي خائفين في دار الدنيا من العذاب (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم) اي عذاب جهنم والسموم من اسماء جهنم عن الحسن وقيل ان المعنى يسأل بعضهم بعضا عما فعلوه في الدنيا فاستحقوا به المصير إلى الثواب والكون في الجنان فيقولون انا كنا في دار التكليف مشفقين اي خائفين رقيقي القلب فإن الاشفاق رقة القلب عما يكون من الخوف على الشيء والشفقة نقيض الغلظة واصله الضعف من قولهم ثوب شفق اي ضعيف النسج ومنه الشفق للحمرة عند غروب الشمس لأنها حمرة ضعيفة وقوله في اهلنا مشفقين يريد فيمن يختص به ممن هو اولى بنا والأهل هو المختص بغيره من جهة ما هو اولى به والسموم الحر الذي يدخل في مسام البدن يتألم به واصله من السم الذي هو مخرج النفس فكل خرق سم او من السم الذي يقتل قال الزجاج يريد عذاب سموم جهنم وهو ما يوجد من لفحها وحرها (انا كنا من قبل) اي في الدنيا (ندعوه) اي ندعو الله تعالى ونوحده ونعبده (انه هو البر) اي اللطيف واصله اللطف مع عظم الشأن ومنه البرة للطفها مع عظم النفع بها وقيل البر الصادق فيما وعده (الرحيم) بعباده

قوله تعالى (٢٩) فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٣٠) أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣١) قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ (٣٢) أَمْ

تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ (٣٣) أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٤) فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ (٣٥) أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٦) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٧) أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٨) أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٣٩) أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ (٤٠) أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ

اثنتا عشرة آية

القراءة

قرأ ابن كثير المسيطرون بالسين و في الغاشية بمسيطر بالصاد وقرأ ابن عامر كليهما بالسين وقرأ بإشمام الراء فيها حمزة إلا العجلي فإنه قرأ بالصاد فيهما وقرأ الباقون بالصاد فيهما

الحجة

قال ابو عبيدة المسيطرون الأرباب يقال تسيطرت علي اتخذتني خولا والاصل السين وكل سين بعده طاء يجوز أن تقلب صاداً تقول صطر وسطر وقد مر بيانه في سورة الفاتحة

اللغة

الكاهن الذي يذكر انه يخبر عن الحق على طريق العزائم والكهانة صنعة الكاهن والمنون المنية وريبها الحوادث التي تريب عند مجيئها قال

تربص بها ريب المنون لعلها سيهلك عنها بعلها أو سيجنح

والتربص الانتظار بالشيء من انقلاب حال له إلى خلافها والاحلام جمع الحلم وهو الإمهال الذي يدعو اليه العقل والحكمة والمسيطر الملزم غيره أمراً من الأمور قهرا مأخوذ من السطر والمثقل المحمول عليه ما يشق حمله

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (فذكر) يا محمد أي فعظ هؤلاء المكلفين ولا تترك دعوتهم وان اساءوا قولهم فيك (فما أنت بنعمت ربك) أي بإنعام ربك عليك بالنبوة وهذا قسم (بكاهن) وهو الذي يوهم انه يعلم الغيب بطريق خدمة الجن (ولا مجنون) وهو المؤوف بما يغطي على عقله وقد علم الكفار انه صلى الله عليه وآله وسلم ليس بكاهن ولا مجنون لكن قالوا ذلك على جهة التكذيب عليه ليستريحوا إلى ذلك كما يستريح السفهاء إلى التكذيب على اعدائهم (ام يقولون) أي بل يقولون (هو شاعر نتربص به ريب المنون) اي ننتظر به حدثان الموت وحوادث الدهر فيهلك كما هلك من تقدم من الشعراء والمنون يكون بمعنى الدهر ويكون بمعنى المنية وام هذه المقطعة بمعنى الترك والتحول كقول علقمة

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

فكأنه قال حبلها مصروم لأن بعده قوله

أم هل كبير بكي لم يقض عبرته إثر الاحبة يوم البين مشكوم

ثم قال سبحانه (قل) لهم يا محمد (تربصوا فإني معكم من المتربصين) أي انكم ان تربصتم في حوادث الدهر فإني منتظر مثـل ذلك بكم وتربص الكفار بالنبي ﷺ والمؤمنين قبيح وتربص النبي ﷺ والمؤمنين بالكفار وتوقعهم لهلاكهم حسن وقوله فتربصوا وان كان بصيغة الأمر فالمراد به التهديد (أم تأمرهم أحلامهم بهذا) أي بل أتأمرهم عقولهم بما يقولونه لك ويتربصونه بك قال المفسرون كانت عظماء قريش توصف بالأحلام والعقول فأزرى الله سبحانه بعقولهم حيث لم تثمر لهم معرفة الحق من الباطل ثـم اخبر سبحانه عن طغيانهم فقال (أم هم قوم طاغون) وقرأ مجاهد بل هم قوم طاغون وبل في المعنى قريبة من ام هنا إلا ان ما بعد بل متيقن وما بعد ام مشكوك فيه والمعنى ان عقولهم لم تأمرهم بهذا ولم تدعهم اليه بـل حملهم الطغيان على تكذيبك (ام يقولون تقوله) أي افتعل القرآن وتكذبه من تلقاء نفسه والتقول تكلف القول ولا يقال ذلك إلا في الكذب (بل لا يؤمنون) أي ليس الأمر كما زعموا بل ثبت انه من عند الله ولكنهم لا يصدقون بذلك عنادا وحسدا واستكبارا ثم الزمهم سبحانه الحجة وتحـداهم فقال (فليأتوا بحديث مثله) أي مثل القرآن وما يقاربه في نظمه وفصاحته وحسن بيانه وبراعته (ان كانوا صادقين) في انـه تقوله محمد ﷺ فإذا لم يقدروا على الإتيان بمثله فليعلموا ان محمدا ﷺ لم يتقوله من تلقاء نفسه بل هو مـن عند الله تعالى ثم احتج عليهم بابتداء الخلق فقال (أم خلقوا من غير شيء) أي ام خلقوا لغير شيء أي أخلقوا باطلا لا يحاسبون ولا يؤمرون ولا ينهون ونحو هذا عن الزجاج وقيل معناه أم خلقوا عبثا وتركوا سدى عن ابن كيسان وهذا في المعنى مثل الأول وقيل معناه أخلقوا من غير خالق ومدبر دبرهم (أم هم الخالقون) أنفسهم فلا يجب عليهم لله امر عن ابن عباس (ام خلقوا السموات والارض) واخترعوها فلذلك لا يقرون بالله وبأنه خالقهم (بل لا يوقنون) بأن لهم إلها يستحق العبادة وحده وانك نبي من جهة الله (ام عندهم خزائن ربك) أي بأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤوا عن مقاتل وعكرمة وقيل أراد خزائن المطر والرزق عن الكلبي وابن عباس وقيل خزائنه مقدوراته فلا يأتيهم إلا ما يحبون عن الجبائي (أم هم المسيطرون) أي الأرباب المسلطون على الناس فليس عليهم مسيطر ولا لهم ملزم ومقوم وقيـل معناه أم هم المالكون الناس القاهرون لهم عن الجبائي (ام لهم سلم) أي مرقى ومصعد إلى السماء (يستمعون فيه) الوحي من السماء فقد وثقوا بما هم عليه وردوا ما سواه (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) أي بحجة ظاهرة واضحة ان ادعى ذلك والتقدير يستمعون عليه فهو كقوله ولأصلبنكم في جذوع النخل وانما قيل لهم ذلك لأن كل من يدعي ما لا يعلم ببداية العقول فعليه اقامة البينة والحجة (أم له البنات ولكم البنون) وهذا تسفيه لأحلامهم إذ أضافوا إلى الله سبحانه ما أنفوا منه وهذا غاية في جهلهم إذ جوزوا عليه سبحانه الولد ثم ادعوا انه اختار الأدون عـلى الأعلى (ام تسئلهم أجرا) اي ثوابا على اداء الرسالة وعلى ما جئتهم به من الدين والشريعة (فهم مـن مغرم مثقلون) أثقلهم ذلك الغرم الذي تسألهم فمنعهم ذلك عن الإيمان بك

قوله تعالى (٤١) أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٢) أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ (٤٣) أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٤) وَإِنْ

يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ (٤٥) فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٦) يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (٤٧) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٤٨) وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (٤٩) وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ

تسع آيات

القراءة

قرأ ابن عامر وعاصم يصعقون بضم الياء والباقون بفتحها وقرأ زيد عن يعقوب وادبار النجوم بفتح الألف والباقون بكسرها

الحجة

يقال صعق الرجل يصعق ومن قرأ يصعقون بضم الياء فإنه على نقل الفعل بالهمزة صعقهم واصعقهم غيرهم وحكى ابو الحسن صعق فعلى هذا يجوز أن يكون يصعقون منه ومن قرأ وأدبار النجوم فإنه يكون كقوالهم اعقاب النجوم قال

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر مع الصبح في اعقاب نجم مغرب

اللغة

الكيد هو المكر وقيل هو فعل ما يوجب الغيظ في خفية والكسف جمع كسفة فهو مثل سدرة وسدر والكسفة القطعة من الغيم بقدر ما يكسف ضوء الشمس والمركوم هو الموضوع بعضه على بعض

(المعنى)

ثم قال سبحانه (ام عندهم الغيب فهم يكتبون) أي اعندهم الغيب حتى علموا أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يموت قبلهم وهذا جواب لقولهم نتربص به ريب المنون عن قتادة وقيل أعندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ويخبرون به الناس عن ابن عباس وقيل هو جواب لقولهم ان كان أمر الآخرة حقا كما تدعون فلنا الجنة ومثله ولئن رجعت الى ربي إن لي عنده للحسنى عن الحسن والغيب الذي لا يعلمه إلا الله هو ما لا يعلمه العاقل ضرورة ولا عليه دلالة فالله عالم به لأنه يعلمه لنفسه والعالم لنفسه يعلم جميع المعلومات فلا يخفى عليه شيء منها (أم يريدون كيدا) اي مكرا بك وتدبير سوء في بابك سرا على ما دبروه في دار الندوة (فالذين كفروا هم المكيدون) اي هم المجزيون بكيدهم فإن ضرر ذلك يعود عليهم ويحيق بهم مكرهم كما جزى الله سبحانه أهل دار الندوة بكيدهم أن قتلهم ببدر (ام لهم إله غير الله) يرزقهم ويحفظهم وينصرهم يعني ان الذين اتخذوهم آلهة لا تنفعهم ولا تدفع عنهم ثم نزّه سبحانه نفسه فقال (سبحان الله عما يشركون) به من الآلهة ثم ذكر سبحانه عنادهم وقسوة قلوبهم فقال (وان يروا كسفا من السماء ساقطا) يعني ان عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لن ينتهوا عن كفرهم وقالوا هو قطعة من السحاب وهو قوله (يقولوا سحاب مركوم) بعضه على بعض وكل هذه الامور المذكورة بعد ام في هذه السورة الزامات لعبدة الأوثان على مخالفة القرآن ثم قال سبحانه يخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم (فذرهم) يا محمد اي اتركهم (حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون) اي يهلكون بوقوع الصاعقة عليهم وقيل الصعقة النفخة الاولى التي يهلك عندها جميع الخلائق ثم وصف سبحانه ذلك اليوم فقال (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا) اي لا تنفعهم حيلتهم ولا تدفع عنهم شيئا (ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا) يعني

كفار مكة (عذابا دون ذلك) اي دون عذاب الآخرة يعني القتل يوم بدر عن ابن عباس وقيل يريد عذاب القبر عن ابن عباس ايضا والبراء بن عازب وقيل هو الجوع في الدنيا والقحط سبع سنين عن مجاهد وقيل هو مصائب الدنيا عن ابن زيد وقيل هو عام جميع ذلك (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ما هو نازل بهم (واصبر) يا محمد (لحكم ربك) الذي حكم به والزمك التسليم له الى ان يقع عليهم العذاب الذي حكمنا عليهم وقيل واصبر على أذاهم حتى يرد امر الله عليك بتخليصك (فإنك بأعيننا) اي بمرأى منا ندركك ولا يخفى علينا شيء من أمرك ونحفظك لئلا يصلوا الى شيء من امرك ونحفظك لئلا يصلوا الى شيء من مكروهك (وسبح بحمد ربك حين تقوم) من نومك عن ابي الاحوص وقيل حين تقوم الى الصلاة المفروضة فقل سبحانك اللهم وبحمدك عن الضحاك وقيل معناه وصل بأمر ربك حين تقوم من مقامك عن ابن زيد وقيل الركعتان قبل صلاة الفجر عن ابن عباس والحسن وقيل حين تقوم من نوم القائلة وهي صلاة الظهر عن زيد بن اسلم وقيل حين تقوم من المجلس فقل سبحانك اللهم وبحمدك لا إله الا انت اغفر لي وتب علي عن عطا وسعيد بن جبير وقد روي مرفوعا انه كفارة المجلس وقيل معناه اذكر الله بلسانك حين تقوم الى الصلاة الى ان تدخل في الصلاة عن الكلبي فهذه سبعة اقوال (ومن الليل فسبحه) يعني صلاة الليل وروى زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) في هذه الآية قالا ان رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل ثلاث مرات فينظر في آفاق السماء ويقرأ الخمس من آل عمران التي آخرها انك لا تخلف الميعاد ثم يفتتح صلاة الليل الخبر بتمامه وقيل معناه صل المغرب والعشاء الآخرة عن مقاتل وادبار النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر عن ابن عباس وقتادة وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وذلك حين تدبر النجوم اي تغيب بضوء الصبح وقيل يعني صلاة الفجر المفروضة عن الضحاك وقيل إن المعنى لا تغفل عن ذكر ربك صباحا ومساء ونزهه في جميع احوالك ليلا نهارا فإنه لا يغفل عنك وعن حفظك وفي هذه الآية دلالة على انه سبحانه قد ضمن حفظه وكلاءته حتى يبلغ رسالته

(سورة النجم مكية)

المعدل عن ابن عباس وقتادة غير آية منها نزلت بالمدينة الذين يجتنبون كبائر الأثم والفواحش الآية وعن الحسن قال هي مدنية

(عدد آيها)

اثنتان وستون آية كوفي وآية في الباقين

اختلافها

ثلاث آيات من الحق شيئا كوفي عمن تولى شامي الحياة الدنيا غير شامي

فضلها

ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ من قرأ سورة النجم اعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد ﷺ ومن جحد به يزيد بن خليفة عن ابي عبد الله (ع) قال من كان يدمن قراءة والنجم في كل يوم او في كل ليلة عاش محمودا بين الناس وكان مغفورا وكان محببا بين الناس

﴿ تفسيرها ﴾

افتتح الله سبحانه هذه السورة بذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما ختم بذكر سورة الطور حتى اتصلت بها اتصال النظير بالنظير فقال

بِسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ (١) وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (٢) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٣) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٤) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٥) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٦) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٧) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٨) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٩) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (١٠) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ عشر آيات

« القراءة »

امال حمزة والكسائي وخلف اواخر آيات هذه السورة كلها وجميع اشباهها وقرأ اهل المدينة وابو عمرو بين الفتح والكسر وإلى الفتح أقرب وكذلك كل سورة آياتها على الياء مثل سورة طه و والشمس وضحاها والليل إذا يغشى والضحى وأشباهها وكل ما كان على وزن فعلى أو فعلى أو فعلى في جميع القرآن فإن أبا عمرو يقرؤها بين الفتح والكسر أيضا في رواية شجاع وأكثر الروايات عن اليزيدي والباقون يفتحون ويفخمون وابن كثير وعاصم أشد تفخما في ذلك كله

﴿ الحجة ﴾

اما ترك الامالة والتفخيم الالف فهو قول كثير من الناس والامالة أيضا قول كثير منهم فمن ترك كان مصيبا ومن أخذ بها كان مصيبا

﴿ اللغة ﴾

الهوى والنزول والسقوط نظائر هوى يهوى هَويا أو هُويا قال الهذلي

وإذا رميت به الفجاج رأيته يهوي مخارمها هوي الاجدل

ومنه سميت الهاوية لأنها تهوي بأهلها من أعلاها إلى أسفلها والغي الخيبة ومنه الغواية والوحي القاء المعنى إلى النفس في خفية إلا انه صار كالعلم فيما يلقيه الملك إلى النبي من البشر عن الله تعالى ومنه قوله وأوحى ربك إلى النحل أي ألهمها مراشدها والقوة القدرة وأصله الشدة وأصل المرة شدة الفتل ثم تجري المرة على القدرة فالمرة والقوة والشدة نظائر والأفق ناحية السماء وجمعه آفاق وقد سمى نواحي الأرض آفاقا على التشبيه قال الشاعر في المعنى الأول

أخذنا بآفاق السماء عليكم لنا قمراها والنجوم الطوالع

وقال امرؤ القيس في المعنى الثاني

لقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

والتدلي الامتداد إلى جهة السفل يقال دلاه صاحبه فتدلى والقاب والقيب والقاد والقيد عبارة عن مقدار الشيء

﴿ الإعراب ﴾

وهو بالأفق الأعلى مبتدأ وخبر في موضع الحال وقال الفراء هو معطوف على الضمير في استوى أي استوى جبرائيل والنبي صلى الله عليه وآله بالأفق الأعلى والتقدير استوى هو وهو قال وحسن ذلك لئلا يتكرر هو وأنشد

ألم تر أن النبع يصلب عوده ولا يستوي والخروع المتقصف

قال الزجاج وهذا لا يجوز إلا في الشعر لأنهم يستقبحون استويت وزيد وانما المعنى فاستوى جبرائيل وهو بالأفق الأعلى على صورته الحقيقية لأنه كان يتمثل للنبي ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجل فأحب رسول الله ﷺ ان يراه على صورته الحقيقية فاستوى في افق المشرق فملأ الأفق

﴿ المعنى ﴾

(والنجم إذا هوى) قيل في معناه أقوال ﴿ أحدها ﴾ ان الله أقسم بالقرآن إذ أنزل نجوما متفرقة على رسول الله ﷺ في ثلاث وعشرين سنة عن الضحاك ومجاهد والكلبي فسمي القرآن نجما لتفرقه في النزول والعرب تسمي التفريق تنجيما والمفرق منجما ﴿ وثانيها ﴾ انه أراد بالنجم الثريا أقسم بها إذا سقطت وغابت مع الفجر عن ابن عباس ومجاهد والعرب يطلق اسم النجم على الثريا خاصة قال ابو ذؤيب

فوردن والعيوق مقعد رابئ الضرباء فوق النجم لا يتتلع

قال ابن دريد والثريا سبعة انجم ستة ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس به أبصارهم ﴿ وثالثها ﴾ ان المراد به جماعة النجوم إذا هوت أي سقطت وغابت وخفيت عن الحسن وأراد به الجنس كما قال الراعي

وبات يعد النجم في مستحيرة سريع بأيدي الآكلين جمودها

ثم قيل أشار بأفول النجم إلى طلوعه لأن ما يأفل يطلع فاستدل بأفوله وطلوعه على وحدانية الله تعالى وحركات النجم توصف بالهوي عن الجبائي وقيل ان هويه سقوطه يوم القيامة فيكون كقوله وإذا الكواكب انتثرت عن الحسن ﴿ ورابعها ﴾ انه يعني به الرجوم من النجوم وهو ما يرمى به الشياطين عند استراق السمع عن ابن عباس وروت العامة عن جعفر الصادق (ع) انه قال محمد رسول الله ﷺ نزل من السماء السابعة ليلة المعراج ولما نزلت السورة أخبر بذلك عتبة بن ابي لهب فجاء إلى النبي ﷺ وطلق ابنته وتفل في وجهه وقال كفرت بالنجم وبرب النجم فدعا ﷺ عليه وقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فخرج عتبة إلى الشام فنزل في بعض الطريق والقى الله عليه الرعب فقال لأصحابه انيموني بينكم ليلا ففعلوا فجاء أسد فافترسه من بين الناس وفي ذلك يقول حسان

سائل بني الأصفر ان جئتهم ما كان انباء بني واسع
لا وسع الله له قبره بل ضيق الله على القاطع
رمى رسول الله من بينهم دون قريش رمية القاذع
واستوجب الدعوة منه بما بين للناظر والسامع
فسلط الله به كلبه يمشي الهوينا مشية الخادع
والتقم الرأس بيافوخه والنحر منه قعرة الجائع
من يرجع العام إلى أهله فما أكيل السبع بالراجع
قد كان هذا لكم عبرة للسيد المتبوع والتابع

(ما ضل صاحبكم وما غوى) يعني النبي أي ما عدل عن الحق وما فارق الهدى إلى الضلال وما غوى فيما يؤديه اليكم ومعنى غوى ضل وانما اعاده تأكيدا وقيل معناه ما خاب عن اصابة الرشد وقيل ما خاب سعيه بل

ينال ثواب الله وكرامته (وما ينطق عن الهوى) أي وليس ينطق بالهوى وهكذا كما يقال رميت بالقوس وعن القوس وقيل معناه ولا يتكلم بالقرآن وما يؤديه اليكم عن الهوى الذي هو ميل الطبع (ان هو إلا وحي يوحى) أي ما القرآن وما ينطق به من الأحكام إلا وحي من الله يوحى اليه أي يأتيه به جبرائيل وهو قوله (علمه شديد القوى) يعني جبرائيل «ع» أي القوي في نفسه وخلقته عن ابن عباس والربيع وقتادة والقوى جمع القوة (ذو مرة) اي ذو قوة وشدة في خلقه عن الكلبي قال ومن قوته انه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود فرفعها إلى السماء ثم قلبها ومن شدته صيحته لقوم ثمود حتى هلكوا وقيل معناه ذو صحة وخلق حسن عن ابن عباس وقتادة وقيل شديد القوى في ذات الله ذو مرة أي صحة في الجسم سليم من الآفات والعيوب وقيل ذو مرة اي ذو مرور في الهواء ذاهبا جائيا ونازلا وصاعدا عن الجبائي (فاستوى) جبرائيل على صورته التي خلق عليها بعد انحداره إلى محمد ﷺ (وهو) كناية عن جبرائيل «ع» أيضا (بالأفق الأعلى) يعني افق المشرق والمراد بالأعلى جانب المشرق وهو فوق جانب المغرب في صعيد الارض لا في الهواء قالوا ان جبرائيل كان يأتي النبي ﷺ في صورة الآدميين فسأله النبي ﷺ ان يريه نفسه على صورته التي خلق عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الأرض ومرة في السماء اما في الأرض ففي الأفق الأعلى وذلك ان محمدا ﷺ كان بحراء فطلع له جبرائيل «ع» من المشرق فسد الافق إلى المغرب فخر النبي ﷺ مغشيا عليه فنزل جبرائيل «ع» في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه وهو قوله (ثم دنا فتدلى) وتقديره ثم تدلى أي قرب بعد بعده وعلوه في الافق الأعلى فدنا من محمد ﷺ قال الحسن وقتادة ثم دنا جبرائيل «ع» بعد استوائه بالافق الأعلى من الأرض فنزل إلى محمد ﷺ وقال الزجاج معنى دنا وتدلى واحد لأن معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب كما تقول قد دنا مني فلان وقرب ولو قلت قرب مني ودنا جاز وقيل ان المعنى استوى جبرائيل (ع) أي ارتفع وعلا إلى السماء بعد ان علم محمدا ﷺ عن سعيد بن المسيب وقيل استوى أي اعتدل واقفا في الهواء بعد ان كان ينزل بسرعة ليراه النبي ﷺ عن الجبائي وقيل معناه استوى جبرائيل (ع) ومحمد ﷺ بالافق الأعلى يعني السماء الدنيا ليلة المعراج عن الفراء (فكان قاب قوسين) اي كان ما بين جبرائيل ورسول الله قاب قوسين والقوس ما يرمى به عن مجاهد وعكرمة وعطا عن ابن عباس وخصت بالذكر على عادتهم يقال قاب قوس وقيب قوس وقيد قوس وقاد قوس وهو اختيار الزجاج وقيل معناه وكان قدر ذراعين عن عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير وشقيق بن سلمة وروي مرفوعا عن انس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ في قوله فكان قاب قوسين او ادنى قال قدر ذراعين أو ادنى من ذراعين فعلى هذا يكون معنى القوس ما يقاس به الشيء والذراع يقاس به قال ابن السكيت قاس الشيء يقوسه قوسا لغة في قاسه يقيسه إذا قدره وقوله (أو أدنى) قال الزجاج ان العباد قد خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وقيل لهم في هذا ما يقال للذي يحدد فالمعنى فكان على ما تقدرونه انتم قدر قوسين أو أقل من ذلك وهو كقوله او يزيدون وقد مر القول فيه وقال عبد الله بن مسعود ان رسول الله ﷺ رأى جبرائيل (ع) وله ستمائة جناح اورده البخاري ومسلم في الصحيح (فأوحى إلى عبده ما اوحى) اي فأوحى الله على لسان جبرائيل إلى محمد ﷺ ما اوحى وما يحتمل ان تكون مصدرية ويحتمل ان تكون بمعنى الذي وقيل معناه فأوحى جبرائيل (ع) إلى عبد الله محمد ﷺ ما اوحى الله تعالى اليه عن الحسن والربيع وابن زيد وهو رواية عطا عن ابن عباس قال سعيد ابن جبير أوحى اليه ألم يجدك يتيما فآوى إلى قوله ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها انت وعلى الأمم حتى تدخلها امتك وقيل اوحى الله اليه سرا بسر وفي ذلك يقول القائل

بين المحبين سر ليس يفشيه ... قول ولا قلم للخلق يحكيه
سر يمازجه انس يقابله ... نور تحير في بحر من التيه

قوله تعالى (١١) مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَى (١٢) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٣) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (٤) عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ (١٥) عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ (١٦) إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٧) مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٨) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ (١٩) أَفَرَأَيْتُمُ ٱللَّاتَ وَٱلْعُزَّىٰ (٢٠) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ عشر آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر وهشام ما كذب بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ أهل الكوفة غير عاصم ويعقوب افتمرونه بغير الف والباقون افتمارونه وقرأ ابن كثير والشموني عن الاعمش وابي بكر ومنآة بالمد والهمزة والباقون ومناة بغير همزة ولا مدوروي عن علي (ع) وابي هريرة وابي الدرداء وزر بن حبيش جنة المأوى بالهاء وعن ابن عباس ومجاهد واللات بتشديد التاء

الحجة

من قرأ كذب بتشديد الذال فمعناه ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما رآه بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه ومن قرأ بالتخفيف فمعناه ما كذب فؤاده فيما رأى وقال ابو علي كذب فعل يتعدى إلى مفعول بدلالة قوله

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا

ومعنى كذبتك عينك ارتك ما لا حقيقة له فعلى هـذا يكون المعنى لم يكذب فؤاده ما ادركه بصره اي كانت رؤيته صحيحة غير كاذبة وادراكا على الحقيقة ويشبه ان يكون الذي شدد اراد هذا المعنى واكده . افتمارونه على ما يرى اي اتريدون إزالته عن حقيقة ما ادركه وعلمه بجادلتكم او اتجحدونه ما قد علمه ولم يعترض عليه فيه شك فان معنى قوله افتمارونه اتجادلونه جدالا تريدون به دفعه عما علمه وشاهده من الآيات الكبرى ومن قرأ افتمرونه فمعناه افتجحدونه ومناة صنم من حجارة واللات والعزى كانتا من حجارة ايضا ولعل منائة بالمد لغة ومن قرأ جنه المأوى يعني فعله يريدجن عليه فأجنه الله والمأوى هو الفاعل والمعنى ستره وقال الاخفش ادركه وعن ابن عباس قال كان رجل بسوق عكاظ يلت السويق والسمن عند صخرة فإذا باع السويق والسمن صب على الصخرة ثم يلت فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة اعظاما لذلك الرجل

المعنى

ثم بين سبحانه ما رآه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الأسرى وحقق رؤيته فقال(ما كذب الفؤاد ما رأى)اي لم يكذب فؤاد محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما رآه بعينه فقوله ما رأى مصدر في موضع نصب لأنه مفعول كذب والمعنى انه ما اوهمه الفؤاد انه رأى ولم ير بل صدقه الفؤاد رؤيته قال المبرد معنى الآية انه رأى شيئا فصدق فيه قال ابن عباس رأى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ربه بفؤاده وروي ذلك عن محمد بن الحنفية عن ابيه علي (ع) وهذا يكون بمعنى العلم اي علمه علما يقينا بما رآه من الآيات الباهرات كقول ابراهيم (ع)ولكن ليطمئن قلبي وان كان عالما قبل ذلك وقيل أن الذي رآه هو جبرائيل على صورته التي خلقه الله عليها عن ابن مسعود وعائشة وقتادة وقيل ان الذي رآه هو ما رآه من ملكوت الله تعالى واجناس مقدوراته عن الحسن قال وعرج بروح محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى السماء وجسده في الارض وقال الأكثرون وهو الظاهر من مذهب اصحابنا والمشهور في اخبارهم ان الله تعالى صعد بجسمه الى السماء حيا سليما حتى رأى ما رأى من ملكوت السماوات بعينه ولم يكن ذلك في المنام وهذا المعنى ذكرناه في سورة بني اسرائيل والفرق بين الرؤية في اليقظة وبين الرؤية في المنام ان رؤية الشيء في اليقظة هو ادراكه

بالبصر على الحقيقة ورؤيته في المنام تصوره بالقلب على توهم الادراك بحاسة البصر من غير أن يكون كذلك وعن ابي العالية قال سئل رسول الله ﷺ هل رأيت ربك ليلة المعراج قال رأيت نهرا ورأيت وراء النهر حجابا ورأيت وراء الحجاب نورا لم أر غير ذلك وروي عن ابي ذر وابي سعيد الخدري ان النبي ﷺ سئل عن قوله ما كذب الفؤاد ما رأى قال رأيت نورا وروي ذلك عن مجاهد وعكرمة وذكر الشعبي عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس انه قال إن محمدا ﷺ رأى ربه قال الشعبي واخبرني مسروق قال سألت عائشة عن ذلك فقالت انك لتقول قولا انه ليقف شعري منه قال مسروق قلت رويدا يا أم المؤمنين وقرأت عليها والنجم اذا هوى حتى انتهيت الى قوله قاب قوسين او ادنى فقالت رويدا انى يذهب بك إنما رأى جبرائيل في صورته من حدثك ان محمدا ﷺ رأى ربه فقد كذب والله تعالى يقول لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار ومن حدثك ان محمدا ﷺ يعلم الخمس من الغيب فقد كذب والله تعالى يقول ان الله عنده علم الساعة الى آخره ومن حدثك أن محمدا ﷺ كتم شيئا من الوحي فقد كذب والله تعالى يقول بلغ ما انزل اليك من ربك ولقد بين الله سبحانه ما رآه النبي ﷺ بيانا شافيا فقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى (افتمارونه) اي افتجادلونه (على ما يرى) وذلك انهم جادلوه حين اسري به فقالوا له صف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا في طريق الشام وغير ذلك مما جادلوه به ومن قرأ افتمارونه فالمعنى افتجحدونه يقال مريت الرجل حقه اذا جحدته وقيل معناه افتدفعونه عما يرى وعلى في موضع عن عن المبرد والمعنيان متقاربان لأن كل مجادل جاحد (ولقد رآه نزلة اخرى) اي رأى جبرائيل في صورته التي خلق عليها نازلا من السماء نزلة اخرى وذلك انه رآه مرتين في صورته على ما ذكره (عند سدرة المنتهى) اي رآه محمد ﷺ وهو عند سدرة المنتهى وهي شجرة عن يمين العرش فوق السماء السابعة انتهى اليها علم كل ملك عن الكلبي ومقاتل وقيل اليها ينتهي ما يعرج الى السماء وما يهبط من فوقها من امر الله عن ابن مسعود والضحاك وقيل اليها تنتهي ارواح الشهداء وقيل اليها ينتهي ما يهبط به من فوقها ويقبض منها واليها ينتهي ما يعرج من الأرواح ويقبض منها والمنتهى موضع الانتهاء وهذه الشجرة حيث انتهى اليه الملائكة فاضيفت اليه وقيل هي شجرة طوبى عن مقاتل والسدرة هي شجرة النبوة (عندها جنة المأوى) اي عند سدرة المنتهى جنة المقام وهي جنة الخلد وهي في السماء السابعة وقيل في السماء السادسة وقيل هي الجنة التي كان آوى اليها آدم وتصير اليها ارواح الشهداء عن الجبائي وقتادة وقيل هي التي يصير اليها اهل الجنة عن الحسن وقيل هي التي يأوي اليها جبرائيل والملائكة عن عطا عن ابن عباس (إذ يغشى السدرة ما يغشى) قيل يغشاها الملائكة امثال الغربان حين يقعن على الشجر عن الحسن ومقاتل وروي أن النبي ﷺ قال رأيت على كل ورقة من اوراقها ملكا قائما يسبح الله تعالى وقيل يغشاها من النور والبهاء والحسن والصفاء الذي يروق الأبصار ما ليس لوصفه منتهى عن الحسن وقيل يغشاها فراش من ذهب عن ابن عباس ومجاهد وكأنها ملائكة على صورة الفراش يعبدون الله تعالى والمعنى انه رأى جبرائيل (ع) على ما صورته في الحال التي يغشى فيها السدرة من امر الله ومن العجائب المنبهة على كمال قدرة الله تعالى ما يغشاها وإنما ابهم الأمر فيما يغشى لتعظيم ذلك وتفخيمه كما قال (فأوحى الى عبده ما اوحى) وقوله ما يغشى ابلغ افظ في هذا المعنى (ما زاغ البصر وما طغى) اي ما زاغ بصر محمد ﷺ ولم يمل يمينا ولا شمالا وما طغى اي ما جاوز القصد ولا الحد الذي حد له وهذا وصف ادبه صلوات الله عليه وآله في ذلك المقام إذ لم يلتفت جانبا ولم يمل بصره ولم يمده امامه الى حيث ينتهي (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) وهي الآيات العظام التي رآها تلك الليلة مثل سدرة المنتهى وصورة جبرائيل (ع) ورؤيته وله ستمائة جناح قد سد الأفق بأجنحته عن مقاتل وابن زيد والجبائي ومن للتبعيض اي رأى بعض آيات ربه وقيل انه رأى رفرفا اخضر من رفارف الجنة قد سد الأفق

عن ابن مسعود وقيل انه قد رأى ربه بقلبه عن ابن عباس فعلى هذا فيمكن أن يكون المراد انه رأى من الآيات ما ازداد به يقينا الى يقينه والكبرى تأنيث الأكبر وهو الذي يصغر مقدار غيره عنده في معنى صفته ولما قص الله سبحانه هذه الأقاصيص عقبها سبحانه بأن خاطب المشركين فقال (افرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) اي اخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله وتعبدون معها الملائكة وتزعمون ان الملائكة بنات الله وقيل معناه افرأيتم ايها الزاعمون ان اللات والعزى ومناة بنات الله لأنه كان منهم من يقول إنما نعبد هؤلاء لأنهم بنات الله عن الجبائي وقيل انهم زعموا ان الملائكة بنات الله وصوروا اصنامهم على صورهم وعبدوها من دون الله واشتقوا لها اسماء من اسماء الله فقالوا اللات من الله والعزى من العزيز وكان الكسائي يختار الوقف على اللات بالتاء لإتباع المصحف لأنها كتبت بالتاء والعزى تأنيث الأعز وهي بمعنى العزيزة وقيل ان اللات صنم كانت ثقيف تعبده والعزى صنم ايضا عن الحسن وقتادة وقيل انها كانت شجرة سمرة عظيمة لغطفان يعبدونها فبعث اليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خالد بن الوليد فقطعها وقال

يا عز كفرانك لا سبحانك اني رأيت الله قد اهانك

عن مجاهد وقال قتادة كانت مناة صنما بقديد بين مكة والمدينة وقال الضحاك والكلبي كانت لهذيل وخزاعة يعبدها أهل مكة وقيل ان اللات والعزى ومناة اصنام من حجارة كانت في الكعبة يعبدونها والثالثة نعت لمناة والاخرى نعت لها ايضا ومعنى الآية اخبروني عن هذه الاصنام هل ضرت او نفعت اوفعلت مايوجب ان تعدل بالله فحذف لدلالة الكلام عليه

قوله تعالى (٢١) أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَى (٢٢) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٣) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَى (٢٤) أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى (٢٥) فَلِلَّهِ ٱلْآخِرَةُ وَٱلْأُولَى (٢٦) وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى (٢٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَى (٢٨) وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا (٢٩) فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّى عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَاةَ ٱلدُّنْيَا (٣٠) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَى عشر آيات

القراءة

قرأ ابن كثير غير ابن فليح ضئزى بالهمز والباقون بغير همز

الحجة

قال ابو علي قوله تلك اذا قسمة ضيزى اي ما نسبتموه الى الله سبحانه من اتخاذ البنات قسمة جائرة وقولهم قسمة ضيزى ومشية حيكى حمله النحويون على انه في الأصل فعلى بالضم وان كان اللفظ على فعلى كما ان البيوت والعصى في الأصل فعول وان كانت الفاء مكسورة وإنما حملوها على انها فعلى لأنهم لم يجدوا شيئا

من الصفات على فعلى كما وجدوا الفعلى والفعلي وقال ابو عبيدة ضزته حقه وضزته اضوزه اي نقصته ومنعته فمن جعل العين منه واوا فالقياس ان يقول ضوزى وقد حكي ذلك فأما من جعله ياء من قولك ضزته فكان القياس ايضا ان يقول ضوزى ولا يحتفل بانقلاب الياء إلى الواو لأن ذلك انما ذكره في بيض وعين جمع بيضاء وعيناء اقربه من الطرف وقد بعد من الطرف هاهنا بحرف التأنيث وليست هذه العلامة في تقدير الانفصال كالتاء فكان القياس ان لا يحفل بانقلابها إلى الواو

المعنى

ثم قال سبحانه منكرا على كفار قريش قولهم الملائكة بنات الله والأصنام كذلك (ألكم الذكر وله الأنثى) اي كيف يكون ذلك كذلك وانتم لو خيرتم لاخترتم الذكر على الأنثى فكيف اضفتم اليه تعالى ما لا ترضونه لأنفسكم (تلك إذا قسمة ضيزى) اي جائرة غير معتدلة بمعنى ان القسمة التي قسمتم من نسبة الاناث إلى الله تعالى وايثاركم بالبنين قسمة غير عادلة (ان هي إلا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم) اي ليس تسميتكم لهذه الأصنام بأنها آلهة وانها بنات الله إلا أسامي لا معاني تحتها لأنه لا ضر عندها ولا نفع فهي تسميات القيت على جمادات (ما أنزل الله بها من سلطان) أي لم ينزل الله كتابا لكم فيه حجة بما تقولونه عن مقاتل ثم رجع إلى الاخبار عنهم بعد المخاطبة فقال (إن يتبعون إلا الظن) الذي ليس بعلم (وما تهوى الأنفس) أي وما تميل اليه نفوسهم (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) أي البيان والرشاد بالكتاب والرسول عجب سبحانه من حالهم حيث لم يتركوا عبادتها مع وضوح البيان ثم انكر عليهم تمنيهم شفاعة الاوثان فقال لهم (أم للانسان) اي للكافر (ما تمنى) من شفاعة الاصنام (فلله الآخرة والأولى) فلا يملك فيهما أحد شيئا إلا بإذنه وقيل معناه بل للانسان ما تمنى من غير جزاء لا ليس الأمر كذلك لأن لله الآخرة والأولى يعطي منهما من يشاء ويمنع من يشاء وقيل معناه ليس للانسان ما تمنى من نعيم الدنيا والآخرة بل يفعله الله تعالى بحسب المصلحة ويعطي الآخرة للمؤمنين دون الكافرين عن الجبائي وهذا هو الوجه الأوجه لأنه أعم فيدخل تحته الجميع ثم أكد ذلك بقوله (وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا) جمع الكناية لأن المراد بقوله وكم من ملك الكثرة (إلا من بعد أن يأذن الله) لهم في الشفاعة (لمن يشاء ويرضى) لهم ان يشفعوا فيه أي من أهل الإيمان والتوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله عنه كما قال ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ثم ذم سبحانه مقالتهم فقال (ان الذين لا يؤمنون بالآخرة) أي لا يصدقون بالبعث والثواب والعقاب (ليسمون الملائكة تسمية الانثى) حين زعموا انهم بنات الله (وما لهم به) أي بذلك التسمية (من علم) أي ما يستيقنون انهم اناث وليسوا عالمين (ان يتبعون إلا الظن) الذي يجوز أن يخطئ ويصيب في قولهم ذلك (وان الظن لا يغني من الحق شيئا) الحق هنا معناه العلم أي الظن لا يغني عن العلم شيئا ولا يقوم مقام العلم ثم خاطب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (فأعرض) يا محمد (عن من تولى عن ذكرنا) ولم يقر بتوحيدنا (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) فمال إلى الدنيا ومنافعها أي لا تقابلهم على افعالهم واحتملهم ولا تدع مع هذا وعظهم ودعاءهم إلى الحق (ذلك مبلغهم من العلم) اي الاعراض عن التدبر في أمور الآخرة وصرف الهمة إلى التمتع باللذات العاجلة منتهى علمهم وهو مبلغ خسيس لا يرضى به لنفسه عاقل لأنه من طباع البهائم ان يأكل في الحال ولا ينتظر العواقب وفي الدعاء اللهم

لا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا (ان ربك) يا محمد (هو أعلم) منك ومن جميع الخلق (بمن ضل عن سبيله) اي بمن جار وعدل عن سبيل الحق الذي هو سبيله (وهو أعلم بمن اهتدى) اليها فيجازي كلا منهم على حسب أعمالهم

قوله تعالى (٣١) وَلِلَّهِ ما فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا بِٱلْحُسْنَى (٣٢) ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَاحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَى (٣٣) أَفَرَأَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّى (٣٤) وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى (٣٥) أَعِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى (٣٦) أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٧) وَإِبْرَاهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّى (٣٨) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (٣٩) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (٤٠) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (٤١) ثُمَّ يُجْزَيهُ ٱلْجَزَاءَ ٱلْأَوْفَى احدى عشرة آية

اللغة

قال الفراء اللمم ان يفعل الإنسان الشيء في الحين ولا يكون له عادة ومنه المام الخيال والالمام الزيادة التي لا تمتد و كذلك اللمام قال امية

ان تغفر اللهم تغفر جما ... واي عبد لك لا الما

وقد روي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ينشدهما ويقولها اي لم يلم بمعصيته وقال أعشى باهلة

تكفيه حزة فلذ ان ألم بها ... من الشواء ويروي شربه الغمر

اجنة جمع جنين قال رؤبة « اجنة في مستكنات الحلق » وقال عمرو بن كلثوم

ولا شمطاء لم يترك شقاها ... لها من تسعة إلا جنينا

اي د فينا في قبره وا كدى أي قطع العطاء كما تقطع البئر الماء واشتقاقه من كدية الركية وهي صلابة تمنع الماء إذا بلغ الحافر اليها يئس من الماء فيقال اكدى إذا بلغ الكدية ويقال كديت أصابعه إذا كلت فلم تعمل شيئا و كديت أظفاره إذا غلظت و كدى النبت إذا قل ريعه والاصل واحد فيها

الاعراب

إلا اللمم منصوبة على الاستثناء من الاثم والفواحش لأن اللمم دونها الا انه منها . إذ أنشأكم العامل في إذ قوله اعلم بكم في بطون امهاتكم يجوز ان يتعلق بنفس اجنة وتقديره إذ انتم مستترون في بطون امهاتكم ويجوز ان يتعلق بمحذوف فيكون صفة لأجنة وقوله الا تزر وازرة وزر أخرى تقديره انه لا تزرو هو في موضع جر بدلا من قوله ما في صحف موسى وما اسم موصول

النزول

نزلت الآيات السبع أفرأيت الذي تولى في عثمان بن عفان كان يتصدق و ينفق ماله فقال اخوه من

الرضاعة عبد الله بن سعد بن ابي سرح ما هذا الذي تصنع يوشك ان لا يبقى لك شيء فقال عثمان ان لي ذنوبا وإني أطلب بما اصنع رضى الله وارجو عفوه فقال له عبد الله اعطني ناقتك برحلها وأنا اتحمل عنك ذنوبك كلها فأعطاه واشهد عليه وامسك عن الصدقة فنزلت أفرأيت الذي تولى اي يوم احد حين ترك المركز واعطى قليلا ثم قطع نفقته إلى قوله وان سعيه سوف يرى فعاد عثمان إلى ما كان عليه عن ابن عباس والسدي والكلبي وجماعة من المفسرين وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله ﷺ على دينه فعيره بعض المشركين وقالوا تركت دين الأشياخ وضللتهم وزعمت انهم في النار قال اني خشيت عذاب الله فضمن له الذي عاتبه ان هو اعطاه شيئا من ماله ورجع إلى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل فأعطى الذي عاتبه بعض ما كان ضمن له ثم بخل ومنعه تمام ما ضمن له فنزلت أفرأيت الذي تولى عن الايمان واعطى صاحبه الضامن قليلا واكدى اي بخل بالباقي عن مجاهد وابن زيد وقيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك انه ربما كان يوافق رسول الله ﷺ في بعض الأمور عن السدي وقيل نزلت في رجل قال لأهله جهزوني حتى انطلق إلى هذا الرجل يريد النبي ﷺ فتجهز وخرج فلقيه رجل من الكفار فقال له اين تريد فقال محمداً لعلي اصيب من خيره قال له الرجل اعطني جهازك واحمل عنك اثمك عن عطاء بن يسار وقيل نزلت في ابي جهل وذلك انه قال والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق فذلك قوله اعطى قليلا واكدى اي لم يؤمن به عن محمد بن كعب القرظي

❊ المعنى ❊

ثم اخبر سبحانه عن كمال قدرته وسعة ملكه فقال (ولله ما في السموات وما في الأرض) وهذا اعتراض بين الآية الاولى وبين قوله (ليجزي الذين أساؤا بما عملوا) واللام في ليجزي تتعلق بمعنى الآية الأولى لأنه إذا كان أعلم بهم جازى كلا منهم بما يستحقه وذلك لام العاقبة وذلك ان علمه بالفريقين أدى إلى جزائهم باستحقاقهم وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير الملك ولذلك اخبر به في قوله ولله ما في السموات وما في الأرض ليجزي في الآخرة الذين أساؤا اي اشركوا بما عملوا من الشرك (ويجزي الذين احسنوا) اي وحدوا ربهم (بالحسنى) اي بالجنة وقيل ان اللام في ليجزي يتعلق بما في قوله ولله ما في السموات وما في الارض لأن المعنى في ذلك انه خلقهم ليتعبدهم فمنهم المحسن ومنهم المسيء وانما كلفهم ليجزي كلا منهم بعلمه وعمله فتكون اللام للغرض ثم وصف سبحانه الذين احسنوا فقال (الذين يجتنبون كبائر الاثم) اي عظائم الذنوب (والفواحش) جمع فاحشة وهي اقبح الذنوب وافحشها وقد بينا اختلاف الناس في الكبائر في سورة النساء وقد قيل ان الكبيرة كل ذنب ختم بالنار والفاحشة كل ذنب فيه الحد ومن قرأ كبير الاثم فلأنه يضاف إلى واحد في اللفظ وإن كان يراد به الكثرة (الا اللمم) اختلف في معناه فقيل هو صغار الذنوب كالنظر والقبلة وما كان دون الزنا عن ابن مسعود وابي هريرة والشعبي وقيل هو ما الموا به في الجاهلية من الاثم فهو معفو عنه في الإسلام عن زيد بن ثابت وعلى هذا فيكون الاستثناء منقطعا وقيل هو ان يلم بالذنب مرة ثم يتوب ولا يعود عن الحسن والسدي وهو اختيار الزجاج لأنه قال اللمم هو ان يكون الإنسان قد الم بالمعصية ولم يقم على ذلك ويدل على ذلك قوله (ان ربك واسع المغفرة) قال ابن عباس لمن فعل ذلك وتاب ومعناه ان رحمته تسع جميع الذنوب لا تضيق عنه وتم الكلام هنا ثم

قال(هو اعلم بكم) يعني قبل ان خلقكم (إذ أنشأكم من الأرض) اي انشأ اباكم آدم من اديم الأرض وقال البلخي يجوز ان يكون المراد به جميع الخلق اي خلقكم من الأرض عند تناول الأغذية المخصوصة التي خلقها من الأرض واجرى العادة بخلق الاشياء عند ضرب من تركيبها وكأنه سبحانه انشأهم منها(وإذ انتم اجنة في بطون امهاتكم) اي في وقت كونكم اجنة في الأرحام اي علم من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة عن الحسن وقيل معناه انه سبحانه علم ضعفكم وميل طباعكم إلى اللمم وعلم حين كنتم في الأرحام ما تفعلون وإذا خرجتم وإذا علم ذلك منكم قبل وجوده فكيف لا يعلم ما حصل منكم (فلا تزكوا انفسكم) اي لا تعظموها ولا تمدحوها بما ليس لها فاني اعلم بها وقيل معناه لا تزكوها بما فيها من الخير ليكون اقرب إلى النسك والخشوع وابعد من الرياء (هو اعلم بمن اتقى) اي اتقى الشرك والكبائر وقيل هو اعلم بمن بر واطاع واخلص العمل (أفرأيت الذي تولى) اي ادبر عن الحق (واعطى قليلا واكدى) اي امسك عن العطية وقطع عن الفراء وقيل منع منعا شديدا عن المبرد (اعنده علم الغيب) اي ما غاب عنه من امر العذاب (فهو يرى) اي يعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه (ام لم ينبأ بما في صحف موسى) اي بل لم يخبر ولم يحدث بما في اسفار التوراة (وابراهيم) اي وفي صحف ابراهيم (الذي وفى) اي تمم واكمل ما امر به وقيل بلغ قومه وادى ما امر به اليهم وقيل اكمل ما اوجب الله عليه من كل ما امر وامتحن به ثم بين ما في صحفها فقال (الا تزر وازرة وزر اخرى) اي لا تحمل نفس حاملة حمل اخرى والمعنى لا تؤخذ نفس بإثم غيرها (وان ليس للانسان إلا ما سعى) عطف على قوله الا تزر وهذا ايضا مافي صحف ابراهيم وموسى اي ليس له من الجزاء الا جزاء ما عمله دون ما عمله غيره ومتى دعا غيره إلى الإيمان فأجابه اليه فهو محمود على ذلك على طريق التبع وكأنه من اجل عمله صار له الحمد على هذا ولو لم يعمل شيئا لما استحق جزاء لا ثوابا ولا عقابا عن ابن عباس في رواية الوالبي قال ان هذا منسوخ الحكم في شريعتنا لأنه سبحانه يقول الحقنا بهم ذرياتهم رفع درجة الذرية وان لم يستحقوها بأعمالهم ونحو هذا قال عكرمة ان ذلك لقوم ابراهيم وموسى فأما هذه الأمة فلهم ما سعى غيرهم نيابة عنهم ومن قال انه غير منسوخ الحكم قال الآية تدل على منع النيابة في الطاعات إلا ما قام عليه الدليل كالحج وهو ان امرأة قالت يا رسول الله ان ابي لم يحج قال فحجي عنه (وان سعيه سوف يرى) يعني ان ما يفعله الإنسان ويسعى فيه لا بد ان يرى فيما بعد بمعنى انه يجازى عليه وبين ذلك بقوله (ثم يجزاه الجزاء الأوفى) اي يجازى على الطاعات بأوفى ما يستحقه من الثواب الدائم والهاء في يجزاه عائدة إلى السعي والمعنى انه يرى العبد سعيه يوم القيامة ثم يجزى سعيه اوفى الجزاء

قوله تعالى (٤٢) وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٤) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٥) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٤٦) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (٤٧) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (٤٨) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (٤٩) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى (٥٠) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (٥١) وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَى (٥٢) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (٥٣) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (٥٤) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (٥٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ

تَتَمَارَى (٥٦) هَٰذَا نَذِيرٌ مِنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰ (٥٧) أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ (٥٨) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٩) أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٦٠) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦١) وَأَنتُمْ سَامِدُونَ (٦٢) فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا احدى وعشرون آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة والبصرة غير سهل عادا لولى مدغمة غير منونة ولا مهموزة إلا في رواية قالون عن نافع فانه روي عنه عادا لؤلى مهموزة ساكنة وقرأ الباقون عادا الاولى منونة مهموزة غير مدغمة وقرأ عاصم وحمزة ويعقوب وثمود فما ابقى بغير تنوين والباقون وثمودا بالتنوين

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي قال ابو عثمان أساء عندي ابو عمرو في قراءته لأنه أدغم النون في لام المعرفة واللام انما تحركت بحركة الهمزة وليست بحركة لازمة والدليل على ذلك انك تقول الحمر فإذا طرحت حركة الهمزة على اللام لم يحذف الف الوصل لأنها ليست بحركة لازمة قال ابو عثمان ولكن كان ابو الحسن روي عن بعض العرب انه كان يقول هذا لحمر قد جاء فيحذف الف الوصل لحركة اللام وقال ابو علي القول في عادا الاولى ان من حقق الهمزة في الأولى سكن لام المعرفة وإذا سكنت لام المعرفة والتنوين من قولك عاداً المنصوب ساكن التقى ساكنان النون في عادا ولام المعرفة فحركت التنوين بالكسر لالتقاء الساكنين وهذا وجه قول من لم يدغم وقياس قول من قال أحد الله فحذف التنوين لالتقاء الساكنين ان يحذفه هنا ايضا كما حذفه في احد الله وكما حذفه في قوله ولا ذاكرا لله الا ان ذا لا يدخل في القراءة وان كان قياسا وجاء في الشعر كثيرا وجاء في بعض القراءة ويجوز في قول من خفف الهمزة من الاولى على قول من قال الحمر فلم يحذف الهمزة التي للوصل ان يحرك التنوين فيقول عادنِ الولى كما يقول في ذلك إذا حقق الهمزة لأن اللام على هذا في تقدير السكون فكما تكسر التنوين لالتقاء الساكنين كذا تكسره في هذا القول لأن التنوين في تقدير الالتقاء مع الساكن ومن حرك لام المعرفة وحذف همزة الوصل فقياسه ان يسكن النون من عادن فيقول عادن لولى لأن اللام ليس في تقدير السكون كما كان في الوجه الأول كذلك ألا ترى انه حذف همزة الوصل فإذا كان كذلك ترك النون على سكونها كما تتركه في نحو عاد ذاهب فأما قول ابي عمرو عاد لولى فانه لما خفف الهمزة التي هي منقلبة عن الفاء لاجتماع الواوين أولا القى حركتها على اللام الساكنة وقبل اللام نون ساكنة فأدغمها في اللام كما يدغمها في الراء في نحو من راشد وذلك بعد أن يقلبها لاما أو راءاً فإذا ادغمها فيها صار عادلولى وخرج عن الاساءة التي نسبها اليه ابو عثمان من وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون تخفيف الهمزة من قوله الاولى على قول من قال الحمر كأنه يقول في التخفيف للهمزة قبل الادغام لولى فخرجت اللام من حكم السكون بدلالة حذف همزة الوصل معه فحسن الادغام فيه ﴿ والوجه الآخر ﴾ ان يكون ادغم على قول من قال الولى الحمر فلم يحذف الهمزة التي للوصل مع القاء الحركة على لام المعرفة لأنه في تقدير السكون فلا يمتنع ان يدغم فيه كما لا يمتنع أن يدغم في نحو ردوفر وعض وان كانت لاماتهن سواكن وتحركها للادغام كما تحركت السواكن التي ذكرنا للادغام واما ما روي عن نافع من انه همز فقال

عاد اؤلى فانه كما روي عن ابن كثير من قوله على سوءقه فوجهه ان الضمة لقربها من الواو وانه لم يحجز بينهما شيء صارت كأنها عليها فهمزها كما تهمز الواوات إذا كانت مضمومة نحو ادؤر والغؤر وهذه لغة قد رويت وحكيت وان لم تكن بتلك الفاشية

﴿ اللغة ﴾

المنى التقدير يقال منى يمني فهو مان قال الشاعر « حتى تبين ما يمني لك الماني » ومنه المنية لأنها المقدرة والنشأة الصنعة المخترعة خلاف المشيئة واقنى من القنية وهي أصل المال وما يقتنى والاقتناء جعل الشيء للنفس على الدوام ومنه القناة لأنها ما تقتنى والشعرى النجم الذي خلف الجوزاء وهو احد كوكبي ذراع الاسد وقسم المرزم وكانوا يعبدونها في الجاهلية والمؤتفكة المنقلبة وهي التي صار اعلاها اسفلها واسفلها اعلاها ائتفكت بهم تأتفك ائتفاكا ومنه الافك الكذب لأنه قلب المعنى عن جهته واهوى اي انزل بها في الهواء ومنه اهوى بيده ليأخذ كذا وهوى يهوي نزل في الهوى فأما إذا نزل في سلم او درج فلا يقال أهوى ولا هوى وأزفت الآزفة أي دنت الدانية قال النابغة

ازف الترحل غير ان ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد

وقال كعب بن زهير

بان الشباب وأمسى الشيب قد ازفا ولا أرى لشباب ذاهب خلفا

والسمود اللهو والسامد اللاهي يقال سمد يسمد قال

رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا

فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا

﴿ المعنى ﴾

ثم عطف سبحانه على ماتقدم فقال (وان إلى ربك المنتهى) يعني وان إلى ثواب ربك وعقابه آخر الأمر والمنتهى والآخر واحد وهو المصير إلى حيث ينقطع العمل عنده (وانه هو اضحك وابكى) أي فعل سبب الضحك والبكاء من السرور والحزن كما يقال اضحكني فلان وابكاني عن عطاء والجبائي وقيل اضحك أهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار عن مجاهد والضحك والبكاء من فعل الإنسان قال الله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً وقال تعجبون وتضحكون فنسب الضحك اليهم وقال الحسن ان الله سبحانه هو الخالق للضحك والبكاء والضحك تفتح أسرار الوجه عن سرور وعجب في القلب فإذا هجم على الإنسان منه ما لا يمكنه دفعه فهو من فعل الله والبكاء جريان الدمع على الخد عن غم في القلب وربما كان عن فرح يمازجه تذكر حزن فكأنه عن رقة في القلب وقيل معنى الآية أضحك الاشجار بالانوار وابكى السحاب بالأمطار وقيل اضحك المطيع بالرحمة وابكى العاصي بالسخطة (وانه هو أمات وأحيا) اي خلق الموت فأمات به الأحياء لا يقدر على ذلك غيره لأنه لو قدر على الموت لقدر على الحياة فأن القادر على الشيء قادر على ضده ولا يقدر احد على الحياة إلا الله تعالى وخلق الحياة التي يحيا بها الحيوان فأمات الخلق في الدنيا واحياهم في العقبى للجزاء (وانه خلق الزوجين) أي الصنفين (الذكر والانثى) من كل حيوان (من نطفة إذا تمنى) أي إذا خرجت منها وتنصب في الرحم والنطفة ماء الرجل والمرأة التي يخلق منها الولد

عن عطاء والضحاك والجبائي وقيل تمنى اي تقدر وهو اصله فالمعنى تلقى على تقدير في رحم الانثى (وان عليه النشأة الأخرى) اي الخلق الثاني للبعث يوم القيامة يعني عليه ان يبعث الناس احياء للجزاء فان قيل ان لفظة على كلمة ايجاب فكيف يجب على الله سبحانه ذلك فالجواب انه سبحانه إذا كلف الخلق فقد ضمن الثواب فإذا فعل فيهم الآلام فقد ضمن العوض فإذا لم يعوض في الدنيا وخلى بين المظلوم والظالم فلا بدمن دار أخرى يقع فيها الجزاء والانصاف والانتصاف وقد وعد سبحانه بذلك فيجب الوفاء به (وانه هو اغنى واقنى) اي اغنى الناس بالأموال واعطاء القنية وأصول المال وما يدخرونه بعد الكفاية عن ابي صالح وقيل اقنى أي اخدم عن الحسن ومجاهد وقتادة وقيل اغنى موّل واقنى ارضى بما اعطى عن ابن عباس وقيل اغنى بالقناعة واقنى بالرضا عن سفيان وقيل اغنى بالكفاية واقنى بالزيادة وقيل اغنى من شاء واقنى اي افقر وحرم من شاء عن ابن زيد (وانه هو رب الشعرى) اي خالق الشعرى ومخترعها ومالكها اي فلا تتخذوا المربوب المملوك إلها وقيل ان خزاعة كانت تعبدها وأول من عبدها أبو كبشة أحد اجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل أمهاته وكان المشركون يسمونه صلى الله عليه وآله ابن ابي كبشة لمخالفته إياهم في الدين كما خالف ابو كبشة غيره في عبادة الشعرى (وانه اهلك عادا الاولى) وهو عاد بن ارم وهم قوم هود أهلكهم الله بريح صرصر عاتية وكان لهم عقب فكانوا عادا الاخرى قال ابن اسحاق اهلكوا ببغي بعضهم على بعض فتفانوا بالقتل (وثمود) أي واهلك ثمود (فما ابقى) ولا يجوز أن يكون منصوبا بأبقى لأن ما لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لا يقال زيدا ما ضربت لأنها تجري مجرى الاستفهام في ان لها صدر الكلام وانما فتحت ان في هذه المواضع كلها لأن جميعها في صحف ابراهيم وموسى فكأنه قال أم لم ينبأ بما في صحف موسى وابراهيم الذي وفى بأنه لا تزر وازرة وزر أخرى وبأنه كذا و كذا (وقوم نوح من قبل) أي وأهلكنا قوم نوح من قبل عاد وثمود (انهم كانوا هم أظلم وأطغى) من غيرهم لطول دعوة نوح وعتوهم على الله في الكفر والتكذيب (والمؤتفكة) يعني قرى قوم لوط المخسوفة (اهوى) أي اسقط اهواها جبرائيل بعد ان رفعها واتبعهم الله بالحجارة وذلك قوله (فغشيها ما غشى) أي البسها من العذاب ما البس يعني الحجارة المسومة التي رموا بها من السماء عن قتادة وابن زيد وقيل انه تفخيم لشأن العذاب الذي نالها من جهة ابهامه في قوله ما غشى فكأنه قال قد حل بهم من العذاب والتنكيل ما يجل عن البيان والتفصيل (فبأي آلاء ربك تتمارى) اي بأي نعم ربك ترتاب وتشك ايها الانسان فيما أولاك أو فيما كفاك عن قتادة وقيل لما عد الله سبحانه ما فعله مما يدل على وحدانيته قال فبأي نعم ربك التي تدل على وحدانيته تتشكك وانما ذكره بالنعم بعد تعديد النقم لأن النقم التي عددت هي نعم علينا لما لنا فيها من اللطف في الانزجار عن القبيح إذ نالهم تلك النقم بكفرانهم النعم (هذا نذير من النذر الأولى) أشار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قتادة والنذر الاولى الرسل قبله وقيل هو اشارة إلى القرآن والنذر الاولى صحف ابراهيم وموسى عن ابي مالك وقيل معناه هذه الأخبار التي اخبر بها عن اهلاك الأمم الاولى نذير لكم عن الجبائي (ازفت الآزفة) اي دنت القيامة واقتربت الساعة وانما سميت القيامة ازفة اي دانية لأن كل ما هو آت قريب (ليس لها من دون الله كاشفة) اي إذا غشيت الخلق شدائدها واهوالها لم يكشف عنهم احد ولم يردها عن عطاء والضحاك وقتادة وتأنيث كاشفة على تقدير نفس كاشفة أو جماعة كاشفة ويجوز ان يكون مصدراً كالعافية والعاقبة والواقية والخائنة فيكون المعنى ليس لها من دون

الله كشف اي لا يكشف عنها غيره ولا يظهرها سواه كقوله لا يجليها لوقتها إلا هو (افمن هذا الحديث) يعني بالحديث ما قدم من الاخبار عن الصادق «ع» وقيل معناه افمن هذا القرآن ونزوله من عند الله على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وكونه معجزا (تعجبون) ايها المشركون (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) انزجارا لما فيه من الوعيد (وانتم سامدون) اي غافلون لاهون معرضون عن ابن عباس ومجاهد وقيل هو الغناء كانوا إذا سمعوا القرآن عارضوه بالغناء ليشغلوا الناس عن استماعه عن عكرمة (فاسجدوا لله واعبدوا) أمرهم سبحانه بالسجود له والعبادة خالصا مخلصا وفي الآية دلالة على ان السجود هاهنا واجب على ما ذهب اليه اصحابنا لأن ظاهر الامر يقتضي الوجوب

سورة القمر (مكية)

وهي خمس وخمسون آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال ومن قرأ سورة اقتربت الساعة في كل غب بعث يوم القيامة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر ومن قرأها كل ليلة كان أفضل وجاء يوم القيامة ووجهه مسفر على وجوه الخلائق وروى يزيد بن خليفة عن ابي عبد الله «ع» قال من قرأ سورة اقتربت الساعة اخرجه الله من قبره على ناقة من نوق الجنة

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر ازوف الآزفة وافتتح هذه السورة بمثله فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (٢) وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (٣) وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ (٤) وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٥) حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ (٦) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُكُرٍ (٧) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (٨) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٩) كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ (١٠) فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ

عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وكل امر مستقر بالجر والباقون بالرفع وقرأ ابن كثير ونافع يوم يدع الداع بغير ياء ومهطعين إلى الداع بياء في الوصل وروي عن ورش يوم يدع الداعي بياء في الوصل وقرأهما أبو جعفر وأبو عمرو باثبات الياء في الوصل والباقون بغير ياء في وصل ولا وقف وقد تقدم القول في هذا النحو وقرأ ابن كثير إلى شيء نكر بالتخفيف والباقون نكر بضمتين وقرأ أهل العراق غير عاصم خاشعا ابصارهم والباقون

خشّعا وفي الشواذ قراءة حذيفة وقد انشق القمر وقراءة مجاهد والجحدري وابي قلابة الى شيءٍ نكر

﴿ الحجة ﴾

من قرأ مستقر بالجر جعله صفة لأمر ومن قرأ بالرفع جعله خبراً لكل امر واما قراءة نكر فإنه على فُعُل وهو احد الحروف التي جاءت صفة على هذه الزنة ومثله ناقة أُجد ومشية وسجُحٌ صفة قال

دعوا التحاجز وامشوا مشية سجحا ان الرجال ذوو غضب وتذكير

ومن قرأ نكر خففه مثل رسل وكتب والضمة في تقدير الثبات ومن قرأ خاشعا ابصارهم فإنه كما لم يلحق علامة التأنيث لم يجمع وحسن أن لا يؤنث لأن التأنيث ليس بحقيقي ومن قال خشعا فقد اثبت ما يدل على الجمع وهو على لفظ الافراد ودل لفظ الجمع على لفظ ما يدل عليه التأنيث الذي ثبت في نحو قوله في الآية الأخرى خاشعة ابصارهم وخشعت الاصوات للرحمن قال الزجاج ولك في اسماء الفاعلين اذا تقدمت على الجماعة التوحيد نحو قوله خاشعا ابصارهم ولك التوحيد والتأنيث نحو خاشعة ابصارهم ولك الجمع نحو خشعا ابصارهم تقول مررت بشباب حسن اوجههم وحسان وجوههم وحسنة اوجههم قال

وشباب حسن اوجههم من اياد بن نزار بن معد

قال ابن جني قراءة حذيفة وقد انشق القمر يجري مجرى الموافقة على اسقاط العذر ورفع التشكك اي قد كان انشقاق القمر متوقعا دلالة على قرب الساعة فإذا كان قد انشق وانشقاقه من اشراطها وقد توكد الأمر في قرب وقوعها وذلك ان قد إنما هو جواب وقوع أمر كان متوقعا

﴿ اللغة ﴾

في اقتربت زيادة مبالغة على قرب كما ان في اقتدر زيادة مبالغة على قدر لأن اصل افتعل اعداد المعنى بالمبالغة نحو اشتوى اذا اتخذ شواء بالمبالغة في اعداده والاهواء جمع الهواء وهو رقة القلب بميل الطباع كرقة هواء الجو يقال هوي يهوى هوىً فهو هوٍ اذا مال طبعه الى الشيء والمزدجر المتعظ مفتعل من الزجر الا أن التاء ابدلت ذالا ليوافق الزاي بالجهر ويقال انكرت الشيء فهو منكر ونكرته فهو منكور وقد جمع الأعشى بين اللغتين فقال

وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا

والنكر والمنكر الشيء الذي تأباه النفس ولا تقبله من جهة نفور الطبع عنه واصله من الانكار الذي هو نقيض الإقرار والاجداث القبور جمع جدث والجدف بالفاء لغة فيه والاهطاع الاسراع في المشي

﴿ الإعراب ﴾

فما تغن النذر يجوز أن يكون ما للجحد فيكون حرفا ويجوز ان يكون استفهاما فيكون اسما والتقدير في الأول فلا تغني النذر وفي الثاني فأي شيء تغني النذر قال الزجاج قوله فتولَّ عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكر وقف التمام فتول عنهم ويوم منصوب بقوله يخرجون من الاجداث واما حذف الواو من يدعو في الكتاب فلأنها تحذف في اللفظ لالتقاء الساكنين فأجريت في الكتاب على ما يلفظ بها واما الداعي فإثبات الياء فيه اجود ويجوز حذفها لأن الكسرة تدل عليها وقوله خشعا ابصارهم منصوب على الحال من الواو في يخرجون وفيه تقديم وتأخير تقديره يخرجون خشعا ابصارهم من الاجداث وان شئت كان حالا من الضمير المجرور في قوله فتول عنهم ومهطعين أيضاً منصوب على الحال واني مغلوب تقديره دعا ربه بأني مغلوب

وقرأ عيسى بن عمر إني بالكسر على ارادة القول اي فدعا ربه قال اني مغلوب ومثله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا التقدير قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا

المعنى

(اقتربت الساعة) اي قربت الساعة التي تموت فيها الخلائق وتكون القيامة والمراد فاستعدوا لها قبل هجومها (وانشق القمر) قال ابن عباس اجتمع المشركون الى رسول الله ﷺ فقالوا ان كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين فقال لهم رسول الله ﷺ ان فعلت تؤمنون قالوا نعم وكانت ليلة بدر فسأل رسول الله ﷺ ربه أن يعطيه ما قالوا فانشق القمر فرقتين ورسول الله ينادي يا فلان يا فلان اشهدوا وقال ابن مسعود انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال لنا رسول الله ﷺ اشهدوا اشهدوا وروي ايضا عن ابن مسعود انه قال والذي نفسي بيده لقد رأيت حراء بين فلقي القمر وعن جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ حتى صار فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقال ناس سحرنا محمد فقال رجل ان كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم وقد روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة منهم عبد الله بن مسعود وانس بن مالك وحذيفة بن اليمان وابن عمر وابن عباس وجبير بن مطعم وعبد الله بن عمر وعليه جماعة المفسرين الا ما روي عن عثمان بن عطاء عن ابيه انه قال معناه وسينشق القمر وروي ذلك عن الحسن وانكره ايضا البلخي وهذا لا يصح لأن المسلمين اجمعوا على ذلك فلا يعتد بخلاف من خالف فيه ولأن اشتهاره بين الصحابة يمنع من القول بخلافه ومن طعن في ذلك بأنه لو وقع انشقاق القمر في عهد رسول الله ﷺ لما كان يخفى على احد من أهل الاقطار فقول باطل لأنه يجوز أن يكون الله تعالى قد حجبه عن اكثرهم بغيم وما يجري مجراه ولأنه قد وقع ذلك ليلا فيجوز أن يكون الناس كانوا نياما فلم يعلموا بذلك على ان الناس ليس كلهم يتأملون ما يحدث في السماء وفي الجو من آية وعلامة فيكون مثل انقضاض الكواكب وغيره مما يغفل الناس عنه وإنما ذكر سبحانه اقتراب الساعة مع انشقاق القمر لأن انشقاقه من علامة نبوة نبينا ﷺ ونبوته وزمانه من اشراط اقتراب الساعة (وان يروا آية يعرضوا) هذا اخبار من الله تعالى عن عناد كفار قريش وانهم اذا رأوا آية معجزة اعرضوا عن تأملها والانقياد لصحتها عنادا وحسدا (او يقولوا سحر مستمر) أي قوي شديد يعلو كل سحر عن الضحاك وابي العالية وقتادة وهو من امرار الحبل وهو شدة فتله واستمر الشيء اذا قوي واستحكم وقيل معناه سحر ذاهب مضمحل لا يبقى عن مجاهد وهو من المرور وقال المفسرون لما انشق القمر قال مشركو قريش سحرنا محمد فقال الله سبحانه وان يروا آية يعرضوا عن التصديق والايمان بها قال الزجاج وفي هذا دلالة على ان ذلك قد كان ووقع واقول ولأنه تعالى قد بين انه يكون آية على وجه الأعجاز وإنما يحتاج الى الآية المعجزة في الدنيا ليستدل الناس بها على صحة النبوة ويعرف صدق الصادق لا في حال انقطاع التكليف والوقت الذي يكون الناس فيه ملجئين الى المعرفة ولأنه سبحانه قال ويقولوا سحر مستمر وفي وقت الالجاء لا يقولون المعجز انه سحر (وكذبوا) اي بالآية التي شاهدوها (واتبعوا اهواءهم) في التكذيب وما زين لهم الشيطان من الباطل الذي هم عليه (وكل امر مستقر) فالخير يستقر بأهل الخير والشر يستقر بأهل الشر عن قتادة والمعنى ان كل امر خير وشر مستقر ثابت حتى يجازى به صاحبه اما في الجنة او في النار وقيل

معناه لكل امر حقيقة ما كان منه في الدنيا فستظهر وما كان منه في الآخرة فستعرف عن الكلبي (ولقد جاءهم) اي ولقد جاء هؤلاء الكفار (من الانباء) يعني الاخبار العظيمة في القرآن بكفر من تقدم من الأمم واهلاكنا اياهم (ما فيه مزدجر) اي متعظ وهو بمعنى المصدر اي وازدجار عن الكفر وتكذيب الرسل (حكمة بالغة) يعني القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية والنهاية (فما تغن النذر) اي اي شيء تنفع النذر مع تكذيب هؤلاء واعراضهم وهو جمع النذير وقيل معناه فلا تغني النذر شيئا اي ان الأنبياء الذين بعثوا اليهم لا يغنون عنهم شيئا من عذاب الله الذي استحقوه بكفرهم لأنهم خالفوهم ولم يقبلوا منهم عن الجبائي وقيل النذر هي الزواجر المخوفة وآيات الوعيد ثم امره سبحانه بالإعراض عنهم فقال (فتول عنهم) اي اعرض عنهم ولا تقابلهم على سفههم وهاهنا وقف تام (يوم يدع الداع الى شيء نكر) اي منكر غير معتاد ولا معروف بل امر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما واختلف في الداعي فقيل هو اسرافيل يدعو الناس الى الحشر قائما على صخرة بيت المقدس عن مقاتل وقيل بل الداعي يدعوهم الى النار ويوم ظرف ليخرجون اي في هذا اليوم يخرجون من الاجداث ويجوز ان يكون التقدير في هذا اليوم يقول الكافرون وقوله (خشعا ابصارهم) يعني خاشعة ابصارهم اي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب وإنما وصف الابصار بالخشوع لأن ذلة الذليل اوعزة العزيز تتبين في نظره وتظهر في عينه (يخرجون من الاجداث) اي من القبور (كأنهم جراد منتشر) والمعنى انهم يخرجون فزعين يدخل بعضهم في بعض ويختلط بعضهم ببعض لاجهة لأحد منهم فيقصدها كما ان الجراد لا جهة لها فتكون ابدا متفرقة في كل جهة قال الحسن الجراد يتلبد حتى اذا طلعت عليها الشمس انتشرت فالمعنى انهم يكونون ساكنين في قبورهم فإذا دعوا خرجوا وانتشروا وقيل انما شبههم بالجراد لكثرتهم وفي هذه الآية دلالة على ان البعث انما يكون لهذه البنية لأنها الكائنة في الأجداث خلافا لمن زعم ان البعث يكون للارواح (مهطعين إلى الداع) أي مقبلين إلى الصوت الداعي عن قتادة وقيل مسرعين إلى اجابة الداعي عن ابي عبيدة وقيل ناظرين قبل الداعي قائلين هذا يوم عسر عن الفراء وابي علي الجبائي وهو قوله (يقول الكافرون هذا يوم عسر) أي صعب شديد وقد قيل ايضا في قوله فتول عنهم يوم يدع الداع إلى شيء نكر أقوال اخر ❋ أحدها ❋ ان المعنى فأعرض عنهم إذا تعرضوا لشفاعتك يوم يدع الداعي وهو يوم القيامة فلا تشفع لهم ذلك اليوم كما لم يقبلوا منك اليوم ❋ وثانيها ❋ ان معناه فتول عنهم فانهم يرون ما ينزل بهم من العذاب يوم يدع الداعي وهو يوم القيامة فحذف الفاء من جواب الأمر ❋ وثالثها ❋ ان معناه فتول عنهم فانهم يوم يدعو الداعي صفتهم كذا وكذا وهي ما بينه إلى قوله يوم عسر ❋ ورابعها ❋ فتول عنهم واذكر يوم يدع الداع الي آخره عن الحسن (كذبت قبلهم) اي قبل كفار مكة (قوم نوح فكذبوا عبدنا) نوحا كما كذبك يا محمد هؤلاء الكفار وجحدوا نبوتك (وقالوا مجنون) اي هو مجنون قد غطي على عقله (وازدجر) اي زجر بالشتم والرمي بالقبيح عن ابن زيد وقيل معناه زجر بالوعيد وتوعد بالقتل فهو مثل قوله لئن لم تنته يانوح لتكونن من المرجومين (فدعا ربه اني مغلوب فانتصر) اي فقال يا رب قد غلبني هؤلاء الكفار بالقهر لا بالحجة فانتصر اي فانتقم لي منهم بالإهلاك والدمار نصرة لدينك ونبيك وفي هذا دلالة على وجوب الانقطاع الى الله تعالى عند سماع الكلام القبيح من أهل الباطل

قوله تعالى (١١) فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١٢) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٣) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٤) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (١٥) وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٦) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٧) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (١٨) كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٩) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ (٢٠) تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ (٢١) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ احدى عشرة آية

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن عامر ويعقوب ففتحنا بالتشديد والباقون بالتخفيف

الحجة

وجه التخفيف ان فعلنا بالتخفيف يدل على القليل والكثير ووجه التثقيل انه يخص الكثير ويقويه قوله مفتحة لهم الابواب

اللغة

الهمر صب الدمع والماء بشدة والانهمار الانصباب قال امرؤ القيس

راح تمريه الصبا ثم انتحى فيه شؤبوب جنوب منهمر

والتفجير تشقيق الأرض عن الماء والعيون جمع عين الماء وهو ما يفور من الارض مستديرا كاستدارة عين الحيوان فالعين مشتركة بين عين الحيوان وعين الماء وعين الذهب وعين السحاب وعين الركبة والدسر المسامير التي تشد بها السفينة واحدها دسار ودسير ودسرت السفينة ادسرها دسرا اذا شددتها وقيل ان أصل الباب الدفع يقال دسره بالرمح اذا دفعه بشدة والدسر صدر السفينة لانه يدسر به الماء اي يدفع ومنه الحديث في العنبر هو شيء دسره البحر ومدكر اصله مذتكر فقلبت التاء دالا لتواخي الذال بالجهر ثم ادغمت الدال فيها والنذر اسم من الانذار يقوم مقام المصدر يقال انذره نذرا بمعنى انذار ومثله انزله نزلا بمعنى انزالا ويجوز ان يكون جمع نذير والصرصر الريح الشديدة الهبوب حتى يسمع صوتها وهو مضاعف صر يقال صر وصرصر وكب وكبكب ونه ونهنه والمستمر الجاري على طريقة واحدة واعجاز النخل سافله والنخل يذكر ويؤنث والمنقعر المنقلع عن اصله لأن قعر الشيء قراره وتقعر في كلامه تقعراً اذا تعمق

الاعراب

عيونا نصب على التمييز او الحال والأصل وفجرنا عيون الارض والمعنى وفجرنا جميع الارض عيونا ويجوز أن يكون تقديره بعيون فحذف الجار ويجوز ان يكون التقدير وفجرنا من الارض عيونا وقوله على امر في موضع نصب على الحال وقوله بأعيننا في موضع نصب بأنه ظرف مكان جزاء منصوب بانه مفعول له ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال والمعنى فعلنا ذلك مجازين جزاء وآية منصوبة على الحال من الهاء في تركناها

✻ المعنى ✻

ثم بين سبحانه اجابته لدعاء نوح (ع) فقال (ففتحنا ابواب السماء) هاهنا حذف معناه فاستجبنا لنوح دعاءه ففتحنا ابواب السماء اي اجرينا الماء من السماء كجريانه اذا فتح عنه باب كان مانعاً له وذلك من صنع الله الذي لا يقدر عليه سواه وجاز ذلك على طريق البلاغة (بماء منهمر) اي منصب انصبابا شديدا لا ينقطع (وفجرنا الارض عيونا) اي شققنا الارض بالماء عيونا حتى جرى الماء على وجه الارض (فالتقى الماء) يعني فالتقى الماءان ماء السماء وماء الارض وإنما لم يثن لأنه اسم جنس يقع على القليل والكثير (على امر قد قدر) فيه هلاك القوم اي على امر قد قدره الله تعالى وهو هلاكهم وقيل على امر قدره الله تعالى وعرف مقداره فلا زيادة فيه ولا نقصان وقيل معناه انه كان قدر ماء السماء مثل ما قدر ماء الارض عن مقاتل وقيل معناه على امر قدر عليهم في اللوح المحفوظ (وحملناه على ذات الواح) اي وحملنا نوحا على سفينة ذات الواح مركبة بعضها الى بعض والواحها خشباتها التي منها جمعت (ودسر) اي مسامير شدت بها السفينة عن ابن عباس وقتادة وابن زيد وقيل هو صدر السفينة يدسر بها الماء عن الحسن وجماعة وقيل هي اضلاع السفينة عن مجاهد وقيل الدسر طرفاها واصلها والألواح جانباها عن الضحاك (تجري) السفينة في الماء (بأعيننا) اي بحفظنا وحراستنا وبمرأى منا ومنه قولهم عين الله عليك وقيل معناه بأعين اوليائنا ومن وكلناهم بها من الملائكة وقيل معناه تجري بأعين الماء التي انبعناها (جزاء لمن كان كفر) اي فعلنابه وبهم ما فعلنا من انجائه واغراقهم ثوابا لمن كان قد كفر به وجحد امره وهو نوح (ع) والتقدير لمن جحد نبوته وانكر حقه وكفر بالله فيه (ولقد تركناها) اي تركنا هذه الفعلة التي فعلناها (آية) علامة يعتبر بها وقيل معناه تركنا السفينة ونجاة من فيها واهلاك الباقين دلالة باهرة على وحدانية الله تعالى وعبرة لمن اتعظ بها وكانت السفينة باقية حتى رآها اوائل هذه الامة عن قتادة وقيل في كونها آية انها كانت تجري بين ماء السماء وماء الأرض وقد كان غطاها على ما أمر الله تعالى (فهل من مدكر) اي متذكر يعلم ان ذلك حق فيعتبر به ويخاف وقيل معناه فهل من طالب علم فيعان عليه عن قتادة (فكيف كان عذابي ونذر) هذا استفهام عن تلك الحالة ومعناه التعظيم لذلك العذاب اي كيف رأيتم انتقامي منهم وانذاري اياهم وقال الحسن النذر جمع نذير وإنما كرر سبحانه هذا القول في هذه السورة لأنه سبحانه لما ذكر انواع الانذار والعذاب عقد التذكير بشيء شيء منه على التفصيل (ولقد يسرنا القرآن للذكر) اي سهلناه للحفظ والقراءة حتى يقرأ كله ظاهرا وليس من كتب الله المنزلة كتاب يقرأ كله ظاهرا الا القرآن عن سعيد بن جبير والتيسير للشيء هو تسهيله بما ليس فيه كثير مشقة على النفس فمن سهل له طريق العلم فهو حقيق بأخذ الحظ الجزيل منه لأن التسهيل اكبر داع اليه وتسهيل القرآن للذكر هو خفة ذلك عن النفس بحسن البيان وظهور البرهان في الحكم السنية والمعاني الصحيحة الموثوق بها لمجيئها من قبل الله تعالى وانما صار الذكر من اجل ما يدعى اليه ويحث عليه لأنه طريق العلم لأن الساهي عن الشيء او عن دليله لا يجوز أن يعلمه في حال سهوه فإذا تذكر الدلائل عليه والطرق المؤدية اليه تعرض لعلمه من الوجه الذي ينبغي له (فهل من مدكر) اي متعظ معتبر به ناظر فيه ثم قال سبحانه (كذبت عاد) اي بالرسول الذي بعثه الله اليهم وهو هود(ع) فاستحقوا الهلاك فأهلكهم (فكيف كان عذابي) لهم (ونذر) اي وانذاري اياهم ثم بين كيفية اهلاكهم فقال (انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا) اي شديدة الهبوب عن ابن زيد

وقيل باردة عن ابن عباس وقتادة من الصر وهو البرد (في يوم نحس) اي في يوم شؤم (مستمر) اي دائم الشؤم استمر عليهم بنحوسه سبع ليال وثمانية ايام حتى أتت عليهم ومستمر من صفة اليوم اي يوم مستمر ضرره عام هلاكه وقيل هو نعت للنحس اي استمر بهم العذاب والنحس في الدنيا حتى اتصل بالعقبى قال الزجاج وقيل انه كان في يوم الاربعاء في آخر الشهر لا تدور رواه العياشي بالاسناد عن ابي جعفر(ع) (تنزع الناس) اي تقتلع هذه الريح الناس ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم فيصيرون (كأنهم اعجاز نخل منقعر) اي اسافل نخل منقلع لأن رؤوسهم سقطت عن ابدانهم عن مجاهد وقيل معناه تنزع الناس من حفر حفروها ليمتنعوا بها عن الريح وقيل معناه تنزع ارواح الناس عن الحسن (فكيف كان عذابي ونذر) وهو تعظيم للعذاب النازل بهم وتخويف لكفار مكة

قوله تعالى (٢٢) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٢٣) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٤) فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٢٥) أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٦) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (٢٧) إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ (٢٨) وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ (٢٩) فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ (٣٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣١) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ عشر آيات

القراءة

قرأ ابن عامر وحمزة ستعلمون بالتاء والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة ابي السمال ابشر منا بالرفع واحدا نتبعه بالنصب وقراءة ابي قلابة الكذاب الأشّر بالتشديد وقراءة مجاهد الأشُر بضم الشين خفيفة وقراءة الحسن كهشيم المحتظَر بفتح الظاء

الحجة

قال ابو علي وجه الياء ان قبله غيبة وهو قوله فقالوا ابشرا منا سيعلمون ووجه التاء على انه قيل لهم ستعلمون وقال ابن جني قوله ابشر عندي مرفوع بفعل يدل عليه قوله ءالقي الذكر عليه فكأنه قال ايبعث بشر منا فاما انتصاب واحدا فإن شئت جعلته حالا من الضمير في قوله منا اي ينبأ بشر كائن منا والناصب لهذه الحال الظرف كقولك زيد في الدار خالسا وان شئت جعلته حالا من الضمير في قوله نتبعه اي نتبعه واحدا اي منفردا لاناصر له وقوله الأشّر بتشديد الراء هو الاصل المرفوض لأن اصل قولهم هذا خير منه وشر منه هذا اخير منه وهذا اشر منه فكثر استعمال هاتين الكلمتين فحذفت الهمزة منهما واما الأشُر فإنه مما جاء على فعل وفعل من الصفات كحذر وحذر ويقظ ويقظ ووطف ووطف وعجز وعجز واما المحتظَر فإنه مصدر اي كهشيم الاحتظار كقولك كآجر البناء وخشب النجارة ويجوز ان يكون المحتظر الشجر اي كهشيم الشجر المتخذة منه الحظيرة اي كما تتهافت من الشجر المجعول حظيرة والهشيم ما تهشم منه وانتشر

اللغة

السعر جمع سعير وهو النار المسعرة والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة اذا كانت كأن بها جنونا وسعر فلان جنونا واصله التهاب الشيء والتعاطي التناول والمحتظر الذي يعمل الحظيرة على بستانه او غنمه وهو المنع من الفعل

﴿ الاعراب ﴾

ابشرا منصوب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره وتقديره انتبع بشرا منا وقوله منا صفة اي ابشرا كائنا منا وواحدا صفة بعد صفة والبشر يقع على الواحد والجمع وقوله من بيننا في محل النصب على الظرف وفتنة منصوب بانه مفعول له ويجوز أن يكون مصدرا وضع موضع الحال اي فاتنين لهم

﴿ المعنى ﴾

ثم اقسم سبحانه فقال (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) قد فسرناه وقيل انه سبحانه إنما اعاد ذكر التيسير لينبئ انه يسره على كل حال وكل وجه من وجوه التيسير فمن الوجوه التي يسر الله تعالى بها القرآن هو ان ابان عن الحكم الذي يعمل عليه والمواعظ الذي يرتدع بها والمعاني التي تحتاج الى التنبيه عليها والحجج التي يميز بها بين الحق والباطل عن علي بن عيسى (كذبت ثمود بالنذر) اي بالانذار الذي جاءهم به صالح ومن قال أن النذر جمع نذير قال معناه انهم كذبوا الرسل بتكذيبهم صالحا لأن تكذيب واحد من الرسل كتكذيب الجميع لأنهم متفقون في الدعاء الى التوحيد وان اختلفوا في الشرائع (فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه) اي انتبع آدميا مثلنا وهو واحد (انا اذا لفي ضلال) اي نحن ان فعلنا ذلك في خطأ وذهاب عن الحق (وسعر) اي وفي عناء وشدة عذاب فيما يلزمنا من طاعته عن قتادة وقيل في جنون عن ابن عباس في رواية عطاء والفائدة في الآية بيان شبهتهم الركيكة التي حملوا انفسهم على تكذيب الانبياء من اجلها وهي ان الانبياء ينبغي ان يكونوا جماعة وذهب عليهم ان الواحد من الخلق يصلح لتحمل اعباء الرسالة وان لم يصلح له غيره من جهة معرفته بربه وسلامة ظاهره وباطنه وقيامه بما كلف من الرسالة (أألقي الذكر عليه من بيننا) هذا استفهام انكار وجحود اي كيف ألقي الوحي عليه وخص بالنبوة من بيننا وهو واحد منا (بل هو كذاب) فيما يقول (أشر) اي بطر متكبر يريد ان يتعظم علينا بالنبوة ثم قال سبحانه (سيعلمون غدا من الكذاب الأشر) وهذا وعيد لهم اي سيعلمون يوم القيامة اذا نزل بهم العذاب اهو الكذاب ام هم في تكذيبه وهو الأشر البطر ام هم فذكر مثل لفظهم مبالغة في توبيخهم وتهديدهم وإنما قال غدا على وجه التقريب على عادة الناس في ذكرهم الغد والمراد به العاقبة قالوا ان مع اليوم غدا (انا مرسلوا الناقة فتنة لهم) اي نحن باعثو الناقة بانشائها على ما طلبوها معجزة لصالح وقطعا لعذرهم وامتحانا واختبارا لهم وهاهنا حذف وهو انهم تعنتوا على صالح فسألوه أن يخرج لهم من صخرة ناقة حمراء عشراء تضع ثم ترد ماءهم فتشربه ثم تعود عليهم بمثله لبنا فقال سبحانه انا باعثوها كما سألوها فتنة لهم عن ابن عباس (فارتقبهم) اي انتظر امر الله فيهم وقيل فارتقبهم اي انتظر ما يصنعون (واصطبر) على ما يصيبك من الأذى حتى يأتي أمر الله فيهم (ونبئهم) اي اخبرهم (ان الماء قسمة بينهم) يوم للناقة ويوم لهم (كل شرب محتضر) اي كل نصيب من الماء يحضره اهله لا يحضر آخر معه ففي يوم الناقة تحضره الناقة وفي يومهم يحضرونه هم وحضر واحتضر بمعنى واحد وانما قال قسمة بينهم تغليبا لمن يعقل والمعنى يوم لهم ويوم لها وقيل انهم كانوا يحضرون الماء اذا غابت الناقة ويشربونه واذا حضرت حضروا اللبن وتركوا الماء لها عن مجاهد (فنادوا صاحبهم) اي دعوا في أمر الناقة بالقتل فدعوا واحدا من اشرارهم وهو قدار بن سالف عاقر الناقة (فتعاطى فعقر) اي تناول الناقة بالعقر فعقرها وقيل انه كمن لها في اصل صخرة فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها ثم شد عليها السيف فكشف عرقوبها وكان يقال لها احمر ثمود واحيمر ثمود قال الزجاج والعرب تغلط فتجعله احمر عاد فتضرب به المثل في الشؤم قال زهير

وتنتج لكم غلمان اشأم كلهم ... كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

(فكيف كان عذابي ونذر) اي فانظر كيف اهلكتهم وكيف كان عذابي لهم وانذاري اياهم (انا ارسلنا عليهم

صيحة واحدة) يريد صيحة جبرائيل (ع) عن عطاء وقيل الصيحة العذاب (فكانوا كهشيم المحتظر) اي فصاروا كهشيم وهو حطام الشجر المنقطع بالكسر والرض الذي يجمعه صاحب الحظيرة الذي يتخذ لغنمه حظيرة تمنعها من برد الريح والمعنى انهم بادوا وهلكوا فصاروا كيبيس الشجر المفتت اذا تحطم عن ابن عباس وقيل معناه صاروا كالتراب الذي يتناثر من الحائط فتصيبه الرياح فيتحظر مستديرا عن سعيد بن جبير

قوله تعالى (٣٢) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٣٣) كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٤) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٥) نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ (٣٦) وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ (٣٧) وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٨) وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ (٣٩) فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٤٠) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٤١) وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤٢) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ

﴿ الاعراب ﴾ عشر ايات

سحر اذا كان نكرة يراد به سحر من الاسحار يقال رأيت زيدا سحرا من الاسحار فاذا اردت سحر يومك قلت أتيته بسحر وأتيته سحر وقوله نعمة مفعول له وقوله بكرة ظرف زمان فاذا كان معرفة بأن تريد بكرة يومك تقول أتيته بكرة وغدوة لم تصرفهما فبكرة هنا نكرة

﴿ المعنى ﴾

ثم اقسم سبحانه فقال (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) قال قتادة اي فهل من طالب علم يتعلم (كذبت قوم لوط بالنذر) اي بالانذار وقيل بالرسل على ما فسرناه (انا ارسلنا عليهم حاصبا) اي ريحا حصبتهم اي رمتهم بالحجارة والحصباء قال ابن عباس يريد ما حصبوا به من السماء من الحجارة في الريح قال الفرزدق

مستقبلين شمال الشام تضربنا بحاصب كنديف القطن منثور

ثم استثنى آل لوط فقال (إلا آل لوط نجيناهم) اي خلصناهم (بسحر) من ذلك العذاب الذي اصاب قومه (نعمة من عندنا) اي انعاما فيكون مفعولا له ويجوز ان يكون مصدرا وتقديره انعمنا عليهم بذلك نعمة (كذلك) اي كما انعمنا عليهم (نجزي من شكر) قال مقاتل يريد من وحد الله تعالى لم يعذب مع المشركين (ولقد انذرهم) لوط (بطشتنا) اي اخذنا اياهم بالعذاب (فتماروا بالنذر) اي تدافعوا بالانذار على وجه الجدال بالباطل وقيل معناه فشكوا ولم يصدقوه وقالوا كيف يهلكنا وهو واحد منا وهو تفاعلوا من المرية (ولقد راودوه عن ضيفه) اي طلبوا منه ان يسلم اليهم اضيافه (فطمسنا اعينهم) اي محوناها والمعنى عميت ابصارهم عن الحسن وقتادة وقيل معناه ازلنا تخطيط وجوههم حتى صارت ممسوحة لا يرى اثر عين وذلك ان جبرائيل (ع) صفق اعينهم بجناحه صفقة فاذهبها والقصة مذكورة فيما مضى وتم الكلام ثم قال (فذوقوا عذابي ونذر) اي فقلنا لقوم لوط لما ارسلنا عليهم العذاب ذوقوا عذابي ونذري (ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر) اي اتاهم صباحا عذاب نازل بهم حتى هلكوا جميعا (فذوقوا عذابي ونذر) ووجه التكرار ان الأول عند الطمس والثاني عند الائتفاك فكلما تجدد العذاب تجدد التقريع (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) مر معناه (ولقد جاء آل فرعون) النذر أي متابعي فرعون بالقرابة والدين (النذر) اي الانذار وقيل هو جمع نذير يعني الآيات التي

انذرهم بها موسى ، كذبوا بآياتنا كلها) اي وهي الآيات التسع التي جاءهم بها موسى وقيل بجميع الآيات لأن التكذيب بالبعض تكذيب بالكل (فأخذناهم) بالعذاب (اخذ عزيز) اي قادر لا يمتنع عليه شيء فيما يريد (مقتدر) على ما يشاء

قوله تعالى (٤٣) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٤) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ (٤٥) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٦) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ (٤٧) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ (٤٨) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٩) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٥٠) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥١) وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (٥٢) وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (٥٣) وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (٥٤) إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٥) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ اربع عشرة آية

القراءة

قرأ يعقوب عن رويس سنهزم الجمع والباقون سيهزم الجمع وفي الشواذ قراءة أبي السماك انا كل شيء بالرفع وقراءة زهير والقرقني والأعمش ونهر بضمتين

الحجة

قال ابن جني الرفع في قوله انا كل شيء خلقناه أقوى من النصب وان كانت الجماعة على النصب وذلك انه من مواضع الابتداء فهو كقولك زيد ضربته فهو مذهب صاحب الكتاب لأنها جملة وقعت في الأصل خبرا عن المبتدأ في قولك نحن كل شيء خلقناه بقدر فهو كقولك زيد هند ضربها ثم دخلت ان فنصبت الإسم وبقي الخبر على تركيبه الذي كان عليه واختيار محمد بن يزيد النصب لأن تقديره انا فعلنا كذا قال والفعل منتظر بعد انا فلما دل عليه ما قبله حسن اضماره قال ابن جني وهذا ليس بشيء لأن الأصل في خبر المبتدأ أن يكون اسما لا فعلا جزاء منفردا فما معنى توقع الفعل هنا وخبر إن واخواتها كأخبار المبتدأ وقوله نهر جمع نهر فيكون كأسد وأسد ووثن ووثن ويجوز أن يكون جمع نهر كسقف وسقف ورهن ورهن

المعنى

ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال (اكفاركم خير) وأشد وأقوى (من أولئكم) الذين ذكرناهم وقد اهلكناهم وهذا استفهام انكار أي ألستم أفضل من قوم نوح وعاد وثمود لا في القوة ولا في الثروة ولا في كثرة العدد والعدة والمراد بالخير ما يتعلق بأسباب الدنيا لا أسباب الدين والمعنى انه إذا اهلكت أولئك الكفار فما الذي يؤمنكم أن ينزل بكم ما نزل بهم (أم لكم براءة في الزبر) اى ألكم براءة من العذاب في الكتب السالفة انه لن يصيبكم ما اصاب الأمم الخالية (أم يقولون نحن جميع منتصر) اي أم يقول هؤلاء الكفار نحن جميع أمرنا ننتصر من اعدائنا عن الكلبي والمعنى انهم يقولون نحن يد واحدة على من خالفنا ننتصر ممن عادانا فيدلون بقوتهم واجتماعهم ووحد منتصر للفظ الجميع فإنه واحد في اللفظ وان كان اسما للجماعة كالرهط

والجيش أي كما انهم ليسوا بخير من أولئك ولا لهم براءة فكذلك لا جمع لهم يمنع عنهم عذاب الله وينصرهم وان قالوا نحن مجتمعون متناصرون فلا نرام ولا نقصد ولا يطمع احد في غلبتنا ثم قال سبحانه (سيهزم الجمع) أي جمع كفار مكة (ويولون الدبر) أي ينهزمون فيولونكم أدبارهم في الهزيمة ثم اخبر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم انه سيظهره عليهم ويهزمهم فكانت هذه الهزيمة يوم بدر فكان موافقة الخبر للخبر من معجزاته ثم قال سبحانه (بل الساعة موعدهم) أي ان موعد الجميع للعذاب يوم القيامة (والساعة أدهى وأمر) فالأدهى الأعظم في الدهاء والدهاء عظم سبب الضرر مع شدة انزعاج النفس وهو من الداهية أي البلية التي ليس في ازالتها حيلة والمعنى ان ما يجري عليهم من القتل والأسر يوم بدر وغيره لا يخلصهم من عقاب الآخرة بل عذاب الآخرة أعظم في الضرر وأقطع وأمر أي أشد مرارة من القتل والأسر في الدنيا وقيل الأمر الأشد في استمرار البلاء لأن أصل المر النفوذ ثم بين سبحانه حال القيامة فقال (ان المجرمين في ضلال وسعر) أي في ذهاب عن وجه النجاة وطريق الجنة في نار مسعرة عن الجبائي وقيل في ضلال أي في هلاك وذهاب عن الحق وسعر أي عناء وعذاب (يوم يسحبون) أي يجرون (في النار على وجوههم) يعني ان هذا العذاب يكون لهم في يوم يجرهم الملائكة فيه على وجوههم في النار ويقال لهم (ذوقوا مس سقر) يعني اصابتها اياهم بعذابها وحرها وهو كقولهم وجدت مس الحمى وسقر جهنم وقيل هي باب من أبوابها واصل السقر التلويح يقال سقرته الشمس وصقرته إذا لوحته وإنما لم ينصرف للتعريف والتأنيث (انا كل شيء خلقناه بقدر) اي خلقنا كل شيء خلقناه مقدرا بمقدار توجبه الحكمة لم نخلقه جزافا ولا تخبيتا فخلقنا العذاب ايضا على قدر الاستحقاق وكذلك كل شيء في الدنيا والآخرة خلقناه مقدرا بمقدار معلوم عن الجبائي وقيل معناه خلقنا كل شيء على قدر معلوم فخلقنا اللسان للكلام واليد للبطش والرجل للمشي والعين للنظر والاذن للسماع والمعدة للطعام ولو زاد أو نقص عما قدرناه لما تم الغرض عن الحسن وقيل معناه جعلنا لكل شيء شكلا يوافقه ويصلح له كالمرأة للرجل والأتان للحمار وثياب الرجال للرجال وثياب النساء للنساء عن ابن عباس وقيل خلقنا كل شيء بقدر مقدر وقضاء محتوم في اللوح المحفوظ (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) أي وما امرنا بمجيء الساعة في السرعة إلا كطرف البصر عن ابن عباس والكلبي ومعنى اللمح النظر بالعجلة وهو خطف البصر والمعنى إذا أردنا قيام الساعة اعدنا الخلق وجميع المخلوقات في قدر لمح البصر في السرعة وقيل معناه وما امرنا إذا أردنا أن نكون شيئا إلا مرة واحدة لم نحتج فيه إلى ثانية إنما نقول له كن فيكون كلمح البصر في سرعته من غير ابطاء ولا تأخير عن الجبائي (ولقد اهلكنا أشياعكم) أي اشباهكم ونظائركم في الكفر من الأمم الماضية عن الحسن وسماهم اشياعهم لما وافقوهم في الكفر وتكذيب الأنبياء (فهل من مدكر) اي فهل من متذكر لما يوجبه هذا الوعظ من الانزجار في مثل ما سلف من اعمال الكفار لئلا يقع به ما وقع بهم من الاهلاك (وكل شيء فعلوه في الزبر) اي في الكتب التي كتبها الحفظة وهذه اشارة إلى انهم غير مغفول عنهم عن الجبائي وقيل معناه ان جميع ذلك مكتوب عليهم في الكتاب المحفوظ لأنه من اعظم العبرة في علم ما يكون قبل ان يكون على التفصيل (وكل صغير وكبير مستطر) أي وما قدموه من اعمالهم من صغير وكبير مكتوب عليهم عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل معناه كل صغير وكبير من الأرزاق والآجال والموت والحياة ونحوها مكتوب في اللوح المحفوظ (ان المتقين في جنات ونهر) أي

أنهار يعني أنهار الجنة من الماء والخمر والعسل وضع نهر في موضع انهار لأنه اسم جنس يقع على الكثير والقليل والاولى ان يكون انما وحد لوفاق الفواصل والنهر هو المجرى الواسع من مجاري الماء (في مقعد صدق) أي في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وقيل وصفه بالصدق لكونه رفيعا مرضيا وقيل لدوام النعيم به وقيل لأن الله صدق وعد أوليائه فيه (عند مليك مقتدر) أي عند الله سبحانه فهو المالك القادر الذي لا يعجزه شيء وليس المراد قرب المكان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل المراد انهم في كنفه وجواره و كفايته حيث تنالهم غواشي رحمته وفضله

سورة الرحمن (مكية)

وقيل مكية غير آية نزلت بالمدينة يسأله من في السموات والأرض عن عطاء وقتادة وعكرمة واحدى الروايتين عن ابن عباس وقيل مدنية عن الحسن وهمام عن قتادة وابي حاتم

عدد آيها

ثمان وسبعون آية كوفي شامي سبع حجازي ست بصري

اختلافها

خمس آيات الرحمن كوفي شامي خلق الإنسان الاول غير المدني وضعها للأنام غير المكي المجرمون غير البصري شواظ من نار حجازي

فضلها

ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الرحمن رحم الله ضعفه وادى شكر ما أنعم الله عليه وروي عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لكل شيء عروس وعروس القرآن سورة الرحمن جل ذكره . ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال لا تدعوا قراءة الرحمن والقيام بها فإنها لا تقر في قلوب المنافقين وتأتي ربها يوم القيامة في صورة آدمي في أحسن صورة وأطيب ريح حتى تقف من الله موقفا لا يكون احد أقرب إلى الله سبحانه منها فيقول لها من الذي كان يقوم بك في الحياة الدنيا ويدمن قراءتك فتقول يا رب فلان وفلان وفلان فتبيض وجوههم فيقول لهم اشفعوا فيمن أحببتم فيشفعون حتى لا يبقى لهم غاية ولا احد يشفعون له فيقول لهم ادخلوا الجنة واسكنوا فيها حيث شئتم . حماد بن عثمان قال قال الصادق (ع) يجب ان يقرأ الرجل سورة الرحمن يوم الجمعة فكلما قرأ فبأي آلاء ربكما تكذبان قال لا بشيء من آلائك يا رب اكذب وعنه (ع) قال من قرأ سورة الرحمن ليلا يقول عند كل فبأي آلاء ربكما تكذبان لا بشيء من آلائك يا رب اكذب وكل الله به ملكا ان قرأها في أول الليل يحفظه حتى يصبح وان قرأها حين يصبح وكل الله به ملكا يحفظه حتى يمسي

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه سورة القمر باسمه وافتتح هذه السورة ايضا باسمه فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) ٱلرَّحْمٰنُ (٢) عَلَّمَ ٱلْقُرْآنَ (٣) خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ (٤) عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ (٥) ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (٦) وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (٧) وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ (٨) أَلَّا تَطْغَوْا فِي ٱلْمِيزَانِ (٩) وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ (١٠) وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ (١١) فِيهَا فَاكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ (١٢) وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ (١٣) فَبِأَيِّ آلَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ثلاث عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر والحب ذا العصف والريحان بالنصب فيهما جميعا وقرأ حمزة والكسائي وخلف والحب ذو العصف بالرفع والريحان بالجر والباقون بالرفع في الجميع وفي الشواذ قراءة ابي السماك والسماء رفعها بالرفع وقرأ بلال بن ابي بردة ولا تخسروا بفتح التاء والسين وبكسر السين أيضا

﴿ الحجة ﴾

قال ابو عبيدة العصف الذي يعصف فيؤكل من الزرع وهي العصيفة قال علقمة بن عبدة

تسقي مذانب قد مالت عصيفتها ... حدودها من اتي الماء مطموم

والريحان الحب الذي يؤكل يقال سبحانك وريحانك أي ورزقك قال النمر بن تغلب

سلام الإله وريحانه ... ورحمته وسماء درر

وقيل العصف والعصيفة ورق الزرع وعن قتادة العصف التبن ومن قرأ والحب ذا العصف حمله على وخلق الحب وخلق الريحان وهو الرزق ويقوي ذلك قوله فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى ومن رفع الريحان فالتقدير فيها فاكهة والريحان والحب ذو العصف ومن جر فالتقدير فالحب ذو العصف وذو الريحان أي من الحب الرزق فإن قلت فإن العصف والعصيفة رزق ايضا فكأنه قال ذو الرزق وذو الرزق قيل هذا لا يمتنع لأن العصيفة رزق غير الرزق الذي أوقع الريحان عليه وكأن الريحان اريد به الحب إذا خلص من لفائفه فاوقع عليه الرزق لعموم المنفعة به وانه رزق للناس وغيرهم ويبعد ان يكون الريحان المشموم في هذا الموضع انما هو قوت الناس والأنعام كما قال فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم وقوله والسماء رفعها قال ابن جني الرفع هنا اظهر من قراءة الجماعة وذلك انه صرفه إلى الابتداء لأنه عطفه على الجملة المركبة في المبتدأ والخبر وهي قوله والنجم والشجر يسجدان فأما قراءة العامة بالنصب فإنها معطوفة على يسجدان وحدها وهي جملة من فعل وفاعل والعطف يقتضي التماثل في تركيب الجمل فيصير تقديره يسجدان ورفع السماء فلما اضمر رفع فسره بقوله رفعها كقولك قام زيد وعمرا ضربته أي وضربت عمرا لتعطف جملة من فعل وفاعل على أخرى مثلها وأما قوله تخسروا بفتح التاء فإنه على حذف حرف الجر اي لا تخسروا في الميزان فلما حذف حرف الجر أفضى اليه الفعل فنصبه كقوله واقعدوا لهم كل مرصد اي في كل مرصد أو على

كل مرصد واما تخسروا بفتح التاء وكسر السين فعلى خسرت الميزان وإنما المشهور اخسرته تقول خسر الميزان واخسرته ويشبه ان يكون خسرته لغة في اخسرته نحو اجبرت الرجل وجبرته واهلكته وهلكته

اللغة

الرحمن هو الذي وسعت رحمته كل شيء فلذلك لا يوصف به إلا الله تعالى واما راحم ورحيم فيجوز ان يوصف بها العباد والبيان هو الأدلة الموصلة إلى العلم وقيل البيان اظهار المعنى للنفس بما يتميز به من غيره كتميز معنى رجل من معنى فرس ومعنى قادر من معنى عاجز ومعنى عام من معنى خاص والحسبان مصدر حسبته احسبه حسابا وحسبانا نحو السكران والكفران وقيل هو جمع حساب كشهاب وشهبان والنجم من النبات ما لم يقم على ساق نحو العشب والبقل والشجر ما قام على ساق واصله الطلوع يقال نجم القرن والنبات إذا ظلعا وبه سمي نجم السماء لطلوعه والاكام جمع كم وهو وعاء ثمرة النخل تكمم في وعائه إذا اشتمل عليه والآلاء النعم واحدها إلى على وزن معى وألى على وزن قفا عن ابي عبيدة

الاعراب

الرحمن آية مع انه ليس بجملة لأنه في تقدير الله الرحمن حتى تصح الفاصلة فهو خبر مبتدأ محذوف نحو قوله سورة أنزلناها أي هذه سورة . ألا تطغوا تقديره لأن لا تطغوا فهو في محل نصب بأنه مفعول له ولفظه نفي ومعناه نهي ولذلك عطف عليه بقوله واقيموا الوزن وقوله فيها فاكهة مبتدأ وخبر في موضع نصب على الحال

المعنى

(الرحمن) افتتح سبحانه هذه السورة بهذا الاسم ليعلم العباد ان جميع ما وصفه بعد من أفعاله الحسنى إنما صدرت من الرحمة التي تشتمل جميع خلقه وكأنه جواب لقولهم وما الرحمن في قوله وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن وقد روي انه لما نزل قوله قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن قالوا ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة فقيل لهم الرحمن (علم القرآن) أي علم محمداً صلى الله عليه وآله وسلم القرآن وعلمه البيان محمد صلى الله عليه وآله وسلم أمته عن الكلبي وقيل هو جواب لأهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فبين سبحانه ان الذي علمه القرآن هو الرحمن والتعليم هو تبيين ما به يصير من لم يعلم عالما والاعلام ايجاد ما به يصير عالما ذكر سبحانه النعمة فيما علم من الحكمة بالقرآن الذي احتاج اليه الناس في دينهم ليؤدوا ما يجب عليهم ويستوجبوا الثواب بطاعة ربهم قال الزجاج معنى علم القرآن يسره لأن تذكر (خلق الإنسان) أي اخرجه من العدم إلى الوجود والمراد بالإنسان هنا آدم (ع) عن ابن عباس وقتادة (علمه البيان) اسماء كل شيء واللغات كلها قال الصادق «ع» البيان الاسم الاعظم الذي به علم كل شيء وقيل الإنسان اسم الجنس وقيل معناه الناس جميعا . علمه البيان اي النطق والكتابة والخط والفهم والافهام حتى يعرف ما يقول وما يقال له عن الحسن وابي العالية وابن زيد والسدي وهذا هو اظهر الأعم وقيل البيان هو الكلام الذي يبين به عن مراده وبه يتميز من سائر الحيوانات عن الجبائي وقيل خلق الإنسان يعني محمدا صلى الله عليه وآله وسلم علمه البيان يعني ما كان وما يكون عن ابن كيسان (الشمس والقمر بحسبان) اي يجريان بحسبان ومنازل لا يعدوانها وهما يدلان على عدد الشهور والسنين والاوقات عن ابن عباس وقتادة فأضمر يجريان وحذفه لدلالة الكلام عليه وتحقيق معناه انهما يجريان على وتيرة واحدة وحساب متفق على الدوام لا يقع فيه تفاوت فالشمس تقطع بروج الفلك

في ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وشيء والقمر في ثمانية وعشرين يوما فيجريان ابدا على هذا الوجه وانما خصهما بالذكر لما فيهما من المنافع الكثيرة للناس من النور والضياء ومعرفة الليل والنهار ونضج الثمار إلى غير ذلك فذكرهما لبيان النعمة بهما على الخلق (والنجم والشجر يسجدان) يعني بالنجم نبت الارض الذي ليس له ساق وبالشجر ما كان له ساق يبقى في الشتاء عن ابن عباس وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وقيل اراد بالنجم نجم السماء وهو موحد والمراد به جميع النجوم والشجر يسجدان لله بكرة وعشيا كما قال في موضع آخر والشجر والدواب عن مجاهد وقتادة وقال اهل التحقيق ان المعنى في سجودهما هو ما فيهما من الآية الدالة على حدوثهما وعلى أن لهما صانعاً انشأهما وما فيهما من الصنعة والقدرة التي توجب السجود وقيل سجودهما سجود ظلالهما كقوله يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون عن الضحاك وسعيد بن جبير والمعنى فيه ان كل جسد له ظل فهو يقتضي الخضوع بما فيه من دليل الحدوث واثبات المحدث المدبر وقيل معنى سجودهما انه سبحانه يصرفهما على ما يريده من غير امتناع فجعل ذلك خضوعا ومعنى السجود الخضوع كما في قوله « ترى الاكم فيها سجدا للحوافر » عن الجبائي (والسماء رفعها) أي ورفع السماء رفعها فوق الارض دل سبحانه بذلك على كمال قدرته (ووضع الميزان) يعني آلة الوزن للتوصل إلى الانصاف والانتصاف عن الحسن وقتادة قال قتادة هو الميزان المعهود ذو اللسانين وقيل المراد بالميزان العدل والمعنى انه امر بالعدل عن الزجاج ويدل عليه قوله (الا تطغوا في الميزان) أي لا تتجاوزوا فيه العدل والحق إلى البخس والباطل وتقديره فعلت ذلك لئلا تطغوا ويحتمل ايضا ان يكون لا تطغوا نهيا منفردا وتكون ان مفسرة بمعنى اي وقيل ان المراد بالميزان القرآن الذي هو أصل الدين فكأنه تعالى بين أدلة العقل وأدلة السمع وانما اعاد سبحانه ذكر الميزان من غير اضمار ليكون الثاني قائما بنفسه في النهي عنه إذا قيل لهم لا تطغوا في الميزان (وأقيموا الوزن بالقسط) أي أقيموا لسان الميزان بالعدل إذا أردتم الأخذ والاعطاء (ولا تخسروا الميزان) اي لا تنقصوه بالبخس والجور بل سووه بالانصاف والعدل قال سفيان بن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب (والأرض وضعها للأنام) لما ذكر السماء ذكر الارض في مقابلتها أي وبسط الأرض ووطأها للناس وقيل الأنام كل شيء فيه روح عن ابن عباس وقيل الأنام الجن والانس عن الحسن وقيل جميع الخلق من كل ذي روح عن مجاهد وعبر عن الأرض بالوضع لما عبر عن السماء بالرفع وفي ذلك بيان النعمة على الخلق وبيان وحدانية الله تعالى كما في رفع السماء (فيها فاكهة) أي في الأرض ما يتفكه به من الوان الثمار المأخوذة من الاشجار (والنخل ذات الاكمام) اي الأوعية والغلف وثمر النخل يكون في غلف ما لم ينشق وقيل الاكمام ليف النخل الذي تكم فيه عن الحسن وقيل معناه ذات الطلع لأنه الذي يتغطى بالاكمام عن ابن زيد (والحب) يريد جميع الحبوب مما يحرث في الأرض من الحنطة والشعير وغيرهما (ذو العصف) اي ذو الورق فإذا يبس وديس صار تبنا عن مجاهد والجبائي وقيل العصف التبن لأن الريح تعصفه أي تطيره عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل هو بقل الزرع وهو أول ما ينبت منه عن السدي والفراء (والريحان) يعني الرزق في قول الاكثرين وقال الحسن وابن زيد هو ريحانكم الذي يشم وقال الضحاك والريحان الحب المأكول والعصف الورق الذي لا يؤكل فهو رزق الدواب والريحان رزق الناس فذكر سبحانه قوت الناس والانعام ثم خاطب الانس والجن بقوله (فبأي آلاء ربكما تكذبان) أي فبأي نعم ربكما من هذه

الأشياء المذكورة تكذبان لأنها كلها منعم عليكم بها والمعنى انه لا يمكن جحد شيء من هذه النعم فأما الوجه لتكرار هذه الآية في هذه السورة فإنما هو التقرير بالنعم المعدودة والتأكيد في التذكير بها كلها فكلما ذكر سبحانه نعمة انعم بها قرر عليها ووبخ على التكذيب بها كما يقول الرجل لغيره اما أحسنت اليك حين أطلقت لك مالا أما أحسنت اليك حين ملكتك عقارا أما احسنت اليك حين بنيت لك دارا فيحسن فيه التكرار لاختلاف ما يقرره به ومثله كثير في كلام العرب وأشعارهم قال مهلهل بن ربيعة يرثي أخاه كليبا

على ان ليس عدلا من كليب ... إذا طرد اليتيم عن الجزور
على ان ليس عدلا من كليب ... إذا ما ضيم جيران المجير
على ان ليس عدلا من كليب ... إذا رجف العضاه من الدبور
على ان ليس عدلا من كليب ... إذا خرجت مخبأة الخدور
على ان ليس عدلا من كليب ... إذا ما اعلنت نجوى الصدور

وقالت ليلى الاخيلية ترثي توبة بن الحمير

لنعم الفتى ياتوب كنت ولم تكن ... لتسبق يوما كنت فيه تحاول
ونعم الفتى ياتوب كنت إذا التقت ... صدور العوالي واستشال الاسافل
ونعم الفتى ياتوب كنت لخائف ... أتاك لكي تحمي ونعم المجامل
ونعم الفتى ياتوب جارا وصاحبا ... ونعم الفتى ياتوب حين تناضل
لعمري لأنت المرء ابكي لفقده ... ولولام فيه ناقص الرأي جاهل
لعمري لأنت المرء ابكي لفقده ... إذا كثرت بالملجمين التلاتل
أبى لك ذم الناس ياتوب كلما ... ذكرت امور محكمات كوامل
أبى لك ذم الناس يا توب كلما ... ذكرت سماح حين تأوي الارامل
فلا يبعدنك الله يا توب انما ... كذاك المنايا عاجلات وآجل
ولا يبعدنك الله يا توب إنما ... لقيت حمام الموت والموت عاجل

فخرجت في هذه الأبيات من تكرار إلى تكرار لاختلاف المعاني التي عددتها وقال الحارث بن عباد

قربا مربط النعامة مني ... لقحت حرب وائل عن حيال

وكرر هذه اللفظة قربا مربط النعامة مني في أبيات كثيرة وفي امثال هذا كثرة وهذا هو الجواب بعينه عن التكرار لقوله ويل يومئذ للمكذبين في المرسلات

قوله تعالى (١٤) خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ (١٥) وَخَلَقَ ٱلْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ (١٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٧) رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ (١٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (١٩) مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (٢٠) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ

(٢١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٢) يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ (٢٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٤) وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشِئَاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٢٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٦) كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٧) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٢٩) يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٣٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ سبع عشرة آية

القراءة

قرأ اهل المدينة والبصرة يخرج منهما بضم الياء وفتح الراء والباقون يخرج بفتح الياء وضم الراء وقرأ حمزة ويحيى عن ابي بكر المنشئات بكسر الشين والباقون بفتح الشين

الحجة

قال ابو علي من قرأ يخرج كان قوله بينا لأن ذلك إنما يخرج ولا يخرج بنفسه ومن قرأ يخرج جعل الفعل للؤلؤ والمرجان وهو اتساع لأنه إذا اخرج ذلك فقد خرج وقال يخرج منهما لؤلؤ ولم يقل من احدهما على حذف المضاف كما قال على رجل من القريتين عظيم على ذلك وقال ابو الحسن زعم قوم انه يخرج من العذاب ايضا والمرجان صغار اللؤلؤ واحدها مرجانة قال ذو الرمة

كأن عرى المرجان منها تعلقت   على ام خشف من ظباء المشافر

والمنشآت المجردات المرفوعات فمن فتح الشين فلأنها أنشئت واجريت ولم تفعل ذلك انفسها ومن قرأ المنشئات نسب الفعل اليها على الاتساع كما يقال مات زيد ومرض عمرو ونحو ذلك مما يضاف الفعل اليه إذا وجد فيه وهو في الحقيقة لغيره وكان المعنى المنشئات السير فحذف المفعول للعلم به وإضافة السير اليها اتساع ايضا لأن سيرها انما يكون في الحقيقة بهبوب الريح او دفع الصواري

اللغة

الصلصال الطين اليابس الذي يسمع منه صلصلة والفخار الطين الذي طبخ بالنار حتى صار خزفا والمارج المضطرب المتحرك وقيل المختلط يقال مرج الأمر اختلط ومرجت عهود القوم واماناتهم قال الشاعر

مرج الدين فأعددت له   مشرق الحارك محبوك الكتد

ومرج الدابة في المرعى إذا خلاها لترعى والبرزخ الحاجز بين الشيئين والجواري السفن لأنها تجري في الماء واحدتها جارية ومنه الجارية المرأة الشابة لأنها يجري فيها ماء الشباب والأعلام الجبال واحدها علم قالت الخنساء

وإن صخرا لتأتم الهداة به   كأنه علم في رأسه نار

وقال جرير « إذا قطعن علما بدا علما » والفناء انتفاء الأجسام والصحيح انه معنى يضاد الجواهر باق فلا ينتفي إلا بضد او ما يجري مجرى الضد وضده الفناء

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه عاطفا على ما تقدم من الأدلة على وحدانيته والإبانة عن نعمه على خلقه فقال (خلق الإنسان) يعني به آدم وقيل جميع البشر لأن اصلهم آدم (ع) (من صلصال) اي طين يابس وقيل حمأ منتن ويحتمل الوجهين جميعا لأنه كان حمأ مسنونا ثم صار يابسا (كالفخار) اي كالأجر والخزف (وخلق الجان) أي ابا الجن قال الحسن هو ابليس ابو الجن وهو مخلوق من لهب النار كما ان آدم «ع» مخلوق من طين (من مارج من نار) اي من نار مختلط احمر واسود وابيض عن مجاهد وقيل المارج الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه (فبأي آلاء ربكما تكذبان) فبأي نعمة تكذبان أيها الثقلان أي بأن خلقكما من نفس واحدة ونقلكما من التراب والنار إلى الصورة التي أنتم عليها تكذبان (رب المشرقين ورب المغربين) يعني مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغرب الصيف ومغرب الشتاء وقيل المراد بالمشرقين مشرق الشمس والقمر وبالمغربين مغرب الشمس والقمر بين سبحانه قدرته على تصريف الشمس والقمر ومن قدر على ذلك قدر على كل شيء (فبأي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان) ذكر سبحانه عظيم قدرته حيث خلق البحرين العذب والمالح يلتقيان ثم لا يختلط احدهما بالآخر وهو قوله بينهما برزخ أي حاجز من قدرة الله فلا يبغي الملح على العذب فيفسده ولا العذب على الملح فيفسده ويختلط به ومعنى مرج ارسل عن ابن عباس وقيل المراد بالبحرين بحر السماء وبحر الأرض فإن في السماء بحرا يمسكه الله بقدرته ينزل منه المطر فيلتقيان في كل سنة وبينهما حاجز يمنع بحر السماء من النزول وبحر الأرض من الصعود عن ابن عباس والضحاك ومجاهد وقيل انهما بحر فارس وبحر الروم عن الحسن وقتادة فإن آخر طرف هذا يتصل بآخر طرف ذاك والبرزخ بينهما الجزائر وقيل مرج البحرين خلط طرفيهما عند التقائهما من غير أن يختلط جملتهما لا يبغيان أي لا يطلبان أن لا يختلطا (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان) اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره عن ابن عباس والحسن وقتادة والضحاك وقيل المرجان خرز أحمر كالقضبان يخرج من البحر وهو السذ عن عطاء الخراساني وابي مالك وبه قال ابن مسعود لأنه قال حجر وانما قال منهما وانما يخرج من الملح دون العذب لأن الله سبحانه ذكرهما وجمعهما وهما بحر واحد فإذا خرج من احدهما فقد خرج منهما عن الزجاج قال الكلبي وهو مثل قوله وجعل القمر فيهن نورا وإنما هو في واحدة منهن وقوله يا معشر الجن والإنس الم يأتكم رسل منكم والرسل من الانس دون الجن وقيل يخرج منهما اي من ماء السماء ومن ماء البحر فإن القطر إذا جاء من السماء تفتحت الأصداف فكان من ذلك القطر اللؤلؤ عن ابن عباس ولذلك حمل البحرين على بحر السماء وبحر الأرض وقيل ان العذب والملح يلتقيان فيكون العذب كاللقاح للملح ولا يخرج اللؤلؤ إلا من الموضع الذي يلتقي فيه الملح والعذب وذلك معروف عند الغواصين وقد روي عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبير وسفيان الثوري ان البحرين علي وفاطمة عليهما السلام بينهما برزخ محمد ﷺ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين عليهما السلام ولا غرو ان يكونا بحرين لسعة فضلهما وكثرة خيرهما فإن البحر انما يسمى بحرا لسعته وقد قال النبي ﷺ لفرس ركبه وأجراه فأحمده وجدته بحرا اي كثير المعاني الحميدة (وله الجوار) أي السفن الجارية في الماء تجري بأمر الله (المنشئات في البحر) أي المرفوعات وهي التي رفع خشبها بعضها على بعض وركب حتى ارتفعت وطالت وقيل هي المبتدآت للسير مرفعة

القلاع قال مجاهد ما رفع له القلاع فهو منشأ وما لم ترفع قلاعه فليس بمنشأ والقلاع جمع قلع وهو شراع السفينة (كالأعلام) أي كالجبال قال مقاتل شبه السفن في البحر بالجبال في البر وقيل المنشئات بكسر الشين وهي أن ينشئ الموج بصدرها حيث تجري فيكون الأمواج كالأعلام من الله سبحانه على عباده بأن علمهم اتخاذ السفن ليركبوها وإن جعل الماء على صفة تجري السفن عليه لأجلها (كل من عليها فان) اي كل من على الأرض من حيوان فهو هالك يفنون ويخرجون من الوجود إلى العدم كنى عن الأرض وان لم يجر لها ذكر كقول اهل المدينة ما بين لابتيها أي لابتي المدينة وانما جاز ذلك لكونه معلوما (ويبقى وجه ربك) أي ويبقى ربك الظاهر بأدلته ظهور الإنسان بوجهه (ذو الجلال) أي العظمة والكبرياء واستحقاق الحمد والمدح بإحسانه الذي هو في أعلى مراتب الإحسان وانعامه الذي هو أصل كل انعام (والإكرام) يكرم أنبياءه وأولياءه بألطافه وأفضاله مع عظمته وجلاله وقيل معناه انه أهل أن يعظم وينزه عما لا يليق بصفاته كما يقول الإنسان لغيره أنا اكرمك عن كذا واجلك عنه كقوله أهل التقوى أي اهل ان يتقى وتقول العرب هذا وجه الرأي وهذا وجه التدبير بمعنى انه الرأي والتدبير قال الاعشى

وأول الحكم على وجهه ليس قضائي بالهوى الجائر

أي قرر الحكم كما هو وقيل ان المراد بالوجه ما يتقرب به إلى الله تعالى وانشد

استغفر الله ذنبا لست محصيه رب العباد اليه الوجه والعمل

ومتى قيل واي نعمه في الفناء فالجواب ان النعمة فيه التسوية بين الخلق فيه وايضا فإنه وصلة إلى الثواب وتنبيه على ان الدنيا لا تدوم وايضا فإنه لطف للمكلف لأنه لو عجل الثواب لصار ملجأ إلى العمل ولم يستحق الثواب ففصل بين الثواب والعمل ليفعل الطاعة لحسنها فيستحق الثواب (يسئله من في السموات والأرض) أي لا يستغني عنه أهل السموات والأرض فيسألونه حوائجهم عن قتادة وقيل يسأله أهل الأرض الرزق والمغفرة وتسأل الملائكة لهم ايضا الرزق والمغفرة عن مقاتل (كل يوم هو في شان) اختلف في معناه فقيل إن شأنه سبحانه إحياء قوم وإماتة آخرين وعافية قوم ومرض آخرين وغير ذلك من الإهلاك والإنجاء والحرمان والإعطاء والأمور الأخر التي لا تحصى وعن ابي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله كل يوم هو في شأن قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عباس انه قال إن مما خلق الله تعالى لوحا من درة بيضاء دواته ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فذلك قوله كل يوم هو في شأن وقال مقاتل نزلت في اليهود حين قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيئا وقيل ان الدهر كله عند الله يومان احدهما مدة ايام الدنيا والآخر يوم القيامة فالشأن الذي هو فيه في اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار بالأمر والنهي والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب عن سفيان بن عيينة وقيل شأنه جل ذكره ان يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من اصلاب الآباء إلى الارحام وعسكرا من الارحام إلى الدنيا وعسكرا من الدنيا إلى القبر ثم يرتحلون جميعا إلى الله تعالى وقيل شأنه إيصال المنافع اليك ودفع المضار عنك فلا تغفل عن طاعة من لا يغفل عن برك عن ابي سليمان الداراني

قوله تعالى (٣١) سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ (٣٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٣) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (٣٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٥) يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ (٣٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٧) فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ (٣٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٣٩) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ (٤٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤١) يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ (٤٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٣) هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٤) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ (٤٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ خمس عشرة آية

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم سيفرغ بالياء والباقون بالنون وقرأ ابن كثير شواظ بكسر الشين والباقون بضمها وقرأ ابن كثير واهل البصرة غير يعقوب ونحاس بالجر والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة قتادة والاعمش سنفرغ بفتح النون والراء وقراءة الاعرج سيفرغ بفتح الياء والراء ورواية ابي حاتم عن الاعمش سيفرغ وقراءة عيسى الثقفي سنفرغ بكسر النون وفتح الراء وروي عن ابي عبد الله «ع» هذه جهنم التي كنتما بها تكذبان اصلياها فلا تموتان فيها ولا تحييان

الحجة

قال ابو علي وجه الياء في سيفرغ ان الغيبة قد تقدم في قوله وله الجوار وقوله هو في شان ويقال فرغ يفرغ وفرغ يفرغ وليس الفراغ هنا فراغا عن شغل ولكن تأويله القصد كما قال جرير

الآن فقد فرغت إلى نمير　　　فهذا حين صرت لهم عذابا

وقرأ ابن عامر ايه الثقلان بضم الهاء وقد مضى الوجه فيه والشواظ والشواظ فيه لغتان . ابو عبيدة هو اللهب لا دخان فيه قال رؤبة

إن لهم من حربنا ايقاظا　　　ونار حرب تسعر الشواظا

والنحاس الدخان قال الجعدي

تضيء كضوء سراج السليط　　　لم يجعل الله فيه نحاسا

قال ابو علي إذا كان الشواظ اللهب لا دخان فيه ضعفت قراءة من قرأ ونحاس بالجر ولا يكون على تفسير ابي عبيدة إلا الرفع في نحاس على تقدير يرسل عليكما شواظ ويرسل نحاس أي يرسل هذا مرة وهذا اخرى وقد يجوز من وجه آخر على ان تقديره يرسل عليكما شواظ من نار وشيء من نحاس فتحذف الموصوف وتقيم الصفة مقامه كقوله ومن آياته يريكم البرق ومن الذين هادوا يحرفون الكلم وان من اهل الكتاب

الاليؤمنن به ومن اهل المدينة مردوا على النفاق فحذف الموصوف في ذلك كله فكذلك في الآية فإن قلت هذا فاعل والفاعل لا يحذف فقد جاء

فما راعنا إلا يسير بشرطة وعهدي به قينا يفش بكير

على ان هذا الحذف قد جاء في المبتدأ في الآيـ التي تلونا او بعضها وقد قالوا تسمع بالمعيدي لا أن تراه فإذا حذف الموصوف بقي بعده من نحاس الذي هو صفة لشيء محذوف وحذف من لأن ذكره قد تقدم في قوله من نار فحسن لذلك حذفها كما حسن حذف الجار من قولهم على من تنزل انزل وكما انشده ابو زيد من قول الشاعر

واصبح من اسماء قيس كقابض على الماء لا يدري بما هو قابض

اي بما هو قابض عليه فحذف لدلالة الكلام المتقدم عليه وكما حذف الجار عنـد الخليل في قوله « ان لم يجد يوما على من يتكل» يريد عنده من يتكل عليه فحذف الجار لأنه جرى ذكره قبل فيكون انجرار نحاس على هذا بمن المضمرة لا بالاشراك في من التي جرت في قوله من نار فإذا انجر بمن لم يكن للشواظ الذي هو اللهب قسط من الدخان

❋ اللغة ❋

الثقلان اصله من الثقل وكل شيء له وزن وقدر فهو ثقل ومنه قيل لبيض النعامة ثقل قال

فتذكرا ثقلا رثيدا بعد ما القت ذكاء يمينها في كافر

وانما سميت الإنس والجن ثقلين لعظم خطرهما وجلالة شأنهما بالإضافة إلى ما في الأرض من الحيوانات ولثقل وزنهما بالعقل والتمييز ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي سماهما ثقلين لعظم خطرهما وجلالة قدرهما وقيل ان الجن والانس سميا ثقلين لثقلهما على الأرض أحياء وامواتا ومنـه قوله واخرجت الأرض أثقالها أي اخرجت ما فيها من الموتى والعرب تجعل السيد الشجاع ثقلا على الارض قالت الخنساء

أبعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الأرض أثقالها

والمعنى انه لما مات حل عنها ثقل بموته لسؤدده ومجده وقيل ان المعنى زينت موتاها به من التحلية والأقطار جمع القطر وهو الناحية يقال طعنه فقطره إذا القاه على احد قطريه وهما جانباه والسيماء مشتق مـن السوم وهو رفع الثمن عن مقداره والعلامة ترفع باظهارها لتقع المعرفة بها والناصية شعر مقدم الرأس واصله الاتصال من قول الشاعر «قيّ تناصيها بلاد قي » أي تتصل بها فالناصية متصلة بالرأس والاقدام جمع قـدم وهو العضو الذي يقدم صاحبه للوطء به على الأرض والآني الذي بلغ نهاية حره انى يأني انيا

❋ المعنى ❋

لما ذكر سبحانه الفناء والإعادة عقب ذلك بذكر الوعيد والتهديد فقال (سنفرغ لكم ايه الثقلان)اي سنقصد لحسابكم ايها الجن والانس عن الزجاج قال والفراغ في اللغة على ضربين ❋ احدهما ❋ القصد للشيء يقال سأفرغ لفلان اي سأجعله قصدي ❋ والآخر ❋ الفراغ من شغل والله عزوجل لا يشغله شأن عـن شأن وقيل معناه سنعمل عمل من يفرغ للعمل فيجوده من غير تضجيع فيه وقيل سنفرغ لكم من الوعيـد

بتقضي أيامكم المتوعد فيها فشبه ذلك بمن فرغ من شيء واخذ في آخر والشغل والفراغ من صفات الاجسام التي تحلها الأعراض وتشغلها عن الاضداد في تلك الحال ولذلك وجب ان يكون في صفة القديم تعالى مجازا ويدل على ان الثقلين المراد بهما الجن والانس قوله (يا معشر الجن والانس إن استطعتم ان تنفذوا) اي تخرجوا هاربين من الموت يقال نفذ الشيء من الشيء إذا خلص منه كالسهم ينفذ من الرمية (من اقطار السموات والأرض) اي جوانبها ونواحيها والمعنى حيث ما كنتم ادرككم الموت (فانفذوا) اي فاخرجوا فلن تستطيعوا ان تهربوا منه (لا تنفذون إلا بسلطان) اي حيث توجهتم فثم ملكي ولا تخرجون من سلطاني فأنا آخذكم بالموت عن عطاء ومعنى السلطان القوة التي سلط بها على الامر ثم الملك والقدرة والحجة كلها سلطان وقيل لا تنفذون إلا بسلطان اي لا تخرجون إلا بقدرة من الله وقوة يعطيكموها بأن يخلق لكم مكانا آخر سوى السموات والارض ويجعل لكم قوة تخرجون بها اليه فبين سبحانه بذلك انهم في حبسه وانه مقتدر عليهم لا يفوتونه وجعل ذلك دلالة على توحيده وقدرته وزجرا لهم عن معصيته ومخالفته وقيل ان المعنى في الآية ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات والارض فاعلموا فإنه لا يمكنكم ذلك لا تنفذون إلا بسلطان اي لا تعلمونه إلا بحجة وبيان عن ابن عباس وقيل لا تنفذون إلا بسلطان معناه حيث ما شاهدتم حجة الله و سلطانه الذي يدل على توحيده عن الزجاج (فبأي آلاء ربكما تكذبان) اي بأي نعمة تكذبان أبإخباره عن تحيركم لتحتالوا له بعمل الطاعة واجتناب المعصية او باخباره عنكم انكم لا تنفذون إلا بحجة لتستعدوا لذلك اليوم (يرسل عليكما شواظ من نار) وهو اللهب الاخضر المنقطع من النار (ونحاس) وهو الصفر المذاب للعذاب عن مجاهد وابن عباس وسفيان وقتادة وقيل النحاس الدخان عن ابن عباس في رواية أخرى وسعيد ابن جبير وقيل النحاس المهل عن ابن مسعود والضحاك والمعنى لا تنفذون ولو جاز ان تنفذوا وقدرتم عليه لأرسل عليكم العذاب من النار المحرقة وقيل معناه انه يقال لهم ذلك يوم القيامة (يرسل عليكما) اي يرسل على من اشرك منكما وقد جاء في الخبر يحاط على الخلق بالملائكة بلسان من نار ثم ينادون يا معشر الجن والإنس ان استطعتم ان تنفذوا من إلى قوله يرسل عليكما شواظ من نار وروى مسعدة بن صدقة عن كليب قال كنا عند ابي عبد الله (ع) فأنشأ يحدثنا فقال إذا كان يوم القيامة جمع الله العباد في صعيد واحد وذلك انه يوحي إلى السماء الدنيا ان اهبطي بمن فيك فيهبط أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجن والإنس والملائكة ثم يهبط اهل السماء الثانية بمثل الجميع مرتين فلا يزالون كذلك حتى يهبط اهل سبع سموات فيصير الجن والانس في سبع سرادقات من الملائكة ثم ينادي مناد يا معشر الجن والانس ان استطعتم الآية فينظرون فإذا قد احاط بهم سبعة اطواق من الملائكة وقوله (فلا تنتصران) اي فلا تقدران على دفع ذلك عنكما وعن غيركما وعلى هذا فيكون فائدة الآية ان عجز الثقلين عن الهرب من الجزاء كعجزهم عن النفوذ من الأقطار وفي ذلك اليأس من رفع الجزاء بوجه من الوجوه (فبأي آلاء ربكما تكذبان) اي بإخباره اياكم عن هذه الحالة لتتحرزوا عنها أم بغيره من النعم فان وجه النعمة في ارسال الشواظ من النار والنحاس على الثقلين هو ما في ذلك لهم من الزجر في دار التكليف عن مواقعة القبيح وذلك نعمة جزيلة (فإذا انشقت السماء) يعني يوم القيامة إذا تصدعت السماء وانفك بعضها من بعض (فكانت وردة) أي فصارت حمراء كلون الفرس الورد وهو الابيض الذي يضرب إلى الحمرة او الصفرة فيكون في الشتاء احمر

وفي الربيع اصفر و في اشتداد البرد اغبر سبحان خالقها والمصرف لها كيف يشاء والوردة واحدة الورد فشبه السماء يوم القيامة في اختلاف الوانها بذلك وقيل اراد به وردة النبات وهي حمراء وقد تختلف الوانها ولكن الاغلب في الوانها الحمرة فتصير السماء كالوردة في الاحمرار ثم تجري (كالدهان) وهو جمع الدهن عند انقضاء الأمر وتناهي المدة قال الحسن هي كالدهان التي يصب بعضها على بعض بألوان مختلفة قال الفراء شبه تلون السماء بتلون الوردة من الخيل وشبه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف الوانه وهو قول مجاهد والضحاك وقتادة وقيل الدهان الاديم الاحمر وجمعه ادهنة عن الكلبي وقيل هو عكر الزيت يتلون الوانا عن عطاء بن ابي رباح (فبأي آلاء ربكما تكذبان) وجه النعمة في انشقاق السماء حتى وقع التقرير بها هو ما في الاخبار به من الزجر والتخويف في دار الدنيا (فيومئذ) يعني يوم القيامة (لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) اي لا يسأل المجرم عن جرمه في ذلك الموطن لما يلحقه من الذهول الذي تحار له العقول وان وقعت المسألة في غير ذلك الوقت بدلالة قوله وقفوهم انهم مسؤولون وتقدير الآية فيومئذ لا يسأل انس عن ذنبه ولا جان عن ذنبه وقيل معناه فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان سؤال استفهام ليعرف ذلك بالمسألة من جهته لأن الله تعالى قد احصى الأعمال وحفظها على العباد وانما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ للمحاسبة وقيل ان أهل الجنة حسان الوجوه وأهل النار سود الوجوه فلا يسألون من اي الحزبين هم ولكن يسألون عن اعمالهم سؤال تقريع وروي عن الرضا «ع» انه قال فيومئذ لا يسأل منكم عن ذنبه انس ولا جان والمعنى ان من اعتقد الحق ثم أذنب ولم يتب في الدنيا عذب عليه في البرزخ ويخرج يوم القيامة وليس له ذنب يسأل عنه (يعرف المجرمون بسيماهم) أي بعلامتهم وهي سواد الوجوه وزرقة العيون عن الحسن وقتادة وقيل بإمارات الخزي (فيؤخذ بالنواصي والاقدام) فتأخذهم الزبانية فتجمع بين نواصيهم واقدامهم بالغل ثم يسحبون في النار ويقذفون فيها عن الحسن وقتادة وقيل تأخذهم الزبانية بنواصيهم وبأقدامهم فتسوقهم إلى النار والله اعلم (هذه جهنم) أي ويقال لهم هذه جهنم (التي يكذب بها المجرمون) الكافرون في الدنيا قد اظهره الله تعالى حتى زالت الشكوك فادخلوها ويمكن انه لما اخبر الله سبحانه انهم يؤخذون بالنواصي والاقدام قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون من قومك فسيردونها فليهن عليك أمرهم (يطوفون بينها وبين حميم آن) أي يطوفون مرة بين الجحيم ومرة بين الحميم فالجحيم النار والحميم الشراب عن قتادة وقيل معناه انهم يعذبون بالنار مرة ويجرعون من الحميم يصب عليهم ليس لهم من العذاب ابدا فرج عن ابن عباس والآن الذي انتهت حرارته وقيل الآن الحاضر (فبأي آلاء ربكما تكذبان) الوجه في ذلك ان التذكير بفعل العقاب والإنذار به من اكبر النعم لأن في ذلك زجرا عما يستحق به العذاب وحثا وبعثا على فعل ما يستحق به الثواب

قوله تعالى (٤٦) وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٨) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٠) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٢) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٤) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ

(٥٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٦) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٥٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٨) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٠) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ست عشرة آية

« القراءة »

قرأ الكسائي وحده لم يطمثهن بكسر الميم في احداهما وضمها في الاخرى والباقون بكسر الميم في الحرفين معا

الحجة

قال ابو علي يطمث ويطمث لغتان وقال ابو عبيدة لم يطمثهن اي لم يمسهن يقال ما طمث هذا البعير حبل قط اي ما مسه قال رؤبة « كالبيض لم يطمث بهن طامث »

اللغة

الافنان جمع فنن وهو الغصن الغض الورق ومنه قولهم هذا فن آخر اي نوع آخر ويجوز أن يكون جمع فن والاتكاء الاستناد للتكرمة والإمتاع والتكأة تطرح للانسان في مجالس الملوك للإكرام والاجلال وهو من وكأت السقاء اذا شددته ومنه قولهم العين وكاء السته والفرش جمع فراش وهو الموطأ الممهد للنوم عليه والبطائن جمع بطانة وهو باطن الظهارة والجنى الثمرة التي قد ادركت على الشجرة وهو صلح أن يجنى ومنه قول عمرو بن عدي

هذا جناي وخياره فيه إذ كل جان يده الى فيه

وتمثل به علي (ع) واصل الطمث الدم يقال طمثت المرأة اذا حاضت وطمثت اذا دميت بالاقتضاض وبعير لم يطمث إذا لم يمسه حبل ولا رحل قال الفرزدق

دفعن إلي لم يطمثن قبلي وهن اصح من بيض النعام

الاعراب

متكئين حال من المجرورة باللام اي لهم جنتان في هذه الحالة وما بين قوله جنتان الى قوله متكئين صفات لجنتين بطائنها من استبرق ابتداء وخبر في موضع الجر وصف لفرش وقوله وجنى الجنتين دان اعتراض وقوله فيهن قاصرات الطرف صفة اخرى لفرش وقوله كأنهن الياقوت والمرجان حال لقاصرات الطرف اي مشابهات للياقوت والمرجان وقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ولهم من دونهما جنتان

المعنى

ثم عقب سبحانه الوعيد بالوعد فقال (ولمن خاف مقام ربه) اي مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية والشهوة قال مجاهد وهو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله تعالى فيدعها وقيل هذا لمن راقب الله تعالى في السر والعلانية جملة فما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عرض له من خير عمله وأفضى به الى الله تعالى لا يطلع عليه احد قال الصادق (ع) من علم ان الله يراه ويسمع مايقول من خير وشر فيحجزه ذلك عن القبيح من الاعمال فله (جنتان) اي جنة عدن وجنة النعيم عن مقاتل وقيل بستانان من بساتين الجنة احداهما داخل القصر والاخرى خارج القصر كما يشتهي الإنسان في الدنيا وقيل احدى الجنتين منزله والاخرى منزل ازواجه وخدمه عن الجبائي وقيل جنة من ذهب وجنة من فضة ثم وصف الجنتين فقال (ذواتا افنان) اي ذواتا الوان من النعيم عن ابن

عباس وقيل ذواتا ألوان من الفواكه عن الضحاك وقيل ذواتا اغصان عن الأخفش والجبائي ومجاهد اي ذواتا أشجار لا ن الاغصان لا تكون إلا من الشجر فدل بكثرة اغصانها على كثرة اشجارها وبكثرة اشجارها على تمام حالها وكثرة ثمارها لأن البستان إنما يكمل بكثرة الاشجار والأشجار لا تحسن الا بكثرة الاغصان (فيهما عينان تجريان) اي في الجنتين عينان من الماء تجريان بين اشجارهما وقيل عينان احداهما السلسبيل والاخرى التسنيم عن الحسن وقيل احداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين عن عطية العوفي (فيهما من كل فاكهة زوجان) اي في كلتا الجنتين من كل ثمرة نوعان وضربان متشاكلان كتشاكل الذكر والانثى فلذلك سماهما زوجين وذلك كالرطب واليابس من العنب والزبيب والرطب واليابس من التين وكذلك سائر الانواع لا يقصر يابسه عن رطبه في الفضل والطيب وقيل معناه فيهما من كل نوع من الفاكهة ضربان ضرب معروف وضرب من شكله غريب لم يعرفوه في الدنيا (متكئين) حال فمن ذكروا في قوله ولمن خاف مقام ربه اي قاعدين كالملوك (على فرش بطائنها من استبرق) اي من ديباج غليظ ذكر البطانة ولم يذكر الظهارة لأن البطانة تدل على ان لها ظهارة والبطانة دون الظهارة فتدل على ان الظهارة فوق الاستبرق وقيل ان الظهائر من سندس وهو الديباج الرقيق والبطانة من استبرق وقيل الاستبرق الحرير الصيني وهو بين الغليظ والدقيق وروي عن ابن مسعود انه قال هذه البطائن فما ظنكم بالظهائر وقيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظهائر قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين (وجنى الجنتين دان) الجنى الثمر المجتنى اي تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا عن ابن عباس وقيل ثمار الجنتين دانية الى افواه اربابها فيتناولونها متكئين فاذا اضطجعوا نزلت بإزاء افواههم فيتناولونها مضطجعين لا يرد ايديهم عنها بعد ولا شوك عن مجاهد (فيهن) اي في الفرش التي ذكرها ويجوز ان يريد في الجنان لأنها معلومة وان لم تذكر (قاصرات الطرف) قصرن طرفهن على ازواجهن لم يردن غيرهم عن قتادة وقال ابو ذر انها تقول لزوجها وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئا احسن منك فالحمد لله الذي جعلني زوجتك وجعلك زوجي والطرف جفن العين لأنه طرف لها ينطبق عليها تارة وينفتح تارة (لم يطمثهن) اي لم يفتضهن والافتضاض النكاح بالتدمية والمعنى لم يطأهن ولم يغشهن (انس قبلهم ولا جان) فهن ابكار لأنهن خلقن في الجنة فعلى هذا القول هؤلاء من حور الجنة وقيل هن من نساء الدنيا لم يمسهن منذ انشئن خلق عن الشعبي والكلبي اي لم يجامعهن في هذا الخلق الذي انشئن فيه انس ولا جان قال الزجاج وفي هذه الآية دليل على ان الجني يغشى كما يغشى الانسي وقال ضمرة بن حبيب وفيها دليل على ان للجن ثوابا وازواجا من الحور فالانسيات للانس والجنيات للجن قال البلخي المعنى ان ما يهب الله لمؤمني الانس من الحور لم يطمثهن انس وما يهب الله لمؤمني الجن من الحور لم يطمثهن جان (كأنهن الياقوت والمرجان) أي هن على صفاء الياقوت في بياض المرجان عن الحسن وقتادة وقال الحسن المرجان اشد اللؤلؤ بياضا وهو صغاره وفي الحديث ان المرأة من أهل الجنة يرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة من حرير عن ابن مسعود كما يرى السلك من وراء الياقوت (هل جزاء الاحسان إلا الاحسان) أي ليس جزاء من احسن في الدنيا إلا ان يحسن اليه في الآخرة وقيل هل جزاء من قال لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا الجنة عن ابن عباس وجاءت الرواية عن انس ابن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية فقال هل تدرون ما يقول ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فإن ربكم يقول هل جزاء من انعمنا عليه بالتوحيد إلا الجنة وقيل معناه هل جزاء من احسن اليكم بهذه النعم إلا ان تحسنوا في شكره وعبادته وروى العياشي باسناده عن الحسين بن سعيد عن عثمان بن عيسى عن علي بن سالم قال سمعت ابا عبد الله (ع) يقول آية في كتاب الله مسجلة قلت ما هي قال قول الله تعالى هل جزاء الاحسان إلا الاحسان جرت في الكافر والمؤمن والبر والفاجر ومن صنع اليه معروف فعليه ان يكافئ به وليس المكافأة ان تصنع كما صنع حتى يربي فإن صنعت كما صنع كان له الفضل بالابتداء

قوله تعالى (٦٢) وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٤) مُدْهَامَّتَانِ (٦٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٦) فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٨) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٩) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٠) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧١) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٢) حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٣) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٤) لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٧٥) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٦) مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ (٧٧) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٧٨) تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ سبع عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن عامر ذو الجلال بالرفع والباقون بالجر وفي الشواذ قراءة النبي ﷺ والجحدري ومالك بن دينار وابن محيصن والحسن وزهير القرقبي على رفارف خضر وعباقري حسان وقراءة الاعرج خضر بضمتين

قال ابو علي من قرأ ذي الجلال فجر جعله صفة لربك وزعموا أن ابن مسعود قرأ ويبقى وجه ربك ذي الجلال والاكرام بالياء في كلتيهما وقال الاصمعي لا يقال الجلال إلا في الله تعالى فهذا يقوي الجر إلا أن الجلال قد جاء في غير الله قال

فلا ذا جلال هبنه لجلاله ... ولا ذا ضياع هن يتركن للفقر

ومن رفع اجراه على الاسم قال ابن جني روى قطرب عباقري بكسر القاف غير مصروف ورويناه عن ابي حاتم عباقري بفتح القاف غير مصروف ايضا قال ابو حاتم ولا يشبه إلا أن يكون عباقر بفتح القاف على ما تتكلم به العرب قال ولو قالوا عباقري بكسر القاف وصرفوا لكان اشبه بكلام العرب كالنسب إلى مداين مدايني والرفارف رياض الجنة عن سعيد بن جبير وعبقر موضع قال امرؤ القيس

كأن صليل المروجين تشده ... صليل زيوف ينتقدن بعبقرا

وقال زهير

بخيل عليها جنة عبقرية ... جديرون يوما ان ينالوا ويستعلوا

واما ترك صرف عباقري فشاذ في القياس ولا يستنكر شذوذه في القياس مع استمراره في الاستعمال كما جاء عن الجماعة استحوذ عليهم الشيطان فهو شاذ في القياس مطرد في الاستعمال وليس لنا أن نتلقى قراءة رسول الله ﷺ إلا بقبولها واما خضر بضم الضاد فقليل وهو من مواضع الشعر كما قال طرفة «وراد أو شقر»

﴿ اللغة ﴾

الدهمة السواد وادهام الزرع اذا علاه السواد ريا ومنه الدهماء وتصغيره الدهيماء للداهية سميت بذلك لظلامها والدهماء القدر والنضخ بالخاء المعجمة أكثر من النضح بالحاء غير المعجمة لأن النضح الرش وبالخاء كالبزل والنضاخة الفوارة التي ترمي بالماء صعدا والرمان مشتق من رم يرم رما لأن من شأنه أن يرم الفؤاد

بجلاله له والخيرات جمع خيرة والرجل خير والرجال خيار واخيار قال

ولقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خيرة الملكات

وقال الزجاج أصل خيرات خيّرات فخفف والخيام جمع خيمة وهي بيت من الثياب على الأعمدة والأوتاد ما يتخذ للاصحار والرفرف رياض الجنة من قولهم رف النبات يرف اي صار غضا نضراً وقيل الرفرف المجالس وقيل الوسائد وقيل ان كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف قال ابن مقبل

وانا لنزالون تغشى نعالنا سواقط من اصناف ريط ورفرف

والعبقري عتاق الزرابي والطنافس المخملة الموشمة وهو اسم الجنس واحدته عبقرية قال ابو عبيدة كل شيء من البسط عبقري وكل ما بولغ في وصفه بالجودة نسب الى عبقر وهو بلد كان يوشى فيه البسط وغيرها

المعنى

ثم قال سبحانه (ومن دونهما جنتان) اي ومن دون الجنتين اللتين ذكرناهما لمن خاف مقام ربه جنتان أخراوان دون الجنتين الأوليين فإنهما اقرب الى قصره ومجالسه في قصره ليتضاعف له السرور بالتنقل من جنة الى جنة على ما هو معروف من طبع البشر من شهوة مثل ذلك ومعنى دون هنا مكان قريب من الشيء بالاضافة الى غيره مما ليس له مثل قربه وهو ظرف مكان وإنما كان التنقل من جنة الى جنة أخرى أنفع لأنه ابعد من الملل الذي طبع عليه البشر وقيل ان المعنى انهما دون الجنتين الأوليين في الفضل فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما وروى العياشي بالاسناد عن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال قلت له جعلت فداك اخبرني عن الرجل المؤمن تكون له امرأة مؤمنة يدخلان الجنة يتزوج احدهما الآخر فقال يا ابا محمد ان الله حكم عدل اذا كان هو افضل منها خيّره فإن اختارها كانت من ازواجه وان كانت هي خيراً منه خيرها فإن اختارته كان زوجا لها قال وقال ابو عبد الله (ع) لا تقولن الجنة واحدة ان الله يقول ومن دونهما جنتان ولا تقولن درجة واحدة ان الله يقول درجات بعضها فوق بعض إنما تفاضل القوم بالأعمال قال وقلت له ان المؤمنين يدخلان الجنة فيكون احدهما ارفع مكانا من الآخر فيشتهي أن يلقى صاحبه قال من كان فوقه فله أن يهبط ومن كان تحته لم يكن له ان يصعد لأنه لا يبلغ ذلك المكان ولكنهم اذا احبوا ذلك واشتهوه التقوا على الاسرة وعن العلاء بن سيابة عن ابي عبد الله (ع) قال قلت له ان الناس يتعجبون منا اذا قلنا يخرج قوم من جهنم فيدخلون الجنة فيقولون لنا فيكونون مع اولياء الله في الجنة فقال يا علاء ان الله يقول ومن دونهما جنتان لا والله لا يكونون مع اولياء الله قلت كانوا كافرين قال (ع) لا والله لو كانوا كافرين ما دخلوا الجنة قلت كانوا مؤمنين قال لا والله لو كانوا مؤمنين ما دخلوا النار ولكن بين ذلك وتأويل هذا لو صح الخبر انهم لم يكونوا من أفاضل المؤمنين واخيارهم ثم وصف الجنتين فقال (مدهامتان) اي من خضرتهما قد اسودتا من الري وكل نبت اخضر فتمام خضرته ان يضرب الى السواد وهو على أتم ما يكون من الحسن وهذا على قول من قال ان الجنات الأربع لمن خاف مقام ربه وهو قول ابن عباس وقيل الأوليان للسابقين والاخريان للتابعين عن الحسن (فيهما عينان نضاختان) اي فوارتان بالماء ينبع من أصلهما ثم يجريان عن

الحسن قال ابن عباس ينضخ على اولياء الله بالمسك والعنبر والكافور وقيل ينضخان بأنواع الخيرات (فيهما فاكهة) يعني ألوان الفاكهة (ونخل ورمان) وحكى الزجاج عن يونس النحوي وهو من قدماء النحويين أن النخل والرمان من افضل الفواكه وإنما فصلا بالواو لفضلهما قال الأزهري ماعلمت ان احدا من العرب قال في النخل والكرم وثمارها انها ليست من الفاكهة وإنما قال ذلك من قال لقلة علمه بكلام العرب وتأويل القرآن العربي المبين والعرب تذكر الاشياء جملة ثم تخص شيئا منها بالتسمية تنبيها على فضل فيه كما قال سبحانه من كان عدوا لله وملائكته وكتبه ورسله وجبرائيل وميكائيل (فيهن) يعني في الجنات الأربع (خيرات حسان) اي نساء خيرات الأخلاق حسان الوجوه روته أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل خيرات فاضلات في الصلاح والجمال عن الحسن حسان في المناظر والألوان وقيل انهن نساء الدنيا ترد عليهم في الجنة وهن اجمل من الحور العين وقيل خيرات مختارات عن جرير بن عبد الله وقيل ليس بذربات ولا زفرات ولا بخرات ولا متطلعات ولا متسوفات ولا متسلطات ولا طماحات ولا طوافات في الطرق ولا يغرن ولا يؤذين وقال عقبة بن عبد الغفار نساء أهل الجنة يأخذ بعضهن بأيدي بعض ويتغنين باصوات لم يسمع الخلائق مثلها نحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن ونحن خيرات حسان حبيبات الازواج كرام وقالت عائشة الحور العين اذا قلن هذه المقالة اجابتهن المؤمنات من نساء الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصائمات وما صمتن ونحن المتوضئات وما توضأتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن فغلبنهن والله (حور) اي بيض حسان البياض عن ابن عباس ومجاهد ومنه الدقيق الحواري لشدة بياضه والعين الحور اذا كانت شديدة بياض البياض شديدة سواد السواد وبذلك يتم حسن العين (مقصورات في الخيام) اي محبوسات في الحجال مستورات في القباب عن ابن عباس وابي العالية والحسن والمعنى انهن مصونات مخدرات لا يبتذلن وقيل مقصورات اي قصرن على ازواجهن فلا يردن بدلا منهم عن مجاهد والربيع وقيل إن لكل زوجة خيمة طولها ستون ميلا عن ابن مسعود وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال الخيمة درة واحدة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها اهلا (؟) للمؤمن لا يراه الآخرون وعن ابن عباس قال الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ فيها اربعة آلاف مصراع عن وهب وعن انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال مررت ليلة أسري بي بنهر حافتاه قباب المرجان فنوديت منه السلام عليك يارسول الله فقلت يا جبرائيل من هؤلاء قال هؤلاء جوار من الحور العين استأذن ربهن عزوجل أن يسلمن عليك فأذن لهن فقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبأس ازواج رجال كرام ثم قرأ صلى الله عليه وآله وسلم حور مقصورات في الخيام (لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان) مر معناه والوجه في التكرير الابانة عن ان صفة الحور المقصورات في الخيام كصفة القاصرات الطرف (متكئين على رفرف خضر) اي على فرش مرتفعة عن الجبائي وقيل الرفرف رياض الجنة والواحدة رفرفة عن سعيد بن جبير وقيل هي المجالس عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل هي المرافق يعني الوسائد عن الحسن (وعبقري حسان) اي وزرابي حسان عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وهي الطنافس وقيل العبقري الديباج عن مجاهد وقيل هي البسط عن الحسن قال القتيبي كل ثوب موشى فهو عبقري وهو جمع ولذلك قال حسان ثم ختم السورة بما ينبغي أن يبجل به ويعظم فقال (تبارك اسم ربك) اي تعاظم وتعالى اسم ربك لأنه استحق أن يوصف بما لا يوصف به غيره من كونه قديما وإلها وقادرا لنفسه وعالما لنفسه

وحيا لنفسه وغير ذلك (ذي الجلال) اي ذي العظمة والكبرياء (والاكرام) يكرم اهل دينه وولايته عن الحسن وقيل معناه عظمة البركة في اسم ربك فاطلبوا البركة في كل شيء بذكر اسمه وقيل ان اسم صلة لمعنى تبارك ربك قال لبيد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وقيل ان المعنى ان اسمه منزه عن كل سوء له الاسماء الحسنى وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال انطقوا بيا ذا الجلال والاكرام اي داوموا عليه

سورة الواقعة (مكية)

وقال ابن عباس وقتادة إلا آية منها نزلت بالمدينة وهي وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقيل إلا قوله ثلة من الاولين وقوله افبهذا الحديث انتم مدهنون نزلت في سفره الى المدينة

عدد آيها

تسع وتسعون حجازي شامي سبع بصري ست كوفي

اختلافها

اربع عشرة آية فأصحاب الميمنة واصحاب المشئمة واصحاب الشمال ثلثهن غير الكوفي والمدني الأخير انشأناهن انشاء غير البصري في سموم وحميم غير المكي وكانوا يقولون مكي واباريق مكي والمدني الأخير موضونة حجازي كوفي وحور عين كوفي والمدني الأول تأثيما عراقي شامي والمدني الأخير والآخرين غير شامي والمدني الأخير لمجموعون شامي والمدني الأخير فروح وريحان شامي

فضلها

ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ سورة الواقعة كتب ليس من الغافلين وعن مسروق قال من اراد أن يعلم نبأ الأولين ونبأ أهل الجنة ونبأ أهل النار ونبأ الدنيا ونبأ الآخرة فليقرأ سورة الواقعة وروي أن عثمان بن عفان دخل على عبد الله بن مسعود يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال له ماتشتكي قال ذنوبي قال ما تشتهي قال رحمة ربي قال افلا ندعو الطبيب قال الطبيب امرضني قال افلا نأمر بعطائك قال منعتنيه وانا محتاج اليه وتعطينيه وانا مستغن عنه قال يكون لبناتك قال لا حاجة لهن فيه فقد امرتهن أن يقرأن سورة الواقعة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا وروى العياشي بالاسناد عن زيد الشحام عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ سورة الواقعة قبل أن ينام لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر وعن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ في كل ليلة جمعة الواقعة احبه الله وحببه الى الناس اجمعين ولم ير في الدنيا بؤسا ابدا ولا فقرا ولا آفة من آفات الدنيا وكان من رفقاء امير المؤمنين تمام الخبر

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه سورة الرحمن بصفة الجنة وافتتح هذه السورة ايضا بصفة القيامة والجنة فاتصلت احداها بالأخرى اتصال النظير للنظير فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (٢) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (٣) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (٤) إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (٥) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا (٦) وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً (٧) فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (٩) وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٠) وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١١) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٣) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٤) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٥) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٦) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ

ست عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة الحسن والثقفي وابي حيوة خافضة رافعة بالنصب

﴿ الحجة ﴾

هذا منصوب على الحال قال ابن جني وقوله ليس لوقعتها كاذبة حال اخرى قبلها أي اذا وقعت الواقعة صادقة الوقعة خافضة رافعة فهذه ثلاثة احوال ومثله مررت بزيد جالسا متكئا ضاحكا وان شئت أن تأتي باضعاف ذلك جاز وحسن كما ان لك أن تأتي للمبتدأ من الأخبار بما شئت فتقول زيد عالم جميل فارس كوفي بزاز ونحو ذلك ألا ترى ان الحال زيادة في الخبر وضرب منه

﴿ اللغة ﴾

الكاذبة مصدر مثل العافية والعاقبة والرج التحريك باضطراب واهتزاز ومنه قولهم ارتج السهم عند خروجه من القوس والبس الفت كما يبس السويق اي ملت قال الشاعر : « لا تخبزا خبزا وبسّا بسّا » والبسيس السويق او الدقيق يتخذ زادا وبست ايضا سيقت عن الزجاج قال الشاعر « وانبس حيات الكثيب الأهيل » والهباء غبار كالشعاع في الرقة وكثيرا ما يخرج مع شعاع الشمس من الكوة النافذة والانبثاث افتراق الاجزاء الكثيرة في الجهات المختلفة والازواج الاصناف التي بعضها مع بعض كما يقال للخفين زوجان والثلاثة الجماعة واصله القطعة من قولهم ثل عرشه اذا قطع ملكه بهدم سريره والثلة القطعة من الناس والموضونة المنسوجة المتداخلة كصفة الدرع المضاعفة قال الأعشى

ومن نسج داود موضونة ... تساق الى الحي عيرا فعيرا

ومنه وضين الناقة وهو البطان من السيور اذا نسج بعضه على بعض مضاعفا

﴿ الاعراب ﴾

اذا وقعت الواقعة ظرف من معنى ليس لأن التقدير لا يكون لوقعتها كاذبة وليس نفي الحال فلا يكون

اذا ظرفا منه ويجوز ان يكون العامل في اذا محذوفا لدلالة الموضع عليه كأنه قال اذا وقعت الواقعة كذلك فاز المؤمنون وخسر الكافرون وقال ابو علي تقديره فهي خافضة رافعة فاضمر المبتدأ مع الفاء وجعلها جواب اذا اي خفضت قوما ورفعت قوما اذ ذاك فخافضة رافعة خبر المبتدأ المحذوف وقوله اذا رجت الأرض رجا بدل من قوله اذا وقعت الواقعة ويجوز أن يكون ظرفا من يقع اي يقع في ذلك الوقت ويجوز أن يكون خبرا عن اذا الاولى ونظيره اذاً تزورني اذا ازور زيداً اي وقت زيارتك اياي وقت زيارتي زيدا قال ابن جني ويجوز أن يفارق اذا الظرفية كقول لبيد

حتى اذا القت يدا في كافر   واجن عورات الثغور ظلامها

وقوله سبحانه حتى اذا كنتم في الفلك فإذا مجرورة عند ابي الحسن بحتى وذلك يخرجها من الظرفية واقول فعلى هذا لا يكون قوله اذا ظرفا في الموضعين بل كل واحد منها في موضع الرفع لكونهما مبتدأ وخبرا بخلاف ما ظنه بعض المجودين من محققي زماننا في النحو فإنه قال قال عثمان يعني ابن جني العامل في اذا وقعت قوله اذا رجت وهذا خطأ فاحش فاصحاب الميمنة رفع بالابتداء والتقدير فأصحاب الميمنة ماهم أي أي شيء هم واصحاب المشئمة اي أي شيء هم وهذه اللفظة مجراة مجرى التعجب ومتكئين ومتقابلين نصب على الحال .

﴿ المعنى ﴾

(اذا وقعت الواقعة) اي اذا قامت القيامة عن ابن عباس والواقعة اسم القيامة كالآزفة وغيرها والمعنى اذا حدثت الحادثة وهي الصيحة عند النفخة الأخيرة لقيام الساعة وقيل سميت بها لكثرة ما يقع فيها من الشدة او لشدة وقعها وتقديره اذكروا اذا وقعت الواقعة وهذا حث على الاستعداد لها (ليس لوقعتها كاذبة) اي ليس لمجيئها وظهورها كذب ومعناه انها تقع صدقا وحقا فليس فيها ولا في الإخبار عنها ووقوعها كذب وقيل معناه ليس لوقوعها قضية كاذبة اي ثبت وقوعها بالسمع والعقل (خافضة رافعة) اى تخفض ناسا وترفع آخرين عن ابن عباس وقيل تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة عن الحسن والجبائي والمعنى الجامع للقولين انها تخفض رجالا كانوا في الدنيا مرتفعين وتجعلهم اذلة بإدخالهم النار وترفع رجالا كانوا في الدنيا أذلة وتجعلهم اعزة بإدخالهم الجنة (اذا رجت الارض رجا) اي حركت حركة شديدة وقيل زلزلت زلزالا شديدا عن ابن عباس وقتادة ومجاهد اي رجفت بإماتة من على ظهرها من الأحياء وقيل معناه رجت بما فيها كما يرج الغربال بما فيه فيكون المراد ترج باخراج من في بطنها من الموتى (وبست الجبال بسا) اي فتتت فتا عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقيل معناه كسرت كسرا عن السدي عن سعيد بن المسيب وقيل قلعت من اصلها عن الحسن وقيل سيرت عن وجه الارض تسييرا عن الكلبي وقيل بسطت بسطا كالرمل والتراب عن ابن عطية وقيل جعلت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة طويلة عن ابن كيسان (فكانت هباء منبثا) اي غبارا متفرقا كالذي يرى في شعاع الشمس اذ دخل من الكوة ثم وصف سبحانه احوال الناس بأن قال (وكنتم ازواجا ثلاثة) اي اصنافا ثلاثة ثم فسرها فقال (فاصحاب الميمنة) يعني اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم عن الضحاك والجبائي وقيل هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة وقيل هم اصحاب اليمن والبركة على انفسهم والثواب من الله سبحانه بما سعوا من الطاعة وهم التابعون بإحسان

عن الحسن والربيع ثم عجب سبحانه رسوله من حالهم تفخيما لشأنهم فقال (ما اصحاب الميمنة) اي أي شيء هم كما يقال هم ما هم (واصحاب المشئمة) وهم الذين يعطون كتبهم بشمالهم وقيل هم الذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار وقيل هم المشائيم على انفسهم بما عملوا من المعصية ثم عجب سبحانه رسوله من حالهم تفخيما لشأنهم في العذاب فقال (ما اصحاب المشئمة) ثم بين سبحانه الصنف الثالث فقال (والسابقون السابقون) اي والسابقون الى اتباع الانبياء الذين صاروا ائمة الهدى فهم السابقون الى جزيل الثواب عند الله عن الجبائي وقيل معناه السابقون الى طاعة الله وهم السابقون الى رحمته والسابق الى الخير إنما كان أفضل لأنه يقتدى به في الخير وسبق الى اعلى المراتب قبل من يجيئ بعده فلهذا يميز بين التابعين فعلى هذا يكون السابقون الثاني خبرا عن الأول ويجوز أن يكون الثاني تأكيدا للأول والخبر (أولئك المقربون) اي والسابقون الى الطاعات يقربون الى رحمة الله في اعلى المراتب والى جزيل ثواب الله في اعظم الكرامة ثم اخبر تعالى اين محلهم فقال (في جنات النعيم) لئلا يتوهم متوهم ان التقريب يخرجهم الى دار اخرى فأعلم سبحانه انهم مقربون من كرامة الله في الجنة لأن الجنة درجات ومنازل بعضها ارفع من بعض وقد قيل في السابقين انهم السابقون الى الايمان عن مقاتل وعكرمة وقيل السابقون الى الهجرة عن ابن عباس وقيل الى الصلوات الخمس عن علي (ع) وقيل الى الجهاد عن الضحاك وقيل الى التوبة واعمال البر عن سعيد بن جبير وقيل الى كل ما دعا الله اليه عن ابن كيسان وهذا اولى لأنه يعم الجميع وكان عروة بن الزبير يقول تقدموا تقدموا وعن ابي جعفر (ع) قال السابقون اربعة ابن آدم المقتول وسابق في امة موسى (ع) وهو مؤمن آل فرعون وسابق في أمة عيسى (ع) وهو حبيب النجار والسابق في امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم علي ابن ابي طالب (ع) (ثلة من الأولين) اي هم ثلة يعني جماعة كثيرة العدد من الأولين من الأمم الماضية (وقليل من الآخرين) من امة محمد لأن من سبق الى اجابة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم قليل بالاضافة الى من سبق الى اجابة النبيين قبله عن جماعة من المفسرين وقيل معناه جماعة من اوائل هذه الأمة وقليل من اواخرهم ممن قرب حالهم من حال اولئك قال مقاتل يعني سابقي الأمم وقليل من الآخرين من هذه الأمة (على سرر موضونة) اي منسوجة كما يوضن حلق الدرع فيدخل بعضها في بعض قال المفسرون منسوجة بقضبان الذهب مشبكة بالدر والجواهر (متكئين عليها) اي مستندين جالسين جلوس الملوك (متقابلين) اي متحاذين كل واحد منهم بازاء الآخر وذلك اعظم في باب السرور والمعنى أن بعضهم ينظر الى وجه بعض لا ينظر في قفاه لحسن معاشرتهم وتهذيب اخلاقهم .

قوله تعالى (١٧) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٨) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (١٩) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ (٢٠) وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢١) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) وَحُورٌ عِينٌ (٢٣) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٤) جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٥) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا (٢٦) إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا عشر آيات.

القراءة

قرأ ابو جعفر وحمزة والكسائي وحور عين بالجر والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة ابن ابي اسحاق

ولا ينزفون بفتح الياء وكسر الزاي وقراءة ابي بن كعب وابن مسعود وحورا عينا

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي وجه الرفع في وحور عين انه لما قال يطوف عليهم ولدان مخلدون دل الكلام وما ذكر بعد على أن لهم فيها كذا وكذا ولهم فيها حور عين وكذلك من نصب حمل على المعنى لأن الكلام دل على يمنحون ويملكون وهذا مذهب سيبويه ويجوز أن يحمل الرفع على قوله على سرر موضونة التقدير وعلى سرر موضونة حور عين أو وحور عين على سرر موضونة لأن الوصف قد جرى عليهن فاختصصن فجاز أن يرفع بالابتداء ولم يكن كالنكرة اذا لم يوصف نحو فيها عين وقوله على سرر موضونة خبر لقوله تعالى ثلة من الأولين وقليل من الآخرين فكذلك يجوز أن يكون خبرا عنهن ويجوز في ارتفاع وحور عين أن يكون عطفا على الضمير في متكئين ولم يؤكد لكون طول الكلام بدلا من التأكيد ويجوز ايضا أن يعطفه على الضمير في متقابلين ولم يؤكد لطول الكلام أيضا وقد جاء ما اشركنا ولا آباؤنا فهذا اجدر وقال الزجاج الرفع أحسن الوجهين لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بهذه الاشياء انه قد ثبت لهم ذلك فكأنه قال ولهم حور عين ومثله مما حمل على هذا المعنى قال الشاعر

بادت وغير أيهن مع البلى ... إلا رواكد جمرهن هباء

ثم قال بعده

ومشجج أما سواء قذاله ... فبدا وغير ساوة المعزاء

لأنه لما قال إلا رواكد كان المعنى بها رواكد فحمل ومشجج على المعنى وقال غيره تقديره وهناك حور عين قال ابو علي وجه الجر ان يكون يحمله على قوله اولئك المقربون في جنات النعيم التقدير أولئك المقربون في جنات النعيم وفي حور عين اي وفي مقاربة حور عين اومعاشرة حور عين فحذف المضاف فإن قلت فلم لا تحمله على الجار في قوله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون بكذا وبحور عين فهذا يمكن أن يقال إلا ان ابا الحسن قال في ذا بعض الوحشة قال ابن جني نزف البئر ينزفها نزفا اذا استقى ماؤها وانزفت الشيء اذا افنيته قال الشاعر

لعمري لئن انزفتم او صحوتم ... لبئس الندامى كنتم آل ابجرا

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه (يطوف عليهم ولدان) اي وصفاء وغلمان للخدمة (مخلدون) اي باقون لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون عن مجاهد وقيل مقرطون والخلد القرط يقال خلد جاريته اذا حلاها بالقرطة عن سعيد بن جبير والفراء واختلف في هذه الولدان فقيل انهم اولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا فأنزلوا هذه المنزلة عن علي (ع) والحسن وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه سئل عن اطفال المشركين فقال هم خدم أهل الجنة وقيل بل هم من خدم الجنة على صورة الولدان خلقوا لخدمة اهل الجنة (بأكواب) وهي القداح الواسعة الرؤوس لا خراطيم لها عن قتادة (وأباريق) وهي التي لها خراطيم وعرى وهو الذي برق من صفاء لونه (وكأس من معين) اي ويطوفون ايضا عليهم بكأس من خمر معين اي ظاهر للعيون جار (لا يصدعون عنها) اي لا يأخذهم من شربها صداع وقيل لا يتفرقون عنها (ولا ينزفون)

اي لا تنزف عقولهم بمعنى لا تذهب بالسكر عن مجاهد وقتادة والضحاك ومن قرأ ينزفون حمله على انه لا تفنى خمرهم (وفاكهة مما يتخيرون) اي ويطوفون عليهم بفاكهة مما يختارونه ويشتهونه يقال تخيرت الشيء اخذت خيره (ولحم طير مما يشتهون) أي وبلحم طير مما يتمنون فإن أهل الجنة إذا اشتهوا لحم الطير خلق الله سبحانه لهم الطير نضيجا حتى لا يحتاج إلى ذبح الطير وإيلامه قال ابن عباس يخطر على قلبه الطير فيصير ممثلا بين يديه على ما اشتهى (وحور عين) قد مر بيانه (كأمثال اللؤلؤ المكنون) أي الدر المصون المخزون في الصدف لم تمسه الأيدي قال عمر بن ابي ربيعة

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا ص ميزت من جوهر مكنون

(جزاء بما كانوا يعملون) أي نفعل ذلك لجزاء اعمالهم وطاعاتهم التي عملوها في دار التكليف الدنيا (لا يسمعون فيها) اي في الجنة (لغواً) أي ما لا فائدة فيه من الكلام لأن كل ما يتكلمون به فيه فائدة (ولا تأثيما) اي لا يقول بعضهم لبعض أثمت لأنهم لا يتكلمون بما فيه إثم عن ابن عباس وقيل معناه لا يتخالفون على شرب الخمر كما يتخالفون في الدنيا ولا يأثمون بشربها كما يأثمون في الدنيا (إلا قيلا سلاما سلاما) أي لا يسمعون إلا قول بعضهم لبعض على وجه التحية سلاما سلاما والمعنى أنهم يتداعون بالسلام على حسن الآداب وكريم الأخلاق اللذين يوجبان التواد ونصب سلاما على تقدير سلمك الله سلاما بدوام النعمة وكمال الغبطة ويجوز ان يعمل سلام في سلاما لأنه يدل على عامله كما يدل قوله تعالى والله أنبتكم من الأرض نباتا على العامل في نبات فإن المعنى أنبتكم فنبتم نباتا ويجوز ان يكون سلاما نعتا لقوله قيلا ويجوز ان يكون مفعول قيل فالوجوه الثلاثة تحتملها الآية

قوله تعالى (٢٧) وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٨) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٩) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (٣٠) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣١) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣٢) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٣) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٤) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (٣٥) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٦) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٧) عُرُبًا أَتْرَابًا (٣٨) لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ (٣٩) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (٤٠) وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ اربع عشرة آية

❊ القراءة ❊

قرأ اسماعيل وحمزة وحماد ويحيى عن ابي بكر وخلف عربا ساكنة الراء والباقون عربا بضمتين

❊ الحجة ❊

العروب الحسنة التبعل قال لبيد

وفي الحدوج عروب غير فاحشة ريا الروادف يغشى دونها البصر

والفعول يجمع على فعل وفعل فمن التثقيل قوله « فاصبري انك من قوم صبر » والتخفيف في ذلك شائع مطرد

❊ اللغة ❊

السدر شجر النبق وأصل الخضد عطف العود اللين فمن هاهنا المخضود الذي لا شوك له لأن

الغالب ان الرطب اللين لا شوك له والطلح قال ابو عبيدة هو كل شجر عظيم كثير الشوك قال بعض الحداة

بشرها دليلها وقالا غدا ترين الطلح والجبالا

وقال الزجاج الطلح شجر ام غيلان فقد يكون على احسن حال والمنضود من نضدت المتاع إذا جعلت بعضه على بعض والبكر التي لم يفترعها الرجل فهي على خلقتها الأولى من حال الإنشاء ومنه البكرة لأول النهار والباكورة لأول الفاكهة والبكر الفتي من الابل وجمعه بكار وبكارة وجاء القوم على بكرتهم وبكرة أبيهم عن الازهري والاتراب جمع ترب وهو اللدة الذي ينشأ مع مثله في حال الصبا وهو مأخوذ من لعب الصبي بالتراب أي هم كالصبيان الذين هم على سن واحد قال ابن ابي ربيعة

ابرزوها مثل المهاة تهادى بين عشر كواعب أتراب

❋ المعنى ❋

ثم ذكر سبحانه أصحاب اليمين وعجب من شأنهم فقال (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) هو مثل قوله ما أصحاب الميمنة وقد مر معناه (في سدر مخضود) أي في نبق مخضود أي منزوع الشوكة قد خضد شوكه أي قطع عن ابن عباس وعكرمة وقتادة وقيل هو الذي خضد بكثرة حمله وذهاب شوكه وقيل هو الموقر حملا عن الضحاك ومجاهد ومقاتل بن حيان وقال الضحاك نظر المسلمون إلى وج وهو واد مخصب بالطائف فأعجبهم سدره وقالوا يا ليت لنا مثل هذا فنزلت هذه الآية (وطلح منضود) قال ابن عباس وغيره هو شجر الموز وقيل ليس بالموز ولكنه شجر له ظل بارد رطب عن الحسن وقيل هو شجر يكون باليمن وبالحجاز من أحسن الشجر منظرا وانما ذكر هاتين الشجرتين لأن العرب كانوا يعرفون ذلك فإن عامة اشجارهم ام غيلان ذات انوار ورائحة طيبة وروت العامة عن علي (ع) انه قرأ عنده رجل وطلح منضود فقال ما شأن الطلح انما هو وطلع كقوله ونخل طلعها هضيم فقيل له ألا تغيره فقال إن القرآن لا يهاج اليوم ولا يحرك رواه عنه ابنه الحسن وقيس بن سعد ورواه اصحابنا عن يعقوب بن شعيب قال قلت لأبي عبد الله (ع) وطلح منضود قال لا وطلع منضود والمنضود الذي نضد بعضه على بعض نضد بالحمل من أوله إلى آخره فليست له سوق بارزة فمن عروقه إلى افنانه ثمر كله (وظل ممدود) اي دائم لا تنسخه الشمس فهو باق لا يزول والعرب تقول لكل شيء طويل لا ينقطع ممدود قال لبيد

غلب البقاء وكان غير مغلب دهر طويل دائم ممدود

وقد ورد في الخبر ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها اقروا ان شئتم وظل ممدود وروي ايضا ان اوقات الجنة كغدوات الصيف لا يكون فيه حر ولا برد (وماء مسكوب) اي مصبوب يجري الليل والنهار ولا ينقطع عنهم فهو مسكوب بسكب الله إياه في مجاريه وقيل مسكوب مصبوب على الخمر ليشرب بالمزاج وقيل مسكوب يجري دائما في غير اخدود عن سفيان وجماعة وقيل مسكوب ليشرب على ما يرى من حسنه وصفائه لا يحتاجون إلى تعب في استقائه (وفاكهة كثيرة) اي وثمار مختلفة كثيرة غير قليلة والوجه في تكرير ذكر الفاكهة البيان عن اختلاف صفاتها فذكرت أولا بأنها متخيرة وذكرت هنا بأنها كثيرة ثم وصفت بقوله (لا مقطوعة ولا ممنوعة) اي لا تنقطع كما تنقطع فواكه الدنيا في الشتاء وفي اوقات مخصوصة ولا تمتنع ببعد متناول او شوك يؤذي اليد كما يكون ذلك في الدنيا وقيل انها غير

مقطوعة بالأزمان ولا ممنوعة بالأثمان لا يتوصل اليها إلا بالثمن (وفرش مرفوعة) اي بسط عالية كما يقال بناء مرفوع وقيل مرفوع بعضها فوق بعض عن الحسن والفراء وقيل معناه نساء مرتفعات القدر في عقولهن وحسنهن وكمالهن عن الجبائي قال ولذلك عقبه بقوله انا انشأناهن انشاءاً ويقال لامرأة الرجل فراشه ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر (إنا أنشأناهن انشاءاً) أي خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعني نساء الآدميات والعجز الشمط يقول خلقناهن بعد الكبر والهرم في الدنيا خلقا آخر وقيل معناه انشأنا الحور العين كما هن عليه على هيئاتهن لم ينتقلن من حال إلى حال كما يكون في الدنيا (فجعلناهن ابكارا) اي عذارى عن الضحاك وقيل لا يأتيهن ازواجهن إلا وجدوهن ابكارا (عربا) اي متحننات على ازواجهن متحببات اليهم وقيل عاشقات لأزواجهن عن ابن عباس وقيل العروب اللعوب مع زوجها أنسا به كأنس العرب بكلام العربي (اترابا) اي متشابهات مستويات في السن عن ابن عباس وقتادة ومجاهد وقيل امثال ازواجهن في السن (لأصحاب اليمين) اي هذا الذي ذكرناه لأصحاب اليمين جزاءاً وثوابا على طاعاتهم (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) أي جماعة من الأمم الماضية التي كانت قبل هذه الامة وجماعة من مؤمني هذه الأمة قال الحسن سابقو الأمم الماضية اكثر من سابقي هذه الأمة وتابعو الامم الماضية مثل تابعي هذه الأمة يعني ان اصحاب اليمين منهم مثل اصحاب اليمين منا وانما نكر سبحانه الثلة ليدل على انه ليس لجميع الأولين والآخرين وانما هو لجماعة منهم كما يقال رجل من جملة الرجال وهذا الذي ذكرناه قول مقاتل وعطاء وجماعة من المفسرين وذهب جماعة منهم ان الثلتين جميعا من هذه الامة وهو قول مجاهد والضحاك واختيار الزجاج وروي ذلك مرفوعا عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال جميع الثلتين من امتي ومما يؤيد القول الأول ويعضده من طريق الرواية ما رواه نقلة الأخبار بالاسناد عن ابن مسعود قال تحدثنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة حتى اكثرنا الحديث ثم رجعنا إلى اهلنا فلما اصبحنا غدونا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عرضت علي الانبياء الليلة بأتباعها من امها فكان النبي تجيء معه الثلة من امته والنبي معه العصابة من امته والنبي معه النفر من امته والنبي معه الرجل من أمته والنبي ما معه من امته احد حتى إذا اتى اخي موسى في كبكبة من بني اسرائيل فلما رأيتهم اعجبوني فقلت اي رب من هؤلاء فقال هذا اخوك موسى بن عمران ومن معه من بني اسرائيل فقلت رب فأين امتي قال انظر عن يمينك فإذا ظراب مكة قد سدت بوجوه الرجال فقلت من هؤلاء فقيل هؤلاء امتك أرضيت قلت رب رضيت وقال انظر عن يسارك فإذا الافق قد انسد بوجوه الرجال فقلت رب من هؤلاء قيل هؤلاء امتك أرضيت قلت رب رضيت فقيل ان مع هؤلاء سبعين الفا من امتك يدخلون الجنة لا حساب عليهم قال فأنشأ عكاشة بن محصن من بني اسد من خزيمة فقال يا نبي الله ادع ربك ان يجعلني منهم فقال اللهم اجعله منهم ثم انشأ رجل آخر فقال يا نبي الله ادع ربك ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة فقال نبي الله فداكم ابي وامي ان استطعتم ان تكونوا من السبعين فكونوا وان عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الظراب فإن عجزتم وقصرتم فكونوا من أهل الافق واني قد رأيت ثم ناسا كثيراً يتهاوشون كثيرا فقلت هؤلاء السبعون الفا فاتفق رأينا على انهم ناس ولدوا في الإسلام فلم يزالوا يعملون به حتى ماتوا عليه فانتهى حديثهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ليس كذلك ولكنهم الذين لا يسرفون ولا يتكبرون

ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون ثم قال اني لأرجو ان يكون من تبعني ربع اهل الجنة قال فكبرنا ثم قال اني لأرجو ان يكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال اني لأرجو ان يكونوا شطر أهل الجنة ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلة من الأولين وثلة من الآخرين

قوله تعالى (٤١) وَأَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ ٱلشِّمَالِ (٤٢) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٣) وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ (٤٤) لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٥) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٦) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنْثِ ٱلْعَظِيمِ (٤٧) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٨) أَوَآبَاؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ (٤٩) قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ (٥٠) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٥١) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّالُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ (٥٢) لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ (٥٣) فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ (٥٤) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ (٥٥) فَشَارِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ (٥٦) هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ست عشرة آية

القراءة

قرأ ابن عامر ءإذا متنا بهمزتين أئنا لمبعوثون بهمزتين ايضا ولم يجمع بين استفهامين إلا في هذا الموضع من القرآن وقد ذكرنا مذهب غيره من القراء فيما تقدم ومذهبه ايضا في امثاله وقرأ أهل المدينة وعاصم وحمزة شرب الهيم بضم الشين والباقون بفتحها

الحجة

قال ابو علي إن الحق الف الاستفهام في قوله أئنا أو لم تلحق كان إذا متعلقا بشيء دل عليه قوله أإنا لمبعوثون ألا ترى ان إذا ظرف من الزمان فلا بد له من فعل او معنى فعل يتعلق به ولا يجوز ان يتعلق بقوله متنا لأنه مضاف اليه والمضاف اليه لا يعمل في المضاف وإذا لم يجز حمله على هذا الفعل ولا على ما بعد ان من جهث لم يعمل ما بعد ان فيا قبلها كما لا يعمل ما بعد لا فيما قبلها فكذلك لا يجوز أن يعمل ما بعد الاستفهام فيما قبله علمت انه يتعلق بشيء دل عليه قوله أئنا لمبعوثون وذلك نحشر او نبعث ونحوهما ما يدل عليه هذا الكلام واما الشرب فهو نحو الأكل والضرب والشرب كالشغل والنكر واما الشرب فالمشروب كالطحن ونحوه وقد يكون الشرب جمع شارب مثل راكب وركب وتاجر وتجر وراجل ورجل

اللغة

السموم الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن ومسام البدن خروقه ومنه أخذ السم الذي يدخل في المسام واليحموم الأسود الشديد السواد باحتراق النار وهو يفعول من الحم وهو الشحم المسود باحتراق النار يقال حممت الرجل إذا سخمت وجهه بالفحم والمترف المتنعم من اداء الواجبات طلبا للترفه وهي الرفاهية والنعمة والحنث نقض العهد المؤكد بالحلف والهيم الابل العطاش التي لا تروى من الماء لداء يصيبها والواحد اهيم والأنثى هيماء

المعنى

ثم ذكر سبحانه أصحاب الشمال فقال (وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال) وهم الذين يؤخذ بهم ذات

الشمال إلى جهنم او الذين يأخذون كتبهم بشمالهم أو الذين يلزمهم حال الشؤم والنكد (في سموم وحميم) أي في ريح حارة تدخل مسامهم وخروقهم وفي ماء مغلي حار انتهت حرارته (وظل من يحموم) أي دخان أسود شديد السواد عن ابن عباس وابي مالك ومجاهد وقتادة وقيل اليحموم جبل في جهنم يستغيث أهل النار إلى ظله ثم نعت ذلك الظل فقال (لا بارد ولا كريم) اي لا بارد المنزل ولا كريم المنظر عن قتادة وقيل لا بارد يستراح اليه لأنه دخان جهنم ولا كريم فيشتهى مثله وقيل ولا كريم أي ولا منفعة فيه بوجه من الوجوه والعرب إذا أرادت نفي صفة الحمد عن شيء نفت عنه الكرم وقال الفراء العرب تجعل الكريم تابعا لكل شيء نفت عنه وصفا تنوي به الذم تقول ما هو بسمين ولا كريم وما هذه الدار بواسعة ولا كريمة ثم ذكر سبحانه اعمالهم التي أوجبت لهم هذا فقال (انهم كانوا قبل ذلك مترفين) أي كانوا في الدنيا متنعمين عن ابن عباس وذلك ان عذاب المترف أشد الما وبين سبحانه ان الترف ألهاهم عن الانزجار وشغلهم عن الاعتبار وكانوا يتركون الواجبات طلبا لراحة ابدانهم (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) اي الذنب العظيم عن مجاهد وقتادة والاصرار ان يقيم عليه فلا يقلع عنه ولا يتوب منه وقيل الحنث العظيم الشرك أي لا يتوبون عنه عن الحسن والضحاك وابن زيد وقيل كانوا يحلفون لا يبعث الله من يموت وان الاصنام انداد الله عن الشعبي والأصم (وكانوا يقولون ءإذا متنا و كنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون) أي ينكرون البعث والنشور والثواب والعقاب فيقولون مستبعدين لذلك منكرين له ءإذا خرجنا من كوننا احياء وصرنا ترابا أنبعث (أو آباؤنا الأولون) اي او يبعث آباؤنا الذين ماتوا قبلنا ويحشرون ان هذا البعيد ومن قرأ او آباؤنا بفتح الواو فإنها واو العطف دخل عليها الف الاستفهام (قل) يا محمد لهم (ان الأولين والآخرين) اي الذين تقدموكم من آبائكم وغير آبائكم والذين يتأخرون عن زمانكم (لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم) يجمعهم الله ويبعثهم الله ويحشرهم إلى وقت يوم معلوم عنده وهو يوم القيامة (ثم انكم ايها الضالون) الذين ضللتم عن طريق الحق وجزتم عن الهدى (المكذبون) بتوحيد الله واخلاص العبادة له ونبوة نبيه (لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون) مفسر في سورة الصافات (فشاربون عليه من الحميم) الشجر يؤنث ويذكر فلذلك قال منها ثم قال عليه وكذلك الثمر يؤنث ويذكر (فشاربون شرب الهيم) اي كشرب الهيم وهي الإبل التي أصابها الهيام وهو شدة العطش فلا تزال تشرب الماء حتى تموت عن ابن عباس وعكرمة وقتادة وقيل هي الأرض الرملية التي لا تروى بالماء عن الضحاك وابن عيينة (هذا نزلهم يوم الدين) النزل الامر الذي ينزل عليه صاحبه والمعنى هذا طعامهم وشرابهم يوم الجزاء في جهنم

قوله تعالى (٥٧) نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ (٥٨) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ (٥٩) أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (٦٠) نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦١) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢) وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ (٦٣) أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٤) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٥) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (٦٦) إِنَّا لَمُغْرَمُونَ (٦٧) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٦٨)

أَفَرَأَيْتُمُ ٱلْمَاءَ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ (٦٩) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنْزِلُونَ (٧٠) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (٧١) أَفَرَأَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي تُورُونَ (٧٢) أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنْشِئُونَ (٧٣) نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (٧٤) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ، ثماني عشرة آية

القراءة

قرأ ابن كثير نحن قدرنا بالتخفيف والباقون قدرنا بالتشديد وقرأ ابو بكر ءانا لمغرمون بهمزتين والباقون بهمزة واحدة

الحجة

قال ابو علي قدرنا في معنى قدرنا ويدل عليه قوله

ومفرهة عنس قدرت لساقها فخرت كما تتابع الريح بالقفل

والمعنى قدرت ضربي لساقها فضربتها فخرت ومثله في المعنى

فإن تعتذر بالمحل من ذي ضروعها على الضيف يجرح في عراقيبها نصلي

اللغة

أمنى يمني ومنى يمني بمنى ومنه قراءة ابي السماك تمنون بفتح التاء والأصل من المنى وهو التقدير قال الشاعر

لا تأمنن وإن أمسيت في حرم حتى تلاقي ما يمني لك الماني

ومنه المنية لأنها مقدرة تأتي على مقدار والحطام الهشيم الذي لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء واصل الحطم الكسر والحطم السواق بعنف يحطم بعضها على بعض قال « قد لفها الليل بسواق حطم » والتفكه أصله تناول ضروب الفواكه للأكل والفكاهة المزاح ومنه حديث زيد كان من أفكه الناس مع اهله ورجل فكه طيب النفس والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض وأصل الباب اللزوم والغرام العذاب اللازم قال الأعشى

إن يعاقب يكن غراما وان يعـ ـط جزيلا فإنه لا يبالي

والنار مأخوذة من النور قال الحارث

فتنورت نارها من بعيد بخزازى هيهات منك الصلاء

والإيراء اظهار النار بالقدح يقال اورى يوري ووريت بك زنادي اي اضاء بك امري ويقال قدح فأورى إذا ظهر النار فإذا لم يور قيل قدح فأكبى والمقوي النازل بالقواء من الأرض ليس بها احد واقوت الدار خلت من اهلها قال النابغة

أقوى وأقفر من نعم وغيرها هوج الرياح بها بي الترب موار

وقال عنترة

حييت من طلل تقادم عهده أقوى واقفر بعد أم الهيثم

المعنى

ثم احتج سبحانه عليهم في البعث بقوله (نحن خلقناكم) اي نحن خلقناكم ولم تكونوا شيئا وانتم تعلمون ذلك عن مقاتل (فلولا تصدقون) اي فهلا تصدقون ولم لا تصدقون بالبعث لأن من قدر على الإنشاء والابتداء قدر على الإعادة ثم نبههم سبحانه على وجه الاستدلال على صحة ما ذكره فقال (أفرأيتم ماتمنون) اي ما تقذفون وتصبون في ارحام النساء من النطف فيصير ولدا (ءانتم تخلقونه) اي ءانتم تخلقون ماتمنون بشرا (ام نحن الخالقون) فإذا لم تقدروا انتم وامثالكم على ذلك فاعلموا ان الله سبحانه الخالق لذلك واذا ثبت انه قادر على خلق الولد من النطفة وجب ان يكون قادرا على اعادته بعد موته لأنه ليس بأبعد منه ثم بين سبحانه انه كما ابدأ الخلق فإنه يميتهم فقال (نحن قدرنا بينكم الموت) التقدير ترتيب الأمر على مقدار اي نحن اجرينا الموت بين العباد على مقدار كما تقتضيه الحكمة فمنهم من يموت صبيا ومنهم من يموت شابا ومنهم من يموت كهلا وشيخا وهرما عن مقاتل وقيل معناه قدرناه بأن سوينا فيه بين المطيع والعاصي وبين أهل السماء والأرض عن الضحاك (وما نحن بمسبوقين) قيل انه من تمام ما قبله اي لا يسبقنا احد منكم على ما قدرناه من الموت حتى يزيد في مقدار حياته وقيل انه ابتداء كلام يتصل به ما بعده والمعنى وما نحن بمغلوبين (على ان نبدل أمثالكم) اي نأتي بخلق مثلكم بدلا منكم وتقديره نبدلكم بأمثالكم فحذف المفعول الأول والجار من المفعول الثاني قال الزجاج معناه ان أردنا ان نخلق خلقا غيركم لم يسبقنا سابق ولا يفوتنا (وننشئكم فيما لا تعلمون) من الصور أي ان اردنا أن نجعل منكم القردة والخنازير لم نسبق ولا فاتنا ذلك وتقديره كما لم نعجز عن تغيير أحوالكم بعد خلقكم لا نعجز عن احوالكم بعد موتكم وقيل أراد النشأة الثانية أي ننشئكم فيما لا تعلمون من الهيئة المختلفة فإن المؤمن يخلق على احسن هيئة وأجمل صورة والكافر على اقبح صورة وقيل انما قال ذلك لأنهم علموا حال النشأة الأولى كيف كانت في بطون الأمهات وليست الثانية كذلك لأنها تكون في وقت لا يعلمه العباد (ولقد علمتم النشأة الأولى أي المرة الاولى) من الإنشاء وهو ابتداء الخلق حين خلقتم من نطفة وعلقة ومضغة (فلولا تذكرون) اي فهلا تعتبرون وتستدلون بالقدرة عليها على الثانية (أفرأيتم ما تحرثون) اي ما تعملون في الأرض وتلقون فيها من البذر (ءأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) أي ءأنتم تنبتونه وتجعلونه زرعا ام نحن المنبتون فإن من قدر على انبات الزرع من الحبة الصغيرة وان يجعلها حبوبا كثيرة قدر على اعادة الخلق إلى ماكانوا عليه وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت (لو نشاء لجعلناه) اي جعلنا ذلك الزرع (حطاما) أي هشيما لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء وقيل تبنا لا قمح فيه عن عطاء (فظلتم تفكهون) اي تتعجبون مما نزل بكم في زرعكم عن عطاء والكلبي ومقاتل وقيل معناه تندمون وتتأسفون على ما أنفقتم فيه عن عكرمة وقتادة والحسن واصله من التفكه بالحديث وهو التلهي به فكأنه قال فظلتم تتروحون إلى التندم كما يتروح الفكه إلى الحديث بما يزيل الهم وقيل معناه يتلاومون عن عكرمة اي يلوم بعضكم بعضا على التفريط في طاعة الله (انا لمغرمون) اي تقولون انا لمغرمون والمعنى انا قد ذهب مالنا كله ونفقتنا وضاع وقتنا ولم نحصل على شيء وقيل معناه انا لمعذبون مجدودون عن الحظ عن مجاهد وفي رواية اخرى عنه انا لمولع بنا وفي رواية اخرى انا لملقون في الشر وقيل محارفون عن قتادة ومن قرأ ءانا على الاستفهام حمله على انهم يقومون فيقولون منكرين لذلك

ومن قرأ انا على الخبر حمله على انهم مخبرون بذلك عن انفسهم ثم يستدركون فيقولون (بل نحن محرومون) اي مبخوسو الحظ محارفون ممنوعون من الرزق والخير ثم قال سبحانه منبها على دلالة اخرى (أفرأيتم الماء الذي تشربون ءأنتم انزلتموه من المزن) اي من السحاب (أم نحن المنزلون) نعمة منا عليكم ورحمة بكم ثم قال (لو نشاء جعلناه اجاجا) اي مرا شديد المرارة وقيل هو الذي اشتدت ملوحته (فلولا تشكرون) اي فهلا تشكرون على هذه النعمة السنية التي لا يقدر عليها احد غير الله ثم نبه سبحانه على دلالة اخرى فقال (أفرأيتم النار التي تورون) اي تستخرجونها وتقدحونها بزنادكم من الشجر (ءأنتم أنشأتم شجرتها) التي تنقدح النار منها اي ءانتم أنبتموها وابتدأتموها (ام نحن المنشئون) لها فلا يمكن احد ان يقول انه انشأ تلك الشجرة غير الله تعالى والعرب تقدح بالزند والزندة وهو خشب يحك بعضه ببعض فتخرج منه النار وفي المثل «في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار» (نحن جعلناها تذكرة) أي نحن جعلنا هذه النار تذكرة للنار الأخرى الكبرى فإذا رآها الرائي ذكر جهنم واستعاذ بالله منها عن عكرمة ومجاهد وقتادة وقيل معناه تذكرة يتذكر بها ويتفكر فيها فيعلم ان من قدر عليها وعلى اخراجها من الشجر الرطب قدر على النشأة الثانية (ومتاعا للمقوين) اي وجعلناها بلغة ومنفعة للمسافرين عن ابن عباس والضحاك وقتادة يعني الذين نزلوا الارض القي وهو القفر وقيل للمستمتعين بها من الناس اجمعين المسافرين والحاضرين عن عكرمة ومجاهد والمعنى ان جميعهم يستضيئون بها من الظلمة ويصطلون من البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز وعلى هذا فيكون المقوي من الاضداد فيكون المقوي الذي صار ذا قوة من المال والنعمة والمقوي ايضا الذاهب ماله النازل بالقواء من الأرض فالمعنى ومتاعا للاغنياء والفقراء ولما ذكر سبحانه ما يدل على توحيده وانعامه على عبيده قال (فسبح باسم ربك العظيم) اي فبرئ الله تعالى مما يقولونه في وصفه ونزهه عما لا يليق بصفاته وقيل معناه قل سبحان ربي العظيم فقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه لما نزلت هذه الآية قال اجعلوها في ركوعكم

قوله تعالى (٧٥) فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٦) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ (٧٧) إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (٧٨) فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ (٧٩) لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (٨٠) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٨١) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ (٨٢) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٣) فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٤) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (٨٥) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ (٨٦) فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٧) تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ثلاث عشرة آية

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم بموقع النجوم بغير الف والباقون بمواقع النجوم على الجمع وروى بعضهم عن عاصم انكم تكذبون بالتخفيف والقراءة المشهورة بالتشديد وفي الشواذ قراءة الحسن والثقفي فلاقسم بغير الف وقراءة علي (ع) وابن عباس ورويت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتجعلون شكركم

﴿ الحجة ﴾

قال ابو عبيدة فلا اقسم بمواقع النجوم اي فاقسم ومواقعها مساقطها حيث تغيب وقال غيره انه مواقع القرآن حين نزل على النبي ﷺ نجوما فأما الجمع في ذلك وان كان مصدرا فلاختلاف ذلك فإن المصادر وسائر اسماء الأجناس اذا اختلفت جاز جمعها ومن قرأ بموقع فافرد فلأنه اسم جنس ومن قرأ تكذبون فالمعنى تجعلون رزقكم الذي رزقكموه الله فيما قال وأنزلنا من السماء ماء مباركا الى قوله رزقا للعباد وقال وأنزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم انكم تكذبون في أن تنسبوا هذا الرزق الى غير الله تعالى فتقولون مطرنا بنوء كذا فهذا وجه التخفيف ومن قرأ تكذبون فالمعنى انكم تكذبون بالقرآن لأن الله تعالى هو الذي رزقكم ذلك على ما جاء في قوله تعالى رزقا للعباد فتنسبونه انتم الى غيره فهذا تكذيبكم بما جاء به التنزيل واما ما روي من قوله وتجعلون شكركم فالمعنى تجعلون مكان الشكر الذي يجب عليكم التكذيب وقد يكون المعنى وتجعلون شكر رزقكم التكذيب فحذف المضاف وقال ابن جني هو على وتجعلون بدل شكركم ومثله قول العجاج ٠

ربيته حتى اذا تمعددا كان جزائي بالعصا أن اجلدا

اي كان بدل جزائي الجلد بالعصا وأما قوله فلأقسم فالتقدير لأنا اقسم وهو فعل الحال يدل على ذلك ان جميع ما في القرآن ما في الأقسام إنما هو حاضر الحال لا وعد الأقسام كقوله والتين والزيتون والشمس وضحاها ولذلك حملت لا على الزيادة في قوله فلا اقسم بمواقع النجوم ونحوه نعم ولو اريد به الفعل المستقبل للزمت منه النون فقيل لأقسمن

﴿ اللغة ﴾

القسم جملة من الكلام يؤكد بها الخبر بما يجعله في قسم الصواب دون الخطأ والعظيم هو الذي يقصر مقدار ما يكون من غيره عما يكون منه وهو ضربان عظيم الشخص وعظيم الشأن والكريم هو الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير فلما كان القرآن من شأنه أن يعطي الخير الكثير بأدلته المؤدية الى الحق كان كريما على حقيقة معنى الكريم لا على التشبيه بطريق المجاز والكريم في صفات الله تعالى من الصفات النفسية التي يجوز أن يقال فيها لم يزل كريما لأن حقيقته تقتضي ذلك من جهة أن الكريم هو الذي من شأنه أن يعطي الخير الكثير فلما كان القادر على الكرم الذي لا يمنعه مانع من شأنه أن يعطي الخير الكثير صح أن يقال انه لم يزل كريما والمدهن الذي يجري في الباطن على خلاف الظاهر كالدهن في سهولة ذلك والاسراع فيه يقال ادهن يدهن وداهن يداهن مثل نافق والدين هو الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان اي كما تجزي تجزى والدين العمل الذي يستحق به الجزاء

﴿ الاعراب ﴾

فلولا اذا بلغت الحلقوم العامل في اذا محذوف يدل عليه الفعل الواقع بعد لولا وهو ترجعونها في فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها وجواب الشرط ايضا هو مدلول قوله فلولا ترجعونها ولولا هذه للتحضيض بمعنى هلا ولا يقع بعدها الا الفعل ويكون التقدير فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم فلولا ان كنتم فكرر لولا ثانيا لطول الكلام

❊ المعنى ❊

ثم اكد سبحانه ما تقدم ذكره بقوله (فلا اقسم بمواقع النجوم) ولا زائدة والمعنى فأقسم عن سعيد بن جبير ويجوز أن يكون لا ردا لما يقوله الكفار في القرآن من انه سحر وشعر وكهانة ثم استأنف القسم فقال اقسم وقيل ان لا تزاد في القسم فيقال لا والله لا افعل وقال امرؤ القيس

لا وابيك ابنة العامري   لا يدعي القوم أني أفر

والمعنى وابيك وقيل ان المعنى لا اقسم على هذه الاشياء فإن امرها اظهر وآكد من أن يحتاج فيه إلى اليمين عن ابي مسلم واختلف في معنى مواقع النجوم فقيل هي مطالع النجوم ومساقطها عن مجاهد وقتادة وقيل انكدارها وهو انتشارها يوم القيامة عن الحسن وقيل هي الأنواء التي كان أهل الجاهلية إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا فيكون المعنى فلا اقسم بها وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام ان مواقع النجوم رجومها للشياطين وكان المشركون يقسمون بها فقال سبحانه فلا اقسم بها وقيل معناه اقسم بنزول القرآن فإنه نزل متفرقا قطعا نجوما عن ابن عباس (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) قال الزجاج والفراء وهذا يدل على أن المراد بمواقع النجوم نزول القرآن والضمير في أنه يعود إلى القسم ودل عليه قوله أقسم والمعنى أن القسم بمواقع النجوم لقسم عظيم لو تعلمون ففصل بين الصفة والموصوف بالجملة ثم ذكر المقسم به فقال (إنه لقرآن كريم) معناه إن الذي تلوناه عليك لقرآن كريم أي عام المنافع كثير الخير ينال الأجر العظيم بتلاوته والعمل بما فيه وقيل كريم عند الله تعالى اكرمه الله تعالى واعزه لأنه كلامه عن مقاتل وقيل كريم لأنه كلام رب العزة ولأنه محفوظ عن التغيير والتبديل ولأنه معجز ولأنه يشتمل على الأحكام والمواعظ وكل جليل خطير وعزيز فهو كريم (في كتاب مكنون) اي مستور من خلقه عند الله وهو اللوح المحفوظ اثبت الله فيه القرآن عن ابن عباس وقيل هو المصحف الذي في أيدينا عن مجاهد (لا يمسه إلا المطهرون) معناه في القول الاول لا يمسه إلا الملائكة الذين وصفوا بالطهارة من الذنوب وفي القول الثاني إلا المطهرون من الشرك عن ابن عباس وقيل المطهرون من الاحداث والجنابات وقالوا لا يجوز للجنب والحائض والمحدث مس المصحف عن محمد بن علي الباقر (ع) وطاوس وعطاء وسالم وهو مذهب مالك والشافعي فيكون خبرا بمعنى النهي وعندنا ان الضمير يعود إلى القرآن فلا يجوز لغير الطاهر مس كتابة القرآن (تنزيل من رب العالمين) اي هذا القرآن منزل من عند الله تعالى الذي خلق العباد ودبرهم على ما اراد على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ثم خاطب سبحانه اهل مكة فقال (أفبهذا الحديث) الذي حدثناكم به واخبرناكم فيه عن حوادث الامور وهو القرآن (انتم مدهنون) اي مكذبون عن ابن عباس وقيل مدهنون مائلون للكفار على الكفر به عن مجاهد وقيل منافقون على التصديق به اي تقولون آمنا به وتدهنون فيما بينكم وبين المشركين إذا خلوتم فقلتم إنا معكم قال مؤرج هو الذي يلين جانبه ليخفي كفره واصله من الدهن (وتجعلون رزقكم انكم تكذبون) اي وتجعلون حظكم من الخير الذي هو كالرزق لكم انكم تكذبون به وقيل وتجعلون شكر رزقكم التكذيب عن ابن عباس قال اصاب الناس عطش في بعض اسفاره فدعا صلى الله عليه وآله وسلم فسقوا فسمع رجلا يقول مطرنا بنوء كذا فنزلت الآية وقيل معناه وتجعلون حظكم من القرآن الذي رزقكم الله التكذيب به عن الحسن (فلولا إذا بلغت الحلقوم) اي فهلا اذا بلغت النفس الحلقوم

عند الموت (وانتم) يا أهل الميت (حينئذ تنظرون) اي ترون تلك الحال وقد صار إلى ان تخرج نفسه وقيل معناه تنظرون لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيئا (ونحن اقرب اليه منكم) بالعلم والقدرة (ولكن لا تبصرون) ذلك ولا تعلمونه وقيل معناه ورسلنا الذين يقبضون روحه اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون رسلنا القابضين روحه (فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها إن كنتم صادقين) يعني فهلا ترجعونها اي فهلا ترجعون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم وتردونها إلى موضعها ان كنتم غير مجزيين بثواب وعقاب وغير محاسبين وقيل غير مدينين معناه غير مملوكين وقيل غير مبعوثين عن الحسن والمراد ان الأمر إن كان كما تقولونه من انه لا بعث ولا حساب ولا جزاء ولا إله يحاسب ويجازي فهلا رددتم الارواح والنفوس من حلوقكم إلى ابدانكم ان كنتم صادقين في قولكم فإذا لم تقدروا على ذلك فاعلموا انه من تقدير مقدر حكيم وتدبير مدبر عليم

قوله تعالى (٨٨) فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ (٨٩) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ (٩٠) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ (٩١) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ ٱلْيَمِينِ (٩٢) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّالِّينَ (٩٣) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٤) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٥) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ (٩٦) فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ تسع آيات

❋ القراءة ❋

قرأ يعقوب فروح بضم الراء وهو قراءة النبي ﷺ وابن عباس وابي جعفر الباقر وقتادة والحسن والضحاك وجماعة والباقون فروح بفتح الراء

❋ الحجة ❋

قال ابن جني هو راجع الى معنى الروح فكأنه قال فتمسك روح وممسكها هو الروح وكما تقول هذا الهواء هو الحياة وهذا السماع هو العيش وهو الروح

❋ الاعراب ❋

واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين قال علي بن عيسى دخلت كاف الخطاب كما تدخل في ناهيك به شرفا وحسبك به كرما اي لا تطلب زيادة على جلالة حاله فكذلك سلام لك منهم اي لا تطلب زيادة على سلامهم جلالة وعظم منزلة قال ابن جني في الكلام تقديم وتأخير والتقدير مهما يكن من شيء فسلام لك من اصحاب اليمين ان كان من اصحاب اليمين ولا ينبغي أن يكون موضع ان كان الا هذا الموضع لأنه لو كان موضعه بعد الفاء يليها لكان قوله فسلام لك جوابا له في اللفظ لا في المعنى ولو كان جوابا له في اللفظ لوجب ادخال الفاء عليه لأنه لا يجوز في سعة الكلام ان كان من اصحاب اليمين سلام له فلما وجد الفاء فيه ثبت انه ليس بجواب لقوله ان كان في اللفظ واذا ثبت انه ليس بجواب له في اللفظ ثبت ان موقع ان كان بعده لا قبله قال فإن قيل إنما بدل الفاء التي تكون جوابا لقوله ان كان لأجل الفاء التي تدخل جوابا لأما لأنه لا يدخل حرف معنى على مثله قيل إنما تدخل الفاء التي لأما عليه لأنه ليس بجواب لقوله إن كان فلو كان جوابا له لما دخلت عليه هذه الفاء في قوله فأما ان كان من اصحاب اليمين

فسلام لك على أن فاء اما قد يكون موقعه بعد الفاء لا يليها وأما لها موضعان من الكلام ❊ احدهما ❊ أن يكون لتفصيل الجمل نحو قولك جاءني القوم فأما زيد فأكرمته وأما عمرو فأهنته ومنه ما في الآية ❊ والثاني ❊ أن تكون مركبة من أن وما ويكون ما عوضا من كان وذلك قولك اما انت منطلقا انطلقت معك والمعنى إن كنت منطلقا انطلقت فموضع ان نصب لأنه مفعول له وانشد سيبويه

أبا خراشة اما انت ذا نفر فإن قومي لم تأكلهم الضبع

اي من اجل ان كنت والضبع السنة الشديدة

❁ المعنى ❁

ثم ذكر سبحانه صفات الخلق عند الموت فقال (فأما إن كان من المقربين) اي فإن كان ذلك المحتضر الذي بلغت روحه الحلقوم من المقربين عند الله وهم السابقون الذين ذكروا في اول السورة (فروح) اي فله روح وهو الراحة والاستراحة عن ابن عباس ومجاهد يعني من تكاليف الدنيا ومشاقها وقيل الروح الهواء الذي تستلذه النفس ويزيل عنها الهم (وريحان) يعني الرزق في الجنة وقيل هو الريحان المشموم من ريحان الجنة يؤتى به عند الموت فيشمه عن الحسن وابي العالية وقتادة وقيل الروح رحمة والريحان كل نباهة وشرف وقيل الروح النجاة من النار والريحان الدخول في دار القرار وقيل روح في القبر وريحان في الجنة وقيل روح في القبر وريحان في القيامة (وجنة نعيم) يدخلونها (واما إن كان من اصحاب اليمين) اى ان كان المتوفى من اصحاب اليمين (فسلام لك من اصحاب اليمين) أي فترى فيهم ما تحب لهم من السلامة من المكاره والخوف وقيل معناه فسلام لك ايها الإنسان الذي هو من اصحاب اليمين من عذاب الله وسلمت عليك ملائكة الله عن قتادة قال الفراء فسلام لك إنك من اصحاب اليمين فحذف انك وقيل معناه فسلام لك منهم في الجنة لأنهم يكونون معك ويكون لك بمعنى عليك «سؤال» يقال لم يتبرك باليمين « والجواب » إن العمل ميسر بها لأن الشمال معسر العمل بها من نحو الكتابة والأعمال الدقيقة (واما إن كان من المكذبين) بالبعث والرسل وآيات الله (الضالين) عن الهدى الذاهبين عن الصواب والحق (فنزل من حميم) اي فنزلهم الذي اعد لهم من الطعام والشراب من حميم جهنم (وتصلية جحيم) اي ادخال نار عظيمة كما قال ويصلى سعيرا في قراءة من شدد (إن هذا لهو حق اليقين) اضاف الحق إلى اليقين وهما واحد للتأكيد اي هذا الذي اخبرتك به من منازل هؤلاء الاصناف الثلاثة هو الحق الذي لا شك فيه واليقين الذي لا شبهة معه وقيل تقديره حق الامر اليقين (فسبح باسم ربك العظيم) اي نزه الله سبحانه عن السوء والشرك وعظمه بحسن الثناء عليه وقيل معناه نزه اسمه عما لا يليق به فلا تضف اليه صفة نقص او عملا قبيحا وقيل معناه قولوا سبحان ربي العظيم والعظيم في صفة الله تعالى معناه ان كل شيء سواه يقصر عنه فإنه القادر العالم الغني الذي لا يساويه شيء ولا يخفى عليه شيء جلت آلاؤه وتقدست اسماؤه



سورة الحديد (مدنية)

﴿ عدد آيها ﴾

تسع وعشرون آية عراقي وثمان في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

آيتان من قبله العذاب كوفي والانجيل بصري

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله العرباض ابن سارية قال إن النبي صلى الله عليه وآله كان يقرأ المسبحات قبل أن يرقد ويقول إن فيهن آية أفضل من الف آية وروى عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن ابي جعفر «ع» قال من قرأ المسبحات كلها قبل أن ينام لم يمت حتى يدرك القائم عليه السلام وان مات كان في جوار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسين بن ابي العلاء عن ابي عبد الله «ع» قال من قرأ سورة الحديد والمجادلة في صلاة فريضة ادمنها لم يعذبه الله حتى يموت ابدا ولا يرى في نفسه ولا في اهله سوء ابدا ولا خصاصة في بدنه

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة الواقعة بالتسبيح افتتح هذه السورة بالتسبيح وعقبه بالدلائل الموجبة للتسبيح فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢) لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣) هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٤) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٥) لَهُ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٦) يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ست آيات

﴿ المعنى ﴾

(سبح لله) أي نزهه واثنى عليه بما هو أهله وبرأه من كل سوء (ما في السموات والأرض) قال مقاتل يعني كل شيء من ذي الروح وغيره وكل خلق فيها ولكن لا تفقهون تسبيحهم وتحقيقه ان العقلاء يسبحونه قولا واعتقادا ولفظا ومعنى وما ليس بعاقل من سائر الحيوانات والجمادات فتسبيحه ما فيه من الادلة الدالة على وحدانيته وعلى الصفات التي باين بها جميع خلقه وما فيه من الحجج على انه لا يشبه خلقه وان خلقه لا يشبهه فعبر سبحانه عن ذلك بالتسبيح ويجوز ان تكون ما هاهنا بمعنى من كما حكى ابو زيد عن اهل الحجاز انهم

كانوا إذا سمعوا الرعد قال سبحان ما سبحت له فيكون واقعا على العقلاء من الملائكة والجن والانس (وهو العزيز الحكيم) أي القادر الذي لا يمتنع عليه شيء المحكم لأفعاله العليم بوجوه الصواب في التدبير (له ملك السموات والأرض) أي له التصرف في جميع ما في السموات والأرض من الموجودات بما يشاء من التصرف وليس لأحد منعه منه وذلك هو الملك الأعظم فإن كل ما يملكه من عداه فإنه سبحانه هو الذي ملكه اياه وله منعه منه (يحيي ويميت) اي يحيي الاموات للبعث ويميت الاحياء في الدنيا وقيل يحيي الاموات بأن يجعل النطفة وهي جماد حيوانا ويميت الاحياء إذا بلغوا آجالهم التي قدرها لهم (وهو على كل شيء قدير) يقدر على المعدومات بإيجادها وانشائها وعلى الموجودات بتغييرها وافنائها وعلى افعال العباد ومقدوراتهم بالإقدار عليها وسلبهم القدرة عليها (هو الأول) أي أول الموجودات وتحقيقه انه سابق لجميع الموجودات بما لا يتناهى من تقدير الاوقات لأنه قديم وما عداه محدث والقديم يسبق المحدث بما لا يتناهى من تقدير الاوقات (والآخر) بعد فناء كل شيء لأنه يفني الأجسام كلها وما فيها من الاعراض ويبقى وحده ففي هذا دلالة على فناء الأجسام وقيل الأول قبل كل شيء بلا ابتداء والآخر بعد كل شيء بلا انتهاء فهو الكائن لم يزل والباقي لا يزال (والظاهر) وهو الغالب العالي على كل شيء فكل شيء دونه (والباطن) العالم بكل شيء فلا احد اعلم منه عن ابن عباس وقيل الظاهر بالأدلة والشواهد والباطن الخبير العالم بكل شيء وقيل معنى الظاهر والباطن أنه العالم بما ظهر والعالم بما بطن وقيل الظاهر بأدلته والباطن من احساس خلقه وقيل الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء والظاهر بلا اقتراب والباطن بلا احتجاب وقيل الأول ببره إذ هداك والآخر بعفوه إذ قبل توبتك والظاهر بإحسانه وتوفيقه إذا اطعته والباطن بستره إذا عصيته عن السدي وقيل الأول بالخلق والآخر بالرزق والظاهر بالإحياء والباطن بالإماتة عن ابن عمر وقيل هو الذي أول الأول وآخر الآخر واظهر الظاهر وأبطن الباطن عن الضحاك وقيل الأول بالازلية والآخر بالأبدية والظاهر بالأحدية والباطن بالصمدية عن ابي بكر الوراق وقيل إن الواوات مقحمة والمعنى هو الاول الآخر الظاهر الباطن لأن من كان منا أولا لا يكون آخرا ومن كان ظاهرا لا يكون باطنا عن عبد العزيز ابن يحيى وقيل هو الاول القديم والآخر الرحيم والظاهر الحكيم والباطن العليم عن يمان وقال البلخي هو كقول القائل فلان أول هذا الامر وآخره وظاهره وباطنه أي عليه يدور الامر وبه يتم (وهو بكل شيء) يصح أن يكون معلوما (عليم) لأنه عالم لذاته (هو الذي خلق السموات والأرض في ستة ايام) لما في ذلك من اعتبار الملائكة بظهور شيء بعد شيء من جهة ولما في الاخبار به من المصلحة للمكلفين ولولا ذلك لكان يخلقهما في لحظة واحدة لأنه القادر لذاته (ثم استوى على العرش) المعروف في السماء وقيل أستوى على الملك فمن قال بالاول قال استواؤه عليه كونه قادرا على خلقه وافنائه وتصريفه قال البعيث

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

وبشر هذا هو بشر بن مروان ولاه اخوه عبد الملك العراق وقيل معناه ثم عمد وقصد إلى خلق العرش وقد مر بيانه (يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها) أي يعلم ما يدخل في في الأرض ويستتر فيها ويعلم ما يخرج من الأرض من سائر انواع النبات والحيوان والجماد لا يخفى عليه شيء منها (وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) أي ويعلم ما ينزل من السماء من مطر وغير ذلك من انواع

ما ينزل منها ويعلم ما يعرج في السماء من الملائكة وما يرفع اليها من اعمال الخلق (وهو معكم أينما كنتم) بالعلم الذي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم وأحوالكم (والله بما تعملون) من خير وشر (بصير) اي عليم (له ملك السماوات والأرض) يتصرف فيهما كيف يشاء (وإلى الله ترجع الامور) يوم القيامة يعني أن جميع من ملكه شيئا في الدنيا يزول ملكه عنه وينفرد سبحانه بالملك كما كان كذلك قبل أن خلق الخلق (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) أي يدخل ما نقص من الليل في النهار وما نقص من النهار في الليل اي حسب ما دبره فيه من مصالح عباده عن عكرمة وابراهيم (وهو عليم بذات الصدور) أي هو عالم بأسرار خلقه وما يخفونه من الضمائر والاعتقادات والارادات والكراهات والعزائم في قلوبهم لا يخفى عليه شيء منها وفي هذا تحذير من المعاصي

قوله تعالى (٧) آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ (٨) وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩) هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ (١٠) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلِلهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ اربع آيات

القراءة

قرأ ابو عمرو وحده وقد اخذ بضم الهمزة ميثاقكم بالرفع والباقون اخذ بفتح الهمزة ميثاقكم بالنصب وقرأ ابن عامر وكل وعد الله الحسنى بالرفع والباقون كلا بالنصب

الحجة

قال ابو علي حجة من قرأ وقد أخذ انه قد تقدم وما لكم تؤمنون بالله والضمير يعود إلى اسم الله تعالى وحجة من قرأ وقد أخذ انه على هذا المعنى وانه قد عرف اخذ الميثاق وأن الله قد اخذه وحجة النصب في كلا وعد الله الحسنى بين لأنه بمنزلة زيدا وعدت خيرا وحجة ابن عامر أن الفعل إذا تقدم عليه مفعوله لم يقو عمله فيه قوته إذا تأخر ألا ترى انهم قالوا في الشعر زيد ضربت ولو تأخر المفعول فوقع بعد الفاعل لم يجز ذلك فيه ومما جاء من ذلك في الشعر قوله

قد اصبحت أم الخيار تدعي علي ذنبا كله لم أصنع

فرووه بالرفع لتقدمه على الفعل وإن لم يكن شيء يمنع من تسلط الفعل عليه فكذلك قوله وكل وعد الله الحسنى يكون على إرادة الهاء وحذفها كما يحذف من الصفات والصلات

﴿ المعنى ﴾

ثم خاطب سبحانه المكلفين فقال (آمنوا بالله) معاشر العقلاء أي صدقوا الله وأقروا بوحدانيته واخلاص العبادة له (ورسوله) أي وصدقوا رسوله واعترفوا بنبوته (وأنفقوا) في طاعة الله والوجوه التي امركم بالانفاق فيها (مما جعلكم مستخلفين فيه) أي من المال الذي استخلفكم الله فيه بوراثتكم اياه عمن قبلكم عن الحسن ونبه سبحانه بهذا على أن ما في ايدينا يصير لغيرنا كما صار الينا من قبلنا وحثنا على استيفاء الحظ منه قبل أن يصير لغيرنا ثم بين سبحانه ما يكافيهم على ذلك إذا فعلوه فقال (فالذين آمنوا منكم) بالله ورسوله (وانفقوا في سبيله لهم اجر كبير) اي جزاء وثواب عظيم دائم لا يشوبه كدر ولا تنغيص ثم وبخهم سبحانه فقال (وما لكم لا تؤمنون بالله) أي وأي شيء يمنعكم من الايمان بالله مع وضوح الدلائل على وحدانيته (والرسول يدعوكم) إلى ما ركب الله في عقولكم من معرفة الصانع وصفاته (لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم) بما اودع الله قلوبكم من دلالات العقل الموصلة إلى الايمان به فإن الميثاق وهو الامر المؤكد الذي يجب العمل به (إن كنتم مؤمنين) أي ان كنتم مصدقين بحق فالآن فقد ظهرت اعلامه ووضحت براهينه والمعنى اي عذر لكم في ترك الايمان وقد ازاحت العلل وارتفعت الشبه ولزمتكم الحجج العقلية والسمعية فالعقلية مافي فطرة العقول والسمعية دعوة الرسول المؤيدة بالأدلة المؤدية إلى المدلول والذي يبين هذا قوله (هو الذي ينزل على عبده) يعني محمدا ﷺ (آيات بينات) اي حججا منيرة وبراهين واضحة (ليخرجكم الله) بالقرآن والأدلة وقيل ليخرجكم الرسول بالدعوة وقيل ليخرجكم المنزل والأول أوجه (من الظلمات إلى النور) اي من الكفر إلى الايمان بالتوفيق والهداية والألطاف والأدلة (وان الله بكم لرؤف رحيم) حين بعث الرسول ونصب الأدلة والرأفة والرحمة واحد وانما جمع بينهما للتأكيد وقيل الرأفة النعمة على المضرور والرحمة النعمة على المحتاج وفي هذا دلالة على بطلان مذهب أهل الجبر فإنه بين أن الغرض في انزال القرآن الايمان به ثم حثهم سبحانه على الانفاق فقال (ومالكم ألا تنفقوا في سبيل الله) أي أي شيء لكم في ترك الانفاق فيما يقرب إلى الله تعالى (ولله ميراث السموات والأرض) يعني يفني الخلق ويبقى هو والمعنى فيه أن الدنيا واموالها ترجع إلى الله فلا يبقى لأحد فيها ملك ولا أمر كما يرجع الميراث إلى مستحقيه فاستوفوا حظكم من اموالكم قبل أن تخرج من ايديكم ثم بين سبحانه فضل من سبق بالانفاق في سبيل الله فقال (لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل أولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا) بين سبحانه ان الانفاق قبل فتح مكة إذا انضم اليه الجهاد اكثر ثوابا عند الله من النفقة والجهاد بعد ذلك وذلك أن القتال قبل الفتح كان اشد والحاجة إلى النفقة وإلى الجهاد كان اكثر وأمس وفي الكلام حذف تقديره لا يستوي هؤلاء مع الذين انفقوا بعد الفتح فحذف لدلالة الكلام عليه وقال الشعبي أراد فتح الحديبية ثم سوى سبحانه بين الجميع في الوعد بالخير والثواب في الجنة فقال (وكلا وعد الله الحسنى) أي الجنة والثواب فيها وان تفاضلوا في مقادير ذلك (والله بما تعملون خبير) أي لا يخفى عليه شيء من إنفاقكم وجهادكم فيجازيكم بحسب نياتكم وبصائركم واخلاصكم في سرائركم

قوله تعالى (١١) مَنْ ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ

(١٢) يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٣) يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ (١٤) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ (١٥) فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ خمس آيات

القراءة

القراءة في فيضاعفه والاختلاف فيه قد مضى ذكره في سورة البقرة وقرأ حمزة انظرونا بقطع الهمزة وفتحها وكسر الطاء والباقون انظرونا بهمزة الوصل وضم الظاء وقرأ ابو جعفر وابن عامر ويعقوب لا تؤخذ منكم بالتاء والباقون بالياء وفي الشواذ قراءة سهل بن شعيب وبإيمانهم بكسر الهمزة وقراءة سماك بن حرب وغركم بالله الغرور بضم الغين

الحجة

قال ابو علي النظر هو تقليب العين إلى الجهة التي فيها المرئي والمراد رؤيته وما يدل على ذلك قوله

فيا مي هل يجزي بكائي بمثله ... مرارا وأنفاسي اليك الزوافر
واني متى اشرف على الجانب الذي ... به انت من بين الجوانب ناظر

فلو كان النظر الرؤية لم يطلب عليه الجزاء لأن المحب لا يستثيب من النظر إلى محبوبه شيئا بل يريد ذلك ويتمناه ويدل على ذلك قول الآخر

ونظرة ذي شجن وامق ... إذا ما الركائب جاوزن ميلا

وأما قوله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيمة فالمعنى انه سبحانه لا ينيلهم رحمته وقد تقول نظر إلي فلان إذا كان ينيلك شيئا ويقول القائل انظر إلي نظر الله اليك يريد أنلني خيرا أنالك الله ونظرت فعل يستعمل وما تصرف منه على ضروب احدها أن تريد به نظرت إلى الشيء فتحذف الجار وتوصل الفعل ومن ذلك ما انشده ابو الحسن

ظاهرات الجمال والحسن ينظرن ... كما ينظر الاراك الظباء

والمعنى ينظرن إلى الاراك فحذف الجار والآخر أن تريد به تأملت وتدبرت وهو فعل غير متعد فمن ذلك قولهم اذهب فانظر زيدا أبو من هو فهذا يراد به التأمل ومن ذلك قوله انظر كيف ضربوا لك الامثال وانظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وقد يتعدى هذا بالجار كقوله أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت فهذا خص على التأمل وقد يتعدى هذا بفي نحو قوله أفلم ينظروا في ملكوت السموات والأرض فأما قول امرئ القيس

فلما بدا حوران والآل دونه نظرت فلم تنظر بعينك منظرا

فيجوز ان يكون نظرت لم فتر بعينك منظراً إلى الآل وقد جوز ان يعني بالنظر الرؤية على الاتساع لأن تقليب البصر نحو المبصر تتبعه الرؤية وقد يجري على الشيء لفظ ما يتبعه ويقترن به كقولهم للمزادة راوية وللفناء غدرة وقد يكون نظرت فلم تنظر مثل تكلمت ولم تتكلم اي لم تأت بكلام على حسب مايراد فكذلك نظرت فلم تنظر بعينك منظرا كما تريد او لم تر منظراً ما يروق وضرب آخر من نظرت هو ان تريد به انتظرته من ذلك قوله غير ناظرين إناه ومثله قول الفرزدق

نظرت كما انتظرت الله حتى كفاك الماحلين لك المحالا

يريد انتظرت كما انتظرت وقد يكون انظرت في معنى انتظرت تطالب بقولك انظرني التنفيس الذي يطالب بالانتظار فمن ذلك قوله

ابا هند فلا تعجل علينا وانظرنا نخبرك اليقينا

ومن ذلك قوله فأنظرني إلى يوم يبعثون إنما هو طلب الامهال والتسويف فالمطلوب بقوله وانظرنا نخبرك اليقينا تنفيس وفي قوله فانظرني إلى يوم يبعثون تسويف وتأخير وكذلك ما جاء في الحديث من انظار المعسر وكذلك قوله انظرونا نقتبس من نوركم اي نفسونا نقتبس وانتظروا علينا وليس تسرع من تسرع الى تخطئة من قال انظرونا بشيء ولا ينبغي يقال فيما لطف انه خطأ وقوله فاليوم لا تؤخذ منكم فدية حسن التاء لتأنيث الفاعل ويحسن الياء للفصل الواقع بين الفعل والفاعل ولأن التأنيث غير حقيقي واما قوله بأيمانهم فقد قال ابن جني هو معطوف على قوله بين ايديهم ويكون الظرف الذي هو بين ايديهم معناه الحال فيتعلق بمحذوف اي يسعى كائنا بين ايديهم وإذا كان كذلك جاز ان يعطف عليه الباء وما جر به اي كائنا بإيمانهم كقوله ذلك بما قدمت يداك وقوله الغرور معناه الاغترار وهو مقدر على حذف المضاف اي وغركم بالله سلامة الاغترار اي سلامتكم مع اغتراركم وقال الزجاج الغرور كل ما غر من متاع الدنيا

❋ اللغة ❋

القرض ما تعطيه غيرك ليقضيكه واصله القطع فهو قطعه عن مالكه باذنه على ضمان رد مثله والعرب تقول لي عندك قرض صدق وقرض سوء إذا فعل به خيرا أو شرا قال الشاعر

ويقضي سلامان بن مفرج قرضها بما قدمت ايديهم وأزلت

والمضاعفة الزيادة على المقدار مثله أو امثاله والاقتباس اخذ النار ويقال قبسته نارا واقتبسته علما والتربص الترقب والانتظار

❋ الاعراب ❋

من ذا قال الفراء ذا صلة لمن قال ورأيتها في مصحف عبد الله منذ الذي والنون موصولة بالذال والذي قيل إن المعنى من هذا الذي ومن في موضع رفع بالابتداء والذي خبره على القول الأول وعلى القول الثاني يكون ذا مبتدأ والذي خبره والجملة خبر من كذا ذكره ابن فصال وأقول إن الصحيح ان يكون ذا مبتدأ والذي يقرض الله صفته ومن خبر المبتدأ قدم عليه لما فيه من معنى الاستفهام . يوم ترى المؤمنين يتعلق بقوله ولهم اجر كريم ويوم يقول المنافقون يتعلق بقوله وذلك هو الفوز العظيم ويجوز

أن يكون التقدير واذكر يوم يقول ويجوز أن يكون بدلا من يوم. ترى له باب في موضع جر صفة لسور باطنه فيه الرحمة صفة لباب

✻ المعنى ✻

ثم حث سبحانه على الانفاق فقال (من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسنا) اي طيبة به نفسه عن مقاتل وقد تقدم تفسيره في سورة البقرة (فيضاعفه له) أي يضاعف له الجزاء من بين سبع إلى سبعين إلى سبعماية وقال اهل التحقيق القرض الحسن أن يجمع عشرة أوصاف أن يكون من الحلال لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا الطيب وان يكون من اكرم ما يملكه دون أن يقصد الرديء بالانفاق لقوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وان يتصدق وهو يحب المال ويرجو الحياة لقوله لما سئل عن الصدقة افضل الصدقة ان تعطيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى إذا بلغت النفس التراقي قلت لفلان كذا ولفلان كذا وان يضعه في الاخل الأحوج الاولى بأخذه ولذلك خص الله اقواما بأخذ الصدقات وهم اهل السهمان وان يكتمه ما امكن لقوله وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وان لا يتبعه المن والأذى لقوله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى وأن يقصد به وجه الله ولا يرائي بذلك لأن الرياء مذموم وأن يستحقر ما يعطي وان كثر لأن متاع الدنيا قليل وأن يكون من احب ماله اليه لقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فهذه الأوصاف العشرة إذا استكملتها الصدقة كان ذلك قرضا حسنا (وله اجر كريم) أي جزاء خالص لا يشوبه صفة نقص فالكريم الذي من شأنه ان يعطي الخير الكثير فلما كان ذلك الاجر يعطي النفع العظيم وصف بالكريم والأجر الكريم هو الجنة (يوم ترى) يا محمد (المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبأيمانهم) على الصراط يوم القيامة وهو دليلهم إلى الجنة ويريد بالنور الضياء الذي يرونه ويمرون فيه عن قتادة وقيل نورهم هديهم عن الضحاك وقال قتادة ان المؤمن يضيء له نور كما بين عدن إلى صنعاء ودون ذلك حتى أن من المؤمنين من لا يضيء له نوره إلا موضع قدميه وقال عبد الله بن مسعود ويؤتون نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من نوره مثل الجبل وادناهم نورا نوره على ابهامه يطفأ مرة ويقد اخرى وقال الضحاك وبأيمانهم يعني كتبهم التي اعطوها ونورهم بين ايديهم وتقول لهم الملائكة (بشريكم اليوم جنات) اي الذي تبشرون به اليوم جنات (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) أي مؤبدين دائمين لا تفنون (ذلك هو الفوز العظيم) اي الظفر بالمطلوب ثم ذكر حال المنافقين في ذلك اليوم فقال (يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا) ظاهرا وباطنا (انظرونا نقتبس من نوركم) قال الكلبي يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فإذا سبقهم المؤمنون قالوا انظرونا نقتبس من نوركم اي نستضيء بنوركم ونبصر الطريق فنتخلص من هذه الظلمات وقيل إنهم إذا خرجوا من قبورهم اختلطوا فيسعى المنافقون في نور المؤمنين فإذا ميزوا بقوا في الظلمة فيستغيثون ويقولون هذا القول (قيل) أي فيقال للمنافقين (ارجعوا وراءكم) أي ارجعوا إلى المحشر حيث اعطينا النور (فالتمسوا نورا) فيرجعون فلا يجدون نورا عن ابن عباس وذلك انه قال تغشى الجميع ظلمة شديدة ثم يقسم النور ويعطى المؤمن نورا ويترك الكافر والمنافق وقيل معنى قوله ارجعوا وراءكم ارجعوا إلى الدنيا إن امكنكم. فاطلبوا النور منها فإنا حملنا النور منها بالإيمان والطاعات وعند ذلك يقول المؤمنون ربنا اتمم لنا نورنا (فضرب

بينهم بسور) أي ضرب بين المؤمنين والمنافقين سور والباء مزيدة لأن المعنى حيل بينهم وبينهم بسور وهو حائط بين الجنه والنار عن قتادة وقيل هو سور على الحقيقة (له باب) أي لذلك السور باب (باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله) أي من قبل ذلك الظاهر (العذاب) وهو النار وقيل باطنه أي باطن ذلك السور فيه الرحمة اي الجنة التي فيها المؤمنون وظاهره أي وخارج السور من قبله يأتيهم العذاب يعني أن المؤمنين يسبقونهم ويدخلون الجنة والمنافقون يجعلون في النار والعذاب وبينهم السور الذي ذكره الله (ينادونهم) اي ينادي المنافقون المؤمنين (ألم نكن معكم) في الدنيا نصوم ونصلي كما تصومون وتصلون ونعمل كما تعملون (قالوا بلى) اي يقول المؤمنون لهم بلى كنتم معنا (ولكنكم فتنتم انفسكم) أي استعملتموها في الكفر والنفاق وكلها فتنة وقيل معناه تعرضتم للفتنة بالكفر والرجوع عن الإسلام وقيل معناه اهلكتم انفسكم بالنفاق (وتربصتم) بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم الموت وقلتم يوشك أن يموت فنستريح منه عن مقاتل وقيل تربصتم بالمؤمنين الدوائر (وارتبتم) أي شككتم في الدين (وغرتكم الأماني) التي تمنيتموها بأن تعود الدائرة على المؤمنين (حتى جاء امر الله) اي الموت وقيل القاؤهم في النار عن قتادة وقيل جاء امر الله في نصرة دينه ونبيه وغلبته اياكم (وغركم بالله الغرور) يعني الشيطان غركم بحلم الله وإمهاله وقيل الغرور الدنيا (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) ايها المنافقون اي بدل بأن تفدوا انفسكم من العذاب (ولا من الذين كفروا) اي ولا من سائر الكفار الذين اظهروا الكفر (مأويكم النار) اي مقركم وموضعكم الذين تأوون اليه النار (هي موليكم) اي هي أولى بكم لما اسلفتم من الذنوب والمعنى انها هي التي تلي عليكم لأنها قد ملكت امركم فهي اولى بكم من كل شيء (وبئس المصير) اي بئس المأوى والمرجع الذي تصيرون اليه

قوله تعالى (١٦) أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٧) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٨) إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ (١٩) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٢٠) اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ

خمس آيات

القراءة

قرأ نافع وحفص وما نزل من الحق خفيفة الزاي والباقون نزل بالتشديد وقرأ رويس ولا تكونوا بالتاء

والباقون بالياء وقرأ ابن كثير وابو بكر إن المصدقين والمصدقات بتخفيف الصاد والباقون بالتشديد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من خفف ما نزل ففي نزل ذكر مرفوع بأنه الفاعل يعود إلى الموصول ويقوي التخفيف قوله وبالحق انزلناه وبالحق نزل ومن شدد ففاعل الفعل الضمير العائد إلى اسم الله تعالى والعائد إلى الموصول الضمير المحذوف ومن الصلة ومن قرأ ولا تكونوا فإنه على الخطاب والنهي ومن قرأ ولا يكونوا بالياء فإنه عطف على تخشع وهو منصوب ويجوز أن يكون مجزوما على النهي للغائب ومن خفف المصدقين والمصدقات فإن معناه ان المؤمنين والمؤمنات وأما قوله وأقرضوا الله قرضا حسنا فهو في المعنى كقوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لأن اقراض الله من الأعمال الصالحة وحجة من خفف انه اعم من المصدقين ألا ترى أن المصدقين مقصور على الصدقة والمصدقين يعم التصديق والصدقة فهو اذهب في باب المدح ومن حجة من ثقل انهم زعموا أن في قراءة ابي ان المتصدقين والمتصدقات ومن حجتهم ان قوله واقرضوا الله قرضا حسنا اعتراض بين الخبر والمخبر عنه والاعتراض بمنزلة الصفة فهو للصدقة اشد ملائمة منه للتصديق وليس التخفيف كذلك ومن حجة من خفف أن يقول لا نحمل قوله واقرضوا الله على الاعتراض ولكنا نعطفه على المعنى ألا ترى ان قوله إن المصدقين والمصدقات معناه إن الذين صدقوا فكأنه في المعنى ان المصدقين وأقرضوا فحمل واقرضوا الله على المعنى لما كان من معنى المصدقين الذين صدقوا فكأنه قال إن الذين صدقوا واقرضوا

﴿ اللغة ﴾

يقال انى يأني انيً إذا حان والخشوع لين القلب للحق والانقياد له ومثله الخضوع والحق ما دعا اليه العقل وهو الذي من عمل به نجا ومن عمل بخلافه هلك والحق مطلوب كل عاقل في نظره وان اخطأ طريقه والقسوة غلظ القلب بالجفاء عن قبول الحق والامد الوقت الممتد وهو والمدة واحد والهيج جفاف النبت

﴿ النزول ﴾

قيل إن قوله ألم يأن للذين آمنوا الآية نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سألوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا حدثنا عما في التوراة فإن فيها العجائب فنزلت الر تلك آيات الكتاب المبين إلى قوله لمن الغافلين فخبرهم أن هذا القرآن احسن القصص وانفع لهم من غيره فكفوا عن سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسألوا سلمان عن مثل ذلك فنزلت آية الله نزل احسن الحديث كتابا فكفوا عن سؤال سلمان ماشاء الله ثم عادوا فسألوا سلمان فنزلت هذه الآية عن الكلبي ومقاتل وقيل نزلت بالمؤمنين قال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا اربع سنين فجعل المؤمنون يعاتب بعضهم بعضا وقيل إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن بهذه الآية عن ابن عباس وقيل كانت الصحابة بمكة مجدبين فلما هاجروا اصابوا الريف والنعمة فتغيروا عما كانوا عليه فقست قلوبهم والواجب أن يزدادوا الإيمان واليقين والإخلاص في طول صحبة الكتاب عن محمد بن كعب

﴿ المعنى ﴾

ثم دعاهم سبحانه إلى الطاعة بقوله (ألم يأن للذين آمنوا) اي أما حان للمؤمنين (أن تخشع قلوبهم)

اي ترق وتلين قلوبهم (لذكر الله) اي لما يذكرهم الله به من مواعظه (وما نزل من الحق) يعني القرآن ومن شدد فالمراد وما نزله الله من الحق (ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (من قبل فطال عليهم الامد) اي طال الزمان بينهم وبين انبيائهم وقيل طال عليهم الامد للجزاء اي لم يعاجلوا بالجزاء فاغتروا بذلك (فقست قلوبهم) اي فغلظت قلوبهم وزال خشوعها ومرنوا على المعاصي واعتادوها وقيل طالت اعمارهم وساءت اعمالهم فقست قلوبهم وينبغي ان يكون هذا متوجها إلى جماعة مخصوصة لم يوجد منهم الخشوع التام فحثوا على الرقة والخشوع فأما من وصفهم الله تعالى بالخشوع والرقة والرحمة فطبقة من المؤمنين فوق هؤلاء عن الزجاج ومن كلام عيسى (ع) لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسو قلوبكم فإن القلب القاسي بعيد من الله ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم ارباب وانظروا في ذنوبكم كأنكم عبيد والناس رجلان مبتلى ومعافى فارحموا اهل البلاء واحمدوا الله على العافية (وكثير منهم فاسقون) اي خارجون عن طاعة الله تعالى إلى معصيته اي فلا تكونوا مثلهم فيحكم الله فيكم بمثل ما حكم فيهم ثم قال (اعلموا ان الله يحيي الأرض بعد موتها) اي يحييها بالنبات بعد اليبس والجدوبة اي فكذلك يحيي الكافر بالهدى إلى الإيمان بعد موته بالضلال والكفر بأن يلطف له ما يؤمن عنده وقيل معناه ان الله يلين القلوب بعد قسوتها بالالطاف والتوفيقات (قد بينا لكم الآيات) اي الحجج الواضحات والدلائل الباهرات (لعلكم تعقلون) فترجعون الى طاعتنا وتعملون بما امرناكم به (ان المصدقين والمصدقات) قد مضى الوجه في اختلاف القراءتين ومعناهما (واقرضوا الله قرضا حسنا) اي وانفقوا في وجوه الخير (يضاعف لهم) ذلك القرض الحسن اي يجازون امثال ذلك (ولهم اجر كريم) مر معناه (والذين آمنوا بالله ورسله) اي صدقوا بتوحيد الله وأقروا بنبوة رسله (اولئك هم الصديقون) قال مجاهد كل من آمن بالله ورسله فهو صديق شهيد وقرأ هذه الآية والصديق الكثير الصدق المبالغ فيه وهو اسم مدح وتعظيم (والشهداء عند ربهم) اي واولئك الشهداء عند ربهم والتقدير أولئك الصديقون عند ربهم والشهداء عند ربهم ثم قال (لهم اجرهم ونورهم) اي لهم ثواب طاعاتهم ونور ايمانهم الذين يهتدون به إلى طريق الجنة وهذا قول عبد الله بن مسعود ورواه البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى العياشي بالاسناد عن المنهال القصاب قال قلت لأبي عبد الله (ع) ادع الله أن يرزقني الشهادة فقال إن المؤمن شهيد وقرأ هذه الآية وعن الحرث بن المغيرة قال كنا عند ابي جعفر (ع) فقال العارف منكم هذا الامر المنتظر له المحتسب فيه الخير كمن جاهد والله مع قائم آل محمد (ع) بسيفه ثم قال بل والله كمن جاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسيفه ثم قال الثالثة بل والله كمن استشهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فسطاطه وفيكم آية من كتاب الله قلت وأي آية جعلت فداك قال قول الله (عز وجل) والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم ثم قال صرتم والله صادقين شهداء عند ربكم وقيل إن الشهداء منفصل مما قبله مستأنف والمراد بالشهداء الانبياء (ع) الذين يشهدون للامم وعليهم وهو قول ابن عباس ومسروق ومقاتل بن حيان واختاره الفراء والزجاج وقيل هم الذين استشهدوا في سبيل الله عن مقاتل بن سليمان وابن جرير (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب الجحيم) يبقون فيها دائمين ثم زهد سبحانه المؤمنين في الدنيا والركون إلى لذاتها فقال (إعلموا أنما الحيوة الدنيا) يعني أن الحياة في هذه الدار الدنيا (لعب ولهو) أي بمنزلة اللهو واللعب اذ لا بقاء لذلك ولا دوام ويزول عن وشيك كما يزول اللهو واللعب قال مجاهد كل لعب لهو وقيل اللعب ما رغب في الدنيا واللهو ما ألهى عن الآخرة (وزينة) تتزينون بها في الدنيا وقيل أراد بذلك انها تتحلى في اعين اهلها ثم تتلاشى

(وتفاخر بينكم) أي يفاخر الرجل بها قرينه وجاره عن ابن عباس (وتكاثر في الاموال والأولاد) قال يجمع مالا يحل له تكاثرا به ويتطاول على أولياء الله بماله وولده وخدمه والمعنى انه يفني عمره في هذه الاشياء ثم بين سبحانه لهذه الحياة شبها فقال (كمثل غيث) أي مطر (أعجب الكفار نباته) أي أعجب الزراع ما ينبت من ذلك الغيث قال الزجاج ويجوز أن يكون المراد الكفار بالله لأن الكافر اشد اعجابا بالدنيا من غيره (ثم يهيج) اي ييبس (فتريه مصفرا) وهو إذا قارب اليبس (ثم يكون حطاما) يتحطم ويتكسر بعد يبسه وشرح هذا المثل قد تقدم في سورة يونس (وفي الآخرة عذاب شديد) لاعداء الله عن مقاتل (ومغفرة من الله ورضوان) لاوليائه واهل طاعته (وما الحيوة الدنيا إلا متاع الغرور) لمن اغتر بها ولم يعمل لآخرته قال سعيد بن جبير متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الآخرة ومن اشتغل بطلبها فهي له متاع بلاغ إلى ما هو خير منه وقيل معناه والعمل للحياة الدنيا متاع الغرور وانه كهذه الاشياء التي مثل بها في الزوال والفناء

قوله تعالى (٢١) سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٢) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٣) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٤) الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٢٥) لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ خمس آيات

القراءة

قرأ ابو عمرو بما اتيكم مقصورا والباقون بالمد وقرأ أهل المدينة والشام فان الله الغني الحميد لانهم وجدوا في مصاحفهم كذلك والباقون فان الله هو الغني باثبات هو وكذلك هو في مصاحفهم

الحجة

قال ابو علي حجة من قصر اتيكم انه معادل به فاتكم فكما أن الفعل للفائت في قوله فاتكم فكذلك الآتي في قوله بما اتيكم قال الشاعر

ولا فرح بخير ان اتاه ولا جزع من الحدثان لاع

حجة من مد أن الخير الذي يأتيهم هو من عند الله وهو المعطي لذلك وفاعل آتاكم هو الضمير العائد إلى اسم الله والهاء محذوفة من الصلة تقديره بما اتاكموه وقوله ان الله هو الغني الحميد ينبغي أن يكون هو فصلا ولا يكون مبتدأ لأن الفصل حذفه اسهل ألا ترى انه لا موضع للفصل من الاعراب وقد يحذف فلا يخل بالمعنى

اللغة

اعدت مشتقة من العدد والاعداد وضع الشيء لما يكون في المستقبل على ما يقتضيه من عدد الامر الذي له · الفضل والأفضال والتفضل واحد وهو النفع الذي كان للقادر ان يفعله بغيره وله ان لا يفعله والاسى الحزن والتأسي تخفيف الحزن بالمشاركة في حاله

﴿ الاعراب ﴾

في كتاب يتعلق بمحذوف تقديره الا هي كائنة في كتاب فهو في محل الرفع بانه خبر مبتدأ محذوف ويجوز ان يتعلق بفعل محذوف تقديره الا قد كتبت في كتاب فيكون الجار والمجرور في موضع نصب على الحال اي الا مكتوبة . لكيلا تأسوا تأسوا منصوب بنفس كي واللام هي اللام الجارة . الذين يبخلون في موضع جر على البدل من مختال فخور فعلى هذا لايجوز الوقف على فخور ويجوز أن يكون محله رفعا على الابتداء ويكون خبره محذوفا كما حذف جواب لو من قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال ويكون التقدير الذين يبخلون فإنهم يستحقون العذاب ويجوز ان يكون محله رفعا اونصبا على الذم

﴿ المعنى ﴾

ثم رغب سبحانه في المسابقة لطلب الجنة فقال (سابقوا) اي بادروا العوارض القاطعة عن الاعمال الصالحة وسارعوا إلى مايوجب الفوز في الآخرة (الى مغفرة من ربكم) قال الكلبي الى التوبة وقيل الى الصف الاول وقيل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وجنة عرضها كعرض السماء والارض) أي وسابقوا الى استحقاق ثواب جنة هذه صفتها وذكر في ذكر العرض دون الطول وجوه ﴿ احدها ﴾ أن عظم العرض يدل على عظم الطول ﴿ والآخر ﴾ أن الطول قديكون بلاعرض ولايكون عرض بلا طول ﴿ وثالثها ﴾ أن المراد به أن العرض مثل السموات والأرض وطولها لا يعلمه الا الله تعالى قال الحسن ان الله يفني الجنة ثم يعيدها على ما وصفه فلذلك صح وصفها بأن عرضها كعرض السماء والارض وقال غيره ان الله قال عرضها كعرض السماء والأرض والجنة المخلوقة في السماء السابعة فلا تنافي (اعدت للذين آمنوا) اي اذخرت وهيئت للمؤمنين (بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) معناه انه يجزي الدائم الباقي على القليل الفاني ولو اقتصر في الجزاء على قدر ما يستحق بالأعمال كان عدلا منه لكنه تفضل بالزيادة وقيل معناه ان احدا لاينال خيرا في الدنيا والآخرة الا بفضل الله فانه سبحانه لو لم يدعنا الى الطاعه ولم يبين لنا الطريق ولم يوفقنا للعمل الصالح لما اهتدينا اليه وذلك كله من فضل الله وايضا فإنه سبحانه تفضل بالأسباب التي يفعل بها الطاعة من التمكين والالطاف وكمال العقل وعرض المكلف للثواب فالتكليف ايضا تفضل وهو السبب الموصل الى الثواب وقال ابو القاسم البلخي والبغداديون من اهل العدل ان الله سبحانه وتعالى لو اقتصر لعباده في طاعاتهم على مجرد احساناته السالفة اليهم لكان عدلا فلهذا جعل سبحانه الثواب والجنة فضلا وفي هذه الآية اعظم رجاء لأهل الايمان لأنه ذكر ان الجنة معدة للمؤمنين ولم يذكر مع الايمان شيئا آخر (والله ذو الفضل العظيم) أي ذو الافضال العميم والاحسان الجسيم إلى عباده ثم قال (ما اصاب من مصيبة في الارض) مثل قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمرات (ولا في انفسكم) من الامراض والثكل بالاولاد (إلا في كتاب) يعني الا وهو مثبت مذكور في اللوح المحفوظ (من قبل أن نبرأها) أي من قبل أن نخلق الانفس . المعنى انه تعالى اثبتها في اللوح المحفوظ قبل أن يخلق الانفس ليستدل ملائكته به على انه عالم لذاته يعلم الاشياء بحقائقها (إن ذلك على الله يسير) اي اثبات ذلك على كثرته هين على الله يسير سهل غير عسير ثم بين سبحانه لم فعل لذلك فقال (لكيلا تأسوا على ما فاتكم) أي فعلنا ذلك لئلا تحزنوا على ما يفوتكم من نعم الدنيا (ولا تفرحوا بما اتيكم) أي بما اعطاكم الله منها والذي يوجب نفي الأسى والفرح من هذا أن الانسان إذا علم أن ما فات منها ضمن الله تعالى عليه العوض في الآخرة فلا ينبغي أن يحزن لذلك و إذا علم أن ما ناله منها كلف الشكر عليه والحقوق الواجبة فيه فلا ينبغي أن يفرح به وايضا فإذا علم أن شيئا منها لايبقى فلا ينبغي أن يهتم له بل يجب أن يهتم لأمر الآخرة التي تدوم ولا تبيد وفي هذه الآية اشارة إلى اربعة اشياء ﴿ الأول ﴾ حسن الخلق لأن من استوى عنده وجود الدنيا وعدمها لا يحسد ولا يعادي ولا يشاح فإن هذه

من اسباب سوء الخلق وهي من نتائج حب الدنيا ﴿ وثانيها ﴾ استحقار الدنيا واهلها اذا لم يفرح بوجودها ولم يحزن لعدمها ﴿ وثالثها ﴾ تعظيم الآخرة لما ينال فيها من الثواب الدائم الخالص من الشوائب ﴿ ورابعها ﴾ الا فتخار بالله دون اسباب الدنيا ويروى أن علي بن الحسين (ع) جاءه رجل فقال له ما الزهد فقال الزهد عشرة اجزاء فأعلى درجة الزهد ادنى درجة الورع واعلى درجة الورع ادنى درجة اليقين واعلى درجة اليقين ادنى درجة الرضا وان الزهد كله في آية من كتاب الله لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتيكم وقيل انه جهور ما الشائيها الحكيم لا تأسف على الفائت ولا تفرح بما هو آت فقال ان الفائت لا يتلافى بالعبرة والآتي لا يستدام بالحبرة وعن عبد الله بن مسعود قال لئن جمرة الحسرة احرقت ما احرقت وابقت ما ابقت أحب إلي من أن أقول لشيء كان ليته لم يكن أو لشيء لم يكن ليته كان (والله لا يحب كل مختال فخور) أي متكبر بما ارتقي فخور على الناس بالدنيا (الذين يبخلون) بمنع الواجبات (ويأمرون الناس بالبخل) وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سأل عن سيد بني عرف فقالوا جد بن قيس على انه يزن بالبخل فقال صلى الله عليه وآله وسلم واي داء أدرى من البخل سيدكم البراء بن معرور ومعنى يزن يتهم ويقرف (ومن يتول) أي يعرض عما دعاه الله اليه (فإن الله هو الغني) عنه وعن طاعته وصدقته (الحميد) في جميع افعاله ثم اقسم سبحانه فقال (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات) اي بالدلائل والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) المكتوب الذي يتضمن الأحكام وما يحتاج اليه الخلق من الحلال والحرام كالتوراة والانجيل والقرآن (والميزان) أي وأنزلنا معهم من السماء الميزان ذا الكفتين الذي يوزن به عن ابن زيد والجبائي ومقاتل بن سليمان وقيل معناه أنزلنا صفة الميزان (ليقوم الناس) في معاملاتهم (بالقسط) أي بالعدل والمراد وأمرنا بالعدل كقوله الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان عن قتادة ومقاتل ابن حيان (وأنزلنا الحديد) روي عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض أنزل الحديد والنار والماء والملح وقال أهل المعاني معنى أنزلنا الحديد أنشأناه وأحدثناه كقوله وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج وإلى هذا ذهب مقاتل فقال معناه بأمرنا كان الحديد وقال قطرب معنى أنزلنا هنا هيأنا وخلقنا من النُزُل وهو ما يهيأ للضيف أي انعمنا بالحديد وهيأناه لكم وقيل انزل مع آدم من الحديد العلاة وهي السندان والكلبتان والمطرقة عن ابن عباس (فيه بأس شديد) أي يمتنع ويحارب به عن الزجاج والمعنى انه يتخذ منه آلتان آلة للدفع وآلة للضرب كما قال مجاهد فيه جنة وسلاح (ومنافع للناس) يعني ما ينتفعون به في معاشهم مثل السكين والفأس والابرة وغيرها مما يتخذ من الحديد من الآلات وقوله (وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب) معطوف على قوله ليقوم الناس بالقسط أي ليعاملوا بالعدل وليعلم الله نصرة من ينصره موجودة وجهاد من جاهد مع رسوله موجودا وقوله بالغيب أي بالعلم الواقع بالاستدلال والنظر من غير مشاهدة بالبصر (ان الله قوي) على الانتقام من أعدائه (عزيز) أي منيع من أن يعترض عليه في أرضه وسمائه

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله ما أصاب من مصيبة الآية بما قبلها انه سبحانه لما بين الثواب على الطاعات عقبه ببيان الاعواض على مقاساة المصائب والملمات فقال لا يذهب علينا عوض من اصابته مصيبة ما فإن كانت من فعلنا فعوضه بالأضعاف من جزائنا وان كان من فعل عبادنا فباستيفائنا ذلك منهم ثم أكد ذلك بقوله لكيلا تأسوا الآية لأن المصيبة لو كانت بغير عوض في العاقبة لازداد الأسى والحزن فإن الحزن كل الحزن في

الخسران الذي ليس له جبران ثم عقب ذلك بقوله لقد ارسلنا رسلنا بالبينات الآية فبين انه سبحانه لطف لعباده بما يدعو إلى الخشوع والخضوع وترك الخيلاء

قوله تعالى (٢٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٨) لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ اربع آيات

اللغة

التقفية جعل الشيء في اثر شيء على الاستمرار فيه ولهذا قيل لمقاطع الشعر قواف إذ كانت تتبع البيت على اثره مستمرة في غيره على منهاجه والرهبانية أصلها من الرهبة وهي الخوف إلا انها عبادة مختصة بالنصارى لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا رهبانية في الإسلام والابتداع ابتداء أمر لم يحتذ فيه على مثال ومنه البدعة إذ هي إحداث أمر على خلاف السنة والكفل الحظ ومنه الكفل الذي يتكفل به الراكب وهو كساء او نحوه يحويها على الإبل إذا أراد أن يرقد فيه فيحفظه من السقوط ففيه حظ من التحرز من الوقوع

الاعراب

ورهبانية منصوب بفعل مضمر يفسره قوله ابتدعوها التقدير وابتدعوا رهبانية ابتدعوها وقوله ما كتبناها عليهم في محل النصب لأنه صفة لرهبانية. ابتغاء رضوان الله نصب لأنه بدل من ها في كتبناها والتقدير كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله أي اتباع أوامره ولم نكتب عليهم الرهبانية ولا في لئلا يعلم زائدة وان في ان لا يقدرون مخففة من الثقيلة واسمه محذوف وتقديره انهم لا يقدرون ولا هنا يدل على الاضمار في ان مع تخفيف ان

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من ذكر الأنبياء بقصة ابراهيم (ع) ونوح (ع) فقال سبحانه (ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم) وإنما خصهما بالذكر لفضلهما ولأنهما أبوا الأنبياء (وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) يعني ان الأنبياء كلهم من نسلهما وذريتهما وعليهم انزل الكتاب ثم اخبر عن حال ذريتهما فقال (فمنهم مهتد) إلى طريق الحق (وكثير منهم فاسقون) أي خارجون عن طاعة الله إلى معصيته (ثم قفينا على آثارهم برسلنا) أي ثم اتبعنا بالإرسال على آثار من ذكرناهم من الأنبياء برسل آخرين إلى قوم آخرين وأنفذناهم رسولا بعد رسول (وقفينا بعيسى بن مريم) بعدهم فأرسلناه رسولا (وآتيناه الانجيل) أي واعطينا عيسى بن مريم

الانجيل (وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه) في دينه يعني الحواريين وأتباعهم اتبعوا عيسى (رأفة) وهي أشد الرقة (ورحمة) وإنما أضاف الرأفة والرحمة إلى نفسه لأنه سبحانه جعل في قلوبهم الرأفة والرحمة بالأمر به والترغيب فيه ووعد الثواب عليه وقيل لأنه خلق في قلوبهم الرأفة والرحمة وإنما مدحهم على ذلك وان كان من فعله لأنهم تعرضوا لها (ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) وهي الخصلة من العبادة يظهر فيها معنى الرهبة اما في كنيسة أو انفراد عن الجماعة أو غير ذلك من الأمور التي يظهر فيها نسك صاحبه والمعنى ابتدعوها رهبانية لم نكتبها عليهم وقيل ان الرهبانية التي ابتدعوها هي رفض النساء واتخاذ الصوامع عن قتادة قال وتقديره ورهبانية ما كتبناها عليهم (إلا) انهم اتبعوها (ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها) وقيل ان الرهبانية التي ابتدعوها لحاقهم بالبراري والجبال في خبر مرفوع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فما رعاها الذين بعدهم حق رعايتها وذلك لتكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم عن ابن عباس وقيل ان الرهبانية هي الانقطاع عن الناس للانفراد بالعبادة ما كتبناها أي ما فرضناها عليهم وقال الزجاج إن تقديره ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله وابتغاء رضوان الله اتباع ما امر به فهذا وجه قال وفيها وجه آخر جاء في التفسير انهم كانوا يرون من ملوكهم ما لا يصبرون عليه فاتخذوا اسرابا وصوامع وابتدعوا ذلك فلما الزموا انفسهم ذلك التطوع ودخلوا عليه ازمهم تمامه كما ان الانسان إذا جعل على نفسه صوما لم يفرض عليه لزمه أن يتمه قال وقوله فما رعوها حق رعايتها على ضربين * احدهما * أن يكونوا قصروا فيما الزموه انفسهم * والآخر * وهو الاجود أن يكونوا حين بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يؤمنوا به كانوا تاركين لطاعة الله فما رعوا تلك الرهبانية حق رعايتها ودليل ذلك قوله (فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم) يعني الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم (وكثير منهم فاسقون) أي كافرون انتهى كلام الزجاج ويعضد هذا ما جاءت به الرواية عن ابن مسعود قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حمار فقال يا ابن ام عبد هل تدري من اين احدثت بنو اسرائيل الرهبانية فقلت الله ورسوله اعلم فقال ظهرت عليهم الجبابرة بعد عيسى يعملون بمعاصي الله فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم إلا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء افنونا ولم يبق للدين احد يدعو اليه فتعالوا نتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا به عيسى (ع) يعنون محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فتفرقوا في غيران الجبال واحدثوا رهبانية فمنهم من تمسك بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الآية ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلى آخرها ثم قال يا ابن ام عبد اتدري ما رهبانية امتي قلت الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة وعن ابن مسعود قال دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على اثنتين وسبعين فرقة نجا منها اثنتان وهلك سائرهن فرقة قاتلوا الملوك على دين عيسى (ع) فقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة لموازاة الملوك ولا أن يقيموا بين ظهرانيهم يدعونهم إلى دين الله تعالى ودين عيسى (ع) فساحوا في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله لهم ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من آمن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون ثم قال سبحانه (يا أيها الذين آمنوا) اي اعترفوا بتوحيد الله وصدقوا بموسى وعيسى «ع» (اتقوا الله وآمنوا برسوله) محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن ابن عباس وقيل معناه يا أيها الذين آمنوا ظاهرا آمنوا باطنا (يؤتكم كفلين) اي يؤتكم نصيبين (من رحمته) نصيبا لايمانكم بمن تقدم من الانبياء

ونصيبا لايمانكم بمحمد ﷺ عن ابن عباس (ويجعل لكم نورا تمشون به) اي هدى تهتدون به عن مجاهد وقيل النور القرآن وفيه الأدلة على كل حق والبيان لكل خير وبه يستحق الضياء الذي يمشي بـه يوم القيامة عن ابن عباس (ويغفر لكم) أي ويستر عليكم ذنوبكم (والله غفور رحيم)قال سعيدبن جبير بعث رسول الله ﷺ جعفرا في سبعين راكبا إلى النجاشي يدعوه فقدم عليه ودعاه فاستجاب له وآمن به فلما كان عند انصرافـه قال ناس ممن آمن بـه من اهل مملكته وهم اربعون رجـلا إئذن لنا فنأتي هذا النبي فنسلم به فقدموا مع جعفر فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة استأذنوا رسول الله ﷺ وقالوا يانبي الله إن لنا اموالا ونحن نرى ما بالمسلمين من الخصاصة فإن اذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فأنزل الله فيهم الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون إلى قوله ومما رزقناهم ينفقون فكانت النفقة التي واسوا بها المسلمين فلما سمع اهل الكتاب ممن لم يؤمن به قوله أولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا فخروا على المسلمين فقالوا يا معشر المسلمين أمـا من آمن منا بكتابكم وكتابنا فله اجران ومن آمن منا بكتابنا فله اجر كأجوركم فما فضلكم علينا فـنزل قوله ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله الآية فجعل لهم اجرين وزادهم النور والمغفرة ثم قال لئلا يعلم أهل الكتاب وقال الكلبي كان هؤلاء اربعة وعشرين رجلا قدموا من اليمن على رسول الله ﷺ وهو بمكة لم يكونوا يهودا ولانصارى وكانوا على دين الانبياء فأسلموا فقال لهم ابو جهل بئس القوم انتم والوفد لقومكم فردوا عليه وما لنا لا نؤمن بالله الآية فجعـل الله لهم ولمؤمني اهـل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه اجرين اثنين فجعلوا يفخرون على اصحاب رسول الله ﷺ ويقولون نحن افضـل منكم لنا اجران ولكم اجر واحد فنزل لئلا يعلم اهل الكتاب إلى آخر السورة وروي عن رسول الله ﷺ انـه قال من كانت له امة فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها فأحسن تأديبها واعتقها وتزوجها فله اجران وايما رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه (ع) وآمن بمحمد ﷺ فله اجران وايما مملوك ادى حق الله وحق مواليه فله اجران أورده البخاري ومسلم في الصحيح (لئلايعلم) أي لأن يعلم ولا مزيدة (اهل الكتاب) يعني الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ وحسدوا المؤمنين منهم (ألا يقدرون على شيء من فضل الله) وان هذه هي المخففة من الثقيلة والتقدير انهم لا يقدرون ومعناه جعلنا الاجرين لمن آمـن بمحمد ﷺ ليعلم الذين لم يؤمنوا أنهم لا اجر لهم ولا نصيب لهم في فضل الله (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) فآتى المؤمنين منهم اجرين (والله ذو الفضل العظيم) يتفضل على من يشاء من عباده المؤمنين وقيل إن المراد بفضل الله هنا النبوة أي لا يقدرون على نبوة الأنبياء ولا على صرفها عمن شاء الله ان يخصه بها فيصرفونها عن محمد ﷺ إلى من يحبونه بل هي بيد الله يعطيها من يشاء ممن هو اهلها ويعلم انه يصلح لها وقيل إنما تدخل لا صلة في كل كلام دخل في أواخره أو اوائله جحدوا وان لم يكن مصرحا بـه نحو قوله ما منعك أن لا تسجد إذ امرتك وما يشعركم انها إذا جاءت لا يؤمنون وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون عن الفراء وقيل ان لا هنا في حكم الثبات والمعنى لأن لا يعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون أن يؤمنوا لأن من لا يعلم انه لا يقدر يعلم انه يقدر فعلى هذا يكون المراد لكي يعلموا انهم يقدرون على أن يؤمنوا فيحوزوا الفضل والثواب وقيل إن معناه لئلا يعلم اليهود والنصارى ان النبي ﷺ والمؤمنين لا يقدرون على ذلك فقد علموا أنهم

لا يقدرون عليه اي إن آمنتم كما امركم الله آتاكم الله من فضله فعلم اهل الكتاب خلافه وعلى هذا فالضمير في يقدرون ليس لأهل وقال ابو سعيد السيرا في معناه أن الله يفعل بكم هذه الاشياء لئلا يعلم اي ليتبين جهل اهل الكتاب وانهم لا يعلمون ان ما يؤتيكم الله من فضله لا يقدرون على تغييره وإزالته عنكم ففي هذه الوجوه لا يحتاج إلى زيادة لا

سورة المجادلة (مدنية)

﴿ عدد آيها ﴾

احدى وعشرون آية مكي والمدني الأخير وآيتان في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

آية في الأذلين غير المكي والمدني الأخير

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سورة الحديد بذكر فضله على من يشاء من عباده افتتح هـذه السورة بذكر بيان فضله في إجابة الدعوة كما اجاب دعاء تلك المرأة فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٢) ٱلَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا ٱلَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٣) وَٱلَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٤) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٥) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَادُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ

خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم يظاهرون بضم الياء وتخفيف الظاء وقرأ اهل البصرة وابن كثير يظهرون بتشديد الظاء والهاء وفتح الياء وقرأ الباقون يظاهرون بفتح الياء وتشديد الظاء وروي عن بعضهم ماهن امهاتهم برفع التاء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي ظاهر من امرأته وظهر مثل ضاعف وضعف وتدخل التاء على كل واحد منهما فيصير تظاهر وتظهر ويدخل حرف المضارعة فيصير يتظاهر ويتظهر ثم تدغم الطاء في الظاء لمقاربتها لها فتصير يظاهر ويظهر بفتح الياء التي هي حرف المضارعة لأنها للمطاوعة كما تفتحها في يتدحرج الذي هو مطاوع دحرجته فتدحرج ووجه الرفع في قوله ما هن امهاتهم انه لغة بني تميم قال سيبويه وهو اقيس الوجهين وذلك ان النفي كالاستفهام فكما لا يغير الاستفهام الكلام عما كان عليه في الواجب ينبغي أن لا يغير النفي عما كان عليه في الواجب ووجه النصب انه لغة اهل الحجاز والأخذ بلغتهم في القرآن اولى وعليها جاء ما هذا بشرا

﴿ اللغة ﴾

الاشتكاء اظهار ما بالإنسان من مكروه والشكاية اظهار ما يصنعه به غيره من المكروه والتحاور التراجع وهي المحاورة يقال حاوره محاورة أي راجعه الكلام وتحاورا قال عنترة

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي

والمحادة المخالفة واصله من الحد وهو المنع ومنه الحد الحاجز بين الشيئين قال النابغة

إلا سليمان إذ قال المليك له قم في البرية فاحددها عن الفند

الكبت مصدر كبت الله العدوأي أذله وأخزاه

﴿ النزول ﴾

نزلت الآيات في امرأة من الانصار ثم من الخزرج واسمها خولة بنت خويلد عن ابن عباس وقيل خولة بنت ثعلبة عن قتادة ومقاتل وزوجها اوس بن الصامت وذلك انها كانت حسنة الجسم فرآها زوجها ساجدة في صلاتها فلما انصرفت أرادها فأبت عليه فغضب عليها وكان امرأ فيه سرعة ولمم فقال لها انت علي كظهر امي ثم ندم على ما قال وكان الظهار من طلاق اهل الجاهلية فقال لها ما اظنك إلا وقد حرمت علي فقالت لا تقل ذلك وأت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاسأله فقال اني اجد اني استحيي منه ان اسأله عن هذا قالت فدعني اسأله فقال سليه فأتت النبي صلى الله عليه وآله وعائشة تغسل شق رأسه فقالت يارسول الله إن زوجي اوس بن الصامت تزوجني وأنا شابة غانية ذات مال واهل حتى إذا اكل مالي وأفنى شبابي وتفرق اهلي وكبر سني ظاهر مني قد ندم فهل من شيء يجمعني واياه فتنعشني به فقال صلى الله عليه وآله وسلم ما اراك إلا حرمت عليه فقالت يارسول الله والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا وانه ابو ولدي وأحب الناس الي فقال صلى الله عليه وآله ما أراك إلا حرمت عليه ولم اؤمر في شأنك بشيء فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وآله وإذا قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله حرمت عليه هتفت وقالت اشكو إلى الله فاقتي وحاجتي وشدة حالي اللهم فأنزل على لسان نبيك وكان هذا أول ظهار في الإسلام فقامت عائشة تغسل شق رأسه الآخر فقالت انظر في امري جعلني الله فداك يانبي الله فقالت عائشة اقصري حديثك ومجادلتك أما ترين وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وكان صلى الله عليه وآله إذا نزل

عليه الوحي اخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي زوجك فتلا عليه رسول الله ﷺ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها إلى تمام الآيات قالت عائشة تبارك الذي وسع سمعه الاصوات كلها إن المرأة لتحاور رسول الله ﷺ وأنا في ناحية البيت اسمع بعض كلامها ويخفى علي بعضه إذ انزل الله قد سمع فلما تلا عليه هذه الآيات قال له هل تستطيع أن تعتق رقبة قال اذاً يذهب مالي كله والرقبة غالية واني قليل المال فقال فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين فقال والله يارسول الله اني اذا لم آكل ثلاث مرات كلّ بصري وخشيت ان تعشى عيني قال فهل تستطيع ان تطعم ستين مسكيناً قال لا والله الا ان تعينني على ذلك يا رسول الله فقال اني معينك بخمسة عشر صاعاً وانا داع لك بالبركة فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعاً فدعا له بالبركة فاجتمع لهما امرهما

المعنى

(قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها) أي تراجعك في أمر زوجها عن ابي العالية (وتشتكي الى الله) اي وتظهر شكواها وما بها من المكروه فتقول اللهم انك تعلم حالي فارحمني فإن لي صبية صغاراً إن ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا (والله يسمع تحاوركما) اي تخاطبكما ومراجعتكما الكلام (إن الله سميع بصير) اي يسمع المسموعات ويرى المرئيات والسميع البصير من هو على حالة يجب لأجلها أن يسمع المسموعات ويبصر المبصرات إذا وجدتا وذلك يرجع الى كونه حيا لا آفة به ثم قال سبحانه يذم الظهار (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) اي يقولون لهن انتن كظهور امهاتنا (ما هن امهاتهم) أي ما اللواتي تجعلونهن من الزوجات كالأمهات بامهات اي ليس بامهاتهم (إن امهاتهم الا اللائي ولدنهم) اي ما امهاتهم الا الوالدات (وانهم) يعني المظاهرين (ليقولون منكرا من القول) لا يعرف في الشرع (وزورا) اي كذبا لأن المظاهر اذا جعل ظهر امرأته كظهر امه وليست كذلك كان كاذبا (وان الله لعفو غفور) عفا عنهم وغفر لهم وامرهم بالكفارة ثم بين سبحانه حكم الظهار فقال (والذين يظاهرون من نسائهم) يعني الذين يقولون القول الذي حكيناه (ثم يعودون لما قالوا) اختلف المفسرون والفقهاء في معنى العود هنا فقيل إنه العزم على وطئها عن قتادة وهو مذهب مالك وابي حنيفة وقيل العود هو أن يمسكها بالعقد ولا يتبع الظهار بطلاق وذلك انه اذا ظاهر منها فقد قصد التحريم فإن وصل ذلك بالطلاق فقد جرى على ما ابتداه ولا كفارة واذا سكت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه أن يطلق فيه فذلك الندم منه على ما ابتداه وهو عود الى ما كان عليه فحينئذ تجب الكفارة وهو مذهب الشافعي واستدل على ذلك بما روي عن ابن عباس انه فسر العود في الآية بالندم فقال يندمون ويرجعون الى الالفة وقال الفراء يعودون لما قالوا وإلى ما قالوا وفيما قالوا معناه يرجعون عما قالوا ويقال عاد لما فعل اي نقض ما فعل ويجوز ان يقال عاد لما فعل يريد فعله مرة اخرى وقيل إن العود هو أن يكرر لفظ الظهار عن ابي العالية وهو مذهب أهل الظاهر واحتجوا بأن ظاهر لفظ العود يدل على تكرير القول قال ابو علي الفارسي ليس في هذا ظاهر كما ادعوا لأن العود قد يكون الى شيء لم يكن عليه قبل وقد سميت الآخرة معادا ولم يكن فيها احد ثم صار اليها وقال الاخفش تقدير الآية والذين يظاهرون من نسائهم فتحرير رقبة لما قالوا ثم يعودون الى نسائهم أي فعليهم تحرير رقبة لما نطقوا به من ذكر التحريم . والتقديم والتأخير كثير في التنزيل واما ما ذهب اليه أئمة الهدى من آل محمد ﷺ فهو ان المراد بالعود ارادة

الوطء ونقض القول الذي قاله فإن الوطء لا يجوز له إلا بعد الكفارة ولا يبطل حكم قوله الأول إلا بعد الكفارة (فتحرير رقبة) اي فعليهم تحرير رقبة (من قبل أن يتماسا) اي من قبل أن يجامعها فيتماسا والتحرير هو أن يجعل الرقبة المملوكة حرة بالعتق بأن يقول المالك لمن يملكه انت حر (ذلكم توعظون به) اي ذلكم التغليظ في الكفارة توعظون به اي ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار قاله الزجاج (والله بما تعملون خبير) اي عليم بأعمالكم فلا تدعوا ما وعظكم به من الكفارة قبل الوطء فيعاقبكم عليه (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا) اي فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين قبل الجماع والتتابع عند اكثر الفقهاء أن يوالي بين ايام الشهرين الهلاليين او بصوم ستين يوما وقال اصحابنا انه اذا صام شهرا ومن الثاني شيئا ولو يوما واحدا ثم افطر لغير عذر فقد أخطأ الا انه يبني عليه ولا يلزمه الاستئناف وان افطر قبل ذلك استأنف ومتى بدأ بالصوم وصام بعض ذلك ثم وجد الرقبة لا يلزمه الرجوع اليها وإن رجع كان افضل وقال قوم انه يلزمه الرجوع الى العتق وقوله (فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا) اي فمن لم يطق الصوم لعلة او كبر فاطعام ستين مسكينا فعليه اطعام ستين فقيرا لكل مسكين نصف صاع عند اصحابنا فإن لم يقدر فمد (ذلك) اي افترض ذلك الذي وصفناه (لتؤمنوا بالله ورسوله) اي لتصدقوا بما أتى به الرسول وتصدقوا بأن الله أمر به (وتلك حدود الله) يعني ما وصفه من الكفارات في الظهار اي هي شرائع الله واحكامه (وللكافرين عذاب أليم) اي وللجاحدين المتعدين حدود الله عذاب مؤلم في الآخرة (إن الذين يحادون الله ورسوله) اي يخالفون امر الله ويعادون رسوله (كبتوا) اي اذلوا واخزوا (كما كبت الذين من قبلهم) اي كما اخزي الذين من قبلهم من أهل الشرك (وقد انزلنا آيات بينات) اي حججا واضحات من القرآن وما فيه من الأدلة والبيان (وللكافرين) الجاحدين لما انزلناه (عذاب مهين) يهينهم ويخزيهم فأما الكلام في مسائل الظهار وفروعها فموضعه كتب الفقه

قوله تعالى (٦) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (٧) أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٨) أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٩) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (١٠) إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وحده ما تكون بالتاء والباقون بالياء وقرأ يعقوب وسهل ولا اكثر بالرفع والباقون بالنصب وقرأ حمزة ورويس عن يعقوب ينتجون والباقون يتناجون وقرأ رويس ايضا فلا تنتجوا

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني التذكير في قوله ما يكون من نجوى ثلاثة هو الوجه لما هناك من الشياع وعموم الجنسية كقولك ما جاءني من امرأة وما حضرني من جارية وأما تكون بالتاء فلاعتزام لفظ التأنيث حتى كأنه قال ما تكون نجوى ثلاثة وقوله ولا اكثر بالرفع معطوف على محل الكلام قبل دخول من فإن قوله من نجوى في محل رفع بأنه فاعل يكون ومن زائدة والقراءة الظاهرة اكثر بالفتح في موضع الجر وقوله ينتجون يفتعلون من النجوى والنجوى مصدر كالدعوى والعدوى ومثل ذلك في أنه على فعلى التقوى إلا أن الواو فيها مبدلة وليست بلام ولما كان مصدرا وقع للجمع على لفظ الواحد في قوله تعالى إذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اي هم ذوو نجوى وقوله ما يكون من نجوى ثلاثة قال ابو علي ثلاثة يحتمل جرها من وجهين ﴿ احدهما ﴾ أن يكون مجرورا بإضافة نجوى اليه كأنه ما يكون من اسرار ثلاثة إلا هو رابعهم أي لا يخفى عليه ذلك كما قال ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجويهم ويجوز أن يكون ثلاثة جرا على الصفة على قياس قوله تعالى وإذ هم نجوى فيكون المعنى ما يكون من متناجين ثلاثة واما النجي فصفة تقع على الكثرة كالصديق والرفيق والحميم ومثله الغري وفي التنزيل خلصوا نجيا وأما قول حمزة ينتجون وقول سائرهم يتناجون فإن يفتعلون ويتفاعلون قد يجريان مجرى واحد ومن ثم قالوا ازدوجوا واعتوروا فصححوا الواو وإن كانت على صورة يجب فيها الاعتلال لما كان بمعنى تعاوروا وتزاوجوا كما صح عور وحول لما كان بمعنى افعال ويشهد لقراءة حمزة قول النبي ﷺ في علي صلوات الرحمن عليه لما قال له بعض اصحابه أتناجيه دوننا قال ما انا انتجيته بل الله انتجاه

﴿ اللغة ﴾

النجوى هي اسرار ما يرفع كل واحد إلى آخر واصله من النجوة الارتفاع من الأرض والنجاء الارتفاع في السير والنجاة الارتفاع من البلاء

﴿ الاعراب ﴾

هو رابعهم مبتدأ وخبر في محل جر بأنه صفة ثلاثة وتقول فلان رابع اربعة إذا كان واحد اربعة ورابع ثلاثة إذا جعل ثلاثة اربعة بكونه معهم ويجوز على هذا أن يقال رابع ثلاثة ولا يجوز رابع اربعة لأنه ليس فيه معنى الفعل . حسبهم جهنم مبتدأ وخبر ويصلونها في موضع نصب على الحال

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس نزل قوله الم تر إلى الذين نهوا عن النجوى الآية في اليهود والمنافقين انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم فإذا رأى المؤمنون نجواهم قالوا ما نراهم إلا وقد بلغهم عن اقربائنا واخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل أو مصيبة او هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال ذلك شكوا إلى رسول الله ﷺ فأمرهم أن لا يتناجوا

دون المسلمين فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم فنزلت الآية

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه وقت ذلك العذاب فقال (يوم يبعثهم الله جميعا) اي يحشرهم إلى ارض المحشر ويعيدهم احياء (فينبئهم بما عملوا) اي يخبرهم ويعلمهم بما عملوه من المعاصي في دار الدنيا (احصيه الله) عليهم واثبته في كتاب اعمالهم (ونسوه والله على كل شيء شهيد) معناه انه يعلم الاشياء كلها من جميع وجوهها لايخفى عليه شيء منها ومنه قوله شهد الله انه لا إله إلا هو أي علم الله ثم بين سبحانه أنه يعلم ما يكون في العالم فقال (ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الأرض) يعني جميع المعلومات والخطاب للنبي ﷺ والمراد جميع المكلفين وهو استفهام معناه التقرير أي ألم تعلم وقيل ألم تر إلى الدلالات المرئية من صنعته الدالة على انه عالم بجميع المعلومات (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) بالعلم يعني أن نجواهم معلومة عنده كما تكون معلومة عند الرابع الذي هو معهم وقيل السرار ما كان بين اثنين والنجوى ما كان بين ثلاثة وقال بعضهم النجوى كل حديث كان سرا أو علانية وهو اسم للشيء الذي يتناجى به (ولا خمسة إلا هو سادسهم) اي ولا يتناجى خمسة إلا وهو عالم بسرهم كسادس معهم (ولا ادنى من ذلك ولا اكثر إلا وهو معهم أينما كانوا) المعنى انه عالم بأحوالهم وجميع متصرفاتهم فرادى وعند الاجتماع لا يخفى عليه شيء منها فكأنما هو معهم ومشاهد لهم وعلى هذا يقال إن الله مع الإنسان حيثما كان لأنه إذا كان عالما به لايخفى عليه شيء من امره حسن هذا الاطلاق لما فيه من البيان فأما ان يكون معهم على طريق المجاورة فذلك محال لأنه من صفات الأجسام وقد دلت الأدلة على انه ليس بصفات الاجسام (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيمة) اي يخبرهم بأعمالهم (إن الله بكل شيء عليم) لا يخفى عليه خافية (الم تر إلى الذين نهوا عن النجوى) ألم تعلم حال الذين نهوا عن المناجاة واسرار الكلام بينهم دون المسلمين بما يغم المسلمين ويحزنهم وهم اليهود والمنافقون (ثم يعودون لما نهوا عنه) يعني الى ما نهوا عنه اي يرجعون الى المناجاة بعد النهي (ويتناجون بالإثم والعدوان) في مخالفة الرسول وهو قوله (ومعصية الرسول)وذلك انه نهاهم عن النجوى فعصوه ويجوز أن يكون الإثم والعدوان ذلك السر الذي يجري بينهم لأنه شيء يسوء المسلمين ويوصي بعضهم بعضا بترك امر الرسول والمعصية له (وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله) وذلك أن اليهود كانوا يأتون النبي ﷺ فيقولون السام عليك والسام الموت وهم يوهمونه انهم يقولون السلام عليك وكان النبي ﷺ يرد على من قال ذلك فيقول وعليك وقال الحسن كان اليهودي يقول السام عليك اي انكم ستسأمون دينكم هذا وتملونه فتدعونه ومن قال السام الموت وهو سام الحياة بذهابها (ويقولون في انفسهم) اي يقول بعضهم لبعض وقيل معناه انهم لو تكلموا لقالوا هذا الكلام وان لم يكن منهم قول (لولا يعذبنا الله بما نقول) اي يقولون لو كان هذا نبيا كما يزعم فهلا يعذبنا الله ولا يستجيب له فينا قوله وعليكم يعني السام وهو الموت فقال سبحانه (حسبهم) اي كافيهم (جهنم يصلونها) يوم القيامة ويحترقون فيها (فبئس المصير) فبئس المرجع والمآل جهنم لما فيها من انواع العذاب والنكال ثم نهى المؤمنين عن مثل ذلك فقال (ياأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) أي لا تفعلوا كفعل المنافقين واليهود (وتناجوا بالبر والتقوى) اي بأفعال الخير والطاعة والخوف من عذاب الله واتقاء معاصي الله (واتقوا الله الذي اليه)

أي إلى جزائه (تحشرون) يوم القيامة (إنما النجوى من الشيطان) يعني نجوى المنافقين والكفار بما يسوء المؤمنين ويغمهم من وساوس الشيطان وبدعائه واغوائه يفعل ذلك النجوى (ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئاً) اي نجواهم لا يضرهم شيئاً وقيل إن الشيطان لا يضرهم شيئاً (إلا بإذن الله) يعني بعلم الله وقيل بأمر الله لأن سببه بأمره وهو الجهاد خروجهم اليه وقيل بأمر الله لأنه يلحقهم الآلام والامراض عقيب ذلك (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) في جميع امورهم دون غيره وقيل إن الآية المراد بها احلام المنام التي يراها الإنسان في نومه فيحزنه وورد في الخبر عن عبد الله بن مسعود قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يحزنه وعن ابن عمر عنه قال لا يتناج اثنان دون الثالث

قوله تعالى (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٣) أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٤) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٥) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ خمس آيات

القراءة

قرأ عاصم وحده في المجالس على الجمع والباقون في المجلس على التوحيد وقرأ اهل المدينة وابن عامر وعاصم غير يحيى مختلف عنه قيل انشزوا فانشزوا بالضم والباقون بالكسر

الحجة

قال ابو علي في المجلس زعموا انه مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإذا كان كذلك فالوجه الافراد ويجوز أن يجمع على هذا على أن يجعل لكل جالس مجلساً اي موضع جلوس ويكون المجلس على إرادة العموم مثل قولهم كثر الدينار والدرهم فيشمل على هذا جميع المجالس ومثله قوله إن الإنسان لفي خسر وقوله انشزوا اي قوموا والنشز المرتفع من الأرض قال

ترى الثعلب الحولي فيها كأنه إذا ما علا نشزاً حصان مجلل

ومنه نشوز المرأة على زوجها وينشز وينشز مثل يعكف ويعكف ويعرش ويعرش

اللغة

التفسح الاتساع في المكان والتفسح والتوسع واحد وفسح له في المجلس يفسح فسحاً ومكان فسيح وفي صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان فسيح ما بين المنكبين أي بعيد ما بينهما لسعة صلبه والإشفاق الخوف ورقة القلب والنشوز الارتفاع عن الشيء بالذهاب عنه

النزول

قال قتادة كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله ﷺ فإذا رأوا من جاءهم مقبلا ضنوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله ان يفسح بعضهم لبعض وقال المقاتلان كان رسول الله ﷺ في الصفة وفي المكان ضيق وذلك يوم الجمعة وكان ﷺ يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجاء اناس من اهل بدر وفيهم ثابت بن قيس بن شماس وقد سبقوا في المجلس فقاموا حيال النبي ﷺ فقالوا السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته فرد عليهم النبي ﷺ ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على ارجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على النبي ﷺ فقال لمن حوله من المهاجرين والانصار من غير اهل بدر قم يا فلان قم يا فلان بقدر النفر الذين كانوا بين يديه من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه وعرف الكراهية في وجوههم وقال المنافقون للمسلمين ألستم تزعمون ان صاحبكم يعدل بين الناس فوالله ما عدل على هؤلاء إن قوما اخذوا مجالسهم واحبوا القرب من نبيهم فأقامهم واجلس من ابطأ عنهم مقامهم فنزلت الآية (وأما) قوله يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا الآية فإنها نزلت في الاغنياء وذلك انهم كانوا يأتون النبي ﷺ فيكثرون مناجاته فأمر الله سبحانه بالصدقة عند المناجاة فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فنزلت آية الرخصة عن مقاتل بن حيان وقال امير المؤمنين صلوات الرحمن عليه إن في كتاب الله لآية ما عمل بها احد قبلي ولا يعمل بها احد بعدي يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول الآية كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم فكلما اردت أن اناجي رسول الله ﷺ قدمت درهما فنسختها الآية الاخرى أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجويكم صدقات الآية فقال صلوات الله عليه بي خفف الله عن هذه الأمة ولم ينزل في احد قبلي ولم ينزل في احد بعدي وقال ابن عمر وكان لعلي بن ابي طالب (ع) ثلاث لو كانت لي واحدة منهن لكانت احب الي من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى وقال مجاهد وقتادة لما نهوا عن مناجاته صلوات الرحمن عليه حتى يتصدقوا لم يناجه إلا علي ابن ابي طالب عليه افضل الصلوات قدم دينارا فتصدق بها ثم نزلت الرخصة

المعنى

لما قدم سبحانه النهي عن النجوى لما فيه من إيذاء المؤمنين عقبه بالأمر بالتفسح لما في تركه من ايذائهم ايضا فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس) اي اتسعوا فيه وهو مجلس النبي ﷺ عن قتادة ومجاهد وقيل المراد به مجالس الذكر كلها (فافسحوا يفسح الله لكم) اي فتوسعوا يوسع الله لكم مجالسكم في الجنة (وإذا قيل انشزوا) اي ارتفعوا وقوموا ووسعوا على اخوانكم (فانشزوا) أي فافعلوا ذلك وقيل معناه وإذا قيل لكم انهضوا إلى الصلاة والجهاد وعمل الخير فانشزوا ولا تقصروا عن مجاهد وقيل معناه وإذا قيل لكم ارتفعوا في المجلس وتوسعوا للداخل فافعلوا فإن رسول الله ﷺ لا يقرب ولا يرفع إلا بإذن الله وامره وقيل معناه وإذا نودي للصلاة فانهضوا فإن رجالا كانوا يتثاقلون عن الصلاة عن عكرمة والضحاك وقيل وردت في قوم كانوا يطيلون المكث عند رسول الله ﷺ فيكون كل واحد منهم يحب أن يكون آخر خارج فأمرهم الله ان ينشزوا أي يقوموا إذا قيل لهم انشزوا (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات) قال ابن عباس يرفع الله الذين اوتوا العلم من المؤمنين على الذين لم يؤتوا

العلم درجات وقيل معناه لكي يرفع الله الذين آمنوا منكم بطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم درجة والذين أوتوا العلم بفضل علمهم وسابقتهم درجات في الجنة وقيل درجات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأمر الله سبحانه ان يقرب العلماء من نفسه فوق المؤمنين الذين لا يعلمون العلم ليبين فضل العلماء على غيرهم وفي هذه الآية دلالة على فضل العلماء وجلالة قدرهم وقد ورد ايضا في الحديث انه قال صلى الله عليه وآله وسلم فضل العالم على الشهيد درجة وفضل الشهيد على العابد درجة وفضل النبي على العالم درجة وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وفضل العالم على سائر الناس كفضلي على ادناهم رواه جابر بن عبد الله وقال علي (ع) من جاءته منيته وهو يطلب العلم فبينه وبين الأنبياء درجة (والله بما تعملون خبير) اي عليم ثم خاطب سبحانه المؤمنين مرة اخرى وقال (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجويكم صدقة) اي إذا ساررتم الرسول فقدموا قبل ان تساروه صدقة وأراد بذلك تعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأن يكون ذلك سببا لأن يتصدقوا فيؤجروا عنه وتخفيفا عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال المفسرون فلما نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا ضن كثير من الناس فكفوا عن المسألة فلم يناجه احد إلا علي بن ابي طالب على ما مضى ذكره قال مجاهد وما كان إلا ساعة وقال مقاتل بن حيان كان ذلك ليالي عشرا ثم نسخت بما بعدها وكانت الصدقة مفوضة اليهم غير مقدرة (ذلك) أي ذلك التصدق بين يدي مناجاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم (خير لكم) لأن فيه اداء واجب وتحصيل ثواب (واطهر) اي وادعى لكم إلى مجانبة المعاصي وتركها وازكى لكم تتطهرون بذلك بمناجاته كما تقدم الطهارة على الصلاة (فإن لم تجدوا) ما تتصدقون به (فإن الله غفور) يستر عليكم ترك ذلك (رحيم) يرحمكم وينعم عليكم ثم قال سبحانه ناسخا لهذا الحكم (أأشفقتم ان تقدموا بين يدي نجويكم صدقات) يعني أخفتم الفاقة يا أهل الميسرة وبخلتم بالصدقة بين يدي نجواكم وهذا توبيخ لهم على ترك الصدقة اشفاقا من العيلة (فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم) تقصيركم فيه (فأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وأطيعوا الله) فيما امركم به ونهاكم عنه (ورسوله) أي وأطيعوا رسوله ايضا (والله خبير بما تعملون) أي عالم بأعمالكم من طاعة ومعصية وحسن وقبيح فيجازيكم بها ثم قال سبحانه (ألم تر) يا محمد (إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) والمراد به قوم من المنافقين كانوا يوالون اليهود ويفشون اليهم اسرار المؤمنين ويجتمعون معهم على ذكر مساءة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين عن قتادة وابن زيد (ما هم منكم ولا منهم) يعني انهم ليسوا من المؤمنين في الدين والولاية ولا من اليهود (ويحلفون على الكذب) اي ويحلفون انهم لم ينافقوا (وهم يعلمون) انهم منافقون (اعد الله لهم عذابا شديدا) أي في الآخرة (انهم ساء ما كانوا يعملون) اي بئس العمل عملهم وهو النفاق وموالاة اعداء الله

قوله تعالى (١٦) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٧) لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٨) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٩) اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٠) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ

فِي ٱلأَذَلِّينَ (٢١) كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٢) لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ سبع آيات

القراءة

قرأ محمد بن حبيب الشموني عن الاعشى عن ابي بكر وعشيراتهم على الجمع والباقون أو عشيرتهم على التوحيد وفي الشواذ قراءة الحسن اتخذوا ايمانهم بكسر الهمزة ورواية بعضهم عن عاصم كتب بضم الكاف في قلوبهم الايمان بالرفع

الحجة

من قرأ ايمانهم حذف المضاف اي اتخذوا اظهار ايمانهم جنة ومن قرأ كتب في قلوبهم الايمان فهو على حذف المضاف ايضاً اي كتب في قلوبهم علامة الايمان ومن اسند الفعل إلى الفاعل فلتقدم ذكر الاسم على ذلك ويدل عليه قوله وايدهم بروح منه

اللغة

الجنة السترة التي تقي البلية واصله الستر ومنه المجن الترس والاستحواذ الاستيلاء على الشيء بالاقتطاع له واصله من حاذه يحوذه حوذا مثل حازه يحوزه حوزا

المعنى

ثم ذكر سبحانه تمام الخبر عن المنافقين فقال (اتخذوا ايمانهم) التي يحلفون بها (جنة) اي سترة وترسا يدفعون بها عن نفوسهم التهمة والظنة إذا ظهرت منهم الريبة (فصدوا) نفوسهم وغيرهم (عن سبيل الله) الذي هو الحق والهدى (فلهم عذاب مهين) يهينهم ويذلهم ويخزيهم (لن تغني عنهم اموالهم) التي جمعوها (ولا اولادهم) الذين خلفوهم (من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون) ظاهر المعنى (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له) اي يقسمون لله (كما يحلفون لكم) في دار الدنيا بأنهم كانوا مؤمنين في الدنيا في اعتقادهم وظنهم لأنهم كانوا يعتقدون أن ما هم عليه هو الحق (ويحسبون انهم على شيء) اي ويحسبوا المنافقون في الدنيا انهم مهتدون لأن في الآخرة تزول الشكوك وقال الحسن في القيامة مواطن فموطن يعرفون فيه قبح الكذب ضرورة فيتركونه وموطن يكونون فيه كالمدهوش فيتكلمون بكلام الصبيان الكذب وغير الكذب ويحسبون انهم على شيء في ذلك الموضع الذي يحلفون فيه بالكذب (الا انهم هم الكاذبون) في ايمانهم واقوالهم في الدنيا وقيل معناه اولئك هم الخائبون كما يقال كذب ظنه اي خاب امله (استحوذ عليهم الشيطان) اي استولى عليهم وغلب عليهم لشدة اتباعهم اياه (فانسيهم ذكر الله) حتى لا يخافون الله ولا يذكرونه (أولئك حزب الشيطان) اي جنوده (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) يخسرون الجنة ويحصل لهم بدلها النار (ان الذين يحادون الله ورسوله) اي يخالفونه في حدوده ويشاقونه وهم المنافقون

(اوآئك في الأذلين) فلا احد اذل منهم في الدنيا ولا في الآخرة قال عطاء يريد الذل في الدنيا والخزي في الآخرة (كتب الله لأغلبن انا ورسلي) اي كتب الله في اللوح المحفوظ وما كتبه فلا بد من أن يكون أجرى قوله كتب الله مجرى القسم فأجابه بجواب القسم قال الحسن ما أمر الله نبيا قط بحرب إلا غلب أما في الحال او فيما بعد وقال قتادة كتب الله كتاباً فأمضاه لأغلبن انا ورسلي ويجوز أن يكون المعنى قضى الله ووعد لأغلبن أنا ورسلي بالحجج والبراهين وإن جاز أن يغلب بعضهم في الحرب (إن الله قوي عزيز) اي غالب قاهر لمن نازع أولياءه ويروى ان المسلمين قالوا لما رأوا ما يفتح الله عليهم من القرى ليفتحن الله علينا الروم وفارس فقال المنافقون أتظنون أن فارسا والروم كبعض القرى التي غلبتم عليها فانزل الله هذه الآية ثم قال سبحانه (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) اي يوالون من خالف الله ورسوله والمعنى لا تجتمع موالاة الكفار مع الإيمان والمراد به الموالاة في الدين (ولو كانوا آباءهم أوابناءهم أواخوانهم أو عشيرتهم) أي وان قربت قرابتهم منهم فإنهم لا يوالونهم إذا خالفوهم في الدين وقيل إن الآية نزلت في حاطب بن ابي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة ينذرهم بمجيء رسول الله اليهم وكان ﷺ اخفى ذلك فلما عوتب على ذلك قال اهلي بمكة احببت أن يحوطوهم بيد تكون لي عندهم وقيل انها نزلت في عبد الله بن ابي وابنه عبيد الله بن عبد الله وكان هذا الابن عند النبي ﷺ فشرب النبي ﷺ فقال ابق فضلة من شرابك اسقها ابي لعل الله يطهر قلبه فأعطاه فأتى بها أباه فقال ما هذا فقال بقية شراب رسول الله ﷺ جئتك بها لتشربها لعل الله يطهر قلبك فقال هلا جئتني ببول امك فرجع إلى النبي ﷺ فقال إئذن لي في قتله فقال بل ترفق به عن السدي ثم قال سبحانه (أولئك كتب في قلوبهم الإيمان) أي ثبت في قلوبهم الإيمان بما فعل بهم من الالطاف فصار كالمكتوب عن الحسن وقيل كتب في قلوبهم علامة الإيمان ومعنى ذلك انها سمة لمن يشاهدهم من الملائكة على انهم مؤمنون كما أن قوله في الكفار وطبع الله على قلوبهم علامة يعلم من شاهدها من الملائكة أنه مطبوع على قلبه عن ابي علي الفارسي (وأيدهم بروح منه) أي قواهم بنور الإيمان ويدل عليه قوله وكذلك أوحينا اليك روحاً من امرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان عن الزجاج وقيل معناه وقواهم بنور الحجج والبراهين حتى اهتدوا للحق وعملوا به وقيل قواهم بالقرآن الذي هو حياة القلوب من الجهل عن الربيع وقيل ايدهم بجبرائيل في كثير من المواطن ينصرهم ويدفع عنهم (ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم) بإخلاص الطاعة والعبادة منهم (ورضوا عنه) بثواب الجنة وقيل رضوا عنه بقضائه عليهم في الدنيا فلم يكرهوه (اولئك حزب الله) اي جند الله وانصار دينه ودعاة خلقه (ألا إن حزب الله هم المفلحون) ألا كلمة تنبيه ان جنود الله وأولياءه هم المفلحون الناجون الظافرون بالبغية

سورة الحشر مدنية

عدد آيها

وهي أربع وعشرون آية بالإجماع

فضلها

ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة الحشر لم يبق جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا حجاب ولا السموات السبع ولا الارضون السبع والهوام والرياح والطير والشجر والدواب والشمس والقمر والملائكة إلا صلوا عليه واستغفروا له وإن مات من يومه او ليلته مات شهيدا وعن ابي سعيد المكاري عن ابي

عبد الله (ع) قال من قرأ إذا امسى الرحمن والحشر وكل الله بداره ملكا شاهرا سيفه حتى يصبح

تفسيرها

لما ختم الله سورة المجادلة بذكر حزب الشيطان وحزب الله افتتح هذه السورة بقهره حزب الشيطان وما نالهم بالجلاء من الخزي والهوان ونصرة حزبه من اهل الإيمان فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢) هُوَ ٱلَّذِي أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا يَٰٓأُولِي ٱلْأَبْصَٰرِ (٣) وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ (٤) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٥) مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ خمس آيات

القراءة

قرأ ابو عمرو يخربون بالتشديد والباقون يخربون ساكنة الخاء وخفيفة الراء وفي الشواذ قراءة طلحة بن مصرف يشاقق الله بقافين على الاظهار كالتي في الانفال

الحجة

يقال خرب الموضع واخربته وخربته قال الاعشى « واخربت من أرض قوم ديارا» وحكي عن أبي عمرو أن الإخراب أن يترك الموضع خربا والتخريب الهدم

اللغة

الحشر جمع الناس من كل ناحية ومنه الحاشر الذي يجمع الناس إلى ديوان الخراج والجلاء الانتقال عن الديار والأوطان للبلاء يقال جلا القوم عن منازلهم جلاء وأجليتهم اجلاء واللينة النخلة واصله من اللون قلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها وجمعها ليان قال امرؤ القيس

وسالفة كسحوق الليان ... اضرم فيها الغوي السعر

وقال ذو الرمة

طراق الخوافي واقع فوق لينة ... بذي ليلة في ريشه يترقرق

فكأن اللينة نوع من النخل أي ضرب منه وقيل هو من اللين للين ثمرها

الاعراب

مانعتهم حصونهم ارتفع حصونهم بقوله مانعتهم لأن اسم الفاعل جرى خبرا لأن فيرفع ما بعده

النزول

قيل نزلت السورة في اجلاء بني النضير من اليهود فمنهم من خرج إلى خيبر ومنهم من خرج إلى الشام

عن مجاهد وقتادة وذلك أن النبي ﷺ لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على أن لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه فقبل ذلك منهم فلما غزا رسول الله ﷺ بدرا وظهر على المشركين قالوا والله انه النبي الذي وجدنا نعته في التوراة لا ترد له راية فلما غزا غزاة احد وهزم المسلمون ارتابوا ونقضوا العهد فركب كعب بن الاشرف في اربعين راكبا من اليهود إلى مكة فأتوا قريشا وحالفوهم وعاقدوهم على أن تكون كلمتهم واحدة على محمد ثم دخل ابو سفيان في اربعين وكعب في اربعين من اليهود المسجد وأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين الاستار والكعبة ثم رجع كعب بن الاشرف واصحابه الى المدينة ونزل جبرائيل فأخبر النبي ﷺ بما تعاقد عليه كعب وابوسفيان وامره بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلم الانصاري وكان اخاه من الرضاعة قال محمد بن اسحق خرج رسول الله ﷺ الى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فلما أتاهم النبي يستعينهم في الدية قالوا نعم يا ابا القاسم نعينك على ما احببت ثم خلا بعضهم ببعض فقال انكم لن تجدوا الرجل على مثل حالته هذه ورسول الله الى جانب جدار من بيوتهم قاعد فقالوا من رجل يعلو على هذا البيت يلقي عليه صخرة ورسول الله ﷺ في نفر من اصحابه فأتاه الخبر من السماء بما اراد القوم فقام وقال لاصحابه لا تبرحوا فخرج راجعا الى المدينة ولما استبطأوا النبي ﷺ قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلا المدينة فاقبل اصحاب النبي ﷺ حتى انتهوا اليه فاخبرهم الخبر بما ارادت اليهود من الغدر وامر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة بقتل كعب بن الاشرف فخرج ومعه سلكان بن سلامة وثلاثة من بني الحرث وخرج النبي ﷺ على اثرهم وجلس في موضع ينتظر وجوههم فذهب محمد بن مسلمة مع القوم الى قرب قصره واجلس قومه عند جدار وناداه يا كعب فانتبه وقال من انت قال انا محمد بن مسلمة اخوك جئتك استقرض منك دراهم فإن محمداً يسألنا الصدقة وليس معنا الدراهم فقال لا اقرضك الا بالرهن قال معي رهن انزل فخذه وكان له امرأة بنى بها تلك الليلة عروسا فقالت لا ادعك تنزل لأني ارى حمرة الدم في ذلك الصوت فلم يلتفت اليها فخرج فعانقه محمد بن مسلمة وهما يتحادثان حتى تباعدا من القصر الى الصحراء ثم اخذ رأسه ودعا بقومه وصاح كعب فسمعت امرأته فصاحت وسمع بنو النضير صوتها فخرجوا نحوه فوجدوه قتيلا ورجع القوم سالمين الى رسول الله ﷺ فلما اسفر الصبح اخبر رسول الله ﷺ اصحابه بقتل كعب ففرحوا وامر رسول الله ﷺ بحربهم والسير اليهم فسار بالناس حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصن فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها فنادوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفحشاء فما بالك تقطع النخل وتحرقها فانزل الله ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها الآية وهي البويرة في قول حسان

وهان على سراة بني لوي   حريق بالبويرة مستطير

والبويرة تصغير بؤرة وهي إرة النار اي حفرتها وقال ابن عباس كان النبي ﷺ حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فاعطوه ما اراد منهم فصالحهم على ان يحقن لهم دماءهم وان يخرجهم من ارضهم واوطانهم وان يسيرهم الى اذرعات بالشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرا وسقاء فخرجوا الى اذرعات بالشام واريحا الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة وكان ابن

عباس يسمي هذه السورة سورة بني النضير وعن محمد بن مسلمة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعثه الى بني النضير وامره ان يؤجلهم في الجلاء ثلاث ليال وعن محمد بن اسحق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من احد وكان فتح قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان وكان الزهري يذهب الى ان اجلاء بني النضير كان قبل احد على رأس ستة اشهر من وقعة بدر

﴿ المعنى ﴾

(سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم) مضى تفسيره (هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب) يعني يهود بني النضير من ديارهم بأن سلط الله المؤمنين عليهم وامر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم باخراجهم من منازلهم وحصونهم واوطانهم (لأول الحشر) اختلف في معناه فقيل كان جلاؤهم ذلك اول حشر اليهود الى الشام ثم يحشر الناس يوم القيامة الى ارض الشام ايضا وذلك الحشر الثاني عن ابن عباس والزهري والجبائي قال ابن عباس قال لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر وقيل معناه لاول الجلاء عن البلخي لانهم كانوا اول من اجلي من اهل الذمة من جزيرة العرب ثم اجلي اخوانهم من اليهود لئلا يجتمع في بلاد العرب دينان وقيل انما قال لاول الحشر لأن الله فتح على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في اول ما قاتلهم عن يمان بن رباب (ما ظننتم ان يخرجوا) أي لم تظنوا ايها المؤمنون انهم يخرجون من ديارهم لشدتهم وشوكتهم (وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله) أي فظن بنو النضير ان حصونهم لوثاقتها تمنعهم من سلطان الله وانزال العذاب بهم على يد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث حصنوها وهيأوا آلات الحرب فيها (فاتيهم الله) اي لأتاهم امر الله وعذابه (من حيث لم يحتسبوا) اي لم يتوهموا ان يأتيهم لما قدروا في انفسهم من المنعة جعل الله سبحانه امتناعهم من رسوله امتناعا منه (وقذف في قلوبهم الرعب) والقى سبحانه في قلوبهم الرعب بقتل سيدهم كعب بن الاشرف (يخربون بيوتهم بأيديهم وايدي المؤمنين) أي يهدمون بيوتهم بأيديهم من داخل ليهربوا الا انهم خربوا ما استحسنوا منها حتى لا يكون للمسلمين ويخربها المؤمنون من خارج ليصلوا اليهم عن الحسن وقيل ان معنى تخريبها بأيدي المؤمنين انهم عرضوها لذلك عن الزجاج وقيل انهم كانوا يخربون بيوتهم بايديهم بنقض الموادعة وبأيدي المؤمنين بالمقاتلة (فاعتبروا يا أولي الابصار) أي فاتعظوا يا اولي العقول والبصائر وتدبروا وانظروا فيما نزل بهم ومعنى الاعتبار النظر في الأمور ليعرف بها شيء آخر من جنسها والمراد استدلوا بذلك على صدق الرسول اذ كان وعد المؤمنين ان الله سبحانه سيورثهم ديارهم واموالهم بغير قتال فجاء المخبر على ما اخبر فكان آية دالة على نبوته ولا دليل في الآية على صحة القياس في الشريعة لأن الاعتبار ليس من القياس في شيء لما ذكرناه ولأنه لا سبيل لأهل القياس الى العلم بالترجيح ولا يعلم كل من الفريقين علة الاصل للآخر فإن علة الربا عند أحدهما الكيل أو الوزن والجنس وعند الآخر الطعم والجنس وفي الدراهم والدنانير لأنها جنس الاثمان وقال آخرون اشياء آخر وليس هذا باعتبار إذ لا سبيل الى المعرفة به (ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء) اي حكم عليهم انهم يجلون عن ديارهم وينقلون عن ديارهم وينقلون عن أوطانهم (لعذبهم في الدنيا) بعذاب الاستئصال او القتل والسبي كما فعل ببني قريظة لأنه تعالى علم ان كلا الامرين في المصلحة سواء وقد سبق حكمه بالجلاء (ولهم في الآخرة) مع الجلاء عن الاوطان (عذاب النار) لأن احدا منهم لم يؤمن وقيل ان ذلك مشروط بالإصرار وترك التوبة (ذلك)

الذي فعلنا بهم (بأنهم شاقوا الله) اي خالفوا الله ورسوله ثم توعد من حذا حذوهم وسلك سبيلهم في مشاقة الله ورسوله فقال (ومن يشاق الله) أي يخالفه (فان الله شديد العقاب) يعاقبهم على مشاقتهم اشد العقاب (ماقطعتم من لينة) اي نخلة كريمة من انواع النخيل عن مجاهد وابن زيد وقيل كل نخلة سوى العجوة عن ابن عباس وقتادة (اوتركتموها قائمة على اصولها) فلم تقطعوها ولم تقلعوها (فبإذن الله) اي بامره كل ذلك سائغ لكم علم الله سبحانه ذلك واذن فيه ليذل به اعداءه (وليخزي الفاسقين) من اليهود ويهينهم به لأنه اذا رأوا عدوهم يتحكم في اموالهم كان ذلك خزيا لهم

قوله تعالى (٦) وَمَا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧) مَا أَفَاءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ (٨) لِلْفُقَرَاءِ ٱلْمُهَاجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ (٩) وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوا ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ (١٠) وَٱلَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ خمس آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر كيلا تكون بالتاء دولة بالرفع والباقون يكون بالياء دولة بالنصب

الحجة

قال ابن جني منهم من لا يفصل بين الدولة والدولة ومنهم من يفصل بينهما فقال الدولة بالفتح للملك والدولة بالضم في الملك وتكون هنا هي التامة أي كيلا يقع دولة وتحدث دولة وبين الاغنياء إن شئت كانت صفة لدولة وان شئت كانت متعلقة بنفس دولة أي تداولا بين الاغنياء وان شئت علقتها بنفس تكون أي لا يحدث بين الاغنياء منكم وان شئت جعلتها كان الناقصة وجعلت بين خبراً عنها والأول اوجه ومعناه كيلا تقع دولة فيه او عليه يعني على المفاء من عند الله

اللغة

الفيء رد ما كان للمشركين على المسلمين بتمليك الله اياهم ذلك على ما شرط فيه يقال فاء يفيء فيئاً اذ رجع وأفأته انا عليه أي رددته عليه والايجاف الايضاع وهو تسيير الخيل او الركاب من وجف يجف

وجيفا وهو تحرك باضطراب فالايجاف الازعاج للسير والركاب الابل والخصاصة الإملاق والحاجة واصله الاختصاص وهو الانفراد بالامر فكأنه انفراد الانسان عما يحتاج اليه وقيل اصله الفرجة يقال للقمر بدا من خصاص الغيم اي فرجته ومنه الخص البيت من القصب لمافيه من الفرج والشح والبخل واحد وقيل ان الشح بخل مع حرص

النزول

قال ابن عباس نزل قوله ماأفاء الله على رسوله من اهل القرى الآية في اموال كفار اهل القرى وهم قريظة وبني النضير وهما بالمدينة وفدك وهي من المدينة على ثلاثة اميال وخيبر وقرى عرينة وينبع جعلها الله لرسوله يحكم فيها ما اراد وأخبر انها كلها له فقال اناس فهلا قسمها فنزلت الآية وقيل إن الآية الاولى بيان اموال بني النضير خاصة لقوله وما افاء الله على رسوله منهم الآية والثانية بيان الاموال التي اصيبت بغير قتال وقيل انها واحد والاية الثانية بيان قسم المال الذي ذكره الله في الآية الاولى وقال انس بن مالك اهدي لبعض الصحابة رأس مشوي وكان مجهودا فوجه به الى جاره فتداولته تسعة انفس ثم عاد الى الاول فنزل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ يوم بني النضير للانصار ان شئتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم يقسم لكم شيء من الغنيمة فقال الانصار بل تقسم لهم من اموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولانشاركهم فيها فنزلت ويؤثرون على انفسهم الآية وقيل نزلت في سبعة عطشوا في يوم احد فجيء بما يكفي لاحدهم فقال واحد منهم ناول فلانا حتى طيف على سبعتهم وماتوا ولم يشرب احد منهم فأثنى الله سبحانه عليهم وقيل نزلت في رجل جاء الى رسول الله ﷺ فقال اطعمني فاني جائع فبعث الى اهله فلم يكن عندهم شيء فقال من يضيفه هذه الليلة فأضافه رجل من الانصار واتى به منزله ولم يكن عنده إلا قوت صبية له فأتوا بذلك اليه وأطفأوا السراج وقامت المرأة إلى الصبية فعللتهم حتى ناموا وجعلا يمضغان ألسنتهما لضيف رسول الله ﷺ فظن الضيف انهما يأكلان معه حتى شبع الضيف وباتا طاويين فلما اصبحا غدوا إلى رسول الله ﷺ فنظر اليهما وتبسم وتلا عليهما هذه الآية وأما الذي رويناه بإسناد صحيح عن ابي هريرة أن الذي اضافه ونوّم الصبية وأطفأ السراج علي (ع) وفاطمة (ع)

المعنى

ثم بين سبحانه حال اموال بني النضير فقال (وما افاء الله على رسوله منهم) اي من اليهود الذين أجلاهم وإن كان الحكم ساريا في جميع الكفار الذين حكمهم حكمهم (فما أوجفتم عليه من خيل ولاركاب) والايجاف دون التقريب وقيل الايجاف في الخيل والايضاع في الابل وقيل هما مستعملان فيهما جميعا أي فما اوجفتم عليه خيلا ولا ابلا والمعنى لم تسيروا اليها على خيل ولا ابل وإنما كانت ناحية من المدينة مشيتم اليها مشيا وقوله عليه اي على ما افاء الله والركاب الابل التي تحمل القوم واحدتها راحلة (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء) اي يمكنهم من عدوهم من غير قتال بأن يقذف الرعب في قلوبهم جعل الله اموال بني النضير لرسوله خالصة يفعل بها مايشاء فقسمها رسول الله ﷺ بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيئا إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة وهم ابو دجانة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة (والله على كل

شيء قدير) ثم ذكر سبحانه حكم الفيء فقال (ما افاء الله على رسوله من اهل القرى) اي من اموال كفار اهل القرى (فلله) يأمركم فيه بما احب (وللرسول) بتمليك الله اياه (ولذي القربى) يعني اهل بيت رسول الله وقرابته وهم بنو هاشم (واليتامى والمساكين وابن السبيل) منهم لأن التقدير ولذي قرباه ويتامى اهل بيته ومساكينهم وابن السبيل منهم وروى المنهال بن عمرو عن علي بن الحسين(ع)قال قلت قوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل قال هم قرباننا ومساكيننا وابناء سبيلنا وقال جميع الفقهاء هم يتامى الناس عامة و كذلك المساكين وابناء السبيل وقد روي ايضا ذلك عنهم (ع) وروى محمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) انه قال كان ابي يقول لنا سهم رسول الله ﷺ وسهم ذي القربى ونحن شركاء الناس فيما بقي والظاهر يقتضي أن ذلك لهم سواء كانوا اغنياء أو فقراء وهو مذهب الشافعي وقيل إن مال الفيء للفقراء من قرابة رسول الله ﷺ وهم بنو هاشم وبنو المطلب وروي عن الصادق (ع) انه قال نحن قوم فرض الله طاعتنا ولنا الانفال ولنا صفو المال يعني ما كان يصطفي لرسول الله ﷺ من فره الدواب وحسان الجواري والدرة الثمينة والشيء الذي لا نظير له ثم بين سبحانه انه لم فعل ذلك فقال (كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم) والدولة اسم للشيء الذي يتداوله القوم بينهم يكون لهذا مرة ولهذا مرة أي لئلا يكون الفيء متداولا بين الرؤساء منكم يعمل فيه كما كان يعمل في الجاهلية وهذا خطاب للمؤمنين دون الرسول وأهل بيته (ع) قال الكلبي نزلت في رؤساء المسلمين قالوا له يا رسول الله خذ صفيك والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية وانشده

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

فنزلت الآية فقالت الصحابة سمعا وطاعة لأمر الله وأمر رسوله ثم قال سبحانه (وما آتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا) أي ما اعطاكم الرسول من الفيء فخذوه وارضوا به وما امركم به فافعلوه وما نهاكم عنه فانتهوا عنه فإنه لا يأمر ولا ينهى إلا عن امر الله وهذا عام في كل ما امر به النبي ﷺ ونهى عنه وان نزل في آية الفيء وروى زيد الشحام عن ابي عبد الله (ع) قال ما اعطى الله نبيا من الانبياء شيئا إلا وقد اعطى محمدا ﷺ قال لسليمان فامنن أو امسك بغير حساب وقال لرسول الله ﷺ ما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا (فاتقوا الله) في ترك المعاصي وفعل الواجبات (إن الله شديد العقاب) لمن عصاه وترك أوامره وفي هذه الآية اشارة إلى تدبير الامة إلى النبي ﷺ وإلى الأئمة القائمين مقامه ولهذا قسم رسول الله ﷺ اموال خيبر ومن عليهم في رقابهم واجلى بني النضير وبني قينقاع واعطاهم شيئا من المال وقتل رجال بني قريظة وسبى ذراريهم ونساءهم وقسم اموالهم على المهاجرين ومن على اهل مكة ثم قال سبحانه (للفقراء والمهاجرين) الذين هاجروا من مكة إلى المدينة ومن دار الحرب إلى دار الإسلام (الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم) التي كانت لهم (يبتغون) اي يطلبون (فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله) اي وينصرون دين الله (ورسوله أولئك هم الصادقون) في الحقيقة عند الله العظيم والمنزلة عنده قال الزجاج بين سبحانه من المساكين الذين لهم الحق فقال للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم ثم ثنى سبحانه بوصف الانصار ومدحهم حتى طابت انفسهم عن الفيء فقال (والذين تبوءوا الدار) يعني المدينة وهي دار الهجرة تبوأها الانصار قبل المهاجرين وتقدير

الآية والذين تبوأوا الدار من قبلهم (والإيمان) لأن الانصار لم يؤمنوا قبل المهاجرين وعطف الايمان على الدار في الظاهر لا في المعنى لأن الايمان ليس بمكان يتبوأ والتقدير وآثروا الايمان وقيل (من قبلهم) اي من قبل قدوم المهاجرين عليهم وقيل معناه قبل ايمان المهاجرين والمراد به اصحاب ليلة العقبة وهم سبعون رجلا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على حرب الابيض والأحمر يحبون من هاجر اليهم لأنهم احسنوا إلى المهاجرين واسكنوهم دورهم واشركوهم في اموالهم (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا) أي لا يجدون في قلوبهم حسدا وحزازة وغيظا مما اعطي المهاجرون دونهم من مال بني النضير (ويؤثرون على انفسهم) أي ويؤثرون المهاجرين ويقدمونهم على انفسهم بأموالهم ومنازلهم (ولو كان بهم خصاصة) اي فقر وحاجة بين سبحانه ان ايثارهم لم يكن عن غنى عن المال ولكن كان عن حاجة فيكون ذلك اعظم لأجرهم وثوابهم عند الله ويروى أن انس بن مالك كان يحلف بالله تعالى ما في الانصار بخيل ويقرأ هذه الآية (ومن يوق شح نفسه) أي ومن يدفع عنه ويمنع عنه بخل نفسه (فاولئك هم المفلحون) اي المنجحون الفائزون بثواب الله ونعيم جنته وقيل من لم يأخذ شيئا نهاه الله عنه ولم يمنع شيئا امره الله باداته فقد وقي شح نفسه عن ابن زيد وقيل شح النفس هو اخذ الحرام ومنع الزكاة عن سعيد بن جبير وفي الحديث لا يجتمع الشح والايمان في قلب رجل مسلم ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف رجل مسلم وقيل في موضع قوله والذين تبوءوا الدار قولان * احدهما * انه رفع على الابتداء وخبره يحبون من هاجر اليهم إلى آخره لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقسم لهم شيئا من الفيء إلا لرجلين أو لثلاثة على اختلاف الرواية فيه * والآخر * انه في موضع جر عطفا على الفقراء والمهاجرين وعلى هذا فيكون قوله يحبون من هاجر اليهم وما بعده في موضع نصب على الحال ثم ثلث سبحانه بوصف التابعين فقال (والذين جاءوا من بعدهم) يعني من بعد المهاجرين والانصار وهم جميع التابعين لهم إلى يوم القيامة عن الحسن وقيل هم كل من اسلم بعد انقطاع الهجرة وبعد إيمان الانصار عن الاصم وابي مسلم والظاهر أن المراد والذين خلفوهم ويجوز أن يكون المراد من بعدهم في الفضل وقد يعبر بالقبل والبعد عن الفضل كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم نحن الآخرون السابقون أي الآخرون في الزمان السابقون في الفضل (يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان) اي يدعون ويستغفرون لانفسهم ولمن سبقهم بالايمان (ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا) أي حقدا أو غشا وعداوة سألوا الله سبحانه ان يزيل ذلك بلطفه وهاهنا احتراز لطيف وهو انهم احسنوا الدعاء للمؤمنين ولم يرسلوا القول ارسالا والمعنى اعصمنا ربنا من إرادة السوء بالمؤمنين ولا شك أن من ابغض مؤمنا وأراد به السوء لأجل ايمانه فهو كافر وإذا كان لغير ذلك فهو فاسق (ربنا إنك رؤوف رحيم) اي متعطف على العباد منعم عليهم

قوله تعالى (١١) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٢) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١٣) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٤) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ

وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٥) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (خمس آيات)

القراءة

قرأ ابن كثير وابو عمرو من وراء جدار على التوحيد والباقون من وراء جدر على الجمع وفي الشواذ قراءة ابي رجاء وابي حية جدر بسكون الدال

الحجة

قال ابو علي المعنى في الجمع انهم لا يصحرون معكم للقتال ولا يبرزون لكم ولا يقاتلونكم حتى يكون بينكم وبينهم حاجز من حصن او سور فإذا كان كذلك فالمعنى على الجمع إذ ليس المعنى انهم يقاتلونهم من وراء جدار واحد ولكن من وراء جدر كما لا يقاتلونكم إلا في قرى محصنة فكما ان القرى جماعة كذلك الجدر ينبغي أن تكون جمعا فكأن المراد في الافراد الجمع لانه يعلم انهم لا يقاتلونهم من وراء جدار واحد قال ابن جني ويجوز أن يكون جدار تكسير جدار فتكون الف جدار في الواحد كألف كتاب وفي الجمع كألف ضرام وكرام ومثله ناقة هجان ونوق هجان ودرع دلاص وادرع دلاص قال ومثله قوله سبحانه واجعلنا للمتقين إماما يكون إماما جمع إمام على ما شرحناه

الاعراب

لأنتم اشد رهبة في صدورهم من الله أي من رهبتهم من الله فحذف كمثل الذين من قبلهم أي مثلهم كمثل الذين من قبلهم فحذف المبتدأ وكذلك قوله كمثل الشيطان

المعنى

لما وصف سبحانه المهاجرين الذين هاجروا الديار والاوطان ثم مدح الانصار الذين تبوءوا الدار والايمان ثم ذكر التابعين بإحسان وما يستحقونه من النعيم في الجنان عقب ذلك بذكر المنافقين وما اسروه من الكفر والعصيان فقال الم تر يا محمد (الى الذين نافقوا) فابطنوا الكفر واظهروا الايمان (يقولون لاخوانهم) في الكفر (الذين كفروا من اهل الكتاب) يعني يهود بني النضير (لئن أخرجتم) من دياركم وبلادكم لنخرجن معكم) مساعدين لكم (ولا نطيع فيكم) اي في قتالكم ومخاصمتكم (احدا أبدا) يعنون محمدا ﷺ واصحابه ووعدوهم النصر بقولهم (وان قوتلتم لننصرنكم) اي لندفعن عنكم ثم كذبهم الله في ذلك بقوله (والله يشهد انهم لكاذبون) فيما يقولونه من الخروج معهم والدفاع عنهم ثم اخبر سبحانه انهم يخلفونهم ما وعدوهم من النصر والخروج بقوله (لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم) اي ولئن قدر وجود نصرهم لان ما نفاه الله تعالى لا يجوز وجوده (ليولن الادبار) اي ينهزمون ويسلمونهم وقيل معناه ولئن نصرهم من يفي منهم لولوا الادبار فعلى هذا لا تنافي بين قوله لا ينصرونهم وقوله ولئن نصروهم فقد اخبر الله تعالى في هذه الاية عما لا يكون منهم ان لو كان كيف كان يكون (ثم لا ينصرون) اي ولو كان لهم هذه القوة وفعلوا لم ينتفع اولئك بنصرتهم نزلت الآية قبل اخراج بني النضير واخرجوا بعد ذلك وقوتلوا فلم يخرج معهم منافق ولم ينصروهم كما اخبر الله تعالى بذلك وقيل اراد بقوله لاخوانهم بني النضير وبني قريظة فاخرج بنو النضير ولم يخرجوا معهم وقوتل بنو قريظة فلم ينصروهم ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (لأنتم

اشد رهبة) اي خوفا (في صدورهم) اي في قلوب هؤلاء المنافقين (من الله) المعنى ان خوفهم منكم اشد من خوفهم من الله لأنهم يشاهدونكم ويعرفونكم ولا يعرفون الله وهو قوله (ذلك بانهم قوم لا يفقهون) الحق ولا يعلمون عظمة الله وشدة عقابه (لا يقاتلونكم) معاشر المؤمنين (جميعا الا في قرى محصنة) أي ممتنعة حصينة المعنى انهم لا يبرزون لحربكم وانما يقاتلونكم متحصنين بالقرى (اومن وراء جدر) أي يرمونكم من وراء الجدران بالنبل والحجر (بأسهم بينهم شديد) أي عداوة بعضهم لبعض شديدة يعني انهم ليسوا بمتفقي القلوب وقيل معناه قوتهم فيما بينهم شديدة فإذا لاقوكم جبنوا ويفزعون منكم بما قذف الله في قلوبهم من الرعب (تحسبهم جميعا) أي مجتمعين في الظاهر (وقلوبهم شتى) اي مختلفة متفرقة خذلهم الله باختلاف كلمتهم وقيل إنه عنى بذلك قلوب المنافقين واهل الكتاب عن مجاهد (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) ما فيه الرشد مما فيه الغي وإنما كان قلوب من يعمل بخلاف العقل شتى لاختلاف دواعيهم واهوائهم وداعي الحق واحد وهو العقل الذي يدعو إلى طاعة الله والإحسان في الفعل (كمثل الذين من قبلهم قريبا) اي مثلهم في اغترارهم بعددهم وبقوتهم وبقول المنافقين كمثل الذين من قبلهم يعني المشركين الذين قتلوا ببدر وذلك قبل غزاة بني النضير لستة اشهر عن الزهري وغيره وقيل إن الذين من قبلهم قريبا هم بني قينقاع عن ابن عباس وذلك انهم نقضوا العهد مرجع رسول الله ﷺ من بدر فأمرهم رسول الله (ﷺ) أن يخرجوا وقال عبدالله بن أبي لا تخرجوا فإني آتي النبي ﷺ فاكلمه فيكم او ادخل معكم الحصن فكان هؤلاء ايضا في ارسال عبد الله بن أبي اليهم ثم ترك نصرتهم كأولئك (ذاقوا وبال أمرهم) أي عقوبة كفرهم (ولهم عذاب اليم) في الآخرة

قوله تعالى (١٦) كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ (١٧) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلظَّالِمِينَ (١٨) يَآ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٩) وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ نَسُوا ٱللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ (٢٠) لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَابُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ خمس آيات

اللغة

اصل غد غدو الا أنه لم يأت في القرآن الا محذوف الواو وجاء في الشعر بحذف الواو واثباتها

وما الناس الا كالديار واهلها   بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

وقال آخر

لا تقلواها وادلواها دلوا   ان مع اليوم اخاها غدوا

المعنى

ثم ضرب سبحانه لليهود والمنافقين مثلا فقال (كمثل الشيطان) اي مثل المنافقين في غرورهم لبني النضير

وخذلانهم اياهم كمثل الشيطان (اذ قال للانسان اكفر) وهو عابد بني اسرائيل عن ابن عباس قال انه كان في بني اسرائيل عابد اسمه برصيصا عبد الله زمانا من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوذهم فيبرؤن على يده وانه أتي بامرأة في شرف قد جنت وكان لها اخوة فأتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها ودفنها فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقي احد اخوتها فاخبره بالذي فعل الراهب وانه دفنها في مكان كذا ثم اتى بقية اخوتها رجلا رجلا فذكر ذلك له فجعل الرجل يلقى اخاه فيقول والله لقد اتاني آت فذكر لي شيئا يكبر علي ذكره فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فسار الملك والناس فاستنزلوه فأقر لهم بالذي فعل فأمر به فصلب فلما رفع على خشبته تمثل له الشيطان فقال أنا الذي القيتك في هذا فهل انت مطيعي فيما اقول لك اخلصك مما انت فيه قال نعم قال اسجد لي سجدة واحدة فقال كيف اسجد لك وانا على هذه الحالة فقال اكتفي منك بالإيماء فأومى له بالسجود فكفر بالله وقتل الرجل فهو قوله كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر (فلما كفر قال إني بريء منك) ضرب الله هذه القصة لبني النضير حين اغتروا بالمنافقين ثم تبرأوا منهم عند الشدة واسلموهم وقيل أراد كمثل الشيطان يوم بدر إذ دعا إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما رأى الملائكة رجع القهقرى وقال اني اخاف الله وقيل أراد بالشيطان والانسان اسم الجنس لا المعهود فإن الشيطان ابدا يدعو الإنسان إلى الكفر ثم يتبرأ منه وقت الحاجة عن مجاهد وإنما يقول الشيطان (إني أخاف الله رب العالمين) يوم القيامة ثم ذكر سبحانه أنهما صارا إلى النار بقوله (فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها) يعني عاقبة الفريقين الداعي والمدعو من الشيطان ومن اغواه من المنافقين واليهود انهما معذبان في النار (وذلك جزاء الظالمين) أي وذلك جزاؤهم ثم رجع إلى موعظة المؤمنين فقال سبحانه (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) يعني ليوم القيامة والمعنى لينظر كل امرئ ما الذي قدمه لنفسه أعملا صالحا ينجيه أم سيئا يوبقه ويرديه فانه وارد عليه قال قتادة إن ربكم قرب الساعة حتى جعلها كغد وأمركم بالتدبر والتفكر فيما قدمتم (واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) إنما كرر الامر بالتقوى لأن الأولى للتوبة عما مضى من الذنوب والثانية لاتقاء المعاصي في المستقبل وقيل إن الثانية تأكيد للأولى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) أي تركوا أداء حق الله (فأنسيهم أنفسهم) بأن حرمهم حظوظهم من الخير والثواب وقيل نسوا الله بترك ذكره بالشكر والتعظيم فأنساهم أنفسهم بالعذاب الذي نسي به بعضهم بعضا كما قال فسلموا على انفسكم أي ليسلم بعضكم على بعض عن الجبائي ويريد به بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع عن ابن عباس (اولئك هم الفاسقون) الذين خرجوا من طاعة الله إلى معصيته (لا يستوي اصحاب النار وأصحاب الجنة) أي لا يتساويان لأن هؤلاء يستحقون النار وأولئك يستحقون الجنة (اصحاب الجنة هم الفائزون) بثواب الله الظافرون بطلبتهم

قوله تعالى (٢١) لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٤) هُوَ اللَّهُ

ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَاءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ   اربع آيات

فضلها

عن انس بن مالك عن النبي (ص) قال من قرأ آخر سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وعن معقل بن يسار أن رسول الله (ص) قال من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتى يمسي فإن مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قاله حين يمسي كان بتلك المنزلة وعن ابي هريرة قال سألت حبيبي رسول الله (ص) عن اسم الله الأعظم فقال عليك بآخر سورة الحشر واكثر قراءتها فأعدت عليه فأعاد علي وعن ابي امامة عن النبي (ص) قال من قرأ خواتيم الحشر من ليل أو نهار فقبض في ذلك اليوم أو الليلة فقد أوجبت له الجنة وعن انس عن النبي (ص) قال من قرأ لو أنزلنا هذا القرآن إلى آخرها فمات من ليلته مات شهيدا

اللغة

التصدع التفرق بعد التلاؤم ومثله التفطر يقال صدعه يصدعه صدعا ومنه الصداع في الرأس والقدوس المعظم بتطهير صفاته من أن تدخلها صفة نقص قال ابن جني ذكر سيبويه في الصفة السبوح والقدوس بالضم والفتح وإنما باب الفعول الاسم كشبوط وسمور وتنور وسفود والمهيمن اصله مئيمن على مفيعل من الأمانة فقلبت الهمزة هاء فخم اللفظ بها لتفخيم المعنى

المعنى

ثم عظم سبحانه حال القرآن فقال (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) تقديره لو كان الجبل مما ينزل عليه القرآن ويشعر به مع غلظه وجفاء طبعه وكبر جسمه لخشع لمنزله وتصدع من خشية الله تعظيما لشأنه فالإنسان احق بهذا لو عقل الأحكام التي فيه وقيل معناه لو كان الكلام ببلاغته يصدع الجبل لكان هذا القرآن يصدعه وقيل إن المراد به ما يقتضيه الظاهر بدلالة قوله وإن منها لما يهبط من خشية الله وهذا وصف للكافر بالقسوة حيث لم يلن قلبه لمواعظ القرآن الذي لو نزل على جبل لتخشع ويدل على أن هذا تمثيل قوله (وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) أي ليتفكروا ويعتبروا ثم اخبر سبحانه بربوبيته وعظمته فقال (هو الله الذي لا إله إلا هو) أي هو المستحق للعبادة الذي لا تحق العبادة إلا له (عالم الغيب والشهادة)أي عالم بما يشاهده العباد وعالم بما يغيب عنهم علمه وقيل عالم الغيب معناه عالم بما لا يقع عليه الحس من المعدوم والموجود الذي لا يدرك مما هو غائب عن الحواس كأفعال القلوب وغيرها والشهادة أي عالم بما يصح عليه الادراك بالحواس وقيل معناه عالم السر والعلانية عن الحسن وفي هذا وصفه سبحانه بأنه عالم بجميع المعلومات لانها لا تعدو هذين القسمين وعن ابي جعفر (ع) قال الغيب ما لم يكن والشهادة ما كان (هو الرحمن) اي المنعم على جميع خلقه (الرحيم) بالمؤمنين ثم أعاد سبحانه قوله (هو الله الذي لا إله إلا هو الملك) يعني السيد المالك لجميع الأشياء الذي له التصرف فيها على وجه ليس لأحد منعه منه وقيل هو الواسع القدرة (القدوس) أي الطاهر من كل عيب ونقص وآفة المنزه عن القبائح وقيل هو

المطهر عن الشريك والولد لا يوصف بصفات الأجسام ولا بالتجزئة والانقسام وقيل هو المبارك الذي تنزل البركات من عنده عن الحسن (السلام) أي الذي سلم عباده من ظلمه وقيل هو المسلم من كل عيب ونقص وآفة وقيل هو الذي من عنده ترجى السلامة عن الجبائي وهو اسم من السلامة وأصله مصدر فهو مثل الجلال والجلالة (المؤمن) الذي أمن خلقه من ظلمه لهم إذ قال لا يظلم مثقال ذرة عن ابن عباس وقيل الذي آمن بنفسه قبل إيمان خلقه به عن الحسن وأشار إلى قوله شهد الله انه لا إله الا هو الآية والمعنى انه بين لخلقه توحيده وإلهيته بما أقام لهم من الدلائل وقيل معناه المصدق لما وعد المحقق له كالمؤمن الذي يصدق قوله فعله وقيل هو الذي أمن اولياؤه عذابه وقيل هو الداعي إلى الإيمان الآمر به الموجب لاهله اسمه عن ابي مسلم (المهيمن) اي الامين حتى لا يضيع لأحد عنده حق عن ابن عباس والضحاك والجبائي وقيل هو الشاهد عن مجاهد وقتادة كأنه شهيد على إيمان من آمن به وقيل هو المؤمن في المعنى لأن اصله المؤيمن إلا انه اشد مبالغة في الصفة وقيل هو الرقيب على الشيء يقال هيمن يهيمن فهو مهيمن إذا كان رقيبا على الشيء (العزيز) اي القادر الذي لا يصح عليه القهر وقيل هو المنيع الذي لا يرام ولا يمتنع عليه مرام (الجبار) وهو العظيم الشأن في الملك والسلطان ولا يستحق ان يوصف به على هذا الاطلاق إلا الله تعالى فإن وصف به العباد فإنما يوضع اللفظ في غير موضعه ويكون ذما وقيل هو الذي يذل له من دونه ولا تناله يد وقيل هو الذي يقهر الناس ويجبرهم على ما أراد عن السدي ومقاتل وهو اختيار الزجاج فيكون من جبره على كذا إذا اكرهه وقيل هو الذي يجبر الفقير من قولهم جبر الكسير إذا اصلحه عن واصل بن عطا (المتكبر) اي المستحق لصفات التعظيم وقيل هو الذي يكبر عن كل سوء عن قتادة وقيل هو المتعالي عن صفات المحدثين المتعظم عما لا يليق به (سبحان الله عما يشركون) اي تنزيها له عما يشرك به المشركون من الأصنام وغيرها (هو الله الخالق) للاجسام والأعراض المخصوصة وقيل المقدر للاشياء بحكمته المحدث للأشياء على إرادته (البارئ) المنشئ للخلق الفاعل للأجسام والأعراض (المصور) الذي صور الاجسام على اختلافها مثل الحيوان والجماد (له الاسماء الحسنى) نحو الله الرحمن الرحيم القادر العالم الحي وقد مر بيانه في سورة الأعراف (يسبح له ما في السموات والأرض) أي ينزهه جميع الأشياء فالحي يصفه بالتنزيه والجماد يدل على تنزيهه (وهو العزيز الحكيم) وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ اسم الله الاعظم في ست آيات في آخر سورة الحشر

سورة الممتحنة

وقيل سورة الامتحان وقيل سورة المودة مدنية وهي ثلاث عشرة آية بالاجماع

❋ فضلها ❋

ابي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ ومن قرأ سورة الممتحنة كان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء يوم القيامة. ابوحمزة الثمالي عن علي بن الحسين (ع) قال من قرأ سورة الممتحنة في فرائضه ونوافله امتحن الله قلبه للإيمان ونور له بصره ولا يصيبه فقر ابدا ولا جنون في ولده ولا في بدنه

﴿ تفسيرها ﴾

وجه اتصالها بما قبلها انه لما ذكر سبحانه في سورة الحشر الكفار والمنافقين افتتح هذه السورة بذكر تحريم موالاتهم وايجاب معاداتهم فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (٢) إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ (٣) لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٥) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو يفصل بينكم بضم الياء وفتح الصاد على التخفيف وقرأ أهل الكوفة غير عاصم يفصل بضم الياء وكسر الصاد مشددا وقرأ عاصم ويعقوب وسهل يفصل بفتح الياء وكسر الصاد مخففا وقرأ ابن عامر يفصل بضم الياء وفتح الصاد مشددا وفي الشواذ قراءة عيسى بن عمرو انا براء منكم على مثال فعال

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي ذهب ابو الحسن في هذا النحو ان الظرف اقيم مقام الفاعل وترك على الفتح الذي كان يجري عليه في الكلام لجريه في اكثر الكلام منصوبا وكذلك تقول في قوله وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك وكذلك يجيء قياس قوله لقد تقطع بينكم فاللفظ على قوله مفتوح والموضع رفع كما كان اللفظ في قوله وكفى بالله وما جاءني من رجل مجرورا والموضع رفع والقول في قراءة ابن عامر يفصل مثل القول في يفصل وقول عاصم يفصل حسن والضمير يرجع إلى اسم الله تعالى ودل عليه قوله وانا أعلم بما اخفيتم وما اعلنتم وكذلك قول من قرأ يفصل وبريء في تكسيره اربعة أوجه براء كالشريف والشرفاء وهو قراءة الجماعة وبراء نحو ظريف وظراف وابرياء كصديق واصدقاء وبراء كقوام ورباب وعليه بيت الحارث بن حلزة « فانا من قتلهم لبراء » قال الفراء أراد برآء فحذف الهمزة التي هي لام تخفيفا وأخذ هذا الموضع من ابي الحسن في قوله ان اشياء اصله اشياء وهذا المذهب يوجب ترك صرف برآء لأنها همزة التأنيث

﷽ الاعراب ﷽

ذهب الزجاج الى ان التقدير ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلاتتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وقيل ان الكلام قد تم عند قوله اولياء ثم قال تلقون اليهم على تقدير أتلقون فحذف الهمزة كقوله وتلك نعمة تمنها علي وتقديره أوتلك نعمة وقيل ان قوله تلقون اليهم بالمودة في موضع النصب على الحال من الضمير في لاتتخذوا والباء مزيدة والتقدير تلقون اليهم المودة كما قال الشاعر

فلما رجت بالشرب هزلها العصا شحيح له عند الأزاء نهيم

أي رجت الشرب ويجوز ان يكون مفعول تلقون محذوفا والباء تتعلق به اي تلقون اليهم ما تريدون بالمودة التي بينكم وبينهم وقد كفروا جملة في موضع نصب على الحال من العدو أو من الهاء والميم في قوله تلقون اليهم واياكم منصوب بالعطف على الرسول ان كنتم خرجتم جواب الشرط محذوف ولدلالة ما تقدمه من الكلام عليه أي كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء وجهادا مفعول له اي للجهاد ويجوز ان يكون مصدرا وضع موضع الحال وابتغاء مرضاتي معطوف عليه على الوجهين والتقدير للحال خرجتم مجاهدين في سبيلي مبتغين مرضاتي · وحده يجوز ان يكون مصدرا محذوف الزوائد والتقدير توحدونه توحيدا اوتوحدونه ايحادا فيكون مصدرا وضع موضع الحال ويجوز ان يكون مصدر فعل ثلاثي تقديره يحد وحده والتقدير حتى تؤمنوا بالله واحدا · إلا قول ابراهيم منصوب على الاستثناء والمستثنى منه الضمير المستكن فيما يتعلق به اللام في قوله قد كانت لكم اسوة حسنة والتقدير ثبتت لكم في ابراهيم الا في قوله لاستغفرن لك

﷽ النزول ﷽

نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وذلك ان سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هشام اتت رسول الله ﷺ من مكة الى المدينة بعد بدر بسنتين فقال لها رسول الله ﷺ امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الأصل والعشيرة والموالي وقد ذهب موالي واحتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني قال فأين انت من شبان مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني بعد وقعة بدر فحث رسول الله ﷺ عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها واعطوها نفقة وكان رسول الله ﷺ يتجهز لفتح مكة فأتاها حاطب بن ابي بلتعة وكتب معها كتابا الى اهل مكة واعطاها عشرة دنانير عن ابن عباس وعشرة دراهم عن مقاتل بن حيان وكساها بردا على ان توصل الكتاب الى اهل مكة وكتب في الكتاب من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبرائيل فأخبر النبي ﷺ بما فعل فبعث رسول الله ﷺ عليا وعمارا وعمر والزبير وطلحة والمقداد بن الاسود وابا مرثد وكانوا كلهم فرسانا وقال لهم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى المشركين فخذوه منها فخرجوا حتى ادركوها في ذلك المكان الذي ذكره رسول الله ﷺ فقالوا لها اين الكتاب فحلفت بالله مامعها من كتاب فنحوها وفتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي (ع) والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل سيفه وقال لها اخرجي الكتاب والا والله لاضربن عنقك فلما رأت الجد اخرجته من ذؤابتها قد اخبأته في شعرها فرجعوا بالكتاب الى رسول الله ﷺ فارسل الى حاطب فأتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم قال فما حملك على ما صنعت قال

يارسول الله والله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الاوله بمكة من يمنع عشيرته وكنت عريرا فيهم اي غريبا وكان اهلي بين ظهرانيهم فخشيت على اهلي فأردت ان اتخذ عندهم يدا وقد علمت ان الله ينزل بهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب وقال دعني يارسول الله اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومايدريك ياعمر لعل الله اطلع على أهل بدر فغفرلهم فقال لهم اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن ابي رافع قال سمعت عليا (ع) يقول بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اناوالمقدادوالزبير وقال انطلقواحتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظغينة معها كتاب فخرجنا وذكر نحوه

المعنى

(يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء) خاطب سبحانه المؤمنين ونهاهم ان يتخذوا الكافرين أولياء يوالونهم ويستنصرونهم وينصرونهم (تلقون اليهم بالمودة) اي تلقون اليهم المودة وتبذلون لهم النصيحة يقال القيت اليك بسري وقيل معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمودة التي بينكم وبينهم عن الزجاج (وقد كفروا بما جائكم من الحق) وهو القرآن والإسلام (يخرجون الرسول واياكم) من مكة (ان تؤمنوا بالله ربكم) اي لأن تؤمنوا وكراهة ان تؤمنوا فكأنه قال يفعلون ذلك لايمانكم بالله ربكم الذي خلقكم (ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي) والمعنى ان كان غرضكم في خروجكم وهجرتكم الجهاد وطلب رضاي فأوفوا خروجكم حقه من معاداتهم ولا تلقوا اليهم بالمودة ولا تتخذوهم اولياء (تسرون اليهم بالمودة) اي تعلمونهم في السر ان بينكم وبينهم مودة وقيل الباء للتعليل اي تعلمونهم باحوال الرسول في السر بالمودة التي بينكم وبينهم فعل من يظن انه يخفى علي مايفعله (وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم) لا يخفى علي شيء من ذلك فاطلع رسولي عليه (ومن يفعله منكم) اي ومن اسر اليهم بالمودة والقى اليهم اخبار رسولي منكم ياجماعة المؤمنين بعد هذا البيان (فقدضل سواء السبيل) اي عدل عن طريق الحق وجار عن سبيل الرشد وفي هذه الآية دلالة على ان الكبيرة لاتخرج عن الايمان لأن احد المسلمين لا يقول ان حاطبا قدخرج من الإيمان بما فعله من الكبيرة الموبقة (ان يثقفوكم) يعني ان هؤلاء الكفار ان يصادفوكم مقهورين ويظفروا بكم (يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء) اي يمدوا اليكم ايديهم بالضرب والقتل ويبسطوا اليكم السنتهم بالشتم والمعنى انهم يعادونكم ولا ينفعكم ماتلقون اليهم ولا يتركون غاية في الحاق السوء بكم باليد واللسان (وودوا) مع ذلك (لو تكفرون) بالله كما كفروا وترجعون عن دينكم (ان تنفعكم ارحامكم) اي ذوو ارحامكم والمعنى قراباتكم (ولااولادكم) اي لا يحملنكم قراباتكم ولااولادكم التي بمكة على خيانة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين فلن ينفعكم اولئك الذين عصيتم الله لاجلهم (يوم القيمة يفصل الله (بينكم) فيدخل اهل الايمان والطاعة الجنة واهل الكفر والمعصية النار ويميز بعضكم من بعض ذلك اليوم فلا يرى القريب المؤمن في الجنة قريبه الكافر في النار وقيل معناه يقضي بينكم من فصل القضاء (والله بما تعملون بصير) اي عليم باعمالكم علم الله سبحانه بما عمله حاطب من مكاتبة اهل مكة حتى اخبر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ثم ضرب سبحانه لهم ابراهيم مثلا في ترك موالاة الكفار فقال (قدكانت لكم اسوة حسنة) اي اقتداء حسن (في ابراهيم) خليل الله (والذين معه) ممن آمن به واتبعه وقيل الذين معه الانبياء عن ابن زيد

(اذ قالوا لقومهم) الكفار (انا برءآؤ منكم) فلا نواليكم (ومما تعبدون من دون الله) اي وبراء من الاصنام التي تعبدونها ويجوز ان يكون ما مصدرية فيكون المعنى ومن عبادتكم الاصنام (كفرنا بكم) اي يقولون لهم جحدنا دينكم وانكرنا معبودكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا) فلا يكون بيننا موالاة في الدين (حتى تؤمنوا بالله وحده) اي تصدقوا بوحدانية الله واخلاص التوحيد والعبادة له قال الفراء يقول الله تعالى افلا تأتسي ياحاطب بابراهيم وقومه فتبرأ من اهلك كما تبرؤا منهم اي من قومهم الكفار (الا قول ابرهيم لأبيه لاستغفرن لك) اي اقتدوا بابراهيم في كل اموره الا في هذا القول فلا تقتدوا به فيه فإنه عليه السلام انما استغفر لأبيه عن موعدة وعدها اياه بالايمان فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه قال الحسن وانما تبين له ذلك عند موت ابيه ولو لم يستثن ذلك لظن انه يجوز الاستغفار للكفار مطلقاً من غير موعدة بالايمان منهم فنهوا ان يقتدوا به في هذا خاصة عن مجاهد وقتادة وابن زيد وقيل كان آزر ينافق ابراهيم ويريه انه مسلم ويعده اظهار الإسلام فيستغفر له عن الحسن والجبائي ثم قال (وما املك لك من الله من شيء) اذا اراد عقابك ولا يمكنني دفع ذلك عنك (ربنا عليك توكلنا) اي وكانوا يقولون ذلك (واليك انبنا) اي الى طاعتك رجعنا (واليك المصير) اي الى حكمك المرجع وهذه حكاية لقول ابراهيم وقومه ويحتمل ان يكون تعليما لعباده ان يقولوا ذلك فيفوضوا امورهم اليه ويرجعون اليه بالتوبة (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) معناه لا تعذبنا بايديهم ولا ببلاء من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق لما اصابهم هذا البلاء عن مجاهد وقيل معناه ولا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا وقيل معناه الطف لنا حتى نصبر على اذاهم ولا نتبعهم فنصير فتنة لهم وقيل معناه اعصمنا من موالاة الكفار فانا اذا واليناهم ظنوا انا صوبناهم وقيل معناه لا تخذلنا إذا حاربناهم فلو خذلتنا لقالوا لو كان هؤلاء على الحق لما خذلوا (واغفر لنا ربنا) ذنوبنا (انك انت العزيز) الذي لا يغالب (والحكيم) الذي لا يفعل الا الحكمة والصواب وفي هذا تعليم للمسلمين ان يدعوا بهذا الدعاء

قوله تعالى (٦) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٧) عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨) لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ اربع آيات

النزول

نزل قوله لا ينهاكم الله الآية في خزاعة وبني مدلج وكانوا صالحوا رسول الله على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احداً عن ابن عباس

المعنى

ثم اعاد سبحانه في ذكر الأسوة فقال (لقد كان لكم فيهم) اي في ابراهيم ومن آمن معهم (أسوة حسنة) اي قدوة حسنة وإنما اعاد ذكر الأسوة لأن الثاني منعقد بغير ما انعقد به الأول فإن الثاني فيه بيان أن الأسوة فيهم كان لرجاء ثواب الله وحسن المنقلب والأول فيه بيان أن الأسوة في المعاداة للكفار وقوله (لمن كان يرجوا

الله واليوم الآخر) بدل من قوله لكم وهوبدل البعض من الكل مثل قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وفيه بيان ان هذه الأسوة لمن يخاف الله ويخاف عقاب الآخرة وهو قوله واليوم الآخر وقيل يرجو ثواب الله وما يعطيه من ذلك في اليوم الآخر (ومن يتول) اي ومن يعرض عن هذا الاقتداء بابراهيم والانبياء والمؤمنين والذين معه فقد أخطأ حظ نفسه وذهب عما يعود نفعه عليه فحذفه لدلالة الكلام عليه وهوقوله (فإن الله هو الغني الحميد) أي الغني عن ذلك المحمود في جميع افعاله فلا يضره توليه ولكنه ضر نفسه (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) اي من كفار مكة (مودة) بالاسلام قال مقاتل لما أمر الله سبحانه المؤمنين بعداوة الكفار عادوا اقرباءهم فنزلت هذه الآية والمعنى أن موالاة الكفار لا تنفع والله سبحانه قادر على أن يوفقهم للايمان وتحصل المودة بينكم وبينهم فكونوا على رجاء وطمع من الله أن يفعل ذلك وقد فعل ذلك حين اسلموا عام الفتح فحصلت المودة بينهم وبين المسلمين (والله قدير) على نقل القلوب من العداوة الى المودة وعلى كل شيء يصح أن يكون مقدورا له (والله غفور) لذنوب عباده (رحيم) بهم إذا تابوا واسلموا (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) اي ليس ينهاكم الله عن مخالطة أهل العهد الذين عاهدوكم على ترك القتال وبرهم ومعاملتهم بالعدل وهو قوله (إن تبروهم وتقسطوا اليهم) اي وتعدلوا فيما بينكم وبينهم من الوفاء بالعهد عن الزجاج وقيل ان المسلمين استأمروا النبي صلى الله عليه وسلم في أن يبروا اقرباءهم من المشركين وذلك قبل أن يؤمروا بقتال جميع المشركين فنزلت هذه الآية وهي منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل انه عنى بالذين لم يقاتلوكم من آمن من اهل مكة ولم يهاجر عن قتادة وقيل هي عامة في كل من كان بهذه الصفة عن ابن الزبير والذي عليه الاجماع أن بر الرجل من يشاء من اهل الحرب قرابة كان او غير قرابة ليس بمحرم وإنما الخلاف في اعطائهم مال الزكاة والفطرة والكفارات فلم يجوزه اصحابنا وفيه خلاف من الفقهاء وقوله أن تبروهم في موضع جر بدل من الذين وهو بدل الاشتمال وتقديره لا ينهاكم الله عن أن تبروا الذين لم يقاتلوكم (إن الله يحب المقسطين) اي العادلين وقيل يحب الذين يجعلون لقراباتهم قسطا مما في بيوتهم من المطعومات ثم قال (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين) من اهل مكة وغيرهم (واخرجوكم من دياركم) اي منازلكم واملاككم (وظاهروا على اخراجكم) اي عاونوا على ذلك وعاضدوهم وهم العوام والاتباع عاونوا رؤسائهم على الباطل (ان تولوهم) اي ينهاكم الله عن ان تولوهم وتوادوهم وتحبوهم والمعنى أن مكاتبتكم بينهم باظهار سر المؤمنين موالاة لهم (ومن يتولهم) منكم اي يوالهم وينصرهم (فأولئك هم الظالمون) يستحقون بذلك العذاب الأليم

قوله تعالى (١٠) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَٱسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١١) وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَٱتَّقُوا ٱللهَ ٱلَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ آيتان

القراءة

قرأ أهل البصرة ولا تمسكوا بالتشديد والباقون ولا تمسكوا بالتخفيف وفي الشواذ قراءة الأعرج فعقبتم بالتشديد وقراءة النخعي والزهري ويحيى بن يعمر بخلاف فعقبتم خفيفة القاف من غير الف وقراءة مسروق فعقبتم بكسر القاف من غير ألف والقراءة المشهورة فعاقبتم وقرأ مجاهد فاعقبتم

الحجة

حجة من قرأ لا تمسكوا قوله فإمساك بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا وامسك عليك زوجك وحجة من قال ولا تمسّكوا قوله والذين يمسكون بالكتاب يقال امسكت بالشيء ومسكت به وتمسكت به قال ابن جني روينا عن قطرب قال فعاقبتم اصبتم عقبى منهن يقال عاقب الرجل شيئا إذا اخذ شيئا وانشد لطرفة « فعقبتم بذنوب غير مر » جمع مره فسروه على اعطيتم وعدتم وقال في قوله ولم يعقب لم يرجع وحكي عن الأعمش انه قال عقبتم غنمتم وقد يجوز أن يكون عقبتم بوزن غنمتم وبمعناه جميعا وروي أيضا بيت طرفة فعقبتم بكسر القاف وحكى ابو عوانة عن المغيرة قال قرأت على ابراهيم فعاقبتم فأخذها على فعقبتم خفيفة ومعنى أعقبتم صنعتم بهم مثل ما صنعوا بكم

النزول

قال ابن عباس صالح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحديبية مشركي مكة على أن من أتاه من أهل مكة رده عليهم ومن أتى اهل مكة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فهو لهم ولم يردوه عليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحديبية فأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقال مقاتل هو صيفي بن الراهب في طلبها وكان كافرا فقال يا محمد اردد علي امرأتي فانك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فنزلت الآية يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات من دار الكفر الى دار الإسلام فامتحنوهن قال ابن عباس امتحانهن أن يستحلفن ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة عن ارض الى ارض ولا التماس دنيا وما خرجت إلا حبا لله ولرسوله فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وآله ما خرجت بغضا لزوجها ولا عشقا لرجل منا وما خرجت إلا رغبة في الإسلام فحلفت بالله الذي لا إله إلا هو على ذلك فأعطى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زوجها مهرها وما انفق عليها ولم يردها عليه فتزوجها عمر بن الخطاب فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرد من جاءه من الرجال ويحبس من جاءه من النساء إذا امتحن ويعطي ازواجهن مهورهن قال الزهري ولما نزلت هذه الآية وفيها قوله ولا تمسكوا بعصم الكوافر طلق عمر بن الخطاب امرأتين كانتا له بمكة مشركتين قرنية بنت ابي امية بن المغيرة فتزوجها بعده معاوية بن ابي سفيان وهما على شركهما بمكة والأخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية ام عبد الله بن عمر فتزوجها ابو جهم بن حذافة بن غانم رجل من قومه وهما على شركهما وكانت عند طلحة بن عبيد الله اروى بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب ففرق بينهما الإسلام حين نهى القرآن عن التمسك بعصم الكوافر وكان طلحة قد هاجر وهي بمكة عند قومها كافرة ثم تزوجها في الإسلام بعد طلحة خالد بن سعيد بن العاص بن امية وكانت ممن فرت الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نساء الكفار فحبسها وزوجها خالدا وأميمة بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحداحة ففرت منه وهو يومئذ كافر الى رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم فزوجها رسول الله سهل بن حنيف فولدت عبد الله بن سهل قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امرأة ابي العاص بن الربيع فاسلمت ولحقت بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة وأقام ابو العاص مشركا بمكة ثم اتى المدينة فأمنته زينب ثم أسلم فردها عليه رسول الله وقال الجبائي لم يدخل في شرط صلح الحديبية إلا ردالرجال دون النساء ولم يجر للنساء ذكر وان ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط جاءت مسلمة مهاجرة من مكة فجاء اخواها الى المدينة فسألا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ردها عليهما فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إن الشرط بيننا في الرجال لا في النساء فلم يردها عليهما قال الجبائي وإنما لم يجر هذا الشرط في النساء لأن المرأة إذا اسلمت لم تحل لزوجها الكافر فكيف ترد عليه وقد وقعت الفرقة بينهما

﴿ المعنى ﴾

لما قطع سبحانه الموالاة بين المسلمين والكافرين بيّن حكم النساء المهاجرات وازواجهن فقال (يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) بالإيمان اي استوصفوهن الإيمان وسماهن مؤمنات قبل أن يؤمن لأنهن اعتقدن الإيمان (الله أعلم بإيمانهن) اي كنتم تعلمون بالامتحان ظاهر إيمانهن والله يعلم حقيقة إيمانهن في الباطن ثم اختلفوا في الامتحان على وجوه ﴿ احدها ﴾ أن الامتحان ان يشهدن أن لا إله إلا الله وان محمدا رسول الله عن ابن عباس ﴿ وثانيها ﴾ ماروي عن ابن عباس ايضا في رواية أخرى أن امتحانهن ان يحلفن ماخرجن الا للدين والرغبة في الإسلام ولحب الله ورسوله ولم يخرجن لبغض زوج ولا لالتماس دينا وروي ذلك عن قتادة (وثالثها) ان امتحانهن بما في الآية التي بعدوهو أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين الآية عن عائشة ثم قال سبحانه (فإن علمتموهن مؤمنات) يعني في الظاهر (فلا ترجعوهن الى الكفار) اي لا تردوهن اليهم (لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن) وهذا يدل على وقوع الفرقة بينهما بخروجها مسلمة وان لم يطلق المشرك (وآتوهم ما انفقوا) اي وآتوا ازواجهن الكفار ما انفقوا عليهن من المهر عن ابن عباس ومجاهد وقتادة قال الزهري لولا الهدنة لم يرد الى المشركين الصداق كما كان يفعل قبل (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن اجورهن) اي ولا جناح عليكم معاشر المسلمين أن تنكحوا المهاجرات إذا اعطيتموهن مهورهن التي يستحل بها فروجهن لأنهن بالإسلام قد بنّ من ازواجهن (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) اي لا تمسكوا بنكاح الكافرات وأصل العصمة المنع وسمي النكاح عصمة لأن المنكوحة تكون في حبال الزوج وعصمته وفي هذا دلالة على انه لا يجوز العقد على الكافرة سواء كانت حربية أو ذمية وعلى كل حال لأنه عام في الكوافر وليس لأحد أن يخص الآية بعابدة الوثن لنزولها بسببهن لأن المعتبر بعموم اللفظ لا بالسبب (واسئلوا ما انفقتم) اي إن لحقت امرأة منكم بأهل العهد من الكفار مرتدة فاسألوهم ما أنفقتم من المهر إذا منعوها ولم يدفعوها اليكم كما يسألونكم مهور نسائهم إذا هاجرن اليكم وهو قوله (وليسألوا ماانفقوا ذلكم) يعني ماذكر الله في هذه الآية (حكم الله يحكم بينكم والله عليم) بجميع الأشياء (حكيم) فيما يفعل ويأمر به قال الحسن كان في صدر الإسلام تكون المسلمة تحت الكافر والكافرة تحت المسلم فنسخته هذه الآية قال الزهري ولما نزلت هذه الآية آمن المؤمنون بحكم الله وادّوا ماامروا به من نفقات المشركين على نسائهم وابى المشركون ان يقروا بحكم الله فيما أمرهم به من اداء نفقات المسلمين فنزل (وإن فاتكم شيء من ازواجكم) أي احد من ازواجكم (الى الكفار) فلحقن بهم مرتدات (فعاقبتم) معناه فغزوتم وأصبتم من الكفار عقبى

وهي الغنيمة فظفرتم وكانت العاقبة لكم وقيل معناه فخلفتم من بعدهم وصار الأمر اليكم عن مؤرج وقيل ان عقب وعاقب مثل صغّر وصاغر بمعنى عن الفراء وقيل عاقبتم بصير ازواج الكفار اليكم إما من جهة سبي او مجيئهن مؤمنات عن علي بن عيسى (فأتوا الذين ذهبت ازواجهم) اي نساؤهم من المؤمنين(مثل ما انفقوا) من المهور عليهن من رأس الغنيمة و كذلك من ذهبت زوجته الى من بينكم وبينه عهد فنكث في اعطاء المهر فالذي ذهبت زوجته يعطى المهر من الغنيمة ولا ينقص شيئا من حقه بل يعطى كملا عن ابن عباس والجبائي وقيل معناه إن فاتكم أحد من ازواجكم الى الكفار الذين بينكم وبينهم عهد فغنمتم فأعطوا زوجها صداقها الذي كان ساق اليها من الغنيمة ثم نسخ هذا الحكم في براءة فنبذ الى كل ذي عهد عهده عن قتادة وقال علي بن عيسى معناه فأعطوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من المهور كما عليهم أن يردوا عليكم مثل ما انفقتم لمن ذهب من ازواجكم (واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون)اي اجتنبوا معاصي الله الذي انتم تصدقون به ولا تجاوزوا امره وقال الزهري فكان جميع من لحق المشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعات عن الإسلام ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة أخت ام سلمة كانت تحت عمر بن الخطاب فلما اراد عمر أن يهاجر أبت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن فضلة وزوجها عمرو ابن عبد ود وهند بنت ابي جهل بن هشام كانت تحت هشام بن العاص بن وائل وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر فاعطاهم رسول الله ﷺ مهور نسائهم من الغنيمة

قوله تعالى (١٢) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ آيتان

الاعراب

من اصحاب القبور اي من بعث اصحاب القبور فحذف المضاف ويجوز أن يكون من تبيينا للكفار والتقدير كما يئس الكفار الذين هم من اصحاب القبور من الآخرة

المعنى

ثم ذكر سبحانه بيعة النساء وكان ذلك يوم فتح مكة لما فرغ النبي ﷺ من بيعة الرجال وهو على الصفا جاءته النساء يبايعنه فنزلت هذه الآية فشرط الله تعالى في مبايعتهن أن يأخذ عليهن هذه الشروط وهو قوله (يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك) على هذه الشرائط وهي (أن لا يشركن بالله شيئا) من الأصنام والأوثان (ولا يسرقن) لا من ازواجهن ولا من غيرهم (ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن) على وجه من الوجوه لا بالوأد ولا بالإسقاط (ولا يأتين ببهتان يفترينه) اي بكذب يكذبنه في مولود يوجد (بين ايديهن وارجلهن) اي لا يلحقن بازواجهن غير اولادهم عن ابن عباس وقال الفراء كانت المرأة

تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فذلك البهتان المفترى بين ايديهن وارجلهن وذلك ان الولد اذا وضعته الأم سقط بين يديها ورجليها وليس المعنى على نهيهن من أن يأتين بولد من الزنا فينسبنه إلى الازواج لأن الشرط بنهي الزنا قد تقدم وقيل البهتان الذين نهين عنه قذف المحصنات والكذب على الناس وإضافة الأولاد الى الازواج على البطلان في الحاضر والمستقبل من الزمان (ولا يعصينك في معروف) وهو جميع ما يأمرهن به لأنه لا يأمر الا بالمعروف والمعروف نقيض المنكر وهو كل مادل العقل والسمع على وجوبه وندبه وسمي معروفا لأن العقل يعترف به من جهة عظم حسنه ووجوبه وقيل عنى بالمعروف النهي عن النوح وتمزيق الثياب وجز الشعر وشق الجيب وخمش الوجه والدعاء بالويل عن المقاتلين والكلبي والأصل ان المعروف كل بر وتقوى وأمر وافق طاعة الله تعالى (فبايعهن) على ذلك (واستغفر لهن الله) اي اطلب من الله أن يغفر لهن ذنوبهن ويسترها عليهن (إن الله غفور) أي صفوح عنهن (رحيم) منعم عليهن وروي أن النبي ﷺ بايعهن وكان على الصفا وكان عمر أسفل منه وهند بنت عتبة متنقبة متنكرة مع النساء خوفا أن يعرفها رسول الله ﷺ فقال ابايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا فقالت هند انك لتأخذ علينا امراً ما رأيناك اخذته على الرجال وذلك أنه بايع الرجال يومئذ على الإسلام والجهاد فقط فقال ﷺ ولا تسرقن فقالت هند إن ابا سفيان رجل ممسك واني اصبت من ماله هنات فلا ادري أيحل لي أم لا فقال ابو سفيان ما اصبت من مالي فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله ﷺ وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يانبي الله عفا الله عنك فقال ﷺ ولا تزنين فقالت هند او تزني الحرة فتبسم عمر بن الخطاب لما جرى بينه وبينها في الجاهلية فقال ﷺ ولا تقتلن اولادكن فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا وانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قتله علي بن ابي طالب (ع) يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم النبي ﷺ ولما قال ولا تأتين ببهتان فقالت هند والله ان البهتان قبيح وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق ولما قال ولا يعصينك في معروف فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا أن نعصيك في شيء وروى الزهري عن عروة عن عائشة قالت كان النبي ﷺ يبايع النساء بالكلام بهذه الآية أن لا يشركن بالله شيئا وما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط إلا امرأة يملكها رواه البخاري في الصحيح وروي انه ﷺ كان اذا بايع النساء دعا بقدح ماء فغمس فيه يده ثم غمس ايديهن فيه وقيل انه كان يبايعهن من وراء الثوب عن الشعبي والوجه في بيعة النساء مع انهن لسن من اهل النصرة بالمحاربة هو أخذ العهد عليهن بما يصلح من شأنهن في الدين والأنفس والازواج وكان ذلك في صدر الإسلام ولئلا ينفتق بهن فتق لما وضع من الأحكام فبايعهن النبي ﷺ حسما لذلك ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) اي لا تتولوا اليهود وذلك أن جماعة من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود اخبار المسلمين يتواصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهى الله عن ذلك عن المقاتلين وقيل اراد جميع الكفار اي لا تتخذوا كافرا من الكفار اولياء ثم وصف الكفار فقال (قد يئسوا من الآخرة) اي من ثواب الآخرة (كما يئس الكفار من اصحاب القبور) يعني أن اليهود بتكذيبهم محمدا ﷺ وهم يعرفون صدقه وانه رسول قد يئسوا من أن يكون لهم في الآخرة حظ وخير كما يئس الكفار الذين ماتوا وصاروا في القبور من أن يكون لهم في الآخرة حظ لأنهم قد ايقنوا بعذاب الله عن مجاهد وسعيد بن جبير

وقيل كما يئس كفار العرب من أن يحيا أهل القبور ابدا عن الحسن وقيل كما يئس الكفار من أن ينالهم خير من اصحاب القبور وقيل يريد بالكفار هاهنا الذين يدفنون الموتى اي يئس هؤلاء الذين غضب الله عليهم من الآخرة كما يئس الذين دفنوا الموتى منهم

النظم

ختم الله سبحانه السورة بالأمر بقطع الموالاة من الكفار كما افتتحها به

سورة الصف

وتسمى سورة الحواريين وسورة عيسى (ع) مدنية وهي اربع عشرة آية بلا خلاف

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ سورة عيسى (ع) كان عيسى مصليا مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه، ابوبصير عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ سورة الصف وأدمن قراءتها في فرائضه ونوافله صفه الله مع ملائكته وانبيائه المرسلين

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه السورة بقطع موالاة الكفار افتتح هذه السورة بإيجاب ذلك ظاهرا وباطنا ثم بالأمر بالجهاد فقال

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) سَبَّحَ لِلّٰهِ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٢) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٣) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ ٱللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (٤) إِنَّ ٱللهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ (٥) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ ٱللهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَاسِقِينَ خمس آيات

اللغة

المقت البغض والرص احكام البناء يقال رصصت البناء اي احكمته واصله من الرصاص أي جعلته كأنه بني بالرصاص لتلاؤمه وشدة اتصاله

الاعراب

لم حذفت الألف من ما لشدة الاتصال مع ضعف حرف الاعتلال آخر الكلام لأنه حرف تغيير في موضع تغيير مقتا نصب على التمييز وأن تقولوا في موضع رفع بأنه فاعل كبر والتقدير كبر هذا القول مقتا

عند الله وقيل ان الفاعل مضمر فيه والتقدير كبر المقت مقتا عند الله نحو نعم رجلا زيد والمخصوص بالذم أن تقولوا. صفا مصدر في موضع الحال اي مصطفين

❊ النزول ❊

نزل قوله لم تقولون ما لا تفعلون في المنافقين عن الحسن وقيل نزل في قوم كانوا يقولون إذا لقينا العدو لم نفر ولم نرجع عنهم ثم لم يفوا بما قالوا وانفلوا يوم احد حتى شج وجه رسول الله ﷺ و كسرت رباعيته عن مقاتل والكلبي وقيل نزلت في قوم قالوا جاهدنا وابلينا وفعلنا ولم يفعلوا وهم كذبة عن قتادة وقيل لما اخبر الله سبحانه رسوله بثواب شهداء بدر قالت الصحابة لئن لقينا بعد قتالا لنفرغن فيه وسعنا ثم فروا يوم احد فعيرهم الله تعالى بذلك عن محمد بن كعب وقيل كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون وددنا لو أن الله دلنا على أحب الاعمال اليه فنعمل به فأخبرهم الله أن افضل الأعمال إيمان لا شك فيه والجهاد فكره ذلك ناس وشق عليهم وتباطأوا عنه فنزلت الآية عن ابن عباس وقيل كان رجل يوم بدر قد آذى المسلمين فقتله صهيب في القتال فقال رجل يا رسول الله قتلت فلانا ففرح بذلك رسول الله ﷺ فقال عمرو عبد الرحمن اصهيب اخبر النبي ﷺ انك قتلته وان فلانا ينتحله فقال صهيب انما قتلته لله ولرسوله فقال عمرو عبد الرحمن يا رسول الله إنما قتله صهيب فقال كذلك يا ابا يحيى قال نعم يا رسول الله فنزلت الآية والآية الاخرى عن سعيد بن المسيب

❊ المعنى ❊

(سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم) مر تفسيره وإنما اعيد هاهنا لأنه استفتاح السورة بتعظيم الله من جهة ما سبح له بالآية التي فيه كما يستفتح ببسم الله الرحمن الرحيم واذا دخل المعنى في تعظيم الله حسن الاستفتاح به (يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) قيل إن الخطاب للمنافقين وهو تقريع لهم بأنهم يظهرون الايمان ولا يبطنونه وقيل ان الخطاب للمؤمنين وتعيير لهم ان يقولوا شيئا ولا يفعلونه قال الجبائي هذا على ضربين ❊ احدهما ❊ ان يقول سأفعل ومن عزمه ان لا يفعله فهذا قبيح مذموم ❊ والآخر ❊ ان يقول سأفعل ومن عزمه ان يفعله والمعلوم انه لا يفعله فهذا قبيح لأنه لا يدري أيفعله أم لا وينبغي في مثل هذا ان يقرن بلفظة ان شاء الله (كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون) أي كبر هذا القول وعظم مقتا عند الله وهو ان تقولوا ما لا تفعلونه وقيل معناه كبر ان تقولوا ما لا تفعلونه وتعدوا من انفسكم ما لا تفون به مقتا عند الله (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) اي يصفون انفسهم عند القتال صفا وقيل يقاتلون في سبيله مصطفين (كأنهم بنيان مرصوص) كأنه بني بالرصاص لتلاؤمه وشدة اتصاله وقيل كأنه حائط ممدود رص على البناء في احكامه واتصاله واستقامته اعلم الله سبحانه انه يحب من ثبت في القتال ويلزم مكانه كثبوت البناء المرصوص ومعنى محبة الله اياهم انه يريد ثوابهم ومنافعهم ثم ذكر سبحانه حديث موسى في صدق نيته وثبات عزيمته على الصبر في اذى قومه تسلية للنبي ﷺ في تكذيبهم اياه فقال (وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون اني رسول الله اليكم) هذا انكار عليهم ايذاءه بعد ما علموا انه رسول الله والرسول يعظم ويبجل ولا يؤذى وكان قومه آذوه بأنواع من الأذى وهو قولهم اجعل لنا إلها واذهب انت وربك فقاتلا وما روي في قصة قارون انه

دس اليه امرأة وزعم انه زنى بها ورموه بقتل هرون وقيل ان ذلك حين رموه بالادرة وقد ذكرنا ذلك عند قوله ولا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية (فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم) اي فلما مالوا عن الحق والاستقامة خلاهم وسوء اختيارهم ومنعهم الالطاف التي يهدي بها قلوب المؤمنين كقوله ومن يؤمن بالله يهد قلبه عن ابي مسلم وقيل ازاغ الله قلوبهم عما يحبون إلى ما يكرهون ولا يجوز ان يكون المراد ازاغ الله قلوبهم عن الايمان لأن الله تعالى لا يجوز ان يزيغ احدا عن الايمان وايضا فإنه يخرج الكلام عن الفائدة لأنهم إذا زاغوا عن الايمان فقد حصلوا كفارا فلا معنى لقوله ازاغهم الله عن الايمان (والله لا يهدي القوم الفاسقين) اي لا يهديهم الله إلى الثواب والكرامة والجنة التي وعدها المؤمنين وقيل لا يفعل بهم الالطاف التي يفعلها بالمؤمنين بل يخليهم واختيارهم عن ابي مسلم

قوله تعالى (٦) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِٱلْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧) وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى ٱلْإِسْلَامِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ (٨) يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ (٩) هُوَ ٱلَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ اربع آيات

القراءة

فتح اهل البصرة والحجاز وابو بكر الياء من قوله من بعدي اسمه أحمد ولم يفتحه الباقون وقرأ ابن كثير واهل الكوفة غير أبي بكر متم نوره مضافا والباقون متم نوره بالنصب والتنوين

الحجة

الإضافة ينوي بها الانفصال كما في قوله انا مرسلو الناقة وذائقة الموت والنصب في متم نوره على انه في حال الفعل وفيما يأتي

الاعراب

قوله اسمه احمد في موضع جر لكونه وصفا للرسول كما أن قوله يأتي في موضع جر ايضا وتقديره اسمه قول احمد فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وكذلك قوله يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة اي يجدون ذكره مكتوبا ألا ترى ان الشخص لا يكتب كما ان احمد عبارة عن الشخص والاسم قول والقول لا يكون الشخص وخبر المبتدأ يكون المبتدأ في المعنى ومفعول قوله يريدون محذوف وتقديره يريدون ذم الاسلام او يريدون هذا القول ليطفئوا نور الله اي لإطفاء نور الله والله متم نوره في موضع نصب على الحال

المعنى

ثم عطف سبحانه بقصة عيسى (ع) على قصة موسى فقال (وإذ قال عيسى بن مريم) أي واذكر إذ قال عيسى بن مريم لقومه الذين بعث اليهم (يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية) المنزلة على موسى (ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه احمد يعني نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ، كما قال الشاعر

صلى الإله ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك احمد

ولهذا الاسم معنيان * احدهما * ان يجعل احمد مبالغة من الفاعل أي هو اكثر حمدا لله من غيره * والآخر * أن يجعل مبالغة من المفعول اي يحمد بما فيه من الأخلاق والمحاسن اكثر مما يحمد غيره وصحت الرواية عن الزهري عن محمد بن جبير بن المطعم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لي اسماء أنا أحمد وانا محمد وانا الماحي الذي يمحو الله في الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي أورده البخاري في الصحيح وقد تضمنت الآية ان عيسى بشر قومه بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وبنبوته وأخبرهم برسالته وفي هذه البشرى معجزة لعيسى «ع» عند ظهور محمد صلى الله عليه وآله وسلم وامر لأمته أن يؤمنوا به عند مجيئه (فلما جاءهم) احمد (بالبينات) اي بالدلالات الظاهرة والمعجزات الباهرة (قالوا هذا سحر مبين) اي ظاهر (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب) أي من أشد ظلما ممن اختلق الكذب على الله وقال لمعجزاته سحر والرسول انه ساحر كذاب (وهو يدعى إلى الإسلام) الذي فيه نجاته وقيل يدعى إلى الاستسلام لأمره والانقياد لطاعته (والله لا يهدي القوم الظالمين) الذين ظلموا انفسهم بفعل الكفر والمعاصي قال ابن جريج هم الكفار والمنافقون ويدل عليه قوله بعد (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) اي يريدون اذهاب نور الإيمان والإسلام بفاسد الكلام الجاري مجرى تراكم الظلام فمثلهم فيه كمثل من حاول اطفاء نور الشمس بفيه (والله متم نوره) أي مظهر كلمته ومؤيد نبيه ومعلن دينه وشريعته ومبلغ ذلك غايته (ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله) محمداً صلى الله عليه وآله وسلم (بالهدى) من التوحيد واخلاص العبادة له (ودين الحق) وهو دين الإسلام وما تعبد به الخلق (ليظهره على الدين كله) بالحجة والتأييد والنصرة (ولو كره المشركون) وفي هذه دلالة على صحة نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنه سبحانه قد اظهر دينه على جميع الأديان بالاستعلاء والقهر واعلاء الشأن كما وعده ذلك في حال الضعف وقلة الاعوان واراد بالدين جنس الأديان فلذلك ادخل الألف واللام وروى العياشي بالاسناد عن عمران بن ميثم عن عباية انه سمع امير المؤمنين (ع) يقول هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله أظهر بعد ذلك قالوا نعم قال كلا فوالذي نفسي بيده حتى لا تبقى قرية إلا وينادى فيها بشهادة ان لا إله إلا الله بكرة وعشيا

قوله تعالى (١٠) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١١) تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٢) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١٣) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١٤) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى ٱللَّهِ قَالَ

الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين خمس آيات

القراءة

قرأ ابن عامر تنجيكم بالتشديد والباقون تنجيكم بالتخفيف وقرأ اهل الحجاز وابو عمرو انصارا بالتنوين لله بغير الف والباقون أنصار الله بالاضافة إلى الله

الحجة

قال ابو علي حجة من قرأ تنجيكم بالتشديد قوله ونجينا الذين آمنوا وحجة التخفيف فأنجاه الله من النار

اللغة

التجارة طلب الربح في شراء المتاع واستعير هنا لطلب الربح في اعمال الطاعة والجهاد مقاتلة العدو

الاعراب

انما جاز تؤمنون بالله مع انه محمول على تجارة وخبر عنها ولا يصح ان يقال للتجارة تؤمنون وإنما يقال وان تؤمنوا بالله لأنه جاء على طريق ما يدل على خبر التجارة لا على نفس الخبر إذ الفعل يدل على مصدره وإنما انعقاده بالتجارة في المعنى لا في اللفظ وفي ذلك توطئة لما يبنى على المعنى في الايجاز والعرب تقول هل لك في خير تقوم إلى فلان فتعوده وان تقوم اليه وقوله يغفر لكم ذنوبكم في كونه مجزوماً وجهان * احدهما * انه جواب هل أدلكم وهو قول الفراء وأنكره أصحابنا البصريون وقالوا ان الدلالة على التجارة لا توجب المغفرة * والآخر * انه محمول على المعنى لأن قوله تؤمنون بالله معناه آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا في سبيله وهو أمر جاء على لفظ الخبر ويدل على ذلك قراءة عبد الله بن مسعود آمنوا بالله وجاهدوا ولا يمتنع ان يأتي الأمر بلفظ الخبر كما أتى الخبر بلفظ الامر في قوله فليمدد له الرحمن مداً المعنى فمد له الرحمن مداً لأن القديم تعالى لا يأمر نفسه ومثل ذلك اسمع بهم وابصر لفظه أمر ومعناه خبر ويجوز أن يكون قوله تؤمنون مرفوعاً بسقوط ان والموصول والصلة في موضع جر على البدل من تجارة وتقديره هل أدلكم على تجارة إيمان بالله وقوله وأخرى في موضع جر بأنها صفة لموصوف محذوف مجرور بالعطف على تجارة تقديره وعلى تجارة أخرى محبوبة وقال الزجاج تقديره ولكم تجارة أخرى فعلى هذا يكون أخرى صفة موصوف محذوف مرفوع بالابتداء وتحبونها صفة بعد صفة ونصر خبر مبتدأ محذوف تقديره هي نصر من الله . من أنصاري إلى الله إلى هاهنا بمعنى مع أي مع الله

المعنى

لما تقدم ذكر الرسول عقبه سبحانه بذكر الدعاء إلى قبول قوله ونصرته والعمل بشريعته فقال (يا أيها الذين آمنوا) وهو خطاب للمؤمنين على العموم وقيل هو خطاب لمن تقدم ذكرهم في أول السورة (هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم) صورته صورة العرض والمراد به الأمر على سبيل التلطف في الاستدعاء إلى الإخلاص في الطاعة والمعنى هل ترغبون في تجارة منجية من العذاب الأليم وهو الايمان بالله ورسوله والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس وذلك قوله (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم) وانما انزل هذا لما قالوا لو نعلم أي الأعمال أفضل واحب إلى الله لعملناه فجعل الله سبحانه ذلك العمل بمنزلة التجارة لأنهم يربحون فيها رضى الله والفوز بالثواب والنجاة من العقاب (ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون) اي ما وصفته وذكرته لكم انفع لكم وخير عاقبة لو علمتم ذلك واعترفتم بصحته وقيل ان معناه ان التجارة التي دللتكم عليها خير لكم من التجارة التي أنتم مشتغلون بها لأنها تؤدي إلى ربح لا يزول ولا يبيد وهذه تؤدي إلى ربح يزول

ويبيد ان كنتم تعلمون مضار الأشياء ومنافعها يغفر لكم ذنوبكم اي فإنكم ان عملتم بذلك (يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة) اي مواضع تسكنونها مستلذة مستطابة (في جنات عدن) أي اقامة لا تبغون عنها حولا (ذلك الفوز العظيم) لا ما يعده الناس فوزا من طول البقاء وولاية الدنيا وسأل الحسن عمران بن الحصين وابا هريرة عن تفسير قوله ومساكن طيبة في جنات عدن فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال قصر من لؤلؤ في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة قال ويعطي الله المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله ثم قال سبحانه (واخرى تحبونها) اي وتجارة أخرى او خصلة أخرى تحبونها عاجلا مع ثواب الأجل وهذا من الله تعالى زيادة ترغيب اذ علم سبحانه أن فيهم من يحاول عاجل النصر اما رغبة في الدنيا وإما تأييداً للدين فوعدهم ذلك بأن قال (نصر من الله وفتح قريب) اي تلك الخصلة او تلك التجارة نصر من الله لكم على اعدائكم وفتح قريب لبلادهم يعني النصر على قريش وفتح مكة عن الكلبي وقيل يريد فتح فارس والروم وسائر فتوح الإسلام على العموم عن عطاء وقريب معناه قريب كونه وقيل قريب منكم بقرب الرجوع إلى اوطانكم (وبشر المؤمنين) اي بشرهم بهذين الثوابين عاجلا وآجلا على الجهاد وهو النصر في الدنيا والجنة في العقبى ثم حض سبحانه المؤمنين على نصرة دينه فقال (يا ايها الذين آمنوا كونوا انصار الله) اي انصار دينه واعوان نبيه وإنما اضاف الى نفسه كما يقال للكعبة بيت الله وقيل لحمزة بن عبد المطلب اسد الله المعنى دوموا على ما انتم عليه من النصرة (كما قال عيسى بن مريم) اي مثل قول عيسى بن مريم للحواريين وهم خاصة الانبياء وسموا بذلك لأنهم اخلصوا من كل عيب عن الزجاج وقيل سموا بذلك لبياض ثيابهم وقيل لأنهم كانوا قصارين (من انصاري إلى الله) والمعنى قل يا محمد اني ادعوكم الى هذا الأمر كما دعا عيسى قومه فقال من انصاري مع الله ينصرني مع نصرة الله اياي وقيل الى الله اي فيما يقرب الى الله كما يقال اللهم منك واليك (قال الحواريون نحن انصار الله) أي انصار دين الله وأولياء الله وقيل انهم إنما سموا نصارى لقولهم نحن انصار الله (فآمنت طائفة من بني اسرائيل) اي صدقت بعيسى (وكفرت طائفة اخرى) به قال ابن عباس يعني في زمن عيسى (ع) وذلك انه لما رفع تفرق قومه ثلاث فرق فرقة قالت كان الله فارتفع وفرقة قالت كان ابن الله فرفعه اليه وفرقة قالوا كان عبد الله ورسوله فرفعه اليه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا وظهرت الفرقتان الكافرتان على المؤمنين حتى بعث محمد ﷺ فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرين وذلك قوله (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) اي عالين غالبين وقيل معناه اصبحت حجة من آمن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد ﷺ بأن عيسى كلمة الله وروحه عن ابراهيم وقيل بل ايدوا في زمانهم على من كفر بعيسى عن مجاهد وقيل معناه فآمنت طائفة من بني اسرائيل بمحمد ﷺ وكفرت طائفة به فأصبحوا قاهرين لعدوهم بالحجة والقهر والغلبة وبالله التوفيق

﴿ تم الجزء التاسع من التفسير ﴾

— الجزء العاشر —

سورة الجمعة مدنية

وهي احدى عشرة آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الجمعة اعطي عشر حسنات بعدد من اتى الجمعة وبعدد من لم يأتها في امصار المسلمين . منصور بن حازم عن ابي عبد الله (ع) قال من الواجب على كل مؤمن إذا كان لنا شيعة أن يقرأ في ليلة الجمعة بالجمعة وسبح اسم ربك وفي صلاة الظهر بالجمعة والمنافقين فإذا فعل فكأنما يعمل عمل رسول الله ﷺ وكان ثوابه وجزاؤه على الله الجنة

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة الصف بالترغيب في عبادته والدعاء اليها وذكر تأييد المؤمنين بالنصر والظهور على الاعداء افتتح هذه السورة ببيان قدرته على ذلك وعلى جميع الاشياء فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ (٢) هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ (٣) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٤) ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ (٥) مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ خمس آيات

﴿ اللغة ﴾

الاسفار الكتب واحدها سفر وإنما سمي بذلك لأنه يكشف عن المعنى بإظهاره يقال سفر الرجل عمامته إذا كشفها وسفرت المرأة عن وجهها فهي سافرة ومنه والصبح إذا اسفر

﴿ الاعراب ﴾

وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين إن هذه مخففة من إنَّ ولهذا لزمها اللام الفارقة في خبر كان لئلا يلتبس بإن النافية وآخرين مجرورة لأنه صفة محذوف معطوف على الاميين أسيء وفي قوم آخرين ويحتمل أن يكون منصوبا بالعطف على هم في يعلمهم . يحمل اسفارا في موضع النصب على الحال . بئس مثل القوم المخصوص بالذم محذوف تقديره بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله مثلهم فيكون الذين في موضع جر ويجوز أن يكون التقدير بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعلى هذا يكون الذين في موضع رفع وهو المخصوص بالذم

﴿ المعنى ﴾

(يسبح لله ما في السموات وما في الأرض) أي ينزهه سبحانه كل شيء ويشهد له بالوحدانية والربوبية بما ركب فيها من بدائع الحكمة وعجائب الصنعة الدالة على انه قادر عالم حي قديم سميع بصير حكيم لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء وإنما قال مرة سبح ومرة يسبح إشارة إلى دوام تنزيهه في الماضي والمستقبل (الملك) أي القادر على تصريف الاشياء (القدوس) أي المستحق للتعظيم الطاهر عن كل نقص (العزيز) القادر الذي لا يمتنع عليه شيء (الحكيم) العالم الذي يضع الاشياء موضعها (هو الذي بعث في الاميين) يعني العرب وكانت امة امية لا تكتب ولا تقرأ ولم يبعث اليهم نبي عن مجاهد وقتادة وقيل يعني اهل مكة لأن مكة تسمى ام القرى (رسولا منهم) يعني محمدا صلى الله عليه وآله وسلم نسبه نسبهم وهو من جنسهم كما قال لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ووجه النعمة في انه جعل النبوة في امي موافقته لما تقدمت البشارة به في كتب الانبياء السالفة ولأنه ابعد من توهم الاستعانة على ما اتى به من الحكمة بالحكم التي تلاها والكتب التي قرأها واقرب إلى العلم بأن ما يخبرهم به من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية على وفق ما في كتبهم ليس ذلك إلا بالوحي (يتلوا عليهم آياته) اي يقرأ عليهم القرآن المشتمل على الحلال والحرام والحجج والاحكام (ويزكيهم) أي ويطهرهم من الكفر والذنوب ويدعوهم إلى ما يصيرون به ازكياء (ويعلمهم الكتاب والحكمة) الكتاب القرآن والحكمة الشرائع وقيل إن الحكمة تعم الكتاب والسنة وكل ما اراده الله تعالى فإن الحكمة هي العلم الذي يعمل عليه فيما يجتبى أو يجتنب من امور الدين والدنيا (وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) معناه وما كانوا من قبل بعثه اليهم إلا في عدول عن الحق وذهاب عن الدين بين ظاهر (وآخرين منهم) أي ويعلم آخرين من المؤمنين (لما يلحقوا بهم) وهم كل من بعد الصحابة الى يوم القيامة فإن الله سبحانه بعث النبي اليهم وشريعته تلزمهم وإن لم يلحقوا بزمان الصحابة عن مجاهد وابن زيد وقيل هم الأعاجم ومن لا يتكلم بلغة العرب فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مبعوث إلى من شاهده والى كل من بعدهم من العرب والعجم عن ابن عمر وسعيد بن جبير وروي ذلك عن ابي جعفر (ع) وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ هذه الآية فقيل له من هؤلاء فوضع يده على كتف سلمان وقال لو كان الإيمان في الثريا لنالته رجال من هؤلاء وعلى هذا فإنما قال منهم لأنهم إذا اسلموا صاروا منهم فإن المسلمين كلهم يد واحدة على من سواهم وامة واحدة وان اختلف اجناسهم كما قال سبحانه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ومن لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنهم ليسوا ممن عناهم الله تعالى بقوله وآخرين منهم وان كان مبعوثا اليهم بالدعوة لقوله سبحانه ويزكيهم ويعلمهم ومن لم يؤمن فليس ممن زكاه وعلمه القرآن والسنة وقيل إن قوله لما يلحقوا بهم يعني في الفضل والسابقة فإن التابعين لا يدركون شأن السابقين من الصحابة وخيار المؤمنين (وهو العزيز) الذي لا يغالب (الحكيم) في جميع افعاله (ذلك فضل الله) يعني النبوة التي خص الله بها رسوله عن مقاتل (يؤتيه) اي يعطيه (من يشاء) بحسب ما يعلمه من صلاحه للبعثة وتحمل اعباء الرسالة (والله ذو الفضل العظيم) ذو المن العظيم على خلقه ببعث محمد صلى الله عليه وآله وسلم وروى محمد بن ابي عمير عن هشام بن سالم يرفعه قال جاء الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا يارسول الله إن للأغنياء ما يتصدقون وليس لنا ما نتصدق ولهم ما يحجون وليس لنا ما نحج ولهم ما يعتقون وليس لنا ما نعتق فقال صلى الله عليه وآله وسلم من كبر الله مائة مرة كان افضل من عتق

رقبة ومن سبح الله مائة مرة كان افضل من مائة فرس في سبيل الله بسرجها ويلجمها ومن هلل الله مائة مرة كان افضل الناس عملا في ذلك اليوم إلا من زاد فبلغ ذلك الاغنياء فقالوه فرجع الفقراء إلى النبي ﷺ فقالوا يارسول الله قد بلغ الاغنياء ما قلت فصنعوه فقال ﷺ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ثم ضرب سبحانه لليهود الذين تركوا العمل بالتوراة مثلا فقال (مثل الذين حملوا التورية) أي كلفوا القيام بها والعمل بما فيها (ثم لم يحملوها) حق حملها من اداء حقها والعمل بموجبها لأنهم حفظوها ودونوها كتبهم ثم لم يعملوا بما فيها (كمثل الحمار يحمل اسفارا) لأن الحمار الذي يحمل كتب الحكمة على ظهره لا يحس بما فيها فمثل من يحفظ الكتاب ولا يعمل بموجبه كمثل من لا يعلم ما فيما يحمله قال ابن عباس فسواء حمل على ظهره أو جحده إذا لم يعمل به وعلى هذا فمن تلا القرآن ولم يفهم معناه واعرض عنه اعراض من لا يحتاج اليه كان هذا المثل لاحقا به وان حفظه وهو طالب لمعناه فليس من اهل هذا المثل وانشد أبو سعيد الضرير في ذلك

زوامل للاسفار لاعلم عندهم بجيدها إلا كعلم الأباعر

لعمرك ما يدري المطي إذا غدا بأسفاره أرواح ما في الغرائر

(بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) معناه بئس القوم قوم هذا مثلهم لأنه سبحانه ذم مثلهم والمراد به ذمهم واليهود كذبوا بالقرآن والتوراة حين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي لا يفعل بهم من الالطاف التي يفعلها بالمؤمنين الذين بها يهتدون وقيل لا يثيبهم ولا يهديهم إلى الجنة وعن محمد بن مهران قال يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم وتلا هذه

قوله تعالى (٦) قُلْ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٧) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٨) قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٩) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِنْ يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٠) فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنْتَشِرُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا مِنْ فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١١) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا ٱنْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَارَةِ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّازِقِينَ ست آيات

اللغة

الزعم قول عن ظن أو علم ولذلك صار من باب الظن والعلم وعمل ذلك العمل قال

فإن تزعميني كنت اجهل فيكم فإني شريت الحلم بعدك بالجهل

والاولياء جمع ولي وهو الحقيق بالنصرة التي يوليها عند الحاجة والله ولي المؤمنين لأنه يوليهم النصرة عند حاجتهم والمؤمن ولي الله لهذه العلة ويجوز أن يكون لأنه يولي المطيع له نصرة عند حاجته والتمني هو

قول القائل لما كان ليته لم يكن ولما لم يكن ليته كان فهو يتعلق بالماضي والمستقبل وهو من جنس الكلام عن الجبائي والقاضي وقال ابو هاشم هو معنى في النفس يوافق هذا القول والجمعة والجمعة لغتان وجمعها جمع وجمعات قال الفراء وفيها لغة ثالثة جمعة بفتح الميم كصلحة وهمزة وإنما سمي جمعة لأنه تعالى فرغ فيه من خلق الاشياء فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لأنه تجتمع فيه الجماعات وقيل إن أول من سماها جمعة كعب بن لوي وهو أول من قال أما بعد وكان يقال للجمعة العروبة عن ابي سلمة وقيل إن أول من سماها جمعة الانصار قال ابن سيرين جمع اهل المدينة قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة وقيل قبل أن تنزل الجمعة قالت الانصار لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى يوم ايضا مثل ذلك فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله عز وجل ونشكره وكما قالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وذكرهم فسموه يوم الجمعة حين اجتمعوا اليه فذبح لهم اسعد بن زرارة شاة فتغدوا وتعشوا من شاة واحدة وذلك لقلتهم فانزل الله تعالى في ذلك إذا نودي للصلاة الآية فهذه أول جمعة جمعت في الإسلام فأما اول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأصحابه فقيل انه قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهاجرا حتى نزل قبا على عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول حين الضحى فأقام بقبا يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس واسس مسجدهم ثم خرج من بين اظهرهم يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن وادلهم قد اتخذ اليوم في ذلك الموضع مسجد وكانت هذه الجمعة أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الإسلام فخطب في هذه الجمعة وهي أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل فقال الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واستهديه واؤمن به ولا اكفره واعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الأجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه وان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل أمره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد والذي صدق قوله ونجز وعده لا خلف لذلك فإنه يقول ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم وآجله في السر والعلانية فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وان تقوى الله تبيض الوجوه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في سبيل الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة ولا حول ولا قوة إلا بالله فاكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه

وبين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فلهذا صارت الخطبة شرطا في انعقاد الجمعة

﴿ النزول ﴾

قال جابر بن عبد الله اقبلت عير ونحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجمعة فانفض الناس اليها فما بقي غير اثني عشر رجلا أنا فيهم فنزلت الآية وإذا رأوا تجارة أو لهوا وقال الحسن وابو مالك اصاب اهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب يوم الجمعة فلما رأوه قاموا اليه بالبقيع خشية أن يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا رهط فنزلت الآية فقال والذي نفسي بيده او تتابعتم حتى لا يبقى احد منكم لسال بكم الوادي نارا وقال المقاتلان بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخطب يوم الجمعة إذ قدم دحية بن خليفة بن فروة الكلبي ثم اخذ بني الخزرج ثم اخذ بني زيد بن مناة من الشام بتجارة وكان إذا قدم لم يبق بالمدينة عاتق إلا اتته وكان يقدم إذا قدم بكل ما يحتاج اليه من دقيق أو بر أو غيره فينزل عند احجار الزيت وهو مكان في سوق المدينة ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليتبايعوا معه فقدم ذات جمعة وكان ذلك قبل أن يسلم ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائم على المنبر يخطب فخرج الناس فلم يبق في المسجد إلا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال صلى الله عليه وآله وسلم اولا هؤلاء لسومت عليهم الحجارة من السماء وانزل الله هذه الآية وقيل لم يبق في المسجد إلا ثمانية رهط عن الكلبي عن ابن عباس وقيل إلا احد عشر رجلا عن ابن كيسان وقيل انهم فعلوا ذلك ثلاث مرات في كل يوم مرة لعير تقدم من الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة عن قتادة ومقاتل

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر اليهود في انكارهم ما في التوراة أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم أن يخاطبهم بما يفحمهم فقال (قل) يا محمد (يا أيها الذين هادوا) اي سموا يهودا (ان زعمتم انكم أولياء لله) أي ان كنتم تظنون على زعمكم انكم انصار الله وان الله ينصركم (من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) انكم ابناء الله واحباؤه فإن الموت هو الذي يوصلكم اليه ثم اخبر سبحانه عن حالهم في كذبهم واضطرابهم في دعواهم وانهم غير واثقين بذلك فقال (ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم) من الكفر والمعاصي (والله عليم بالظالمين) أي عالم بأفعالهم واحوالهم وقد تقدم تفسير الآيتين في سورة البقرة وفيه معجزة للرسول لأنه اخبر انهم لا يتمنون الموت ابدا لما يعرفون من صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكذبهم فكان الأمر كما قال وروي انه صلى الله عليه وآله وسلم قال لو تمنوا لماتوا عن آخرهم (قل) يا محمد (إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم) أي انكم وان فررتم من الموت وكرهتموه فإنه لا بد ينزل بكم ويلقاكم ويدرككم ولا ينفعكم الهرب منه وإنما قال فإنه ملاقيكم بالفاء سواء فروا منه ولم يفروا منه فإنه ملاقيهم مبالغة في الدلالة على انه لا ينفع الفرار منه لأنه إذا كان الفرار بمنزلة السبب في ملاقاته فلا معنى للتعرض للفرار لأنه لا يباعد منه وإلى هذا المعنى اشار امير المؤمنين (ع) في قوله كل امرئ لاقٍ ما يفر منه والاجل مساق النفس والهرب منه موافاته وقال زهير

ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ... ولو نال اسباب السماء بسلم

ولا شك انها تناله هابها أو لم يهبها ولكنه إذا كانت هيبته بمنزلة السبب للمنية فالهيبة لا معنى لها وقيل إن التقدير قل إن الموت هو الذي تفرون منه فجعل الذي في موضع الخبر لا صفة للموت ويكون فإنه مستأنفا (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة) أي ترجعون إلى الله الذي يعلم سركم وعلانيتكم يوم القيامة (فينبئكم بما كنتم تعملون) في دار الدنيا ويجازيكم بحسبها ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلوة من يوم الجمعة) اي إذا اذن لصلاة الجمعة وذلك إذا جلس الإمام على المنبر يوم الجمعة وذلك لأنه لم يكن على عهد رسول الله ﷺ نداء سواه قال السايب بن زيد كان لرسول الله ﷺ مؤذن واحد بلال فكان إذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فإذا نزل أقام للصلاة ثم كان ابو بكر وعمر كذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد آذانا فأمر بالتأذين الأول على سطح دار له بالسوق يقال له الزوراء وكان يؤذن له عليها فإذا جلس عثمان على المنبر أذن مؤذنه فإذا نزل اقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه (فاسعوا إلى ذكر الله) أي فامضوا إلى الصلاة مسرعين غير متثاقلين عن قتادة وابن زيد والضحاك وقال الزجاج معناه فامضوا إلى السعي الذي هو الإسراع وقرأ عبد الله بن مسعود فامضوا الى ذكر الله وروي ذلك عن علي بن ابي طالب (ع) وعمر بن الخطاب وابي بن كعب وابن عباس وهو المروي عن ابي جعفر (ع) وابي عبد الله (ع) وقال ابن مسعود لو علمت الاسراع لأسرعت حتى يقع ردائي عن كتفي وقال الحسن ما هو السعي على الاقدام وقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وقيل المراد بذكر الله الخطبة التي تتضمن ذكر الله والمواعظ (وذروا البيع) اي دعوا المبايعة قال الحسن كل بيع تفوت فيه الصلاة يوم الجمعة فإنه بيع حرام لا يجوز وهذا هو الذي يقتضيه ظاهر الآية لأن النهي يدل على فساد المنهي عنه (ذلكم) يعني ما امرتكم به من حضور الجمعة واستماع الذكر واداء الفريضة وترك البيع (خير لكم) وانفع لكم عاقبة (إن كنتم تعلمون) منافع الامور ومضارها ومصالح انفسكم ومفاسدها وقيل معناه اعلموا ذلك عن الجبائي وفي هذه الآية دلالة على وجوب الجمعة وفي تحريم جميع التصرفات عند سماع اذان الجمعة لأن البيع إنما خص بالنهي عنه لكونه من اعم التصرفات في اسباب المعاش وفيها دلالة على أن الخطاب للاحرار لأن العبد لا يملك البيع وعلى اختصاص الجمعة بمكان ولذلك أوجب السعي اليه وفرض الجمعة لازم جميع المكلفين إلا اصحاب الاعذار من السفر أو المرض أو العمى أو العرج أو أن يكون امرأة او شيخا هما لا حراك به أو عبدا أو يكون على رأس اكثر من فرسخين من الجامع وعند حصول هذه الشرائط لا يجب إلا عند حضور السلطان العادل أو من نصبه السلطان للصلاة والعدد يتكامل عند اهل البيت (ع) بسبعة وقيل ينعقد بثلاثة سوى الإمام عن ابي حنيفة والثوري وقيل إنما ينعقد بأربعين رجلا احرارا بالغين مقيمين عن الشافعي وقيل ينعقد باثنين سوى الإمام عن ابي يوسف وقيل ينعقد بواحد كسائر الجماعات عن الحسن وداود والاختلاف بين الفقهاء في مسائل الجمعة كثير موضعه كتب الفقه (فإذا قضيت الصلوة فانتشروا في الأرض) يعني إذا صليتم الجمعة وفرغتم منها فتفرقوا في الأرض (وابتغوا من فضل الله) أي واطلبوا الرزق في البيع والشراء وهذا اباحة وليس بأمر وايجاب وروي عن انس عن النبي ﷺ قال في قوله فإذا قضيت الصلاة فانتشروا الآية ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله وقيل المراد بقوله وابتغوا من فضل

الله طلب العلم عن الحسن وسعيد بن جبير ومكحول وروي عن ابي عبد الله (ع)انه قال الصلاة يوم الجمعة والانتشار يوم السبت وروى عمرو بن زيد عن ابي عبد الله قال اني لأركب في الحاجة التي كفاها الله ماأركب فيها إلا التماس أن يراني الله اضحى في طلب الحلال أما تسمع قول الله عز اسمه فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله أرأيت لو أن رجلا دخل بيتا وطين عليه بابه ثم قال رزقي ينزل علي كان يكون هذا اما انه احد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم قال قلت من هؤلاء الثلاثة قال رجل تكون عنده المرأة فيدعو عليها فلا يستجاب له لأن عصمتها في يده او شاء أن يخلي سبيلها لخلى سبيلها والرجل يكون له الحق علي الرجل فلا يشهد عليه فيجحده حقه فيدعو عليه فلا يستجاب له لأنه ترك ما امر به والرجل يكون عنده الشيء فيجلس في بيته فلا ينتشر ولا يطلب ولا يلتمس حتى يأكله ثم يدعو فلا يستجاب له (واذكروا الله كثيرا) أي اذكروه على احسانه واشكروه على نعمه وعلى ما وفقكم من طاعته واداء فرضه وقيل إن المراد بالذكر هنا الفكر كما قال تفكر ساعة خير من عبادة سنة وقيل معناه اذكروا الله في تجارتكم واسواقكم ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال من ذكر الله في السوق مخلصا عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه كتب له الف حسنة ويغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر (لعلكم تفلحون) أي لتفلحوا وتفوزوا بثواب النعيم علق سبحانه الفلاح بالقيام بما تقدم ذكره من اعمال الجمعة وغيرها وصح الحديث عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اغتسل يوم الجمعة فاحسن غسله ولبس صالح ثيابه ومس من طيب بيته او دهنه ثم لم يفرق بين اثنين غفر الله له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وزيادة ثلاثة ايام بعدها أورده البخاري في الصحيح وروى سلمان التميمي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن لله عز وجل في كل يوم جمعة ستمائة الف عتيق من النار كلهم قد استوجب النار ثم اخبر سبحانه عن جماعة قابلوا أكرم الكرم بألأم اللؤم فقال (وإذا رأوا تجارة أو لهوا) أي عاينوا ذلك وقيل معناه إذا علموا بيعا وشراء أو لهوا وهو الطبل عن مجاهد وقيل المزامير عن جابر (انفضوا اليها) اي تفرقوا عنك خارجين اليها وقيل مالوا اليها والضمير للتجارة وإنما خصت برد الضمير اليها لأنها كانت اهم اليهم وهم بها أسر من الطبل لأن الطبل إنما دل على التجارة عن الفراء وقيل عاد الضمير إلى احدهما اكتفاء به وكأنه على حذف والمعنى وإذا رأوا تجارة انفضوا اليها واذا رأوا لهوا انفضوا اليه فحذف اليه لأن اليها يدل عليه وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال انصرفوا اليها (وتركوك قائما) تخطب على المنبر قال جابر بن سمرة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطب إلا وهو قائم فمن حدثك انه خطب وهو جالس فكذبه وسئل عبد الله بن مسعود أكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب قائما فقال أما تقرأ وتركوك قائما وقيل أراد قائما في الصلاة ثم قال تعالى (قل) يا محمد لهم (ما عند الله) من الثواب على سماع الخطبة وحضور الموعظة والصلاة والثبات مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم (خير)واحمد عاقبة وانفع (من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) يرزقكم وان لم تتركوا الخطبة والجمعة

سورة المنافقين

مدنية بالاجماع وهي احدى عشرة آية

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة المنافقين برأ من النفاق

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سورة الجمعة بما هو من علامات النفاق من ترك النبي ﷺ قائما في الصلاة أو في الخطبة والاشتغال باللهو وطلب الارتفاق افتتح هذه السورة بذكر المنافقين ايضا فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (٢) ٱتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٤) وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو غير عباس والكسائي خشب ساكنة الشين والباقون خشب بضمها وقرأ نافع وروح عن يعقوب وسهل لووا بتخفيف الواو والباقون لوّوا بتشديدها وهو اختيار ابي عبيدة وفي الشواذ قراءة الحسن اتخذوا ايمانهم بالكسر

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ خشب جعله مثل بدنة وبدن ومثله اسد واسد ووثن ووثن في قوله إن يدعون من دونه الا اناثا قال سيبويه هي قراءة والتثقيل ان نقل قد جاء في نظيره قالوا اسد كما قالوا في جمع ثمر ثمر قال الشاعر « يقدم اقداما عليكم كالاسد » قال ابو الحسن التحريك في خشب لغة اهل الحجاز وحجة من قرأ لووا بالتخفيف قوله ليا بالسنتهم فاللي مصدر لوى مثل طوى طيا والتثقيل لأن الفعل للجماعة فهو كقوله مفتحة لهم الأبواب وقد جاء تلوية الخاتن رب المعذور وانشده ابو زيد وقوله ايمانهم بالكسر هو على حذف المضاف اي اتخذوا اظهار ايمانهم جنة قد مر امثال ذلك

﴿ اللغة ﴾

الجنة السترة المتخذة لدفع الأذية كالسلاح المتخذ لدفع الجراح والجنة البستان الذي يجنه الشجر والجنة الجنون الذي يستر العقل والفقه العلم بالشيء فقهت الحديث افقهه و كل علم فقه إلا انه اختص

به علم الشريعة وكل من علمها يقال انه فقيه وافقهتك الشيء بينت لك وفقه الرجل بالضم صار فقيها قال ابن دريد الجسم كل شخص مدرك وكل عظيم الجسم جسيم وجسام والاجسم العظيم الجسم قال الشاعر

واجسم من عاد جسوم رجالهم وأكثر إن عدوا عديدا من الرمل

واختلف المتكلمون في حد الجسم فقال المحققون منهم هو الطويل العريض العميق ولذلك متى ازداد ذهابه في هذه الجهات الثلاث قيل اجسم وجسيم وقيل هو المؤلف وقيل هو القائم بالنفس ومعناه انه لا يحتاج الى محل والصحيح القول الاول والاجسام ما تألف من الجواهر وهي اجزاء لا تتجزء ائتلفت بمعان يقال لها المؤتلفات فاذا رفعت عنها بقيت اجزاء لا تتجزء واختلف في اقل اجزاء الاجسام والصحيح انه ما تألف من ثمانية اجزاء وقيل من ستة اجزاء عن ابي الهذيل وقيل من اربعة اجزاء عن البلخي

الاعراب

ساء ما كانوا يعملون تقديره ساء العمل عملهم فقوله ما كانوا يعملون موصول وصلة في موضع رفع بأنه مبتدأ او خبر مبتدأ محذوف هو المخصوص بالذم . انى يؤفكون انى في موضع نصب على الحال بمعنى كيف والتقدير أجاحدين يؤفكون ويجوز ان يكون في محل النصب على المصدر والتقدير اي افك يؤفكون وقيل معناه من اين يؤفكون اي يصرفون عن الحق بالباطل عن الزجاج فعلى هذا يكون منصوبا على الظرف ويصدون في موضع نصب على الحال

المعنى

خاطب الله سبحانه نبيه فقال (أذا جاءك) يا محمد (المنافقون) وهم الذين يظهرون الايمان ويبطنون الكفر واشتقاقه من النفق والنافقاء كما قال الشاعر

للمؤمنين أمور غير مخزية وللمنافق سر دونه نفق

(قالوا نشهد إنك لرسول الله) اي اخبروا بأنهم يعتقدون انك رسول الله (والله يعلم) يا محمد (انك لرسوله) على الحقيقة وكفى بالله شهيدا (والله يشهد ان المنافقين لكاذبون) في قولهم انهم يعتقدون انك رسول الله فكان إكذابهم في اعتقادهم وانهم يشهدون ذلك بقلوبهم ولم يكذبوا فيما يرجع الى السنتهم لأنهم شهدوا بذلك وهم صادقون فيه وفي هذا دلالة على ان حقيقة الايمان انما هو بالقلب ومن قال شيئا واعتقد خلافه فهو كاذب (اتخذوا ايمانهم جنة) اي سترة يستترون بها من الكفر لئلا يقتلوا ولا يسبوا ولا تؤخذ اموالهم (فصدوا عن سبيل الله) اي فأعرضوا بذلك عن دين الإسلام وقيل معناه منعوا غيرهم عن اتباع سبيل الحق بأن دعوهم الى الكفر في الباطن وهذا من خواص المنافقين يصدون العوام عن الدين كما تفعل المبتدعة (انهم ساء ما كانوا يعملون) اي بئس الذي يعملونه من اظهار الايمان مع إبطان الكفر والصد عن السبيل (ذلك بأنهم آمنوا) بألسنتهم عند الاقرار بلا آله الا الله محمد رسول الله (ثم كفروا) بقلوبهم لما كذبوا بهذا عن قتادة وقيل معناه آمنوا ظاهرا عند النبي والمسلمين ثم كفروا اذا خلوا بالمشركين وانما قال ثم كفروا لأنهم جددوا الكفر بعد اظهار الايمان (فطبع على قلوبهم) اي ختم عليها بسمة تميزها الملائكة بينهم وبين المؤمنين على الحقيقة وقيل لما الفوا الكفر والعناد ولم يصغوا الى الحق ولا فكروا في المعاد خلاهم الله واختيارهم وخذلهم فصار ذلك طبعا على قلوبهم وهو الفهم الى ما اعتادوه من الكفر عن ابي مسلم

(فهم لا يفقهون) اي لا يعلمون الحق من حيث انهم لا يتفكرون حتى يميزوا بين الحق والباطل (واذا رأيتهم تعجبك اجسامهم) بحسن منظرهم وتمام خلقتهم وجمال بزتهم (وان يقولوا تسمع لقولهم) اي واذا قالوا شيئا اصغيت الى كلامهم لحسن منطقهم وفصاحة لسانهم وبلاغة بيانهم (كأنهم خشب مسندة) اي كأنهم اشباح بلا ارواح شبههم الله في خلوهم من العقول والافهام بالخشب المسندة الى شئ لا ارواح فيها وقيل انه شبههم بخشب نخرة متآكلة لاخير فيها ويحسب من رآها انها صحيحة سليمة من حيث ان ظاهرها يروق وباطنها لا يفيد فكذلك المنافق ظاهره معجب رائع وباطنه عن الخير زائغ (يحسبون كل صيحة عليهم) وصفهم الله تعالى بالخور والهلع اي يظنون كل صيحة يسمعونها كائنة عليهم والمعنى يحسبون انها مهلكتهم وانهم هم المقصودون بها جبنا ووجلا وذلك مثل أن ينادي مناد في العسكر او يصيح أحد بصاحبه أو انفلتت دابة أو انشدت ضالة وقيل معناه إذا سمعوا صيحة ظنوا انها آية منزلة في شأنهم وفي الكشف عن حالتهم لما عرفوا من الغش والخيانة في صدورهم ولذلك قيل المريب خائف ثم اخبر سبحانه بعداوتهم فقال (هم العدو) لك وللمؤمنين في الحقيقة (فاحذرهم) أن تأمنهم على سرك وتوقهم (قاتلهم الله) أي أخزاهم ولعنهم وقيل انه دعاء عليهم بالهلاك لأن من قاتله الله فهو مقتول ومن غالبه فهو مغلوب (أنى يؤفكون) أي أنى يصرفون عن الحق مع كثرة الدلالات وهذا توبيخ وتقريع وليس باستفهام عن ابي مسلم وقيل معناه كيف يكذبون من الإفك (وإذا قيل لهم تعالوا) أي هلموا (يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم) اي اكثروا تحريكها بالهزء لها استهزاء بدعائهم إلى ذلك وقيل امالوها اعراضا عن الحق وكراهة لذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك لكفرهم واستكبارهم (ورأيتهم) يا محمد (يصدون) عن سبيل الله الحق (وهم مستكبرون) اي متكبرون مظهرون انه لا حاجة لهم إلى الاستغفار

قوله تعالى (٦) سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٧) هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ (٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠) وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (ست آيات)

القراءة

قرأ ابو عمرو واكون بالنصب والباقون واكن بالجزم وقرأ حماد ويحيى بما يعملون بالياء والباقون بالتاء

الحجة

من قرأ واكن عطفه على موضع قوله فأصدق لأنه في موضع فعل مجزوم الا ترى أنك إذا قلت

اخرني اصدق كان جزما بأنه جواب الجزاء وقد اغنى السؤال عن ذكر الشرط والتقدير اخرني فإنك إن تؤخرني اصدق فلما كان الفعل المنتصب بعد الفاء في موضع فعل مجزوم بأنه جواب الشرط حمل قوله وأكن عليه ومثل ذلك قوله ومن يضلل الله فلا هادي له ويذرهم لما كان فلا هادي له في موضع فعل مجزوم حمل ويذرهم عليه ومثل ذلك قول الشاعر

فأبلوني بليتكم لعلي اصالحكم واستدرج ثويًّا

حمل واستدرج على موضع الفاء المحذوفة وما بعدها من لعلي وكذلك قوله

أيا سلكت فإنني لك كاشح وعلى انتقاصك في الحياة وازدد

حمل وازدد على موضع الفاء وما بعدها واما قول ابي عمرو وأكون فإنما حمله على اللفظ دون الموضع وكان الحمل على اللفظ اولى لظهوره في اللفظ وقربه وزعموا أن في حرف ابي فأتصدق وأكون ومن قرأ بما يعملون بالياء فعلى قوله ولن يؤخر الله نفسا لأن النفس وان كان واحدا في اللفظ فالمراد به الكثرة ومن قرأ بالتاء كان خطابا شائعا

﴿ اللغة ﴾

الانفضاض التفرق وفض الكتاب اذا فرقه ونشره وسميت الفضة فضة لتفرقها في اثمان الاشياء المشتراة وكل شيء يشغلك عن شيء فقد الهاك عنه قال

الهى بني جشم عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

وقال امرؤ القيس

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم محول

﴿ النزول ﴾

نزلت الآيات في عبد الله بن ابي المنافق واصحابه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلغه ان بني المصطلق يجتمعون لحربه وقائدهم الحرث بن ابي ضرار ابو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فتزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وقتل منهم من قتل ونفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابناءهم ونساءهم واموالهم فبينا الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب اجير له من بني غفار يقال له جهجاه ابن سعيد يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان الجهني من بني عوف بن خزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الانصار وصرخ الغفاري يا معشر المهاجرين فأعان الغفاري رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال عبد الله بن ابي لجعال إنك لهتاك فقال وما يمنعني ان افعل ذلك واشتد لسان جعال على عبد الله فقال عبد الله والذي يحلف به لأذرنك ويهمك غير هذا وغضب ابن ابي وعنده رهط من قومه فيهم زيد ابن ارقم حديث السن فقال ابن ابي قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم اقبل على من حضره من قومه فقال هذا ما فعلتم بأنفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا ان يتحولوا من بلادكم

ويلحقوا بعشائرهم ومواليهم فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد ﷺ في
عز من الرحمن ومودة من المسلمين والله لا احبك بعد كلامك هذا فقال عبد الله اسكت فإنما كنت العب
فمشى زيد بن ارقم الى رسول الله ﷺ وذاك بعد فراغه من الغزو فأخبره الخبر فأمر رسول الله
ﷺ بالرحيل وارسل الى عبد الله فأتاه فقال ما هذا الذي بلغني عنك فقال عبد الله والذي انزل عليك
الكتاب ما قلت شيئا من ذلك قط وان زيدا لكاذب وقال من حضر من الانصار يارسول الله شيخنا
وكبيرنا لاتصدق عليه كلام غلام من غلمان الانصار عسى ان يكون هذا الغلام وهم في حديثه فعذره رسول الله
ﷺ وفشت الملامة من الأنصار لزيد ولما استقل رسول الله ﷺ فسار لقيه اسيد من الحضير فحياه
بتحية النبوة ثم قال يا رسول الله لقد رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله ﷺ اوما
بلغك ما قال صاحبكم زعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الأعز منها الاذل فقال اسيد فأنت والله يارسول الله
تخرجه ان شئت هو والله الذليل وانت العزيز ثم قال يارسول الله ارفق به فو الله لقد جاء الله بك وان قومه
لينظمون له الخرز ليتوجوه وانه ليرى انك قد استلبته ملكا وبلغ عبد الله بن عبد الله بن ابي ما كان من امر ابيه
فأتى رسول الله ﷺ فقال يارسول الله انه قد بلغني انك تريد قتل ابي فإن كنت لا بد فاعلا فمرني به
فانا احمل اليك رأسه فو الله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالديه مني واني اخشى ان تأمر به غيري
فيقتله فلا تدعني نفسي ان انظر الى قاتل عبد الله ابن ابي ان يمشي في الناس فاقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل
النار فقال بل ترفق به وتحسن صحبته ما بقي معنا قالوا وسار رسول الله ﷺ بالناس يومهم ذلك حتى امسى
وليلتهم حتى اصبح وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ثم نزل بالناس فلم يكن الا ان وجدوا مس الارض
وقعوا نياما انما فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث الذي خرج من عبد الله بن ابي ثم راح بالناس حتى نزل
على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له بقعاء فهاجت ريح شديدة آذتهم وتخوفوها وضلت ناقة رسول الله
ﷺ وذلك ليلا فقال مات اليوم منافق عظيم النفاق بالمدينة قيل من هو قال رفاعة فقال رجل من
المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم مكان ناقته الا يخبره الذي يأتيه بالوحي فأتاه جبريل فأخبره بقول
المنافق وبمكان الناقة واخبر رسول الله ﷺ بذلك اصحابه وقال ما ازعم اني اعلم الغيب وما اعلمه ولكن
الله تعالى اخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب فإذا هي كما قال فجاؤوا بها وآمن ذلك المنافق
فلما قدموا المدينه وجدوا رفاعة بن زيد في التابوت احد بني قينقاع وكان من عظماء اليهود وقد مات ذلك
اليوم قال زيد بن ارقم فلما وافى رسول الله ﷺ المدينة جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فنزلت
سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله بن ابي ثم اخذ رسول الله ﷺ بأذن زيد فرفعه عن
الرحل ثم قال ياغلام صدق فوك ووعت اذناك ووعى قلبك وقد انزل الله فيما قلت قرآنا وكان عبد الله بن ابي
بقرب المدينة فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه عبدالله بن عبد الله بن ابي حتى اناخ على مجامع طرق المدينة
فقال مالك ويلك قال والله لا تدخلها الا بإذن رسول الله ولتعلمن اليوم من الأعز ومن الاذل فشكا
عبد الله ابنه الى رسول الله ﷺ فأرسل اليه أن خل عنه يدخل فقال اما اذا جاء امر رسول الله ﷺ
فنعم فدخل فلم يلبث إلا اياما قلائل حتى اشتكى ومات فلما نزلت هذه الآيات وبان كذب عبد الله قيل
له نزل فيك آي شداد فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتموني أن أؤمن

فقد آمنت وأمرتموني أن اعطي زكاة مالي فقد أعطيت فما بقي إلا أن اسجد لمحمد فنزل وإذا قيل لهم تعالوا إلى قوله ولكن المنافقين لا يعلمون

❋ المعنى ❋

ثم ذكر سبحانه أن استغفاره لا ينفعهم فقال (سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم) أي يتساوى الاستغفار لهم وعدم الاستغفار (لن يغفر الله لهم) لأنهم يبطنون الكفر وان اظهروا الايمان (إن الله لا يهدي القوم الفاسقين) أي لا يهدي القوم الخارجين عن الدين والايمان الى طريق الجنة قال الحسن أخبره سبحانه انهم يموتون على الكفر فلم يستغفر لهم وقد كان النبي ﷺ يستغفر لهم على ظاهر الحال بشرط حصول التوبة وأن يكون الباطن مثل الظاهر فبين الله تعالى ان ذلك لا ينفعهم مع إبطانهم الكفر والنفاق ثم قال سبحانه (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله) من المؤمنين المحتاجين (حتى ينفضوا) أي يتفرقوا عنه وانما قالوا هم من عند محمد ﷺ ولكن الله سبحانه سماه رسول الله ﷺ تشريفا له وتعظيما لقدره (ولله خزائن السموات والأرض) وما بينهما من الأرزاق والاموال والاغلاق فلو شاء لأغناهم ولكنه تعالى يفعل ما هو الأصلح لهم ويمتحنهم بالفقر ويتعبدهم بالصبر ليصبروا فيؤجروا وينالوا الثواب وكريم المآب (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك على الحقيقة لجهلهم بوجوه الحكمة وقيل لا يفقهون ان امره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة) من غزوة بني المصطلق (ليخرجن الاعز) يعنون نفوسهم (منها الاذل) يعنون رسول الله ﷺ والمؤمنين فرد الله سبحانه عليهم بأن قال (ولله العزة ولرسوله) بإعلاء الله كلمته واظهاره دينه على الأديان (وللمؤمنين) بنصرته اياهم في الدنيا وادخالهم الجنة في العقبى وقيل ولله العزة بالربوبية ولرسوله بالنبوة وللمؤمنين بالعبودية اخبر سبحانه بذلك ثم حققه بأن اعز رسوله والمؤمنين وفتح عليهم مشارق الأرض ومغاربها وقيل عز الله خمسة عز الملك والبقاء وعز العظمة والكبرياء وعز البذل والعطاء وعز الرفعة والعلاء وعز الجلال والبهاء وعز الرسول خمسة عز السبق والابتداء وعز الأذان والنداء وعز قدم الصدق على الأنبياء وعز الاختيار والاصطفاء وعز الظهور على الاعداء وعز المؤمنين خمسة عز التأخير بيانه نحن الآخرون السابقون وعز التيسير بيانه ولقد يسرنا القرآن للذكر يريد الله بكم اليسر وعز التبشير بيانه وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا وعز التوقير بيانه وأنتم الاعلون وعز التكثير بيانه انهم اكثر الامم (ولكن المنافقين لا يعلمون) فيظنون أن العزة لهم وذلك لجهلهم بصفات الله تعالى وما يستحقه اولياؤه ووجه الجمع بين هذه الآية وبين قوله ولله العزة جميعا ان عز الرسول والمؤمنين من جهته عز اسمه وإنما يحصل به وبطاعته فلله العز بأجمعه ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم) اي لا تشغلكم (اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله) اي عن الصلوات الخمس المفروضة وقيل ذكر الله جميع طاعاته عن ابي مسلم وقيل ذكره شكره على نعمائه والصبر على بلائه والرضا بقضائه وهو اشارة إلى انه لا ينبغي ان يغفل المؤمن عن ذكر الله في بؤس كان او نعمة فإن احسانه في الحالات لا ينقطع (ومن يفعل ذلك) اي من يشغله ماله وولده عن ذكر الله (فأولئك هم الخاسرون) خسروا ثواب الله ورحمته (وانفقوا ما رزقناكم) في سبيل البر فيدخل فيه الزكوات وسائر الحقوق الواجبة (من قبل ان يأتي احدكم الموت) اي اسباب الموت (فيقول رب

اولا اخرتني إلى اجل قريب) اي هلا اخرتني وذلك إذا عاين علامات الآخرة فيسأل الرجعة إلى الدنيا ليتدارك الفائت قالوا وليس في الزجر عن التفريط في حقوق الله آية اعظم من هذه وقوله إلى اجل قريب اي مثل ما اجلت لي في دار الدنيا (فأصدق) اي فأتصدق وازكي مالي وانفقه في سبيل الله (واكن من الصالحين) اي من الذين يعملون الأعمال الصالحة وقيل من الصالحين اي من المؤمنين والآية في المنافقين عن مقاتل وقيل من المطيعين لله والآية في المؤمنين عن ابن عباس قال ما من احد يموت وكان له مال فلم يؤد زكاته واطاق الحج فلم يحج إلا سأل الرجعة عند الموت قالوا يا ابن عباس اتق الله فإنما نرى هذا الكافر يسأل الرجعة فقال أنا اقرأ عليكم قرآنا ثم قرأ هذه الآية إلى قوله من الصالحين قال الصلاح هنا الحج وروي ذلك عن ابي عبدالله (ع) (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء اجلها) يعني الاجل المطلق الذي حكم بأن الحي يموت عنده والأجل المقيد هو الأجل المحكوم بأن العبد يموت عنده إن لم يقتطع دونه أو لم يزد عليه أو لم ينقص منه على ما يعلمه الله من المصلحة (والله خبير بما تعملون) أي عليم بأعمالكم يجازيكم بها

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال هذه الآية الأخيرة بما قبلها أن معناه انه سبحانه او علم أنكم تتوبون لجعل في أجلكم تأخيرا الى وقت آخر ولكنه علم انكم لا تتوبون

سورة التغابن مدنية

وقال ابن عباس مكية غير ثلاث آيات من آخرها نزلن بالمدينة يا أيها الذين آمنوا إن من ازواجكم الى آخر السورة

﴿ عدد آيها ﴾

ثماني عشرة آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة . ابن ابي العلاء عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة التغابن في فريضته كانت شفيعة له يوم القيامة وشاهد عدل عند من يجيز شهادتها ثم لا تفارقه حتى يدخل الجنة

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله تعالى تلك السورة بذكر الامر بالطاعة والنهي عن المعصية افتتح هذه السورة ببيان حال المطيع والعاصي فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣) خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ

صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ (٤) يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (٥) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ خمس آيات

المعنى

(يسبح لله ما في السموات وما في الأرض) تسبيح المكلفين بالقول وتسبيح الجمادات بالدلالة (له الملك) منفردا دون غيره والالف واللام لاستغراق الجنس والمعنى انه المالك لجميع ذلك والمتصرف فيه كيف يشاء (وله الحمد) على جميع ذلك لأن خلق ذلك اجمع الغرض فيه الاحسان إلى خلقه والنفع لهم به فاستحق بذلك الحمد والشكر (وهو على كل شيء قدير) يوجد المعدوم ويفني الموجود ويغير الاحوال كما يشاء (هو الذي خلقكم) اي انشأكم وأوجدكم من عدم كما أراد والخطاب للمكلفين عن الجبائي وقيل بل هو عام وقد تم الكلام هنا ثم ابتدأ فقال (فمنكم كافر) لم يقر بأن الله خلقه كالدهرية (ومنكم مؤمن) مقر بأن الله خلقه عن الزجاج وقيل معناه فمنكم كافر في السر مؤمن في العلانية كالمنافقين ومنكم مؤمن في السر كافر في العلانية كعمار وذويه عن الضحاك وقيل فمنكم كافر بالله مؤمن بالكواكب ومنكم مؤمن بالله كافر بالكواكب يريد في شأن الانواء عن عطاء بن ابي رياح والمراد بالآية ظاهر فلا معنى للاسترواح إلى مثل هذه التأويلات والمعنى أن المكلفين جنسان منهم كافر فيدخل فيه انواع الكفر ومنهم مؤمن ولا يجوز حمله على انه سبحانه خلقهم مؤمنين وكافرين لأنه لم يقل كذلك بل اضاف الكفر والايمان اليهم و إلى فعلهم والدلالة العقول على أن ذلك يقع على حسب قصودهم وافعالهم ولذلك يصح الأمر والنهي والثواب والعقاب وبعثة الأنبياء على انه سبحانه لو جاز أن يخلق الكفر والقبائح لجاز أن يبعث رسولا يدعو إلى الكفر والضلال ويؤيده بالمعجزات تعالى عن ذلك وتقدس هذا وقد قال تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كل مولود يولد على الفطرة تمام الخبر وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) حكاية عن الله سبحانه خلقت عبادي كلهم حنفاء ونحو ذلك من الأخبار كثير (والله بما تعملون بصير) أي خلق الكافر وهو عالم بما يكون منه من الكفر وخلق المؤمن وهو عالم بما يكون منه من الايمان فيجازيهما على حسب اعمالهما (خلق السموات والأرض بالحق) أي بالعدل وباحكام الصنعة وصحة التقدير وقيل معناه للحق وهو انه خلق العقلاء تعريضا اياهم للثواب العظيم وخلق ما عداهم تبعا لهم لما في خلقها لهم من اللطف (وصوركم) يعني البشر كلهم (فأحسن صوركم) من حيث الحكمة وقبول العقل لا قبول الطبع لأن في جملتهم من ليس على هذه الصفة وقيل فأحسن صوركم من حيث قبول الطبع لأن ذلك هو المفهوم من حسن الصور فهو كقوله لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وان كان في جملتهم من هو مشوه الخلق لأن ذلك عارض لا يعتد به في هذا الوصف فالله سبحانه خلق الانسان على احسن صور الحيوان كله والصورة عبارة عن بنية مخصوصة (واليه المصير) أي اليه المرجع والمآل يوم القيامة (يعلم ما في السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون) أي ما يسره بعضكم إلى بعض وما يخفيه في صدره عن غيره والفرق بين الاسرار والاخفاء أن الاخفاء أعم لأنه قد يخفي شخصه ويخفي المعنى في نفسه والاسرار يكون في المعنى دون الشخص (والله عليم بذات الصدور) أي بأسرار الصدور وبواطنها ثم اخبر سبحانه أن القرون الماضية جوزوا باعمالهم فقال (ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل) أي من قبل هؤلاء الكفار (فذاقوا وبال امرهم) اي وخيم عاقبة كفرهم وثقل امرهم بما نالهم من العذاب بالاهلاك والاستئصال (ولهم عذاب أليم) أي مؤلم يوم القيامة

قوله تعالى (٦) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا

وَتَوَلَّوا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٧) زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٨) فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٩) يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ خمس آيات

القراءة

قرأ رويس عن يعقوب يوم نجمعكم بالنون والباقون بالياء وقرأ اهل المدينة وابن عامر نكفر عنه وندخله بالنون فيهما والباقون بالياء

الحجة

حجة الياء أن الاسم الظاهر قد تقدم ووجه النون انه كقوله سبحان الذي اسرى بعبده ثم جاء وآتينا موسى الكتاب

الإعراب

ذلك بأنه الهاء ضمير الأمر والشأن . ابشر مبتدأ و إنما جاز أن يكون مبتدأ مع كونه نكرة لأن الاستفهام سوغ ذلك كما أن النفي ايضا كذلك لكونهما غير موجبين يقال أرجل في الدار أم امرأة ولا رجل في الدار ولا امرأة وقيل انه فاعل فعل مضمر يفسره قوله يهدوننا كأنه قال ايهدينا بشر يهدوننا و إنما اضمر لأن الاستفهام بالفعل أولى وقوله أن لن يبعثوا تقديره انهم لن يبعثوا فسدت الجملة عن المفعولين بما جرى فيها من ذكر الحديث والمحدث عنه ولما كان لن في ان يبعثوا دليل الاستقبال تعينت أن قبلها لأن تكون مخففة من الثقيلة لأن لن يمنعها من ان تكون ناصبة للفعل . يوم نجمعكم ظرف لتبعثن

المعنى

لما قرر سبحانه خلقه بأنهم آتيهم اخبار من مضى من الكفار واهلاكهم عقبه ببيان سبب إهلاكهم فقال (ذلك) أي ذلك العذاب الذي نالهم في الدنيا والذي ينالهم في الآخرة (بأنه كانت تأتيهم) اي بسبب انه كانت تجيئهم (رسلهم) من عند الله (بالبينات) أي بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات (فقالوا) لهم (ابشر يهدوننا) لفظه واحد والمراد به الجمع على طريق الجنس بدلالة قوله يهدوننا والمعنى أخلق مثلنا يهدوننا إلى الحق ويدعوننا إلى غير دين آبائنا استصغارا منهم للبشر أن يكونوا رسلا من الله إلى امثالهم واستكبارا وانفة من اتباعهم (فكفروا) بالله وجحدوا رسله (وتولوا) أي اعرضوا عن القبول منهم والتفكر في آياتهم (واستغنى الله) بسلطانه عن طاعة عباده وإنما كلفهم لنفعهم لا لحاجة منه إلى عبادتهم وقيل معناه واستغنى الله بما اظهره لهم من البرهان واوضحه من البيان عن زيادة تدعو إلى الرشد وتهدي إلى الإيمان (والله غني حميد) أي غني عن اعمالكم مستحمد اليكم بما ينعم به عليكم وقيل حميد أي محمود في جميع افعاله لانهـا كلها احسان ثم حكى سبحانه ما يقوله الكفار فقال (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) قال ابن عمر زعم زاملة الكذب وقال شريح زعم كنية الكذب بيّن الله سبحانه بعض ما لأجله اختاروا الكفر على الإيمان وهو انهم كانوا لا يقرون بالبعث والنشور فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن يكذبهم فقال (قل) يا محمد (بلى وربي) اي وحق ربي على وجـه القسم (لتبعثن) اي لتحشرن أكد تكذيبهم بقوله بلى وباليمين ثم اكد اليمين باللام والنون (ثم لتنبؤن بما عملتم)

اي لتخبرن وتحاسبن بأعمالكم وتجازون عليها (وذلك) البعث والحساب مع الجمع والجزاء (على الله يسير) أي سهل هين لا يلحقه مشقة ولا معاناة فيه (فآمنوا) معاشر العقلاء (بالله ورسوله والنور الذي انزلنا) وهو القرآن سماه نورا لما فيه من الادلة والحجج الموصلة إلى الحق فشبه بالنور الذي يهتدى به إلى الطريق (والله بما تعملون خبير) أي عليم (يوم يجمعكم ليوم الجمع) وهو يوم القيامة أي ذلك البعث والجزاء يكون في يوم يجمع فيه خلق الأولين والآخرين (ذلك يوم التغابن) وهو تفاعل من الغبن وهو أخذ شر وترك خير أو اخذ خير وترك شر فالمؤمن ترك حظه من الدنيا وأخذ حظه من الآخرة فترك ما هو شر له وأخذ ما هو خير له فكان غابنا والكافر ترك حظه من الآخرة وأخذ حظه من الدنيا فترك الخير واخذ الشر فكان مغبونا فيظهر في ذلك اليوم الغابن والمغبون وقيل يوم التغابن غبن اهل الجنة اهل النار عن قتادة ومجاهد وقد روي عن النبي ﷺ في تفسير هذا قوله ما من عبد مؤمن يدخل الجنة إلا أري مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار إلا أري مقعده من الجنة لو احسن ليزداد حسرة (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته) أي معاصيه (ويدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا) أي مؤبدين فيها ولا يفنى ما هم فيه من النعيم ابدا (ذلك الفوز العظيم) أي النجاح الذي ليس وراءه شيء من العظمة (والذين كفروا) بالله (وكذبوا بآياتنا) أي بحججنا ودلائلنا (أولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) أي المآل والمرجع

قوله تعالى (١١) مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٣) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٥) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٦) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٧) إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ (١٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

ثماني آيات

القراءة

في الشواذ قراءة طلحة بن مصرف نهد قلبه بالنون وقراءة السلمي يهد قلبهُ بضم الياء والباء على ما لم يسم فاعله وقراءة عكرمة وعمرو بن دينار يهدأ قلبه مهموزا وقراءة مالك بن دينار يهدا بالالف

الحجة

من قرأ يهدأ مهموزا فمعناه يطمئن قلبه كما قال سبحانه وقلبه مطمئن بالإيمان ومن قرأ بالألف فإنه لين الهمز تخفيفا

﴿ النزول ﴾

نزل قوله من ازواجكم وأولادكم عدوا لكم في قوم أرادوا الهجرة فثبطهم نساؤهم وأولادهم عنها عن ابن عباس ومجاهد

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه (ما اصاب من مصيبة) أي ليس تصيبكم مصيبة (إلا بإذن الله) والمصيبة المضرة التي تلحق صاحبها كالرمية التي تصيبه وإنما عم ذلك سبحانه وإن كان في المصائب ما هو ظلم وهو سبحانه لا يأذن بالظلم لأنه ليس منها إلا ما اذن الله في وقوعه أو التمكن منه وذلك اذن للملك الموكل به كأنه قيل لا يمنع من وقوع هذه المصيبة وقد يكون ذلك بفعل التمكين من الله فكأنه يأذن له بأن يكون وقيل معناه الا بتخلية الله بينكم وبين من يريد فعلها عن البلخي وقيل انه خاص فيما يفعله الله تعالى أو يأمر به وقيل معناه بعلم الله أي لا يصيبكم مصيبة إلا والله عالم بها (ومن يؤمن بالله) أي يصدق به ويرض بقضائه (يهد قلبه) أي يهد الله قلبه حتى يعلم ان ما اصابه فبعلم الله فيصبر عليه ولا يجزع لينال الثواب والأجر وقيل معناه ومن يؤمن بتوحيد الله ويصبر لأمر الله يعني عند نزول المصيبة يهد قلبه للاسترجاع حتى يقول إنا لله وانا اليه راجعون عن ابن عباس . وقيل إن المعنى يهد قلبه فإن ابتلي صبر وان اعطي شكر وان ظلم غفر عن مجاهد وقال بعضهم في معناه من يؤمن بالله عند النعمة فيعلم انها فضل من الله يهد قلبه للشكر ومن يؤمن بالله عند البلاء فيعلم انه عدل من الله يهد قلبه للصبر ومن يؤمن بالله عند نزول القضاء يهد قلبه للاستسلام والرضا (والله بكل شيء عليم) فيجازي كل امرئ بما عمله (واطيعوا الله) في جميع ما امركم به (وأطيعوا الرسول) في جميع ما اتاكم به ودعاكم اليه وفيما امركم به ونهاكم عنه (فإن توليتم) أي فإن اعرضتم عن القبول منه (فإنما على رسولنا البلاغ المبين) أي ليس عليه إلا تبليغ الرسالة وقد فعل والمراد ليس عليه قهركم على الرد إلى الحق وإنما عليه البلاغ الظاهر البين فحذف للإيجاز والاختصار (الله لا إله إلا هو) ولا تحق العبادة إلا له (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) والتوكل تفويض الامور اليه والرضا بتقديره والثقة بتدبيره وقد أمر الله عباده بذلك فينبغي لهم أن يستشعروا ذلك في سائر احوالهم (يا أيها الذين آمنوا إن من ازواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) يعني أن بعضهم بهذه الصفة ولذلك اتى بلفظة من وهي للتبعيض يقول ان من هؤلاء من هو عدو لكم في الدين فاحذروهم أن تطيعوهم وقيل انه سبحانه إنما قال ذلك لأن من الأزواج من يتمنى موت الزوج ومن الأولاد من يتمنى موت الوالد ليرث ماله وما من عدو اعدى ممن يتمنى موت غيره ليأخذ ماله وكذلك يكون من يحملك على معصية الله لمنفعة نفسه ولا عدو اشد عداوة ممن يختار ضررك لمنفعته قال عطاء يعني قوما أرادوا الغزو فمنعهم هؤلاء وقال مجاهد يريد قوما أرادوا طاعة الله فمنعوهم (وان تعفوا) أي تتركوا عقابهم (وتصفحوا وتغفروا) اي تتجاوزوا عنهم وتستروا ما سبق منهم إن عادوا إلى الحالة الجميلة وذلك أن الرجل من هؤلاء إذا هاجر ورأى الناس قد سبقوه بالهجرة وفقهوا في الدين هم أن يعاقب زوجته وولده الذين ثبطوه عن الهجرة وأن يلحقوا به في دار الهجرة لم ينفق عليهم فأمر سبحانه بالعفو والصفح (فإن الله غفور رحيم) يغفر لكم ذنوبكم ويرحمكم وقيل هو عام أي إن تعفوا وتصفحوا عمن ظلمكم فإن الله يغفر بذلك كثيرا من ذنوبكم عن الجبائي (إنما أموالكم وأولادكم

فتنة) أي محنة وابتلاء وشدة للتكليف عليكم وشغل عن أمر الآخرة فإن الإنسان بسبب المال والولد يقع في الجرائم عن ابن مسعود قال لا يقولن احدكم اللهم إني اعوذ بك من الفتنة فإنه ليس احد منكم يرجع الى مال وأهل وولد الا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن . وروى عبد الله ابن بريدة عن ابيه قال كان رسول الله ﷺ يخطب فجاء الحسن والحسين «ع» وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله ﷺ اليهما فأخذهما فوضعهما في حجره على المنبر وقال صدق الله عز وجل إنما اموالكم وأولادكم فتنة نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم اخذ في خطبته (والله عنده اجر عظيم) اي ثواب جزيل وهو الجنة يعني فلا تعصوه بسبب الأموال والاولاد ولا تؤثروهم على ما عند الله من الأجر والذخر (فاتقوا الله ما استطعتم) اي ما اطقتم والاتقاء الامتناع من الردى باجتناب ما يدعو اليه الهوى ولا تنافي بين هذا وبين قوله اتقوا الله حق تقاته لأن كل واحد منهما الزام لترك جميع المعاصي فمن فعل ذلك فقد اتقى عقاب الله لأن من لم يفعل قبيحا ولا أخل بواجب فلا عقاب عليه الا ان في احد الكلامين تبيينا ان التكليف لا يلزم العبد إلا فيما يطيق وكل امر أمر الله به فلا بد أن يكون مشروطا بالاستطاعة وقال قتادة قوله فاتقوا الله ما استطعتم ناسخ لقوله اتقوا الله حق تقاته وكأنه يذهب الى ان فيه رخصة لحال التقية وما جرى مجراها مما يعظم فيه المشقة وان كانت القدرة حاصلة معه وقال غيره ليس هذا بناسخ وإنما هو مبين لإمكان العمل بهما جميعا وهو الصحيح (واسمعوا) من الرسول ما يتلو عليكم وما يعظكم به ويأمركم وينهاكم (واطيعوا) الله والرسول (وانفقوا) من اموالكم في حق الله (خيرا لأنفسكم) مثله فآمنوا خيرا لكم وانتهوا خيرا لكم وقد مضى ذكر ذلك وقال الزجاج معناه قدموا خيرا لأنفسكم من اموالكم (ومن يوق شح نفسه) حتى يعطي حق الله من ماله (فأولئك هم المفلحون) اي المنجحون الفائزون بثواب الله وقال الصادق (ع) من ادى الزكاة فقد وقي شح نفسه (ان تقرضوا الله قرضا حسنا) قد مضى معناه واطلاق اسم القرض هنا تلطف في الاستدعاء الى الإنفاق (يضاعفه لكم) اي يعطي بدله اضعاف ذلك من واحد الى سبعمائة الى مالا يتناهى فإن ثواب الصدقة يدوم (ويغفر لكم) ذنوبكم (والله شكور) اي مثيب مجاز على الشكر (حليم) لا يعاجل العباد بالعقوبة وهذا غاية الكرم (عالم الغيب والشهادة) اي السر والعلانية وقيل المعدوم والموجود وقيل غير المحسوس والمحسوس (العزيز) القادر (الحكيم) العالم وقيل المحكم لأفعاله

سورة الطلاق

وتسمى سورة النساء القصرى قال ابن مسعود في حديث العدة من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد قوله والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وإنما اراد قوله وأولات الأحمال اجلهن أن يضعن حملهن فإذا كانت حاملة فعدتها وضع الحمل وهي مدنية بالإجماع

❋ عدد آيها ❋

احدى عشرة آية بصري واثنتا عشرة آية في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

ثلاث آيات يجعل له مخرجا كوفي مكي والمدني الأخير واليوم الآخر شامي يا أولي الألباب المدني الأول

﴿ فضلها ﴾

ابي ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الطلاق والتحريم في فريضته اعاذه الله تعالى من أن يكون يوم القيامة ممن يخاف او يحزن وعوفي من النار وادخله الله الجنة بتلاوته اياهما ومحافظته عليهما لأنهما للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سورة التغابن بذكر النساء والتحذير منهن افتتح هذه السورة بذكرهن وذكر احكامهن واحكام فراقهن فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (٢) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٣) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (٤) وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (٥) ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا

خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص عن عاصم بالغ بغير تنوين امره بالجر على الاضافة والباقون بالغ بالتنوين امره بالنصب وفي الشواذ قراءة داود بن ابي هند ان الله بالغ بالتنوين امره بالرفع وروي عن ابن عباس وابي بن كعب وجابر بن عبد الله وعلي بن الحسين (ع) وزيد بن علي وجعفر بن محمد ومجاهد فطلقوهن في قبل عدتهن

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي قوله بالغ امره سيبلغ امره فيما يريده فيكم فهذا هو الأصل وهو حكاية حال ومن اضاف حذف التنوين استخفافا والمعنى معنى ثبات التنوين مثل عارض ممطرنا واما قوله في قبل عدتهن فإنه تفسير للقراءة المشهورة

فطلقوهن لعدتهن اي عند عدتهن ومثله قوله لا يجليها لوقتها اي عند وقتها ومن قرأ بالغ امره فالمعنى امره بالغ ما يريده الله به وقد بلغ امر الله ما اراده فالمفعول على ما رأيت محذوف

﴿ الاعراب ﴾

واللائي لم يحضن مبتدأ خبره محذوف لدلالة الكلام عليه فإذا جاز حذف الجملة بأسرها جاز حذف بعضها وقد جاء ايضا في الصفة وإن قل نحو قوله واوتيت من كل شي تقديره من كل شيء تؤتاه

﴿ المعنى ﴾

نادى سبحانه نبيه فقال (يا أيها النبي) ثم خاطب امته فقال (اذا طلقتم النساء) لأنه السيد المقدم فإذا نودي وخوطب خطاب الجمع كانت امته داخلة في ذلك الخطاب عن الحسن وغيره وقيل ان تقديره يا ايها النبي قل لأمتك اذا طلقتم النساء عن الجبائي فعلى هذا يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم خارجا عن الحكم وعلى القول الأول حكمه حكم امته في امر الطلاق وعلى هذا انعقد الإجماع والمعنى إذا اردتم طلاق النساء مثل قوله سبحانه اذا قمتم الى الصلاة وقوله فإذا قرأت القرآن (فطلقوهن لعدتهن) اي لزمان عدتهن وذلك أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه عن ابن عباس وابن مسعود والحسن ومجاهد وابن سيرين وقتادة والضحاك والسدي فهذا هو الطلاق للعدة لأنها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقيب الطلاق فالمعنى فطلقوهن لطهرهن الذي يحصينه من عدتهن ولا تطلقوهن لحيضهن الذي لا يعتددن به من قرئهن فعلى هذا يكون العدة الطهر على ما ذهب اليه اصحابنا وهو مذهب الشافعي وقيل ان المعنى قبل عدتهن اي في طهر لم يجامعها فيه والعدة الحيض كما يقال توضأت للصلاة ولبست السلاح للحرب وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه وقيل ان اللام للسبب فكأنه قال فطلقوهن ليعتددن ولا شبهة ان هذا الحكم للمدخول بها لأن المطلقة قبل المسيس لا عدة عليها وقد ورد به التنزيل في سورة الاحزاب وهو قوله فما لكم عليهن من عدة تعتدونها وظاهر الآية يقتضي انه إذا طلقها في الحيض او في طهر قد جامعها فيه فلا يقع الطلاق لأن الأمر يقتضي الإيجاب وبه قال سعيد بن المسيب وذهبت اليه الشيعة الإمامية وقال باقي الفقهاء يقع الطلاق وان كان بدعة وخلاف المأمور به وكذلك ان جمع بين التطليقات الثلاث فإنها بدعة عند ابي حنيفة واصحابه وان كانت واقعة وعند المحققين من اصحابنا يقع واحدة عند حصول شرائط صحة الطلاق والطلاق في الشرع عبارة عن تخلية المرأة بحل عقدة من عقد النكاح وذلك أن يقول انت طالق يخاطبها أو يقول هذه طالق ويشير اليها أو يقول فلانة بنت فلان طالق ولا يقع الطلاق عندنا إلا بهذا اللفظ لا بشيء من كنايات الطلاق سواء اراد بها الطلاق او لم يرد بها وفي تفصيل ذلك اختلافات بين الفقهاء ليس هاهنا موضعه وقد يحصل الفراق بغير الطلاق كالارتداد واللعان وكالخلع عند كثير من اصحابنا وان لم يسم ذلك طلاقا ويحصل ايضا بالفسخ للنكاح باشياء مخصوصة وبالرد بالعيب وإن لم يكن ذلك طلاقا وروى البخاري ومسلم عن قتيبة عن الليث بن سعد عن نافع عن عبد الله بن عمر انه طلق امرأته وهي حائض تطليقة واحدة فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يراجعها ثم يمسكها حتى تطهر وتحيض عنده حيضة اخرى ثم يمهلها حتى تطهر من حيضها فإذا اراد أن يطلقها فليطلقها حين تطهر من قبل أن يجامعها فتلك العدة التي أمر الله تعالى أن يطلق لها النساء وروى البخاري عن سليمان بن حرب وروى مسلم عن عبد الرحمن بن بشر عن نهر وكلاهما عن شعبة عن

انس بن سيرين (؟) قال سمعت ابن عمر يقول طلق ابن عمر امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال مره فليراجعها فإذا طهرت فليطلقها إن شاء وجاءت الرواية عن علي بن ابي طالب (ع) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش وعن ثوبان رفعه الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال أيما امرأة سألت زوجها الطلاق في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة وعن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تطلقوا النساء إلا من ريبة فإن الله لا يحب الذواقين والذواقات وعن انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال ما حلف بالطلاق ولا استحلف به إلا منافق هذه الأحاديث الأربعة منقولة عن تفسير الثعلبي ثم قال سبحانه (واحصوا العدة) اي عدوا الاقراء التي تعتد بها وقيل معناه عدوا اوقات الطلاق لتطلقوا للعدة وإنما أمر الله سبحانه بإحصاء العدة لأن لها فيها حقا وهي النفقة والسكنى وللزوج فيها حقا وهي المراجعة ومنعها عن الأزواج لحقه وثبوت نسب الولد فأمره تعالى بإحصائها ليعلم وقت المراجعة ووقت فوت المراجعة وتحريمها عليه ورفع النفقة والسكنى ولكيلا تطول العدة لاستحقاق زيادة النفقة اوتقصرها لطلب الزوج والعدة هي قعود المرأة عن الزوج حتى تنقضي المدة المرتبة في الشريعة وهي على ضروب فضرب يكون بالاقراء لمن تحيض فضرب يكون بالأشهر للصغيرة التي لم تبلغ المحيض ومثلها تحيض وهي التي بلغت تسع سنين وإذا كان سنها اقل من ذلك فلا عدة عليها عند اكثر اصحابنا وقال بعضهم عدتها بالشهور وبه قال الفقهاء وكذلك الكبيرة الآيسة من المحيض ومثلها تحيض عدتها بالشهور وحده اصحابنا بأن يكون سنها أقل من خمسين سنة ومن ستين سنة للقرشيات فإن كان سنها اكثر من ذلك فلا عدة عليها عند اكثر اصحابنا والمتوفى عنها زوجها عدتها بالشهور ايضا والضرب الثالث من العدة يكون بوضع الحمل في الجميع الا في المتوفى عنها زوجها فإن عدتها عند اصحابنا أبعد الأجلين وفي ذلك اختلاف بين الفقهاء ثم ان عدة الطلاق للحرة ثلاثة قروء اوثلاثة اشهر وللأمة قرءان اوشهر ونصف ووضع الحمل لا يختلف ثم قال سبحانه (واتقوا الله ربكم) ولا تعصوه فيما امركم به (ولا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن) هن ايضا يعني في زمان العدة لا يجوز للزوج أن يخرج المطلقة المعتدة من مسكنه الذي كان يسكنها فيه قبل الطلاق وعلى المرأة ايضا ان لا تخرج في عدتها إلا لضرورة ظاهرة فإن خرجت أثمت (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) اي ظاهرة ومن قرأ بفتح الياء فالمراد بفاحشة مظهرة اظهرتها واختلف في الفاحشة فقيل إنها الزنا فتخرج لإقامة الحد عليها عن الحسن ومجاهد والشعبي وابن زيد وقيل هي البذاء على اهلها فيحل لهم اخراجها عن ابن عباس وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وروى علي بن اسباط عن ابي الحسن الرضا قال الفاحشة أن تؤذي اهل زوجها وتسبهم وقيل هي النشوز فإن طلقها على نشوز فلها أن تتحول من بيت زوجها عن قتادة وقيل هي خروجها قبل انقضاء العدة عن ابن عمر وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه قال ان كل معصية لله تعالى ظاهرة فهي فاحشة (وتلك حدود الله) يعني ما ذكره سبحانه من احكام الطلاق وشروطه (ومن يتعد حدود الله) بأن يطلق على غير ما امر الله تعالى به (فقد ظلم نفسه) أي أثم فيما بينه وبين الله عز وجل وخرج عن الطاعة الى المعصية وفعل ما يستحق به العقاب (لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا) اي بغير رأي الزوج في محبة الطلاق ويوقع في قلبه المحبة لرجعتها فيما بين الطلقة الواحدة والثانية وفيما بين الثانية والثالثة قال الضحاك والسدي وابن زيد لعل الله يحدث الرجعة في العدة وقال الزجاج وإذا طلقها ثلاثا في وقت واحد فلا معنى

له لقوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وفي هذه الآية دلالة على ان الواجب في التطليق أن يوقع متفرقا ولا يجوز الجمع بين الثلاث لأن الله تعالى اكد قوله فطلقوهن لعدتهن بقوله واحصوا العدة ثم زاد في التأكيد بقوله واتقوا الله ربكم فيما حده الله لكم فلا تعتدوه ثم قرر سبحانه حق الزوج في المراجعة بقوله لا تخرجوهن من بيوتهن فإن الزوجة اذا لم ترم بيتها تمكن الزوج من مراجعتها ثم دل بقوله وتلك حدود الله على ان من تعدى حدود الله تعالى في الطلاق بطل حكمه وصار قوله لعل الله يحدث بعد ذلك امرا تأكيدا لحدود الله في الطلاق واعلاما بأن حق الرجعة لا ينقطع بجمع الطلاق فكأنه قال كونوا على رجاء الفائدة بالرجعة فقد يحدث الله الرغبة بعد الطلاق فإن قالوا قد امر الله سبحانه في الآية بطلاق العدة فكيف تقدمون انتم طلاق السنة على طلاق العدة فالجواب ان طلاق السنة ايضا طلاق العدة الا ان اصحابنا رضي الله عنهم قد اصطلحوا على أن يسموا الطلاق الذي لا يزاد عليه بعد المراجعة طلاق السنة والطلاق الذي يزاد عليه بشرط المراجعة طلاق العدة ومما يعضد ما ذكرته ما اشتهر من الأخبار في كتبهم ورواياتهم ونقل عن متقدميهم مثل زرارة بن اعين وبكير ابن اعين ومحمد بن مسلم وغيرهم فمن ذلك ما رواه يونس عن بكير بن اعين عن ابي جعفر (ع) قال الطلاق أن يطلق الرجل المرأة على طهر من غير جماع ويشهد رجلين عدلين على تطليقه ثم هو احق برجعتها ما لم تمض ثلاثة قروء فهذا الطلاق الذي امر الله به في القرآن وامر به رسول الله ﷺ في سنة وكل طلاق لغير عدة فليس بطلاق وعن جرير قال سألت ابا عبد الله (ع) عن طلاق السنة فقال على طهر من غير جماع بشاهدي عدل ولا يجوز الطلاق إلا بشاهدين والعدة وهو قوله فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة الآية وروى الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب عن زرارة عن ابي جعفر (ع) أنه قال كل طلاق لا يكون على السنة او طلاق على العدة فليس بشيء قال زرارة قلت لأبي جعفر فسر لي طلاق السنة وطلاق العدة فقال اما طلاق السنة فهو إن الرجل إذا اراد أن يطلق امرأته فلينتظر بها حتى تطمث وتطهر فإذا خرجت من طمثها طلقها تطليقة من غير جماع ويشهد شاهدين عدلين على ذلك ثم يدعها حتى تمضي اقراؤها وقد بانت منه وكان خاطبا من الخطاب إن شاءت تزوجته وإن شاءت لم تتزوجه وعليه نفقتها والسكنى ما دامت في العدة وهما يتوارثان حتى تنقضي العدة واما طلاق العدة فإذا اراد الرجل أن يطلق امرأته طلاق العدة فلينتظر بها حتى تحيض وتخرج من حيضها ثم يطلقها تطليقة من غير جماع ويشهد شاهدين عدلين ويراجعها من يومه ذلك إن احب او بعد ذلك بأيام قبل أن تحيض ويشهد على رجعتها ويواقعها وتكون معه حتى تحيض فإذا حاضت وخرجت من حيضها طلقها تطليقة اخرى من غير جماع ويشهد على ذلك ايضا متى شاء قبل أن تحيض ويشهد على رجعتها ويواقعها وتكون معه حتى تحيض الحيضة الثالثة فإذا خرجت من حيضها طلقها الثالثة بغير جماع ويشهد على ذلك فإذا فعل ذلك فقد بانت منه ولا تحل له حتى تنكح زوجا غيره والروايات في هذا كثيرة عن ائمة الهدى (ع) فعلى هذا فإنه يتركها في طلاق السنة حتى تعتد ثلاثة قروء فإذا مضى ثلاثة قروء فإنها تبين منه بواحدة واذا تزوجها بعد ذلك بمهر جديد كانت عنده على تطليقتين باقيتين فإن طلقها اخرى طلاق السنة وتركها حتى تمضي اقراؤها فلا يراجعها فقد بانت منه باثنتين فإن تزوجها بعد ذلك وطلقها لم تحل له حتى تنكح زوجا غيره ولو شاء أن يراجعها بعد الطلقة الأولى والثانية لكان ذلك اليه فقد تبين أن هذا الطلاق هو طلاق للعدة ايضا الا أن الفرق بينهما ما ذكرناه (فإذا بلغن

اجلهن) معناه فإذا قاربن أجلهن الذي هو الخروج من العدة (فأمسكوهن بمعروف) اي راجعوهن بإيجاب لهن من النفقة والكسوة والمسكن وحسن الصحبة (او فارقوهن بمعروف) بأن تتركوهن حتى يخرجن من العدة فتبين منكم ولا يجوز أن يكون المراد بقوله فإذا بلغن اجلهن إذا انقضى اجلهن لأن الزوج لا يملك الرجعة بعد انقضاء العدة بل هي تملك نفسها وتبين منه بواحدة ولها أن تتزوج من شاءت من الرجال (واشهدوا ذوي عدل منكم) قال المفسرون امروا أن يشهدوا عند الطلاق وعند الرجعة شاهدي عدل حتى لا تجحد المرأة المراجعة بعد انقضاء العدة ولا الرجل الطلاق وقيل معناه واشهدوا على الطلاق صيانة لدينكم وهو المروي عن أئمتنا (ع) وهذا اليق بالظاهر لأنا إذا حملناه على الطلاق كان امرا يقتضي الوجوب وهو من شرائط صحة الطلاق ومن قال ان ذلك راجع الى المراجعة حمله على الندب (واقيمو الشهادة لله) هذا خطاب للشهود اي اقيموها لوجه الله واقصدوا بأدائها التقرب الى الله لا الطلب لرضا المشهود له والإشفاق من المشهود عليه (ذلكم) الأمر بالحق يا معشر المكلفين (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) اي يؤمر به المؤمنون لينزجروا به عن الباطل وخص المؤمنين لأنهم الذين انتفعوا به فالطاعة الواجبة فيها وعظ بأن رغب فيها باستحقاق الثواب وفي تركها العقاب والمندوبة فيها وعظ باستحقاق المدح والثواب على فعلها والمعاصي فيها وعظ بالزجر عنها والتخويف من فعلها باستحقاق العقاب والترغيب في تركها بما يستحق على الإخلال بها من الثواب (ومن يتق الله) فيما امره به ونهاه عنه (يجعل له مخرجا) من كل كرب في الدنيا والآخرة عن ابن عباس وروي عن عطاء بن يسار عن ابن عباس قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن يتق الله يجعل له مخرجا قال من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيامة وعنه قال من اكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا وقيل معناه ومن يطلق للسنة يجعل الله له مخرجا في الرجعة (ويرزقه من حيث لا يحتسب) عن عكرمة والشعبي والضحاك وقيل انها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي أسر العدو ابنا له فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكر له ذلك وشكا اليه الفاقة فقال له اتق الله واصبر واكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله ففعل الرجل ذلك فبينا هو في بيته إذ اتاه ابنه وقد غفل عنه العدو فأصاب ابلا وجاء بها الى ابيه فذلك قوله ويرزقه من حيث لا يحتسب وروي عن الصادق (ع) انه قال ويرزقه من حيث لا يحتسب اي يبارك له فيما أتاه وعن ابي ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إني لأعلم آية لو اخذ بها الناس لكفتهم ومن يتق الله الآية فما زال يقولها ويعيدها (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) اي ومن يفوض امره الى الله ووثق بحسن تدبيره وتقديره فهو كافيه يكفيه امر دنياه ويعطيه ثواب الجنة ويجعله بحيث لا يحتاج الى غيره وفي الحديث من سره أن يكون اقوى الناس فليتوكل على الله (ان الله بالغ أمره) اي يبلغ ما اراد من قضاياه وتدابيره على ما أراده ولا يقدر احد على منعه عما يريده وقيل معناه انه منفذ امره فيمن يتوكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه (قد جعل الله لكل شيء قدرا) أي قدر الله لكل شيء مقدارا وأجلاً لا زيادة فيها ولا نقصان وقيل بين لكل شيء مقدارا بحسب المصلحة في الإباحة والإيجاب والترغيب والترهيب كما بين في الطلاق والعدة وغيرهما وقيل قد جعل الله لكل شيء من الشدة والرخاء وقتا وغاية ومنتهى ينتهي اليه ثم بين سبحانه اختلاف احكام العدة باختلاف احوال النساء فقال (واللائي يئسن من المحيض من نسائكم) فلا يحضن (إن ارتبتم) فلا تدرون لكبر ارتفع حيضهن ام لعارض

ثلاثة اشهر) وهن اللواتي امثالهن يحضن لأنهن لو كن في سن من لا تحيض لم يكن للارتياب معنى وهذا هو المروي عن ائمتنا (ع) وقيل معناه إن شككتم فلم تدروا أدمهن دم حيض أو استحاضة فعدتهن ثلاثة أشهر عن مجاهد والزهري وابن زيد وقيل معناه إن ارتبتم في حكمهن فلم تدروا ما الحكم فيهن (واللائي لم يحضن) تقديره واللائي لم يحضن إن ارتبتم فعدتهن ايضا ثلاثة اشهر وحذف لدلالة الكلام الأول عليه وهن اللواتي لم يبلغن المحيض ومثلهن تحيض على ما مر بيانه (واولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) قال ابن عباس هي في المطلقات خاصة وهو المروي عن ائمتنا (ع) فأما المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملا فعدتها ابعد الأجلين فإذا مضت بها اربعة اشهر وعشر ولم تضع انتظرت وضع الحمل وقال ابن مسعود وابي بن كعب وقتادة واكثر الفقهاء انه عام في المطلقات والمتوفى عنها زوجها فعدتهن وضع الحمل فإن كانت المرأة حاملا باثنين ووضعت واحدا لم تحل للازواج حتى تضع جميع الحمل لقوله ان يضعن حملهن وروى اصحابنا انها اذا وضعت واحدا انقطعت عصمتها من الزوج ولا يجوز لها أن تعقد على نفسها لغيره حتى تضع الآخر فأما اذا كانت قد توفي عنها زوجها فوضعت قبل الأشهر الأربعة والعشر وجب عليها أن تستوفي اربعة اشهر وعشرا (ومن يتق الله) في جميع ما امره بطاعته فيه (يجعل له من امره يسرا) اي يسهل عليه امور الدنيا والآخرة إما بفرج عاجل او عوض آجل وقيل يسهل عليه فراق اهله ويزيل الهموم عن قلبه (ذلك) يعني ما ذكره سبحانه من الاحكام في الطلاق والرجعة والعدة (أمر الله انزله اليكم ومن يتق الله) بطاعته (يكفر عنه سيئاته) من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة قال الربيع إن الله قد قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن وثق به انجاه ومن دعاه اجابه ولباه وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم وإذا سألك عبادي عني فإني قريب اجيب الآية (ويعظم له اجرا) في الآخرة وهو ثواب الجنة

قوله تعالى (٦) أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى (٧) لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (٨) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا (٩) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا (١٠) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا خمس آيات

القراءة

قرأ روح عن يعقوب مختلفا عنه من وجدكم بكسر الواو والقراءة بضم الواو وقرأ ابن كثير وكائن

بالمد والهمز والباقون وكأين بالهمز والتشديد

﴿ الحجة ﴾

يقال وجدت في المال جدة ووجدا ووجدا ووجدا بتعاقب الحركات الثلاث على الواو ووجدت الضالة وجدانا ووجدت من الحزن وجدا ومن الغضب موجدة ووجدانا وكأين اصله اي دخلت عليها الكاف الجارة كما دخلت على ذا في كذا فموضع كأين رفع بالابتداء كما ان كذا كذلك ولا موضع للكاف كما ان الكاف في كذا كذلك قال ابوعلي مثل هذا في انه دخل على المبتدأ حرف الجر فصار مع المجرور في موضع رفع قولهم بحسبك أن تفعل كذا يريدون حسبك فعل كذا فالجار مع المجرور في موضع رفع وانشد ابو زيد

بحسبك في القوم أن يعلموا ... بأنك فيهم غني مضر

وا كثر العرب تستعملها مع من وكذلك ما جاء في التنزيل ومما جاء منه في الشعر قوله

وكائن بالاباطح من صديق ... يراني إن اصبت هو المصابا

وقول الآخر

وكائن اليكم قاد من رأس فتية ... جنودا وامثال الجبال كتائبه

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حال المطلقة في النفقة والسكنى فقال (اسكنوهن) اي في بيوتكم (من حيث سكنتم) من المساكن (من وجدكم) اي من ملككم وما تقدرون عليه عن السدي وابي مسلم وقيل هو من الوجدان اي مما تجدونه من المساكن عن الحسن والجبائي وقيل من سعتكم وطاقتكم من الوجد الذي هو المقدرة قال الفراء يعول على ما يجد فإن كان موسعا وسع عليها في المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر ذلك ويجب السكنى والنفقة للمطلقة الرجعية بلا خلاف فأما المبتوتة ففيها خلاف فذهب اهل العراق الى أن لها السكنى والنفقة معا وروي ذلك عن عمر بن الخطاب وابن مسعود وذهب الشافعي الى أن لها السكنى بلا نفقة وذهب الحسن وابو ثور الى انه لا سكنى لها ولا نفقة وهو المروي عن ائمة الهدى (ع) وذهب اليه اصحابنا ويدل عليه ما رواه الشعبي قال دخلت على فاطمة بنت قيس بالمدينة فسألتها عن قضاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت طلقني زوجي البتة فخاصمته الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السكنى والنفقة فلم يجعل لي سكنى ولا نفقه وامرني ان اعتد في بيت ابن ام مكتوم وروى الزهري عن عبد الله أن فاطمة بنت قيس كانت تحت ابي عمرو ابن حفص بن المغيرة المخزومي وانه خرج مع علي بن ابي طالب (ع) الى اليمن حين أمّره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اليمن فأرسل الى امرأته فاطمة بنت قيس بتطليقة كانت بقيت لها من طلاقها فأمر عياش بن ابي ربيعة والحرث بن هشام أن ينفقا عليها فقالا والله مالك من نفقة فأتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فذكرت له قولهما فلم يجعل لها نفقة إلا ان تكون حاملا فاستأذنته في الانتقال فأذن لها فقالت أنى انتقل يارسول الله قال عند ابن ام مكتوم وكان اعمى تضع ثيابها عنده ولا يراها فلم تزل هناك حتى مضت عدتها فأنكحها النبي صلى الله عليه وآله وسلم اسامة بن زيد قال فأرسل اليها مروان بن الحكم قبيصة بن ذؤيب فسألها عن هذا الحديث ثم قال مروان لم نسمع هذا الحديث إلا من امرأة وسنأخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها فقالت فاطمة حين بلغها قول مروان بيني وبينكم القرآن قال الله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن الى قوله لعل الله يحدث

بعد ذلك امرا قالت هذا لمن كانت له مراجعة واي أمر يحدث بعد الثلاث ثم قال سبحانه (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) أي لا تدخلوا الضرر عليهن بالتقصير في السكنى والنفقة والكسوة طالبين بالإضرار التضييق عليهن ليخرجن وقيل المعنى اعطوهن من المسكن ما يكفيهن لجلوسهن ومبيتهن وطهارتهن ولا تضايقوهن حتى يتعذر عليهن السكنى عن ابي مسلم وإن كن أولات حمل اي كن حوامل (فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) لأن عدتهن إنما تنقضي بوضع حملهن امر الله سبحانه بالإنفاق على المطلقة الحامل سواء كانت رجعية او مبتوتة (فإن ارضعن لكم فآتوهن اجورهن) اي فإن ارضعن الولد لأجلكم بعد البينونة فأعطوهن اجر الرضاع يعني اجرة المثل (وأتمروا بينكم بمعروف) هذا خطاب للرجل والمرأة والائتمار قبول الأمر وملاقاته بالتقبل . امر الله تعالى المرضعة والمرضع له بالتلقي لأمره عز وجل ولأمر صاحبه إذا كان حسنا وقيل معناه وليأمر بعضكم بعضا بالجميل في ارضاع الولد اي بتراضي الوالد والوالدة بعد وقوع الفرقة في الأجرة على الأب وارضاع الولد بحيث لا يضر بمال الوالد ولا بنفس الولد ولا يزاد على الأجر المتعارف ولا ينقص الولد عن الرضاع المعتاد قال الكسائي اصله التشاور ومنه يأتمرون بك اي يتشاورون والأقوى عندي أن يكون المعنى دبروا بالمعروف بينكم في امر الولد ومراعاة امه حتى لا يفوت الولد شفقتها وغير ذلك ويدل عليه قول امرئ القيس

أحار بن عمرو كأني خمر ويعدو على المرء ما يأتمر

يعني ما يدبره في نفسه لأن الرجل ربما دبر امراً ليس برشد فيعدو عليه ويهلكه (وان تعاسرتم فسترضع له أخرى) والمعنى فإن اختلفتم في الرضاع وفي الأجر فسترضع له امرأة اخرى اجنبية اي فليسترضع الوالد غير والدة الصبي ثم قال سبحانه (لينفق ذو سعة من سعته) امر سبحانه اهل التوسعة ان يوسعوا على نسائهم المرضعات اولادهن على قدر سعتهم (ومن قدر عليه) اي ضيق عليه (رزقه فلينفق مما آتاه الله) والمعنى ومن كان رزقه بمقدار القوت فلينفق على قدر ذلك وعلى حسب امكانه وطاقته (لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها) اي الا بقدر ما اعطاها من الطاقة وفي هذا دلالة على انه سبحانه لا يكلف احدا مالا يقدر عليه ومالا يطيقه (سيجعل الله بعد عسر يسرا) اي بعد ضيق سعة وبعد فقر غنى وبعد صعوبة الأمر سهولة وفي هذا تسلية للصحابة فإن الغالب على اكثرهم في ذلك الوقت الفقر ثم فتح الله تعالى عليهم البلاد فيما بعد (وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله) اي وكم من اهل قرية عتوا على الله وعلى انبيائه يعني جاوزوا الحد في العصيان والمخالفة (فحاسبناها حساباً شديدا) بالمناقشة والاستقصاء باستيفاء الحق وايفائه قال مقاتل حاسبها الله تعالى بعملها في الدنيا فجازاها بالعذاب وهو قوله (وعذبناها عذابا نكرا) فجعل المجازاة بالعذاب محاسبة وهو عذاب الاستئصال وقيل هو عذاب النار فإن اللفظ ماض بمعنى المستقبل والنكر المنكر الفظيع الذي لم ير مثله وقيل ان في الآية تقديما وتأخيرا تقديره فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر المصائب والبلايا وحاسبناها في الآخرة حسابا شديدا وقيل الحساب الشديد هو الذي ليس فيه عفو (فذاقت وبال امرها) اي ثقل عاقبة كفرها (وكان عاقبة امرها خسرا)اي خسرانا في الدنيا والآخرة وهو قوله (اعد الله لهم عذابا شديدا) يعني عذاب النار وهذا يدل على ان المراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا ثم قال (فاتقوا الله يا أولي الألباب) اي يا اصحاب العقول ولا تفعلوا مثل ما فعل اولئك فينزل بكم مثل ما نزل بهم ثم وصف اولي الألباب

بقوله (الذين آمنوا) وخص المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك دون الكفار ثم ابتدأ سبحانه فقال (قد انزل الله اليكم ذكرا) يعني القرآن وقيل يعني الرسول عن الحسن وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع)

❋ النظم ❋

الوجه في اتصال قوله وكأين من قرية عتت عن امر ربها الآية بما قبله انه سبحانه بين ان الخوف في مقابلة الرجاء وسبيل العاقل أن يحترز من المخوف ويقدم الاحتراز عن الخوف على الرجاء والذي يقوي جانب الخوف انه اهلك الأمم الماضية بسبب عصيانها وتمردها عن امر ربها

قوله تعالى (١١) رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللهُ لَهُ رِزْقًا (١٢) اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا آيتان

❋ القراءة ❋

قرأ اهل المدينة والشام ندخله بالنون والباقون بالياء لتقدم الاسم على لفظ الغيبة والنون معناها معنى الياء

❋ الاعراب ❋

رسولا ينتصب على ثلاثة اوجه ❋ احدها ❋ أن يكون بدلا من ذكراً بدل الكل من الكل فعلى هذا يجوز أن يكون الرسول جبرائيل (ع) ويجوز أن يكون محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ❋ الثاني ❋ أن يكون مفعول فعل محذوف تقديره ارسل رسولا ويدل على اضماره قوله قد انزل الله اليكم ذكرا فعلى هذا يكون الرسول معناه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ❋ والثالث ❋ أن يكون مفعول قوله ذكرا ويكون تقديره انزل الله اليكم أن ذكر رسولا ويكون الرسول يحتمل الوجهين

❋ المعنى ❋

(رسولا) إذا كان المراد به الوجه الأول وهو ان يكون بدلا من ذكرا والمراد به النبي صلى الله عليه وآله وسلم او جبرائيل (ع) فيجوز أن يكون المراد بالذكر الشرف اي ذا ذكر رسولا (يتلوا عليكم آيات الله مبينات) اي واضحات (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات) اي من ظلمات الكفر (الى النور) اي نور الايمان وقيل من ظلمات الجهل الى نور العلم وانما شبه الايمان بالنور لأنه يؤدي الى نور القبر والقيامة والجنة وشبه الكفر بالظلمة لأنه يؤدي الى ظلمة القبر وظلمة جهنم (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا) اي يعطيه احسن ما يعطي احدا وذلك مبالغة في وصف نعيم الجنة (الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن) اي وخلق من الارض مثلهن في العدد لا في الكيفية لأن كيفية السماء مخالفة لكيفية الارض وليس في القرآن آية تدل على ان الارضين سبع مثل السموات إلا هذه الآية ولا خلاف في السموات انها سماء فوق سماء واما الأرضون

فقال قوم انها سبع ارضين طباقا بعضها فوق بعض كالسموات لأنها لو كانت مصمتة لكانت ارضا واحدة وفي كل ارض خلق خلقهم الله كما شاء وروى ابو صالح عن ابن عباس انها سبع ارضين ليس بعضها فوق بعض يفرق بينهن البحار ويظل جميعهن السماء والله سبحانه اعلم بصحة ما استأثر بعلمه واشتبه على خلقه وقد روى العياشي باسناده عن الحسين بن خالد عن ابي الحسن (ع) قال بسط كفه ثم وضع اليمنى عليها فقال هذه الأرض الدنيا والسماء الدنيا عليها قبة والارض الثانية فوق السماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة والارض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة حتى ذكر الرابعة والخامسة والسادسة فقال والارض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبة وعرش الرحمن فوق السماء السابعة وهو قوله سبع سموات ومن الارض مثلهن (يتنزل الأمر بينهن) وإنما صاحب الأمر النبي ﷺ وهو على وجه الارض وإنما يتنزل الأمر من فوق بين السماوات والأرضين فعلى هذا يكون المعنى تتنزل الملائكة بأوامره الى الأنبياء وقيل معناه يتنزل الأمر بين السموات والارضين من الله سبحانه بحياة بعض وموت بعض وسلامة حي وهلاك آخر وغنى انسان وفقر آخر وتصريف الأمور على الحكمة (لتعلموا ان الله على كل شيء قدير) بالتدبير في خلق السموات والارض والاستدلال بذلك على ان صانعهما قادر لذاته عالم لذاته وذلك قوله (وان الله قد احاط بكل شيء علما) ومعناه ان معلوماته متميزة له بمنزلة ما قد احاط به فلم يفته شيء منها وكذلك قوله ولا يحيطون به علما معناه انه ليس بمنزلة ما يحضره العلم بمكانه فيكون كأنه قد احاط به

سورة التحريم

مدنية اثنتا عشرة آية بالإجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة يا أيها النبي لم تحرم ما احل الله لك اعطاه الله توبة نصوحاً

﴿ تفسيرها ﴾

لما تقدم في تلك السورة احكام النساء في الطلاق وغيره افتتح سبحانه هذه السورة باحكامهن ايضا فقال

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ ٱللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَٱللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢) قَدْ فَرَضَ ٱللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَٱللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (٣) وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ ٱللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ (٤) إِنْ تَتُوبَا إِلَى ٱللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِيرٌ (٥) عَسَىٰ رَبُّهُ

إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً خمس آيات

القراءة

قرأ الكسائي وحده عرف بالتخفيف والباقون عرف بالتشديد واختار التخفيف ابو بكر بن عياش وهو من الحروف العشر التي قال اني ادخلتها في قراءة عاصم من قراءة على بن ابي طالب (ع) حتى استخلصت قراءته يعني قراءة علي (ع) وهي قراءة الحسن وابي عبد الرحمن السلمي وكان ابوعبد الرحمن إذا قرأ انسان بالتشديد حصبه وقرأ اهل الكوفة تظاهرا عليه خفيفة الظاء والباقون تظاهرا بالتشديد

الحجة

قال ابو علي التخفيف في عرف انه جازى عليه لا يكون إلا كذلك ولا يجوز أن يكون بمعنى العلم لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا اظهره الله على ما كان اسره اليه علم ذلك ولم يجز أن يعلم من ذلك بعضه مع اظهار الله اياه عليه ولكن يعلم جميعه وهذا كما تقول لمن يسيء او يحسن انا اعرف لأهل الإساءة اي لا يخفى علي ذلك ولا مقابلته مما يكون وفقا له فالمعنى جازى علي بعض ذلك واعرض عن بعض ومثله وما تفعلوا من خير يعلمه الله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره أي يرى جزاءه وقوله يرى من رؤية العين وكان مما جازى عليه تطليقه حفصة تطليقة واحدة واما عرف بالتشديد فمعناه عرف بعضه واعرض عن بعض فلم يعرفه اياه على وجه التكرم والإغضاء واما تظاهر فالأصل فيه وان تتظاهرا بتائين فخفف في القراءة الأولى بالحذف وفي القراءة الآخرة بالإدغام

اللغة

الحرام القبيح الممنوع منه بالنهي ونقيضه الحلال وهو الحسن المطلق بالإذن فيه والتحريم تبيين أن الشيء حرام لا يجوز والتحريم ايجاب المنع والابتغاء الطلب ومنه البغي طلب الاستعلاء بغير الحق والتحلة والتحليل بمعنى وهما مصدران لقولهم حللت له كذا وتحلة اليمين فعل ما يسقط التبعة فيه واليمين واحد الأيمان وهو الحلف وكأنه مأخوذ من القوة لأنه يقوي كلامه بالحلف وقيل انه مأخوذ من الجارحة لأن عادتهم كانت عند الحلف ضرب الأيدي على الأيدي والإسرار القاء المعنى الى نفس المحدث على وجه الإخفاء عن غيره والتظاهر التعاون والظهير المعين واصله من الظهر والسائح الجاري والعرب تصف بذلك الماء الجاري الدائم الجرية ثم تصف به الرجل الذي يضرب في الأرض ويقطع البلاد فتقول سائح وسياح والثيب الراجعة من عند الزوج بعد الاقتضاض من ثاب يثوب إذا رجع والبكر هي التي على اول حالها قبل الاقتضاض

الإعراب

قيل في جمع القلوب في قوله صغت قلوبكما وجوه ✻ احدها ✻ أن التثنية جمع في المعنى فوضع الجمع موضع التثنية كما قال وكنا لحكمهم شاهدين وإنما هو داود وسليمان ✻ والثاني ✻ أن اكثر ما في الانسان اثنان اثنان نحو اليدين والرجلين والعينين وإذا جمع اثنان الى اثنين صار جمعا فيقال ايديهما واعينهما ثم

حل ما كان في الانسان واحدا على ذلك لئلا يختلف حكم لفظ اعضاء الانسان ✽ والثالث ✽ ان المضاف اليه مثنى فكرهوا أن يجمعوا بين تثنيتين فصرفوا الاول منهما الى لفظ الجمع لأن لفظ الجمع اخف لأنه اشبه بالواحد فانه يعرب باعراب الواحد ويستأنف كما يستأنف الواحد وليست التثنية كذلك لأنها لا تكون الا على حد واحد ولا يختلف ومن العرب من يثني فيقول قلباهما قال الراجز فجمع بين اللغتين «ظهراهما مثل ظهور الترسين» وقال الفرزدق

بما في فؤادينا من البث والهوى　　　فيبرء منهاض الفؤاد المشغف

ومن العرب من يفرد ويروى أن بعضهم قرأ فبدت لهما سوءتهما والوجه في الافراد أن الاضافة الى التثنية تغني عن تثنية المضاف وفي جبريل اربع لغات جبريل على وزن قنديل وجبرئيل على وزن عندليب وجبرئل على وزن جحمرش وجبريل بفتح الجيم وكسر الراء من غير همز وهو خارج عن اوزان العرب لأنه ليس في العربية مثل قنديل وقد قرئ بذلك كله وقد ذكرنا اختلاف القراء فيه في سورة البقرة ومن العرب من يقول يقول جبرال بتشديد اللام ومنهم من يبدل من اللام نونا وقوله هو مولاه يجوز في هو وجهان ✽احدهما✽ أن يكون فصلا دخل ليفصل بين النعت والخبر والكوفيون يسمونه عمادا ✽ والثاني ✽ أن يكون مبتدأ ومولاه الخبر والجملة خبر إن ومن جعل مولاه بمعنى السيد والخالق كان الوقف على قوله مولاه وجبريل مبتدأ وصالح المؤمنين عطف عليه والملائكة عطف ايضا وظهير خبره وجاز ذلك لأن فعيلا يقع على الواحد والجمع كفعول قال سبحانه خلصوا نجيا فظهير كنجي وقال فإنهم عدو لي ومن جعل مولاه بمعنى ولي وناصر جاز أن يكون الوقف على قوله وجبريل وعلى صالح المؤمنين ويبتدئ والملائكة بعد ذلك ظهير فيكون ظهير عائدا الى الملائكة

✽ النزول ✽

اختلف اقوال المفسرين في سبب نزول الآيات فقيل ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا صلى الغداة يدخل على ازواجه امرأة امرأة وكان قد اهديت لحفصة بنت عمر بن الخطاب عكة من عسل فكانت إذا دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حبسته وسقته منها وان عائشة انكرت احتباسه عندها فقالت لجويرية حبشية عندها اذا دخل رسول صلى الله عليه وآله وسلم على حفصة فادخلي عليها فانظري ماذا تصنع فاخبرتها الخبر وشأن العسل فغارت عائشة وارسلت الى صواحبها فاخبرتهن وقالت إذا دخل عليكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلن انا نجد منك ريح المغافير وهو صمغ العرفط كريه الرائحة وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكره ويشق عليه أن يوجد منه ريح غير طيبة لأنه يأتيه الملك قال فدخل رسول الله على سودة قالت فما اردت أن أقول ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم اني فرقت من عائشة فقلت يا رسول الله ما هذه الريح التي اجدها منك اكلت المغافير فقال لا ولكن حفصة سقتني عسلا ثم دخل على امرأة امرأة وهن يقلن له ذلك فدخل على عائشة فأخذت بأنفها فقال لها ما شأنك قالت اجد ريح المغافير اكلتها يا رسول الله قال لا بل سقتني حفصة عسلا فقالت جرشت إذاً نحلها العرفط فقال والله لا اطعمه ابدا فحرمه على نفسه وقيل ان التي كانت تسقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العسل ام سلمة عن عطاء بن ابي مسلم وقيل بل كانت زينب بنت جحش قالت عائشة ان رسول صلى الله عليه وآله وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواطأت انا وحفصة أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلتقل اني اجد منك ريح المغافير اكلت مغافير فدخل على احداهما فقالت له ذلك فقال لا بل شربت عسلا عند زينب بنت

جحش ولن اعود اليه فنزلت الآيات وقيل ان رسول الله ﷺ قسم الأيام بين نسائه فلما كان يوم حفصة قالت يا رسول الله ان لي الى ابي حاجة فأذن لي ان ازوره فأذن لها فلما خرجت ارسل رسول الله ﷺ الى جاريته مارية القبطية وكان قد اهداها له المقوقس فادخلها بيت حفصة فوقع عليها فأتت حفصة فوجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله ﷺ ووجهه يقطر عرقا فقالت حفصة إنما أذنت لي من اجل هذا ادخلت امتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي وعلى فراشي اما مارأيت لي حرمة وحقا فقال ﷺ اليس هي جاريتي قد احل الله ذلك لي اسكتي فهو حرام علي التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن وهو عندك امانة فلما خرج رسول الله ﷺ قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشرك أن رسول الله قد حرم عليه امته مارية وقد اراحنا الله منها واخبرت عائشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر ازواجه فنزلت يا ايها النبي لم تحرم فطلق حفصة واعتزل سائر نسائه تسعة وعشرين يوما وقعد في مشربة ام ابراهيم مارية حتى نزلت آية التخيير عن قتادة والشعبي ومسروق وقيل إن النبي ﷺ خلا في يوم لعائشة مع جاريته ام ابراهيم مارية القبطية فوقفت حفصة على ذلك فقال لها رسول الله ﷺ لا تعلمي عائشة ذلك وحرم مارية على نفسه فاعلمت حفصة عائشة الخبر واستكتمتها اياه فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك وهو قوله واذ أسر النبي الى بعض ازواجه حديثا يعني حفصة عن الزجاج قال ولما حرم مارية القبطية اخبر حفصة انه يملك من بعده ابو بكر ثم عمر فعرفها بعض ما افشت من الخبر واعرض عن بعض أن ابا بكر وعمر يملكان بعدي وقريب من ذلك ما رواه العياشي بالإسناد عن عبد الله بن عطاء المكي عن ابي جعفر (ع) إلا انه زاد في ذلك أن كل واحدة منهما حدثت اباها بذلك فعاتبهما رسول الله في أمر مارية وما افشتا عليه من ذلك واعرض عن ان يعاتبهما في الأمر الآخر

❋ المعنى ❋

(يا أيها النبي) ناداه سبحانه بهذا النداء تشريفا له وتعليما لعباده كيف يخاطبونه في اثناء محاوراتهم ويذكرونه في خلال كلامهم (لم تحرم ما احل الله لك) من الملاذ (تبتغي مرضات ازواجك) اي تطلب به رضاء نسائك وهن احق بطلب مرضاتك منك وليس في هذا دلالة على وقوع ذنب منه صغير او كبير لأن تحريم الرجل بعض نسائه او بعض الملاذ لسبب او لغير سبب ليس بقبيح ولا داخلا في جملة الذنوب ولا يمتنع أن يكون خرج هذا القول مخرج التوجع له ﷺ اذا بالغ في ارضاء ازواجه وتحمل في ذلك المشقة ولو ان انسانا أرضى بعض نسائه بتطليق بعضهن لجاز ان يقال له لم فعلت ذلك وتحملت فيه المشقة وان كان لم يفعل قبيحا ولو قلنا انه عوتب على ذلك لأن ترك التحريم كان افضل من فعله لم يمتنع لأنه يحسن أن يقال لتارك النفل لم لم تفعله ولم عدلت عنه ولأن تطييب قلوب النساء مما لا تنكره العقول وقد حكي ان عبدالله بن رواحة وكان من النقباء كانت له جارية فاتهمته زوجته ليلة فقال قولا بالتعريض فقالت ان كنت لم تقربها فاقرأ القرآن قال فأنشدت

شهدت فلم اكذب بأن محمدا رسول الذي فوق السموات من عل
وان ابا يحيى ويحيى كلاهما له عمل في دينه متقبل
وإن التي بالجزع من بطن نخلة ومن دانها فل عن الخير معزل

فقالت زدني فأنشدت

وفينا رسول الله يتلو كتابه   كما لاح معروف مع الصبح ساطع

اتى بالهدى بعد العمى فنفوسنا   بـه موقنات ان ما قال واقع

يبيت يجافي جنبه عن فراشه   إذا رقدت بالكافرين المضاجع

فقالت زدني فانشدت

شهدت بأن وعد الله حق   وأن النار مثوى الكافرينا

وأن محمدا يدعو بحق   وأن الله مولى المؤمنينا

فقالت أما إذ قرأت القرآن فقد صدقتك فأخبرت به رسول الله ﷺ فقال بعد أن تبسم خيركم خيركم لنسائه واختلف العلماء فيمن قال لامرأته أنت عليّ حرام فقال مالك هو ثلاث تطليقات وقال أبو حنيفة إن نوى به الظهار فهو ظهار وإن نوى الإيلاء فهو ايلاء وإن نوى الطلاق فهو طلاق بائن وإن نوى ثلاثا كان ثلاثا وإن نوى اثنتين فواحدة بائنة وإن لم يكن له نية فهو يمين قال الشافعي إن نوى الطلاق كان طلاقا والظهار كان ظهارا وإن لم يكن له نية فهو يمين وروي عن ابن مسعود وابن عباس وعطا أنه يمين وقال أصحابنا انه لا يلزم به شيء ووجوده كعدمه وهو قول مسروق وإنما أوجب الله فيه الكفارة لأن النبي ﷺ كان حلف أن لا يقرب جاريته ولا يشرب الشراب المذكور فأوجب الله عليه أن يكفر عن يمينه ويعود إلى استباحة ما كان حرمه وبين أن التحريم لا يحصل إلا بأمر الله ونهيه ولا يصير الشيء حراما بتحريم من يحرمه على نفسه إلا إذا حلف على تركه (والله غفور) لعباده (رحيم) بهم اذا رجعوا إلى ما هو الأولى والاليق بالتقوى يرجع لهم إلى التولي (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أي قد قدر الله تعالى لكم ما تحللون به ايمانكم إذا فعلتموها وشرع لكم الحنث فيها لأن اليمين ينحل بالحنث فسمي ذلك تحلة وقيل معناه قد بين الله لكم كفارة أيمانكم في سورة المائدة عن مقاتل قال امر الله نبيه أن يكفر يمينه ويراجع وليدته فاعتق رقبة وعاد إلى مارية وقيل معناه فرض الله عليكم كفارة أيمانكم كما قال وإن أسأتم فلها أي فعليها فسمى الكفارة تحلة لأنها تجب عند انحلال اليمين وفي هذا دلالة على انه قد حلف ولم يقتصر على قوله هي عليّ حرام لأن هذا القول ليس بيمين (والله) هو (موليكم) اي وليكم يحفظكم وينصركم وهو أولى بكم وأولى بأن تبتغوا رضاه (وهو العليم) بمصالحكم (الحكيم) في أوامره ونواهيه لكم وقيل هو العليم بما قالت حفصة لعائشة الحكيم في تدبيره (وإذ أسر النبي إلى بعض ازواجه) وهي حفصة (حديثا) أي كلاما امرها بإخفائه فالإسرار نقيض الإعلان (فلما نبأت) اي اخبرت غيرها بما خبرها (به) فأفشت سره (وأظهره الله عليه) اي واطلع الله نبيه ﷺ على مـا جرى من افشاء سره (عرف بعضه وأعرض عن بعض) اي عرف النبي ﷺ حفصة بعض ما ذكرت واخبرها ببعض ما ذكرت واعرض عن بعض ما ذكرت وعن بعض ماجرى من الامر فلم يخبرها وكان ﷺ قد علم جميع ذلك لأن الإعراض إنما يكون بعد المعرفة لكنه اخذ بمكارم الأخلاق والتغافل من خلق الكرام قال الحسن ما استقصى كريم قط واما عرف بالتخفيف فمعناه غضب عليها وجازاها بأن طلقها تطليقة ثم راجعها بأمر الله وقيل جازاها بأن هم بطلاقها (فلما نبأها به) اي فلما اخبر رسول الله ﷺ حفصة بما اظهره الله عليه (قالت) حفصة

(من أنبأك هذا) اي من اخبرك بهذا (قال) رسول الله ﷺ (نبأني العليم) بجميع الامور (الخبير) بسرائر الصدور ثم خاطب سبحانه عائشة وحفصة فقال (إن تتوبا الى الله) من التعاون على النبي ﷺ بالايذاء والتظاهر عليه فقد حق عليكما التوبة ووجب عليكما الرجوع الى الحق (فقد صغت) اي مالت (قلوبكما) الى الاثم عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه ضاقت قلوبكما عن سبيل الاستقامة وعدلت عن الثواب الى ما يوجب الاثم وقيل تقديره إن تتوبا الى الله يقبل توبتكما وقيل انه شرط في معنى الأمر أي توبا الى الله فقد صغت قلوبكما (وان تظاهرا عليه) اي وان تتعاونا على النبي ﷺ بالايذاء عن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ قال عائشة وحفصة اورده البخاري في الصحيح (فإن الله هو مولاه) الذي يتولى حفظه وحياطته ونصرته (وجبريل) ايضا معين له وناصر يحفظه (وصالح المؤمنين) يعني خيار المؤمنين عن الضحاك وقيل يعني الأنبياء عن قتادة وقال الزجاج صالح هنا ينوب عن الجميع كما تقول يفعل هذا الخير من الناس تريد كل خير قال ابو مسلم هو صالحو المؤمنين على الجمع وسقطت الواو في المصحف لسقوطها في اللفظ ووردت الرواية من طريق الخاص والعام أن المراد بصالح المؤمنين امير المؤمنين علي (ع) وهو قول مجاهد وفي كتاب شواهد التنزيل بالاسناد عن سدير الصيرفي عن ابي جعفر (ع) قال لقد عرَّف رسول الله ﷺ عليا (ع) اصحابه مرتين اما مرة فحيث قال من كنت مولاه فعلي مولاه واما الثانية فحيث نزلت هذه الآية فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين الآية اخذ رسول الله ﷺ بيد علي (ع) فقال ايها الناس هذا صالح المؤمنين وقالت اسماء بنت عميس سمعت أن النبي ﷺ يقول وصالح المؤمنين علي ابن ابي طالب (ع) (والملائكة بعد ذلك) اي بعد الله وجبريل وصالح المؤمنين عن مقاتل (ظهير) اي اعوان للنبي ﷺ وهذا من الواحد الذي يؤدي معنى الجمع كقوله وحسن اولئك رفيقا (عسى ربه) اي واجب من الله ربه (إن طلقكن) يامعشر ازواج النبي (ان يبدله ازواجا خيراً منكن اي اصلح له منكن ثم نعت تلك الازواج اللائي كان يبدله بهن لو طلق نساءه فقال (مسلمات) اي مستسلمات لما امر الله به (مؤمنات) اي مصدقات لله ورسوله مستحقات للثواب والتعظيم وقيل مصدقات في افعالهن واقوالهن (قانتات) اي مطيعات لله تعالى ولأزواجهن وقيل خاضعات متذللات لأمر الله تعالى وقيل ساكنات عن الخنا والفضول عن قتادة (تائبات) عن الذنوب وقيل راجعات الى امر الرسول تاركات لمحاب انفسهن وقيل نادمات على تقصير وقع منهن (عابدات) لله تعالى بما تعبدهن به من الفرائض والسنن على الاخلاص وقيل متذللات للرسول بالطاعة (سائحات) اي ماضيات في طاعة الله تعالى وقيل صائمات عن ابن عباس وقتادة والضحاك وقيل مهاجرات عن ابن زيد وابيه زيد بن اسلم والجبائي وإنما قيل للصائم سائح لأنه يستمر في الإمساك عن الطعام كما يستمر السائح في الأرض (ثيبات) وهن الراجعات من عند الأزواج بعد اقتضاضهن (وابكارا) اي عذارى لم يكن لهن ازواج

قوله تعالى (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ

(٧) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَعْتَذِرُوا ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى ٱللّٰهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلأَنْهَارُ يَوْمَ لاَ يُخْزِي ٱللّٰهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩) يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَاهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (١٠) ضَرَبَ ٱللّٰهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللّٰهِ شَيْئاً وَقِيلَ ٱدْخُلاَ ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّاخِلِينَ (١١) وَضَرَبَ ٱللّٰهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّالِمِينَ (١٢) وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَانَ ٱلَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَانِتِينَ سبع آيات

القراءة

قرأ حماد ويحيى عن ابي بكر نصوحا بضم النون والباقون بفتح النون وقرأ اهل البصرة وحفص وكتبه بضم الكاف والتاء على الجمع والباقون وكتابه على الواحد

الحجة

قال ابو علي يشبه أن يكون النصوح بالضم مصدرا وذلك ان ذا الرمة قال « احبك حبا خالطته نصاحة » فالنصاحة على فعالة وما كان على فعال من المصادر فقد يكون منه الفعول نحو الذهاب والذهوب ويكون قد وصف بالمصدر نحو عدل ورضا قال ابو الحسن نصحته في معنى صدقته وتوبة نصوح اي صادقة والفتح كلام العرب ولا اعرف الضم وحجة من قال وكتبه انه في موضع جمع الا ترى انها قد صدقت بجميع كتب الله تعالى ومن قال وكتابه اراد الكثرة والشياع وقد يجيء ذلك في الاسماء المضافة كما يجيء في الاسماء المفردة كما قال وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها

الاعراب

والذين آمنوا معه مبتدأ نورهم مبتدأ ثاني ويسعى بين ايديهم في موضع الخبر والجملة خبر المبتدأ الأول وقوله امرأة فرعون تقديره مثل امرأة فرعون فحذف المضاف وهو بدل من قوله مثلا

المعنى

لما أدب سبحانه نساء النبي ﷺ امر عقيبه المؤمنين بتأديب نسائهم فقال مخاطبا لهم (يا ايها الذين آمنوا قوا) اي احفظوا واحرسوا وامنعوا (انفسكم واهليكم نارا) والمعنى قوا انفسكم واهليكم النار بالصبر

على طاعة الله وعن معصيته وعن اتباع الشهوات وقوا اهليكم النار بدعائهم الى الطاعة وتعليمهم الفرائض ونهيهم عن القبائح وحثهم على افعال الخير وقال مقاتل بن حيان وهو أن يؤدب الرجل المسلم نفسه واهله ويعلمهم الخير وينهاهم عن الشر فذلك حق على المسلم أن يفعل بنفسه واهله وعبيده وامائه في تأديبهم وتعليمهم ثم وصف سبحانه النار التي حذرهم منها فقال (وقودها الناس والحجارة) اي حطب تلك النار الناس وحجارة الكبريت وهي تزيد في قوة النار وقد مر تفسيره (عليها ملآئكة غلاظ شداد) اي غلاظ القلوب لا يرحمون اهل النار اقوياء يعني الزبانية التسعة عشر واعوانهم (لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون) وفي هذا دلالة على ان الملآئكة الموكلين بالنار معصومون عن القبائح لا يخالفون الله في اوامره ونواهيه وقال الجبائي إنما عنى انهم لا يعصونه ويفعلون ما يأمرهم به في دار الدنيا لأن الآخرة ليست بدار تكليف وإنما هي دار جزاء وإنما امرهم الله تعالى بتعذيب اهل النار على وجه الثواب لهم بأن جعل سرورهم ولذاتهم في تعذيب اهل النار كما جعل سرور المؤمنين ولذاتهم في الجنة ثم حكى سبحانه ما يقال للكفار يوم القيامة فقال (يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) وذلك انهم اذا عذبوا يأخذون في الاعتذار فلا يلتفت الى معاذيرهم ويقال لهم لا تعتذروا اليوم فهذا جزاء فعلكم وذلك قوله (إنما تجزون ما كنتم تعملون) ثم عاد سبحانه الى خطاب المؤمنين في دار التكليف فقال (يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله) من معاصيه وارجعوا الى طاعته (توبة نصوحا) اي خالصة لوجه الله وروى عكرمة عن ابن عباس قال قال معاذ بن جبل يا رسول الله ما التوبة النصوح قال أن يتوب التائب ثم لا يرجع في ذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال ابن مسعود التوبة النصوح هي التي تكفر كل سيئة وهو في القرآن ثم تلا هذه الآية وقيل ان التوبة النصوح هي التي يناصح الانسان فيها نفسه باخلاص الندم مع العزم على أن لا يعود الى مثله في القبح وقيل هي ان يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود فيه عن الحسن وقيل هي الصادقة الناصحة عن قتادة وقيل هي أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن عن الكلبي وقيل هي التوبة المقبولة ولا تقبل ما لم يكن فيها ثلاث خوف أن لا تقبل ورجاء أن تقبل وادمان الطاعة عن سعيد بن جبير وقيل هي أن يكون الذنب نصب عينيه ولا يزال كأنه ينظر اليه وقيل هي من النصح وهو الخياطة لأن العصيان يخرق الدين والتوبة ترقعه وقيل لأنها جمعت بينه وبين اولياء الله كما جمع الخياط الثوب والصق بعضه ببعض وقيل لأنها احكمت طاعته واوثقتها كما احكم الخياط الثوب واوثقه (عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار) اي يحطها عنكم ويدخلكم الجنة وعسى من الله واجب ثم قال (يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه) اي لا يعذبهم الله بدخول النار ولا يذلهم بذلك بل يعزهم بإدخالهم الجنة وقيل لا يخزي الله النبي اي لا يشوره فيما يريده من الشفاعة بل يشفعه في ذلك (نورهم يسعى بين ايديهم وبأيمانهم) مفسر في سورة الحديد وقال ابو عبد الله (ع) يسعى أئمة المؤمنين يوم القيامة بين ايديهم وبأيمانهم حتى ينزلوهم منازلهم في الجنة (يقولون ربنا) وهو في موضع نصب على الحال تقديره قائلين ربنا (اتمم لنا نورنا) وقيل ان قوله والذين آمنوا معه مبتدأ ونورهم يسعى خبره ويقولون اتمم لنا نورنا خبر آخر من الذين آمنوا وحال منهم وفيه وجه آخر ذكرناه في الاعراب وقيل اتمم لنا نورنا معناه وفقنا للطاعة التي هي سبب النور (واغفر لنا) اي استر علينا معاصينا

ولا تهلكنا بها (إنك على كل شيء قدير) من اطفاء نور المنافقين واثبات نور المؤمنين ثم خاطب سبحانه النبي ﷺ فقال (يا أيها النبي جاهد الكفار) بالقتال والحرب (والمنافقين) بالقول الرادع عن القبيح لا بالحرب إلا أن فيه بذل المجهود فلذلك سماه جهادا وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قرأ جاهد الكفار بالمنافقين وقال ان رسول الله ﷺ لم يقاتل منافقا قط إنما كان يتألفهم (واغلظ عليهم) أي اشدد عليهم من غير محاباة وقيل اشدد عليهم في اقامة الحد عليهم قال الحسن اكثر من يصيب الحدود في ذلك الزمان المنافقون فأمر الله تعالى أن يغلظ عليهم في اقامة الحد (ومأويهم) اي مآل الكفار والمنافقين (جهنم وبئس المصير) اي المآل والمستقر ثم ضرب الله المثل لأزواج النبي حثا لهن على الطاعة وبيانا لهن ان مصاحبة الرسول مع مخالفته لا تنفعهن فقال (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا) اي نبيين من انبيائنا (صالحين فخانتاهما) قال ابن عباس كانت امرأة نوح كافرة تقول للناس انه مجنون وإذا آمن بنوح احد اخبرت الجبابرة من قوم نوح به و كانت امرأة لوط تدل على اضيافه فكان ذلك خيانتهما وما بغت امرأة نبي قط وإنما كانت خيانتهما في الدين وقال السدي كانت خيانتهما انهما كانتا كافرتين وقيل كانتا منافقتين وقال الضحاك خيانتهما النميمة اذا اوحى الله اليهما افشتاه الى المشركين (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) اي ولم يغن نوح ولوط مع نبوتها عن امرأتيهما من عذاب الله شيئا (وقيل) اي ويقال لهما يوم القيامة (ادخلا النار مع الداخلين) وقيل ان اسم امرأة نوح واغلة واسم امرأة لوط واهلة وقال مقاتل والغة ووالهة (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون) وهي آسية بنت مزاحم قيل انها لما عاينت المعجز من عصى موسى وغلبته السحرة اسلمت فلما ظهر لفرعون ايمانها نهاها فأبت فاوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس ثم أمر أن يلقى عليها صخرة عظيمة فلما قرب أجلها (قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة) فرفعها الله تعالى الى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب عن الحسن وابن كيسان وقيل انها ابصرت بيتا في الجنة من درة وانتزع الله روحها فالقيت الصخرة على جسدها وليس فيه روح فلم تجد ألما من عذاب فرعون وقيل انها كانت تعذب بالشمس واذا انصرفوا عنها اظلتها الملائكة وجعلت ترى بيتها في الجنة عن سلمان (ونجني من فرعون وعمله) اي دينه وقيل وجماعة عن ابن عباس (ونجني من القوم الظالمين) من اهل مصر قالوا قطع الله بهذه الآية طمع من ركب المعصية ورجاء أن ينفعه صلاح غيره واخبر ان معصية الغير لا تضر من كان مطيعا قال مقاتل يقول الله سبحانه لعائشة وحفصة لا تكونا بمنزلة امرأة نوح وامرأة لوط في المعصية وكونا بمنزلة امرأة فرعون ومريم وهو قوله (ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها) اي منعت فرجها من دنس المعصية وعفت عن الحرام وقيل معناه منعت فرجها من الازواج لم تبغ زوجا ولا غيره (فنفخنا فيه من روحنا) اي فنفخ جبرائيل بامرنا في جيبها من روحنا عن قتادة وقال الفراء كل شق فهو فرج واحصنت فرجها منعت جيب درعها من جبرائيل وقيل نفخ جبرائيل في فرجها وخلق الله منه المسيح وهو الظاهر ولذلك ذكره وقال في سورة الانبياء فيها وعاد الضمير الى التي احصنت فرجها وقيل معناه خلقنا المسيح في بطنها ونفخنا فيه الروح حتى صار حيا فالضمير في فيه يعود الى المسيح (وصدقت بكلمات ربها) اي بما تكلم الله تعالى واوحاه الى انبيائه وملائكته وقيل صدقت بوعد الله ووعيده وأمره ونهيه (وكتبه) اي وصدقت بكتب الله المنزلة على انبيائه مثل التوراة والانجيل ومن وحد فالمراد به الانجيل (وكانت من

القانتين) اي المطيعين لله سبحانه والدائمين على طاعته ويجوز ان يكون من القنوت في الصلاة ويجوز ان يريد بالقانتين رهطها وعشيرتها الذين كانت مريم منهم وكانو اهل بيت صلاح وطاعة ولم يقل من القانتات لتغليب المذكر على المؤنث وجاءت الرواية عن معاذ بن جبل قال دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على خديجة وهي تجود بنفسها فقال اكره ما نزل بك يا خديجة وقد جعل الله في الكره خيرا كثيرا فإذا قدمت على ضراتك فاقرأيهن مني السلام قالت يا رسول الله ومن هن قال مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وحليمة او كليمة اخت موسى شك الراوي فقالت بالرفاء والبنين وعن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم

سورة الملك

وتسمى سورة المنجية لأنها تنجي صاحبها من عذاب القبر وقد ورد به الخبر وتسمى الواقية لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انها الواقية من عذاب القبر وهي مكية

❋ عدد آيها ❋

احدى وثلاثون آية مكي والمدني الأخير وثلاثون آية في الباقين

❋ اختلافها ❋

آية واحدة قد جاءنا نذير مكي والمدني الأخير

❋ فضلها ❋

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأ سورة تبارك فكأنما احيا ليلة القدر وعن ابن عباس قال قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم وددت أن تبارك الملك في قلب كل مؤمن وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان سورة من كتاب الله ما هي الا ثلاثون آية شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة من النار وادخلته الجنة وهي سورة تبارك وعن ابن مسعود قال اذا وضع الميت في قبره يؤتى من قبل رجليه فيقال له ليس لكم عليه سبيل لأنه قد كان يقوم بسورة الملك ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل لأنه كان يقرأ بي سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب القبر وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد اكثر واطيب وروى الحسن بن محبوب عن جميل بن صالح عن سدير الصيرفي عن ابي جعفر (ع) قال سورة الملك هي المانعة تمنع من عذاب القبر وهي مكتوبة في التوراة سورة الملك ومن قرأها في ليلة فقد اكثر واطاب ولم يكتب من الغافلين واني لأركع بها بعد العشاء الآخرة وانا جالس وان الذي كان يقرأها

في حياته في يومه وليلته اذا دخل عليه في قبره ناكر ونكير من قبل رجليه قالت رجلاه لهما ليس لكما الى ماقبلي سبيل قد كان هذا العبد يقوم علي فيقرأ سورة الملك في كل يوم وليلة فاذا اتياه من قبل جوفه قال لهما ليس لكما الى ما قبلي سبيل كان هذا العبد وقد وعى سورة الملك واذا اتياه من قبل لسانه قال لهما ليس لكما الى ما قبلي سبيل قد كان هذا العبد يقرأ في كل يوم وليلة سورة الملك . ابو بصير عن ابي عبد الله(ع) قال من قرأ سورة تبارك الذي بيده الملك في المكتوبة قبل أن ينام لم يزل في امان الله حتى يصبح وفي امانه يوم القيامة حتى يدخل الجنة ان شاء الله

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه تلك السورة بأن الوصلة لا تنفع الا بالطاعة وأصل الطاعة المعرفة والتصديق بالكلمات الالهية افتتح هذه السورة بدلائل المعرفة وآيات الربوبية فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٣) الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ (٤) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٥) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ خمس آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة والكسائي من تفوت بتشديد الواو من غير الف وهي قراءة الأعمش والباقون تفاوت بالالف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو الحسن تفاوت اجود لأنهم يقولون تفاوت الأمر ولا يكادون يقولون تفوت الأمر قال وهي اظن لغة قال سيبويه قد يكون فاعل وفعل بمعنى نحو ضاعف وضعف وتفاعل مطاوع فاعل كما أن تفعل مطاوع فعل فعلى هذا القياس يكون تفاعل وتفعل بمعنى وتفاوت وتفوت بمعنى

﴿ اللغة ﴾

تبارك اصله من البرك وهو ثبوت الطائر على الماء والبركة ثبوت الخير بنمائه وقوله طباقاً مصدر طوبقت طباقاً فهي مطبق بعضها على بعض عن الزجاج وقيل هو جمع طبق مثل جمل وجمال والتفاوت الاختلاف والاضطراب والفطور الشقوق والصدوع من الفطر وهو الشق الخاسئ الذليل الصاغر وقيل هو البعيد مما يريده منه وقيل للكلب اخسأ والحسير من الإبل المعيي الذي لا فضل فيه للسير قال

بهاجيف الحسرى فأما عظامها فبيض واما جلدها فصليب

والسعير النار المسعرة واعتدنا اصله اعددنا اي هيأنا فابدلت الدال تاء

﴿ الاعراب ﴾

الذي خلق بدل من الذي بيده الملك ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف فعلى هذا الوجه يجوز الوقف على ما قبله وعلى الوجه الأول لا يجوز وقوله أيكم احسن عملا تعليق لأن التقدير ليبلوكم فيعلم ايكم احسن عملا وارتفع اي بالابتداء وإنما لم يعمل فيه ما قبله لأنه على اصل الاستفهام وطباقا نصب على الحال اذا اردنا في سموات معنى الالف واللام وان جعلناهانكرة كان طباقا صفتها وقوله كرتين منصوب على المصدر اي رجعتين

﴿ المعنى ﴾

اخبر سبحانه عن عظمته وعلو شأنه وكمال قدرته فقال (تبارك) اي تعالى وجل عما لا يجوز عليه في ذاته وافعاله عن ابي مسلم وقيل معناه تعالى بأنه الثابت الذي لم يزل ولا يزال وقيل معناه تعاظم بالحق من ثبوت الاشياء به اذ لولاه لبطل كل شيء لأنه لا يصح سواه شيء الا وهو مقدوره او مقدور مقدوره الذي هو القدرة وقيل معناه تعالى من جميع البركات منه الا ان هذا المعنى مضمر في الصفة غير مصرح به وإنما المصرح به بأنه تعالى باستحقاق التعظيم (الذي بيده الملك) والملك هو اتساع المقدور لمن له السياسة والتدبير ومعناه الذي هو المالك وله الملك يؤتيه من يشاء ويتصرف فيه كما يشاء وإنما ذكر اليد تأكيدا ولأن اكثر التصرفات والعطايا باليد (وهو على كل شيء قدير) من انعام وانتقام وقيل انه معناه قادر على كل شيء يصح أن يكون مقدورا له وهو اخص من قولنا وهو بكل شيء عليم لأنه لا شيء إلا ويجب أن يعلمه اذ لا شيء الا ويصح أن يكون معلوما في نفسه ولا يوصف سبحانه بكونه قادرا على مالا يصح أن يكون مقدورا في نفسه مثل ماتقضى وقته مما لا يبقى ثم وصف سبحانه نفسه فقال (الذي خلق الموت والحياة) اي خلق الموت للتعبد بالصبر عليه والحياة للتعبد بالشكر عليها وقيل خلق الموت للاعتبار والحياة للتزود وقيل انما قدم ذكر الموت على الحياة لأنه الى القهر اقرب كما قدم البنات على البنين في قوله يهب لمن يشاء اناثا الآية وقيل إنما قدمه لأنه اقدم فإن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الأموات كالنطفة والتراب ثم اعترضت الحياة (ليبلوكم ايكم احسن عملا) اي ليعاملكم معاملة المختبر بالأمر والنهي فيجازي كل عامل بقدر عمله وقيل ليبلوكم ايكم اكثر للموت ذكرا واحسن له استعدادا واحسن صبرا على موته وموت غيره وايكم اكثر امتثالا للأوامر واجتنابا عن النواهي في حال حياته قال ابو قتادة سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن قوله تعالى أيكم احسن عملا ماعنى به فقال يقول أيكم احسن عقلا ثم قال اتمكم عقلا واشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر الله به ونهى عنه نظرا وان كان اقلكم تطوعا وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه تلا قوله تعالى تبارك الذي بيده الملك الى قوله ايكم احسن عملا ثم قال ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله وعن الحسن أيكم ازهد في الدنيا واترك لها (وهو العزيز) في انتقامه ممن عصاه (الغفور) لمن تاب اليه او لمن اراد التفضل عليه باسقاط عقابه والتكليف انما يصح بالترغيب والترهيب لأن معناه تحمل المشقة في الأمر والنهي ثم عاد سبحانه الى وصف نفسه فقال (الذي خلق سبع سموات) اي أنشأهن واخترعهن (طباقا) واحدة فوق الاخرى وقيل اراد بالمطابقة المشابهة اي يشبه بعضها بعضا في الإتقان والإحكام والاتساق والانتظام (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) اي اختلاف وتناقض من طريق الحكمة

بل ترى افعاله كلها سواء في الحكمة وإن كانت متفاوتة في الصور والهيئات يعني في خلق الأشياء على العموم وفي هذا دلالة على ان الكفر والمعاصي لا يكون من خلق الله تعالى لكثره التفاوت في ذلك وقيل معناه ما ترى يا ابن آدم في خلق السموات من عيب واعوجاج بل هي مستقيمة مستوية كلها مع عظمها (فارجع البصر) اي فرد البصر وأدره في خلق الله واستقص في النظر مرة بعد اخرى والتقدير انظر ثم ارجع النظر في السماء (هل ترى من فطور) اي شقوق وفتوق عن سفيان وقيل من وهن وخلل عن ابن عباس وقتادة (ثم ارجع البصر كرتين) اي ثم كرر النظر مرتين لأن من نظر في الشيء كرة بعد اخرى بان له ما لم يكن بائنا وقيل معناه ادم النظر والتقدير ارجع البصر مرة بعد اخرى ولا يريد حقيقة التثنية لقوله وهو حسير ولا يصير حسيرا بمرتين ونظيره قولهم لبيك وسعديك اي البابا بعد الباب واسعادا بعد اسعاد يعني كلما دعوتني فأنا ذو اجابة بعد اجابة وذو ثبات بمكاني بعد ثبات من قولهم لب بالمكان وألب إذا ثبت واقام وهو نصب على المصدر اي اجيبك اجابة بعد اجابة (ينقلب اليك البصر خاسئا) اي يرجع اليك بصرك بعيدا عن نيل المراد ذليلا صاغرا عن ابن عباس كأنه ذل كذلة من طلب شيئا فلم يجده وابعد عنه (وهو حسير) اي كال معي عن قتادة والتحقيق أن بصر هذا الناظر بعد الاعياء يرجع اليه بعيدا عن طلبته خائبا في بغيته ثم أقسم سبحانه فقال (ولقد زينا السماء الدنيا) لأن هذه اللام هي التي يتلقى بها القسم أي حسنّا السماء الدنيا يعني التي هي ادنى إلى الأرض وهي التي يراها الناس (بمصابيح) واحدها مصباح يعني الكواكب سماها المصابيح لإضاءتها وهي السرج (وجعلناها رجوما للشياطين) الذين يسترقون السمع وقيل ينفصل من الكواكب شهب تكون رجوما للشياطين فاما الكواكب انفسها فليست تزول إلى أن يريد الله تعالى افناءها عن الجبائي (واعتدنا لهم عذاب السعير) يعني أنا جعلنا مع الكواكب رجوما للشياطين هيأنا لهم وادخرنا لأجلهم عذاب النار المسعرة المشعلة وفي هذا دلالة على أن الشياطين مكلفة

قوله تعالى (٦) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ (٧) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ (٨) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ (٩) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ (١٠) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ (١١) فَٱعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ ٱلسَّعِيرِ ست آيات

القراءة

قرأ ابو جعفر والكسائي فسحقا بضمتين والباقون بالتخفيف

الحجة

سُحُق وسُحق مثل عنق وعنق وطنب وطنب ونحو ذلك وكلاهما حسن

اللغة

الشهيق صوت تقطيع النفس كالنزع واذا اشتد لهيب النار سمع منها ذلك الصوت كأنها تطلب الوقود

قال روءبة حشرج في الجوف سحيلا أو شهق حتى يقال ناهق وما نهق

وقيل إن الشهيق في الصدر والزفير في الحلق والفور ارتفاع الشيء بالغليان يقال فارت القدر تفور ومنه الفوارة لارتفاعها بالماء ارتفاع الغليان ومنه فار الدم من الجرح وفار الماء من الأرض والسحق البعد يقال اسحقهم الله اسحاقا وسحقا اي الزمهم الله سحقا عن الخير فجاء المصدر على غير لفظه كما قال والله انبتكم من الارض نباتا وتقديره فأسحقهم اسحاقا واما سحقته سحقا فمعناه باعدته بالتفريق عن حال اجتماعه حتى صار كالغبار

المعنى

لما تقدم وعيد الشياطين الذين دعوا إلى الكفر والضلال اتبعه سبحانه بذكر الكفار الضلال فقال (والذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير) اي بئس المآل والمرجع وإنما وصف ببئس وهو من صفات الذم والعقاب حسن لما في ذلك من الضرر الذي يجب على كل عاقل ان يتقيه بغاية الجهد ولا يجوز قياسا على ذلك أن يوصف به فاعل العقاب لأنه لا يقال بئس الرجل إلا على وجه الذم ووجه الحكمة في فعل العقاب ما فيه من الزجر المتقدم للمكلف ولا يمكن أن يكون مزجورا إلا به ولولاه لكان مغرى بالقبيح (إذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا) اي اذا طرح الكفار في النار سمعوا للنار صوتا فظيعا مثل صوت القدر عند فورانها وغليانها فيعظم بسماع ذاك عذابهم لما يرد على قلوبهم من هوله (وهي تفور) أي تغلي بهم كغلي المرجل (تكاد تميز) اي تتقطع وتتفرق (من الغيظ) أي شدة الغضب سمى سبحانه شدة التهاب النار غيظا على الكفار لأن المغتاظ هو المتقطع ما يجد من الالم الباعث على الايقاع بغيره فحال جهنم كحال المتغيظ (كلما القي فيها) أي كلما طرح في النار (فوج) من الكفار (سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير) أي تقول لهم الملائكة الموكلون بالنار على وجه التبكيت لهم في صيغة الاستفهام ألم يجئكم مخوف من جهة الله سبحانه يخوفكم عذاب هذه النار (قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء) اي فيقولون في جوابهم بلى قد جاءنا مخوف فلم نصدقه وكذبناه ولم نقبل منه بل قلنا له ما نزل الله شيئا مما تدعونا اليه وتحذرنا منه فتقول لهم الملائكة (إن أنتم إلا في ضلال كبير) أي لستم اليوم إلا في عذاب عظيم وقيل معناه قلنا للرسل ما انتم إلا في ضلال أي ذهاب عن الصواب كبير في قولكم انزل الله علينا كتابا (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل) من النذر ما جاؤونا به ودعونا اليه وعملنا بذلك (ما كنا في اصحاب السعير) وقال الزجاج لو كنا نسمع سمع من يعي ويفكر ونعقل عقل من يميز وينظر ما كنا من اهل النار وفي الحديث عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن الرجل ليكون من اهل الجهاد ومن اهل الصلاة والصيام وممن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وما يجزى يوم القيامة إلا على قدر عقله وعن انس بن مالك قال اثنى قوم على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف عقل الرجل قالوا يارسول الله نخبرك عن اجتهاده في العبادة واصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال إن الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وإنما يرتفع العباد غدا في الدرجات وينالون الزلفى من ربهم على قدر عقولهم ثم قال سبحانه (فاعترفوا بذنبهم) في ذلك الوقت الذي لا ينفعهم فيه الاقرار والاعتراف والاقرار مشتق من قر الشيء يقر قرارا إذا ثبت والاعتراف مأخوذ من المعرفة والذنب مصدر لا يثنى ولا يجمع ومتى جمع فلاختلاف جنسه (فسحقا لأصحاب السعير) هذا دعاء عليهم أي أسحقهم الله وابعدهم من النجاة سحقا واذا قيل ما وجه اعترافهم بالذنب مع ما عليهم

من الفضيحة به فالجواب انهم قد علموا حصولهم علي الفضيحة اعترفوا أم لم يعترفوا فليس يدعوهم الى احد الامرين إلا مثل ما يدعوهم إلى الآخر في انه لا فرج فيه فاستوى الامران عليهم الاعتراف وترك الاعتراف والجزع وترك الجزع

قوله تعالى (١٢) إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِٱلْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٣) وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١٤) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ (١٥) هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولاً فَٱمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ (١٦) أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٧) أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي ٱلسَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ (١٨) وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (١٩) أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ (٢٠) أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ (٢١) أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ عشر آيات

القراءة

قرأ ابن كثير النشور وامنتم وقرأ أبو جعفر ونافع وابو عمرو ويعقوب بهمزة واحدة ممدودة وهو تحقيق الهمزة الاولى وتخفيف الثانية بأن تجعل بين بين وقرأ الباقون أأمنتم بهمزتين

الحجة

أما الأول فهو تخفيف الهمزة الاولى بأن جعلت واوا وهذا في المنفصل نظير قولهم في المتصل التؤدة وجون في جمع جؤنة فأما الهمزة التي هي فاء من قولهم أأمنتم بعد تخفيف الاولى بقلبها واوا فإنه يجوز فيه التحقيق والتخفيف فإن حقق كان لفظه النشور وامنتم وان خفف كان القياس ان تجعل بين بين اعني بين الألف والهمزة لتحركها بالفتحة ومن قال «لا هناك المرتع» وقلبها الفا كان القياس ان يقول هنا النشور وامنتم بقلبها الفا محضة وسيبويه يجيز هذا القلب في الشعر وغير حال السعة وكان قياس قول ابي عمرو على ما حكاه عنه سيبويه من أنه إذا اجتمع همزتان خفف الاولى منها دون الثانية ان يقلب الأولى منها هنا واوا كما فعله ابن كثير فأما الثانية فإن شاء حققها وإن شاء خففها وتخفيفها ان تجعل بين الهمزة والألف ولعل أبا عمرو ترك هذا القول في هذا الموضع فأخذ فيه بالوجه الآخر وهو تخفيف الثانية منها إذ التقتا دون الاولى

اللغة

اللطف من الله الرأفة والرحمة والرفق واللطيف الرفيق بعباده يقال لطف به يلطف لطفا إذا رفق به والذلول من المراكب مالا صعوبة فيه ومناكب الارض ظهورها ومنكب كل شيء اعلاه واصله الجانب ومنه منكب الرجل والريح النكباء والنشور الحياة بعد الموت يقال نشر الميت ينشر نشورا إذا عاش وانشره الله احياه

قال الأعشى حتى يقول الناس مما رأوا ياعجبا للميت الناشر

واصله من النشر ضد الطي والحاصب الحجارة التي ترمي بها كالحصاء وحصبه بالحصاة يحصبه حصبا إذا رماه بها ويقال للذي يرمى به حاصب اي ذو حصب

﴿ الاعراب ﴾

بالغيب في موضع نصب على الحال الايعلم من خلق فيه وجوه ﴿ احدها ﴾ ان يكون من خلق في موضع رفع بأنه فاعل يعلم والتقدير الا يعلم من خلق الخلق ضمائر صدورهم ﴿ الثاني ﴾ ان يكون من خلق في موضع نصب بأنه مفعول به وتقديره الايعلم الله من خلقه ﴿ والثالث ﴾ ان يكون من استفهاما في موضع نصب بأنه مفعول خلق وفاعل خلق الضمير المستكن فيه العائد إلى الله تعالى والاول أصح الوجوه وقوله ان يخسف بكم الارض في موضع نصب بأنه بدل من في قوله من في السماء وهو بدل الاشتمال فإذا هي تمور إذا ظرف المفاجأة وهو معمول . قوله وهي تمور جملة في موضع نصب على الحال من يخسف بكم الارض وذو الحال الارض وان يرسل بدل ايضا مثل قوله ان يخسف وقوله كيف نذير مبتدأ وخبر والخبر مقدم والجملة متعلقة بقوله فستعلمون والتقدير فستعلمون محذور انذاري ام لا وقوله فكيف كان نكير كيف هنا خبر كان وقوله ويقبضن معطوف على صافات وإنما عطف الفعل على الاسم ومن الاصل المقرر ان الفعل لا يعطف إلا على الفعل كما ان الاسم لا يعطف الا على الاسم لانه وان كان فعلا فهو في موضع الحال فتقديره تقدير اسم فاعل وصافات حال فجاز ان يعطف عليه فكأنه قال صافات وقابضات وقد جاء مثل هذا في الشعر قال

بات يغشيها بعضب باتر يعدل في اسواقها وجائر

أمن هذا الذي هو جند لكم من هنا استفهام في موضع رفع بالابتداء دخل عليه ام المنقطعة وهذا مبتدأ ثان والذي خبره وقد وصل بالمبتدأ والخبر وهو قوله هو جند لكم وينصركم صفة الجند

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم الوعيد عقبه سبحانه بالوعد فقال (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) اي يخافون عذاب ربهم باتقاء معاصيه وفعل طاعاته على وجه الاستمرار بذلك لأن الخشية متى كانت بالغيب على ما ذكرنا كانت بعيدة من الرياء خالصة لوجه الله وخشية الله بالغيب تنفع بأن يستحق عليها الثواب وخشية في الظاهر بترك المعاصي لا يستحق بها الثواب فإذا الخشية بالغيب افضل لامحالة وقيل بالغيب معناه انهم يخشونه ولم يروه فيؤمنون به خوفا من عذابه وقيل يخافونه حيث لا يراهم مخلوق لأن اكثر ما ترتكب المعاصي انما ترتكب في حال الخلوة فهم يتركون المعصية لئلا يجعلوا الله سبحانه اهون الناظرين اليهم ولأن من تركها في هذه الحال تركها في حال العلانية ايضا (لهم مغفرة) لذنوبهم (واجر كبير) اي عظيم في الآخرة لافناء له ثم قال سبحانه مهددا للعصاة (واسروا قولكم اواجهروا به انه عليم بذات الصدور) يعني انه عالم بإخلاص المخلص ونفاق المنافق فإن شئتم فأظهروا القول وإن شئتم فأبطنوه فإنه عليم بضمائر القلوب ومن علم إضمار القلب علم اسرار القول قال ابن عباس كانوا ينالون من رسول الله ﷺ فيخبره به جبرئيل فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم لكيلا يسمع آل محمد فنزلت الآية (ألا يعلم من خلق) قيل في معناه وجوه ﴿ احدها ﴾ الا يعلم ما في الصدور من خلق الصدور ﴿ وثانيها ﴾ الا يعلم سر العبد من خلقه اي من خلق العبد فعلى الوجهين يكون من خلق

بمعنى الخالق ﴿ وثالثها ﴾ ان يكون من خلق بمعنى المخلوق والمعنى ألا يعلم الله مخلوقه (وهو اللطيف) اي العالم بما لطف ودق وقيل اللطيف بعباده من حيث يدبرهم بألطف التدبير واللطيف التدبير من يدبر تدبيرا نافذا لا يجفو عن شيء يدبره به وقيل اللطيف من كان فعله في اللطف بحيث لا يهتدي اليه غيره وهو فعيل بمعنى فاعل كالقدير والعليم وقيل هو بمعنى الملطف كالبديع بمعنى المبدع وقيل اللطيف الذي يكلف اليسير ويعطي الكثير (الخبير) العالم بالعباد واعمالهم ثم عدد سبحانه انواع نعمه ممتنا على عباده بذلك فقال (هو الذي جعل لكم الارض ذلولا) اي سهلة ساكنة مسخرة تعملون فيها ما تشتهون و قيل ذلولا لم يجعلها بحيث يمتنع المشي فيها بالحزونة والغلظ وقيل ذلولا موطأة للتصرف فيها والمسير عليها ويمكنكم زراعتها (فامشوا في مناكبها) اي في طرقها وفجاجها عن مجاهد وقيل في جبالها لأن منكب كل شيء اعلاه عن ابن عباس وقتادة ثم ان كان هذا امر ترغيب فالمراد فامشوا في طاعة الله وان كان للإباحة فقد اباح المشي فيها لطلب المنافع في التجارات (وكلوا من رزقه) اي كلوا مما انبت الله في الأرض والجبال من الزروع والاشجار حلالا (واليه النشور) أي والى حكمه المرجع في القيامة وقيل معناه واليه الاحياء للمحاسبة فهو مالك النشور والقادر عليه عن الجبائي ثم هدد سبحانه الكفار زاجرا لهم عن ارتكاب معصيته والجحود لربوبيته فقال (أأمنتم من في السماء) اي أمنتم عذاب من في السماء سلطانه وامره ونهيه وتدبيره لابد ان يكون هذا معناه لاستحالة ان يكون الله جل جلاله في مكان او في جهة وقيل يعني بقوله من في السماء الملك الموكل بعذاب العصاة (ان يخسف بكم الارض) يعني ان يشق الارض فيغيبكم فيها اذا عصيتموه (فإذا هي تمور) اي تضطرب وتتحرك والمعنى ان الله يحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تضطرب فوقهم وهم يخسفون فيها حتى تلقيهم إلى أسفل والمور التردد في الذهاب والمجيء مثل الموج (ام امنتم من في السماء ان يرسل عليكم حاصبا) اي ريحا ذات حجر كما ارسل على قوم لوط حجارة من السماء وقيل سحابا يحصب عليكم الحجارة (فستعلمون) حينئذ (كيف نذير) اي كيف انذاري اذا عاينتم العذاب (ولقد كذب الذين من قبلهم) رسلي وجحدوا وحدانيتي (فكيف كان نكير) أي عقوبتي وتغييري ما بهم من النعم وقيل كيف رأيتم انكاري عليهم بإهلاكهم واستئصالهم ثم نبه سبحانه على قدرته على الخسف وارسال الحجارة فقال (او لم يروا الى الطير فوقهم صافات) تصف اجنحتها في الهواء فوق رؤسهم (ويقبضن) اجنحتهن بعد البسط وهذا معنى الطيران وهو بسط الجناح وقبضه بعد البسط اي يضربن بأرجلهن ويبسطن اجنحتهن تارة ويقبضن اخرى فالجو للطائر كالماء للسابح وقيل معناه ان من الطير ما يضرب بجناحه فيصف ومنه ما يمسكه فيدف ومنه الصفيف والدفيف (ما يمسكهن الا الرحمن) بتوطئة الهواء لهن ولولا ذلك لسقطن وفي ذلك اعظم دلالة واوضح برهان وحجة بأن من سخر الهواء هذا التسخير على كل شيء قدير والصف وضع الأشياء المتوالية على خط مستقيم والقبض جمع الاشياء عن حال البسط والامساك اللزوم المانع من السقوط عن علي بن عيسى (انه بكل شيء بصير) أي بجميع الاشياء عليم (ام من هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) هذا استفهام انكار اي لا جند لكم ينصركم مني ويمنعكم من عذابي ان اردت عذابكم عن ابن عباس ولفظ الجند موحد ولذلك قال هذا الذي وكأنه سبحانه يقول للكفار بأي قوة تعصونني ألكم جند يدفع عنكم عذابي بين بذلك أن الاصنام لا يقدرون على نصرتهم (إن الكافرون الا في غرور) أي ما الكافرون الا في

غرور من الشيطان يغرهم بأن العذاب لا ينزل بهم وقيل معناه ما هم الا في أمر لا حقيقة له من عبادة الاوثان يتوهمون ان ذلك ينفعهم والامر بخلافه (ام من هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه) أي الذي يرزقكم ان امسك الله الذي هو رازقكم اسباب رزقه عنكم وهو المطر هاهنا (بل لجوا في عتو ونفور) أي ليسوا يعتبرون فينظرون بل تمادوا واستمروا في اللجاج وجاوزوا الحد في تماديهم ونفورهم عن الحق وتباعدهم عن الايمان لما كان للمشركين صوارف كثيرة عن عبادة الاوثان وهم كانوا يتقحمون بذلك على العصيان فقد لجوا في عتوهم قال الفراء قوله من هذا الذي يرزقكم الآية تعريف حجة الزمها الله العباد فعرفوا فأقروا بها ولم يردوا لها جوابا فقال سبحانه بل لجوا في عتو ونفور

قوله تعالى (٢٢) أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبّاً عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيّاً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢٣) قُلْ هُوَ ٱلَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَا تَشْكُرُونَ (٢٤) قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٥) وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا ٱلْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٦) قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِنْدَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢٧) فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا ٱلَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ (٢٨) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ ٱلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٩) قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٠) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ تسع آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ يعقوب تدعون ساكنة الدال خفيفة وهو قراءة الحسن والضحاك وقتادة والباقون تدعون بالتشديد وقرأ الكسائي فسيعلمون بالياء والباقون بالتاء

﴿ الحجة ﴾

اما قوله تدعون فالمعنى هذا الذي كنتم به تدعون الله كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع واما تدعون بالتشديد فمعناه تتداعون بوقوعه قال ابن جني يعني كان الدعوة بوقوعه فاشية بينكم كقوله تعالى في معنى العموم ولا تنابزوا بالالقاب اي لا يفش هذا فيكم وليس معنى تدعون هنا من ادعاء الحقوق وانما بمعنى تتداعون من الدعاء لا من الدعوى كما في قول الشاعر « فما برحت خيل تثوب وتدعي » يعني تتداعى بينهما يا لفلان

﴿ اللغة ﴾

يقال كببته فأكب وهو نادر مثل قشعت الريح السحاب فاقشعت ونزفت البئر فانزفت أي ذهب ماؤها ونسلت ريش الطائر فانسل والزلفة القربة وهو مصدر يستوي فيه الواحد والجمع ومنه المزدلفة لقربه من مكة وقد تجمع الزلفة زلفا قال العجاج

ناج طواه الأين مما وجفا ... طي الليالي زلفا فزلفا

وساءه الامر يسوءه سوءا أي غمه وحزنه ومنه اساء يسيء اذا فعل ما يؤدي الى الغم وماء غور أي

غائر وصف بالمصدر مبالغة كما يقال هؤلاء زور فلان وضيفه والمعين قيل انه مفعول ماخوذ من العين فعلى هذا يكون مثل مبيع من البيع وقيل انه من الامعان في الجري فعلى هذا يكون على وزن فعيل فكأنه قيل ممعن في الإسراع والظهور

﴿ الاعراب ﴾

قليلا صفة مصدر محذوف أي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة فستعلمون من هو في ضلال مبين يحتمل ان يكون من استفهاما فيكون اسما موصولا قال ابو علي دخلت الفاء في قوله فمن يجير وقوله فمن يأتيكم لأن أرأيتم بمعنى انتبهوا أي انتبهوا فمن يجير وانتبهوا فمن يأتيكم كما تقول قم فزيد قائم قال ولا يكون الفاء جواب الشرط وانما يكون جواب الشرط مداول أرأيتم قال وان شئت كان الفاء زائدة مثلها في قوله فلا تحسبنهم ويكون الاستفهام سادا مسده مفعولي ارأيتم كقولهم ارايت زيدا ما فعل وهذا من دقائقه

﴿ المعنى ﴾

ثم ضرب سبحانه مثلا للكافر والمؤمن فقال (افمن يمشي مكبا على وجهه) اي منكسا راسه الى الأرض فهو لا يبصر الطريق ولا من يستقبله ينظر امامه ولا يمينه ولا شماله وهو الكافر المقلد لا يدري أمحق هو أم مبطل هذا (اهدى ام من يمشي سويا) أي مستويا قائما يبصر الطريق وجميع جهاته كلها فيضع قدمه حيث لا يعثر وهو المؤمن الذي سلك طريق الحق وعرفه واستقام عليه وامكنه دفع المضار عن نفسه وجلب المنافع اليها (على صراط مستقيم) أي على طريق واضح قيم وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقيل ان هذا في الآخرة يحشر الله الكافر مكبا على وجهه يوم القيامة كما قال ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عن قتادة (قل) يامحمد لهؤلاء الكفار (هو الذي أنشأكم) بأن اخرجكم من العدم الى الوجود (وجعل لكم السمع) تسمعون به المسموعات (والابصار) تبصرون بها المبصرات (والافئدة) يعني القلوب تعقلون بها وتتدبرون فأعطاكم آلات التفكر والتمييز والوصول الى العلم (قليلا ما تشكرون) أي تشكرون قليلا وقيل معناه قليلا شكركم فتكون ما مصدرية (قل) لهم يامحمد (هو) الله تعالى (الذي ذرأكم) أي خلقكم (في الارض واليه تحشرون) منها أي تبعثون اليه يوم القيامة فيجازيكم على اعمالكم ثم حكى سبحانه ما كان يقوله الكفار مستبطئين عذاب الله مستهزئين بذلك فقال (ويقولون متى هذا الوعد) من الخسف والحاصب او البعث والجزاء (ان كنتم صادقين) في ان ذلك يكون (قل) يامحمد (انما العلم عند الله) يعني علم الساعة (وانما انا نذير) أي مخوف لكم به (مبين) أي مبين لكم ما انزل الله الي من الوعد والوعيد والأحكام ثم ذكر سبحانه حالهم عند نزول العذاب ومعاينته فقال (فلما رأوه زلفة) اي فلما رأوا العذاب قريبا يعني يوم بدر عن مجاهد وقيل معاينة عن الحسن وقيل ان اللفظ ماض والمراد به المستقبل والمعنى اذا بعثوا ورأوا القيامة قد قامت ورأوا ما أعد لهم من العذاب وهذا قول اكثر المفسرين (سيئت وجوه الذين كفروا) اي اسودت وجوههم وعلتها الكآبة يعني قبحت وجوههم بالسواد وقيل معناه ظهرت على وجوههم آثار الغم والحسرة ونالهم السوء والخزي (وقيل) لهؤلاء الكفار اذا شاهدوا العذاب (هذا الذي كنتم به تدعون) قال الفراء تدّعون وتدعون واحد مثل تدّخرون وتدخرون والمعنى كنتم به تستعجلون وتدعون الله بتعجيله وهو قولهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية عن ابن زيد وقيل هو تدعون من الدعوى اي تدعون أن لا جنة ولا نار عن الحسن

وروى الحاكم ابو القاسم الحسكاني بالأسانيد الصحيحة عن الأعمش قال لما رأوا امعلي بن ابي طالب (ع) عند الله من الزلفى سيئت وجوه الذين كفروا وعن ابي جعفر (ع) فلما رأوا مكان علي (ع) من النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيئت وجوه الذين كفروا يعني الذين كذبوا بفضله (قل) لهؤلاء الكفار (أرأيتم ان اهلكني الله ومن معي) بأن يميتنا (او رحمنا) بتأخير آجالنا (فمن يجير الكافرين من عذاب اليم) استحقوه بكفرهم وما الذي ينفعهم في دفع العذاب عنهم وقيل ان الكفار كانوا يتمنون موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وموت اصحابه فقيل له قل لهم ان اهلكني الله ومن معي ذلك بأن يميتني ويميت اصحابي فمن الذي ينفعكم ويؤمنكم من العذاب فإنه واقع بكم لا محالة وقيل معناه أرأيتم ان عذبني الله ومن معي او رحمنا اي غفرلنا فمن يجيركم اي نحن مع ايماننا بين الخوف والرجاء فمن يجيركم مع كفركم من العذاب ولا رجاء لكم كما للمؤمنين عن ابن عباس وابن كيسان ثم قال (قل) لهؤلاء الكفار على وجه التوبيخ لهم (هو الرحمن) اي ان الذي ادعوكم اليه هو الرحمن الذي عمت نعمته جميع الخلائق (آمنا به وعليه توكلنا) اي عليه اعتمدنا وجميع امورنا اليه فوضنا (فستعلمون) معاشر الكفار يوم القيامة (من هو في ضلال مبين) اليوم انحن ام أنتم ومن قرأ بالياء فمعناه فسيعلم الكفار ذلك (قل أرأيتم ان اصبح ماؤكم غورا) اي غائرا ناضبا في الآبار والعيون (فمن يأتيكم بماء معين) اي ظاهر للعيون عن ابي مسلم والجبائي وقيل بماء جار عن ابن عباس وقتادة اراد سبحانه انه المنعم بالارزاق فاشكروه واعبدوه ولاتشركوا به شيئا وذكر مقاتل انه اراد بقوله ماؤكم بئر زمزم وبئر ميمون وهي بئر عادية قديمة وكان ماؤهم من هاتين البئرين والمعين الذي تناله الدلاء وتراه العيون

سورة القلم

وتسمى ايضا سورة نٓ وهي مكية عن الحسن وعكرمة وعطاء وقال ابن عباس وقتادة من اولها الى قوله سنسيم على الخرطوم مكي وما بعده الى قوله لو كانوا يعلمون مدني وما بعدة الى قوله يكتبون مكي وما بعده مدني وهي اثنتان وخمسون آية بالاجماع

فضلها

ابي بن كعب قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن قرأ سورة نٓ والقلم اعطاه ثواب الذين حسن اخلاقهم علي ابن ميمون عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة ن والقلم في فريضة أو نافلة آمنه الله أن يصيبه في حياته فقر ابدا واعاذه اذا مات من ضمة القبر ان شاء الله

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة الملك بذكر تكذيب الكفار ووعيدهم وافتتح هذه الصورة بمثل ذلك فقال

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (٢) مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٣) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٤) وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ (٥) فَسَتُبْصِرُ

وَيُبْصِرُونَ (٦) بِأَيِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ (٧) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ (٨) فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ (٩) وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ (١٠) وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (١١) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (١٢) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٣) عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ (١٤) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ (١٥) إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٦) سَنَسِمُهُ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ست عشرة آية

القراءة

مضى ذكر اختلاف القراء في إظهار النون وإخفائها من نون في سورة يس فلا وجه لاعادته وقرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب وسهل ان كان بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام وقرأ أبو بكر عن عاصم وحمزة أإن كان بهمزتين وقرأ الباقون ان كان بفتح الهمزة من غير استفهام

الحجة

قال أبو علي ان كان ذا مال لايخلو من أن يكون العامل فيه تتلى من قوله إذا تتلى عليه آياتنا أو قال من قوله قال أساطير الأولين أوشيء ثالث فلا يجوز أن يعمل واحد منها فيه الاترى ان تتلى قد أضيفت إذا اليه والمضاف اليه لا يعمل فيما قبله لاتقول القتال زيداحين يأتي ولا يجوز أن يعمل فيه قال أيضا لأن قال جواب إذا وحكم الجواب أن يكون بعدماهو جواب له ولا يتقدم عليه فكما لا يعمل فيه الفعل الأول فكذلك لا يعمل فيه الثاني فإذا لم يعمل فيه واحد من هذين الفعلين وليس في الكلام غيرهما علمت أنه محمول على شيء آخر مما دل باقي الكلام عليه والذي يدل عليه هذا الكلام من المعنى هو يجحد أو يكفر أو يستكبر عن قبول الحق ونحو ذلك وإنما جاز أن يعمل فيه المعنى وإن كان متقدما عليه لشبهه بالظرف والظرف قد تعمل فيه المعاني وإن تقدم عليها ويدلك على مشابهته الظرف تقدير اللام معه وان من النحويين من يقول أنه في موضع جر كما أنه لو كانت اللام معه ظاهرة كان كذلك ومن قرأ بهمزة ممدودة فإنه يزيد همزة بعدها همزة مخففة

اللغة

السطر الكتابة وهو وضع الحروف على خط مستقيم واستطر ا كتتب والمسطر آلة التسطير والممنون المقطوع يقال منّه السير يمنه منا إذا قطعه والمنين الضعيف والخلق المرور في الفعل على عادة فالخلق الكريم الصبر على الحق وتدبير الأمور على مقتضى العقل وفي ذلك الاناة والرفق والحلم والمداراة والمفتون المبتلي بتخبيل الرأي كالمجنون يقال فتن فلان بفلانة وأصل الفتنة الابتلاء والاختبار والمهين الضعيف الذليل والمهانة الذلة والقلة والهماز الوقاع في الناس بما ليس له ان يعيبهم به والأصل فيه الدفع بشدة اعتماد ومنه الهمزة حرف من الحروف المعجمة فهي نبرة تخرج من الصدر بشدة اعتماد والنميم التضريب بين الناس بنقل الكلام الذي يغيظ بعضهم على بعض والنميم والنميمة بمعنى ومنه النمام المشموم لأنه بجدة ريحه كالمخبر عن نفسه والعتل الجافي الغليظ وأصله الدفع عتله يعتله إذا زعزعه بغلاظة وجفاء والزنيم الدعي الملصق بالقوم وليس منهم وأصله الزنمة وهي الهنيّة المتدلية تحت حلق الجدي ويقال للتيس له زنمتان قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من أبوه بغـي الأم ذو حسب لئيم

وقال حسان

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

ويقال وسمه يسمه وسما وسمة والخرطوم ما نتأ من الأنف وهو الذي يقع به الشم ومنه قيل خرطوم الفيل وخرطمه إذا قطع أنفه

❋ الاعراب ❋

بأيكم المفتون فيه وجوه ❋ أحدها ❋ ان المفتون مصدر بمعنى الفتنة كما يقال ليس له معقول وماله محصول قال الراعي

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحماً ولا لفؤاده معقولا

❋ وثانيها ❋ ان يكون المفتون اسم المفعول والباء زيدة والتقدير أيكم المفتون ويكون مبتدأ وخبرا وتكون الجملة معلقة بقوله يبصرون ❋ وثالثها ❋ ان الباء بمعنى في والمعنى في أيكم المفتون اي في أي الفريقين في فرقة الإسلام أو في فرقة الكفر المجنون وهذا قول الفراء وقال الراجز في زيادة الباء

نحن بني جعدة أصحاب الفلج نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

اي ونرجو الفرج

❋ المعنى ❋

(نٓ) اختلفوا في معناه فقيل هو اسم من أسماء السورة مثل حمٓ وصٓ وما أشبه ذلك وقد ذكرنا ذلك مع غيره من الأقوال في مفتتح سورة البقرة وقيل هو الحوت الذي عليه الارضون عن ابن عباس ومجاهد ومقاتل والسدي وقيل هو حرف من حروف الرحمن في رواية أخرى عن ابن عباس وقيل هو الدواة عن الحسن وقتادة والضحاك وقيل نون لوح من نور وروي مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هو نهر في الجنة قال الله له كن مدادا فجمد وكان أبيض من اللبن وأحلى من الشهد ثم قال للقلم أكتب فكتب القلم ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة عن أبي جعفر الباقر (ع) وقيل المراد به الحوت في البحر وهو من آيات الله إذ خلقها في الماء فإذا فارق الماء مات كما أن حيوان البر إذا خالط الماء مات (والقلم) الذي يكتب به أقسم الله به لمنافع الخلق فيه إذ هو أحد لساني الإنسان يؤدي عنه ما في جنانه ويبلغ البعيد عنه ما يبلغ القريب بلسانه وبه تحفظ احكام الدين وبه تستقيم أمور العالمين وقد قيل إن البيان بيانان بيان اللسان وبيان البنان وبيان اللسان تدرسه الأعوام وبيان الأقلام باق على مر الأيام وقيل إن قوام أمور الدين والدنيا بشيئين القلم والسيف والسيف تحت القلم وقد نظمه بعض الشعراء وأحسن فيما قال

ان يخدم القلم السيف الذي خضعت له الرقاب ودانت حذره الأمم

فالموت والموت شيء لايغالبه ما زال يتبع ما يجري به القلم

كذا قضى الله للأقلام مذ بريت ان السيوف لها مذ ارهفت خدم

(وما يسطرون) اي وما يكتبه الملائكة مما يوحى اليهم وما يكتبونه من اعمال بني آدم فكان القسم بالقلم وما يسطر بالقلم وقيل ان ما مصدرية وتقديره والقلم وسطرهم فيكون القسم بالكتابة وعلى القول الأول يكون القسم بالمكتوب (ما انت بنعمت ربك بمجنون) هو جواب القسم ومعناه لست يا محمد بمجنون بنعمة ربك كما تقول ما انت بنعمة ربك بجاهل وجاز تقديم معمولها بعد الباء لأنها زائدة مؤكدة وتقديره انتفى

عنك الجنون بنعمة ربك وقيل هو كما يقال ما انت بمجنون بحمد الله وقيل معناه بما انعم عليك ربك من كمال العقل والنبوة والحكمة لست بمجنون اي لا يكون مجنونا من انعمنا عليه بهذه النعم وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لربك كما يقال سبحانك اللهم وبحمدك اي والحمد لك وهذا تقرير لنفي الجنون عنه وقالوا ان هذا جواب لقول المشركين يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون (وان لك) يا محمد (لأجرا) اي ثوابا من الله على قيامك بالنبوة وتحملك اعباء الرسالة (غير ممنون) اي غير مقطوع وهو ثواب الجنة يعني لا تبال بكلامهم مع مالك عند الله من الثواب الدائم والأجر العظيم وقيل غير ممنون اي لا يمن به عليك عن أبي مسلم والمعنى غير مكدر بالمن الذي يقطع عن لزوم الشكر فقد قيل المنة تكدر الصنيعة وقال ابن عباس ليس من نبي إلا وله مثل اجر من آمن به ودخل في دينه ثم وصف سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (وانك) يا محمد (لعلى خلق عظيم) اي على دين عظيم وهو دين الإسلام عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقيل معناه إنك متخلق بأخلاق الإسلام وعلى طبع كريم وحقيقة الخلق ما يأخذ به الإنسان نفسه من الآداب وإنما سمي خلقا لأنه يصير كالخلقة فيه فأما ما طبع عليه من الآداب فإنه الخيم فالخلق هو الطبع المكتسب والخيم هو الطبع الغريزي وقيل الخلق العظيم الصبر على الحق وسعة البذل وتدبير الأمور على مقتضى العقل بالصلاح والرفق والمداراة وتحمل المكاره في الدعاء الى الله سبحانه والتجاوز والعفو وبذل الجهد في نصرة المؤمنين وترك الحسد والحرص ونحو ذلك عن الجبائي وقالت عائشة كان خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما تضمنه العشر الأول من سورة المؤمنين ومن مدحه الله سبحانه بأنه على خلق عظيم فليس وراء مدحه مدح وقيل سمي خلقه عظيما لأنه عاشر الخلق بخلقه وزايلهم بقلبه فكان ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق وقيل لأنه امتثل تأديب الله سبحانه اياه بقوله خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقيل سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الأخلاق فيه ويعضده ما روي عنه قال انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق وقال أدبني ربي فأحسن تأديبي وقال صلى الله عليه وآله وسلم ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار وعن أبي الدرداء قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما من شيء أثقل في الميزان من خلق حسن وعن الرضا علي بن موسى (ع) عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال عليكم بحسن الخلق فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة واياكم وسوء الخلق فإن سوء الخلق في النار لا محالة وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أحبكم الى الله احسنكم اخلاقا الموطؤن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وأبغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان الملتمسون للبراء العثرات (فستبصر ويبصرون) أي فسترى يا محمد ويرون يعني الذين رموه بالجنون (بأيكم المفتون) اي أيكم المجنون الذي فتن بالجنون أأنت أم هم وقيل بأيكم الفتنة وهو الجنون يريد انهم يعلمون عند العذاب ان الجنون كان بهم حين كذبوك وتركوا دينك لا بك وقيل معناه فستعلم ويعلمون في اي الفريقين المجنون الذي فتنه الشيطان ثم اخبر سبحانه انه عالم بالفريقين فقال (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله) الذي هو سبيل الحق وعدل عنه وجار عن السلوك فيه (وهو اعلم بالمهتدين) اليه العاملين بموجبه فيجازي كلا بما يستحقه ويستوجبه اخبرنا السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني القائني رحمه الله قال حدثنا الحاكم ابو القاسم بن عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا ابو عبد الله الشيرازي قال حدثنا ابو بكر الجرجاني قال حدثنا ابو احمد البصري قال حدثني عمرو بن محمد بن تركي قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا محمد بن شعيب عن عمرو بن شمر عن دلهم بن صالح عن

الضحاك بن مزاحم قال: لما رأت قريش تقديم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليا (ع) واعظامه له نالوا من علي وقالوا قد افتتن به محمد فأنزل الله تعالى ن والقلم وما يسطرون قسم أقسم الله به ما انت يا محمد بنعمة ربك بمجنون وانك لعلى خلق عظيم يعني القرآن الى قوله بمن ضل عن سبيله وهم النفر الذين قالوا ما قالوا وهم اعلم بالمهتدين علي بن ابي طالب عليه السلام ثم قال سبحانه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (فلا تطع المكذبين) بتوحيد الله عز وجل الجاحدين لنبوتك ولا تجبهم الى ما يلتمسون منك ولا توافقهم فيما يريدون (ودوا لو تدهن فيدهنون) اي ود هؤلاء الكفار ان تلين لهم في دينك فيلينون في دينهم شبه التليين في الدين بتليين الدهن عن ابن عباس وقيل معناه ودوا لو تكفر فيكفرون عن الضحاك وعطاء وابن عباس في رواية اخرى وقيل معناه ودوا لو تركن الى عبادة الاصنام فيمالؤونك والإدهان الجريان في ظاهر الحال على المقاربة مع إضمار العداوة وهو مثل النفاق وقيل ودوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك عن الحسن ثم قال (ولا تطع) يا محمد (كل حلاف) اي كثير الحلف بالباطل لقلة مبالاته بالكذب (مهين) فعيل من المهانة وهي القلة في الرأي والتمييز وقيل ذليل عند الله تعالى وعند الناس وقيل كذاب لأن من عرف بالكذب كان ذليلا حقيرا عن ابن عباس وقيل يعني الوليد بن المغيرة قال عرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم المال ليرجع عن دينه وقيل يعني الأخنس ابن شريق عن عطاء وقيل يعني الأسود بن عبد يغوث عن مجاهد (هماز) اي وقاع في الناس مغتاب عن ابن عباس (مشاء بنميم) اي قتات يسعى بالنميمة ويفسد بين الناس ويضرب بعضهم على بعض (مناع للخير) اي بخيل بالمال وقيل مناع عشيرته عن الإسلام بأن يقول من دخل دين محمد لا انفعه بشيء ابدا عن ابن عباس (معتد) اي مجاوز عن الحق غشوم ظلوم عن قتادة (أثيم) اي آثم فاجر فاعل ما يأثم به وقيل معتد في فعله اثيم في معتقده وقيل معتد في ظلم غيره اثيم في ظلم نفسه (عتل بعد ذلك) اي هو عتل مع كونه مناعا للخير معتديا اثيما وهو الفاحش السيء الخلق روي ذلك في خبر مرفوع وقيل هو القوي في كفره عن عكرمة وقيل الجافي الشديد الخصومة بالباطل عن الكلبي وقيل الاكول المنوع عن الخليل وقيل هو الذي يعتل الناس فيجرهم الى حبس او عذاب ومنه قول الشاعر

فيا ضيعة الفتيان اذ يعتلونه ... ببطن الشرى مثل الفنيق المسدم

(زنيم) اي دعي ملصق الى قوم ليس منهم في النسب قال الشاعر

زنيم تداعاه الرجال تداعياً ... كما زيد في عرض الأديم الأكارع

وقيل هو الذي له علامة في الشر وهو معروف بذلك فإذا ذكر بالشر سبق القلب اليه كما ان العنز يعرف بين الاغنام بالزنمة في عنقه عن الشعبي وقيل هو الهجين المعروف بالشر عن سعيد بن جبير وقيل هو الذي لا اصل له عن علي (ع) وقيل هو المعروف بلؤمه كما تعرف الشاة بزنمتها عن عكرمة وروي انه سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن العتل الزنيم فقال هو الشديد الخلق المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس الرحيب الجوف وعن شداد بن اوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا عتل زنيم قلت فما الجواظ قال كل جماع مناع قلت فما الجعظري قال الفظ الغليظ قلت فما العتل الزنيم قال كل رحب الجوف سيء الخلق اكول شروب غشوم ظلوم زنيم قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله وصف احدا وبلغ من ذكر عيوبه ما بلغ من ذكر عيوب الوليد بن المغيرة لأنه وصف بالحلف والمهانة والعيب للناس والمشي

بالمآثم والبخل والظلم والاثم والجفا والدعوة فألحق به عارا لا يفارقه في الدنيا والآخرة (ان كان ذا مال وبنين) اي لا تطعه لأن كان ذا مال وبنين يعني لماله وبنيه عن الزجاج والفراء ومن قرأ بالاستفهام فلا بد ان يكون صلة ما بعده لأن الاستفهام لا يتقدم عليه ما كان في حيزه فيكون المعنى ألأن كان ذا مال وبنين يجحد آياتنا اي جعل مجازاة النعم التي خولها من البنين والمال الكفر بآياتنا وهو قوله (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) اي احاديث الأوائل التي سطرت وكتبت لا أصل لها ثم اوعده سبحانه فقال (سنسمه على الخرطوم) أي سنسمه يوم القيامة بسمة تشوه خلقته فيعرف من رآه انه من أهل النار وإنما خص الأنف لأن الإنسان يعرف بوجهه والأنف وسط الوجه وهذا على عادة العرب فإنهم يقولون شمخ فلان بأنفه وارغم الله أنفه وحمي فلان انفه وقيل معناه سيجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به أهل النار من اسوداد وجوههم وجائز ان يفرد بسمة لمبالغته في عداوة النبي ﷺ فيخص من التشويه بما يتبين به من غيره كما كانت عداوته للرسول عداوة يتبين بها من غيره عن الزجاج وقال الفراء الخرطوم قد خص بالسمة لأنه في مذهب الوجه فإن بعض الوجه يؤدي عن الكل وقيل ان المعنى سنخطمه بالسيف في القتال حتى يبقى أثره ففعل ذلك يوم بدر عن ابن عباس وقيل سنعلمه بشين يبقى على الابد عن قتادة وقال القتيبي العرب تقول قد وسمه ميسم سوء يريدون الصق به عارا لا يفارقه لأن السمة لا تنمحق ولا يعفو أثرها وقد الحق الله بمن ذكر عارا لا يفارقه بما وسمه به من العيوب التي هي كالوسم في الوجه وقيل ان الخرطوم الخمر فالمعنى سنسمه على شرب الخمر قال الشاعر

ابا حاضر من يزن يعرف زناؤه ... ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا

قوله تعالى (١٧) إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٨) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٩) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (٢٠) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢١) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢٢) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٣) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٤) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٥) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٦) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٧) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٨) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٩) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٣٠) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣٢) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٣) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ سبع عشرة آية

القراءة

قرأ أهل المدينة وابو عمرو ان يبدلنا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقد مر ذكره في سورة الكهف

اللغة

الصرم والجداد في النخل بمنزلة الحصاد والقطاف في الزرع والكرم يقال صرمت النخلة وجددتها واصرم النخل واجدت حان ذلك منها والصريم الليل الاسود وانشد ابو عمرو

الا بكرت وعاذلتي تلوم ... تجهلني وما انكشف الصريم

وقال الآخر

تطاول ليلك الجون البهيم ... فما ينجاب عن صبح صريم

اذا ما قلت اقشع او تناهى ... جرت من كل ناحية غيوم

ويسمى النهار ايضا صريما فهو من الاضداد لأن الليل ينصرم عند مجيء النهار والنهار ينصرم عند مجيء الليل والصريم ايضا المصروم اي صرم جميع ثمارها وقيل الصريم منقطع الرمل الذي لا نبات فيه قال امرؤ القيس

وظل لصيران الصريم غماغم ... تدعسها بالسمهري المعلب

والطائف الطارق بالليل واذا قيل اطاف به صلح في الليل والنهار وانشد الفراء

اطفت بها نهارا غير ليل ... والهى ربها طلب الرخال

والرخال الإناث من اولاد الضان واحدتها رخل والحرد المنع من قولهم حاردت السنة اذا منعت قطرها وحاردت الناقة اذا منعت لبنها قال الكميت

وحاردت المكد الجلاد ولم يكن ... بعقبة قدر المستعيرين معقب

ويروى النكد وهي النوق الغزيرات الألبان وقيل ان أصل الحرد القصد قال

اقبل سيل جاء من عند الله ... يحرد حرد الجنة المغله

اي يقصد وحرد يحرد حردا وقيل الحرد الغضب والحنق قال الأشهب بن رميلة

اسود شرى لاقت اسود خفية ... تساقوا على حرد دماء الاساود

المعنى

ثم قال سبحانه (انا بلوناهم) يعني اهل مكة اي اختبرناهم بالجوع والقحط (كما بلونا اصحاب الجنة) اي البستان الذي فيه الشجر قال سعيد بن جبير وهذه الجنة حديقة كانت باليمن في قرية يقال لها صروان بينها وبين صنعاء اثنا عشر ميلا كانت لشيخ وكان يمسك منها قدر كفايته وكفاية اهله ويتصدق بالباقي فلما مات قال بنوه نحن احق بها لكثرة عيالنا ولا يسعنا ان نفعل كما فعل ابونا وعزموا على حرمان المساكين فصارت عاقبتهم الى ما قص الله تعالى في كتابه وهو قوله (اذ اقسموا) اي حلفوا فيما بينهم (ليصرمنها مصبحين) اي ليقطعن ثمرتها اذا دخلوا في وقت الصباح (ولا يستثنون) اي غير مستثنين في ايمانهم فلم يقولوا ان شاء الله فإن قول القائل لافعلن كذا إلا ان يشاء الله استثناء ومعناه الا أن يشاء الله منعي او تمكين ما نعي (فطاف عليها طائف من ربك) اي احاطت بها النار فاحترقت عن ابن عباس وقيل معناه طرقها طارق من امر الله عن قتادة (وهم نائمون) اي في حال نومهم قال مقاتل بعث الله نارا بالليل على جنتهم فاحرقتها حتى صارت مسودة فذلك قوله (فاصبحت كالصريم) اي كالليل المظلم والصريمان الليل والنهار لانصرام احداهما من الآخر عن ابن عباس وابي عمرو بن العلاء وقيل الصريم المصروم ثماره اي المقطوع والمعنى انها صارت كأن جميع ثمارها قطعت عن الجبائي وقيل الصريم الذي صرم عنه الخير فليس فيه شيء منه عن الحسن وقيل كالصريم اي كالرملة انصرمت عن معظم الرمل عن مؤرج وقيل كالرماد الأسود بلغة خزيمة (فتنادوا مصبحين) اي نادى بعضهم بعضا وقت الصباح واصل التنادي من الندى بالقصر لأن النداء الدعاء بندي

الصوت الذي يمتد على طريقة يا فلان لأن الصوت إنما يمتد للانسان بندى حلقه (أن اغدوا على حرثكم) اي تنادوا بأن اغدوا ومعناه قال بعضهم لبعض اغدوا على حرثكم والحرث الزروع والاعناب (ان كنتم صارمين) اي قاطعين النخل (فانطلقوا) اي فمضوا اليها (وهم يتخافتون) اي يتسارون بينهم واصله من خفت فلان يخفت اذا اخفى نفسه (ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) هذا ما كانوا يتخافتون به (وغدوا على حرد) اي على قصد منع الفقراء (قادرين) عند انفسهم وفي اعتقادهم على منعهم واحراز ما في جنتهم وقيل على حرد أي على جد وجهد من امرهم عن مجاهد وقتادة وابي العالية وقيل على جد في المنع عن ابي عبيدة وقيل على حنق وغضب من الفقراء عن سفيان وقيل قادرين مقدرين موافاتهم في الجنة في الوقت الذي قدروا اصرامها فيه وهو وقت الصبح والتقدير قصدوا الجنة للوقت الذي قدروا اصرامها فيه عن ابي مسلم (فلما رأوها) اي رأوا الجنة على تلك الصفة (قالوا انا لضالون) ضللنا عن الطريق فليس هذا بستاننا عن قتادة وقيل معناه إنا لضالون عن الحق في امرنا فلذلك عوقبنا بذهاب ثمر جنتنا ثم استدركوا فقالوا (بل نحن محرومون) والمعنى ان هذه جنتنا ولكن حرمنا نفعها وخيرها لمنعنا حقوق المساكين وتركنا الاستثناء (قال اوسطهم) اي اعدلهم قولا عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقيل معناه افضلهم واعقلهم وقيل اوسطهم في السن (ألم اقل لكم لولا تسبحون) كأنه كان حذرهم سوء فعالهم قال لولا تستثنون عن مجاهد لأن في الاستثناء التوكل على الله والتعظيم لله والاقرار بأنه لا يقدر احد على فعل شيء الا بمشيئة الله فلذلك سماه تسبيحا وقيل معناه هلا تعظمون الله بعبادته واتباع امره وقيل معناه هلا تذكرون نعم الله عليكم فتؤدوا شكرها بأن تخرجوا حق الفقراء من اموالكم وقيل معناه هلا نزهتم الله تعالى عن الظلم واعترفتم بأنه لا يظلم ولا يرضى منكم بالظلم وقيل معناه لم لا تصلون ثم حكى عنهم أنهم (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) في عزمنا على حرمان المساكين من حصتهم عند الصرام فحرمنا قطعها والانتفاع بها والمعنى انه سبحانه منزه عن الظلم فلم يفعل بنا ما فعله ظلما وانما الظلم وقع منا حيث منعنا الحق (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) اي يلوم بعضهم بعضا على ما فرط منهم (قالوا ياويلنا انا كنا طاغين) قد غلونا في الظلم وتجاوزنا الحد فيه والويل غلظ المكروه الشاق على النفس والويس دونه والويح بينهما قال عمرو بن عبيد يجوز ان يكون ذلك منهم توبة ويجوز ان يكون على حد ما يقول الكافر إذا وقع في الشدة (عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها) اي لما تابوا ورجعوا الى الله قالوا لعل الله يخلف علينا ويولينا خيرا من الجنة التي هلكت (انا الى ربنا راغبون) اي نرغب الى الله ونسأله ذلك ونتوب اليه مما فعلناه وقرئ يبدلنا بالتشديد والتخفيف ومعناهما واحد (كذلك العذاب) في الدنيا للعاصين (ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون) والأكبر هو الذي يصغر مقدار غيره بالاضافة اليه وروي عن عبد الله بن مسعود انه قال بلغني ان القوم اخلصوا وعرف الله تعالى منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا وقال ابو خالد اليامي رأيت تلك الجنة ورأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم

قوله تعالى (٣٤) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٣٥) أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٦) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٧) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٨) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٩) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٤٠)

سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ (٤١) أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ (٤٢) يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ (٤٣) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ (٤٤) فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٥) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ اثنتا عشرة آية

اللغة

الزعيم والكفيل والضمين والقبيل نظائر والساق للانسان وساق الشجرة ما تقوم عليه وكل نبت له ساق ويبقى صيفا وشتاء فهو شجرة قال طرفة

للفتى عقل يعيش به حيث تهدي ساقه قدمه

وتقول العرب قامت الحرب على ساق وكشفت عن ساق يريدون شدتها وقال جد ابي طرفة

كشفت لكم عن ساقها وبدا من الشر الصراح

وقال آخر

قد شمرت عن ساقها فشدوا وجدت الحرب بكم فجدوا والقوس فيها وتر عرد

الاعراب

كيف في محل نصب على الحال تقديره اجائرين تحكمون أم عادلين ويجوز ان يكون في محل المصدر وتقديره اي حكم تحكمون وتحكمون في موضع النصب على الحال من معنى الفعل في قوله لكم لأن معنى قوله مالكم اي شيء ثبت لكم وأم في جميع ذلك منقطعة . ان لكم فيه لما تخيرون كسرت ان لمكان اللام في لما ولولاها اوجب فتحها لأنه مفعول تدرسون وهو كقوله والله يعلم انك لرسوله وقوله إن لكم لما تحكمون مثله وان شئت قلت انما كسرت إن لأن ما قبله يمين وهي تكسر في جواب القسم وقوله يوم يكشف عن ساق العامل في الظرف قوله فليأتوا وخاشعة ابصارهم حال ومن يكذب يجوز ان يكون مفعولا معه ويجوز أن يكون عطفا على ضمير المتكلم من ذرني

المعنى

لما ذكر سبحانه ما أعده بالآخرة للكافرين عقبه بذكر ما أعده للمتقين فقال (ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم) يتنعمون فيها ويختارونها على جنات الدنيا التي يحتاج صاحبها الى المشقة والعناء ثم استفهم سبحانه على وجه الانكار فقال (افنجعل المسلمين كالمجرمين) أي لا نجعل المسلمين كالمشركين في الجزاء والثواب وذلك انهم كانوا يقولون ان كان بعث وجزاء كما يقوله محمد فإن حالنا يكون افضل في الآخرة كما في الدنيا فاخبر سبحانه ان ذلك لايكون أبدا (ما لكم كيف تحكمون) هذا تهجين لهم وتوبيخ ومعناه اي عقل يحملكم على تفضيل الكفار حتى صار سببا لإصراركم على الكفر ولا يحسن في الحكمة التسوية بين الأولياء والأعداء في دار الجزاء (أم لكم كتاب فيه تدرسون) معناه بل ألكم كتاب تدرسون فيه ذلك فأنتم متمسكون به لا تلتفتون الى خلافه فإذا قد عدمتم الثقة بما أنتم عليه وفي الكتاب الذي هو القرآن عليكم أكبر الحجة لأنه الدلالة القائمة الى وقت قيام الساعة والمعجزة الشاهدة بصدق من ظهرت

على يده (ان لكم فيه لما تخيرون) فيه وجهان ﴿ احدهما ﴾ ان تقديره أم لكم كتاب فيه تدرسون بأن لكم فيه ماتخيرون إلا انه حذف الباء وكسرت إن لدخول اللام في الخبر ﴿ الثاني ﴾ إن معناه أن لكم لما تخيرونه عند أنفسكم والأمر بخلاف ذلك ولا يجوز أن يكون ذلك على سبيل الخبر المطلق (أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة) اي بل لكم عهود ومواثيق علينا عاهدنا كم بها فلا ينقطع ذلك الى يوم القيامة (أن لكم لما تحكمون) لأنفسكم به من الخير والكرامة عند الله تعالى وقيل بالغة معناها مؤكدة وكل شيء متناه في الجودة والصحة فهو بالغ ثم قال سبحانه لنبيه ﷺ (سلهم) يا محمد (أيهم بذلك زعيم) يعني ايهم كفيل بأن لهم في الآخرة ما للمسلمين (أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين) معناه أم لهم شركاء في العبادة مع الله وهي الأصنام فليأتوا بهؤلاء الشركاء ان كانوا صادقين في انها شركاء الله وقيل معناه أم لهم شهداء يشهدون لهم بالصدق فتقوم به الحجة فليأتوا بهم يوم القيامة يشهدون لهم على صحة دعواهم أن كانوا صادقين في دعواهم (يوم يكشف عن ساق) اي فليأتوا بهم في ذلك اليوم الذي تظهر فيه الأهوال والشدائد وقيل معناه يوم يبدو عن الأمر الشديد الفظيع عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير قال عكرمة سئل ابن عباس عن قوله يوم يكشف عن ساق فقال إذا خفي عليكم شيء في القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر ﴿وقامت الحرب بنا على ساق﴾ هو يوم كرب وشدة وقال القتيبي أصل هذا ان الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج الى الجد فيه يشمر عن ساقه فاستعير الكشف عن الساق في موضع الشدة وانشد لدريد بن الصمة

كميش الازار خارج نصف ساقه   بعيد من الآفات طلاع النجد

فتأويل الآية يوم يشتد الأمر كما يشتد ما يحتاج فيه الى ان يكشف عن ساق (ويدعون الى السجود) اي يقال لهم على وجه التوبيخ اسجدوا (فلا يستطيعون) وقيل معناه ان شدة الامر وصعوبة ذلك اليوم تدعوهم الى السجود وان كانوا لا ينتفعون به ليس انهم يؤمرون به وهكذا كما يفزع الإنسان الى السجود اذا أصابه هول من أهوال الدنيا (خاشعة ابصارهم) أي ذليلة ابصارهم لا يرفعون نظرهم عن الأرض ذلة ومهانة (ترهقهم ذلة) اي تغشاهم ذلة الندامة والحسرة (وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون) اي اصحاء يمكنهم السجود فلا يسجدون يعني انهم كانوا يؤمرون بالصلاة في الدنيا فلم يفعلوا قال سعيد بن جبير كانوا يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون وقال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات وقد ورد عن الربيع بن خيثم أنه عرض له الفالج فكان يهادي بين رجلين إلى المسجد فقيل له يا أبا يزيد لو جلست فإن لك رخصة قال من سمع حيّ على الفلاح فليجب ولو حبواً وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) انهما قالا في هذه الآية افحم القوم ودخلتهم الهيبة وشخصت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر لما رهقهم من الندامة والخزي والمذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون اي يستطيعون الأخذ بما امروا به والترك لما نهوا عنه ولذلك ابتلوا وقال مجاهد وقتادة يؤذن المؤذن يوم القيامة فيسجد المؤمن وتصلب ظهور المنافقين فيصير سجود المسلمين حسرة على المنافقين وندامة وفي الخبر انه تصير ظهور المنافقين كالسفافيد ثم قال سبحانه (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) هذا تهديد معناه فذرني والمكذبين أي كل امرهم اليّ كما يقول القائل دعني واياه يقول خلّ بيني وبين من يكذب

بهذا القرآن ولا تشغل قلبك به فإني أكفيك امره (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) أي سنأخذهم الى العقاب حالا بعد حال وقد مرّ تفسيره في سورة الأعراف وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال إذا احدث العبد ذنبا جدد له نعمة فيدع الاستغفار فهو الاستدراج (واملي لهم ان كيدي متين) اي واطيل آجالهم ولا ابادر الى عذابهم مبادرة من يخشى الفوت فإنما يعجل من يخاف الفوت ان عذابي لشديد

قوله تعالى (٤٦) أَمْ تَسْئَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ (٤٧) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ (٤٨) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ (٤٩) لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ (٥٠) فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ (٥١) وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ (٥٢) وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ست آيات

القراءة

قرأ أهل المدينة ليزلقونك بفتح الياء والباقون ليزلقونك بضم الياء

الحجة

من قرأ بفتح الياء جعله من زلقه وزلقته انا مثل حزن وحزنته وشترت عينه وشترتها قال ابو علي والخليل يذهب في ذلك الى ان المعنى جعلت فيه شترا وجعلت فيه حزنا كما انك اذا قلت كحلته ودهنته اردت جعلت ذلك فيه ومن قرأ أزلقه نقل الفعل بالهمزة ومعنى يزلقونك بأبصارهم ينظرون اليك نظر البغضاء كما ينظر الاعداء ومثله قول الشاعر

يتقارضون إذا التقوا في مجلس   نظراً يزيل مواقع الاقدام

اللغة

المغرم ما يلزم من الدين الذي يلح في اقتضائه واصله من اللزوم بالإلحاح ومنه قوله ان عذابها كان غراما أي لازما ملحا قال الشاعر

يوم الجفار ويوم النسار   كانا عذابا وكانا غراما

والمثقل المحمل الثقل وهو مثقل بالدين ومثقل بالعيال ومثقل بما عليه من الحقوق اللازمة والامور الواجبة والمكظوم المحبوس عن التصرف في الأمور ومنه كظمت رأس القربة اذا شددته وكظم غيظه إذا حبسه بقطعه عما يدعو اليه وكظم خصمه إذا اجابه بالمسكت والعراء الارض العارية من النبات قال قيس بن جعدة

ورفعت رجلا لا اخاف عثارها   ونبذت بالبلد العراء ثيابي

المعنى

ثم خاطب سبحانه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال على وجه التوبيخ للكفار (أم تسألهم اجراً) هذا عطف على قوله أم لكم كتاب فيه تدرسون ذكر سبحانه جميع ما يحتج به فقال أم تسأل يامحمد هؤلاء الكفار اجرا على اداء الرسالة والدعاء الى الله (فهم من مغرم) اي هم من لزوم ذلك (مثقلون) أي محملون الاثقال (أم عندهم الغيب

فهم يكتبون) اي هل عندهم علم بصحة مايدعونهُ اختصموا بهِ لا يعلمهُ غيرهم فهم يكتبونهُ ويتوارثونهُ وينبغي ان يبرزوه ثم قال للنبي ﷺ (فاصبر لحكم ربك) في ابلاغ الرسالة وترك مقابلتهم بالقبيح وقيل اللام تجري مجرى الى والمعنى اصبر الى ان يحكم الله بنصر اوليائك وقهر اعدائك وقيل معناه فاصبر لحكم الله في التخلية بين الظالم والمظلوم حتى يبلغ الكتاب اجله (ولا تكن كصاحب الحوت) يعني يونس اي لا تكن مثله في استعجال عقاب قومهِ واهلاكهم ولا تخرج من بين قومك من قبل ان يأذن لك الله كما خرج هو (اذ نادى وهو مكظوم) اي دعا ربهُ في جوف الحوت وهو محبوس عن التصرف في الامور والذي نادى بهِ قوله لا إِله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين وقيل مكظوم اي مختنق بالغم اذ لم يجد لغيظهِ شفاء (لولا ان تداركهُ نعمة من ربهِ) اي لولا ان ادركتهُ رحمة من ربهِ باجابة دعائهِ وتخليصهِ من بطن الحوت وتبقيته فيهِ حيا واخراجه منه حيا (لنبذ) أي طرح (بالعراء) اي الفضاء (وهو مذموم) ملوم مليم قد اتى بما يلام عليه ولكن الله تعالى تداركهُ بنعمة من عنده فطرح بالعراء وهو غير مذموم (فاجتباه ربهُ) اي اختاره الله نبيا (فجعله من الصالحين) اي من جملة المطيعين لله التاركين لمعاصيهِ (وان يكاد الذين كفروا) إن هذه هي المخففة من الثقيلة والتقدير وانهُ يكاد اي قارب الذين كفروا (ليزلقونك بأبصارهم) اي ليزهقونك اي يقتلونك ويهلكونك عن ابن عباس وكان يقرأها كذلك وقيل ليصرعونك عن الكلبي وقيل يصيبونك بأعينهم عن السدي والكل يرجع في المعنى الى الإصابة بالعين والمفسرون كلهم على انهُ المراد في الآية وانكر الجبائي ذلك وقال ان اصابة العين لا تصح وقال علي بن عيسى الرماني وهذا الذي ذكره غير صحيح لأنهُ غير ممتنع ان يكون الله تعالى اجرى العادة لصحة ذلك لضرب من المصلحة وعليه اجماع المفسرين وجوزه العقلاء فلا مانع منه وجاء في الخبر ان اسماء بنت عميس قالت يا رسول الله ان بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم قال نعم فلو كان شيء يسبق القدر لسبقه العين وقيل ان الرجل منهم كان إذا أراد أن يصيب صاحبه بالعين تجوع ثلاثة أيام ثم كان يصفه فيصرعه بذلك وذلك بأن يقول للذي يريد ان يصيبه بالعين لا أرى كاليوم إبلا أو شاء أو ما أراد أي كإبل اراها اليوم فقالوا للنبي ﷺ كما كانوا يقولون لما يريدون أن يصيبوه بالعين عن الفراء والزجاج وقيل معناه أنهم ينظرون اليك عند تلاوة القرآن والدعاء الى التوحيد نظر عداوة وبغض وانكار لما يسمعونه وتعجب منه فيكادون يصرعونك بحدة نظرهم ويزيلونك عن موضعك وهذا مستعمل في الكلام يقولون نظر إلي فلان نظرا يكاد يصرعني ونظراً يكاد يأكلني فيه وتأويله كله انه نظر إليّ نظراً لو أمكنه معه أكلي أو يصرعني لفعل عن الزجاج وقوله (لما سمعوا الذكر) يعني القرآن (ويقولون) مع ذلك (إنه لمجنون) أي مغلوب على عقله مع علمهم بوقاره ووفور عقله تكذيبا عليه ومعاندة له (وما هو) أي وما القرآن (الا ذكر) أي شرف (للعالمين) الى أن تقوم الساعة وقيل معناه وما محمد ﷺ الا شرف للخلق حيث هداهم الى الرشد وانقذهم من الضلالة لما نسبوه الى الجنون وصفه بما ينفي ذلك عنه وقيل المراد بالذكر انه يذكرهم امر آخرتهم والثواب والعقاب والوعد والوعيد قال الحسن دواء اصابة العين ان يقرأ الإنسان هذه الآية

سورة الحاقة (مكية)

﴿ عدد آيها ﴾

احدى وخمسون آية بصري وشامي وآيتان في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

آيتان الحاقة الاولى كوفي كتابه بشماله حجازي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا وروى جابر الجعفي عن أبي جعفر (ع) قال اكثروا من قراءة الحاقة فإن قراءتها في الفرائض والنوافل من الايمان بالله ورسوله ولم يسلب قارئها دينه حتى يلقى الله

﴿ تفسيرها ﴾

لما ذكر في آخر سورة القلم حديث القيامة ووعيد الكفار افتتح هذه السورة بذكر القيامة أيضا وأحوال أهل النار فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) ٱلْحَاقَّةُ (٢) مَا ٱلْحَاقَّةُ (٣) وَمَآ أَدْرَاكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ (٤) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِٱلْقَارِعَةِ (٥) فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِٱلطَّاغِيَةِ (٦) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٧) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٨) فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ (٩) وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَاتُ بِٱلْخَاطِئَةِ (١٠) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ أهل البصرة والكسائي ومن قبله بكسر القاف وفتح الباء والباقون ومن قبله بفتح القاف وسكون الباء

﴿ الحجة ﴾

قال سيبويه قبل لما ولي الشيء تقول ذهبت قبل السوق ولي قبلك حق أي فيما يليك واتسع فيه حتى صار بمنزلة لي عليك حق وحجة من قرأ انهم زعموا ان في قراءة ابي وجاء فرعون ومن معه وهذا يقوي ومن قبله لأن قبل لما ولي الشيء مما لم يتخلف عنه وهو يتبعه ويحف به وحجة من قال ومن قبله ان معناه ومن قبله من الأمم التي كفرت كما كفر هو

﴿ اللغة ﴾

قال ابن الانباري الحاقة الواجبة حق أي وجب يحق حقا وحقوقا فهو حاق وقال الفراء تقول العرب لما عرفت الحق مني هربت والحقة والحاقة بمعنى وقيل سميت القيامة الحاقة لأنها تحق الكفار من قولهم حاققته فحققته مثل خاصمته فخصمته وسميت القارعة لأنها تقرع قلوب العباد بالمخافة إلى أن يصير المؤمنون إلى

الأمن ودريت الشيء دراية ودرية علمته وادريته اعلمته والطاغية الطغيان مصدر مثل العافية والصرصر الريح الشديدة الصوت والحسوم المتوالية مأخوذ من حسم الداء بمتابعة الكي عليه فكأنه تتابع الشر عليهم حتى استأصلهم وقيل هو من القطع فكأنها حسمتهم حسوما أي أذهبتهم وأفنتهم وقطعت دابرهم والخاوية الخالية التي لا شيء في أجوافها

الاعراب

العامل في الحاقة احد شيئين اما الابتداء والخبر ما الحاقة كما تقول زيد ما زيد واما ان يكون خبر مبتدأ محذوف أي هذه الحاقة ثم قيل أي شيء الحاقة تفخيما لشأنها وحسوما نصب على المصدر الموضوع موضع الصفة لثمانية أي تحسمهم حسوما ويجوز ان يكون جمع حاسم فيكون مثل راقد ورقود وساجد وسجود وعلى هذا فيكون منصوبا على انه صفة لثمانية ايضا وصرعى نصب على الحال وقوله كأنهم اعجاز نخل خاوية جملة في موضع الحال من صرعى أي صرعوا أمثال نخل خاوية ومن مزيدة في قوله من باقية

المعنى

(الحاقة) اسم من اسماء القيامة في قول جميع المفسرين وسميت بذلك لأنها ذات الحواق من الأمور وهي الصادقة الواجبة الصدق لأن جميع أحكام القيامة واجبة الوقوع صادقة الوجود (ما الحاقة) استفهام معناه التفخيم لحالها والتعظيم لشأنها ثم زاد سبحانه في التهويل فقال (وما أدراك ما الحاقة) أي كأنك لست تعلمها إذ لم تعاينها ولم تر ما فيها من الاهوال قال الثوري يقال للمعلوم ما أدراك ولما ليس بمعلوم ما يدريك في جميع القرآن وإنما قال لمن يعلمها ما ادراك لأنه إنما يعلمها بالصفة ثم أخبر سبحانه عن المكذبين بها فقال (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) أي بيوم القيامة وانما حسن ان توضع القارعة موضع الكناية لتذكر بهذه الصفة الهائلة بعد ذكرها بأنها الحاقة والا فقد كان يكفي ان يقول كذبت ثمود وعاد بها ثم اخبر سبحانه عن كيفية اهلاكهم فقال (فأما ثمود) وهم قوم صالح (فأهلكوا بالطاغية) أي أهلكوا بطغيانهم وكفرهم عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه اهلكوا بالصيحة الطاغية وهي التي جاوزت المقدار حتى أهلكتهم عن قتادة والجبائي وأبي مسلم وقال الزجاج اهلكوا بالرجفة الطاغية وقيل بالخصلة المتجاوزة لحال غيرها في الشدة التي أهلك الله بها أهل الفساد (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أي باردة عن ابن عباس وقتادة كأنه تصطك الاسنان بما يسمع من صوتها لشدة بردها وقيل الصرصر الشديدة المصوف المتجاوزة لحدها المعروف (عاتية) عتت على خزانها في شدة الهبوب روى الزهري عن قبيصة بن ذؤيب انه قال مايخرج من الريح شيء إلا عليها خزان يعلمون قدرها وعددها وكيلها حتى كانت التي أرسلت على عاد فاندفق منها فهم لا يعلمون قدر غضب الله فلذلك سميت عاتية (سخرها عليهم) أي سلطها الله وارسلها عليهم (سبع ليال وثمانية أيام) قال وهب وهي التي تسميها العرب أيام العجوز ذات برد ورياح شديدة وإنما نسبت هذه الأيام إلى العجوز لأن عجوزا دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها اليوم الثامن من نزول العذاب فانقطع العذاب في اليوم الثامن وقيل سميت أيام العجوز لأنها في عجز الشتاء ولها أسامي مشهورة قالوا لليوم «الاول» صن «وللثاني» صنبر «وللثالث» وبر «وللرابع» مطفئ الجمر «وللخامس» مكفئ الظعن وقيل «للسادس» الآمر «وللسابع» المؤتمر «وللثامن» المعلل وقال في ذلك شاعرهم

كسع الشتاء بسبعة غبر ايام شهلتنا مع الشهر
فبآمر وأخيه مؤتمر ومعلل وبمطفئ الجمر
فإذا انقضت أيام شهلتنا بالصن والصنبر والوبر
ذهب الشتاء موليا هربا وأتتك واقدة من النجر

(حسوما) أي ولاء متتابعة ليست لها فترة عن ابن عباس وابن مسعود والحسن ومجاهد وقتادة كأنه تتابع عليهم الشر حتى استأصلهم وقيل دائمة عن الكلبي ومقاتل وقيل قاطعة قطعتهم قطعا حتى أهلكتهم عن الخليل وقيل مشائيم نكداء قليلة الخير حسمت الخير عن أهلها عن عطية (فترى القوم فيها) أي في تلك الايام والليالي (صرعى) أي مصروعين (كأنهم اعجاز نخل خاوية) اي أصول نخل بالية نخرة عن قتادة وقيل خاوية فارغة خالية الأجواف عن السدي وقيل ساقطة مثل قوله اعجاز نخل منقعر (فهل ترى لهم من باقية) اي من نفس باقية وقيل من بقاء والباقية بمعنى المصدر مثل العافية والطاغية والمعنى هل ترى لهم من بقية اي لم يبق منهم احد (وجاء فرعون ومن قبله) مر معناه (والمؤتفكات) اي وجاء اهل القرى المؤتفكات اي المنقلبات بأهلها عن قتادة وهي قرى قوم لوط يريد الأمم والجماعات الذين ائتفكوا (بالخاطئة) اي بخطيئتهم التي هي الشرك والكفر فالخاطئة مصدر كالخطأ والخطيئة وقيل معناه بالأفعال الخاطئة اي بالنفس الخاطئة (فعصوا رسول ربهم) فيما امرهم به وقيل ان المراد بالرسول الرسالة كما في قول الشاعر

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول

اي برسالة عن ابي مسلم والأول اظهر (فأخذهم) الله بالعقوبة (اخذة رابية) اي زائدة في الشدة عن ابن عباس وقيل نامية زائدة على عذاب الأمم وقيل عالية مذكورة خارجة عن العادة

قوله تعالى (١١) إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ (١٢) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ (١٣) فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٤) وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٥) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ (١٦) وَٱنْشَقَّتِ ٱلسَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٧) وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٨) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ (١٩) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ ٱقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (٢٠) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢١) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (٢٢) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٣) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (١٤) كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ

اربع عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير في رواية القواس وتعيها بسكون العين مختلسا وهو بين الكسر والسكون والباقون بكسر العين وقرأ حمزة والكسائي لا يخفى بالياء والباقون بالتاء

﴿ الحجة ﴾

الوجه في سكون العين من تعيها انه جعل حرف المضارعة مع ما بعده بمنزلة فخذ فاسكن لأن حرف المضارعة لا تنفصل من الفعل فصار كقولك فهو وفهي والياء والتاء في قوله لا يخفى حسن

﴿ اللغة ﴾

الجارية السفينة التي من شأنها أن تجري على الماء والجارية المرأة الشابة لأنه يجري فيها ماء الشباب يقال وعيت العلم اعيه وعيا واوعيت المتاع جعلته في الوعاء قال

إذا لم تكن حافظا واعيا   فجمعك للكتب لا ينفع

والدك البسط ومنه الدكان واندك سنام البعير إذا انفرش على ظهره والارجاء النواحي واحدها رجا مقصور والتثنية رجوان وهاؤم أمر للجماعة بمنزلة هاكم تقول للواحد هاء يا رجل وللاثنين هاؤما يا رجلان وللجماعة هاؤم يا رجال وللمرأة هاء يا امرأة بكسر الهمزة وليس بعدها ياء وللمرأتين هاؤما وللنساء هاؤن هذه لغة أهل الحجاز وتميم وقيس يقولون هاء يا رجل مثل قول اهل الحجاز والاثنين هاءا وللجماعة هاؤا وللمرأة هاء وللنساء هاؤن وبعض العرب يجعل مكان الهمزة كافا فيقول هاك هاكما هاكم هاكِ هاكما هاكن ومعناه خذ وتناول ويؤمر بها ولا ينهي ووقف الكسائي على هاؤم وابتدأ اقرأوا كتابيه اعلاما منه أنه لا يذهب إلى اعمال الفعل الأول وانما العمل للثاني والراضية المرضية فاعلة بمعنى مفعول لأنها في معنى ذات رضى كما قيل لابن وتامر اي ذو لبن وذو تمر قال النابغة

كليني لهم يا اميمة ناصب   وليل اقاسيه بطيء الكواكب

يعني ذو نصب فكأن العيشة اعطيت حتى رضيت لأنها بمنزلة الطالبة كما ان الشهوة بمنزلة الطالبة المشتهي وقيل هو مثل ليل نائم وسر كاتم وماء دافق على وجه المبالغة في الصفة من غير التباس في المعنى والقطوف جمع قطف وهو ما يقطف من الثمر والقطف بالفتح المصدر

﴿ الاعراب ﴾

كتابي مفعول اقرأوا لأنه يليه قطوفها دانية جملة مجرورة الموضع لأنها صفة جنة

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه قصة نوح «ع» فقال (انا لما طغى الماء) اي جاوز الحد المعروف حتى غرقت الأرض بمن عليها إلا من شاء الله نجاته (حملناكم في الجارية) اي حملنا آباءكم في السفينة عن ابن عباس وابن زيد (لنجعلها لكم تذكرة) اي لنجعل تلك الفعلة التي فعلناها من اغراق قوم نوح ونجاة من حملناه عبرة لكم وموعظة تتذكرون بها نعم الله تعالى وتشكرونه عليها وتتفكرون فيها فتعرفون كمال قدرته وحكمته (وتعيها اذن واعية) اي وتحفظها اذن حافظة لما جاء من عند الله عن ابن عباس وقيل سامعة قابلة لما سمعت عن قتادة وقال الفراء لتحفظها كل اذن فتكون عظة لمن يأتي بعد وروى الطبري بإسناده عن مكحول انه لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللهم اجعلها اذن علي ثم قال علي «ع» فما سمعت شيئا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنسيته وروى باسناده عن عكرمة عن بريدة الاسلمي ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي «ع» يا علي ان الله تعالى امرني ان ادنيك ولا اقصيك وان اعلمك وتعي وحق على الله ان تعي فنزل وتعيها اذن واعية اخبرني فيما كتب بخطه إلي المفيد ابو الوفاء عبد الجبار بن عبد الله بن علي الرازي قال حدثني الشيخ السعيد ابو

جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي والرئيس ابو الجوائز الحسن بن علي بن محمد الكاتب والشيخ ابو عبدالله حسن بن احمد بن حبيب الفارسي قالوا حدثنا ابو بكر محمد بن احمد بن محمد المفيد الجرجاني قال سمعت اباعمرو عثمان بن خطاب المعمر المعروف بأبي الدنيا الاشج قال سمعت علي بن ابي طالب «ع» يقول لما نزلت وتعيها اذن واعية قال النبي ﷺ سألت الله عز وجل ان يجعلها اذنك يا علي (فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة) وهي النفخة الاولى عن عطا والنفخة الأخيرة عن مقاتل والكلبي (وحملت الأرض والجبال) اي رفعت من اماكنها (فدكتا دكة واحدة) اي كسرتا كسرة واحدة لا تثنى حتى يستوي ما عليها من شيء مثل الأديم الممدود وقيل ضرب بعضها ببعض حتى تفتت الجبال وسفتها الرياح وبقيت الارض شيئا واحدا لا جبل فيها ولا رابية بل تكون قطعة مستوية وإنما قال دكتا لأنه جعل الأرض جملة واحدة والجبال دكة واحدة (فيومئذ وقعت الواقعة) اي قامت القيامة (وانشقت السماء) اي انفرج بعضها من بعض (فهي يومئذ واهية) اي شديدة الضعف بانتقاض بنيتها وقيل هو ان السماء تنشق بعد صلابتها فتصير بمنزلة الصوف في الوهي والضعف (والملك على ارجائها) اي على اطرافها ونواحيها عن الحسن وقتادة والملك اسم يقع على الواحد والجمع والسماء مكان الملائكة فإذا وهت صارت في نواحيها وقيل ان الملائكة يومئذ على جوانب السماء تنتظر ما يؤمر به في اهل النار من السوق اليها وفي اهل الجنة من التحية والتكرمة فيها (ويحمل عرش ربك فوقهم) يعني فوق الخلائق (يومئذ) يعني يوم القيامة (ثمانية) من الملائكة عن ابن زيد وروي ذلك عن النبي ﷺ انهم اليوم اربعة فإذا كان يوم القيامة ايدهم بأربعة اخرين فيكونون ثمانية وقيل ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلا الله تعالى عن ابن عباس (يومئذ تعرضون) يعني يوم القيامة تعرضون معاشر المكلفين (لا تخفى منكم خافية) اي نفس خافية او فعلة خافية وقيل الخافية مصدر اي خافية احد وروي في الخبر عن ابن مسعود وقتاده ان الخلق يعرضون ثلاث عرضات ثنتان فيهما معاذير وجدال والثالثة تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله وليس يعرض الله الخلق ليعلم من حالهم ما لم يعلمه فإنه عز اسمه العالم لذاته يعلم جميع ماكان منهم ولكن ليظهر ذلك لخلقه ثم قسم سبحانه حال المكلفين في ذلك اليوم فقال (فأما من اوتي كتابه بيمينه فيقول) لأهل القيامة (هاؤم) اي تعالوا (اقرأوا كتابيه) وإنما يقوله سرورا به لعلمه بأنه ليس فيه إلا الطاعات فلا يستحيي ان ينظر فيه غيره واهل اللغة يقولون ان معنى هاؤم خذوا (إني ظننت) اي علمت وايقنت في الدنيا (اني ملاق حسابيه) والهاء لنظم رؤوس الآي وهي هاء الاستراحة والمعنى اني كنت مستيقنا في دار الدنيا بأني القى حسابي يوم القيامة عالما بأني اجازى على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب فكنت اعمل بما اصل به إلى هذه المثوبة (فهو في عيشة راضية) اي في حالة من العيش راضية يرضاها بأن لقي الثواب وامن العقاب (في جنة عالية) اي رفيعة القدر والمكان (قطوفها دانية) اي ثمارها قريبة ممن يتناولها قال البراء بن عازب يتناول الرجل من الثمرة وهو نائم وقد ورد في الخبر عن عطاء بن يسار عن سلمان قال قال رسول الله ﷺ لا يدخل الجنة احدكم إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية وقيل معناه لا يرد ايديهم عن ثمرها بعد ولا شوك عن قتادة (كلوا واشربوا) اي يقال لهم كلوا واشربوا في الجنة (هنيئا بما اسلفتم) اي قدمتم من اعمالكم الصالحة (في الأيام الخالية) الماضية يعني ايام الدنيا ويعني بقوله

هنيئا انه ليس فيه ما يؤذي فلا يحتاج فيه إلى اخراج فضل بغائط او بول

قوله تعالى (٢٥) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ (٢٦) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٧) يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ (٢٨) مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ (٢٩) هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ (٣٠) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣١) ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣٢) ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ (٣٣) إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ (٣٤) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (٣٥) فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ (٣٦) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٧) لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ ثلاث عشرة آية

﴿ اللغة ﴾

القاضية الفاصلة بالإماتة يقال قضى فلان اذا مات واصله فصل الأمر ومنه قضية الحاكم ومنه قضاء الله وهو في الاخبار بما يكون على القطع والتصلية الزام النار ومنه الاصطلاء وهو القعود عند النار للدفاء والجحيم النار العظيمة والسلسلة حلق منتظمة كل واحدة منها في الأخرى ويقال سلسل كلامه اذا عقد شيئا منه بشيء وتسلسل الشيء اذا استمر على الولاء شيئا قبل شيء وذرع الثوب يذرعه ذرعا مأخوذ من الذراع والغسلين الصديد الذي ينغسل بسيلانه من ابدان اهل النار ووزنه فعلين من الغسل

﴿ الاعراب ﴾

قوله كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه قال الزجاج الوجه ان يوقف على هذه الهاءات ولا توصل لأنها ادخلت للوقف وقد حذفها قوم في الوصل ولا احب مخالفة المصحف ولا ان اقرأ واثبت الهاءات في الوصل وهذه رؤوس آيات فالوجه ان يوقف عندها وكذلك قوله ماهيه فليس له اليوم هاهنا حميم الجار والمجرور خبر ليس ليصح قوله ولا طعام الا من غسلين اي ولا له طعام ولا يكون الخبر هاهنا لأن التقدير يصير ولا طعام هاهنا الا من غسلين وهذا غير جائز إذ هنا طعام غير غسلين ولا يكون الخبر اليوم لأن حميم جثة وظرف الزمان لا يكون خبرا عن الجثة

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه حال اهل النار فقال (واما من أوتي) اي اعطي (كتابه) الذي هو صحيفة اعماله (بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه) اي تمنى انه لم يؤته لما يرى فيه من مقابح اعماله التي يسود لها وجهه (ولم أدر ماحسابيه) اي ولم ادر اي شيء حسابي لأنه لا حاصل له في ذلك الحساب وإنما هو كله عليه (ياليتها كانت القاضية) الهاء في ليتها كناية عن الحال التي هم فيها وقيل هي كناية عن الموتة الاولى والقاضية القاطعة للحياة اي ليت الموتة الأولى التي متنا لم نحي بعدها عن الفراء يتمنى دوام الموت وانه لم يبعث للحساب وقال قتادة تمنى يومئذ الموت ولم يكن في الدنيا شيء عنده اكره من الموت (ماأغنى عني ماليه) اي مادفع عني مالي من عذاب الله شيئا وقيل معناه اني قصرت همتي على تحصيل المال ليكشف الكرب عني فما نفعني اليوم (هلك عني سلطانيه) اي حجتي عن ابن عباس ومجاهد اي ضل عني ما كنت اعتقده حجة وقيل معناه هلك عني تسلطي وامري ونهيي في دار الدنيا على ما كنت مسلطا عليه فلا امر لي ولا نهي ثم اخبر سبحانه انه يقول للملائكة (خذوه

فغلوه) اي اوثقوه بالغل وهو ان تشد احدى يديه ورجليه الى عنقه بجامعة (ثم الجحيم صلوه) اي ثم ادخلوه النار العظيمة والزموه اياها (ثم في سلسلة ذرعها) اي طولها (سبعون ذراعا فاسلكوه) اي اجعلوه فيها لأنه يؤخذ عنقه فيها ثم يجر بها قال الضحاك انما تدخل في فيه وتخرج من دبره فعلى هذا يكون المعنى ثم اسلكوا السلسلة فيه فقلب كما يقال ادخلت القلنسوة في رأسي وقال الأعشى « اذا ما السراب ارتدى بالأكم » وانما ارتدى الأكم بالسراب ولكنه قلب وقال نوف البكالي كل ذراع سبعون باعا والباع ابعد ما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال الحسن الله اعلم بأي ذراع هو وقال سويد بن نجيح ان جميع اهل النار في تلك السلسلة ولو ان حلقة منها وضعت على جبل لذاب من حرها ثم قال سبحانه (انه كان لا يؤمن بالله العظيم) شأنه اي لم يكن يوحد الله في دار التكليف ولا يصدق به (ولا يحض على طعام المسكين) وهو المحتاج الفقير والمعنى انه كان يمنع الزكاة والحقوق الواجبة (فليس له اليوم ههنا حميم) اي صديق ينفعه (ولا طعام) اي ولا له اليوم طعام (الا من غسلين وهو صديد أهل النار وما يجري منهم فالطعام هو ما هيئ للأكل ولذلك لا يسمى التراب طعاما للانسان فلما هيئ الصديد لأكل اهل النار كان ذلك طعاما لهم وقيل ان اهل النار طبقات فمنهم من طعامه غسلين ومنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه الضريع لأنه قال في موضع آخر ليس لهم طعام الا من ضريع وقيل يجوز ان يكون الضريع هو الغسلين فعبر عنه بعبارتين عن قطرب وقيل يجوز ان يكون المراد ليس لهم طعام الا من ضريع ولا شراب الا من غسلين كما قال الشاعر

علفتها تبنا وماء باردا حتى شأت همالة عيناها

(لا يأكله) اي لا يأكل الغسلين (ألا الخاطئون) وهم الجائرون عن طريق الحق عامدين والفرق بين الخاطئ والمخطئ ان المخطئ قد يكون من غير تعمد والخاطئ المذنب المتعمد الجائر عن الصراط المستقيم قال امرؤ القيس

يا لهف هند إن خطئن كاهلا القاتلين الملك الحلاحلا

قوله تعالى (٣٨) فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٩) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٤٠) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤١) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ (٤٢) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٤٣) تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٥) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٦) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٧) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (٤٨) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٩) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥١) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥٢) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ اثنتا عشرة آية

❋ القراءة ❋

قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب وسهل يؤمنون ويذكرون بالياء كناية عن الكفار والباقون بالتاء خطابا لهم وكلاهما حسن

❊ اللغة ❊

الوتين نياط القلب واذا انقطع مات الانسان قال الشماخ بن ضرار

اذا بلغتني وحملت رحلي عرابة فاشرقي بدم الوتين

❊ الاعراب ❊

قليلا في الموضعين صفة مصدر محذوف وما مزيدة وتقديره ايمانا قليلا تؤمنون وتذكرا قليلا تذكرون ويجوز ان يكون صفة لظرف محذوف اي وقتا قليلا تؤمنون ووقتا قليلا تذكرون ويجوز ان تكون ما مصدرية ويكون التقدير قليلا ايمانكم وقليلا تذكركم يكون ما في موضع رفع بقليل وقوله من احد في موضع رفع لأنه اسم ما ومن مزيدة لتأكيد النفي تقديره فما منكم احد والاصل فما احد منكم فمنكم في موضع رفع بكونه صفة على الموضع او في موضع جر على اللفظ فلما تقدم الموصوف صار في موضع النصب على الحال حاجزين منصوب بأنه خبر ما ولم يبطل قوله منكم عمل ما وإن فصل بينهما لأنه ظرف والفصل بالظرف في هذا الباب كلا فصل قال ابو علي ان جعلت منكم مستقرا كان حاجزين صفة احد وان جعلت منكم غير مستقر كان حاجزين خبر ما وعلى الوجهين فقوله حاجزين محمول على المعنى واقول في بيانه انه ان كان في منكم ضمير لأحد ويكون خبرا له متقدما عليه فيكون حاجزين صفة لأحد وتقديره ما منكم قوم حاجزون عنه ويكون ما غير عاملة هنا على غير لغة تميم ايضا ويكون حاجزين مجرورا حملا على اللفظ وكونه غير مستقر هو ان يكون على ما ذكرناه قبل

❊ المعنى ❊

ثم اكد سبحانه ما تقدم فقال (فلا اقسم بما تبصرون ومالا تبصرون) قيل فيه وجوه ❊ احدها ❊ ان يكون قوله لا رداً لكلام المشركين فكأنه قال ليس الأمر كما يقول المشركون اقسم بالاشياء كلها ما يبصر منها ومالا يبصر و يدخل فيها جميع المكونات (انه لقول رسول كريم) يعني محمدا صلى الله عليه وآله وسلم عن الفراء وقتادة و ❊ ثانيها ❊ ان لا مزيدة مؤكدة والتقدير فاقسم بما ترون ومالا ترون ❊ وثالثها ❊ انه نفي للقسم ومعناه لا يحتاج الى القسم لوضوح الامر في انه رسول كريم فإنه اظهر من أن يحتاج في اثباته الى قسم عن ابي مسلم و ❊ رابعها ❊ انه كقول القائل لا والله لا افعل ذلك ولا والله لأفعلن ذلك وقال الجبائي إنما اراد انه لا يقسم بالاشياء المخلوقات ما يرى ومالا يرى وإنما اقسم بربها لأن القسم لا يجوز الا بالله (انه لقول رسول كريم) قال انه قول الله على الحقيقة وإنما الملك وجبرائيل والرسول يحكون ذلك وإنما اسنده اليهم من حيث ان ما يسمع منهم كلامهم فلما كان حكاية كلام الله قيل هو كلام الله على الحقيقة في العرف قال الجبائي والرسول الكريم جبرائيل والكريم الجامع لخصال الخير (وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون) قول الشاعر ما ألفه بوزن وجعله مقفى وله معنى وقول الكاهن السجع وهو كلام متكلف يضم الى معنى يشاكله طهره الله سبحانه من الشعر والكهانة وعصمه عنها وانما منعه سبحانه من الشعر ونزهه عنه لأن الغالب من حال الشعر ان يدعو الى الهوى ويبعث على الشهوة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما ياتي بالحكم التي يدعو اليها العقل للحاجة الى العمل عليها والاهتداء بها وايضا فإنه سبحانه منعه من قول الشعر دلالة على ان القرآن ليس بصفة الكلام المعتاد بين الناس وانه ليس بشعر بل هو صنف من الكلام خارج عن الانواع المعتادة واذا بعدعما جرت

به العادة في تأليف الكلام فذلك ادل على اعجازه وقوله قليلا ما تؤمنون معناه لا تصدقون بأن القرآن من عند الله تعالى يريد بالقليل نفي إيمانهم اصلا كما تقول لمن لا يزورك قل ما تأتينا وانت تريد لا تأتينا اصلا فالمعنى لا تؤمنون به ولا تتذكرون ولا تتفكرون فتعلموا المعجز وتفصلوا بينه وبين الشعر والكهانة (تنزيل من رب العالمين) بين انه منزل من عنده على لسان جبرائيل حتى لا يتوهم انه كلام جبرائيل (ولو تقول علينا) محمد صلى الله عليه وآله وسلم (بعض الاقاويل) معناه ولو كذب علينا واختلق مالم نقله اي او تكلف القول واتى به من عند نفسه (لأخذنا منه باليمين) اي لأخذنا بيده التي هي اليمين على وجه الاذلال كما يقول السلطان يا غلام خذ بيده فاخذها اهانة عن ابن جرير وقيل معناه لقطعنا يده اليمنى عن الحسن وابي مسلم فعلى هذا تكون الباء مزيدة اي لأخذنا منه اليمين وقيل معناه لأخذنا منه بالقوة والقدرة اي لأخذناه ونحن قادرون عليه مالكون له عن الفراء والمبرد والزجاج وإنما اقام اليمين مقام القوة والقدرة لأن قوة كل شيء في ميامنه عن ابن قتيبة (ثم لقطعنا منه الوتين) اي ولكنا نقطع منه وتينه ونهلكه قال مجاهد وقتادة هو عرق في القلب متصل بالظهر وقيل هو حبل القلب (فما منكم من احد عنه حاجزين) اي فما منكم احد يحجزنا عنه والمعنى انه لا يتكلف الكذب لأجلكم مع علمه انه لو تكلف ذلك لعاقبناه ثم لم تقدروا أنتم على دفع عقوبتنا عنه ثم ذكر سبحانه ان القرآن ما هو فقال (وانه لتذكرة للمتقين) اي وانه لعظة لمن اتقى عقاب الله بطاعته (وانا لنعلم أن منكم مكذبين) بالقرآن اي علمنا ان بعضكم يكذب به اشار سبحانه الى ان منهم من يصدق ومنهم من يكذب (وانه لحسرة على الكافرين) اي ان هذا القرآن حسرة عليهم يوم القيامة حيث لم يعملوا به في الدنيا (وانه لحق اليقين) معناه وان القرآن للمتقين لحق اليقين والحق هو اليقين وإنما اضافه الى نفسه كما يقال مسجد الجامع ودار الآخرة وبارحة الاولى ويوم الخميس وما اشبه ذلك فيضاف الشيء الى نفسه اذا اختلف لفظه وقيل ان الحق هو الذي معتقده على ما اعتقد واليقين هو الذي لا شبهة فيه (فسبح باسم ربك العظيم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد به جميع المكلفين ومعناه نزه الله سبحانه عما لا يجوز عليه من الصفات والعظيم هو الجليل الذي يصغر شأن غيره في شأنه ويتضاءل كل شيء لعظمته وسلطانه

سورة المعارج (مكية)

قال الحسن الا قوله والذين في اموالهم حق معلوم

عدد آيها

اربع واربعون آية غير الشامي ثلاث شامي

اختلافها

آية الف سنة غير الشامي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن قرأ سأل سائل اعطاه الله ثواب الذين هم

لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون وعن جابر عن ابي جعفر (ع) قال من ادمن قراءة سأل سائل لم يسأله الله يوم القيامة عن ذنب عمله واسكنه جنته مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم

تفسيرها

لما ختم الله سورة الحاقة بوعيد الكفار افتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (٢) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٣) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٤) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٥) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٦) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٧) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٨) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٩) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (١٠) وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا   عشر آيات

القراءة

قرأ أهل المدينة وابن عامر سال بغير همز والباقون بالهمز وقرأ الكسائي يعرج بالياء وقرأ الباقون بالتاء وقرأ ابن كثير في رواية البزي وعاصم في رواية البرجي عن ابي بكر ولا يسأل بضم الياء والباقون لا يسأل بفتح الياء

الحجة

قال أبو علي من قرأ سال جعل الالف منقلبة عن الواو التي هي عين مثل قال وخاف وحكى ابو عثمان عن ابي زيد انه سمع من يقول هما يتساولان فمن قال سال كان على هذه اللغة ومن قرأ سأل فجعل الهمزة غير الفعل فإن حقق قال سأل وان خفف جعلها بين الالف والهمزة واما قول الشاعر

سالت هذيل رسول الله فاحشة   ضلت هذيل بما قالت ولم تصب

ويمكن فيه الوجهان وكل القراء على همز سائل لأنه لا يخلو اما أن يكون من يتساولان او من اللغة الاخرى فإن كان من الاول لم يكن فيه الا الهمز كما يكون في قائل وخائف لأن العين إذا اعتلت بالفعل اعتلت في اسم الفاعل واعتلالها لا يكون بالحذف للالتباس فقلب الى الهمزة وان كانت في لغة من همز فليس فيه الا الهمز كما يكون في ثائر الا انك ان شئت خففت الهمزة فجعلتها بين بين وكذلك في الوجه الآخر واما يعرج وتعرج فالياء والتاء فيه حسنتان ومن ضم قوله ولا يسئل حميم حميما فالمعنى والله اعلم لا يسئل حميم عن حميمه ليعرف شأنه من جهته كما يتعرف الخبر الصديق من جهة صديقه والقريب عن قريبه فإذا كان كذلك فالكلام إذا بنيت الفعل للفاعل قلت سألت زيداً عن حميمه وإذا بنيت الفعل للمفعول به قلت سئل زيد عن حميمه وقد يحذف الجار فيصل الفعل إلى الاسم الذي كان مجروراً قبل حذف الجار فينتصب بأنه مفعول الاسم الذي اسند اليه الفعل المبني للمفعول به فعلى هذا انتصب قوله حميما ويدل على هذا المعنى قوله يبصرونهم أي يبصر الحميم الحميم تقول بصرت به فإذا ضعفت عين الفعل صار الفاعل مفعولا فتقول بصرني زيد بكذا فإذا حذفت الجار قلت بصرني زيد كذا فإذا بنيت الفعل للمفعول به وقد حذفت الجار قلت بصرت زيدا فعلى هذا قوله يبصرونهم فإذا بصروهم لم يحتج إلى تعرف شأن الحميم من حميمه وإنما جمع فقيل يبصروهم لأن الحميم وان كان مفرداً في اللفظ فالمراد به الكثرة والجمع يدلك على ذلك قوله فما لنا من شافعين ولا صديق حميم

ومن قرأ ولا يسأل حميم حميما فالمعنى لا يسأل الحميم عن حميمه في ذلك اليوم لأنه يذهل عن ذلك ويشغل عنه بشأنه كما قال يوم يفر المرء من أخيه إلى قوله لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه

اللغة

المعارج مواضع العروج وهو الصعود مرتبة بعد مرتبة ومنه الأعرج لارتفاع احدى رجليه عن الاخرى قال الزجاج المهل دردي الزيت وقيل هو الجاري بغلظه وعكره على رفق من أمهله أمهالا والعهن الصوف المنفوش والحميم القريب النسب إلى صاحبه وأصله من القرب.

أحم الله ذلك من لقاء احاد احاد في شهر الحلال

الاعراب

بعذاب الباء تتعلق بسأل لأن معناه دعا داع بعذاب وقيل ان الباء بمعنى عن وتقديره عن عذاب قال

دع المعمر لا تسأل بمصرعه واسأل بمصقلة البكري ما فعلا

يريد عن مصرعه وعن مصقلة واللام في قوله للكافرين بمعنى على ويتعلق بواقع أي واقع على الكافرين وقيل انه يتعلق بمحذوف فيكون صفة لسائل تقديره سأل سائل كائن للكافرين أي منهم

المعنى

(سأل سائل بعذاب واقع) قيل ان هذا السائل هو الذي قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية وهو النضر بن الحارث بن كلدة فيكون المعنى دعا داع على نفسه بعذاب واقع مستعجلا له وهو واقع بهم لا محالة عن مجاهد وقيل سأل المشركون فقالوا لمن هذا العذاب الذي تذكر يا محمد فجاء جوابه بأنه (للكافرين ليس له دافع) عن الحسن وقيل معناه دعا داع بعذاب على الكافرين وذلك الداعي هو النبي صلى الله عليه وآله عن الجبائي وتكون الباء في بعذاب مزيدة على التوكيد كما في قوله وهزي اليك بجذع النخلة والتقدير سأل سائل عذابا واقعا وقيل هي بمعنى عن وعليه تأويل قول الحسن لأنهم سألوا عن العذاب لمن هو وقيل الباء للتعدي أي بإنزال عذاب وعليه تأويل قول مجاهد وقيل ان معنى سال سائل على قراءة من قرأ بالالف من سال يسيل سيلا والتقدير سال سيل سائل بعذاب واقع وقيل سائل اسم واد في جهنم سمي به لأنه يسيل بالعذاب عن ابن زيد واخبرنا السيد ابو الحمد قال حدثنا الحاكم ابو القاسم الحسكاني قال حدثنا ابو عبد الله الشيرازي قال حدثنا ابو بكر الجرجاني قال حدثنا ابو احمد البصري قال حدثنا محمد بن سهل قال حدثنا زيد بن اسماعيل مولى الانصار قال حدثنا محمد بن ايوب الواسطي قال حدثنا سفيان بن عيينه عن جعفر ابن محمد الصادق عن آبائه عليهم السلام قال لما نصب رسول الله صلى الله عليه وآله عليا (ع) يوم غدير خم وقال من كنت مولاه فعلي مولاه طار ذلك في البلاد فقدم على النبي صلى الله عليه وآله النعمان بن الحرث الفهري فقال امرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وانك رسول الله وأمرتنا بالجهاد والحج والصوم والصلاة والزكاة فقبلناها ثم لم ترض حتى نصبت هذا الغلام فقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء منك أو أمر من عند الله فقال والله الذي لا إله إلا هو ان هذا من الله فولى النعمان بن الحرث وهو يقول اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فرماه الله بحجر على رأسه فقتله وانزل الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وقوله ليس له دافع (من الله ذي المعارج) أي ليس لعذاب الله دافع من الله وقيل معناه بعذاب للكافرين

واقع من الله اي وقوعه من الله وذي المعارج صفة الله سبحانه وقيل فيه وجوه * أحدها * ان معناه ذي الفواضل العالية والدرجات التي يعطيها للأنبياء والاولياء في الجنة لأنه يعطيهم المنازل الرفيعة والدرجات العلية وهو معنى قول قتادة والجبائي * وثانيها * انها معارج السماء أي مواضع عروج الملائكة عن ابن عباس ومجاهد وقال الكلبي معناه ذي السموات لأن الملائكة تعرج فيها * وثالثها * انه بمعنى ذي الملائكة أي مالك الملائكة التي تعرج إلى السماء ومنه ليلة المعراج لأنه عرج بالنبي ﷺ إلى السماء فيها (تعرج الملائكة والروح) أي تصعد الملائكة ويصعد الروح ايضا معهم وهو جبرائيل خصه بالذكر من بين الملائكة تشريفا له (اليه) أي إلى الموضع الذي لا يجري لاحد سواه فيه حكم جعل سبحانه عروجهم إلى ذلك الموضع عروجا اليه كقول ابراهيم (ع) اني ذاهب الى ربي الى الموضع الذي وعدني ربي (في يوم كان مقداره خمسين الف سنة) اختلف في معناه فقيل تعرج الملائكة الى الموضع الذي يأمرهم الله به في يوم كان مقداره من عروج غيرهم خمسين الف سنة وذلك من أسفل الارضين إلى فوق السموات السبع وقوله في سورة السجدة في يوم كان مقداره الف سنة هو لما بين السماء الدنيا والارض في الصعود والنزول خمسمائة سنة في الصعود وخمسمائة سنة في النزول عن مجاهد والمراد ان الآدميين لو احتاجوا إلى قطع هذا المقدار الذي قطعته الملائكة في يوم واحد لقطعوه في هذه المدة وقيل انه يعني يوم القيامة وانه يفعل فيه من الامور ويقضي فيه من الاحكام بين العباد ما لو فعل في الدنيا لكان مقداره خمسين الف سنة عن الجبائي وهو معنى قول قتادة وعكرمة وروى ابو سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله ما أطول هذا اليوم فقال والذي نفس محمد بيده انه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال لو ولي الحساب غير الله لمكثوا فيه خمسين الف سنة من قبل ان يفرغوا والله سبحانه يفرغ من ذلك في ساعة وعنه أيضا قال لا ينتصف ذلك اليوم حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وقيل معناه ان أول نزول الملائكة في الدنيا وامره ونهيه وقضائه بين الخلائق إلى آخر عروجهم إلى السماء وهو القيامة هذه المدة فيكون مقدار الدنيا خمسين الف سنة لا يدري كم مضى وكم بقي وانما يعلمه الله عز وجل وقال الزجاج يجوز أن يكون قوله في يوم من صلة واقع فيكون المعنى سأل سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وذلك العذاب يقع يوم القيامة (فاصبر) يا محمد على تكذيبهم إياك (صبرا جميلا) لا جزع فيه ولا شكوى على ما تقاسيه (انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا) أخبر سبحانه انه يعلم مجيء يوم القيامة وحلول العقاب بالكفار قريبا ويظنه الكفار بعيدا لأنهم لا يعتقدون صحته وكل ما هو آت فهو قريب دان فالرؤية الاولى بمعنى الظن والثانية بمعنى العلم ثم اخبر سبحانه انه متى يقع العذاب بهم فقال (يوم تكون السماء كالمهل) أي كدردي الزيت عن ابن عباس وقيل كعكر القطران عن عطاء وقيل مثل الفضة إذا اذيبت عن الحسن وقيل مثل الصفر المذاب عن ابي مسلم (وتكون الجبال كالعهن) أي كالصوف المصبوغ وقيل كالصوف المنفوش عن مقاتل وقيل كالصوف الأحمر عن الحسن يعني انها تلين بعد الشدة وتتفرق بعد الاجتماع قال الحسن انها اولا تصير كثيبا مهيلا ثم تصير عهنا منفوشا ثم هباء منثوراً (ولا يسأل حميم حميما) لشغل كل انسان بنفسه عن غيره عن مجاهد وقيل لا يسأل حميم حميما ان يتحمل عنه من اوزاره ليأسه منه ذلك في الآخرة عن الحسن وقال الأخفش الحميم من يخصه الرجل مودة

وشفقة من قريب الرحم وبعيده والحامة الخاصة وقيل معناه انه لا يحتاج الى سؤاله لأنه يكون لكل علامة يعرف بها فعلامة الكافرين سواد الوجوه وزرقة العيون وعلامة المؤمنين نضارة اللون وبياض الوجوه

قوله تعالى (١١) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١٢) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٣) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٤) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٥) كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (١٦) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى (١٧) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (١٨) وَجَمَعَ فَأَوْعَى (١٩) إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (٢٠) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢١) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢٢) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٣) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٤) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (٢٥) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ (٢٦) وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (٢٧) وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٢٨) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٩) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٣٠) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣١) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٣٢) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٣٣) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ (٣٤) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٥) أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ خمس وعشرون آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص نزاعة بالنصب والباقون بالرفع وقرأ ابن كثير لأمانتهم بغير الف بعد النون والباقون لاماناتهم بالجمع وقرأ حفص ويعقوب وسهل بشهاداتهم على الجمع والباقون بشهادتهم وكلهم قرأوا على صلاتهم على التوحيد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ انها لظى نزاعة للشوى فرفع نزاعة جاز في رفعه ما جاز في قولك هذا زيد منطلق وهذا بعلي شيخ ومن نصب فعلى وجهين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون حالا ﴿ والآخر ﴾ ان يحمل على فعل فحمله على الحال يبعد لأنه ليس في الكلام ما يعمل في الحال فإن قلت فإن في قوله لظى معنى التلظي والتلهب فإن ذلك لا يستقيم لأن لظى معرفة لا ينتصب عنها الاحوال الا ترى أن ما استعمل استعمال الاسماء من اسم فاعل او مصدر لم يعمل هذا النحو من حيث جرى مجرى الاسماء فبأن لا يعمل الاسم المعرفة عمله اولى ويدلك على تعريف هذا الاسم وكونه علما ان التنوين لم يلحقه فإذا كان كذلك لم ينتصب الحال عنه فإن جعلتها مع تعريفها قد صارت معروفة بشدة التلظي جاز ان تنصبه بهذا المعنى الحادث في العلم وعلى هذا قوله تعالى وهو الله في السماوات وفي الارض علقت الظرف بما دل عليه الاسم من التدبير والالطاف فإن علقت الحال بالمعنى الحادث في العلم كما علقت الظرف بما دل عليه الاسم من التدبير والالطاف لم يمتنع لأن الحال كالظرف في تعلقها بالمعنى كتعلق الظرف به وكان وجها وان علقت نزاعة بفعل مضمر نحو اعنيها نزاعة

للشوى لم يمتنع أيضا وأما قوله لأماناتهم على الافراد وان كان مضافا الى جماعة ولكل واحد منهم امانة فلأنه مصدر يقع على جميع الجنس ويتناوله ومن جمع فلاختلاف الامانات وكثرة ضروبها فأشبهت بذلك الاسماء التي ليست للجنس والقول في الشهادة والشهادات مثل القول في الامانة والامانات

﴿ اللغة ﴾

المودة مشتركة بين التمني وبين المحبة يقال وددت الشيء اي تمنيته وودته اي احببته أود فيهما جميعا والافتداء افتداء الضرر عن الشيء ببدل منه والفصيلة الجماعة المنقطعة عن جملة القبيلة برجوعها الى ابوة خاصة عن ابوة عامة ولظى اسم من اسماء جهنم مأخوذة من التوقد والنزاعة الكثيرة النزع وهو اقتلاع عن شدة ضم والاقتلاع اخذ بشدة اعتماد والشوى جلدة الرأس واحدتها شواة قال الاعشى

قالت قتيلة ما له قد جللت شيبا شواته

والشوى الاكارع والاطراف والشوى ما عدى المقاتل من كل حيوان يقال رماه فأشواه أي اصاب غير مقتله ورمى فاصمى اي اصاب المقتل والشوى أيضا الخسيس من المال والهلوع الشديد الحرص الشديد الجزع والاشفاق رقة القلب عن تحمل ما يخاف من الامور فإذا قسا قلب الانسان بطل الاشفاق والعادي الخارج عن الحق يقال عدا فلان إذا اعتدى وعدا في مشيه إذا اسرع وهو الاصل والعادي الظالم بالاسراع الى الظلم

﴿ الاعراب ﴾

يجوز ان يكون العامل في الظرف من قوله يوم تكون السماء كالمهل قوله يبصرونهم وقوله يود المجرم يجوز أن يكون استئناف كلام ويجوز أن يكون في محل الجر بدلا من تكون السماء كالمهل. هلوعا ومنوعا وجزوعا منصوبة على الحال والتقدير خلق هلوعا جزوعا إذا مسه الشر منوعا إذا مسه الخير والمصلين منصوب على الاستثناء وقوله إلا على ازواجهم قيل أن على هذه محمولة على المعنى والتقدير فإنهم يلامون على غير أزواجهم ويدل عليه قوله فإنهم غير ملومين عن الزجاج وقيل تقديره الا من أزواجهم فيكون على بمعنى من

﴿ المعنى ﴾

لما وصف سبحانه القيامة واخبر أن الحميم فيه لا يسأل حميمه لشغله بنفسه قال (يبصرونهم) اي يعرف الكفار بعضهم بعضا ساعة ثم لا يتعارفون ويفر بعضهم من بعض عن ابن عباس وقتادة وقيل يعرفهم المؤمنون عن مجاهد اي يبصر المؤمن اعداءه على حالهم من العذاب فيشمت بهم ويسر وقيل يعرف اتباع الضلالة رؤساءهم وقيل ان الضمير يعود الى الملائكة وقد تقدم ذكرهم اي يعرفهم الملائكة ويجعلون بصراء بهم فيسوقون فريقا الى الجنة وفريقا الى النار (يود المجرم) اي يتمنى العاصي (لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه) يتمنى سلامته من العذاب النازل به بإسلام كل كريم عليه من اولاده الذين هم اعز الناس عليه (وصاحبته) أي وزوجته التي كانت سكنا له وربما آثرها على ابويه (واخيه) الذي كان ناصرا له ومعينا (وفصيلته) اي وعشيرته (التي تؤويه) في الشدائد وتضمه ويأوي اليها في النسب (ومن في الارض جميعا) اي وبجميع الخلائق يقول يود لو يفتدي بجميع هذه الاشياء (ثم ينجيه) ذلك الفداء (كلا) لا ينجيه ذلك قال الزجاج كلا ردع وتنبيه اي لا يرجع احد من هؤلاء فارتدعوا (انها لظى) يعني ان نار جهنم

او القصة لظى نزاعة للشوى وسميت لظى لأنها تتلظى اي تشتعل وتلتهب على اهلها وقيل لظى اسم من اسماء جهنم وقيل هي الدركة الثانية منها وهي (نزاعة للشوى) تنزع الاطراف فلا تترك لحما ولا جلدا إلا احرقته عن مقاتل وقيل تنزع الجلد وأم الرأس عن ابن عباس وقيل تنزع الجلد واللحم عن العظم عن الضحاك وقال الكلبي يعني تأكل الدماغ كله ثم يعود كما كان وقال ابو صالح الشوى لحم الساق وقال سعيد بن جبير العصب والعقب وقال ابو العالية محاسن الوجه (تدعو من ادبر وتولى) يعني النار تدعو الى نفسها من ادبر عن الايمان وتولى عن طاعة الله ورسوله عن قتادة والمعنى انه لا يفوت هذه النار كافر فكأنها تدعوه فيجيبها كرها وقيل ان الله تعالى ينطق النار حتى تدعوهم اليها وقيل معناه تدعو زبانية النار من ادبر وتولى عن الحق فجعل ذلك سبحانه دعاء من النار عن الجبائي وقيل تدعو اي تعذب رواه المبرد عن الخليل قال يقال دعاك الله اي عذبك (وجمع) المال (فاوعى) اي امسكه في الوعاء فلم ينفقه في طاعة الله فلم يؤدّ زكاة ولم يصل رحما وقيل جمعه من باطل ومنعه عن الحق (ان الانسان خلق هلوعا) اي ضجورا شحيحا جزوعا من الهلع وهو شدة الحرص وقال اهل البيان تفسير فيما بعده (اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا) يعني اذا اصابه الفقر لا يحتسب ولا يصبر واذا اصابه الغنى منعه من البر ثم استثنى سبحانه الموحدين المطيعين فقال (الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون) مستمرون على ادائها لا يخلون بها ولا يتركونها وروي عن ابي جعفر (ع) ان هذا في النوافل وقوله (والذين هم على صلاتهم يحافظون) في الفرائض والواجبات وقيل هم الذين لا يزيلون وجوههم عن سمت القبلة عن عقبة عن عامر والزجاج (والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم) يعني الزكاة المفروضة والسائل الذي يسأل والمحروم الفقير الذي يتعفف ولا يسأل وقد سبق تفسيرها وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال الحق المعلوم ليس من الزكاة وهو الشيء الذي تخرجه من مالك ان شئت كل جمعة وان شئت كل يوم ولكل ذي فضل فضله وروي عنه ايضا انه قال هو ان تصل القرابة وتعطي من حرمك وتصدق على من عاداك (والذين يصدقون بيوم الدين) اي يؤمنون بأن يوم الجزاء والحساب حق لا يشكون في ذلك (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) اي خائفون (ان عذاب ربهم غير مأمون) اي لا يؤمن حلوله بمستحقيه وهم العصاة وقيل معناه يخافون ان لا تقبل حسناتهم ويؤخذون بسيئاتهم وقيل غير مأمون لأن المكلف لا يدري هل ادى الواجب كما امر به وهل انتهى عن المحظور على ما نهى عنه ولو قدرنا ان انسانا يعلم ذلك من نفسه لكان آمنا (والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت أيمانهم) يعني الذين يحفظون فروجهم عن المناكح على كل وجه وسبب الا على الازواج وملك الأيمان من الاماء (فإنهم غير ملومين) على ترك حفظ الفروج عنهم (فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) فمن طلب وراء ما أباحه الله له من الفروج فأولئك هم الذين تعدوا حدود الله وخرجوا عما اباحه لهم ومعنى وراء ذلك ما خرج عن حده من اي جهة كان (والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون) اي حافظون والامانة ما يؤتمن المرء عليه مثل الوصايا والودائع والحكومات ونحوها وقيل الأمانة الايمان وما اخذ الله على عباده من التصديق بما اوجبه عليهم والعمل بما يجب عليهم العمل به (والذين هم بشهاداتهم قائمون) اي يقيمون الشهادات التي تلزمهم اقامتها والشهادة الاخبار بالشيء انه على ما شاهدوه ذلك انه قد يكون عن مشاهدة للمخبر به وقد يكون عن مشاهدة ما يدعوا اليه (والذين هم

علی صلوتهم يحافظون) اي يحفظون اوقاتها واركانها فيؤدونها بتمامها ولا يضيعون شيئا منها وروى محمد بن الفضيل عن ابي الحسن (ع) انه قال أولئك اصحاب الخمسين صلاة من شيعتنا وروى زرارة عن ابي جعفر (ع) قال هذه الفريضة من صلاها لوقتها عارفا بحقها لا يؤثر عليها غيرها كتب الله له بها براءة لا يعذبه ومن صلاها لغير وقتها مؤثرا عليها غيرها فإن ذلك اليه ان شاء غفر له وان شاء عذبه (وأولئك) وصفوا بهذه الصفات (في جنات) اي بساتين يجنها الشجر (مكرمون) معظمون مبجلون بما يفعل بهم من الثواب

قوله تعالى (٣٦) فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (٣٧) عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ (٣٨) أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٩) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (٤٠) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤١) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤٢) فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ (٤٣) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٤) خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ تسع آيات

القراءة

قرأ ابن عامر وحفص وسهل إلى نصب بضمتين والباقون إلى نصب بفتح النون وسكون الصاد

الحجة

قال ابو علي يجوز أن يكون نصب جمع نصب مثل سقف وسقف وورد وورد ومن ثقل فقال نصب كان بمنزلة اسد ويمكن أن يكون النصب والنصب لغتين كالضعف والضعف وما اشبه ذلك ويكون الثقيل كشغل وشغل وطنب وطنب

اللغة

قال الزجاج المهطع المقبل ببصره على الشيء لا يزايله وذلك من نظر العدو وقال ابو عبيدة الاهطاع الاسراع وعزين جماعات في تفرقة واحدتهم عزة وإنما جمع بالواو والنون لأنه عوض مثل سنة وسنون وأصل عزة عزوة من عزاه يعزوه إذا أضافه إلى غيره فكل جماعة من هذه الجماعات مضافة إلى الاخرى قال الراعي

اخليفة الرحمن إن عشيرتي ... امسى سوامهم عزين فلولا

وقال عنترة

وقرن قد تركت لدى مكر ... عليه الطير كالعصب العزينا

وقيل إن المحذوف من عزة هاء والاصل عزهة وهو من العزهاة وهو المنقبض عن النساء وعن اللهو معهن قال الاحوص

إذا كنت عزهاة عن اللهو والصبى ... فكن حجرا من يابس الصخر جلمدا

وعن ابي هريرة قال خرج النبي ﷺ على اصحابه وهم حلق حلق متفرقون فقال مالي أراكم عزين والاجداث القبور وأحدها جدث وجدف بمعناه والايفاض الاسراع والنصب الصنم الذي كانوا يعبدونه قال الاعشى

وذا النصب المنصوب لا تنسكنه لعاقبة والله ربك فاعبدا

الاعراب

فما للذين كفروا ما رفع بالابتداء واللام خبره وفيه ضميره وقبلك في موضع الحال من كفروا أو من المجرور على التقدير فما لهم ثابتين قبلك ومهطعين حال من الضمير في قبلك ويجوز في قبلك أن يكون ظرفا للام وأن يكون ظرفا لمهطعين ويجوز أن يكون مهطعين حالا بعد حال وعن اليمين يتعلق به وعزين حال بعد حال ويجوز أن يتعلق عن اليمين بعزين ومعناه مجتمعين عن اليمين وعن الشمال. كأنهم الى نصب يوفضون جملة منصوبة الموضع على الحال من قوله سراعا خاشعة ابصارهم حال من الضمير في يوفضون

المعنى

ثم قال سبحانه على وجه الانكار على الكفار (فما للذين كفروا) يعني اي شيء للذين كفروا بتوحيد الله أي ما بالهم وما حملهم على ما فعلوا (قبلك) اي عندك يا محمد (مهطعين) مسرعين اليك عن ابي عبيدة وقيل متطلعين عن الحسن وقيل مقبلين عنك بوجوههم لا يلتفتون عنك أي ناظرين اليك بالعداوة والمراد بالذين كفروا هنا المنافقون (عن اليمين وعن الشمال) أي عن يمينك وعن شمالك (عزين) اي جماعات متفرقين عصبة عصبة وجماعة جماعة (ايطمع كل امرئ) منهم أي من هؤلاء المنافقين (بأن يدخل جنة نعيم) كما يدخل أولئك الموصوفون قبل هذا وإنما قال هذا لأنهم كانوا يقولون إن كان الامر على ما قال محمد فإن لنا في الآخرة عند الله افضل مما للمؤمنين كما اعطانا في الدنيا افضل مما اعطاهم (كلا) اي لا يكون ولا يدخلونها (انا خلقناهم مما يعلمون) أي من النطفة عن الحسن أي من كان اصله من هذا الماء المهين فكيف استوجب الجنة باصله وبنفسه إنما يستوجبها بالاعمال الصالحة نبه سبحانه بهذا على أن الناس كلهم من اصل واحد وإنما يتفاضلون بالإيمان والطاعة وتحقيقه إنما خلقناهم من المقاذر والانجاس فمتى يدخلون الجنة ولم يؤمنوا بي ولم يصدقوا رسولي وقيل معناه خلقناهم من الجنس الذين يعلمون او من الخلق الذين يعلمون ويفقهون ويلزمهم الحجة ولم نخلقهم من الجنس الذي لا يفقه كالبهائم والطير وقيل معناه خلقناهم من اجل ما يعلمون من الثواب والعقاب والتكليف للطاعات تعريضا للثواب كما يقول القائل غضبت عليك مما تعلم اي من اجل ما تعلم قال الاعشى

أأزمعت من آل ليلى ابتكارا وشطت على ذي هوى ان تزارا

اي من اجل آل ليلى ودل قوله وشطت على ذي هوى انه لم يزمع من عندهم وإنما ازمع اجلهم للمصير اليهم (فلا اقسم) هو مفسر في سورة الحاقة (برب المشارق والمغارب) يعني مشارق الشمس ومغاربها فإن لها ثلاثمائة وستين مطلعا لكل يوم مطلع لا تعود اليه إلى قابل عن ابن عباس (انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم) هذا جواب القسم يعني انا نقدر على ان نهلكهم ونأتي بدلهم بقوم آخرين خيرا منهم (وما نحن بمسبوقين) هذا عطف على جواب القسم اي وان هؤلاء الكفار لا يفوتون بأن يتقدموا على وجه يمنع من لحاق العذاب

بهم فإنهم لم يكونوا سابقين ولا العقاب مسبوقا منهم والتقدير وما نحن بمسبوقين يفوت عقابنا اياهم فإنهم او سبقوا عقابنا لسبقونا وقيل معناه وما نحن بمغلوبين عن ابي مسلم (فذرهم يخوضوا) في باطلهم (ويلعبوا) فإن وبال ذلك عائد عليهم (حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) يعني يوم القيامة (يوم يخرجون من الاجداث) اي القبور (سراعا) مسرعين لشدة السوق (كأنهم إلى نصب يوفضون) اي كأنهم يسعون ويسرعون إلى علم نصب لهم عن الجبائي وابي مسلم وقيل كأنهم إلى اوثانهم يسعون للتقرب اليها عن ابن عباس وقتادة (خاشعة ابصارهم) اي ذليلة خاضعة لا يستطيعون النظر من هول ذلك اليوم (ترهقهم ذلة) اي تغشاهم مذلة (ذلك اليوم الذي) وصفه اليوم الذي (كانوا يوعدون) به دار التكليف فلا يصدقون به ويجحدونه قدشاهدوه في تلك الحال

سورة نوح (مكية)

﴿ عدد آيها ﴾

ثمان وعشرون آية كوفي تسع بصري شامي ثلاثون في الباقين .

﴿ اختلافها ﴾

اربع آيات سواعا فادخلوا نارا كلاهما غير الكوفي ونسرا كوفي والمدني الاخير اضلوا كثيرا مكي والمدني الاول

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح ابو عبد الله (ع) قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ويقرأ كتابه فلا يدع ان يقرأ سورة إنا ارسلنا نوحا فأي عبد قرأها محتسبا صابرا في فضيلة او نافلة اسكنه الله مساكن الابرار واعطاه ثلاث جنان مع جنة كرامة من الله وزوجه مائتي حوراء واربعة آلاف ثيب إن شاء الله تعالى

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم سبحانه تلك السورة بوعيد اهل التكذيب افتتح هذه السورة بذكر قصة نوح وقومه وما نالهم بالتكذيب تسلية للنبي ﷺ فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢) قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٣) أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٤) يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٥) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٦) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٧) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَٱسْتَكْبَرُوا ٱسْتِكْبَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٩) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ

لَهُمْ إِسْرَاراً (١٠) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١١) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (١٢) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً (١٣) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً (١٤) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً اربع عشرة آية

﴿ اللغة ﴾

الاستغشاء طلب التغشي والاصرار الاقامة على الامر بالعزيمة عليه والمدار الكثير الدرور بالغيث والمطر والامداد الحاق الثاني بالاول على النظام حالا بعد حال يقال امده بكذا ومد النهر نهر آخر والاموال جمع المال وهو عند العرب النعم واصل الوقار الثبوت وما به يكون الشيء عظيما من الحلم الذي يمتنع معه الخرق والرجاء بمعنى الخوف قال ابو ذويب

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها وخالفها في بيت نوب عواسل

﴿ الاعراب ﴾

ان انذر قومك في موضع نصب بأرسلنا لأن الأصل بان انذر قومك فلما سقطت الباء افضى الفعل وقيل ان موضعه جر وان سقطت الباء وقد تقدم بيانه ويجوز ان يكون ان هذه المفسرة بمعنى اي وجهارا مصدر وضع موضع الحال اي دعوتهم مجاهرا لهم بالدعاء الى التوحيد وقوله مدرارا نصب على الحال . لا ترجون لله وقاراً جملة في موضع الحال ايضاً والعامل في الحال في ما لكم من معنى الفعل وقارا منصوب بأنه مفعول ترجون

﴿ المعنى ﴾

اخبر سبحانه عن نفسه فقال (انا ارسلنا) اي بعثنا (نوحا) رسولا (الى قومه ان انذر قومك من قبل ان يأتيهم عذاب اليم) معناه ارسلنا لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا قال الحسن امره ان ينذرهم عذاب الدنيا قبل عذاب الآخرة ثم حكى ان نوحا امتثل ما امر الله سبحانه به بأن قال (قال يا قوم) اضافهم الى نفسه فكأنه قال انتم عشيرتي يسوؤني ما يسوؤكم (اني لكم نذير مبين) اي مخوف مبين وجوه الادلة في الوعيد وبيان الدين والتوحيد (اعبدوا الله واتقوه) اي اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتقوا معاصيه (واطيعون) فيما امركم به لأن طاعتي مقرونة بطاعة الله وطاعة الله واجبة عليكم لمكان نعمه السابقة التي لا توازيها نعمة منعم (يغفر لكم من ذنوبكم) اي فإنكم ان فعلتم ذلك يغفر لكم ذنوبكم ومن مزيدة وقيل ان من هاهنا للتبعيض والمعنى يغفر لكم ذنوبكم السالفة وهي بعض الذنوب التي تضاف اليكم ولما كانت ذنوبهم التي يستأنفونها لا يجوز الوعد بغفرانها على الاطلاق لما يكون في ذلك من الاغراء بالقبيح قيد سبحانه هذا التقييد (ويؤخركم الى اجل مسمى) وفي هذا دلالة على ثبوت اجلين كأنه شرط في الوعد بالاجل المسمى عبادة الله والتقوى فلما لم يقع ذلك منهم اقتطعوا بعذاب الاستيصال قبل الأجل الاقصى بالأجل الادنى ثم قال (ان اجل الله) يعني الاقصى (إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) صحة ذلك وتؤمنون به قال الحسن يعني بأجل الله يوم القيامة جعله اجلا البعث ويجوز ان يكون هذا حكاية عن قول نوح (ع) لقومه ان يكون اخبارا منه سبحانه عن نفسه (قال) نوح (رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا) الى عبادتك وخلع الانداد من دونك والى الإقرار بنبوتي (فلم يزدهم دعائي الا فرارا) اي لم يزدادوا بدعائي اياهم الا فرارا

من قبوله ونفارا منه وادبارا عنه وإنما سمي كفرهم عند دعائه زيادة في الكفر لأنهم كانوا على كفر وضلال فلما دعاهم نوح (ع) الى الاقلاع عن ذلك والاقرار به ولم يقبلوه فكفروا بذلك كأن ذلك زيادة في الكفر لأن الزيادة هي اضافة الشيء الى مقدار قد كان حاصلا ولو حصلا جميعا في وقت واحد لم يكن لأحدهما زيادة على الآخر (واني كلما دعوتهم) الى الاخلاص عبادتك لتغفر لهم) سيئاتهم (جعلوا اصابعهم في آذانهم) لئلا يسمعوا كلامي ودعائي (واستغشوا ثيابهم) اي غطوا بها وجوههم لئلا يروني (واصروا) اي داموا على كفرهم (واستكبروا استكبارا) اي تكبروا وانفوا عن قبول الحق والاصرار الإقامة على الامر بالعزيمة عليه فلما كانوا عازمين على الكفر كانوا مصرين وقيل ان الرجل منهم كان يذهب بابنه الى نوح فيقول له احذر وهذا لا يغوينك فإن ابي قد ذهب بي اليه وانا مثلك فحذرني مثل ما حذرتك عن قتادة (ثم اني دعوتهم جهارا) اي بأعلى صوتي عن ابن عباس وقيل مجاهرة يرى بعضهم بعضا اي ظاهرا غير خفي (ثم اني اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا) أي دعوتهم في العلانية وفي السر وقيل معناه إني اعلنت جماعة بالدعوة واسررت جماعة ثم اعلنت للذين اسررت واسررت للذين اعلنت لهم ومعناه اني سلكت معهم في الدعوة كل مذهب وتلطفت لهم في ذلك غاية التلطف فلم يجيبوا (فقلت استغفروا ربكم) اي اطلبوا منه المغفرة على كفركم ومعاصيكم (إنه كان غفارا) لكل من طلب منه المغفرة فمتى رجعتم عن كفركم واطعتموه (يرسل السماء عليكم مدرارا) اي كثيرة الدرور بالغيث وقيل انهم كانوا قد قحطوا واسنتوا وهلكت اموالهم واولادهم فلذلك رغبهم في رد ذلك بالاستغفار مع الإيمان والرجوع إلى الله قال الشعبي قحط المطر على عهد عمر بن الخطاب فصعد المنبر ليستسقي فلم يذكر إلا الاستغفار حتى نزل فلما نزل قيل له ما سمعناك استسقيت قال لقد طلبت الغيث بمجاريح السماء التي بها يستنزل القطر ثم قرأ هذه الآية (ويمدد كم بأموال وبنين)اي يكثر اموالكم واولادكم الذكور عن عطا (ويجعل لكم جنات) اي بساتين في الدنيا (ويجعل لكم انهارا)تسقون بها جناتكم قال قتادة علم نبي الله نوح انهم كانوا اهل حرص على الدنيا فقال هلموا إلى طاعة الله فإن فيها درك الدنيا والآخرة وروى الربيع بن صبيح أن رجلا اتى الحسن فشكا اليه الجدوبة فقال له الحسن استغفر الله وأتاه آخر فشكا اليه الفقر فقال له استغفر الله وأتاه آخر فقال ادع الله ان يرزقني ابنا فقال له استغفر الله فقلنا اتاك رجال يشكون ابوابا ويسألون انواعا فأمرتهم كلهم بالاستغفار فقال ما قلت ذلك من ذات نفسي إنما اعتبرت فيه قول الله تعالى حكاية عن نبيه نوح إنه قال لقومه استغفروا ربكم انه كان غفارا إلى آخره وروى علي بن مهزيار عن حماد بن عيسى عن محمد بن يوسف عن ابيه قال سأل رجل ابا جعفر (ع) وانا عنده فقال له جعلت فداك اني كثير المال وليس يولد لي ولد فهل من حيلة قال نعم استغفر ربك سنة في آخر الليل مئة مرة فإن ضيعت ذلك بالليل فاقضه بالنهار فإن الله يقول استغفروا ربكم إلى آخره ثم قال نوح (ع) لهم على وجه التبكيت (مالكم) معاشر الكفار (لا ترجون لله وقارا) اي لا تخافون لله عظمة فالوقار العظمة اسم من التوقير وهو التعظيم والرجاء الخوف هنا والمعنى لا تعظمون الله حق عظمته فتوحدوه وتطيعوه عن ابن عباس ومجاهد وقيل معناه ما لكم لا ترجون لله عاقبة عن قتادة اي لا تطمعون في عاقبة لعظمة الله تعالى وقيل معناه ما لكم لا تخافون لله عذابا ولا ترجون منه ثوابا في رواية اخرى عن ابن عباس وقيل معناه ما لكم لا ترجون لله عاقبة الإيمان وتوحدون الله عن الزجاج وقيل معناه مالكم لا تعتقدون لله

اثباتا عن ابي مسلم (وقد خلقكم اطوارا) اي خلقكم طورا نطفة ثم طورا علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم كسا العظام لحما ثم انشأه خلقا آخر نبت له الشعر وكمل له الصورة عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل اطوارا احوالا حالا بعد حال وقيل معناه صبيانا ثم شبانا ثم شيوخا وقيل خلقكم مختلفين في الصفات اغنياء وفقراء وزمناء واصحاء وطوالا وقصارا والآية محتملة للجميع

قوله تعالى (١٥) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ طِبَاقًا (١٦) وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا (١٧) وَٱللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا (١٨) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٩) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا (٢٠) لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢١) قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (٢٢) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (٢٣) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا (٢٤) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا (٢٥) مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا (٢٦) وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٧) إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٢٨) رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا

اربع عشرة آية

القراءة

قرأ اهل المدينة ودا بالضم والباقون بالفتح وقرأ ابو عمرو مما خطاياهم والباقون مما خطيئاتهم بالتاء والمد والهمزة وقد ذكرنا الاختلاف في ولده في سورة مريم (ع)

الحجة

قال ابو عبيدة زعموا أن ودا كان صنم لهذا الحي من كلب وحكاه بالفتح قال وسمعت قول الشاعر

فحياك ود من هداك لفتية وخوص بأعلا ذي فضالة هجد

وقال ابو الحسن ضم اهل المدينة الواو وعسى أن يكون لغة في اسم الصنم وسمعت هذا البيت

حياك ودا فإنا لا يحل لنا لهو النساء وان الدين قد عزما

الواو مضمومة وخطاياهم جمع التكسير وخطيئات جمع التصحيح وما زائدة كالتي في قوله فبما رحمة من الله وقوله فبما نقضهم ميثاقهم

اللغة

الفجاج الطرق المتسعة المتفرقة واحدها فج وقيل الفج المسلك بين جبلين والسواع هنا صنم وفي غيره الساعة من الليل ومثله السعواء والكبار الكبير جدا يقال كبير ثم كبار ثم كبّار ومثله عجيب وعجاب وعجّاب وحسن وحسان وحسّان وروى أن اعرابيا سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ ومكروا مكرا كبارا فقال ما افصح ربك يا محمد وهذا من جفاء الاعراب لأن الله تعالى سبحانه لا يوصف بالفصاحة وديارا فيعال

من الدوران ونحوه القيام والاصل قيوام وديوار فقلبت الواو ياء وادغمت احداهما في الاخرى قال الزجاج يقال ما بالدار ديار أي ما بها احد يدور في الأرض قال الشاعر

وما نبالي إذا ما كنت جارتنا ... أن لا يجاورنا الاك ديار

فجعل المتصل موضع المنفصل ضرورة

❊ الاعراب ❊

طباقا منصوبا على احد وجهين أن يكون على تقدير خلقهن طباقا وان يكون نعتا لسبع اي سبع سموات ذات طباق نباتا مصدر فعل محذوف تقديره انبتكم فنبتم نباتا وقال الزجاج هو محمول على المعنى لأن معنى انبتكم جعلكم تنبتون نباتا ومامن قوله ما خطيئاتهم مزيدة لتأكيد الكلام

❊ المعنى ❊

ثم خاطب سبحانه المكلفين منبها لهم على توحيده فقال (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) أي واحدة فوق الاخرى كالقباب (وجعل القمر فيهن نورا) قيل فيه وجوه ❊ احدها ❊ أن المعنى وجعل القمر نورا في السموات والارض عن ابن عباس قال يضيء ظهره لما يليه من السموات ويضيء وجهه لأهل الأرض وكذلك الشمس ❊ وثانيها ❊ أن معنى فيهن معهن يعني وجعل القمر معهن أي مع خلق السموات نورا لأهل الأرض ❊ وثالثها ❊ أن معنى فيهن في حيزهن وإن كان في واحدة منها كما تقول ان في هذه الدور لبئرا وان كانت في واحدة منها لأن ما كان في احداهن كان فيهن وكما تقول اتيت بني تميم وإنما اتيت بعضهم (وجعل الشمس سراجا) اسي مصباحا يضيء لأهل الأرض لما كانت الشمس جعل فيها النور للاستضاءة به كانت سراجا فهي سراج العالم كما أن المصباح سراج الإنسان (والله انبتكم من الارض نباتا) يعني مبتدأ خلق آدم وآدم خلق من الأرض والناس ولده وهذا كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وقيل معناه انه أنشأ جميع الخلق باغتذاء ما تنبته الارض ونما فيها وقيل معناه انبتكم من الارض بالكبر بعد الصغر وبالطول بعد القصر (ثم يعيدكم فيها) أي في الأرض امواتا (ويخرجكم) منها عند البعث احياء (اخراجا) وإنما ذكر المصدر تأكيدا (والله جعل لكم الأرض بساطا) اي مبسوطة ليمكنكم المشي عليها والاستقرار فيها ثم بين انه إنما جعلها كذلك (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) اي طرقا واسعة وقيل طرقا مختلفة عن ابن عباس وقيل سبلا في الصحاري وفجاجا في الجبال وإنما عدد سبحانه هذه الضروب من النعم امتنانا على خلقه وتنبيها لهم على استحقاقه للعبادة خالصة من كل شرك ودلالة لهم على انه عالم بمصالحهم ومدبر لهم على ما تقتضيه الحكمة فيجب أن لا يقابلوا هذه النعم الجليلة بالكفر والجحود ثم عاد سبحانه إلى ذكر نوح (ع) بقوله (قال نوح) على سبيل الدعاء (رب انهم عصوني) فيما امرتهم به ونهيتهم عنه يعني قومه (واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا) اي واتبعوا اغنياء قومهم اغترارا بما آتاهم الله من المال والولد فقالوا لو كان هذا رسولا لله لكان له ثروة وغنى وقرئ وُلده وولده بالضم والفتح فالولد الجماعة من الاولاد والولد الواحد وقيل هما سواء والخسار الهلاك بذهاب رأس المال وقيل ان معناه اتبع الفقراء والسفلة الرؤساء الذين لم يزدهم كثرة المال والاولاد إلا هلاكا في الدنيا وعقوبة في الآخرة (ومكروا) في دين الله (مكرا كبارا) أي كبيرا عظيما عن الحسن وقيل معناه قالوا قولا عظيما عن ابن عباس وقيل اجترأوا

على الله وكذبوا رسله عن الضحاك وقيل مكرهم تحريشهم سفلتهم على قتل نوح (ع) (وقالوا لا تذرن آلهتكم) أي لا تتركوا عبادة اصنامكم ثم خصوا اصناما لهم معروفة بعد دخولها في الجملة الاولى تعظيما لها فقالوا (لا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) وهذه اسماء اصنام كانوا يعبدونها ثم عبدتها العرب فيما بعد عن ابن عباس وقتادة وقيل إن هذه اسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح (ع) فنشأ قوم بعدهم يأخذون إخذهم في العبادة فقال لهم ابليس لو صورتم صورهم كان انشط لكم واشوق إلى العبادة ففعلوا فنشأ بعدهم قوم فقال لهم ابليس إن الذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونهم فعبدوهم فمبدأ عبادة الاوثان كان ذلك الوقت عن محمد بن كعب وقيل كان نوح يحرس جسد آدم على جبل بالهند ويحول بينه وبين الكفار لئلا يطوفوا بقبره فقال لهم ابليس إن هؤلاء يفخرون عليكم ويزعمون انهم بنو آدم دونكم وانما هو جسد وانا اصور لكم مثله تطيفون به فنحت خمسة اصنام وحملهم على عبادتها وهي ود وسواع ويعوق ويغوث ونسر فلما كان ايام الغرق دفن الطوفان تلك الاصنام وطمها التراب فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب فاتخذت قضاعة ودا فعبدوها بدومة الجندل ثم توارثها بنوه الأكابر فالأكابر حتى صارت إلى كلب فجاء الإسلام وهو عندهم واخذ بطنان من طي يغوث فذهبوا به إلى مراد فعبدوه زمانا ثم ان بني ناجية أرادوا أن ينزعوه منهم ففروا به إلى بني الحرث بن كعب وأما يعوق فكان لكهلان ثم توارثه بنوه الاكبر فالاكبر حتى صار إلى همدان وأما نسر فكان لخثعم يعبدونه واما سواع فكان لآل ذي الكلاع يعبدونه عن ابن عباس وقيل إن أوثان قوم نوح صارت إلى العرب فكانت ود بدومة الجندل وسواع برهاط لهذيل وكان يغوث لبني غطيف من مراد وكان يعوق لهمدان وكان نسر لآل ذي الكلاع من حمير وكان اللات لثقيف واما العزى فلسليم وغطفان وجشم ونضر وسعد بن بكر واما مناة فكانت لقديد وأما اساف ونائلة وهبل فلأهل مكة وكان اساف حيال الحجر الاسود وكانت نائلة حيال الركن اليماني وكان هبل في جوف الكعبة ثمانية عشر ذراعا عن عطا وقتادة والثمالي وقال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر من الطير (وقد اضلوا كثيرا) اي ضل بعبادتها وبسببها كثير من الناس نظيره رب انهن اضللن كثيرا من الناس وقيل معناه وقد اضل كبراؤهم كثيرا من الناس عن مقاتل وابي مسلم وعلى هذا فإن الضمير في اضلوا يعود إلى اكابر قوم نوح (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) اي هلاكا كما في قوله إن المجرمين في ضلال وسعر وقيل إلا فتنة بالمال والولد وقيل إلا ذهابا عن الجنة والثواب قال البلخي لا تزدهم إلا منعا من الطاعات عقوبة لهم على كفرهم فإنهم إذا ضلوا استحقوا منع الالطاف التي تفعل بالمؤمنين فيطيعون عندها ويمتثلون ولا يجوز أن يفعل بهم الضلال عن الحق والايمان لأن ذلك لا يجوز في صفة الحكيم تعالى الله عن ذلك (مما خطيئاتهم اغرقوا) اي من خطيئاتهم وما مزيدة والتقدير من اجل ما ارتكبوه من الخطايا والكبائر (اغرقوا) على وجه العقوبة (فادخلوا نارا) بعد ذلك ليعاقبوا فيها (فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا) اي لم يجدوا احدا يمنعهم من عذاب الله وإنما اتى سبحانه بالفاظ المضي على معنى الاستقبال لصدق الوعد به وقال الضحاك اغرقوا فادخلوا نارا في الدنيا في حالة واحدة كانوا يغرقون من جانب ويحترقون في النار من جانب وانشد ابن الانباري

الخلق مجتمع طورا ومفترق والحادثات فنون ذات اطوار
لاتعجبن لاضداد إذا اجتمعت فالله يجمع بين الماء والنار

(وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) اي نازل دار يعني لاتدع منهم احداً إلا اهلكته قال قتادة ما دعا بهذا عليهم إلا بعد أن انزل عليه انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلذلك قال (انك إن تذرهم يضلوا عبادك) أي ان تتركهم ولم تهلكهم يضلوا عبادك عن الدين بالاغواء والدعاء إلى خلافه (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) وإلا فلم يعلم نوح الغيب وإنما قال ذلك بعد أن أعلمه الله اياه والمعنى ولا يلدوا إلا من يكون عند بلوغه كافرا لأنه لا يذم على الكفر من لم يقع منه فعل الكفر وقال مقاتل والربيع وعطاء إنما قال ذلك نوح (ع) لأن الله تعالى اخرج من اصلابهم كل من يكون مؤمنا واعقم ارحام نسائهم وايبس اصلاب رجالهم قبل العذاب بأربعين سنة واخبر الله تعالى نوحا بأنهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم فأجاب الله دعاءه فاهلكهم كلهم ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب ثم دعا لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات فقال (رب اغفر لي ولوالدي) واسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه سمحاء بنت انوش وكانا مؤمنين وقيل يريد آدم وحواء (ولمن دخل بيتي مؤمنا) أي دخل داري وقيل مسجدي عن الضحاك وقيل سفينتي وقيل يريد بيت محمد ﷺ (وللمؤمنين والمؤمنات) عامة وقيل من امة محمد ﷺ عن الكلبي (ولا تزد الظالمين إلا تبارا) أي هلاكا ودمارا قال اهل التحقيق دعا نوح (ع) دعوتين دعوة على الكافرين ودعوة للمؤمنين فاستجاب الله دعوته على الكافرين فأهلك من كان منهم على وجه الأرض ونرجو ان يستجيب ايضا دعوته للمؤمنين فيغفر لهم

سورة الجن مكية

وهي ثمان وعشرون آية

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة الجن اعطي بعدد كل جني وشيطان صدق بمحمد وكذب به عتق رقبة . حنان بن سدير عن ابي عبد الله (ع) قال من اكثر قراءة قل اوحي لم يصبه في حياة الدنيا شيء من اعين الجن ولا من نفثهم ولا من سحرهم ولا من كيدهم وكان مع محمد ﷺ فيقول يارب لا اريد بهم بدلا ولا اريد بدرجتي حولا

تفسيرها

لما تقدم في سورة نوح (ع) اتباع قومه اكابرهم افتتح سبحانه في هذه السورة اتباع الجن نبينا ﷺ ليعلم الفرق بين من ربحت صفقته وبين من خسرت بيعته فقال

بِسمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا

قُرْآناً عَجَباً (٢) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً (٣) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً (٤) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللهِ شَطَطاً (٥) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِباً (٦) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً (٧) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ أَحَداً (٨) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً (٩) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً (١٠) وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً عشر آيات .

القراءة

قرأ ابو جعفر قل اوحي الي انه استمع بفتح الالف ولم يختلفوا فيه ثم قرأ في الآية الثالثة وانه تعالى بالفتح وفي الرابعة وانه كان يقول بالفتح وفي السادسة وانه كان رجال بالفتح ويقرأ ما سواها بالكسر إلا قوله وأن لو استقاموا وان المساجد لله وانه لما قام فإنه يقرأ هذه الثلاثة بالفتح وقال الرواة عنه ما كان مردودا على الوحي فهو انه بالفتح وما كان من قول الجن فهو بالكسر وهذا قول غير مستقيم على قراءته ويمكن أن يكون قد وقع خلل في روايته وقرأ ابن عامر واهل الكوفة غير ابي بكر بالفتح من قوله انه تعالى إلى قوله وانا منا المسلمون وقرأ الباقون كله بالكسر إلا قوله وأن لو استقاموا وأن المساجد فإنهما بالفتح لم يختلفوا فيه وقرأ نافع وعاصم برواية ابي بكر وانه لما قام بالكسر والباقون بالفتح وقرأ يعقوب ان لن تقول بتشديد الواو وفتحها وفتح القاف وروي ذلك عن الجحدري والحسن والباقون أن لن تقول بالتخفيف وفي الشواذ قراءة جوية بن عابد قل أُحي الي على وزن فُعِل

الحجة

قال ابو علي اما قوله ان لو استقاموا فإنه يجوز فيه امران أحدهما أن تكون ان المخففة من الثقيلة فيكون محمولا على الوحي كأنه أوحي إلي ان لو استقاموا وفصل لو بينها وبين الفعل كفصل السين ولا في قوله أو لا يرون أن لا يرجع وعلم أن سيكون والآخر أن يكون ان قبل لو بمنزلة اللام في قوله لئن لم ينته المنافقون إلى قوله لنغرينك بهم وقوله لئن لم يغفر لنا ربنا ويرحمنا لنكونن من الخاسرين فتلحق مرة وتسقط اخرى لأن لو بمنزلة فعل الشرط فكما لحقت اللام زائدة قبل ان الداخلة على الشرط كذلك لحقت أن هذه قبل لو ومعنى ان لو استقاموا على الطريقة قد قيل فيه قولان احدهما لو استقاموا على طريقة الهدى والآخر لو استقاموا على طريقة الكفر ويستدل على القول الاول بقوله تعالى ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم وقوله ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ويستدل على الآخر بقوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة « واما » قوله وان المساجد لله فزعم سيبويه ان المفسرين حملوه على اوحي كأنه واوحي الي ان المساجد لله ومذهب الخليل انه على قوله ولان المساجد لله فلا تدعو كما أن قوله

وان هذه امتكم على قوله ولأن هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون اي لهذا فاعبدون ومثله في قول الخليل لايلاف قريش كأنه قال لهذا فليعبدوا قال سيبويه ولو قرأ وان المساجد بالكسر لكان جيدا فأما قوله وانه لما قام عبد الله فإنه على اوحي الي ويكون أن يقطع من قوله اوحي ويستأنف به كما جوز سيبويه القطع من اوحي في قوله وان المساجد لله وعلى هذا يحمل قراءة من كسر ان من قوله وانه لما قام عبد الله ومن قرأ كل ذلك بالفتح فإنه للحمل على اوحي ويجوز أن يكون على غيره كما حمل المفسرون وان المساجد لله على الوحي وحمله الخليل على ما ذكرناه عنه فأما ما جاء من ذلك بعد قول فحكاية كما حكى قوله قال الله اني منزلها عليكم وكذلك ما بعد فاء الجزاء لأن ما بعد فاء الجزاء موضع ابتداء ولذلك حمل سيبويه ومن عاد فينتقم الله منه ومن كفر فأمتعه فمن يؤمن بربه فلا يخاف على ان الابتداء فيها مضمر ومثل ذلك في هذه السورة ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم ومن قرأ ان تقول فيكون قوله كذبا منصوبا على المصدر من غير حذف موصوف وذلك أن ان تقول في معنى تكذب فجرى مجرى تبسمت وميض البرق فإنه منصوب بفعل مضمر دل عليه تبسمت اي اومضت فكأنه قال ان ان تكذب الانس والجن على الله كذبا قال ابن جني ومن رأى أن ينتصب وميض البرق بنفس تبسمت لأنه في معنى اومضت نصب ايضا كذبا بنفس تقول لأنه بمعنى كذب ومن قرأ أن لن تقول على وزن تقوم فان كذبا وصف مصدر محذوف أي قولا كذبا فكذبا ها هنا وصف لمصدر كما في قوله وجاءوا على قميصه بدم كذب اي كاذب فإن جعلته ها هنا مصدرا نصبته نصب المفعول به أي ان تقول كذبا كقولك قلت حقا وقلت شعرا ولا يحسن ان تجعله مع تقول وصفا اي تقول تقولا كذبا لان التقول لا يكون إلا كذبا فلا فائدة فيه ومن قرأ أُحي فهو من وحيت اليه بمعنى اوحيت واصله وحي فلما انضمت الواو ضما لازما همزت ونحوه وإذا الرسل اقتت اي وقتت قال العجاج «وحى لها القرار فاستقرت»

﴿ اللغة ﴾

الجد اصله القطع ومنه الجد العظمة لانقطاع كل عظمة عنها لعلوها عليه ومنه الجد ابو الاب لانقطاعه بعلو ابوته وكل من فوقه لهذا الولد اجداد والجد الحظ لانقطاعه بعلو شأنه والجد خلاف الهزل لانقطاعه عن السخف ومنه الجديد لأنه حديث عهد بالقطع في غالب الأمر والرهق لحاق الإثم واصله اللحوق ومنه راهق الغلام إذا لحق حال الرجال قال الاعشى

لا شيء ينفعني من دون رؤيتها هل يشتفي وامق ما لم يصب رهقا

أي لم يغش إثما

﴿ الإعراب ﴾

حرسا منصوب على التمييز وهو جمع حارس ويجوز أن يكون جمع حرسي فيكون مثل عربي وعرب وشديدا مذكر محمول على اللفظ ويمكن أن يكون على النسبة أي ذات شدة ومقاعد نصب لأنه ظرف مكان. أشر اريد مبتدأ وخبر وإنما جاز أن تكون النكرة مبتدأ من غير تخصيص لأجل همزة الاستفهام كما يجوز ذلك بعد حرف النفي لأن كليهما يفيد معنى العموم

﴿ المعنى ﴾

امر سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وآله وسلم أن يخبر قومه بما لم يكن لهم به علم فقال (قل) يا محمد (اوحي إلي) إنما ذكره على لفظ ما لم يسم فاعله تفخيما وتعظيما والله سبحانه اوحى اليه وانزل الملك عليه (انه استمع نفر من الجن) اي استمع القرآن طائفة من الجن وهم جيل رقاق الاجسام خفيفة على صورة مخصوصة بخلاف صورة الإنسان والملائكة فإن الملك مخلوق من النور والانس من الطين والجن من النار فقالوا أي قالت الجن بعضها

لبعض (إنا سمعنا قرآنا عجبا) والعجب ما يدعو إلى التعجب منه لخفاء سببه وخروجه عن العادة في مثله فلما كان القرآن قد خرج بتأليفه المخصوص عن العادة في الكلام وخفي سببه عن الانام كان عجبا لا محالة وايضا فإنه مباين لكلام الخلق في المعنى والفصاحة والنظام لا يقدر احد على الاتيان بمثله وقد تضمن اخبار الأولين والآخرين وما كان وما يكون اجراه الله على يد رجل امي من قوم اميين فاستعظموه وسموه عجبا (يهدي إلى الرشد) أي يدل على الهدى ويدعو اليه والرشد ضد الضلال (فآمنا به) أي صدقنا بأنه من عند الله (ولن نشرك) فيما بعد (بربنا احدا) فنوجه العبادة اليه بل نخلص العبادة لله تعالى والمعنى أنا قد بدأنا بأنفسنا فقبلنا الرشد والحق وتركنا الشرك واعتقدنا التوحيد وفي هذا دلالة على انه صلى الله عليه وآله وسلم كان مبعوثا إلى الجن والانس وعلى أن الجن عقلاء مخاطبون وبلغات العرب عارفون وعلى انهم يميزون بين المعجز وغير المعجز وانهم دعوا قومهم إلى الاسلام واخبروهم باعجاز القرآن وانه كلام الله تعالى لأن كلام العباد لا يتعجب منه وروى الواحدي باسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الجن وما رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في طائفة من اصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وارسلت علينا الشهب قالوا ما ذاك إلا من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم وقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فأوحى الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن ورواه البخاري ومسلم ايضا في الصحيح وعن علقمة بن قيس قال قلت لعبد الله بن مسعود من كان منكم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الجن فقال ما كان منا معه احد فقدناه ذات ليلة ونحن بمكة فقلنا اغتيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم او استطير فانطلقنا نطلبه من الشعاب فلقيناه مقبلا من نحو حراء فقلنا يا رسول الله اين كنت لقد اشفقنا عليك وقلنا له بتنا الليلة بشر ليلة بات بها قوم حين فقدناك فقال لنا انه اتاني داعي الجن فذهبت اقرئهم القرآن فذهب بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم فاما أن يكون صحبه منا احد فلم يصحبه وعن ابي روق قال هم تسعة نفر من الجن قال ابو حمزة الثمالي وبلغنا انهم من بني الشيصبان هم اكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس وقيل كانوا سبعة نفر من جن نصيبين رآهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فآمنوا به وأرسلهم إلى سائر الجن (وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) الاختيار كسر إن لأنه من قول الجن لقومهم وهو معطوف على قوله قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا أي وقالوا تعالى جد ربنا وقال الفراء من فتح فتقديره فآمنا به وآمنا بأنه تعالى جد ربنا وكذلك كل ما كان بعده ففتح أن بوقوع الايمان عليه والمعنى تعالى جلال ربنا وعظمته عن اتخاذ الصاحبة والولد عن الحسن ومجاهد وقيل معناه تعالت صفات الله التي هي له خصوصا وهي الصفات العالية التي ليست للمخلوقين عن ابي مسلم وقيل معناه جد ربنا صفاته فلا تجوز عليه صفات الاجسام والاعراض عن الجبائي وقيل تعالى قدرة ربنا عن ابن عباس وقيل تعالى ذكره عن مجاهد وقيل فعله وأمره عن الضحاك وقيل علا ملك ربنا عن الاخفش وقيل تعالى آلاؤه ونعمه على الخلق عن القرظي والجميع يرجع إلى معنى واحد وهو العظمة والجلال على ما تقدم ذكرهما ومنه قول انس بن مالك كان الرجل إذا قرأ سورة البقرة جد في اعيننا أي عظم وقال الربيع بن انس انه قال ليس لله تعالى جد وإنما قالته الجن بجهالة فحكاه سبحانه كما قالت وروي ذلك عن ابي جعفر الباقر (ع) وابي عبد الله (ع) (وانه كان يقول سفيهنا) اي جاهلنا (على الله شططا) أرادوا بسفيههم ابليس عن مجاهد وقتادة والشطط السرف في ظلم النفس والخروج عن الحق فاعترفوا بأن ابليس كان يخرج عن الحد في اغواء الخلق ودعائهم إلى الضلال وقيل شططا أي قولا بعيدا من الحق وهو الكذب في التوحيد والعدل (وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على

الله كذبا) اعترفوا بأنهم ظنوا أن لن يقول احد من الانس والجن كذبا على الله في اتخاذ الشريك معه والصاحبة والولد اي حسبنا أن ما يقولونه من ذلك صدق وانا على حق حتى سمعنا القرآن وتبينا الحق به وفي هذا دلالة على انهم كانوا مقلدة حتى سمعوا الحجة وانكشف لهم الحق فرجعوا عما كانوا عليه وفيه اشارة إلى بطلان التقليد ووجوب اتباع الدليل (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) أي يعتصمون ويستجيرون وكان الرجل من العرب إذا نزل الوادي في سفره ليلا قال اعوذ بعزيز هذا الوادي من شر سفهاء قومه عن الحسن ومجاهد وقتادة وكان هذا منهم على حسب اعتقادهم أن الجن تحفظهم قال مقاتل وأول من تعوذ بالجن قوم من اليمن ثم بنو حنيفة ثم فشا في العرب وقيل معناه وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من اجل الجن ومن معرة الجن عن البلخي قال لأن الرجال لا تكون إلا في الناس وقال الاولون في الجن رجال مثل ما في الناس (فزادوهم رهقا) اي فزاد الجن الانس إثما على اثمهم الذي كانوا عليه من الكفر والمعاصي عن ابن عباس وقتادة وقيل رهقا أي طغيانا عن مجاهد وقيل فرقا وخوفا عن الربيع وابن زيد وقيل شرا عن الحسن وقيل زادوهم ذلة وضعفا قال الزجاج يجوز أن يكون الانس الذين كانوا يستعيذون بالجن زادوا الجن رهقا وذلك أن الجن كانوا يزدادون طغيانا في قومهم بهذا التعوذ فيقولون سدنا الانس والجن ويجوز ان يكون الجن زاد الانس رهقا (وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله احدا) قيل معناه قال مؤمنو الجن لكفارهم إن كفار الانس الذين يعوذون برجال من الجن في الجاهلية حسبوا كما حسبتم يا معشر الجن أن لن يبعث الله رسولا بعد موسى او عيسى ووراء هذا أن الجن مع تمردهم وعتوهم لما سمعوا القرآن آمنوا واهتدوا به فأنتم معاشر العرب أولى بالتفكر والتدبر لتؤمنوا وتهتدوا مع أن الرسول من جنسكم ولسانه لسانكم وقيل إن هذه الآية مع ما قبلها اعتراض من اخبار الله تعالى يقول إن الجن ظنوا كما ظننتم معاشر الانس أن الله لا يحشر احدا يوم القيامة ولا يحاسبه عن الحسن وقيل يعني لن يبعث الله احدا رسولا عن قتادة ثم حكى عن الجن قولهم (وأنا لمسنا السماء) اي مسسناها وقيل معناه طلبنا الصعود إلى السماء فعبر عن ذلك باللمس مجازا عن الجبائي وقيل التمسنا قرب السماء لاستراق السمع عن ابي مسلم (فوجدناها ملئت حرسا شديدا) اي حفظة من الملائكة شدادا (وشهبا) والتقدير ملئت السماء من الحرس والشهب وهو جمع شهاب وهو نور يمتد من السماء كالنار (وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع) اي لاستراق السمع أي كان يتهيأ لنا فيما قبل القعود في مواضع الاستماع فنسمع منها صوت الملائكة وكلامهم (فمن يستمع) منا (الآن) ذلك (يجد له شهابا رصدا) يرمى به ويرصد له وشهبا مفعول به ورصدا صفته قال معمر قلت للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت أفرأيت قوله إنا كنا نقعد منها الآية قال غلظ وشدد امرها حين بعث النبي ﷺ قال البلخي إن الشهب كانت لا محالة فيما مضى من الزمان غير انه لم يكن يمنع بها الجن عن صعود السماء فلما بعث النبي ﷺ منع بها الجن من الصعود (وانا لا ندري أشر اريد بمن في الارض) اي بحدوث الرجم بالشهب وحراسة السماء جوزوا هجوم انقطاع التكليف أو تغيير الامر بتصديق نبي من الأنبياء وذلك قوله (أم أراد بهم ربهم رشدا) اي صلاحا وقيل معناه إن هذا المنع لا يدرى العذاب سينزل بأهل الأرض أم لنبي يبعث ويهدي إلى الرشد فإن مثل هذا لا يكون إلا لاحد هذين الأمرين وسمى العذاب شرا لأنه مضرة وسمى بعثة الرسول رشدا لأنه منفعة

قوله تعالى (١١) وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١٢) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا (١٣) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٤) وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ

فَأُوْلَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٥) وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٦) وَأَن لَّوِ ٱسْتَقَامُوا عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٧) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٨) وَأَنَّ ٱلْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا (١٩) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (٢٠) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا عشر آيات

القراءة

قرأ اهل العراق غير ابي عمرو يسلكه بالياء والباقون بالنون وقرأ ابن عامر برواية هشام لبدا بضم اللام الباقون بكسرها وقرأ ابو جعفر وعاصم وحمزة قل إنما ادعوا والباقون قال وفي الشواذ قراءة الاعمش ويحيى بن وثاب او استقاموا بضم الواو وقراءة الحسن والجحدري لبدا بالتشديد وفي رواية اخرى عن الجحدري لبدا بضمتين

الحجة

من قرأ يسلكه بالياء فلتقدم ذكر الغيبة في قوله ومن يعرض عن ذكر ربه ومن قرأ بالنون فهو مثل قوله وآتينا موسى الكتاب بعد قوله سبحان الذي اسرى ومن قرأ قال إنما ادعوا فلتقدم ذكر الغيبة ايضا في قوله وانه لما قام عبد الله ومن قرأ قل فلان بعده قل اني لا املك قل اني لن يجيرني من الله احد ومن قرأ لبدا فان اللبد الكثير من قوله مالا لبدا وكأنه قيل له لبد اركوب بعضه على بعض واصوق بعضه ببعض لكثرته واللبد جمع لبدة وهي الجماعة وقد يقال ذلك للجراد الكثير قال بعض الهذليين

صابوا بستة ابيات وواحدة حتى كأن عليهم جابيا لبدا

قال الجبائي هو الجراد لأنه يجبي كل شيء باكله وقال الزجاج اللبدة واللبدة بمعنى ومن قرأ لبدا بالتشديد فانه وصف على فعل كالجباء والزمل ويجوز أن يكون جمع لابد فيكون مثل راكع وركع واللبد من الاوصاف التي جاءت على فعل كناقة سرح ورجل طلق ومن قرأ لو استقاموا فانه على التشبيه بواو الجماعة نحو قوله اشتروا الضلالة كما شبهت تلك بهذه فقيل اشتروا الضلالة وقد مضى هذا في سورة البقرة

اللغة

الصالح عامل الصلاح الذي يصلح به حاله في دينه وأما المصلح فهو فاعل الصلاح الذي يقوم به امر من الامور ولهذا يوصف سبحانه بأنه مصلح ولا يوصف بأنه صالح والطرائق جمع طريقة وهي الجهة المستمرة مرتبة بعد مرتبة والقدد القطع جمع قدة وهي المستمرة بالقد في جهة واحدة والرهق لحاق السرف في الامر وهو الظلم والقاسط الجائر والمقسط العادل ونظيره الترب الفقير والمترب الغني واصله التراب فالاول ذهب ماله حتى لصق بالتراب والآخر كثر ماله حتى صار بعدد التراب وكذلك القاسط هو العادل عن الحق والمقسط العادل إلى الحق قال

قوم هم قتلوا ابن هند عنوة عمرا وهم قسطوا على النعمان

وقال آخر

قسطنا على الاملاك في عهد تبع ومن قبل ما اردى النفوس عقابها

والتحري تعمد اصابة الحق واصله طلب الشيء والقصد له قال امرؤ القيس

ديمة هطلاء فيها وطف طبق الأرض تحري وتدر

وماء غدق كثير وغدق المكان يغدق غدقا كثر فيه الماء والندى وهو غدق عن الزجاج وقال امية بن ابي الصلت

مزاجها سلسبيل ماؤها غدق عذب المذاقة لا ملح ولا كدر

والصعد الغليظ الصعب المتصعب في العظم ومنه التنفس الصعداء والصعود العقبة الكؤود الشاقة

المعنى

ثم قال سبحانه في تمام الحكاية عن الجن الذين آمنوا عند سماع القرآن (وانا منا الصالحون) وهم الذين عملوا الصالحات المخلصون (ومنا دون ذلك) اي دون الصالحين في الرتبة عن ابن عباس وقتادة ومجاهد (كنا طرائق قددا) اي فرقا شتى على مذاهب مختلفة واهواء متفرقة من مسلم وكافر وصالح ودون الصالح عن ابن عباس ومجاهد وقيل قددا ألوانا شتى مختلفين عن سعيد بن جبير والحسن وقيل فرقا متباينة كل فرقة تباين صاحبتها كما يبين المقدود بعضه من بعض قال السدي الجن امثالكم فيهم قدرية ومرجئة ورافضة وشيعة (وانا ظننا) أي علمنا وتيقنا (أن لن نعجز الله في الارض) اي لن نفوته اذا اراد بنا امرا (ولن نعجزه هربا) اي انه يدركنا حيث كنا (وانا لما سمعنا الهدى آمنا به) اعترفوا بأنهم لما سمعوا القرآن الذي فيه الهدى صدقوا به ثم قالوا (فمن يؤمن بربه) اي يصدق بتوحيد ربه وعرفه على صفاته (فلا يخاف) تقديره فإنه لا يخاف (بخسا) اي نقصانا فيما يستحقه من الثواب (ولا رهقا) اي لحاق ظلم وغشيان مكروه وكأنه قال لا يخاف نقصا قليلا ولا كثيرا وذلك أن اجره وثوابه موفر على اتم ما يمكن فيه وقيل معناه فلا يخاف نقصا من حسناته ولا زيادة في سيئاته عن ابن عباس والحسن وقتادة وابن زيد قالوا لأن البخس النقصان والرهق العدوان وهذه حكاية عن قوة إيمان الجن وصحة اسلامهم ثم قالوا (وانا منا المسلمون) الذين استسلموا لما امرهم الله سبحانه به وانقادوا لذلك (ومنا القاسطون) اي الجائرون عن طريق الحق (فمن اسلم) لما امره الله به (فأولئك تحروا رشدا) اي توجهوا الرشد والتمسوا الثواب والهدى وتعمدوا اصابة الحق وليسوا كالمشركين الذين ألفوا ما يدعوهم اليه الهوى وزاغوا عن طريق الهدى (واما القاسطون) العادلون عن طريق الحق والدين (فكانوا) في علم الله وحكمه (لجهنم حطبا) يلقون فيها فتحرقهم كما تحرق النار الحطب او يكون معناه فسيكونون لجهنم حطبا توقد بهم كما توقد النار بالحطب (وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا) هذا ابتداء حكم من الله سبحانه أي لو استقام الانس والجن على طريقة الإيمان عن ابن عباس والسدي وقيل اراد به مشركي مكة أي لو آمنوا واستقاموا على الهدى لأسقيناهم ماء كثيرا من السماء وذلك بعد ما رفع ماء المطر عنهم سبع سنين عن مقاتل وقيل لو آمنوا واستقاموا لوسعنا عليهم في الدنيا وضرب الماء الغدق مثلا لأن الخير كله والرزق يكون في المطر وهذا كقوله ولو انهم اقاموا التوراة الى قوله لأكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقوله لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض وقيل معناه لو استقاموا على طريقة الكفر فكانوا كفارا كلهم لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم تغليظا للمحنة في التكليف ولذلك قال (لنفتنهم فيه) اي لنختبرهم بذلك عن الفراء وهو قول الربيع والكلبي والثمالي وابي مسلم وابن مجلز ودليله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم الآية وقيل لنفتنهم معناه لنعاملهم معاملة المختبر في شدة التعبد بتكليف الانصراف عما تدعو شهواتهم اليه وفي ذلك المحنة الشديدة وهي الفتنة والمثوبة على قدر المشقة في الصبر عما تدعو اليه الشهوات وروي عن عمر بن الخطاب انه قال في هذه الآية أينما كان الماء كان المال واينما كان المال كانت الفتنة وقيل معناه لنختبرهم كيف يكون شكرهم للنعم عن سعيد بن

المسيب وقتادة ومقاتل والحسن والاولى ان تكون الاستقامة على الطريقة محمولة على الاستقامة في الدين والايمان لأنها لا تطلق إلا على ذلك ولأنها في موضع التلطف والاستدعاء إلى الايمان والحث على الطاعة وفي تفسير اهل البيت (ع) عن ابي بصير قال قلت لأبي جعفر (ع) قول الله إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال هو والله ما انتم عليه ولو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا وعن بريد العجلي عن ابي عبد الله (ع) قال معناه لأفدناهم علما كثيرا يتعلمونه من الائمة ثم قال سبحانه على وجه التهديد والوعيد (ومن يعرض عن ذكر ربه) اي ومن يعدل عن الفكر فيما يؤديه إلى معرفة الله وتوحيده والإخلاص في عبادته وقيل عن شكر الله وطاعته (يسلكه عذابا صعدا) أي يدخله عذابا شاقا شديدا متصعدا في العظم وإنما قال يسلكه لأنه تقدم ذكر الطريقة وقيل معناه عذابا ذا صعد اي ذا مشقة (وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا) تقديره ولأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا سوى الله عن الخليل والمعنى لا تذكروا مع الله في المواضع التي بنيت للعبادة والصلاة احدا على وجه الإشراك في عبادته كما تفعل النصارى في بيعهم والمشركون في الكعبة قال الحسن من السنة عند دخول المساجد أن يقال لا إله إلا الله لا ادعو مع الله احدا وقيل المساجد مواضع السجود من الإنسان وهي الجبهة والكفان واصابع الرجلين وعينا الركبتين وهي لله تعالى اذ خلقها وانعم بها فلا ينبغي أن يسجد بها لأحد سوى الله تعالى عن سعيد بن جبير والزجاج والفراء وروي أن المعتصم سأل ابا جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا (ع) عن قوله تعالى وان المساجد لله فقال هي الاعضاء السبعة التي يسجد عليها وقيل إن المراد بالمساجد البقاع كلها وذلك لأن الأرض كلها جعلت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم مسجدا عن الحسن وقال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم كيف لنا ان نأتي المسجد ونشهد معك الصلاة ونحن ناؤون عنك فنزلت الآية وروي عن الحسن ايضا ان المساجد الصلوات وهي لله والمراد اخلصوا لله العبادة واقروا له بالتوحيد ولا تجعلوا فيها لغير الله نصيبا (وانه لما قام عبد الله) يريد به محمدا صلى الله عليه وآله وسلم (يدعوه) بقول لا إله إلا الله ويدعو اليه ويقرأ القرآن (كادوا يكونون عليه لبدا) أي كاد الجن يركب بعضهم بعضا يزدحمون عليه حرصا منهم على استماع القرآن عن ابن عباس والضحاك وقيل هو من قول الجن لأصحابهم حين رجعوا اليهم والمراد أن اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتزاحمون عليه لاستماع القرآن منه يود كل واحد منهم أن يكون أقرب من صاحبه فيتلبد بعضهم على بعض عن سعيد بن جبير وقيل هو من جملة ما اوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما كان من حرص الجن على استماع القرآن وقيل معناه أنه لما دعا قريشا إلى التوحيد كادوا يتراكبون عليه بالزحمة جماعات متكاثرات ليزيلوه بذلك عن الدعوة وابى الله إلا أن ينصره ويظهره على من ناوأه عن قتادة والحسن وعلى هذا فيكون ابتداء كلام (قل إنما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا) وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إنك جئت بأمر عظيم لم يسمع مثله فارجع عنه فأجابهم بهذا عن مقاتل وامره سبحانه بأن يجيبهم بهذا فقال قل إنما ادعو ربي وهذا يعضد قول الحسن وقتادة لأنه كالذم لهم على ذلك

قوله تعالى (٢١) قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (٢٢) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٣) إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً (٢٤) حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِراً وَأَقَلُّ عَدَداً (٢٥) قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً (٢٦) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً (٢٧) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً (٢٨) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً ثماني آيات

القراءة

قرأ يعقوب ليعلم بضم الياء والباقون ليعلم بفتح الياء والمعنيان متقاربان

اللغة

الملتحد الملتجأ بالميل الى جهة والرصد جمع راصد وهو الحافظ

الاعراب

بلاغا منصوب لأنه بدل من ملتحد اي لن اجد ملجأ إلا ان ابلغ عن الله ما ارسلني به فهو ملجأي ورسالاته منصوبة بالعطف على محذوف والتقدير إلا بلاغا من الله وآياته ورسالاته قوله من اضعف ناصرا جملة من مبتدأ وخبر هي تعليق وناصرا نصب على التمييز وكذلك قوله عددا وقوله أقريب ما توعدون الاستفهام مع ما في حيزه تعليق إلا من ارتضى يجوز أن يكون من مبتدأ وقوله فإنه يسلك خبره ويجوز ان يكون استثناء منقطعا وعددا انتصابه على ضربين * احدهما * على معنى واحصى كل شيء في حال العدد فلم يخف عليه سقوط ورقة ولا حبة ولا رطب ولا يابس * والآخر * ان يكون في موضع المصدر لأن معناه وعد كل شيء عددا عن الزجاج

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (قل) يا محمد للمكلفين (اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا) اي لا اقدر على دفع الضرر عنكم ولا ايصال الخير اليكم وإنما القادر على ذلك هو الله تعالى ولكني رسول ليس علي إلا البلاغ والدعاء الى الدين والهداية الى الرشاد وهذا اعتراف بالعبودية واضافة الحول والقوة اليه تعالى ثم قال (قل) لهم يا محمد (اني لن يجيرني من الله احد) اي لا يمنعني احد مما قدره الله علي (ولن اجد من دونه) اي من دون الله (ملتحدا) اي ملتجأ اليه اطلب به السلامة (الا بلاغا من الله) اي تبليغا من الله آياته (ورسالاته) فإنه ملجأي ومنجاي وملتحدي ولي فيه الأمن والنجاة عن الحسن والجبائي وقيل معناه لا املك لكم ضرا ولا رشدا فما علي إلا البلاغ عن الله فكأنه قال لا املك شيئا سوى تبليغ وحي الله بتوفيقه وعونه عن قتادة وقيل ان قوله الا بلاغا يحتمل معنيين * احدهما * إلا ما بلغني من الله اي لا يجيرني شيء إلا ما اتاني من الله فلا فرق بين ان يقول بلغني كتابه وان يقول اتاني كتابه * والثاني * إلا تبليغ ما انزل الي فأما القبول والايمان فليس إلي وإنما ذلك اليكم عن أبي مسلم وقيل انه عطف رسالاته على البلاغ فوجب أن يكون غيره فالاولى أن يكون أراد بالبلاغ ما بلغه من توحيد الله وعدله وما يجوز عليه وما لا يجوز وأراد بالرسالة ما ارسل لأجله من بيان الشرائع ولما بين سبحانه انه لا ملجأ من عذابه الا طاعته عقبه بوعيد من قارف معصيته فقال (ومن يعص الله ورسوله) اي خالف امره في التوحيد وارتكب الكفر

والمعاصي (فإن له نار جهنم خالدين فيها ابدا) جزاء على ذلك (حتى اذا رأوا) في الآخرة (ما يوعدون) به من العقاب في الدنيا وقيل هو عذاب الاستئصال (فسيعلمون) عند ذلك(من اضعف ناصرا واقل عددا) المشركون ام المؤمنون وقيل اجند الله ام الذي عبده المشركون وإنما قال من اضعف ناصراً ولا ناصرلهم في الآخرة لأنه جاء على جواب من توهم انه ان كانت الآخرة فناصرهم اقوى وعددهم اكثر وفي هذا دلالة على ان المراد بقوله ومن يعص الله ورسوله الكفار وكانوا يفتخرون على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكثرة جموعهم ويصفونه بقلة العدد فبين سبحانه ان الأمر سينعكس عليهم (قل) يا محمد (ان ادري) اي لست اعلم (أقريب ما توعدون) به من العذاب (ام يجعل له ربي امدا) اي مهلة وغاية ينتهي اليها قال عطاء اراد أنه لا يعرف يوم القيامة إلا الله وحده (عالم الغيب) اي هو عالم الغيب يعلم متى تكون القيامة (فلا يظهر على غيبه احدا) اي لا يطلع على الغيب احدا من عباده ثم استثنى فقال (إلا من ارتضى من رسول) يعني الرسل فإنه يستدل على نبوتهم بأن يخبروا بالغيب لتكون آية معجزة لهم ومعناه ان من ارتضاه واختاره للنبوة والرسالة فإنه يطلعه على ما شاء من غيبه على حسب ما يراه من المصلحة وهو قوله (فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) والرصد الطريق اي يجعل له الى علم ما كان قبله من الانبياء والسلف وعلم ما يكون بعده طريقا وقيل معناه انه يحفظ الذي يطلع عليه الرسول فيجعل من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملائكة يحفظون الوحي من أن تسترقه الشياطين فتلقيه الى الكهنة وقيل رصدا من بين يدي الرسول ومن خلفه وهم الحفظة من الملائكة يحرسونه عن شر الاعداء وكيدهم فلا يصل اليه شرهم وقيل المراد به جبرائيل (ع) اي يجعل من بين يديه ومن خلفه رصدا كالحجاب تعظيما لما يتحمله من الرسالة كما جرت عادة الملوك بأن يضموا الى الرسول جماعة من خواصهم تشريفا له وهذا كما روي ان سورة الانعام نزلت ومعها سبعون الف ملك (ليعلم) الرسول(أن قد ابلغوا) يعني الملائكة قال سعيد بن جبير ما نزل جبرائيل بشيء من الوحي إلا ومعه اربعة من الملائكة حفظة فيعلم الرسول انه قد ابلغ الرسالة على الوجه الذي قد امر به وقيل ليعلم من كذب الرسل ان الرسل قد ابلغوا رسالات الله عن مجاهد وقيل ليعلم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ان الرسل قبله قد ابلغ جميعهم (رسالات ربهم) كما ابلغ هو اذ كانوا محروسين محفوظين بحفظ الله عن قتادة وقيل ليعلم الله ان قد ابلغوا عن الزجاج وقيل معناه ليظهر المعلوم على ما كان سبحانه عالما وبعلمه واقعا كما كان يعلم انه سيقع وقيل اراد ليبلغوا فجعل بدل ذلك قوله ليعلم ابلاغهم توسعا عن الجبائي وهذا كما يقول الانسان ما علم الله ذلك مني اي ما كان ذلك اصلا لأنه لو كان لعلم الله ذلك فوضع العلم موضع الكون(واحاط بما لديهم) اي احاط الله علما بما لدى الانبياء والخلائق وهم لا يحيطون الا بما يطلعهم الله عليه مما هو عند الله (واحصى كل شيء عددا) اي احصى ما خلق وعرف عدد ما خلق لم يفته علم شيء حتى مثاقيل الذر والخردل عن ابن عباس وقيل معناه عد جميع المعلومات المعدومة والموجودة عدا فعلم صغيرها وكبيرها وقليلها وكثيرها وما يكون وما لا يكون وما كان ولو لم يكن . ولو كان كيف كان وقيل معناه لا شيء يعلمه عالم اويذكره ذاكر الا وهو تعالى عالم به ومحص اياه عن الجبائي قال الإحصاء فعل وليس هو بمنزلة العلم فلا يجوز أن يقال احصى ما لا يتناهى كما يجوز ان يقال علم ما لا يتناهى فإن حمل على العلم تناول جميع المعلومات وان حمل على العد تناول الموجودات

سورة المزمل مكية

وقيل مدنية وقيل بعضها مكي وبعضها مدني

﴿ عدد آيها ﴾

ثماني عشرة آية المدني الاخير وتسع عشرة بصري عشرون في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

ثلاث آيات المزمل كوفي شامي والمدني الاول شيبا غير المدني الاخير الجكم رسولا مكي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن قرأ سورة المزمل رفع عنه العسر في الدنيا والآخرة منصور بن حازم عن ابي عبد الله (ع) قال ومن قرأ سورة المزمل في العشاء الآخرة او في آخر الليل كان له الليل والنهار شاهدين مع السورة واحياه الله حياة طيبة واماته ميتة طيبة

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سورة الجن بذكر الرسل افتتح هذه السورة بذكر نبينا صلى الله عليه وآله خاتم الرسل فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) يَاأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ (٢) قُمِ ٱللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً (٣) نِصْفَهُ أَوِ ٱنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٤) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (٥) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (٦) إِنَّ نَاشِئَةَ ٱللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَأَقْوَمُ قِيلاً (٧) إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً (٨) وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٩) رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلاً (١٠) وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابوعمرو وابن عامر وطاء بكسر الواو والمد والباقون وطاء بفتح الواو وسكون الطاء مقصورا وقرأ اهل الكوفة غير حفص وابن عامر ويعقوب رب المشرق بالجر والباقون بالرفع وفي الشواذ قراءة عكرمة المزمل والمدثر خفيفة الزاي والدال مشددة الميم والتاء وقراءة ابي السماك قم الليل بضم الميم

﴿ الحجة ﴾

من قرأ أشد وطاء فمعناه مواطأة اي موافقة وملاءمة ومنه ليواطئوا عدة ما حرم الله اي ليوافقوا والمعنى ان صلاة ناشئة الليل وعمل ناشئة الليل يواطئ السمع القلب فيها اكثر مما يواطئ في ساعات النهار ولأن البال افرغ لانقطاع كثير مما يشغل بالنهار ومن قال وطأ فالمعنى انه اشق على الانسان من القيام بالنهار لأن الليل للدعة والسكون وجاء في الحديث اللهم اشدد وطأتك على مضر واقوم قيلا اي اشد استقامة وصوابا لفراغ البال وانقطاع ما يشغله قال

له ولها وقع بكل قرارة ووقع بمستن الفضاء قويم

اي مستقيم

والناشئة ما يحدث وينشأ من ساعات الليل والرفع في رب المشرق يحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ انه لما قال واذكر اسم ربك قطعه من الاول فقال هو رب المشرق فيكون خبر مبتدأ محذوف ﴿ والآخر ﴾ أن يكون مبتدأ وخبره الجملة التي هي لا إله إلا هو ومن جر فعلى اتباعه قوله اسم ربك واما قوله المزمل بتخفيف الزاي فعلى حذف المفعول به يا ايها المزمل نفسه والمدثر نفسه وحذف المفعول كثير قال الحطيئة

منعمة تصون اليك منها كصونك من ردى شرعتي

اي تصون حديثا وتخزنه كقول الشنفرى

كأن لها في الأرض نسيا تقصه على امها وان تكلمك تبلت

ومن قرأ قم الليل وضم فيمكن ان يكون ضمه للاتباع

﴿ اللغة ﴾

المزمل المتزمل في ثيابه ادغم التاء في الزي الأن الزاي قريبة المخرج من التاء وهي اندى في المسموع من التاء وكل شيء لفف فقد زمل قال امرؤ القيس

كأن ثبيراً في عرانين وبله كبير اناس في بجاد مزمل

والنصف احد قسمي الشيء المساوي للآخر في المقدار كما ان الثلث جزء من ثلاثة والربع جزء من اربعة وهذه من صفات الاجسام فإذا رفعت التأليفات عنها بقيت اجزاء لا توصف بأن لها انصافا او ثلثا او ربعا والعرض لا يوصف بالنصف والجزء . والقديم لا يوصف ايضا بذلك لأن هذه عبارات عن مؤلفات على وجوه فإن قيل فإذا يجب ان لا يكون وصف القديم تعالى بأنه واحد مدحا فالجواب ان معنى قولنا انه واحد اختصاصه بصفات لا يستحقها غيره وهي كونه قادرا عالما لذاته قديما ونحو ذلك واذا قيل انه لا يتجزأ فليس بمدح الا ان يقال انه حي لا يتجزأ بخلاف غيره من الاحياء والترتيل ترتيب الحروف على حقها في تلاوتها بتثبت فيها والحدر هو الاسراع فيها وكلاهما حسن الا ان الترتيل هنا هو المرغب فيه والالقاء مثل التلقية تقول القيت على فلان مسألة والأقوم الأخلص استقامة والسبح التقلب ومنه السابح في الماء لتقلبه فيه وقرأ يحيى ابن يعمر والضحاك سبخا طويلا بالخاء ومعناه التوسعة يقال سبخت القطن اذا وسعته للندف ومنه قول النبي ﷺ لعائشة وقد سمعها تدعو على سارق لا تسبخي عنه بدعائك عليه اي لا تخففي ويقال لقطع اذا ندف سبائخ قال الأخطل يصف القناص والكلاب

فارسلوهن يذرين التراب كما يذري سبائخ قطن ندف اوتار

وقال تغلب السبح التردد والاضطراب والسبخ السكون ومنه قول النبي ﷺ الحمى من فيح جهنم فسبخوها بالماء اي اسكنوها والتبتل الانقطاع الى الله عز وجل واخلاص العبادة له قال امرؤ القيس

يضيء الظلام بالعشي كأنه منارة ممسي راهب متبتل

واصله من تبلت الشيء قطعته وصدقة تبة تبلة اي بائنة مقطوعة من صاحبها لا سبيل له عليها ومنه البتول عليها السلام لانقطاعها الى عبادة الله عز وجل

﴿ الإعراب ﴾

الليل نصب على الظرف الا قليلا نصب على الاستثناء تقديره الا شيئا قليلا منه لا تقوم فيه ثم بين القدر

فقال نصفه قال الزجاج ان نصفه بدل من الليل كما تقول ضربت زيدا رأسه فإنما ذكرت زيدا لتوكيد الكلام هو اوكد من قولك ضربت رأس زيد فالمعنى قم نصف الليل الا قليلا او انقص من النصف او زد على النصف وانقص منه قليلا بمعنى الا قليلا ولكنه ذكر مع الزيادة فالمعنى قم نصف الليل او انقص من نصف الليل او زد على نصف الليل

﴿ المعنى ﴾

(يا ايها المزمل) معناه يا ايها المتزمل بثيابه المتلفف بها عن قتادة وقيل يا ايها المتزمل بعباءة النبوة اي المتحمل لاثقالها عن عكرمة وقيل معناه يا ايها النائم وكان قد تزمل النوم عن السدي وقيل كان يتزمل بالثياب في اول ما جاء به جبرائيل خوفا حتى انس به وإنما خوطب بهذا في بدء الوحي ولم يكن قد بلغ شيئا ثم خوطب صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك بالنبي والرسول (قم الليل) للصلاة (إلا قليلا) والمعنى بالليل صل الا قليلا من الليل فإن القيام بالليل عبارة عن الصلاة بالليل (نصفه) هو بدل من الليل فيكون بيانا للمستثنى منه اي قم نصف الليل ومعناه صل من الليل النصف الا قليلا وهو قوله (او انقص منه قليلا) اي من النصف (او زد عليه) اي على النصف وقال المفسرون او انقص من النصف قليلا الى الثلث او زد على النصف الى الثلثين وقيل ان نصفه بدل من القليل فيكون بيانا للمستثنى والمعنى فيهما سواء ويؤيد هذا القول ما روي عن الصادق (ع) قال القليل النصف او انقص من القليل قليلا او زد على القليل قليلا وقيل معناه قم نصف الليل الا قليلا من الليالي وهي ليالي العذر كالمرض وغلبة النوم وعلة العين ونحوها او انقص من النصف قليلا او زد عليه ذكره الإمام علي بن ابي الطيب (ره) خير الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الساعات للقيام بالليل وجعله موكولا الى رأيه وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطائفة من المؤمنين معه يقومون على هذه المقادير وشق ذلك عليهم فكان الرجل منهم لا يدري كم صلى وكم بقي من الليل فكان يقوم الليل كله مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب حتى خفف الله عنهم بآخر هذه السورة وعن قتادة عن زرارة بن اوفى عن سعيد ابن هشام قال قلت لعائشة انبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ألست تقرأ يا ايها المزمل قلت بلى قالت فإن الله افترض قيام الليل في اول هذه السورة فقام نبي الله واصحابه حولا وامسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء حتى انزل الله في آخر هذه السورة التخفيف فصار قيام الليل تطوعا بعد ان كان فريضة وقيل كان بين اول السورة وآخرها الذي نزل فيه التخفيف عشر سنين عن سعيد بن جبير وقيل كان هذا بمكة قبل فرض الصلوات الخمس ثم نسخ بالخمس عن ابن كيسان ومقاتل وقيل لما نزل اول المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان فكان بين اولها وآخرها سنة عن ابن عباس وقيل ان الآية الاخيرة نسخت الاولى عن الحسن وعكرمة وليس في ظاهر الآيات ما يقتضي النسخ فالاولى ان يكون الكلام على ظاهره فيكون القيام بالليل سنة مؤكدة مرغبا فيه وليس بفرض (ورتل القرآن ترتيلا) اي بينه بيانا واقرأه على هينتك ثلاث آيات واربعا وخمسا عن ابن عباس قال الزجاج والبيان لا يتم بأن تعجل في القرآن إنما يتم بأن تبين جميع الحروف وتوفي حقها من الإشباع قال ابو حمزه قلت لابن عباس اني رجل في قراءتي وفي كلامي عجلة فقال ابن عباس لأن اقرأ البقرة أرتلها احب الي من ان اقرأ القرآن كله وقيل معناه ترسل فيه ترسلا عن مجاهد وقيل معناه تثبت فيه تثبتا عن قتادة وروي عن امير المؤمنين (ع) في معناه انه قال

بيّنه بيانا ولا تهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل ولكن اقرع به القلوب القاسية ولا يكونن همّ أحدكم آخر السورة وعن ابي عبد الله (ع) قال إذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فاسأل الله الجنة وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فتعوذ بالله من النار وقيل الترتيل هو أن تقرأ على نظمه وتواليه ولا تغير لفظا ولا تقدم مؤخرا وهو مأخوذ من ترتل الاسنان إذا استوت وحسن انتظامها وثغر رتل إذا كانت اسنانه مستوية لا تفاوت فيها وقيل رتل معناه ضعف والرتل اللين عن قطرب قال والمراد بهذا تحزين القرآن أي اقرأه بصوت حزين ويعضده ما رواه ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) في هذا قال هو ان تتمكث فيه وتحسن به صوتك وروى عن ام سلمه انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقطع قراءته آية آية وعن انس قال كان يمد صوته مدا وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها (انا سنلقي عليك قولا ثقيلا) اي سنوحي عليك قولا يثقل عليك وعلى امتك اما ثقله عليه فلما فيه من تبليغ الرسالة وما يلحقه من الاذى فيه وما يلزمه من قيام الليل ومجاهدة النفس وترك الراحة والدعة واما ثقله على امته فلما فيه من الامر والنهي والحدود وهذا معنى قول قتادة ومقاتل والحسن قال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك وكما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة وقيل ثقيلا لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مؤيدة بالتوحيد وقيل ثقيلا ليس بالسفساف الخفيف لأنه كلام ربنا جلت عظمته عن الفراء وقيل معناه قولا عظيم الشأن كما يقال هذا كلام رصين وهذا الكلام له وزن إذا كان واقعا موقعه وقيل معناه قولا ثقيلا نزوله فإنه صلى الله عليه وآله وسلم كان يتغير حاله عند نزوله ويعرق وإذا كان راكبا يبرك راحلته ولا يستطيع المشي وسأل الحرث بن هشام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال صلى الله عليه وآله وسلم احيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو اشد علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل الملك رجلا فأعي ما يقول قالت عائشة انه كان ليوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو على راحلته فيضرب بجرانها قالت ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقا وقيل ثقيلا على الكفار لما فيه من الكشف عن جهلهم وضلالهم وسفه احلامهم وقبح افعالهم (ان ناشئة الليل) معناه ان ساعات الليل لأنها تنشأ ساعة بعد ساعة وتقديره أن ساعات الليل الناشئة وقال ابن عباس هو الليل كله لأنه ينشأ بعد النهار وقال مجاهد هي ساعات التهجد من الليل وقيل هي بالحبشية قيام الليل عن عبد الله بن مسعود وسعيد بن جبير وقيل هي القيام بعد النوم عن عائشة وقيل هي ما كان بعد العشاء الآخرة عن الحسن وقتادة والمروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) انهما قالا هي القيام في آخر الليل الى صلاة الليل (هي اشد وطأ) اي اكثر ثقلا وابلغ مشقة لأن الليل وقت الراحة والعمل يشق فيه ومن قال وطاء فالمعنى اشد مواطأة للسمع والبصر يتوافق فيها قلب المصلي ولسانه وسمعه على التفهم والتفكر إذ القلب غير مشتغل بشيء من امور الدنيا (وأقوم قيلا) أي اصوب للقراءة واثبت للقول لفراغ البال وانقطاع ما يشغل القلب عن انس ومجاهد وابن زيد وقال ابو عبد الله (ع) هو قيام الرجل عن فراشه لا يريد به إلا الله تعالى (أن لك في النهار سبحا طويلا) معناه ان لك يا محمد في النهار منصرفا ومنقلبا إلى ما تقضي فيه حوائجك عن قتادة والمراد ان مذاهبك في النهار ومشاغلك كثيرة فإنك تحتاج فيه الى تبليغ الرسالة ودعوة الخلق وتعليم الفرائض والسنن واصلاح المعيشة لنفسك وعيالك وفي الليل يفرغ القلب للتذكر والقراءة فاجعل

ناشئة الليل لعبادتك لتأخذ بحظك من خير الدنيا والآخرة وفي هذا دلالة على انه لا عذر لأحد في ترك صلاة الليل لأجل التعليم والتعلم لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يحتاج الى التعليم اكثر مما يحتاج الواحد منا اليه ثم لم يرض سبحانه ان يترك حظه من قيام الليل (واذكر اسم ربك) يعني اسماء الله تعالى التي تعبد بالدعاء بها وقيل اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلاتك توصلك بركة قراءتها الى ربك وتقطعك من كل ما سواه وقيل واقصد بعملك وجه ربك (وتبتل اليه تبتيلا) اي اخلص له اخلاصاً عن ابن عباس وغيره يعني في الدعاء والعبادة وقيل انقطع اليه انقطاعا عن عطاء وهو الاصل وقيل توكل عليه توكلا عن شقيق وقيل تفرغ لعبادته عن ابن زيد وقد جاء في الحديث النهي عن التبتل والمراد به الانقطاع عن الناس والجماعات وكان يجب ان يقول تبتلا لأن المراد بتلك الله من المخلوقين واصطفاك لنفسه تبتيلا فتبتل انت ايضا اليه وقيل انما قال تبتيلا ليطابق اواخر آيات السورة وروى محمد بن مسلم وزرارة وحمران عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) ان التبتل هنا رفع اليدين في الصلاة وفي رواية ابي بصير قال هو رفع يدك الى الله وتضرعك اليه (رب المشرق والمغرب) اي رب العالم بما فيه لانه بين المشرق والمغرب وقيل رب مشرق الشمس ومغربها والمراد اول النهار وآخره فأضاف النصف الاول من النهار الى المشرق والنصف الآخر منه الى المغرب وقيل مالك المشرق والمغرب اي المتصرف فيما بينهما والمدبر لما بينهما (لا إله الا هو) اي لا احد تحق له العبادة سواه (فاتخذه وكيلا) اي حفيظا للقيام بامرك وقيل معناه فاتخذه كافيا لما وعدك به واعتمد عليه وفوض امرك اليه تجده خير حفيظ وكاف (واصبر على ما يقولون) اي يعني الكفار من التكذيب والاذى والنسبة الى السحر والكهانة (واهجرهم هجراً جميلا) والهجر الجميل اظهار الموجدة عليهم من غير ترك الدعاء الى الحق على وجه المناصحة قال الزجاج هذا يدل على انه نزل قبل الامر بالقتال وقيل بل هو امر بالتلطف في استدعائهم فيجب مع القتال ولا نسخ وفي هذا دلالة على وجوب الصبر على الاذى لمن يدعو الى الدين والمعاشرة باحسن الاخلاق واستعمال الرفق ليكونوا اقرب الى الاجابة

قوله تعالى (١١) وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً (١٢) إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيماً (١٣) وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً (١٤) يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً (١٥) إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٦) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً (١٧) فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً (١٨) السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً (١٩) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً تسع آيات

❋ اللغة ❋

يذر ويدع بمعنى يترك ولا يقال وذر ولا ودع واستغنى بترك عن ذلك لأن الابتداء بالواو عندهم مكروه ولذلك ابدلوا منها الهمزة في اقتت والتاء في تخمة وتراث والنعمة بفتح النون لين اللمس وضدها الخشونة والنعمة الثروة والمنة ايضا والنعمة بضم النون المسرة يقال نعم ونعمة عين ونعمى عين والانكال

القيود واحدها نكل والغصة تردد اللقمة في الحلق ولا يسيغها آكلها يقال غص بريقه يغص غصصا وفي قلبه غصة من كذا وهي كالدغة التي لا يسوغ معها الطعام والشراب قال عدي بن زيد

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

والكثيب الرمل المجتمع الكثير وهلت الرمل اهيله هيلا فهو مهيل اذا حرك اسفله فسال اعلاه ومنه الحديث كيلوا ولا تهيلوا وكل ثقيل وبيل ومنه كلأ مستوبل اي مستوخم لا يستمر لثقله ومنه الوبل والوابل وهو المطر العظيم القطر ومنه الوبال وهو ما يغلظ على النفس والوبيل ايضا الغليظ من العصي قال طرفة

فمرت كهاة ذات خيف جلالة عقيلة شيخ كالوبيل يلندد

❋ المعنى ❋

ثم قال سبحانه مهددا للكفار (وذرني) يا محمد (والمكذبين) الذين يكذبونك فيما تدعوهم اليه من التوحيد واخلاص العبادة وفي البعث والجزاء وهذا كما يقول القائل دعني واياه اذا اراد ان يهدده وهو نصب على انه مفعول معه (اولي النعمة) يعني المتنعمين ذوي الثروة في الدنيا اي كل جزاءهم الي ولا تشغل قلبك بمجازاتهم (ومهلهم قليلا) وهذا ايضا وعيد لهم ولم يكن الا يسيرا حتى كانت وقعة بدر والمعنى واخرهم في المدة قليلا قال مقاتل نزلت في المطعمين ببدر وهم عشرة ذكرناهم في الانفال وقيل نزلت في صناديد قريش والمستهزئين (ان لدينا انكالا) اي عندنا قيوداً في الآخرة عظاما لا تفك ابداً عن مجاهد وقتادة وقيل اغلالا (وجحيما) وهو اسم من اسماء جهنم وقيل يعني ونارا عظيمة ولا يسمى القليل به (وطعاما ذا غصة) اي ذا شوك يأخذ الحلق فلا يدخل ولا يخرج عن ابن عباس وقيل طعاما يأخذ بالحلقوم لخشونته وشدة تكرهه وقيل يعني الزقوم والضريع وروي عن حمران بن اعين عن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمع قارئا يقرأ هذه فصعق (وعذابا اليما) اي عقابا موجعا مؤلما ثم بين سبحانه متى يكون ذلك فقال (يوم ترجف الارض) اي تتحرك باضطراب شديد (والجبال) اي وترجف الجبال معها ايضا وتضطرب بمن عليها (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) اي رملا سائلا متناثراً عن ابن عباس وقيل المهيل الذي اذا وطأته القدم زل من تحتها واذا اخذت اسفله انهار اعلاه عن الضحاك والمعنى ان الجبال تنقلع من اصولها فتصير بعد صلابتها كالرمل السائل ثم اكد سبحانه الحجة على اهل مكة فقال (انا ارسلنا اليكم رسولا) يعني محمدا صلى الله عليه وآله وسلم شاهدا عليكم اي يشهد عليكم في الآخرة بما يكون منكم لا في الدنيا (كما ارسلنا الى فرعون) بمصر (رسولا) يعني موسى بن عمران (فعصى فرعون الرسول) ولم يقبل منه ما دعاه اليه (فأخذناه) بالعذاب (اخذاً وبيلا) اي شديداً ثقيلا مع كثرة جنوده وسعة ملكه يعني الغرق حذرهم سبحانه ان ينالهم مثل ما نال فرعون وقومه (فكيف تتقون ان كفرتم) ولم تؤمنوا برسولكم (يوما) اي عقاب يوم (يجعل الولدان شيبا) وهو جمع اشيب وهذا وصف لذلك اليوم وشدته كما يقال هذا امر يشيب منه الوليد وتشيب منه النواصي اذا كان عظيما شديداً والمعنى بأي شيء تتحصنون من عذاب ذلك اليوم ان كفرتم وكيف تدفعون عنكم ذلك قال النابغة

«سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد» اي دفعتنا ثم زاد سبحانه في وصف شدة ذلك اليوم فقال (السماء منفطر به) الهاء تعود الى اليوم وهذا كما يقال فلان بالكوفة اي هو فيها والمعنى ان السماء تنفطر وتنشق في ذلك اليوم من هوله وقيل بسبب ذلك اليوم وهوله وشدته وقيل به بامر الله

وقدرته ولم يقل منفطرة لان لفظة السماء مذكر فيجوز ان يذكر ويؤنث ومن ذكر اراد السقف وقيل معناه ذات انفطار كما يقال امرأة مطفل اي ذات اطفال ومرضع ذات رضاع فيكون على طريق النسبة (كان وعده مفعولا) اي كائنا لاخلف فيه ولا تبديل (ان هذه) الصفة التي ذكرناها وبيناها (تذكرة) أي عظة لمن انصف من نفسه والتذكرة الموعظة التي يذكر بها ما يعمل عليه (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) اي فمن شاء من المكلفين اتخذ الى ثواب ربه سبيلا لأنه قادر على الطاعة التي لو فعلها وصل الى الثواب وقد رغبه الله تعالى فيه ودعاه الى فعل ما يوصله اليه وبعث رسولا يدعوه اليه فمن لم يصل اليه فبسوء اختياره انصرف عنه

قوله تعالى (٢٠) إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ آية واحدة

القراءة

قرأ ابن كثير واهل الكوفة نصفه وثلثه بالنصب والباقون بالجر

الحجة

قال ابو علي من نصب حمله على ادنى وادنى في موضع نصب قال ابو عبيدة ادنى اقرب فكأنه قال ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل وتقوم نصفه وثلثه ومن جر فانه يحمله على الجار قال ابو الحسن وليس المعنى عليه فيما بلغنا لان المعنى يكون على ادنى من نصفه وادنى من ثلثه قال وكان الذي افترض الثلث واكثر من الثلث قال فأما الذين قرأوا بالجر فعلى ان يكون المعنى انكم ان لم تؤدوا ما فرض الله عليكم فقوموا ادنى من ثلثي الليل ومن نصفه ومن ثلثه

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (ان ربك) يا محمد (يعلم انك تقوم ادنى) اي اقرب واقل (من ثلثي الليل ونصفه وثلثه) اي اقل من نصفه وثلثه والهاء تعود الى الليل اي نصف الليل وثلث الليل والمعنى انك تقوم في بعض الليالي قريبا من الثلثين وفي بعضها قريبا من نصف الليل وقريبا من ثلثه وقيل ان الهاء تعود الى الثلثين اي واقرب من نصف الثلثين ومن ثلث الثلثين واذا نصبت فالمعنى تقوم نصفه وثلثه (و) تقوم (طائفة من الذين معك) على الايمان وروى الحاكم ابو القاسم ابراهيم الحسكاني باسناده عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس في قوله وطائفة من الذين معك قال علي وابو ذر (والله يقدر الليل والنهار) اي يقدر اوقاتها لتعملوا فيها على ما يأمركم به وقيل معناه لا يفوته علم ما تفعلون عن عطاء والمراد انه يعلم مقادير الليل والنهار فيعلم القدر الذي تقومونه من الليل (علم ان لن تحصوه) قال مقاتل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة ان لا يصيب ما امر به من القيام فقال سبحانه علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا معرفة ذلك

وقال الحسن قاموا حتى انتفخت أقدامهم فقال سبحانه انكم لا تطيقون احصاءه على الحقيقة وقيل معناه ان تطيقوا المداومة على قيام الليل ويقع منكم التقصير فيه (فتاب عليكم) بأن جعله تطوعا ولم يجعله فرضا عن الجبائي وقيل معناه فلم يلزمكم اثما كما لا يلزم التائب أي رفع التبعة فيه كرفع التبعة عن التائب وقيل فتاب عليكم أي فخفف عليكم (فاقرأوا ما تيسر من القرآن) الآن يعني في صلاة الليل عن اكثر المفسرين وأجمعوا أيضا على أن المراد بالقيام المتقدم في قوله قم الليل هو القيام الى الصلاة الا أبا مسلم فانه قال أراد القيام لقراءة القرآن لا غير وقيل معناه فصلوا ما تيسر من الصلاة وعبر عن الصلاة بالقرآن لأنها تتضمنه ومن قال إن المراد به قراءة القرآن في غير الصلاة فهو محمول على الاستحباب عند الاكثرين دون الوجوب لانه لو وجبت القراءة لوجب الحفظ وقال بعضهم هو محمول على الوجوب لأن القارئ يقف على اعجاز القرآن وما فيه من دلائل التوحيد وارسال الرسل ولا يلزم حفظ القرآن لأنه من القرب المستحبة المرغب فيها ثم اختلفوا في القدر الذي تضمنه هذا الامر من القراءة فقال سعيد بن جبير خمسون آية وقال ابن عباس مائة آية وعن الحسن قال ومن قرأ مائة آية في ليلة لم يحاجه القرآن وقال كعب من قرأ مائة آية في ليله كتب من القانتين وقال السدي مائتا آية وقال جويبر ثلث القرآن لأن الله يسره على عباده والظاهر أن معنى ما تيسر مقدار ما أردتم واحببتم (علم ان سيكون منكم مرضى) وذلك يقتضي التخفيف عنكم (وآخرون) أي ومنكم قوم آخرون (يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله) اي يسافرون للتجارة وطلب الارباح عن ابن عباس (وآخرون) أي ومنكم قوم آخرون(يقاتلون في سبيل الله) فكل ذلك يقتضي التخفيف عنكم (فاقرأوا ما تيسر منه) وروي عن الرضا (ع) عن أبيه عن جده (ع) قال ما تيسر منه لكم فيه خشوع القلب وصفاء السر (وأقيموا الصلاة) بحدودها التي أوجبها الله عليكم (وآتوا الزكاة) المفروضة (وأقرضوا الله قرضا حسنا) أي وانفقوا في سبيل الله والجهات التي أمركم الله وندبكم الى النفقة فيها وقد مر معنى القرض فيما تقدم(وما تقدموا لانفسكم من خير) أي طاعة (تجدوه) أي تجدوا ثوابه (عند الله هو خيرا) لكم من الشح والتقصير (وأعظم أجرا) أي افضل ثوابا وهو هنا يسمى فصلا عند البصريين وعمادا عند الكوفيين ويجوز أن يكون صفة للهاء في تجدوه (واستغفروا الله) أي اطلبوا مغفرته (ان الله غفور رحيم) اي ستار الذنوبكم صفوح عنكم رحيم بكم منعم عليكم قال عبد الله بن مسعود ايما رجل جلب شيئا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم قرأ وآخرون يضربون في الأرض الآية . وقال ابن عمر ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب إلي من ان أموت بين شقي رحل اضرب في الأرض ابتغي من فضل الله وقيل ان هذه الآية مدنية ويدل عليها ان الصلاة والزكاة لم توجبا بمكة وقيل أوجبتا بمكة والآية مكية .

سورة المدثر مكية

عدد آيها

خمسون وست آيات عراقي والبزي والمدني الاول وخمس شامي والمدني الاخير والمكي غير البزي

اختلافها

يتساءلون غير المدني الاخير عن المجرمين غير الشامي والمكي إلا البزي .

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأ سورة المدثر اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وكذب به بمكة • محمد بن مسلم عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ في الفريضة سورة المدثر كان حقاً على الله ان يجعله مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم في درجته ولا يدركه في حياة الدنيا شقاء ابدا

﴿ تفسيرها ﴾

لما امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم في آخر المزمل بالصلاة وغيرها امره في مفتتح هذه السورة بالانذار فكأنه امره ان يبدأ بنفسه ثم بالناس فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ (٢) قُمْ فَأَنْذِرْ (٣) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٤) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٥) وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ (٦) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٧) وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ (٨) فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ (٩) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (١٠) عَلَى ٱلْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر وحفص ويعقوب وسهل والرجز بالضم والباقون بكسر الراء. وقرأ الحسن تستكثر بالجزم وقرأ الاعمش تستكثر بالنصب والقراءة بالرفع

﴿ الحجة ﴾

الرجز بالضم قراءة الحسن وهو اسم صنم فيما زعموا وقال قتادة هما صنمان اساف ونائلة ومن كسر فهو العذاب والمعنى ذات العذاب فاهجر لأن عبادتها تؤدي إلى العذاب ويجوز أن يكون الرجز والرجز لغتين كالذكر والذكر وقال ابن جني الجزم في تستكثر يحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون بدلا من تمنن فكأنه قال لا تستكثر فإن قيل فمعرة البدل ان يصلح اقامة الثاني مقام الاول وانت لو قلت لا تستكثر لا يدلك النهي على المن للاستكثار و إنما المعنى لا تمنن مستكثرا قيل قد يكون البدل على حذف الاول وقد يكون على نية ثباته وذلك كقولك زيد مررت به ابي محمد فتبدل ابا محمد من الهاء ولو قلت زيد مررت مررت بابي محمد كان قبيحا فقوله ولا تمنن تستكثر من هذا القبيل وانكر ابو حاتم الجزم على البدل ﴿ والآخر ﴾ ان يكون اراد تستكثر فاسكن الراء لثقل الضمة مع كثرة الحركات كما حكى ابو زيد من قولهم بلى ورسلنا باسكان اللام واما تستكثر بالنصب فبان مضمرة وذلك ان يكون بدلا من قوله ولا تمنن في المعنى الا ترى ان معناه لا يكن منك من فاستكثار فكأنه قال لا يكن منك من ان تستكثر فتضمر ان لتكون مع الفعل المنصوب بها بدلا عن المن في المعنى الذي دل عليه الفعل ومما وقع فيه الفعل موقع المصدر قوله

فقالوا ما تشاء فقلت الهو إلى الاصباح آثر ذي اثير

اراد فقلت اللهو فوضع ألهو موضع اللهو

﴿ اللغة ﴾

المدثر المتفعل من الدثار إلا ان التاء ادغمت في الدال وهو المتغطي بالثياب عند النوم والتكبير وصف الاكبر على اعتقاد معناه كتكبير المكبر في الصلاة بقوله الله اكبر والتكبير نقيض التصغير والكبير الشأن هو المختص باتساع المقدور والمعلوم والطهارة النظافة بانتفاء النجاسة لان النظافة قد تكون بانتفاء الوسخ من غير نجاسة وقد تكون بانتفاء النجاسة فالطهارة في الآية هو القسم الأخير والمن ذكر النعمة بما يكدرها ويقطع حق الشكر

بهايقال من بعطائه يمن منّاً إذا فعل ذلك فاما المن على الاسير فهو اطلاقه بقطع اسباب الاعتقال عنه والاستكثار طلب الكثرة وهو هنا طلب ذكر الاستكثار للعطية والناقور فاعول من النقر كهاضوم من الهضم وحاطوم من الحطم وهو الذي من شأنه ان ينقر فيه للتصويت به واليسير القليل الكلفة ومنه اليسار وهو كثرة المال لقلة الكلفة به في الانفاق ومنه تيسير الامور لسهولته

الاعراب

وربك فكبر تقديره قم فكبر ربك وكذلك ما بعده وفائدة تقديم المفعول عنها التخصيص لأنك إذا قلت وكبر ربك لم يدل ذلك على انه لا يجوز تكبير غير الرب وإذا قلت ربك فكبر دل على انه لا يجوز تكبير غيره وتستكثر في موضع نصب على الحال فذلك مبتدأ ويوم عسير خبره ويومئذ يجوز أن يكون رفعا ويجوز أن يكون نصبا فإذا كان رفعا فإنما يبنى على الفتح لاضافته إلى اذ لان اذ غير متمكنة وإذا كان نصبا فعلى الظرف وتقديره فذلك يوم عسير في يوم ينفخ في الصور قاله الزجاج وقال ابو علي في بعض كتبه لا يجوز أن ينتصب يومئذ بقوله عسير لأن الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف قال وإنما انتصب يومئذ على انه صلة قوله فذلك لأن ذلك كناية عن المصدر فكأنه قال فذلك النقر يومئذ وعلى هذا فيكون التقدير فذلك النقر في ذلك الوقت نقر يوم عسير وقوله على الكافرين غير يسير على يتعلق بعسير ولا يتعلق بيسير لان ما يعمل فيه المضاف اليه لا يتقدم على المضاف على انهم قالوا ان غيرا في حكم حرف النفي فيجوز أن يعمل ما بعده فيما قبله نحو ان تقول انت زيدا غير ضارب ولا يجوز أن تقول انت زيدا مثل ضارب فتعمل ضاربا في زيد وإنما اجازوا انت زيدا غير ضارب حملا على انت زيدا لا ضارب

المعنى

خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (يا أيها المدثر) اي المتدثر بثيابه قال الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول سألت ابا سلمة اي القرآن انزل من قبل قال يا أيها المدثر فقلت او اقرأ باسم ربك فقال سألت جابر بن عبد الله اي القرآن انزل قبل قال يا أيها المدثر فقلت او اقرأ فقال جابر احدثكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت الوادي فنوديت فنظرت امامي وخلفي وعن يميني وشمالي فلم ار احدا ثم نوديت فرفعت رأسي فإذا هو على العرش في الهواء يعني جبرائيل فقلت دثروني دثروني فصبوا علي ماء فانزل الله عز وجل يا أيها المدثر وفي رواية فجثيت منه فرقا حتى هويت إلى الارض فجئت إلى اهلي فقلت زملوني فنزل يا أيها المدثر (قم فانذر) اي ليس بك ما تخافه من الشيطان إنما انت نبي فانذر الناس وادعهم إلى التوحيد وفي هذا ما فيه لان الله تعالى لا يوحي إلى رسوله إلا بالبراهين النيرة والآيات البينة الدالة على أن ما يوحى اليه إنما هو من الله تعالى فلا يحتاج إلى شيء سواها ولا يفزع ولا يفرق وقيل معناه يا أيها الطالب صرف الاذى بالدثار اطلبه بالانذار وخوف قومك بالنار وان لم يؤمنوا وقيل انه كان قد تدثر بشملة صغيرة لينام فقال يا أيها النائم قم من نومك فانذر قومك وقيل إن المراد به الجد في الامر والقيام بما ارسل به وترك الهوينا فيه فكانه قيل له لا تنم عما امرتك به وهذا كما تقول العرب فلان لا ينام في امره إذا وصف بالجد والانكماش وصدق العزيمة وكأنهم يحظرون النوم على ذي الحاجة حتى يبلغ حاجته وبذلك نطقت اشعارهم كما قيل

الا ايها الناهي فزارة بعد ما ... اجدت لامر إنما انت حالم

أرى كل ذي وتر يقوم بوتره ... ويمنع عنه النوم إذ انت نائم

ويقال لمن ادرك ثأره هذا هو الثأر المنيم وقال الشاعر يصف من اورد ابلا له

اوردها سعد وسعد مشتمل ... ما هكذا تورد يا سعد الابل

والاشتمال مثل التدثر (وربك فكبر) اي عظمه ونزهه عما لا يليق به وقيل كبره في الصلاة فقل الله اكبر (وثيابك فطهر) أي وثيابك الملبوسة فطهرها من النجاسة للصلاة وقيل معناه ونفسك فطهر من الذنوب والثياب عبارة عن النفس عن قتادة ومجاهد وعلى هذا فيكون التقدير وذا ثيابك فطهر فحذف المضاف ومما يؤيد هذا القول قول عنترة

فشككت بالرمح الاصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم

وقيل معناه طهر ثيابك من لبسها على معصية او غدرة كما قال سلامة بن غيلان الثقفي انشده ابن عباس

اني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة اتقنع

قال الزجاج معناه ويقال للغادر دنس الثياب وفي معناه قول من قال وعملك فاصلح قال السدي يقال للرجل إذا كان صالحا انه اطاهر الثياب وإذا كان فاجراً انه لخبيث الثياب وقيل معناه وثيابك فقصر عن طاوس وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) قال الزجاج لأن تقصير الثوب ابعد من النجاسة فانه إذا انجر على الأرض لم يؤمن ان يصيبه ما ينجسه وقيل معناه وثيابك فاغسلها عن النجاسة بالماء لان المشركين كانوا لا يتطهرون عن ابن زيد وابن سيرين وقيل لا يكن ثيابك من حرام عن ابن عباس وقيل معناه وازواجك فطهرهن عن الكفر والمعاصي حتى يصرن مؤمنات صالحات والعرب تكني بالثياب عن النساء عن أبي مسلم وروى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال قال امير المؤمنين (ع) غسل الثياب يذهب الهم والحزن وهو طهور الصلاة وتشمير الثياب طهور لها وقد قال الله سبحانه وثيابك فطهر اي فشمر (والرجز فاهجر) اي اهجر الاصنام والاوثان عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والزهري وقيل معناه اجتنب المعاصي عن الحسن قال الكسائي الرجز بالكسر العذاب وبالضم الصنم وقال المعنى اهجر ما يؤدي إلى العذاب ولم يفرق غيره بينهما وقيل معناه جانب الفعل القبيح والخلق الذميم عن الجبائي وقيل معناه اخرج حب الدنيا من قلبك لانه رأس كل خطيئة (ولا تمنن تستكثر) اي لا تعط عطية لتعطى اكثر منها وهذا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة ادبه الله سبحانه باكرم الآداب واشرفها عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والنخعي والضحاك وقيل معناه ولا تمنن حسناتك على الله تعالى مستكثرا لها فينقصك ذلك عند الله عن الحسن وربيع بن انس وقيل معناه لا تمنن ما اعطاك الله من النبوة والقرآن مستكثرا به الأجر من الناس عن ابن زيد وقيل هو نهي عن الربا المحرم اي لا تعط شيئا طالبا ان تعطى اكثر مما اعطيت عن ابي مسلم وقيل لا تضعف في عملك مستكثرا لطاعاتك عن مجاهد وقيل ولا تمنن بعطائك على الناس مستكثرا ما اعطيته فان متاع الدنيا قليل ولان المن يكدر الصنيعة وقيل معناه إذا اعطيت عطية فاعطها لربك واصبر حتى يكون هو الذي يثيبك عليها عن زيد بن اسلم وقيل معناه لا تمنن بابلاغ الرسالة على امتك عن الجبائي (ولربك) اي لوجه ربك (فاصبر) على اذى المشركين عن مجاهد وقيل فاصبر على ما امرك الله به من اداء الرسالة وتعليم الشريعة وعلى ما ينالك من التكذيب والاذى لتنال الفوز والذخر وقيل فاصبر عن المعاصي وعلى الطاعات والمصائب وقيل فاصبر لله على ما حملت من الامور الشاقة في محاربة العرب والعجم عن ابن زيد (فإذا نقر في الناقور) معناه إذا نفخ في الصور وهي كهيئة البوق عن مجاهد وقيل إن ذلك في النفخة الأولى وهو أول الشدة الهائلة العامة وقيل انه النفخة الثانية وعندها يحيي الله الخلق وتقوم القيامة وهي صيحة الساعة عن الجبائي (فذلك يومئذ) قد مر معناه في الاعراف (يوم عسير) اي شديد (على الكافرين) لنعم الله الجاحدين لآياته (غير يسير) غير هين ولا سهل وهو بمعنى قوله عسير إلا انه اعاده بلفظ آخر للتأكيد كما تقول إني واد لفلان غير مبغض وقيل معناه عسير في نفسه وغير عسير على المؤمنين لما يرون من حسن العاقبة

قوله تعالى (١١) ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً (١٢) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً (١٣) وَبَنِينَ شُهُوداً (١٤) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً (١٥) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٦) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً (١٧) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (١٨) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٩) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢١) ثُمَّ نَظَرَ (٢٢) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٣) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٤) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٥) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٦) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٨) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٩) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٣٠) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَاناً وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ احدى وعشرون آية

﴿ اللغة ﴾

التمهيد والتوطئة والتذليل والتسهيل نظائر والعنيد الذاهب عن الشيء على طريق العداوة له يقال عند العرق يعند عنودا فهو عاند إذا نفر والمعاندة منافرة المضادة وكذلك العناد وبعير عنود أي نافر قال الشاعر

إذا نزلت فاجعلوني وسطا — إني كبير لا اطيق العندا

والارهاق الاعجاز بالعنف والصعود العقبة التي يصعب صعودها وهي الكؤود وعبس يعبس عبوساً إذا قبض وجهه والعبوس والتكليح والتقطيب نظائر وضدها الطلاقة والبشاشة والبسور بدو التكره في الوجه وأصله من بسر بالامر إذا عجل به ومنه البسر لتعجيل حاله قبل الارطاب قال توبة

وقد رابني منها صدود رأيته — واعراضها عن حاجتي وبسورها

والاصلاء الزام موضع النار يقال اصليته فاصطلى وسقر اسم من اسماء جهنم لم يصرف للتأنيث والتعريف وأصله من سقرته الشمس سقرا إذا المت دماغه والابقاء ترك شيء مما أخذ والتلويح تغيير اللون إلى الاحمرار ولوحته الشمس تلويحا فهي لواحة على المبالغة والبشر جمع بشرة وهي ظاهر الجلد ومنه سمي الانسان بشرا لأنه ظاهر الجلد بتعريه من الوبر والريش والصوف الذي يكون في غيره من الحيوان .

﴿ الاعراب ﴾

وحيدا منصوب على الحال وهو على وجهين أحدهما أن يكون من صفة الله أي ذرني ومن خلقته وحدي والآخر أن يكون من صفة المخلوق

﴿ النزول ﴾

نزلت الآيات في الوليد بن المغيرة المخزومي وذلك أن قريشا اجتمعت في دار الندوة فقال لهم الوليد انكم ذوو احساب وذوو أحلام وإن العرب يأتونكم فينطلقون من عندكم على أمر مختلف فاجمعوا امركم على شيء واحد ما تقولون في هذا الرجل قالوا نقول إنه شاعر فعبس عندها وقال قد سمعنا الشعر فما يشبه قوله الشعر فقالوا نقول انه كاهن قال إذا تأتونه فلا تجدونه يحدث بما تحدث به الكهنة قالوا نقول انه لمجنون فقال إذا

تأتونه فلا تجدونه مجنونا قالوا نقول انه ساحر قال وما الساحر فقالوا بشر يحببون بين المتباغضين ويبغضون بين المتحابين قال فهو ساحر فخرجوا فكان لايلقى احد منهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا قال ياساحر ياساحر واشتد عليه ذلك فانزل الله تعالى يا أيها المدثر إلى قوله الا قول البشر عن مجاهد ويروى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما انزل عليه حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب قام إلى المسجد والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاستماعه لقراءته أعاد قراءة الآية فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلى ثم انصرف الى منزله فقال قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم وكان يقال للوليد ريحانة قريش فقال لهم ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق فقعد الى جنب الوليد حزيناً فقال لي ما اراك حزينا يا ابن اخي قال هذه قريش يعيبونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد فقام مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه فقال أتزعمون ان محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط فقالوا اللهم لا قال اتزعمون انه كاهن فهل رايتم عليه شيئا من ذلك قالوا اللهم لا قال أتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه انه ينطق بشعر قط قالوا اللهم لا قال أتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا اللهم لا وكان يسمى الصادق الأمين قبل النبوة من صدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم نظر وعبس فقال ما هو إلا ساحر ما رأيتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يؤثر

﴿ المعنى ﴾

ثم قال سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم على وجه التهديد للكافر الذي وصفه (ذرني ومن خلقت وحيدا) اي ودعني واياه فاني كاف له في عقابه كما يقول القائل دعني واياه ومعناه دعني ومن خلقته متوحدا بخلقه لا شريك لي في خلقه وان حملته على صفة المخلوق فمعناه دعني ومن خلقته في بطن امه وحده لا مال له ولا ولد يعني الوليد بن المغيرة قال مقاتل معناه خل بيني وبينه فأنا افرد بهلكته وقال ابن عباس كان الوليد يسمى الوحيد في قومه وروى العياشي باسناده عن زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن ابي عبد الله وابي جعفر عليهما السلام ان الوحيد ولد الزنا قال زرارة ذكر لابي جعفر عليه السلام عن احد بني هشام انه قال في خطبته انا ابن الوحيد فقال ويله لو علم ما الوحيد ما فخر بها فقلنا له وما هو قال من لا يعرف له اب ثم ذكر سبحانه رزقه المال والولد فقال (وجعلت له مالا ممدودا) ما بين مكة الى الطائف من الابل المؤبلة والخيل المسومة والنعم المرحلة والمستغلات التي لا تنقطع غلتها والجواري والعبيد والعين الكثيرة عن عطاء عن ابن عباس وقيل الممدود الكثير الذي لا تنقطع غلته عنه سنة حتى يدرك غلة سنة اخرى فهو ممدود على الايام وكان له بستان بالطائف لا ينقطع خيره في شتاء ولا صيف وعشرة بنين ومائة الف دينار عن مجاهد وقيل ستة آلاف دينار عن قتادة وقيل اربعة آلاف دينار عن سفيان (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة لا يغيبون عنه لغناهم عن ركوب السفر للتجارة قال سعيد بن جبير كانوا ثلاثة عشر وقال مقاتل كانوا سبعة الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس اسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة قالوا فما زال الوليد بعد هذه الآية في نقصان من ماله وولده حتى هلك (ومهدت له تمهيدا) اي بسطت له في العيش بسطا حتى صار مكفي المؤنة من كل وجه حتى ضارت احواله متناسبة عن الحسن وغيره وقيل سهلت له التصرف في الأمور تسهيلا (ثم يطمع ان ازيد) اي لم يشكرني على هذه النعم بل كفر نعمائي وهو مع ذلك يطمع ان ازيد في انعامه ثم قال على وجه الردع والزجر (كلا) اي لا يكون كما ظن ولا ازيده مع كفره وقيل كلا معناه انزجر وارتدع فليس الامر على ما تتوهم ثم بين سبحانه كفره فقال (انه كان لآياتنا عنيدا) اي انا لم نفعل به ذلك لانه كان بحججنا وادلتنا معاندا ينكرها مع معرفته بها وقيل عنيدا جحودا عن ابن عباس وقتادة (سأرهقه صعودا)

اي سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة فيه وقيل صعود جبل في جهنم من نار يؤخذ بارتقائه فاذا وضع يده عليه ذابت فاذا رفعها عادت وكذلك رجله في خبر مرفوع وقيل هو جبل من صخرة ملساء في النار يكلف ان يصعدها حتى اذا بلغ اعلاها احدر إلى اسفلها ثم يكلف ايضا ان يصعدها فذلك دأبه ابدا يجذب من امامه بسلاسل الحديد ويضرب من خلفه بمقاطع الحديد فيصعدها في اربعين سنة عن الكلبي (انه فكر) ودبر ماذا يقول في القرآن (وقدر) القول في نفسه وإنما فكر ليحتال به للباطل لأنه لو فكر على وجه طلب الرشاد لكان ممدوحا وقدر فقال ان قلنا شاعر كذبتنا العرب باعتبار ما أتى به وان قلنا كاهن لم يصدقونا لأن كلامه لا يشبه كلام الكهان فنقول ساحر يؤثر ما اتى به عن غيره من السحرة (فقتل) اي لعن وعذب وقيل لعن بما يجري مجرى القتل وقيل استحق العذاب عن الجبائي (كيف قدر) قال صاحب النظم معناه لعن على اي حال قدر ما قدر من الكلام كما يقال في الكلام لأضربنه كيف صنع اي على اي حال كان منه (ثم قتل كيف قدر) هذا تكرير للتأكيد وقيل معناه كيف قدر في آياتنا ما قدر مع وضوح الحجة ثم لعن وعوقب بعقاب آخر كيف قدر في ابطال الحق تقدير آخر وقيل معناه عوقب في الآخرة مرة بعد مرة (ثم نظر) في طلب ما يدفع به القران ويرده (ثم عبس وبسر) أي كلح وكره وجهه ونظر بكراهة شديدة كالمهتم المتفكر في الشيء (ثم ادبر) عن الايمان (واستكبر) اي تكبر حين دعا اليه فقال (ان هذا) اي ما هذا القرآن (إلا سحر يؤثر) اي يروى عن السحرة وقيل هو من الايثار اي سحر تؤثره النفوس وتختاره لحلاوته فيها (إن هذا إلا قول البشر) اي ما هذا إلا كلام الانس وليس من عند الله ولو كان القرآن سحرا او من كلام البشر كما قاله الملعون لأمكن السحرة ان يأتوا بمثله ولقدر هو وغيره مع فصاحتهم على الاتيان بسورة مثله ثم قال سبحانه مهددا له (سأصليه سقر) اي سأدخله جهنم والزمه اياها وقيل سقر دركة من دركات جهنم وقيل باب من ابوابها (وما ادريك) ايها السامع (ما سقر) في شدتها وهولها وضيقها ثم وصف بعض صفاتها فقال (لا تبقي ولا تذر) اي لا تبقي لهم لحماً الا اكلته ولا تذرهم اذا اعيدوا خلقا جديدا عن مجاهد وقيل لا تبقي شيئاً الا احرقته ولا تذر اي لا تبقي عليهم بل يبلغ مجهودهم في انواع العذاب عن الجبائي (لواحة للبشر) اي مغيرة للجلود وقيل لافحة للجلود حتى تدعها اشد سوادا من الليل (عليها تسعة عشر) من الملائكة هم خزنتها مالك ومعه ثمانية عشر اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم كالصياصي يخرج لهب النار من افواههم مابين منكبي احدهم مسيرة سنة تسع كف احدهم مثل ربيعة ومضر نزعت منهم الرحمة يرفع احدهم سبعين الفا فيرميهم حيث اراد من جهنم وقيل معناه على سقر تسعة عشر ملكاً وهم خزان سقر وللنار ودركاتها الأخر خزان آخرون وقيل انما خصوا بهذا العدد ليوافق المخبر الخبر لما جاء به الانبياء قبله وما كان من الكتب المتقدمة ويكون في ذلك مصلحة للمكلفين وقال بعضهم في تخصيص هذا العدد ان تسعة عشر يجمع اكثر القليل من العدد واقل الكثير منه لأن العدد آحاد وعشرات ومئات والوف فأقل العشرات عشرة واكثر الآحاد تسعة قالوا ولما نزلت هذه الآية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اتسمعون ابن أبي كبشة يخبركم ان خزنة النار تسعة عشر وانتم الدهم الشجعان افيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزانة جهنم فقال أبو الاسد الجمحي أنا اكفيكم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني فاكفوني انتم اثنين فنزل (وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة) الآية عن ابن عباس وقتادة والضحاك ومعناه وما جعلنا الموكلين بالنار المتولين تدبيرها الا ملائكة جعلنا شهوتهم في تعذيب اهل النار ولم نجعلهم من بني آدم كما تعهدون انتم فتطيقونهم (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) أي لم نجعلهم على هذا العدد إلا محنة وتشديدا في التكليف للذين كفروا نعم الله وجحدوا وحدانيته حتى يتفكروا فيعلموا ان الله سبحانه حكيم لايفعل إلا ماهو حكمة ويعلموا انه قادر على ان يزيد في قواهم ما يقدرون به على تعذيب الخلائق ولو راجع الكفار عقولهم لعلموا ان من سلط ملكاً واحداً على كافة بني آدم لقبض ارواحهم

فلا يغلبونه قادر على سوق بعضهم إلى النار وجعلهم فيها بتسعة عشر من الملائكة (ليستيقن الذين اوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى انه حق وان محمداً ﷺ صادق من حيث اخبر بما هو في كتبهم من غير قراءة لها ولا تعلم منهم (ويزداد الذين آمنوا إيماناً) أي يقيناً بهذا العدد وبصحة نبوة محمد ﷺ إذا أخبرهم أهل الكتاب انه مثل ما في كتابهم (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) أي ولئلا يشك هؤلاء في عدد الخزنة والمعنى وليستيقن من لم يؤمن بمحمد ﷺ ومن آمن به صحة نبوته إذا تدبروا وتفكروا (وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) اللام هنا لام العاقبة أي عاقبة امر هؤلاء أن يقولوا هذا يعني المنافقين اوالكافرين وقيل معناه ولأن يقولوا ماذا أراد الله بهذا الوصف والعدد ويتدبروه فيؤدي بهم التدبر في ذلك إلى الايمان (كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) اي مثل ما جعلنا خزنة اصحاب النار ملائكة ذوي عدد محنة واختبارا لتكلف الخلق ليظهر الضلال والهدى وأضافهما إلى نفسه لأن سبب ذلك التكليف وهو من جهته وقيل يضل عن طريق الجنة والثواب من يشاء ويهدي من يشاء اليه (وما يعلم جنود ربك إلا هو) أي ما يعلم جنود ربك من كثرتها أحد إلا هو ولم يجعل خزنة النار تسعة عشر لقلة جنوده ولكن الحكمة اقتضت ذلك وقيل هذا جواب أبي جهل حين قال ما لمحمد أعوان إلا تسعة عشر عن مقاتل وقيل معناه وما يعلم عدة الملائكة الذين خلقهم الله لتعذيب أهل النار إلا الله عن عطاء والمعنى أن التسعة عشر هم خزنة النار ولهم من الاعوان والجنود ما لا يعلمه إلا الله ثم رجع إلى ذكر سقر فقال (وما هي إلا ذكرى للبشر) اي تذكرة وموعظة للعالم ليتذكروا فيتجنبوا ما يستوجبون به ذلك وقيل معناه وما هذه النار في الدنيا إلا تذكرة للبشر من نار الآخرة حتى يتفكروا فيها فيحذروا نار الآخرة وقيل ما هذه السورة إلا تذكرة للناس وقيل وما هذه الملائكة التسعة عشر إلا عبرة الخلق يستدلون بذلك على كمال قدرة الله تعالى وينزجرون عن المعاصي

قوله تعالى (٣٢) كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٣) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٤) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٥) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٦) نَذِيراً لِلْبَشَرِ (٣٧) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٨) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٩) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٤٠) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤١) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤٢) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٣) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٤) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٥) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٦) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٧) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٨) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٩) فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٥٠) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥١) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥٢) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرَةً (٥٣) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٤) كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٥) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٦) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ

خمس وعشرون آية

القراءة

قرأ نافع وحمزة وحفص ويعقوب وخلف إذ بغير الف ادبر بالالف والباقون اذا بالالف دبر بغير الالف وقرأ اهل المدينة وابن عامر مستنفرة بفتح الفاء والباقون بكسر الفاء وفي الشواذ قراءة بعضهم برويه عن ابن كثير انها لحدى الكبر بلا همزة وقراءة سعيد بن جبير صحفا منشرة بسكون الحاء والنون

﴿ الحجة ﴾

ابو علي قال يونس دبر انقضى وادبر تولى قال قتادة والليل اذ ادبر اذا ولى يقال دبر وادبر وقال والتخفيف في لاحدى الكبر ان يجعل فيها الهمزة بين بين نحو سيم فاما حذف الهمزة فليس بقياس ووجه ذلك أن الهمزة حذفت حذفا كما حذفت في قوله

ويلمها في هواء الجو طالبها ولا كهذا الذي في الارض مطلوب

وقد جاء ذلك في مواضع من الشعر قال ابو الاسود ازباد

يا با المغيرة رب أمر معضل فرجته بالنكر مني والدهاء

وقال آخر

ان لم اقاتل فألبسوني برقعاً وفتخات في اليدين اربعا

وانشد احمد بن يحيى

ان كان حزن لك يا فقيمة باعك عبدا باخس قيمة

وقال الفرزدق

وعليك اثم عطية بن الخطفي واثم التي زجرتك ان لم تجهد

قال والكسر في مستنفرة اولى لقوله فرت من قسورة فهذا يدل على انها هي استنفرت ويقال نفر واستنفر مثل سخر واستسخر وعجب واستعجب ومن قال مستنفرة فكأن القسورة استنفرتها والرامي قال أبو عبيدة مستنفرة مذعورة وانشد الزجاج

امسك حمارك انه مستنفر في اثر احمرة عمدن لغرب

ورويت بالكسر أيضاً قال ابن سلام سألت ابا سواد العربي وكان اعرابيا فصيحاً قارئاً للقرآن فقلت كأنهم حمر ماذا قال حمر مستنفرة طردها قسورة قلت انما هو فرت من قسورة فقال افرت قلت نعم فقال مستنفرة قال ابن جني اما سكون الحاء من صحف فلغة تميمية واما منشرة بسكون النون فإن العرف في الاستعمال نشرت الثوب وغيره وانشر الله الموتى فنشروا هم قال وقد جاء عنهم أيضا نشر الله الميت قال المتنبي

ردت صنائعه اليه حياته فكأنه من نشرها منشور

ولم نعلمهم قالوا انشرت الثوب ونحوه إلا انه يجوز ان يشبه شيء بشيء وكما جاز ان يشبه الميت بالشيء المطوي حتى قال المتنبي منشور فكذلك يجوز ان يشبه المطوي بالميت فيقال صحف منشرة أي كأنها بطيها ميتة فلما نشرت قيل منشرة

﴿ اللغة ﴾

اليقين العلم الذي يوجد برد الثقة به في الصدر ويقال وجد فلان برد اليقين وثلج اليقين في صدره ولذلك لا يوصف سبحانه بأنه متيقن والقسورة الأسد وقيل هم الرماة من قسره يقسره قسراً إذا قهره واصل الفرار الانكشاف عن الشيء ومنه يقال فر الفرس يفر فرا اذا كشف عن سنه والصحف جمع الصحيفة وهي الورقة التي من شأنها ان تقلب من جهة إلى جهة لما فيها من الكتابة ومنه المصحف وجمعه مصاحف

﴿ الإعراب ﴾

نذيرا للبشر اختلف في وجه انتصابه فقيل نصب على الحال وهو اسم فاعل بمعنى منذر وذو الحال الضمير في احدى الكبر العائد إلى الهاء في انها وهي كناية عن النار فالمعنى انها الكبيرة في حال الانذار وانما ذكره لأن

معناه معنى العذاب ويجوز ان يكون التذكير على قولهم امرأة طالق أي ذات طلاق وكذلك نذير بمعنى ذات إنذار وقيل هو حال يتعلق باول السورة فكأنه قال يا أيها المدثر قم نذيرا للبشر فأنذر وقيل ان النذير هنا بمعنى الانذار وتقديره انذارا للبشر فيكون نصبا على المصدر لانه لما قال انها لاحدى الكبر دل على انه انذرهم بها انذارا وقوله معرضين منصوب على الحال مما في اللام من قوله فما لهم من معنى الفعل والتقدير اي شيء ثبت لهم معرضين عن التذكرة وكأنهم حمر مستنفرة جملة في موضع الحال من معرضين وهي حال من حال او حال بعد حال أي مشابهين حمرا

المعنى

ثم أقسم سبحانه على عظيم ما ذكره من الوعيد فقال (كلا) أي حقا وقيل معناه ليس الأمر على ما يتوهمونه من أنهم يمكنهم دفع خزنة النار وغلبتهم (والقمر) أقسم بالقمر لما فيه من الآيات العجيبة في طلوعه وغروبه ومسيره وزيادته ونقصانه (والليل إذ أدبر) وأقسم بالليل إذا ولى وذهب عن قتادة وقيل أدبر إذا جاء بعد غيره وأدبر إذا ولى مدبراً فعلى هذا يكون المعنى في إذ أدبر إذا جاء الليل في اثر النهار وفي إذا أدبر إذا ولى الليل فجاء الصبح عقيبه وعلى القول الأول فهما لغتان معناهما ولى وانقضى (والصبح إذا أسفر) أي إذا أضاء وأنار عن قتادة وهو قسم آخر وقيل معناه إذا كشف الظلام واضاء الأشخاص وقال قوم التقدير في هذه الأقسام ورب هذه الأشياء لأن اليمين لا يكون إلا بالله تعالى (إنها لإحدى الكبر) هذا جواب القسم يعني أن سقر التي هي النار لاحدى العظائم والكبر جمع الكبرى وهي العظمى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل معناه أن آيات القرآن لاحدى الكبر في الوعيد (نذيرا للبشر) أي منذراً ومخوفاً معلماً مواضع المخافة والنذير الحكيم بالتحذير عما ينبغي أن يحذر منه فكل نبي نذير لأنه حكيم بتحذيره عقاب الله تعالى على معاصيه واختلف فيه فقيل إنه من صفة النار عن الحسن وقيل من صفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكأنه قال قم نذيراً عن ابن زيد وقيل من صفة الله تعالى عن ابن زرين وعلى هذا يكون حالا من فعل القسم المحذوف (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) أي يتقدم في طاعة الله أو يتأخر عنها بالمعصية عن قتادة والمشيئة هي الإرادة فيكون المعنى أن هذا الإنذار متوجه إلى من يمكنه أن يتقي عذاب النار بأن يتجنب المعاصي ويفعل الطاعات فيقدر على التقدم والتأخر في أمره بخلاف قول أهل الجبر القائلين بتكليف ما لا يطاق وقيل انه سبحانه عبر عن الايمان والطاعة بالتقدم لان صاحبه متقدم في العقول والدرجات وعن الكفر والمعصية بالتأخر لأنه متأخر في العقول والدرجات وروى محمد ابن الفضيل عن ابي الفضل عن ابي الحسن (ع) أنه قال كل من تقدم إلى ولايتنا تأخر عن سقر وكل من تأخر وعن ولايتنا تقدم إلى سقر (كل نفس بما كسبت رهينة) أي مرهونة بعملها محبوسة به مطالبة بما كسبته من طاعة أو من معصية فالرهن أخذ الشيء بامر على أن لا يرد إلا بالخروج منه قال زهير

وفارقتك برهن لا فكاك له يوم الوداع فأمسى الرهن قد غلقا

فكذلك هؤلاء الضلال قد أخذوا برهن لا فكاك له والكسب هو كل ما يجتلب به نفع أو يدفع به ضرر ويدخل فيه الفعل وأن لا يفعل ثم استثنى سبحانه أصحاب اليمين فقال (إلا أصحاب اليمين) وهم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين يسلك بهم ذات اليمين قال قتادة غلق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين وهم الذين لا ذنب لهم فهم ميامين على أنفسهم وقيل هم المؤمنون المستحقون للثواب عن الحسن وقيل هم الملائكة عن ابن عباس وقال الباقر (ع) نحن وشيعتنا أصحاب اليمين (في جنات يتساءلون) أي يسأل بعضهم بعضاً وقيل يساءلون (عن المجرمين) أي عن حالهم وعن ذنوبهم التي استحقوا بها النار (ما سلككم في سقر) هذا سؤال توبيخ أي تطلع أهل الجنة على أهل النار فيقولون لهم ما أوقعكم في النار (قالوا لم نك من المصلين) أي كنا لا نصلي الصلاة المكتوبة على ما قررها الشرع وفي هذا دلالة على أن الإخلال بالواجب يستحق به الذم والعقاب لأنهم علقوا

استحقاقهم العقاب بالإخلال في الصلاة وفيه دلالة أيضاً على أن الكفار مخاطبون بالعبادات الشرعية لأنه حكاية عن الكفار بدلالة قوله وكنا نكذب بيوم الدين وقوله (ولم نك نطعم المسكين) معناه لم نك نخرج الزكوات التي كانت واجبة علينا والكفارات التي وجب دفعها إلى المساكين وهم الفقراء وكنا نخوض مع الخائضين أي كلما غوى غاو بالدخول في الباطل غوينا معه عن قتادة والمعنى كنا نلوث أنفسنا بالمرور في الباطل كتلويث الرجل بالخوض فلما كان هؤلاء يجرون مع من يكذب بالحق مشيعين لهم في القول كانوا خائضين معهم (وكنا نكذب بيوم الدين) مع ذلك أي نجحد يوم الجزاء وهو يوم القيامة والجزاء هو الايصال إلى كل من له شيء أم عليه شيء ما يستحقه فيوم الدين هو يوم أخذ المستحق بالعدل (حتى أتينا باليقين) أي أتانا الموت على هذه الحالة وقيل حتى جاءنا العلم اليقين من ذلك بان عايناه (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) أي شفاعة الملائكة والنبيين كما نفعت الموحدين عن ابن عباس في رواية عطاء وقال الحسن لم تنفعهم شفاعة ملك ولا شهيد ولا مؤمن ويعضد هذا الإجماع على أن عقاب الكفر لا يسقط بالشفاعة وقد صحت الرواية عن عبد الله بن مسعود قال يشفع نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم رابع أربعة جبرئيل ثم ابراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم لا يشفع أحد اكثر مما يشفع فيه نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم ما سلككم في سقر إلى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال ابن مسعود فهؤلاء الذين يبقون في جهنم وعن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يقول الرجل من أهل الجنة يوم القيامة اي رب عبدك فلان سقاني شربة من ماء في الدنيا فشفعني فيه فيقول إذهب فأخرجه من النار فيذهب فيتجسس في النار حتى يخرجه منها وقال صلى الله عليه وآله وسلم إن من أمتي من سيدخل الله الجنة بشفاعته اكثر من مضر (فما لهم عن التذكرة معرضين) أي أي شيء لهم ولم أعرضوا وتولوا عن القرآن فلم يؤمنوا به والتذكرة التذكير بمواعظ القرآن والمعنى لا شيء لهم في الآخرة إذا أعرضوا عن القرآن ونفروا عنه (كأنهم حمر مستنفرة) أي كأنهم حمر وحشية نافرة (فرت من قسورة) يعني الأسد عن عطاء والكلبي قال ابن عباس الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت منه كذلك هؤلاء الكفار إذا سمعوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ القرآن هربوا منه وقيل القسورة الرماة ورجال القنص عن ابن عباس بخلاف والضحاك ومقاتل ومجاهد وقال سعيد بن جبير هم القناص (بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة) أي كتباً من السماء تنزل اليهم باسمائهم إن آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم عن الحسن وقتادة وابن زيد وقيل معناه أنهم يريدون صحفاً من الله تعالى بالبراءة من العقوبة واسباغ النعمة حتى يؤمنوا وإلا اقاموا على كفرهم وقيل يريد كل واحد منهم أن يكون رسولاً يوحى اليه متبوعاً وأنف من أن يكون تابعاً وقيل هو تفسير ما ذكره الله تعالى في قوله ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه فقال سبحانه (كلا) أي حقاً ليس الأمر على ما قالوا ولا يكون كذلك (بل لا يخافون الآخرة) بجحدهم صحتها ولو خافوا عذاب الآخرة لما اقترحوا الآيات بعد قيام الدلالات والمعجزات (كلا) اي حقا (إنه تذكرة) أي إن القرآن تذكير وموعظة (فمن شاء ذكره) أي أتعظ به لأنه قادر عليه (وما يذكرون إلا أن يشاء الله) هذه المشيئة غير الأولى إذ لو كانت واحدة لتناقض فالاولى مشيئة اختيار والثانية مشيئة إكراه وإجبار والمعنى أن هؤلاء الكفار لا يذكرون إلا أن يجبرهم الله تعالى على ذلك وقيل معناه إلا أن يشاء الله من حيث أمر به ونهى عن تركه ووعد الثواب على فعله وأوعد بالعقاب إن لم تفعله فكانت مشيئته سابقة أي لا تشاؤن إلا والله قد شاء ذلك (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أي هو أهل أن يتقي محارمه وأهل أن يغفر الذنوب عن قتادة وروي مرفوعاً عن انس قال إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تلا هذه الآية فقال قال الله سبحانه انا أهل ان أتقى فلا يجعل معي إله فمن اتقى أن يجعل معي إلها فأنا أهل أن أغفر له وقيل معناه هو اهل أن يتقي عقابه واهل أن يعمل له بما يؤدي إلى مغفرته

سورة القيمة (مكية)

أربعون آية كوفي تسع وثلاثون في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

آية لتعجل به كوفي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن قرأ سورة القيمة شهدت انا وجبريل له يوم القيامة أنه كان مؤمناً بيوم القيامة وجاء ووجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة أبو بصير عن أبي عبد الله (ع) قال من أدمن قراءة لا أقسم وكان يعمل بها بعثها الله يوم القيامة معه في قبره في أحسن صورة تبشره وتضحك في وجهه حتى يجوز الصراط والميزان

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة المدثر بذكر القيامة وأن الكافر لا يؤمن بها افتتح هذه السورة بذكر القيامة وذكر أهوالها فقال

بِسْمِ ٱللّٰهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) لَاأُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيٰمَةِ (٢) وَلَاأُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ (٣) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٤) بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٥) بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٦) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيٰمَةِ (٧) فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ (٨) وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ (٩) وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ (١٠) يَقُولُ ٱلْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ (١١) كَلَّا لَاوَزَرَ (١٢) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ (١٣) يُنَبَّؤُا ٱلْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٤) بَلِ ٱلْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٥) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ خمس عشرة آية.

﴿ القراءة ﴾

قرأ القواس لأقسم والباقون لا أقسم ولم يختلفوا في الثاني أنه ولا أقسم وقرأ أهل المدينة برق البصر بفتح الراء والباقون برق بالكسر وفي الشواذ قراءة ابن عباس وعكرمة وأيوب السجستاني والحسن المفر بفتح الميم وكسر الفاء وقراءة الزهري المفر بكسر الميم وفتح الفاء

﴿ الحجة ﴾

قال أبو علي من قرأ لا أقسم بيوم القيامة كانت لا على قوله صلة كالتي في قوله لئلا يعلم أهل الكتاب فإن قلت لا وما والحروف التي هنَّ زوائد إنما تكون بين كلامين كقوله مما خطيئاتهم وفبما رحمة من الله وفبما نقضهم ولا تكاد تزاد اولا فقد قالوا إن مجاري القرآن مجاري الكلام الواحد والسورة الواحدة قال والذي يدل على ذلك انه قد يذكر الشيء في سورة ويجيء جوابه في سورة أخرى كقوله يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون جاء جوابه في سورة أخرى ما أنت بنعمة ربك بمجنون فلا فصل على هذا بين قوله لئلا يعلم وبين قوله لا أقسم فأما من قرأ لأقسم فإن اللام تجوز أن تكون اللام التي تصحبها احدى النونين في أكثر الأمر وقد حكي ذلك سيبويه وأجازه وكالم يلحق النون مع الفعل الآتي في لأقسم كذلك لم يلحق اللام مع النون في نحو قول الشاعر

وقتيل مرة أثارنَّ فإنه ... فزع وان اخاكم لم يثأر

يريد لأتأرن فحذف اللام ويجوز ان يكون اللام لحقت فعل الحال وإذا كان المثال للحال لم يتبعها النون لأن هذه النون التي تلحق الفعل في اكثر الأمر إنما هي للفصل بين فعل الحال والفعل الآتي وقد يمكن أن يكون لا رداً لكلام وزعموا أن الحسن قرأ لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة وقال أقسم بالاولى ولم يقسم بالثانية وحكي نحو ذلك عن ابن ابي اسحاق أيضاً وذكر أبو علي في غير كتاب الحجة ان اللام زيادة لأن القسم لا يدخل على القسم وقال ابن جني ينبغي أن تكون هذه اللام لام الابتداء أي لأنا أقسم بيوم القيامة وحذف المبتدأ للعلم به وقال ابو الحسن برق البصر اكثر في كلام العرب والمفتوحة لغة قال الزجاج من قرأ برق فمعناه فزع وتحير ومن قرأ برَق فهو من بريق العينين وقال ابو عبيدة برق البصر إذا شق وانشد

لما اتاني ابن صبيح راغبا ... اعطيته عيساء منها فبرق

والمفر الفرار والمفر بكسر الفاء الموضع الذي يفر اليه والمفر بكسر الميم وفتح الفاء الانسان الجيد الفرار وقال امرؤ القيس

مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

﴿ الاعراب ﴾

بلى قادرين نصب على الحال والتقدير بلى نجمعها قادرين فالعامل في الحال محذوف لدلالة ما تقدم عليه كما في قوله فإن خفتم فرجالاً أي فصلّوا رجالا ومفعول يريد محذوف تقديره بل يريد الإنسان الحياة ليفجر ويسأل جملة في موضع الحال ولا وزر خبره محذوف وتقديره لا وزر في الوجود وقوله بل الانسان على نفسه بصيرة قيل في تفسيره أقوال ﴿ أحدها ﴾ ان المعنى بل الإنسان على نفسه عين بصيرة ﴿ والثاني ﴾ حجة بصيرة أي بينة ﴿ والثالث ﴾ ان الهاء للمبالغة كما يقال رجل علامة ونسابة وقال علي بن عيسى تقديره بل الإنسان على نفسه من نفسه بصيرة أي جوارحه شاهدة عليه يوم القيامة فأنث بصيرة لأنه حمل الانسان على النفس وجواب لو محذوف تقديره ولو القى معاذيره لم ينفعه ذلك ويجوز ان يكون جوابه فيما سبق

﴿ المعنى ﴾

(لا أقسم بيوم القيامة) قيل إن لا صلة ومعناه أقسم بيوم القيامة عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقيل إن لا رد على الذين انكروا البعث والنشور من المشركين فكأنه قال لا كما تظنون ثم ابتدأ القسم فقال أقسم بيوم القيامة انكم مبعوثون ليكون فرقاً بين اليمين التي تكون جحداً وبين اليمين المستأنفة وقيل معناه لا أقسم بيوم القيامة لظهورها بالدلائل العقلية والسمعية وقيل معناه لا اقسم بيوم القيامة فإنكم لا تقرون بها (ولا أقسم بالنفس اللوامة) فإنكم لا تقرون بأن النفس تلوم صاحبها يوم القيامة ولكن استخبركم فأخبروني هل أقدر على أن اجمع العظام المتفرقة وهذان الوجهان عن ابي مسلم وقيل معناه أقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة أقسم بالأول ولم يقسم بالثاني عن الحسن قال علي بن عيسى وهذا ضعيف لأنه يخرج عن تشاكل الكلام والاولى أن يكونا قسمين وهو قول الأكثرين وجواب القسم محذوف تقديره ما الأمر على ما تتوهمون وانكم تبعثون أو لتبعثن ومن قرأ لأقسم فإنه يجعلها جواب القسم وحذف النون لانه اراد الحال وقد ذكرنا ما قيل فيه والنفس اللوامة الكثيرة اللوم وليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها يوم القيامة إن كانت عملت خيراً قالت هلا ازددت وان كانت عملت سوءاً قالت يا ليتني لم افعل عن ابن عباس في رواية عطاء وقال مجاهد تلوم على ما مضى تقول لم فعلت ولمَ لمْ أفعل وقيل النفس اللوامة الكافرة الفاجرة عن قتادة ومجاهد ومعناه ذات اللوم الكثير لما سلف منها وقيل هي النفس المؤمنة تلوم نفسها في الدنيا وتحاسبها فتقول ماذا فعلت ولمَ قصرت فتكون مفكرة في العواقب ابداً والفاجر لا يفكر في أمر الآخرة ولا يحاسب نفسه عن الحسن (ايحسب الإنسان) صورته صورة

الاستفهام ومعناه الإنكار على منكري البعث ومعناه أيحسب الكافر بالبعث والنشور يعني جنس الكفار (أن لن نجمع عظامه) اي أنه لن نعيده إلي ما كان أولا عليه خلقاً جديداً بعد ان صار رفاتاً فكنى عن البعث بجمع العظام ثم قال سبحانه (بلى) نجمعها (قادرين على أن نسوي بنانه) على ما كانت وإن قلت عظامها وصغرت فنردها كما كانت ونؤلف بينها حتى يستوي البنان ومن قدر على جمع صغار العظام فهو على جمع كبارها أقدر عن الزجاج والجبائي وابي مسلم وقيل معناه نقدر على أن نجعل بنانه كالخف والحافر فيتناول المأكول بفيه ولكننا مننا عليه بالأنامل ليكمل بها المنفعة ويتهيأ له القبض والبسط والارتفاق بالأعمال اللطيفة كالكتابة وغيرها عن ابن عباس وقتادة (بل يريد الانسان) أي يريد الكافر (ليفجر أمامه) هذا اخبار من الله تعالى أن الإنسان يمضي قدما في معاصي الله تعالى راكبا رأسه لا ينزع عنها ولا يتوب عن مجاهد والحسن وعكرمة والسدي أي فهذا هو الذي يحمله على الإعراض عن مقدورات ربه فلذلك لا يقر بالبعث وينكر النشور وقيل ليفجر أمامه أي ليفكر بما قدامه من البعث ويكذب به فالفجور هو التكذيب وعن الزجاج قال ويجوز أن يريد أنه يسوف التوبة ويقدم الأعمال السيئة وقال ابن الأنباري يريد أن يفجر ما امتد عمره وليس في نيته أن يرجع عن ذنب يرتكبه وقيل معناه انه يقول اعمل ثم أتوب عن عطية والمراد انه يتعجل المعصية ثم يسوف التوبة يقول غداً وبعد غد (يسأل أيان يوم القيامة) معناه أن الذي يفجر أمامه يسأل متى تكون القيامة فان معنى ايان متى إلا أن السؤال بمتى اكثر من السؤال بايان فلذلك حسن أن يفسر بها وانما يسأل عن ذلك تكذيباً به واشتغالاً بالدنيا من غير تفكر في العاقبة فإذا خوف بالقيامة قال متى يكون ذلك ثم قال سبحانه (فإذا برق البصر) أي شخص البصر عند معاينة ملك الموت فلا يطرف من شدة الفزع وقيل إذا فزع وتحير لما يرى من أهوال القيامة وأحوالها مما كان يكذب به في الدنيا وهذا كقوله لا يرتد اليهم طرفهم عن قتادة وابي مسلم (وخسف القمر) أي ذهب نوره وضوؤه (وجمع الشمس والقمر) جمع بينهما في ذهاب ضوئهما بالخسوف ليتكامل ظلام الأرض على أهلها حتى يراها كل احد بغير نور وضياء عن مجاهد وهو اختيار الفراء والزجاج والجمع على ثلاثة أقسام جمع في المكان وجمع في الزمان وجمع الأعراض في المحل فأما جمع الشيئين في حكم أو صفة فمجاز لأن حقيقة الجمع جعل أحد الشيئين مع الآخر وقيل جمع بينهما في طلوعها من المغرب كالبعيرين القرينين عن ابن مسعود (يقول الإنسان) المكذب بالقيامة (يومئذ أين المفر) أي أين الفرار ويجوز أن يكون معناه أين موضع الفرار عن الفراء وقال الزجاج المفر بالفتح الفرار والمفر بالكسر مكان الفرار قال الله سبحانه (كلا لا وزر) أي لامهرب ولا ملجأ لهم يلجأون اليه والوزر ما يتحصن به من جبل أو غيره ومنه الوزير الذي يلجأ اليه في الأمور وقيل معناه لا حصن عن الضحاك (الى ربك يومئذ المستقر) أي المنتهى عن قتادة أي ينتهي الخلق يومئذ إلى حكمه وأمره فلا حكم ولا أمر لأحد غيره وقيل المستقر المكان الذي يستقر فيه المؤمن والكافر وذلك الى الله لا إلى العباد وقيل المستقر المصير والمرجع عن ابن مسعود والمستقر على وجهين مستقر الى أمد ومستقر الى الأبد (ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وآخر) أي يخبر الإنسان يوم القيامة بأول عمله وآخره فيجازى به عن مجاهد وقيل معناه بما قدم من العمل في حياته وما سنه فعمل به بعد موته من خير أو شر وقيل بما قدم من المعاصي وأخر من الطاعات عن ابن عباس وقيل بما أخذ وترك عن ابن زيد وقيل بما قدم من طاعة الله وأخر من حق الله فضيعه عن قتادة وقيل بما قدم من ماله لنفسه وما خلفه اورثته بعده

عن زيد بن اسلم وحقيقه النبأ الخبر بما يعظم شأنه وإنما احسن في هذا الموضع لأن ما جرى مجرى المباح لا يعتد به في هذا الباب وانما هو ما يستحق عليه الجزاء فاما ما وجوده كعدمه فلا اعتبار به (بل الانسان على نفسه بصيرة)اي ان جوارحه تشهد عليه بما عمل فهو شاهد على نفسه بشهادة جوارحه عليه عن ابن عباس وعكرمة ومقاتل وقال القتيبي اقام جوارحه مقام نفسه ولذلك انث لأن المراد بالانسان هاهنا الجوارح وقال الاخفش هي كقولك فلان حجة وعبرة ودليله قوله تعالى كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقيل معناه ان الانسان بصير بنفسه وعمله وروى العياشي باسناده عن محمد بن مسلم عن ابي عبد الله (ع) قال ما يصنع احدكم ان يظهر حسنا ويسر سيئا اليس إذا رجع إلى نفسه يعلم انه ليس كذلك والله سبحانه يقول بل الانسان على نفسه بصيرة ان السريرة إذا صلحت قويت العلانية وعن عمر بن يزيد عن ابي عبد الله (ع) انه تلا هذه الآية ثم قال ما يصنع الانسان أن يعتذر الى الناس خلاف ما يعلم الله منه ان رسول الله ﷺ كان يقول من اسر سريرة رداه الله رداءها إن خيراً فخير وإن شرا فشر وعن زرارة قال سالت أبا عبد الله ما حد المرض الذي يفطر صاحبه قال بل الانسان على نفسه بصيرة هو أعلم بما يطيق وفي رواية اخرى هو اعلم بنفسه ذاك اليه (ولو القى معاذيره)اي ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم ينفعه ذلك يقال معذرة ومعاذر ومعاذير وهي ذكر موانع تقطع عن الفعل المطلوب وقيل معناه ولو ارخى الستور واغلق الأبواب عن الضحاك والسدي قال الزجاج معناه ولو ادلى بكل حجة عنده وجاء في التفسير المعاذير الستور واحدها معذار وقال المبرد هي لغة طائية والمعنى على هذا القول وان اسبل الستور ليخفي ما يعمل فإن نفسه شاهدة عليه

قوله تعالى (١٥) لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩) كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ عشر آيات

القراءة

قرأ اهل المدينة والكوفة تحبون وتذرون بالتاء والباقون بالياء

الحجة

من قرأ بالتاء فعلى معنى قل لهم بل تحبون وتذرون ومن قرأ بالياء فعلى معنى هم يحبون ويذرون قال ابو علي الياء على ما تقدم من ذكر الإنسان فإن المراد به الكثرة والعموم كقوله ان الإنسان خلق هلوعا ثم قال الا المصلين

اللغة

التحريك تصيير الشيء من مكان الى مكان أو من جهة إلى جهة بفعل الحركة فيه والحركة ما به يتحرك المتحرك والمتحرك هو المنتقل من جهة إلى غيرها واللسان آلة الكلام والعجلة طلب عمل الشيء قبل وقته الذي ينبغي أن يعمل فيه ونقيضه الابطاء والسرعة عمل الشيء في أول الوقت الذي هو له وضده الأناة والقرآن اصله الضم والجمع وهو مصدر كالرجحان والنقصان والبيان اظهار المعنى للنفس بما يتميز به عن غيره ونقيض البيان الإخفاء

والإغماض والنضرة مثل البهجة والطلاقة وضده العبوس والبسور نضر وجهه ينضر نضارة ونضرة فهو ناضر والنظر تقليب الحدقة الصحيحة نحو المرئي طلبا لرؤيته ويكون النظر بمعنى الانتظار كما قال عز شأنه واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة أي منتظرة وقال الشاعر

وجوه يوم بدر ناظرات إلى الرحمن تنتظر الخلاصا

ثم يستعمل في الفكر فيقال نظرت في هذه المسألة اي تفكرت ومنه المناظرة وتكون من المقابلة يقال دور بني فلان تتناظر اي تتقابل والفاقرة الكاسرة لفقار الظهر شدة وقيل الفاقرة الداهية والآبدة

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (لا تحرك به لسانك لتعجل به) قال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا نزل عليه القرآن عجل بتحريك لسانه لحبه إياه وحرصه على أخذه وضبطه مخافة أن ينساه فنهاه الله عن ذلك وفي رواية سعيد بن جبير عنه انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعاجل من التنزيل شدة وكان يشتد عليه حفظه فكان يحرك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبريل من قراءة الوحي فقال سبحانه لا تحرك به أي بالوحي أو بالقرآن لسانك يعني بالقراءة لتعجل به أي لتأخذه كما قال ولا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه (ان علينا جمعه) في صدرك حتى تحفظه (وقرآنه) اي وتأليفه على ما نزل عليك عن قتادة وقيل معناه ان علينا جمعه وقرآنه عليك حتى تحفظه ويمكنك تلاوته فلا تخف فوت شيء منه عن ابن عباس والضحاك (فإذا قرأناه) اي قرأه جبريل عليك بأمرنا (فاتبع قرآنه) أي قراءته عن ابن عباس والمعنى اقرأه اذا فرغ جبريل عن قراءته قال فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا اذا نزل عليه جبريل (ع) اطرق فاذا ذهب قرأ وقيل فاتبع قرآنه أي فاعمل بما فيه من الأحكام والحلال والحرام عن قتادة والضحاك وقال البلخي الذي اختاره انه لم يرد القرآن وإنما أراد قراءة العباد لكتبهم يوم القيامة يدل على ذلك ما قبله وما بعده وليس فيه شيء يدل على انه القرآن ولا شيء من احكام الدنيا وفي ذلك تقريع للعبد وتوبيخ له حين لا تنفعه العجلة يقول لا تحرك لسانك بما تقرأه من صحيفتك التي فيها اعمالك يعني اقرأ كتابك ولا تعجل فإن هذا الذي هو على نفسه بصيرة اذا رأى سيئاته ضجر واستعجل فيقال له توبيخا لا تعجل وتثبت لتعلم الحجة عليك فانا نجمعها لك فإذا جمعناه فاتبع ما جمع عليك بالانقياد لحكمه والاستسلام للتبعة فيه فانه لا يمكنك انكاره (ثم ان علينا بيانه) لو انكرت وقال الحسن معناه ثم ان علينا بيان ما انبأناك انا فاعلون في الآخرة وتحقيقه وقيل يريد انا نبين لك معناه إذا حفظته عن قتادة وقيل معناه ثم ان علينا ان نحفظه عليك حتى تبين للناس بتلاوتك اياه عليهم وقيل معناه علينا ان ننزله قرآنا عربيا فيه بيان للناس عن الزجاج وفي هذا دلالة على انه لا تعمية في القرآن ولا الغاز ولا دلالة فيه على جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة وانما يدل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب (كلا) أي لا تتدبرون القرآن وما فيه من البيان (بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) أي تختارون الدنيا على العقبى فيعملون للدنيا لا للآخرة جهلا منهم وسوء اختيار ثم بين سبحانه حال الناس في الآخرة فقال (وجوه يومئذ) يعني يوم القيامة (ناضرة) أي ناعمة بهجة حسنة عن ابن عباس والحسن وقيل مسرورة عن مجاهد وقيل مضيئة بيض يعلوها النور عن السدي ومقاتل جعل الله سبحانه وجوه المؤمنين المستحقين للثواب بهذه الصفة علامة للخلق والملائكة على انهم الفائزون (إلى ربها ناظرة) اختلف

فيه على وجهين ﴿ أحدها ﴾ ان معناه نظر العين ﴿ والثاني ﴾ انه الإنتظار واختلف من حمله على نظر العين على قولين ﴿ أحدها ﴾ ان المراد الى ثواب ربها ناظرة اي هي ناظرة الى نعيم الجنة حالا بعد حال فيزداد بذلك سرورها وذكر الوجوه والمراد اصحاب الوجوه وروى ذلك عن جماعة من علماء المفسرين من الصحابة والتابعين لهم وغيرهم فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه كما في قوله تعالى وجاء ربك أي امر ربك وقوله وانا ادعوكم الى العزيز الغفار أي الى طاعة العزيز الغفار وتوحيده وقوله ان الذين يؤذون الله أي اولياء الله ﴿ والآخر ﴾ ان النظر بمعنى الرؤية والمعنى تنظر إلى الله معاينة رووا ذلك عن الكلبي ومقاتل وعطاء وغيرهم وهذا لا يجوز لأن كل منظور اليه بالعين مشار اليه بالحدقة واللحاظ والله يتعالى عن أن يشار اليه بالعين كما يجل سبحانه عن أن يشار اليه بالأصابع وايضا فإن الرؤية بالحاسة لا تتم الا بالمقابلة والتوجه والله يتعالى عن ذلك بالاتفاق وايضا فإن رؤية الحاسة لا تتم الا باتصال الشعاع بالمرئي والله منزه عن اتصال الشعاع به على ان النظر لا يفيد الرؤية في اللغة فإنه اذا علق بالعين افاد طلب الرؤية كما انه اذا علق بالقلب افاد طلب المعرفة بدلالة قولهم نظرت الى الهلال فلم اره فلو افاد النظر الرؤية لكان هذا القول ساقطا متناقضا وقولهم ما زلت انظر اليه حتى رأيته والشيء لا يجعل غاية لنفسه فلا يقال ما زلت أراه حتى رأيته ولأنا نعلم الناظر ناظراً بالضرورة ولا نعلمه رائيا بالضرورة بدلالة انا نسأله هل رأيت أم لا وأما من حمل النظر في الآية على الانتظار فانهم اختلفوا في معناه على اقوال ﴿ احدها ﴾ ان المعنى منتظرة لثواب ربها وروي ذلك عن مجاهد والحسن وسعيد بن جبير والضحاك وهو المروي عن علي (ع) ومن اعترض على هذا بأن قال ان النظر بمعنى الانتظار لا يتعدى بإلى فلا يقال انتظرت اليه وانما يقال انتظرته فالجواب عنه على وجوه منها انه قد جاء في الشعر بمعنى الانتظار معدى بالي كما في البيت الذي سبق ذكره ناظرات الى الرحمن وكقول جميل بن معمر

وإذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك جدتني نعما

وقول الآخر

اني اليك لما وعدت لناظر نظر الفقير إلى الغني الموسر

ونظائره كثيرة ومنها ان تحمل الى في قوله الى ربها ناظرة على انها اسم فهو واحد الآلاء التي هي النعم فان في واحدها اربع لغات إلى وألى مثل معا وقفا وألْيٌ وإلي مثل جدى وحسى وسقط التنوين بالاضافة وقال اعشى وائل

ابيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون إلى

اي لا يخون نعمة من انعم عليه وليس لأحد أن يقول ان هذا من اقوال المتأخرين وقد سبقهم الاجماع فإنا لا اسلم ذلك لما ذكرناه من ان عليا (ع) ومجاهد اوالحسن وغيرهم قالوا المراد بذلك تنتظر الثواب ومنها أن لفظ النظر يجوز ان يعدى بالي في الانتظار على المعنى كما ان الرؤيه عديت بالى في قوله تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل فأجرى الكلام على المعنى ولا يقال رأيت الى فلان ومن اجراء الكلام على المعنى قول الفرزدق

ولقد عجبت إلى هوازن اصبحت مني تلوذ ببطن أم جرير

فعدى عجبت بالي لأن المعنى نظرت ﴿ وثانيها ﴾ ان معناه مؤملة لتجديد الكرامة كما يقال عيني

ممدودة الى الله تعالى والى فلان وانا شاخص الطرف الى فلان ولما كانت العيون بعض اعضاء الوجوه اضيف الفعل الذي يقع بالعين اليها عن ابي مسلم ﴿وثالثها﴾ ان المعنى انهم قطعوا آمالهم واطماعهم عن كل شيء سوى الله تعالى ووجوه دون غيره فكني سبحانه عن الطمع بالنظر الا ترى ان الرعية تتوقع نظر السلطان وتطمع في افضاله عليها واسعافه في حوائجها فنظر الناس مختلف فناظر الى سلطان وناظر إلى تجارة وناظر الى زراعة وناظر الى ربه يؤمله وهذه الأقوال متقاربة في المعنى وعلى هذا فان هذا الانتظار متى يكون فقيل انه بعد الاستقرار في الجنة وقيل انه قبل استقرار الخلق في الجنة والنار فكل فريق ينتظر ما هو له أهل وهذا اختيار القاضي عبد الجبار وذكر جمهور اهل العدل ان النظر يجوز ان يحمل على المعنيين جميعا ولا مانع لنا من حمله على الوجهين فكأنه سبحانه اراد انهم ينظرون الى الثواب المعد لهم في الحال من أنواع النعيم وينتظرون امثالها حالا بعد حال ليتم لهم ما يستحقونه من الاجلال ويسأل على هذا فيقال اذا كان بمعنى النظر بالعين حقيقة وبمعنى الانتظار مجازاً فكيف يحمل عليهما والجواب ان عند اكثر المتكلمين في أصول الفقه يجوز ان يرادا بلفظة واحدة إذ لا تنافي بينهما وهو اختيار المرتضى قدس الله روحه ولم يجوز ذلك ابو هاشم الا اذا تكلم به مرتين مرة يريد النظر ومرة يريد الانتظار وأما قولهم المنتظر لا يكون نعيمه خالصا فكيف يوصف اهل الجنة بالانتظار فالجواب عنه ان من ينتظر شيئا لا يحتاج اليه في الحال وهو واثق بوصوله اليه عند حاجته فانه لا يهتم بذلك ولا ينقص سروره به بل ذلك زائد في نعيمه وانما يلحق الهم المنتظر اذا كان يحتاج الى ما ينتظره في الحال ويلحقه بفوته مضرة وهو غير واثق بالوصول اليه وقد قيل في اضافة النظر الى الوجوه ان الغم والسرور انما يظهران في الوجوه فبين الله سبحانه ان المؤمن اذا ورد يوم القيامة تهلل وجهه وان الكافر العاصي يخاف مغبة افعاله القبيحة فيكلح وجهه وهو قوله (ووجوه يومئذ باسرة) أي كالحة عابسة متغيرة (تظن ان يفعل بها فاقرة) أي تعلم وتستيقن انه يعمل بها داهية تفقر ظهورهم اي تكسرها وقيل انه على حقيقة الظن اي يظنون حصولها جملة ولا يعلمون تفصيلها وهذا اولى من الأول لأنه لو كان بمعنى العلم لكان أن بعده مخففة من انّ الثقيلة على ما ذكر في غير موضع وذكر سبحانه هذه الوجوه الظانة في مقابلة الوجوه الناظرة فهؤلاء يرجون تجديد الكرامة وهؤلاء يظنون حلول الفاقرة فيكون حال الوجوه الراجية للأحوال السارة على الضد من حال الوجوه الظانة للفاقرة

﴿النظم﴾

وجه اتصال قوله لا تحرك به لسانك بما قبله انه لما تقدم ذكر القيامة والوعيد خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال لا تحرك به لسانك لتعجل قراءته بل كررها عليهم ليتقرر في قلوبهم فانهم غافلون عن الأدلة ألهاهم حب العاجلة فاحتاجوا إلى زيادة تنبيه وتقرير

قوله تعالى (٢٦) كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ (٢٧) وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ (٢٨) وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ (٢٩) وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ (٣٠) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ (٣١) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣٢) وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٣) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ (٣٤) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٦) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ (٣٦) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٧) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً

مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٨) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٩) فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنْثَى (٤٠) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ ٱلْمَوْتَى خمس عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ حفص ورويس يمنى بالياء والباقون بالتاء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ بالتاء حمله على النطفة أي لم يك نطفة تمنى من مني ومن قرأ بالياء حمله على المنى أي من مني يمني يقدر خلق الانسان وغيره منها قال

منت لك ان تلقى ابن هند منية وفارس مياس إذا ما تلببا

وقال آخر

لعمرو ابي عمرو لقد ساقه المنى إلى جدث يوزى له بالأهاضب

أي ساقه القدر

﴿ اللغة ﴾

التراقي جمع الترقوة وهو مقدم الحلق من أعلى الصدر تترقى اليه النفس عند الموت واليه يتراقى البخار من الجوف وهناك تقع الحشرجة قال ذو الرمة

ورب عظيمة دافعت عنها وقد بلغت نفوسهم التراقي

والراقي طالب الشفاء رقاه يرقيه رقية اذا طلب له شفاء باسماء الله الشريفة وآيات كتابه العظيمة واما العوذة فهي دفع البلية بكلمات الله تعالى وتقول العرب قامت الحرب على ساق يعنون شدة الأمر قال

فإذا شمرت لك عن ساقها فويها ربيع ولا تسأم

والتمطي تمدد البدن من الكسل واصله ان ياوي مطاه اي ظهره وقيل اصله يتمطط فجعل احدى الطائين ياء وهو من المط بمعنى المد كقولهم تظنيت وامليت ونحو ذلك ونهى عن مشية المطيطاء وذلك ان يلقي الرجل يديه مع التكفي في مشيته . اولى لك كلمة وعيد وتهديد قالت الخنساء

هممت بنفسي كل الهموم فأولى بنفسي أولى لها

والسدى المهمل والعلقة القطعة من الدم المنعقد

﴿ الاعراب ﴾

في اعراب اولى وجوه ﴿ احدها ﴾ ان يكون مبتدأ وخبره لك ﴿ والآخر ﴾ ان يكون خبر مبتدأ محذوف تقديره الشر اولى لك فعلى هذا يكون اللام في لك للاختصاص كأنه قال الشر اولى لك من الخير ويجوز ان يكون بمعنى من تقديره الشر أقرب منك وسدى منصوب على الحال من قوله يترك

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه حالهم عند النزع فقال (كلا) اي ليس يؤمن الكافر بهذا وقيل معناه حقا (اذا بلغت) النفس او الروح ولم يذكره لدلالة الكلام عليه كما قال ما ترك على ظهرها من دابة يعني على ظهر الأرض (التراقي) اي العظام المكتنفة بالحلق وكنى بذلك عن الاشفاء على الموت (وقيل من راق) اي وقال من

حضره من اهله هل من راق اي طبيب شاف يرقيه ويداويه فلا يجدونه عن ابي قلابة والضحاك وقتادة وابن زيد قال قتادة التمسوا له الأطباء فلم يغنوا عنه من عذاب الله شيئا وقيل ان معناه قالت الملائكة من يرقى بروحه أملائكة الرحمة ام ملائكة العذاب عن ابن عباس ومقاتل قال ابو العالية تختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ايهم يرقى روحه وقال الضحاك اهل الدنيا يجهزون البدن واهل الآخرة يجهزون الروح (وظن انه الفراق) اي وعلم عند ذلك هذا الذي بلغت روحها تراقيها انه الفراق من الدنيا والأهل والمال والولد والفراق ضد الوصال وهو بعاد الالاف وجاء في الحديث ان العبد ليعالج كرب الموت وسكراته ومفاصله يسلم بعضها على بعض يقول عليك السلام تفارقني وافارقك الى يوم القيامة (والتفت الساق بالساق) قيل فيه وجوه * احدها * التفت شدة امر الاخرة بأمر الدنيا عن ابن عباس ومجاهد * والثاني * التفت حال الموت بحال الحياة عن الحسن * والثالث * التفت ساقاه عند الموت عن الشعبي وابي مالك لأنه يذهب القوة فيصير كجلد يلتف بعضه ببعض وقيل هو ان يضطرب فلا يزال يمد احدى رجليه ويرسل الأخرى ويلف احداها بالأخرى عن قتادة وقيل هو التفاف الساقين في الكفن * والرابع * التف ساق الدنيا بساق الآخرة وهو شدة كرب الموت بشدة هول المطلع والمعنى في الجميع انه تتابعت عليه الشدائد فلا يخرج من شدة إلا جاءه أشد منها (الى ربك يومئذ المساق) أي مساق الخلائق الى المحشر الذي لا يملك فيه الأمر والنهي غير الله تعالى وقيل يسوق الملك بروحه الى حيث امر الله تعالى به ان كان من اهل الجنة فالى عليين وان كان من اهل النار فالى سجين والمساق موضع السوق (فلا صدق ولا صلى) اي لم يتصدق بشيء ولم يصل لله (ولكن كذب) بالله (وتولى) عن طاعته عن الحسن وقيل معناه لم يصدق بكتاب الله ولا صلى لله ولكن كذب بالكتاب والرسول واعرض عن الايمان عن قتادة (ثم ذهب الى أهله يتمطى) اي يرجع اليهم يتبختر ويختال في مشيته وقيل ان المراد بذلك ابو جهل بن هشام (اولى لك فأولى) اي وهذه تهديد من الله له والمعنى وليك المكروه يا ابا جهل وقرب منك وجاءت الرواية ان رسول الله اخذ بيد ابي جهل ثم قال له اولى لك فأولى ثم اولى لك فأولى فقال ابو جهل بأي شيء تهددني لا تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيئاً واني لأعز اهل هذا الوادي فأنزل الله سبحانه كما قال له رسول الله ﷺ وقيل معناه الذم اولى لك من تركه الا انه حذف وكثر في الكلام حتى صار بمنزلة الويل لك وصار من المحذوف الذي لا يجوز اظهاره وقيل هو وعيد على وعيد عن قتادة ومعناه وليك الشر في الدنيا وليك ثم وليك الشر في الآخرة وليك والتكرار للتأكيد وقيل بعداً لك من خيرات الدنيا وبعداً لك من خيرات الآخرة عن الجبائي وقيل اولى لك ما تشاهده يا ابا جهل يوم بدر فأولى لك في القبر ثم اولى لك يوم القيامة فلذلك ادخل ثم فأولى لك في النار (أيحسب الانسان) يعني ابا جهل (ان يترك سدى) مهملا لا يؤمر ولا ينهى عن ابن عباس ومجاهد والألف للاستفهام والمراد الانكار اي لا ينبغي ان يظن ذلك وقيل انه عام اي أيظن الانسان الكافر بالبعث الجاحد لنعم الله ان يترك مهملا من غير امر يؤخذ به فيكون فيه تقويم له واصلاح لما هو اعود عليه في عاقبة امره واجمل به في دنياه وآخرته (ألم يك نطفة من مني يمنى) اي كيف يظن ان يهمل وهو يرى في نفسه من تنقل الأحوال ما يمكنه ان يستدل به على ان له صانعا حكيما اكمل عقله واقدره وخلق فيه الشهوة فيعلم انه لا يجوز ان يخليه من التكليف ومعنى قوله يمنى اي يقدر وقيل معناه يصب في

الرحم (ثم كان علقة فخلق) منها خلقاً في الرحم (فسوى) خلقه وصورته واعضاءه الباطنة والظاهرة في بطن امه وقيل فسواه انسانا بعد الولادة واكمل قوته وقيل معناه فخلق الاجسام فسواها للأفعال وجعل لكل جارحة عملا يختص بها (فجعل منه) اي من الإنسان (الزوجين الذكر والأنثى) وقيل من المنى وهذا اخبار من الله سبحانه انه لم يخلق الإنسان من المنى ولم ينقله من حال الى حال ليتركه مهملا فانه لا بد من غرض في ذلك وهو التعريض للثواب بالتكليف (أليس ذلك) الذي فعل هذا (بقادر على ان يحيي الموتى) هذا تقرير لهم على ان من قدر على الابتداء قدر على البعث والاحياء فان من قدر على جعل النطفة علقة والعلقة مضغة الى ان يجعلها حيا سليما مركبا فيه الحواس الخمس والأعضاء الشريفة التي يصلح كل منها لما لا يصلح له الآخر وخلق الزوجين الذكر والانثى الذين يصح بهما التناسل فانه يقدر على اعادته بعد الموت الى ما كان عليه من كونه حيا وجاء في الحديث عن البراء بن عازب قال لما نزلت هذه الآية أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبحانك اللهم وبلى وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله عليهما السلام وفي الآية دلالة على صحة القياس العقلي فانه سبحانه اعتبر النشأة الثانية بالنشأة الاولى

سورة الانسان مكية

وتسمى سورة الدهر وتسمى سورة الأبرار ومنهم من يسميها بفاتحتها واختلفوا فيها فقيل مكية كلها وقيل مدنية كلها عن مجاهد وقتادة وقيل انها مدنية الا قوله ولا تطع منهم آثما او كفوراً فانه مكي عن الحسن وعكرمة والكلبي وقيل ان قوله انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا الى آخر السورة مكي والباقي مدني

❋ عدد آيها ❋

احدى وثلاثون آية بالاجماع

❋ فضلها ❋

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأ سورة هل اتى كان جزاؤه على الله جنة وحريراً وقال ابو جعفر(ع) من قرأ سورة هل اتى في كل غداة خميس زوجه الله من الحور العين مائة عذراء واربعة آلاف ثيب وكان مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم

❋ تفسيرها ❋

ختم الله سبحانه يوم القيامة بأن دل على صحة البعث بخلق الانسان من نطفة وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ (١) هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (٢) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٣) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٤) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٥) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٦) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ

اللهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً (٧) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً (٨) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً (٩) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً (١٠) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً عشر آيات

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل المدينة وابو بكر عن عاصم والكسائي سلاسلا بالتنوين وكذلك قواريرا قواريرا ويقفون بالألف على الجميع وقرأ ابن كثير وخلف سلاسل بغير تنوين وقواريرا قوارير الاول بالتنوين والثاني بغير تنوين ويقفان على سلاسل وقوارير الثانية بغير الألف وقرأ حمزة ويعقوب بغير تنوين في الجميع ويقفان بغير الف عليها وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحفص بغير تنوين فيها ايضاً الا انهم يقفون على سلاسل وقواريرا الأولى بالألف وعلى قوارير الثانيه بغير الف غير ان شجاعاً يقف على سلاسل ايضا بغير الف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة من صرف سلاسلا وقواريراً في الوصل والوقف امران ﴿ احدهما ﴾ ان أبا الحسن قال سمعنا من العرب من يصرف هذا ويصرف جميع ما لا ينصرف قال وهذه لغة اهل الشعر لانهم اضطروا اليه في الشعر فصرفوه فجرت السنتهم على ذلك واحتملوا ذلك في الشعر لأنـه يحتمل الزيادة كما يحتمل النقص فاحتملوا زيادة التنوين والأمر الآخر ان هذه الجموع اشبهت الآحاد لأنهم قـالوا صواحبات يوسف فلما جمعت جمع الآحاد المنصرفة جعلوه في حكمها فصرفوها قال ابو الحسن وكثير من العرب يقول مواليات يريد الموالي وانشد للفرزدق

فإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم　　خضع الرقاب نواكسي الابصار

فهذا كأنه جمع نواكس ومن قرأ بغير تنوين ولا الف فإنه جعله كقوله لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد والحاق الألف في سلاسل وقوارير كإلحاقه في قوله الظنونا والسبيلا والرسولا يشبه ذلك بالإطلاق في القوافي من حيث كانت مثلها في انها كلام تام

﴿ اللغة ﴾

الدهر مرور الليل والنهار وجمعه ادهر ودهور واصل النطفة الماء القليل وقد تقع على الكثير قـال امير المؤمنين (ع) حين ذكر الخوارج مصارعهم دون النطفة يريد النهروان والجمع نطاف ونطف قال الشاعر :

وما النفس الا نطفة بقرارة　　اذا لم تكدر كان صفوا غديرها

وواحد الأمشاج مشيج ومشجت هذا بهذا اي خلطته وهو ممشوج ومشيج وواحد الأبرار بار نحو ناصر وانصار وبر ايضا والكأس الإناء اذا كان فيه شراب قال عمرو بن كلثوم

صددت الكأس عنا ام عمرو　　وكان الكأس مجراها اليمينا

وأوفى بالعقد ووفى به فأوفى لغة اهل الحجاز ووفى لغة تميم واهل نجد والنذر عقد عـلى فعل بر يوجبه الانسان على نفسه نذر ينذر قال عنترة

الشاتمي عرضي ولم اشتمهما　　والناذرين اذا لم القهما دمي

اي يقولان ان لقينا عنترة لنقتلنه والمستطير المنتشر قال الاعشى

فبانت وقد اسأرت في الفؤاد صدعا على نأيها مستطيرا

والقمطرير الشديد في الشر وقد اقمطر اليوم اقمطراراً ويوم قمطرير وقماطر كأنه قد التف شره بعضه على بعض قال الشاعر

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا عليكم إذا ما كان يوم قماطر

قيل ان هل هنا بمعنى قد قال الشاعر

ام هل كبير بكى لم يقض عبرته اثر الأحبة يوم البين مشكوم

❋ الاعراب ❋

لم يكن شيئاً جملة في محل الرفع لأنها صفة حين والتقدير لم يكن فيه شيئاً مذكوراً وأمشاج يجوز ان يكون صفة لنطفة ويجوز ان يكون بدلا والوصف بالجمع مثل قولهم برمة اعشار وثوب اسمال ونبتابه في موضع نصب على الحال، اما شاكراً واما كفوراً حالان من الهاء في هديناه اي هديناه شاكراً او كفوراً وقوله عينا في انتصابه وجوه ❋ احدها ❋ ان يكون بدلا من كافوراً اذا جعلت الكافور اسم عين فيكون بدل الكل من الكل ❋ والثاني ❋ ان يكون بدلا من قوله من كأس أي يسقون من عين ثم حذف الجار فوصل الفعل اليه فنصبه ❋ والثالث ❋ ان يكون منصوبا على المدح والتقدير اعني عينا يشرب بها الباء مزيدة أي يشربها والمعنى يشرب ماؤها لأن العين لا تشرب وانما يشرب ماؤها

❋ النزول ❋

قد روى الخاص والعام ان الآيات من هذه السورة وهي قوله ان الابرار يشربون الى قوله وكان سعيكم مشكورا نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وجارية لهم تسمى فضة وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وابي صالح ❋ والقصة طويلة ❋

جملتها انهم قالوا مرض الحسن والحسين (ع) فعادهما جدهما صلى الله عليه وآله وسلم ووجوه العرب وقالوا يا ابا الحسن لو نذرت على ولديك نذراً فنذر صوم ثلاثة ايام ان شفاهما الله سبحانه ونذرت فاطمة (ع) كذلك و كذلك فضة فبرءا وليس عندهم شيء فاستقرض علي (ع) ثلاثة اصوع من شعير من يهودي وروي انه اخذها ليغزل له صوفا وجاء به الى فاطمة (ع) فطحنت صاعا منها فاختبزته وصلى علي المغرب وقربته اليهم فأتاهم مسكين يدعو لهم وسألهم فأعطوه ولم يذوقوا الا الماء فلما كان اليوم الثاني اخذت صاعا فطحنته وخبزته وقدمته الى علي (ع) فاذا يتيم في الباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا الا الماء فلما كان اليوم الثالث عمدت الى الباقي فطحنته واختبزته وقدمته الى علي (ع) فإذا اسير بالباب يستطعم فأعطوه ولم يذوقوا الا الماء فلما كان اليوم الرابع وقد قضوا نذورهم اتى علي (ع) ومعه الحسن والحسين (ع) الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبهما ضعف فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونزل جبرئيل (ع) بسورة هل اتى وفي رواية عطاء عن ابن عباس ان علي ابن ابي طالب (ع) اجر نفسه ليستقي نخلا بشيء من شعير ليلة حتى اصبح فلما اصبح وقبض الشعير طحن ثلثه فجعلوا منه شيئا ليأكلوه يقال له الحريرة فلما تم انضاجه اتى مسكين فأخرجوا اليه الطعام ثم عمل الثلث الثاني فلما تم انضاجه اتى يتيم فسأل فأطعموه ثم عمل الثلث الثالث فلما تم انضاجه اتى اسير من المشركين فسأل فأطعموه

وطووا يومهم ذلك ذكره الواحدي في تفسيره وذكر علي بن ابراهيم ان اباه حدثه عن عبد الله بن ميمون عن ابي عبد الله (ع) قال كان عند فاطمة شعير فجعلوه عصيدة فلما انضجوها ووضعوها بين ايديهم جاء مسكين فقال المسكين رحمكم الله فقام علي فأعطاه ثلثها فلم يلبث ان جاء يتيم فقال اليتيم رحمكم الله فقام علي (ع) فأعطاه الثلث ثم جاء اسير فقال الأسير رحمكم الله فأعطاه علي (ع) الثلث الباقي وما ذاقوها فأنزل الله سبحانه الآيات فيهم وهي جارية في كل مؤمن فعل ذلك لله عز وجل وفي هذا دلالة على ان السورة مدنية وقال ابو حمزة الثمالي في تفسيره حدثني الحسن بن الحسن ابو عبد الله بن الحسن انها مدنية نزلت في علي وفاطمة السورة كلها حدثنا السيد ابو الحمد مهدي بن نزار الحسيني القايني قال اخبرنا الحاكم ابو القسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا ابو نصر المفسر قال حدثني عمي ابو حامد املاء قال حدثني الفراري ابو يوسف يعقوب بن محمد المقري قال حدثنا محمد بن يزيد السلمي قال حدثنا زيد بن موسى قال حدثنا عمرو بن هارون عن عثمان بن عطاء عن ابيه عن ابن عباس قال اول ما انزل بمكة اقرأ باسم ربك ثم نٓ والقلم ثم المزمل ثم المدثر ثم تبت ثم اذا الشمس كورت ثم سبح اسم ربك الأعلى ثم والليل اذا يغشى ثم والفجر ثم والضحى ثم ألم نشرح ثم والعصر ثم والعاديات ثم انا اعطيناك الكوثر ثم الهيكم التكاثر ثم أرأيت ثم الكافرون ثم ألم تر كيف ثم قل اعوذ برب الفلق ثم قل اعوذ برب الناس ثم قل هو الله احد ثم والنجم ثم عبس ثم انا انزلناه ثم والشمس ثم البروج ثم والتين ثم لايلاف ثم القارعة ثم القيامة ثم الهمزة ثم والمرسلات ثم قٓ ثم لا اقسم بهذا البلد ثم الطارق ثم اقتربت ثم صٓ ثم الاعراف ثم قل اوحي ثم يٓس ثم الفرقان ثم الملائكة ثم كهيعص ثم طه ثم الواقعة ثم الشعراء ثم النمل ثم القصص ثم بني اسرائيل ثم يونس ثم هود ثم يوسف ثم الحجر ثم الانعام ثم الصافات ثم لقمان ثم القمر ثم سبا ثم الزمر ثم حٓم المؤمن ثم حٓم السجدة ثم حمٓعسٓق ثم الزخرف ثم الدخان ثم الجاثية ثم الأحقاف ثم الذاريات ثم الغاشية ثم الكهف ثم النحل ثم نوح ثم ابرهيم ثم الأنبياء ثم المؤمنون ثم الم تنزيل ثم الطور ثم الملك ثم الحاقة ثم ذو المعارج ثم عم يتساءلون ثم النازعات ثم انفطرت ثم انشقت ثم الروم ثم العنكبوت ثم المطففين فهذه انزلت بمكة وهي خمس وثمانون سورة ثم انزلت بالمدينة البقرة ثم الأنفال ثم آل عمران ثم الأحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم اذا زلزلت ثم الحديد ثم سورة محمد ثم الرعد ثم سورة الرحمن ثم هل اتى ثم الطلاق ثم لم يكن ثم الحشر ثم إذا جاء نصر الله ثم النور ثم الحج ثم المنافقون ثم المجادلة ثم الحجرات ثم التحريم ثم الجمعة ثم التغابن ثم سورة الصف ثم سورة الفتح ثم سورة المائدة ثم سورة التوبة فهذه ثمان وعشرون سورة وقد رواه الاستاذ احمد الزاهد باسناده عن عثمان بن عطاء عن ابيه عن ابن عباس في كتاب الايضاح وزاد فيه وكانت إذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها ما يشاء بالمدينة وباسناده عن عكرمة والحسن بن ابي الحسن البصري ان اول ما انزل الله من القرآن بمكة على الترتيب اقرأ باسم ربك ون والمزمل الى قوله وما نزل بالمدينة ويل للمطففين والبقرة والأنفال وآل عمران والأحزاب والمائدة والممتحنة والنساء وإذا زلزلت والحديد وسورة محمد ﷺ والرعد والرحمن وهل اتى على الانسان إلى آخره وباسناده عن سعيد بن المسيب عن علي بن ابي طالب (ع) انه قال سألت النبي عن ثواب القرآن فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء فاول ما نزل عليه بمكة فاتحة الكتاب ثم اقرأ باسم ربك ثم نٓ إلى ان قال واول ما نزل بالمدينة سورة البقرة ثم الانفال ثم آل عمران ثم الأحزاب ثم الممتحنة ثم النساء ثم إذا زلزلت ثم الحديد ثم سورة محمد ثم الرعد ثم سورة الرحمن

ثم هل اتى إلى قوله فهذا ما انزل بالمدينة ثم قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم جميع سور القرآن مائة واربع عشرة سورة وجميع آيات القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية وست وثلاثون آية وجميع حروف القرآن ثلاثمائة الف حرف واحد وعشرون الف حرف ومائتان وخمسون حرفا لايرغب في تعلم القران إلا السعداء ولا يتعهد قراءته إلا أولياء الرحمن

أقول قد اتسع نطاق الكلام في هذا الباب حتى كاد يخرج عن اسلوب الكتاب وربما نسبنا به إلى الإطناب ولكن الغرض فيه ان بعض اهل العصبية قد طعن في هذه القصة بأن قال هذه السورة مكية فكيف يتعلق بها ما كان بالمدينة واستدل بذلك على انها مخترعة جرأة على الله سبحانه وعداوة لأهل بيت رسوله فأحببت ايضاح الحق في ذلك وايراد البرهان في معناه وكشف القناع عن عناد هذا المعاند في دعواه على انه كما ترى يحتوي على السر المخزون والدر المكنون من هذا العلم الذي يستضاء بنوره ويتلألأ بزهوره وهو معرفة ترتيب السور في التنزيل وحصر عددها على الجملة والتفصيل اللهم امددنا بتأييدك وايدنا بتوفيقك فأنت الرجاء والأمل وعلى فضلك المعول والمتكل

المعنى

(هل أتى) معناه قد أتى (على الانسان) اي ألم يأت على الانسان (حين من الدهر) وقد كان شيئا إلا انه (لم يكن شيئا مذكورا) لأنه كان ترابا وطينا الى ان نفخ فيه الروح عن الزجاج وعلى هذا فهل هنا استفهام يراد به التقرير قال الجبائي وهو تقرير على الطف الوجوه وتقديره ايها المنكر للصانع وقدرته أليس قد اتى عليك دهور لم تكن شيئا مذكوراً ثم ذكرت و كل احد يعلم من نفسه انه لم يكن موجودا ثم وجد فاذا تفكر في ذلك علم ان له صانعا صنعه ومحدثا احدثه والمراد بالانسان هنا آدم (ع) وهو اول من سمي به عن الحسن وقتادة وسفيان والجبائي وقيل إن المراد به كل انسان والألف واللام للجنس عن ابي مسلم وقيل انه اتى على آدم (ع) اربعون سنة لم يكن شيئا مذكورا لا في السماء ولا في الأرض بل كان جسدا ملقى من طين قبل ان ينفخ فيه الروح وروى عطاء عن ابن عباس انه تم خلقه بعد عشرين ومائة سنة وروى العياشي باسناده عن عبد الله ابن بكير عن زرارة قال سألت ابا جعفر (ع) عن قوله لم يكن شيئا مذكورا قال كان شيئا ولم يكن مذكورا وباسناده عن سعيد الحداد عن ابي جعفر (ع) قال كان مذكورا في العلم ولم يكن مذكورا في الخلق وعن عبد الأعلى مولى آل سام عن ابي عبد الله (ع) مثله وعن حمران بن اعين قال سألت عنه فقال كان شيئا مقدورا ولم يكن مكونا وفي هذا دلالة على ان المعدوم معلوم وإن لم يكن مذكورا وان المعدوم يسمى شيئا فإذا حملت الإنسان على الجنس فالمراد انه قبل الولادة لا يعرف ولا يذكر ولا يدرى من هو وما يراد به بل يكون معدوما ثم يوجد في صلب أبيه ثم في رحم امه الى وقت الولادة وقيل المراد به العلماء لأنهم كانوا لا يذكرون فصيرهم الله سبحانه بالعلم مذكورين بين الخاص والعام في حياتهم وبعد مماتهم وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقرأ هذه الآية فقال ليت ذلك ثم يعني ليت آدم بقي على ما كان فكان لا يلد ولا يبتلي اولاده ثم قال سبحانه (انا خلقنا الانسان) يعني ولد آدم (ع) (من نطفة) وهي ماء الرجل والمرأة الذي يخلق منه الولد (امشاج) اي اخلاط من ماء الرجل وماء المرأة في الرحم فأيهما علا ماء صاحبه كان الشبه له عن ابن عباس والحسن وعكرمة ومجاهد وقيل امشاج اطوار طورا نطفة وطورا علقة وطورا مضغة وطورا عظاما الى أن صار انسانا عن قتادة وقيل اراد اختلاف الوان النطفة فنطفة الرجل بيضاء وحمراء ونطفة المرأة خضراء وصفراء فهي مختلفة الألوان عن مجاهد والضحاك والكلبي وروي ايضا عن ابن عباس وقيل نطفة مشجت بدم الحيض فإذا حبلت ارتفع الحيض عن الحسن وقيل هي العروق التي تكون في النطفة عن ابن مسعود وقيل امشاج اخلاط من الطبائع التي تكون في الانسان من الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة جعلها الله في النطفة ثم بناه الله البنية الحيوانية المعدلة

الاخلاط ثم جعل فيه الحياة ثم شق له السمع والبصر فتبارك الله رب العالمين وذلك قوله فجعلناه سميعا بصيرا وقوله (نبتليه) اي نختبره بما نكلفه من الافعال الشاقة ليظهر اما طاعته واما عصيانه فنجازيه بحسب ذلك قال الفراء تقديره (فجعلناه سميعا بصيرا) لنبتليه اي لنتعبده ونأمره وننهاه والمراد فأعطيناه آلة السمع والبصر ليتمكن من السمع والبصر ومعرفة ما كلف (انا هديناه السبيل) اي بينا له الطريق ونصبنا له الادلة وازحنا له العلة حتى يتمكن من معرفة الحق والباطل وقيل هو طريق الخير والشر عن قتادة وقيل السبيل هو طريق معرفة الدين الذي به يتوصل الى ثواب الابد ويلزم كل مكلف سلوكه وهو ادلة العقل والشرع التي يعم جميع المكلفين (اما شاكرا واما كفورا) قال الفراء معناه ان شكر وان كفر على الجزاء وقال الزجاج معناه ليختار اما السعادة واما الشقاوة والمراد اما ان يختار بحسن اختياره الشكر لله تعالى والاعتراف بنعمه فيصيب الحظ واما ان يكفر نعم الله ويجحد احسانه فيكون ضالا عن الصواب فايهما اختار جوزي عليه بحسبه وهذا كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وفي هذه الآية دلالة على ان الله قد هدى جميع خلقه لأن اللفظ عام ثم بين سبحانه ما اعده للكافرين فقال (انا اعتدنا للكافرين) اي هيأنا وادخرنا لهم جزاء على كفرانهم وعصيانهم (سلاسل) يعني في جهنم كما قال في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا (واغلالا وسعيرا) نار موقدة نعذبهم بها ونعاقبهم فيها ثم ذكر ما اعده للشاكرين المطيعين فقال (إن الأبرار) وهو جمع البر المطيع لله المحسن في افعاله وقال الحسن هم الذين لا يؤذون الذر ولا يرضون الشر وقيل هم الذين يقضون الحقوق اللازمة والنافلة وقد اجمع اهل البيت (ع) وموافقوهم وكثير من مخالفيهم ان المراد بذلك علي وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام والآية مع ما بعدها متعينة فيهم وايضا فقد انعقد الاجماع على انهم كانوا ابرارا وفي غيرهم خلاف (يشربون من كأس) اناء فيه شراب (كان مزاجها) اي ما يمازجها (كافورا) وهو اسم عين ماء في الجنة عن عطاء والكلبي واختاره الفراء قال ويدل عليه قوله عينا وهي كالمفسرة للكافور وقيل يعني الكافور الذي له رائحة طيبة والمعنى يمازجه ريح الكافور وليس ككافور الدنيا عن مجاهد ومقاتل قال قتادة يمزج بالكافور ويختم بالمسك وقيل معناه طيب بالكافور والمسك والزنجبيل عن ابن كيسان (عينا يشرب بها عباد الله) اي اولياؤه عن ابن عباس اي هذا الشراب من عين يشرب بها اولياء الله وخصهم بأنهم عباد الله تشريفا وتبجيلا قال الفراء شربها وشرب بها سواء في المعنى كما يقولون تكلمت بكلام حسن وكلاما حسنا قال عنترة

شربت بماء الدحرضين فاصبحت   عسرا على طلابها ابنة مخزم

وانشد الفراء

شربن بماء البحر ثم ترفعت   متى لجج خضر لهن نئيج

اي صوت (يفجرونها تفجيرا) اي يقودون تلك العين حيث شاؤوا من منازلهم وقصورهم عن مجاهد والتفجير تشقيق الارض بجري الماء قال وانهار الجنة تجري بغير اخدود فإذا اراد المؤمن أن يجري نهرا خط خطا فينبع الماء من ذلك الموضع ويجري بغير تعب ثم وصف سبحانه هؤلاء الابرار فقال (يوفون بالنذر) اي كانوا في الدنيا بهذه الصفة والإيفاء بالنذر هو أن يفعل ما نذر عليه فإذا نذر طاعة تممها ووفى بها عن مجاهد وعكرمة وقيل يتمون ما فرض الله عليهم من الواجبات عن قتادة (ويخافون يوما كان شره مستطيرا) اي فاشيا منتشرا ذاهبا في الجهات بالغ اقصى المبالغ وسمي العذاب شرا لانه لا خير فيه للمعاقبين وان كان في نفسه حسنا لكونه مستحقا وقيل المراد بالشر هنا اهوال يوم القيامة وشدائده (ويطعمون الطعام على حبه) اي على حب الطعام والمعنى يطعمون الطعام اشد ما تكون حاجتهم اليه وصفهم الله سبحانه بالاثرة على انفسهم وفي الحديث عن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ما من مسلم اطعم مسلما على جوع إلا اطعمه الله من ثمار الجنة وما من

مسلم كسا اخاه على عري إلا كساه الله من خضر الجنة ومن سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق قال ابن عباس يطعمون الطعام على شهوتهم له ومحبتهم اياه وقيل الهاء كناية عن الله تعالى اي يطعمون الطعام على حب الله (مسكينا) وهو الفقير الذي لا شيء له (ويتيما) وهو الذي لا والد له من الاطفال (وأسيراً) وهو المأخوذ من اهل دار الحرب عن قتادة وقيل هو المحبوس من اهل القبلة عن مجاهد وسعيد بن جبير وقيل الاسير المرأة (انما نطعمكم لوجه الله) أي لطلب رضا الله خالصا لله مخلصا من الرياء وطلب الجزاء وهو قوله (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) وهو مصدر مثل القعود والجلوس وقيل انهم لم يتكلموا بذلك ولكن علم الله سبحانه ما في قلوبهم فأثنى به عليهم ليرغب في ذلك الراغب عن سعيد بن جبير ومجاهد والمراد لا نطلب بهذا الطعام مكافأة عاجلة ولا نريد ان تشكرونا عليه عند الخلق بل فعلناه لله (إنا نخاف من ربنا يوما) أي عذاب يوم (عبوسا) أي مكفهرا تعبس فيه الوجوه ووصف اليوم بالعبوس توسعا لما فيه من الشدة وهذا كما يقال يوم صائم وليل قائم قال ابن عباس يعبس فيه الكافر حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران (قمطريرا) أي صعبا شديدا عن ابي عبيدة والمبرد وقال الحسن سبحان الله ما أشد اسمه وهو من اسمه اشد وقيل القمطرير الذي يقلص الوجوه ويقبض الجباه وما بين الأعين من شدته عن قتادة

قوله تعالى (١١) فَوَقَيهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّيهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً (١٢) وَجَزَيهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً (١٣) مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلَا زَمْهَرِيراً (١٤) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً (١٥) وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرا (١٦) قَوَارِيرَ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً (١٧) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلاً (١٨) عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً (١٩) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَّنثُوراً (٢٠) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكاً كَبِيراً (٢١) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَيهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً (٢٢) إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُوراً اثنتا عشرة آية

❊ القراءة ❊

قرأ الشعبي وعبيد بن عمير قدروها بضم القاف والقراءة المشهورة قدروها بفتح القاف وقرأ اهل المدينة وحمزة عاليهم ساكنة الياء والباقون عاليهم بفتح الياء وقرأ اهل البصرة وابو جعفر وابن عامر خضر بالرفع واستبرق بالجر وقرأ ابن كثير وابو بكر خضر بالجر واستبرق بالرفع وقرأ نافع وحسن بالرفع فيهما وقرأ حمزة والكسائي وخلف بالجر فيهما

❊ الحجة ❊

من قرأ قدروها بالفتح فالمعنى قدروها في انفسهم فجاءت كما قدروها ومن قرأ بالضم اراد ان ذلك قدر لهم اي قدره الله لهم كذلك قال ابو علي الضمير في قدروها للخزان او الملائكة اي قدروها على ربهم لا ينقص من ذلك ولا يزيد عليه ومن قرأ قدروها فهو على هذا المعنى يريد وكان اللفظ قدروا عليها فحذف الجار كما حذف من قوله

كأنه واضح الاقراب في لقح ... اسمى بهن وعزته الأناصيل

فلما حذف الحرف وصل الفعل فكذلك قوله قدروها إلا ان المعنى قدرت عليهم اي على ربهم فقلب كما قال

لا تحسبن دراهما سرقتها ... تمحو مخازيك التي بعمان

وعلى هذا يتأول قوله ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة ومثل هذا ما حكاه ابو زيد إذا طلعت الجوزاء اوفى العود في الحرباء قال ومن نصب عاليهم فإن النصب يحتمل امرين ﴿ احدهما ﴾ ان يكون حالا ﴿ والآخر ﴾ ان يكون ظرفا فأما الحال فيحتمل ان يكون العامل فيها احد شيئين ﴿ احدهما ﴾ لقاً ﴿ والآخر ﴾ جزاهم ومثله في كونه حالا متكئين فيها على الارائك فإن قلت لِمَ لا يكون متكئين صفة جنة وفيها ذكر لها قيل لا يجوز ذلك ألا ترى انه او كان كذلك للزمك ان تبرز الضمير الذي في اسم الفاعل من حيث كان صفة للجنة وليس الفعل لها فإذا لم يجز ذلك كان حالا وكذلك قوله ودانية عليهم ظلالها إلا انه يجوز في قوله ودانية عليهم ظلالها امران ﴿ احدهما ﴾ الحال ﴿ والآخر ﴾ ان ينتصب على انه مفعول به ويكون المعنى وجزاهم جنة وحريرا أي لبس حرير ودخول جنة ودانية عليهم ظلالها فيكون على هذا التقدير كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان فإن لم تحمله على هذا وقلت إنه يعرض فيه اقامة الصفة مقام الموصوف وإن ذلك ليس بالمطرح في كلامهم وإذا حملته على الحال يكون مثل ما عطفته عليه من قوله متكئين ودانية عليهم وكذلك يكون عاليهم ثياب سندس معطوفا على ما انتصب على الحال في السورة فيكون ثياب سندس مرتفعة باسم الفاعل والضمير عائد إلى ذي الحال من قوله عاليهم وفي الشواذ عاليتهم قراءة الاعمش ويكون بمنزلة قوله خاشعا ابصارهم وخاشعة ابصارهم ومن جعله ظرفا فإنه لما كان عالي بمعنى فوق اجري مجراه في هذا ومن قرأ عاليهم بسكون الياء جعله مبتدأ وثياب سندس خبره ويكون عاليهم المبتدأ في موضع الجماعة كما ان الخبر جماعة وقد جاء اسم الفاعل في موضع جماعة قال

إلا إن جيراني العشية رائح دعتهم دواع من هوى ومنادح

وفي التنزيل مستكبرين به سامراً تهجرون فقطع دابر القوم الذين ظلموا فكأنه أفرده من حيث جعل بمعنى المصدر من نحو قوله « ولا خارجاً من فيَّ زور كلام » وقد قالوا الجامل والباقر يراد بهما الكثرة واخذ عليه البصير النحوي الملقب بجامع العلوم هذا الكلام ونسبه فيه إلى سوء التأمل وقال عاليهم بسكون الياء صفة الولدان أي يطوف عليهم ولدان عاليهم ثياب سندس فيرتفع ثياب سندس باسم الفاعل الجاري صفة على الموصوف وأقول وبالله التوفيق اني لأرى ان نظر هذا الفاضل قد اختل كما ان بصره قد اعتل فرمى أبا علي بدائه وانسل ألم ينظر في خاتمة هذه الآية إلى قوله سبحانه وسقاهم ربهم شراباً طهوراً ثم قوله عقيب ذلك ان هذا كان لكم جزاء فيعرف ان الضمير في عاليهم هو بعينه في وسقاهم وهو ضمير المخاطبين في لكم وهذا الضمير لا يمكن أن يعود إلا إلى الابرار المثابين المجازين دون الولدان المخلدين الذين هم من جملة ثوابهم وجزائهم اللهم لك الحمد على تأييدك وتسديدك رجعنا إلى كلام ابي علي قال ويجوز على قياس قول ابي الحسن في قائم اخوتك واعمال اسم الفاعل عمل الفعل وإن لم يعتمد على شيء أن يكون ثياب سندس مرتفعة بعاليهم وافردت عالياً لأنه فعل متقدم قال ابو علي والأوجه قراءة من قال خضر بالرفع واستبرق بالجر لأن خضراً صفة مجموعة لموصوف مجموع وهو ثياب وأما استبرق فجر من حيث كان جنساً اضيفت اليه الثياب كما اضيفت إلى سندس كما يقال ثياب خز وكتان ويدل على ذلك قوله ويلبسون ثياباً خضرا من سندس واستبرق ومن قرأ خضر واستبرق فإنه اجرى الخضر وهو جمع على السندس لما كان المعنى ان الثياب من هذا الجنس وأجاز ابو الحسن وصف هذه الاجناس بالجمع فقال تقول أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض على استقباح له ومن رفع استبرق فإنما اراد عطف الاستبرق على الثياب كأنه ثياب سندس وثياب استبرق فحذف المضاف الذي هو ثياب واقام استبرق مقامه كما انك إذا قلت عليه خز بمعنى عليه ثوب خز وليس المعنى ان عليه الدابة التي هي الخز وعلى هذا قوله

كأن خزا تحته وقزا وفرشا محشوة أرزا

اللغة

الوقاية الحفظ والمنع من الأذى وقاه يقيه وقاية ووقاه توقية قال روبة «أن الموقي مثل ما وقيت» ومنه اتقاه وتوقاه وأصل الشر الظهور فهو ظهور الضرر ومنه شررت الثوب إذا ظهرته للشمس أو الريح قال «وحتى اشرت بالاكف المصاحف» واظهرت ومنه شرر النار لظهوره بتطايره والنضرة حسن الالوان ونبت ناضر ونضير ونضر والسرور اعتقاد وصول المنافع اليه في المستقبل وقال قوم هو لذة في القلب فحسب متعلقة بما فيه النفع و كل سرور فلا بد له من متعلق كالسرور بالمال والولد والسرور بالاكرام والاجلال والسرور بالحمد والشكر والسرور بالثواب والأرائك الحجال فيها الاسرة واحدتها أريكة قال الزجاج الاريكة كل ما يتكأ عليه من مسورة او غيرهـا والزمهرير أشد ما يكون من البرد والزنجبيل ضرب من القرفة طيب الطعم يحذو اللسان ويربى بالعسل ويستدفع به المضارّة وإذا مزج به الشراب فاق في الالذاذ والعرب تستطيب الزنجبيل جدا قال الشاعر

كأن القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشورا

والسلسبيل الشراب السهل اللذيذ يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل والولدان الغلمان جمع وليد والسندس الديباج الرقيق الفاخر الحسن والاستبرق الديباج الغليظ الذي له بريق

الاعراب

و إذا رأيت ثم قال الزجاج العامل في ثم معنى رأيت والمعنى وإذا رأيت ببصرك ثم قال الفراء المعنى و إذا رأيت ما ثم وغلطه الزجاج في ذلك وقال ان ما تكون مرصولة بقوله ثم على هذا التفسير ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة ولكن رأيت يتعدى في المعنى إلى ثم وأقول يجوز ان يكون مفعول رأيت محذوفاً ويكون ثم ظرفا والتقدير واذا رأيت ما ذكرناه ثم

المعنى

ثم أخبر سبحانه بما أعد للابرار الموصوفين في الآيات الاولى من الجزاء فقال (فوقيهم الله شر ذلك اليوم) أي كفاهم الله ومنع منهم اهوال يوم القيامة وشدائده (ولقيهم نضرة وسرورا) أي استقبلهم بذلك (وجزيهم) أي وكافأهم (بما صبروا) أي بصبرهم على طاعته واجتناب معاصيه وتحمل محن الدنيا وشدائدها (جنة) يسكنونها (وحريرا) من لباس الجنة يلبسونه ويفرشونه (متكئين) أي جالسين جلوس الملوك (فيها) أي في الجنة (على الارائك) أي الاسرة في الحجال عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل كلما يتكأ عليه فهو اريكة عن الزجاج وقيل الارائك الفرش فوق الاسرة عن ابي مسلم (لا يرون فيها) اي في تلك الجنة (شمسا) يتأذون بحرها (ولا زمهريرا) يتأذون ببرده (ودانية عليهم ظلالها) يعني ان افياء اشجار تلك الجنة قريبة منهم وقيل ان ظلال الجنة لا تنسخها الشمس كما تنسخ ظلال الدنيا (وذللت قطوفها تذليلا) أي وسخرت وسهل أخذ ثمارها تسخيرا ان قام ارتفعت بقدره وان قعد نزلت عليه حتى ينالها وان اضطجع تدلت حتى تنالها يده عن مجاهد وقيل معناه لا يرد ايديهم عنها بعد ولاشوك (ويطاف عليهم) أي على هؤلاء الابرار الموصوفين قيل (بآنية من فضة واكواب) جمع كوب وهو إناء للشرب من غير عروة وقيل الاكواب الاقداح عن مجاهد (كانت) تلك الاكواب (قواريرا) أي زجاجات (من فضة) قال الصادق (ع) ينفذ البصر في فضة الجنة كما ينفذ في الزجاج والمعنى أن اصلها من فضة فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير فيرى من خارجها ما في داخلها قال ابو علي إن سئل فقيل كيف تكون القوارير من فضة وإنما القوارير من الرمل دونها فالقول في ذلك أن الشيء إذا قاربه شيء واشتدت ملابسته له قيل انه من كذا وان لم يكن منه في الحقيقة كقول البعيث

ألا اصبحت خنساء خارمة الوصل وضنّت علينا والضنين من البخل

وصدت فأعدانا بهجر صدودها وهن من الاخلاف قبلك والمطل

وقال الا في سبيل الله تغيير لمتي ووجهك مما في القوارير اصفرا

فعلى هذا يجوز قوارير من فضة أي هي في صفاء الفضة ونقائها ويجوز تقدير حذف المضاف أي من صفاء الفضة وقوارير الثانية بدل من الاولى وليست بتكرار وقيل ان قوارير كل ارض من تربتها وأرض الجنة فضة فلذلك كانت قواريرها مثل الفضة عن ابن عباس (قدروها تقديرا) أي قدروا الكأس على قدر ريهم لا يزيد ولا ينقص من الري والضمير في قدروها للسقاة والخدم الذين يسقون فإنهم يقدرونها ثم يسقون وقيل قدروها على قدر ملء الكف أي كانت الاكواب على قدر ما اشتهوا لم تعظم ولم يثقل الكف عن حملها عن الربيع والقرظي وقيل قدروها في انفسهم قبل مجيئها على صفة فجاءت على ما قدروا والضمير في قدروا للشاربين (ويسقون فيها) أي في الجنة (كأسا كان مزاجها زنجبيلا) قال مقاتل لا يشبه زنجبيل الدنيا وقال ابن عباس كل ما ذكره الله في القرآن مما في الجنة وسماه ليس له مثل في الدنيا ولكن سماه الله بالاسم الذي يعرف والزنجبيل مما كانت العرب تستطيبه فلذلك ذكره في القرآن ووعدهم انهم يسقون في الجنة الكأس الممزوجة بزنجبيل الجنة (عينا فيها تسمى سلسبيلا) أي تمزج الخمر بالزنجبيل والزنجبيل من عين تسمى تلك العين سلسبيلا قال ابن الأعرابي لم اسمع السلسبيل إلا في القرآن وقال الزجاج هو صفة لما كان في غاية السلاسة يعني انها سلسلة تتسلسل في الحلق وقيل سمي سلسبيلا لأنها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن إلى اهل الجنان عن ابي العالية ومقاتل وقيل سميت بذلك لأنها ينقاد ماؤها لهم يصرفونها حيث شاؤوا عن قتادة (ويطوف عليهم ولدان مخلدون) مر تفسيره (إذا رأيتهم) يعني إذا رأيت اولئك الولدان (حسبتهم لؤلؤا منثورا) من الصفاء وحسن المنظر والكثرة فذكر لونهم وكثرتهم وقيل إنما شبههم بالمنثور لانتشارهم في الخدمة فلو كانوا صفا شبهوا بالمنظوم (واذا رأيت) ثم أي إذا رميت ببصرك ثم يعني الجنة وقيل ان تقديره واذا رأيت الاشياء (ثم رأيت نعيما) خطيرا (وملكا كبيرا) لا يزول ولا يفنى عن الصادق (ع) وقيل كبيرا اي واسعا يعني ان نعيم الجنة لا يوصف كثرة وانما يوصف بعضها وقيل الملك الكبير استئذان الملائكة عليهم وتحيتهم بالسلام وقيل هو انهم لا يريدون شيئا إلا قدروا عليه وقيل هو ان ادناهم منزلة ينظر في ملكه من مسيرة الف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل هو الملك الدائم الابدي في نفاذ الامر وحصول الاماني (عاليهم ثياب سندس) من جعله ظرفا فهو بمنزلة قولك فوقهم ثياب سندس ومن جعله حالا فهو بمنزلة قولك يعلوهم ثياب سندس وهو مارق من الثياب فيلبسونها وروي عن الصادق (ع) انه قال في معناه تعلوهم الثياب فيلبسونها (خضر واستبرق) وهو ما غلظ منها ولا يراد به الغلظ في السلك إنما يراد به الثخانة في النسج قال ابن عباس أما رأيت الرجل عليه ثياب والذي يعلوها افضلها (وحلوا اساور من فضة) الفضة الشفافة وهي التي يرى ما وراءها كما يرى من البلورة وهو افضل من الدر والياقوت وهما افضل من الذهب والفضة فتلك الفضة افضل من الذهب والفضة في الدنيا وهما أثمان الاشياء وقيل انهم يحلون بالذهب تارة وبالفضة أخرى ليجمعوا محاسن الحلية كما قال الله تعالى يحلون فيها من أساور من ذهب والفضة وان كانت دنية الثمن في الدنيا فهي في غاية الحسن خاصة إذا كانت بالصفة التي ذكرناها والغرض في الآخرة ما يكثر الاستلذاذ والسرور به لا ما يكثر ثمنه لأنه ليست هناك اثمان (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) أي طاهرا من الاقذار والاقذاء لم تدنسها الايدي ولم تدسها الارجل كخمر الدنيا وقيل طهورا لا يصير بولا نجسا ولكن يصير رشحا في ابدانهم كريح المسك وان الرجل من اهل الجنة يقسم له شهوة مائة رجل من اهل الدنيا واكلهم ونهمتهم فاذا اكل ما شاء سقي شرابا طهورا فيطهر بطنه ويصير ما اكل رشحا يخرج من جلده اطيب ريحا من المسك الاذفر ويضمر بطنه وتعود شهوته عن ابرهيم التيمي وابي قلابة وقيل يطهرهم عن كل

شيء سوى الله إذ لا طاهر من تدنس بشيء من الاكوان الا الله رووه عن جعفر بن محمد (ع) (ان هذا) يعني ما وصف من النعيم وانواع الملاذ (كان لكم جزاء) أي مكافأة على اعمالكم الحسنة وطاعتكم المبرورة (وكان سعيكم) في مرضاة الله وقيامكم بما امركم الله به (مشكورا) اي مقبولا مرضيا جوزيتم عليه فكأنه شكر لكم فعالكم

قوله تعالى (٢٣) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلاً (٢٤) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً (٢٥) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٢٦) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٧) إِنَّ هٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً (٢٨) نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً (٢٩) إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً (٣٠) وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (٣١) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً تسع آيات

القراءة

قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وما يشاؤون بالياء والباقون بالتاء. وفي الشواذ قراءة عبد الله بن الزبير وابان بن عثمان والظالمون بالواو

الحجة

وجه الياء قوله تعالى فمن شاء اتخذ ووجه التاء انه خطاب للكافة وما اي تشاؤون الطاعة والاستقامة إلا ان يشاء الله او يكون محمولا على الخطاب واما قوله والظالمون فإنه على ارتجال جملة مستأنفة قال ابن جني كأنه قال الظالمون اعد لهم عذابا اليما ثم انه عطف الجملة على ما قبلها وقد سبق الرفع إلى مبتدئها غير ان قراءة الجماعة النصب وهو النصب لأن معناه ويعذب الظالمين فلما اضمر هذا الفعل فسره بقوله اعد لهم عذابا اليما وهذا اكثر من ان يؤتى له بشاهد قال الزجاج يقول النحويون اعطيت زيدا وعمرا اعددت له برا فيختارون النصب على معنى وبررت عمرا اعددت له برا وانشد غيره

اصبحت لا احمل السلاح ولا ... املك رأس البعير إن نفرا
والذئب اخشاه إن مررت به ... وحدي واخشى الرياح والمطرا

اللغة

الاسر اصله الشد ومنه قتب مأسور اي مشدود ومنه الأسير لأنهم كانوا يشدونه بالقدو قولهم خذ بأسره اي بشده قبل ان يحل ثم كثر حتى صار بمعنى خذ جميعه قال الاخطل

من كل مجتنب شديد اسره ... سلس القياد تخاله مختالا

الإعراب

قال الزجاج في قوله ولا تطع منهم آثما او كفورا او هنا اوكد من الواو لأنك إذا قلت لا تطع زيدا وعمرا فأطاع احدهما كان غير عاص لأنك أمرته ان لا يطيع الاثنين واذا قلت لا تطع منهم آثما او كفورا فأو قد دلت على ان كل واحد منهما اهل ان يعصى وانهما اهل ان يعصيا كما انك إذا قلت جالس الحسن اوابن سيرين فقد قلت كل واحد منهما اهل ان يجالس قال البصير النحوي او هذه التي للتخيير إذا قلت اضرب زيدا او عمرا

فمعناه اضرب احدهما فإذا قلت لا تضرب زيدا او عمراً فمعناه لا تضرب احدهما فيحرم عليه ضربهما لأن احدهما في النفي يتعمم وابن كيسان يحمل النهي على الامر فيقول إذا قال لا تضرب احدهما لم يحرم عليه ضربهما وانما حرم في الآية طاعتهما لأن احدهما بمنزلة الآخر في امتناع الطاعة له ألا ترى ان الآثم مثل الكفور في هذا المعنى قال سيبويه واو قال لا تطع آثما ولا تطع كفورا لانقلب المعنى إذ ذاك لأنه حينئذ لا تحرم طاعتهما كليهما

﴿ المعنى ﴾

ثم اخبر سبحانه عن نفسه فقال (انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا) فيه شرف وتعظيم لك وقيل معناه فصلناه في الانزال آية بعد آية ولم ننزله جملة واحدة عن ابن عباس (فاصبر) يا محمد على ما امرتك به من تحمل اعباء الرسالة (لحكم ربك) أن تبلغ الكتاب وتعمل به وقيل انه امر لنبينا ﷺ بالصبر وان كذب فيما أتى به ووعيد لمن كذبه (ولا تطع منهم) أي من مشركي مكة (آثما) يعني عتبة بن ربيعة (أو كفوراً) يعني الوليد بن المغيرة فإنهما قالا له ارجع عن هذا الامر ونحن نرضيك بالمال والتزويج عن مقاتل وقيل الكفور ابو جهل نهى النبي ﷺ عن الصلاة وقال لئن رأيت محمدا يصلي لأطأنّ عنقه فنزلت الآية عن قتادة وقيل ان ذلك عام في كل عاص فاسق وكافر منهم اي من الناس اي لا تطع من يدعوك إلى إثم او كفر وهذا اولى لزيادة الفائدة وعدم التكرير (واذكر اسم ربك بكرة واصيلا) اي اقبل على شانك من ذكر الله والدعاء اليه وتبليغ الرسالة صباحا ومساء اي دائما فإن الله ناصرك ومؤيدك ومعينك والبكرة اول النهار والاصيل العشي وهو اصل الليل (ومن الليل فاسجد له) دخلت من للتبعيض والمعنى فاسجد له في بعض الليل لأنه لم يأمره بقيام الليل كله وقيل فاسجد له يعني صلاة المغرب والعشاء (وسبحه ليلا طويلا) أي في ليل طويل يريد التطوع بعد المكتوبة وروي عن الرضا (ع) انه سأله احمد بن محمد عن هذه الآيه وقال ما ذلك التسبيح قال صلاة الليل (ان هؤلاء يحبون العاجلة) أي يؤثرون اللذات والمنافع العاجلة في دار الدنيا (ويذرون وراءهم)أي ويتركون أمامهم (يوما ثقيلا) أي عسيراً شديدا والمعنى انهم لا يؤمنون به ولا يعملون له وقيل معنى وراءهم خلف ظهورهم وكلاهما محتمل ثم قال سبحانه (نحن خلقناهم وشددنا اسرهم) أي قوينا واحكمنا خلقهم عن قتادة ومجاهد وقيل اسرهم اي مفاصلهم عن الربيع وقيل اوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب عن الحسن ولولا احكامه اياها على هذا الترتيب لما امكن العمل بها والانتفاع منها وقيل شددنا اسرهم جعلناهم اقوياء عن الجبائي وقيل معناه كلفناهم وشددناهم بالأمر والنهي كيلا يجاوزوا حدود الله كما يشد الأسير بالقد لئلا يهرب (واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا) أي اهلكناهم واتينا بأشباههم فجعلناهم بدلا منهم ولكن نبقيهم اتماما للحجة (ان هذه) السورة (تذكرة) أي تذكير وعظة يتذكر بها امر الآخرة عن قتادة وقيل ان هذه الرسالة التي تبلغها (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أي فمن اراد اتخذ الى رضاء ربه طريقا بأن يعمل بطاعته وينتهي عن معصيته وفي هذا دلالة على ان الاستطاعة قبل الفعل (وماتشاؤون إلا ان يشاء الله) أي وما تشاؤون اتخاذا لطريق الى مرضاة الله اختياراً الا أن يشاء الله اجباركم عليه والجاءكم اليه فحينئذ تشاؤون ولا ينفعكم ذلك والتكليف زائل ولم يشأ الله هذه المشيئة بل شاء ان تختاروا الإيمان لتستحقوا الثواب عن ابي مسلم وقيل معناه وما تشاؤون شيئا من العمل بطاعته الا والله يشاؤه ويريده وليس المراد بالآية انه سبحانه يشاء كل ما يشاء العبد من المعاصي والمباحات وغيرها لأن الدلائل الواضحة قد دلت على انه سبحانه لا يجوز ان يريد القبائح ويتعالى

عن ذلك وقد قال سبحانه ولا يريد بكم العسر وما الله يريد ظلما للعباد (ان الله كان عليما حكيما) مر معناه (يدخل من يشاء في رحمته) أي جنته يعني المؤمنين (والظالمين) يعني ويجزي الكافرين والمشركين (اعدلهم عذابا اليما)

سورة المرسلات مكية

وهي خمسون آية بلا خلاف

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأ سورة والمرسلات كتب انه ليس من المشركين وروي عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأها عرف الله بينه وبين محمد صلى الله عليه وآله وسلم

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم سبحانه سورة هل اتى بذكر القيامة وما اعد فيها للظالمين افتتح هذه السورة بمثل ذلك فقال

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ (١) وَٱلْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (٢) فَٱلْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٣) وَٱلنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٤) فَٱلْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٥) فَٱلْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٦) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٧) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٨) فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ (٩) وَإِذَا ٱلسَّمَاءُ فُرِجَتْ (١٠) وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ (١١) وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١٢) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٣) لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ (١٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ (١٥) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ خمس عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الحجاز والشام وابو بكر ويعقوب وسهل عذرا ساكنة الذال أو نذرا بضمها وروى محمد بن الحبيب عن الاعشى والبرجمي عن ابي بكر بضم الذال فيهما ومحمد بن خالد عن الاعشى عذرا بسكون الذال او نذرا بضمها مثل رواية حماد ويحيى عن ابي بكر وقرأ الباقون بسكون الذال فيهما وقرأ ابو جعفر وقتت بالواو والتخفيف وقرأ اهل البصرة غير رويس بالواو والتشديد وقرأ الباقون اقتت بالالف وتشديد القاف

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي النذر بالتثقيل والنذير مثل النكر والنكير وهما جميعا مصدران ويجوز في النذير ضربان ﴿ احدهما ﴾ أن يكون مصدرا كالنكير وعذير الحي ﴿ والآخر ﴾ أن يكون فعيلا يراد به المنذر كما أن الأليم بمعنى المولم ويجوز تخفيف النذر على حد التخفيف في العنق والعنق والاذن والاذن قال ابو الحسن عذرا او نذرا اي اعذارا او انذارا وقد خففتا جميعا وهما لغتان فاما انتصاب عذرا فعلى ثلاثة اضرب ﴿ احدها ﴾ ان يكون بدلا من الذكر في قوله فالملقيات ذكرا ﴿ والآخر ﴾ أن يكون مفعول ذكرا اي فالملقيات أن يذكر عذرا او نذرا ﴿ والثالث ﴾ أن يكون منصوبا على انه مفعول له ويجوز في قول من ضم عذرا أو نذرا أن يكون عذرا جمع عاذر اوعذور والنذر جمع نذير قال حاتم

أماوي قد طال التجنب والهجر وقد عذرتني في طلابكم العذر

فيكون عذرا او نذرا على هذا حالا من الإلقاء كأنهم يلقون الذكر في حال العذر والانذار ومن قرأ وقتت بالواو فلأن الكلمة اصلها من الوقت ومن ابدل منها الهمزة فلانضمام الواو والواو إذا انضمت أولا في نحو وجوه ووعد وثالثة في نحو ادور فإنها تبدل على الاطراد همزة لكراهتهم الضمة على الواو

﴿ المعنى ﴾

(والمرسلات عرفا) يعني الرياح ارسلت متتابعة كعرف الفرس عن ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وقتادة وابي صالح فعلى هذا يكون عرفا نصبا على الحال من قولهم جاءوا اليه عرفا واحدا اي متتابعين وقيل إنها الملائكة ارسلت بالمعروف من امر الله ونهيه وفي رواية اخرى عن ابن مسعود وعن ابي حمزة الثمالي عن اصحاب علي عنه (ع) وعلى هذا يكون مفعولا له وقيل المراد بها الانبياء جاءت بالمعروف والارسال نقيض الامساك (فالعاصفات عصفا) يعني الرياح الشديدات الهبوب والعصوف مرور الريح بشدة (والناشرات نشرا) وهي الرياح التي تأتي بالمطر تنشر السحاب نشرا للغيث كما تلقحه للمطر وقيل انها الملائكة تنشر الكتب عن الله تعالى عن ابي حمزة الثمالي وابي صالح وقيل انها الامطار تنشر النبات عن ابي صالح في رواية اخرى وقيل الرياح ينشرها الله تعالى نشرا بين يدي رحمته عن الحسن وقيل الرياح تنشر السحاب في الهواء عن الجبائي (فالفارقات فرقا) يعني الملائكة تأتي بما يفرق به بين الحق والباطل والحلال والحرام عن ابن عباس وابي صالح وقيل هي آيات القرآن تفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال عن الحسن وأبي حمزة وقتادة وقيل انها الرياح التي تفرق بين السحاب فتبدده عن مجاهد (فالملقيات ذكرا) يعني الملائكة تلقي الذكر إلى الانبياء وتلقيه الانبياء إلى الامم عن ابن عباس وقتادة كأنها الحاملات للذكر الطارحات له ليأخذه من خوطب به والالقاء طرح الشيء على غيره (عذرا او نذرا) اي للاعذار والانذار ومعناه اعذارا من الله وانذارا إلى خلقه وقيل عذرا يعتذر الله به إلى عباده في العقاب انه لم يكن إلا على وجه الحكمة ونذرا اي اعلاما بموضوع المخافة عن الحسن وهذه اقسام ذكرها الله تعالى وقيل اقسم الله سبحانه برب هذه الاشياء عن الجبائي قال لا يجوز القسم إلا بالله سبحانه وقال غيره بل اقسم بهذه الاشياء تنبيها على عظم موقعها (إنما توعدون لواقع) هذا جواب القسم والمعنى أن الذي وعدكم الله به من البعث والنشور والثواب والعقاب لكائن لا محالة وقيل إن الفرق بين الواقع والكائن أن الواقع لا يكون إلا حادثا تشبيها بالحائط الواقع لأنه من ابين الاشياء في الحدوث والكائن اعم منه لأنه بمنزلة الموجود الثابت يكون حادثا وغير حادث ثم بين سبحانه وقت وقوعه فقال (فإذا النجوم طمست) أي محيت آثارها واذهب نورها وازيل ضوؤها (وإذا السماء فرجت) اي شقت وصدعت فصار فيها فروج (وإذا الجبال نسفت) أي قلعت من مكانها كقوله سبحانه ينسفها ربي نسفا وقيل نسفت اذهبت بسرعة حتى لا يبقى لها اثر في الأرض (وإذا الرسل اقتت) اي جمعت لوقتها وهو يوم القيامة لتشهد على الامم وهو قوله (لأي يوم اجلت) اي اخرت وضرب لهم الاجل لجمعهم تعجب العباد من ذلك اليوم عن ابراهيم ومجاهد وابن زيد وقيل اقتت معناه عرفت وقت الحساب والجزاء لأنهم في الدنيا لا يعرفون متى تكون الساعة وقيل عرفت ثوابها في ذلك اليوم وقال الصادق عليه السلام اقتت اي بعثت في اوقات مختلفة ثم بين سبحانه ذلك اليوم فقال (ليوم الفصل) اي يوم يفصل الرحمن بين الخلائق ثم عظم ذلك اليوم فقال (وما ادريك ما يوم الفصل) ثم اخبر سبحانه حال من كذب به فقال (ويل يومئذ للمكذبين) هذا تهديد ووعيد إنما خص الوعيد بمن جحدوا يوم القيامة وكذب به لأن التكذيب بذلك يتبعه خصال المعاصي كلها وان لم يذكر معه والعامل في الظرف محذوف يدل عليه قوله إنما توعدون لواقع والتقدير فإذا طمست النجوم وفرجت السماء ونسفت الجبال واقتت الرسل وقعت القيامة

قوله تعالى (١٦) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٧) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٨) كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٠) أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢١) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢٢) إِلَىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٣) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٦) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٧) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ثلاث عشرة آية

القراءة

قرأ اهل المدينة والكسائي فقدرنا بالتشديد والباقون فقدرنا بالتخفيف وفي الشواذ قراءة الاعرج نتبعهم بالجزم

الحجة

قد تقدم أن قدر وقدر بمعنى والتخفيف اليق بقوله فنعم القادرون ومن شدد أراد أن يجيء باللغتين كما يقال جاد مجد وكقوله سبحانه فمهل الكافرين امهلهم ومن جزم نتبعهم فإنه يحتمل امرين احدهما انه اسكن العين استثقالا لتوالي الحركات والثاني أن يكون عطفا على نهلك كما تقول ألم ازرك ثم احسن اليك فيكون معنى هذه القراءة انه يريد قوماً اهلكهم الله سبحانه بعد قوم قبلهم على اختلاف أوقات المرسلين اليهم نبيا بعد نبي واما الرفع على القراءة المشهورة فلاستئناف الكلام أو على أن يجعل خبر مبتدأ محذوف

اللغة

القرار المكان الذي يمكن طول المكث فيه والقدر المقدر المعلوم الذي لا زيادة فيه ولا نقصان والقدر المصدر من قولهم قدر يقدر قدر اوقدرا اي قدر فمن شدد جمع بين اللغتين كما قال الاعشى

وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

و كفت الشيء يكفته كفتا وكفاتا إذا ضمه ومنه الحديث اكفتوا صبيانكم اي ضموهم إلى أنفسكم ومثله ضموا مواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء ويقال للوعاء كفت وكفيت وقال ابو عبيدة كفاتا أي اوعية والرواسي الثوابت والشامخات العاليات ومنه شمخ بأنفه اذا رفعه كبرا وماء فرات وزلال وعذب ونمير كله من العذوبة والطيب ومنه سمي النهر العظيم المعروف بالفرات قال الشاعر

اذا غاب عنا غاب عنا فراتنا وان شهدا جدى نيله وفواضله

قال ابن عباس اصول الانهار العذبة أربعة جيحان ومنه دجلة وسيحان نهر بلخ وفرات الكوفة ونيل مصر

الاعراب

احياء منصوب بأنه مفعول قوله كفاتا معناه ان يكفت احياء وامواتا فعلى هذا يكون كفاتا مصدراً وان جعلته جمع كفت فيكون العامل في احياء معناه والتقدير واعية احياء او تعي احياء

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما فعله بالمكذبين الأولين فقال (ألم نهلك الأولين) يعني بالعذاب في الدنيا يريد قوم نوح وعاد وثمود حين كذبوا رسلهم (ثم نتبعهم الآخرين) قوم لوط وابراهيم لم يعطف نتبعهم على نهلك فيجزم بل استأنف وقال المبرد تقديره ثم نحن نتبعهم لايجوز غيره لأن قوله ألم نهلك ماض وقوله ثم نتبعهم مستقبل ويؤيده

قول الحسن ان الآخرين هم الذين تقوم عليهم القيامة (كذلك نفعل بالمجرمين) أي كما فعلنا بمن تقدم نفعل بالمكذبين من أهل مكة وقد فعل بهم ذلك فقتلوا يوم بدر وقد يكون الإهلاك بتصيير الشيء إلى حيث لايدرى أين هو إما بإعدامه أو بإخفاء مكانه وقد يكون بالأماتة وقد يكون بالنقل إلى حال الجمادية (ويل يومئذ) يعني يوم الجزاء (للمكذبين) فإنهم يجازون بأليم العقاب (ألم نخلقكم من ماء مهين) أي حقير قليل الغناء وفي خلق الإنسان على هذا الكمال من الحواس الصحيحة والعقل الشريف والتمييز والنطق من ماء ضعيف اعظم الاعتبار وأبين الحجة على أن له صانعاً مدبراً حكيماً والجاحد لذلك كالمكابر لبداية العقول (فجعلناه) أي فجعلنا ذلك الماء المهين (في قرار مكين) يعني الرحم (إلى قدر معلوم) أي إلى مقدار من الوقت معلوم يعني مدة الحمل (فقدرنا) أي قدرنا خلقه كيف يكون قصيراً أم طويلا ذكراً أم أنثى (فنعم القادرون) أي فنعم المقدرون نحن ويجوز أن يكون المعنى إذا خفف من القدرة أي قدرنا على جميع ذلك فنعم القادرون على تدبير ذلك وعلى ما لا يقدر عليه أحد إلا نحن فحذف المخصوص بالمدح (ويل يومئذ للمكذبين) بأنا قد خلقنا الخلق وأنا نعيدهم (ألم نجعل الأرض كفاتا) للعباد تكفتهم (أحياء) على ظهرها في دورهم ومنازلهم وتكفتهم (أمواتا) في بطنها أي تحوزهم وتضمهم عن قتادة ومجاهد والشعبي قال بنان خرجنا في جنازة مع الشعبي فنظر إلى الجنازة فقال هذه كفات الأموات ثم نظر إلى البيوت فقال هذه كفات الأحياء وروي ذلك عن امير المؤمنين(ع) وقيل كفاتا أي وعاء وهذا كفته أي وعاءه وقوله أحياء وأمواتاً أي منه ما ينبت ومنه ما لا ينبت فعلى هذا يكون احياء وأمواتاً نصباً على الحال وعلى القول الأول على المفعول به (وجعلنا فيها رواسي شامخات) أي جبالا ثابتة عالية (وأسقيناكم ماء فراتاً) أي وجعلنا لكم سقيا من الماء العذب عن ابن عباس (ويل يومئذ للمكذبين) بهذه النعم وانها من جهة الله وقيل بالأنبياء والقرآن وإنما كرر لأنه عدد النعم فذكره عند كل نعمة فلا بعد ذلك تكرارا وقد تقدم الوجه في التكرار في سورة الرحمن

قوله تعالى (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٣٠) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣١) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣٢) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٣) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٥) هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ (٣٦) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٨) هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٩) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٤٠) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ اثنتا عشرة آية

القراءة

قرأ رويس عن يعقوب انطلقوا الثانية بفتح اللام والباقون من القراء على كسر اللام فيهما وقرأ أهل الكوفة غير ابي بكر جمالة بغير الف ويعقوب جمالات صفر بالألف وضم الجيم وروي ذلك عن ابن عباس وسعيد ابن جبير وغيرهما وقرأ الباقون جمالات بالألف وكسر الجيم وفي الشواذ قراءة ابن عباس وسعيد بن جبير بخلاف كالقصر بفتح القاف والصاد

الحجة

من قرأ انطلقوا الثانية بالفتح فإنه حمل الأول على الأمر والثاني على الخبر وجمالات جمع جمال وجمع بالألف والتاء على تصحيح البناء كما جمع على تكسيره في قولهم جمائل قال ذو الرمة

وقربن بالزرق الجمائل بعدما تقوّب عن غربان أوراكها الخطر

وأما جمالة فإن التاء لحقت جمالا لتأنيث الجمع كما لحقت في فحل وفحالة وذكر وذكارة ومن قرأ جمالات بالضم فهي جمع جمالة وهو القلس من قلوس سفن البحر ويقال من قلوس الجسر قال الزجاج ويجوز أن يكون جمع جمل وجمال وجمالات كما قيل رخال جمع رخل ومن قرأ كالقصر بفتح الصاد فهو جمع قصرة أي كأنها اعناق الإبل وقيل القصر أصول الشجر واحدتها قصرة وكذا قرأها مجاهد قال وهي خرم الشجر قال الحسن قصرة وقصر مثل جمرة وجمر وهي أصول الشجر قال والعامة يجعلونها على القصور قال ابن جني وحدثنا ابو علي أن القصر هنا بمعنى القصور وقال هي بيوت من أدم كان يضربون بها إذا انزلوا على الماء

﴿ المعنى ﴾

ثم بين سبحانه ما يقال لهم جزاء على تكذيبهم فقال (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون) أي تقول لهم الخزنة إذهبوا وسيروا إلى النار التي كنتم تجحدونها وتكذبون بها ولا تعترفون بصحتها في الدنيا والانطلاق الانتقال من مكان إلى مكان من غير مكث ثم ذكر الموضع الذي أمرهم بالانطلاق اليه فقال (انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب) أي نار لها ثلاث شعب سماها ظلا لسواد نار جهنم وقيل هو دخان جهنم له ثلاث شعب تحيط بالكافر شعبة تكون فوقه وشعبة عن يمينه وشعبة عن شماله وسمي الدخان ظلا كما قال أحاط بهم سرادقها أي من الدخان الآخذ بالأنفاس عن مجاهد وقتادة وقيل يخرج من النار لسان فيحيط بالكافر كالسرادق فيتشعب ثلاث شعب فيكون فيها حتى يفرغ من الحساب ثم وصف سبحانه ذلك الظل فقال (لا ظليل) أي غير مانع من الأذى بستره عنه ومثله الكنين فالظليل من الظلة وهي السترة والكنين من الكن فظل هذا الدخان لا يغني الكفار شيئاً من حر النار وهو قوله (ولا يغني من اللهب) واللهب ما يعلو على النار إذا اضطرمت من احمر وأصفر وأخضر يعني أنهم إذا استظلوا بذلك الظل لم يدفع عنهم حر اللهب ثم وصف سبحانه النار فقال (إنها ترمي بشرر) وهو ما يتطاير من النار في الجهات (كالقصر) أي مثله في عظمه وتخويفه تتطاير على الكافرين من كل جهة نعوذ بالله منه وهو واحد القصور من البنيان عن ابن عباس ومجاهد والعرب تشبه الإبل بالقصور قال الاخطل

كأنه برج رومي يشيده ... لز بجص وآجرّ وأحجار

قال عنترة

فوقفت فيها ناقتي وكأنها ... فدن لأقضي حاجة المتلوم

والفدن القصر وقيل كالقصر أي كأصول الشجر العظام عن قتادة والضحاك وسعيد بن جبير ثم شبهه في لونه بالجمالات الصفر فقال (كأنه جمالت صفر) أي كأنها اينق سود لما يعتري سوادها من الصفرة عن الحسن وقتادة قال الفراء لا ترى أسود من الإبل إلا وهو مشرب صفرة ولذلك سمت العرب سود الإبل صفراء وقيل هو من الصفرة لأن النار تكون صفراء عن الجبائي (ويل يومئذ للمكذبين) بنار هذه صفتها (هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون) قيل في معناه قولان ﴿ أحدهما ﴾ أنهم لا ينطقون بنطق ينتفعون به فكأنهم لم ينطقوا ﴿ والثاني ﴾ أن في القيامة مواقف ففي بعضها يختصمون ويتكلمون وفي بعضها يختم على أفواههم ولا يتكلمون وعن قتادة قال جاء رجل إلى عكرمة قال أرأيت قول الله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فقال إنها مواقف فأما موقف منها فتكلموا واختصموا ثم ختم على أفواههم وتكلمت ايديهم وأرجلهم فحينئذ لا ينطقون وأجاز النحويون هذا يوم لا ينطقون بالنصب على أنه يشير إلى الجزاء ولا يشير إلى اليوم وقوله فيعتذرون رفع عطفاً على قوله ولا يؤذن لهم تقديره فلا يعتذرون ولو قيل فلا يعتذروا فنصب لكان المعنى ان الاذن سبب لعذرهم ولكن المعنى لا يؤذن لهم في الاعتذار فهم لا يعتذرون

(ويل يومئذ للمكذبين) بهذا الخبر (هذا يوم الفصل) بين أهل الجنة والنار وقيل هذا يوم الحكم والقضاء بين الخلق والانتصاف للمظلوم من الظالم وفصل القضاء يكون في الآخرة على ظاهر الأمر وباطنه بخلاف الدنيا لأن القاضي يحكم على ظاهر الأمر في الدنيا ولا يعرف البواطن (جمعناكم والأولين) يعني مكذبي هذه الأمة مع مكذبي الأمم قبلها يجمع الله سبحانه الخلائق في يوم واحد وفي صعيد واحد (فإن كان لكم كيد فكيدون) أي ان كانت لكم حيلة فاحتالوا لأنفسكم وقيل إن هذا توبيخ من الله تعالى للكفار وتقريع لهم واظهار لعجزهم عن الدفع عن انفسكم فضلا عن أن يكيدوا غيرهم وانما هو على انكم كنتم تعملون في دار الدنيا ما يغضبني فالآن عجزتم عن ذلك وحصلتم على وبال ما عملتم (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا

قوله تعالى (٤١) إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤٢) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٣) كُلُوا وَٱشْرَبُوا هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٤) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ (٤٥) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٦) كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ (٤٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٤٨) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (٥٠) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (عشر آيات)

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه المؤمنين فقال (إن المتقين) الذين اتقوا الشرك والفواحش (في ظلال) من أشجار الجنة (وعيون) جارية بين أيديهم في غير اخدود لأن ذلك امتع لهم بما يرونه من حسن مياهها وصفائها وقيل عيون أي ينابيع بما يجري خلال الاشجار (وفواكه) جمع فاكهة وهي ثمار الاشجار (مما يشتهون) أي من جنس ما يشتهونه والشهوة معنى في القلب إذا صادف المشتهى كان لذة وضدها النفار ثم يقال لهم (كلوا واشربوا) صورته صورة الأمر والمراد الإباحة وقيل إنه أمر على الحقيقة وهو سبحانه يريد منهم الاكل والشرب في الجنة فإنهم اذا اعلموا ذلك ازداد سرورهم فلا يكون ارادته لذلك عبثا (هنيئا بما كنتم تعملون) في دار الدنيا أي خالصا من التكدير والهنيء النفع الخالص من شائب الأذى وقيل هو الاذى الذي لا أذى يتبعه (انا كذلك نجزي المحسنين) هذا ابتداء الإخبار من الله تعالى ويقال لهم ذلك أيضا (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا الوعد ، ثم عاد الكلام الى ذكر المكذبين فقال سبحانه (كلوا) أي يقال لهم كلوا (وتمتعوا في الدنيا (قليلا) أي تمتعا قليلا أو زمانا قليلا فإن الموت كائن لا محالة (إنكم مجرمون) أي مشركون مستحقون للعقاب (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا الوعيد (واذا قيل لهم اركعوا) أي صلوا (لا يركعون) أي لا يصلون قال مقاتل نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله بالصلاة فقالوا لا ننحني والرواية لا نحنى فإن ذلك سبة علينا فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع وسجود وقيل إن المراد بذلك يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون عن ابن عباس (ويل يومئذ للمكذبين) بوجوب الصلاة والعبادات (فبأي حديث بعده يؤمنون) أي فبأي كتاب بعد القرآن يصدقون ولم يصدقوا به مع اعجازه وحسن نظمه فإن من لم يؤمن به مع ما فيه من الحجة الظاهرة والآية الباهرة لا يؤمن بغيره .

سورة عم

وتسمى سورة النبأ وسورة المعصرات ومنهم من يقول سورة التساؤل وهي مكية

﴿ عدد آيها ﴾

إحدى وأربعون آية مكي وبصري واربعون في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

آية واحدة عذابا قريبا مكي بصري

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب عن النبي (ص) قال ومن قرأ سورة عمّ يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة وروي عن أبي عبد الله (ع) انه قال من قرأ عمّ يتساءلون لم يخرج سنته اذا كان يدمنها في كل يوم حتى يزور البيت الحرام

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر القيامة ووعيد المكذبين بها افتتح هذه السورة بذكرهـا وذكر دلائل القدرة على البعث والإعادة فقال

بسم ٱلرحمن ٱلرحيم (١) عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (٢) عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ (٣) ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٤) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٦) أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَاداً (٧) وَٱلْجِبَالَ أَوْتَاداً (٨) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً (٩) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً (١٠) وَجَعَلْنَا ٱللَّيْلَ لِبَاساً (١١) وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشاً (١٢) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً (١٣) وَجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً (١٤) وَأَنْزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً (١٥) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبّاً وَنَبَاتاً (١٦) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً   ست عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة عكرمة وعيسى بن عمر عما يتساءلون وقرأ ابن الزبير وابن عباس وقتادة وانزلنا بالمعصرات

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني اثبات الألف في ما الاستفهامية اذا دخل عليها حرف جر أضعف اللغتين وروينا عن قطرب لحسان

على م قام يشتمني لئيم   كخنزير تمرغ في رماد

وقال في قوله بالمعصرات اذا انزل منها فقد انزل بها كقولهم أعطيته من يدي شيئا وبيدي شيئا والمعنى واحد ومعنى من هنا ابتداء الغاية أي كان مبتدأ العطية من يده

﴿ اللغة ﴾

النبأ الخبر العظيم الشأن ومنه النبيء على مذهب من يهمز والمهاد الوطاء ومهد الشيء تمهيداً أي وطأه توطية والوتد المسمار إلا أنه أغلظ منه والسبات قطع العمل للراحة ومنه سبت انفه اذا قطعه ومنه يوم السبت أي يوم قطع العمل على ما جرت به العادة في شرع موسى (ع) والوهاج الوقاد وهو المشتعل بالنور العظيم

والمعصرات السحائب تعتصر بالمطر كأن السحاب يحمل الماء ثم تعصره الرياح وترسله كإرسال الماء بعصر الثوب وعُصِرَ القوم مطروا والثجاج الدفّاع في انصبابه كثج دماء البدن يقال ثججت دمه أثجُّه ثجاً وقد ثج الدم يثج ثجوجا وفي الحديث افضل الحج العج فالثج فالعج رفع الصوت بالتلبية والثج اسالة دم الهدي والألفاف الأخلاط المتداخلة يدور بعضها على بعض واحدها لف ولفيف وقيل شجرة لفاء واشجار لف بضم اللام وجنات الفاف

﴿ الاعراب ﴾

عمّ اصله عن ما جعل النون ميماً وادغم في الميم وحذفت الألف لاتصال ما بحرف الجر حتى صارت كالجزء منه وليحصل الفرق بين الاستفهام والخبر وهذه الحروف التي تسقط معها هذه الألف ثمانية عن تقول عم ومن تقول مم والباء نحو بم واللام نحو لم وفي نحو فيم والى نحو الى م وعلى نحو علىم وحتى نحو حتىم قال البصير جامع العلوم النحوي عن النبأ العظيم لا يكون بدلا من عم لأنه لو كان بدلا لأوجب تكرار ما لأن الجار المتصل بحرف الاستفهام اذا اعيد اعيد مع الحرف المستفهم بها كقولك بكم ثوبك أبعشرين أم بثلاثين ولا يجوز بعشرين من غير همزة فإذا كان كذلك كان قوله عن النبأ متعلقاً بفعل آخر دون هذا الظاهر .

﴿ المعنى ﴾

(عم يتساءلون) قالوا لما بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأخبرهم بتوحيد الله تعالى وبالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم أي يسأل بعضهم بعضا على طريق الإنكار والتعجب فيقولون ماذا جاء به محمد وما الذي أتى بـه فأنزل الله تعالى عمّ يتساءلون أي عن اي شيء يتساءلون قال الزجاج اللفظ لفظ الاستفهام والمراد تفخيم القصة كما تقول أي شيء زيد اذا عظمت شأنه ثم ذكر أن تساءلهم عن ماذا فقال (عن النبأ العظيم) وهو القرآن ومعناه الخبر العظيم الشأن لأنه ينبئ عن التوحيد وتصديق الرسول والخبر عما يجوز وعما لا يجوز وعن البعث والنشور وقيل يعني نبأ يوم القيامة عن الضحاك وقتادة ويؤيده قوله إن يوم الفصل كان ميقاتا وقيل النبأ العظيم ما كانوا يختلفون فيه من اثبات الصانع وصفاته والملائكة والرسل والبعث والجنة والنار والرسالة والخلافة فإن النبأ معروف يتناول الكل (الذي هم فيه مختلفون) فمصدق به ومكذب (كلا) أي ليس الأمر كما قالوا (سيعلمون) عاقبة تكذيبهم حين تنكشف الامور (ثم كلا سيعلمون) هذا وعيد على اثر وعيد وقيل كلا أي حقا سيعلمون اي سيعلم الكفار عاقبة تكذيبهم وسيعلم المؤمنون عاقبة تصديقهم عن الضحاك وقيل كلا سيعلمون ما ينالهم يوم القيامة ثم كلا سيعلمون ما ينالهم في جهنم من العذاب فعلى هذا لا يكون تكراراً ثم نبههم سبحانه على وجه الاستدلال على صحة ذلك فقال (ألم نجعل الأرض مهاداً) أي وطاء وقراراً مهيئا للتصرف فيه من غير اذية وقيل مهاداً أي بساطا عـن قتادة (والجبال أوتاداً) للأرض لئلا تميد بأهلها (وخلقناكم أزواجا) أي اشكالا كل واحد شكل الآخر وقيل معناه ذكرانا واناثا حتى يصح منكم التناسل ويتمتع بعضكم ببعض وقيل اصنافا اسود وابيض وصغيراً وكبيراً الى غير ذلك (وجعلنا نومكم سباتاً) اختلف في معناه على وجوه ﴿ احدها ﴾ ان معناه وجعلنا نومكم راحـة ودعة لأجسادكم ﴿ وثانيها ﴾ ان المعنى جعلنا نومكم قطعاً لأعمالكم وتصرفـكم عن ابن الانباري ﴿ وثالثها ﴾ جعلنا نومكم سباتا ليس بموت على الحقيقة ولا مخرجاً عن الحياة والادراك (وجعلنا الليل لباسا)

أي غطاء وسترة يستر كل شيء بظلمته وسواده (وجعلنا النهار معاشا) المعاش العيش أي جعلناه مطلب معاش اي مبتغى معاش وقيل معناه وجعلنا النهار وقت معاشكم لتتصرفوا في معاشكم أو موضع معاشكم تبتغون فيه من فضل ربكم (وبنينا فوقكم سبعا) أي سبع سماوات (شدادا) محكمة احكمنا صنعها واوثقنا بناءها (وجعلنا سراجا وهاجا) يعني الشمس جعلها سبحانه سراجا للعالم وقاداً متلألاً بالنور يستضيئون به فالنعمة عامة به لجميع الخلق قال مقاتل جعل فيه نورا وحرا والوهج يجمع النور والحر (وانزلنا من المعصرات) أي الرياح ذوات الأعاصير عن مجاهد وقتادة والكلبي وقال الأزهري ومن معناه الباء فكأنه قال بالمعصرات او ذلك ان الريح تستدر المطر وقيل المعصرات السحائب تتحلب بالمطر عن الربيع وابي العالية وهو رواية الوالبي عن ابن عباس (ماء ثجاجا) اي صبابا دفاعا في انصبابه وقيل مدرارا عن مجاهد وقيل متتابعا يتلو بعضه بعضا عن قتادة (لنخرج به) أي بالماء (حبا ونباتا) فالحب كل ما تضمنه كمام الزرع الذي يحصد والنبات الكلأ من الحشيش والزرع ونحوهما فجمع سبحانه بين جميع ما يخرج من الارض وقيل حبا يأكل الناس ونباتا تنبته الارض مما يأكله الانعام (وجنات ألفافا) أي بساتين ملتفة بالشجر والتقدير ونخرج به شجر جنات الفافا فحذف لدلالة الكلام عليه وانما سمي جنة لأن الشجر تجنها أي تسترها

قوله تعالى (١٧) إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٨) يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٩) وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (٢٠) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢١) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢٢) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٣) لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٤) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٥) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٦) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٧) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٨) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٩) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٣٠) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (أربع عشرة آية)

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير الاعشى والبرجمي وفتحت بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرأ حمزة لبثين بغير الالف والباقون لابثين بالالف والخلاف في غساق مذكور في ص ورووا عن علي بن ابي طالب «ع» وكذبوا بآياتنا كذابا خفيفة والقراءة المشهورة وكذّبوا بآياتنا كذّابا بالتثقيل وحكى ابو حاتم في الشواذ عن عبد الله بن عمر كُذابا بضم الكاف وتشديد الذال

الحجة

قال أبو علي فتحت بالتشديد أوفق لقوله تعالى مفتحة لهم الأبواب ومن حجة التخفيف قوله فتحنا عليهم ابواب كل شيء وحجة من قرأ لابثين بالألف مجيء المصدر على اللبث فهو من باب شرب يشرب ولقم يلقم وليس من باب فرق يفرق إذ لو كان منه لكان المصدر مفتوح العين فلما اسكن وجب أن يكون اسم الفاعل على فاعل كشارب ولاقم كما كان اللبث كاللقم ومن قرأ لبثين جعل اسم الفاعل فعلا وقد جاء غير حرف من هذا النحو على فاعل وفعل والكذاب مصدر كذب كما أن الكلام مصدر كلم وكذا القياس فيما زاد على الثلاثة ان تأتي بلفظ الفعل وتزيد في آخره الألف كقوله اكرمته اكراما وأما التكذيب فزعم سيبويه أن التاء عوض من التضعيف والياء التي قبل الآخر كالألف فأما الكذاب فمصدر كذب قال الاعشى

فصدقتـه وكذبتـه والمرء ينفعـه كذابـه

فهو مثل كتاب في مصدر كتب وأما الكذاب بضم الكاف فقد قال أبوحاتم لا وجه له إلا أن يكون كذاب جمع كاذب فينصبه على الحال اي وكذبوا بآياتنا في حال كذبهم قال طرفة

إذا جاء مالا بد منه فمرحبا به حين يأتي لا كذاب ولا علل

﴿ اللغة ﴾

الميقات منتهى المقدار المضروب لحدوث أمر من الأمور وهو من الوقت كما أن الميعاد من الوعد والمقدار من القدر والمرصاد هو المعد لامر على ارتقاب الوقوع فيه قال الأزهري المرصاد المكان الذي يرصد فيه العدو والأحقاب جمع واحدها حقب من قوله او امضى حقبا اي دهراً طويلا وقيل واحده حقب بفتح القاف وواحد الحقب حقبة قال

وكنا كندماني جذيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

﴿ الاعراب ﴾

يوم ينفخ منصوب لأنه بدل من يوم الفصل وأفواجا نصب على الحال . لايذوقون فيها برداً جملة يجوز أن يكون حالاً من لابثين والتقدير يلبثون غير ذائقين ويجوز أن يكون صفة لقوله احقابا والتقدير احقابا غير مذوق فيها وجزاء مصدر وضع موضع الحال وكل شيء منصوب بفعل مضمر يفسره قوله احصيناه وكتابا منصوب على المصدر لأن كتب في معنى أحصى ويجوز أن يكون في موضع الحال أي نكتبه والتقدير احصيناه كاتبين

﴿ المعنى ﴾

ثم ذكر سبحانه الإعادة والبعث تنبيها على أنه دل بذكر الآيات فيما تقدم على صحة البعث فقال (أن يوم الفصل) أي يوم القضاء الذي يفصل الله فيه الحكم بين الخلائق (كان ميقاتا) لما وعد الله من الجزاء والحساب والثواب والعقاب (يوم ينفخ في الصور) قد مر معناه (فتأتون أفواجا) أي جماعة جماعة إلى أن تتكاملوا في القيامة وقيل زمراً زمراً من كل مكان للحساب وكل فريق يأتي مع شكله وقيل إن كل أمة تأتي مع نبيها فلذلك جاؤا أفواجا أفواجا (وفتحت السماء) أي شقت لنزول الملائكة (فكانت ابوابا) أي ذات أبواب وقيل صار فيها طرق ولم تكن كذلك من قبل (وسيرت الجبال)أي زيلت عن أماكنها وذهب بها (فكانت سرابا) أي كالسراب يظن انها جبال وليست اياها وفي الحديث عن البراء بن عازب قال كان معاذ بن جبل جالسا قريبا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منزل ابي ايوب الانصاري فقال معاذ يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا الآيات فقال يامعاذ سألت عن عظيم من الامر ثم أرسل عينيه ثم قال يحشر عشرة أصناف من امتي أشتاتا قد ميزهم الله من المسلمين وبدل صورهم بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون ارجلهم من فوق ووجوههم من تحت ثم يسحبون عليها وبعضهم عمي يترددون وبعضهم صم بكم لا يعقلون وبعضهم يمضغون السنتهم فيسيل القيح من افواههم لعابا يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وارجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات (١) من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على رؤسهم فآكلة الربا

(١) النمامون

والعمي الجائرون في الحكم والصم والبكم المعجبون بأعمالهم والذين يمضغون بألسنتهم فالعلماء والقضاة الذين خالف أعمالهم أقوالهم والمقطعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران والمصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان والذين هم اشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله في أموالهم والذين يلبسون الجباب فأهل الفخر والخيلاء (إن جهنم كانت مرصاداً) يرصدون به أي هي معدة لهم يرصد بها خزنتها الكفار عن المبرد وقيل مرصداً محبسا يحبس فيه الناس عن مقاتل وقيل طريقا منصوبا على العاصين فهو موردهم ومنهلهم وهذا اشارة إلى أن جهنم للعصاة على الرصد لا يفوتونها (للطاغين مآبا) اي للذين جاوزوا حدود الله وطغوا في معصية الله مرجعا يرجعون اليه ومصيراً فكأن المجرم قد كان بإجرامه فيها ثم رجع اليها (لابثين فيها احقابا) أي ماكثين فيها أزمانا كثيرة وذكر فيها أقوال * احدها * ان المعنى احقابا لا انقطاع لها كلما مضى حقب جاء بعده حقب آخر والحقب ثمانون سنة من سني الآخرة عن قتادة والربيع * وثانيها * أن الأحقاب ثلاثة وأربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوما وكل يوم الف سنة عن مجاهد * وثالثها * ان الله تعالى لم يذكر شيئا الا وجعل له مدة ينقطع اليها ولم يجعل لأهل النار مدة بل قال لابثين فيها احقابا فو الله ما هو إلا أنه إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر كذلك إلى أبد الآبدين فليس للأحقاب عدة إلا الخلود في النار ولكن قد ذكروا ان الحقب الواحد سبعون الف سنة كل يوم من تلك السنين الف سنة مما تعدون عن الحسن * ورابعها * أن مجاز الآية لابثين فيها احقابا لا يذوقون في تلك الأحقاب بردا ولا شرابا إلا حميما وغساقا ثم يلبثون فيها لا يذوقون غير الحميم والغساق من انواع العذاب فهذا توقيت لأنواع العذاب لا لمكثهم في النار وهذا أحسن الاقوال * وخامسها * انه يعني به أهل التوحيد عن خالد بن معدان وروى نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يخرج من النار من دخلها حتى يمكث فيها أحقابا والحقب بضع وستون سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون فلا يتكلن احد ان يخرج من النار وروى العياشي بإسناده عن حمران قال سألت ابا جعفر (ع) عن هذه الآية فقال هذه في الذين يخرجون من النار وروي عن الأحول مثله وقوله (لا يذوقون فيها برداً ولا شرابا) يريد النوم والماء عن ابن عباس قال أبو عبيدة البرد النوم هنا وانشد «فيصدني عنها وعن قبلاتها البرد» اي النوم وقيل لا يذوقون في جهنم بردا ينفعهم من حرها ولا شرابا ينفعهم من عطشها عن مقاتل (إلا حميما) وهو الماء الحار الشديد الحر (وغساقا) وهو صديد أهل النار (جزاء وفاقا) أي وافق عذاب النار الشرك لأنهما عظيمان فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب اعظم من النار عن مقاتل وقيل جوزوا جزاء وفق أعمالهم عن الزجاج وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والوفاق الجاري على المقدار فالجزاء وفاق لأنه جار على مقدار الاعمال في الاستحقاق (انهم كانوا لا يرجون حسابا) اي فعلنا ذلك بهؤلاء الكفار لأنهم كانوا لا يخافون ان يحاسبوا والمعنى كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بأنهم محاسبون عن الحسن وقتادة وقيل لا يرجون المجازاة على الاعمال ولا يظنون ان لهم حسابا عن أبي مسلم وقال الهذلي في الرجاء بمعنى الخوف

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها ... وخالفها في بيت نوب عوامل

(وكذبوا بآياتنا) أي بما جاءت به الانبياء وقيل بالقرآن وقيل بحجج الله ولم يصدقوا بها (كذابا)

اي تكذيبا (و كل شيء احصيناه كتابا) اي و كل شيء من الاعمال بيناه في اللوح المحفوظ ومثله و كل شيء احصيناه في إمام مبين وقيل معناه و كل شيء من اعمالهم حفظناه لنجازيهم به ثم بين ان ذلك الاحصاء والحفظ وقع بالكتابة لأن الكتابة أبلغ في حفظ الشيء من الاحصاء ويجوز ان يكون كتابا حالا مؤكدة اي احصيناه في حال كونه مكتوبا عليهم والكتاب بمعنى المكتوب (فذوقوا) اي فقيل لهؤلاء الكفار ذوقوا ما انتم فيه من العذاب (فلن نزيدكم إلا عذابا) لان كل عذاب يأتي بعد الوقت الاول فهو زائد عليه

قوله تعالى (٣١) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً (٣٢) حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً (٣٣) وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً (٣٤) وَكَأْساً دِهَاقاً (٣٥) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا كِذَّاباً (٣٦) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً (٣٧) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً (٣٨) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفّاً لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَاباً (٣٩) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآباً (٤٠) إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً عشر آيات

❊ القراءة ❊

قرأ الكسائي ولا كذابا بتخفيف الذال والباقون بالتشديد وقرأ أهل الحجاز وأبو عمرو رب السماوات بالرفع والباقون بالجر وقرأ عاصم وابن عامر ويعقوب وسهل الرحمن بالجر والباقون بالرفع

❊ الحجة ❊

ولا كذابا يجوز أن يكون مصدر كذب فيكون معناه ولا كذبا ويجوز ان يكون مصدر كاذبه مكاذبة وكذابا وبالتشديد قد يكون مصدر كذب قال الفراء قال أعرابي في طريق مكة يا با زكريا القصّار احب اليك أم الحلق يريد أقصر شعري أم أحلق ومن قرأ رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن قطع الاسم الأول من الجر الذي قبله في قوله جزاء من ربك فابتدأه وجعل الرحمن خبره ثم استأنف لا يملكون منه ومن قرأ رب السماوات والأرض وما بينهما الرحمن اتبع الإسمين الجر الذي قبلهما في قوله من ربك ومن قرأ رب السماوات الرحمن اتبع رب السماوات الجر الذي في قوله من ربك واستأنف بقوله الرحمن وجعل قوله لا يملكون خبر قوله الرحمن

❊ اللغة ❊

الحديقة الجنة المحوطة والجمع حدائق ومنه أحدق القوم بفلان اذا طافوا به ومنه الحدقة لأنه يحيط بها جفنها والأعناب جمع عنب وهو ثمر الكرم قبل ان يجف فإذا جف فهو الزبيب والكواعب جمع الكاعب وهي الجارية التي نهد ثدياها والاتراب جمع الترب وهي اللدة التي تنشأ مع لدتها على سن الصبي الذي يلعب بالتراب والدهاق الكاس الممتلئة التي لا مزيد فيها وأصل الدهق شدة الضغط ادهقت الكأس ملأتها قال «يلذه بكأسه الدهاق » وعطاء حسابا أي كثيرا كافيا يقال أحسبت فلانا أي اعطيته ما يكفيه حتى قال حسبي قال

ونقفي وليد الحي إن كان جائعا ... ونحسبه ان كان ليس بجائع

قال الأصمعي يقال حسبت الرجل بالتشديد اي اكرمته وانشد

اذا أتاه ضيفه يحسبه من حاقن او من صريح يحلبه

﴿ الإعراب ﴾

حدائق بدل من قوله مفازا بدل البعض من الكل وكذلك ما بعده واترابا صفة لكواعب. جزاء منصوب بمعنى ان للمتقين مفازا أي جازاهم بذلك جزاء وأعطاهم عطاء فإن معنى جازاهم واعطاهم واحد. يوم يقوم الروح ظرف لقوله لا يملكون وقوله صفا منصوب على الحال ويوم ينظر ظرف لقوله عذابا لأنه بمعنى التعذيب

﴿ المعنى ﴾

ثم عقب سبحانه وعيد الكفار بالوعد للمتقين الأبرار فقال (إن للمتقين) الذين يتقون الله باجتناب الشرك والمعاصي (مفازا) اي فوزا ونجاة إلى حال السلامة والسرور وقيل المفاز موضع الفوز وقالوا للمهلكة مفازة على طريق التفاؤل كأنهم قالوا وقيل مفازا منجى إلى متنزه وهو النجاة من النار إلى الجنة ثم بين ذلك الفوز فقال (حدائق واعنابا) يعني أشجار الجنة وثمارها (وكواعب اترابا) أي جواري تكعب ثديهن مستويات في السن عن قتادة ومعناه استواء الخلقة والقامة والصورة والسن حتى يكنّ متشاكلات وقيل اترابا على مقدار ازواجهن في الحسن والصورة والسن عن ابي علي الجبائي (وكأسا دهاقا) اي مترعة مملوءة عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل متتابعة على شاربيها اخذ من متابعة الشد في الدهق عن مجاهد وسعيد ابن جبير وقيل دمادم عن ابي هريرة وقيل على قدر ريهم عن مقاتل (لا يسمعون فيها) اي في الجنة (لغواً) اي كلاما لغواً لا فائدة فيه (ولا كذابا) ولا تكذيب بعضهم لبعض ومن قرأ بالتخفيف يريد ولا مكاذبة عن ابي عبيدة وقيل كذبا عن ابي علي الفارسي (جزاء من ربك) اي فعل بالمتقين ما فعل بهم جزاء من ربك على تصديقهم بالله ونبيه صلى الله عليه وآله وسلم (عطاء) اي اعطاهم الله عطاء (حسابا) أي كافيا عن ابي عبيدة والجبائي وقيل حسابا اي كثيراً وقيل حسابا على قدر الاستحقاق وبحسب العمل قال الزجاج معناه ما يكفيهم اي ان فيه ما يشتهون (رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن) مرّ ذكره والمعنى أن الذي يفعل بالمؤمنين ما تقدم ذكره هو رب السماوات والأرض ومدبرهما ومدبر ما بينهما والمتصرف فيهما على ما يشاء الرحمن المنعم على خلقه مؤمنهم وكافرهم (لا يملكون منه خطابا) اي لا يملكون ان يسألوه الا فيما أذن لهم فيه كقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وقوله لا تكلم نفس إلا باذنه والخطاب توجيه الكلام الى مدرك له بصيغة منبئة عن المراد على طريقة انت وبك قال مقاتل لا يقدر الخلق على ان يكلموا الرب إلا باذنه (يوم يقوم الروح والملائكة صفًا) أي في ذلك اليوم اختلف في معنى الروح هنا على أقوال ﴿احدها﴾ ان الروح خلق من خلق الله تعالى على صورة بني آدم وليسوا بناس وليسوا بملائكة يقومون صفا والملائكة صفا هؤلاء جند وهؤلاء جند عن مجاهد وقتادة وابي صالح قال الشعبي هما سماطا رب العالمين يوم القيامة سماط من الروح وسماط من الملائكة ﴿وثانيها﴾ ان الروح ملك من الملائكة ما خلق الله مخلوقا اعظم منه فاذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا واحداً فيكون عظم خلقه مثل صفهم عن ابن مسعود وعن عطاء عن ابن عباس ﴿وثالثها﴾ ان أرواح الناس تقوم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل ان ترد الأرواح الى الأجساد عن عطية عن ابن عباس ﴿ورابعها﴾ انه جبريل (ع) عن الضحاك

وقال وهب ان جبرائيل (ع) واقف بين يدي الله عز وجل ترتعد فرائصه يخلق الله عز وجل من كل رعدة مائة الف ملك فالملائكة صفوف بين يدي الله تعالى منكسو رؤوسهم فإذا أذن الله لهم في الكلام قالوا لا إله الا أنت وقال صوابا اي لا إله الا الله وروى علي بن ابراهيم باسناده عن الصادق (ع) قال هو ملك اعظم من جبرائيل وميكائيل وخامسها ان الروح بنو آدم عن الحسن وقوله صفا معناه مصطفين (لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن) وهم المؤمنون والملائكة (وقال) في الدنيا (صوابا) اي شهد بالتوحيد وقال لا إله الا الله وقيل ان الكلام ها هنا الشفاعة أي لا يشفعون الا لمن اذن له الرحمن ان يشفع عن الحسن والكلبي وروى معاوية بن عمار عن ابي عبد الله (ع) قال سئل عن هذه الآية فقال نحن والله المأذون لهم يوم القيامة والقائلون قال جعلت فداك ما تقولون قال نمجد ربنا ونصلي على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ونشفع لشيعتنا فلا يردنا ربنا رواه العياشي مرفوعا (ذلك اليوم الحق) الذي لا شك في كونه وحصوله يعني القيامة (فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا) اي مرجعا للطاعة والمعنى فمن شاء عمل عملا صالحا يؤوب الى ربه فقد ازيحت العلل واوضحت السبل وبلغت الرسل والمآب مفعل من الاوب وهو الرجوع قال عبيد

وكل ذي غيبة يؤوب وغائب الموت لا يؤوب

ثم خوف سبحانه كفار مكة فقال (انا أنذرناكم عذابا قريبا) يعني العذاب في الآخرة فإن كل ما هو آت قريب (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه) أي ينتظر جزاء ما قدمه فإن قدم الطاعة انتظر الثواب وان قدم المعصية انتظر العقاب وقيل معناه ان كل احد ينظر الى عمله في ذلك اليوم من خير وشر مثبتا عليه في صحيفته فيرجو ثواب الله على صالح عمله ويخاف العقاب على سوء عمله (ويقول الكافر) في ذلك اليوم (يا ليتني كنت ترابا) أي يتمنى ان لو كان ترابا لا يعاد ولا يحاسب ليتخلص من عقاب ذلك اليوم قال الزجاج معنى يا ليتني كنت ترابا يا ليتني لم ابعث قال عبدالله بن عمر اذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم وحشر الدواب والبهائم والوحوش ثم يجعل القصاص بين الدواب حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء التي نطحتها وقال مجاهد يقاد يوم القيامة المنطوحة من الناطحة وقال المقاتلان ان الله يجمع الوحوش والهوام والطير وكل شيء غير الثقلين فيقول من ربكم فيقولون الرحمن الرحيم فيقول لهم الرب بعدما يقضي بينهم حتى يقتص للجماء من القرناء انا خلقناكم وسخرناكم لبني آدم وكنتم مطيعين ايام حياتكم فارجعوا الى الذي كنتم كونوا ترابا فتكون ترابا فاذا التفت الكافر الى شيء صار ترابا يتمنى فيقول يا ليتني كنت في الدنيا على صورة خنزير رزقي كرزقه وكنت اليوم اي في الآخرة ترابا وقيل إن المراد بالكافر هنا ابليس عاب آدم بأن خلق من تراب وافتخر بالنار فيوم القيامة اذا رأى كرامة آدم وولده المؤمنين قال يا ليتني كنت ترابا .

سورة النازعات مكية

❋ عدد آياتها ❋

ست وأربعون آية كوفي وخمس في الباقين

❋ اختلافها ❋

آيتان ولأنعامكم حجازي كوفي طغى عراقي شامي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة والنازعات لم يكن حبسه وحسابه يوم القيامة إلا كقدر صلاة مكتوبة حتى يدخل الجنة وقال ابو عبد الله (ع) من قرأها لم يمت إلا ريان ولم يبعثه الله إلا ريان ولم يدخله الجنة إلا ريان

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر أحوال القيامة وأهوالها وافتتح هذه السورة بمثله فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (٢) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٣) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٤) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٥) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٦) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٧) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٨) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٩) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (١٠) يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١١) أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١٢) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٣) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٤) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ اربع عشرة آية

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير حفص وقتيبة ونصير ورويس عن يعقوب ناخرة بالألف والباقون نخرة بغير الف وروى ابو عمرو الدوري وحمدون عن الكسائي ناخرة ونخرة لا يبالي كيف قرأ وفي الشواذ قراءة ابي حياة الحفرة بغير الف وقرأ نافع غير قالون ويعقوب انا لمردودون بهمزة واحدة غير ممدودة اذا كنا بغير استفهام وقرأ ابن عامر والكسائي أءنا لمردودون بهمزتين اذا كنا كما تقدم وقرأ ابن كثير انا اذا كنا بالاستفهام فيهما بهمزة واحدة غير ممدودة وقرأ ابو عمرو بالاستفهام فيهما بهمزة ممدودة وقرأ عاصم وحمزة وخلف فيهما بهمزتين مهزتين وقد تقدم ذكر هذا مشروحا في مواضع

الحجة

نخرة وناخرة لغتان وقال الفراء النخرة البالية والناخرة المجوفة قال الزجاج ناخرة اكثر وأجود لشبه اواخر الآي بعضها ببعض نحو الخاسرة والحافرة وأما الوجه في الحفرة فهو أن يكون اراد الحافرة كقراءة الجماعة فحذف الألف تخفيفا كما في قوله

اصبح قلبي صردا لا يشتهي أن يردا الا عرادا عردا

أي عاردا

اللغة

الغرق اسم أقيم مقام المصدر وهو الاغراق يقال اغرق في النزع اذا استوفى في مد القوس وبالغ فيه والنشط النزع ايضا ومنه حديث ام سلمة فجاء عمار وكان أخاها من الرضاعة ونشط زينب من حجرها اي نزعها ونشط الوحش من بلد الى بلد اذا خرج بنشاط والهموم تنشط بصاحبها اي تخرج به من حال الى حال قال هميان بن قحافة

امست همومي تنشط المناشطا الشام بي طورا وطورا واسطا

وانشطت العقدة حللتها ونشطتها عقدتها قالوا كأنما انشط من عقال والانشوطة العقدة تنحل إذا مد طرفاها يقال ما عقاله بانشوطة والرجف حركة الشيء من تحت غيره بترديد واضطراب والرجفة الزلزلة العظيمة وارجفوا اي ازعجوا الناس باضطراب الأمور وكل شيء تبع شيئا فقد ردفه وأرداف النجوم تواليها يتبع بعضها بعضاً وأرداف الملوك في الجاهلية الذين يخلفون الملوك والردفان الليل والنهار والوجيف شدة الاضطراب وقلب واجف مضطرب والوجيف سرعة السير واوجف في السير اسرع وأزعج الركاب فيه والحافرة بمعنى المحفورة مثل ماء دافق اي مدفوق وقيل الحافرة الأرض المحفورة ورجع الشيخ في حافرته أي رجع من حيث جاء وذلك كرجوع القهقرى قال

أحافرة على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار

أي أرجوعا الى حال الشباب وأوله ويقال النقد عند الحافر اي لا يزول حافر الفرس حتى ينقد الثمن لأنه لكرامته لا يباع نسيئة ثم كثر حتى قيل في غير الحافرة. والساهرة وجه الأرض والعرب تسمي وجه الأرض من الفلاة ساهرة أي ذات سهر لأنه يسهر فيها خوفا منها قال امية بن ابي الصلت

وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به لهم مقيم

اي وفيها صيد البر والبحر وقال آخر

فإنما قصرك ترب الساهره ثم تعود بعدها في الحافره

﴿ الاعراب ﴾

جواب القسم محذوف على تقدير ليبعثن وقيل الجواب في ان في ذلك لعبرة يوم ترجف الراجفة نصب باذكر وان شئت كان نصبا بمدلول قوله قلوب يومئذ واجفة على تقدير يوم ترجف الراجفة رجفت قلوبهم ويكون يومئذ بدلا من يوم ترجف الراجفة

﴿ المعنى ﴾

(والنازعات غرقا) اختلف في معناها على وجوه ﴿ أحدها ﴾ انه يعني الملائكة الذين ينزعون ارواح الكفار عن ابدانهم بالشدة كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المدى وروي ذلك عن علي (ع) ومقاتل وسعيد بن جبير وقال مسروق هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم وقيل هو الموت ينزع النفوس عن مجاهد وروي ذلك عن الصادق (ع) ﴿ وثانيها ﴾ انها النجوم تنزع من افق الى افق اي تطلع وتغيب عن الحسن وقتادة وابي عبيدة والأخفش والجبائي قال ابو عبيدة تنزع من مطالعها وتغرق في مغاربها ﴿ وثالثها ﴾ النازعات القسي تنزع بالسهم والناشطات الازهاق عن عطاء وعكرمة وعلى هذا فالقسم بفاعلها وهم الغزاة المجاهدون في سبيل الله (والناشطات نشطا) في معناها اقوال ﴿ احدها ﴾ ما ذكرناه ﴿ وثانيها ﴾ انها الملائكة تنشط ارواح الكفار بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من اجوافهم بالكرب والغم عن علي (ع) والنشط الجذب يقال نشطت الدلو نشطا نزعته ﴿ وثالثها ﴾ انها الملائكة تنشط انفس المؤمنين فتقبضها كما تنشط العقال من يد البعير اذا حل عنها عن ابن عباس وحكى الفراء هذا القول ثم قال والذي سمعت من العرب ان يقولوا كأنما انشط من عقال ونشطت الحبل ربطته وانشطته حللته ﴿ ورابعها ﴾ انها انفس المؤمنين

عند الموت تنشط للخروج وذلك انه ما من مؤمن يحضره الموت الا عرضت عليه الجنة قبل ان يموت فيرى موضعه فيها وازواجه من الحور العين فنفسه تنشط ان تخرج عن ابن عباس ايضا ﴿وخامسها﴾ انها النجوم تنشط من افق الى افق أي تذهب يقال حمار ناشط عن قتادة والأخفش والجبائي (والسابحات سبحا) فيها أقوال ﴿ احدها ﴾ انها الملائكة يقبضون ارواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى تستريح كالسابح بالشيء في الماء يرمي به عن علي (ع) والكلبي ﴿ وثانيها ﴾ انها الملائكة ينزلون من السماء مسرعين وهذا كما يقال للفرس الجواد سابح اذا اسرع في جريه عن مجاهد وابي صالح ﴿ وثالثها ﴾ انها النجوم تسبح في فلكها عن قتادة والجبائي وقيل هي خيل الغزاة تسبح في عدوها كقوله والعاديات ضبحا عن ابي مسلم وقيل هي السفن تسبح في الماء عن عطاء (فالسابقات سبقا) فيها أقوال ايضا ﴿احدها﴾ انها الملائكة لأنها سبقت ابن آدم بالخير والإيمان والعمل الصالح عن مجاهد وقيل انها تسبق الشياطين بالوحي الى الأنبياء وقيل إنها تسبق بأرواح المؤمنين الى الجنة عن علي (ع) ومقاتل ﴿ وثانيها ﴾ انها انفس المؤمنين تسبق الى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا الى رحمة الله ولقاء ثوابه وكرامته عن ابن مسعود ﴿ وثالثها ﴾ انها النجوم يسبق بعضها بعضا في السير عن قتادة والجبائي ﴿ ورابعها ﴾ انها الخيل يسبق بعضها بعضا في الحرب عن عطاء وابي مسلم (فالمدبرات امراً) فيها أقوال ايضا — احدها انها الملائكة تدبر امر العباد من السنة الى السنة عن علي (ع) — وثانيها — ان المراد بذلك جبرئيل وميكائيل وملك الموت واسرافيل عليهم السلام يدبرون أمور الدنيا فأما جبرئيل فموكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض الانفس واما اسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم عن عبد الرحمن بن سابط — وثالثها — انها الأفلاك يقع فيها امر الله تعالى فيجري بها القضاء في الدنيا رواه علي بن ابراهيم اقسم الله تعالى بهذه الأشياء التي عددها وقيل تقديره ورب النازعات وما ذكر بعدها وهذا ترك للظاهر بغير دليل وقد قال الباقر والصادق (ع) ان لله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه وليس لخلقه ان يقسموا إلا به والوجه في ذلك انه سبحانه يقسم بخلقه للتنبيه على موضع العبرة فيه لأن القسم يدل على عظم شأن المقسم به وجواب القسم محذوف فكأنه سبحانه اقسم فقال وهذه الأشياء لتبعثن ولتحاسبن (يوم ترجف الراجفة) يعني النفخة الأولى التي يموت فيها جميع الخلائق والراجفة صيحة عظيمة فيها تردد واضطراب كالرعد اذا تمخض (تتبعها الرادفة) يعني النفخة الثانية تعقب النفخة الأولى وهي التي يبعث معها الخلق وهو كقوله ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فإذا هم قيام ينظرون ويوم منصوب على معنى (قلوب يومئذ واجفة) يوم ترجف الراجفة ومعنى الواجفة الشديدة الاضطراب ايضا وهذا معنى قول الحسن وقتادة وغيرهما قيل معناه يوم تضطرب الأرض اضطرابا شديداً وتحرك تحركاً عظيما يعني يوم القيامة تتبعها الرادفة اي اضطرابة اخرى كائنة بعد الأولى في موضع الردف من الراكب فلا تزال تضطرب حتى تفنى كلها وقال ابن عباس معنى الواجفة خائفة والمراد بذلك اصحاب القلوب يعني أنها قلقة غير هادئة ولا ساكنة لما عاينت من أهوال يوم القيامة (أبصارها خاشعة) أي ذليلة من هول ذلك اليوم قال عطاء يريد ابصار من مات على غير الاسلام (يقولون أئنا لمردودون في الحافرة) اي يقول هؤلاء المنكرون للبعث من مشركي قريش وغيرهم في الدنيا إذا قيل لهم انكم مبعوثون من بعد الموت انرد إلى أول

حالنا وابتداء أمرنا فنصير أحياء كما كنا والحافرة عند العرب اسم لأول الشيء وابتداء الأمر قال ابن عباس والسدي الحافرة الحياة الثانية وقيل الحافرة الارض المحفورة والمعنى أنرد من قبورنا بعد موتنا أحياء (أإذا كنا عظاما نخرة) أي بالية مفتتة والمعنى انهم أنكروا البعث فقالوا أنرد احياء إذا متنا وتفتتت عظامنا يقال نخر العظم ينخر فهو ناخر ونخر (قالوا تلك اذا كرة خاسرة) أي قال الكفار تلك الكرة الكائنة بعد الموت كرة خسران ومعناه ان أهلها خاسرون لأنهم نقلوا من نعيم الدنيا إلى عذاب النار والخاسر الذاهب رأس ماله وانما قالوا كرة خاسرة على معنى انه لا يجيء منها شيء كالخسران الذي لا يجيء منه فائدة فكأنهم قالوا هي كالخسران بذهاب رأس المال لا تجيء به تجارة فكذلك لا تجيء بتلك الكرة حياة وقيل معناه ان كان الامر على ما يقوله محمد من انا نبعث ونعاقب فتلك كرة ذات خسران علينا ثم اعلم سبحانه سهولة البعث عليه فقال (فإنما هي) يعني النفخة الاخيرة (زجرة واحدة) اي صيحة واحدة من اسرافيل يسمعونها وهم اموات في بطون الارض فيحيون وهو قوله (فإذا هم بالساهرة) وهي وجه الارض وظهرها عن الحسن وقتادة ومجاهد وغيرهم وقيل انها سميت الارض ساهرة لأن عملها في النبت في الليل والنهار دائب ولذلك قيل خير المال عين خرارة في ارض خوارة تسهر اذا نمت وتشهد إذا غبت ثم صارت اسما لكل ارض وقيل المراد بذلك عرصة القيامة لأنها اول مواقف الجزاء وهم في سهر لا نوم فيه

قوله تعالى (١٥) هَلْ أَتٰيكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٦) إِذْ نَادَيٰهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٩) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (٢٠) فَأَرَيٰهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢١) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٣) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٤) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٥) فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٦) إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى اثنتا عشرة آية

❁ القراءة ❁

قرأ اهل الحجاز والبصرة طوى بغير تنوين والباقون بالتنوين وقرأ أهل الحجاز وعباس ويعقوب تزكى بتشديد الزاء والباقون بتخفيفها

❁ الحجة ❁

قال أبو علي قال أبو عبيدة طوى مضمومة الاول ومكسورته فمن لم ينون جعله اسما مؤنثا ومن نون جعله مثل ثنى على معنى المقدس مرة بعد مرة وروي عن الحسن انه قرأ طوى بكسر الطاء وقال وطوي بالبركة والتقديس مرتين كما قال طرفة

اعاذل ان اللوم في غير كنهه ... علي طوى من غيك المتردد

اي أن لومك مكرر علي قال أبو علي من لم يصرف طوى احتمل قوله امرين ❁ احدهما ❁ انه جعله اسم بلدة أو بقعة أو يكون معدولا كزفر وعمر ومن صرف احتمل أيضا امرين ❁ احدهما ❁ ان يكون جعله اسم موضع أو بلد او مكان ❁ والآخر ❁ ان يكون مثل زحل وحطم ولكع وقوله تزكى معناه تطهر من الكفر والمبتدأ محذوف من اللفظ مراد في المعنى والتقدير هل لك إلى ذلك حاجة أو اربة قال الشاعر

فهل لكم فيها إلي فإنني ... طبيب بما اعيى النطاسي حذيما

ومن قال تزكى أراد تتزكى فأدغم تاء التفعل في الزاء لتقاربها ومن خفف حذف التاء التي أثبتها من ادغم وتخفيفها بالحذف أشبه

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصة موسى (ع) فقال (هل أتيك) يا محمد حديث موسى استفهام يراد به التقرير (إذ ناديه ربه) اي حين ناداه الله ودعاه فالنداء الدعاء بطريقة يا فلان فالمعنى قال له يا موسى (بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) اسم واد عن مجاهد وقتادة وقيل طوي بالتقديس مرتين وهو الموضع الذي كلم الله فيه موسى (اذهب إلى فرعون انه طغى) أي علا وتكبر وكفر بالله وتجاوز الحد في الاستعلاء والتمرد والفساد (فقل هل لك إلى أن تزكى) أي تتطهر من الشرك وتشهد ان لا إله إلا الله عن ابن عباس وهذا تلطف في الاستدعاء ومعناه هل لك رغبة الى ان تسلم وتصلح وتطهر (واهديك إلى ربك) أي وأدلك إلى معرفة ربك وانه خلقك ورباك وقيل واهديك اي ارشدك الى طريق الحق الذي إذا سلكته وصلت إلى رضاء الله وثوابه (فتخشى) اي فتخافه فتتارك ما نهاك عنه وفي الكلام حذف تقديره فأتاه ودعاه (فأريه الآية الكبرى) يعني العصا وقال الحسن هي اليد البيضاء (فكذب) بأنها من الله (وعصى) نبي الله وجحد نبوته (ثم أدبر) فرعون أي ولى الدبر ليطلب ما يكسر به حجة موسى في المعجزة العظيمة فما ازداد إلا غواية (يسعى) أي يعمل بالفساد في الارض وقيل إنه لما رأى الحية في عظمها خاف منها فأدبر وسعى هرباً عن الجبائي (فحشر) أي فجمع قومه وجنوده (فنادى) فيهم (فقال انا ربكم الاعلى) أي لا رب فوقي وقيل معناه انا الذي انال بالضرر من شئت ولا ينالني غيري وكذب اللعين انما هذه صفة الله الذي خلقه وخلق جميع الخلايق وقيل انه جعل الاصنام أرباباً فقال أنا ربها وربكم (فأخذه الله نكال الآخرة والاولى) نكال مصدر مؤكد لأن معنى اخذه الله نكل به نكال الاخرة والأولى بأن اغرقه في الدنيا ويعذبه في الآخرة وقيل معناه فعاقبه الله بكلمته الآخرة وكلمته الأولى فالآخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى قوله ما علمت لكم من إله غيري فنكل به نكال هاتين الكلمتين وجاء في التفسير عن أبي جعفر (ع) انه كان بين الكلمتين اربعون سنة وقيل انه انما ناداهم فقال انا ربكم الاعلى فامنعوني من هذا الثعبان ولم يعلم الجهال أن من يخاف ضرر حية ويستعين بأمثاله لا يكون إلهاً وعن وهب عن ابن عباس قال قال موسى (ع) يارب انك امهلت فرعون اربعمائة سنة وهو يقول انا ربكم الاعلى ويجحد رسلك ويكذب بآياتك فأوحى الله تعالى اليه انه كان حسن الخلق سهل الحجاب فاحببت أن اكافيه وروى ابو بصير عن ابي جعفر (ع) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال جبرئيل (ع) قلت يا رب تدع فرعون وقد قال أنا ربكم الاعلى فقال انما يقول هذا مثلك من يخاف الفوت (ان في ذلك) الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى (لعبرة) اي لعظة (لمن يخشى) الله تعالى ويخاف عقابه ونقمته ودلالة يمكن أن يعتبر بها العاقل ويميز بين الحق والباطل

النظم

وجه اتصال قصة موسى (ع) بما قبلها انه لما تقدم ذكر المكذبين للانبياء المنكرين للبعث عقبه بحديث موسى وتكذيب قومه اياه وما قاساه من الشدائد تسلية لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم وعدة له بالنصر وحثا اياه على الصبر اقتداء بموسى وتحذيرا لقومه أن ينزل بهم ما نزل بأولئك وعظة بهم وتأكيداً للحجة عليهم

قوله تعالى (٢٧) ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٨) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٩) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٣٠) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا (٣١) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣٢) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٣) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٤) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ (٣٥) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (٣٦) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (٣٧) فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٨) وَآثَرَ الْحَيَاةَ

الدُّنيا (٣٩) فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَى (٤٠) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَى (٤١) فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَى (٤٢) يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَيٰهَا (٤٣) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَيٰهَا (٤٤) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَيٰهَا (٤٥) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَيٰهَا (٤٦) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَيٰهَا عشرون آية

القراءة

قرأ ابو جعفر والعباس عن العياشي عن ابي عمرو إنما انت منذر بالتنوين والباقون بغير تنوين وفي الشواذ قراءة الحسن وعمرو بن عبيد والجبال ارساها بالرفع وقراءة مجاهد والارض مع ذلك دحاها وقراءة عكرمة وبرزت الجحيم لمن ترى بالتاء

الحجة

قال ابو علي حجة التنوين في قوله انما انت منذر ان اسم الفاعل هنا للحال ويدل عليه قوله قل إنما انذركم بالوحي فليس المراد انذر فيما استقبل وانما يقول انذر في الحال واسم الفاعل على قياس الفعل ومن اضاف استخف فحذف التنوين كما حذف من قوله فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم ونحو ذلك مما جاء على لفظ الاضافة والمراد به الانفصال ويجوز ان يكون منذر من على نحو هذا ضارب زيداً امس لأنه قد فعل الانذار ومن قرأ والجبال ارساها بالرفع فإنه مثل قراءة من قرأ والظالمون اعد لهم وقد تقدم بيانه ومن قرأ والارض مع ذلك فلعله قال ذلك تفسيرا للقراءة المشهورة لأنه ليس الغرض فيه ترتيب الزمان وانما الغرض اجتماعها اعني السماوات والارض في الخلق لا في ان زمان الفعلين واحد وهذا كقولك فلان كريم فيقول السامع وهو مع ذلك شجاع اي قد اجتمع له الوصفان واما قوله لمن ترى بالتاء المفتوحة فيمكن ان يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم والمراد لمن ترى يا محمد من الناس فأشار إلى البعض وغرضه الجنس والجميع كقول لبيد

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد

فأشار إلى جنس الناس ونحن نعلم انه ليس جميعهم شاهدا حاضرا له ويمكن ان يكون التاء في ترى للجحيم أي لمن تراه النار

اللغة

السمك الارتفاع وهو مقابل العمق لأنه ذهاب الجسم بالتأليف إلى جهة العلو وبالعكس صفة العمق والمسموكات السماوات لارتفاعها ومنه قول امير المؤمنين (ع) يا داعم المسموكات قال الفرزدق

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

والتسوية جعل احد الشيئين على مقدار الآخر في نفسه أو في حكمه والغطش الظلمة وأغطشه الله اظلمه والاغطش الذي في عينيه شبه العمش وفلاة غطشاء لا يهتدى فيها والدحو البسط دحوت ادحو دحوا ودحيت ادحي دحيا لغتان قال امية بن ابي الصلت

دار دحاها ثم اعمر بابها واقام بالاخرى التي هي امجد

وقال اوس

ينفي الحصى عن جديد الارض مبترك كأنه فاحص او لاعب داح

والطامة العالية الغالبة يقال هذا أطم من هذا أي اعلى منه وطم الطائر الشجرة علاها وتسمى الداهية التي لا يستطاع دفعها طامة

﴿ الإعراب ﴾

والأرض منصوب بفعل مضمر الذي ظهر تفسيره وكذا قوله والجبال ارساها متاعا لكم مفعول له لأن المعنى لإمتاعكم ويجوز أن يكون منصوبا على المصدر لأن معنى قوله أخرج منها ماءها ومرعاها امتع بذلك وقوله فإن الجحيم هي المأوى وتقديره هي المأوى له قال الزجاج وقال قوم الألف واللام بدل من الضمير العائد أي هي مأواه والمراد أن المعنى يؤول إلى التي هي مأواه لأن الالف واللام بدل من الهاء وهذا كما يقول الإنسان غض الطرف يا هذا فليس الالف واللام بدلا من الكاف وان كان المعنى غض طرفك لأن المخاطب يعرف انك لاتأمره بغض طرف غيره قال

فغض الطرف إنك من نمير فلا سعدا بلغت ولا كلابا

وكذلك المعنى في الآية وجواب إذا في قوله فإذا جاءت الطامة الكبرى في قوله فأما من طغى وما بعده فإن المعنى إذا جاءت الطامة الكبرى فإن الامر كذلك وقوله او ضحاها اضاف الضحى إلى العشية والغداة والعشي والضحوة والضحى لليوم الذي يكون فيه فإذا قلت أتيتك صباحا ومساء ومساءة وصباحة فالمعني أتيتك صباحا ومساء يلي الصباح واتيتك مساء وصباحا يلي المساء وتقول اتيتك العشية وغداتها

﴿ المعنى ﴾

لما قدم سبحانه ما اتى به موسى وما قابله به فرعون وما عوقب به في الدارين عظة لمن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتحذيرا لهم من المثلات خاطب عقيب ذلك منكري البعث فقال (ءأنتم) ايها المشركون المنكرون للبعث (أشد خلقا ام السماء) يعني أخلقكم بعد الموت اشد عندكم وفي تقديركم ام السماء وهما في قدرة الله تعالى واحد وهذا كقوله لخلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس ثم ابتدأ فبين سبحانه كيف خلق السماء فقال (بناها) الله تعالى الذي لا يكبر عليه خلق شيء (رفع سمكها) سقفها وما ارتفع منها (فسواها) بلا شقوق ولا فطور ولا تفاوت وقيل سواها احكمها وجعلها متصرفا للملائكة (واغطش ليلها) أي اظلم ليلها عن ابن عباس ومجاهد وقتادة (واخرج ضحيها) اي ابرز نهارها وإنما اضاف الليل والضحى إلى السماء لأن منها منشأ الظلام والضياء بغروب الشمس وطلوعها على ما دبرها الله عز وجل (والارض بعد ذلك دحيها) اي بعد خلق السماء بسطها من الدحو وهو البسط قال ابن عباس ان الله تعالى دحا الارض بعد السماء وان كانت الارض خلقت قبل السماء وكانت ربوة مجتمعة تحت الكعبة فبسطها وقال مجاهد والسدي معناه والارض مع ذلك دحاها كما قال عتل بعد ذلك زنيم اي مع ذلك (اخرج منها)اي من الارض(ماءها) والمعنى فجر الانهار والبحار والعيون عن ابن عباس (ومرعيها) مما ياكل الناس والانعام بين سبحانه بذلك جميع المنافع المتعلقة بالارض من المياه التي بها حياة كل شيء من الحيوانات والاشجار والثمار والحبوب والعيون عن ابن عباس وبها يحصل جميع الارزاق والنبات التي تصلح للمواشي فهي ترعاه بأن تاكله في موضعه (والجبال ارسيها) أي اثبتها في اوساط الارض (متاعا لكم ولأنعامكم) اي خلق سبحانه الارض واخرج منها المياه والمراعي واثبت الجبال بما فيها من انواع المعادن لمنفعتكم ومنفعة انعامكم تنتفعون بها ولما دل سبحانه بهذه الاشياء على صحة البعث وصف يوم البعث فقال (فإذا جاءت الطامة الكبرى) وهي القيامة لأنها تطم على كل داهية هائلة اي تعلو وتغلب ومن ذلك يقال ما من طامة الاوفوقها طامة والقيامة فوق كل طامة فهي الداهية العظمى قال الحسن هي النفخة الثانية وقيل هي الغاشية الغليظة المجللة التي تدقق الشيء بالغلظ وقيل ان ذلك حين يساق اهل الجنة إلى الجنة واهل النار إلى النار (يوم يتذكر الانسان ما سعى) اي تجيء الطامة في يوم يتذكر الانسان ما عمله من خير او شر (وبرزت الجحيم) اي اظهرت النار (لمن يرى) فيراها الخلق مكشوفا عنها الغطاء ويبصرونها مشاهدة (فأما من طغى) اي تجاوز الحد الذي

حده الله له وارتكب المعاصي (وآثر الحياة الدنيا) على الآخرة (فإن الجحيم هي المأوى) له والإيثار إرادة الشيء على طريقة التفضيل له على غيره (وأما من خاف مقام ربه) أي خاف مقام مسألة ربه عما يجب عليه فعله او تركه (ونهى النفس عن الهوى) أي عن المحارم التي تشتهيها وتهواها وقيل ان الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتر كها عن مقاتل (فإن الجنة هي المأوى) له أي هي مقره ومأواه ثم خاطب سبحانه نبيه ﷺ فقال (يسئلونك عن الساعة أيان مرسيها) أي متى يكون قيامها ثابتة على ما وصفتها (فيم أنت من ذكريها) أي لست في شيء من علمها وذكراها والمعنى لا تعلمها قال الحسن أي ليس عندك علم بوقتها وانما تعلم انها تكون لا محالة وقيل معناه ليس هذا مما يتصل بما بعثت لأجله فإنما بعثت داعيا وقيل انها من حكاية قولهم والمعنى انك قد اكثرت من ذكراها فمتى يكون (الى ربك منتهيها) أي قل لهم الى الله اجراؤها والمنتهى موضع بلوغ الشيء فكأنه قيل الى أمر ربك منتهى أمرها بإقامتها لأن منتهى أمرها بذكرها ووصفها والإقرار بها الى الرسول ومنتهى أمرها بإقامتها الى الله لا يقدر عليها الا هو سبحانه وقيل معناه الى ربك منتهى علمها أي لا يعلم وقتها الا هو عن الحسن (انما أنت منذر من يخشيها) أي انما انت مخوف من يخاف قيامها أي انما ينفع انذارك من يخافها فأما من لا يخشاها فكأنك لم تنذره (كأنهم يوم يرونها) أي يعاينون القيامة (لم يلبثوا) في الدنيا (الا عشية أو ضحيها) أي الا قدر آخر نهار وأوله ومثله كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقد مر بيانه وقيل ان معناه انهم اذا رأوا الآخرة صغرت الدنيا في اعينهم حتى كأنهم لم يقيموا بها الا مقدار عشية او مقدار ضحى تلك العشية عن قتادة

سورة عبس

وتسمى سورة السفرة مكية

﴿ عدد آيها ﴾

اثنتان وأربعون آية حجازي كوفي واحدى واربعون بصري واربعون شامي والمدني الاول

﴿ اختلافها ﴾

ثلاث آيات ولأنعامكم حجازي كوفي الى طعامه غير يزيد الصاخة غير الشامي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأ سورة عبس جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر وروى معاوية بن وهب عن ابي عبد الله (ع) قال ومن قرأ سورة عبس وتولى واذا الشمس كورت كان تحت (؟) الله من الجنان وفي ظل الله وكرامته في جنانه ولا يعظم ذلك على ربه عزوجل

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر انذاره من يخشى القيامة افتتح هذه السورة بذكر انذاره قوما يرجو اسلامهم واعراضه عمن يخشى فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) عَبَسَ وَتَوَلَّى (٢) أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى (٣) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٤) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى (٥) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٦) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّى (٧) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا

يَزَّكَّى (٨) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٩) وَهُوَ يَخْشَى (١٠) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١١) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١٢) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٣) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٤) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٥) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٦) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٧) قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٨) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٩) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢١) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢٢) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٣) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ثلاث وعشرون آية

❋ القراءة ❋

قرأ عاصم غير الأعشى والبرجمي فتنفعه بالنصب والباقون بالرفع وقرأ اهل الحجاز تصدى بالتشديد والباقون تصدى بتخفيف الصاد وفي الشواذ قراءة الحسن ان جاءه وقراءة ابي جعفر الباقر (ع) تصدى بضم التاء وفتح الصاد وتلهّى بضم التاء أيضاً وقراءة ابي حياة وشعيب بن ابي حمزة نشره بغير ألف

❋ الحجة ❋

قال أبو علي من قرأ فتنفعه بالرفع عطفه على ما تقدم من المرفوع ومن قرأ بالنصب فعلى انه جواب بالفاء لأن المتقدم غير موجب فكأن قوله تعالى يذكر المعطوف على يزكى في معنى لعله يكون منه تذكر فانتفاع وكذا قوله لعلي أبلغ الاسباب اسباب السماوات فاطلع وقوله تصدى أي تعرض فمن قرأ بتشديد الصاد ادغم التاء في الصاد ومن قرأ بالتخفيف اراد تتصدى فحذف التاء ولم يدغمها وقرأ ابن فليح والبري عن ابن كثير تلهى بتشديد التاء على انه شبه المنفصل بالمتصل وجاز وقوع الساكن بعد اللين كما جاز تمودّ الثوب في المتصل وحكى سيبويه فلا تناجوا ومن قرأ آن جاءه بلفظ الاستفهام فتقديره الآن جاءه الأعمى وكان ذلك منه فعلق ان يفعل بمحذوف دلّ عليه عبس وتولى واما على القراءة المشهورة فإن جاءه في موضع نصب بتولي لأنه الفعل الأقرب منه فكأنه قال تولى لمجيء الاعمى وهو مفعول له ومن قرأ تصدى فالمعنى يدعوك داع من زينة الدنيا وبشارتها الى التصدي له والاقبال عليه وعلى ذلك قوله تلهّى ايضا أي تصرف عنه ومن قرأ نشره فعلى انه لغة في انشره

❋ اللغة ❋

التصدي التعرض للشيء كتعرض الصديان للماء والصحف جمع صحيفة والعرب تسمي كل مكتوب فيه صحيفه كما تسميه كتابا رقا كان أو غيره والسفرة الكتبة لاسفار الحكمة واحدهم سافر وواحد الاسفار سفر واصله الكشف من قولهم سفرت المرأة اذا كشفت عن وجهها وسفرت القوم اذا اصلحت بينهم قال

وما أدع السفارة بين قومي   وما امشي بغش إن مشيت

والبررة جمع بار وهو فاعل البر والبر فعل النفع اجتلابا للمودة واصله اتساع النفع ومنه البر سمي به تفاؤلاً باتساع النفع به واقبره جعل له قبراً فالاقبار جعل القبر لدفن الميت فيه ويقال اقبرني فلانا اي اجعلني اقبره والقابر الدافن الميت بيده قال الاعشى:

لو اسندت ميتا الى نحرها   عاش ولم ينقل الى قابر

حتى يقول الناس مما رأوا يا عجبا للميت الناشر

والانشار الاحياء للتصرف بعد الموت كنشر الثوب بعد الطي

﴿ الاعراب ﴾

ثم السبيل يسره انتصب السبيل بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر تقديره ثم يسر السبيل يسره له أي للإنسان ثم حذف الجار والمجرور وقوله كلا لما يقض ما أمره اي ما امره به فحذف الباء فصار التقدير ما امره هو به فحذف الاول فصار ما امره فالهاء الباقية لما الموصولة والهاء المحذوفة للانسان .

﴿ النزول ﴾

قيل نزلت الآيات في عبد الله بن ام مكتوم وهو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لوي وذلك انه اتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يناجي عتبة بن ربيعة وابا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبيا وامية ابني خلف يدعوهم الى الله ويرجو اسلامهم فقال يا رسول الله اقرئني وعلمني مما علمك الله فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري انه مشتغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد انما اتباعه العميان والعبيد فأعرض عنه واقبل على القوم الذين يكلمهم فنزلت الآيات وكان رسول الله بعد ذلك يكرمه واذا رآه قال مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين وقال انس بن مالك فرأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء قال المرتضى علم الهدى قدس الله روحه ليس في ظاهر الآية دلالة على توجهها الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بل هو خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه وفيها ما يدل على ان المعني بها غيره لأن العبوس ليس من صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الاعداء المباينين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين ثم الوصف بأنه يتصدى للأغنياء ويتلهى عن الفقراء لا يشبه اخلاقه الكريمة ويؤيد هذا القول قوله سبحانه في وصفه صلى الله عليه وآله وسلم وانك لعلى خلق عظيم وقوله ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فالظاهر ان قوله عبس وتولى المراد به غيره وقد روي عن الصادق (ع) انها نزلت في رجل من بني امية كان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاء ابن ام مكتوم فلما رآه تقذر منه وجمع نفسه وعبس واعرض بوجهه عنه فحكى الله سبحانه ذلك وانكره عليه فإن قيل فلو صح الخبر الاول هل يكون العبوس ذنبا أم لا فالجواب ان العبوس والانبساط مع الاعمى سواء اذ لا يشق عليه ذلك فلا يكون ذنبا فيجوز ان يكون عاتب الله سبحانه بذلك نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ليأخذه بأوفر محاسن الاخلاق وينبهه بذلك على عظم حال المؤمن المسترشد ويعرفه ان تأليف المؤمن ليقيم على ايمانه اولى من تأليف المشرك طمعاً في ايمانه وقال الجبائي في هذا دلالة على ان الفعل يكون معصية فيما بعد لمكان النهي فأما في الماضي فلا يدل على انه كان معصية قبل ان ينهى عنه والله سبحانه لم ينهه الا في هذا الوقت وقيل ان ما فعله الأعمى نوعا من سوء الادب فحسن تأديبه بالإعراض عنه الا انه كان يجوز ان يتوهم انه اعرض عنه لفقره واقبل عليهم لرياستهم تعظيما لهم فعاتبه الله سبحانه على ذلك وروي عن الصادق (ع) أنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا رأى عبد الله بن أم مكتوم قال مرحبا مرحبا لا والله لا يعاتبني الله فيك أبداً وكان يصنع به من اللطف حتى كان يكف عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مما يفعل به

المعنى

(عبس) اي بسر وقبض وجهه (وتولى) اي اعرض بوجهه (ان جاءه الأعمى) اي لان جاءه الاعمى (وما يدريك لعله) أي لعل هذا الاعمى (يزكى) يتطهر بالعمل الصالح وما يتعلمه منك (أو يذكر) أي يتذكر فيتعظ بما يعلمه من مواعظ القرآن (فتنفعه الذكرى) في دينه قالوا وفي هذا لطف من الله عظيم لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم اذ لم يخاطبه في باب العبوس فلم يقل عبست فلما جاوز العبوس عاد الى الخطاب فقال وما يدريك ثم قال (أما من استغنى) اي من كان عظيماً في قومه واستغنى بالمال (فأنت له تصدى) اي تتعرض له وتقبل عليه بوجهك (وما عليك الا يزكى) اي أيُّ شيء يلزمك ان لم يسلم ولم يتطهر من الكفر فإنه ليس عليك الا البلاغ (واما من جاءك يسعى) اي يعمل في الخير يعني ابن ام مكتوم (وهو يخشى) الله عز وجل (فأنت عنه تلهى) اي تتغافل وتشتغل عنه بغيره (كلا) اي لا تعد لذلك وانزجر عنه (إنها تذكرة) اي انَّ آيات القرآن تذكير وموعظة للخلق (فمن شاء ذكره) اي ذكر التنزيل او القرآن أو الوعظ والمعنى فمن شاء ان يذكره ذكره وفي هذا دلالة على ان العبد قادر على الفعل مخير فيه وقوله كلا فيه دلالة على انه ليس له ان يفعل ذلك في المستقبل واما الماضي فلم يتقدم النهي عن ذلك فيه فلا يكون معصية ثم اخبر سبحانه بجلالة قدر القرآن عنده فقال (في صحف مكرمة) اي هذا القرآن أو هذه التذكرة في كتب معظمة عند الله وهي اللوح المحفوظ عن ابن عباس وقيل يعني كتب الانبياء المنزلة عليهم كقوله ان هذا لفي الصحف الاولى (مرفوعة) في السماء السابعة وقيل مرفوعة قد رفعها الله عن دنس الانجاس (مطهرة) لا يمسها الا المطهرون وقيل مصونة عن ان تنالها ايدي الكفرة لأنها في ايدي الملائكة في اعز مكان عن الجبائي وقيل مطهرة من كل دنس عن الحسن وقيل مطهرة من الشك والشبهة والتناقض (بأيدي سفرة) يعني الكتبة من الملائكة عن ابن عباس ومجاهد وقيل يعني السفراء بالوحي بين الله تعالى وبين رسله من السفارة وقال قتادة هم القراء يكتبونها ويقرأونها وروى فضيل بن يسار عن الصادق عليه السلام قال الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة ثم أثنى عليهم فقال (كرام) على ربهم (بررة) مطيعين وقيل كرام عن المعاصي يرفعون انفسهم عنها بررة اي صالحين متقين وقال مقاتل كان القرآن ينزل من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا ليلة القدر الى الكتبة من الملائكة ثم ينزل به جبريل (ع) إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم ذكر سبحانه المكذبين بالقرآن فقال (قتل الإنسان) اي عذب ولعن الانسان وهو اشارة الى كل كافر عن مجاهد وقيل هو امية بن خلف عن الضحاك وقيل هو عتبة بن ابي لهب اذ قال كفرت برب النجم اذا هوى (ما اكفره) اي ما أشد كفره وما أبين ضلاله وهذا تعجب منه كأنه قد قال تعجبوا منه ومن كفره مع كثرة الشواهد على التوحيد والايمان وقيل ان ما للاستفهام اي أيُّ شيء اكفره وأوجب كفره عن مقاتل والكلبي فكأنه قال ليس ها هنا شيءٌ يوجب الكفر ويدعو اليه فما الذي دعاه اليه مع كثرة نعم الله عليه ثم بين سبحانه من امره ما كان ينبغي معه ان يعلم ان الله خالقه فقال (من اي شيءٌ خلقه) لفظه استفهام ومعناه التقرير وقيل معناه لم لا ينظر الى أصل خلقته من اي شيءٌ خلقه الله ليدله على وحدانية الله تعالى ثم فسر فقال (من نطفة خلقه فقدره) اطوارا نطفة ثم علقة الى آخر خلقة وعلى حد معلوم من طوله وقصره وسمعه وبصره وحواسه واعضائه ومدة عمره ورزقه وجميع احواله (ثم السبيل يسره) اي ثم يسر سبيل الخروج من

بطن امه حتى خرج منه عن ابن عباس وقتادة وذلك ان رأسه كان الى رأس امه وكذلك رجلاه كانتا إلى رجليها فقلبه الله عند الولادة ليسهل خروجه منها وقيل ثم السبيل اي سبيل الدين يسره وطريق الخير والشر بين له وخيره ومكنه من فعل الخير واجتناب الشر ونظيره وهديناه النجدين عن مجاهد والحسن وابن زيد (ثم اماته) اي خلق الموت فيه وقيل ازال عنه حياته (فأقبره) اي صيره بحيث يقبره وجعله ذا قبر عن ابي مسلم وقيل جعله مقبوراً ولم يجعله ممن يلقى الى السباع والطير عن الفراء وقيل امر بأن يقبر عن ابي عبيدة (ثم اذا شاء انشره) اي احياه من قبره وبعثه اذا شاء تعالى ان يحييه للجزاء والحساب والثواب والعقاب عن الحسن (كلا) أي حقا (لما يقض) أي لم يقض (ما امره) الله به من اخلاص عبادته ولم يؤد حق الله تعالى عليه مع كثرة نعمه قال مجاهد هو على العموم في الكافر والمسلم لم يعبده أحد حق عبادته .

قوله تعالى (٢٤) فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَٰنُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٥) أَنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبًّا (٢٦) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٧) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٨) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٩) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٣٠) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣١) وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا (٣٢) مَتَٰعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ (٣٣) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٤) يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٥) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٦) وَصَٰحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٧) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٨) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٩) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٤٠) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤١) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤٢) أُولَٰئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ تسع عشرة آية

القراءة

قرأ اهل الكوفة انا صببنا بالفتح والباقون بالكسر وفي الشواذ قراءة ابن محيصن يعنيه بالعين وفتح الياء

الحجة

قال ابو علي من كسر كان ذلك تفسيراً للنظر الى طعامه كما ان قوله لهم مغفرة تفسير للوعد ومن فتح فقال انا فالمعنى على البدل بدل الاشتمال لأن هذه الأشياء مشتملة على كون الطعام وحدوثه فهو من نحو يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه وقتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود وقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره لأن الذكر كالمشتمل على المذكور ومعنى الي طعامه الى كون طعامه وحدوثه وهو موضع الاعتبار قال ابن جني قوله يعنيه بالعين قراءة حسنة الا ان قراءة الجماعة اقوى معنى فإن الانسان قد يعنيه الشيء ولا يغنيه غن غيره الا ترى ان من كان له الف درهم فيؤخذ منها مائة درهم يعنيه امرها ولا يغنيه عن بقية ماله ان يهتم به ويراعيه فأما اذا اغناه الأمر عن غيره فإن ذلك اقوى فاعرفه

الحديقة البستان المحوط وجمعه حدائق ومنه قولهم احدق به القوم اذا احاطوا به والغلب الغلاظ شجرة غلباء غليظة قال الفرزدق

عوى فأثار اغلب ضيغميا . فويل ابن المراغة ما استثارا

والأب المرعى من الحشيش وسائر النبات الذي ترعاه الأنعام والدواب ويقال أب الى سيفه فاستله

اي بدر اليه وهب اليه فيكون كبدور المرعى بالخروج قال الاعشى

صرمت ولم اصرمكم وكصارم　　　أخ قد طوى كشحاً وأبَّ ليذهبا

وقال في الأب

جذ مناقيس ونجد دارنا　　　ولنا الأب بها والمكرع

والصاخة الصاكة لشدة صوتها الآذان فتصمها والقترة ظلمة الدخان ومنه القتار ريح الشواء لأنها كالدخان

❊ الاعراب ❊

فإذا جاءت الصاخة العامل في الظرف في قوله لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه اي ثبت لكل امرىء منهم ذلك في وقت مجيء الصاخة

❊ المعنى ❊

لما ذكر سبحانه خلق ابن آدم ذكر رزقه ليعتبر فقال (فلينظر الإنسان الى طعامه) الذي يأكله ويتقوته من الأطعمة الشهية اللذيذة كيف خلقها سبحانه وهيأها لرزق عباده ليفكر كيف مكنه من الانتفاع بذلك ثم بين فقال (أنا صببنا الماء صبا) اي نزلنا الغيث انزالاً (ثم شققنا الأرض شقا) بالنبات (فأنبتنا فيها) اي في الأرض (حبا) اي جنس الحبوب التي يتغذى بها وتدخر (وعنبا) خص العنب لكثرة منافعه (وقضبا)وهو القت الرطب يقضب مرة بعد اخرى يكون علفا للدواب عن ابن عباس والحسن (وزيتونا) وهو ما يعصر عنه الزيت (ونخلا) جمع نخلة (وحدائق غلبا) اي وبساتين محوطة تشتمل على أشجار عظام غلاظ مختلفة وقيل غلبا ملتفة الشجر عن مجاهد (وفاكهة) يعني سائر ألوان الفواكه (وأبًّا) وهو المرعى والكلأ الذي لم يزرعه الناس مما تأكله الأنعام وقيل ان الأب للأنعام كالفاكهة للناس(متاعا) أي منفعة (لكم ولأنعامكم) مر معناه ثم ذكر يوم القيامة فقال (فإذا جاءت الصاخة) يعني صيحة القيامة عن ابن عباس سميت بذلك لأنها تصخ الآذان اي تبالغ في اسماعها حتى تكاد تصمها وقيل لأنها يصخ لها الخلق اي يستمع وقد قلب حرف التضعيف ياء لكراهية التضعيف فقالوا صاخ كما قالوا تظنيت في تظننت وتقضى البازي في تقضض ثم ذكر سبحانه في أي وقت تجيء الصاخة فقال (يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته) أي وزوجته (وبنيه) اي اولاده الذكور اي لا يلتفت الى واحد من هؤلاء لعظم ما هو فيه وشغله بنفسه وان كان في الدنيا يعتني بشأنهم وقيل يفر منهم حذراً من مطالبتهم اياه بما بينه وبينهم من التبعات والمظالم وقيل لعلمه بأنهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيئا ويجوز ان يكون مؤمنا واقرباؤه من اهل النار فيعاديهم ولا يلتفت اليهم أو يفر منهم لئلا يرى ما نزل بهم من الهوان (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) اي لكل انسان منهم امر عظيم يشغله عن الأقرباء ويصرفه عنهم ومعنى يغنيه يكفيه من زيادة عليه اي ليس فيه فضل لغيره لما هو فيه من الأمر الذي قد اكتنفه وملأ صدره فصار كالغني عن الشيء في امر نفسه لا ينازع اليه وروي عن عطاء بن يسار عن سودة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبعث الناس عراة حفاة عزلا يلجمهم العرق ويبلغ شحمة الآذان قالت قلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض قال شغل الناس عن ذلك وتلا رسول الله لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ثم قسم سبحانه احوال الناس في ذلك

اليوم فقال (وجوه يومئذ مسفرة) اي مشرقة مضيئة (ضاحكة مستبشرة) من سرورها وفرحها بما اعد لها من الثواب واراد بالوجوه اصحاب الوجوه (ووجوه يومئذ عليها غبرة) أي سواد وكآبة لهم (ترهقها) أي تعلوها وتغشاها (قترة) أي سواد أو كسوف عند معاينة النار وقيل ان الغبرة ما انحطت من السماء الى الارض والقترة ما ارتفعت من الأرض الى السماء عن زيد بن اسلم (أولئك هم الكفرة) في أديانهم (الفجرة) في افعالهم واستدلت الخوارج بذلك على ان من ليس بمؤمن لا بد ان يكون كافرا فإن الله سبحانه قسم الوجوه هذين القسمين ولا تعلق لهم به لأنه سبحانه ذكر هنا قسمين من الوجوه متقابلين وجوه المؤمنين ووجوه الكفار ولم يذكر وجوه الفساق من أهل الصلاة فيجوز ان يكون لها صفة اخرى بأن يكون عليها غبرة لا تغشاها قترة او يكون عليها صفرة او لون آخر

سورة كورت

ومنهم من يقول سورة التكوير مكية

﴿ عدد آياتها ﴾

تسع وعشرون آية

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأ سورة اذا الشمس كورت اعاذه الله تعالى ان يفضحه حين تنشر صحيفته . ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من احب ان ينظر الى يوم القيامة فليقرأ اذا الشمس كورت وروى ابو بكر قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله اسرع اليك الشيب قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فأما ما روي عن انس انه سئل هل اختضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ما شانه الشيب فقيل او شين هو يا أبا حمزة فقال كلكم يكرهه فالوجه فيه انه يجوز أن يكون المراد بقوله شيبتني أنه لو كان امر يشيب منه انسان لشبت من قراءة هذه السطور وقد روي أن عليا (ع) لما غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجد في لحيته شعرات بيضا وما لا يظهر الا بعد التفتيش لا يكون شيبا

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم الله سبحانه سورة عبس بذكر يوم القيامة وأهوالها افتتح هذه السورة ايضا بذكر علاماتها وأحوالها فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ (٢) وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ (٣) وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ (٤) وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ (٥) وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ (٦) وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٧) وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ (٨) وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ (٩) بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ (١٠) وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ (١١) وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ (١٢) وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٣) وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (١٤) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ اربع عشرة آية

القراءة

قرأ ابن كثير واهل البصرة سجرت بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرأ اهل المدينة وابن عامر وعاصم ويعقوب وسهل نشرت بالتخفيف والباقون بالتشديد وقرأ أهل المدينة وابن عامر ورويس وعاصم وغير يحيى وحماد سعرت بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ ابو جعفر قتلت بالتشديد والباقون بالتخفيف وروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) واذا المودة سئلت بفتح الميم والواو وروي ذلك عن ابن عباس ايضا وروي عن امير المؤمنين (ع) واذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت وهو قراءة ابن عباس ويحيى بن يعمر ومجاهد وابي الضحى وجابر بن زيد

الحجة

قال ابو علي حجة سجرت قوله والبحر المسجور وقيل في البحر المسجور انه الفارغ والمتلئ ومن الممتلئ قول الشاعر في صفة رحل

إذا شاء طالع مسجورة ترى حولها النبع والساسما

وحجة تشديد نشرت قوله صحفا منشرة وحجة سعرت بالتخفيف قوله وكفى بجهنم سعيراً فسعير فعيل بمعنى مفعول وهذا انما يجيء من فعل وحجة من قال سجرت أن الفعل مسند الى ضمير كثرة من باب غلقت الابواب وحجة نشرت خفيفة قوله في رق منشور وحجة سعرت مشددة كلما خبت زدناهم سعيرا فهذا يدل على كثرة وشيء بعد شيء فحقه التشديد ومن قرأ واذا الموؤدة سألت بفتح السين جعل الموؤدة موصوفة بالسؤال وبالقول بأي ذنب قتلت ويمكن ان يكون الله سبحانه اكلها في تلك الحال واقدرها على النطق حتى قالت ذلك القول ويعضده ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يجيء المقتول ظلما يوم القيامة وأوداجه تشخب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك متعلقا بقاتله يقول يا رب سل هذا فيم قتلني ومن قرأ قتلت بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل لأن المراد بالموؤدة هنا الجنس فإرادة التكرار جائزة واما من قرأ المودة بفتح الميم والواو فالمراد بذلك الرحم والقرابة وأنه يسأل قاطعها عن سبب قطعها وروي عن ابن عباس انه قال هو من قتل في مودتنا أهل البيت (ع) وعن ابي جعفر (ع) قال يعني قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن قتل في جهاد وفي رواية اخرى قال هو من قتل في مودتنا وولايتنا

اللغة

التكوير التلفيف على جهة الاستدارة ومنه كور العمامة كرت العمامة على رأسي اكورها كوراً وكورتها تكويراً وطعنه فكوره اذا القاه مجتمعاً ونعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من النقصان بعد الزيادة والانكدار انقلاب الشيء حتى يصير اعلاه أسفله بما لو كان ماء لتكدر واصله الانصباب قال العجاج « ابصر خربان فضاء فانكدر » والعشار جمع عشراء وهي الناقة التي قد اتى عليها عشرة أشهر من حملها والناقة اذا وضعت لتمام في سنة واصل السجر الملأ قال لبيد

فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا قلامها

أي مملوء وتنور مسجور مملوء بالنار والموؤدة وأدا يئدوأد وكانت العرب تئد البنات خوف الإملاق قال قتادة جاء قيس بن عاصم التميمي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال اني وأدت ثماني بنات في الجاهلية فقال

فاعتق عن كل واحدة رقبة قال اني صاحب ابل قال فاهد الى من شئت عن كل واحدة بدنة قال الجبائي انما سميت موؤدة لأنها ثقلت في التراب الذي طرح عليها حتى ماتت وهذا خطأ لأن الموؤدة من وأديئد معتل الفاء ومن الثقل آده يؤده اثقله وهو معتل العين ولو كانت مأخوذة منه لقيل مؤودة على وزن معوودة وروي عن النبي ﷺ انه سئل عن العزل فقال ذاك الوأد الخفي قال الفرزدق

ومنا الذي منع الوائدات فأحيا الوئيد فلم توأد

وقال

ومنا الذي احيا الوئيد وغالب وعمرو ومنا غالب والاقارع

والكشط القلع عن شدة التزاق والكشط والقشط واحد وفي حرف عبد الله وإذا السماء قشطت والتسعير تهييج النار حتى تتأجج ومنه السعر لأنه حال يهيج الثمن بالارتفاع والانحطاط

الاعراب

ارتفعت الشمس بفعل مضمر تقديره إذا كورت الشمس كورت ولا يجوز اظهاره لأن ما بعده يفسره وإنما احتيج إلى اضمار فعل لأن في إذا معنى الشرط والشرط يقتضي الفعل وجواب إذا قوله علمت نفس ما احضرت فإذا في موضع النصب لأنه ظرف لعلمت وعلى هذا يجري امثاله والجملة التي هي الفعل المحذوف مع فاعله بعد إذا في موضع جر بإضافة إذا اليها والتقدير وقت تكوير الشمس تعلم كل نفس ما عملته وتجزى به وعلى هذا فهنا اثنا عشر ظرفا كلها اضافة الى الجمل من قوله اذا الشمس كورت الى قوله وإذا الجنة ازلفت والعامل فيها كلها قوله علمت نفس ما احضرت

المعنى

اخبر الله سبحانه عن القيامة وشدائدها فقال (إذا الشمس كورت) اي ذهب ضوءها ونورها فأظلمت واضمحلت عن ابن عباس وابي ومجاهد وقتادة وقيل القيت ورمي بها عن ابي صالح والربيع بن خيثم وقيل جمع ضوءها ولفت كما تلف العامة عن الزجاج والمعنى ان الشمس تكور بأن يجمع نورها حتى تصير كالكارة الملقاة ويذهب ضوءها ويحدث الله تعالى للعباد ضياء غيرها (وإذا النجوم انكدرت) اي تساقطت وتناثرت عن مجاهد وقتادة والربيع بن خيثم يقال انكدر الطائر من الهواء اذا انقض وقيل تغيرت من الكدورة عن الجبائي والاول اولى لقوله واذا الكواكب انتثرت الا ان تقول يذهب ضوءها ثم تتناثر (واذا الجبال سيرت) عن وجه الارض فصارت هباء منبثا وسرابا (واذا العشار) وهي النوق الحوامل اتت عليها عشرة اشهر وبعد الوضع تسمى عشارا أيضا وهي انفس مال عند العرب (عطلت) اي تركت هملا بلا راع وقيل العشار السحاب تعطل فلا تمطر عن الجبائي وحكي ذلك عن ابي عمرو قال الازهري لا اعرف هذا في اللغة (واذا الوحوش حشرت) اي جمعت حتى يقتص لبعضها من بعض فيقتص للجماء من القرناء ويحشر الله سبحانه الوحوش ليوصل اليها ما تستحقه من الاعواض على الآلام التي نالتها في الدنيا وينتصف لبعضها من بعض فإذا وصل اليها ما استحقته من الاعواض فمن قال ان العوض دائم تبقى منعمة الى الابد ومن قال تستحق العوض منقطعا فقال بعضهم يديم الله لها تفضلا لئلا يدخل على المعوض غم بانقطاعه وقال بعضهم اذا فعل الله بها ما استحقته من الاعواض جعلها ترابا (وإذا البحار سجرت) اي ارسل عذبها على مالحها

ومالحها على عذبها حتى امتلأت وقيل إن المعنى فجر بعضها في بعض فصارت البحور كلها بحرا واحدا ويرتفع البرزخ عن مجاهد ومقاتل والضحاك وقيل سجرت اي اوقدت فصارت نارا تضطرم عن ابن عباس وقيل يبست وذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة عن الحسن وقتادة وقيل ملئت من القيح والصديد الذي يسيل من ابدان اهل النار في النار وأراد بحار جهنم لأن بحور الدنيا قد فنيت عن الجبائي (واذا النفوس زوجت) اي قرن كل واحد منها الى شكله وضم اليه والنفس يعبر بها عن الإنسان وقد يعبر بها عن الروح فالمعنى قرن كل انسان بشكله من اهل النار وبشكله من اهل الجنة عن عمر بن الخطاب وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وقيل معناه ردت الارواح الى الاجساد فتصير احياء عن عكرمة والشعبي وابي مسلم وقيل يقرن الغاوي بمن اغواه من انسان او شيطان عن الجبائي وقيل زوجت اي قرنت نفوس الصالحين من المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين عن عطاء ومقاتل (واذا الموؤدة سئلت) يعني الجارية المدفونة حيا وكانت المرأة اذا حان وقت ولادتها حفرت حفرة وقعدت على رأسها فإن ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وإن ولدت غلاما حبسته عن ابن عباس قال شاعرهم

سميتها إذ ولدت تموت والقبر صهر ضامن زميت

ومعنى قوله سئلت (بأي ذنب قتلت) ان الموؤدة تسأل فيقال لها بأي ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها لأنها تقول قتلت بغير ذنب ويجري هذا مجرى قوله سبحانه لعيسى (ع) أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله على سبيل التوبيخ لقومه واقامة الحجة عليهم عن الفراء وقيل ان معنى سئلت طولب قاتلها بالحجة في قتلها وسئل عن سبب قتلها فكأنه قيل والموؤدة يسأل قاتلها بأي ذنب قتلت هذه ونظيره قوله ان العهد كان مسؤولا اي مسؤولا عنه عن أبي مسلم وعلى هذا فيكون القتلة هنا هم المسؤولين على الحقيقة لا المقتولة وإنما المقتولة مسؤول عنها (وإذا الصحف نشرت) يعني صحف الأعمال التي كتبت الملائكة فيها أعمال أهلها من خير وشر تنشر ليقرأها اصحابها ولتظهر الاعمال فيجازوا بحسبها (وإذا السماء كشطت) أي أزيلت عن موضعها كالجلد يزال عن الجزور ثم يطويها الله وقيل معناه قلعت كما يقلع السقف عن الزجاج وقيل كشفت عمن فيها ومعنى الكشط رفعك شيئا عن شيء قد غطاه كما يكشط الجلد عن السنام (وإذا الجحيم سعرت) اوقدت واضرمت حتى ازدادت شدة على شدة وقيل سعرها غضب الله وخطايا بني آدم عن قتادة (وإذا الجنة ازلفت) أي قربت من اهلها للدخول وقيل قربت بما فيها من النعيم فيزداد المؤمن سروراً ويزداد أهل النار حسرة (علمت نفس ما أحضرت) أي إذا كانت هذه الاشياء التي تكون في القيامة علمت في ذلك الوقت كل نفس ما وجدت حاضرا من عملها كما قالوا احمدته وجدته محموداً وقيل علمت ما احضرته من خير وشر واحضار الاعمال مجاز لأنها لا تبقى والمعنى انه لا يشذ عنها شيء فكأن كلها حاضرة وقيل أن المراد صحائف الاعمال

قوله تعالى (١٥) فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ (١٦) ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ (١٧) وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٨) وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٩) إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٢٠) ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ (٢١) مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (٢٢) وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ (٢٣)

وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ (٢٤) وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢٥) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (٢٦) فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢٧) إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ (٢٨) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ خمس عشرة آية

القراءة

قرأ أهل البصرة غير سهل وابن كثير والكسائي بظنين بالظاء والباقون بضنين بالضاد

الحجة

الظنين المتهم من قولهم ظننت أي اتهمت لا من ظننت المتعدي إلى مفعولين إذ لو كانت منه لكان لا بد من ذكر المفعول الثاني وفي انه لم يذكر المفعول الآخر دلالة على انه من ظننت بمعنى اتهمت وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعرف بالامين وبذلك وصفه ابو طالب في قوله

ان ابن آمنة الامين محمدا عندي بمثل منازل الاولاد

ومن قرأ بضنين فهو من البخل والمعنى انه يخبر بالغيب فيبينه ولا يكتمه كما يمتنع الكاهن من اعلام ذلك حتى يأخذ عليه حلوانا

اللغة

الخنس جمع خانس والكنس جمع كانس وأصلها الستر والشيطان خناس لأنه يخنس إذا ذكر الله تعالى اي يذهب ويستتر وكناس الطير والوحش بيت يتخذه ويختفي فيه والكواكب تكنس في بروجها كالظباء تدخل في كناسها وعسعس الليل إذا اقبل من اوله وأظلم وعسعس إذا أدبر وهو من الاضداد قال علقمة بن قرط

حتى إذا الصبح لها تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

والعس طلب الشيء بالليل ومنه اخذ العسس ويقال عسعس الليل وسعسع

الاعراب

انه لقول رسول كريم جواب القسم ثم وصف الرسول باوصاف الى قوله أمين ثم قال وما صاحبكم بمجنون وهو معطوف على جواب القسم وكذلك ما بعده وقوله فأين تذهبون اعتراض قال الفراء تقول العرب إلى أين تذهب وأين تذهب وتقولون ذهبت الشام وخرجت الشام وانطلقت السوق سمعناه في هذه الاحرف الثلاثة وانشد الفراء

تصيح بنا حنيفة إذ رأتنا وأي الأرض تذهب للصياح

يريد إلى اي الارض ولم يحك سيبويه من هذا إلا ذهبت الشام وعلى هذا جاء فأين تذهبون والمعنى فإلى أين تذهبون وقوله إن هو إلا ذكر للعالمين جواب القسم أيضا وقوله وما تشاؤن داخل في جواب القسم أيضا وقوله لمن شاء منكم بدل من قوله للعالمين بدل البعض من الكل فإذا السورة كلها مركبة من فعل وفاعل ومن قسم وأجوبة

المعنى

ثم أكد سبحانه ما تقدم بالقسم فقال (فلا أقسم) أي فأقسم ولا زايدة وقد ذكرنا اختلاف العلماء

فيه عند قوله لا أقسم بيوم القيامة (بالخنس) وهي النجوم تخنس بالنهار وتبدو بالليل (والجواري) صفة لها لأنها تجري في أفلاكها (الكنس) من صفتها أيضا لأنها تكنس اي تتوارى في بروجها كما تتوارى الظباء في كناسها وهي خمسة أنجم زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد عن علي (ع) وقيل معناه انها تخنس بالنهار فتختفي ولا ترى وتكنس في وقت غروبها فهذا خنوسها وكنوسها وقيل هي بقر الوحش عن ابن مسعود وقيل هي الظباء عن ابن جبير (والليل إذا عسعس) أي إذا أدبر بظلامه عن علي (ع) وابن عباس ومجاهد وقتادة وقيل أقبل بظلامه عن الحسن وقيل أظلم عن الجبائي (والصبح إذا تنفس) اي إذا اسفر وأضاء والمعنى امتد ضوؤه حتى يصير نهاراً (انه لقول رسول كريم) هذا جواب القسم أي ان القرآن قول رسول كريم على ربه وهو جبرئيل وهو كلام الله تعالى أنزله على لسانه أي سمعه محمد من جبرئيل ولم يقله من قبل نفسه عن الحسن وقتادة وقيل إنما أضافه الى جبرئيل لأن الله تعالى قال لجبرئيل ائت محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وقل له كذا ثم وصف جبرئيل (ع) فقال (ذي قوة) أي فيما كلف وأمر به من العلم والعمل وتبليغ الرسالة وقيل ذي قدرة في نفسه ومن قوته قلعه ديار قوم لوط بقوادم جناحه حتى بلغ بها السماء ثم قلبها (عند ذي العرش مكين) معناه متمكن عند الله صاحب العرش وخالقه رفيع المنزلة عظيم القدر عنده كما يقال فلان مكين عند السلطان والمكانة القرب (مطاع ثم) أي في السماء تطيعه ملائكة السماء قالوا ومن طاعة الملائكة لجبرئيل انه أمر خازن الجنة ليلة المعراج حتى فتح لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أبوابها فدخلها ورأى ما فيها وأمر خازن النار ففتح له عنها حتى نظر اليها (أمين) أي على وحي الله ورسالاته إلى انبيائه وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لجبرئيل (ع) ما أحسن ما أثنى عليك ربك ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين فما كانت قوتك وما كانت أمانتك فقال اما قوتي فإني بعثت إلى مداين لوط وهي أربع مداين في كل مدينة اربعمائة الف مقاتل سوى الذراري فحملتهم من الأرض السفلى حتى سمع اهل السموات اصوات الدجاج ونباح الكلاب ثم هويت بهن فقلبتهن واما اما نتي فإني لم اؤمر بشيء فعدوته إلى غيره ثم خاطب سبحانه جماعة الكفار فقال (وما صاحبكم) الذي يدعوكم إلى الله واخلاص طاعته (بمجنون) والمجنون المغطى على عقله حتى لا يدرك الامور على ماهي عليه للآفة الغامرة له وبغمور الآفة يتميز من النائم لأن النوم ليس بآفة وهذا ايضا من جواب القسم اقسم الله عز اسمه ان القرآن نزل به جبرائيل وان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ليس على ما يرميه به اهل مكة من الجنون (ولقد رآه بالافق المبين) أي رأى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم جبرائيل (ع) على صورته التي خلقه الله تعالى عليها حيث تطلع الشمس وهو الافق الأعلى من ناحية المشرق عن قتادة ومجاهد والحسن (وما هو على الغيب بضنين) أي ليس هو على وحي الله تعالى وما يخبر به من الاخبار بمتهم فإن احواله ناطقة بالصدق والأمانة عن ابن عباس وسعيد بن جبير وابراهيم والضحاك ومن قرأ بالضاد فالمعنى انه ليس ببخيل فيما يؤدي عن الله ان يعلمه كما علمه الله (وما هو بقول شيطان رجيم) رجمه الله باللعنة عن الحسن وقيل رجم بالشهب طردا من السماء والمعنى وليس القرآن بقول شيطان رجيم القاه اليه كما قال المشركون ان الشيطان يلقي اليه كما يلقي إلى الكهنة ثم بكتهم الله سبحانه فقال (فأين تذهبون) أي فأي طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم عن الزجاج وقيل معناه فأين تعدلون عن هذا القرآن وهو الشفاء والهدى (إن هو إلا ذكر للعالمين) معناه ما القرآن إلا عظة وتذكرة للخلق يمكنهم ان يتوصلوا به إلى الحق والذكر هو ضد السهو

والذاكر لا يخلو من ان يكون عالما او جاهلا او مقلدا او شاكا ولا يصح شيء من ذلك مع السهو الذي يضاد الذكر (لمن شاء منكم ان يستقيم) على امر الله وطاعته ذكر سبحانه انه ذكر لجميع الخلق على العموم ثم خص المستقيم لأن المنفعة راجعة اليهم كما قال إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب(وما تشاؤون الا أن يشاء الله رب العالمين) فيه اقوال ❊ احدها ❊ ان معناه وما تشاؤون الاستقامة على الحق إلا ان يشاء الله ذلك من حيث خلقكم لها وكلفكم بها فمشيئته بين يدي مشيئتكم عن الجبائي ❊ وثانيها ❊ انه خطاب للكفار والمراد لا تشاؤون الإسلام الا ان يشاء الله ان يجبركم عليه ويلجأكم اليه ولكنه لا يفعل لأنه يريد منكم ان تؤمنوا اختيارا لتستحقوا الثواب ولا يريد ان يحملكم عليه عن ابي مسلم ❊ وثالثها ❊ ان المراد وما تشاؤون الإسلام الا ان يشاء الله ان يلطف لكم في الاستقامة لما في الكلام من معنى النعمة

سورة انفطرت

وتسمى سورة الانفطار مكية تسع عشرة آية

❊ فضلها ❊

أبي بن كعب قال قال النبي ﷺ ومن قرأها اعطاه الله من الاجر بعدد كل قبر حسنة وبعدد كل قطرة مائة حسنة وأصلح الله شأنه يوم القيامة وروى الحسن بن ابي العلا عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ هاتين السورتين اذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت وجعلها نصب عينه في صلاة الفريضة والنافلة لم يحجبه من الله حجاب ولم يحجزه من الله حاجز ولم يزل ينظر الى الله وينظر الله اليه حتى يفرغ من حساب الناس

❊ تفسيرها ❊

لما كانت السورة المتقدمة في ذكر اهوال يوم القيامة افتتح سبحانه هذه السورة بمثل ذلك ليتصل بها اتصال النظير بالنظير فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (٢) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٣) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (٤) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (٥) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (٦) يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٧) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٨) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٩) كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (١٠) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١١) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١٢) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٣) إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٤) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٥) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٦) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (تسع عشرة آية)

❊ القراءة ❊

قرأ اهل الكوفة وابو جعفر فعدلك خفيفة والباقون بالتشديد وقرأ ابو جعفر بل يكذبون بالياء والباقون بالتاء

وقرأ ابن كثير واهل البصرة يوم لا تملك بالرفع والباقون بالنصب وفي الشواذ قراءة سعيد بن جبير ما اغرك بربك

﴿ الحجة ﴾

اما عدلك بالتشديد فمعناه عدل خلقك فاخرجك في احسن تقويم واما عدلك بالتخفيف فمعناه عدل بعضك ببعض فكنت معتدل الخلقة متناسبها فلا تفاوت فيها وقوله يكذبون بالياء يكون اخبارا عن الكفار وبالتاء على خطابهم واما وجه الرفع في قوله يوم لا تملك نفس انه خبر مبتدأ محذوف اي هو يوم لا تملك والمعنيّ يوم الدين يوم لا تملك نفس واما النصب فإنه لما قال وما ادريك ما يوم الدين فجرى ذكر الدين وهو الجزاء قال يوم لا تملك يعني الجزاء يوم لا تملك نفس فصار يوم لا تملك خبر الجزاء المضمر لأنه حدث وتكون اسماء الزمان اخبارا عن الحدث ويجوز النصب على وجه آخر وهو ان اليوم لما جرى في اكثر الامر ظرفا ترك على ما كان يكون عليه في اكثر امره والدليل على ذلك ما اجتمع عليه القراء والعرب في قوله تعالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك ومما يقوي النصب في ذلك قوله وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس وقوله يسألون ايان يوم الدين يوم هم على النار يفتنون فالنصب في يوم لا تملك نفس مثل هذا ونحوه قال ابو الحسن ولو رفع ذلك كله كان جيدا الا أنا نختار ما عليه الناس واما من قرأ ما أغرك فيجوز ان يكون معناه ما الذي دعاك الى الاغترار به ويجوز أن يكون تعجبا وقد قيل في قوله فما اصبرهم على النار هذان الوجهان واغرك يجوز أن يكون من الغر والغرارة فيكون معناه ما اجهلك وما اغفلك عما يراد بك ويجوز أن يكون من الغرور على غير القياس كما قيل في المثل اشغل من ذات النحيين

﴿ اللغة ﴾

الانفطار والانشقاق والانصداع نظائر والانتثار تساقط الشيء في الجهات والتفجير خرق بعض مواضع الماء الى بعض على التكثير ومنه الفجور لانخراق صاحبه بالخروج الى كثير من الذنوب ومنه الفجر لانفجاره بالضياء وبعثرت الحوض وبحثرته اذا جعلت اسفله اعلاه والبعثرة والبحثرة اثارة الشيء بقلب باطنه الى ظاهره والغرور ظهور امر يتوهم به جهلا الأمان من المحذور يقال غره غرورا واغتره اغترارا قال الحرث بن حلزة

لم يغروكم غرورا ولكن ... رفع الآل جمعهم والضحاء

﴿ الاعراب ﴾

قوله في اي صورة ما شاء يجوز ان تكون ما مزيدة موكدة والمعنى في اي صورة شاء ركبك اما طويلا واما قصيرا واما كذا وكذا ويكون ركبك عطفا على عدلك فحذف الواو ويجوز ان يكون ما في معنى الشرط والجزاء فيكون المعنى في اي صورة ما شاء ان يركبك فيها ركبك ولا يكون على هذا قوله في اي صورة من صلة ركبك لأن سيبويه قال ان تضرب زيدا اضرب عمرا ولا يجوز تقديم عمرو على ان فوجب ان يكون قوله في اي صورة من صلة مضمر ولا يكون من صلة عدلك لأنه استفهام فلا يعمل فيه ما قبله. يصلونها في موضع نصب على الحال ويجوز ان يكون في موضع رفع فيكون خبرا لأن خبرا بعد خبر والتقدير ان الفجار في جحيم صالون

﴿ المعنى ﴾

(إذا السماء انفطرت) أي انشقت وتقطعت ومثله يوم تشقق السماء بالغمام الآية (وإذا الكواكب انتثرت) أي تساقطت وتهافتت قال ابن عباس سقطت سودا لا ضوء لها (وإذا البحار فجرت) أي فتح بعضها في بعض عذبها في ملحها وملحها في عذبها فصارت بحرا واحدا عن قتادة والجبائي وقيل معناه ذهب ماؤها عن الحسن (وإذا القبور بعثرت) أي قلب ترابها وبعث الموتى الذين فيها وقيل معناه بحثت عن الموتى فأخرجوا منها يريد عند البعث عن ابن عباس ومقاتل (علمت نفس ما قدمت وأخرت) وهذا كقوله سبحانه ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم وأخر وقد مر ذكره عن عبد الله بن مسعود قال ما قدمت من خير او شر وما أخرت من سنة حسنة أستن بها بعده فله أجر من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيء اوسنة سيئة عمل بها بعده فعليه وزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ويؤيد هذا القول ما جاء في الحديث ان سائلا قام على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأل فسكت القوم ثم أن رجلا أعطاه فأعطاه القوم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من استن خيرا فاستن به فله اجره ومثل اجور من اتبعه من غير منتقص من أجورهم ومن استن شرا فاستن به فعليه وزره ومثل أوزار من اتبعه غير منتقص من أوزارهم قال فتلا حذيفة بن اليمان علمت نفس ما قدمت وأخرت (يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم) أي اي شيء غرك بخالقك وخدعك وسول لك الباطل حتى عصيته وخالفته وروي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما تلا هذه الآية قال غره جهله واختلف في معنى الكريم فقيل هو المنعم الذي كل أفعاله احسان وانعام لا يجربه نفعا ولا يدفع به ضررا وقيل هو الذي يعطي ما عليه وما ليس عليه ولا يطلب ماله وقيل هو الذي يقبل اليسير ويعطي الكثير وقيل إن من كرمه سبحانه انه لم يرض بالعفو عن السيئات حتى بدلها بالحسنات وقيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله يوم القيامة بين يديه فقال ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول له قال أقول غرني ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو أقامني الله بين يديه فقال ما غرك بي قلت غرني بك برك بي سالفا وآنفا وعن بعضهم قال غرني حلمك وعن أبي بكر الوراق غرني كرم الكريم وانما قال سبحانه الكريم دون سائر اسمائه وصفاته لأنه كأنه لقنه الاجابة حتى يقول غرني كرم الكريم وقال عبدالله بن مسعود ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة فيقول يا ابن آدم يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ماذا عملت فيما عملت يا ابن آدم ماذا اجبت المرسلين وقال أمير المؤمنين (ع) كم مغرور بالستر عليه ومستدرج بالإحسان اليه (الذي خلقك) من نطفة ولم تك شيئا (فسواك) انسانا تسمع وتبصر (فعدلك) أي جعلك معتدلا وقيل معناه عدل خلقك في العينين والاذنين واليدين والرجلين عن مقاتل والمعنى عدل بين ما خلق لك من الاعضاء التي في الانسان منها اثنان لا تفضل يد على يد ولا رجل على رجل (في أي صورة ماشاء ركبك) اي في أي شبه من أب أو أم أو خال أو عم عن مجاهد وروي عن الرضا (ع) عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لرجل ما ولد لك قال يا رسول الله وما عسى أن يولد لي إما غلام وإما جارية قال فمن يشبه قال يشبه أمه أو أباه فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا تقل هكذا ان النطفة إذا استقرت في الرحم احضرها الله كل نسب بينها وبين آدم اما قرأت هذه الآية في أي صورة ما شاء ركبك اي فيما بينك وبين آدم وقيل في أي صورة ما شاء من صور الخلق ركبك ان شاء في صورة انسان وان شاء في صورة حمار وان شاء في صورة قرد عن عكرمة وأبي صالح وقال الصادق(ع) لو شاء ركبك على غير هذه الصورة والمعنى

انه سبحانه يقدر على جعلك كيف شاء ولكنه خلقك في احسن تقويم حتى صرت على صورتك التي أنت عليها لا يشبهك شيء من الحيوان وقيل في أي صورة شاء من ذكر أو أنثى او جسيم او نحيف حسن أو دميم طويل او قصير (كلا) أي ليس الأمر كما تزعمون انه لا بعث ولا حساب وليس هنا موضع الإنكار للبعث مع وضوح الامر فيه وقيام الدلالة عليه (بل تكذبون) معاشر الكفار (بالدين) الذي هو الجزاء لإنكاركم البعث والنشور عن مجاهد وقتادة وقيل تكذبون بالدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الاسلام عن الجبائي (وان عليكم لحافظين) من الملائكة يحفظون عليكم ما تعلمونه من الطاعات والمعاصي ثم وصف الحفظة فقال (كراما) على ربهم (كاتبين) يكتبون اعمال بني آدم (يعلمون ما تفعلون) من خير وشر فيكتبونه عليكم لا يخفى عليهم من ذلك شيء وقيل ان الملائكة تعلم ما يفعله العبد إما باضطرار وإما باستدلال وقيل معناه يعلمون ما تفعلون من الله دون الباطن وفي هذا دلالة على أن أفعال العبد حادثة من جهتهم وانهم المحدثون لها دونه تعالى والا فلا يصح قوله تفعلون (إن الابرار لفي نعيم) وهو الجنة والابرار أولياء الله المطيعون في الدنيا (وإن الفجار لفي جحيم) وهو العظيم من النار والمراد بالفجار هنا الكفار المكذبون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لقوله (يصلونها يوم الدين) أي يلزمونها بكونهم فيها (وما هم عنها بغائبين) أي لا يكونون غائبين عنها بل يكونون مؤبدين فيها وقد دل الدليل على أن أهل الكبيرة من المسلمين لا يخلدون في النار ولأنه سبحانه قد ذكر المكذبين بالدين فيما قبل هذه الآية فالاولى أن تكون لفظة الفجار مخصوصة بهم وأيضا فإذا احتمل الكلام ذلك بطل تعلق أهل الوعيد بعموم اللفظ ثم عظم سبحانه يوم القيامة فقال (وما أدراك ما يوم الدين) تعظيما له لشدته وتنبيها على عظم حاله وكثرة أهواله (ثم ما أدراك ما يوم الدين) كرره تأكيدا لذلك وقيل اراد ما أدراك ما في يوم الدين من النعيم لأهل الجنة وما أدراك ما في يوم الدين من العذاب لأهل النار عن الجبائي (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) أي لا يملك احد الدفاع عن غيره ممن يستحق العقاب كما يملك كثير من الناس في دار الدنيا ذلك (والأمر يومئذ لله) وحده أي الحكم له في الجزاء والثواب والعفو والانتقام وروى عمر بن شمر عن جابر عن ابي جعفر (ع) انه قال ان الامر يومئذ واليوم كله لله يا جابر إذا كان يوم القيامة بادت الحكام فلم يبق حاكم إلا الله وقيل معناه يوم لا تملك نفس لنفس كافرة شيئا من المنفعة عن مقاتل والمعنى الصحيح في الآية ان الله سبحانه قد ملك في الدنيا كثيرا من الناس امورا واحكاما وفي القيامة لا أمر لسواه ولا حكم ومتى قيل فيجب أن لا يصح على هذا شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فالجواب ان ذلك لا يكون إلا بأمره تعالى وبإذنه وهو من تدابيره

سورة المطففين

وتسمى سورة التطفيف مكية وقال المعدل مدنية عن الحسن والضحاك وعكرمة قال وقال ابن عباس وقتادة إلا ثماني آيات منها وهي ان الذين أجرموا إلى آخر السورة

﴾ عدد آياتها ﴿

ست وثلاثون آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

أبي بن كعب قال قال النبي ﷺ ومن قرأها سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة وروى صفوان الجمال عن أبي عبد الله (ع) قال من كانت قراءته في الفريضة ويل للمطففين أعطاه الله الأمن يوم القيامة من النار ولا تراه ولا يراها ولا يمر على جسر جهنم ولا يحاسب يوم القيامة

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر القيامة وما أعد فيها للابرار والفجار وبين في هذه السورة أيضا ذكر احوال الناس في القيامة فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (٢) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦) كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٠) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (١١) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (١٢) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (١٣) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٤) كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ (١٧) ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ سبع عشرة آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ اهل الكوفة غير عاصم إلا يحيى ران بكسر الراء والباقون بفتحها

﴿ اللغة ﴾

التطفيف نقص المكيال والميزان والطفيف الشيء النزر القليل مأخوذ من طف الشيء وهو جانبه في الحديث كلكم بنو آدم طف الصاع لم تملأوه فليس لأحد فضل الا بالتقوى وطف الصاع قريب من ملئه اي بعضكم قريب من بعض واناء طفان اذا لم يكن ملآن والا كتيال الأخذ بالكيل ونظيره الاتزان وهو الاخذ بالوزن واذا كالوهم او وزنوهم كان عيسى بن عمر يجعلهما فصلا في موضع رفع او تأكيداً للضمير في كالوا اووزنوا والباقون يجعلونها ضمير المنصوب وهو الصحيح واهل الحجاز يقولون وزنتك حقك وكلتك طعامك وعليه جاء التنزيل وغيرهم يقول وزنت لك وكلت لك ويقال اخسرت الميزان وخسرته اي نقصت في الوزن والسجين فعيل من السجن قال ابن مقبل « ضربا تواصى به الأبطال سجينا » اي شديدا وقيل السجين هو السجن على التخليد فيه لأن هذا الوزن للمبالغة قالوا شريب وسكير وشرير والرقم طبع الخط بما فيه علامة الأمر يقال رقمت الثوب ارقمه رقما والرين اصله الغلبة ران على قلبه اي غلب عليه والخمر ترين على قلب السكران والموت يرين على الميت فيذهب به وفي حديث عمر بن الخطاب انه قال في اسيفع جهينة لما ركبه الدين ادان معرضا فأصبح قد رين به اي احاط الدين بماله حتى غلبه

﴿ الاعراب ﴾

يوم يقوم الناس منصوب بقوله مبعوثون اي ألا يظنون انهم مبعوثون يوم القيامة وقيل في اصل كلا قولان ﴿ احدهما ﴾ انها كلمة واحدة من غير تركيب وضعت للردع والزجر وجرت مجرى الأصوات نحو صه ومه ونحوهما و﴿ الثاني ﴾ ان يكون الكاف للتشبيه دخلت علي لا وشددت للمبالغة في الزجر مع الايذان بتركيب اللفظ

﴿ النزول ﴾

قيل لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً فأنزل الله عز وجل ويل للمطففين فأحسنوا الكيل بعد ذلك عن عكرمة عن ابن عباس وقيل انه ﷺ قدم المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فنزلت الآيات عن السدي

﴿ المعنى ﴾

(ويل للمطففين) وهم الذين ينقصون المكيال والميزان ويبخسون الناس حقوقهم في الكيل والوزن قال الزجاج وانما قيل له مطفف لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان الا الشيء اليسير الطفيف ثم فسر المطففين فقال (الذين اذا اكتالوا على الناس) اي اذا كالوا مـا على الناس ليأخذوه لانفسهم (يستوفون) عليهم الكيل ولم يذكر اتزنوا لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فأحدهما يدل على الآخر (واذا كالوهم اووزنوهم) أي كالوا لهم او وزنوا لهم (يخسرون) اي ينقصون والمعنى انهم إذا كالوا او وزنوا لغيرهم نقصوا تقول كلتك وكلت لك كما تقول نصحتك ونصحت لك ويروى عن ابن مسعود انه قال الصلاة مكيال فمن وفى وفى الله له ومن طفف فقد سمعتم ما قال الله في المطففين ثم عجب الله خلقه من غفلة هؤلاء حيث فارقوا أمر الله وطريقة العدل فقال (ألا يظن) اي ألا يعلم (اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم) وهو يوم القيامة يريد الا يستيقن من فعل هذا انه مبعوث محاسب عن ابن عباس ثم اخبر عن ذلك اليوم فقال (يوم يقوم الناس لرب العالمين) والمعنى يوم يقوم الناس من قبورهم لأمر رب العالمين ولجزائه او حسابه وجاء في الحديث انهم يقومون في رشحهم الى انصاف آذانهم وفي حديث آخر يقومون حتى يبلغ الرشح الى اطراف آذانهم ويحتمل ان يكون المراد ايضاً ألا يحسب اولئك لأن من ظن الجزاء والبعث وقوى ذلك في نفسه وان لم يكن عالما به فانـه يجب عليه ان يتحرز خوفا من العقاب الذي يجوزه ويظنه كما ان من ظن العطب في سلوك طريق فواجب عليه ان يتجنب سلوكه وفي الحديث عن سليم بن عامر عن المقداد بن الأسود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول اذا كان يوم القيامة ادنيت الشمس من العباد حتى تكون الشمس بقدر ميل او ميلين قال سليم فـلا أدري أمسافة الأرض أم الميل الذي تكحل به العين ثم قال صهرتهم الشمس فيكونون في العرق بقدر اعمالهم فمنهم من يأخذه الى عقبه ومنهم من يلجمه الجاما قال فرأيت رسول الله ﷺ يشير بيده الى فيه قـال يلجمه الجاما اورده مسلم في الصحيح وروي ان ابن عمر قرأ ويل للمطففين حتى بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين فبكى حتى خر وامتنع من القراءة (كلا) هو ردع وزجر اي ارتدعوا وانزجروا عن المعاصي فليس الأمر على ما انتم عليه تم الكلام ها هنا وعند ابي حاتم سهل كلا ابتداء يتصل بما بعده على معنى حقًا (ان كتاب الفجار لفي سجين) يعني كتابهم الذي فيه ثبت اعمالهم من الفجور والمعاصي عن الحسن وقيل معناه انه كتب

في كتابهم انهم يكونون في سجين وهي في الأرض السابعة السفلى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وعن البراء بن عازب قال قال رسول الله ﷺ سجين أسفل سبع ارضين وقال شمر بن عطية جاء ابن عباس الى كعب الأحبار فقال اخبرني عن قول الله تعالى ان كتاب الفجار لفي سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السماء فتأبى السماء ان تقبلها ثم يهبط بها الى الأرض فتأبى الارض ان تقبلها فتدخل سبع ارضين حتى ينتهي بها الى سجين وهو موضع جند ابليس والمعنى في الآية ان كتاب عملهم يوضع هناك وقيل ان سجين جب في جهنم مفتوح والفلق جب في جهنم مغطى رواه ابو هريرة عن النبي ﷺ وقيل السجين اسم لكتابهم وهو ظاهر التلاوة أي ما كتبه الله على الكفار بمعنى اوجبه عليهم من الجزاء في هذا الكتاب المسمى سجينا ويكون لفظه من السجن الذي هو الشدة عن ابي مسلم والذي يدل على ان العرب ما كانت تعرفه هو قوله (وما ادريك ما سجين) أي ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا قومك عن الزجاج ثم قال مفسراً لذلك (كتاب مرقوم) أي كتاب معلوم كتب فيه ما يسوءهم ويسخن اعينهم وقيل مرقوم معناه رقم لهم بشر كأنه اعلم بعلامة يعرف بها الكافر والوجه الصحيح ان قوله كتاب مرقوم ليس تفسير السجين لأنه ليس السجين من الكتاب المرقوم في شيء وانما هو تفسير للكتاب المذكور في قوله ان كتاب الفجار علـى تقدير وهو كتاب مرقوم اي مكتوب قد تبينت حروفه (ويل يومئذ للمكذبين) وهذا تهديد لمن كذّب بالجزاء والبعث ولم يصدق وذكر صاحب النظم ان هذا منتظم بقوله يوم يقوم الناس وان قوله كلا ان كتاب الفجار وما اتصل بـه اعتراض بينهما ثم فسر سبحانه المكذبين فقال (الذين يكذبون بيوم الدين) اي يوم الجزاء فإن من كذب بالباطل لا يتوجه اليه الوعيد بل هو ممدوح ثم قال (وما يكذب به) أي لا يكذب بيوم الجزاء (الا كل معتد) أي متجاوز للحق إلى الباطل (أثيم) كثير الإثم مبالغ في ارتكابه ثم وصف المعتدي الأثيم بقوله (اذا تتلى عليه آياتنا) وهي القرآن (قال أساطير الأولين) أي اباطيل الاولين والتقدير قال هذا اساطير الأولين اي ما سطره الأولون وكتبوه مما لا أصل له (كلا) لا يؤمنون وقيل ليس الأمر على ما قالوه ثم استأنف فقال (بل ران على قلوبهم) اي غلب عليها (ما كانوا يكسبون) والمعنى غلب ذنوبهم على قلوبهم وقيل ان معنى الرين هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب عن الحسن وقتادة وقال الفراء كثرت المعاصي منهم والذنوب واحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها وعن عبد الله بن مسعود قال ان الرجل ليذنب الذنب فتنكت على قلبه نكتة سوداء ثم يذنب الذنب فتنكت نكتة أخرى حتى يصير قلبه على لون الشاة السوداء وروى العياشي بإسناده عن زرارة عن ابي جعفر (ع) قال ما من عبد مؤمن الا وفي قلبه نكتة بيضاء فإذا اذنب ذنبا خرج في تلك النكتة نكتة سوداء فإذا تاب ذهب ذلك السواد وان تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه الى خير ابداً وهو قول الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم الآيـة وقال ابو عبد الله (ع) يصدأ القلب فإذا ذكرته بآلاء الله انجلى عنه وقال ابو مسلم ان اعتيادهم الكفر والفتهم له وغفلتهم صار غطاء على قلوبهم فلا يعقلون ما ينفعهم لأن ترك النظر في العواقب وكثرة المعاصي والانهماك في الفسق يقوي الدواعي في الإعراض عن التوبة والإيلاع بالذنوب فصار ذلك كالغالب علـى القلوب الرائن عليها وقال ابو القاسم البلخي وفي الآية دلالة على صحة ما يقوله اهـل العدل في تفسير الطبع على القلوب والختم عليها والاضلال لأنه تعالى اخبر ان اعمالهم السيئة وما كانوا يكسبونه من القبيح ران على قلوبهم (كلا) يريد

لا يصدقون عن ابن عباس ثم استأنف (انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) يعني ان هؤلاء الذين وصفهم بالكفر والفجور محجوبون يوم القيامة عن رحمة ربهم واحسانه وكرامته عن الحسن وقتادة وقيل ممنوعون من رحمته مدفوعون عن ثوابه غير مقبولين ولا مرضيين عن ابي مسلم وقيل محرومون عن ثوابه وكرامته عن علي (ع) (ثم انهم) بعد ان منعوا من الثواب والكرامة (لصالوا الجحيم) اي لازموا الجحيم بكونهم فيها لا يغيبون عنها وقال ابو مسلم لصائرون صلاها اي وقودها (ثم يقال) لهم توبيخاً وتبكيتاً (هذا الذي) فعل بكم من العذاب والعقاب (الذي كنتم به تكذبون) في دار التكليف ويسمى مثل هذا الخطاب تقريعاً لأنه خبر بما يقرع بشدة الغم على وجه الذم

قوله تعالى (١٧) كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٩) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ (٢٠) كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ (٢١) يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢٢) إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٣) عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٢٤) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ (٢٥) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٦) خِتَٰمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ (٢٧) وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٨) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ (٢٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ (٣٠) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣١) وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣٢) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ (٣٣) وَمَآ أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ (٣٤) فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٥) عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ (٣٦) هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ تسع عشرة آية

القراءة

قرأ ابو جعفر ويعقوب تعرف بضم التاء وفتح الراء نضرة بالرفع والباقون تعرف بفتح التاء وكسر الراء نضرة بالنصب وقرأ الكسائي وحده خاتمه وهي قراءة علي (ع) وعلقمة والباقون ختامه وقرأ ابو جعفر وحفص فكهين بغير ألف والباقون فاكهين وقرأ حمزة والكسائي هثوب الكفار بإدغام اللام في الثاء وقد روي نحوه عن ابي عمرو والباقون بالاظهار

الحجة

تعرف في وجوههم على الخطاب والمعنى في القراءتين سواء وقال ابو عبيدة ختامه اي عاقبته قال ابن مقبل

مما يفتق في الحانوت باطنها   بالفلفل الجون والرمان مختوم

قال ابو علي ختامه مسك المراد به لذاذة المقطع وذكاء الرائحة وارجها مع طيب الطعم وهذا كقوله كان مزاجها كافوراً وكان مزاجها زنجبيلا اي يحذي اللسان وأما قول الكسائي خاتمه فإن معناه آخره كما كان خاتم النبيين معناه آخرهم فالختام المصدر والخاتم اسم الفاعل كالطابع والتابل والعرب تقول خاتم بالفتح وخاتم وخاتام وخيتام قال سيبويه ادغم ابو عمرو هثوب الكفار وادغامها فيها حسن وان كان دون ادغام اللام في الراء في الحسن لتقاربها وجاز ادغامها فيها لأنه قد ادغم في الشين فيما قد انشده من قوله هشيء يكفيك لا يقال بريد هل شيء

﴿ اللغة ﴾

عليون علو على علو مضاعف ولهذا جمع بالواو والنون تفخيما لشأنه وتشبيها بما يعقل في عظم الشأن وهي مراتب عالية محفوفة بالجلالة قال الشاعر

فأصبحت المذاهب قد اذاعت ... به الأعصار بعد الوابلينا

يريد قطراً بعد قطر غير محدود العدد وكذلك تفخيم شأن العدد الذي ليس على الواحد نحو ثلاثون واربعون الى التسعين وجرت المفسرون عليه وقال الزجاج عليون اسم لأعلى الأمكنة واعرابه كاعراب الجمع لأنه على لفظ الجمع كما تقول هذا قنسرون ورأيت قنسرين والأرائك الأسرة في الحجال والرحيق الشراب الذي لا غش فيه قال حسان

يسقون من ورد البريص عليهم ... بردى تصفق بالرحيق السلسل

قال الخليل هي أفضل الخمر وأجودها والتنافس تمني كل واحد من النفسين مثل الشيء النفيس الذي للنفس الأخرى ان يكون له، تنافسوا في الشيء تنافسا ونافسه فيه منافسة ونفس عليه بالشيء ينفس نفاسة اذا ضن به لجلالة قدره عنده وذلك الشيء الذي ينفس به نفيس والمزج خلط مائع بمائع على خلاف صفته كمزج الشراب بالماء والتسنيم عين ماء يجري من علو الى اسفل يتسنم عليهم من الغرف واشتقاقه من السنام وسنمت العين تسنيما اذا اجريتها عليهم من فوقهم والتغامز اشارة بعضهم إلى بعض بالاعين استهزاء وطلبا للعيب يقال غمز بجفنه اذا اشار والفاكهون اللاهون والفكهون المرحون الاشرون والفكاهة المزاح واصل الثواب من الرجوع كأنه يرجع على العامل بعمله وثاب عليه عقله إذا رجع

﴿ الإعراب ﴾

عينا يشرب بها المقربون يجوز ان تكون منصوبة مفعولة لتسنيم اي مزاجه من ماء متسنم عينا كقوله تعالى او اطعام يتيما ويجوز ان تكون منصوبة على تقدير ويسقون من عين ويجوز أن تكون منصوبة على الحال ويكون تسنيم معرفة وعينا نكرة

﴿ المعنى ﴾

لما تقدم ذكر حال الفجار عقبه سبحانه بذكر حال الابرار فقال (كلا) اي لا يؤمنون بالعذاب الذي يصلونه فعلى هذا يتصل بما قبله وقيل معناه حقا ويتصل بما بعده (ان كتاب الأبرار) اي المطيعين لله (لفي عليين) اي مراتب عالية محفوفة بالجلالة وقيل في السماء السابعة وفيها ارواح المؤمنين عن قتادة ومجاهد والضحاك وكعب وقيل في سدرة المنتهى وهي التي ينتهي اليها كل شيء من امر الله تعالى عن الضحاك في رواية اخرى وقيل العليون الجنة عن ابن عباس قال الفراء في ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية له وقيل هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيها عن ابن عباس في رواية اخرى وعن البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في عليين في السماء السابعة تحت العرش (وما ادراك ما عليون) وهذا تعظيم لشأن هذه المنزلة وتفخيم لأمرها وتنبيه على ان تفصيل تفضيله لا يمكن العلم به إلا بالمشاهدة ثم قال (كتاب مرقوم) اي هو كتاب مكتوب فيه جميع طاعاتهم وما تقر به اعينهم ويوجب سرورهم بضد الكتاب الذي للفجار لأن فيه ما يسوؤهم وينوءهم ويسخن عيونهم قال مقاتل مرقوم مكتوب لهم بالخيرات في ساق العرش ويدل عليه قوله (يشهده المقربون)

يعني الملائكة الذين هم في عليين يشهدون و يحضرون ذلك المكتوب او ذلك الكتاب اذا صعد به إلى عليين والمقربون هم الذين قربوا إلى كرامة الله في اجل المراتب وقال عبد الله بن عمر ان اهل عليين لينظرون الى اهل الجنة من كذا فإذا اشرف رجل منهم اشرقت الجنة وقالوا قد اطلع علينا رجل من اهل عليين (إن الابرار لفي نعيم) اي يحصلون في ملاذ وانواع من النعمة في الجنة (على الأرائك) قال الحسن ما كنا نعرف ما الأرائك حتى قدم الينا رجل من اهل اليمن فزعم ان الأريكة عندهم الحجلة اذا كان فيها سرير (ينظرون) إلى ما اعطوا من النعيم والكرامة وقيل ينظرون الى عدوهم حين يعذبون عن مقاتل (تعرف في وجوههم نضرة النعيم) أي إذا رأيتهم عرفت انهم من اهل النعمة بما ترى في وجوههم من النور والحسن والبياض والبهجة قال عطا وذلك ان الله تعالى قد زاد في جمالهم والوانهم ما لا يصفه واصف (يسقون من رحيق) اي خمر صافية خالصة من كل غش (مختوم) وهو الذي له ختام اي عاقبة وقيل مختوم في الآنية بالمسك وهو غير الخمر التي تجري في الانهار وقيل مختوم اي ممنوع من ان تمسه يد حتى يفك ختمه الابرار ثم فسر المختوم بقوله (ختامه مسك) أي آخر طعمه ريح المسك إذا رفع الشارب فاه عن آخر شرابه وجد ريحه كريح المسك عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل ختم اناؤه بالمسك بدلا من الطين الذي يختم به الشراب في الدنيا عن مجاهد وابن زيد قال مجاهد طينه مسك وعن ابي الدرداء قال هو شراب ابيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل اصبعه فيه ثم اخرجه لم يبق ذو روح إلا ونال طيبها ثم رغب فيها فقال (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) اي فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله تعالى ومثله قوله سبحانه لمثل هذا فليعمل العاملون وقيل فليتنازع المتنازعون عن مقاتل وقيل فليتشاح المتشاحون عن زيد بن اسلم وفي الحديث من صام لله في يوم صائف سقاه الله على الظمأ من الرحيق المختوم وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين «ع» من ترك الخمر لله سقاه الله من الرحيق المختوم (ومزاجه من تسنيم) أي ومزاج ذلك الشراب الذي وصفناه وهو ما يمزج به من تسنيم وهو عين في الجنة وهو اشرف شراب في الجنة قال مسروق يشربها المقربون صرفا ويمزج بها كأس اصحاب اليمين فيطيب وروى ميمون بن مهران ان ابن عباس سئل عن تسنيم فقال هذا مما يقول الله عز وجل فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ونحو هذا قول الحسن خفايا اخفاها الله لأهل الجنة وقيل هو شراب ينصب عليهم من علو انصبابا عن مقاتل وقيل هو نهر يجري في الهواء فينصب في اواني اهل الجنة بحسب الحاجة عن قتادة ثم فسره سبحانه فقال (عينا يشرب بها المقربون) اي هي خالصة للمقربين يشربونها صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة عن ابن مسعود وابن عباس (إن الذين اجرموا) يعني كفار قريش ومترفيهم كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واصحابهم (كانوا من الذين آمنوا) يعني اصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل عمار وخباب وبلال وغيرهم (يضحكون) على وجه السخرية بهم والاستهزاء في دار الدنيا ويحتمل أن يكون ضحكوا من جدهم في عبادتهم وكثرة صلاتهم وصيامهم لإنكارهم الجزاء والبعث ويجوز ان يكون كان ضحكهم انكارا وتعجبا من قولهم بالاعادة واحياء العظام الرميمة ويحتمل ان يكون ذلك لغلوهم في كفرهم وجهلهم ولإيهام العوام انهم على حق وان المسلمين على باطل فكانوا يضحكون (وإذا مروا بهم) يعني واذا مر المؤمنون بهؤلاء المشركين (يتغامزون) بأن يشير بعضهم إلى بعض بالاعين والحواجب استهزاء بهم

اي يقول هؤلاء انهم على حق وان محمداً ﷺ انزل عليه الوحي وانه رسول وانا نبعث ونحو ذلك وقيل نزلت في علي بن ابي طالب (ع) وذلك انه كان في نفر من المسلمين جاؤوا إلى النبي ﷺ فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا إلى اصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكنا منه فنزلت الآية قبل أن يصل علي (ع) واصحابه إلى النبي ﷺ عن مقاتل والكلبي وذكر الحاكم ابو القاسم الحسكاني في كتاب شواهد التنزيل لقواعد التفضيل بإسناده عن ابي صالح عن ابن عباس قال إن الذين اجرموا منافقو قريش والذين آمنوا علي بن ابي طالب (ع) واصحابه (واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين) يعني واذا رجع هؤلاء الكفار الى اهلهم رجعوا معجبين بما هم فيه يتفكهون بذكرهم (واذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون) عن طريق الحق والصواب تركوا التنعم رجاء ثواب لا حقيقة له خدعهم به محمد ﷺ ثم قال سبحانه (وما ارسلوا عليهم حافظين) أي ولم يرسل هؤلاء الكفار حافظين على المؤمنين ماهم عليه وما كلفوا حفظ اعمالهم فكيف يطعنون عليهم ولو اشتغلوا بما كلفوه كان ذلك أولى بهم وقيل معناه وما ارسلوا عليهم شاهدين لأن شهادة الكفار لا تقبل على المؤمنين اي ليسوا شهداء عليهم بل المؤمنون شهداء على الكفار يشهدون عليهم يوم القيامة عن ابي مسلم (فاليوم) يعني يوم القيامة الذي يجازي الله كل احد على عمله (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) كما ضحك الكفار منهم في الدنيا وذلك انه يفتح للكفار باب الى الجنة ويقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها اغلق دونهم يفعل ذلك بهم مراراً فيضحك منهم المؤمنون عن ابي صالح وقيل يضحكون من الكفار اذا رأوهم في العذاب وانفسهم في النعيم وقيل ان الوجه في ضحك اهل الجنة من اهل النار انهم لما كانوا اعداء الله واعداء لهم جعل الله سبحانه لهم سروراً في تعذيبهم ولو كان العفو قد وقع عليهم لم يجز ان يجعل السرور في ذلك لأنه مضمن بالعداوة وقد زالت بالعفو (على الارائك ينظرون) يعني المؤمنين ينظرون الى عذاب اعدائهم الكفار على سرر في الحجال ثم قال سبحانه (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون) اي هل جوزي الكفار اذا فعل بهم هذا الذي ذكره على ما كانوا يفعلونه من السخرية بالمؤمنين في الدنيا وهو استفهام يراد به التقرير وثوب بمعنى اثيب وقيل معناه يتصل بما قبله ويكون التقدير ان الذين آمنوا ينظرون هل جوزي الكفار بأعمالهم ويكون الجملة متعلقة بينظرون وعلى القول الأول يكون استئناف كلام لا موضع له من الإعراب وانما قال هل ثوب الكفار فاستعمل لفظ الثواب في العقوبة لأن الثواب في اصل اللغة الجزاء الذي يرجع الى العامل بعمله وان كان في العرف اختص الى الجزاء بالنعيم على الاعمال الصالحة فاستعمل هنا على اصله وقيل لأنه جاء في مقابلة ما فعل بالمؤمنين اي هل ثوب الكفار كما ثوب المؤمنون وهذا القول يكون من قبل الله تعالى او تقوله الملائكة للمؤمنين تنبيها لهم على ان الكفار جوزوا على كفرهم واستهزائهم بالمؤمنين ما استحقوه من أليم العذاب ليزدادوا بذلك سروراً إلى سرورهم ويحتمل أن يكون ذلك يقوله المؤمنون بعضهم لبعض سروراً بما ينزل بالكفار وكل هذه الوجوه إنما تتجه على القول الأول إذا كانت الجملة كلاماً مستأنفاً لا تعلق له بما قبله

سورة انشقت

وتسمى سورة الانشقاق مكية

﴿ عدد آياتها ﴾

ثلاث وعشرون آية بصري شامي وخمس في الباقين

﴿ اختلافها ﴾

آيتان كتابه بيمينه وراء ظهره كلاهما حجازي كوفي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأ سورة انشقت اعاذه الله ان يعطيه كتابه وراء ظهره

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر احوال القيامة وافتتح هذه السورة بمثل ذلك فاتصلت بها اتصال النظير بالنظير فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) إِذا السَّماءُ انشَقَّتْ (٢) وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ (٣) وَإِذا الأَرْضُ مُدَّتْ (٤) وَأَلْقَتْ ما فيها وَتَخَلَّتْ (٥) وَأَذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ (٦) يا أَيُّها الإِنسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقيهِ (٧) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمينِهِ (٨) فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِساباً يَسيراً (٩) وَيَنقَلِبُ إِلى أَهْلِهِ مَسْرُوراً (١٠) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِهِ (١١) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً (١٢) وَيَصْلى سَعيراً (١٣) إِنَّهُ كانَ في أَهْلِهِ مَسْرُوراً (١٤) إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ (١٥) بَلى إِنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصيراً (١٦) فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٧) وَاللَّيْلِ وَما وَسَقَ (١٨) وَالْقَمَرِ إِذا اتَّسَقَ (١٩) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ (٢٠) فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٢١) وَإِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لا يَسْجُدُونَ (٢٢) بَلِ الَّذينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٣) وَاللهُ أَعْلَمُ بِما يُوعُونَ (٢٤) فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَليمٍ (٢٥) إِلاَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ خمس وعشرون آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر واهل العراق غير الكسائي يصلى بالتخفيف بفتح الياء والباقون يصلى بضم الياء والتشديد وقرأ ابن كثير واهل الكوفة غير عاصم لتركبن بفتح الباء والباقون بضم الباء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي حجة يصلى مشددة اللام ثم الجحيم صلوه وحجة يصلى وسيصلون سعيرا اصلوها اليوم وهذا كثير في التنزيل وحجة لتركبن قول ابن عباس لتركبن السماء حالا بعد حال مرة كالمهل ومرة كالدهان وابن مسعود لتركبن يا محمد طبقا عن طبق مجاهد لتركبن امرا بعد امر الحسن اي حالا عن حال ومنزلا

عن منزل ابو عبيدة لتركبن سنة من كان قبلكم ابو علي من فتح الباء اراد النبي ﷺ ومن ضم الباء اراد النبي ﷺ وغيره والضم يأتي على معنى المفتوحة وفسروا طبقا عن طبق حالا بعد حال ومثل ما فسروا من أن معني عن معنى بعد قول الأعشى

ساد وألفى رهطه سادة وكابرا سادوك عن كابر

المعنى كابرا بعد كابر فعن متعلق بسادوك ولا يكون متعلقا بكابر وقد بينوا ذلك في قول النابغة

بقية قدر من قدور تورثت لآل الجلاح كابرا بعد كابر

وقالوا عرق عن الحمى اي بعدها

اللغة

الانشقاق افتراق امتداد عن التئام فكل انشقاق افتراق وليس كل افتراق انشقاقا والاذن الاستماع تقول العرب أذن الك هذا الأمر اذنا بمعنى استمع الك قال عدي بن زيد

في سماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ماذي مشار

وقال ايضا

ايها القلب تعلل بددن إن همي في سماع واذن

وقال آخر «وان ذكرت بشر عندهم اذنوا» والكدح السعي الشديد في الأمر والدأب في العمل ويقال كدح الانسان في عمله يكدح وثور فيه كدوح اي آثار من شدة السعي قال ابن مقبل

وما الدهر الا تارتان فمنهما اموت واخرى ابتغي العيش اكدح

والحور الرجوع حار يحور اذا رجع وكلمته فما حار جوابا اي ما رد جوابا ونعوذ بالله من الحور بعد الكور اي من الرجوع الى النقصان بعد الزيادة والتمام وحوره اذا رده الى البياض والمحور البكرة تدور حتى ترجع الى مكانها والشفق هو الحمرة بين المغرب والعشاء الآخرة وهو قول مالك والشافعي والاوزاعي وابي يوسف ومحمد وهو قول الخليل وهو المروي عن ائمة الهدى (ع) وقال تغلب هو البياض وهو قول ابي حنيفة قال الفراء سمعت بعض العرب تقول الثوب احمر كأنه الشفق وقال الشاعر «أحمر اللون كمحمر الشفق» وقال آخر

قم يا غلام أعنّي غير محتشم على الزمان بكأس حشوها شفق

واصل الشفق الرقة ومثله التشفيق وهو الرقة على خلل فيه واشفق على كذا اذا رق عليه وخاف هلاكه وثوب شفق رقيق فالشفق هو الحمرة الرقيقة في المغرب بعد مغيب الشمس والوسق الجمع وسقته اسقه اذا جمعته وطعام موسوق اي مجموع والوسق الطعام المجتمع الكثير مما يكال او يوزن ومقداره ستون صاعا والاتساق الاجتماع على تمام افتعال من الوسق واصل الطبق الحال والعرب تسمي الدواهي ام طبق وبنات طبق قال قد طرقت ببكرها ام طبق وقال في ان الطبق الحال

الصبر احمد والدنيا مفجعة من ذا الذي لم يذق من عيشه رنقا
اذا صفا الك من مسرورها طبق اهدى لك الدهر من مكروهها طبقا

وقال آخر

انى امرؤ قد حلبت الدهر اشطره ‏ وساقني طبق منه الى طبق

فلست اصبو الى خل يفارقني ‏ ولا تقبض احشائي من الفرق

﴿ الإعراب ﴾

قال الزجاج جواب اذا يدل عليه قوله فملاقيه والمعنى اذا كان يوم القيامة لقي الانسان عمله والهاء في قوله فملاقيه يجوز ان يكون تقديره فملاق ربك ويجوز ان يكون فملاق كدحك اي عملك وسعيك وقوله كادح الى ربك كدحا قيل ان الى هنا بمعنى اللام والوجه الصحيح فيه ان يكون محمولا على المعنى لأن معناه ساع الى ربك سعيا على انه يحتمل ان يكون الى متعلقه بمحذوف ويكون التقدير انك كادح لنفسك سائر الى ربك كما ان قوله وتبتل اليه يكون على معنى تبتل من الخلق راجعا الى الله تعالى او راغبا اليه وقوله يدعو ثبورا معناه انه يقول يا ثبوراه فكأنه يدعوه ويقول يا ثبور تعال فهذا اوانك مثل ما قيل في يا حسرتى فعلى هذا يكون ثبورا مفعولا به ان لن يحور تقديره انه لن يحور فهي مخففة من الثقيلة ولا يجوز ان تكون ان الناصبة للفعل لأنه لا يجوز ان يجتمع عاملان على كلمة واحدة وقوله فما لهم مبتدأ وخبر ولا يؤمنون جملة منصوبة الموضع على الحال والتقدير اي شيء استقر لهم غير مؤمنين .

﴿ المعنى ﴾

(اذا السماء انشقت) اي تصدعت وانفرجت وانشقاقها من علامات القيامة وذكر ذلك في مواضع من القرآن (واذنت لربها) اي سمعت واطاعت في الانشقاق عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وهذا توسع اي كأنها سمعت وانقادت لتدبير الله (وحقت) اي وحق لها ان تأذن بالانقياد لأمر ربها الذي خلقها وتطيع له (واذا الارض مدت) اي بسطت باندكاك جبالها وآكامها حتى تصير كالصحيفة الملساء وقيل انها تمد مد الأديم العكاظي وتزاد في سعتها عن ابن عباس وقيل سويت فلا بناء ولا جبل الا دخل فيها عن مقاتل (والقت ما فيها) من الموتى والكنوز مثل واخرجت الأرض اثقالها عن قتادة ومجاهد (وتخلت) اي خلت فلم يبق في بطنها شيء وقيل معناه القت ما في بطنها من كنوزها ومعادنها وتخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها (واذنت لربها وحقت) ليس هذا بتكرار لأن الأول في صفة السماء والثاني في صفة الارض وهذا كله من اشراط الساعة وجلائل الامور التي تكون فيها والتقدير اذا كانت هذه الاشياء التي ذكرناها وعددناها رأى الانسان ما قدم من خير او شر ويدل على هذا المحذوف قوله (يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا) اي ساع اليه في عملك وقوله يا ايها الانسان خطاب لجميع المكلفين من ولد آدم يقول الله لهم سبحانه ولكل واحد منهم يا ايها الانسان انك عامل عملا في مشقة لتحمله الى الله وتوصله اليه (فملاقيه) اي ملاق جزاءه جعل لقاء جزاء العمل لقاء له تفخيما لشأنه وقيل معناه ملاق ربك اي صائر الى حكمه حيث لا حكم الا حكمه وقال ابن الأنباري والبلخي جواب اذا قوله اذنت لربها وحقت والواو زائدة كقوله حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها وهذا ضعيف والأول هو الوجه ثم قسم سبحانه احوال الخلق يوم القيامة فقال (فأما من أوتي كتابه بيمينه) اي من اعطي كتابه الذي ثبت فيه اعماله من طاعة او معصية بيده اليمنى (فسوف يحاسب حسابا يسيراً) يريد انه لا يناقش في الحساب ولا يواقف

على ما عمل من الحسنات وما له عليها من الثواب وما حط عنه من الاوزار اما بالتوبة او بالعفو وقيل الحساب اليسير التجاوز عن السيئات والاثابة على الحسنات ومن نوقش الحساب عذب في خبر مرفوع وفي رواية اخرى يعرف عمله ثم يتجاوز عنه وفي حديث آخر ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا وادخله الجنة برحمته قالوا وما هي يا رسول الله قال تعطي من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك (وينقلب) بعد الفراغ من الحساب (الى اهله مسرورا) بما اوتي من الخير والكرامة والمراد بالأهل هنا ما اعد الله له من الحور العين وقيل اهله ازواجه واولاده وعشائره وقد سبقوه الى الجنة والسرور هو الاعتقاد والعلم بوصول نفع اليه او دفع ضرر عنه في المستقبل وقال قوم هو معنى في القلب يلتذ لأجله بنيل المشتهى يقال سر بكذا من مال أو ولد أو بلوغ امل فهو مسرور (واما من أوتي كتابه وراء ظهره) لأن يمينه مغلولة الى عنقه وتكون يده اليسرى خلف ظهره عن الكلبي وقيل تخلع يده اليسرى خلف ظهره عن مقاتل والوجه في ذلك أن تكون اعطاء الكتاب باليمين امارة للملائكة والمؤمنين لكون صاحبه من اهل الجنة ولطفا للخلق في الاخبار به وكناية عن قبول اعماله واعطاؤه على الوجه الآخر امارة لهم على ان صاحبه من اهل النار وعلامة المناقشة في الحساب وسوء المآب ثم حكى سبحانه ما يحل به فقال (فسوف يدعو ثبورا) اي هلاكا اذا قرأ كتابه وهو أن يقول واثبوراه واهلاكاه (ويصلى سعيرا) اي يدخل النار ويعذب بها عن الجبائي وقيل يصير صلاء النار المسعرة وقيل يلزم النار معذبا على وجه التأبيد (انه كان في اهله مسرورا) في الدنيا ناعما لا يهمه أمر الآخرة ولا يتحمل مشقة العبادة فابدله الله بسروره غما باقيا لا ينقطع وكان المؤمن مهتما بأمر الآخرة فأبدله الله بهمه سرورا لا يزول ولا يبيد وقيل كان مسرورا بمعاصي الله تعالى لا يندم عليها عن الجبائي وقيل ان من عصى وسر بمعصية الله فقد ظن انه لا يرجع الى البعث ولو كان موقنا بالبعث والجزاء لكان بعيدا عن السرور بالمعاصي (انه ظن أن لن يحور) اي ظن في دار التكليف انه لم يرجع الى حال الحياة في الآخرة للجزاء فارتكب المآثم وانتهك المحارم وقال مقاتل حسب أن لا يرجع الى الله فقال سبحانه بلى ليحورن وليبعثن وليس الأمر على ما ظنه (ان ربه كان به بصيرا) من يوم خلقه الى أن بعثه قال الزجاج كان به بصيرا قبل أن يخلقه عالما بأن مرجعه اليه ثم اقسم سبحانه فقال (فلا اقسم) سبق بيانه في سورة القيامة (بالشفق) اي بالحمرة التي تبقى عند المغرب في الأفق وقيل البياض (والليل وما وسق) اي وما جمع وضم مما كان منتشرا بالنهار في تصرفه وذلك ان الليل اذ اقبل اوى كل شيء الى مأواه عن عكرمة وغيره وقيل وما ساق لأن ظلمة الليل تسوق كل شيء الى مسكنه عن الضحاك ومقاتل وقيل وما وسق اي طرد من الكواكب فإنها تظهر بالليل وتخفى بالنهار واضاف ذلك الى الليل لأن ظهورها فيه مطرد عن ابي مسلم (والقمر اذا اتسق) اي اذا استوى واجتمع وتكامل وتم قال الفراء اتساقه امتلاؤه واجتماعه واستواؤه لثلاث عشرة الى ست عشرة (لتركبن طبقا عن طبق) هذا جواب القسم اي لتركبن يا محمد سماء بعد سماء تصعد فيها عن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والشعبي والكلبي ويجوز أن يريد درجة بعد درجة رتبة بعد رتبة في القربة من الله ورفعة المنزلة عنده وروى مجاهد عن ابن عباس انه كان يقرأ لتركبن بفتح الباء طبقا عن طبق قال يعني نبيكم حالا بعد حال رواه البخاري في الصحيح ومن قرأ بالضم فالخطاب للناس اي لتركبن حالا بعد حال ومنزلا بعد منزل وأمراً بعد امر يعني في الآخرة والمراد ان

الاحوال تتقلب بهم فيصيرون على غير الحال التي كانوا عليها في الدنيا وعن بمعنى بعد كما قال سبحانه عما قليل ليصبحن نادمين اي بعد قليل وقال الشاعر

قربا مربط النعامة مني   لقحت حرب وائل عن حيال

اي بعد حيال وقيل معناه شدة بعد شدة حياة ثم موت ثم بعث ثم جزاء وروي ذلك مرفوعا وقيل امرا بعد امر ورخاء بعد شدة وشدة بعد رخاء وفقرا بعد غنى وغنى بعد فقر وصحة بعد سقم وسقما بعد صحة عن عطا وقيل حالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم خلقا آخر ثم جنينا ثم وليدا ثم رضيعا ثم فطيما ثم يافعا ثم ناشئا ثم مترعرعا ثم حزورا ثم مراهقا ثم محتلما ثم بالغا ثم امرد ثم طارا ثم باقلا ثم مسيطرا ثم مطرخا ثم مختطا ثم صملا ثم ملتحيا ثم مستويا ثم مصعدا ثم مجتمعا والشاب يجمع ذلك كله ثم ملهوزا ثم كهلا ثم اشمط ثم شيخا ثم اشيب ثم حوقلا ثم صفتانا ثم هما ثم هرما ثم ميتا فيشتمل الانسان من كونه نطفة إلى ان يموت على سبعة وثلاثين اسما وقيل معناه لتحدثن امرا لم تكونوا عليه في كل عشرين سنة عن مكحول وقيل معناه لتركبن منزلة عن منزلة وطبقة عن طبقة وذلك أن من كان على صلاح دعاه ذلك إلى صلاح فوقه ومن كان إلى فساد دعاه إلى فساد فوقه لأن كل شيء يجر إلى شكله وقيل لتركبن سنن من كان قبلكم من الأولين واحوالهم عن ابي عبيدة وروي ذلك عن الصادق (ع) والمعنى انه يكون فيكم ما كان فيهم ويجري عليكم ما جرى عليهم حذو القذة بالقذة ثم قال سبحانه على وجه التقريع لهم والتبكيت (فما لهم) يعني كفار قريش (لا يؤمنون) بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن والمعنى اي شيء لهم إذا لم يؤمنوا وهو استفهام انكار أي لا شيء لهم من النعيم والكرامة إذا لم يؤمنوا وقيل معناه فما وجه الارتياب الذي يصرفهم عن الايمان وهو تعجب منهم في تركهم الايمان والمراد اي مانع لهم واي عذر لهم في ترك الايمان مع وضوح الدلائل (وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) عطف على قوله فما لهم لا يؤمنون اي ما الذي يصرفهم عن الايمان وعن السجود لله تعالى إذا تلي عليهم القرآن وقيل معنى لا يسجدون لا يصلون لله تعالى عن عطا والكلبي وفي خبر مرفوع عن ابي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا السماء انشقت فسجد ثم قال سبحانه (بل الذين كفروا يكذبون) اي لم يتركوا الايمان لقصور في البيان أو لانقطاع من البرهان لكنهم قلدوا اسلافهم ورؤساءهم في التكذيب بالرسول والقرآن (والله اعلم بما يوعون) اي يجمعون في صدورهم ويضمرون في قلوبهم من التكذيب والشرك عن ابن عباس وقتادة ومقاتل وقيل بما يجمعون من الأعمال الصالحة والسيئة عن ابن زيد قال الفراء اصل الايعاء جعل الشيء في وعاء والقلوب اوعية لما يحصل فيها من علم او جهل وفي كلام امير المؤمنين (ع) إن هذه القلوب اوعية فخيرها اوعاها ثم قال (فبشرهم) يا محمد (بعذاب اليم) اي اجعل ذلك لهم بدل البشارة للمؤمنين بالرحمة ثم استثنى سبحانه المؤمنين من جملة المخاطبين فقال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون) أي غير منقوص ولا مقطوع لأن نعيم الآخرة غير منقطع عن ابن عباس وقيل غير منقص ولا مكدر بالمن عن الجبائي وروي ذلك عن الحسن وقيل له منّ ولا منة وإنما قيل له منّ ومنة لأنه يقطع عن شكر النعمة واصل المن القطع يقال مننت الحبل اذا قطعته قال لبيد

لمعفر قهد تنازع شلوه   غبس كواسب ما يمن طعامها

وقيل ليس لأحد عليها منة فيما يكسب وفي قوله سبحانه فما لهم لا يؤمنون ولا يسجدون دلالة على ان الايمان والسجود فعلهم لأن الحكيم لا يقول ما لك لا تؤمن ولا تسجد لمن يعلم انه لا يقدر على الايمان والسجود ولو وجد ذلك لم يكن من فعله ويدل قوله لا يسجدون على ان الكفار مخاطبون بالعبادات

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله ان ربه كان به بصيرا بما قبله انه سبحانه لما اخبر عن ظن الكافر ان لن يحور عقبه بالاخبار بأنه يحور والقطع عليه وذكر انه بصير به وقيل ان تقديره بلى سيرجع الى الآخرة وربه بصير بأحواله فسيجازيه باعماله

سورة البروج

مكية اثنتان وعشرون آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأها اعطاه الله من الأجر بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في دار الدنيا عشر حسنات يونس بن ظبيان عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ والسماء ذات البروج في فرائضه فإنها سورة النبيين كان محشره وموقفه مع النبيين والمرسلين

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر المؤمنين وافتتح هذه السورة ايضا بذكر المؤمنين من اصحاب الاخدود فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (٢) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٣) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣) قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (٤) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (٥) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (٦) وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (٧) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٩) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١٠) إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ (١١) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ (١٢) إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (١٣) إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ (١٤) وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ (١٥) ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ (١٦) فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٧) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ (١٨) فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ (١٩) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ (٢٠) وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ (٢١) بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢٢) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ

اثنتان وعشرون آية

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم وقتيبة المجيد بالجر والباقون بالرفع وقرأ نافع في لوح محفوظ بالرفع والباقون بالجر

الحجة

قال ابو علي من رفع المجيد كان متبعا قوله ذوالعرش ومن جر فمن النحويين من جعله وصفا لقوله ربك في ان بطش ربك قال ولا اجعله وصفا للعرش ومنهم من قال صفة للعرش قال ابو زيد يقال مجدت الابل تمجدا مجودا اذا رعت في ارض مكلئة وشبعت وامجدت الابل اذا اشبعتها وقالوا في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي صار ماجدا في إيرائه النار وقيل استمجد العفار اذا كثر ناره وصفت وحجة نافع في قراءته محفوظ أن القرآن وصف بالحفظ في قوله وانا له لحافظون ومعنى حفظ القرآن انه يؤمن من تحريفه وتبديله وتغييره فلا يلحقه شيء من ذلك وحجة من جر محفوظا جعله وصفا للوح فإنهم يقولون اللوح المحفوظ

اللغة

الاخدود الشق العظيم في الارض ومنه ما روي في معجز النبي ﷺ انه دعا الشجرة فجعلت تخد الارض خدا حتى أتته ومنه الخد لمجاري الدموع وتخدد لحمه اذا صار فيه طرائق كالشقوق والوقود ما تشتعل به النار من الحطب وغيره بفتح الواو والوقود بالضم الايقاد يقال فتنت الشيء احرقته والفتين حجارة سود كأنها محرقة وأصل الفتنة الامتحان ثم يستعمل في العذاب

الاعراب

قال الفراء قتل اصحاب الاخدود جواب القسم كما كان جواب والشمس وضحاها قد افلح من زكاها وقيل ان جواب القسم محذوف وتقديره ان الامر حق في الجزاء على الاعمال وقيل جواب القسم قوله ان الذين فتنوا المؤمنين الآية وقيل جواب القسم قوله إن بطش ربك لشديد . النار بدل من الاخدود وهو بدل الاشتمال لأن الاخدود يشتمل على ما فيه من النار اي النار منه وذات الوقود صفة للنار ويسأل على هذا فيقال كيف خصت هذه النار بذا وكل نار لها وقود واجيب عنها بجوابين * احدهما * انه قد يكون نار ليست بذات وقود كنار الحجر ونار الكبد * والآخر * ان الوقود معرف فصار مخصوصا كأنه وقود بعينه كما قال وقودها الناس والحجارة فكان الوقود هنا ابدان الناس إذ هم عليها قعود إذ مضاف الى الجملة وهي ظرف لقوله قتل اصحاب الاخدود اذا كان اخبارا لا دعاء وان يؤمنوا في موضع نصب بقوله نقموا والتقدير وما نقموا الا ايمانهم . فرعون وثمود في موضع جر بدل من الجنود ويجوز أن يكونا في موضع نصب باضمار فعل كأنه قال اعني فرعون وثمود

قصة اصحاب الاخدود

روى مسلم في الصحيح عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمه عن ثابت بن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن صهيب عن رسول الله ﷺ قال كان ملك فيمن كان قبلكم له ساحر فلما مرض الساحر قال إني قد حضر اجلي فادفع الي غلاما اعلمه السحر فدفع اليه غلاما وكان يختلف اليه وبين الساحر والملك راهب فمر الغلام بالراهب فاعجبه كلامه وامره فكان يطيل عنده القعود فإذا ابطأ عن الساحر ضربه وإذا ابطأ عن

اهله ضربوه فشكا ذلك الى الراهب فقال يا بني اذا استبطأك الساحر فقل حبسني اهلي وإذا استبطأك اهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو ذات يوم إذا بالناس قد حبستهم دابة عظيمة فظيعة فقال اليوم اعلم أمر الساحر افضل ام امر الراهب فأخذ حجرا فقال اللهم إن كان امر الراهب احب اليك فاقتل هذه الدابة فرمى فقتلها ومضى الناس فاخبر بذلك الراهب فقال اي بني انك ستبتلي وإذا ابتليت فلا تدل علي قال وجعل يداوي الناس فيبرئ الاكمه والابرص فبينما هو كذلك إذ عمي جليس للملك فأتاه وحمل اليه مالا كثيرا فقال اشفني ولك ما هاهنا فقال اني لا اشفي احدا ولكن الله يشفي فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك قال فآمن فدعا الله له فشفاه فذهب فجلس الى الملك فقال يا فلان من شفاك قال ربي قال انا قال لا ربي وربك الله قال أو أن لك ربا غيري قال نعم ربي وربك الله فأخذه فلم يزل به حتى دله على الغلام فبعث الى الغلام فقال لقد بلغ من امرك أن تشفي الاكمه والابرص قال ما اشفي احدا ولكن الله ربي يشفي قال أو ان لك ربا غيري قال نعم ربي وربك الله فأخذه فلم يزل به حتى دله على الراهب فوضع المنشار عليه فنشره حتى وقع شقين وقال للغلام ارجع عن دينك فأبى فارسل معه نفرا وقال اصعدوا به جبل كذا و كذا فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه منه قال فعلوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت قال فرجف بهم الجبل فتدهدهوا اجمعون وجاء الى الملك فقال ما صنع اصحابك قال كفانيهم الله فارسل به مرة اخرى فال انطلقوا به فلججوه في البحر فإن رجع وإلا فغرقوه فانطلقوا به في قرقور فلما توسطوا به البحر قال اللهم اكفنيهم بم شئت قال فانكفأت بهم السفينة وجاء حتى قام بين يدي الملك فقال ما صنع اصحابك قال كفانيهم الله ثم قال انك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به اجمع الناس ثم اصلبني على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضعه على كبد القوس ثم قل باسم رب الغلام فإنك ستقتلني قال فجمع الناس وصلبه ثم أخذ سهما من كنانته فوضعه على كبد القوس وقال باسم رب الغلام ورمى فوقع السهم في صدغه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل له أرأيت ما كنت تخاف قد نزل والله بك آمن الناس فأمر بالأخدود فخددت على افواه السكك ثم اضرمها نارا فقال من رجع عن دينه فدعوه ومن أبى فاقحموه فيها فجعلوا يقتحمونها وجاءت امرأة بابن لها فقال لها يا امه اصبري فإنك على الحق وقال ابن المسيب كنا عند عمر بن الخطاب إذ ورد عليه انهم احتفروا فوجدوا ذلك الغلام وهو واضع يده على صدغه فكلما مدت يده عادت الى صدغه فكتب عمر واروه حيث وجدتموه وروى سعيد بن جبير قال لما انهزم اهل اسفندهان قال عمر بن الخطاب ما هم يهود ولا نصارى ولا لهم كتاب وكانوا مجوسا فقال علي بن ابي طالب (ع) بل قد كان لهم كتاب ولكنه رفع وذلك ان ملكا لهم سكر فوقع على ابنته او قال على اخته فلما افاق قال لها كيف المخرج مما وقعت فيه قالت تجمع اهل مملكتك وتخبرهم انك ترى نكاح البنات وتأمرهم ان يحلوه فجمعهم فأخبرهم فأبوا أن يتابعوه فخد لهم أخدودا في الأرض وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن أبى قبول ذلك قذفه في النار ومن أجاب خلى سبيله وقال الحسن كان النبي ﷺ اذا ذكر أمامه أصحاب الاخدود تعوذ بالله من جهد البلاء وروى العياشي بإسناده عن جابر عن ابي جعفر (ع) قال أرسل علي (ع) الى اسقف نجران يسأله عن اصحاب الاخدود فأخبره بشيء فقال (ع) ليس كما ذكرت ولكن سأخبرك عنهم إن الله بعث رجلا حبشيا نبيا وهم حبشة فكذبوه فقاتلهم فقتلوا أصحابه وأسروه واسروا اصحابه ثم بنوا له حيرا ثم ملأوه نارا ثم جمعوا الناس فقالوا من

كان على ديننا وأمرنا فليعتزل ومن كان على دين هؤلاء فليرم نفسه في النار معه فجعل أصحابه يتهافتون في النار فجاءت امرأة معها صبي لها ابن شهر فلما هجمت على النار هابت ورقت على ابنها فناداها الصبي لا تهابي وارمي بي وبنفسك في النار فإن هذا والله في الله قليل فرمت بنفسها في النار وصبيها وكان ممن تكلم في المهد وبإسناده عن ميثم التمار قال سمعت أمير المؤمنين (ع) وذكر أصحاب الأخدود فقال كانوا عشرة وعلى مثالهم عشرة يقتلون في هذا السوق وقال مقاتل كان أصحاب الأخدود ثلاثة واحد بنجران والآخر بالشام والآخر بفارس حرقوا بالنار أما الذي بالشام فهو انطياخوس الرومي وأما الذي بفارس فهو بخت نصر وأما الذي بأرض العرب فهو يوسف بن ذي نواس فأما من كان بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآنا وأنزل في الذي كان بنجران وذلك ان رجلين مسلمين ممن يقرأون الإنجيل * أحدهما * بأرض تهامة * والآخر * بنجران اليمن أجر أحدهما نفسه في عمل يعمله فجعل يقرأ الإنجيل فرأت ابنة المستأجر النور يضيء من قراءة الإنجيل فذكرت لأبيها فرمق حتى رآه فسأله فلم يخبره فلم يزل به حتى أخبره بالدين والإسلام فتابعه مع سبعة وثمانين انسانا من رجل وامرأة وهذا بعدما رفع عيسى الى السماء فسمع يوسف بن ذي نواس بن شراحيل بن تبع الحميري فخدّ لهم في الارض وأوقد فيها فعرضهم على الكفر فمن ابى قذفه في النار ومن رجع عن دين عيسى لم يقذف فيها واذا امرأة جاءت ومعها ولد صغير لا يتكلم فلما قامت على شفير الخندق نظرت الى ابنها فرجعت فقال لها ياأماه اني ارى أمامك نارا لا تطفى فلما سمعت من ابنها ذلك قذفها في النار فجعلها الله وابنها في الجنة وقذف في النار سبعة وسبعون انسانا قال ابن عباس من ابى أن يقع في النار ضرب بالسياط فأدخل الله أرواحهم في الجنة قبل ان تصل اجسامهم الى النار

* المعنى *

ان الله سبحانه أقسم بالسماء فقال (والسماء ذات البروج) فالبروج المنازل العالية والمراد هنا منازل الشمس والقمر والكواكب وهي اثنا عشر برجا يسير القمر في كل برج منها يومين وثلاث وتسير الشمس في كل برج شهراً (واليوم الموعود) يعني يوم القيامة في قول جميع المفسرين وهو اليوم الذي يجازى فيه الخلائق ويفصل فيه القضاء (وشاهد ومشهود) فيه أقوال * أحدها * ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة عن ابن عباس وقتادة وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسمي يوم الجمعة شاهدا لأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه وفي الحديث ما طلعت الشمس على يوم ولا غربت على يوم أفضل منه وفيه ساعة لا يوافقها من يدعو فيها الله بخير الا استجاب له ولا استعاذ من شر الا أعاذه منه ويوم عرفة مشهود يشهد الناس فيه موسم الحج وتشهده الملائكة * وثانيها * أن الشاهد يوم النحر والمشهود يوم عرفة عن ابراهيم * وثالثها * أن الشاهد محمد صلى الله عليه وآله وسلم والمشهود يوم القيامة عن ابن عباس في رواية اخرى وسعيد بن المسيب وهو المروي عن الحسن بن علي وروي ان رجلا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإذا رجل يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال فسألته عن الشاهد والمشهود فقال نعم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة فجزته الى آخر يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسألته عن ذلك فقال أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم النحر فجزتهما الى غلام كان وجهه الدينار وهو يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت اخبرني عن شاهد ومشهود فقال اما الشاهد فمحمد صلى الله عليه وآله وسلم واما المشهود فيوم القيامة اما سمعته سبحانه يقول ياايها

النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وقال ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فسألت عن الاول فقالوا ابن عباس وسألت عن الثاني فقالوا ابن عمر وسألت عن الثالث فقالوا الحسن بن علي (ع) ﴿ورابعها﴾ أن الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة وعن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اكثروا الصلاة علي يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احدا لا يصلي علي إلا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها قال فقلت وبعد الموت فقال إن الله حرم على الأرض أن تأكل اجساد الانبياء فنبي الله حي يرزق ﴿وخامسها﴾ ان الشاهد الملك يشهد على بني آدم والمشهود يوم القيامة عن عكرمة وتلا هاتين الآيتين وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وذلك يوم مشهود وقد قيل في ذلك أقوال اخر كقول الجبائي الشاهد الذين يشهدون على الناس والمشهود هم الذين يشهد عليهم وقول الحسين بن الفضل الشاهد هذه الامة والمشهود سائر الامم لقوله لتكونوا شهداء على الناس وقيل الشاهد اعضاء بني آدم والمشهود هم لقوله يوم تشهد عليهم السنتهم الآية وقيل الشاهد الحجر الاسود والمشهود الحاج وقيل الشاهد الأيام والليالي والمشهود بنو آدم وينشد للحسين بن علي (ع)

مضى امسك الماضي شهيدا معدلا   وخلفت في يوم عليك شهيد
فإن انت بالامس اقترفت اساءة   فقيد بإحسان وانت حميد
ولا ترج فعل الخير يوما إلى غد   لعل غدا يأتي وانت فقيد

وقيل الشاهد الانبياء والمشهود محمد صلى الله عليه وآله وسلم بيانه واذ أخذ الله ميثاق النبيين إلى قوله فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين وقيل الشاهد الله والمشهود لا إله إلا الله بيانه قوله شهد الله أنه لا إله إلا هو الآية وقيل الشاهد الخلق والمشهود الحق واليه اشار الشاعر بقوله

أيا عجبا كيف يعصي الإله   ام كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة   وفي كل تسكينة شاهد
وفي كل شيء له آية   تدل على انه واحد

فهذه ثمانية اقوال اخر (قتل اصحاب الاخدود) اي لعنوا بتحريقهم الناس في الدنيا قبل الآخرة والمراد به الكافرون الذين حفروا الاخدود وعذبوا المؤمنين بالنار ويحتمل أن يكون اخباراً عن المسلمين الذين عذبوا بالنار في الاخدود والمعنى انهم قتلوا بالاحراق في النار ذكرهم الله سبحانه واثنى عليهم بحسن بصيرتهم وصبرهم على دينهم حتى احرقوا بالنار لا يعطون التقية بالرجوع عن الايمان (النار ذات الوقود) أي اصحاب النار الذين أوقدوها باحراق المؤمنين وقوله ذات الوقود اشارة إلى كثرة حطب هذه النار وتعظيم لأمرها فإن النار لا تخلو عن وقود (إذ هم عليها قعود) يعني الكفار اذ هم على اطراف هذه النار جلوس يعذبون المؤمنين عن ابن عباس وقيل يعني هم عندها قعود يعرضونهم على الكفر عن مقاتل قال مجاهد كانوا قعودا على الكراسي عند الاخدود وهو قوله (وهم) يعني الملك واصحابه الذين خدوا الاخدود (على ما يفعلون بالمؤمنين) من عرضهم على النار وارادتهم أن يرجعوا إلى دينهم (شهود) أي حضور قال الزجاج أعلم الله قصة قوم بلغت بصيرتهم وحقيقة ايمانهم إلى ان صبروا على ان احرقوا بالنار في الله وقال الربيع بن انس لما القوا في النار نجى الله المؤمنين بأن اخذ رواحهم قبل أن تمسهم النار وخرجت النار إلى

من على شفير الاخدود من الكفار فأحرقتهم وقيل انهم كانوا فرقتين فرقة تعذب المؤمنين وفرقة تشاهد الحال لم يتولوا تعذيبهم لكنهم قعود رضوا بفعل اولئك وكانت الفرقة القاعدة مؤمنة لكنهم لم ينكروا على الكفار صنيعهم فلعنهم الله جميعا عن ابي مسلم والقعود جمع القاعد وكذلك الشهود جمع الشاهد وهم كل حاضر على ما شاهدوه إما بسمع أو بصر (وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله) أي ما كرهوا منهم إلا انهم آمنوا عن ابن عباس وقيل ما انكروا عليهم دينا وما عابوا منهم شيئا إلا ايمانهم وهذا كقوله هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله عن الزجاج ومقاتل وقال الجبائي ما فعلوا بهم ذلك العذاب إلا بايمانهم (العزيز) القادر الذي لا يمتنع عليه شيء القاهر الذي لا يقهر (الحميد) المحمود في جميع افعاله (الذي له ملك السموات والارض) أي له التصرف في السموات والارض لا اعتراض لأحد عليه (والله على كل شيء شهيد) أي شاهد عليهم لم يخف عليه فعلهم بالمؤمنين فإنه يجازيهم وينتصف للمؤمنين منهم (ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات) أي الذين احرقوهم وعذبوهم بالنار عن ابن عباس وقتادة والضحاك ومثله يومهم على النار يفتنون (ثم لم يتوبوا) من فعلهم ذلك ومن الشرك الذي كانوا عليه وانما شرط عدم التوبة لأنهم لو تابوا لما توجه اليهم الوعيد (فلهم عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) بما احرقوا المؤمنين. يسأل فيقال كيف فصل بين عذاب جهنم وعذاب الحريق وهما واحد. اجيب عن ذلك بأن المراد لهم انواع العذاب في جهنم سوى الإحراق مثل الزقوم والغسلين والمقامع ولهم مع ذلك الاحراق بالنار وقيل لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا وذلك ان النار ارتفعت من الاخدود فأحرقتهم عن الربيع بن انس وهو قول الكلبي وقال الفراء ارتفعت النار عليهم فأحرقتهم فوق الاخاديد ونجا المؤمنون ثم ذكر سبحانه ما اعده للمؤمنين الذين احرقوا بالنار فقال (ان الذين آمنوا) أي صدقوا بتوحيد الله (وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير) النجاة العظيم والنفع الخالص وانما وصفه بالكبير لأن نعيم العاملين كبير بالإضافة الى نعيم من لا عمل له من داخلي الجنة لما في ذلك من الإجلال والإكرام والتبجيل والإعظام ثم قال سبحانه متوعداً للكفار والعصاة (ان بطش ربك) يا محمد (لشديد) يعني ان اخذه بالعذاب اذا اخذ الظلمة والجبابرة أليم شديد واذا وصف البطش وهو الاخذ عنفا بالشدة فقد تضاعف مكروهه وتزايد ايلامه (انه هو يبدئ) الخلق يخلقهم اولا في الدنيا (ويعيد) هم احياء بعد الموت للحساب والجزاء فليس امهاله لمن يعصيه لإهماله اياه وقيل انه يبدئ بالعذاب في الدنيا ويعيده في الآخرة عن ابن عباس وذلك لأن ما قبله يقتضيه (وهو الغفور) لذنوب المؤمنين من اهل طاعته ومعناه كثير الغفران عادته مغفرة الذنوب (الودود) يود اولياءه ويحبهم عن مجاهد قال الازهري في تفسير اسماء الله يجوز ان يكون ودود فعولا بمعنى مفعول كركوب وحلوب ومعناه ان عباده الصالحين يودونه ويحبونه لما عرفوا من فضله وكرمه ولما اسبغ من آلائه ونعمه قال وكلتا الصفتين مدح لأنه سبحانه ان احب عباده المطيعين فهو فضل منه وان احبوه فلما عرفوه من فضله واحسانه (ذو العرش المجيد) اكثر القراءة في المجيد الرفع لأن الله سبحانه هو الموصوف بالمجد ولأن المجيد لم يسمع في غير صفة الله تعالى وان سمع الماجد ومن كسر المجيد جعله من صفة العرش وروي عن ابن عباس انه قال يريد العرش وحسنه ويؤيده ان العرش وصف بالكرم في قوله رب العرش الكريم فجاز ايضا ان يوصف بالمجد لأن معناه الكمال والعلو والرفعة والعرش اكمل كل شيء واعلاه واجمعه لصفات الحسن

(فعال لما يريد) لا يعجزه شيء طلبه ولا يمتنع منه شيء اراده عن عطاء وقيل لما يريد من الابداء والاعادة ثم ذكر سبحانه خبر الجموع الكافرة فقال (هل اتيك حديث الجنود) الذين تجندوا على انبياء الله أي هل بلغك اخبارهم وقيل اراد قد اتاك ثم بين سبحانه اصحاب الجنود فقال (فرعون وثمود) والمعنى تذكر يا محمد حديثهم تذكر معتبر كيف كذبوا انبياء الله وكيف نزل بهم العذاب و كيف صبر الانبياء و كيف نصروا فاصبر كما صبر اوائك ليأتيك النصر كما أتاهم وهذا من الايجاز البديع والتلويح الفصيح الذي لا يقوم مقامه التصريح (بل الذين كفروا) يعني مشركي قريش (في تكذيب) لك والقرآن قد اعرضوا عما يوجبه الاعتبار واقبلوا على ما يوجبه الكفر والطغيان (والله من ورائهم محيط) معناه انهم في قبضة الله وسلطانه لا يفوتونه كالمحاصر المحاط به من جوانبه لا يمكنه الفوات والهرب وهذا من بلاغة القرآن (بل هو قرآن مجيد) أي كريم لأنه كلام الرب عن ابن عباس أي ليس هو كما يقولون من انه شعر أو كهانة وسحر بل هو قرآن كريم عظيم الكرم فيما يعطي من الخير جليل الخطر والقدر وقيل هو قرآن كريم لما يعطي من المعاني الجليلة والدلائل النفيسه ولأن جميعه حكم والحكم على ثلاثة اوجه لا رابع لها معنى يعمل عليه فيما يخشى او يتقى وموعظة تلين القلب للعمل بالحق وحجة تؤدي إلى تميز الحق من الباطل في علم دين او دنيا وعلم الدين اشرفها وجميع ذلك موجود في القرآن (في لوح محفوظ) من التغيير والتبديل والنقصان والزيادة وهذا على قراءة من رفعه فجعله من صفة قرآن ومن جره فجعله صفة للوح فالمعنى انه محفوظ لا يطلع عليه غير الملائكة وقيل محفوظ عند الله وهو أم الكتاب ومنه نسخ القرآن والكتب وهو الذي يعرف باللوح المحفوظ وهو من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب عن ابن عباس ومجاهد وقيل ان اللوح المحفوظ الذي ذكره الله في جبهة اسرافيل عن انس وقيل اللوح المحفوظ عن يمين العرش عن مقاتل

سورة الطارق

مكية سبع عشرة آية

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأها اعطاه الله بعدد كل نجم في السماء عشر حسنات عن المعلى بن خنيس عن ابي عبد الله (ع) قال من كان قراءته في الفريضة بالسماء والطارق كان له يوم القيامة عند الله جاه ومنزلة وكان من رفقاء النبيين واصحابهم في الجنة

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بالوعيد وافتتح هذه السورة بمثله واكد ذلك بأن اعمال الخلق محفوظة فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٣) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٤) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٥) فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٦) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٧) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٨) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٩) يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ (١٠) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ

وَلا ناصِرٍ (١١) وَالسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ (١٢) وَالأَرْضِ ذاتِ الصَّدْعِ (١٣) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٤) وَما هُوَ بِالهَزْلِ (١٥) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً (١٦) وَأَكِيدُ كَيْداً (١٧) فَمَهِّلِ الكافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً سبع عشرة آية

القراءة

قرأ ابو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة لما عليها بتشديد الميم والباقون بالتخفيف وفي الشواذ قراءة ابن عباس مهلهم رويدا بغير الف

الحجة

قال ابو علي من خفف لما كانت ان عنده المخففة من الثقيلة واللام معها هي اللام التي تدخل مع هذه المخففة لتخلصها من ان النافية وما صلة كالتي في قوله فبما رحمة من الله وعما قليل وتكون ان متلقية للقسم كما تتلقاه مثقلة ومن ثقل لما كانت ان عنده النافية كالتي في قوله فيما إن مكنا كم فيه ولما في معنى إلا وهي متلقية للقسم كما يتلقاه ما قال ابو الحسن الثقيلة في معنى الا والعرب لا تكاد تعرف ذا وقال الكسائي لا اعرف وجه التثقيل وعن ابن عوف قال قرأت عند ابن سيرين إن كل نفس لما بالتشديد فانكره قال الزجاج استعملت لما في موضع الا في موضعين ✻ احدهما ✻ هذا والآخر في باب القسم تقول سألتك لما فعلت بمعنى الا فعلت

اللغة

طرقني فلان إذا أتاني ليلا واصل الطرق الدق ومنه المطرقة لانها يدق بها والطريق لأن المارة تدقه والطارق الآتي ليلا يحتاج إلى الدق للتنبيه ونهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يطرق الرجل اهله ليلا حتى تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة وقالت هند بنت عتبة (نحن بنات طارق نمشي على النمارق) تريدان اباها نجم في شرفه وعلوه وقال الشاعر

يا راقد الليل مسرورا بأوله ... إن الحوادث قد يطرقن اسحارا
لا تأمنن بليل طاب اوله ... فرب آخر ليل أجج النارا

والنجم الكواكب الطالعة في السماء يقال لكل طالع ناجم تشبيها به نجم النبت ونجم السن والقرن والثاقب المضيء النير وثقوبه توقده بنوره والثاقب العالي الشديد العلو والدفق صب الماء الكثير باعتماد قوي ومثله الدفع فالماء الذي يكون منه الولد يكون دافقا وهو القاطر المصب وهي النطفة التي يخلق الله منها الولد وقيل ماء دافق معناه مدفوق ومثله سر كاتم وعيشة راضية والترائب نواحي الصدر واحدتها تريبة وهو مأخوذ من تذليل حركتها كالتراب قال المثقب

ومن ذهب يسن على تريب ... كلون العاج ليس بذي غضون

وقال آخر

والزعفران على ترائبها ... شرقا به اللبات والصدر

والرجع اصله من الرجوع وهو الماء الكثير تردده الرياح تمر عليه قال المنخل في صفة السيف

ابيض كالرجع رسوب إذا ... ما ثاخ في محتفل يختلي

قال الزجاج الرجع المطر لأنه يجيء ويرجع ويتكرر والصدع الشق فصدع الارض انشقاقها بالنبات وضروب الزروع والاشجار

﴿ الاعراب ﴾

ما الطارق ما استفهام والجملة مبتدأ وخبر وهي معلقة بأدراك في موضع المفعول الثاني والثالث وقوله يوم تبلى السرائر العامل فيه فعل مضمر يدل عليه قوله على رجعه لقادر والتقدير يرجعه يوم ابلاء السرائر ولا يجوز أن يعمل فيه المصدر لأنه يكون من صلته وقد فرق بينه وبينه بقوله لقادر ويجوز ان يكون العامل فيه قوله لقادر ورويداً صفة لمصدر محذوف وتقديره امهالا رويدا .

﴿ المعنى ﴾

أقسم الله سبحانه فقال (والسماء) اي بالسماء وقيل برب السماء وقد بينا القول في ذلك (والطارق) وهو الذي يجيء ليلا (وما ادريك ما الطارق) وذلك ان هذا الاسم يقع على كل ما طرق ليلا ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدري ما المراد لولم يبينه ثم بينه بقوله (النجم الثاقب) أي هو الكوكب المضيء ويريد به العموم وهو جماع النجوم عن الحسن وقيل هو زحل والثاقب العالي على النجوم عن ابن زيد وقيل اراد به الثريا والعرب تسميه النجم وقيل هو القمر لأنه يطلع بالليل عن الفراء وجواب القسم قوله (ان كل نفس لما عليها حافظ) اي ما كل نفس الا عليها حافظ من الملائكة يحفظ عملها وقولها وفعلها ويحصي ما يكتسبه من خير وشر ومن قرأ لما بالتخفيف فالمعنى ان كل نفس لعليها حافظ يحفظها وقال قتادة حافظ من الملائكة يحفظ عملها ورزقها واجلها ثم نبَّه سبحانه على البعث بقوله (فلينظر الانسان) يعني المكذب بالبعث عن مقاتل (مم خلق) اي فلينظر نظر التفكر والاستدلال من اي شيء خلقه الله وكيف خلقه وانشأه حتى يعرف ان الذي ابتدأه من نطفة قادر على اعادته ثم ذكر من اي شيء خلقه فقال (خلق من ماء دافق) اي من ماء مهراق في رحم المرأة يعني المني الذي يكون منه الولد عن ابن عباس قال الفراء واهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول في كثير من كلامهم نحو سر كاتم وهم ناصب وليل نائم وقد ذكرناه قبل ثم وصف سبحانه ذلك الماء فقال (يخرج من بين الصلب والترائب) وهو موضع القلادة من الصدر عن ابن عباس قال عطاء يريد صلب الرجل وترائب المرأة والولد لا يكون إلا من الماءين وقيل الترائب اليدان والرجلان والعينان عن الضحاك وسئل عكرمة عن الترائب فقال هذه ووضع يده على صدره بين ثدييه وقيل ما بين المنكبين والصدر عن مجاهد والمشهور في كلام العرب أنها عظام الصدر والنحر (انه على رجعه لقادر) يعني ان الذي خلقه ابتداء من هذا الماء يقدر على ان يرجعه حيا بعد الموت عن الحسن وقتادة والجبائي وقيل معناه انه تعالى على رد الماء في الصلب لقادر عن عكرمة ومجاهد وقيل انه على رد الانسان ماء كما كان قادر عن الضحاك وقال مقاتل ابن حيان يقول إن شئت رددته من الكبر الى الشباب ومن الشباب الى الصبي ومن الصبى الى النطفة والاصح القول الاول لقوله (يوم تبلى السرائر) أي انه قادر على بعثه يوم القيامة ومعنى الرجع رد الشيء إلى اول حاله والسرائر اعمال بني آدم والفرائض التي اوجبت عليه وهي سرائر بين الله والعبد وتبلى اي تختبر تلك السرائر يوم القيامة حتى يظهر خيرها من شرها ومؤديها من مضيعها روي ذلك مرفوعا عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضمن الله خلقه اربع خصال الصلاة والزكوة وصوم رمضان والغسل من الجنابة

وهي السرائر التي قال الله يوم تبلى السرائر وعن معاذ بن جبل قال سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما هذه السرائر التي تبلى بها العباد في الآخرة فقال سرائر كم هي اعمالكم من الصلاة والصيام والزكاة والوضوء والغسل من الجنابة و كل مفروض لأن الأعمال كلها سرائر خفية فإن شاء قال الرجل صليت ولم يصل وان شاء قال توضأت ولم يتوضأ فذلك قوله يوم تبلى السرائر وقيل يظهر الله اعمال كل احد لأهل القيامة حتى يعلموا على اي شيء اثابه ويكون فيه زيادة سروره وان يكن من اهل العقوبة يظهر عمله ليعلموا على اي شيء عاقبه ويكون ذلك زيادة غم له والسرائر ما اسره من خير او شر وما اضمره من إيمان او كفر وروي عن عبد الله بن عمر انه قال يبدي الله يوم القيامة كل سر ويكون زينا في الوجوه وشينا في الوجوه (فما له) اي فما لهذا الإنسان المنكر للبعث والحشر (من قوة) يمتنع به من عذاب الله (ولا ناصر) ينصره من الله والقوة هي القدرة ثم ذكر سبحانه قسما آخر تأكيدا لأمر القيامة فقال (والسماء ذات الرجع) اي ذات المطر عن اكثر المفسرين وقيل يعني بالرجع شمسها وقمرها ونجومها تغيب ثم تطلع عن ابن زيد وقيل رجع السماء اعطاؤها الخير الذي يكون من جهتها حالا بعد حال على مرور الازمان فترجع بالغيث وارزاق العباد وغير ذلك (والأرض ذات الصدع) تتصدع بالنبات اي تنشق فيخرج منها النبات والاشجار (انه لقول فصل) هذا جواب القسم يعني ان القرآن يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما وروي ذلك عن الصادق (ع) وقيل معناه ان الوعد بالبعث والإحياء بعد الموت قول فصل اي مقطوع به لا خلاف ولا ريب فيه (وما هو بالهزل) اي هو الجد وليس باللعب وقيل ان القرآن لم ينزل باللعب ثم اخبر سبحانه عن مشركي قريش فقال (إنهم يكيدون كيدا) اي يحتالون في الايقاع بك وبمن معك ويريدون اطفاء نورك (واكيد كيدا) أي اريد امرا آخر على ضد ما يريدون وادبر ما ينقض تدابيرهم ومكايدهم فسمى ذلك كيدا من حيث يخفى ذلك عليهم (فمهل الكافرين) اي انتظر بهم يا محمد ولا تعاجلهم وارض بتدبير الله فيهم (امهلهم رويدا) اي امهالا قليلا عن قتادة وإنما قال الإمهال لأن ما هو كائن آت لا محالة فهو قليل والمراد به يوم القيامة وقيل اراد يوم بدر والمعنى لا تعجل عليّ في طلب هلاكهم بل اصبر عليهم قليلا فإن الله مجزيهم لا محالة إما بالقتل والذل في الدنيا أو بالعذاب في الآخرة قال ابن جني قوله فمهل الكافرين امهلهم غير اللفظ لأنه آثر التأكيد وكره التكرير فلما تجشم اعادة اللفظ انحرف عنه بعض الانحراف بتغييره المثال وانتقل عن لفظ فعل إلى لفظ افعل فقال امهلهم ولما تجشم التثليث جاء بالمعنى وترك اللفظ البتة فقال رويدا

سورة الاعلى

مكية عن ابن عباس مدنية عن الضحاك وهي تسع عشرة آية بلا خلاف

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب قال قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأها اعطاه الله من الاجر عشر حسنات بعدد كل حرف انزله الله على ابراهيم وموسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وروي عن علي بن ابي طالب (ع) قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

يحب هذه السورة سبح اسم ربك الأعلى وأول من قال سبحان ربي الاعلى ميكائيل وعن ابن عباس كان النبي ﷺ إذا قرأ سبح اسم ربك الأعلى قال سبحان ربي الاعلى وكذلك روي عن علي (ع) وابن عمر وابن الزبير انهم كانوا يفعلون ذلك وروى جويبر عن الضحاك انه كان يقول ذلك وكان يقول من قرأها فليفعل ذلك وعن ابي بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سبح اسم ربك الأعلى في فريضة أو نافلة قيل له يوم القيامة ادخل من أي أبواب الجنة شئت وروى العياشي باسناده عن ابي حميصة عن علي (ع) قال صليت خلفه عشرين ليلة فليس يقرأ إلا سبح اسم ربك وقال لو يعلمون ما فيها لقرأها الرجل كل يوم عشرين مرة وان من قرأها فكأنما قرأ صحف موسى وابراهيم الذي وفى وعن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله ﷺ اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الأعلى قال اجعلوها في سجودكم

❋ تفسيرها ❋

لما ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر الوعيد والتهديد للكفار افتتح هذه السورة بذكر صفاته العلى وقدرته على ما يشاء فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى (٢) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٣) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٤) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٥) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٦) سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنْسَى (٧) إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٨) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى (٩) فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (١٠) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١١) وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى (١٢) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٣) ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَى (١٤) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٥) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٦) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٧) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٨) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى (١٩) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (تسع عشرة آية)

❋ القراءة ❋

قرأ الكسائي قدر بالتخفيف وهو قراءة علي (ع) والباقون قدر بالتشديد وقرأ ابو عمرو وروح وزيد وقتيبة يؤثرون بالياء والباقون بالتاء

❋ الحجة ❋

قد تقدم ان قدر في معنى قدر فكلا الوجهين حسن وتؤثرون بالتاء على الخطاب بل انتم تؤثرون والياء على انه يريد الاشقين وروي ان ابن مسعود والحسن قرآه

❋ اللغة ❋

الأعلى نظير الاكبر ومعناه العالي بسلطانه وقدرته وكل من دونه في سلطانه ولا يقتضي ذلك المكان قال الفرزدق :

ان الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتا دعائمه أعز وأطول

والغثاء ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات وأصله الاخلاط من اجناس شتى

والعرب تسمي القوم اذا اجتمعوا من قبائل شتى اخلاطا وغثاء والاحوى الأسود والحوة السواد قال ذو الرمة :

لمياء في شفتيها حوة لعس ... وفي اللثات وفي انيابها شنب

وقال :

قرحاء حواء اشراطية وكفت ... فيها الذهاب وحفتها البراعيم

والاقراء أخذ القراءة على القارئ بالاستماع لتقويم الزال والقارئ التالي واصله الجمع لأنه يجمع الحروف والنسيان ذهاب المعنى عن النفس ونظيره السهو ونقيضه الذكر وهو ذهاب العلم الضروري بما جرت به العادة ان يعلمه وليس بمعنى وقال ابو علي الجبائي هو معنى من فعل الله تعالى

❋ الإعراب ❋

الأعلى يحتمل أن يكون جراً صفة لرب وان يكون نصبا صفة لاسم احوى نصب على الحال من المرعى والتقدير اخرج المرعى احوى اي اسود لشدة خضرته فجعله غثاء اي جففه حتى صار جافا كالغثاء ويجوز أن يكون نعتا لغثاء والتقدير فجعله غثاء أسود والاول أوجه وهو قول الزجاج . ما شاء الله في موضع نصب على الاستثناء والتقدير سنقرؤك القرآن فلا تنساه إلا ما شاء الله ان تنساه برفع حكمه وتلاوته وهو قول الحسن وقتادة . ان نفعت الذكرى شرط جزاؤه محذوف يدل عليه قوله فذكر والتقدير إن نفعت الذكرى فذكرهم

❋ المعنى ❋

(سبح اسم ربك الاعلى) أي قل سبحان ربي الأعلى عن ابن عباس وقتادة وقيل معناه نزه ربك عن كل ما لا يليق به من الصفات المذمومة والافعال القبيحة لأن التسبيح هو التنزيه لله عما لا يليق به يجوز ان تقول لا إله إلا هو فتنفي ما لا يجوز في صفته من شريك في عبادته مع الاقرار بأنه الواحد في إلهيته وأراد بالإسم المسمى وقيل انه ذكر الاسم والمراد به تعظيم المسمى كما قال لبيد « الى الحول ثم اسم السلام عليكما » ويحسن بالقارئ اذا قرأ هذه الآية ان يقول سبحان ربي الأعلى وان كان في الصلاة قال الباقر (ع) اذا قرأت سبح اسم ربك الأعلى فقل سبحان ربي الأعلى وان كان فيما بينك وبين نفسك والأعلى معناه القادر الذي لا قادر أقدر منه القاهر لكل احد وقيل الأعلى صفة الاسم والمعنى سبح الله بذكر اسمه الأعلى واسماؤه الحسنى كلها أعلى وقيل معناه صلّ باسم ربك الاعلى عن ابن عباس (الذي خلق) الخلق (فسوى) بينهم في باب الإحكام والاتقان وقيل خلق كل ذي روح فسوى يديه وعينيه ورجليه عن الكلبي وقيل خلق الإنسان فعدل قامته عن الزجاج يعني انه لم يجعله منكوسا كالبهائم والدواب وقيل خلق الاشياء على موجب ارادته وحكمته فسوى صنعها لتشهد على وحدانيته (والذي قدر فهدى) أي قدر الخلق على ما خلقهم فيه من الصور والهيئات وأجرى لهم اسباب معايشهم من الارزاق والاقوات ثم هداهم الى دينه بمعرفة توحيده بإظهار الدلالات والبينات وقيل معناه قدر اقواتهم وهداهم لطلبها وقيل قدرهم على ما اقتضته حكمته فهدى أي ارشد كل حيوان الى ما فيه منفعته ومضرته حتى انه سبحانه هدى الطفل الى ثدي امه وهدى الفرخ حتى طلب الزق من ابيه وأمه والدواب والطيور حتى فزع كل منهم الى امه وطلب المعيشة من جهته سبحانه وتعالى وقيل قدرهم ذكوراً واناثا وهدى الذكر كيف يأتي الأنثى عن مقاتل والكلبي

وقيل هدى الى سبيل الخير والشر عن مجاهد وقيل قدر الولد في البطن تسعة اشهر او أقل او اكثر وهدى للخروج منه للتمام عن السدي وقيل قدّر المنافع في الاشياء وهدى الإنسان لاستخراجها منه فجعل بعضها غذاء وبعضها دواء وبعضها سما وهدى الى ما يحتاج الى استخراجها من الجبال والمعادن كيف تستخرج وكيف تستعمل (والذي اخرج المرعى) اي أنبت الحشيش من الأرض لمنافع جميع الحيوان واقواتهم (فجعله) بعد الخضرة (غثاء) اي هشيما جافا كالغثاء الذي تراه فوق السيل (أحوى) أي اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلأ اذا يبس اسود وقيل معناه اخرج العشب وما ترعاه النعم أحوى اي شديد الخضرة يضرب الى السواد من شدة خضرته فجعله غثاء اي يابسا بعد ما كان رطبا وهو قوت البهائم في الحالين فسبحان من دبر هذا التدبير وقدر هذا التقدير وقيل إنه مثل ضربه الله تعالى لذهاب الدنيا بعد نضارتها (سنقرئك فلا تنسى) أي سنأخذ عليك قراءة القرآن فلا تنسى ذلك وقيل معناه سيقرأ عليك جبريل القرآن بأمرنا فتحفظه ولا تنساه قال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذا نزل عليه جبرائيل(ع) بالوحي يقرأه مخافة أن ينساه فكان لا يفرغ جبرائيل عليه السلام من آخر الوحي حتى يتكلم هو بأوله فلما نزلت هذه الآية لم ينس بعد ذلك شيئا (إلا ماشاء الله) أن ينسيكه بنسخه من رفع حكمه وتلاوته عن الحسن وقتادة وعلى هذا فالانشاء نوع من النسخ وقد مرّ بيانه في سورة البقرة عند قوله ما ننسخ من آية أو ننسها الآية وقيل معناه الا ماشاء الله أن يؤخر انزاله عليك فلا تقرأه وقيل الا ما شاء الله كالاستثناء في الإيمان وان لم يقع منه مشيئة النسيان قال الفراء لم يشأ الله أن ينسى عليه السلام شيئا فهو كقوله خالدين فيها ما دامت السماوات والارض إلا ما شاء ربك ولا يشاء وكقول القائل لاعطينك كل ما سألت إلا ما شئت وإلا أن اشاء ان أمنعك والنية ان لا يمنعه ومثله الاستثناء في الإيمان ففي الآية بيان لفضيلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم واخبار انه مع كونه صلى الله عليه وآله وسلم أميا كان يحفظ القرآن وان جبرائيل عليه السلام كان يقرأ عليه سورة طويلة فيحفظه بمرة واحدة ثم لا ينساه وهذه دلالة على الاعجاز الدال على نبوته (انه يعلم الجهر وما يخفى) معناه ان الله سبحانه يعلم العلانية والسر والجهر رفع الصوت ونقيضه الهمس والمعنى انه سبحانه يحفظ عليك ما جهرت به وما اخفيته مما تريد أن تعيه (ونيسرك لليسرى) اليسرى هي الفعلى من اليسر وهو سهولة عمل الخير والمعنى نوفقك للشريعة اليسرى وهي الحنيفية ونهون عليك الوحي ونسهله حتى تحفظه ولا تنساه وتعمل به ولا تخالفه وقيل معناه نسهل لك من الالطاف والتأييد ما يثبتك على أمرك ويسهل عليك المستصعب من تبليغ الرسالة والصبر عليه عن ابي مسلم وهذا احسن ما قيل فيه فإنه يتصل بقوله سنقرؤك فلا تنسى فكأنه سبحانه أمره بالتبليغ ووعده النصر وأمره بالصبر وقيل ان اليسرى عبارة عن الجنة فهي اليسرى الكبرى أي نيسر لك دخول الجنة عن الجبائي (فذكر) أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يذكر الخلق ويعظهم (ان نفعت الذكرى) وإنما قال ذلك وذكراه تنفع لا محالة في عمل الإيمان والامتناع من العصيان لأنه ليس بشرط حقيقة وانما هو اخبار عن انه ينفع لا محالة في زيادة الطاعة والانتهاء عن المعصية كما يقال سله ان نفع السؤال وقيل معناه عظهم ان نفعت الموعظة أو لم تنفع لأنه صلى الله عليه وآله وسلم بعث للاعذار والانذار فعليه التذكير في كل حال نفع أو لم ينفع ولم يذكر الحالة الثانية كقوله سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم وقد نبه الله سبحانه على تفصيل الحالتين بقوله (سيذكر من يخشى) أي سيتعظ بالقرآن من يخشى الله تعالى ويخاف عقابه (ويتجنبها) أي يتجنب الذكرى والموعظة

(الأشقى) اي أشقى العصاة فإن للعاصين درجات في الشقاوة فأعظمهم درجة فيها الذي كفر بالله وتوحيده وعبد غيره وقيل الأشقى من الاثنين من يخشى ومن يتجنب عن ابي مسلم (الذي يصلى النار الكبرى) أي يلزم اكبر النيران وهي نار جهنم والنار الصغرى نار الدنيا عن الحسن وقيل إن النار الكبرى هي الطبقة السفلى من جهنم عن الفراء (ثم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيى) حياة ينتفع بها بـل صارت حياته وبالا عليه يتمنى زوالها لما هو فيها معها من فنون العقاب وألوان العذاب وقيل ولا يحيى أي ولا يجد روح الحياة (قد أفلح من تزكى) أي قد فاز من تطهر من الشرك وقال لا إله إلا الله عن عطاء وعكرمة وقيل معناه قـد ظفر بالبغية من صار زاكيا بالاعمال الصالحة والورع عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل تزكى أي أعطى زكاة ماله عن ابن مسعود وكان يقول قد رحم الله امرأ تصدق ثم صلى ويقرأ هذه الآية وقيل أراد صدقة الفطرة وصلاة العيد عن ابي عمرو وابي العالية وعكرمة وابن سيرين وروي ذلك مرفوعا عن ابي عبد الله(ع) ومتى قيل على هذا القول كيف يصح ذلك والسورة مكية ولم يكن هناك صلاة عيد ولا زكاة ولا فطرة قلنا يحتمل إن يكون نزلت اوائلها بمكة وختمت بالمدينة (وذكر اسم ربه فصلى) أي وحد الله عن ابن عباس وقيل ذكر الله بقلبه عند صلاته فرجا ثوابه وخاف عقابه فإن الخشوع في الصلاة بحسب الخوف والرجـاء وقيل ذكر اسم ربه بلسانه عند دخوله في الصلاة فصلى بذلك الاسم أي قال الله اكبر لأن الصلاة لا تنعقد إلا به وقيل هو أن يفتتح ببسم الله الرحمن الرحيم ويصلي الصلوات الخمس المكتوبة ثم قال سبحانه مخاطبا للكفار (بل تؤثرون) أي تختارون (الحيوة الدنيا) على الآخرة فتعملون لها وتعمرونها ولا تتفكرون في أمر الآخرة وقيل هو عام في المؤمن والكافر بناء على الأعم الأغلب في أمر الناس قال عبد الله بن مسعود إن الدنيا اخضرت لنا وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذتها وبهجتها وان الآخرة نعتت لنا وزويت عنا فأخـذنا بالعاجل وتركنا الآجل ثم رغب سبحانه في الآخرة فقال (والآخرة) أي والـدار الآخرة وهي الجنة (خير) اي أفضل (وأبقى) وأدوم من الدنيا وفي الحديث من احب آخرته أضر بدنياه ومن احب دنياه اضر بآخرته (ان هذا لفي الصحف الاولى) يعني ان هذا الذي ذكر من قوله قد افلح الى أربع آيات لفي الكتب الأولى التي انزلت قبل القرآن ذكر فيها فلاح المصلي والمتزكي وايثار الخلق الدنيا على الآخرة وان الآخرة خيرٌ وقيل معناه ان من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فهو ممدوح في الصحف الاولى كما هو ممدوح في القرآن ثم بين سبحانه ان الصحف الاولى ما هي فقال (صحف ابراهيم وموسى) وفي هذا دلالة على أن ابراهيم كان قد انزل عليه الكتاب خلافا لمن يزعم انه لم ينزل عليه كتاب وواحدة الصحف صحيفة وروي عن ابي ذر أنه قال قلت يا رسول الله كم الانبياء فقال مائة الف نبي واربعة وعشرون الفا قلت يا رسول الله كم المرسلون منهم قال ثلاثمائة وثلاثة عشر وبقيتهم انبياء قلت كان آدم(ع) نبيا قال نعم كلمه الله وخلقه بيده يا أبا ذر اربعة من الانبياء عرب هود وصالح وشعيب ونبيك قلت يا رسول الله كم انزل الله من كتاب قال مائة واربعة كتب انزل الله منها على آدم(ع) عشر صحف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى اخنوخ وهو ادريس ثلاثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم وعلى ابراهيم عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وفي الحديث انه كان في صحف ابراهيم ينبغي للعاقل ان يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه وقيل ان كتب الله كلها انزلت في شهر رمضان

سورة الغاشية

مكية ست وعشرون آية بالاجماع

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ من قرأها حاسبه الله حسابا يسيراً ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من ادمن قراءة هل اتاك حديث الغاشية في فرائضه او نوافله غشاه الله برحمته في الدنيا والآخرة واعطاه الأمن يوم القيامة من عذاب النار

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السورة بالترغيب في الآخرة وانها خير من الدنيا وافتتح هذه ايضا ببيان احوال الآخرة فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (٢) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٣) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٤) تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً (٥) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٦) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٧) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (٨) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٩) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (١٠) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١١) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١٢) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٣) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٥) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (١٦) أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (٢٣) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ (٢٥) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٦) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ست وعشرون آية

القراءة

قرأ أهل البصرة غير سهل وابو بكر تصلى بضم التاء والباقون بفتحها وقرأ ابن كثير وأهل البصرة غير سهل لا يسمع بضم الياء لاغية بالرفع وقرأ نافع لا تسمع بضم التاء لاغية بالرفع وقرأ الباقون لا تسمع بفتح التاء لاغية بالنصب وقرأ ابو جعفر ايابهم بتشديد الياء والباقون بالتخفيف وروي عن علي (ع) أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الارض كيف سطحت بفتح اوائل هذه الحروف كلها وضم التاء وعن ابن عباس وقتادة وزيد بن اسلم وزيد بن علي إلا من تولى بالتخفيف

الحجة

حجة من قال تصلى قوله سيصلى نارا ذات لهب وقوله الا من هو صال الجحيم وحجة من قال تصلى قوله ثم الجحيم صلوه وصلوه مثل اصلوه واللاغية مصدر بمنزلة العاقبة والعافية ويجوز أن تكون صفة نحو أن تقول لا تسمع فيها كلمة لاغية والاول أوجه لقوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تسمع على بناء الفعل

المفعول به حسن لأن الخطاب ليس بمصروف إلى واحد بعينه وبناء الفعل للفاعل ايضا حسن على الشياع في الخطاب وإن كان لواحد وعلى هذا وإذا رأيت ثم رأيت نعيما ويجوز أن يكون الخطاب للنبي ﷺ وكل واحد من التاء والياء في تسمع ويسمع حسن على اللفظ وعلى المعنى وأما قوله ايابهم على التشديد فقال ابو الفتح انكر ابو حاتم هذه القراءة لأنه حملها على نحو كذّبوا كذابا قال وهذا لا يجوز لأنه كان يجب اوابا لأنه فعال فيصح لاحتمال التغيير بالادغام كقولهم اجلوذا جلواذا قال ابو الفتح يجوز أن يكونوا قلبوا الواو ياء من اواب وان كانت متحصنة بالادغام استحسانا للتخفيف لا وجوبا كما قالوا ديمّت السماء في دوّمت قال

هو الجواد ابن الجواد ان سئل ان ديّموا جاد وان جادوا وبل

يريد دوموا وقال ويجوز أن يكون بني من باب فيعلت واصله ايوبت والمصدر ايواب فقلبت الواو ياء اوقوع الياء ساكنة قبلها ويجوز أن يكون اوبت فوعلت والمصدر على الفيعال كالحيقال من حوقلت انشد الاصمعي

ياقوم قد حوقلت او دنوت وبعد حيقال الرجال الموت

فصار ايوابا فقلبت الواو ياء فصار ايابا واما قراءة علي (ع) فالمفعول في جميعها محذوف لدلالة المعنى عليه اي كيف خلقتها وكيف رفعتها وكيف نصبتها وسطحتها ومن قرأ الا من تولى فإلا افتتاح كلام ومن شرط وجوابه فيعذبه الله اي فهو يعذبه الله وقد تقدم القول فيه في مواضع

❋ اللغة ❋

الغاشية المجللة لجميع الجملة غشيه يغشاه غشيانا واغشاه غيره اذا جعله يغشى وغشاه بمعناه ونصب الرجل ينصب نصبا فهو نصب وناصب إذا تعب في العمل والآنية البالغة النهاية في شدة الحر والضريع نبت تأكله الإبل يضر ولا ينفع وانما سمي ضريعا لانه يشتبه عليها امره فتظنه كغيره من النبت والأصل من المضارعة المشابهة والنمارق واحدتها نمرقة والزرابي البسط الفاخرة واحدتها زربيه والمصيطر المتسلط على غيره بالقهر له يقال تصيطر فلان على فلان وصيطر إذا تسلط وقال ابو عبيدة مصيطر ومبيطر لا ثالث لهما في كلام العرب

❋ الإعراب ❋

كيف خلقت يجوز أن يكون في موضع نصب على الحال من خلقت ويجوز أن يكون على المصدر وتكون الجملة التي هي كيف خلقت معلقة بينظرون لأن النظر مؤد إلى العلم. الا من تولى هو استثناء منقطع وسيبويه يقدر الاستثناء المنقطع بلكن والفراء يقدره بسوى

❋ المعنى ❋

(هل اتيك حديث الغاشية) خطاب للنبي ﷺ يريد قد اتاك حديث يوم القيامة لأنها تغشى الناس بأهوالها بغتة عن ابن عباس والحسن وقتادة وقيل الغاشية النار تغشي وجوه الكفار بالعذاب وهذا كقوله تغشى وجوههم النار عن محمد بن كعب وسعيد بن جبير (وجوه يومئذ خاشعة) أي ذليلة بالعذاب الذي يغشاها والشدائد التي تشاهدها والمراد بذلك ارباب الوجوه وإنما ذكر الوجوه لأن الذل والخضوع يظهر فيها وقيل المراد بالوجوه الكبراء تقول جاءني وجوه بني تميم اي ساداتهم وقيل عنى به وجوه الكفار كلهم لأنها تكبرت عن عبادة الله تعالى عن مقاتل (عاملة ناصبة) فيه وجوه ❋ احدها ❋ ان المعنى عاملة في النار ناصبة

فيها عن الحسن وقتادة قالا لم يعمل لله سبحانه في الدنيا فاعملها وانصبها في النار بمعالجة السلاسل والاغلال قال الضحاك يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار وقال الكلبي يجرون على وجوههم في النار ﴿وثانيها﴾ أن المراد عاملة في الدنيا بالمعاصي ناصبة في النار يوم القيامة عن عكرمة والسدي ﴿وثالثها﴾ عاملة ناصبة في الدنيا يعملون وينصبون ويتعبون على خلاف ما امرهم الله تعالى به وهم الرهبان واصحاب الصوامع واهل البدع والآراء الباطلة لا يقبل الله اعمالهم في البدعة والضلالة وتصير هباء لا يثابون عليها عن سعيد بن جبير وزيد بن اسلم وابي الضحاك عن ابن عباس وقال ابو عبد الله (ع) كل ناصب لنا وان تعبدواجتهد يصيرالى هذه الآية عاملة ناصبة (تصلى نارا حامية) قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على اعداء الله وقيل المعنى إن هؤلاء يلزمون الاحراق بالنار التي في غاية الحرارة (تسقى من عين آنية) أي وتسقى ايضا من عين حارة قد بلغت اناها وانتهت حرارتها قال الحسن قد اوقدت عليها جهنم مذ خلقت فدفعوا اليها وردا عطاشا هذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال (ليس لهم طعام إلا من ضريع) وهو نوع من الشوك يقال له الشبرق واهل الحجاز يسمونه الضريع إذا يبس وهو اخبث طعام وابشعه لا ترعاه دابة وعن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الضريع شيء يكون في النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة واشد حرا من النار سماه الله الضريع وقال ابو الدرداء والحسن إن الله يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستسقون فيعطشهم الله سبحانه الف سنة ثم يسقون من عين آنية شربة لا هنيئة ولا مريئة كلما ادنوه إلى وجوههم سلخ جلود وجوههم وشواها فاذا وصل إلى بطونهم قطعها فذلك قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ولما نزلت هذه الآية قال المشركون إن ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك لأن الابل لا ترعاه فقال الله سبحانه تكذيبا لهم (لا يسمن ولا يغني من جوع) أي لا يدفع جوعا ولا يسمن احدا قال الحسن لا ادري ما الضريع لم اسمع من اصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم شيئا فيه وقيل هو سم عن مجاهد وقتادة وقيل ضريع بمعنى مضرع أي يضرعهم ويذلهم وقيل يسمى ضريعا لأن آكله يضرع في الاعفاء منه لخشونته وشدة كراهته عن ابن كيسان وقيل هو الحجارة عن سعيد بن جبير ثم وصف سبحانه اهل الجنة فقال (وجوه يومئذ ناعمة) اي منعمة في انواع اللذات ظاهر عليها اثر النعمة والسرور ومضيئة مشرقة (لسعيها) في الدنيا (راضية) حين اعطيت الجنة بعملها والمعنى لثواب سعيها وعملها من الطاعات راضية يريد انه لما ظهر نفع اعمالهم وجزاء عباداتهم رضوه وحمدوه وهذا كما يقال عند الصباح يحمد القوم السرى (في جنة عالية) أي مرتفعة القصور والدرجات وقيل ان علو الجنة على وجهين علو الشرف والجلالة وعلو المكان والمنزلة بمعنى انها مشرفة على غيرها وهي انزه ما تكون والجنة درجات بعضها فوق بعض كما ان النار دركات (لا تسمع فيها لاغية) اي كلمة ساقطة لا فائدة فيها وقيل لاغية ذات لغو كقولهم نابل ودارع أي ذو نبل ودرع قال الحطيئة «وغررتني وزعمت انك لابن بالصيف تامر» (فيها) أي في تلك الجنة (عين جارية) قيل انه اسم جنس ولكل انسان في قصره من الجنة عين جارية من كل شراب يشتهيه وفي العيون الجارية من الحسن واللذة والمنفعة ما لا يكون في الواقفة ولذلك وصف بها عيون اهل الجنة وقيل إن عيون اهل الجنة تجري في غير اخدود وتجري كما يريد صاحبها (فيها) أي في تلك الجنة (سرر مرفوعة) قال ابن عباس الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت مرتفعة ما لم يجئ اهلها فاذا اراد أن يجلس عليها تواضعت له حتى يجلس عليها ثم ترتفع إلى موضعها والسرر جمع سرير وهو مجلس السرور وقيل إنما رفعت ليرى المؤمنون بجلوسهم عليها جميع ما حولهم من الملك (واكواب موضوعة) على حافات العيون الجارية كلما أراد المؤمن شربها وجدها مملوءة وهي الاباريق ليس لها خراطيم ولا عرى تتخذ للشراب وقيل هي أواني الشراب من الذهب والفضة والجواهر بين ايديهم ويشربون بها

ما يشتهونه من الاشربة ويتمتعون بالنظر اليها لحسنها (ونمارق مصفوفة) أي وسائد يتصل بعضها ببعض على هيئة مجالس الملوك في الدنيا (وزرابي مبثوثة) وهي البسط الفاخرة والطنافس المخملة والمبثوثة المبسوطة المنشورة ويجوز أن يكون المعنى انها مفرقة في المجالس وعن عاصم بن ضمرة عن علي (ع) انه ذكر اهل الجنة فقال يجيئون فيدخلون فإذا اساس بيوتهم من جندل اللؤلؤ وسرر مرفوعة واكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ولولا ان الله تعالى قدرها لهم لالتمعت ابصارهم بما يرون ويعانقون الازواج ويقعدون على السرر ويقولون الحمد لله الذي هدانا لهذا قال قتادة ولما نعت الله الجنة وما فيها عجب من ذلك اهل الضلال فأنزل الله سبحانه (أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت) وكانت الابل عيشا من عيشهم فيقول افلا يتفكرون فيها وما يخرج الله من ضروعها من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين يقول كما صنعت هذا لهم فكذلك اصنع لأهل الجنة في الجنة وقيل معناه أفلا يعتبرون بنظرهم إلى الابل وما ركبه الله عليه من عجيب الخلق فإنه مع عظمته وقوته يذلله الصغير فينقاد له بتسخير الله اياه لعباده فيبركه ويحمل عليه ثم يقوم وليس ذلك في غيره من ذوات الأربع فلا يحمل على شيء منها الا وهو قائم فاراهم الله سبحانه هذه الآية فيه ليستدلوا على توحيده بذلك عن ابي عمرو بن العلاء والزجاج وسئل الحسن عن هذه الآية وقيل له الفيل اعظم من الابل في الاعجوبة فقال اما الفيل فالعرب بعيدو العهد بها ثم هو خنزير لا يركب ظهرها ولا يؤكل لحمها ولا يحلب درها والابل من اعز مال العرب وانفسه تأكل النوى والقت وتخرج اللبن ويأخذ الصبي بزمامها فيذهب بها حيث شاء مع عظمها في نفسها ويحكى أن فارة أخذت بزمام ناقة فأخذت تجرها وهي تتبعها حتى دخلت الجحر فجرت الزمام فبركت الناقة فجرت فقربت فمها من جحر الفأر (وإلى السماء كيف رفعت) أي كيف رفعها الله فوق الأرض وجعل بينهما هذا الفضاء الذي به قوام الخلق وحياتهم ثم إلى ما خلقه فيها من بدائع الخلق من الشمس والقمر والكواكب وعلق بها منافع الخلق واسباب معايشهم (وإلى الجبال كيف نصبت) أي أولا يتفكرون في خلق الله سبحانه الجبال اوتادا للأرض ومسكنة لها وانه لولاها لمادت الأرض بأهلها (وإلى الأرض كيف سطحت) أي كيف بسطها الله ووسعها ولولا ذلك لما صح الاستقرار عليها والانتفاع بها وهذه من نعم الله سبحانه على عباده لا توازيها نعمة منعم وفيها دلائل على توحيده ولو تفكروا فيها لعلموا أن لهم صانعا صنعهم وموجدا أوجدهم ولما ذكر سبحانه الأدلة امر نبيه بالتذكير بها فقال (فذكر) يا محمد والتذكير التعريف للذكر بالبيان الذي يقع به الفهم والنفع بالتذكير عظيم لأنه طريق للعلم بالامور التي يحتاج اليها (إنما انت مذكر) لهم بنعم الله تعالى عندهم وبما يجب عليهم في مقابلتها من الشكر والعبادة وقد اوضح الله تعالى طريق الحجج في الدين وأكده غاية التأكيد بما لا يسع فيه التقليد بقوله إنما انت مذكر وقوله وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وقوله إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ولقوم يذكرون ويتفكرون وقيل إن المراد فذكرهم بهذه الادلة وامرهم بالاستدلال بها ونبههم عليها عن الجبائي وابي مسلم (لست عليهم بمصيطر) معناه لست عليهم بمتسلط تسليطا يمكنك أن تدخل الإيمان في قلوبهم وتجبرهم عليه وإنما الواجب عليك الانذار فاصبر على الانذار والتبليغ والدعوة إلى الحق وقيل معناه لست عليهم بمتسلط الآن حتى تقاتلهم إن خالفوك وكان هذا قبل نزول آية الجهاد ثم نسخ بالامر بالقتال والوجه الصحيح انه لا نسخ فيه لأن الجهاد ليس باكراه للقلوب والمراد انك إنما بعثت للتذكير وليس عليك من ترك قبولهم شيء (إلا من تولى وكفر) أي أعرض عن الذكر ولم يقبل منك وكفر بالله وبما جئت به فكل امره إلى الله عن الحسن وقيل معناه إلا من تولى وكفر فلست له بمذكر لأنه لا يقبل منك فكأنك لست تذكره (فيعذبه الله العذاب الاكبر) وهو الخلود في النار ولا عذاب اعظم منها ثم ذكر سبحانه أن مرجعهم اليه فقال (إن الينا إيابهم) أي مرجعهم ومصيرهم بعد الموت (ثم إن علينا حسابهم) أي جزاءهم على اعمالهم فهذا جامع بين الوعد والوعيد ومعناه لا يهمنك امرهم فإنهم

و إن عاندوك وآذوك فمصير جميعهم إلى حكمنا لا يفوتوننا ومجازاتهم علينا وعن قريب تقر عينك بما تراه في اعدائك

﴿ النظم ﴾

يسأل كيف يتصل ذكر الابل وما بعدها بذكر وصف الجنان ونعيمها ﴿ والجواب ﴾ إنه يتصل بأول السورة والضمير في قوله ينظرون عائد إلى الذين وصفهم بقوله عاملة ناصبة وانه لما ذكر عقابهم وثواب المؤمنين عاد عليهم بالاحتجاج بالابل والسماء والأرض والجبال وكيفية دلالتها على وجود الصانع الحكيم يريد هلا نظر هؤلاء في صنائع الله فيعرفونه ويعبدونه عن ابي مسلم وقيل انه لما ذكر سرر الجنة وارتفاعها تعجبوا من ذلك وقالوا كيف يصعد عليها فاراهم الله سبحانه الابل وانه كيف سخرت لبني آدم مع عظمها حتى انيخت للحمل عليها وتقوم بعد ذلك وكيف أحكم الله خلق السموات والأرض والجبال ردا على اولئك القوم وإنما خص سبحانه هذه الأشياء بالذكر لاستواء الناس كلهم في معرفتها

سورة الفجر

مكية اثنتان وثلاثون آية حجازي وثلاثون كوفي شامي وتسع وعشرون بصري

﴿ اختلافها ﴾

أربع آيات ونعمه فقدر عليه رزقه كلاهما حجازي بجهنم حجازي شامي في عبادي كوفي

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ومن قرأها في ليال عشر غفر الله له ومن قرأها سائر الأيام كانت له نورا يوم القيامة وروى داود بن فرقد عن ابي عبد الله (ع) قال اقرأوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم فإنها سورة الحسين بن علي (ع) من قرأها كان مع الحسين بن علي (ع) يوم القيامة في درجته من الجنة

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بأن اياب الخلق اليه وحسابهم عليه وافتتح هذه السورة بتأكيد ذلك المعنى حين اقسم انه بالمرصاد فقال

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم (١) وَٱلْفَجْرِ (٢) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٣) وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ (٤) وَٱللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٥) هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ (٦) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٧) إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ (٨) ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ (٩) وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ (١٠) وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ (١١) ٱلَّذِينَ طَغَوْا فِي ٱلْبِلَٰدِ (١٢) فَأَكْثَرُوا فِيهَا ٱلْفَسَادَ (١٣) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٤) إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ (١٥) فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٦) وَأَمَّا إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَٰنَنِ (١٧) كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ (١٨) وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ (١٩) وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا (٢٠) وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢١) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا

(٢٢) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٣) وَجِايءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٤) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٥) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٦) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٧) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٨) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٩) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٣٠) وَادْخُلِي جَنَّتِي ثلاثون آية

القراءة

قرأ اهل الكوفة غير عاصم والوتر بكسر الواو والباقون بالفتح وقرأ ابو جعفر وابن عامر فقدر بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ لا يكرمون بالياء وكذلك ما بعده اهل البصرة والباقون بالتاء وقرأ لا تحاضون أهل الكوفة وأبو جعفر وقرألا يعذب ولا يوثق بالفتح الكسائي ويعقوب وسهل والباقون لا يعذب ولا يوثق وقرأ أهل المدينة وابو عمرو وقتيبة عن الكسائي والليل إذا يسري باثبات الياء في الوصل وحذفها في الوقف وقرأ ابن كثير ويعقوب باثبات الياء في الوصل والوقف والباقون بالحذف فيهما وقرأ القواس والبزي ويعقوب بالوادي باثبات الياء في الوصل والوقف وورش باثباتها في الوصل وحذفها في الوقف والباقون بحذفها في الوصل والوقف وقرأ اهل المدينة اكرمني وأهانني باثبات الياء في الوصل وحذفها في الوقف والقواس والبزي ويعقوب باثبات الياء في الوصل والوقف وابو عمرو لا يبالي كيف قرأ بالياء وغير الياء وروى العياشي عنه بحذف الياء من غير تخيير والباقون بحذف الياء في الحرفين في الوصل والوقف وفي الشواذ قراءة ابن عباس بعاد أرمّ ذات العماد وروي ذلك عن الضحاك ايضا وقراءة ابن عباس وعكرمة والضحاك وابن السميقع فادخلي في عبدي

الحجة

قال ابو علي حدثنا محمد بن السري أن الاصمعي قال لكل فرد وتر واهل الحجاز يفتحون فيقولون وتر في الفرد ويكسرون الوتر في الذحل وقيس وتميم يسوونهما في الكسر ويقولون في الوتر الذي هو الافراد أوترت وأنا أوتر ايتارا أي جعلت امري وترا وفي الذحل وترته اتره وترا وترة قال ابو بكر وترته في الذحل إنما هو أفردته من اهله وماله ومن قرأ يكرمون وما بعده بالياء فلما تقدم من ذكر الإنسان والمراد به الجنس والكثرة على لفظ الغيبة ولا يمتنع في هذه الأشياء الدالة على الكثرة أن يحمل على اللفظ مرة وعلى المعنى اخرى ومن قرأ بالتاء فعلى معنى قل لهم ذلك ومعنى لا تحضون على طعام المسكين لا تأمرون به ولا تبعثون عليه ولا تحاضون تتفاعلون منه وقوله ولا يعذب عذابه احد معناه لا يعذب تعذيبه فوضع العذاب موضع التعذيب كما وضع العطاء موضع الاعطاء في قوله « وبعد عطائك المائة الرتاعا » فالمصدر الذي هو عذاب مضاف إلى المفعول به مثل دعاء الخير والمفعول به الانسان المتقدم ذكره في قوله يوم يتذكر الإنسان والوثاق ايضا موضع الايثاق فأما من قرأ لا يعذب فقد قيل إن المعنى فيه انه لا يتولى عذاب الله تعالى يومئذ احد والأمر يومئذ امره ولا امر لغيره هذا قول وقد قيل ايضا لا يعذب احد في الدنيا مثل عذاب الله في الآخرة وكأن الذي حمل قائل هذا القول على ان قاله انه ان حمله على ظاهره كان المعنى لا يعذب احد في الآخرة مثل عذاب الله ومعلوم انه لا يعذب احد في الآخرة مثل عذاب الله إنما المعذب الله تعالى فعدل عن الظاهر لذلك ولو قيل إن المعنى فيومئذ لا يعذب احد احدا تعذيبا مثل تعذيب الكافر المتقدم ذكره فاضيف المصدر إلى المفعول به كما اضيف اليه في القراءة الاولى ولم يذكر الفاعل كما لم يذكره في مثل قوله تعالى من دعاء الخير لكان المعنى في القراءتين سواء والذي يرد باحد الملائكة الذين يتولون تعذيب اهل النار ويكون ذلك كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقوله ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة

يضربون وجوههم وادبارهم وقوله ولهم مقامع من حديد لا شبهة ان يكون هذا القول اولى والفاعل له هم الملائكة قال ووجه قول من قال يسري بالياء وصل أو وقف ان الفعل لا يحذف منه في الوقف كما يحذف من الاسماء نحو قاض وغاز فتقول هو يقضي وانا اقضي فتثبت الياء ولا تحذف كما تحذف من الاسم نحو هذا قاض وليس اثبات الياء بالأحسن في الوقف من الحذف وذلك انها فاصلة وجميع ما لا يحذف في الكلام وما يختار فيه ان لا يحذف نحو القاضي بالألف واللام يحذف اذا كان في قافية او فاصلة قال سيبويه : والفاصلة نحو والليل اذا يسر ويوم التناد والكبير المتعال فإذا كان شيء من ذلك في كلام تام شبه بالفاصلة فحسن حذفها نحو قوله ذلك ما كنا نبغ فإن قلت كيف كان الاختيار فيه ان يحذف اذا كان في فاصلة أو قافية وهذه الحروف من أنفس الكلم وهلا لم يستحسن حذفها كما اثبت سائر الحروف ولم يحذف والقول في ذلك ان الفواصل والقوافي في مواضع الوقف والوقف موضع تغير فلما كان الوقف تغير فيه الحروف الصحيحة بالتضعيف والإسكان وروم الحركة غيرت فيه هذه الحروف المشابهة للزيادة بالحذف ألا ترى ان النداء لما كان في موضع حذف بالترخيم والحذف للحروف الصحيحة الزموا الحذف في اكثر الكلام للحرف المتغير وهو تاء التأنيث فكذلك الزم الحذف في الوقف لهذه الحروف المتغيرة فجعل تغييرها الحذف ولما يراع فيها ما روعي في الحروف الصحيحة فسووا بينها وبين الزائد في الحذف للجزم نحو لم يغزو ولم يرم ولم يخش وأجروها مجرى الزائد في الاطلاق نحو وبعض القوم يخلق ثم لا يفرى وما يمر وما يحلو كما قالوا« اقوين من حجج ومن دهري» فلذلك اختير فيها الحذف في الفواصل والقوافي وكذلك قوله جابوا الصخر بالواد الاوجه فيه الحذف اذا كانت فاصلة وان كان الأحسن اذا لم تكن فاصلة الإثبات ومن قرأ في الوصل يسري بالياء وفي الوقف بغير ياء فإنه ذهب الى انه اذا لم يقف عليها صار بمنزلة غيرها من المواضع التي لا يوقف عليها فلم تحذف من الفاصلة اذا لم يقف عليها كما لم يحذف من غيرها وحذفها اذا وقف عليها من اجل الوقف ومن قرأ اكرمن واهانن بغير ياء في وصل ولا وقف فهو كمن قرأ يسر في الوصل والوقف لأن ماقبلها كسرة في فاصلة ومن قرأها بياء في الوصل كمثل من قرأ يسري في الوصل بإثبات الياء وبحذفها في الوقف ورواية سيبويه عن ابي عمرو انه قرأ ربي اكرمن وربي اهانن على الوقف ومن قرأ ارم ذات العماد فالمعنى جعلها رميا رمت هي واسترمت وارمها غيرها قال ابن جني واما القراءة بعاد ارم فعلى انه اراد اهل ارم هذه المدينة فحذف المضاف وهو يريده كقوله تعالى بزينة الكواكب اي بزينة الكواكب قال وقوله في عبدي لفظه لفظ الواحد ومعناه الجمع اي عبادي وذلك انه جعل عبادي كالواحد اي لا خلاف بينهم في عبوديته كما لا يخالف الانسان فيصير كقول النبي ﷺ وهم يد على من سواهم وقال غيره معناه فادخلي في جسم عبدي

✻ اللغة ✻

الفجر شق عمود الصبح فجره الله لعباده فجراً اذ اظهره في افق المشرق مبشراً بإدبار الليل المظلم واقبال النهار المضيء وهما فجران ✻احدهما✻ الفجر المستطيل وهو الذي يصعد طولا كذنب السرحان ولا حكم له في الشرع ✻والآخر✻ هو المستطير المنتشر في افق السماء وهو الذي يحرم عنده الاكل والشرب لمن اراد ان يصوم في شهر رمضان وهو ابتداء اليوم والحجر العقل واصله المنع يقال حجر القاضي على فلان ماله اي منعه من التصرف فيه فالعقل يمنع من المقبحات ويزجر عن فعلها والعماد جمعه عمد وهو ما تبنى به الابنية

ويستعمل في القوة والشرف يقال فلان رفيع العماد قال

ونحن اذا عماد البيت خرت على الاخفاض نمنع من يلينا

والجوب القطع قال النابغة

اتاك ابو ليلى تجوب بــه الدجى دجى الليل جواب الفلاة غشمشم

والغشمشم الطويل والسوط معروف قال الفراء السوط اسم للعذاب وان لم يكن ثم ضرب بسوط واصل السوط خلط الشيء بعضه ببعض فكان السوط قسط عــذاب يخالط اللحوم والدماء كما يخالطها السوط قال الشاعر

احارث انا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما

والمرصاد الطريق مفعال من رصده يرصده رصداً اذا راعى ما يكون منه ليقابله بما يقتضيه واللم لممت ما على الخوان الممه لما اذا اكلته اجمع كأنه يأكل ما ألم به ولا يميز شيئاً من شيء والجم الكثير العظيم وجمة الماء معظمه وجم الماء في الحوض اذا اجتمع وكثر قال زهير

فلما وردن الماء زرقــا جمامه وضعن عصي الحاضر المتخيم

والدك حط المرتفع بالبسط يقال اندك سنام البعير اذا انفرش في ظهره وناقة دكاء اذا كانت كذلــك ومنه الدكان لاستوائه قال

ليت الجبال تداعت عند مصرعها دكا فلم يبق من احجارها حجر

والوثاق الشد واوثقته شددته

❋ الاعراب ❋

جواب القسم قوله ان ربك لبالمرصاد وقيل جوابه محذوف ليقبضن على كل ظالم او لينتصفن كل مظلوم من ظالمه اما رأيت كيف فعلنا بعاد وفرعون وثمود لما ظلموا واجري ارم عــلى عاد عطف بيان او عــلى البدل ولا يجوز ان يكون صفة لأنه غير مشتق وانما لا ينصرف ارم للتعريف والتأنيث ألا ترى الى قوله ذات العماد ومن اضاف فقال بعاد ارم في الشواذ فإنه عنده بمنزلة قولهم زيد بطة لأنــه لقب فيضاف اليه الاسم وثمود في موضع جر أي وبثمود لا ينصرف لأنه اعجمي معرفة ٠على طعام المسكين تقديره عــلى اطعام طعام المسكين فحذف المضاف ويجوز ان يكون طعام اسما اقيم مقام الإطعام كقول لبيد

با كرت حاجتها الدجاج بسحرة لا علّ منها حين هب نيامها

اي لاحتياجي اليها فهو مفعول له والتراث اصله الوارث من ورثت ولكن التاء تبدل مــن الواو ومثله تجاه اصله وجاه من واجهه وجواب اذا في قوله اذا دكت الارض قوله فيومئذ لا يعذب عذابه احدوقوله صفا صفا مصدر وضع موضع الحال أي مصطفين

❋ المعنى ❋

(والفجر) اقسم الله سبحانه بفجر النهار وهو انفجار الصبح كل يوم عن عكرمة والحسن والجبائي ورواه ابو صالح عن ابن عباس وقيل هو فجر ذي الحجة لأن الله تعالى قرن الايام بــه فقال (وليال عشر) وهي عشر ذي الحجة عن مجاهد والضحاك وقيل فجر اول المحرم لأنه تتجدد عنده السنة عن قتادة وقيل يريد فجر

يوم النحر لأنه يقع فيه القربان ويتصل بالليالي العشر عن ابي مسلم وقيل اراد بالفجر النهار كله عن ابن عباس وليال عشر يعني العشر من ذي الحجة عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك والسدي وروي ذلك مرفوعا شرفها الله ليسارع الناس فيها الى عمل الخير وقيل هي العشر الاواخر من شهر رمضان في رواية اخرى عن ابن عباس وقيل انها عشر موسى للثلاثين ليلة التي اتمها الله بها (والشفع والوتر) يعني الزوج والفرد من العدد كله عن الحسن قال ابو مسلم هو تذكير بالحساب لعظم ما فيه من النفع والنعم بما يضبط به من المقادير وقيل الشفع والوتر كل ما خلقه الله تعالى لأن جميع الاشياء إما زوج واما فرد عن ابن زيد والجبائي وقيل الشفع الخلق لأنه قال وخلقناكم ازواجا والوتر الله تعالى عن عطية العوفي وابي صالح وابن عباس ومجاهد وهي رواية ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الشفع والوتر الصلاة ومنها شفع ومنها وتر وهي رواية ابن حصين عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة عن ابن عباس وعكرمة والضحاك وهي رواية جابر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والوجه فيه ان يوم النحر يشفع بيوم نفر بعده وينفرد يوم عرفة بالموقف وقيل الشفع يوم التروية والوتر يوم عرفة وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وقيل ان الشفع والوتر في قول الله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه فالشفع النفر الاول والوتر يوم النفر الأخير وهو الثالث واما الليالي العشر فالثماني من ذي الحجة وعرفة والنحر عن ابن الزبير وقيل الوتر آدم شفع بزوجته عن ابن عباس وقيل الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليل بعده وهو يوم القيامة عن مقاتل بن حيان وقيل الشفع صفات المخلوقين وتضادها العز والذل والوجود والعدم والقدرة والعجز والعلم والجهل والحياة والموت والوتر صفة الله تعالى إذ هو الموجود لا يجوز عليه العدم والقادر لا يجوز عليه العجز والعالم لا يجوز عليه الجهل والحي لا يجوز عليه الموت وقيل الشفع علي وفاطمة (ع) والوتر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقيل الشفع الصفا والمروة والوتر البيت الحرام (والليل اذا يسر) اختلفوا في المراد به على وجهين * احدها * انه اراد جنس الليالي كما قال والليل اذا ادبر اقسم بالليل اذا يمضي بظلامه فيذهب حتى ينقضي بالضياء المبتدئ في سيره على المقادير المرتبة ومجيئه بالضياء عند تقضيه ادل دلالة على ان فاعله يختص بالعز والجلال ويتعالى عن الاشباه والأمثال وقيل انه انما اضاف السير اليه لأن الليل يسير بسير الشمس في الفلك وانتقالها من افق الى افق وقيل اذا يسري اذا جاء واقبل الينا ويريد كل ليلة عن قتادة والجبائي والوجه الآخر ان المراد به ليلة بعينها تمييزاً لها من بين الليالي ثم قيل انها ليلة المزدلفة لاختصاصها باجتماع الناس فيها بطاعة الله تعالى وفيها يسري الحاج من عرفة الى المزدلفة ثم يصلي الغداة بها ويغدو منها الى منى عن مجاهد وعكرمة والكلبي (هل في ذلك قسم لذي حجر) أي هل فيما ذكر من الأقسام مقنع لذي عقل ولب يعقل القسم والمقسم به وهذا تأكيد وتعظيم لما وقع القسم به والمعنى ان من كان ذا لب علم ان ما اقسم الله به من هذه الاشياء فيه عجائب ودلائل على توحيد الله توضح عن عجائب صنعه وبدائع حكمته ثم اعترض بين القسم وجوابه بقوله (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد) وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتنبيه للكفار على ما فعله سبحانه بالامم السالفة لما كفرت بالله وبأنبيائه وكانت أطول اعماراً وأشد قوة وعاد قوم هود واختلفوا في ارم على اقوال * احدها * انه اسم لقبيلة قال ابو عبيدة هما عادان فالاولى هي ارم وهي التي قال الله تعالى فيهم وانه اهلك عاداً الاولى وقيل هو جد عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام

ابن نوح عن محمد بن اسحاق وقيل هو سام بن نوح نسب عاد اليه عن الكلبي وقيل ارم قبيلة من قوم عاد كان فيهم الملك وكانوا بمهرة وكان عاد اباهم عن مقاتل وقتادة ﴿ وثانيها ﴾ ان ارم اسم بلد ثم قيل هو دمشق عن ابن سعيد المقري وسعيد بن المسيب وعكرمة وقيل هو مدينة الاسكندرية عن محمد بن كعب القرظي وقيل هو مدينة بناها شداد بن عاد فلما أتمها واراد ان يدخلها اهلكه الله بصيحة نزلت من السماء ﴿ وثالثها ﴾ انه ليس بقبيلة ولا بلد بل هو لقب لعاد وكان عاد يعرف به عن الجبائي وروي عن الحسن انه قرأ بعاد ارم على الاضافة وقيل هو اسم آخر لعاد وكان له اسمان ومن جعله بلداً فالتقدير في الآية بعاد صاحب ارم وقوله ذات العماد يعني انهم كانوا اهل عمد سيارة في الربيع فإذا هاج النبت رجعوا الى منازلهم عن ابن عباس في رواية عطاء والكلبي عن قتادة وقيل معناه ذات الطول والشدة عن ابن عباس ومجاهد من قول العرب رجل معمد للطويل ورجل طويل العماد أي القامة ثم وصفهم سبحانه فقال (التي لم يخلق مثلها في البلاد) أي لم يخلق في البلاد مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وعظم الاجسام وهم الذين قالوا من أشد منا قوة وروي ان الرجل منهم كان يأتي بالصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم وقيل ذات العماد اي ذات الابنية العظام المرتفعة عن الحسن وقال ابن زيد ذات العماد في احكام البنيان التي لم يخلق مثلها اي مثل ابنيتها في البلاد

﴿ قصة ارم ذات العماد ﴾

قال وهب بن منبة خرج عبد الله بن قلابة في طلب ابل له شردت فبينا هو في صحاري عدن اذ هو قد وقع في مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة واعلام طوال فلما دنا منها ظن ان فيها احداً يسأله عن ابله فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فلما دخل الحصن فإذا هو ببابين عظيمين لم ير اعظم منهما والبابان مرصعان بالياقوت الابيض والأحمر فلما رأى ذلك دهش ففتح احد البابين فإذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا هو قصور كل قصر فوقه غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت ومصاريع تلك الغرف مثل مصراع المدينة يقابل بعضها بعضا مفروشة كلها باللئالئ وبنادق من مسك وزعفران فلما رأى الرجل ما رأى ولم ير فيها احداهاله ذلك ثم نظر الى الأزقة فإذا هو بشجر في كل زقاق منها قد اثمرت تلك الاشجار وتحت الاشجار انهار مطردة يجري ماؤها من قنوات من فضة كل قناة أشد بياضا من الشمس فقال الرجل والذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالحق ما خلق الله مثل هذه في الدنيا وان هذه هي الجنة التي وصفها الله تعالى في كتابه فحمل معه من لؤلؤها ومن بنادق المسك والزعفران ولم يستطع ان يقلع من زبرجدها ومن ياقوتها شيئا وخرج ورجع الى اليمن فأظهر ما كان معه وعلم الناس أمره فلم يزل ينمو امره حتى بلغ معاوية خبره فأرسل في طلبه حتى قدم عليه فقص عليه القصة فأرسل معاوية إلى كعب الاحبار فلما اتاه قال يا ابا اسحق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم اخبرك بها وبمن بناها انما بناها شداد بن عاد فأما المدينة فإرم ذات العماد التي وصفها الله تعالى في كتابه وهي التي لم يخلق مثلها في البلاد قال معاوية فحدثني حديثها فقال ان عادا الاولى ليس بعاد قوم هود وانما هود وقوم هود ولد ذلك وكان عاد له ابنان شداد وشديد فهلك عاد فبقيا وملكا فقهرا البلاد واخذاها عنوة ثم هلك شديد وبقي شداد فملك وحده ودانت له ملوك الارض فدعته نفسه الى بناء مثل الجنة عتواً على الله سبحانه فأمر بصنعة تلك المدينة ارم ذات العماد وامر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان وكتب الى كل ملك

في الدنيا ان يجمع له ما في بلاده من الجواهر وكان هؤلاء القهارمة اقاموا في بنيانها مدة طويلة فلما فرغوا منها جعلوا عليها حصنا وحول الحصن الف قصر ثم سار الملك اليها في جنده ووزرائه فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عزوجل عليه وعلى من معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يبق منهم احد وسيدخلها في زمانك رجل من المسلمين أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج في طلب ابل له في تلك الصحارى والرجل عند معاوية فالتفت كعب اليه وقال هذا والله ذلك الرجل ثم قال سبحانه (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) أي وكيف فعل بثمود الذين قطعوا الصخر ونقبوها بالوادي الذي كانوا ينزلونه يعني وادي القرى قال ابن عباس كانوا ينحتون الجبال فيجعلون منها بيوتا كما قال الله تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين (وفرعون) اي وكيف فعل فرعون الذي ارسل اليه موسى (ذي الاوتاد) اي ذي الجنود الذين كانوا يشيدون امره عن ابن عباس وسماهم اوتاداً لأنهم قواد عسكره الذين بهم قوام امره وقيل كان يشد الرجل بأربعة اوتاد على الارض اذا اراد تعذيبه ويتركه حتى يموت عن مجاهد وعن ابن مسعود قال وتد امرأته بأربعة اوتاد ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت وقد مر بيانه في سورة ص (الذين طغوا في البلاد) يعني عاداً وثمود وفرعون طغوا اي تجبروا في البلاد على انبياء الله وعملوا فيها بمعصية الله (فأكثروا فيها) اي في الارض او في البلاد (الفساد) أي القتل والمعصية عن الكلبي ثم بين سبحانه ما فعله بهم عاجلا بأن قال (فصب عليهم ربك سوط عذاب) اي فجعل سوطه الذي ضربهم به العذاب عن الزجاج وقيل معناه صب عليهم قسط عذاب كالعذاب بالسوط الذي يعرف اراد ما عذبوا به وقيل ان كل شيء عذب الله به فهو سوط فأجرى على العذاب اسم السوط مجازاً عن قتادة شبه سبحانه العذاب الذي احله بهم والقاه عليهم بانصباب السوط وتواتره على المضروب حتى يهلكه (ان ربك لبالمرصاد) أي عليه طريق العباد فلا يفوته احد عن الكلبي والحسن وعكرمة والمعنى انه لا يفوته شيء من اعمالهم لأنه يسمع ويرى جميع اقوالهم وافعالهم كما لا يفوت من هو بالمرصاد وروي عن علي (ع) انه قال معناه ان ربك قادر على ان يجزي اهل المعاصي جزاءهم وعن الصادق (ع) انه قال المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة عبد وقال عطاء يعني يجازي كل واحد وينتصف من الظالم للمظلوم وقيل لاعرابي اين ربك قال بالمرصاد وليس يريد به المكان فقد سئل علي (ع) اين كان ربنا قبل أن خلق السموات والأرض فقال اين سؤال عن مكان وكان الله ولا مكان وروي عن ابن عباس في هذه الآية قال ان على جسر جهنم سبع محابس يسأل العبد عندها اولها عن شهادة أن لا إله إلا الله فإن جاء بها تامة جاز الى الثاني فيسأل عن الصلاة فإن جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسأل عن الزكاة فإن جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسأل عن الصوم فإن جاء بها تامة جاز الى الخامس فيسأل عن الحج فإن جاء به تاما جاز الى السادس فيسأل عن العمرة فإن جاء بها تامة جاز الى السابع فيسأل عن المظالم فإن خرج منها والا يقال انظروا فإن كان له تطوع اكمل به اعماله فإذا فرغ انطلق به الى الجنة ثم قسم سبحانه احوال البشر فقال (فأما الانسان اذا ما ابتليه ربه) أي اختبره وامتحنه بالنعمة (فاكرمه) بالمال (ونعمه) بما وسع عليه من انواع الافضال (فيقول ربي اكرمن) فيفرح بذلك ويسر ويقول ربي اعطاني هذا لكرامتي عنده ومنزلتي لديه اي يحسب انه كريم على ربه حيث وسع الدنيا عليه (واما اذا ما ابتليه) بالفقر والفاقة (فقدر) اي فضيق وقتر (عليه رزقه) وجعله

على قدر البلغة (فيقول ربي اهانن) اي فيظن ان ذلك هو ان من الله ويقول ربي اذلني بالفقر ثم قال (كلا) اي ليس كما ظن فإني لا اغني المرء لكرامته علي ولا افقره لمهانته عندي ولكني اوسع على من اشاء واضيق على من أشاء بحسب ما توجبه الحكمة ويقتضيه الصلاح ابتلاء بالشكر والصبر وإنما الاكرام على الحقيقة يكون بالطاعة والإهانة تكون بالمعصية ثم بين سبحانه ما يستحق به الهوان فقال بل إنما اهنت من اهنت لأنهم عصوني ثم فصل العصيان فقال (بل لا تكرمون اليتيم) وهو الطفل الذي لا اب له اي لا تعطونهم مما اعطاكم الله حتى تغنوهم عن ذل السؤال وخص اليتيم لأنهم لا كافل لهم يقوم بأمرهم وقد قال ﷺ انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة واشار بالسبابة والوسطى قال مقاتل كان قدامة بن مظعون في حجر امية بن خلف يتيما وكان يدفعه عن حقه فعلى هذا فإنه يحتمل معنيين * احدهما * انكم لا تحسنون اليه * والآخر * انكم لا تعطونه حقه من الميراث على ما جرت به عادة الكفار من حرمان اليتيم ما كان له من الميراث (ولا تحضون على طعام المسكين) اي ولا تحثون على اطعامه ولا تأمرون بالتصدق عليه ومن قرأ لا تحاضون اراد لا يحض بعضكم بعضا على ذلك والمعنى ان الاهانة ما فعلتموه من ترك اكرام اليتيم ومنع الصدقة من الفقير لا ما توهمتموه وقيل ان المراد إنما اعطيتكم المال لذلك فاذا لم تفعلوه فذلك يوجب اهانتكم (وتأكلون التراث) اي الميراث وقيل اموال اليتامى عن ابي مسلم قال ولم يرد الميراث الحلال لأنه لا يلام آكله عليه قال الحسن يأكل نصيبه ونصيب اليتيم وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون اموالهم وقيل يأكلون الميراث فيما يشتهون ولا يتفكرون في اخراج ما اوجب الله عليهم من الحقوق فيه (اكلا لما) شديدا تلمون جميعه في الأكل وقيل هو أن يأكل نصيبه ونصيب غيره عن الحسن وقيل هو أن يأكل ما يجده ولا يفكر فيما يأكله من خبيث وطيب عن ابن زيد (وتحبون المال حبا جما) اي كثيرا شديدا عن ابن عباس ومجاهد والمعنى تحبون جمع المال وتولعون به فلا تنفقونه في خير وقيل يحبون كثرة المال من فرط حرصهم فيجمعونه من غير وجهه ويصرفونه في غير وجهه ولا يتفكرون في العاقبة ثم قال سبحانه (كلا) اي لا ينبغي ان يكون الأمر هكذا وقال مقاتل معناه لا يفعلون ما امروا به في اليتيم والمسكين وقيل كلا زجر تقديره لا تفعلوا هكذا ثم خوفهم فقال (اذا دكت الارض دكا دكا) اي كسر كل شيء على ظهرها من جبل او بناء او شجر حتى زلزلت فلم يبق عليها شيء يفعل ذلك مرة بعد مرة وقيل دكت الارض اي مدت يوم القيامة مد الاديم عن ابن عباس وقيل دقت جبالها وانشازها حتى استوت عن ابن قتيبة والمعنى استوت في انفراشها وذهب دورها وقصورها وسائر ابنيتها حتى تصير كالصحراء الملساء (وجاء ربك) اي امر ربك وقضاؤه ومحاسبته عن الحسن والجبائي وقيل جاء امره الذي لا امر معه بخلاف حال الدنيا عن ابي مسلم وقيل جاء جلائل آياته فجعل مجيئها مجيئه تفخيما لأمرها وقال بعض المحققين المعنى وجاء ظهور ربك لضرورة المعرفة به لأن ظهور المعرفة بالشيء يقوم مقام ظهوره ورؤيته ولما صارت المعارف بالله في ذلك اليوم ضرورية صار ذلك كظهوره وتجليه للخلق فقيل جاء ربك اي زالت الشبهة وارتفع الشك كما يرتفع عند مجيء الشيء الذي كان يشك فيه جل وتقدس عن المجيء والذهاب لقيام البراهين القاهرة والدلائل الباهرة على انه سبحانه ليس بجسم (والملك) اي وتجيء الملائكة (صفا صفا)) يريد صفوف الملائكة واهل كل سماء صف على حدة عن عطاء وقال الضحاك

اهل كل سماء اذا زلزلوا يوم القيامة كانوا صفا محيطين بالارض ومن فيها فيكون سبع صفوف فذلك قوله صفا صفا وقيل معناه مصطفين كصفوف الناس في الصلاة يأتي الصف الاول ثم الصف الثاني ثم الصف الثالث ثم على هذا الترتيب لأن ذلك اشبه بحال الاستواء من التشويش فالتعديل والتقويم اولى (وجيئ يومئذ بجهنم) اي وا ضعت في ذلك اليوم جهنم ليعاقب بها المستحقون لها ويرى اهل الموقف هولها وعظم منظرها وروي مرفو ع ابي سعيد الخدري قال لما نزلت هذه الآية تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعرف في وجهه حتى اشتد على اصحابه ما رأوا من حاله وانطلق بعضهم الى علي بن ابي طالب (ع) فقالوا يا علي لقد حدث امر قد رأيناه في نبي الله م فجاء علي (ع) فاحتضنه من خلفه وقيل بين عاتقيه ثم قال يا نبي الله بأبي انت وأمي ما الذي حدث اليوم قال جاء جبرائيل (ع) فأقرأني وجيئ يومئذ بجهنم قال فقلت كيف يجاء بها قال يجيئ بها سبعون الف ملك يقودونها بسبعين الف زمام فتشرد شردة لو تركت لأحرقت اهل الجمع ثم اتعرض لجهنم فتقول مالي ولك يا محمد فقد حرم الله لحمك عليّ فلا يبقى احد إلا قال نفسي نفسي وان محمداً يقول رب امتي امتي ثم قال سبحانه (يومئذ) يعني يوما يجاء بجهنم (يتذكر الإنسان) أي يتعظ ويتوب الكافر (وانى له الذكرى) أي ومن أين له التوبة عن الزجاج وقيل معناه يتذكر الإنسان ما قصر وفرط اذ يعلم يقيناما قد توعد به فكيف ينفعه التذكر اثبت له التذكر ثم نفاه بمعنى انه لا ينتفع به فكأنه لم يكن وكان ينبغي له ان يتذكر في وقت ينفعه ذلك فيه ثم حكى سبحانه ما يقول الكافر والمفرط الجاني على نفسه ويتمناه بقوله (يقول يا ليتني قدمت لحيوتي) اي يتمنى ان يكون قد كان عمل الطاعات والحسنات لحياته بعد موته أو عملها للحياة التي تدوم له بقوله يا ليتني قدمت لحياتي العمل الصالح لآخرتي التي لا موت فيها ثم قال سبحانه (فيومئذ لا يعذب عذابه احد) أي لا يعذب عذاب الله احد من الخلق (ولا يوثق وثاقه احد) أي وثاق الله احد من الخلق فالمعنى لا يعذب احد في الدنيا مثل عذاب الله الكافر يومئذ ولا يوثق احد في الدنيا بمثل وثاق الله الكافر يومئذ واما القراءة بفتح العين في يعذب ويوثق فقد وردت الرواية عن ابي قلابة قال اقرأني من اقرأه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيومئذ لا يعذب عذابه احد ولا يوثق وثاقه احد والمعنى لا يعذب احد تعذيب هذا الكافر ان قلنا انه كافر بعينه او تعذيب هذا الصنف من الكفار وهم الذين ذكروا في قوله لا يكرمون اليتيم الآيات وهذا وان اطلق فالأولى ان يكون المراد التقييد لأنا نعلم ان ابليس أشد عذابا ووثاقا منه وقيل معناه لا يؤاخذ بذنبه غيره والتقدير لا يعذب احد بعذابه لأنه المستحق بعذابه ولا يؤاخذ الله احداً بجرم غيره (يا ايتها النفس المطمئنة) بالإيمان المؤمنة الموقنة المصدقة بالثواب والبعث والطمأنينة حقيقة الإيمان عن الحسن ومجاهد وقيل المطمئنة الآمنة بالبشارة بالجنة عند الموت ويوم البعث عن ابن زيد وقيل النفس المطمئنة التي يبيض وجهها ويعطى كتابها بيمينها فحينئذ تطمئن عن الكلبي وابي روق (ارجعي إلى ربك) أي يقال لها عند الموت عن ابي صالح وقيل عند البعث عن عكرمة والضحاك ارجعي الى ثواب ربك وما اعده لك من النعيم عن الحسن وقيل ارجعي الى الموضع الذي يختص الله سبحانه بالأمر والنهي فيه دون خلقه وقيل ان المراد ارجعي الى صاحبك وجسدك فيكون الخطاب للروح ان ترجع الى الجسد عن ابن عباس (راضية) بثواب الله (مرضية) اعمالها التي عملتها وقيل راضية عن الله بما اعد الله لها مرضية رضي عنها ربها بما عملت من طاعته وقيل راضية بقضاء الله في الدنيا حتى رضي الله عنها

ورضي بأفعالها واعتقادها (فادخلي في عبادي) أي في زمرة عبادي الصالحين المصطفين الذين رضيت عنهم وهذه نسبة تشريف وتعظيم (وادخلي جنتي) التي وعدتكم بها واعددت نعيمكم فيها

﴿ النظم ﴾

وجه اتصال قوله فأما الانسان الآية بما قبله فيه قولان ﴿ أحدها ﴾ انه يتصل بقوله ان ربك لبالمرصاد اي هو بالمرصاد لأعمالهم لا يخفى عليه شيء من مصالحهم فإذا أكرم احدا منهم بنوع من النعم التي هي الصحة والسلامة والمال والبنون امتحانا واختبارا ظن ذلك واجبا واذ قتر عليه رزقه ظن ذلك اهانة له وإنما يفعل سبحانه جميع ذلك للمصالح عن ابي مسلم ﴿ والثاني ﴾ ان المعنى بالمرصاد لهم يتعبده بما هو الأصلح لهم وانهم يظنون انه يبتدئ عباده بالإكرام والإهانة وليس كذلك بل هما مستحقان ولا يدخل العباد تحت الاستحقاق الا بعد التكليف واما قوله بل لا تكرمون اليتيم فوجه اتصاله بما قبله انه رد عليهم ظنهم انه ضيق عليهم ارزاقهم على وجه الاهانة فبين سبحانه ان الاهانة لما ذكره لا لما قالوه

سورة البلد

مكية عشرون آية بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأها اعطاه الله الأمن من غضبه يوم القيامة . ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من كان قراءته في الفريضة لا اقسم بهذا البلد كان في الدنيا معروفا انه من الصالحين وكان في الآخرة معروفا ان له من الله وكان من رفقاء النبيين والشهداء والصالحين

﴿ تفسيرها ﴾

لما ختم تلك السورة بذكر النفس المطمئنة بين في هذه السورة وجه الاطمئنان وانه النظر في طريق معرفة الله وأكد ذلك بالقسم فقال

بسم ٱللهِ ٱلرَّحمٰنِ ٱلرَّحيم (١) لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ (٢) وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ (٣) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٤) لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ (٥) أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٦) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا (٧) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ (٨) أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ (٩) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (١٠) وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ (١١) فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ (١٢) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ (١٣) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٤) أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٥) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٦) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٧) ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ (١٨) أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ (١٩) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ (٢٠) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ عشرون آية

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو جعفر لبدا بالتشديد والباقون بالتخفيف وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائي فك رقبة أو اطعم والباقون فك رقبة بالرفع والإضافة أو اطعام بالتنوين وقرأ ابو عمرو وأهل الكوفة غير عاصم مؤصدة بالهمزة والباقون بغير همزة ويعقوب مختلف عنه وفي الشواذ قراءة الحسن في يوم ذا مسغبة

﴿ الحجة ﴾

لبد يجوز أن يكون في واحد على وزن زمل وجبأ ويجوز ان يكون جمعا فيكون جمع الابد واما قوله فك رقبة او اطعام فقد قال ابو علي المعنى فيه وما ادراك ما اقتحام العقبة فك رقبة أو اطعام أي اقتحامها احد هذين أو هذا الضرب من فعل القرب فلو لم تقدره وتركت الكلام على ظاهره كان المعنى العقبة فك رقبة ولا تكون العقبة الفك لأنه عين والفك حدث والخبر ينبغي ان يكون المبتدأ في المعنى ومثل هذا قوله وما ادراك ما الحطمة نار الله الموقدة أي الحطمة نار الله ومثله وما ادراك ما هيه نار حامية وكذلك قوله وما ادراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث والمعنى القارعة يوم يكون الناس لأن القارعة مصدر فيكون اسم الزمان خبراً عنه فهذه الجمل من الابتداء والخبر تفسير لهذه الأشياء المتقدم ذكرها من اقتحام العقبة والحطمة والقارعة كما أن قوله تعالى لهم مغفرة وأجر عظيم تفسير للوعد وقوله فلا اقتحم العقبة معناه فلم يقتحم واذا كانت لا بمعنى لم لم يلزم تكريرها كما لا يلزم التكرير مع لم فإن تكررت في موضع نحو فلا صدق ولا صلى فهو كتكرير لم في قوله لم يسرفوا ولم يقتروا وقوله ثم كان من الذين آمنوا أي كان مقتحم العقبة وفكاك الرقبة من الذين آمنوا فإنه إذا لم يكن منهم لم ينفعه قربه وجاز وصف اليوم بقوله ذي مسغبة كما جاز ان يقال ليله نائم ونهاره صائم ونحو ذلك ومن قرأ فك رقبة أو اطعم فإنه يجوز ان يكون ما ذكر من الفعل تفسيرا لاقتحام العقبة فإن قلت ان هذا الضرب لم يفسر بالفعل وانما فسر بالابتداء والخبر كقوله نار الله الموقدة وقوله نار حامية فهلا رجحت القراءة الأخرى قيل انه قد يمكن ان يكون كذبت ثمود وعاد بالقارعة تفسيراً لقوله وما ادراك ما القارعة على المعنى وقد جاء ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم وفسر المثل بقوله خلقه من تراب وزعموا ان ابا عمرو احتج بقوله ثم كان من الذين آمنوا لقراءة فك رقبة كأنه لما كان فعلا وجب ان يكون المعطوف عليه مثله وقد يجوز ان يكون ذلك كالقطع من الاول والاستئناف كأنه اعلم أن فكاك الرقبة من الرق بأن كان من الذين آمنوا لأنه بالإيمان يحرز ثواب ذلك ويحوزه فإذا لم ينضم الإيمان الى فعل القرب التي تقدم ذكرها لم ينفع ذلك والتقدير ثم كونه من الذين آمنوا فجاء هذا مجيء قوله سبحانه كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا يريد وان شهدوا . وأوصدت الباب واصدته لغتان فمن لم يهمز موصدة احتمل امرين (احدهما) أن يكون على لغة من قال اوصدت ﴿والوجه﴾ الآخر أن يكون من اصدت ثم خففت الهمزة فقلبت واواً كما جاء في جونة وتووي ومن همزة مؤصدة فهو من اصدت وابو عمرو يترك الهمزة الساكنة ويبدلها واواً اذا انضم ما قبلها نحو يومنون مومنين ويبدلها الفا إذا انفتح ما قبلها وياء اذا انكسر ما قبلها ولا يبدلها في نحو قوله مؤصدة بل يهمزها لأن مؤصدة بالهمز هي لغة من قال اصدت الباب والباب مؤصدة وابو عمرو على هذه اللغة فلا يترك الهمز إذا احتاج أن يترك لغته وينتقل عنها الى لغة اخرى وكذلك لا يترك الهمز في قوله تؤوي اليك لأنه لو ابدلها واوا وبعدها

واو اجتمع واوان واجتماعها أثقل من الهمزة وكذلك إذا كان الفعل مجزوما ولامها همزة بقاها على حالها ولا يبدلها بتة نحو قوله ان تمسسكم حسنة تسوءهم لأنه لو ابدلها واوا وجب حذفها بالجزم كما تقول في يغزو لم يغز كذلك ان يشأ يذهبكم لا يبدلها الفا لهذا المعنى ايضا و كذلك قوله اثاثا ورئيا لا يقلبها ياء لأنـه يشتبه بالري من روي من الماء فهذه اربعة أحوال لا يترك الهمز فيها اذا احتاج الى ترك لغته وان ينتقل الى لغة أخرى وإذا كان الهمز في موضع الجزم واذا اشتبه المعنى في الكلمة بكلمة اخرى واذا كان ترك الهمزة يؤدي إلى اجتماع الواوين فافهم ذلك ومن قرأ ذا مسغبة جعله مفعول اطعام ويتيما بدل منه ويجوز ان يكون يتيما وصفا لذا مسغبة كقولك رأيت كريما عاقلا وجاز وصف الصفة الذي هو كريم لأنه لما لم يجر على الاسم الموصوف اشبه الاسم

❋ اللغة ❋

الحل الحال وهو الساكن والحل الحلال ورجل حل وحلال اي محل والكبد في اللغة شدة الأمر ومنه تكبد اللبن إذا غلظ واشتد ومنه الكبد لأنه دم يغلظ ويشتد وتكبد الدم اذا صار كالكبد قال لبيد

اعين هلا بكيت اربد إذ　　　　قمنا وقام الخصوم في كبد

واللبد الكثير مأخوذ من تلبد الشيء إذا تراكب بعضه على بعض ومنه اللبد يقال ما له سبد ولا لبد وأصل النجد العلو وسمي نجد نجداً لعلوه عن انخفاض تهامة وكل عال من الأرض نجد والجمع نجود قال امرؤ القيس

غداة غدوا فسالك بطن نخلة　　　　وآخر منهم جازع نجد كبكب

اراد طريقه في ارتفاع و كبكب جبل وفي المثل انجد من رأى حضنا ورجل نجد بين النجدة اذا كان جلداً قوياً لاستعلائه على قرنه واستنجدت فلانا فأنجدني أي استعنته للاستعلاء على قرني فأعانني وشبه طريق الخير و الشر بالطريقين العاليين لظهور ما فيهما والاقتحام الدخول على الشدة بالضيق يقال اقتحم وتقحم واقحمه وقحمه غيره والعقبة الطريقة التي ترتقى على صعوبة ويحتاج فيها الى معاقبة الشدة بالضيق والمخاطرة وقيل العقبة الثنية الضيقة في رأس الجبل يتعاقبها الناس فشبهت النفقة في وجوه البر بها وعاقب الرجل صاحبه إذا صار في موضعه بدلا منه والفك فرق يزيد المنع ويمكن معه امر لم يكن متمكنا كفك القيد والغل لأنه يزول به المنع ويمكن به تصرف لم يمكن قبل ففك الرقبة فرق بينها وبين حال الرق بإيجاب الحرية وابطال العبودية والمسغبة المجاعة سغب يسغب سغبا فهو ساغب اذا جاع قال جرير .

تعلل وهي ساغبة بنيها　　　　بأنفاس من الشبم القراح

والمقربة القرابة ولا يقال فلان قرابتي وانما يقال ذو قرابتي لأنه مصدر كما قال الشاعر

يبكي الغريب عليه ليس يعرفه　　　　وذو قرابته في الحي مسرور

والمتربة الحاجة الشديدة من قولهم ترب الرجل اذا افتقر

❋ المعنى ❋

(لا اقسم بهذا البلد) أجمع المفسرون على أن هذا قسم بالبلد الحرام وهو مكة وقد تقدم بيان قوله لا اقسم في سورة القيامة (وأنت حل بهذا البلد) أي وأنت يا محمد مقيم به وهو محلك وهذا تنبيه على شرف

البلد بشرف من حل به من الرسول الداعي الى توحيده، واخلاص عبادته وبيان ان تعظيمه له وقسمه به لأجله ﷺ ولكونه حالا فيه كما سميت المدينة طيبة لأنها طابت به حيا وميتا وقيل معناه وأنت محل بهذا البلد وهو ضد المحرم والمراد وأنت حلال لك قتل من رأيت به من الكفار وذلك حين أمر بالقتال يوم فتح مكة فأحلها الله له ﷺ حتى قاتل وقتل وقد قال ﷺ لا يحل لأحد قبلي ولا يحل لأحد من بعدي ولم يحل لي إلا ساعة من نهار عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وعطاء وهذا وعد من الله لنبيه ﷺ ان يحل له مكة حتى يقاتل فيها ويفتحها على يده ويكون بها حلا يصنع بها ما يريد القتل والاسر وقد فعل سبحانه ذلك فدخلها غلبة وكرها وقتل ابن أخطل وهو متعلق بأستار الكعبة ومقيس بن سبابة وغيرهما وقيل معناه لا أقسم بهذا البلد وانت حل فيه منتهك الحرمة مستباح العرض لا تحترم فلم يبق للبلد حرمة حيث هتكت حرمتك عن ابي مسلم وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) قال كانت قريش تعظم البلد وتستحل محمدا ﷺ فيه فقال لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد يريد أنهم استحلوك فيه فكذبوك وشتموك وكانوا لا يأخذ الرجل منهم فيه قاتل أبيهِ ويتقلدون لحاء شجر الحرم فيأمنون بتقليدهم إياه فاستحلوا من رسول الله ﷺ مالم يستحلوا من غيره فعاب الله ذلك عليهم ثم عطف على القسم فقال (ووالد وما ولد) يعني آدم (ع) وذريته عن الحسن ومجاهد وقتادة وذلك أنهم خليقة أعجب من هذه الخليقة وهم عمار الدنيا وقيل آدم وما ولد من الأنبياء والاوصياء وأتباعهم عن ابي عبد الله (ع) وقيل يريد ابراهيم (ع) وولده عن ابن ابي عمران الجوني لما أقسم بالبلد أقسم بابراهيم فإنه بانيه وبأولاده العرب إذ هم المخصصون بالبلد وقيل يعني كل والد وولده عن ابن عباس والجبائي وقيل ووالد من يولد لهُ وما ولد يعني العاقر عن ابن جبير فيكون ما نفيا وهو بعيد لأنه يكون تقديره وما ما ولد فحذف ما الاولى التي تكون موصولة أو موصوفة (لقد خلقنا الإنسان في كبد) أي في نصب وشدة عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن قال يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة وقال ابن آدم لا يزال يكابد أمراً حتى يفارق الدنيا وقيل في شدة خلق من حمله وولادته ورضاعه وفطامه ومعاشه وحياته وموته ثم أنه سبحانهُ لم يخلق خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم وهو أضعف الخلق وقيل في كبد أي قائما على قدميه منتصبا وكل شيء خلق فإنه يمشي مكبا إلا الإنسان فإنه خلق منتصبا فالكبد الاستواء والاستقامة وهو رواية مقسم عن ابن عباس وهو قول مجاهد وابي صالح وعكرمة وقيل يريد شدة الأمر والنهي أي خلقناه ليعبدنا بالعبادات الشاقة مثل الاغتسال من الجنابة في البرد والقيام الى الصلاة من النوم فينبغي له أن يعلم أن الدنيا دار كبد ومشقة والجنة دار الراحة والنعمة (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) معناه أيظن هذا الإنسان أنه لن يقدر على عقابه أحد اذا عصى الله تعالى وركب القبائح فبئس الظن ذلك وهذا استفهام انكار أي لا يظنن ذلك وقيل معناه أيحسب هذا المغتر بماله أن لا يقدر عليه أحد يأخذ ماله عن الحسن وقيل أيحسب ان لا يسأل عن هذا المال من اين اكتسبه وفي ماذا أنفقه عن قتادة وقيل انه يعني ابا الاسد بن كلدة وهو رجل من جمح كان قويا شديد الخلق بحيث يجلس على أديم عكاظي فتجره العشرة من تحته فينقطع ولا يبرح من مكانه عن الكلبي ثم اخبر سبحانه عن مقالة هذا الإنسان فقال (يقول أهلكت مالا لبدا) أي انفقت مالا كثيرا في عداوة النبي ﷺ يفتخر بذلك وقيل هو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه أذنب ذنبا فاستفتى رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم فأمره أن يكفّر فقال لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد عن مقاتل (أيحسب أن لم يره احد) فيطالبه من اين اكتسبه وفي ماذا أنفقه عن قتادة وسعيد بن جبير وروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تزول قدما العبد حتى يسأل عن أربعة عن عمره فيما افناه وعن ماله من اين جمعه وفيماذا أنفقه وعن عمله ماذا عمل به وعن حبنا أهل البيت وقيل انه كان كاذبا لم ينفق ما قاله فقال الله سبحانه أيظن ان الله تعالى لم ير ذلك فعل أو لم يفعل أنفق أو لم ينفق عن الكلبي ثم ذكر سبحانه النعم التي أنعم بها عليه ليستدل بها على توحيده فقال (ألم نجعل له عينين) ليبصر بهما آثار حكمته (ولسانا وشفتين) لينطق بهما فيبين باللسان ويستعين بالشفتين على البيان قال قتادة نعم الله عليك متظاهرة فقررك بها كيما تشكر وروى عبد الحميد المدايني عن ابي حازم ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ان الله تعالى يقول يا ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فاطبق وإن نازعك فرجك إلى ما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق (وهديناه النجدين) أي سبيل الخير وسبيل الشر عن علي (ع) وابن مسعود وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وقيل معناه أرشدناه للثديين عن سعيد بن المسيب والضحاك وفي رواية أخرى عن ابن عباس روي انه قيل لأمير المؤمنين (ع) ان ناسا يقولون في قوله وهديناه النجدين انهما الثديان فقال لا هما الخير والشر وقال الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال يا أيها الناس هما نجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير ولو قيل كيف يكون نجد الشر مرتفعا كنجد الخير ومعلوم انه لا رفعة في الشر « والجواب » ان الطريقين جميعا ظاهران باديان للمكلفين فسمى سبحانه كلاهما نجداً لظهوره وبروزه ويجوز أن يكون سمى طريق الشر نجدا من حيث يحصل في اجتناب سلوكه الرفعة والشرف كما يحصل ذلك في طريق الخير وقيل أيضا انه على عادة العرب في تثنية الأمرين إذا اتفقا على بعض الوجوه فيجري لفظ احدهما على الآخر كقولهم القمرين في الشمس والقمر قال الفرزدق

أخذنا بآفاق السماء عليكم   لنا قمراها والنجوم الطوالع

ونظائره كثيرة (فلا اقتحم العقبة) فيه أقوال ※ أحدها ※ ان المعنى فلم يقتحم هذا الإنسان العقبة ولا جاوزها وأكثر ما يستعمل هذا الوجه بتكرير لفظة لا كما قال سبحانه فلا صدق ولا صلى أي لم يصدق ولم يصل وكما قال الحطيئة

وان كانت النعماء فيهم جزوا بها   وان انعموا لا كدروها ولا كدوا

وقد جاء من غير تكرار في نحو قوله

ان تغفر اللهم تغفر جما   وأي عبد لك لا ألما

أي لم يلم بذنب ※ والآخر ※ ان يكون على وجه الدعاء عليه بأن لا يقتحم العقبة كما يقال لا غفر الله له ولا نجا ولا سلم والمعنى لا نجا من العقبة ولا جاوزها ※ والثالث ※ ان المعنى فهلا اقتحم العقبة أو أفلا اقتحم العقبة عن ابن زيد والجبائي وابي مسلم قالوا ويدل على ذلك قوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ولو كان أراد النفي لم يتصل الكلام قال المرتضى قدس الله روحه هذا الوجه ضعيف جداً لأن الكلام خال من لفظ الاستفهام وقبيح حذف حرف الاستفهام في مثل هذا الموضع وقد عيب

على عمر بن ابي ربيعة قوله

ثم قالوا تحبها قلت بهرا عدد الرمل والحصى والتراب

واما قولهم لو اريد النفي لم يتصل الكلام فليس بشيء لأن المعنى فلا اقتحم العقبة ثم كان من الذين آمنوا أي لم يقتحم ولم يؤمن واما المراد بالعقبة ففيه وجوه * احدها * انه مثل ضربه الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في اعمال الخير والبر فجعل ذلك كتكليف صعود العقبة الشاقة الكؤود فكأنه قال لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والإطعام وهو قوله (وما ادراك ما العقبة) اي ما اقتحام العقبة ثم ذكره فقال (فك رقبة) وهو تخليصها من اسار الرق الى آخره * وثانيها * انها عقبة حقيقة قال الحسن وقتادة هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله عز وجل وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال إن أمامكم عقبة كؤودا لا يجوزها المثقلون وانا اريد ان اخفف عنكم لتلك العقبة وعن ابن عباس انه قال هي النار نفسها وروي عنه ايضا انها عقبة في النار * وثالثها * ما روي عن مجاهد والضحاك والكلبي انها الصراط يضرب على جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف سهلا وصعودا وهبوطا وان في جنبيه كلاليب وخطاطيف كأنها شوك السعدان فمن بين مسلم وناج ومخدوش في النار نكوس فمن الناس من يمر عليه كالبرق الخاطف ومنهم من يمر عليه كالريح العاصف ومنهم من يمر عليه كالفارس ومنهم من يمر عليه كالرجل يعدو ومنهم من يمر عليه كالرجل يسير ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون والزالات ومنهم من يكردس في النار واقتحامه على المؤمن كما بين صلاة العصر الى العشاء وقال سفيان بن عيينة كل شيء قاله سبحانه وما ادراك فإنه اخبره به وكل شيء قال فيه وما يدريك فإنه لم يخبره به وروي مرفوعا عن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال ان كنت اقصرت الخطبة لقد عرضت المسألة اعتق النسمة وفك الرقبة فقال او ليسا واحداً قال لا عتق النسمة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها والفيء على ذي الرحم الظالم فإن لم يكن ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وامر بالمعروف وانه عن المنكر فإن لم تطق ذلك فكف لسانك الا من الخير وقيل ان معنى فك رقبة ان يفك رقبة من الذنوب بالتوبة عن عكرمة وقيل اراد فك نفسه من العقاب بتحمل الطاعات عن الجبائي (او اطعام في يوم ذي مسغبة) اي ذي مجاعة قال ابن عباس يريد بالمسغبة الجوع وفي الحديث عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اشبع جائعا في يوم سغب ادخله الله يوم القيامة من باب من ابواب الجنة لا يدخلها الا من فعل مثل ما فعل وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من موجبات المغفرة اطعام المسلم السغبان وروي عن محمد بن عمر بن يزيد قال قلت لأبي الحسن الرضا (ع) ان لي ابنا شديد العلة قال مره يتصدق بالقبضة من الطعام بعد القبضة فإن الله تعالى يقول فلا اقتحم العقبة وقرأ الآيات (يتيما ذا مقربة) اي ذا قربى من قرابة النسب والرحم وهذا حث على تقديم ذوي القرابة المحتاجين على الاجانب في الإطعام والإنعام (او مسكينا) اي فقيراً (ذا متربة) قد لصق بالتراب من شدة فقره وضره وروى مجاهد عن ابن عباس انه قال هو المطروح في التراب لا يقيه شيء وهذا مثل قولهم فقير مدقع مأخوذ من الدقعاء وهو التراب ثم بين سبحانه ان هذه القربة إنما تنفع مع الإيمان فقال (ثم كان من الذين آمنوا) اي ثم كان مع هذا من جملة المؤمنين الذين استقاموا على إيمانهم (وتواصوا بالصبر) على فرائض الله والصبر عن معصية الله

أي وصى بعضهم بعضا بذلك (وتواصوا بالمرحمة) أي واوصى بعضهم بعضا بالمرحمة على اهل الفقر وذوي المسكنة والفاقة وقيل تواصوا بالمرحمة فيما بينهم فرحموا الناس كلهم (اولئك اصحاب الميمنة) يؤخذ بهم ناحية اليمين ويأخذون كتبهم بأيمانهم عن الجبائي وقيل هم اصحاب اليمن والبركة على انفسهم عن الحسن وابي مسلم (والذين كفروا بآياتنا) اي بحججنا ودلالاتنا وكذبوا انبياءنا (هم اصحاب المشئمة) أي يأخذون كتبهم بشمالهم ويؤخذ بهم ذات الشمال وقيل انهم اصحاب الشؤم على انفسهم (عليهم نار مؤصدة) أي مطبقة عن ابن عباس ومجاهد وقيل يعني ان ابوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لهم باب ولا يخرج عنها غم ولا يدخل فيها روح آخر الابد عن مقاتل

النظم

وجه اتصال قوله سبحانه ألم نجعل له عينين بما قبله ان المعنى كيف يحسب هذا الانسان ان الله سبحانه لا يراه وهو الذي خلقه وجعل له عينين وكذا وكذا وقيل انه اتصل بقوله لقد خلقنا الانسان في كبد اي اختبرناه حيث كلفناه ثم ازحنا علته بأن جعلنا له عينين وقيل انه يتصل بقوله أيحسب ان لن يقدر عليه أحد والمعنى كيف يظن ذلك وقد خلقناه وخلقنا اعضاءه التي يبصر الدلائل بها ويتكلم بها

سورة الشمس مكية

عدد آياتها

ست عشرة آية مكي والمدني الاول وخمس عشرة في الباقين

اختلافها

آية فعقروها مكي والمدني الاول

فضلها

ابي بن كعب عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأها فكأنما تصدق بكل شيء طلعت عليه الشمس والقمر. معاوية بن عمار عن ابي عبد الله (ع) قال من اكثر قراءة والشمس وضحاها والليل إذا يغشى والضحى وألم نشرح في يومه أو في ليلته لم يبق شيء بحضرته الا شهد له يوم القيامة حتى شعره وبشره ولحمه ودمه وعروقه وعصبه وعظامه وجميع ما اقلت الارض منه ويقول الرب تبارك وتعالى قبلت شهادتكم لعبدي واجزتها له انطلقوا به إلى جناني حتى يتخير منها حيث أحب فأعطوه اياها من غير من مني ولكن رحمة وفضلا مني عليه فهنيئا هنيئا لعبدي

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر النار المؤصدة بين في هذه السورة ان النجاة منها لمن زكى نفسه واكده بأن اقسم عليه فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) وَالشَّمْسِ وَضُحَيٰهَا (٢) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَيٰهَا (٣) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّيٰهَا (٤) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَيٰهَا (٥) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَيٰهَا (٦) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَيٰهَا (٧) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيٰهَا (٨)

فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوِيهَا (٩) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّيهَا (١٠) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسّيهَا (١١) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوِيهَا (١٢) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَيهَا (١٣) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا (١٤) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوِّيهَا (١٥) وَلَا يَخَافُ عُقْبِيهَا خمس عشرة آية

القراءة

قرأ اهل المدينة وابن عامر فلا يخاف بالفاء وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة والشام وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) والباقون ولا يخاف بالواو وكذلك هو في مصاحفهم

الحجة

قال ابو علي الواو يجوز أن يكون في موضع حال اسے فسواها غير خائف عقباها يعني غير خائف أن يتعقب عليه في شيء مما فعله وفاعل يخاف الضمير العائد الى قوله ربهم وقيل ان الضمير يعود الى صالح النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي ارسل اليهم وقيل اذ انبعث اشقاها وهو لا يخاف عقباها اي لا يخاف من اقدامه على ما اتاه مما نهي عنه ففاعل يخاف العاقر على هذا والفاء للعطف على قوله فكذبوه فعقروها فلا يخاف كأنه يتبع تكذيبهم وعقرهم ان لم يخوفوا

اللغة

ضحى الشمس صدر وقت طلوعها وضحى النهار صدر وقت كونه واضحى يفعل كذا اذا فعله في وقت الضحى وضحى بكبش أو غيره اذا ذبحه في وقت الضحى من ايام الاضحى ثم كثر ذلك حتى لو ذبح في غير ذلك الوقت لقيل ضحى والطحو والدحو بمعنى يقال طحا بك همك يطحو طحوا اذا انبسط بك الى مذهب بعيد قال علقمة « طحا بك قلب في الحسان طروب » يقال طحا القوم بعضهم بعضا عن الشيء اذا دفعوا دفعا شديد الانبساط والطواحي النسور تنبسط حول القتلى وأصل الطحو البسط الواسع يقال دسا فلان يدسو دسواً فهو داس نقيض زكا يزكو زكا فهو زاك وقيل ان اصل دسا دسس فأبدل من أحد السينين ياء كما قالوا تظنيت بمعنى تظننت ومثله «تقضى البازي إذا البازي كسر» بمعنى تقضض وإنما يفعلون ذلك كراهية التضعيف والطغوى والطغيان مجاوزة الحد في الفساد وبلوغ غايته وفي قراءة الحسن وحماد بن مسلمة بطغويها بضم الطاء وعلى هذا فيكون مصدرا على فعلى كالرجعى والحسنى وبعث مطاوع انبعث يقال بعثته على الامر فانبعث له والسقيا الحظ من الماء والنصيب منه والعقر قطع اللحم بما يسيل الدم وهو من عقر الحوض اي اصله والعقر نقص شيء من اصل بنية الحيوان والدمدمة ترديد الحال المستكره وهي مضاعفة ما فيه الشقة وقال مؤرج الدمدمة هلاك باستئصال قال ابن الاعرابي دمدم أي عذب عذابا تاما

الإعراب

والشمس هذه الواو الاولى هي التي للقسم وسائر الواوات فيما بعدها عطف عليها الى قوله قد افلح من زكاها وهو جواب القسم والتقدير لقد افلح وقوله وما بناها وما طحاها وما سواها ما هنا مصدرية وتقديره والسماء وبنائها والارض وطحواها ونفس وتسويتها وقيل ان ما في هذه المواضع بمعنى من أي والذي بناها ويحكى عن اهل الحجاز انهم يقولون اذا سمعوا صوت الرعد سبحان ما سبحت له اي سبحان الذي

سبحت له ومن سبحت له وقوله ناقة الله وسقياها منصوب بفعل مضمر أي احذروا ناقة الله وذروا سقياها

المعنى

(والشمس وضحيها) قد تقدم ان لله سبحانه أن يقسم بما يشاء من خلقه تنبيها على عظيم قدره و كثرة الانتفاع به ولما كان قوام العالم من الحيوان والنبات بطلوع الشمس وغروبها اقسم الله سبحانه بها وبضحاها وهو امتداد ضوئها وانبساطه عن مجاهد والكلبي وقيل هو النهار كله عن قتادة وقيل حرها عن مقاتل كقوله تعالى في طه ولا تضحى اي لا يؤذيك حرها (والقمر اذا تليها) اي اذا اتبعها فأخذ من ضوئها وسار خلفها قالوا وذلك في النصف الأول من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور وقيل تلاها ليلة الهلال وهي اول ليلة من الشهر اذا سقطت الشمس رؤي القمر عند غيبوبتها عن الحسن وقيل في الخامس عشر يطلع القمر مع غروب الشمس وقيل في الشهر كله فهو في النصف الاول يتلوها وتكون أمامه وهو وراؤها وفي النصف الأخير يتلو غروبها بالطلوع (و النهار اذا جليها) اي جلّى الظلمة وكشفها وجازت الكناية عن الظلمة ولم تذكر لأن المعنى معروف غير ملتبس وقيل ان معناه والنهار اذا اظهر الشمس وابرزها سمي النهار مجليا لها لظهور جرمها فيه (والليل اذا يغشيها) اي يغشى الشمس حتى تغيب فتظلم الآفاق ويلبسها سواده (والسماء وما بنيها) اي ومن بناها عن مجاهد والكلبي وقيل والذي بناها عن عطاء وقيل معناه والسماء وبنائها مع احكامها واتساقها وانتظامها (والارض وما طحيها) في ما وجهان كما ذكرناه اي وطحوها وتسطيحها وبسطها ليمكن الخلق التصرف عليها (ونفس وما سويها) هو كما ذكرناه وسواها عدل خلقها وسوّى اعضاءها وقيل سواها بالعقل الذي فضل به سائر الحيوان ثم قالوا يريد جميع ما خلق من الجن والانس عن عطاء وقيل يريد بالنفس آدم ومن سواها الله تعالى عن الحسن (فألهمها فجورها وتقويها) اي عرّفها طريق الفجور والتقوى وزهدها في الفجور ورغبها في التقوى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وقيل علمها الطاعة والمعصية لتفعل الطاعة وتذر المعصية وتجتني الخير وتجتنب الشر (قد افلح من زكّيها) على هذا وقع القسم أي قد افلح من زكى نفسه عن الحسن وقتادة اي ظهرها واصلحها بطاعة الله وصالح الاعمال (وقد خاب من دسيها) بالعمل الطالح اي اخملها واخفى محلها وقيل اضلها واهلكها عن ابن عباس وقيل افجرها عن قتادة وقيل معناه قد افلحت نفس زكّاها الله وخابت نفس دساها الله اي جعلها قليلة خسيسة وجاءت الرواية عن سعيد بن ابي هلال قال كان رسول الله اذا قرأ هذه الآية قد افلح من زكّاها وقف ثم قال اللهم آت نفسي تقواها انت وليها ومولاها وزكها وانت خير من زكاها وروى زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) في قوله فألهمها فجورها وتقواها قال بيّن لها ما تأتي وما تترك وفي قوله قد افلح من زكاها قال قد افلح من اطاع وقد خاب من دساها قال قد خاب من عصى وقال ثعلب قد افلح من زكى نفسه بالصدقة والخير وخاب من دس نفسه في اهل الخير وليس منهم ثم اخبر سبحانه عن ثمود وقوم صالح فقال (كذبت ثمود بطغويها) اي بطغيانها ومعصيتها عن مجاهد وابن زيد يعني ان الطغيان حملهم على التكذيب فالطغوى اسم من الطغيان كما ان الدعوى من الدعاء وقيل ان الطغوى اسم العذاب الذي نزل بهم فالمعنى كذبت ثمود بعذابها عن ابن عباس وهذا كما قال فاهلكوا بالطاغية والمراد كذبت بعذابها الطاغية فأتاها ما كذبت به (اذ انبعث اشقيها) اي كان تكذيبها حين انبعث اشقى ثمود للعقر

ومعني انبعث انتدب وقام والاشقى عاقر الناقة وهو أشقى الاولين على لسان رسول الله ﷺ واسمه قدار بن سالف قال الشاعروهو عدي بن زيد

فمن يهدي اخا الذناب لو   فأرشوه فإن الله جار
ولكن اهلكت لوّ كثيراً   وقبل اليوم عالجها قدار

يعني حين نزل بها العذاب فقال لو فعلت وقد صحت الرواية بالاسناد عن عثمان بن صهيب عن ابيه قال قال رسول الله ﷺ لعلي بن ابي طالب (ع) من اشقى الاولين قال عاقر الناقة قال صدقت فمن اشقى الآخرين قال قلت لا اعلم يا رسول الله قال الذي يضربك على هذه واشار الى يافوخه وعن عمار ابن ياسر قال كنت انا وعلي بن ابي طالب (ع) في غزوة العسرة نائمين في صور من النخل ودقعاء من التراب فوالله ما اهبّنا إلا رسول الله ﷺ يحركنا برجله وقد تتربنا من تلك الدقعاء فقال ألا احدثكما بأشقى الناس رجلين قلنا بلى يارسول الله قال احيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك بالسيف يا علي على هذه ووضع يده على قرنه حتي تبل منها هذه واخذ بلحيته وقيل ان عاقر الناقة كان اشقر ازرق قصيرا ملتزق الخلق (فقال لهم رسول الله) صالح (ناقة الله) قال الفراء حذرهم إياها وكل تحذير فهو نصب والتقدير احذروا ناقة الله فلا تعقروها عن الكلبي ومقاتل كما يقال الأسد الأسد اي احذروه (وسقياها) أي وشربها من الماء او ما يسقيها اي فلا تزاحموها فيه كما قال سبحانه لها شرب ولكم شرب يوم معلوم (فكذبوه) اي فكذب قوم صالح صالحا ولم يلتفتوا الى قوله وتحذيره اياهم بالعذاب بعقرها فعقروها اي فقتلوا الناقة (فدمدم عليهم ربهم) اي فدمر عليهم ربهم عن عطاء ومقاتل وقيل اطبق عليهم بالعذاب واهلكهم (بذنبهم) لأنهم رضوا جميعا به وحثوا عليه وكانوا قد اقترحوا تلك الآية فاستحقوا بما ارتكبوه من العصيان والطغيان عذاب الاستئصال (فسويها) اي فسوى الدمدمة عليهم وعمهم بها فاستوت على صغيرهم وكبيرهم ولم يفلت منهما احد منهم وقيل معناه سوّى الأمة اي انزل العذاب بصغيرها وكبيرها فسوى بينها فيه عن الفراء وقيل جعل بعضها على مقدار بعض في الاندكاك واللصوق بالأرض فالتسوية تصيير الشيء على مقدار غيره وقيل سوّى ارضهم عليهم (ولا يخاف عقبيها) اي لا يخاف الله من احد تبعة في اهلاكهم عن ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد والجبائي والمعنى لا يخاف ان يتعقب عليه في شيء من فعله فلا يخاف عقبى ما فعل بهم من الدمدمة عليهم لأن احدا لا يقدر على معارضته والانتقام منه وهذا كقوله لا يسأل عما يفعل وقيل معناه لا يخاف الذي عقرها عقباها عن الضحاك والسدي والكلبي اي لا يخاف عقبى ما صنع بها لأنه كان مكذبا بصالح وقيل معناه ولا يخاف. صالح عاقبة ما خوفهم به من العقوبات لأنه كان على ثقة من نجاته

سورة والليل

مكية احدى وعشرون آية بالاجماع

❊ فضلها ❊

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها اعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

تفسيرها

لما قدم في تلك السورة بيان حال المؤمن والكافر عقبه سبحانه بمثل ذلك في هذه السورة فاتصلت بها اتصال النظير بالنظير فقال

بسم ٱللهِ ٱلرحمٰنِ ٱلرحيم (١) وَٱللَّيلِ إِذَا يَغشى (٢) وَٱلنَّهارِ إِذا تَجَلّى (٣) وَما خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَالأُنثى (٤) إِنَّ سَعيَكُمْ لَشَتّى (٥) فَأَمَّا مَنْ أَعْطى وَاتَّقى (٦) وَصَدَّقَ بِالحُسنى (٧) فَسَنُيَسِّرُهُ لِليُسرى (٨) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاستَغنى (٩) وَكَذَّبَ بِالحُسنى (١٠) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلعُسرى (١١) وَما يُغني عَنهُ مالُهُ إِذا تَرَدّى (١٢) إِنَّ عَلَينا لَلهُدى (١٣) وَإِنَّ لَنا لَلآخِرَةَ وَالأُولى (١٤) فَأَنذَرتُكُم ناراً تَلَظّى (١٥) لا يَصلاها إِلاَّ الأَشقى (١٦) ٱلَّذي كَذَّبَ وَتَوَلّى (١٧) وَسَيُجَنَّبُها الأَتقى (١٨) ٱلَّذي يُؤتي مالَهُ يَتَزَكّى (١٩) وَما لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِعمَةٍ تُجزى (٢٠) إِلاَّ ابتِغاءَ وَجهِ رَبِّهِ الأَعلى (٢١) وَلَسَوفَ يَرضى احدى وعشرون آية

القراءة

في الشواذ قراءة النبي ﷺ وقراءة علي بن ابي طالب (ع) وابن مسعود وأبي الدرداء وابن عباس والنهار إذا تجلى و خالق الذكر والأنثى بغير ما وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع)

الحجة

قال ابن جني في هذه القراءة شاهد لما أخبرنا به ابو بكر عن ابي العباس احمد بن يحيى قراءة بعضهم وما خلق الذكر والأنثى بالجر وذلك انه جره لكونه بدلا من ما فقراءة النبي ﷺ شاهد بصحة ذلك

اللغة

شتى أي متفرق على تباعد ما بين الشيئين جداً ومنه شتان أي بعد ما بينهما كبعد ما بين الثرى والثريا وتشتت امر القوم وشتتهم ريب الزمان واليسرى تأنيث الأيسر والعسرى تأنيث الأعسر من اليسر والعسر والتلظي تلهب النار بشدة الإيقاد وتلظت النار تتلظى فحذف احدى التاءين تخفيفا وقرأ ابن كثير تلظى بتشديد التاء ادغم احدى التاءين في الأخرى والتجنب تصيير الشيء في جانب من غيره

الاعراب

وما خلق الذكر والأنثى ان جعلت ما مصدرية فهو في موضع الجر والتقدير وخلق الذكر أي وخلقه الذكر والأنثى وان جعلتها بمعنى من فكذلك والحسنى صفة حذف موصوفها أي وصدق بالخصلة الحسنى وكذا اليسرى والعسرى. التقدير فيهما للطريقة اليسرى وللطريقة العسرى ويتزكى في موضع نصب على الحال ويجوز ان يكون منصوب الموضع أو مرفوعا على تقدير حذف ان أي لأن يتزكى فحذف اللام فصار ان يتزكى ثم حذف ان أيضا كما في قول طرفة

ألا أيهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات هل أنت مخلدي

روي احضر بالرفع والنصب وما لأحد عنده من نعمة تجزى من نعمة الجار والمجرور في موضع رفع

ومن مزيدة لتأكيد النفي وافادة العموم وتجزى جملة مجرورة الموضع لكونها صفة لنعمة والتقدير من نعمة مجزية وان شئت كانت مرفوعة الموضع على محل كونه من نعمة والتقدير وما لأحد عنده نعمة مجزية وابتغاء منصوب لأنه مفعول له والعامل فيه يؤتى اي وما يؤتي ماله إلا ابتغاء وجه ربه أي لطلب ثواب ربه ولم يفعل ذلك مجازاة ليد قد اسديت اليه

﴿ المعنى ﴾

(والليل إذا يغشى) أقسم الله سبحانه بالليل إذا يغشى بظلمته النهار وقيل إذا يغشى بظلمته الأفق وجميع ما بين السماء والأرض والمعنى إذا أظلم وادلهم وأغشى الأنام بالظلام لما في ذلك من الهول المحرك للنفس بالاستعظام (والنهار إذا تجلى) أي بان وظهر من بين الظلمة وفيه أعظم النعم إذ لو كان الدهر كله ظلاما لما امكن الخلق طلب معايشهم ولوكان ذلك كله ضياء لما انتفعوا بسكونهم وراحتهم فلذلك كرر سبحانه ذكر الليل والنهار في السورتين لعظم قدرهما في باب الدلالة على مواقع حكمته (وما خلق الذكر والأنثى) أي والذي خلق عن الحسن والكلبي وعلى هذا يكون ما بمعنى من وقيل معناه خلق الذكر والأنثى عن مقاتل قال مقاتل والكلبي الذكر والأنثى آدم وحواء (ع) وقيل أراد كل ذكر وانثى من الناس وغيرهم (ان سعيكم لشتى) هذا جواب القسم والمعنى ان اعمالكم المختلفة فعمل للجنة وعمل للنار عن ابن عباس وقيل ان سعيكم لمتفرق فساع في فكاك رقبته وساع في هلاكه وساع للدنيا وساع للعقبى وروى الواحدي بالاسناد المتصل المرفوع عن عكرمة عن ابن عباس ان رجلا كانت له نخلة فرعها في دار رجل فقير ذي عيال وكان الرجل إذا جاء فدخل الدار وصعد النخلة ليأخذ منها التمر فربما سقطت التمرة فيأخذها صبيان الفقير فينزل الرجل من النخلة حتى يأخذ التمر من ايديهم فإن وجدها في في احدهم أدخل اصبعه حتى يأخذ التمرة من فيه فشكا ذلك الرجل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم واخبره بما يلقى من صاحب النخلة فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذهب ولقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صاحب النخلة فقال تعطيني نخلتك المائلة التي فرعها في دار فلان ولك بها نخلة في الجنة فقال له الرجل ان لي نخلا كثيراً وما فيه نخلة اعجب إلي تمرة منها قال ثم ذهب الرجل فقال رجل كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا رسول الله اتعطيني ما اعطيت الرجل نخلة في الجنة ان أنا أخذتها قال نعم فذهب الرجل ولقي صاحب النخلة فساومها منه فقال له أشعرت ان محمدا اعطاني بها نخلة في الجنة فقلت له يعجبني تمرتها وان لي نخلا كثيراً فما فيه نخلة اعجب إلي تمرة منها فقال له الآخر أتريد بيعها فقال لا إلا ان اعطى ما لا أظنه اعطى قال فما هناك قال اربعون نخلة فقال الرجل جئت بعظيم تطلب بنخلتك المائلة اربعين نخلة ثم سكت عنه فقال له أنا اعطيك اربعين نخلة فقال له اشهد ان كنت صادقا فمر إلى اناس فدعاهم فأشهد له بأربعين نخلة ثم ذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله ان النخلة قد صارت في ملكي فهي لك فذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى صاحب الدار فقال له النخلة لك ولعيالك فأنزل الله تعالى والليل إذا يغشى السورة وعن عطاء قال اسم الرجل ابو الدحداح (فأما من اعطى واتقى) هو ابو الدحداح وأما من بخل واستغنى وهو صاحب النخلة وقوله لا يصلاها إلا الأشقى وهو صاحب النخلة وسيجنبها الأتقى هو ابو الدحداح ولسوف يرضى إذا دخل الجنة قال وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمر بذلك الحش وعذوقه دانية فيقول عذوق وعذوق لأبي الدحداح في الجنة وعن ابن الزبير قال ان الآية نزلت في ابي

بكر لأنه اشترى المماليك الذين اسلموا مثل بلال وعامر بن فهيرة وغيرهما واعتقهم والاولى ان تكون الآيات محمولة على عمومها في كل من يعطي حق الله من ماله وكل من يمنع حقه سبحانه وروى العياشي ذلك باسناده عن سعد الاسكاف عن ابي جعفر (ع) قال فأما من اعطى مما اتاه الله واتقى وصدق بالحسنى أي بأن الله يعطي بالواحد عشراً إلى كثير من ذلك وفي رواية أخرى إلى مائة الف فما زاد فسنيسره لليسرى قال لا يريد شيئا من الخير إلا يسره الله له واما من بخل بما اتاه الله واستغنى وكذب بالحسنى بأن الله يعطي بالواحد عشرا إلى اكثر من ذلك وفي رواية أخرى إلى مائة الف فما زاد فسنيسره للعسرى قال لا يريد شيئا من الشر إلا يسره الله له قال ثم قال ابوجعفر (ع) وما يغني عنه ماله إذا تردى أما والله ما تردى من جبل ولا تردى من حائط ولا تردى في بئر ولكن تردى في نار جهنم فعلى هذا يكون قوله (وصدق بالحسنى) معناه بالعدة الحسنى وهو قول ابن عباس وقتادة وعكرمة وقيل بالجنة التي هي ثواب المحسنين عن الحسن ومجاهد والجبائي وقوله (فسنيسره لليسرى) معناه فسنهون عليه الطاعة مرة بعد مرة وقيل معناه سنهيئه ونوفقه للطريقة اليسرى أي سنسهل عليه فعل الطاعة حتى يقوم اليها بجد وطيب نفس وقيل معناه سنيسره للخصلة اليسرى والحالة اليسرى وهو دخول الجنة واستقبال الملائكة إياه بالتحية والبشرى وقوله (وأما من بخل) أي ضن بماله الذي لا يبقى له وبخل بحق الله فيه (واستغنى) أي التمس الغنى بذلك المنع لنفسه وقيل معناه انه عمل عمل من هو مستغن عن الله وعن رحمته (وكذب بالحسنى) أي بالجنة والثواب والوعد وبالخلف (فسنيسره للعسرى) هو على مزاوجة الكلام والمراد به التمكين أي نخلي بينه وبين الأعمال الموجبة للعذاب والعقوبة (وما يغني عنه ماله إذا تردى) أي سقط في النار عن قتادة وابي صالح وقيل إذا مات وهلك عن مجاهد وقيل للحسن ان فلانا جمع مالا فقال هل جمع لذلك عمرا قالوا لا قال فما تصنع الموتى بالأموال (إن علينا للهدى) معناه ان علينا لبيان الهدى بالدلالة عليه فأما الاهتداء فاليكم اخبر سبحانه ان الهدى واجب عليه ولو جاز الإضلال عليه لما وجب الهداية قال قتاده معناه ان علينا بيان الطاعة والمعصية (وان لنا للآخرة والاولى) وان لنا ملك الآخرة وملك الاولى فلا يزيد في ملكنا اهتداء من اهتدى ولا ينقص منه عصيان من عصى ولو نشاء لمنعناهم عن ذلك قسراً وجبرا ولكن التكليف اقتضى ان نمنعهم بيانا وأمراً وزجراً ثم خوف سبحانه العادل عن الهدى فقال (فأنذرتكم ناراً تلظى) أي خوفتكم نارا تتلهب وتتوهج وتتوقد (لا يصليها) أي لا يدخل تلك النار ولا يلزمها (إلا الأشقى) وهو الكافر بالله (الذي كذب) بآيات الله ورسله (وتولى) أي أعرض عن الإيمان (وسيجنبها) اي سيجنب النار ويجعل منها على جانب (الأتقى) المبالغ في التقوى (الذي يؤتي ماله) أي ينفقه في سبيل الله (يتزكى) يطلب ان يكون عند الله زكيا لا يطلب بذلك رياء ولا سمعة قال القاضي قوله لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى لا يدل على انه تعالى لا يدخل النار إلا الكافر على ما يقوله الخوارج وبعض المرجئة وذلك لأنه نكر النار المذكورة ولم يعرفها فالمراد بذلك ان ناراً من جملة النيران لا يصلاها إلا من هذه حاله والنيران دركات على ما بينه سبحانه في سورة النساء في شأن المنافقين فمن اين عرف ان غير هذه النار لا يصلاها قوم آخرون وبعد فإن الظاهر من الآية يوجب ان لا يدخل النار إلا من كذب وتولى وجمع بين الأمرين فلا بد للقوم من القول بخلافه لأنهم يوجبون النار لمن يتولى عن كثير من الواجبات وان لم يكذب وقيل ان الاتقى

والاشقى المراد بهما التقي والشقي كما قال طرفة

تمنى رجال ان اموت وان امت   فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أراد بواحد ثم وصف سبحانه الاتقى فقال (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) اي ولم يفعل الأتقى ما فعله من ايتاء المال وانفاقه في سبيل الله ليد اسديت اليه يكافئ عليها ولا ليد يتخذها عند احد من الخلق (إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى) اي ولكنه فعل ما فعل يبتغي به وجه الله ورضاه وثوابه والماذكر الوجه طلبا لشرف الذكر والمعنى إلا الله ولابتغاء ثواب الله (ولسوف يرضى) اي ولسوف يعطيه الله من الجزاء والثواب ما يرضى به فإنه يعطيه كل ما تمنى ولم يخطر بباله فيرضى به لامحالة

سورة والضحى مكية احدى عشرة آية بالإجماع

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأها كان ممن يرضاه الله ولمحمد ﷺ أن يشفع له وله عشر حسنات بعدد كل يتيم وسائل

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بأن الاتقى يعطيه من الثواب ما به يرضى وافتتح هذه السورة بأنه يرضي نبيه بما يؤتيه يوم القيامة من الكرامة والزلفى فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) وَالضُّحَى (٢) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٣) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (٤) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (٥) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (٦) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٧) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٨) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٩) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (١٠) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١١) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ   احدى عشر آية

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ عن النبي ﷺ وعروة بن الزبير ما ودعك بالتخفيف والقراءة المشهورة بالتشديد وعن اشهب العقيلي فاوى بغير مد وعن ابن ابي السميقع عيلا بالتشديد وعن النخعي والشعبي فلا تكهر بالكاف وكذلك هو في مصحف عبدالله

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني ودع بالتخفيف يقل استعماله وقال سيبويه استغنوا عن وذر وودع بقولهم ترك وانشد ابو علي ذلك في في شعر ابي الاسود قوله

ليت شعري عن خليلي ما الذي   غاله في الحب حتى ودعه

واما قوله فاوى فإنه من اويته اي رحمته واما عيلا فإنه فيعل من العيلة وهي الفقر وهو مثل العائل ومعناه ذو العيلة من غير جدة يقال عال الرجل يعيل عيلة إذا كثر عياله وافتقر قال الشاعر

وما يدري الفقير متى غناه   وما يدري الغني متى يعيل

أي متى يفتقر واما الكهر فهو مثل القهر والعرب قد تعاقب بين القاف والكاف وفي حديث معاوية بن الحكم الذي تكلم في الصلاة قال ما كهرني ولا ضربني

﴿ اللغة ﴾

السجو السكون يقال سجى يسجو إذا هدئ وسكن وطرف ساج وبحر ساج قال الاعشى

فما ذنبنا إذ جاش بحر ابن عمكم   وبحرك ساج لا يواري الدعامصا

وقال الآخر

يا حبذا القمراء والليل الساج   وطرق مثل ملاء النساج

والقلى البغض إذا كسرت القاف قصرت واذا فتحت مددت قال

عليك سلام لا مللت قريبة   ومالك عندي إن نأيت قلاه

ونهره وانتهره بمعنى وهو ان يصيح في وجه السائل الطالب للرفد

﴿ الإعراب ﴾

وما قلى اي وما قلاك وكذلك قوله فآوى فأغنى تقديره فآواك فأغناك فالمفعول في هذه الآي محذوف وقال ولسوف يعطيك ولم يقل وليعطينك وان كان جواب القسم لأن النون إنما تدخل لتؤذن بأن اللام لام القسم لالام الابتداء وقد حصل ها هنا العلم بأن هذه اللام للقسم لا للابتداء لدخوله على سوف ولام الابتداء لا تدخل على سوف لأن سوف تختص بالافعال ولام الابتداء انما تدخل على الاسماء فأما اليتيم فلا تقهر تقديره فمهما يكن من شيء فلا تقهر اليتيم ثم اقيم اما مقام الشرط فحصل اما فلا تقهر اليتيم ثم قدم المفعول على الفاء كراهة لأن يكون الفاء التي من شأنها ان تكون متبعة شيئا فشيئا في اول الكلام وان كثر يجتمع في اللفظ مع اماً فتكون على خلاف اصول كلامهم وكذلك اماً بنعمة ربك فحدث

﴿ النزول ﴾

قال ابن عباس احتبس الوحي عنه صلى الله عليه وآله وسلم خمسة عشر يوما فقال المشركون ان محمدا قد ودعه ربه وقلاه ولو كان امره من الله تعالى لتتابع عليه فنزلت السورة وقيل إنما احتبس الوحي اثني عشر يوما عن ابن جريج وقيل اربعين يوما عن مقاتل وقيل ان المسلمين قالوا ما ينزل عليك الوحي يا رسول الله فقال وكيف ينزل علي الوحي وانتم لا تنقون براجمكم ولاتقلمون اظفاركم ولما نزلت السورة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجبرائيل (ع) ماجئت حتى اشتقت اليك فقال جبرائيل (ع) وأنا كنت أشد اليك شوقا ولكني عبد مأمور وما نتنزل إلا بأمر ربك وقيل سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذي القرنين واصحاب الكهف وعن الروح فقال سأخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فاحتبس عنه الوحي هذه الايام فاغتمّ لشماتة الاعداء فنزلت السورة تسلية لقلبه وقيل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رمي بحجر في اصبعه فقال هل أنت إلا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت فمكث ليلتين او ثلاثا لا يوحى اليه فقالت له ام جميل بنت حرب امرأة ابي لهب يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين او ثلاث فنزلت السورة

﴿ المعنى ﴾

(والضحى) أقسم سبحانه بنور النهار كله من قولهم ضحى فلان للشمس إذا ظهر لها ويدل عليه قوله في مقابلته (والليل إذا سجى) أي سكن واستقر ظلامه وقيل إن المراد بالضحى أول ساعة من النهار وقيل صدر النهار وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في الشتاء والصيف وقيل معناه ورب

الضحى ورب الليل اذا سجى عن الجبائي وقيل إذا سجى أي غطى بالظلمة كل شيء عن عطاء والضحاك وقيل اذا أقبل ظلامه عن الحسن (ما ودعك ربك وما قلى) هذا جواب القسم ومعناه ما تركك يا محمد ربك وما قطع عنك الوحي توديعا الك وما قلاك أي ما أبغضك منذ اصطفاك (وللآخرة خير لك من الاولى) يعني ان ثواب الاخرة والنعيم الدائم فيها خير لك من الدنيا الفانية والكون فيها وقيل ان له صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة الف الف قصر من اللؤلؤ ترابه من المسك وفي كل قصر ما ينبغي له من الازواج والخدم وما يشتهي على أتم الوصف عن ابن عباس وقيل معناه وللآخر عمرك الذي بقي خير لك من أوله لما يكون فيه من الفتوح والنصرة (ولسوف يعطيك ربك فترضى) معناه وسيعطيك ربك في الآخرة من الشفاعة والحوض وسائر انواع الكرامة فيك وفي أمتك ما ترضى به وروى حرث بن شريح عن محمد بن علي بن الحنفية انه قال يا اهل العراق تزعمون أن أرجى آية في كتاب الله عزوجل ياعبادي الذين اسرفوا على أنفسهم الآية وانا اهل البيت (ع) نقول ارجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهي والله الشفاعة ليعطينها في أهل لا إله إلا الله حتى يقول رب رضيت وعن الصادق (ع) قال دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فاطمة (ع) وعليها كساء من ثلة الإبل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما أبصرها فقال يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة فقد انزل الله علي ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال زيد بن علي إن من رضا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يدخل اهل بيته الجنة وقال الصادق (ع) رضا جدي ان لايبقى في النار موحد ثم عدّد سبحانه عليه نعمه في دار الدنيا فقال (ألم يجدك يتيما فآوى) قيل في معناه قولان ﴿ احدهما ﴾ انه تقرير لنعمة الله عليه حين مات ابوه وبقي يتيما فآواه الله بأن سخر له أولاً عبد المطلب ثم لما مات عبد المطلب قيض له ابا طالب وسخره للاشفاق عليه وحببه اليه حتى كان أحب اليه من أولاده فكفله ورباه واليتيم من لا اب له وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مات ابوه وهو في بطن امه وقيل انه مات بعد ولادته بمدة قليلة وماتت امه صلى الله عليه وآله وسلم وهو ابن سنتين ومات جده وهو ابن ثماني سنين فسلمه إلى ابي طالب (ع) لأنه كان اخا عبد الله لأمه فأحسن تربيته وسئل الصادق (ع) لم أوتم النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ابويه فقال لئلا يكون لمخلوق عليه حق ﴿ والآخر ﴾ ان يكون المعنى ألم يجدك واحدا لا مثل لك في شرفك وفضلك فآواك إلى نفسه واختصك برسالته من قولهم درة يتيمة إذا لم يكن لها مثل قال

لا ولا درة يتيمة بحر　　تتلالا في جونة البياع

وقيل فآواك اي جعلك مأوى الأيتام بعد ان كنت يتيما وكفيلا الانام بعد ان كنت مكفولا عن الماوردي ثم ذكر نعمة اخرى فقال (ووجدك ضالا فهدى) قيل في معناه اقوال « احدها » وجدك ضالا عما انت عليه الآن من النبوة والشريعة اي كنت غافلا عنهما فهداك اليهما عن الحسن والضحاك والجبائي ونظيره ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان وقوله وان كنت من قبله لمن الغافلين فمعنى الضلال على هذا هو الذهاب عن العلم مثل قوله ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى « وثانيها » ان المعنى وجدك متحيرا لا تعرف وجوه معاشك فهداك إلى وجوه معاشك فإن الرجل إذا لم يهتد طريق مكسبه ووجه معيشته يقال انه ضال لا يدري الى اين يذهب ومن اي وجه يكتسب عن ابي مسلم وفي الحديث نصرت بالرعب وجعل رزقي في ظل رمحي يعني الجهاد « وثالثها » ان المعنى وجدك لا تعرف الحق فهداك اليه باتمام العقل ونصب الادلة والالطاف حتى عرفت الله بصفاته بين قوم ضلال مشركين وذلك من نعم الله سبحانه عليك « رابعها » وجدك ضالا في شعاب مكة فهداك إلى جدك عبد المطلب فروي انه صلى الله عليه وآله وسلم ضل في شعاب مكة وهو صغير فرآه ابو جهل ورده إلى جده عبد المطلب فمنّ الله سبحانه بذلك عليه إذ رده إلى جده على يد عدوه عن ابن عباس « وخامسها » ما روي ان حليمة بنت ابي ذؤيب لما ارضعته مدة وقضت حق الرضاع ثم ارادت رده على جده جاءت به حتى قربت من مكة فضل في الطريق فطلبته جزعة

وكانت تقول إن لم أره لأرمين نفسي من شاهق وجعلت تصيح واحمداه قالت فدخلت مكة على تلك الحال فرأيت شيخا متوكئا على عصى فسألني عن حالي فأخبرته فقال لا تبكين فأنا ادلك على من يرده عليك فأشار الى هبل صنمهم الاكبر ودخل البيت فطاف بهبل وقبل رأسه وقال يا سيداه لم تزل منتك جسيمة رد محمدا على هذه السعدية قال فتساقطت الاصنام لما تفوه باسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسمع صوت إن هلاكنا على يدي محمد فخرج واسنانه تصطك وخرجت الى عبد المطلب واخبرته بالحال فخرج فطاف بالبيت ودعا الله سبحانه فنودي واشعر بمكانه فاقبل عبد المطلب وتلقاه ورقة بن نوفل في الطريق فبينما هما يسيران إذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائم تحت شجرة يجذب الاغصان ويلعب بالورق فقال عبد المطلب فداك نفسي وحمله ورده الى مكة عن كعب « وسادسها » ما روي انه صلى الله عليه وآله وسلم خرج مع عمه ابي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة فبينما هو راكب ذات ليلة ظلماء جاء ابليس فأخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبرائيل (ع) فنفخ ابليس نفخة رفع بها الى الحبشة ورده الى القافلة فمنّ الله عليه بذلك عن سعيد بن المسيب «وسابعها» ان المعنى وجدك مضلولا عنك في قوم لا يعرفون حقك فهداهم الى معرفتك وارشدهم الى فضلك والاعتراف بصدقك والمراد انك كنت خاملا لا تذكر ولا تعرف فعرفك الله الناس حتى عرفوك وعظموك (ووجدك عائلا) اي فقيرا لا مال لك (فأغنى) اي فأغناك بمال خديجة والغنائم وقيل فأغناك بالقناعة ورضاك بما اعطاك عن مقاتل واختاره الفراء قال لم يكن غنيا عن كثرة المال لكن الله سبحانه ارضاه بما آتاه من الرزق وذلك حقيقة الغنى وروى العياشي باسناده عن ابي الحسن الرضا (ع) في قوله ألم يجدك يتيما فآوى قال فردا لا مثل لك في المخلوقين فآوى الناس اليك ووجدك ضالا اي ضالة في قوم لا يعرفون فضلك فهداهم اليك ووجدك عائلا تعول اقواما بالعلم فأغناهم بك وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال منّ علي ربي وهو اهل المن وقد طعن بعض الملحدين فقال كيف يحسن الامتنان بالانعام وهل يكون هذا من فعل الكرام « والجواب » ان المن انما يقبح من المنعم اذا أراد به الغض من المنعم عليه والاذى له فأما من أراد التذكير لشكر نعمته والترغيب فيه ليستحق الشاكر المزيد فإنه في غاية الحسن ولأن من كمال الجود وتمام الكرم تعريف المنعم عليه انه انما أنعم عليه ليسأل جميع ما يحتاج اليه فيعطى ثم اوصاه سبحانه باليتامى والفقراء فقال (فأما اليتيم فلا تقهر) أي فلا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه كما كانت تفعل العرب في امر اليتامى عن الفراء والزجاج وقيل معناه لا تحتقر اليتيم فقد كنت يتيما عن مجاهد وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحسن إلى اليتامى ويبرهم ويوصي بهم وجاء في الحديث عن ابي اوفى قال كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتاه غلام فقال غلام يتيم وأخت لي يتيمة وام لي ارملة أطعمنا مما أطعمك الله اعطاك الله مما عنده حتى ترضى قال ما أحسن ما قلت يا غلام اذهب يا بلال فأتنا بما كان عندنا فجاء بواحدة وعشرين تمرة فقال سبع لك وسبع لأختك وسبع لأمك فقام اليه معاذ بن جبل فمسح رأسه وقال جبر الله يتمك وجعلك خلفا من أبيك وكان من ابناء المهاجرين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأيتك يا معاذ وما صنعت قال رحمته قال لا يلي احد منكم يتيما فيحسن ولايته ووضع يده على رأسه إلا كتب الله له بكل شعرة حسنة ومحا عنه بكل شعرة سيئة ورفع له بكل شعرة درجة وعن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مسح على رأس يتيم كان له بكل شعرة تمر على يده نور يوم القيامة وقال صلى الله عليه وآله وسلم أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة إذا اتقى الله عز وجل واشار بالسبابة والوسطى وعن عمر بن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال إن اليتيم إذا بكى اهتز لبكائه عرش الرحمن فيقول الله للملائكته يا ملائكتي من ابكى هذا اليتيم الذي غيب ابوه في التراب فتقول الملائكة انت اعلم فيقول الله تعالى يا ملائكتي فإني اشهدكم ان لمن اسكته وارضاه ان ارضيه يوم القيامة وكان عمر اذا رأى يتيما مسح رأسه واعطاه شيئا (واما السائل فلا تنهر) أي لا تنهر السائل ولا ترده إذا أتاك يسألك فقد كنت فقيرا فإما ان تطعمه واما ان ترده ردا لينا وفي الحديث عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا اتاك

سائل على فرس باسط كفيه فقد وجب له الحق ولو بشق تمرة قال ابو مسلم يريد كما اعطاك الله ورحمك وانت عائل فاعط سائلك وارحمه وقال الجبائي المراد بها جميع المكلفين وان كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقيل ان المراد بالسائل طالب العلم وهو متصل بقوله ووجدك ضالا فهدى عن الحسن والمعنى علم من يسألك كما علمك الله الشرائع وكنت بها غير عالم (واما بنعمة ربك فحدث) معناه اذكر نعمة الله واظهرها وحدث بها وفي الحديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ومن لم يشكر القليل لم يشكر الكثير والتحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر وقيل يريد بالنعمة القرآن عن الكلبي قال وكان القرآن أعظم ما انعم الله عليه به فأمره ان يقرأه وقيل بالنبوة التي اعطاك ربك عن مجاهد واختاره الزجاج قال اي بلغ ما ارسلت به وحدث بالنبوة التي اتاكها الله وهي أجل النعم وقيل معناه اشكر لما ذكر من النعمة عليك في هذه السورة قال الصادق (ع) معناه فحدث بما اعطاك الله وفضلك ورزقك واحسن اليك وهداك

النظم

وجه اتصال قوله وللآخرة خير لك من الاولى بما قبله ان في قوله ما ودعك ربك وما قلى اثباتا لمحبته سبحانه اياه وانعامه عليه فاتصل هذا ايضا به والتقدير ليس الامر كما قالوه بل الوحي يأتيك ما عمرت وتدوم محبتي لك وما اعطيتك في الآخرة من الشرف ورفعة المنزلة خير مما اعطيتك اليوم فاذا حسدوك على ذا فكيف بهم اذا رأوا ذلك واما اتصال قوله ألم يجدك بما قبله فوجهه انه اتصال ذكر النعم بذكر المنعم والتقدير انه سبحانه سينعم عليك في مستقبل امرك كما انعم عليك في الماضي من امرك

سورة الم نشرح

مكية وهي ثماني آيات بالاجماع

فضلها

ابي بن كعب عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأها اعطي من الاجر كمن لقي محمدا صلى الله عليه وآله وسلم مغتما ففرج عنه وروى اصحابنا أن الضحى وألم نشرح سورة واحدة لتعلق احديهما بالاخرى ولم يفصلوا بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم وجمعوا بينهما في الركعة الواحدة في الفريضة وكذلك القول في سورة ألم تر كيف ولايلاف قريش والسياق يدل على ذلك لأنه قال ألم يجدك يتيما فآوى إلى آخرها ثم قال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (٢) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ (٣) الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ (٤) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٥) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٧) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٨) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ

اللغة

الشرح فتح الشيء باذهاب مايصد عن ادراكه واصل الشرح التوسعة ويعبر عن السرور بسعة القلب وشرحه وعن الهم بضيق القلب لأنه يورث ذلك والوزر الثقل في اللغة ومنه اشتق اسم الوزير لتحمله اثقال الملك وانما سميت الذنوب اوزارا لما يستحق عليها من العقاب العظيم والانقاض الاثقال التي كان ينتقض بها ما حمل عليه والنقض والهدم واحد ونقض المذهب ابطاله بما يفسده ويعبر نقض سفر اذا اثقله السفر والنصب التعب وانصبه الهم فهو

منصب قال الشاعر (تعناك هم من اميمة منصب) وهم ناصب ذونصب قال النابغة (كليني لهم يا اميمة ناصب)

❃ المعنى ❃

ثم اتم سبحانه تعداد نعمه على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال (ألم نشرح لك صدرك) روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول صلى الله عليه وآله وسلم الله لقد سألت ربي مسألة وددت اني لم اسأله قلت اي رب انه قد كان انبياء قبلي منهم من سخرت له الريح ومنهم من كان يحيي الموتى قال فقال ألم اجدك يتيما فآويتك قال قلت بلى قال ألم اجدك ضالا فهديتك قال قلت بلى اي رب قال ألم اشرح لك صدرك ووضعت عنك وزرك قال قلت بلى اي رب والمعنى ألم نفتح لك صدرك ونوسع قلبك بالنبوة والعلم حتى قمت باداء الرسالة وصبرت على المكاره واحتمال الاذى واطمأننت الى الايمان فلم تضق به ذرعا ومنه تشريح اللحم لأنه فتحه بترقيقه فشرح سبحانه صدره بأن ملأه علما وحكمة ورزقه حفظ القرآن وشرائع الاسلام ومنّ عليه بالصبر والاحتمال وقيل إنه صلى الله عليه وآله وسلم كان قد ضاق صدره بمعاداة الجن والانس اياه ومناصبتهم له فآتاه من الآيات ما اتسع به صدره بكل ما حمله الله اياه وامره به وذلك من أعظم النعم عن البلخي وقيل معناه ألم نشرح صدرك بإذهاب الشواغل التي تصد عن ادراك الحق وعن ابن عباس قال سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقيل يا رسول الله أينشرح الصدر قال نعم قالوا يا رسول الله وهل لذلك علامة يعرف بها قال نعم التجافي عن دار الغرور والإنابة الى دار الخلود والاعداد للموت قبل نزول الموت ومعنى الاستفهام في الآية التقرير أي قد فعلنا ذلك ويدل عليه قوله في العطف عليه (ووضعنا عنك وزرك) اي وحططنا عنك وزرك (الذي انقض ظهرك) اي اثقله حتى سمع له نقيض اي صوت عن الزجاج قال وهذا مثل معناه انه لو كان حملا لسمع نقيض ظهره وقيل ان المراد به تخفيف اعباء النبوة التي تثقل الظهر من القيام بامرها سهل الله ذلك عليه حتى تيسر له ومنّ عليه بذلك عن ابي عبيدة وعبد العزيز بن يحيي وقيل معناه وازلنا عنك همومك التي اثقلتك من اذى الكفار فشبه الهموم بالحمل والعرب تجعل الهم ثقلا عن ابي مسلم وقيل معناه وعصمناك عن احتمال الوزر فإن المقصود من الوضع ان لا يكون عليه ثقل فإذا عصم كان أبلغ في أن لا يكون قال المرتضى قدس الله روحه انما سميت الذنوب بانها اوزارا لأنها تثقل كاسبها وحاملها فكل شيء اثقل الانسان وغمه وكده جاز ان يسمى وزرا فلا يمتنع ان يكون الوزر في الآية انما اراد به غمه صلى الله عليه وآله وسلم بما كان عليه قومه من الشرك وانه واصحابه بينهم مقهور مستضعف فلما اعلى الله كلمته وشرح صدره وبسط يده خاطبه بهذا الخطاب تذكيرا له بمواقع النعمة ليقابله بالشكر ويؤيده ما بعده من الآيات فإن اليسر بإزالة الهموم اشبه والعسر بازالة الشدائد والغموم اشبه فإن قيل ان السورة مكية نزلت قبل ان يعلي الله كلمة الاسلام فلا وجه لقولكم قلنا انه سبحانه لما بشره بأن يعلي دينه على الدين كله ويظهره على اعدائه كان بذلك واضعا عنه ثقل غمه بما كان يلحقه من اذى قومه ومبدلا عسره يسرا فإنه يثق بأن وعد الله حق ويجوز ايضا ان يكون اللفظ وان كان ماضيا فالمراد به الاستقبال كقوله ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ولهذا نظائر كثيرة (ورفعنا لك ذكرك) أي قرنا ذكرك بذكرنا حتى لا اذكر إلا وتذكر معي يعني في الاذان والاقامة والتشهد والخطبة على المنابر عن الحسن وغيره قال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة الا وينادي بأشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمدا رسول الله وفي الحديث عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الآية قال قال لي جبرائيل قال الله عز وجل اذا ذكرت ذكرت معي وفي هذا يقول حسان بن ثابت يمدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم

اغر عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي الى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن اشهد

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

ثم وعد سبحانه اليسر والرخاء بعد الشدة وذلك انه كان بمكة في شدة قال (فإن مع العسر يسرا) أي مع الفقر سعة عن الكلبي وقيل معناه ان مع الشدة التي انت فيها من مزاولة المشركين يسرا ورخاء بأن يظهرك الله عليهم حتى ينقادوا للحق الذي جئتهم به طوعا او كرها ثم كرر ذلك فقال (ان مع العسر يسرا) روي عطاء عن ابن عباس قال يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين وعن الحسن قال خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوما مسرورا فرحا وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا قال الفراء ان العرب تقول اذا ذكرت نكرة ثم اعدتها نكرة مثلها صارتا اثنتين كقولك اذا كسبت درهما فانفق درهما فالثاني غير الاول فاذا اعدتها معرفة فهي هي كقولك اذا كسبت الدرهم فانفق الدرهم فالثاني هو الاول ونحو هذا ما قال الزجاج انه ذكر العسر مع الالف واللام ثم ثنى ذكره فصار المعنى إن مع العسر يسرين وقال صاحب كتاب النظم في تفسير هذه الآية ان الله بعث نبيه وهو مقل مخف وكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا له ان كان بك من هذا القول الذي تدعيه طلب الغنى جمعنا لك مالا حتى تكون كأيسر اهل مكة فكره النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك وظن ان قومه انما يكذبونه لفقره فوعده الله سبحانه الغنى ليسليه بذلك عما خامره من الهم فقال فإن مع العسر يسرا وتأويله لا يحزنك ما يقولون وما انت فيه من الاقلال فإن مع العسر يسرا في الدنيا عاجلا ثم انجز ما وعده فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز وما والاها من القرى العربية وعامة بلاد اليمن فكان يعطي المائتين من الابل ويهب الهبات السنية ويعد لاهله قوت سنته ثم ابتدأ فصلا آخر فقال ان مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه تعريه من فاء وواو وهو وعد لجميع المؤمنين لانه يعني بذلك ان مع العسر في الدنيا للمؤمن يسرا في الآخرة وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا وهو ما ذكر في الآية الاولى ويسر الآخرة وهو ما ذكر في الآية الثانية فقوله صلى الله عليه وآله وسلم لن يغلب عسر يسرين أي يسر الدنيا والآخرة فالعسر بين يسرين اما فرج الدنيا واما ثواب الآخرة وهذا الذي ذكره الجرجاني يؤيد ما ذهب اليه المرتضى قدس الله روحه من أن القائل اذا قال شيئا ثم كرره فإن الظاهر من تغاير الكلامين تغاير مقتضاهما حتى يكون كل واحد منهما مفيدا لما لا يفيده الآخر فيجب مع الاطلاق حمل الثاني على غير مقتضى الاول الا اذا كان بين المتخاطبين عهد او دلالة يعلم المخاطب بذلك ان المخاطب اراد بكلامه الثاني الاول فيحمله على ذلك وانشد ابو بكر الانباري

إذا بلغ العسر مجهوده فثق عند ذاك بيسر سريع

ألم تر نحس الشتاء الفظيع يتلوه سعد الربيع البديع

وانشد اسحاق بن بهلول القاضي

فلا تيأس وان اعسرت يوما فقد ايسرت في دهر طويل

ولا تظنن بربك ظن سوء فإن الله اولى بالجميل

فإن العسر يتبعه يسار وقول الله اصدق كل قيل

(فإذا فرغت فانصب والى ربك فارغب) معناه فإذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب الى ربك في الدعاء وارغب اليه في المسألة يعطك عن مجاهد وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبي وهو المروي عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) ومعنى انصب من النصب وهو التعب اي لا تشتغل بالراحة وقال الزهري اذا فرغت من الفرائض فادع بعد التشهد بكل حاجتك وقال الصادق (ع) هو الدعاء في دبر الصلاة وانت جالس وقيل معناه فاذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل عن ابن مسعود وقيل معناه فإذا فرغت من دنياك فانصب في عبادة ربك وصل

عن مجاهد والجبائي وقيل فإذا فرغت من الفرائض فانصب فيما رغبك الله فيه من الاعمال وصل عن ابن عباس وقيل إذا فرغت من جهاد اعدائك فانصب بالعبادة لله عن الحسن وابن زيد وقيل فإذا فرغت من جهاد الاعداء فانصب بجهاد نفسك وقيل إذا فرغت من اداء الرسالة فانصب اطلب الشفاعة وسئل علي بن طلحة عن هذه الآية فقال القول فيه كثير وقد سمعنا انه يقال اذا صححت فاجعل صحتك وفراغك نصبا في العبادة ويدل على هذا ما روي ان شريحا مر برجلين يصطرعان فقال ليس بهذا امر الفارغ انما قال الله سبحانه فإذا فرغت فانصب والى ربك فارغب اي فارفع حوائجك إلى ربك ولا ترفعها الى احد من خلقه وقال عطاء يريد تضرع اليه راهبا من النار وراغبا إلى الجنة

سورة التين

مكية المعدل عن ابن عباس مدنية ثماني آيات بالاجماع

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأها اعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في دار الدنيا فإذا مات اعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة صيام يوم وعن البراء بن عازب قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في المغرب والتين والزيتون فما رأيت انسانا احسن قراءة منه رواه ابو مسلم في الصحيح وروى شعيب العقرقوفي عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ والتين في فرائضه ونوافله اعطي من الجنة حيث يرضى

تفسيرها

امر الله سبحانه بالرغبة اليه في خاتمة تلك السورة وافتتح هذه السورة بذكر أنه الخالق المستحق للعبادة بعد ان اقسم عليه فقال

بسم اللهِ الرحمنِ الرحيم (١) وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (٢) وَطُورِ سِينِينَ (٣) وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ (٤) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسانَ في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (٥) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سافِلِينَ (٦) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٧) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (٨) أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الحاكِمِينَ

اللغة

التقويم تصيير الشيء على ما ينبغي ان يكون عليه من التأليف والتعديل يقال قومه فاستقام وتقوم

المعنى

(والتين والزيتون) اقسم الله سبحانه بالتين الذي يؤكل والزيتون الذي يعصر منه الزيت عن ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة وعطاء وهو الظاهر وانما اقسم بالتين لانه فاكهة مخلصة من شائب التنغيص وفيه اعظم عبرة لأنه عز اسمه جعلها على مقدار اللقمة وهيأها على تلك الصفة انعاما على عباده بها وقد روى ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في التين لو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه هي لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس واما الزيتون فانه يعتصر منه الزيت الذي يدور في اكثر الاطعمة وهو ادام والتين طعام فيه منافع كثيرة وقيل التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي عليه بيت المقدس عن قتادة

وقال عكرمة هما جبلان وانما سميا لأنهما ينبتان بهما وقيل التين مسجد دمشق والزيتون بيت المقدس عن كعب الاحبار وعبد الرحمن بن غنيم وابن زيد وقيل التين مسجد نوح الذي بني على الجودي والزيتون بيت المقدس عن ابن عباس وقيل التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى عن الضحاك (وطور سينين) يعني الجبل الذي كلم الله عليه موسى عن الحسن وسينين وسيناء واحد وقيل ان سينين معناه المبارك الحسن وكأنه قيل جبل الخير الكثير لأنه اضافة تعريف عن مجاهد وقتادة وقيل معناه كثير النبات والشجر عن عكرمة وقيل ان كل جبل فيه شجر مثمر فهو سينين وسيناء بلغة النبط عن مقاتل قال عمرو بن ميمون سمعت عمر بن الخطاب يقرأ بمكة في المغرب والتين والزيتون وطور سيناء قال فظننت انه إنما قرأها ليعلم حرمة البلد وروي ذلك عن موسى بن جعفر (ع) ايضا (وهذا البلد الامين) يعني مكة البلد الحرام يأمن فيه الخائف في الجاهلية والإسلام فالامين يعني المؤمن يؤمن من يدخله وقيل بمعنى الامن ويؤيده قوله انا جعلنا حرما آمنا قال الشاعر

الم تعلمي يا أسم ويحك انني حلفت يمينا لا اخون اميني

يريد أمني (لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم) هذا جواب القسم واراد جنس الانسان وهو آدم وذريته خلقهم الله في احسن صورة عن ابراهيم ومجاهد وقتادة وقيل في احسن تقويم أي منتصب القامة وسائر الحيوان مكب على وجهه إلا الانسان عن ابن عباس وقيل اراد انه خلقهم على كمال في انفسهم واعتدال في جوارحهم وابانهم عن غيرهم بالنطق والتمييز والتدبير إلى غير ذلك مما يختص به الانسان وفي ذلك اشارة ايضا إلى حال الشباب (ثم رددناه اسفل سافلين) يريد إلى الخرف وارذل العمر والهرم ونقصان العقل والسافلون هم الضعفاء والزمنى والاطفال والشيخ الكبير اسفل هؤلاء جميعا عن ابن عباس وابراهيم وقتادة وقيل معناه ثم رددناه إلى النار عن الحسن ومجاهد وابن زيد والجبائي والمعنى الى اسفل الاسفلين لأن جهنم بعضها اسفل من بعض وعلى هذا فالمراد به الكفار اي خلقناهم في احسن خلقة احرارا عقلاء مكلفين فكفروا فرددناهم إلى النار في اقبح صورة ثم استثنى فقال (إلا الذين آمنوا) أي صدقوا بالله (وعملوا الصالحات) اي اخلصوا العبادة لله واضافوا إلى ذلك الاعمال الصالحة فإن هؤلاء لا يردون إلى النار ومن قال بالقول الاول قال ان المؤمن لا يرد إلى الخرف وإن عمر عمرا طويلا قال ابراهيم إذا بلغ المؤمن من الكبر ما يعجز معه من العمل كتب له ما كان يعمل وهو قوله (فلهم اجر غير ممنون) وقال عكرمة من رد منهم إلى ارذل العمر كتب له صالح ما كان يعمل في شبابه وذلك اجر غير ممنون وعن ابن عباس قال ومن قرأ القرآن لم يرد إلى ارذل العمر وذلك قوله ثم رددناه اسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال إلا الذين قرأوا القرآن وفي الحديث عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المولود حتى يبلغ الحنث ما عمل من حسنة كتب لوالديه فإن عمل سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه فاذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم امر الله الملكين اللذين معه يحفظانه ويسددانه فإذا بلغ اربعين سنة في الإسلام امنه الله من البلايا الثلاث الجنون والجذام والبرص فإذا بلغ خمسين خفف الله حسابه فإذا بلغ ستين رزقه الإنابة اليه فيما يحب فإذا بلغ سبعين احبه اهل السماء فإذا بلغ ثمانين كتب الله حسناته وتجاوز عن سيئاته فاذا بلغ تسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه في اهل بيته وكان اسمه اسير الله في الارض فإذا بلغ ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا كتب الله له بمثل ما كان يعمل في صحته من الخير وان عمل سيئة لم تكتب عليه واقول ان صح الخبر فإنما لا تكتب عليه السيئة لزوال عقله ونقصان تمييزه في ذلك الوقت وقوله غير ممنون اي غير منقوص وقيل غير مقطوع عن ابي مسلم وقيل غير محسوب عن مجاهد وقيل غير مكدر بما يؤذي ويغم عن الجبائي (فما يكذبك بعد بالدين) معناه اي شيء يكذبك ايها الانسان بعد هذه الحجج بالدين الذي هو الجزاء والحساب عن الحسن وعكرمة وابي مسلم والمراد ما يحملك على ان لا تتفكر في صورتك وشبابك وهرمك فتعتبر وتقول ان الذي

فعل ذلك قادر على ان يبعثني ويحاسبني ويجازيني بعملي فيكون قوله فما يكذبك يعني به ما الذي يجعلك تكذب وقيل ان الخطاب للنبي ﷺ اي فمن يكذبك ايها الرسول بعد هذه الحجج بالدين الذي هو الإسلام عن مجاهد وقتادة اي لا شيء يكذبك (أليس الله بأحكم الحاكمين) هذا تقرير للإنسان على الاعتراف بأنه تعالى أحكم الحاكمين في صنائعه وافعاله وانه لا خلل في شيء منها ولا اضطراب فكيف يترك هذه الخلائق ويهملهم فلا يجازيهم وقيل معناه أليس الله بأقضى القاضين فيحكم بينك يا محمد وبين اهل التكذيب بك عن مقاتل قال قتادة وكان رسول الله ﷺ اذا ختم هذه السورة قال بلى وانا على ذلك من الشاهدين

النظم

اتصل قوله أليس الله بأحكم الحاكمين بما قبله من ذكر الدين والجزاء على سبيل التنبيه على الإعادة فإن الحكيم اذا كلف وامر ونهى وخلى بين الظالم والمظلوم فلا بد من المجازاة والانصاف والانتصاف فإذا لم يكن ذلك في الدنيا فلا بد من البعث فإن احكم الحاكمين لا يجوز عليه الإخلال بما ذكرناه

سورة العلق مكية

عدد آياتها

عشرون آية حجازي وتسع عشرة عراقي وثماني عشرة شامي

اختلافها

آيتان الذي ينهى غير الشامي لئن لم ينته حجازي

فضلها

ابي بن كعب عن النبي ﷺ من قرأها فكأنما قرأ المفصل كله محمد بن حسان عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ في يومه او في ليلته اقرأ باسم ربك ثم مات في يومه أو في ليلته مات شهيدا وبعثه الله شهيدا واحياه كمن ضرب بسيفه في سبيل الله مع رسول الله ﷺ

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر اسمه وافتتح هذه السورة باسمه ايضا فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (٢) خَلَقَ الإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (٣) إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٤) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٥) عَلَّمَ الإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ (٦) كَلَّا إِنَّ الإِنْسانَ لَيَطْغى (٧) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى (٨) إِنَّ إِلى رَبِّكَ الرُّجْعى (٩) أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهى (١٠) عَبْداً إِذا صَلَّى (١١) أَرَأَيْتَ إِنْ كانَ عَلَى الْهُدى (١٢) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوى (١٣) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (١٤) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرى (١٥) كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنَّاصِيَةِ (١٦) ناصِيَةٍ كاذِبَةٍ خاطِئَةٍ (١٧)

فَلْيَدْعُ نادِيَهُ (١٨) سَنَدْعُ الزَّبانِيَةَ (١٨) كَلّا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ثماني عشرة آية

❊ اللغة ❊

العلق جمع علقة وهي القطعة الجامدة من الدم التي تعلق لرطوبتها بما تمر به فإذا جفت لا تسمى علقة والعلق ضرب من الدود اسود لأنه يعلق على العضو فيمتص منه الدم والرجعى الرجوع والمرجع واحد والسفع الجذب الشديد يقال سفعت بالشيء اذا قبضت عليه وجذبته جذبا شديدا وسفعته النار والشمس اذا غيرت وجهه الى حال تشويه ومنه الحديث ليصيبن اقواما سفع من النار اي تشويه خلقة والناصية شعر مقدم الرأس سميت بذلك لأنها متصلة بالرأس من قولهم ناصى يناصي مناصاة اذا وصل قال الراجز « في تناصيها بلاد قي » النادي مجلس اهل النادي ثم كثر فسمي كل مجلس ناديا وواحد الزبانية زبينة عن ابي عبيدة وزبنى عن الكسائي وزابن عن الاخفش اخذ من الزبن وهو الدفع والناقة تزبن الحالب اي تركضه برجلها قال الشاعر

ومستعجب مما يرى من اناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم

❊ الإعراب ❊

خلق الانسان من علق تخصيص بعد تعميم الا ترى ان قوله خلق الإنسان بعد قوله خلق خصوص بعد عموم فهو مثل قوله يؤمنون بالغيب ثم قال وبالآخرة هم يوقنون فخصص الآخرة بعد ذكر الغيب الذي هو عام لكل ما غاب عنا وعكسه قول لبيد

وهم العشيرة ان يُبَطِّئ حاسد اوان يلوم بحاجة لوامها

ألا ترى ان اللوم اعم من التبطئة لأن التبطئة نسبة قوم الى البطء فهذا بعض اللوم وقوله ان الإنسان ليطغى ان رآه استغنى الضمير المستكن في رآه عائد الى الضمير المستكن في يطغى والهاء في رآه عائد الى الضمير المستكن فيه وانما جاز ان يعود الضمير المنصوب الى ضمير الفاعل في باب علمت واخواتها من غير ذكر النفس لدخول هذه الافعال على المبتدأ والخبر والخبر هو نفس المبتدأ فتقول علمتني وحسبتني افعل كذا ولا يجوز في غيرها الا بواسطة النفس تقول ضربت نفسي ولا تقول ضربتني وان رآه في محل نصب لأنه مفعول له واستغنى جملة في موضع النصب لكونها مفعولة ثانية لرآه والتقدير لأن رآه مستغنيا . ناصية بدل من الناصية اي بناصية كاذبة خاطئة ومعناه بناصية صاحبها كاذب خاطئ يقال فلان نهاره صائم وليله قائم اي هو صائم في نهاره وقائم في ليله . فليدع ناديه اي اهل ناديه فحذف المضاف . والنون في لنسفعن نون التأكيد الخفيفة والاختيار عند البصريين ان تكتب بالالف لأن الوقف عليها بالالف واختار الكوفيون ان تكتب بالنون لأنها نون في الحقيقة

❊ المعنى ❊

(اقرأ باسم ربك) هذا امر من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ان يقرأ باسم ربه وان يدعوه بأسمائه الحسنى وفي تعظيم الاسم تعظيم المسمى لأن الاسم ذكر المسمى بما يخصه فلا سبيل الى تعظيمه الا بمعناه ولهذا لا يعظم اسم الله حق تعظيمه الا من هو عارف به ومعتقد عبادته ولهذا قال سبحانه قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن أيّاً ما تدعوا فله الاسماء الحسنى وقال سبح اسم ربك الاعلى فالباء هنا زائدة والتقدير اقرأ اسم ربك واكثر المفسرين على

أن هذه السورة اول ما نزل من القرآن واول يوم نزل جبرائيل (ع) على رسول الله ﷺ وهو قائم على حراء علمه خمس آيات من اول هذه السورة وقيل اول ما نزل من القرآن قوله يا ايها المدثر وقد مر ذكره وقيل اول سورة نزلت على رسول الله ﷺ فاتحة الكتاب رواه الحاكم ابو عبد الله الحافظ بإسناده عن ابي ميسرة عمرو بن شرحبيل ان رسول الله ﷺ قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء فقالت ما يفعل الله بك الا خيرا فوالله انك لتؤدي الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث قالت خديجة فانطلقنا الى ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى وهو ابن عم خديجة فاخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال له ورقة اذا أتاك فاثبت له حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين قل لا إله الا الله فأتى ورقة فذكر له ذلك فقال له ابشر ثم ابشر فأنا اشهد انك الذي بشر به ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبي مرسل وانك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن ادركني ذلك لأجاهدن معك فلما توفي ورقة قال رسول الله ﷺ لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدقني يعني ورقة وروي ان ورقة قال في ذلك

فإن يك حقا يا خديجة فاعلمي ... حديثك ايانا فأحمد مرسل
وجبريل يأتيه وميكال معهما ... من الله وحي يشرح الصدر منزل
يفوز به من فاز عزا لدينه ... ويشقى به الغاوي الشقي المضلل
فريقان منهم فرقة في جنانه ... وأخرى بأغلال الجحيم تغلغل

ثم وصف سبحانه ربه وبينه بفعله الدال عليه فقال (الذي خلق) اي خلق جميع المخلوقات على مقتضى حكمته واخرجه من العدم الى الوجود بكمال قدرته ثم خص الانسان بالذكر تشريفا له وتنبيها على ابانته اياه عن سائر الحيوان فقال (خلق الانسان من علق) اراد به جنس بني آدم اي خلقهم من دم جامد بعد النطفة وقيل معناه خلق آدم من طين يعلق باليد والاول اصح وفي هذا اشارة الى بيان النعمة بأن خلقه من الاصل الذي هو في الغاية القصوى من المهانة ثم بلغ به مبالغ الكمال حتى صار بشرا سويا مهيئا للنطق والتمييز مفرغا في قالب الاعتدال وانه كما نقل الانسان من حال الى حال حتى استكمل كذلك ينقلك من الجهالة الى درجة النبوة والرسالة حتى تستكمل شرف محلها ثم اكد الامر بالإعادة فقال (اقرأ) وقيل امره في الاول بالقراءة لنفسه وفي الثاني بالقراءة للتبليغ وليس بتكرار عن الجبائي ومعناه اقرأ القرآن (وربك الاكرم) اي الاعظم كرما فلا يبلغه كرم كريم لأنه يعطي من النعم ما لا يقدر على مثله غيره فكل نعمة توجد من جهته تعالى إما بأن اخترعها وإما بأن سببها وسهل الطريق اليها وقيل معناه بلغ قومك وربك الاكرم الذي يثيبك على عملك بما يقتضيه كرمه ويقويك ويعينك على حفظ القرآن (الذي علم بالقلم) أي علم الكاتب ان يكتب بالقلم أو علم الإنسان البيان بالقلم او علم الكتابة بالقلم امتن سبحانه على خلقه بما علمهم من كيفية الكتابة بالقلم لما في ذلك من كثرة الانتفاع فيما يتعلق بالدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة لولاه لم يقم دين ولم يصلح عيش وقال بعضهم في وصفها

لعاب الافاعي القاتلات لعابه ... واري الجنى اشتارته أيد عواسل

وقيل اراد سبحانه آدم لأنه اول من كتب عن كعب وقيل اول من كتب ادريس عن الضحاك وقيل اراد كل نبي كتب بالقلم لأنه ما علمه الا بتعليم الله اياه (علم الإنسان ما لم يعلم) من انواع الهدى والبيان وامور الدين والشرائع والاحكام فجميع ما يعلمه الإنسان من جهته سبحانه اما بأن اضطره اليه واما بأن نصب الدليل عليه في عقله واما بأن بينه له على ألسنة ملائكته ورسله فكل العلوم على هذا مضاف اليه وفي هذا دلالة على انه سبحانه عالم لأن العلم لا يقع الا من عالم (كلا) اي حقا (ان الإنسان ليطغى) أي يتجاوز حده ويستكبر على ربه ويعدو طوره (ان رآه استغنى) اي لأن رآه نفسه مستغنية عن ربه بعشيرته وامواله وقوته كأنه قال انما يطغى من رأى انه مستغن عن ربه لا من كان غنيا قال قتادة كان اذا اصاب مالا زاد في ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه فذلك طغيانه وقيل انها نزلت في ابي جهل هشام من هنا الى آخر السورة (ان الى ربك الرجعى) اي الى الله مرجع كل احد اي فهذا الطاغي كيف يطغى بماله ويعصي ربه ورجوعه اليه وهو قادر على اهلاكه وعلى مجازاته اذا رجع اليه (أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى) هذا تقرير للنبي صلى الله عليه وآله وسلم واعلام له بما يفعله بمن ينهاه عن الصلاة فقد جاء في الحديث ان ابا جهل قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال فبالذي يحلف به لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته فقيل له ها هو ذلك يصلي فانطلق ليطأ على رقبته فما فجأهم الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقالوا مالك يا ابا الحكم قال ان بيني وبينه خندقا من نار وهولا واجنحة وقال نبي الله والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فأنزل الله سبحانه أرأيت الذي ينهى الى آخر السورة رواه مسلم في الصحيح ومعنى الآية أرأيت يا محمد من منع من الصلاة ونهى من يصلي عنها ماذا يكون جزاؤه وما يكون حاله عند الله تعالى وما الذي يستحقه من العذاب فحذف لدلالة الكلام عليه والآية عامة في كل من ينهى عن الصلاة والخير وروي عن علي (ع) انه خرج في يوم عيد فرأى ناسا يصلون فقال يا ايها الناس قد شهدنا نبي الله في مثل هذا اليوم فلم يكن احد يصلي قبل العيد اوقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال رجل يا امير المؤمنين ألا تنهى ان يصلوا قبل خروج الإمام فقال لا اريد ان انهى عبدا اذا صلى ولكنا نحدثهم بما شهدنا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم او كما قال ومعنى أرأيت هاهنا تعجيب للمخاطب ثم كرر هذه اللفظة تأكيداً في التعجيب فقال (أرأيت ان كان على الهدى) يعني العبد المنهي وهو محمد صلى الله عليه وآله وسلم (أو امر بالتقوى) يعني بالاخلاص والتوحيد ومخافة الله تعالى وهاهنا حذف ايضا تقديره كيف يكون حال من ينهاه عن الصلاة ويزجره عنها ثم قال (أرأيت ان كذب) ابو جهل (وتولى) عن الايمان واعرض عن قبوله والاصغاء اليه (ألم يعلم بأن الله يرى) ما يفعله ويعلم ما يصنعه والتقدير أرأيت الذي فعل هذا الفعل ما الذي يستحق بذلك من الله تعالى من العقاب وقيل ان تقدير نظم الآية أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى آمر بالتقوى والناهي كاذب مكذب متول عن الايمان فما اعجب هذا ثم هدده بقوله ألم يعلم هذا المكذب فإن لم يعلم فليعلم بأن الله يرى هذا الصنيع الشنيع فيؤاخذه به وفي هذا اشارة الى انه سبحانه ينتقم للمحق من المبطل وفيه ان علم العبد بأن الله يعلم ما يأتيه ويراه يوجب المسابقة الى فعل الطاعة وترك المعصية ثم قال سبحانه (كلا) أي لا يعلم ذلك (لئن لم ينته) يعني ان لم يمتنع ابو جهل عن تكذيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم وايذائه (لنسفعن بالناصية) اي لنجرن بناصيته الى النار وهذا كقوله فيؤخذ بالنواصي والاقدام ومعناه لنذلنه ونقيمنه مقام الاذلة ففي الاخذ بالناصية اهانة

واستخفاف وقيل معناه لنغيرن وجهه ونسودنه بالنار يوم القيامة لأن السفع اثر الاحراق بالنار ثم اخبر سبحانه عنه بأنه فاجر خاطئ بأن قال (ناصية كاذبة خاطئة) وصفها بالكذب والخطأ بمعنى ان صاحبها كاذب في اقواله خاطئ في افعاله لما ذكر الجر بها اضاف الفعل اليها قال ابن عباس لما اتى ابو جهل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انتهره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال ابو جهل اتنتهرني يا محمد فوالله لقد علمت ما بها احد اكثر ناديا مني فأنزل الله سبحانه (فليدع ناديه) وهذا وعيد اي فليدع اهل ناديه اي اهل مجلسه يعني عشيرته فليستنصر بهم اذا حل عقاب الله به والنادي الفناء قال وتأتون في ناديكم المنكر ثم قال (سندع الزبانية) يعني الملائكة الموكلين بالنار وهم الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن عباس لو دعا ناديه لأخذته زبانية النار من ساعته معاينة وقيل انه اخبار بأنه يدعو اليه الزبانية دعا ناديه ام لم يدع وصدق سبحانه ذلك فقتل ابو جهل يوم بدر ثم قال (كلا) أي ليس الامر على ما عليه ابو جهل (لا تطعه) في النهي عن الصلاة (واسجد) له عز اسمه (واقترب) من ثوابه وقيل معناه وتقرب اليه بطاعته وقيل معناه اسجد يا محمد للتقرب منه فإن أقرب ما يكون العبد من الله اذا سجد له وقيل واسجد اي وصل لله واقترب من الله وفي الحديث عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اقرب ما يكون العبد من الله اذا كان ساجدا وقيل المراد به السجود لقراءة هذه السورة والسجود هنا فرض وهو من العزائم وروي عن عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله (ع) قال العزائم الم تنزيل وحم السجدة والنجم اذا هوى واقرأ باسم ربك وما عداها في جميع القرآن مسنون وليس بمفروض

سورة القدر

مكية وقيل مدنية

❋ عدد آياتها ❋

ست آيات مكي وشامي وخمس في الباقين

❋ اختلافها ❋

آية ليلة القدر الثالث مكي شامي

❋ فضلها ❋

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قرأها اعطي من الاجر كمن صام رمضان واحيا ليلة القدر . الحسين بن ابي العلاء عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ انا انزلناه في فريضة من الفرائض نادى مناد يا عبد الله قد غفر لك ما مضى فاستأنف العمل . سيف بن عميرة عن رجل عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ انا انزلناه بجهر كان كشاهر سيفه في سبيل الله ومن قرأها سراً كان كالمتشحط بدمه في سبيل الله ومن قرأها عشر مرات مرت على نحو الف ذنب من ذنوبه

❋ تفسيرها ❋

أمر سبحانه بالسجود والتقرب اليه في خاتمة تلك السورة وافتتح هذه السورة بذكر ليلة القدر وان

التقرب فيها الى الله يزيد على التقرب اليه من سائر الليالي والايام فكأنه قال اقترب اليه في سائر الاوقات خصوصا في ليلة القدر وقال ابو مسلم لما امره بقراءة القرآن في تلك السورة بين في هذه السورة ان انزاله في ليلة القدر فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٣) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٤) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٥) سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ خمس آيات

القراءة

قرأ الكسائي وخلف مطلع بكسر اللام والباقون بفتح اللام وفي الشواذ قراءة ابن عباس وعكرمة والكلبي من كل امرء

الحجة

قال ابو علي مطلع هنا مصدر بدلالة ان المعنى سلام هي حتى وقت طلوعه والى وقت طلوعه نحو مقدم الحاج وخفوق النجم بجعل المصدر فيه زمانا على تقدير حذف المضاف فالقياس ان يفتح اللام كما ان مصادر سائر ما كان من فعل يفعل مفتوح العين نحو المخرج والمدخل واما الكسر فلأن المصادر التي ينبغي ان تكون على المفعل قد كثر كقولهم علاه المكبر والمعجزة وقوله من كل امرء قال ابن جني انكر ابو حاتم هذه القراءة على انه حكي عن ابن عباس انه قال يعني الملائكة قال ولا ادري ما هذا وانما هو تنزل الملائكة فيها كل امر كقوله فيها يفرق كل امر حكيم امرا من عندنا ومن كل امر فتم الكلام ثم استأنف فقال سلام أي هي سلام الى ان يطلع الفجر وقال قطرب معناه هي سلام من كل امر وامرئ ويلزم على قول قطرب ان يقال فكيف جاز تقديم معمول المصدر الذي هو سلام عليه وقد عرفنا امتناع جواز تقديم صلة الموصول او شيء منها عليه والجواب ان سلاما في الاصل لعمري مصدر فأما هنا فإنه موضوع موضع اسم الفاعل الذي هو سالمة هي او مسلمة فكأنه قال من كل امر سالمة او مسلمة هي اي هي سالمة او مسلمة منه

اللغة

القدر كون الشيء مساويا لغيره من غير زيادة ولا نقصان وقدر الله هذا الامر يقدره قدرا اذا جعله على مقدار ما تدعو اليه الحكمة والشهر في الشرع عبارة عما بين هلالين من الايام وانما سمي شهرا لاشتهاره بالهلال وقد يكون الشهر ثلاثين ويكون تسعة وعشرين اذا كان هلاليا فإن لم يكن هلاليا فهو ثلاثون

الاعراب

خير من الف شهر تقديره خير من الف شهر لا ليلة قدر فيه فحذف الصفة وقوله سلام هي هي مبتدأ وسلام خبر مقدم عليه وهو بمعنى الفاعل لأنه اذا حمل على المصدر لم يجز تعليق حتى به لأنه لا يفصل بين الصلة والموصول ومثله قول الشاعر

فهلا سعيتم سعي عصبة مازن وهل كفلائي في الوفاء سواء

سواء بمعنى مستو والتقدير فهل كفلائي مستوون في الوفاء لابد من هذا التقدير لأن سواء لو كانت

مصدرا لما تقدم عليه ما في صلته ويجوز تعليق حتى بقوله تنزل الملائكة ولا يجوز ان يكون هي مبتدأ وتكون حتى نكرة في موضع الخبر لأنه لا فائدة فيه اذ كل ليلة بهذه الصفة ومطلع مجرور بحتى وهو في معنى الى

﴿ المعنى ﴾

(انا انزلناه) الهاء كناية عن القرآن وان لم يجر له ذكر لأنه لا يشتبه الحال فيه (في ليلة القدر) قال ابن عباس انزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا في ليلة القدر ثم كان ينزله جبريل (ع) على محمد صلى الله عليه وآله وسلم نجوما وكان من اوله الى آخره ثلاث وعشرون سنة وقال الشعبي معناه انا ابتدأنا انزاله في ليلة القدر وقال مقاتل انزله من اللوح المحفوظ الى السفرة وهم الكتبة من الملائكة في السماء الدنيا وكان ينزل ليلة القدر من الوحي على قدر ما ينزل به جبرائيل (ع) على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السنة كلها الى مثلها من القابل والكلام في ليلة القدر على ضروب ﴿ فالاول ﴾ اختلاف العلماء في معنى هذا الاسم ومأخذه فقيل سميت ليلة القدر لأنها الليلة التي يحكم الله فيها ويقضي بما يكون في السنة بأجمعها من كل امر عن الحسن ومجاهد وهي الليلة المباركة في قوله انا انزلناه في ليلة مباركة لأن الله تعالى ينزل فيها الخير والبركة والمغفرة وروى ابو الضحى عن ابن عباس انه كان يقضي القضايا في ليلة النصف من شعبان ثم يسلمها الى اربابها في ليلة القدر وقيل ليلة القدر اي ليلة الشرف والخطر وعظم الشأن من قولهم رجل له قدر عند الناس أي منزلة وشرف ومنه ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته عن الزهري قال ابو بكر الوراق لأن من لم يكن ذا قدر اذا احياها صار ذا قدر وقال غيره لأن للطاعات فيها قدراً عظيما وثوابا جزيلا وقيل سميت ليلة القدر لأنه انزل فيها كتاب ذو قدر الى رسول ذي قدر لاجل امة ذات قدر على يدي ملك ذي قدر وقيل هي ليلة التقدير لأن الله تعالى قدر فيها انزال القرآن وقيل سميت بذلك لأن الارض تضيق فيها بالملائكة من قوله ومن قدر عليه رزقه عن الخليل بن احمد ﴿ الضرب الثاني ﴾ اختلافهم في انها اية ليلة فذهب قوم الى انها انما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم رفعت وجاءت الرواية عن ابي ذر انه قال قلت يا رسول الله ليلة القدر هي شيء تكون على عهد الانبياء ينزل فيها فإذا قبضوا رفعت قال لا بل هي الى يوم القيامة وقيل انها في ليالي السنة كلها ومن علق طلاق امرأته على ليلة القدر لم يقع الى مضي السنة وهو مذهب ابي حنيفة وفي بعض الروايات عن ابن مسعود انه قال من يقم الحول كله يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال رحم الله ابا عبد الرحمن اما انه علم انها في شهر رمضان ولكنه اراد ان لا يتكل الناس وجمهور العلماء على انها في شهر رمضان في كل سنة ثم اختلفوا في اي ليلة هي منه فقيل هي اول ليلة منه عن ابن زيد العقيلي وقيل هي ليلة سبع عشرة منه عن الحسن وروي انها ليلة الفرقان وفي صبيحتها التقى الجمعان والصحيح انها في العشر الاواخر من شهر رمضان وهو مذهب الشافعي وروي مرفوعا انه صلى الله عليه وآله وسلم قال التمسوها في العشر الاواخر وعن علي (ع) ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يوقظ اهله في العشر الاواخر من شهر رمضان قال وكان اذا دخل العشر الاواخر دأب وأدأب اهله وروى ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا دخل العشر الأواخر شد المئزر واجتنب النساء واحيا الليل وتفرغ للعبادة ثم اختلفوا في انها اية ليلة من العشر فقيل انها ليلة احدى وعشرين وهو مذهب ابي سعيد الخدري واختيار الشافعي قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأيت هذه الليلة ثم انسيتها ورأيتني اسجد في ماء وطين فالتمسوها في العشر الاواخر والتمسوها في كل وتر

قال فأبصرت عيناي رسول الله ﷺ انصرف وعلى جبهته وانفه اثر الماء والطين من صبيحة احدى وعشرين اورده البخاري في الصحيح وقيل هي ليلة ثلاث وعشرين منه عن عبد الله بن عمر قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال يا رسول اني رأيت في النوم كأن ليلة القدر هي ليلة سابعة تبقى فقال ﷺ ارى رؤياكم قد تواطأت على ثلاث وعشرين فمن كان منكم يريد ان يقوم من الشهر شيئا فليقم ليلة ثلاث وعشرين قال معمر كان ايوب يغتسل ليلة ثلاث وعشرين ويمس طيبا وسأل عمر بن الخطاب اصحاب رسول الله ﷺ فقال قد علمتم ان رسول الله ﷺ قال في ليلة القدر اطلبوها في العشر الاواخر وترا ففي اي الوتر ترون فأكثر القوم في الوتر قال ابن عباس فقال لي مالك لا تتكلم يا ابن عباس فقلت رأيت الله اكثر ذكر السبع في القرآن فذكر السماوات سبعا والارضين سبعا والطواف سبعا والجمار سبعا وماشاء الله من ذلك خلق الإنسان من سبعة وجعل رزقه في سبعة فقال كل ما ذكرت عرفت فما قولك خلق الانسان من سبعة وجعل رزقه في سبعة فقلت خلق الانسان من سلالة من طين الى قوله خلقا آخر ثم قرأت انا صببنا الماء صبا الى قوله وفاكهة وابا فما اراها الا ليلة ثلاث وعشرين لسبع بقين فقال عمر عجزتم ان تأتوا بما جاء به هذا الغلام الذي لم يجتمع شؤون رأسه قال وقال عمر وافق رأيي رأيك ثم ضرب منكبي فقال ما أنت بأقل القوم علما وروى العياشي بإسناده عن زرارة عن عبد الواحد بن المختار الانصاري قال سألت ابا جعفر (ع) عن ليلة القدر قال في ليلتين ليلة ثلاث وعشرين واحدى وعشرين فقلت افرد لي احداهما فقال وما عليك ان تعمل في ليلتين هي احداهما وعن شهاب بن عبد ربه قال قلت لأبي عبد الله (ع) اخبرني بليلة القدر فقال ليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وعن حماد ابن عثمان عن حسان بن ابي علي قال سألت ابا عبد الله (ع) عن ليلة القدر قال اطلبها في تسع عشرة واحدى وعشرين وثلاث وعشرين وفي كتاب من لا يحضره الفقيه عن علي بن حمزة قال كنت عند ابي عبد الله (ع) فقال له ابو بصير جعلت فداك الليلة التي يرجى فيها ما يرجى اي ليلة هي فقال هي ليلة احدى وعشرين وثلاث وعشرين قال فإن لم أقو على كلتيهما فقال ما ايسر ليلتين فيما تطلب قال قلت فربما رأينا الهلال عندنا وجاءنا من يخبرنا بخلاف ذلك في ارض اخرى فقال ما ايسر اربع ليال فيما تطلب فيها قلت جعلت فداك ليلة ثلاث وعشرين ليلة الجهني قال ان ذلك ليقال قلت جعلت فداك ان سليمان بن خالد روى ان في تسع عشرة يكتب وفد الحاج فقال يا ابا محمد وفد الحاج يكتب في ليلة القدر والمنايا والبلايا والارزاق ما يكون الى مثلها في قابل فاطلبها في احدى وثلاث وصل في كل واحدة منها مائة ركعة واحيهما إن استطعت الى النور واغتسل فيهما قال قلت فإن لم اقدر على ذلك وانا قائم قال فصل وانت جالس قلت فإن لم استطع قال فعلى فراشك قلت فإن لم استطع فقال لا عليك ان تكتحل اول الليل بشيء من النوم ان ابواب السماء تفتح في شهر رمضان وتصفد الشياطين وتقبل اعمال المؤمنين نعم الشهر شهر رمضان كان يسمى على عهد رسول الله ﷺ المرزوق وفي رواية عبد الله بن بكير عن زرارة عن احدهما قال سألته عن الليالي التي يستحب فيها الغسل في شهر رمضان فقال ليلة تسع عشرة وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وقال ليلة ثلاث وعشرين هي ليلة الجهني وحديثه انه قال لرسول الله ﷺ ان منزلي نأى عن المدينة فمرني بليلة ادخل فيها فأمره بليلة ثلاث وعشرين قال الشيخ ابو جعفر (ره) واسم الجهني عبد الله بن انيس الانصاري وقيل انها ليلة سبع وعشرين عن ابي بن كعب وعائشة وروي ان ابن عباس وابن عمر قالا قال رسول الله ﷺ

تحروها الليلة سبع وعشرين وعن زر بن حبيش قال قلت لأبي يا ابا المنذر من اين علمت انها ليلة سبع وعشرين قال بالآية التي انبأ بها رسول الله ﷺ قال تطلع الشمس غداتئذ كأنها طست ليس لها شعاع وقال بعضهم ان الله قسم كلمات هذه السورة على ليالي شهر رمضان فلما بلغ السابعة والعشرين اشار اليها فقال هي وقيل انها ليلة تسع وعشرين وروي عن ابي بكرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول التمسوها في العشر الاواخر في تسع بقين او سبع بقين او خمس بقين او ثلاث بقين اوآخر ليلة والفائدة في اخفاء هذه الليلة ان يجتهد الناس في العبادة ويحيوا جميع ليالي شهر رمضان طمعا في ادراكها كما ان الله سبحانه اخفى الصلاة الوسطى في الصلوات الخمس واسمه الاعظم في الاسماء وساعة الاجابة في ساعات الجمعة ﴿ والضرب الثالث ﴾ ذكر بعض ما ورد في فضل هذه الليلة روى ابن عباس عن النبي انه قال اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى ومنهم جبرائيل فينزل جبرائيل (ع) ومعه ألوية ينصب لواء منها على قبري ولواء على بيت المقدس ولواء في المسجد الحرام ولواء على طور سيناء ولا يدع فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا سلم عليه الا مدمن الخمر وآكل لحم الخنزير والمتضمخ بالزعفران وعنه ﷺ قال من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وعنه ﷺ قال ان الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء فجرها ولا يستطيع فيها على احد بخبل او داء او ضرب من ضروب الفساد ولا ينفذ فيه سحر ساحر وروى الحسن عن النبي ﷺ قال في ليلة القدر انها ليلة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس في صبيحتها ليس لها شعاع ثم قال الله سبحانه تعظيما لشأن هذه الليلة وتنبيها لعظم قدرها وشرف محلها (وما أدراك ما ليلة القدر) كأنه قال وما ادراك يا محمد ما خطر ليلة القدر وما حرمتها وهذا حث على العبادة فيها ثم فسر سبحانه تعظيمه وحرمته فقال (ليلة القدر خير من ألف شهر) أي قيام ليلة القدر والعمل فيها خير من قيام ألف شهر ليس فيه ليلة القدر وصيامه عن مقاتل وقتادة وذلك ان الاوقات انما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيها من الخير من النفع فلما جعل الله الخير الكثير في ليلة القدر كانت خيراً من ألف شهر لا يكون فيها من الخير والبركة ما يكون في هذه الليلة وذكر عطاء عن ابن عباس قال ذكر لرسول الله ﷺ رجل من بني اسرائيل انه حمل السلاح على عاتقه في سبيل الله تعالى الف شهر فعجب من ذلك رسول الله ﷺ عجبا شديدا وتمنى ان يكون ذلك في امته فقال يا رب جعلت امتي أقصر الناس اعماراً واقلها اعمالا فأعطاه الله ليلة القدر وقال ليلة القدر خير من الف شهر الذي حمل الاسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولأمتك من بعدك الى يوم القيامة في كل رمضان ثم اخبر سبحانه بما يكون في تلك الليلة فقال (تنزل الملائكة) اي تتنزل الملائكة (والروح) يعني جبرائيل (فيها) أي في ليلة القدر الى الارض ليسمعوا الثناء على الله وقراءة القرآن وغيرها من الاذكار وقيل ليسلموا على المسلمين بإذن الله أي بأمر الله وقيل ينزلون بكل امر الى السماء الدنيا حتى يعلم ذلك اهل السماء الدنيا فيكون لطفا لهم وقال كعب ومقاتل بن حيان الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل الروح هو الوحي كما قال وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا اي تنزل الملائكة ومعهم الوحي بتقدير الخيرات والمنافع (بإذن ربهم) اي بأمر ربهم كما قال وما نتنزل الا بأمر ربك وقيل بعلم ربهم كما قال انزله بعلمه (من كل امر) أي بكل امر من الخير والبركة كقوله يحفظونه من امر الله اي بأمر الله وقيل بكل امر من اجل ورزق الى مثلها من العام القابل

فعلى هذا يكون الوقف هنا تاما ثم قال (سلام هي حتى مطلع الفجر) أي هذه ليلة الى آخرها سلامة من الشرور والبلايا وآفات الشيطان وهو تأويل قوله في ليلة مباركة عن قتادة وقال مجاهد يعني ان ليلة القدر سالمة عن ان يحدث فيها سوء اويستطيع شيطان ان يعمل فيها وقيل معناه سلام على اولياء الله واهل طاعته فكلما لقيهم الملائكة في هذه الليلة سلموا عليهم من الله تعالى عن عطاء والكلبي وقيل ان تمام الكلام عند قوله باذن ربهم ثم ابتدأ فقال من كل امر سلام أي بكل امر فيه سلامة ومنفعة وخير وبركة لأن الله يقدر في تلك الليلة كل ما فيه خير وبركة ثم قال هي حتى مطلع الفجر اي السلامة والبركة والفضيلة تمتد الى وقت طلوع الفجر ولا يكون في ساعة منها فحسب بل يكون في جميعها والله اعلم بالصواب

سورة لم يكن

وتسمى سورة البرية وسورة القيمة مدنية وقيل مكية

❋ عدد آيها ❋

تسع آيات بصري ثمان في الباقين

❋ اختلافها ❋

آية مخلصين له الدين بصري

❋ فضلها ❋

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال ومن قرأها كان يوم القيامة مع خير البرية مسافراً ومقيما وعن ابي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ لو يعلم الناس ما في لم يكن لعطلوا الاهل والمال وتعلموها فقال رجل من خزاعة ما فيها من الاجر يا رسول الله فقال لا يقرأها منافق ابداً ولا عبد في قلبه شك في الله عز وجل والله ان الملائكة المقربين ليقرؤنها منذ خلق الله السماوات والارض لا يفترون عن قراءتها وما من عبد يقرؤها بليل الا بعث الله ملائكة يحفظونه في دينه ودنياه ويدعون له بالمغفرة والرحمة فإن قرأها نهاراً اعطي عليها من الثواب مثل ما اضاء عليه النهار واظلم عليه الليل فقال رجل من قيس عيلان زدنا يا رسول الله من هذا الحديث فداك ابي وامي فقال ﷺ تعلموا عم يتساءلون وتعلموا ق والقرآن المجيد وتعلموا والسماء ذات البروج وتعلموا والسماء والطارق فإنكم لو تعلمون ما فيهن لعطلتم ما انتم فيه وتعلمتموهن وتقربتم الى الله بهن وان الله يغفر بهن كل ذنب الا الشرك بالله واعلموا ان تبارك الذي بيده الملك تجادل عن صاحبها يوم القيامة وتستغفر له من الذنوب. ابو بكر الحضرمي عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ سورة لم يكن كان بريئا من الشرك وادخل في دين محمد ﷺ وبعثه الله مؤمنا وحاسبه الله حسابا يسيراً

❋ تفسيرها ❋

بين الله سبحانه في سورة القدر ان القرآن حجة ثم بين في هذه السورة ان الكفار قبله لم يخلوا قط من حجة فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ

حَتَّى تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ (٢) رَسُولٌ مِنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٣) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٤) وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ (٥) وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ (٦) إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ (٧) إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ (٨) جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ثماني آيات

القراءة

قرأ نافع وابن ذكوان البريئة مهموزة والباقون بغير همز

الحجة

قال ابو علي البريئة من برأ الله الخلق فالقياس فيه الهمز الا انه مما ترك همزه كقولهم النبي والذرية والخابية فالهمزة فيه كالرد الى الاصل المتروك في الاستعمال كما ان همز النبي كذلك وترك الهمز اجود لأنه لما ترك فيه الهمز صار كرده الى الاصول المرفوضة مثل ظننوا وهمزة من همز البريئة يدل على فساد قول من قال انه من البرى الذي هو التراب

اللغة

الانفكاك الانفصال عن شدة اتصال قال ذو الرمة

قلائص ما تنفك الا مناخة ... على الخسف ان نرمي بها بلدا قفرا

وا كثر ما يستعمل ذلك في النفي مثل ما زال تقول ما انفك من هذا الامر اي مـا انفصل منه لشدة ملابسته له والبينة الحجة الظاهرة التي يتميز بها الحق من الباطل واصلها من البينونة وفصل الشيء من غيره فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم حجة وبينة واقامة الشهادة العادلة بينة وكل برهان ودلالة بينة والقيمة المستمرة في جهة الصواب والحنيف المائل الى الصواب والحق والحنيفية الشريعة المائلة الى الحق واصله الميل ومن ذلك الاحنف المائل القدم الى جهة القدم الاخرى وقيل اصله الاستقامة وانما قيل للمائل القدم احنف على وجه التفاؤل

الإعراب

رسول من الله بدل من البينة قبله وقال الفراء هو مستأنف تقديره هو رسول دين القيمة تقديره دين الملة القيمة لأنه اذا لم يقدر ذلك كان اضافة الشيء الى صفته وذلك غير جائز لأنه بمنزلة اضافة الشيء الى نفسه جزاؤهم عند ربهم جنات عدن اي دخول جنات عدن خالدين فيها حال من مضمر اي يجزونها خالدين فيها

المعنى

(لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب) يعني اليهود والنصارى (والمشركين) اي ومن المشركين الذين هم عبدة الاوثان من العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب (منفكين) أي منفصلين وزائلين وقيل لم يكونوا منتهين عن كفرهم بالله وعبادتهم غير الله عن ابن عباس في روايـة عطاء والكلبي

(حتى تأتيهم) اللفظ لفظ الاستقبال ومعناه المضي كقوله ما تتلو الشياطين أي ما تلت وقوله (البينة)
يريد محمداً ﷺ عن ابن عباس ومقاتل بيّن سبحانه لهم ضلالهم وشركهم وهذا اخبار من الله تعالى عن
الكفار انهم لم ينتهوا عن كفرهم وشركهم بالله حتى اتاهم محمد ﷺ فبين لهم ضلالهم عن الحق ودعاهم إلى
الايمان وقيل معناه لم يكونوا ليتركوا منفكين من حجج الله حتى تأتيهم البينة التي تقوم بها الحجة عليهم وقوله
(رسول من الله) بيان للبينة وتفسير لها اي رسول من قبل الله (يتلو) عليهم (صحفا مطهرة) يعني مطهرة
في السماء لا يمسها إلا الملائكة المطهرون من الانجاس عن الحسن والجبائي وهو محمد ﷺ أتاهم بالقرآن
ودعاهم إلى التوحيد والايمان (فيها) اي في تلك الصحف (كتب قيمة) أي مستقيمة عادلة غير ذات
عوج تبين الحق من الباطل وقيل مطهرة عن الباطل والكذب والزور يريد القرآن عن قتادة ويعني بالصحف
ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها ويدل على ذلك أن النبي ﷺ كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب
وقيل معناه رسول من الملائكة يتلو صحفا من اللوح المحفوظ عن ابي مسلم وقيل فيها كتب قيمة معناه في
هذه الصحف التي هي القرآن كتب قيمة اي ان القرآن يشتمل على معاني الكتب المتقدمة فتاليها تالي الكتب
القيمة كما قال مصدقا لما بين يديه فإذا كان مصدقا لها كان تاليا لها وقيل معناه في القرآن كتب قيمة بمعنى
أنه يشتمل على انواع من العلوم كل نوع كتاب قال السدي فيها فرائض الله العادلة (وما تفرق الذين أوتوا
الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) يعني وما اختلف هؤلاء في امر محمد ﷺ إلا من بعد ما جاءتهم
البشارة به في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم فكانت الحجة قائمة عليهم فكذلك لا يترك المشركون من غير حجة
تقوم عليهم وقيل معناه ولم يزل اهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد ﷺ حتى بعثه الله فلما بعث تفرقوا
في امره واختلفوا فآمن به بعضهم وكفر آخرون ثم ذكر سبحانه ما امروا به في كتبهم فقال (وما امروا
إلا ليعبدوا الله) أي لم يأمرهم الله تعالى إلا لأن يعبدوا الله وحده لا يشركون بعبادته فهذا ما لا تختلف فيه
ملة ولا يقع فيه تبدل (مخلصين له الدين) لا يخلطون بعبادته عبادة ما سواه (حنفاء) مائلين عن جميع الاديان
إلى دين الإسلام مسلمين مؤمنين بالرسل كلهم قال عطية إذا اجتمع الحنيف والمسلم كان معنى الحنيف
الحاج وإذا انفرد كان معناه المسلم وهو قول ابن عباس لأنه قال حنفاء اي حجاجا وقال ابن جبير لا تسمي
العرب حنيفا إلا من حج واختتن قال قتادة الحنيفية الختان وتحريم البنات والامهات والاخوات والعمات
والخالات واقامة المناسك (ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة) أي ويداوموا على اقامة الصلاة ويخرجوا ما فرض
عليهم في اموالهم من الزكاة (وذلك) يعني الدين الذي قدم ذكره (دين القيمة) أي دين الكتب القيمة
التي تقدم ذكرها وقيل دين الملة القيمة والشريعة القيمة قال النضر بن شميل سألت الخليل عن هذا فقال
القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد فالمراد وذلك دين القائمين لله بالتوحيد وفي هذه الآية دلالة على
بطلان مذهب اهل الجبر لأن فيها تصريحاً بأنه سبحانه انما خلق الخلق ليعبدوه واستدل بهذه الآية ايضا على
وجوب النية في الطهارة اذا امر سبحانه بالعبادة على وجه الاخلاص ولا يمكن الاخلاص الا بالنية والقربة والطهارة
عبادة فلا تجزي بغير نية ثم ذكر سبحانه حال الفريقين فقال (إن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين)
يعني من جحد توحيد الله وانكر نبوة نبيه ﷺ ومن اشرك معه إلها آخر في العبادة (في نار جهنم خالدين
فيها) لا يفنى عقابهم (اولئك هم شر البرية) أي شر الخليقة ثم اخبر عن حال المؤمنين فقال (إن الذين

آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية) أي خير الخليقة (جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار) مر معناه (خالدين فيها ابدا) أي مؤبدين فيها دائما (رضي الله عنهم) بما قدموه من الطاعات (ورضوا عنه) بما جازاهم من الثواب وقيل رضي الله عنهم اذ وحدوه ونزهوه عما لا يليق به واطاعوه ورضوا عنه اذ فعل بهم ما رجوا من رحمته وفضله (ذلك) الرضا والثواب (لمن خشي ربه) فترك معاصيه وفعل طاعاته وفي كتاب شواهد التنزيل للحاكم ابي القاسم الحسكاني (ره) قال اخبرنا ابو عبد الله الحافظ بالاسناد المرفوع إلى يزيد بن شراحيل الانصاري كاتب علي(ع) قال سمعت عليا (ع) يقول قبض رسول الله ﷺ وانا مسنده إلى صدري فقال يا علي ألم تسمع قول الله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية هم شيعتك وموعدي وموعدكم الحوض إذا اجتمعت الامم للحساب يدعون غرا محجلين وفيه عن مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس في قوله هم خير البرية قال نزلت في علي (ع) وأهل بيته

سورة اذا زلزلت

مدنية عن ابن عباس وقتادة مكية عن الضحاك وعطاء

﴿ عدد آياتها ﴾

ثمان آيات كوفي والمدني الأول تسع في الباقية

﴿ اختلافها ﴾

آية اشتاتا غير الكوفي والمدني الأول

﴿ فضلها ﴾

ابي بن كعب عن النبي ﷺ قال من قرأها فكأنما قرأ البقرة واعطي من الأجر كمن قرأ ربع القرآن وعن انس بن مالك قال سأل النبي ﷺ رجلا من اصحابه فقال يا فلان هل تزوجت قال لا وليس عندي ما اتزوج به قال أليس معك قل هو الله احد قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك قل يا أيها الكافرون قال بلى قال ربع القرآن قال أليس معك إذا زلزلت قال بلى قال ربع القرآن ثم قال تزوج تزوج تزوج وعن ابي عبد الله (ع) قال لا تملوا من قراءة إذا زلزلت فإن من كانت قراءته في نوافله لم يصبه الله بزلزلة ابدا ولم يمت بها ولا بصاعقة ولا بآفة من آفات الدنيا وإذا مات امر به إلى الجنة فيقول الله سبحانه عبدي ابحتك جنتي فاسكن منها حيث شئت وهويت لا ممنوع ولا مدفوع عنه

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة ببيان حال المؤمنين والكافرين وافتتح هذه السورة ببيان وقت ذلك فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (٢) وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٣) وَقَالَ ٱلْإِنسَانُ مَا لَهَا (٤) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٥) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٦) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ

ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٧) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٨) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ

﴿ القراءة ﴾

في بعض الروايات عن الكسائي خيرا يره وشرا يره بضم الياء فيهما وهي رواية ابان عن عاصم ايضا وهي قراءة علي (ع) والباقون يره بفتح الياء في الموضعين إلا أن ابا جعفر وروحا ورويسا قرأوا بضم الهاء ضمة مختلسة غير مشبعة

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ يُره جعل الفعل منقولا من رأيت زيدا إذا ادركته ببصرك واريته عمراً وبنى الفعل للمفعول ومن قرأ يره فالتقدير ير جزاءه واثبات الواو في ير هو بعد الهاء هو الوجه كما تقول اكرمهو لأن هذه الهاء يتبعها حرف اللين الواو والياء إذا كان قبلها كسرة او ياء نحو بهي وعليهي وقد جاء في الشعر نحو قوله « ونضوان مشتاقان له آرقان »

﴿ اللغة ﴾

الزلزلة شدة الاضطراب والزلزال بكسر الزاي المصدر وبفتحها الاسم وزلزلت ورجفت ورجت بمعنى واحد والاثقال جمع الثقل وسمى سبحانه الموتى اثقالا تشبيها بالحمل الذي يكون في البطن لأن الحمل سمي ثقلا كما قال سبحانه فلما اثقلت وتقول العرب ان للسيد الشجاع ثقلا على الأرض فإذا مات سقط عنها بموته ثقل قالت الخنساء ترثي اخاها صخرا

أبعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الأرض اثقالها

عنت بذلك انه حل عن الارض ثقل بموته لسؤدده وعزه وقيل معناه زينت موتاها به من الحلية وقال الشمردل اليربوعي يرثي اخاه

وحلت به اثقالها الأرض وانتهى لمثواه منها وهو عف شمائله

وذكر ابن السائب أن زهير بن ابي سلمى قال بيتا ثم اكدى فمر به النابغة الذبياني فقال له يا ابا امامة اجز قال ماذا قال

تزال الارض إمَّا مت خفا وتحيى ما حييت به ثقيلا

«نزلت بمستقر العز منها» فماذا قال فأكدى والله النابغة الذبياني واقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له ابوه اجز يا بني قال ماذا فانشده فقال كعب «فتمنع جانبيها أن تزولا» فقال له زهير انت والله ابني واوحي ووحي بمعنى واحد قال العجاج «وحى لها القرار فاستقرت»

﴿ الإعراب ﴾

العامل في إذا قوله فمن يعمل مثقال ذرة وقوله خيرا منصوب على التمييز وقيل ان العامل في إذا قوله تحدث اخبارها ويكون يومئذ تكرارا أي اذا زلزلت الارض تحدث اخبارها وقيل أن التقدير وقال الإنسان يومئذ مالها يومئذ تحدث اخبارها فقيل ذلك بأن ربك أوحى لها وتحدث يجوز أن يكون على الخطاب اي تحدث انت ويجوز أن يكون على تحدث هي

﴿ المعنى ﴾

خوف الله سبحانه عباده اهوال يوم القيامة فقال (إذا زلزلت الأرض زلزالها) أي إذا حركت الأرض تحريكا شديدا لقيام الساعة زلزالها التي كتب عليها ويمكن أن يكون إنما اضافها إلى الأرض لأنها تعم جميع الأرض بخلاف الزلازل المعهودة التي تختص ببعض الأرض فيكون في قوله زلزالها تنبيها على شدتها (وأخرجت الأرض اثقالها) أي اخرجت موتاها المدفونة فيها تخرجها احياء للجزاء عن ابن عباس ومجاهد والجبائي وقيل معناه لفظت ما فيها من كنوزها ومعادنها فتلقيها على ظهرها ابراها اهل الموقف وتكون الفائدة في ذلك أن يتحسر العصاة إذا نظروا اليها لأنهم عصوا الله فيها ثم تركوها لا تغني عنهم شيئا وأيضا فإنه تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم (وقال الإنسان مالها) أي ويقول الإنسان متعجبا ما للأرض تتزلزل يعني مالها حدث فيها ما لم يعرف منها عن ابي مسلم وقيل إن المراد بالإنسان الكافر لأن المؤمن معترف بها لا يسأل عنها أي يقول الكافر الذي لم يؤمن بالبعث أي شيء زلزلها واصارها الى هذه الحالة (يومئذ تحدث اخبارها) أي تخبر بما عمل عليها وجاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال اخبارها أن تشهد على كل عبد وانه بما عمل على ظهرها تقول عمل كذا و كذا ويوم كذا و كذا وهذا اخبارها وعلى هذا فيجوز أن يكون الله تعالى احدث الكلام فيها وإنما نسبه اليها توسعا ومجازا ويجوز أن يقلبها حيوانا يقدر على النطق ويجوز أن يظهر فيها ما يقوم مقامه الكلام فعبر عنه بالكلام كما يقال عيناك تشهدان بسهرك وكقول الشاعر « وقالت له العينان سمعا وطاعة » وقد مر امثاله وقوله (بأن ربك اوحى لها) معناه أن الأرض تحدث بها فتقول ان ربك يا محمد اوحى لها أي ألهمها وعرفها بأن تحدث اخبارها وقيل بأن تلقي الكنوز والاموات على ظهرها يقال اوحى له واليه اي القى اليه من جهة تخفى قال الفراء تحدث اخبارها بوحي الله واذنه لها وقال ابن عباس اذن لها لتخبر بما عمل عليها وروى الواحدي باسناده مرفوعا إلى ربيعة الحرشي قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حافظوا على الوضوء وخير اعمالكم الصلاة وتحفظوا من الأرض فإنها امكم وليس فيها احد يعمل خيرا او شرا الا وهي مخبرة به وقال ابو سعيد الخدري إذا كنت بالبوادي فارفع صوتك بالأذان فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا يسمعه جن ولا انس ولا حجر إلا يشهد له (يومئذ يصدر الناس اشتاتا)أي يرجع الناس عن موقف الحساب بعد العرض متفرقين اهل الايمان على حدة وأهل كل دين على حدة وهذا كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون وقوله يومئذ يصدعون (ليروا اعمالهم) اي ليروا جزاء أعمالهم عن ابن عباس والمعنى انهم يرجعون عن الموقف فرقا لينزلوا منازلهم من الجنة والنار وقيل معنى الرؤية هنا المعرفة بالاعمال عند تلك الحال وهي رؤية القلب ويجوز أن يكون التأويل على رؤية العين بمعنى ليروا صحائف اعمالهم فيقرؤون ما فيها لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره) أي فمن يعمل وزن ذرة من الخير ير ثوابه وجزاءه (ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) اي ير ما يستحق عليه من العقاب ويمكن ان يستدل بها على بطلان الاحباط لأن الظاهر يدل على انه لا يفعل احد شيئا من طاعة أو معصية إلا ويجازى عليها وما يقع محبطا لا يجازى عليه وليس لهم أن يقولوا إن الظاهر بخلاف ما تذهبون اليه في جواز العفو عن مرتكب الكبيرة وذلك لأن الآية مخصوصة بالاجماع فإن التائب معفو عنه بلا خلاف وعندهم أن من شرط المعصية التي يؤاخذ بها أن

لا تكون صغيرة فجاز لنا ايضا أن نشرط فيها أن لا يكون مما يعفو الله عنه وقال محمد بن كعب معناه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا وهو كافر ير ثوابه في الدنيا في نفسه واهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة شرا وهو مؤمن ير عقوبته في الدنيا في نفسه وأهله وماله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر وقال مقاتل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره يوم القيامة في كتابه فيفرح به وكذلك من الشر يراه في كتابه فيسوءه ذلك قال وكان احدهم يستقل ان يعطي اليسير ويقول إنما نوجر على ما نعطي ونحن نحبه وليس اليسير مما يحب ويتهاون بالذنب اليسير ويقول إنما وعد الله النار على الكبائر فانزل الله هذه الآية يرغبهم في القليل من الخير ويحذرهم اليسير من الشر وعن ابي عثمان المازني عن ابي عبيدة قال قدم صعصعة بن ناجية جد الفرزدق على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وفد بني تميم فقال بأبي أنت يارسول الله اوصني خيرا فقال اوصيك بأمك وأبيك وادانيك قال زدني يارسول الله قال احفظ ما بين لحييك ورجليك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما شيء بلغني عنك فعلته فقال يا رسول الله رأيت الناس يموجون على غير وجه ولم أدر اين الصواب غير أني علمت انهم ليسوا عليه فرأيتهم يئدون بناتهم فعرفت ان الله عز وجل لم يأمرهم بذلك فلم اتركهم يئدون وفديت ما قدرت وفي رواية اخرى أنه سمع فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال حسبي ما ابالي أن لا اسمع من القرآن غير هذا وقال عبد الله بن مسعود احكم آية في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره إلى آخر السورة وكان صلى الله عليه وآله وسلم يسميها الجامعة وتصدق سعد بن ابي وقاص بتمرتين فقبض السائل يده فقال سعد ويحك يقبل الله منا مثقال الذرة والخردلة وكان فيها مثاقيل

سورة العاديات

مدنية عن ابن عباس وقتادة وقيل مكية

عدد آياتها

احدى عشرة آية بالاجماع

فضلها

ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأها اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا . سليمان بن خالد عن ابي عبد الله (ع) قال ومن قرأ والعاديات وادمن قراءتها بعثه الله مع امير المؤمنين (ع) يوم القيامة خاصة وكان في حجره ورفقائه

النظم

اتصلت هذه السورة بما قبلها لما فيها من ذكر القيامة والجزاء اتصال النظير بالنظير فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا (٢) فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا (٣) فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا (٤) فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا (٥) فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا (٦) إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ (٧) وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٨)

وَإِنَّهُ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٩) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ (١٠) وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ (١١) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ

القراءة

في الشواذ قراءة ابي حياة فأثرن بتشديد الثاء وقراءة علي وقتادة وابن ابي ليلى فوسطن بتشديد السين

الحجة

قال ابن جني فأثرن مثل ابدين وارين نقعا كما يؤثر الانسان النقش وغيره مما يبديه للناظر وهو من التأثير فالهمزة فاء الفعل واثرن بالتخفيف من الاثارة فالهمزة مزيدة وقوله فوسطن بالتشديد معناه ميزن به جمعا أي جعلنه شطرين قسمين وشقين ومعنى وسطنه بالتخفيف صرن في وسطه

اللغة

الضبح في الخيل الحمحمة عند العدو وقيل هو شدة النفس عند العدو وضبحت الخيل تضبح ضبحا وضباحا وقيل ضبح وضبع بمعنى وهو أن يمد ضبعه في السير حتى لا يجد مزيدا وأورى القادح النار يوري ايراء إذا قدح قدحا وتسمى تلك النار نار الحباحب لضعفها قال النابغة

يقد السلوقي المضاعف نسجه ويوقدن بالصفاح نار الحباحب

وهو اسم رجل كان بخيلا وكانت ناره ضعيفة لئلا يراها الاضياف فضربوا المثل بناره وشبهوا نار الحوافر بها لقلتها والنقع الغبار يغوص فيه صاحبه كما يغوص في الماء والكنود الكفور ومنه الأرض الكنود وهي التي لا تنبت شيئا والاصل فيه منع الحق والخير قال الاعشى

احدث لها تحدث لوصلك انها كند لوصل الزائر المعتاد

وقيل إنما سميت كندة لقطعها اباها

النزول

قيل بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرية إلى حي من كنانة فاستعمل عليهم المنذر بن عمرو الانصاري احد النقباء فتأخر رجوعهم فقال المنافقون قتلوا جميعا فاخبر الله تعالى عنها بقوله والعاديات ضبحا عن مقاتل وقيل نزلت السورة لما بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليا (ع) إلى ذات السلاسل فأوقع بهم وذلك بعد أن بعث عليهم مرارا غيره من الصحابة فرجع كل منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو المروي عن ابي عبد الله (ع) في حديث طويل قال وسميت هذه الغزوة ذات السلاسل لأنه اسر منهم وقتل وسبي وشد اسراهم في الحبال مكتفين كأنهم في السلاسل ولما نزلت السورة خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الناس فصلى بهم الغداة وقرأ فيها والعاديات فلما فرغ من صلاته قال اصحابه هذه سورة لم نعرفها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نعم ان عليا ظفر باعداء الله وبشرني بذلك جبرئيل (ع) في هذه الليلة فقدم علي (ع) بعد ايام بالغنائم والأسارى

المعنى

(والعاديات ضبحا) قيل هي الخيل في الغزو تعدو في سبيل الله عن ابن عباس وعطاء وعكرمة والحسن ومجاهد وقتادة والربيع قالوا أقسم الله بالخيل العادية لغزو الكفار وهي تضبح ضبحا وضبحها صوت

أجوافها اذا عدت ليس بصهيل ولا حمحمة ولكنه صوت نفس وقيل هي الابل حين ذهبت الى غزوة بدر تمد اعناقها في السير فهي تضبح اي تضبع روي ذلك عن علي (ع) وابن مسعود والسدي وروي ايضا انها ابل الحاج تعدو من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى قالت صفية بنت عبد المطلب

ألا والعاديات غداة جمع بايديها إذا سطع الغبار

اختلفت الروايات فيه فروي عن ابي صالح انه قال قاولت فيه عكرمة فقال عكرمة قال ابن عباس هي الخيل في القتال فقلت انا قال علي (ع) هي الابل في الحج وقلت مولاي اعلم من مولاك وفي رواية اخرى أن ابن عباس قال هي الخيل ألا تراه يقول فأثرن به نقعا فهل تثيره إلا بحوافرها وهل تضبح الابل إنما تضبح الخيل قال علي (ع) ليس كما قلت لقد رأيتنا يوم بدر وما معنا إلا فرس ابلق للمقداد بن الاسود وفي رواية اخرى لمرثد بن ابي مرثد الغنوي وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه قال بينا أنا في الحجرة جالس اذ أتاني رجل فسأل عن العاديات ضبحا فقلت له الخيل حين تغير في سبيل الله ثم تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانفتل عني وذهب إلى علي بن ابي طالب (ع) وهو تحت سقاية زمزم فسأله عن العاديات ضبحا فقال سألت عنها احدا قبلي قال نعم سألت عنها ابن عباس فقال الخيل حين تغير في سبيل الله قال فاذهب فادعه لي فلما وقف على رأسه قال تفتي الناس بما لا علم لك به والله إن كانت لاول غزوة في الإسلام بدر وما كانت معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الاسود فكيف تكون العاديات الخيل بل العاديات ضبحا الابل من عرفة إلى مزدلفة ومن مزدلفة إلى منى قال ابن عباس فرغبت عن قولي ورجعت إلى الذي قاله علي (ع) (فالموريات قدحا) هي الخيل توري النار بحوافرها إذا صارت في الحجارة والأرض المحصبة عن عكرمة والضحاك وقال مقاتل يقدحن بحوافرهن النار في الحجارة قال ابن عباس يريد ضرب الخيل بحوافرها الجبل فأورت منه النار مثل الزناد إذا قدح وقال مجاهد يريد مكر الرجال في الحروب تقول العرب إذا أراد الرجل أن يمكر بصاحبه أما والله لأورين لك بزند وار ولأقدحن لك وخالف المصدر فيها صدر الكلام ومجازه فالقادحات قدحا وقيل هي النيران بجمع عن محمد بن كعب وقيل هي السنة الرجال توري النار من عظيم ما تتكلم به عن عكرمة (فالمغيرات صبحا) يريد الخيل تغير بفرسانها على العدو وقت الصبح وإنما ذكر وقت الصبح لأنهم كانوا يسيرون إلى العدو ليلا فيأتونهم صبحا هذا قول الاكثرين وقيل يريد الابل ترتفع بركبانها يوم النحر من جمع إلى منى والسنة ان لا ترتفع بركبانها حتى تصبح والإغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كما نغير عن محمد بن كعب (فأثرن به نقعا) يقال ثار الغبار والدخان واثرته أي هيجته والهاء في به عائد الى معلوم يعني بالمكان أو بالوادي المعنى فهيجن بمكان عدوهن غبارا (فوسطن به جمعا) أي صرن بعدوهن او بذلك المكان وسط جمع العدو وهم الكتيبة وقال محمد بن كعب يريد جمع منى (ان الإنسان لربه لكنود) هذا جواب القسم والكنود الكفور الجحود لنعم الله عن ابن عباس وقتادة والحسن ومجاهد وقيل هو بلسان كندة وحضرموت العاصي وبلسان مضر وربيعة وقضاعة الكفور عن الكلبي وقيل هو الذي يعد المصائب وينسى النعم عن الحسن اخذه بعض الشعراء فقال :

يا ايها الظالم في فعله والظلم مردود على من ظلم

إلى متى انت وحتى متى تشكو المصيبات وتنسى النعم

وروى ابو أمامة عن النبي ﷺ انه قال أتدرون من الكنود قالوا الله ورسوله أعلم قال الكنود الذي يأ كل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وقيل الكنود الذي لا يعطي في النائبة مع قومه عن عطاء وقيل هو القليل الخير عن ابي عبيدة (وانه على ذلك لشهيد) معناه وان الله على كفره لشهيد عن ابن عباس وقتادة وعطاء وقيل ان الهاء تعود الى الانسان والمعنى ان الإنسان شاهد على نفسه يوم القيامة بكنوده او في الدنيا فإنك لو سألته عن النعمة لم يذكر ا كثرها ويذكر جميع مصائبه وهو معنى قول الحسن (وانه) يعني الانسان (لحب الخير لشديد) اي لأجل حب الخير الذي هو المال اي من اجله لبخيل شحيح يمنع منه حق الله تعالى عن الحسن يقال للبخيل شديد ومتشدد قال طرفة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد

وقيل معناه وانه لشديد الحب للخير أي المال عن الفراء وقال ابن زيد سمى الله سبحانه المال خيرا وعسى ان يكون خبيثا وحراما ولكن لأن الناس يعدونه خيرا فكذلك سمى الجهاد سوءاً فقال لم يمسسهم سوء أي قتال وليس هو عند الله بسوء لأن الناس يسمونه سوءاً وقال سبحانه على وجه التذكير والوعيد (افلا يعلم) هذا الإنسان الذي وصفناه (اذا بعثر ما في القبور) أي بعث الموتى ونشروا واخرجوا ومثله بحثر (وحصل ما في الصدور) أي ميزوا بين ما فيها من الخير والشر وقيل معناه واظهر ما اخفته الصدور ليجازي على السر كما يجازي على العلانية (ان ربهم بهم يومئذ لخبير) قال الزجاج الله سبحانه خبير بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى ان الله يجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم وليس يجازيهم الا بعلمه بأحوالهم واعمالهم ومثله قوله اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم ومعناه اولئك الذين لا يترك الله مجازاتهم وفي هذا اشارة الى الزجر والوعيد فإن الإنسان متى علم ان خالقه يرى جميع اعماله ويعلم سائر افعاله ويحقق ذلك لا بدّ ان ينزجر عن المعاصي

سورة القارعة مكية

﴿ عدد آيها ﴾

احدى عشرة آية كوفي حجازي ثمان بصري شامي

﴿ اختلافها ﴾

ثلاث آيات القارعة الاولى كوفي ثقلت موازينه وخفت موازينه كلتاهما حجازي كوفي

﴿ فضلها ﴾

في حديث ابي من قرأها ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة ، عمرو بن ثابت عن ابي جعفر (ع) قال من قرأ القارعة امنه الله من فتنة الدجال ان يؤمن به ومن قيح جهنم يوم القيامة

﴿ تفسيرها ﴾

اتصلت هذه السورة بما قبلها اتصال النظير بالنظير فإن كلتيهما في ذكر القيامة فقال سبحانه

بسم الله الرحمن الرحيم (١) ٱلقارِعَةُ (٢) ما ٱلقارِعَةُ (٣) وَمـا أَدْراكَ ما ٱلقارِعَةُ (٤) يَوْمَ يَكونُ النّاسُ كالفَراشِ المَبْثُوثِ (٥) وَتَكونُ ٱلجِبالُ كالعِهْنِ المَنْفوشِ (٦) فأمّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ (٧) فهُوَ في عيشَةٍ راضِيَةٍ (٨) وأمّا مَنْ خَفَّتْ مَوازِينُهُ (٩) فأُمُّهُ هاوِيَةٌ (١٠) وَما أَدْراكَ مـا هِيَهْ (٢١) نارٌ حامِيَةٌ

✻ القراءة ✻

روي عن ابي عمرو انه امال القارعة وقرأ حمزة ويعقوب ما هي في الوصل والباقون ما هيه باثبات الهاء ولم يختلفوا في الوقف انها بالهاء

✻ الحجة ✻

قال ابو علي امالة القارعة وان كان المستعلى فيه مفتوحا جائزة وذلك ان كسرة الراء غلبت عليها فامالتها وقد امالت ما تباعد عنها نحو قادر وزعم سيبويه ان ذلك لغة قوم ترضى عربيتهم وكذلك طارد وغارم وطاهر وكل ذلك تجوز امالته اذا كانت الراء مكسورة وقال سيبويه وينشد اصحاب هذه اللغة

عسى الله يغني عن بلاد بن قادر   بمنهمر جون الرباب سكوب

واما قوله ما هيه فيوقف عندها لأنها فاصلة والفواصل مواضع وقوف كما ان اواخر الابيات كذلك وهذا مما يقوي حذف الياء من يسر وما اشبهه الا ترى انهم حذفوا الياء من نحو قوله

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ   ـض القوم يخلق ثم لا يفر

✻ اللغة ✻

القارعة البلية التي تقرع القلب بشدة المخافة والقرع الضرب بشدة الاعتماد قرع يقرع قرعا ومنه المقرعة وتقارع القوم في القتال اذا تضاربوا بالسيوف والقرعة كالضرب بالفال وقوارع الدهر دواهيه والفراش الجراد الذي ينفرش ويركب بعضه بعضا وهو غوغاء الجراد عن الفراء والمبثوث المتفرق في الجهات كأنه محمول على الذهاب فيها والبث التفريق وابثثته الحديث اذا القيته اليه كأنك فرقته بأن جملته عند اثنين والعهن الصوف ذو الالوان يقال عهن وعهنة وعيشة راضية مرضية بمعنى المفعول وقيل معناه ذات رضى كقولهم فلان نابل اي ذو نبل قال

وغررتني وزعمت انك   لابنٌ بالصيف تامر

أي ذو لبن وتمر وقال النابغة

كليني لهم يـا اميمة ناصب   وليل اقاسيه بطيءُ الكواكب

أي ذي نصب والهاوية من اسماء جهنم وهي المهواة التي لا يدرك قعرها

✻ الإعراب ✻

القارعة مبتدأ وما مبتدأ ثان وما بعده خبره وكان حقه القارعة ما هي لكنه سبحانه كرر تفخيما لشأنها ومثله قوله لا اقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد والجملة خبر المبتدأ الاول ويجوز ان يكون قوله القارعة مبتدأ ويكون الناس خبره

بمعنى ان القارعة تحدث في هذا اليوم فيكون قوله ما القارعة وما ادراك ما القارعة اعتراضا ويجوز ان يكون التقدير هذا الامر يقع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث

﴿ المعنى ﴾

(القارعة) اسم من اسماء يوم القيامة لأنها تقرع القلوب بالفزع وتقرع اعداء الله بالعذاب (ما القارعة) هذا تعظيم لشأنها وتهويل لأمرها ومعناه وأي شيء القارعة ثم عجب نبيه ﷺ فقال (وما ادراك ما القارعة) يقول انك يا محمد لا تعلم حقيقة امرها وكنه وصفها على التفصيل وانما تعلمها على سبيل الاجمال ثم بين سبحانه انها متى تكون فقال (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) شبه الناس عند البعث بما يتهافت في النار وقال قتادة هذا هو الطائر الذي يتساقط في النار والسراج وقال ابو عبيدة هو طير ينفرش ليس بذباب ولا بعوض لأنهم اذا بعثوا ماج بعضهم الى بعض فالفراش اذا ثار لم يتجه الى جهة واحدة فدل ذلك على انهم يفزعون عند البعث فيختلفون في المقاصد على جهات مختلفة وهذا مثل قوله كأنهم جراد منتشر (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وهو الصوف المصبوغ المندوف والمعنى ان الجبال تزول عن اماكنها وتصير خفيفة السير ثم ذكر سبحانه احوال الناس فقال (فأما من ثقلت موازينه) اي رجحت حسناته وكثرت خيراته (فهو في عيشة راضية) أي معيشة ذات رضى يرضاها صاحبها (واما من خفت موازينه) أي خفت حسناته وقلت طاعاته والقول في حقيقة الوزن والميزان والاختلاف في ذلك قد مضى ذكره فيما سبق من الكتاب وقد ذكر سبحانه الحسنات في الموضعين ولم يذكر وزن السيئات لأن الوزن عبارة عن القدر والخطر والسيئة لا خطر لها ولا قدر وانما الخطر والقدر للحسنات فكأن المعنى فأما من عظم قدره عند الله لكثرة حسناته ومن خف قدره عند الله لخفة حسناته (فأمه هاوية) اي فمأواه جهنم ومسكنه النار وانما سماها امه لأنه يأوي اليها كما يأوي الولد الى امه ولأن الاصل السكون الى الامهات قال قتادة هي كلمة عربية كان الرجل اذا وقع في امر شديد قيل هوت امه وقيل انما قال فأمه هاوية لأن العاصي يهوي الى ام رأسه في النار عن ابي صالح وقيل انه يهوي فيها وهي المهواة لا يدرك قعرها ثم قال سبحانه (وما ادراك ما هيه) هذا تعظيم وتفخيم لأمرها يريد انك لا تعلم تفصيلها وانواع ما فيها من العقاب وان كنت تعلمها على طريق الجملة والهاء في هيه للوقف ثم فسرها فقال (نار حامية) اي نار حارة شديدة الحرارة

سورة التكاثر

مدنية وقيل مكية ثمان آيات بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

في حديث ابي ومن قرأها لم يحاسبه الله بالنعيم الذي انعم عليه في دار الدنيا واعطي من الاجر كأنما قرأ الف آية . شعيب العقرقوفي عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ سورة الهيكم التكاثر في فريضة كتب له ثواب واجر مائة شهيد ومن قرأها في نافلة كان له ثواب خمسين شهيدا وصلى معه في فريضته اربعون صفا من

الملائكة . وعن دوست عن ابي عبد الله (ع) قال قال رسول الله ﷺ من قرأ الهاكم التكاثر عند النوم وقي فتنة القبر

تفسيرها

اخبر الله سبحانه في تلك السورة عن صفة القيامة وذكر في هذه السورة من ألهاه عنها التكاثر فقال بسم الله الرحمن الرحيم (١) أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (٢) حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٣) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٦) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٧) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٨) ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ

القراءة

قرأ ابن عامر والكسائي لترون بضم التاء وروي ذلك عن علي (ع) والباقون لترون بالفتح

الحجة

قال ابو علي من قال لترون بضم التاء فان رأى فعل يتعدى الى مفعول واحد تقول رأيت الهلال كما تقول لبست ثوبك فإذا نقلت الفعل بالهمزة زاد مفعول آخر تقول اريت زيدا الهلال فإذا بنيت هذا الفعل للمفعول قلت أري زيد الهلال و كذلك لترون الجحيم

اللغة

الالهاء الصرف الى اللهو واللهو الانصراف الى ما يدعو اليه الهوى يقال لها يلهو لهوا ولهى عن الشيء يلهى ومنه قولهم فإذا استأثر الله بشيء فاله عنه والتكاثر التفاخر بكثرة المناقب يقال تكاثر القوم اذا تعادّوا ما لهم من المناقب والزيارة اتيان الموضع كإتيان المألوف على غير اقامة زاره يزوره زيارة ومنه زور تزويرا اذا شبه الخط بما يوهم انه خط فلان وليس به والمزورة من ذلك اشتقت والفرق بين النعيم والنعمة ان النعمة كالانعام في التضمين لمعنى منعم انعم انعاما ونعمة وكلاهما موجب للشكر والنعيم ليس كذلك لأنه من نعم نعيما فلو عمل ذلك بنفسه لكان نعيما لا يوجب شكرا واما النعمة بفتح النون فمن نعم بضم العين اذا لان

الإعراب

كلا حرف وليس باسم وتضمنه معنى ارتدع لا يدل على انه كصه بمعنى اسكت ومه بمعنى اكفف الا ترى ان اما تتضمن معنى مها يكن من شيء وهو حرف فكذا كلا ينبغي ان يكون حرفاً كلا لو تعلمون جواب لو محذوف وتقديره لما الهاكم التكاثر . وعلم اليقين مصدر وقيل هو قسم والتقدير وعلم اليقين لترون الجحيم اي عذاب الجحيم فحذف لأن رؤيتها ليس بوعيد وان الوعيد برؤية عذابها وتقديره في الاعراب علم الخبر اليقين فحذف المضاف ومثله حب الحصيد ولا يجوز الهمز في واو لترون ولترونها على قياس اثوب في اثوب واعد في وعد لأن الضمة هنا عارضة لالتقاء الساكنين وليست بلازمة واما عين اليقين فانتصابه انتصاب المصدر ايضا كما تقول رأيته حقا وتبينته يقينا والرؤية هنا بمعنى المشاهدة كما قال سبحانه وان منكم الا واردها

النزول

قيل نزلت السورة في اليهود قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان اكثر من بني فلان الهاهم ذلك

حتى ماتوا ضلالا عن قتادة وقيل نزلت في فخذ من الانصار تفاخروا عن ابي بردة وقيل نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف بن قصي وبني سهم بن عمرو تكاثروا وعدوا اشرافهم فكثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا حتى زاروا القبور فعدوهم وقالوا هذا قبر فلان وهذا قبر فلان فكثرهم بنوسهم لأنهم كانوا اكثر عدداً في الجاهلية عن مقاتل والكلبي

المعنى

(الهكم التكاثر) اي شغلكم عن طاعة الله وعن ذكر الآخرة التكاثر بالاموال والاولاد والتفاخر بكثرتها (حتى زرتم المقابر) اي حتى ادركم الموت على تلك الحال عن الحسن وقتادة وقال الجبائي حتى متم على ذلك ولم تتوبوا وقيل الهكم التباهي بكثرة المال والعدد عن تدبر امر الله حتى عددتم الاموات في القبور وروى قتادة عن مطرف بن عبد الله الشخير عن ابيه قال انتهيت الى رسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول الهكم التكاثر السورة قال يقول ابن آدم مالي مالي ومالك من مالك الا ما اكلت فأفنيت او لبست فأبليت او تصدقت فأمضيت اورده مسلم في الصحيح ثم رد الله تعالى عليهم هذا فقال (كلا) اي ليس الامر الذي ينبغي ان تكونوا عليه التكاثر ثم اوعدهم فقال (سوف تعلمون) ثم اكد ذلك وكرره فقال (ثم كلا سوف تعلمون) قال الحسن ومقاتل هو وعيد بعد وعيد والمعنى سوف تعلمون عاقبة تباهيكم وتكاثركم اذا نزل بكم الموت وقيل معناه سوف تعلمون في القبر ثم سوف تعلمون في الحشر رواه زر بن حبيش عن علي (ع) قال ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت الهكم التكاثر الى قوله كلا سوف تعلمون يريد في القبر ثم كلا سوف تعلمون بعد البعث وقيل ان المعنى كلا سوف تعلمون اذا رأيتم دار الابرار ثم كلا سوف تعلمون اذا رأيتم دار الفجار والعرب تؤكد بكلا وحقا (كلا لو تعلمون علم اليقين) هذا كلام آخر يقول لو تعلمون الامر علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التفاخر والتباهي بالعز والكثرة وعلم اليقين هو العلم الذي يثلج به الصدر بعد اضطراب الشك فيه ولهذا لا يوصف الله بأنه متيقن ثم استأنف سبحانه وعيداً آخر فقال (لترون الجحيم) على نية القسم عن مقاتل يعني حين تبرز الجحيم في القيامة قبل دخولهم اليها (ثم لترونها) يعني بعد الدخول اليها (عين اليقين) كما يقال حق اليقين ومحض اليقين ومعناه ثم لترونها بالمشاهدة اذا دخلتموها وعذبتم بها (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قال مقاتل يعني كفار مكة كانوا في الدنيا في الخير والنعمة فيسئلون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه اذ لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره واشركوا به ثم يعذبون على ترك الشكر وهذا قول الحسن قال لا يسأل عن النعيم الا اهل النار وقال الاكثرون ان المعنى ثم لتسئلن يا معاشر المكلفين عن النعيم قال قتادة ان الله سائل كل ذي نعمة عما انعم عليه وقيل عن النعيم في المأكل والمشرب وغيرهما من الملاذ عن سعيد بن جبير وقيل النعيم الصحة والفراغ عن عكرمة ويعضده ما رواه ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقيل هو الامن والصحة عن عبد الله بن مسعود ومجاهد وروي ذلك عن ابي جعفر وابي عبد الله (ع) وقيل يسأل عن كل نعيم الا ما خصه الحديث وهو قوله ثلاث لا يسأل عنها العبد خرقة يواري بها عورته او كسرة يسد بها جوعته او بيت يكنه من الحر والبرد وروي ان بعض الصحابة اضاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع جماعة من اصحابه فوجدوا عنده تمرا وماء باردا فأكلوا فلما خرجوا قال هذا من النعيم الذي تسألون عنه وروى العياشي باسناده في حديث

طويل قال سأل ابو حنيفة ابا عبد الله (ع) عن هذه الآية فقال له ما النعيم عندك يا نعمان قال القوت من الطعام والماء البارد فقال لئن اوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كل اكلة اكلتها وشربة شربتها ليطولن وقوفك بين يديه قال فما النعيم جعلت فداك قال نحن اهل البيت النعيم الذي انعم الله بنا على العباد وبنا ائتلفوا بعد ان كانوا مختلفين وبنا الف الله بين قلوبهم وجعلهم اخوانا بعد ان كانوا اعداء وبنا هداهم الله للاسلام وهي النعمة التي لا تنقطع والله سائلهم عن حق النعيم الذي انعم الله به عليهم وهو النبي ﷺ وعترته

سورة العصر

مكية ثلاث آيات بالاجماع

﴿ اختلافها ﴾

ايتان والعصر غير المكي والمدني الاخير بالحق مكي والمدني الاخير

﴿ فضلها ﴾

في حديث ابي ومن قرأها ختم الله له بالصبر وكان مع اصحاب الحق يوم القيامة . الحسين بن ابي العلاء عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ والعصر في نوافله بعثه الله يوم القيامة مشرقا وجهه ضاحكا سنه قريرة عينه حتى يدخل الجنة

﴿ تفسيرها ﴾

ختم الله سبحانه تلك السورة بوعيد من الهاه التكاثر وافتتح هذه السورة بمثل ذلك وهو ان الإنسان لفي خسر الا المؤمن الصالح فقال سبحانه

بسم الله الرحمن الرحيم (١) وَالْعَصْرِ (٢) إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٣) إِلاَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ

﴿ اللغة ﴾

اصل العصر عصر الثوب ونحوه وهو فتله لاخراج مائه ومنه عصر الدهر فانه الوقت الذي يمكن فيه فتل الامور كما يفتل الثوب والعصر العشي قال

يروح بنا عمرو وقد قصر العصر ... وفي الروحة الاولى الغنيمة والاجر

والعصران الغداة والعشي والعصران الليل والنهار قال

ولن يلبث العصران يوم وليلة ... اذا طلبا ان يدركا ما تيمما

﴿ الاعراب ﴾

اراد بالإنسان الجمع دون المفرد بدلالة انه استثنى منه الذين آمنوا وروى بعضهم عن ابي عمرو وتواصوا بالصبر على لغة من قال مررت ببكر

﴿ المعنى ﴾

(والعصر) اقسم سبحانه بالدهر لأن فيه عبرة لذوي الابصار من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الادوار وهو قول ابن عباس والكلبي والجبائي وقيل هو وقت العشي عن الحسن وقتادة فعلى هذا اقسم سبحانه بالطرف الاخير من النهار لما في ذلك من الدلالة على وحدانية الله تعالى بإدبار النهار واقبال الليل وذهاب سلطان الشمس كما اقسم بالضحى وهو الطرف الاول من النهار لما فيه من حدوث سلطان الشمس واقبال النهار واهل الملتين يعظمون هذين الوقتين وقيل اقسم بصلاة العصر وهي الصلاة الوسطى عن مقاتل وقيل هو الليل والنهار ويقال لهما العصران عن ابن كيسان (ان الانسان لفي خسر) هذا جواب القسم والانسان اسم الجنس والمعنى انه لفي نقصان لأنه ينقص عمره كل يوم وهو رأس ماله فإذا ذهب رأس ماله ولم يكتسب به الطاعة يكون على نقصان طول دهره وخسران إذ لا خسران اعظم من استحقاق العقاب الدائم وقيل لفي خسر اي في هلكة عن الاخفش (الا الذين آمنوا وعملوا الصلحات) استثنى من جملة الناس المؤمنين المصدقين بتوحيد الله العاملين بطاعة الله (وتواصوا بالحق) اي وصى بعضهم بعضا باتباع الحق واجتناب الباطل وقيل الحق القرآن عن الحسن وقتادة وقيل هو الايمان والتوحيد عن مقاتل وقيل هو ان يقولوا عند الموت لمخلفيهم لا تموتن الا وانتم مسلمون (وتواصوا بالصبر) اي وصى بعضهم بعضا بالصبر على تحمل المشاق في طاعة الله عن الحسن وقتادة وبالصبر عن معاصي الله اي فإن هؤلاء ليسوا في خسر بل هم في اعظم ربح وزيادة يربحون الثواب باكتساب الطاعات وانفاق العمر فيها فكأن رأس مالهم باق كما ان التاجر اذا خرج رأس المال من يده وربح عليه لم يعد ذلك ذهابا وقيل لفي خسر معناه لفي عقوبة وغبن من فوت اهله ومنزله في الجنة وقيل المراد بالانسان الكافر خاصة وهو ابو جهل والوليد بن المغيرة وفي هذه السورة اعظم دلالة على اعجاز القرآن ألا ترى انها مع قلة حروفها تدل على جميع ما يحتاج الناس اليه في الدين علما وعملا وفي وجوب التواصي بالحق والصبر اشارة الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعاء الى التوحيد والعدل واداء الواجبات والاجتناب عن المقبحات وقيل ان في قراءة ابن مسعود والعصر ان الانسان لفي خسر وانه فيه الى آخر الدهر وروي ذلك عن علي (ع)

سورة الهمزة

مكية وهي تسع آيات بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

وفي حديث ابي من قرأها اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم واصحابه . ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ ويل لكل همزة في فريضة من فرائضه نفت عنه الفقر وجلبت عليه الرزق وتدفع عنه ميتة السوء

﴿ تفسيرها ﴾

اجمل سبحانه في تلك السورة ان الانسان لفي خسر وفصل في هذه السورة تلك الجملة فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (٢) الَّذِي جَمَعَ مالاً وَعَدَّدَهُ (٣) يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ (٤) كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٥) وَما أَدْراكَ ما الْحُطَمَةُ (٦) نارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ (٧) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٨) إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٩) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ

القراءة

قرأ اهل البصرة وابن كثير ونافع وعاصم جمع بالتخفيف والباقون جمع بالتشديد . موصدة ذكرناه في سورة البلد وقرأ اهل الكوفة غير حفص في عمد بضمتين والباقون في عمد بفتح العين والميم

الحجة

قال ابو الحسن المثقلة اكثر تقول فلان يجمع المال من هنا ومن هنا قال ابو عمرو وجمع خفيفة اذا اكثر واذا ثقل فإنما هو شيء بعد شيء قال ابو علي وقد يجوز ان يكون جمع لما يجمع فيما قرب من الوقت ولم يجمع شيئا بعد شيء قال سبحانه ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا وقال الاعشى

ولمثل الذي جمعت لريب الدهر لا مسند ولا زمال

والاشبه ان تكون اداة الحرب لا تجمع في وقت واحد وانما هو شيء بعد شيء فيجوز على هذا ان يكون شيئا بعد شيء في قول من خفف كما تقول ذلك في قول من ثقل ومن قرأ عمد جعله جمعا لعمود مثل قدوم وقدم وزبور وزبر ومن قال عمد فإنه جمع عمود ايضا كما قالوا افق وادم واهب في جمع افيق واديم واهاب وهذا اسم من اسماء الجمع غير مستمر وقد قالوا حارس وحرس وغائب وغيب وخادم وخدم ورائح وروح وهو في انه غير مطرد مثل عمد

اللغة

الهمزة الكثير الطعن على غيره بغير حق العائب له بما ليس بعيب واصل الهمز الكسر فكان العائب بعيبه اياه وطعنه فيه يكسره ويهمزه وقيل لأعرابي أتهمز الفأرة قال السنور تهمزها وكان الهمز في الكلام نبرة كالطعنة بقوة اعتمادها واللمز العيب ايضا والهمزة واللمزة بمعنى وقد قيل بينهما فرق فإن الهمزة الذي يعيبك بظهر الغيب واللمزة الذي يعيبك في وجهك عن الليث وقيل الهمزة الذي يؤذي جليسه بسوء لفظه واللمزة الذي يكسر عينه على جليسه ويشير برأسه ويومئ بعينه ويقال لمزه يلمزه ويلمزه بكسر الميم وضمها ورجل لماز ولمزة وهماز وهمزة قال زياد الاعجم

تدلي بودي اذا لاقيتني كذبا وان تغيبت كنت الهامز اللمزة

والحطمة الكثير الحطم اي الاكل ورجل حطمة اكول وحطم الشيء اذا كسره واذهبه قال

قد لفها الليل بسواق حطم ليس براعي ابل ولا غنم

وفعلة بناء المبالغة في صفة من يكثر منه الفعل ويصير عادة له تقول رجل نكحة كثير النكاح وضحكة كثير الضحك وكذا همزة ولمزة وفعلة بسا كنة العين يكون للمفعول به

الاعراب

الذي جمع في موضع جر على البدل من همزة ولا يجوز ان يكون صفة لأنه معرفة ويجوز ان يكون في

موضع نصب على اضمار اعني وفي موضع رفع على اضمار هو وفي حرف عبد الله ويل للهمزة اللمزة فعلى هذا الوجه يكون صفة. لينبذن يعني الجامع للمال وروي في الشواذ عن الحسن لينبذن يعني الجامع والمال . ونار الله وتقديره هي نار الله

المعنى

(ويل لكل همزة لمزة) هذا وعيد من الله سبحانه لكل مغتاب غياب مشاء بالنميمة مفرق بين الاحبة عن ابن عباس وعنه ايضا قال الهمزة الطعان واللمزة المغتاب وقيل الهمزة المغتاب واللمزة الطعان عن سعيد بن جبير وقتادة وقيل الهمزة الذي يطعن في الوجه بالعيب واللمزة الذي يغتاب عند الغيبة عن الحسن وابي العالية وعطاء بن ابي رباح وقيل الهمزة الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه وبعينه عن ابن زيد (الذي جمع مالا وعدده) اي احصاه عن الفراء وقيل عدده للدهور فيكون من العدة عن الزجاج يقال اعددت الشيء وعددته اذا امسكته وقيل جمع مالا من غير حله ومنعه من حقه واعده ذخراً لنوائب دهره عن الجبائي وقيل ان الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة و كان يغتاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من ورائه ويطعن عليه في وجهه عن مقاتل وقيل نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي وكان يلمز الناس ويغتابهم عن الكلبي ثم ذكر سبحانه طول امله فقال (يحسب ان ماله اخلده) اي يظن ان ماله الذي جمعه يخلده في الدنيا ويمنعه من الموت فأخلده في معنى يخلده لأن قوله يحسب يدل عليه وانما قال ذلك وان كان الموت معلوما عند جميع الناس لأنه يعمل عمل من يتمنى ذلك وقيل اخلده بمعنى اوجب اخلاده وهذا كما يقال هلك فلان اذا حدث به سبب الهلاك وان لم يقع هلاكه بعد ثم قال سبحانه (كلا) اي لا يخلده ماله ولا يبقى له وقيل معناه ليس الامر كما حسب وقيل معناه حقا (لينبذن في الحطمة) اي ليقذفن ويطرحن من وصفناه في الحطمة وهي اسم من أسماء جهنم قال مقاتل وهي تحطم العظام وتاكل اللحوم حتى تهجم على القلوب ثم قال سبحانه (وما ادراك ما الحطمة) تفخيما لأمرها ثم فسرها بقوله (نار الله الموقدة) أي المؤججة اضافها سبحانه الى نفسه ليعلم انها ليست كسائر النيران ثم وصفها بالايقاد على الدوام (التي تطلع على الافئدة) اي تشرف على القلوب فيبلغها المها وحريقها وقيل معناه ان هذه النار تخرج من الباطن الى الظاهر بخلاف نيران الدنيا (انها عليهم مؤصدة) يعني انها على اهلها مطبقة يطبق ابوابها عليهم تأكيدا للأياس عن الخروج (في عمد ممددة) وهي جمع عمود وقال ابو عبيدة كلاهما جمع عماد قال وهي اوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار وقال مقاتل اطبقت الابواب عليهم ثم شدت بأوتاد من حديد من نار حتى يرجع اليهم غمها وحرها فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح وقال الحسن يعني عمد السرداق في قوله واحاط بهم سرادقها فإذا مدت تلك العمد اطبقت جهنم على أهلها نعوذ بالله منها وقال الكلبي في عمد مثل السواري ممددة مطولة تمد عليهم وقال ابن عباس هم في عمد اي في اغلال في أعناقهم يعذبون بها وروى العياشي بإسناده عن محمد بن النعمان الاحول عن حمران بن اعين عن أبي جعفر (ع) قال ان الكفار والمشركين يعيرون اهل التوحيد في النار ويقولون ما نرى توحيدكم أغنى عنكم شيئا وما نحن وانتم الاسواء قال فيأنف لهم الرب تعالى فيقول للملائكة اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ثم يقول للنبيين اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ثم يقول للمؤمنين اشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ويقول الله انا أرحم الراحمين إخرجوا برحمتي

كما يخرج الفراش قال ثم قال ابو جعفر (ع) ثم مدت العمد واوصدت عليهم وكان والله الخلود

سورة الفيل

مكية خمس آيات بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

في حديث ابي من قرأها عافاه الله ايام حياته في الدنيا من المسخ والقذف . ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ في الفريضة ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل شهد له يوم القيامة كل سهل وجبل ومدر بأنه كان من المصلين وينادي يوم القيامة مناد صدقتم على عبدي قبلت شهادتكم له أو عليه ادخلوا عبدي الجنة ولا تحاسبوه فإنه ممن احبه واحب عمله ومن اكثر قراءة لإيلاف قريش بعثه الله يوم القيامة على مركب من مراكب الجنة حتى يقعد على موائد النور يوم القيامة

﴿ تفسيرها ﴾

ذكر الله سبحانه في تلك السورة ما اعده من العذاب لمن عاب الناس واغتابهم وركن الى الدنيا وبين في هذه السورة ما فعله بأصحاب الفيل فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَـٰبِ ٱلْفِيلِ (٢) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٣) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٤) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (٦) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ

﴿ القراءة ﴾

في الشواذ قراءة ابي عبد الرحمن ألم تر بسكون الراء

﴿ الحجة ﴾

قال ابن جني ان هذا السكون بابه الشعر دون القرآن لما فيه من استهلاك الحرف والحركة قبله يعني الالف والفتحة من ترى انشد ابو زيد « قالت سليمى اشتر لنا سويقا » يريد اشتر وانشد

قد حج في ذا العام من كان رجا ... فاكتر لنا كري صدق فالنجا

واحذر فلا تكتر كريا اعرجا ... علجا إذا ساربنا عفنججا

فحذف كسرة اكتر في الموضعين

﴿ اللغة ﴾

ابابيل جماعات في تفرقة زمرة زمرة ولا واحد لها في قول ابي عبيدة والفراء كعباديد وقال الكسائي واحدها إبول مثل عجول وزعم ابو جعفر الرواسي أنه سمع في واحدها ابالة

﴿ الاعراب ﴾

كيف فعل ربك منصوب بفعل على المصدر أو على الحال من الرب والتقدير ألم تر أي فعل فعل ربك أو أمنتقما فعل ربك بهم أم مجازيا ونحو ذلك والجملة التي هي كيف فعل ربك سدت مسد مفعولي ترى

﴿ قصة اصحاب الفيل ﴾

اجمعت الرواة على ان ملك اليمن الذي قصد هدم الكعبة هو ابرهة بن الصباح الاشرم وقيل ان كنيته ابو يكسوم قال الواقدي هو صاحب النجاشي جد النجاشي الذي كان على عهد رسول الله ﷺ وقال محمد بن يسار اقبل تبع حتى نزل على المدينة فنزل بوادي قبا فحفر بها بئراً يدعى اليوم بئر الملك قال وبالمدينة إذ ذاك يهود والاوس والخزرج فقاتلوه وجعلوا يقاتلونه بالنهار فإذا امسى ارسلوا اليه بالضيافة فاستحيا واراد صلحهم فخرج اليه رجل من الأوس يقال له احيحة بن جلاح وخرج اليه من اليهود بنيامين القرظي فقال احيحة ايها الملك نحن قومك وقال بنيامين هذه بلدة لا تقدر على ان تدخلها ولو جهدت قال ولمَ قال لأنها منزل نبي من الانبياء يبعثه الله من قريش قال ثم خرج يسير حتى اذا كان من مكة على ليلتين بعث الله عليه ريحا فقصفت يديه ورجليه وشنجت جسده فأرسل الى من معه من اليهود فقال ويحكم ما هذا الذي اصابني قالوا حدثت نفسك بشئ قال نعم وذكر ما اجمع عليه من هدم البيت واصابة ما فيه قالوا ذاك بيت الله الحرام ومن اراده هلك قال ويحكم وما المخرج مما دخلت فيه قالوا تحدث نفسك بأن تطوف به وتكسوه وتهدي له فحدث نفسه بذلك فأطلقه الله ثم سار حتى دخل مكة فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وكسا البيت وذكر الحديث في نحره بمكة واطعامه الناس ثم رجوعه الى اليمن وقتله وخروج ابنه الى قيصر واستغاثته به فيما فعل قومه بأبيه وان قيصر كتب له الى النجاشي ملك الحبشة وان النجاشي بعث له ستين الفا واستعمل عليهم روزبه حتى قاتلوا حمير قتلة ابيه ودخلوا صنعاء فملكوها وملكوا اليمن وكان في اصحاب روزبه رجل يقال له ابرهة وهو ابو يكسوم فقال لروزبه اني اولى بهذا الامر منك وقتله مكراً وارضى النجاشي ثم انه بنى كعبة باليمن وجعل فيها قبابا من ذهب فأمر اهل مملكته بالحج اليها يضاهي بذلك البيت الحرام وان رجلا من بني كنانة خرج حتى قدم اليمن فنظر اليها ثم قعد فيها يعني لحاجة الإنسان فدخلها ابرهة فوجد تلك العذرة فيها فقال من اجترأ علي بهذا ونصرا نيتي لأهدمن ذلك البيت حتى لا يحجه حاج ابدا ودعا بالفيل واذن قومه بالخروج ومن اتبعه من اهل اليمن وكان اكثر من اتبعه منهم عك والاشعرون وخثعم قال ثم خرج يسير حتى اذا كان ببعض طريقه بعث رجلا من بني سليم ليدعو الناس الى حج بيته الذي بناه فتلقاه ايضا رجل من الحمس من بني كنانة فقتله فازداد بذلك حنقا وحث السير والانطلاق وطلب من اهل الطائف دليلا فبعثوا معه رجلا من هذيل يقال له نفيل فخرج بهم يهديهم حتى اذا كانوا بالمغمس نزلوه وهو من مكة على ستة اميال فبعثوا مقدماتهم الى مكة فخرجت قريش عباديد في رؤوس الجبال وقالوا لا طاقة لنا بقتال هؤلاء ولم يبق بمكة غير عبد المطلب بن هاشم اقام على سقايته وغير شيبة بن عثمان بن عبد الدار اقام على حجابة البيت فجعل عبد المطلب يأخذ بعضادتي الباب ثم يقول

لا همّ ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك ... لا يغلبوا بصليبهم ومحالهم عدوا محالك

لا يدخلوا البلد الحرام إذاً فأمر ما بدا لك

ثم ان مقدمات ابرهة اصابت نعما لقريش فأصابت فيها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم فلما بلغه ذلك خرج حتى اتى القوم وكان حاجب ابرهة رجلا من الاشعرين وكانت له بعبد المطلب معرفة فاستأذن له على الملك وقال له ايها الملك جاءك سيد قريش الذي يطعم انسها في الحي ووحشها في الجبل فقال له ائذن له

وكان عبد المطلب رجلا جسيما جميلا فلما رآه ابو يكسوم اعظمه ان يجلسه تحته وكره ان يجلسه معه على سريره فنزل من سريره فجلس على الارض واجلس عبد المطلب معه ثم قال ما حاجتك قال حاجتي مائتا بعير لي اصابتها مقدمتك فقال ابو يكسوم والله لقد رأيتك فأعجبتني ثم تكلمت فزهدت فيك فقال ولم ايها الملك قال لأني جئت الى بيت عزكم ومنعتكم من العرب وفضلكم في الناس وشرفكم عليهم ودينكم الذي تعبدون فجئت لا كسره واصيبت لك مائتا بعير فسألتك عن حاجتك فكلمتني في ابلك ولم تطلب الي في بيتكم فقال له عبد المطلب ايها الملك انا اكلمك في مالي ولهذا البيت رب هو يمنعه لست انا منه في شيء فراع ذلك ابا يكسوم وامر برد ابل عبد المطلب عليه ثم رجع وامست ليلتهم تلك الليلة كالحة نجومها كأنها تكلمهم كلاما لاقترابها منهم فأحست نفوسهم بالعذاب وخرج دليلهم حتى دخل الحرم وتركهم وقام الاشعرون وخثعم فكسروا رماحهم وسيوفهم وبرؤا الى الله أن يعينوا على هدم البيت فباتوا كذلك بأخبث ليلة ثم ادلجوا بسحر فبعثوا فيلهم يريدون أن يصبحوا بمكة فوجهوه الى مكة فربض فضربوه فتمرغ فلم يزالوا كذلك حتى كادوا أن يصبحوا ثم انهم اقبلوا على الفيل فقالوا لك الله ان لا نوجهك الى مكة فانبعث فوجهوه الى اليمن راجعا فتوجه يهرول فعطفوه حين رأوه منطلقا حتى اذا ردوه الى مكانه الأول ربض فلما رأوا ذلك عادوا الى القسم فلم يزالوا كذلك يعالجونه حتى اذا كان مع طلوع الشمس طلعت عليهم الطير معها الحجارة فجعلت ترميهم وكل طائر في منقاره حجر وفي رجليه حجران واذا رمت بذلك مضت وطلعت اخرى فلا يقع حجر من حجارتهم تلك على بطن إلا خرقه ولا عظم الا اوهاه وثقبه وثاب ابو يكسوم راجعا قد اصابته بعض الحجارة فجعل كلما قدم ارضا انقطع له فيها ارب حتى اذا انتهى الى اليمن لم يبق شيء الا باده فلما قدمها تصدع صدره وانشق بطنه فهلك ولم يصب من الاشعرين وخثعم احد قال وكان عبد المطلب يرتجز ويدعو على الحبشة يقول

يا رب لا ارجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا انهم لم يقهروا قواكا

قال ولم تصب تلك الحجارة احدا الا هلك وليس كل القوم اصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق التي منها جاؤا ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق وقال نفيل في ذلك

ردينة لو رأيت ولن ترينه لدى جنب المحصب ما رأينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل كأن علي للحبشان دينا

وقال مقاتل بن سليمان السبب الذي جر اصحاب الفيل الى مكة هو ان فئة من قريش خرجوا تجارا الى ارض النجاشي فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفي حقف من احقافها بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل ويسميها النجاشي واهل ارضه ماسرخشان فنزل القوم فجمعوا حطبا ثم اججوا نارا واشتووا لحما فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فذهبت الرياح بالنار فاضطرم الهيكل نارا فغضب النجاشي لذلك فبعث ابرهة لهدم الكعبة وروى العياشي باسناده عن هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال ارسل الله على اصحاب الفيل طيرا مثل الخطاف — ونحوه في منقاره حجر مثل العدسة فكان يحاذي برأس الرجل

فيرميه بالحجارة فيخرج من دبره فلم تزل بهم حتى اتت عليهم قال فأفلت رجل منهم فجعل يخبر الناس بالقصة فبيناهو يخبرهم اذأبصر طيرا فقال هذا هو منها قال فحاذى فطرحه على رأسه فخرج من دبره وقال عبيد ابن عمير الليثي لما اراد الله ان يهلك اصحاب الفيل فبعث عليهم طيرا نشأت من البحر كأنها الخطاطيف كل طير منها معه ثلاثة احجار ثم جاءت حتى صفت على رؤسهم ثم صاحت وألقت ما في ارجلها ومناقيرها فما من حجر وقع منها على رجل إلا خرج من الجانب الآخر وان وقع على رأسه خرج من دبره وان وقع على شيء من جسده خرج من الجانب الآخر وعن عكرمة عن ابن عباس قال دعا الله الطير الأبابيل فأعطاها حجارة سودا عليها الطين فلما حاذت بهم رمتهم فما بقي احد منهم الا اخذته الحكة وكان لا يحك الانسان منهم جلدا الا تساقط لحمه قال وكانت الطير نشأت من قبل البحر لها خراطيم الطيور ورؤس السباع لم تر قبل ذلك ولا بعده

المعنى

خاطب الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم تنبيها على عظم الآية التي اظهرها والمعجزة التي فعلها فقال (الم تر) اي ألم تعلم يا محمد لأنه صلى الله عليه وآله وسلم لم ير ذلك وقيل معناه الم تخبر عن الفراء (كيف فعل ربك باصحاب الفيل) الذي قصدوا تخريب الكعبة وكان معهم فيل واحد اسمه محمود عن مقاتل وقيل ثمانية افيال عن الضحاك وقيل اثنا عشر فيلا عن الواقدي وإنما وحد لأنه اراد الجنس وكان ذلك في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه اكثر العلماء وقيل كان امر الفيل قبل مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بثلاث وعشرين سنة عن الكلبي وقيل كان قبل مولده باربعين سنة عن مقاتل والصحيح الأول ويدل عليه ما ذكر ان عبد الملك بن مروان قال لعتاب بن اشيم الكناني الليثي يا عتاب انت اكبر ام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اكبر مني وانا أسن منه ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عام الفيل ووقفت على روث الفيل وقالت عائشة رأيت قائد الفيل وسائقه بمكة اعميين مقعدين يستطعمان (الم يجعل كيدهم في تضليل) معناه الم يجعل اراداتهم السوء واحتيالهم في تخريب البيت الحرام وقتل اهله وسبيهم واستباحتهم في تضليل عما قصدوا اليه ضل سعيهم حتى لم يصلوا الى ما ارادوه بكيدهم وقيل في تضليل اي في ذهاب وبطلان (وارسل عليهم طيرا ابابيل) اي اقاطيع يتبع بعضها بعضا كالإبل المؤبلة قال الأعشى

طريق وجبار رواء اصوله ... عليه ابابيل من الطير تنعب

وقال امرؤ القيس

تراهم الى الداعي سراعا كأنهم ... ابابيل طير تحت داجن مدجن

وكانت لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كأكف الكلاب عن ابن عباس وقيل لها انياب كأنياب السباع عن الربيع وقيل طير خضر لها مناقير صفر عن سعيد بن جبير وقيل طير سود بحرية تحمل في مناقيرها واكفها الحجارة عن عبيد الله بن عمير وقتادة ويمكن أن يكون بعضها خضرا وبعضها سودا (ترميهم بحجارة من سجيل) أي تقذفهم بحجارة صلبة شديدة ليست من جنس الحجارة وقد فسرنا السجيل في سورة هود وماجاء من الاقوال فيه فلا معنى لإعادته وقال موسى بن عائشة كانت الحجارة اكبر من العدسة وأصغر من الحمصة وقال عبد الله ابن مسعود صاحت الطير فرمتهم بالحجارة فبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها شدة فما وقع منها حجر

على رجل الآخر خرج من الجانب الآخر فإن وقع على رأسه خرج من دبره (فجعلهم كعصف مأكول) اي كزرع وتبن قد اكلته الدواب ثم راثته قد يبست وتفرقت اجزاؤه شبه الله تقطع اوصالهم بتفرق اجزاء الروث قال الحسن كنا ونحن غلمان بالمدينة نأكل الشعير اذا قصب وكان يسمى العصف وقال ابو عبيدة العصف ورق الزرع قال الزجاج اي جعلهم كورق الزرع الذي جز واكل اي وقع فيه الاكال وكان هذا من اعظم المعجزات القاهرات والآيات الباهرات في ذلك الزمان اظهره الله تعالى ايدل على وجوب معرفته وفيه ارهاص لنبوة نبينا ﷺ لأنه ولد في ذلك العام وقال قوم من المعتزلة انه كان معجزة لنبي من الانبياء في ذلك الزمان وربما قالوا هو خالد بن سنان ونحن لا نحتاج إلى ذلك لأنا نجوز إظهار المعجزات على غير الانبياء من الائمة والاولياء وفيه حجة لائحة قاصمة لظهور الفلاسفة والملحدين المنكرين للآيات الخارقة للعادات فإنه لا يمكن نسبة شيء مما ذكره الله تعالى من امر اصحاب الفيل الى طبع وغيره كما نسبوا الصيحة والريح العقيم والخسف وغيرهما مما اهلك الله تعالى به الامم الخالية الى ذلك إذ لا يمكنهم ان يروا في اسرار الطبيعة ارسال جماعات من الطير معها احجار معدة مهيأة لهلاك أقوام معينين قاصدات اياهم دون من سواهم فترميهم بها حتى تهلكهم وتدمر عليهم حتى لا يتعدى ذلك الى غيرهم ولا يشك من له مسكة من عقل واب أن هذا لا يكون إلا من فعل الله تعالى مسبب الاسباب ومذلل الصعاب وليس لأحد ان ينكر هذا لأن نبينا ﷺ لما قرأ هذه السورة على اهل مكة لم ينكروا ذلك بل اقروا به وصدقوه مع شدة حرصهم على تكذيبه واعتنائهم بالرد عليه وكانوا قريبي العهد بأصحاب الفيل فلو لم يكن لذلك عندهم حقيقة واصل لأنكروه وجحدوه وكيف وانهم قد ارخوا بذلك كما ارخوا ببناء الكعبة وموت قصي بن كعب وغير ذلك وقد اكثر الشعراء ذكر الفيل ونظموه ونقلته الرواة عنهم فمن ذلك ما قاله امية بن ابي الصلت

ان آيات ربنا بينات	ما يماري فيهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى	ظل يحبو كأنه معقور

وقال عبد الله بن عمرو بن مخزوم

انت الجليل ربنا لم تدنس	انت حبست الفيل بالمغمس
من بعد ما هم بشيء ملبس	حبسته في هيئة المكركس

أي المنكس قال ابن الرقيات في قصيدة

واستهلت عليهم الطير بالـ	جندل حتى كأنه مرجوم

سورة لايلاف

مكية خمس آيات حجازي اربع آيات عند غيرهم

❋ اختلافها ❋

آية من جوع حجازي

❋ فضلها ❋

في حديث ابي من قرأها اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها وروى العياشي

باسناده عن المفضل بن صالح عن ابي عبد الله (ع) قال سمعته يقول لا تجمع بين سورتين في ركعة واحدة إلا الضحى وألم نشرح وألم تر كيف ولإيلاف قريش . وعن ابي العباس عن احدهما (ع) قال ألم تر كيف فعل ربك ولإيلاف قريش سورة واحدة وروي ان ابي بن كعب لم يفصل بينهما في مصحفه . وقال عمرو بن ميمون الازدي صليت المغرب خلف عمر بن الخطاب وقرأ في الاولى والتين وفي الثانية ألم تر كيف ولإيلاف قريش

﴿ تفسيرها ﴾

ولما ذكر سبحانه عظيم نعمته على اهل مكة بما صنعه بأصحاب الفيل قال عقيب ذلك

بسم الله الرحمن الرحيم (١) لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ (٢) رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٣) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ (٤) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ (٥) وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو جعفر ليلاف قريش بغير همز إلا فهم مختلسة الهمزة ليس بعدها ياء وقرأ ابن عامر الالاف قريش مختلسة الهمزة ليس بعدها ياء ايلافهم مشبعة الهمزة في الحرفين بعدها ياء . وقرأ ابن فليح لإيلاف قريش الفهم ساكنة اللام ليس بعدها ياء وقرأ الآخرون لإيلاف قريش إيلافهم مشبعة الهمزة في الحرفين بعدها ياء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي قال ابو عبيدة الفته والفته لغتان انشد ابو زيد

من المؤلفات الرمل ادماء حرة	شعاع الضحى في جيدها يتوشح

وانشد غيره

ألف الصفون فلا يزال كأنه	مما يقوم على الثلاث كسيرا

وقال آخر

زعمتم ان اخوتكم قريش	لهم إلف وليس لكم إلاف

والالف والآلاف مصدر الف والايلاف مصدر آلف

﴿ اللغة ﴾

الايلاف ايجاب الألف بحسن التدبير والتلطف يقال ألف يألف الفا وآلفه يؤلفه ايلافا اذا جعله يالف فالايلاف نقيض الايحاش ونظيره الايناس وألف الشيء لزومه على عادة في سكون النفس اليه . والرحلة حال السير على الراحلة وهي الناقة القوية على السير ومنه الحديث المروي الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة والرحل متاع السفر والارتحال احتمال الرحل للسير في السفر

﴿ الاعراب ﴾

قال ابو الحسن الأخفش اللام في قوله لإيلاف قريش يتعلق بقوله كعصف مأكول اي فعلنا ذلك بهم لتألف قريش رحلتها وقال الزجاج معناه اهلك الله اصحاب الفيل لتبقى قريش وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف قال ابو علي اعترض معترض فقال إنما جعلوا كعصف مأكول لكفرهم ولم يجعلو كذلك لتألف قريش قال وليس هذا الاعتراض بشيء لأنه يجوز ان يكون المعنى اهلكوا لكفرهم ولما أدى اهلاكهم الى ان تألف قريش جاز كقوله تعالى ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه لذلك فلما آل الأمر اليه حسن ان يجعله علة الالتقاط وقال الخليل وسيبويه فليعبدوا رب هذا البيت لايلاف قريش اي ليجعلوا عبادتهم شكرا لهذه النعمة واعترافا بها

وقيل هو على ألم تر كيف فعل ربك لإيلاف قريش عن الفراء قال لأنه سبحانه ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة

﴿ المعنى ﴾

(لإيلاف قريش) اي فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منا على قريش مضافة الى نعمتنا عليهم في رحلة الشتاء والصيف فكأنه قال نعمة الى نعمة فتكون اللام مؤدية معنى الى وهو قول الفراء وقيل معناه فعلنا ذلك لتألف قريش بمكة ويمكنهم المقام بها او لتؤلف قريشا فإنهم هابوا من ابرهة لما قصدها وهربوا منه فاهلكناهم لترجع قريش إلى مكة ويألفوا بها ويولد محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيبعث الى الناس بشيرا ونذيرا وقوله (ايلافهم) ترجمة عن الاول وبدل منهم (ورحلة الشتاء والصيف) منصوبة بوقوع ايلافهم عليها وتحقيقه ان قريشا كانت بالحرم آمنة من الاعداء ان تهجم عليهم فيه وان يعرض لهم احد بالسوء إذا خرجت منها لتجارتها والحرم واد جديب انما كانت تعيش قريش فيه بالتجارة وكانت لهم رحلتان في كل سنة رحلة في الشتاء إلى اليمن لأنها بلاد حامية ورحلة في الصيف إلى الشام لأنها بلاد باردة ولولا هاتان الرحلتان لم يمكنهم به مقام ولولا الأمن لم يقدروا على التصرف فلما قصد اصحاب الفيل مكة اهلكهم الله لتألف قريش هاتين الرحلتين اللتين بهما معيشتهم ومقامهم بمكة وقيل ان كلتا الرحلتين كانت الى الشام ولكن رحلة الشتاء في البحر وايلة طلب للدفأ ورحلة الصيف إلى بصرى واذرعات طلبا للهواء واما قريش فهم ولد النضر بن كنانة فكل من ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر فليس بقرشي واختلف في تسميتهم بهذا الاسم فقيل سموا قريشا للتجارة وطلب المال وجمعه وكانوا اهل تجارة ولم يكونوا اصحاب ضرع ولا زرع والقرش المكسب يقال هو يقرش لعياله اي يكتسب لهم وذكر أنه قيل لابن عباس لم سميت قريش قريشا فقال لدابة تكون في البحر من اعظم دوابه يقال لها القريش لا تمر بشيء من الغث والسمين إلا اكلته قيل افتنشد في ذلك شيئا فأنشد قول الجمحي

وقريش هي التي تسكن البحر	بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا	تترك فيه لذي الجناحين ريشا

وكانت قريش تعيش بتجارتهم ورحلتهم وكان لا يتعرض لهم احد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم الله وولاة بيته قال الكلبي وكان اول من حمل البر من الشام ورحل اليها الإبل هاشم بن عبد مناف ويصدقه قول الشاعر

تحمل هاشم ما ضاق عنه	واعيا ان يقوم به ابن بيض
اتاهم بالغرائر متأفات	من ارض الشام بالبر النفيض
فوسع اهل مكة من هشيم	وشاب البر باللحم الغريض

وقال سعيد بن جبير مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه ابو بكر بملأ وهم ينشدون

يا ذا الذي طلب السماحة والندى	هلا مررت بآل عبد الدار
لو ان مررت بهم تريد قراهم	منعوك من جهد ومن اقتار

فقال لأبي بكر اهكذا قال الشاعر فقال لا والذي بعثك بالحق بل قال

يا ذا الذي طلب السماحة والندى	هلا مررت بآل عبد مناف
لو ان مررت بهم تريد قراهم	منعوك من جهد ومن ايجاف
الرائشين وليس يوجد رائش	والقائلين هلم للأضياف

والخالطين غنيهم بفقيرهم حتى يصير فقيرهم كالكافي
والقائلين بكل وعد صادق ورجـال مكة مسنتون عجاف
سفرين سنهما له ولقومـه سفر الشتاء ورحلة الاصياف

(فليعبدوا رب هذا البيت) هذا امر من الله سبحانه اي فليوجهوا عبادتهم الى رب هذه الكعبة ويوحده وهو الله سبحانه (الذي اطعمهم من جوع) بما سبب لهم من الارزاق في رحلة الشتاء والصيف واعطاهم مـن الاموال (وآمنهم من خوف) فلا يتعرض لهم احد في سفرهم إذا قالوا نحن اهل حرم الله وقيل آمنهم من خوف الغارة بالحرم الذي جبلت قلوب الناس على تعظيمه لأنهم كانوا يقولون في الجاهلية نحن قطان حرم الله فلا يتعرض لهم وان كان الرجل ليصاب في الحي من احياء العرب فيقال هو حرمي فيخلى عنه وعن ماله تعظيما للحرم وكان غيرهم إذا خرج اغير عليه وقيل اطعمهم من جوع أي من بعد جوع كما يقال كسوتك من بعد عري يعني ما كانوا فيه من الجوع قال ابن عباس كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فلم يكن بنو أب اكثر مالا ولا اعز من قريش

سورة أرأيت

وتسمى سورة الماعون مكية وقال الضحاك مدنية وقيل بعضها مكي وبعضها مدني

❋ عدد آيها ❋

سبع عراقي وست في الباقين

❋ اختلافها ❋

آية يراؤون عراقي

❋ فضلها ❋

في حديث أبي من قرأها غفر الله له ان كان للزكاة مؤديا • عمرو بن ثابت عن ابي جعفر (ع) قـال من قرأ أرأيت الذي يكذب بالدين في فرائضه ونوافله قبل الله صلاته وصيامه ولم يحاسبه بما كان منه في الحياة الدنيا

❋ تفسيرها ❋

ذكر سبحانه نعمه على قريش ثم عجب سبحانه في هذه السورة من تكذيبهم مع عظيم النعمة عليهم فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) أَرَأَيْتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (٢) فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ (٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٤) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٥) ٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٦) ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ (٧) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ

❋ القراءة ❋

في الشواذ قراءة ابي رجاء العطاردي يدع اليتيم بفتح الدال خفيفة

❋ الحجة ❋

ومعناه يتركه ويعرض عنه فهو صائر الى معنى القراءة المشهورة يدع اليتيم أي يدفعه ويجفو عليه

❋ اللغة ❋

الدع الدفع بشدة ومنه الدعدعة تحريك المكيال ليستوعب الشيء كأنك تدفعه والدعدعة ايضا زجر المعز . والحض والحث والتحريض بمعنى واحد والماعون كل ما فيه منفعة قال الاعشى

بأجود منه بماعونه ... اذا ما سماؤهم لم تغم

وقال الراعي

قوم على الإسلام لما يمنعوا ... ماعونهم ويضيعوا التهليلا

وقال اعرابي في ناقة له « كيما انها تعطيك الماعون » أي تنقاد لك وتطيعك واصله القلة من المعن وهو القليل قال الشاعر « فإن هلاك مالك غير معن » أي غير قليل ويقال ماله معن ولا معن فالماعون القليل القيمة مما فيه منفعة ويقال معن الوادي اذا جرت مياهه قليلا قليلا

❋ الإعراب ❋

فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون اعتمد هنا في الخبر على ما جرى في صلة الموصول الذي هو وصف المجرور باللام المتعلق بالخبر ألا ترى ان قوله فويل للمصلين غير محمول على الظاهر والاعتماد على السهو في صلة الذين وقوله الذين هم يراؤون يجوز ان يكون مجرورا على انه صفة للمصلين ويجوز ان يكون منصوبا على اضمار اعني وان يكون مرفوعا على اضمار هم

❋ المعنى ❋

خاطب الله تعالى نبيه ﷺ فقال (أرأيت) يا محمد (الذي يكذب بالدين) اي هذا الكافر الذي يكذب بالجزاء والحساب وينكر البعث مع وضوح الامر في ذلك وقيام الحجج على صحته وانما ذكره سبحانه بلفظ الإستفهام ارادة للمبالغة في الافهام والتكذيب بالجزاء من اضر شيء على صاحبه لأنه يعدم بذلك اكثر الدواعي الى الخير والصوارف عن الشر فهو يتهالك في الإسراع الى الشر الذي يدعوه اليه طبعه إذ لا يخاف عواقب الضرر فيه قال الكلبي نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة عن السدي ومقاتل بن حيان وقيل نزلت في ابي سفيان بن حرب كان ينحر في كل اسبوع جزورين فأتاه يتيم فسأله شيئا فقرعه بعصاه عن ابن جريج وقيل نزلت في رجل من المنافقين عن عطاء عن ابن عباس (فذلك الذي يدع اليتيم) بين سبحانه ان من صفة هذا الذي يكذب بالدين انه يدفع اليتيم عنفا به لأنه لا يؤمن بالجزاء عليه فليس له رادع عنه وقيل يدع اليتيم أي يدفعه عن حقه بجفوة وعنف ويقهره عن ابن عباس ومجاهد (ولا يحض على طعام المسكين) أي لا يطعمه ولا يأمر بإطعامه يعني لا يفعله اذا قدر ولا يحض عليه اذا عجز لأنه يكذب بالجزاء (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) وهم الذين يؤخرون الصلاة عن اوقاتها عن ابن عباس ومسروق وروى ذلك مرفوعا وقيل يريد المنافقين الذين لا يرجون لها ثوابا إن صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها فإذا كانوا مع المؤمنين صلوها رياء واذا لم يكونوا معهم لم يصلوا وهو قوله الذين هم يراؤون عن علي (ع) وابن عباس وقال انس الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم يريد بذلك ان السهو الذي يقع للانسان في صلاته من غير عمد لا يعاقب عليه وقيل ساهون عنها لا يبالون صلوا أم لم يصلوا عن قتادة وقيل هم الذين يتركون

الصلاة عن الضحاك وقيل الذين ان صلوها صلوها رياء وان فاتتهم لم يندموا عن الحسن وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها عن ابي العالية وعنه ايضا قال هو الذي اذا سجد قال برأسه هكذا وهكذا ملتفتا وروى العياشي بالاسناد عن يونس بن عمار عن ابي عبد الله (ع) قال سألته عن قوله الذين هم عن صلاتهم ساهون أهي وسوسة الشيطان فقال لا كل احد يصيبه هذا ولكن ان يغفلها ويدع ان يصلي في اول وقتها وعن ابي اسامة زيد الشحام قال سألت ابا عبد الله (ع) عن قول الله الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الترك لها والتواني عنها وعن محمد بن الفضيل عن ابي الحسن (ع) قال هو التضييع لها وقيل هم الذين (يراؤون) الناس في جميع اعمالهم لم يقصدوا بها الاخلاص لله تعالى (ويمنعون الماعون) اختلف فيه فقيل هي الزكاة المفروضة عن علي وابن عمر والحسن وقتادة والضحاك وروي ذلك عن ابي عبد الله (ع) وقيل هو ما يتعاوره الناس بينهم من الدلو والفأس والقدر وما لا يمنع كالماء والملح عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وروي ذلك مرفوعا وروي ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال هو القرض تقرضه والمعروف تصنعه ومتاع البيت تعيره ومنه الزكاة قال فقلت ان لنا جيرانا إذا اعرناهم متاعا كسروه وافسدوه افعلينا جناح ان نمنعهم فقال لا ليس عليك جناح ان تمنعهم اذا كانوا كذلك وقيل هو المعروف كله عن الكلبي

سورة الكوثر

مكية عن ابن عباس والكلبي مدنية عن عكرمة والضحاك وهي ثلاث آيات بالاجماع

فضلها

في حديث ابي من قرأها سقاه الله من انهار الجنة واعطي من الاجر بعدد كل قربان قربه العباد في يوم عيد ويقربون من اهل الكتاب والمشركين . ابو بصير عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ انا اعطيناك الكوثر في فرائضه ونوافله سقاه الله يوم القيامة من الكوثر وكان محدثه عند محمد صلى الله عليه وآله وسلم

تفسيرها

ذم سبحانه في تلك السورة تاركي الصلاة ومانعي الزكاة وذكر في هذه السورة انهم ان فعلوا ذلك وكذبوه فإنه يعطيه الخير الكثير وامره بالصلاة فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (٢) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٣) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ

اللغة

الكوثر فوعل من الكثرة وهو الشيء الذي من شأنه الكثرة والكوثر الخير الكثير والاعطاء على وجهين اعطاء تمليك واعطاء غير تمليك فأعطاه الكوثر اعطاء تمليك كإعطاء الاجر واصله من عطا يعطو اذا تناول والشانئ المبغض والابتر اصله من الحمار الابتر وهو المقطوع الذنب وفي حديث زياد انه خطب خطبته البتراء

لأنه لم يحمد الله فيها ولم يصل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

الاعراب

وانحر مفعوله محذوف اي وانحر اضحيتك كما حذف لبيد من قوله « وهم العشيرة ان يبطئ حاسد » أي ان يبطأهم حاسد أي أن ينسبهم الى البطوء وقوله ان شانئك هو الابتر لا انت هذا تقديره اي هو مبتور لا انت لأن ذكرك مرفوع مهما ذكرت معي وهو فصل والابتر خبر ان

النزول

قيل نزلت السورة في العاص بن وائل السهمي وذلك انه رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخرج من المسجد فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل العاص قالوا من الذي كنت تتحدث معه قال ذلك الابتر وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو من خديجة وكانوا يسمون من ليس له ابن ابتر فسمته قريش عند موت ابنه ابتر ومبتورا عن ابن عباس

المعنى

خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على وجه التعداد لنعمه عليه فقال (انا اعطيناك الكوثر) اختلفوا في تفسير الكوثر فقيل هو نهر في الجنة عن عائشه وابن عمر قال ابن عباس لما نزلت انا اعطيناك الكوثر صعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فقرأها على الناس فلما نزل قالوا يا رسول الله ما هذا الذي اعطاك الله قال نهر في الجنة اشد بياضا من اللبن واشد استقامة من القدح حافتاه قباب الدر والياقوت ترده طير خضر لها اعناق كأعناق البخت قالوا يا رسول الله ما انعم تلك الطير قال أفلا اخبركم بأنعم منها قالوا بلى قال من اكل الطائر وشرب الماء وفاز برضوان الله وروي عن ابي عبد الله (ع) انه قال نهر في الجنة اعطاه الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم عوضا من ابنه وقيل هو حوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي يكثر الناس عليه يوم القيامة عن عطاء وقال انس بينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاء ثم رفع رأسه مبتسما فقلت ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي آنفا سورة فقرأ سورة الكوثر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم قال فإنه نهر وعدنيه عليه ربي خيرا كثيرا هو حوضي ترد عليه امتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج القرن منهم فأقول يا رب انهم من امتي فيقال انك لا تدري ما احدثوا بعدك اورده مسلم في الصحيح وقيل الكوثر الخير الكثير عن ابن عباس وابن جبير ومجاهد وقيل هو النبوة والكتاب عن عكرمة وقيل هو القرآن عن الحسن وقيل هو كثرة الاصحاب والاشياع عن ابي بكر بن عياش وقيل هو كثرة النسل والذرية وقد ظهرت الكثرة في نسله من ولد فاطمة (ع) حتى لا يحصى عددهم واتصل الى يوم القيامة مددهم وقيل هو الشفاعة رووه عن الصادق (ع) واللفظ يحتمل للكل فيجب ان يحمل على جميع ما ذكر من الاقوال فقد اعطاه الله سبحانه وتعالى الخير الكثير في الدنيا ووعده الخير الكثير في الآخرة وجميع هذه الاقوال تفصيل للجملة التي هي الخير الكثير في الدارين (فصل لربك وانحر) امره سبحانه بالشكر على هذه النعمة العظيمة بأن قال فصل صلاة العيد لأنها عقبها بالنحر أي وانحر هديك واضحيتك عن عطاء وعكرمة وقتادة قال انس بن مالك كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ينحر قبل ان يصلي فأمر ان يصلي ثم ينحر وقيل معناه فصل لربك صلاة الغداة المفروضة بجمع وانحر البدن بمنى عن سعيد بن جبير ومجاهد وقال محمد بن كعب ان اناسا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ان

يكون صلاته ونحره للبدن تقربا اليه وخالصا له وقيل معناه صل لربك الصلاة المكتوبة واستقبل القبلة بنحرك وتقول العرب منازلنا تتناحر أي هذا ينحر هذا يعني يستقبله وانشد

اباحكم هل انت عم مجالد وسيد اهل الأبطح المتناحر

أي ينحر بعضه بعضا وهذا قول الفراء واما ما رووه عن علي (ع) ان معناه ضع يدك اليمنى على اليسرى حذاء النحر في الصلاة فما لا يصح عنه لأن جميع عترته الطاهرة (ع) قد رووه عنه بخلاف ذلك وهو ان معناه ارفع يديك الى النحر في الصلاة وعن عمر بن يزيد قال سمعت اباعبدالله (ع) يقول في قوله فصل لربك وانحر هو رفع يديك حذاء وجهك وروى عنه عبد الله بن سنان مثله وعن جميل قال قلت لأبي عبد الله (ع) فصل لربك وانحر فقال بيده هكذا يعني استقبل بيديه حذو وجهه القبلة في افتتاح الصلاة وعن حماد ابن عثمان قال سألت اباعبد الله (ع) ما النحر فرفع يده الى صدره فقال هكذا ثم رفعها فوق ذلك فقال هكذا يعني استقبل بيديه القبلة في استفتاح الصلاة وروي عن مقاتل بن حيان عن الاصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين (ع) قال لما نزلت هذه السورة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل (ع) ما هذه النحيرة التي امرني بها ربي قال ليست بنحيرة ولكنه يأمرك اذا تحرمت الصلاة ان ترفع يديك اذا كبرت واذا ركعت واذا رفعت رأسك من الركوع واذا سجدت فإنه صلاتنا وصلاة الملائكة في السماوات السبع فإن لكل شيء زينة وان زينة الصلاة رفع الايدي عند كل تكبيرة قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفع الايدي من الاستكانة قلت وما الاستكانة قال ألا تقرأ هذه الآية فما استكانوا لربهم وما يتضرعون اورده الثعلبي والواحدي في تفسيريهما (ان شانئك هو الابتر) معناه ان مبغضك هو المنقطع عن الخير وهو العاص بن وائل وقيل معناه انه الاقل الاذل بانقطاعه عن كل خير عن قتادة وقيل معناه انه لا ولد له على الحقيقة وان من ينسب اليه ليس بولده قال مجاهد الابتر الذي لا عقب له وهو جواب لقول قريش ان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم لا عقب له يموت فنستريح منه ويدرس دينه إذ لا يقوم مقامه من يدعو اليه فينقطع امره وفي هذه السورة دلالات على صدق نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وصحة نبوته * احدها * انه اخبر عما في نفوس أعدائه وما جرى على ألسنتهم ولم يكن بلغه ذلك فكان على ما اخبر * وثانيها * انه قال اعطيناك الكوثر فانظر كيف انتشر دينه وعلا امره وكثرت ذريته حتى صار نسبه اكثر من كل نسب ولم يكن شيء من ذلك في تلك الحال * وثالثها * ان جميع فصحاء العرب والعجم قد عجزوا عن الإتيان بمثل هذه السورة على وجازة الفاظها مع تحديه اياهم بذلك وحرصهم على بطلان امره منذ بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى يوم الناس هذا وهذا غاية الإعجاز * ورابعها * انه سبحانه وعده بالنصر على اعدائه واخبره بسقوط امرهم وانقطاع دينهم أو عقبهم فكان المخبر على ما اخبر به هذا وفي هذه السورة الموجزة من تشاكل المقاطع للفواصل وسهولة مخارج الحروف بحسن التأليف والتقابل لكل من معانيها بما هو اولى به ما لا يخفى على من عرف مجاري كلام العرب

سورة قل يا ايها الكافرون

مكية وعن ابن عباس وقتادة مدنية وهي ست آيات بالاجماع

فضلها

في حديث ابي ومن قرأ قل يا ايها الكافرون فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر . وعن جبير بن مطعم قال قال لي رسول الله ﷺ أتحب يا جبير ان تكون اذا خرجت سفرا من أمثل اصحابك هيئة واكثرهم زاداً قلت نعم بأبي أنت وامي يا رسول الله قال فاقرأ هذه السور الخمس قل يا ايها الكافرون واذا جاء نصر الله والفتح وقل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس وافتتح قراءتك ببسم الله الرحمن الرحيم قال جبير وكنت غير كثير المال وكنت اخرج مع من شاء الله ان اخرج فاكون اكثرهم همة وأمثلهم زاداً حتى ارجع من سفري ذلك وعن فروة بن نوفل الاشجعي عن ابيه انه اتى النبي ﷺ فقال جئت يا رسول الله لتعلمني شيئا اقوله عند منامي قال اذا اخذت مضجعك فاقرأ قل يا ايها الكافرون ثم نم على خاتمتها فإنها براءة من الشرك . شعيب الحداد عن ابي عبد الله (ع) قال كان ابي يقول قل يا ايها الكافرون ربع القرآن وكان اذا فرغ منها قال اعبد الله وحده اعبد الله وحده . وعن هشام بن سالم عن ابي عبد الله (ع) قال اذا قلت لا اعبد ما تعبدون فقل ولكني اعبد الله مخلصا له ديني فإذا فرغت منها فقل ديني الإسلام ثلاث مرات . وعن الحسين بن ابي العلاء قال من قرأ قل يا أيها الكافرون وقل هو الله احد في فريضة من الفرائض غفر الله له ولوالديه وما ولدا وإن كان شقيا محي من ديوان الاشقياء وكتب في ديوان السعداء وأحياه الله سعيدا وأماته شهيداً وبعثه شهيداً

تفسيرها

ذكر سبحانه في تلك السورة ان أعداءه عابوه بأنه ابتر فرد ذلك عليهم وذكر في هذه السورة انهم سألوه المداهنة فأمره بالبراءة منهم فقال

بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ (١) قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (٢) لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ (٣) وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ ما أَعْبُدُ (٤) وَلا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُمْ (٥) وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ (٦) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ

القراءة

قرأ نافع وابن كثير وحفص عن عاصم ليَ دين بفتح الياء والباقون بسكون الياء

الحجة

اسكان الياء من ولي وفتحها جميعاً حسنان سائغان

الاعراب

ولا أنتم عابدون ما أعبد كان الوجه من أعبد ولكنه جاء بما ليطابق ما قبله وما بعده وقيل أن ما هاهنا بمعنى من والعائد من الصلة إلى الموصول في الجميع محذوف والتقدير ماتعبدونه وما أعبده وماعبدتموه

النزول

نزلت السورة في نفر من قريش منهم الحارث بن قيس السهمي والعاص بن أبي وائل والوليد بن المغيرة

والاسود بن عبد يغوث الزهري والاسود بن المطلب بن أسد وأمية بن خلف قالوا هلم يا محمد فاتبع ديننا نتبع دينك ونشركك في أمرنا كله تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فإن كان الذي جئت به خيرا مما بأيدينا كنا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه وان كان الذي بأيدينا خيرا مما في يديك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه فقال ﷺ معاذ الله ان أشرك به غيره قالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فقال حتى انظر ما يأتي من عند ربي فنزل قل يا أيها الكافرون السورة فعدل رسول الله ﷺ الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم ثم قرأ عليهم حتى فرغ من السورة فأيسوا عند ذلك فآذوه وآذوا أصحابه قال ابن عباس وفيهم نزل قوله قل أفغير الله تأمروني أعبد ايها الجاهلون

﴿ المعنى ﴾

خاطب سبحانه النبي ﷺ فقال (قل) يا محمد (يا أيها الكافرون) يريد قوما معينين لأن الالف واللام للعهد (لا أعبد ما تعبدون) أي لا أعبد آلهتكم التي تعبدونها اليوم وفي هذه الحال (ولا انتم عابدون ما أعبد) أي إلهي الذي أعبده اليوم وفي هذه الحال أيضا (ولا أنا عابد ما عبدتم) فيما بعد اليوم (ولا أنتم عابدون ما أعبد) فيما بعد اليوم من الاوقات المستقبلة عن ابن عباس ومقاتل قال الزجاج نفى رسول الله ﷺ بهذه السورة عبادة آلهتهم عن نفسه في الحال وفيما يستقبل ونفى عنهم عبادة الله في الحال وفيما يستقبل وهذا في قوم أعلمه الله سبحانه أنهم لا يؤمنون كقوله سبحانه في قصة نوح (ع) انه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن وقيل أيضا في وجه التكرار ان القرآن نزل بلغة العرب ومن عادتهم تكرير الكلام للتأكيد والافهام فيقول المجيب بلى بلى ويقول الممتنع لا لا عن الفراء قال ومثله قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وانشد

وكائن وكم عندي لهم من صنيعة ... أيادي ثنوها علي وأوجبوا

وانشد ... كم نعمة كانت لكم ... كم كم وكم

وقال آخر

نعق الغراب ببين ليلى غدوة ... كم كم وكم بفراق ليلى ينعق

وقال آخر «هلا سألت جموع كندة يوم ولوا أين أينا» وقال آخر

أردت لنفسي بعض الامور ... فأولى لنفسي أولى لها

قال وهذا أولى المواضع بالتأكيد لأن الكافرين أبدأوا في ذلك وأعادوا فكرر سبحانه ليؤكد إياسهم وحسم اطماعهم بالتكرير وقيل أيضا في ذلك ان المعنى لا أعبد الاصنام التي تعبدونها ولا انتم عابدون الله الذي أنا عابده إذا أشركتم به واتخذتم الاصنام وغيرها تعبدونها من دونه وانما يعبد الله من اخلص العبادة له ولا انا عابد ما عبدتم اي لا أعبد عبادتكم فيكون ما مصدرية ولا انتم عابدون ما أعبد أي وما تعبدون عبادتي على نحو ما ذكرناه فأراد في الأول المعبود وفي الثاني العبادة فإن قيل اما اختلاف المعبودين فمعلوم فما معنى اختلاف العبادة (قلنا) انه يعبد الله على وجه الاخلاص وهم يشركون به في عبادته فاختلفت العبادتان ولأنه كان يتقرب إلى عبادته إلى معبوده بالافعال المشروعة الواقعة على وجه العبادة وهم لا يفعلون ذلك وانما يتقربون اليه بأفعال يعتقدونها قربة جهلا من غير شرع (لكم دينكم ولي دين) ذكر فيه وجوه ﴿احدها﴾

ان معناه لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه *وثانيها* ان المعنى لكم كفركم بالله ولي دين التوحيد والاخلاص وهذا وان كان ظاهره اباحة فإنه وعيد وتهديد ومبالغة في النهي والزجر كقوله اعملوا ما شئتم *وثالثها* ان الدين الجزاء ومعناه لكم جزاؤكم ولي جزائي قال الشاعر

إذا مالقونا لقيناهم - ودناهم مثل ما يقرضونا

وقد تضمنت السورة معجزة لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم من جهة الاخبار بما يكون في الأوقات المستقبلة مما لا سبيل إلى علمه إلا بوحي من قبل الله سبحانه العالم بالغيوب فكان ما أخبر به كما اخبر وفيها دلالة على ذم المداهنة في الدين ووجوب مخالفة الكفار والمبطلين والبراءة منهم وروى داود بن الحصين عن ابي عبد الله (ع) قال إذا قرأت قل يا ايها الكافرون فقل ايها الكافرون وإذا قلت لا اعبد ما تعبدون فقل اعبد الله وحده وإذا قلت لكم دينكم ولي دين فقل ربي الله وديني الاسلام

سورة النصر

مدنية وهي ثلاث آيات بالإجماع

فضلها

في حديث ابي من قرأها فكأنما شهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتح مكة وروى كرام الخثعمي عن ابي عبد الله (ع) قال من قرأ اذا جاء نصر الله والفتح في نافلة او فريضة نصره الله على جميع اعدائه وجاء يوم القيامة ومعه كتاب ينطق قد اخرجه الله من جوف قبره فيه امان من حر جهنم ومن النار ومن زفير جهنم يسمعه بأذنيه فلا يمر على شيء يوم القيامة إلا بشره واخبره بكل خير حتى يدخل الجنة

تفسيرها

ختم الله سبحانه تلك السورة بذكر الدين وافتتح هذه السورة بظهور الدين فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ (٢) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا (٤) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا

الاعراب

مفعول جاء محذوف والتقدير اذا جاءك نصر الله وجواب اذا محذوف والتقدير اذا جاء نصر الله حضر اجلك وقيل جوابه الفاء في قوله فسبح وافواجا منصوب على الحال

المعنى

(إذا جاء) يا محمد (نصر الله) على من عاداك وهم قريش (والفتح) فتح مكة وهذه بشارة من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم بالنصر والفتح قبل وقوع الامر (ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا) اي جماعة بعد جماعة وزمرة بعد زمرة والمراد بالدين الإسلام والتزام احكامه واعتقاد صحته وتوطين النفس على العمل به قال الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مكة قالت العرب اما اذا ظفر محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأهل الحرم وقد أجارهم الله

من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان أي طاقة فكانوا يدخلون في دين الله أفواجا أي جماعات كثيرة بعد ان كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا او اثنين اثنين فصارت القبيلة تدخل بأسرها في الاسلام وقيل في دين الله أي في طاعة الله وطاعتك وأصل الدين الجزاء ثم يعبر به عن الطاعة التي يستحق بها الجزاء كما قال سبحانه في دين الملك اي في طاعته (فسبح بحمد ربك واستغفره) هذا امر من الله سبحانه بأن ينزه عما لا يليق بـه من صفات النقص وأن يستغفره ووجه وجوب ذلك بالنصر والفتح ان النعمة تقتضي القيام بحقها وهو شكر المنعم وتعظيمه والائتمار بأوامره والانتهاء عن معاصيه فكأنه قال قد حدث امر يقتضي الشكر والاستغفار وان لم يكن ثم ذنب فإن الاستغفار قد يكون عند ذكر المعصية بما ينافي الاصرار وقد يكون على وجه التسبيح والانقطاع الى الله عز وجل (انه كان توابا) يقبل توبة من بقي كما قبل توبة من مضى قال مقاتل لما نزلت هذه السورة قرأها ﷺ على اصحابه ففرحوا واستبشروا وسمعها العباس فبكى فقال ﷺ ما يبكيك يا عم فقال أظن انه قد نعيت اليك نفسك يا رسول الله فقال انه لكما تقول فعاش بعدها سنتين ما رؤي فيهما ضاحكا مستبشراً قال وهذه السورة تسمى سورة التوديع وقال ابن عباس لما نزلت إذا جاء نصر الله قال نعيت الي نفسي بأنهـا مقبوضة في هذه السنة واختلف في انهم من اي وجه علموا ذلك وليس في ظاهره نعي فقيل لأن التقدير فسبح بحمد ربك فإنك حينئذ لاحق بالله وذائق الموت كما ذاق من قبلك من الرسل وعند الكمال يرقب الزوال كما قيل

إذا تم أمر بدا نقصه توقع زوالا إذا قيل تم

وقيل لأنه سبحانه امره بتجديد التوحيد واستدراك الفائت بالاستغفار وذلك ممـا يلزم عند الانتقال من هذه الدار الى دار الابرار وعن عبد الله مسعود قال لمـا نزلت السورة كان النبي ﷺ يقول كثيراً سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي انك انت التواب الرحيم وعن امسلمة قالت كان رسول الله ﷺ بالآخرة لا يقوم ولا يقعد ولا يجيء ولا يذهب الا قال سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فسألناه عن ذلك فقال ﷺ اني امرت بها ثم قرأ اذا جاء نصر الله والفتح وفي رواية عائشة انه كان يقول سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك واتوب اليك

حديث فتح مكة

لما صالح رسول الله ﷺ قريشاً عام الحديبية كان في اشراطهم انه من احب ان يدخل في عهد رسول الله ﷺ دخل فيه فدخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ ودخلت بنو بكر في عقد قريش وكان بين القبيلتين شر قديم ثم وقعت فيما بعد بين بني بكر وخزاعة مقاتلة ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا وكان ممن اعان بني بكر على خزاعة بنفسه عكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو فركب عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد بين ظهراني القوم فقال

لا هم اني ناشد محمـدا حلف ابينا وابيه الاتلدا
إن قريشا اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله حسبك ياعمرو ثم قام فدخل دار ميمونة وقال اسكبي لي مــاء فجعل يغتسل وهو يقول لا نصرت ان لم انصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأخبروه بما اصيب منهم ومظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان ﷺ قال للناس كأنكم بأبي سفيان قد جاء ليشدد العقد ويزيد في المدة وسيلقى بديل بن ورقاء فلقوا ابا سفيان بعسفان وقد بعثته قريش الى النبي ﷺ ليشدد العقد فلما لقي ابو سفيان بديلا قال مــن اين اقبلت يا بديل قال سرت في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال ماأتيت محمداً قال لا فلما راح بديل الى مكة قال ابو سفيان لئن كان جاء مــن المدينة لقد علف بها النوى فعمد الى مبرك ناقته واخذ من بعرها ففته فرأى فيه النوى فقال احلف بالله تعالى لقد جاء بديل محمدا ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ فقال يا محمد احقن دم قومك واجر بين قريش وزدنا في المدة فقال ﷺ اغدرتم يا ابا سفيان قال لا قال ﷺ فنحن على ما كنا عليه فخرج فلقي ابا بكر فقال اجر بين قريش قال ويحك واحد يجير على رسول الله ﷺ ثم لقي عمر بن الخطاب فقال له مثل ذلك ثم خرج فدخل على ام حبيبة فذهب ليجلس على الفراش فأهوت الى الفراش فطوته فقال يا بنية ارغبت بهذا الفراش عني فقالت نعم هذا فراش رسول الله ﷺ ما كنت لتجلس عليه وانت رجس مشرك ثم خرج فدخل عــلى فاطمة (ع) فقال يا بنت سيد العرب تجيرين بين قريش و تزيدين في المدة فتكونــين اكرم سيدة في الناس فقالت جواري جوار رسول الله ﷺ قال أتأمرين ابنيك ان يجيرا بين الناس قالت والله ما بلغ ابناي ان يجيرا بين الناس وما يجير على رسول الله ﷺ احد فقال يا ابا الحسن اني ارى الامور قد اشتدت علي فانصحني فقال علي (ع) انك شيخ قريش فقم على باب المسجد وأجر بين قريش ثم الحق بأرضك قال وترى ذلك مغنيا عني شيئا قال لا والله ما أظن ذلك ولكن لا أجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد فقال يا أيها الناس اني قد اجرت بين قريش ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراك فأخبرهم بالقصة فقالوا والله ان اراد علي بن ابي طالب على ان لعب بك فما يغني عنا ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال فأمر رسول الله ﷺ بالجهاز لحرب مكة وامر الناس بالتهيئة وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها وكتب حاطب بن ابي بلتعة الى قريش فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء فبعث عليا (ع) والزبير حتى اخذا كتابه من المرأة وقد مضت هذه القصة في سورة الممتحنة ثم استخلف رسول الله ﷺ ابا ذر الغفاري وخرج عامداً الى مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان في عشرة آلاف من المسلمين ونحو من اربعمائة فارس ولم يتخلف من المهاجرين والانصار عنه احد وقد كان ابو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن امية بن المغيرة قد لقيا رسول الله ﷺ بنيق العقاب فيما بــين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه فلم يأذن لهما فكلمته أم سلمة فيهما فقالت يا رسول الله ابن عمك وابن عمتك وصهرك قال لا حاجة لي فيهما اما ابن عمي فهتك عرضي واما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ماقال فلما خرج الخبر اليهما بذلك ومع ابي سفيان بني له فقال والله ليأذنن لي او لآخذن بيد بني هــذا ثم لنذهبن في الارض حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ رقّ لهما فأذن لهما فدخلا عليه فأسلما فلما نزل رسول الله مرالظهران وقد غمت الاخبار عن قريش فلا يأتيهم عن رسول الله ﷺ

خبر خرج في تلك الليلة ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يتجسسون الاخبار وقد قال العباس ليلتئذ يا سوء صباح قريش والله لئن بغتها رسول الله في بلادها فدخل مكة عنوة انه لهلاك قريش الى آخر الدهر فخرج على بغلة رسول الله وقال أخرج الى الاراك لعلي ارى حطابا او صاحب لبن او داخلا يدخل مكة فنخبرهم بمكان رسول الله فيأتونه فيستأمنونه قال العباس فوالله اني لأطوف في الاراك التمس ما خرجت له إذ سمعت صوت ابي سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء وسمعت ابا سفيان يقول والله ما رأيت كالليلة قط نيرانا فقال بديل هذه نيران خزاعة فقال ابو سفيان خزاعة ألأم من ذلك قال فعرفت صوته فقلت يا ابا حنظلة يعني ابا سفيان فقال ابو الفضل فقلت نعم قال لبيك فداك ابي وامي ما وراك فقلت هذا رسول الله وراءك قد جاء بما لا قبل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين قال فما تأمرني فقلت تركب عجز هذه البغلة فأستأمن لك رسول الله ﷺ فوالله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فردفني فخرجت اركض به بغلة رسول الله فكلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا هذا عم رسول الله ﷺ على بغلة رسول الله حتى مررت بنار عمر بن الخطاب فقال يعني عمر يا ابا سفيان الحمد لله الذي امكن منك بغير عهد ولا عقد ثم اشتد نحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة حتى اقتحمت باب القبة وسبقت عمر بما يسبق به الدابة البطيئة الرجل البطيء فدخل عمر فقال يا رسول الله هذا ابوسفيان عدو الله قد امكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني اضرب عنقه فقلت يا رسول الله اني قد اجرته ثم اني جلست الى رسول الله ﷺ واخذت برأسه وقلت والله لا يناجيه اليوم احد دوني فلما اكثر فيه عمر قلت مهلا يا عمر فوالله ما يصنع هذا الرجل الا أنه رجل من آل بني عبد مناف ولو كان من عدي بن كعب ما قلت هذا قال مهلا يا عباس فوالله لإسلامك يوم اسلمت كان أحب الي من اسلام الخطاب لو اسلم فقال ﷺ اذهب فقد أمناه حتى تغدو به علي في الغداة قال فلما أصبح غدوت به على رسول الله ﷺ فلما رآه قال ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك ان تعلم ان لا إله الا الله فقال بأبي انت وأمي ما اوصلك وا كرمك وارحمك وأحلمك والله لقد ظننت ان لو كان معه إله لأغنى يوم بدر ويوم احد فقال ويحك يا ابا سفيان ألم يأن لك ان تعلم أني رسول الله فقال بأبي أنت وامي اماهذه فإن في النفس منها شيئا قال العباس فقلت له ويحك اشهد بشهادة الحق قبل ان يضرب عنقك فتشهد فقال ﷺ للعباس انصرف يا عباس فاحبسه عند مضيق الوادي حتى تمر عليه جنود الله قال فحبسته عند خطم الجبل بمضيق الوادي ومر عليه القبائل قبيلة قبيلة وهو يقول من هؤلاء واقول اسلم وجهينة وفلان حتى مر رسول الله ﷺ في الكتيبة الخضراء من المهاجرين والانصار في الحديد لا يرى منهم الا الحدق فقال من هؤلاء يا ابا الفضل قلت هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والانصار فقال يا ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما فقلت ويحك انها النبوة فقال نعم اذاً وجاء حكيم بن حزام وبديل بن ورقاء رسول الله ﷺ واسلما وبايعاه فلما بايعاه بعثهما رسول الله ﷺ بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الإسلام وقال من دخل دار أبي سفيان وهي بأعلى مكة فهو آمن ومن دخل دار حكيم وهي بأسفل مكة فهو آمن ومن اغلق بابه وكف يده فهو آمن ولما خرج ابو سفيان وحكيم من عند رسول الله ﷺ عامدين الى مكة بعث في أثرهما الزبير بن العوام وامره على خيل المهاجرين وامره ان يغرز رايته بأعلى مكة بالحجون وقال له لا تبرح حتى آتيك ثم دخل رسول الله ﷺ مكة وضربت هناك

خيمته وبعث سعد بن عبادة في كتيبة الانصار في مقدمته وبعث خالد بن الوليد فيمن كان اسلم من قضاعة وبني سليم وامره ان يدخل أسفل مكة ويغرز رايته دون البيوت وامرهم رسول الله ﷺ جميعاً أن يكفوا أيديهم ولا يقاتلوا الا من قاتلهم وامرهم بقتل أربعة نفر عبد الله بن سعد بن ابي سرح والحويرث بن نفيل وابن خطل ومقيس بن ضبابة وامرهم بقتل قينتين كانتا تغنيان بهجاء رسول الله ﷺ وقال اقتلوهم وان وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة فقتل علي (ع) الحويرث بن نفيل واحدى القينتين وافلتت الاخرى وقتل مقيس بن ضبابة في السوق وادرك ابن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق اليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر فسبق سعيد عماراً فقتله قال وسعى ابو سفيان الى رسول الله ﷺ واخذ غرزه اي ركابه فقبله ثم قال بأبي انت وامي أما تسمع مايقول سعد إنه يقول اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة فقال ﷺ لعلي (ع) ادركه فخذ الراية منه وكن أنت الذي يدخل بها وادخلها ادخالا رفيقا فأخذها علي (ع) وادخلها كما امر ولما دخل رسول الله ﷺ مكة دخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنون ان السيف لا يرفع عنهم وأتى رسول الله ووقف قائماً على باب الكعبة فقال لا إله الا الله وحده وحده انجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا ان كل مال اومأثرة ودم تدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فإنها مردودتان إلى اهليها الا ان مكة محرمة بتحريم الله لم تحل لأحد كان قبلي ولم تحل لي الا ساعة من نهار وهي محرمة الى ان تقوم الساعة لا يختلى خلاها ولا يقطع شجرها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد ثم قال ألا لبئس جيران النبي كنتم لقد كذبتم وطردتم واخرجتم وآذيتم ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني فاذهبوا فأنتم الطلقاء فخرج القوم فكأنما انشروا من القبور ودخلوا في الإسلام وكان الله سبحانه امكنه من رقابهم عنوة فكانوا فيأ فلذلك سمي اهل مكة الطلقاء وجاء ابن الزبعرى الى رسول الله ﷺ واسلم وقال

يا رسول الإله إن لساني	راتق ما فتقت إذ انا بور
إذ أباري الشيطان في سنن ال	غي ومن مال ميله مثبور
أمن اللحم والعظام لربي	ثم نفسي الشهيد انت النذير

وعن ابن مسعود قال دخل النبي ﷺ يوم الفتح وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا وعن ابن عباس قال لما قدم النبي ﷺ إلى مكة ابى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت صورة ابراهيم واسماعيل (ع) وفي ايديهما الازلام فقال ﷺ قاتلهم الله أما والله لقد علموا انهما لم يستقسما بها قط

سورة تبت

وتسمى ايضا سورة ابي لهب وتسمى سورة المسد مكية

﴿ عدد آيها ﴾

خمس آيات بالاجماع.

﴿ فضلها ﴾

في حديث ابي من قرأها رجوت ان لا يجمع الله بينه وبين ابي لهب في دار واحدة عن ابي عبدالله (ع) قال اذا قرأتم تبت فادعوا على ابي لهب فإنه كان من المكذبين بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به من عند الله

﴿ تفسيرها ﴾

ذكر سبحانه في تلك السورة وعده بالنصر والفتح ثم بين في هذه السورة ما كفاه الله من امر ابي لهب فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (٢) ما أَغْنى عَنْهُ مالُهُ وَما كَسَبَ (٢) سَيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابن كثير ابي لهب ساكنة الهاء والباقون بفتحها واتفقوا في ذات لهب انها مفتوحة الهاء لوفاق الفواصل وقرأ عاصم حمالة الحطب بالنصب والباقون بالرفع وروي عن البرجمي سيصلى بضم الياء وهي قراءة اشهب العقيلي وابي رجاء وفي الشواذ قراءة ابن مسعود ومرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي يشبه ان يكون لهب ولهب لغتين كالشمع والشمع والنهر والنهر واتفاقهم في الثانية على الفتح يدل على انه اوجه من الإسكان وكذلك قوله ولا يغني من اللهب واما حمالة الحطب فمن رفع جعله وصفا لقوله وامرأته ويدل على ان الفعل قد وقع كقولك مررت برجل ضارب عمرا امس فهذا لا يكون إلا معرفة ولا يقدر فيه الا الانفصال كما يقدر في هذا النحو اذا لم يكن الفعل واقعا واما ارتفاع امرأته فيحتمل وجهين ﴿ احدهما ﴾ العطف على فاعل سيصلى التقدير سيصلى نارا هو وامرأته الا ان الاحسن الا يؤكد لما جرى من الفصل بينهما ويكون حمالة الحطب على هذا وصفا لها ويجوز في قوله في جيدها أن يكون في موضع حال وفيها ذكر منها ويتعلق بمحذوف ويجوز فيه وجه آخر وهو ان يرتفع امرأته بالابتداء وحمالة وصف لها وفي جيدها خبر المبتدأ واما النصب في حمالة الحطب فعلى الذم لها كأنها كانت اشتهرت بذلك فجرت الصفة عليها للذم لا للتخصيص والتخليص من موصوف غيرها وقوله حبل معناه غليظ . رجل حبل الوجه وحبل الرأس

﴿ اللغة ﴾

التب والتباب الخسران والمؤدي الى الهلاك والمسد الحبل من الليف وجمعه امساد قال .

ومسد أمرّ من ايانق لیس بأنياب ولا حقائق

النزول

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال صعد رسول الله ﷺ ذات يوم الصفا فقال يا صباحاه فأقبلت اليه قريش فقالوا له مالك فقال أرأيتم لو اخبرتكم ان العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك لهذا دعوتنا جميعا فأنزل الله هذه السورة أورده البخاري في الصحيح

المعنى

(تبت يدا ابي لهب وتب) أي خسرت يداه وخسر هو عن مقاتل وانما قال خسرت يداه لأن اكثر العمل يكون باليد والمراد خسر عمله وخسرت نفسه بالوقوع في النار وقيل ان اليد هنا صلة كقولهم يد الدهر ويد السنة قال « وأيدي الرزايا بالذخائر مولع؟ » وقيل معناه صفرت يداه من كل خير قال الفراء الاول دعاء والثاني خبر فكأنه قال اهلكه الله وقد هلك وفي حرف عبد الله وأبي وقد تب وقيل ان الاول ايضا ومعناه انه لم تكتسب يداه خيراً قط وخسر مع ذلك هو نفسه اي تب على كل حال وابو لهب هو ابن عبد المطلب عم النبي ﷺ وكان شديد المعاداة والمناصبة له قال طارق المحاربي بينا انا بسوق ذي المجاز اذا انا بشاب يقول ايها الناس قولوا لا إله الا الله تفلحوا واذا برجل خلفه يرميه قد ادمى ساقيه وعرقوبيه ويقول يا ايها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا هو محمد يزعم انه نبي وهذا عمه ابو لهب يزعم انه كذاب وانما ذكر سبحانه كنيته دون اسمه لأنها كانت اغلب عليه وقيل لأن اسمه عبد العزى فكره الله سبحانه ان ينسبه الى العزى وانه ليس بعبد لها وانما هو عبد الله وقيل بل اسمه كنيته وانما سمي بذلك لحسنه واشراق وجهه وكانت وجنتاه كأنهما تلتهبان عن مقاتل (ما اغنى عنه ماله وما كسب) اي ما نفعه ولا دفع عنه عذاب الله ما له وما كسبه ويكون ما في قوله وما كسب موصولة والضمير العائد من الصلة محذوف وقيل معناه اي شيء اغنى عنه ماله وما كسب يعني ولده لأن ولد الرجل من كسبه وذلك انه قال لما انذره النبي ﷺ بالنار ان كان ما تقول حقا فإني افتدي بمالي وولدي ثم انذره سبحانه بالنار فقال (سيصلى نارا ذات لهب) اي سيدخل نارا ذات قوة واشتعال تلتهب عليه وهي نار جهنم وفي هذا دلالة على صدق النبي ﷺ وصحة نبوته لأنه اخبر ان ابا لهب يموت على كفره وكان كما قال (وامرأته) وهي ام جميل بنت حرب اخت ابي سفيان (حمالة الحطب) كانت تحمل الشوك والعضاة فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ اذا خرج الى الصلاة ليعقره عن ابن عباس وفي رواية الضحاك قال الربيع بن انس كانت تبث وتنشر الشوك على طريق الرسول فيطأه كما يطأ احدكم الحرير وقيل انها كانت تمشي بالنميمة بين الناس فتلقي بينهم العداوة وتوقد نارها بالتهييج كما توقد النار الحطب فسمي النميمة حطبا عن ابن عباس في رواية اخرى وقتادة ومجاهد وعكرمة والسدي قالت العرب فلان يحطب على فلان اذا كان يغري به وقال « ولم يمش بين الحي بالحطب الرطب » اي لم يمش بالنميمة وقيل حمالة الحطب معناه حمالة الخطايا عن سعيد بن جبير وابي مسلم ونظيره قوله وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم (في جيدها حبل من مسد) اي في عنقها حبل من ليف وانما وصفها بهذه الصفة تخسيسا لها وتحقيرا وقيل حبل يكون له خشونة الليف وحرارة النار وثقل الحديد يجعل في عنقها زيادة في عذابها وقيل في عنقها سلسلة من حديد طولها سبعون

ذراعا تدخل من فيها وتخرج من دبرها وتدار على عنقها في النار عن ابن عباس وعروة بن الزبير وسميت السلسلة مسدا بمعنى انها ممسودة اي مفتولةوقيل انها كانت لها قلادة فاخرةمن جوهر فقالت لأ نفقنهافي عداوة محمدفيكون عذابا يوم القيامة في عنقها عن سعيد بن المسيب ويروى عن اسماء بنت ابي بكر قالت لمانزلت هذه السورة اقبلت العوراء ام جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول « مذمما أبينا ودينه قلينا وامره عصينا» والنبي ﷺ جالس في المسجد ومعه ابوبكر فلمارآها ابوبكر قال يا رسول الله قد اقبلت وانا اخاف ان تراك قال رسول الله ﷺ انها لن تراني وقرأ قرآنا فاعتصم به كما قال واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فوقفت على ابي بكر ولم تر رسول الله فقالت يا ابا بكر اخبرت ان صاحبك هجاني فقال لا ورب البيت ما هجاك فولت وهي تقول « قريش تعلم اني بنت سيدها » وروي ان النبي ﷺ قال صرف الله سبحانه عني انهم يذمون مذمما وانا محمد ومتى قيل كيف يجوز ان لا ترى النبي ﷺ وقد رأت غيره فالجواب يجوز ان يكون الله قدعكس شعاع عينيها او صلب الهواء فلم ينفذ فيه الشعاع او فرق الشعاع فلم يتصل بالنبي ﷺ وروي ان النبي ﷺ قال ما زال ملك يسترني عنها واذا قيل هل كان يلزم ابا لهب الايمان بعد هذه السورة وهل كان يقدر على الايمان ولو آمن لكان فيه تكذيب خبر الله سبحانه بأنه سيصلى نارا ذات لهب فالجواب ان الايمان يلزمه لأن تكليف الايمان ثابت عليه وانما توعده الله بشرط ان لا يؤمن الا ترى الى قوله سبحانه في قصة فرعون الآن وقد عصيت قبل وفي هذا دلالة على انه لو تاب قبل وقت اليأس لكان يقبل منه ولهذا خص رد التوبة عليه بذلك الوقت وايضا فلو قدرنا ان ابا لهب سأل النبي ﷺ قال لو آمنت هل ادخل النار لكان ﷺ يقول له لا وذلك لعدم الشرط

سورة الاخلاص

مكية وقيل مدنية وسميت سورة التوحيد لأنه ليس فيها إلا التوحيد و كلمة التوحيد تسمى كلمة الاخلاص وقيل إنما سميت بذلك لأن من تمسك بما فيها اعتقادا واقرارا كان مؤمنا مخلصا وقيل لأن من قرأها على سبيل التعظيم اخلصه الله من النار اي انجاه منها وتسمى ايضا سورة الصمد وتسمى ايضا بفاتحتها وتسمى ايضا نسبة الرب وروي في الحديث لكل شيء نسبة ونسبة الرب سورة الاخلاص وفي الحديث ايضا انه كان يقول السورتين قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد المقشقشتان سميتا بذلك لأنهما يبرئان من الشرك والنفاق يقال تقشقش المريض من علته اذا افاق وبرئ وقشقشه ابرأه كما يقشقش الهناء الجرب

❋ عدد آيها ❋

خمس آيات مكي شامي اربع في الباقين

❋ اختلافها ❋

آية لم يلد مكي شامي

فضلها

في حديث ابي من قرأها فكأنما قرأ ثلث القرآن واعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من آمن بالله وملائكته و كتبه ورسله واليوم الآخر وعن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال أيعجز احدكم ان يقرأ ثلث القرآن في ليلة قلت يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال اقرأوا قل هو الله احد وعن انس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من قرأ قل هو الله احد مرة بورك عليه فإن قرأها مرتين بورك عليه وعلى اهله فإن قرأها ثلاث مرات بورك عليه وعلى اهله وعلى جميع جيرانه فإن قرأها اثنتي عشر مرة بني له اثنا عشر قصرا في الجنة فتقول الحفظة انطلقوا بنا ننظر الى قصر اخينا فإن قرأها مائة مرة كفر عنه ذنوب خمس وعشرين سنة ما خلا الدماء والاموال فإن قرأها اربعمائة كفر عنه ذنوب اربعمائة سنة فإن قرأها الف مرة لم يمت حتى يرى مكانه من الجنة أو يرى له وعن سهل بن سعد الساعدي قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فشكا اليه الفقر وضيق المعاش فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا دخلت بيتك فسلم ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد فسلم واقرأ قل هو الله احد مرة واحدة ففعل الرجل فأفاض الله عليه رزقا حتى افاض على جيرانه . السكوني عن ابي عبد الله (ع) ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلى على سعد بن معاذ فلما صلى عليه قال صلى الله عليه وآله وسلم لقد وافى من الملائكة سبعون الف ملك وفيهم جبرائيل (ع) يصلون عليه فقلت يا جبرائيل بم استحق صلاتكم عليه قال بقراءة قل هو الله أحد قاعدا وقائما وراكبا وماشيا وذاهبا وجائيا . منصور بن حازم عن ابي عبد الله (ع) قال من مضى به يوم واحد فصلى فيه الخمس صلوات ولم يقرأ فيها بقل هو الله احد قيل له يا عبد الله لست من المصلين . اسحاق بن عمار عن ابي عبد الله (ع) قال من مضت عليه جمعة ولم يقرأ فيها بقل هو الله أحد ثم مات مات على دين أبي لهب . هارون بن خارجة عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال من أصابه مرض أو شدة فلم يقرأ في مرضه أو شدته بقل هو الله أحد ثم مات في مرضه او في تلك الشدة التي نزلت به فهو من اهل النار . أبو بكر الحضرمي عنه صلى الله عليه وآله وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع ان يقرأ في دبر الفريضة بقل هو الله أحد فإنه من قرأها جمع له خير الدنيا والآخرة وغفر الله له ولوالديه وما ولدا . عبد الله بن حجر قال سمعت أمير المؤمنين (ع) يقول من قرأ قل هو الله أحد احدى عشرة مرة في دبر الفجر لم يتبعه في ذلك اليوم ذنب وارغم انف الشيطان . ابراهيم بن مهزم عمن سمع ابا الحسن (ع) يقول من قدم قل هو الله أحد بينه وبين كل جبار منعه الله منه يقرؤها بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فإذا فعل ذلك رزقه الله خيره ومنعه شره وقال اذا خفت امراً فاقرأ مائة آية من القرآن حيث شئت ثم قل اللهم اكشف عني البلاء ثلاث مرات . عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي (ع) قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة حين يأخذ مضجعه غفر الله له ذنوب خمسين سنة

تفسيرها

لما ذم سبحانه اعداء أهل التوحيد في السورة المتقدمة ذكر في هذه السورة بيان التوحيد فقال

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ (٢) اللّٰهُ الصَّمَدُ (٣) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٤) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ

﴿ القراءة ﴾

قرأ ابو عمرو احد الله الصمد بغير تنوين الدال من أحد وروي عنه (ع) انه كان يقول قل هو الله أحد ثم يقف فإن وصل قال أحد الله وزعم ان العرب لم تكن تصل مثل هذا والباقون أحد الله بالتنوين وقرأ اسماعيل عن نافع وحمزة وخلف ورويس كفأ ساكنة الفاء مهموزة وقرأ حفص كفواً مضمومة الفاء مفتوحة الواو وغير مهموزة وقرأ الباقون كفؤا بالهمزة وضم الفاء

﴿ الحجة ﴾

قال ابو علي من قرأ أحد الله فوجهه بين وذلك ان التنوين من أحد ساكن ولام المعرفة من الاسم ساكن فلما التقى الساكنان حرك الاول منهما بالكسر كما تقول اذهب اذهب ومن قال أحد الله فحذف النون فإن النون قد شابهت حروف اللين في الآخر في أنها تزاد كما يزدن وفي أنها تدغم فيهن كما يدغم كل واحد من الواو والياء في الآخر وفي انها قد ابدلت منها الالف في الاسماء المنصوبة وفي الخفيفة فلما شابهت حروف اللين اجريت مجراها في أن حذفت ساكنة لالتقاء الساكنين كما حذف الالف والواو والياء لذلك في نحو رمى القوم ويغزو الجيش ويرمي القوم ومن ثم حذفت ساكنة في الفعل في نحو لم يك ولاتك في مرية فحذفت في أحد الله لالتقاء الساكنين كما حذفت هذه الحروف في نحو هذا زيد بن عمرو حتى استمر ذلك في الكلام وانشد ابو زيد

فألفيته غير مستعتب ... ولا ذاكر الله إلا قليلا

وقال الشاعر

كيف نومي على الفراش ولما ... تشمل الشام غارة شعواء
تذهل الشيخ عن بنيه وتبدي ... عن خدام العقيلة العذراء

أما كفوا وكفواً فأصله الضم فخفف مثل طنب وطنب وعنق وعنق

﴿ اللغة ﴾

أحد اصله وحد فقلبت الواو همزة ومثله اناة واصله وناة وهو على ضربين ﴿ أحدهما ﴾ أن يكون اسما ﴿ والآخر ﴾ أن يكون صفة فالاسم نحو احد وعشرون يريد به الواحد والصفة كما في قول النابغة

كأن رحلي وقد زال النهار بنا ... بذي الجليل على مستأنس وحد

وكذلك قولهم واحد يكون اسما كالكاهل والغارب ومنه قولهم واحد اثنان ثلاثة وتكون صفة كما في قول الشاعر «فقد رجعوا كحي واحدينا» وقد جمعوا احدا الذي هو الصفة على احدان قالوا احد واحدان شبهوه بسلق وسلقان ونحوه قول الشاعر

يحمي الصريمة احدان الرجال له ... صيد ومجترئ بالليل هماس

فهذا جمع لأحد الذي يراد به الرفع من الموصوف والتعظيم له وانه منفرد عن الشبه والمثل وقالوا هو أحد الاحد اذا رفع منه وعظم وقالوا أحد الاحدين وواحد الآحاد وحقيقة الواحد شيء لا ينقسم في

نفسه أو في معنى صفته فإذا اطلق واحد من غير تقدم موصوف فهو واحد في نفسه وإذا أجري على موصوف فهو واحد في معنى صفته فإذا قيل الجزء الذي لا يتجزأ واحد أريد انه واحد في نفسه وإذا قيل هذا الرجل إنسان واحد فهو واحد في معنى صفته وإذا وصف الله تعالى بأنه واحد فمعناه أنه المختص بصفات لا يشاركه فيها أحد غيره نحو كونه قادراً لنفسه عالما حيا موجوداً كذلك والصمد السيد المعظم الذي يصمد اليه في الحوائج أي يقصد وقيل هو السيد الذي ينتهي اليه السوءدد قال الاسدي

ألا بكّر الناعي بخيري بني اسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وقال الزبرقان «ولا رهينة إلا السيد الصمد» وقال رجل مصمد أي مقصود وكذلك بيت مصمد قال طرفة

وإن يلتقي الحي الجميع يلاقني إلى ذروة البيت الرفيع المصمد

والكفو والكفيء والكفاء واحد وهو المثل والنظير قال النابغة

لا تقذفني بركن لا كفاء له ولو تثابك الأعداء بالرفد

وقال حسان

وجبريل رسول الله منا وروح القدس ليس له كفاء

وقال آخر في الكفيء

أما كان عباد كفيئا لدارم بلى ولأبيات بها الحجرات

❋ الإعراب ❋

قال ابو علي قل هو الله احد يجوز في اعراب الله ضربان ❋ احدهما ❋ ان يكون خبر مبتدأ وذلك على قول من ذهب الى ان هو كناية عن اسم الله تعالى ثم يجوز في قوله احد ما يجوز في قولك زيد اخوك قائم ❋ والآخر ❋ على قول من ذهب الى ان هو كناية عن القصة والحديث فيكون اسم الله عنده مرتفعا بالابتداء واحد خبره ومثله قوله تعالى فإذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا الا ان هي جاءت على التأنيث لأن في التفسير اسما موءنثا وعلى هذا جاء فإنها لا تعمى الابصار واذا لم يكن في التفسير موءنث لم يوءنث ضمير القصة وقوله الله الصمد الله مبتدأ والصمد خبره ويجوز ان يكون الصمد صفة الله والله خبر مبتدأ محذوف اي هو الله الصمد ويجوز ان يكون الله الصمد خبرا بعد خبر على قول من جعل هو ضمير الامر والحديث ولم يكن له كفوا احد قال انه له ظرف غير مستقر وهو متعلق بكان وكفوا منتصب بأنه خبر متقدم كما كان قوله تعالى وكان حقا علينا نصر الموءمنين كذلك وزعموا ان من البغداديين من يقول ان في يكن من قوله ولم يكن له كفوا احد ضميرا مجهولا وقوله كفوا ينتصب على الحال والعامل فيها له وهذا إذا افردته عن يكن كان معناه له احد كفوا واذا حمل على هذا لم يسغ ووجه ذلك انه محمول على معنى النفي فكأنه لم يكن احد له كفوا كما كان قولهم ليس الطيب الا المسك محمولا على معنى النفي ولولا حمله على المعنى لم يجز ألا ترى انك لو قلت زيد الا منطلق لم يكن كلاما فكما ان هذا محمول على المعنى كذلك له كفوا احد محمول على المعنى وعلى هذا جاز ان يكون احد فيه الذي يقع لعموم النفي ولولا ذلك لم يجز ان يقع احد هذا في الايجاب فإن قلت أيجوز ان يكون قوله تعالى له عندكم حالا على ان يكون المعنى

ولم يكن كفواً له احد فيكون له صفة للنكرة فلما قدم صار في موضع الحال كقوله «لعزة موحشا طلل قديم» فإن سيبويه قال ان ذلك يقل في الكلام وان كثر في الشعر فإن حملته على هذا على استكراه كان غير ممتنع والعامل في قوله له اذا كان حالا يجوز ان يكون احد شيئين * احدهما * يكن * والآخر * ان يكون ما في معنى كفواً من معنى المماثلة فإن قلت ان العامل في الحال اذا كان معنى لم يتقدم الحال عليه فإن له لما كان على لفظ الظرف والظرف يعمل فيه المعنى وان تقدم عليه كقولك كل يوم لك ثوب كذلك يجوز في هذا الظرف وذلك من حيث كان ظرفا وفيه ضمير في الوجهين يعود الى ذي الحال وهو كفوا

* النزول *

قيل ان المشركين قالوا لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك فنزلت السورة عن ابي بن كعب وجابر وقيل أتى عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اخو لبيد النبي ﷺ وقال عامر الى ما تدعونا يا محمد فقال إلى الله فقال صفه لنا أمن ذهب هو ام من فضة ام من حديد ام من خشب فنزلت السورة وارسل الله الصاعقة على اربد فأحرقته وطعن عامر في خنصره فمات عن ابن عباس وقيل جاء اناس من احبار اليهود الى النبي ﷺ فقالوا يا محمد صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك فإن الله انزل نعته في التوراة فنزلت السورة وهي نسبة الله خاصة عن الضحاك وقتادة ومقاتل وروى محمد بن مسلم عن ابي عبد الله (ع) قال ان اليهود سألوا النبي ﷺ فقالوا انسب لنا ربك فمكث ثلاثا لا يجيبهم ثم نزلت السورة . وقريب منه ما ذكره القاضي في تفسيره ان عبد الله بن سلام انطلق الى رسول الله ﷺ وهو بمكة فقال له رسول الله ﷺ انشدك بالله هل تجدني في التوراة رسول الله فقال انعت لنا ربك فنزلت هذه السورة فقرأها النبي ﷺ فكانت سبب اسلامه إلا انه كان يكتم ذلك الى ان هاجر النبي ﷺ الى المدينة ثم اظهر الإسلام

* المعنى *

(قل هو الله احد) هذا امر من الله عزّ اسمه لنبيه ﷺ ان يقول لجميع المكلفين هو الله الذي تحق له العبادة قال الزجاج هو كناية عن ذكر الله عز وجل ومعناه الذي سألتم تبيين نسبته هو الله احد اي واحد ويجوز ان يكون المعنى الامر الله احد لا شريك له ولا نظير وقيل معناه واحد ليس كمثله شيء عن ابن عباس وقيل واحد في الآلهية والقدم وقيل واحد في صفة ذاته لا يشركه في وجوب صفاته احد فإنه يجب ان يكون موجوداً عالما قادراً حيا ولا يكون ذلك واجبا لغيره وقيل واحد في افعاله لأن افعاله كلها احسان لم يفعلها لجر نفع ولا لدفع ضرر فاختص بالوحدة من هذا الوجه إذ لا يشركه فيه سواه واحد في انه لا يستحق العبادة سواه لأنه القادر على اصول النعم من الحياة والقدرة والشهوة وغير ذلك مما لا تكون النعمة نعمة الا به ولا يقدر على شيء من ذلك غيره فهو احد من هذه الوجوه الثلاثة وقيل انما قال احد ولم يقل واحد لأن الواحد يدخل في الحساب ويضم اليه آخر واما الأحد فهو الذي لا يتجزأ ولا ينقسم في ذاته ولا في معنى صفاته ويجوز ان يجعل للواحد ثانيا ولا يجوز ان يجعل للأحد ثانيا لأن الاحد يستوعب جنسه بخلاف الواحد ألا ترى انك لو قلت فلان لا يقاومه واحد جاز ان يقاومه اثنان ولما قلت لا يقاومه احد لم يجز ان يقاومه اثنان ولا اكثر فهو ابلغ وقال ابو جعفر الباقر (ع) في معنى قل هو الله احد اي قل اظهر ما اوحينا اليك وما نبأناك به بتأليف الحروف التي قرأناها عليك ليهتدي بها من ألقى السمع وهو

شهيد وهو اسم مكني مشار الى غائب فالهاء تنبيه عن معنى ثابت والواو اشارة الى الغائب عن الحواس كما ان قولك هذا اشارة الى الشاهد عند الحواس وذلك ان الكفار نبهوا عن آلهتهم بحرف اشارة الى المشاهد المدرك فقالوا هذه آلهتنا المحسوسة بالابصار فأشر انت يا محمد الى إلهك الذي تدعو اليه حتى نراه وندركه ولا نأله فيه فأنزل الله سبحانه قل هو الله احد فالهاء تثبيت للثابت والواو اشارة الى الغائب عن درك الابصار ولمس الحواس وانه يتعالى عن ذلك بل هو مدرك الابصار ومبدع الحواس وحدثني ابي عن ابيه عن امير المؤمنين (ع) انه قال رأيت الخضر في المنام قبل بدر بليلة فقلت له علمني شيئاً انتصر به على الاعداء فقال قل يا هو يا من لا هو إلا هو فلما اصبحت قصصت على رسول الله ﷺ فقال يا علي علمت الاسم الاعظم فكان على لساني يوم بدر قال وقرأ (ع) يوم بدر قل هو الله احد فلما فرغ قال يا هو يا من لا هو الا هو اغفر لي وانصرني على القوم الكافرين وكان يقول ذلك يوم صفين وهو يطارد فقال له عمار بن ياسر يا امير المؤمنين ما هذه الكنايات قال اسم الله الاعظم وعماد التوحيد لله لا إله إلا هو ثم قرأ شهد الله انه لا إله الا هو والملائكة واولو العلم قائماً بالقسط لا إله الا هو العزيز الحكيم وآخر الحشر ثم نزل فصلى اربع ركعات قبل الزوال قال وقال امير المؤمنين (ع) الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤله اليه الله المستور عن ادراك الابصار المحجوب عن الاوهام والخطرات وقال الباقر (ع) الله معناه المعبود الذي أله الخلق عن ادراك ماهيته والاحاطة بكيفيته وتقول العرب أله الرجل اذا تحير في الشيء فلم يحط به علما ووله اذا فزع الى شيء قال والاحد الفرد المتفرد والاحد والواحد بمعنى واحد وهو المتفرد الذي لا نظير له والتوحيد الإقرار بالوحدة وهو الانفراد والواحد المباين الذي لا ينبعث من شيء ولا يتحد بشيء ومن ثم قالوا إن بناء العدد من الواحد وليس الواحد من العدد لأن العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الاثنين فمعنى قوله الله احد اي المعبود الذي يأله الخلق عن ادراكه والاحاطة بكيفيته فرد بإلهيته متعال عن صفات خلقه (الله الصمد) قال الباقر (ع) حدثني ابي زين العابدين (ع) عن ابيه الحسين بن علي (ع) انه قال الصمد الذي قد انتهى سودده والصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال والصمد الذي لا جوف له والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب والصمد الذي لا ينام واقول ان المعنى في هذه الثلاثة انه سبحانه الحي الذي لا يحتاج الى الطعام والشراب والنوم قال الباقر (ع) والصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه آمر ولا ناه قال وكان محمد ابن الحنفية يقول الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره وقال غيره الصمد المتعالي عن الكون والفساد والصمد الذي لا يوصف بالنظائر قال وسئل علي بن الحسين زين العابدين (ع) عن الصمد فقال الصمد الذي لا شريك له ولا يؤده حفظ شيء ولا يعزب عنه شيء وقال ابو البختري وهب بن وهب القرشي قال زيد بن علي (ع) الصمد الذي اذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون والصمد الذي أبدع الاشياء فخلقها اضداداً وأصنافاً وأشكالا وازواجاً وتفرد بالوحدة بلا ضد ولا شكل ولا مثل ولا ند قال وهب بن وهب وحدثني الصادق جعفر بن محمد (ع) عن ابيه الباقر (ع) عن ابيه (ع) ان اهل البصرة كتبوا الى الحسين بن علي (ع) يسألونه عن الصمد فكتب اليهم بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه ولا تكلموا فيه بغير علم فقد سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول من قال في القرآن بغير علم فليتبوء مقعده من النار وان الله قد فسر سبحانه الصمد فقال لم يلد ولم يولد ولم يكن كفواً أحد (لم يلد) لم يخرج

منه شيء كثيف كالولد ولا سائر الاشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ولا شيء لطيف كالنفس ولا ينبعث منه البدوات كالسنة والنوم والخطرة والغم والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والسآمة والجوع والشبع تعالى أن يخرج منه شيء وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف (ولم يولد) أي ولم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما تخرج الاشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء والدابة من الدابة والنبات من الارض والماء من الينابيع والثمار من الاشجار ولا كما تخرج الاشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر من العين والسمع من الاذن والشم من الأنف والذوق من الفم والكلام من اللسان والمعرفة والتمييز من القلب والنار من الحجر لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء مبدع الاشياء وخالقها ومنشئ الاشياء بقدرته يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال (ولم يكن له كفواً احد) قال وهب بن وهب سمعت الصادق (ع) يقول قدم وفد من فلسطين على الباقر (ع) فسألوه عن مسائل فأجابهم عنها ثم سألوه عن الصمد فقال تفسيره فيه الصمد خمسة احرف * فالألف * دليل على انيته وهو قوله عز وجل شهد الله انه لا إله إلا هو وذلك تنبيه واشارة الى الغائب عن درك الحواس * واللام * دليل على إلاهيته بأنه هو الله والالف واللام مدغمان ولا يظهران على اللسان ولا يقعان في السمع ويظهران في الكتابة دليلان على إلاهية بلطفه خافية لا يدرك بالحواس ولا يقع في لسان واصف ولا اذن سامع لأن تفسير الإله هو الله الذي أله الخلق عن درك ماهيته و كيفيته بحس او بوهم لا بل هو مبدع الأوهام وخالق الحواس وإنما يظهر ذلك عند الكتابة فهو دليل على ان الله سبحانه اظهر ربوبيته في ابداع الخلق وتركيب ارواحهم اللطيفة في اجسادهم الكثيفة واذا نظر عبد الى نفسه لم ير روحه كما ان لام الصمد لا يتبين ولا يدخل في حاسة من حواسه الخمس فلما نظر الى الكتابة ظهر له ما خفي ولطف فمتى تفكر العبد في ماهية الباري و كيفيته أله وتحير ولم تحط فكرته بشيء يتصور له لأنه تعالى خالق الصور واذا نظر الى خلقه ثبت له انه عز وجل خالقهم ومركب ارواحهم في اجسادهم وأما * الصاد * فدليل على انه سبحانه صادق وقوله صدق و كلامه صدق ودعا عباده الى اتباع الصدق بالصدق ووعدنا بالصدق وآراد الصدق وأما * الميم * فدليل على ملكه وانه الملك الحق المبين لم يزل ولا يزال ولا يزول ملكه واما * الدال * فدليل على دوام ملكه وانه دائم تعالى عن الكون والزوال بل هو الله عز وجل مكون الكائنات الذي كان بتكوينه كل كائن ثم قال (ع) او وجدت لعلمي الذي اتاني الله حملة لنشرت التوحيد والإسلام والدين والشرائع من الصمد و كيف لي بذلك ولم يجد جدي امير المؤمنين (ع) حملة لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء أو يقول على المنبر سلوني قبل ان تفقدوني فإن بين الجوانح مني علما جما هاه هاه ألا لا أجد من يحمله ألا وان عليكم من الله الحجة البالغة فلا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وعن عبد خير قال سأل رجل عليا (ع) عن تفسير هذه السورة فقال قل هو الله احد بلا تأويل عدد الصمد بلا تبعيض بدد لم يلد فيكون موروثا هالكا ولم يولد فيكون إلها مشاركا ولم يكن له من خلقه كفواً احد وقال ابن عباس لم يلد فيكون والدا ولم يولد فيكون ولدا وقيل لم يلد ولدا فيرث عنه ملكه ولم يولد فيكون قد ورث الملك عن غيره وقيل لم يلد فيدل على حاجته فإن الانسان يشتهي الولد لحاجته اليه ولم يولد فيدل

على حدوثه وذلك من صفة الاجسام وفي هذا رد على القائلين ان عزيراً والمسيح ابن الله وان الملائكة بنات الله ولم يكن له كفواً احد أي لم يكن له احد كفوا اي عديلا ونظيرا يماثله وفي هذا رد على من اثبت له مثلا في القدم وغيره من الصفات وقيل معناه ولم تكن له صاحبة وزوجة فتلد منه لأن الولد يكون من الزوجة فكنى عنها بالكفوء لأن الزوجة تكون كفوا لزوجها وقيل انه سبحانه بين التوحيد بقوله الله احد وبين العدل بقوله الله الصمد وبين ما يستحيل عليه من الوالد والولد بقوله لم يلد ولم يولد وبين ما لا يجوز عليه من الصفات بقوله ولم يكن له كفوا احد وفيه دلالة على انه ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا هو في مكان ولا جهة وقال بعض ارباب اللسان وجدنا انواع الشرك ثمانية النقص والتقلب والكثرة والعدد و كونه علة او معلولا والاشكال والاضداد فنفى الله سبحانه عن صفته نوع الكثرة والعدد بقوله قل هو الله احد ونفى التقلب والنقص بقوله الله الصمد ونفي العلة والمعلول بقوله لم يلد ولم يولد ونفى الاشكال والاضداد بقوله ولم يكن له كفوا احد فحصلت الوحدانية البحت وروى عمران بن الحصين ان النبي ﷺ بعث سرية واستعمل عليها عليا (ع) فلما رجعوا سألهم عن علي (ع) فقالوا كل خير غير انه كان يقرأ في اثناء كل صلاة بقل هو الله احد فقال لم فعلت يا علي هذا فقال لحبي قل هو الله احد فقال النبي ﷺ ما احببتها حتى احبك الله عز وجل ويروى ان النبي ﷺ كان يقف عند آخر كل آية من هذه السورة وروى الفضيل بن يسار قال امرني ابو جعفر أن اقرأ قل هو الله احد واقول اذا فرغت منها كذلك الله ربي ثلاثا

سورة الفلق

مدنية في أكثر الاقاويل وقيل مكية

﴿ عدد آيها ﴾

خمس آيات بالاجماع

﴿ فضلها ﴾

في حديث ابي ومن قرأ قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس فكأنما قرأ جميع الكتب التي انزلها الله على الانبياء • وعن عقبة بن عامر قال قال رسول ﷺ انزلت علي آيات لم ينزل مثلهن المعوذتان اورده مسلم في الصحيح • وعنه عن النبي ﷺ قال يا عقبة الا أعلمك سورتين هما أفضل القرآن أو من أفضل القرآن قلت بلى يا رسول الله فعلمني المعوذتين ثم قرأ بهما في صلاة الغداة وقال لي اقرأهما كلما قمت ونمت • ابو عبيدة الحذاء عن ابي جعفر (ع) قال من اوتر بالمعوذتين وقل هو الله أحد قيل له يا عبد الله ابشر فقد قبل الله وترك

﴿ تفسيرها ﴾

ذم سبحانه أعداء الرسول ﷺ في سورة تبت ثم ذكر التوحيد في سورة الإخلاص ثم ذكر سبحانه الاستعاذة في السورتين فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١) قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (٢) مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ (٣) وَمِنْ شَرِّ غاسِقٍ إِذا وَقَبَ (٤) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثاتِ فِي الْعُقَدِ (٥) وَمِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ

﴿ اللغة ﴾

أصل الفلق الفرق الواسع من قولهم فلق رأسه بالسيف يفلقه فلقا ويقال ابين من فلق الصبح وفرق الصبح لأن عموده ينفلق بالضياء عن الظلام والغاسق في اللغة الهاجم بضرره وهو هاهنا الليل لأنه يخرج السباع من آجامها والهوام من مكامنها فيه يقال غسقت القرحة اذا جرى صديدها ومنه الغساق صديد أهل النار لسيلانه بالعذاب وغسقت عينه سال دمعها ٠ الوقوب الدخول وقب يقب ومنه الوقبة النقرة لأنه يدخل فيها النفث شبيهة بالنفخ واما التفل فنفخ بريق فهذا الفرق بين النفث والتفل قال الفرزدق

هما نفثا في فيّ من فمويها على النافث الغاوي أشد رجام

والحاسد الذي يتمنى زوال النعمة عن صاحبها وان لم يردها لنفسه فالحسد مذموم والغبطة محمودة وهي ان يريد من النعمة لنفسه مثل ما لصاحبه ولم يرد زوالها عنه

﴿ النزول ﴾

قالوا ان لبيد بن اعصم اليهودي سحر رسول الله ﷺ ثم دس ذلك في بئر لبني زريق فمرض رسول الله ﷺ فبينا هو نائم اذا أتاه ملكان فقعد احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فأخبراه بذلك وانه في بئر دروان في جف طلعة تحت راعوفة والجف قشر الطلع والراعوفة حجر في أسفل البئر يقوم عليها المائح فانتبه رسول الله ﷺ وبعث عليا (ع) والزبير وعمار فنزحوا ماء تلك البئر ثم رفعوا الصخرة واخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأس واسنان من مشطة واذا فيه معقد فيه احدى عشرة عقدة مغروزة بالابر فنزلت هاتان السورتان فجعل كلما يقرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله ﷺ خفة فقام فكأنما انشط من عقال وجعل جبرائيل (ع) يقول باسم الله ارقيك من شر كل شيء يؤذيك من حاسد وعين والله تعالى يشفيك ورووا ذلك عن عائشة وابن عباس وهذا لا يجوز لأن من وصف بأنه مسحور فكأنه قد خبل عقله وقد ابى الله سبحانه ذلك في قوله وقال الظالمون إن تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا ولكن يمكن أن يكون اليهودي أو بناته على ما روي اجتهدوا في ذلك فلم يقدروا عليه واطلع الله نبيه ﷺ على مافعلوه من التمويه حتى استخرج وكان ذلك دلالة على صدقه وكيف يجوز ان يكون المرض من فعلهم ولو قدروا على ذلك لقتلوه وقتلوا كثيرا من المؤمنين مع شدة عداوتهم له

﴿ المعنى ﴾

(قل اعوذ برب الفلق) هذا امر من الله سبحانه لنبيه ﷺ والمراد جميع امته ومعناه قل يا محمد اعتصم وامتنع برب الصبح وخالقه ومدبره ومطلعه متى شاء على ما يرى من الصلاح فيه (من شر ما خلق) من الجن والانس وسائر الحيوانات وانما سمي الصبح فلقا لانفلاق عموده بالضياء عن الظلام كما قيل له فجر لانفجاره بذهاب ظلامه وهذا قول ابن عباس وجابر والحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وقيل الفلق المواليد لأنهم ينفلقون بالخروج من اصلاب الآباء وارحام الأمهات كما ينفلق الحب من النبات وقيل الفلق جب في جهنم يتعوذ اهل جهنم من شدة حره عن السدي ورواه ابو حمزة الثمالي وعلي بن ابراهيم في تفسيريهما وقوله ما خلق عام في جميع ما خلقه الله تعالى ممن يجوز ان يحصل منه الشر وتقديره من شر الاشياء التي خلقها الله تعالى مثل السباع والهوام والشياطين وغيرها (ومن شر غاسق اذا وقب) اي ومن شر الليل

اذا دخل بظلامه عن ابن عباس والحسن ومجاهد فعلى هذا فيكون المراد من شر ما يحدث في الليل من الشر والمكروه كما يقال اعوذ من شر هذه البلدة وإنما اختص الليل بالذكر لأن الغالب ان الفساق يقدمون على الفساد بالليل وكذلك الهوام والسباع تؤذي فيه اكثر واصل الفسق الجريان بالضرر وقيل ان معنى الغاسق كل هاجم بضرره كائناما كان (ومن شر النفاثات في العقد) معناه ومن شر النساء الساحرات اللاتي ينفثن في العقد عن الحسن وقتادة وانما امر بالتعوذ من شر السحرة لإيهامهم انهم يمرضون ويصحون ويفعلون شيئا من النفع والضر والخير والشر وعامة الناس يصدقونهم فيعظم بذلك الضرر في الدين ولأنهم يوهمون انهم يخدمون الجن ويعلمون الغيب وذلك فساد في الدين ظاهر فلأجل هذا الضرر أمر بالتعوذ من شرهم وقال ابو مسلم النفاثات النساء اللاتي يملن آراء الرجال ويصرفنهم عن مرادهم ويردونهم الى آرائهن لأن العزم والرأي يعبر عنهما بالعقد فعبر عن حلها بالنفث فإن العادة جرت ان من حل عقدنفث فيه (ومن شر حاسد اذا حسد) فإنه يحمله الحسد على ايقاع الشر بالمحسود فأمر بالتعوذ من شره وقيل انه اراد من شر نفس الحاسد ومن شر عينه فإنه ربما أصاب بها فعاب وضر وقد جاء في الحديث ان العين حق وقد مضى الكلام فيه وروي ان العضباء ناقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم تكن تسبق فجاء اعرابي على قعود له فسابق بها فسبقها فشق ذلك على الصحابة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم حق على الله عز وجل الا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه وروى انس ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال من رأى شيئا يعجبه فقال الله الله ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضر شيئا وروي ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان كثيرا ما يعوذ الحسن والحسين (ع) بهاتين السورتين وقال بعضهم ان الله سبحانه جمع الشرور في هذه السورة وختمها بالحسد ليعلم أنه أخس الطبائع نعوذ بالله منه

سورة الناس

مدنية وهي مثل سورة الفلق لأنها احدى المعوذتين وهي ست آيات .

فضلها

الفضيل بن يسار قال سمعت ابا جعفر (ع) يقول ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اشتكى شكوى شديدة ووجع وجعا شديدا فأتاه جبرائيل وميكائيل (ع) فقعد جبرائيل (ع) عند رأسه وميكائيل عند رجليه فعوذه جبرائيل بقل أعوذ برب الفلق وعوذه ميكائيل بقل أعوذ برب الناس . ابو خديجة عن ابي عبد الله (ع) قال جاء جبرائيل الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو شاك فرقاه بالمعوذتين وقل هو الله احد وقال باسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يؤذيك خذها فلتهنيك فقال

بسم الله الرحمن الرحيم (١ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (٢) مَلِكِ النَّاسِ (٣) إِلَٰهِ النَّاسِ (٤) مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٥) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٦) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ

القراءة

قرأ ابو عمرو والدوري عن الكسائي يميل الناس في موضع الجر ولا يميل في الرفع والنصب والباقون لا يميلون

﴿ اللغة ﴾

الوسواس حديث النفس بما هو كالصوت الخفي واصله الصوت الخفي من قول الاعشى

تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

قال رؤبة

وسوس يدعو مخلصا رب الفلق سرا وقد اوّن تأوين العقق

والوسوسة كالهمهمة ومنه قولهم فلان موسوس اذا غلب عليه ما يعتريه من المرة يقال وسوس وسواسا ووسوسة وتوسوس والخنوس الاختفاء بعد الظهور خنس يخنس ومنه الخنس في الانف لخفائه بانخفاضه عندما يظهر بنبوة واصل الناس الأناس فحذفت الهمزة التي هي فأريد لك على ذلك الأنس والأناس وامه قوله في تحقيره نويس فإن الالف لما كانت ثانية زائدة اشبهت الف فاعل فقلبت واوا

﴿ الإعراب ﴾

قيل ان قوله من الجنة بدل من قوله من شر الوسواس فكأنه قال اعوذ بالله من شر الجنة والناس وقيل ان من تبين للوسواس والتقدير من شر ذي الوسواس الخناس من الجنة والناس اي صاحب الوسواس الذي من الجنة والناس فيكون الناس معطوفا على الوسواس الذي هو في معنى ذي الوسواس وان شئت لم تحذف المضاف فيكون التقدير من شر الوسواس الواقع من الجنة التي توسوسه في صدور الناس فيكون فاعل يوسوس ضمير الجنة وإنما ذكر لأن الجنة والجن واحد وجازت الكناية عنه وان كان متأخرا لأنه في نية التقديم فجرى مجرى قوله فاوجس في نفسه خيفة موسى وحذف العائد من الصلة الى الموصوف كما في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا اي بعثه الله رسولا

﴿ المعنى ﴾

(قل) يا محمد (اعوذ برب الناس) اي خالقهم ومدبرهم ومنشئهم (ملك الناس) اي سيدهم والقادر عليهم ولم يجز هنا الا ملك وجاز في فاتحة الكتاب ملك ومالك وذلك لأن صفة ملك تدل على تدبير من يشعر بالتدبير وليس كذلك مالك وذلك لأنه يجوز ان يقال مالك الثوب ولا يجوز ملك الثوب فجرت اللفظة في فاتحة الكتاب على معنى الملك في يوم الجزاء وجرت في هذه السورة على ملك تدبير من يعقل التدبير فكان لفظ ملك أولى هنا واحسن ومعناه ملك الناس كلهم واليه مفزعهم في الحوائج (إله الناس) معناه الذي يجب على الناس ان يعبدوه لأنه الذي تحق له العبادة دون غيره وانما خص سبحانه الناس وان كان سبحانه ربا لجميع الخلائق لأن في الناس عظماء فاخبر بأنه ربهم وان عظموا ولأنه سبحانه امر بالاستعاذة من شرهم فأخبر بذكرهم انه الذي يعيذه منهم وفي الناس ملوك فذكر أنه ملكهم وفي الناس من يعبد غيره فذكر أنه إلهم ومعبودهم وانه هو المستحق للعبادة دون غيره قال جامع العلوم النحوي وليس قوله الناس تكرارا لأن المراد بالاول الاجنة ولهذا قال برب الناس لأنه يربيهم والمراد بالثاني الاطفال ولذلك قال ملك الناس لأنه يملكهم والمراد بالثالث البالغون المكلفون ولذلك قال إله الناس لأنهم يعبدونه والمراد بالرابع العلماء لأن الشيطان يوسوس اليهم ولا يريد الجهال لأن الجاهل يضل بجهله وانما تقع الوسوسة في قلب العالم كما قال فوسوس اليه الشيطان وقوله (من شر الوسواس الخناس) فيه أقوال ﴿احدها﴾

ان معناه من شر الوسوسة الواقعة من الجنة وقد مر بيانه * وثانيها * ان معناه من شر ذي الوسواس وهو الشيطان كما جاء في الاثر انه يوسوس فإذا ذكر العبد ربه خنس ثم وصفه الله تعالى بقوله (الذي يوسوس في صدور الناس) أي بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه الى قلوبهم من غير سماع ثم ذكر ان هذا الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس (من الجنة) وهم الشياطين كما قال سبحانه إلا ابليس كان من الجن ثم عطف بقوله (والناس) على الوسواس والمعنى من شر الوسواس ومن شر الناس كأنه امر ان يستعيذ من شر الجن والانس * وثالثها * ان معناه من شر ذي الوسواس الخناس ثم فسره بقوله من الجنة والناس كما يقال نعوذ بالله من شر كل مارد من الجن والانس وعلى هذا فيكون وسواس الجنة هو وسواس الشيطان على ما مضى وفي وسواس الانس وجهان * احدهما * انه وسوسة الإنسان من نفسه * والثاني * اغواء من يغويه من الناس ويدل عليه قوله شياطين الانس والجن فشيطان الجن يوسوس وشيطان الإنس يأتي علانية ويرى انه ينصح وقصده الشر قال مجاهد الخناس الشيطان اذا ذكر اسم الله سبحانه خنس وانقبض واذا لم يذكر الله انبسط على القلب ويؤيده ما روي عن انس بن مالك انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله سبحانه خنس واذا نسي التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس وقيل الخناس معناه الكثير الاختفاء بعد الظهور وهو المستتر المختفي من اعين الناس لأنه يوسوس من حيث لا يرى بالعين وقال ابراهيم التيمي اول ما يبدو الوسواس من قبل الوضوء وقيل ان معنى قوله يوسوس في صدور الناس يلقي الشغل في قلوبهم بوسواسه والمراد ان له رفقاء به يوصل الوسواس الى الصدر وهو اقرب من خلوصه بنفسه الى صدره وفي هذا اشارة الى ان الضرر يلحق من جهة هؤلاء وانهم قادرون على ذلك ولولاه لما حسن الامر بالاستعاذة منهم وفيه دلالة على انه لا ضرر ممن يتعوذ به وانما الضرر كله ممن يتعوذ منه ولو كان سبحانه خالقا للقبائح لكان الضرر كله منه جل وعز وفيه اشارة ايضا الى انه سبحانه يراعي حال من يتعوذ به فيكفيه شرورهم ولولا ذلك لما دعاه الى التعوذ بهمن شرورهم ولما وصف سبحانه نفسه بأنه الرب الإله الغني عن الخلق فإن من احتاج الى غيره لا يكون إلهًا ومن كان غنيا عالما لغناه لا يختار فعل القبيح ولهذا حسنت الاستعاذة به من شر غيره وروى عبد الله بن سنان عن ابي عبد الله (ع) قال اذا قرأت قل اعوذ برب الفلق فقل في نفسك اعوذ برب الفلق واذا قرأت قل أعوذ برب الناس قل في نفسك اعوذ برب الناس وروى العياشي بإسناده عن ابان بن تغلب عن جعفر ابن محمد قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما من مؤمن الا ولقلبه في صدره اذنان اذن ينفث فيها الملك واذن ينفث فيها الوسواس الخناس فيؤيد الله المؤمن بالملك وهو قوله سبحانه وايدهم بروح منه

تم الجزء العاشر من كتاب مجمع البيان في علوم القرآن

﴿ حكاية خط المصنف رحمه الله ﴾

وهي : الحمد لله أولا وآخرا وباطنا وظاهرا على تسهيله وتيسيره وتقدر الفراغ منه لمصنفه يوم الخميس منتصف ذي القعدة من سنة ست وثلاثين وخمسمائة

اللهم لك الحمد على توفيقك وتأييدك وارشادك وتسديدك حمدا استوجب به المزيد من نعمك واستحق به لطائف كرمك اللهم اجعل جدي واجتهادي في جميع ما شذ من تفسير كتابك العزيز وكدي وانكماشي في ضم ما انتشر من معانيه بالالفظ الوجيز ذريعة إلى ادراك رضوانك وصلة إلى الاتصال باوليائك وأصفيائك في جنانك وقابل تقربي بذلك اليك وتوسلي إلى الاطهار الأخيار محمد ﷺ وعترته الابرار بالقبول التام واعممني وولدي واهل حزانتي بالانعام العام واتمم يارب هذه النعمة الجسيمة التي انعمت علي بها وجعلتني اهلا لها بالمد في العمر والامداد بالتوفيق واليسر لإفادة من يطلبه من اهل الدين والخير والبث لما يتضمنه من العلوم والنشر احرازا لجميل الذكر وجزيل الذخر والاجر واعتصاما بعروتك الوثقى واغتناما لشفاعة نبيك صلواتك عليه وآله يوم الزلفى إنك ولي الانعام ذو الجلال والاكرام وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد وآله اجمعين الطيبين الطاهرين

انتقل مصنف الكتاب (ره) من المشهد الرضوي على ساكنه الصلاة والسلام وعلى آبائه وابنائه الكرام إلى سبزوار في شهور سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وانتقل بها إلى دار الخلود ليلة النحر سنة ثمان واربعين وخمسمائة ونقل ودفن على ما هو المشهور إلى مشهد الرضوي

﴿ خاتمة الكتاب ﴾

نحمده سبحانه على توفيقنا لإتمام طبع هذا التفسير الجليل الفريد في ترتيبه وتبويبه وجمعه بين أقوال الفريقين بدون تعصب أو تحيز شأن المؤلف المنصف وقد صدر الجزء الأول منه في أول سني الحرب أي سنة ١٩١٤ م وها هو الجزء الأخير يصدر هذا العام أي بعد ٢٤ سنة ، وما ذاك إلا لوفرة نفقاته وقلة المساعدين وقد كان لنا شركاء في العمل عدلوا عن المضي في هذه الشركة حين اشتداد أزمة الحرب وغلاء الورق غلاء فاحشاً بحيث لو بقي ورق الجزء الأول بدون طبع لبيع بما لايقل عن خمسمائة ليرة عثمانية • ولا ننكر ان بعض اهل الغيرة ساعد وأوجد بعض المشتركين وبعضهم جمع الاشتراكات وابتلعها وكل امرئ مجزي بعمله .

أما الذين ساعدوا وثبتوا للنهاية فالوطني المهاجر الكريم السيد نعيم قاسم الجزيني الذي لم يحجم من وقت لآخر عن مساعدة هذا المشروع النبيل ماديّاً • والعلامتان الأستاذان الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر اللذان ساعدا أدبيّاً فكنا بعد مقابلة الملازم على النسخة الإيرانية التي عندنا واصلاحها نرسلها لهما فيقابلانها على النسخة التي لديهما وهي أصح ويطبقون الأبيات الشعرية على ما لديهم من الكتب الأدبية واللغوية فجاء التفسير من أصح الكتب المطبوعة ومع كل ذلك لم يخل من أغلاط طفيفة سنشير اليها بعد تدقيقها في جزء الفهارس الذي نطبعه في جزء مستقل وسيكون من احسن فهارس القرآن وهذا الفهرس لا يمكن إتمامه قبل سنة ويباع على حدة • فنحن نشكر جميع من ساعدنا في إخراج هذا الأثر النفيس بهذا الشكل من ذكر اسمه ومن لم يذكر سائلين المولى سبحانه أن يجزيهم جزاء الخير وخير الجزاء وأن يكون عملنا خالصاً لوجهه الكريم

فهرس المجلد الخامس من مجمع البيان في تفسير القرآن

وهو حاو للجزء التاسع والعاشر حسب تجزئة المصنف

وفيه تفسير سورة حم السجدة إلى سورة الناس

سورة حم السجدة

سورة حم عسق

سورة الزخرف

سورة الدخان

تم طبعه ونشره وتصحيحه بعناية ونفقة

احمد عارف الزين

صاحب مجلة العرفان التي تصدر عن صيداء (سورية)

ولله الحمد في البدء والختام

وعلى محمد وآله أفضل الصلاة والسلام

